الجزء الأول

خطبة الكتاب

الفصل الأول

في فضل الأدب وأهله، وذم الجهل وحمله

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كفى بالعلم شرفاً أنه يدعيه من لا يحسنه ويفرح إذا نسب إليه من ليس من أهله، وكفى بالجهل خمولاً، أنه يتبرأ منه من هو فيه ويغضب إذا نسب إليه.

فنظم بعض المحدثين ذلك، فقال:

كفَى شَرَفاً لِلْعِلْمِ دَعْوَاهُ جَاهِلٌ ... وَيَفْرَحُ أَنْ يُدْعَى إِلْيهِ وَيُنْسَبُ

وَيَكْفِي خُمُولاً بِالْجَهالَةِ أَنَّنِي ... أُرَاعُ مَتَى أُنْسَبْ إِلَيْهَا وَأَغْضَبُ

وقال رضي الله عنه: قيمة كل إنسان ما يحسن، فنظمه شاعر وقال:

لاَ يَكُونُ الْفَصِيحُ مِثْلَ الْعَيِّ ... لاَ وَلاَ ذُو الذَّكَاءِ مِثْلَ الْغَبِيِّ

قِيمَةُ الْمَرْءِ قَدْرُ مَا يُحْسِنُ الْمَرْ ... ءُ قَضَاءٌ مِنَ الإِمَامِ عَلِيِّ

وقال كرم الله وجهه: كل شيء يعز إذا نزر، ما خلا العلم، فإنه يعز إذا غزر.

ومر عمر بن الخطاب رضي الله عنه على قوم يسيئون الرمي، فقرعهم، فقالوا: إنا قوم " متعلمين " ، فأعرض مغضباً، وقال: والله لخطؤكم في لسانكم، أشد علي من خطئكم في رميكم.

سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " رحم الله امرأ أصلح من لسانه " .

وروي أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ: " ونادوا يا مال ليقض علينا ربك أنكر عليه ابن عباس. فقال علي: هذا من الترخيم في النداء فقال. ابن عباس: ما أشغل أهل النار في النار عن الترخيم في النداء؟ فقال علي: صدقت.

فهذا يدل على تحقق الصحابة من النحو، وعلمهم به.

استأذن رجل على إبراهيم النخعي فقال: " أبا " عمران في الدار، فلم يجبه. فقال: أبي عمران في الدار، فناداه: قل الثالثة وادخل.

وكان الحسن بن أبي الحسن يعثر لسانه بشيء من اللحن فيقول: استغفر الله. فقيل له فيه: فقال: من أخطأ فيها فقد كذب على العرب، ومن كذب فقد عمل سوءاً، وقال الله تعالى: " ومن يعمل سوءاً أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيماً " .

وذكر أبو حيان في كتاب محاضرات العلماء: حدثنا القاضي أبو حامد أحمد بن بشر قال: كان الفراء يوماً عند محمد ابن الحسن، فتذاكرا في الفقه والنحو، ففضل الفراء النحو على الفقه، وفضل محمد بن الحسن الفقه على النحو، حتى قال الفراء: قل رجل أنعم النظر في العربية، وأراد علماً غيره، إلا سهل عليه، فقال محمد بن الحسن: يا أبا زكريا، قد أنعمت النظر في العربية، وأسألك عن باب من الفقه. فقال: هات على بركة الله تعالى، فقال له: ما تقول في رجل صلى فسها في صلاته، وسجد سجدتي السهو، فسها فيهما، فتفكر الفراء ساعة، ثم قال: لا شيء عليه. فقال له محمد: لِمَ؟ قال: لأن التصغير عندنا ليس له تصغير، وإنما سجدتا السهو تمام الصلاة، وليس للتمام تمام. فقال محمد بن الحسن: ما ظننت أن آدمياً يلد مثلك.

وحكي عن بعض الفقهاء أنه كان يقول: حب من الناس حب من الله، وما صلح دين إلا بحياء، ولا حياء إلا بعقل، وما صلح حياء، ولا دين، ولا عقل، إلا بأدب.

وأنشد أبو الفضل الرياشي:

طَلَبْتُ يَوْماً مَثَلاً سَائِراً ... فَكُنْتُ فِي الشِّعْرِ لَهُ نَاظِمَا

لاَ خَيْرَ فِي الْمَرْءِ إِذَا مَا غَدَا ... لا طالب العلم ولا عالما

وفي الخبر: " ارحموا ثلاثة، عزيز قوم ذل. وغني قوم افتقر، وعالماً يلعب الجهال بعلمه " .

فنظمه شاعر فقال:

إِنِّي مِنَ النَّفَرِ الثَّلاَثَةِ حَقْهُمْ ... أَنْ يُرْحَمُوا لِحَوَادِثِ الأَزْمَانِ

مثرٍ أقل وعالم مستجهل، وعزيز قوم ذل للحدثان.

ويقال: فقدان الأديب الطبع، كفقدان ذي النجدة السلاح، ولا محصول لأحدهما دون الآخر. وقال:

نِعْمَ عَوْنُ الْفَتَى إِذَا طَلَبَ الْعِلْ ... مَ وَرَامَ الآدَابَ صِحَّةُ طَبْعِ

فَإِذا الطَّبْعُ فَاتَهُ بَطَلَ السَّعْ ... يُ وَصَارَ الْعَنَاءُ فِي غَيْرِ نَفْعِ

ومما يقارب ذلك قول بعضهم:

مَنْ كَانَ ذَا عَقْلٍ وَلَمْ يَكُ ذَا غِنىً ... يَكُونُ كَذِي رِجْلٍ وَلَيْسَ لَهُ نَعْلُ

وَمَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَلَمْ يَكُ ذَا حِجىً يَكُونُ كَذِي نَعْلٍ وَلَيْسَ لَهُ رِجْلُ

وقال آخر:

أَرَى الْعِلْمَ نُوراً وَالتَّأَدُّبَ حِلْيَةً فَخُذْ مِنْهُمَا فِي رَغْبَةٍ بِنَصِيبِ

وَلَيْسَ يَتِمُّ الْعِلْمُ فِي النَّاسِ لِلْفَتَى إِذَا لَمْ يَكُنْ فِي عِلْمِهِ بِأَدِيبِ

وأنشد أبو حاتم سهل بن يحيى السجستاني:

إِنَّ الْجَوَاهِرَ دُرَّهَا وَنُضَارَهَا ... هُنَّ الْفِدَاءُ لِجَوْهَرِ الآدَابِ

فَإِذَا اكْتَنَزْتَ أَوِ ادَّخَرْتَ ذَخِيرَةً ... تَسْمُو بِزِينَتِهَا عَلَى الأَصْحَابِ

فَعَلَيْكَ بِالأَدَبِ الْمُزَيِّنِ أَهْلَهُ ... كَيْمَا تَفُوزَ بِبَهْجَةٍ وَثَوَابِ

فَلَرُبَّ ذِي مَالٍ تَرَاهُ مُبَعَّداً ... كَالْكَلْبِ يَنْبَحُ مِن وَرَاءِ حِجَابِ

وَتَرَى الأَدِيبَ وَإِنْ دَهَتْهُ خَصَاصَةٌ ... لاَ يُسْتَخَفُّ بِهِ لَدَى الأَتْرَابِ

وَقَالَ آخَرُ:

مَا وَهَبَ اللهُ لامْرِئ هِبَةً ... أَحْسَنَ مِنْ عَقْلِهِ وَمِنْ أَدَبِهْ

هُمَا جَمَالُ الْفَتَى فَإِنْ فُقِدَا ... فَفَقْدُهُ لِلْحَيَاةِ أَجْمَلُ بِهْ

وحدث أبو صالح الهروي قال: كان عبد الله بن المبارك يقول: أنفقت في الحديث أربعين ألفاً، وفي الأدب ستين ألفاً، وليت ما أنفقته في الحديث أنفقته في الأدب، قيل له: كيف؟ قال: لأن النصارى كفروا بتشديدة واحدة خففوها، قال تعالى: يا عيسى إني ولَّدتك من عذراء بتول. فقالت النصارى: ولدتك.

شاعر:

ولَمْ أَرَ عَقْلاً صَحَّ إلاَّ بِشيمَةٍ ... وَلَمْ أَرَ عِلْماً صَحَّ إلاَّ عَلَى أَدَبْ

وقال آخر:

لِكُلِّ شَيْءٍ حَسَنٍ زِينَةٌ ... وَزِينَةُ الْعَالِمِ حُسْنُ الأَدَبْ

قَدْ يَشْرُفُ الْمَرءُ بِآدَابِهِ ... فِينَا وَإِنْ كَانَ وَضِيعَ النَّسَبْ

وقال آخر:

مَنْ كَانَ مُفْتَخِراً بِالْمَالِ وَالنَّسَبفَإِنَّمَا فَخْرُنَا بِالْعِلْمِ وَالأَدَبِ

لاَ خَيْرَ فِي رَجُلٍ حُرٍّ بِلاَ أَدَبلاَ، لاَ، وَإِنْ كَانَ مَنْسُوباً إِلَى العَرَبِ

قالوا: والفرق بين الأديب والعالم، أن الأديب من يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه. والعالم من يقصد بفن من العلم فيعتمله. ولذلك قال علي كرم الله وجهه: العلم أكثر من أن يحصى، فخذوا من كل شيء أحسنه.

شاعر:

ذَخَائِرُ الْمَالِ لاَ تَبْقَى عَلَى أَحَدٍوَالْعِلْمُ تَذْخَرُهُ يَبْقَى عَلَى الأَبَدِ

وَالْمَرْءُ يَبْلُغُ بِالآدَابِ مَنْزِلَةًيَذِلُّ فِيهَا لَهُ ذُو الْمَالِ وَالْعُقَدِ

وحدث سفيان قال: سمعت الخليل بن أحمد يقول: إذا أردت أن تعلم العلم لنفسك، فاجمع من كل شيء شيئاً، وإذا أردت أن تكون رأساً في العلم، فعليك بطريق واحد، ولذلك قال الشعبي: ما غلبني إلا ذو فن.

شاعر:

لاَ فَقْرَ أَكْبَرُ مِنْ فَقْرٍ بِلاَ أَدَبلَيْسَ الْيَسَارُ بِجَمْعِ الْمَالِ وَالنَّشَبِ

مَا الْمَالُ إلاَّ جُزَازَاتٌ مُلَفَّقَةٌ ... فِيهَا عُيُونٌ مِنَ الأَشْعَارِ وَالْخُطَبِ

ويقال: من أراد السيادة، فعليه بأربع: العلم، والأدب، والعفة، والأمانة.

شاعر:

كَمْ مِنْ خَسِيسٍ وَضِيعِ الْقَدْرِ لَيْسَ لَهُفِي الْعِزِّ أَصْلٌ وَلاَ يُنْمَى إلى حَسَبِ

قد صار بالأدب المحمود ذا شرف ... عال وذا حسب محض وذا نسب

وقال بزرجمهر: من كثر أدبه كثر شرفه وإن كان وضيعاً، وبعد صوته وإن كان خاملاً، وساد وإن كان غريباً، وكثرت الحاجة إليه وإن كان فقيراً.

ويقال: عليكم بالأدب، فإنه صاحب في السفر، ومؤنس في الحضر، وجليس في الوحدة، وجمال في المحافل، وسبب إلى طلب الحاجة.

ويقال: مروءتان ظاهرتان: الفصاحة والرياش.

وكلم شبيب بن شيبة رجلاً من قريش، فلم يحمد أدبه، فقال له يا ابن أخي: الأدب الصالح خير لك من الشرف المضاعف، وقال:

وكم من ماجد أضحى عديماً ... له حسن، وليس له بيان

وما حسن الرجال لهم بزين ... إذا لم يسعد الحسن اللسان

وقال أبو نواس: ما استكثر أحد من شيء إلا مله وثقل عليه، إلا الأدب، فإنه كلما استكثر منه، كان أشهى له، وأخف عليه.

وقال: الشره في الطعام دناءة، وفي الأدب مروءة.

ويقال: الأديب نسيب الأديب: قال أبو تمام:

إن يكد مطرف الإخاء فإننا ... نسري ونغدو في إخاء تالد

أو نفترق نسباً يؤلف بيننا ... أدب أقمناه مقام الوالد

أو يختلف ماء الوصال فماؤنا ... عذب تحدر من غمام واحد

وقال ابن السكيت: خذ من الأدب ما يعلق بالقلوب، وتشتهيه الآذان وخذ من النحو ما تقيم به الكلام، ودع الغوامض، وخذ من الشعر ما يشتمل على لطيف المعاني، واستكثر من أخبار الناس، وأقاويلهم وأحاديثهم، ولا تولعن بالغث منها.

وقال أبو عمرو بن العلاء: قيل لمنذر بن واصل: كيف شهوتك للأدب؟ فقال: أسمع بالحرف منه لم أسمعه، فتود أعضائي أن لها أسماعاً تتنعم مثل ما تنعمت الأذان، قيل: وكيف طلبك له؟ قال: طلب المرأة المضلة ولدها، وليس لها غيره، قيل: وكيف حرصك عليه؟ قال: حرص الجموع المنوع على بلوغ لذته في المال.

قال الأصمعي: قال لي أعرابي: ما حرفتك؟ قلت: الأدب، قال: نعم الشيء، فعليك به، فإنه ينزل المملوك في حد الملوك.

وقال أرسطاطاليس: ليت شعري: أي شيء فات من أدرك الأدب، وأي شيء أدرك من فاته الأدب؟؟.

وقال البحتري:

رأيت القعود على الاقتصاد ... قنوعاً به ذلة في العباد

وعز بذي أدب أن يضيق ... بعيشته وسع هذي البلاد

إذا ما الأديب ارتضى بالخمول ... فما الحظ في الأدب المستفاد

وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا العربية، فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة.

وقال عبد الملك: ما الناس إلى شيء من العلوم أحوج منهم إلى إقامة ألسنتهم، التي بها يتحاورون الكلام، ويتهادون الحكم، ويستخرجون غوامض العلم من مخابئها، ويجمعون ما تفرق منها، إن الكلام قاض يجمع

بين الخصوم، وضياء يجلو الظلام، وحاجة الناس إلى مواده، كحاجتهم إلى مواد الأغذية.
وقال الزهري: ما أحدث الناس مروءة أحب إلي من تعلم النحو.
وقال شاعر يصف النحو:
اقتبس النحو فنعم المقتبس ... والنحو زين وجمال ملتمس
صاحبه مكرم حيث جلس ... من فاته فقد تعمى وانتكس
كأن ما فيه من العي خرس ... شتان ما بين الحمار والفرس
وقال آخر:
لولا كم كان يلفى كل ذي خطل ... للنحو مدعياً بين النحارير
لم لا أشد على من لا يقوم بها ... من وقعة السمر والبيض المآثير
قرع رجل على الحسن البصري الباب وقال: يا أبو سعيد، فلم يجبه، فقال: أبي سعيد، فقال الحسن: قل الثالثة وادخل. (وقد مر مثل هذا) وحدث النضر بن شميل، قال: أخبرنا الخليل ابن أحمد، قال: سمعت أيوب السجستاني يحدث بحديث فلحن فيه، فقال: أستغفر الله: يعني أنه عد اللحن ذنباً.
وكا ابن سيرين يسمع الحديث ملحوناً، فيحدث به على لحنه، وبلغ ذلك الأعمش، فقال: إن كان ابن سيرين يلحن فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يلحن، فقومه. قال: وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب أولاده على اللحن، ولا يضربهم على الخطأ. ووجد في كتاب عامل له لحناً، فأحضره وضربه درة واحدة. ودخل أعرابي السوق فسمعهم يلحنون فقال: العجب، يلحنون ويربحون؟؟ وكان معاوية بن بجير عامل البصرة لا يلحن، فمات بجير بالبصرة، ومعاوية بفارس خليفة أبيه، فقال الفيج الذي جاء بنعيه: مات بجيراً، فقال له: لحنت لا أم لك. فقال أخوه عبد الله بن بجير:
ألم تر أن خير بني بجير ... معاوية المحقق ما ظننتا
أتاه مخبر ينعى بجيراً ... علانية فقال له لحنتا
وقال الجاحظ: عيوب المنطق التصحيف، وسوء التأويل، والخطأ في الترجمة، فالتصحيف يكون من وجوه من التخفيف، والتثقيل، ومن قبل الإعراب، ومن تشابه صور الحروف. وسوء التأويل: من الأسماء المتواطئة أي أنك تجد اسماً لمعان، فتتأول على غير المراد. وكذلك سوء الترجمة.

واعلم أن مذاكرة العلم عون على أدائه، وزيادة في الفهم، ولابد للعالم من جهل، أي أن يجهل كثيراً مما يسأل عنه، إما لأنه ما سمعه أو نسيه. وقد قال بعض الفرس: ليس يحسن الأشياء كلها إنسان، ولكن يحسن كل إنسان شيئاً. ومن الأدب قول القائل:
إذا ما روى الراوي حديثاً فلا تقل ... سمعنا بهذا قبل أن يتمما
ولكن تسمع للحديث موهماً ... بأنك لم تسمعه فيما تقدما
وقال الأصمعي: من حق من يقبسك علماً أن ترويه عنه.
قال أبو عمرو بن العلاء: إنما سمي النحوي نحوياً، لأنه يحرف الكلام إلى وجوه الإعراب.

واللحن مخالفة الإعراب، واللحن على جهة أخرى أن يكلم الرجل صاحبه بالكلام يعرفانه بينهما، ولا يعرفه سواهما، وأنشد ابن الكلبي لمالك ابن أسماء:

منطق صائب، وتلحن أحيا ... ناً وخير الحديث ما كان لحاً

أمغط مني على بصرى بالسح ... ب أم أنت أكمل الناس حسنا

وحديث ألذه هو مما ... ينعت الناعتون يوزن وزنا

وقد روى أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كان لحناً أي فطناً، وفي حديث أبي الزناد أن رجلاً قرأ عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلحن، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أرشدوا صاحبكم. وحدث أبو العيناء عن وهب ابن جرير أنه قال لفتى من باهلة يا بني: اطلب النحو فإنك لن تعلم منه باباً إلا تدرعت من الجمال سربالاً، وفي حديث سعيد بن العاص قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن " . وعن ابن شهاب أنه قال: ما أحدث الناس مروءة أعجب إلي من تعلم الفصاحة. وحدث يحيى بن عتيق قال سألت الحسن: فقلت يا أبا سعيد الرجل يتعلم العربية يلتمس بها حسن المنطق ويقيم بها قراءته، قال حسن: يا بني فعلمها فإن الرجل يقرأ الآية فيعيا بوجهها فيهلك فيها. وعن سعيد بن سلم قال: دخلت على الرشيد فبهرني هيبة وجمالاً فلما لحن خف في عيني، وعن الشعبي، قال حلي الرجال العربية، وحلي النساء الشحم.

وحدث التاريخي بإسناد رفعه إلى سلمة بن قتيبة قال: كنت عند ابن هبيرة الأكبر، قال: فجرى الحديث حتى ذكر العربية فقال: والله ما استوى رجلان دينهما واحد، وحسبهما واحد، ومروءتهما واحدة، أحدهما يلحن والآخر لا يلحن إن أفضلهما في الدنيا والآخرة الذي لا يلحن. قال: فقلت أصلح الله الأمير، هذا أفضل في الدنيا لفضل فصاحته وعربيته، أرأيت الآخرة ما باله فضل فيها، قال: إنه يقرأ كتاب الله على ما أنزله الله، والذي يلحن يحمله لحنه على أن يدخل في كتاب الله ما ليس فيه، ويخرج منه ما هو فيه، قال: قلت صدق الأمير وبر.

وحدّث عن أبي ثوابة عن عمرو بن أبي عمرو الشيباني عن أبيه، قال: تكلم أبو جعفر المنصور في مجلس فيه أعرابي فلحن فصر الأعرابي أذنيه، فلحن مرة أخرى أعظم من الأولى، فقال الأعرابي: أف لهذا، ما هذا؟. ثم تكلم فلحن الثالثة، فقال الأعرابي: أشهد لقد وليت هذا الأمر بقضاء وقدر، وحدث بإسناد رفعه إلى الواقدي قال: صلى رجل من آل الزبير، خلف أبي جعفر المنصور وقرأ، " ألهاكم التكاثر " . فلحن في موضعين قال: فلما سلم التفت الزبيري إلى رجل كان إلى جانبه فقال: ما كان أهون هذا القرشي على أهله.

وقال بعض الشعراء:

النحو يبسط من لسان الألكن ... والمرء تعظمه إذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها ... فأجلها عندي مقيم الألسن

وقال آخر:

إما تريني وأثوابي مقاربة ... نيست بخز ولا من حر كتان

فإن في المجد همامي وفي لغتي ... علوية ولساني غير لحان

وحدث قال: قدم طاهر بن الحسين، والعباس بن محمد ابن موسى على الكوفة، فزاره طساسيج من سوادها. فوجه العباس كاتبه إليه، فلما دخل على طاهر. قال له: أخيك أبي موسى يقرأ عليك السلام، قال. وما أنت منه؟ قال كاتبه الذي يطعمه الخبز قال نعم، علي بعيسى بن عبد الرحمن، قال. فجاء، وكان عيسى كاتب طاهر، فقال. اكتب وأنت قائم بصرف العباس بن محمد بن موسى عن الكوفة، إذ لم يتخذ كاتباً يحسن الأداء عنه.

وحدث فيما أسنده إلى الضحاك بن زمل السكسكي، وكان من أصحاب المنصور قال: كنا مع سليمان بن عبد الملك بدابق، إذ قام إليه السحاح الأزدي الموصلي، فقال يا أمير المؤمنين: إن أبينا هلك وترك مال كثير، فوثب أخانا على مال أبانا فأخذه، فقال سليمان: فلا رحم الله أباك ولا نيح عظام أخيك، ولا بارك الله لك فيما ورثت، أخرجوا هذا اللحان عني. فأخذ بيده بعض الشاكرية وقال: قم فقد آذيت أمير المؤمنين، فقال: وهذا العاض بظر أمه اسحبوا برجله. وحدث قال: قال رجل للحسن يا أبا سعيد: ما تقول في رجل مات وترك أبيه وأخيه؟ فقال الحسن ترك أباه وأخاه!! فقال له فما لأباه وأخاه.؟ فقال له الحسن إنما هو فما لأبيه وأخيه قال: يقول الرجل للحسن يا أبا سعيد. ما أشد خلافك علي، قال: أنت أشد خلافاً علي، أدعوك إلى الصواب، وتدعوني إلى الخطأ؟ وحدث فيما رفعه إلى عبد الله بن المبارك قال: بعث الحجاج إلى والي البصرة أن اختر لي عشرة ممن عندك، فاختار رجالاً منهم كثير بن أبي كثير، قال: وكان رجلاً عربياً، قال كثير: فقلت في نفسي لا أفلت من الحجاج إلا باللحن، قال: فلما أدخلنا عليه، دعاني فقال: ما اسمك؟ قلت كثير، قال ابن من؟ فقلت إن قلتها بالواو، لم آمن أن يتجاوزها، قال: أنا ابن أبا كثير فقال: عليك لعنة الله، وعلى من بعث بك، جيئوا في قفاه، قال فأخرجت. وحدث فيما أسنده إلى الأصمعي، قال: سمعت مولى لعمر بن الخطاب يقول: أخذ عبد الملك ابن مروان رجلاً كان يرى رأى الخوارج رأي شبيب، فقال له: ألست القائل؟:

ومنا سويد والبطين وقعنب ... ومنا أمير المؤمنين شبيب

قال: إنما قلت أمير المؤمنين، أي يا أمير المؤمنين، فأمر بتخلية سبيله. قال التاريخي: حدثنا أبو بكر الدولابي، حدثنا أبو مسهر قال: سألت سعيد بن عبد العزيز التنوخي عن الحديث إذا سمعته ملحوناً، فقال: اللحن يفسد الحديث، وذلك أنه يغير معناه، ولم يلق أحد من العلماء إلا مقوم اللسان، قال: وقد كان عمر بن عبد العزيز أشد الناس في اللحن على ولده وخاصته ورعيته، وربما أدب عليه. قال: وقال نافع مولى ابن عمر: كان ابن عمر يضرب ولده على اللحن، كما يضربهم على تعليم القرآن. وحدث فيما أسنده إلى شريك عن جابر قال: قلت للشعبي. أسمع الحديث بغير إعراب فأعربه؟ قال نعم، لا بأس به، قال: قال حماد ابن سلمة: مثل الذي يكتب الحديث ولا يعرف النحو، مثل الحمار عليه مخلاته ولا شعير فيها. وروى عن الشعبي أنه قال: لأن أقرأ وأسقط أحب إلي من أقرأ وألحن، وقال محمد بن الليث: النحو في الأدب، كالملح في الطعام، فكما لا يطيب الطعام إلا بالملح، لا يصلح الأدب إلا بالنحو، وروي عن عبد الله بن المبارك أنه قال: تعلموا العلم شهراً، والأدب شهرين. وقال رجل لبنيه: يا بني أصلحوا من ألسنتكم، فإن الرجل تنوبه

النائبة، يحتاج أن يتجمل فيها، فيستعير من أخيه دابة ومن صديقه ثوباً، ولا يجد من يعيره لساناً: لما قال الفرزدق.

إن الذي سمك السماء بنى لنا ... بيتاً دعائمه أعز وأطول

قال بعض الحاضرين: أعز وأطول من ماذا؟ فتفكر الفرزدق، فوافق ذلك قول المؤذن في الآذان، الله أكبر، فرفع الفرزدق رأسه فقال: يا فلان أكبر من ماذا؟ وقال الخطفي جد جرير:

عجبت لإزراء العيي بنفسه ... وصمت الذي قد كان بالقول أعلما

وفي الصمت ستر للعيي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما

وحدث عن الأصمعي أنه قال: أخوف ما أخاف على طالب العلم، إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قول النبي صلى الله عليه وسلم: " من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " لأنه لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه، ولحنت فقد كذبت عليه.

فصل ثان

في فضيلة علم الأخبار

قال أبو الحسن علي بن الحسين قالوا: لولا تقييد العلماء خواطرهم بالأخبار، وكتبهم للآثار، لبطل أول العلم، وضاع آخره، إذ كان كل علم من الأخبار يستخرج، وكل حكمة منها تستنبط، والفقر منها تشتار، والفصاحة منها تستفاد، وأصحاب القياس عليها يبنون، وأهل المقالات بها يحتجون، ومعرفة الناس منها تؤخذ، وأمثال الحكماء فيها توجد، ومكارم الأخلاق ومعاليها منها تقتبس، وآداب سياسة الملك والحزم منها تلتمس، فكل غريبة بها تعرف، وكل عجيبة منها تستطرف، وهو علم يستمتع بسماعه العالم، ويستعذب موقعه الأحمق، والعاقل يأنس مكانه، وينزع إليه الخاصي والعامي، ويميل إلى روايته العربي والعجمي، " وبعد " فإنه يوصل به إلى كلام، ويتزين به في كل مقام، ويتجمل به في كل مشهد ويحتاج إليه في كل محفل، ففضيلة علم الأخبار تتيه على كل علم، وشرف منزلته صحيحة في كل فهم، فلا يصبر على علمه، ويتقن ما فيه من إيراده وإصداره، إلا إنسان قد تجرد للعلم وفهم معناه، وذاق ثمرته، واستشعر من عزه، ونال من سروره. وقديماً قيل: إن علم النسب والأخبار من علوم الملوك، وذوي الأخطار، ولا تسمو إليه إلا النفوس الشريفة، ولا يأباه إلا العقول السخيفة، وقد قالت الحكماء: الكتاب نعم الجليس والذخر، إن شئت ألهتك بوادره، وأضحكتك نوادره، وإن شئت أشجتك مواعظه، وإن شئت تعجبت من غرائب فوائده، وهو يجمع لك الأول والآخر، والناقص والوافر، والغائب والحاضر، والشكل وخلافه، والجنس وضده، وهو ميت ينطق عن الموتى، ويترجم عن الأحياء، وهو مؤنس ينشط بنشاطك، وينام بنومك، ولا ينطق إلا بما تهوى، ولا يعلم جار ولا خليط أنصف، ولا رفيق أطوع، ولا معلم أخضع، ولا صاحب أظهر كفاية، ولا أقل جناية، ولا أبدأ نفعاً، ولا أحمد أخلاقاً، ولا أدوم سروراً، ولا أسلم غيبة، ولا أحسن مواتاة، ولا أعجل مكافأة، ولا أخف مؤة منه، إن نظرت فيه أطال إمتاعك، وشحذ طباعك، وأكثر علمك،

وتعرف منه في شهر، ما لا تعرف من أفواه الرجال في دهر، يغنيك عن كد الطالب، وعن الخضوع إلى من أنت أثبت منه أصلاً، وأرسخ منه فرعاً، وهو المعلم الذي لا يجفوك، وإن قطعت عنه المادة، لم يقطع عنك الفائدة، وكان عبيد الله ابن محمد ابن عائشة القرشي يقول: الأخبار تصلح للدين والدنيا. قلنا: الدنيا قد عرفنا فما للآخرة؟ قال: فيها العبر، يعتبرها الرجل. وقال الله تعالى مخبراً عن قصة يوسف وإخوته. " لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب " . وقال تعالى: " ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظة للمتقين " . وقال عز وجل: " كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق " . ولذلك قال بعضهم لولده: عليك بالأخبار، فإنها لا تعدم كلمة على هدى، وأخرى تنهى عن ردى، وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: أجموا هذه القلوب والتمسوا لها طرائف الحكمة، فإنها تمل كما تمل الأبدان. وكان أبو زيد الأنصاري لا يعدو النحو، فقال له خلف الأحمر. قد ألححت على النحو لم تعده، ولقلما ينبل متفرد به، فعليك بالأخبار والأشعار. وقال ابن المقفع في كتابه في الأدب، " ثم انظر الأخبار الرائعة فتحفظ منها، فإن من شأن الإنسان الحرص على الأخبار، ولاسيما ما يرتاح له الناس، وأكثر الناس من يحدث بما يسمع، ولا يبالي ممن سمع، وذلك مفسدة للصدق، ومزراة بالرأي، فإن استطعت ألا تخبر بشيء إلا وأنت به مصدق، وألا يكون تصديقك إلا ببرهان فافعل " .

قال الأخفش علي بن سليمان: أنشدني أبو سعيد السكري:

وذكرني حلو الزمان وطيبه ... مجالس قوم يملئون المجالسا

حديثاً وأشعاراً وفقهاً وحكمة ... وبراً ومعروفاً وإلفاً مؤانسا

وقال ابن عتاب: يكون الرجل نحوياً عروضياً حسن الكتاب، جيد الحساب، حافظاً للقرآن راوية للشعر، وهو راض بأن يعلم أولادنا بستين درهماً. ولو أن رجلاً كان حسن البيان حسن التخريج للمعاني ليس عنده غير ذلك لم يرض بألف درهم. لأن النحوي ليس عنده إمتاع كالنجار الذي يدعى ليغلق باباً، فلو كان أحذق الناس، ثم فرغ من تغليق ذلك الباب، قيل له انصرف، وصاحب الإمتاع يراد في الحالات كلها. وقال معاوية: ليس ينبغي (للقرشي وللرجل) أن يستغرق شيئاً من العلم إلا علم الأخبار، فأما غير ذلك فالنتف والشذر. وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج، انظر لي رجلاً عالماً بالحلال والحرام، عارفاً بأشعار العرب وأخبارها، أستأنس به وأصيب عنده معرفة، فوجهه إلى من قبلك. فوجه إليه الشعبي، وكان أجمع أهل زمانه، قال الشعبي: فلم ألق والياً ولا سوقة إلا وهو يحتاج إلي، ولا أحتاج إليه ما خلا عبد الملك، ما أنشدته شعراً، ولا حدثته حديثاً، إلا وهو يزيدني فيه، وكنت ربما حدثته وفي يده اللقمة فأمسكها، فأقول: يا أمير المؤمنين أسغ طعامك، فإن الحديث من ورائه، فيقول: ما تحدثني به أوقع بقلبي من كل لذة، وأحلى من كل فائدة. وكتب عبد الملك إلى الحجاج: أت عندي كقدح ابن مقبل، فلم يدر الحجاج ما عنى، فسأل قتيبة بن مسلم، وكان راوية عالماً عن ذلك، فقال: قد مدحك، فإن ابن مقبل نعت قدحه فقال:

مفدى مؤدى باليدين ملعن ... خليع قداح فائز متمنح

خروج من الغمى إذا صك صكة ... بدا والعيون المستكفة تلمح

قال: فكانت في نفس الحجاج حتى ولاه خراسان، وقال محمد بن عبد الملك الزيات في رجل خلو من الأدب:

يا أيها العائبي ولم تر بي ... عيباً ألا تتهي وتزدجر؟
هل لك وتر لدي تطلبه ... أم لست مما أتيت تعتذر؟
إن كان قسم الإله فضلني ... وأنت صلد ما فيك معتصر
فالحمد والشكر والثناء له ... وللحسود التراب والحجر
اقرأ لنا سورة تخوفنا ... فإن خير المواعظ السور
أو ارو فقهاً تحيي القلوب به ... جاء به عن نبينا أثر
أو هات ما الحكم في فرائضنا؟ ... ما يستحق الإناث والذكر؟
أو ارو عن فارس لنا مثلاً ... فإن أمثال فارس عبر
أو من أحاديث جاهليتنا ... فإنها عبرة ومعتبر
أو هات كيف الإعراب في الرفع والخف ... ض وكيف التصريف والصدر؟
أو ارو شعراً أو صف لا عرضاً ... يتلى صحيح منه ومنكسر
إذا جهلت الآداب مرتقياً ... عنها وخلت العمى هو البصر
ولم تعوض من ذاك ميسرة ... عليك منها لبهجة أثر
فغن صوتاً تلهي الفؤاد به ... وكل ما قد جهلت مغتفر
تعيش فينا ولا تلائمنا ... فاذهب ودعنا حتام تنتظر؟
تغلي علينا الأشعار أنى؟ وما ... عندك نفع يرجى ولا ضرر
همك في مرتع ومغتبق ... كما يعيش الحمير والبقر

باب الألف

آدم بن أحمد بن أسد الهروي

أبو سعد النحوي اللغوي، حاذق مناظر، ذكره الحافظ أبو سعد السمعاني، فقال: هو من أهل هراة سكن بلخ، كان أديباً فاضلاً عالماً بأصول اللغة صائباً، حسن السيرة، قدم بغداد حاجاً سنة عشرين وخمسمائة، ومات في الخامس والعشرين من شوال من سنة ست وثلاثين وخمسمائة، ولما ورد بغداد اجتمع إليه أهل العلم، وقرءوا عليه الحديث والأدب، وجرى بينه وبين الشيخ أبي منصور موهوب ابن أحمد بن الخضر الجواليقي ببغداد مناظرة في شيء اختلفا فيه، فقال له الهروي: أنت لا تحسن أن تنسب نفسك فإن الجواليقي نسبة إلى الجمع، والنسبة إلى الجمع بلفظه لا تصح قال: وهذا الذي ذكره الهروي نوع مغالطة، فإن لفظ الجمع إذا سمي به جاز أن ينسب إليه بلفظه، كمدائني ومعافري وأنماري وما أشبه ذلك.

قال مؤلف هذا الكتاب: وهذا الاعتذار ليس بالقوي، لأن الجواليق ليس باسم رجل فيصح ما ذكره، وإنما هو نسبة إلى بائع ذلك والله أعلم. فإن كان اسم رجل أو قبيلة أو موضع نسب إليه صح ما ذكره. وقال الحافظ الإمام السمعاني: سمعت أبا القاسم الطريفي يقول: سمعت أبا سعد الهروي المؤدب يقول: سئل سفيان الثوري عن التقوى فأنشد:

إني وجدت فلا تظنوا غيره ... هذا التورع عند ذاك الدرهم

فإذا قدرت عليه ثم تركته ... فاعلم بأن هناك تقوى المسلم

وكان الرشيد محمد بن عبد الجليل الملقب بالوطواط كاتب الإنشاء لخوارزم شاه من تلاميذ الشيخ أبي سعد آدم بن أحمد الهروي، وانتقل الرشيد من بلخ إلى خوارزم، وأقام بها في خدمة خوارزم شاه أشهراً، وكان يكاتب الشيخ أبا سعد ويخضع له، ويقر بفضله..فمما كتب إليه، رسالة نسختها.

كتابي وفي الأحشاء وجد على وجد ... إلى الصدر مولانا الأجل أبي سعد

أشم طويل الباع أصبح رافعاً ... إلى قمة الأفلاك ألوية المجد

سراة بني الإسلام عقد جواهر ... وفيهم أبو سعد كواسطة العقد

سقى الله أيامنا بالعقيق ودهورنا باللوى، وأعوامنا بالخليصاء، وشهورنا بالحمى، فإن هذه المغاني لألفاظ المسرات كالمعاني، فيها أثمار أطايب الأماني، من أشجار وصال الغواني لا بل سقى مواقفنا ببلخ في المدرسة النظامية واجتماعنا في المجالس الأجلية الإمامية

مجالس مولانا أبي سعد الذي ... به سعد الأيام والدين والدنيا

همام حوى يوم الفخار بنانه ... على رغم آناف العدا قصب العليا

الإمام أبو سعد، وما أدراك ما الإمام أبو سعد، سعد كله، خير قوله وفعله، صاحب جيوش الفصاحة، ومالك رقاب البلاغة، وناظم عقد المحامد، وجامع شمل المكارم، وناشر أردية الفضل والكرم، وعامر أبنية الأدب والحكم:

لله در إمام كله أدب ... بفضله يتحلى العجم والعرب

الله يعلم أني وإن شط المزار، وشحطت الديار، لا أقطع أكثر أوقاتي، ولا أزجي أغلب ساعاتي، إلا في مدح معاليه، وشرح أياديه لو أنفقت جميع عمري في ذلك وسلكت طول دهري تلك المسالك:

لما كنت أقضي بعض واجب حقه ... ولا كنت أحصي من صنائعه عشراً

وكيف لا أبالغ في ثنائه، ولا أواظب على دعائه، وهو الذي رفع قدري، وشرح للآداب صدري، وسقاني كؤوس العلم وأحشائي صادية، وكساني حلل الفضل وعوراتي بادية، اغترفت من بحاره واقتطفت ما اقتطفت من ثماره:

وأنت الذي عرفتني طرق العلا ... وأنت الذي هديتني كل مقصد

وأنت الذي بلغتني كل رتبة ... مشيت إليها فوق أعناق حسدي

عبد مجلسه الشريف أخي عمر أيده الله ورد من خراسان ذاكراً لما يجري على لسانه الكريم في المجالس والمحافل، بين أيدي الأكابر والأماثل، من مدحي وثنائي، وتقريظي وإطرائي، فما استبدعت ذلك من

خصائص كرمه، ولا استغربته من لطائف شيمه، وكانت كلماته حاملة إياي على هذا التصديع، لمجلسه الرفيع، ورأيه في سحب ذيل العفو على هذا التجاسر وتبليغ تحيتي إلى القارئين عليه، والمختلفين إليه من أبناء جنسي، وشركاء درسي يقتضي الشرف والسلام.

أبان بن تغلب بن رياح الجريري

أبو سعيد البكري، مولى بني جرير بن عباد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكاشة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل. ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي. في مصنفي الإمامية، ومات أبان في سنة إحدى وأربعين ومائة.
قال أبو جعفر: هو ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة في أصحابنا، لقي أبا محمد علي بن الحسين، وأبا جعفر، وأبا عبد الله عليهم السلام، وروى عنهم، وكانت له عندهم حظوة وقدم، قال له أبو جعفر: اجلس في مسجد المدينة وأفت الناس، فإني أحب أن أرى في شيعتي مثلك. وقال أبو عبد الله لما أتاه نعيه: أما والله لقد أوجع قلبي موت أبان.

قال: وكان قارئاً فقيهاً لغوياً نبيهاً ثبتاً وسمع من العرب وحكى عنهم، وصنف كتاب الغريب في القرآن، وذكر شواهده من الشعر، فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي، فجمع من كتاب أبان ومحمد بن السائب الكلبي وابن روق عطية بن الحارث فجعله كتاباً، فيما اختلفوا فيه وما اتفقوا عليه، فتارةً يجيء كتاب أبان مفرداً، وتارة يجيء مشتركاً، على ما عمله عبد الرحمن، ولأبان أيضاً كتاب الفضائل.
.

أبان بن عثمان بن يحيى بن زكريا

اللؤلؤي يعرف بالأحمر البجلي، أبو عبد الله مولاهم ذكره أبو جعفر الطوسي في كتاب أخبار مصنفي الإمامية، وقال أصله الكوفة، وكان يسكنها تارة، والبصرة أخرى، وقد أخذ عنه من أهل البصرة أبو عبيدة معمر بن المثنى، وأبو عبد الله محمد بن المثنى، وأبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي، وأكثروا الحكاية عنه في أخبار الشعراء والنسب والأيام: روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن موسى بن جعفر، وما عرف من مصنفاته إلا كتاب جمع فيه المبدأ والمبعث، والمغازي، والوفاة، والسقيفة والردة.

إبراهيم بن أحمد بن محمد توزون

الطبري النحوي، أحد أهل الفضل والأدب، سكن بغداد، وصحب أبا عمرو الزاهد، وكتب عنه كتاب الياقوتة، وعلى النسخة التي بخطه الاعتماد من كتاب أبي عمرو كما ذكرناه في ترجمة أبي عمرو، ولقي أكابر العلماء من هذه الطبقة، وكان صحيح النقل، جيد الخط والضبط.

ذكر أبو القاسم بن الثلاج: أنه حدثه عن إبراهيم بن عبد الوهاب الأبزاري الطبري صاحب أبي حاتم السجستاني: لا أعرف له تصنيفاً غير جمعه لشعر أبي نواس، فإنها رواية مشهورة بأيدي الناس.
وقال أبو القاسم التنوخي: حدثني أبو الحسن الطبري، غلام الزاهد غلام ثعلب، وكان منقطعاً إلى بني حمدان، وقرأت بخطه قصيدة شبل بن عروة الضبعي، وقد قرأها على أبي عمر الزاهد، وتناولها من أبي محمد عبد الله بن جعفر ابن درستويه. وقد قرأ عليه إلى: " سيباً من حر سئل " ، ثم قال: بلغت بقراءتي إلى ههنا، وقال لي ابن درستويه: قد دفعت إليك كتابي بخطي، من يدي إلى يدك، وقد أجزت لك القصيدة فاروها عني، فإن هذا ينوب عن السماع والقراءة، فقبلت ذلك منه.
وكتب إبراهيم بن محمد الطبري الروياني بخطه: والاعتماد عليه أولى، ولكن الخطيب قال: إبراهيم بن أحمد ابن محمد المعروف ببيروز، فإن كان نسب نفسه إلى جده فذاك، والله أعلم.

إبراهيم بن أحمد بن الليث

الأزدي اللغوي الكاتب، لا أعرف من حاله إلا ما قاله السلفي. أنشدني أبو القاسم الحسن بن الفتح الهمذاني قال: أبو المظفر إبراهيم بن أحمد ابن الليث الأزدي اللغوي الكاتب قدم علينا همذان، وقد حضر مجلسه الأدباء والنحاة لمحله من الأدب:
وقد أغدو وصاحبتي محوص ... على عذراء ناء بها الرهيص
كأن ثني النحوص على ذراها ... حوائم ما لها عنه محيص

إبراهيم بن إسحاق الحربي

نقلت من كتاب أبي بكر الخطيب قال: إبراهيم بن إسحاق بن بشير بن عبد الله بن ديسم، أبو إسحاق الحربي، ولد سنة ثمان وتسعين ومائة، ومات ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين في ذي الحجة، ودفن في بيته في شارع باب الأنبار، وكان الجمع كثيراً جداً.
وكان قد سمع أبا نعيم الفضل بن دكين، وعفان ابن مسلم، وعبيد الله بن محمد بن عائشة، وأحمد بن حنبل، وعثمان بن أبي شيبة، وعبيد الله القواريري، وخلقاً من أمثالهم، روى عنه موسى بن هرون الحافظ، ويحيى بن صاعد، وأبو بكر بن أبي داود والحسين المحاملي، ومحمد بن مخلد، وأبو بكر الأنباري النحوي، وأبو عمر الزاهد صاحبه، وخلق كثير غيرهم. وكان إماماً في العلم، رأساً في الزهد، عارفاً بالفقه، بصيراً بالأحكام حافظاً للحديث، مميزاً لعلله، قيماً بالأدب، جماعاً للغة، وصنف كتباً كثيرة، منها: كتاب غريب الحديث.

وأصله من مرو، وكان يقول: أمي تغلبية، وأخوالي نصارى أكثرهم. وقيل: لم سميت إبراهيم الحربي؟ فقال: صحبت قوماً من الحربية فسموني الحربي بذلك. وحدث أحمد بن عبد الله بن خالد بن ماهان المعروف بابن أسد، قال: سمعت إبراهيم الحربي يقول: أجمع عقلاء الأمة أنه من لم يجر مع القدر، لم يهنأ بعيشه، كان يكون قميصي أنظف قميص، وإزاري أوسخ إزار، ما حدثت نفسي أنهما يستويان قط، وفرد عقبى مقطوع، وفرد

عقبي الآخر صحيح، أمشي بهما، وأدور بغداد كلها، هذا الجانب، وذاك الجانب، لا أحدث نفسي أني أصلحهما، وما شكوت إلى أمي، ولا إلى أختي، ولا إلى امرأتي، ولا إلى بناتي قط حمى وجدها. الرجل هو الذي يدخل غمه على نفسه، ولا يغم عياله.

كان بي شقيقة خمساً وأربعين سنة، ما أخبرت بها أحداً قط، ولي عشر سنين أبصر بفرد عين، ما أخبرت به أحداً، وأفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيف في اليوم والليلة، إن جاءتني امرأتي أو إحدى بناتي أكلته، وإلا بقيت جائعاً عطشان إلى الليلة الأخرى، والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة إن كان برنياً، أو نيفاً وعشرين إن كان دقلاً، ومرضت ابنتي فمضت امرأتي فأقامت عندها شهراً، فقام إفطاري في هذا الشهر بدرهم ودانقين ونصف، ودخلت الحمام واشتريت لهم صابوناً بدانقين، فقام بقية شهر رمضان كله بدرهم وأربعة دوانيق ونصف، ولا تزوجت ولا زوجت قط، ولا أكلت من شيء واحد في يوم مرتين.

وحدث أحمد بن سليمان القطيعي قال: أضقت إضاقة شديدة، فمضيت إلى إبراهيم الحربي لأبثه ما أنا فيه، فقال لي: لا يضق صدرك، فإن الله من وراء المعونة، وإني أضقت مرة حتى انتهى أمري في الإضاقة إلى عدم عيالي القوت، فقالت لي الزوجة: هب أني وإياك نصبر، فكيف تصنع بهاتين الصبيتين؟ فهات شيئاً من كتبك نبيعه أو نرهنه، فضنت بذلك وقلت: اقترضي لهما شيئاً، وأنظريني بقية اليوم والليلة، وكان لي بيت في دهليز داري فيه كتبي فكنت أجلس فيه للنسخ والنظر، فلما كان في تلك الليلة، إذا داق يدق الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: رجل من الجيران، فقلت ادخل فقال أطف السراج حتى أدخل، فكبيت على السراج شيئاً وقلت ادخل فدخل وترك إلى جابي شيئاً وانصرف فكشفت عن السراج، فنظرت فإذا منديل له قيمة، وفيه أنواع من الطعام، وكاغد فيه خمسمائة درهم، فدعوت الزوجة وقلت: نبهي الصبيا حتى يأكلوا، ولما كان من الغد قضينا ديناً كان علينا من تلك الدراهم.

وكان مجيء الحاج من خراسان، فجلست على بابي من غد تلك الليلة، وإذا جمال يقود جملين عليهما حملان ورقاً، وهو يسأل عن منزل إبراهيم الحربي، فانتهى إلي فقلت: أنا إبراهيم الحربي، فحط الحملين وقال: هذان الحملان أنفدهما لك رجل من أهل خراسان، فقلت من هو؟ فقال قد استحلفني ألا أقول لك من هو؟.

وحدث أبو عثمان الرازي قال: جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف درهم من عند المعتضد يسأله عن أمير المؤمنين أن يفرق ذلك، فرده وانصرف الرسول، ثم عاد فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقه في جيرانك، فقال له: عافاك الله، هذا مال لم نشغل أنفسنا بجمعه، فلا نشغلها بتفرقته، قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا، وإلا تحولنا من جوارك.

وحدث أبو القاسم الجيلي قال: اعتل إبراهيم بن إسحاق الحربي علة حتى أشرف على الموت، فدخلت عليه يوماً فقال: يا أبا القاسم، أنا في أمر عظيم مع ابنتي، ثم قال لها قومي واخرجي إلى عمك، فخرجت وألقت على وجهها خمارها، فقال إبراهيم: هذا عمك كلميه، فقالت لي يا عم: نحن في أمر عظيم، لا في الدنيا ولا في الآخرة، الشهر والدهر ما لنا طعام إلا كسر يابسة وملح، وربما عدمنا الملح، وبالأمس قد وجه إلينا المعتضد مع بدر بألف دينار فلم يأخذها، ووجه إليه فلان وفلان، فلم يأخذ منها شيئاً وهو عليل، فالتفت الحربي إليها وتبسم وقال: يا بنية، خفت الفقر؟ فقالت نعم، فقال لها: انظري إلى تلك الراوية، فنظرت فإذا

كتب، فقال لها: هناك اثنا عشر ألف جزء، لغة وغريب، كتبته بخطي، إذا مت فوجهي في كل يوم بجزء تبيعينه بدرهم، فمن كان عنده اثنا عشر ألف درهم فليس هو فقيراً.
وحدث أبو عمر الزاهد وابن المنادى: سمعت ثعلباً يقول: ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة أو نحو خمسين سنة.

وحدث أبو بكر الشافعي قال: قال إبراهيم الحربي: ما أخذت على علم قط أجراً إلا مرة واحدة، فإني وقفت على بقال فوزنت له قيراطاً إلا فلساً، فسألني عن مسألة فأجبته، فقال للغلام: أعط بقيراط ولا تنقصه شيئاً فزادني فلساً. وحدث إبراهيم الحربي، وقد سألوه عن حديث عباس البقال فقال: خرجت إلى الكبش ووزنت لعباس البقال دانقاً إلا فلساً فقال لي يا أبا إسحاق: حدثني حديثاً في السخاء، فلعل الله يشرح صدري فأعمل شيئاً، قال قلت له نعم: روي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه كان ماراً في بعض حيطان المدينة، فرأى أسود بيده رغيف يأكل لقمة، ويطعم الكلب لقمة، إلى أن شاطره الرغيف، فقال له الحسن: ما حملك على أن شاطرته؟ فلم تغابنه فيه بشيء، فقال: استحت عيناي من عينيه أن أغابنه، فقال له الحسن: أقسمت عليك لا برحت حتى أعود إليك، فمر فاشترى الغلام والحائط، وجاء إلى الغلام فقال: يا غلام، قد اشتريتك، فقام قائماً، فقال: السمع والطاعة لله ولرسوله ولك يا مولاي، قال: وقد اشتريت الحائط، وأنت حر لوجه الله تعالى، والحائط هبة مني إليك، فقال الغلام: يا مولاي، قد وهبت الحائط للذي وهبتني له: قال إبراهيم: فقال عباس البقال: حسن والله يا أبا إسحاق. يا غلام: لأبي إسحاق دانق إلا فلساً، أعطه بدانق ما يريد ولا تقصه شيئاً فقلت: والله لا أخذت إلا بدانق إلا فلساً.
وحدث عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: كان أبي يقول لي: امض إلى إبراهيم الحربي يلق عليك الفرائض، قال: ولما مات سعد بن أحمد بن حنبل، جاء إبراهيم الحربي إلى عبد الله، فقام إليه عبد الله، فقال: تقوم إلي؟ فقال: لم لا أقوم إليك؟ والله لو رآك أبي لقام إليك، قال والله لو رأى ابن عيينة أباك لقام إليه، وقال إبراهيم الحربي: إن في كتاب غريب الحديث الذي صنفه أبو عبيد ثلاثة وخمسين حديثاً ليس لها أصل، وقد أعلمت علتها في كتاب الشروي، منها: أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم وفي يدها مناجذ، ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن لبس السراويلات المخرفجة، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم أهل قاهة، وقال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أمرت بهذا البيت فسفروا، عن النبي أنه قال للنساء: إذا جعتن خجلتن، وإذا شبعتن دقعتن. وحدث أبو العباس بن مسروق قال: قال لي إبراهيم الحربي: لا تحدث فتسخن عينك، كما سخنت عيني، قلت له فما أعمل؟ قال تطأطيء رأسك وتسكت، قلت له فأنت لم تحدث؟ قال: ليس وجهي من خشب. وحدث محمد بن عبد الله الكاتب قال: كنت يوماً عند المبرد فأنشدنا:

جسمي معي غير أن الروح عندكم ... فالجسم في غربة والروح في وطن
فليعجب الناس مني أن لي بدناً ... لا روح فيه ولي روح بلا بدن

ثم قال: ما أظن أن الشعراء قالوا أحسن من هذا. قلت: ولا قول الأخرق؟ قال هيه قلت الذي يقول:

فارقتكم وحييت بعدكم ... ما هكذا كان الذي يجب

فالآن ألقى الناس معتذراً ... من أن أعيش وأنتم غيب

قال ولا هذا: قلت ولا قول خالد الكاتب؟

روحان لي روح تضمنها ... بلد وأخرى حازها بلد

وأظن غائبتي كشاهدتي ... بمكانها تجد الذي أجد

قال ولا هذا. قلت: أنت إذا هويت شيئاً ملت إليه ولم تعدل إلى غيره، قال: لا ولكنه الحق، فأنيت ثعلباً فأخبرته فقال ثعلب: ألا أنشدته:

غابوا فصار الجسم من بعدهم ... ما تنظر العين له فيا

بأي وجه أتلقاهم ... إذا رأوني بعدهم حياً؟

يا خجلتي منهم ومن قولهم ... ما ضرك الفقد لنا شيا

قال: وأتيت إبراهيم الحربي فأخبرته فقال: ألا أنشدته:

يا حيائي ممن أحب إذا ما ... قلت بعد الفراق إني حييت

لو صدقت الهوى حبيباً على الصح ... ة لما نأى لكنت أموت

قال: فرجعت إلى المبرد فقال: أستغفر الله إلا هذي البيتين، يعني بيتي إبراهيم.

قال: وأنشد رجل إبراهيم قول الشاعر:

أنكرت ذلي فأي شيء ... أحسن من ذلة المحب

أليس شوقي وفيض دمعي ... وضعف جسمي شهود حبي؟

فقال إبراهيم: هؤلاء شهود ثقات. قال: وأنشد بعضهم لإبراهيم الحربي:

إثنان إذا عدا ... فخير لهما الموت

فقير ما له زهد ... وأعمى ما له صوت

وروى عن إبراهيم الحربي أنه قال: ما أنشدت شيئاً من الشعر قط إلا قرأت بعده " قل هو الله أحد، ثلاث مرات " .

وحدث الطوماري قال: دخلت على إبراهيم الحربي وهو مريض، وقد كان يحمل ماؤه إلى الطبيب، وكان يجيء إليه ويعالجه، وردت الجارية الماء وقالت: مات الطبيب، فقال:

إذا مات المعالج من سقام ... فيوشك للمعالج أن يموتا

ودخل عليه قوم يعودونه فقالوا: كيف نجدك يا أبا إسحاق؟ قال أجدني كما قال:

دب في السقام سفلاً وعلواً ... وأراني أذوب عضواً فعضوا

بليت جدتي بطاعة نفسي ... وتذكرت طاعة الله نضوا

قال أبو الحسن الدار قطني: إبراهيم الحربي ثقة، وكان إماماً يقاس بأحمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه، وهو إمام مصنف عالم بكل شيء، بارع في كل علم صدوق، وذكر وفاته كما تقدم، هذا آخر ما نقلته من تاريخ الخطيب. نقلت من خط الإمام الحافظ أبي نصر عبد الرحيم بن وهبان صديقنا ومفيدنا، قال: نقلت

من خط أبي بكر محمد بن منصور السمعاني، سمعت أبا المعالي ثابت بن بندار البقال يقول: حكى لنا البرقاني " رحمه الله " قال: كان إسماعيل بن إسحاق القاضي يشتهي رؤية إبراهيم الحربي، وكان إبراهيم لا يدخل عليه، يقول: لا أدخل داراً عليها بواب، فأخبر إسماعيل بذلك، فقال: أنا أدع بابي كباب الجامع فجاء إبراهيم إليه، فلما دخل عليه خلع نعليه، فأخذ أبو عمر محمد بن يوسف القاضي نعليه ولفهما في منديل دبيقي وجعله في كمه وجرى بينهما علم كثير، فلما قام إبراهيم التمس نعليه فأخرج أبو عمر النعل من كمه، فقال له إبراهيم: غفر الله لك كما أكرمت العلم، فلما مات أبو عمر القاضي رئي في المنام، فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال أجييت في دعوة إبراهيم الحربي، رحمه الله.

وحدثني صديقا الحافظ أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمود بن النجار حرسه الله قال: حدثني أبو بكر أحمد ابن سعيد بن أحمد الصباغ الأصبهاني بها قال:

حدثنا أحمد بن عمر بن الفضل الحافظ الأصبهاني، ويعرف بجبك إملاء، قال: أخبرنا الحسن بن أحمد المقري، يعني أبا علي الحداد قال: أظنه عن أبي نعيم، أنه كان يحضر في مجلس إبراهيم الحربي جماعة من الشبان للقراءة عليه، ففقد أحدهم أياماً، فسأل عنه من حضر، فقالوا: هو مشغول، فسكت، ثم سألهم مرة أخرى في يوم آخر، فأجابوه بمثل ذلك، وكان الشاب قد ابتلي بمحبة شخص شغله عن حضور مجلسه، وعظموا إبراهيم الحربي أن يخبروه بجلية الحال، فلما تكرر السؤال عنه، وهم لا يزيدونه على أنه مشغول، قال لهم: يا قوم، إن كان مريضاً فقوموا بنا لعيادته، أو مديوناً اجتهدنا في مساعدته، أو محبوساً سعينا في خلاصه، فخبروني عن جلية حاله، فقالوا: نجلك عن ذلك، فقال لابد أن تخبروني، فقالوا إنه قد ابتلي بعشق صبي، فوجم إبراهيم ساعة ثم قال: هذا الصبي الذي ابتلي بعشقه مليح أو قبيح؟ فعجب القوم من سؤاله عن مثل ذلك مع جلالته في أنفسهم، وقالوا: أيها الشيخ، مثلك يسأل عن مثل هذا؟ فقال: إنه بلغني أن الإنسان إذا ابتلي بمحبة صورة قبيحة كان بلاء يجب الاستعاذة من مثله، وإن كان مليحاً كان ابتلاء يجب الصبر عليه، واحتمال المشقة فيه، قال فعجبنا مما أتى به، قلت: هذه الحكاية مع الإسناد، حدثنيه مفاوضة بحلب، ولم يكن أصله معه فكتبته بالمعنى، واللفظ يزيد وينقص. ومن مصنفات إبراهيم الحربي. كتاب سجود القرآن، كتاب مناسك الحج، كتاب الهدايا والسنة فيها، كتاب الحمام وآدابه. والذي خرج من تفسيره لغريب الحديث، مسند أبي بكر رضي الله عنه، مسند عمر رضي الله عنه، مسند عثمان رضي الله عنه، مسند علي بن أبي طالب رضي الله عنه، مسند الزبير رضي الله عنه مسند طلحة رضي الله عنه مسند سعد ابن أبي وقاص، مسند عبد الرحمن بن عوف، مسند العباس رضي الله عنه مسند شيبة بن عثمان رضي الله عنه مسند عبد الله بن جعفر مسند المسور بن مخرمة رضي الله عنه، مسند المطلب ابن ربيعة، مسند السائب، مسند خالد ابن الوليد، مسند أبي عبيدة بن الجراح، مسند ما روى عن معاوية، مسند ما روي عن عاصم بن عمر، مسند صفوان بن أمية، مسند جبلة بن هبيرة، مسند عمرو ابن العاص، مسند عمران بن الحصين، مسند حكيم بن حزام، مسند عبد الله بن زمعة، مسند عبد الرحمن بن سمرة، مسند عبد الله بن عمرو، مسند عبد الله بن عمر.

إبراهيم بن إسحاق الأديب

اللغوي أبو إسحاق الضرير البارع، سمع الحديث بالبصرة والأهواز وببغداد، بعد الأربعين والثلاثمائة، وكان من الشعراء المجودين، طاف بعض الدنيا، ثم استوطن نيسابور، إلى أن مات بها في سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة، (وكان من الشعراء المجودين)، وممن تعلم الفقه والكلام قال ذلك كله الحاكم. ولقيه وروى عنه شيئاً.

إبراهيم بن إسماعيل بن أحمد بن عبد الله

الطرابلسي، يعرف بابن الأجدابي، وأجدابية من نواحي أفريقية. له أدب، وحفظ، ولغة، وتصانيف، ومن مشاهيرها: كتاب كفاية المتحفظ، صغير الحجم، كثير النفع، وكتاب الأنواء.

إبراهيم بن السري بن سهل

أبو إسحاق النحوي قال الخطيب: كان من أهل الدين والفضل، حسن الاعتقاد، جميل المذهب، وله مصنفات حسان في الأدب، مات في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وثلاثمائة.
وحكى ابن مهذب في تاريخه. حدثني الشيخ أبو العلاء المعري أنه سمع عنه ببغداد، أنه لما حضرته الوفاة سئل عن سنه، فعقد لهم سبعين، وآخر ما سمع منه: اللهم احشرني على مذهب أحمد بن حنبل: وأبو إسحاق هو أستاذ أبي علي الفارسي.

قال الخطيب بإسناده، قال أبو محمد عبد الله بن درستويه النحوي: حدثني الزجاج قال: كنت أخرط الزجاج فاشتهيت النحو، فلزمت المبردلتعلمه، وكان لا يعلم مجاناً ولا يعلم بأجرة إلا على قدرها، فقال لي: أي شيء صناعتك؟ قلت: أخرط الزجاج، وكسبي في كل يوم درهم ودانقان أو درهم ونصف، وأريد أن تبالغ في تعليمي، وأنا أعطيك كل يوم درهماً، وأشرط لك أن أعطيك إياه أبداً، إلى أن يفرق الموت بيننا، استغنيت عن التعليم أو احتجت إليه، قال: فلزمته، وكنت أخدمه في أموره مع ذلك وأعطيه الدرهم، فينصحني في العلم، حتى استقللت، فجاء كتاب بعض بني مارقة من الصراة يلتمسون معلماً نحوياً لأولادهم، فقلت له أسمني لهم، فأسماني، فخرجت فكنت أعلمهم وأنفذ إليه في كل شهر ثلاثين درهماً، وأزيده بعد ذلك بما أقدر عليه، ومضت مدة على ذلك، فطلب منه عبيد الله بن سليمان مؤدباً لابنه القاسم، فقال له: لا أعرف لك إلا رجلاً بالصراة مع بني مارقة، قال: فكتب إليهم عبيد الله فاستنزلهم عني، فنزلوا له، فأحضرني وأسلم القاسم إلي، فكان ذلك سبب غنائي، وكنت أعطي المبرد ذلك الدرهم في كل يوم إلى أن مات، ولا أخليه من التفقد بحسب طاقتي، قال فكنت أقول للقاسم بن عبيد الله: إن بلغك الله مبلغ أبيك وولية الوزارة ماذا تصنع بي؟ فيقول: ماذا أحببت؟ فأقول له: تعطيني عشرين ألف دينار، وكانت غاية أمنيتي، فما مضت سنون حتى ولي القاسم الوزارة، وأنا على ملازمتي له، وصرت نديمه، فدعتني نفسي إلى إذكاره بالوعد، ثم هبته، فلما كان في اليوم الثالث من وزارته قال لي: يا أبا إسحاق، لم أرك أذكرتني بالنذر، فقلت:

عولت على رعاية الوزير أيده الله، وأنه لا يحتاج إلى إذكار بنذر عليه في أمر خادم واجب الحق، فقال لي: إنه المعتضد، ولولاه ما تعاظمني دفع ذلك إليك في مكان واحد، ولكني أخاف أن يصير لي معه حديث، فاسمح بأخذه متفرقاً، فقلت يا سيدي أفعل، فقال: اجلس للناس وخذ رقاعهم في الحوائج الكبار واستجعل عليها، ولا تمتنع عن مسألتي شيئاً تخاطب فيه، صحيحاً كان أو محالاً، إلى أن يحصل لك مال النذر، قال: ففعلت ذلك، وكنت أعرض عليه كل يوم رقاعاً، فيوقع لي فيها، وربما قال لي: كم ضمن لك على هذا؟ فأقول كذا وكذا، فيقول لي غبنت، هذا يساوي كذا وكذا إرجع فاستزد، فأراجع القوم، فلا أزال أماكسهم ويزيدوني، حتى أبلغ الحد الذي رسمه، قال وعرضت عليه شيئاً عظيماً، فحصلت عندي عشرون ألف دينار، وأكثر منها في مديدة، فقال لي بعد شهور يا أبا إسحاق، حصل مال النذر؟ فقلت لا، فسكت، وكنت أعرض عليه فيسألني في كل شهر ونحوه حصل المال؟ فأقول لا، خوفاً من انقطاع الكسب إلى أن حصل لي ضعف ذلك المال.

وسألني يوماً فاستحييت من الكذب المتصل، فقلت قد حصل ذلك ببركة الوزير، فقال فرجت والله عني، فقد كنت مشغول القلب إلى أن يحصل لك، قال ثم أخذ الدواة فوقع إلى خزانه بثلاثة آلاف دينار صلة فأخذتها، وامتنعت أن أعرض عليه شيئاً، ولم أدر كيف أقع منه؟ فلما كان من الغد جئته وجلست على رسمي فأومأ إلى أن هات ما معك، يستدعي مني الرقاع على الرسم، فقلت ما أخذت من أحد رقعة، لأن النذر وقع الوفاء به، ولم أدر كيف أقع من الوزير؟ فقال يا سبحان الله! أتراني أقطع عنك شيئاً قد صار لك عادة؟ وعلم به الناس، وصارت لك به منزلة عندهم وجاه، وغدو ورواح إلى بابك، ولا يعلم سبب انقطاعه، فيظن ذلك لضعف جاهك عندي، أو تغير رتبتك عندي، اعرض علي رسمك، وخذ بلا حساب، فقبلت يده، وباكرته من غد بالرقاع، فكنت أعرض عليه كل يوم شيئاً إلى أن مات وقد تأثلت حالي هذه.

وحدث أبو علي الفارسي النحوي قال: دخلت مع شيخنا أبي إسحاق الزجاج على القاسم بن عبيد الله الوزير، فورد عليه خادم وساره بشيء استبشر له، ثم تقدم إلى شيخنا أبي إسحاق بالمكوث إلى أن يعود، ثم نهض فلم يكن بأسرع من أن عاد وفي وجهه أثر الوجوم، فسأله شيخنا عن ذلك، لأنس كان بينه وبينه، فقال له: كانت تختلف إلينا جارية لإحدى المغنيات، فسمتها أن تبيعني إياها فامتنعت من ذلك، ثم أشار عليها أحد من ينصحها أن تهديها إلي، رجاء أن أضاعف لها ثمنها، فلما وردت أعلمني الخادم بذلك، فنهضت مستبشراً لأقتضها، فوجدتها قد حاضت، فكان مني ما ترى، فأخذ شيخنا الدواة من بين يديه وكتب:

فارس ماض بحربته ... حاذق بالطعن في الظلم

رام أن يدمي فريسته ... فاتقته من دم بدم

قال: وجرى بين الزجاج وبين المعروف بمسيند، وكان من أهل العلم تمر، فاتصل ونسجه إبليس وألحمه، حتى خرج إبراهيم بن السري إلى حد الشتم، فكتب إليه مسيند:

أبي الزجاج إلا شتم عرضي ... لينفعه فأثمه وضره

وأقسم صادقاً ما كان حر ... ليطلق لفظة في شتم حره
ولو أني كررت لفر مني ... ولكن للمنون علي كره
فأصبح قد وقاه الله شري ... ليوم لا وقاه الله شره

فلما اتصل هذا الشعر بالزجاج قصده راجلاً حتى اعتذر إليه وسأله الصفح. كل هذا من تاريخ الخطيب إبراهيم.

أنبأنا يزيد بن الحسن الكندي عن أبي منصور الجواليقي عن المبارك الصيرفي، عن علي بن أحمد بن الدهان، عن عبد السلام بن حسن البصري، قال: كتب إلينا أبو الحسن علي بن محمد الشمشاطي من الموصل قال: قال أبو إسحاق بن السري الزجاج رحمه الله، دخلت على أبي العباس ثعلب رحمه الله، في أيام أبي العباس محمد بن يزيد المبرد وقد أملى شيئاً من المقتضب، فسلمت عليه وعنده أبو موسى الحامض، وكان يحسدني شديداً، ويجاهرني بالعداوة، وكنت ألين له وأحتمله لموضع الشيخوخة، فقال لي أبو العباس: قد حمل إلي بعض ما أملاه هذا الخلدي، فرأيته لا يطوع لسانه بعبارة، فقلت له إنه لا يشك في حسن عبارته اثنان، ولكن سوء رأيك فيه يعيبه عندك، فقال: ما رأيته إلا ألكن متغلقاً، فقال أبو موسى: والله إن صاحبكم ألكن يعني سيبويه، فأحفظني ذلك، ثم قال: بلغني عن الفراء أنه قال: دخلت البصرة فلقيت يونس وأصحابه، فسمعتهم يذكرونه بالحفظ والدراية وحسن الفطنة، فأتيته فإذا هو أعجم لا يفصح، سمعته يقول لجارية له: هات ذيك الماء من ذاك الجرة، فخرجت من عنده ولم أعد إليه، فقلت له: هذا لا يصح عن الفراء، وأنت غير مأمون في هذه الحكاية، ولا يعرف أصحاب سيبويه من هذا شيئاً، وكيف تقول هذا لمن يقول في أول كتابه: هذا باب علم ما الكلم من العربية؟ وهذا يعجز عن إدراك فهمه كثير من الفصحاء، فضلاً عن النطق به: فقال ثعلب: قد وجدت في كتابه نحواً من هذا، قلت: ما هو؟ قال يقول في كتابه في غير نسخة: حاشا حرف يخفض ما بعده كما تخفض حتى، وفيها معنى الاستثناء، فقلت له: هذا كذا في كتابه، وهو صحيح، ذهب في التذكير إلى الحرف، وفي التأنيث إلى الكلمة، قال: والأجود أن يحمل الكلام على وجه واحد، قلت: كل جيد، قال الله تعالى: " ومن يقنت منكن لله ورسوله ويعمل صالحاً " . وقرئ وتعمل صالحاً. وقال عز وجل: " ومنهم من يستمعون إليك " ذهب إلى المعنى، ثم قال: " ومنهم من ينظر إليك " ذهب إلى اللفظ، وليس لقائل أن يقول: لو حمل الكلام على وجه واحد في الاثنين كان أجود، لأن كلا جيد، فأما نحن فلا نذكر حدود الفراء، لأن صوابه فيه أكثر من أن يعد، ولكن هذا أنت: عملت كتاب الفصيح للمبتدئ المتعلم، وهو عشرون ورقة، أخطأت في عشرة مواضع منه قال لي اذكرها، قلت له نعم، قلت وهو عرق النسا، ولا يقال عرق النسا، كما لا يقال عرق الأبهر، ولا عرق الأكحل.

قال امرؤ القيس:

فأنشب أظفاره في النسا ... فقلت هبلت ألا تنتصر

وقلت: حلمت في النوم أحلم حلماً، ليس بمصدر، وإنما هو اسم، قال الله تعالى: " والذين لم يبلغوا الحلم منكم " وإذا كان للشيء مصدر واسم، لم يوضع الاسم موضع المصدر، ألا ترى أنك تقول: حسبت الشيء أحسبه حسباً وحساباً، والحسب المصدر، والحساب الاسم، ولو قلت ما بلغ الحسب إليك ورفعت الحسب

إليك لم يجز، وأنت تريد ورفعت الحساب إليك، وقلت: رجل عزب، وامرأة عزبة، وهذا خطأ، إنما يقال رجل عزب، وامرأة عزب، لأنه مصدر وصف به فلا يجمع ولا يثنى، ولا يؤنث، كما يقال رجل خصم وامرأة خصم، وقد أتيت بباب من هذا النوع في الكتاب، وأفردت هذا منه، قال الشاعر:

يا من يدل عزباً على عزب

وقالت كسرى بكسر الكاف وهذا خطأ، إنما هو كسرى، والدليل على ذلك أنا وإياكم لا نختلف في النسب إلى كسرى، يقال كسروي بفتح الكاف، وليس هذا مما يغير بالنسب لبعده منها، ألاترى أنك لو نسبت إلى معزى لقلت معزوي، وإلى درهم قلت درهمي ولا يقال معزوي ولا درهمي، وقلت: وعدت الرجل خيراً وشراً، فإذا لم تذكر الشر قلت أوعدته بكذا، نقضاً لما أصلت، لأنك قلت بكذا، وقولك بكذا كناية عن الشر، والصواب أن تقول إذا لم تذكر الشر قلت أوعدته، وقلت: وهم المطوعة، وإنما هم المطوعة، بتشديد الطاء كما قال الله تعالى: " يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات " فقال ما قلت إلا المطوعة، فقلت: هكذا قرأته عليك، وقرأه غيري وأنا حاضر أسمع مراراً. وقلت هو لرشدة وزنية، كما هو لغية، والباب فيها واحد، لأنه إنما يريد المرة الواحدة، ومصادر الثلاثي إذا أردت المرة الواحدة لم تختلف، تقول ضربته ضربة، وجلست جلسة وركبت ركبة، لا اختلاف في ذلك بين أحد من النحويين، وإنما تكسر من ذلك ما كان هيئة حال، فتصفها بالحسن والقبح وغيرهما، فتقول: هو حسن الجلسة والسيرة والركبة، وليس هذا من ذلك. وقلت: أسنمة للبلدة، ورواه الأصمعي بضم الهمزة أسنمة، فقال: ما روى ابن الأعرابي وأصحابنا إلا أسنمة، فقلت قد علمت أنت أن الأصمعي أضبط لما يحكى، وأوثق فيما يروى، وقلت: إذا عز أخوك فهن، والكلام فهن، وهو من هان يهين إذا لان، ومنه قيل هين لين، لأن هن من هان يهون من الهوان، والعرب لا تأمر بذلك، ولا معنى لهذا الكلام يصح لو قالته العرب، ومعنى عز ليس من العزة التي هي المنعة والقدرة، وإنما هو من قولك عز الشيء إذا اشتد، ومعنى الكلام: إذا صعب أخوك واشتد فذل من الذل له، ولا معنى للذل ههنا، كما تقول إذا صعب أخوك فلن له، قال فما قرئ عليه كتاب الفصيح بعد ذلك علمي، ثم بلغني أنه سئم ذلك، فأنكر كتاب الفصيح أن يكون له.

قال المؤلف: وهذه المآخذ التي أخذها الزجاج على ثعلب لم يسلم إليه العلماء باللغة فيها، وقد ألفوا تآليف في الانتصار لثعلب يضيق هذا المختصر عن ذكرها.

وحدث الزجاج قال: أنشدنا أبو العباس المبرد:

في انقباض وحشمة فإذا ... رأيت أهل الوفاء والكرم

أرسلت نفسي على سجيتها ... وجئت ما جئت غير محتشم

قال عبيد الله الفقير: وهذان البيتان يرويان لمحمد بن كناسة، وقد رواهما آخرون لأبي نواس، قال الزجاج: فقلت له: أليس يقول الأصمعي الحشمة الغضب؟ والحشمة الاستحياء، لأن الغضب والاستحياء جميعاً نقصان في النفس، وانحطاط عن الكمال، فلذلك كان مخرجهما واحداً، قال: فقلت له: أليس الحياء محموداً، والغضب مذموماً؟؟ وقد روي أن الحياء شعبة من الإيمان، وقد قيل: إذا لم تستح فافعل ما تشاء، فقال:

الحياء محمود في الدين، وفي اجتناب المحارم، وفي الإفضال، وأما في ترك الحقوق، والنكوص عن الخصوم عند الحجاج، فهو نقصان في النفس.
قال أبو العباس: وسمعت المازني يقول: معنى قولهم إذا لم تستح فاصنع ما شئت أي إذا صنعت ما لا تستحي من مثله فاصنع ما شئت، وليس على ما يذهب إليه العوام، وهذا تأويل حسن.

قال حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب الموازنة: كان الزجاج يزعم أن كل لفظتين اتفقتا ببعض الحروف وإن نقص حروف إحداهما عن حروف الأخرى فإن إحداهما مشتقة من الأخرى، فيقول الرجل مشتق من الرجل، والثور إنما يسمى ثوراً لأنه يثير الأرض، والثوب إنما سمي ثوباً لأنه ثاب لباساً بعد أن كان غزلاً، حسيبه الله، كذا قال، قال: وزعم أن القرنان إنما سمى قرناناً لأنه مطيق لفجور امرأته، كالثور القرنان أي المطيق لحمل قرنه، وفي القرآن " وما كنا له مقرنين " أي مطيقين قال: وحكى يحيى بن علي بن يحيى المنجم، أنه سأله بحضرة عبد الله بن أحمد بن حمدون النديم، من أي شيء اشتق الجرجير؟ قال لأن الريح تجرجره، قال وما معنى تجرجره؟ قال تجرره، قال ومن هذا قيل للحبل الجرير، لأنه يجر على الأرض، قال: والجرة لم سميت جرة؟ قال: لأنها تجر على الأرض، فقال لو جرت على الأرض لانكسرت، قال: فالجرة لم سميت مجرة؟ قال لأن الله جرها في السماء جراً، قال: فالجرجور الذي هو اسم المائة من الإبل لم سميت به؟ قال: لأنها تجر بالأزمة وتقاد، قال: فالفصيل المجر، الذي يشق طرف لسانه، لئلا يرتضع أمه، ما قولك فيه؟ قال لأنهم جروا لسانه حتى قطعوه، قال فإن جروا أذنيه فقطعوه تسميه مجراً؟ قال لا يجوز ذلك، فقال يحيى بن علي: قد نقضت العلة التي أتيت بها على نفسك، ومن لم يدر أن هذا مناقضة فلا حس له، قال حمزة: وشهدت ابن العلاف الشاعر وعنده من يحكي عن كتاب الزجاج أشياء من شنيع الاشتقاق الذي فيه، ثم قال إني حضرته وقد سئل عن اشتقاق القصة، قال لأنها تقصع الجوع أي تكسره، قال ابن العلاف يلزمه أن يقول: الخضض مشتق من الخضيض. والعصفر مشتق من العصفور، والدب مشتق من الدب، والعذب من الشراب مشتق من العذاب، والخريف من الخروف، والعقل مشتق من العاقول، والحلم مشتق من الحلمة، والإقليم مشتق من القلم، والخنفساء من الفساء، والخنثى من الأنثى، والمخنث من المؤنث، ضرط إبليس على ذا من أدب.
وقال ابن بشران: كان أبو إسحاق الزجاج ينزل بالجانب الغربي من بغداد، في الموضع المعروف بالدويرة، وأنشدت له:

قعودي لا يرد الرزق عني ... ولا يدنيه إن لم يقض شي
قعدت فقد أتاني في قعودي ... وسرت فعافني والسير لي
فلما أن رأيت القصد أدنى ... إلى رشدي وأن الحرص غي
تركت لمدلج دلج الليالي ... ولي ظل أعيش به وفي

حدث أبو القاسم عبيد الله بن محمد بن جعفر الأزدي البصري قال: لما مات أبو العباس أحمد بن يحيى بكى أبو إسحاق الزجاج، فقلت ما بكاؤك؟ فقال لي: أين يذهب بك؟ أليس كان يقال: أحمد بن يحيى جالس وإبراهيم الزجاج اليوم؟ فقال الزجاج ونفطويه وابن الأنباري: مات الناقد، ونفقت البهارج. وحدث

المرزباني في كتاب المقتبس، ولم يذكر من خبره غير هذه القصة، وذكرها ابن النديم في فهرسته، قالا جميعاً: كان السبب في اتصال أبي إسحاق الزجاج بالمعتضد، أن بعض الندماء وصف للمعتضد كتاب جامع النطق الذي عمله محبرة النديم، قال محمد بن إسحاق خاصة، واسم محبرة محمد بن يحيى بن أبي عباد، ويكنى أبا جعفر، واسم أبي عباد جابر بن زيد بن الصباح العسكري، وكان حسن الأدب، ونادم المعتضد، وجعل كتابه جداول، رجع الكلام إلى اتفاقهما، فأمر المعتضد القاسم بن عبيد الله أن يطلب من يفسر تلك الجداول، فبعث إلى ثعلب وعرضه عليه فلم يتوجه إلى حساب الجداول، وقال لست أعرف هذا، وإن أردتم كتاب العين فموجود، ولا رواية له فكتب ابن عبيد الله إلى المبرد أن يفسرها، فأجابهم: إنه كتاب طويل، يحتاج إلى تعب وشغل، وإنه قد كبر وضعف عن ذلك، وإن دفعتموه إلى صاحبي إبراهيم بن السري رجوت أن يفي بذلك، فتغافل القاسم عن مذاكرة المعتضد بالزجاج حتى ألح عليه المعتضد، فأخبره بقول ثعلب والمبرد وأنه أحال على الزجاج، فتقدم إليه بالتقدم إلى الزجاج بذلك، ففعل القاسم، فقال الزجاج: أنا أعمل ذلك على غير نسخة، ولا نظر في جدول، فأمره بعمل الثنائي، فاستعار الزجاج كتب اللغة من ثعلب والسكري وغيرهما، لأنه كان ضعيف العلم باللغة، ففسر الثنائي كله، وكتبه بخط الترمذي الصغير أبي الحسن، وجلده، وحمله إلى الوزير، وحمله الوزير إلى المعتضد، واستحسنه وأمر له بثلاثمائة دينار، وتقدم إليه بتفسيره كله، ولم يخرج مما عمله الزجاج نسخة إلى أحد، إلا إلى خزانة المعتضد ووزيره.

وقال ابن النديم: ثم ظهر في كتاب السلطان هذا التفسير منقطعاً، ورأيناه في طلحي لطيف، وصار للزجاج بهذا السبب منزلة عظيمة، وجعل له رزق في الندماء، ورزق في الفقهاء، ورزق في العلماء، نحو ثلاثمائة دينار، قال ابن النديم: وللزجاج من الكتب: كتاب ما فسره من جامع النطق، كتاب معاني القرآن، " قرأت على ظهر كتاب المعاني: ابتدأ أبو إسحاق بإملاء كتابه الموسوم بمعاني القرآن في صفر سنة خمس وثمانين ومائتين وأتمه في شهر ربيع الأول، سنة إحدى وثلثمائة " ، كتاب الاشتقاق، كتاب القوافي، كتاب العروض، كتاب الفرق، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب مختصر النحو، كتاب فعلت وأفعلت، كتاب ما ينصرف وما لا ينصرف، كتاب شرح أبيات سيبويه، كتاب النوادر.

إبراهيم بن سعدان بن حمزة

الشيباني المؤدب، ذكره المرزباني في كتابه وقال: كان أبو الحسن العنزي كثير الرواية عنه، يروى عنه الأخبار، ومستحسن الأشعار. وكان لسعدان بن المبارك النحوي ابن يسمى إبراهيم، روى عن أبيه النقائض، ورواها عنه أبو سعيد السكري، ولست أعلم أهو الذي نسبه العنزي إليه أم غيره؟ لأن العنزي نسبه إلى سعدان بن حمزة الشيباني، والله أعلم. كل هذا كلام المرزباني.

وكان إبراهيم بن سعدان النحوي فيما رواه أحمد بن أبي طاهر، يؤدب المؤيد، وكان ذا منزلة عنده. وحدث المرزباني فيما رفعه إلى أبي إسحاق الطلي أحمد بن محمد بن حسان في جمال إبراهيم بن سعدان:

ألا أيها العير المصرف لونه ... بلونين في قر الشتاء وفي الصيف

هلم وقاك الله من كل آفة ... إلى مجد مولاك الشفيق على الضيف

وحدث المرزباني عن عبد الله بن يحيى العسكري، عن أبي إسحاق الطلي قال: أخبرنا إبراهيم بن سعدان، قال: حرفان فيهما أربع وعشرون نقطة لا يعرف مثلهما حكاهما أبو الحسن الجبائي، تتقتقت أي صعدت في الجبل، وتبشبشت من البشاشة، وحرف في القرآن هجاؤه عشرة أحرف متصلة، ليس في القرآن مثله في سورة النور: " ليستخلفنهم في الأرض " .

وحدث المرزباني عن الصولي عن أبي العيناء قال: قال لي المتوكل: بلغني أنك رافضي، فقلت يا أمير المؤمنين وكيف أكون رافضياً وبلدي البصرة، ومنشئي مسجد جامعها، وأستاذي الأصمعي، وجيراني باهلة؟ وليس يخلو الناس من طلب دين أو دنيا، فإن أرادوا ديناً فقد أجمع المسلمون على تقديم من أخروا، وتأخير من قدموا، وإن أرادوا دنيا فأنت وآباؤك أمراء المؤمنين، لا دين إلا بك، ولا دنيا إلا معك، أبوك مستنزل الغيث، وفي يديك خزائن الأرض، وأنا مولاك، فقال: إن ابن سعدان زعم ذلك فيك، فقلت: ومن ابن سعدان؟ والله ما يفرق ذلك بي الإمام والمأموم، والتابع والمتبوع، إنما ذاك حامل درة، ومعلم صبية، وآخذ على كتاب الله أجرة، فقال: لا تفعل، لأنه مؤدب المؤيد، فقلت يا أمير المؤمنين: إنه لم يؤدبه حسبة، وإنما أدبه بأجرة، فإذا أعطيته حقه فقد قضيت ذمامه، فقام ابن سعدان فقال: يا أبا العيناء، لا والله ما صدق أمير المؤمنين في شيء مما حكاه عني، ثم أقبل على المتوكل فقال: أي شيء أسهل عليك يا أمير المؤمنين من أن ينقضي مجلسك على ما تحب، ثم يخرج هذا فتقطعني؟ قال: فضحك المتوكل:

إبراهيم بن سعيد بن الطيب

أبو إسحاق الرفاعي، قال أبو طاهر السلفي: وسألته يعني أبا الكرم الجوزي عن الرفاعي فقال: هو من عييد السبي، وكان ضريراً، قدم صبياً ذا فاقة إلى واسط، فدخل الجامع إلى حلقة عبد الغفار الحصيني، فتلقن القرآن فكان معاشه من أهل الحلقة، ثم أصعد إلى بغداد، فصحب أبا سعيد السيرافي، وقرأ عليه كتاب شرح سيبويه، وسمع منه كتب اللغة والدواوين، وعاد إلى واسط وقد مات عبد الغفار، فجلس صدراً يقرئ الناس في الجامع، ونزل الزيدية من واسط، وهناك تكون الرافضة والعلويون، فنسب إلى مذهبهم، ومقت على ذلك، وجفاه الناس، وكان شاعراً حسن الشعر جيده، وحدث في كتاب أبي غالب محمد بن أحمد بن سهل النحوي، أنشدني أبو إسحاق الرفاعي لنفسه.

وأحبة ما كنت أحسب أنني ... أبلي ببينتهم فبنت وبانوا

نأت المسافة فالتذكر حظهم ... مني وحظي منهم النسيان

ومات سنة إحدى عشرة وأربعمائة سمعت أبا نعيم أحمد بن علي بن أخي سدة المقرئ الإمام يقول: رأيت جنازة أبي إسحاق الرفاعي مع غروب الشمس تخرج إلى الجبانة وخلفها رجلان، فحدثت بها شيخنا أبا الفتح بن المختار النحوي فقال: سمي لك الرجلين؟ فقلت لا، فقال كنت أنا أحدهما، وأبو غالب ابن بشران الآخر، وما صدقنا أنا نسلم خوفاً أن نقتل.

ومن عجائب ما اتفق أن هذا الرجل توفي وكان على هذا الوصف من الفضل فكانت هذه حاله، وتوفي في

غد يوم وفاته رجل من حشو العامة، يعرف بدناءة كان سواديا، فأغلق البلد لأجله، وصلى عليه الناس كافة، ولم يوصل إلى جنازته من كثرة الزحام: آخر كلام الجوزي. وذكر لي أبو عبد الله محمد بن سعيد الذهبي، وذكره في أخبار النحوين الواسطيين أنه توفي في سنة اثنتي وعشرين وأربعمائة، فذاكرته بما قاله الجوزي فقال: الرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل، الذي ذكره الجوزي هو الحق، أنا وهم.
وحدث أبو غالب بن بشران قال: أنشدنا أبو إسحاق الرفاعي وما رأيت قط أعلم منه قال أنشدنا عبد الغفار ابن عبد الله، قال أنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد نفطويه:

اقبل معاذير من يأتيك معتذراً ... إن بر عندك فيما قال أو فجرا
فقد أطاعك من أرضاك ظاهره ... وقد أجلك من يعصيك مستترا

إبراهيم بن سفيان الزيادي

هو إبراهيم بن سفيان بن سليمان بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن زياد بن أبيه، كان نحوياً لغوياً راوية، قرأ كتاب سيبويه على سيبويه ولم يتمه، وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة ونظرائهما، وكان شاعراً، مات سنة تسع وأربعين ومائتين، ومن شعره الذي رواه المرزباني في حجر النار الهاشمي،

دفع الرحمن عنكا ... م إن ذاك الدفع عني
وأتى فيك بمن يع ... ذلني قارع سن
إن تكن برزت في الحس ... ن فقد برز حزني

حدث المرزباني عن المبرد عن الزيادي قال: كان في جواري حق قد دعيت إليه فحضرت، وجيء بنبيذ وطنبور، فغنى مغنيهم:

قولا لمن يتعرى ... ومن يبدد شرا
تركت فتيان صدق ... يجبلون في الحسن درا

وصرت إلف خسيس ... يعيد خيرك شرا
هيهات فاتك والله ... من يغرك غرا

فقلت لمن هذا الشعر، أصلحك الله؟ قال: لي يا سيدي، وأنا جوان بن دست الباهلي سيدي، قلت ليس جوان ودست عافاك الله من أسماء العرب، قال: أي شيء عليك من ذا سيدي؟، قلت فردد الصوت، قال تريد تقمشه؟ كنك عقاب، أو كنى ما أعرفك، ما تركت على كبد ابن عمي الأصمعي الماء، وقد جئت إلي طارت فراخ برجك طارت. قال: فوثبت مما حل بي فلم أعد إليهم. وحدث قال: كان الزيادي يشبه بالأصمعي في معرفته للشعر ومعايبه، وكان فيه دعابة ومزاح، فمن شعره في ذلك:

قد خرج الهجر على الوصل ... وانقطع الحبل من الحبل
وديق الهجر جناح الهوى ... وانفلت الوصل من البخل
فليت ذا الهجر قبيل الهوى ... فيسلم الوصل من القتل

وقال الجماز يهجو الريادي:

ليس بكذاب ولا آثم ... من قال إبراهيم ملعون

حكم رسول الله في جده ما ناله إلا الملاعين وبعد هذا كله إنه يعجبه القثاء والتين وللزيادي من التصانيف:

كتاب النقط والشكل، كتاب الأمثال، كتاب تنميق الأخبار، كتاب أسماء السحاب والرياح والأمطار، كتاب شرح نكت كتاب سيبويه. وقال إبراهيم الزيادي في جارية سوداء كان يحبها:

ألا حبذا حبذا حبذا ... حبيب تحملت فيه الأذى

ويا حبذا برد أنيابه ... إذا الليل أظلم واجلوذا

إبراهيم بن سليمان بن عبد الله

ابن حبان النهمي بظن من همدان، الخزار الكوفي أبو إسحاق، أخباري، ذكره أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي في كتاب مصنفي الإمامية، وقال: هو ثقة في الحديث، سكن الكوفة في بني تميم، فربما قيل التميمي، قال: ثم سكن في بني هلال، فربما قيل الهلالي ونسبه في نهم.

له من الكتب: كتاب النوادر، كتاب الخطب، كتاب الدعاء، كتاب المناسك، كتاب أخبار ذي القرنين، كتاب إرم ذات العماد، كتاب قبض روح المؤمن والكافر، كتاب الدفائن، كتاب خلق السموات، كتاب أخبار جرهم.

إبراهيم بن صالح الوراق

أبو إسحاق، تلميذ أبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ذكره الباخرزي في كتاب دمية القصر فقال أنشدني له الأديب يعقوب بن أحمد، وهو أحسن ما قيل في معنى دود القز:

وبنات جيب ما انتفعت بعيشها ... ووأدتها فنفعني بقبور

ثم انبعثن عواطلاً فإذا لها ... قرن الكباش إلى جناح طيور

قال: ومن المعاني المثارة من دود القز قول أبي الفتح البستي:

ألم تر أن المرء طول حياته ... معنى بأمر لا يزال يعالجه؟

تراه كدود القز ينسج دائباً ... ويهلك غماً وسط ما هو ناسجه

ولأبي إسحاق يهجو ابن زكريا المتكلم الأصبهاني:

أبا أحمد يا أشبه الناس كلهم ... خلافاً وخلقاً بالرخال النواسح

لعمرك ما طالت بتلك اللحى لكم ... حياة ولكن بالعقول الكواسج

إبراهيم بن أبي عباد اليمني

وهو ابن أخي الحسن بن إسحاق، بن أبي عباد النحوي، ذكر في موضعه، وإبراهيم هذا من أعيان النحويين باليمن، وله تصنيفان في النحو مختصران، سمي أحدهما التلقين، والآخر يعرف بمختصر إبراهيم، وكان متأخراً بعد الخمسمائة.

إبراهيم بن العباس الصولي

أبو إسحاق الكاتب، هو إبراهيم بن العباس بن محمد ابن صول، مولى يزيد ابن المهلب، كنيته أبو إسحاق مات في شعبان سنة ثلاث وأربعين ومائتين بسامراً، وهو يتولى ديوان النفقات والضياع، مولده سنة ست وسبعين ومائة، وقيل سنة سبع وستين، وكان صول رجلاً تركياً، وكان هو وأخوه فيروز ملكي جرجان، وتمجسا بعد التركية، وتشبها بالفرس، فلما حضر يزيد بن المهلب بن أبي صفرة جرجان أمنهما، فأسلم صول على يده، ولم يزل معه حتى قتل يزيد يوم العقر.

وكان يزيد بن المهلب لما دعا إلى نفسه لحق به صول وغيره، فصادفه قد قتل. وذكر الصولي أن صولاً جده شهد الحرب مع يزيد بن المهلب، وأن يزيد وجد مقتولاً بلا طعنة ولا ضربة، انسدت أذناه ومنخراه، وامتلأ فمه بغبار العسكر فمات، فلا يعرف مثله قتيل غبار، قال: ومعه قتل صول وجماعة من أصحابه وغلمانه، وقيل بل انحاز إلى العباس بن الوليد في جماعة من غلمانه، فأعطاه العباس أماناً وبعض أولاد المهلب معه، فلما حصلا في يده غدر بهم، وقتلهم جميعاً، وكان يقاتل كل من بينه وبين يزيد من جيوش بني أمية، ويكتب على سهامه: صول يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه، فبلغ ذلك يزيد بن عبد الملك فاغتاظ، وجعل يقول: ويلي على ابن الغلفاء، ماله وللدعاء إلى كتاب الله وسنة نبيه؟ ولعله لا يفقه صلاته.
وكان محمد بن صول من رجال الدولة العباسية ودعاتها، وكان يكنى أبا عمارة، وقتله عبد الله بن علي، لما خالف مع مقاتل بن حكيم العكي، وكان بعض أهليهم ادعوا أنهم عرب، وأن العباس بن الأحنف الشاعر خالهم.
وكان إبراهيم بن العباس وأخوه عبد الله من وجوه الكتاب، وكان عبد الله أسنهما، وأشدهما تقدماً، وكان إبراهيم آدبهما، وأحسنهما، شعراً، وكان إذا قال شعراً اختاره، وأسقط رذله، وأثبت نخبته، فمن ذلك قوله:

ولكن الجواد أبا هشام ... وفي العهد مأمون المغيب
بطئ عندما استغنيت عنه ... وطلاع عليك مع الخطوب

وهذا من نادر الشعر وجيده، ومن ذلك قوله لأخيه عبد الله:

ولكن عبد الله لما حوى الغنى ... وصار له من بين إخوانه مال
رأى خلة منهم تسد بماله ... فساهمهم حتى استوت بهم الحال

وهذا الشعر يدل على أن قبله غيره، ولولا أن يكون قبله غيره لقال ألا إن الجواد أبا هشام، وألا إن عبد الله أو يكون قصد الإيهام بمدح قد تقدم، هذه الأبيات من جملته، والله أعلم، وكان إبراهيم كاتباً، حاذقاً، بليغاً، فصيحاً، منشئاً، وإبراهيم وأخوه عبد الله من صنائع ذي الرياستين الفضل ابن سهل، اتصلا به فرفع

منهما، وتنقل إبراهيم في الأعمال الجليلة، والدواوين، إلى أن مات وهو متول ديوان الضياع والنفقات بسر من رأى، سنة ثلاث وأربعين ومائتين للنصف من شعبان، وكان دعبل يقول: لو تكسب إبراهيم بالشعر لتركنا في غير شيء، وتعجب من قوله:

إن امرأ ضن بمعروفه ... عني لمبذول له عذري

ما أنا بالراغب في خيره ... إن كان لا يرغب في شكري

وكان إبراهيم صديقاً لمحمد بن عبد الملك الزيات، فولى محمد الوزارة وإبراهيم على الأهواز، فقصده ووجه إليه بأبي الجهم أحمد بن سيف وأمره بكشفه، فتحامل عليه تحاملاً شديداً، فكتب إبراهيم إلى محمد ابن عبد الملك:

وإني لأرجو بعد هذا محمداً ... لأفضل ما يرجى أخ ووزير

فأقام محمد على أمره، ولج أبو الجهم في التحامل عليه، فكتب إبراهيم إلى ابن الزيات، يشكو إليه أبا الجهم ويقول: هو كافر لا يبالي ما عمل، وهو القائل لما مات غلامه يخاطب ملك الموت:

تركت عبيد بني طاهر ... وقد ملأوا الأرض عرضاً وطولا

وأقبلت تسعى إلى واحدي ... ضراراً كأن قد قتلت الرسولا

فسوف أدين بترك الصلا ... ة وأصطبح الخمر صرفاً شمولاً

فكان محمد لعصبيته على إبراهيم وقصده له يقول: ليس هذا الشعر لأبي الجهم، وإنما إبراهيم قاله ونسبه إلى أبي الجهم.

وكتب إبراهيم إلى ابن الزيات يستعطفه: كتبت وقد بلغت المدية المخز، وعدت الأيام علي بعد عدواي بك عليها، وكان أسوأ الظن وأكثر خوفي أن تسكن في وقت حركتها، وتكف عند أذاتها، فصرت أضر علي منها، فكف الصديق عن نصرتي خوفاً منك، وبادر إلى العدو تقرباً إليك، وكتب تحت ذلك:

أخ بيني وبين الده ... ر صاحب أينا غلبا

صديقي ما استقام وإن ... نبا دهر علي نبا

وثبت على الزمان به ... فعاد به وقد وثبا

ولو عاد الزمان لنا ... لعاد به أخاً حدبا

وكتب إليه: أما والله لو آمنت ودك لقلت، ولكني أخاف منك عتباً لا تنصفني فيه، وأخشى من نفسي لائمة لا تحتملها لي، وما قدر فهو كائن، عن كل حادثة أحدوثة، وما استبدلت بحالة كنت فيها مغتبطاً حالاً أنا في مكروهها، ولكنها أشد علي من أني فزعت إلى ناصري عند ظلم لحقني، فوجدت من ظلمني أخف نية في ظلمي منه، وأحمد الله كثيراً، وكتب تحتها:

وكنت أخيب إخاء الزما ... ن فلما نبا صرت حرباً عوانا

وكنت أذم إليك الزما ... ن فأصبحت فيك أذم الزمانا

وكنت أعدك للنائبا ... ت فها أنا أطلب منك الأمانا

قال: ثم وقف الواثق على تحامله عليه، فرفع يده عنه، وأمره أن يقبل منه ما رفعه، ويرد إلى الحضرة مصوناً، فلما أحس إبراهيم بذلك، بسط لسانه في ابن الزيات، وهجاه هجاء كثيراً منه:

قدرت فلم تضرر عدواً بقدرة ... وسمت بها إخوانك الذل والرغما

وكنت ملياً بالتي قد يعافها ... من الناس من يأبى الدنية والذما

وقال أيضاً فيه:

أبا جعفر خف خفضة بعد رفعة ... وقصر قليلاً عن مدى غلوائكا

فإن كنت قد أوتيت عزاً ورفعة ... فإن رجائي في غد كرجائكا

وقال أيضاً فيه:

دعوتك في بلوى ألمت صروفها ... فأوقدت من ضغن علي سعيرها

وإني إذا أدعوك عند ملمة ... كداعية بين القبور نصيرها

ولما مات ابن الزيات قال إبراهيم: لما أتاني خبر الزيات

وأنه قد عد في الأموات ... أيقنت أن موته حياتي

ولما انحرف محمد بن عبد الملك عن إبراهيم تحاماه الناس إن تلقوه، وكان الحارث بن بشتخير الزريم المغني صديقاً له مصافياً، وهجره فيمن هجره من الإخوان، فكتب إليه:

تغير لي فيمن تغير حارث ... وكم من أخ قد غيرته الحوادث

أحارث إن شوركت فيك فطالما ... غنينا وما بيني وبينك ثالث

ومن مستحسن شعر إبراهيم بن العباس قوله:

خل النفاق لأهله ... وعليك فالتمس الطريقا

وارغب بنفسك أن ترى ... إلا عدواً أو صديقاً

ومنه:

أميل مع الصديق على ابن أمي ... وأقضي للصديق على الشقيق

وأفرق بين معروفي ومني ... وأجمع بين مالي والحقوق

فإن ألفيتني حراً مطاعاً ... فإنك واجدي عبد الصديق

وكان إبراهيم يهوى جارية لبعض المغنين بسر من رأى، يقال لها ساهر، شهر بها، وكان منزله لا يخلو منها، ثم دعيت في وليمة لبعض أهلها، فغابت عنه ثلاثة أيامن ثم جاءته ومعها جاريتان لمولاها، وقالت له: قد أهديت صاحبتي إليك، عوضاً عن مغيبي عنك، فقال:

أقبلن يخففن مثل الشمس طالعة ... قد حسن الله أولاها وأخراها

ما كنت فيهن إلا كنت واسطة ... وكن دونك يمناها ويسراها

وجلس يوماً مع إخوانه للشرب، وبعث خلفها فأبطأت عليه، وتنغص عليه وعلى جلسائه يومه، وكان عندهم عدة من القيان، ثم وافت فسرى عنه، وطلبت نفسه، وشرب وطرب، وقال:

ألم ترنا يومنا إذ نأت ... ولم تأت من بين أترابها

وقد غمرتنا دواعي السرو ... ر بإشغالها وبإلهابها
ونحن فتور إلى أن بدت ... وبدر الدجى تحت أثوابها
ولما نأت كيف كنا بها ... ولما دنت كيف صرنا بها

فتغضبت فقالت: ما القصة كما ذكرت، وقد كنتم في قصفكم مع من حضر، وإنما تجملتم لي لما حضرت، فقال:

يا من حنيني إليه ... ومن فؤادي لديه
ومن إذا غاب من بي ... نهم أسفت عليه
إذا حضرت فمن بين ... هم أصب إليه
من غاب غيرك منهم ... فإذنه في يديه

فرضيت، فأقاموا يومهم على أحسن حال، ثم طال العهد بينهما فملها، وكانت شاعرة، وكانت تهواه أيضاً، فكتبت إليه تعاتبه:

بالله يا ناقض العهود بمن ... بعدك من أهل ودنا نثق؟
واسوأتا ما استحيت لي أبدا ... إن ذكر العاشقون من عشقوا
لا غرني كاتب له أدب ... ولا ظريف مهذب لبق

كنت بذاك اللسان نخلني ... دهراً ولم أدر أنه ملق

فاعتذر إليها وراجعها، فلم تر منه ما تكره حتى فرق الموت بينهما.

وحدث علي بن الحسين الإسكافي قال: كان لإبراهيم ابن قد يفع وترعرع، وكان به معجباً، فاعتل علة لم تطل حتى مات، فرثاه مراثي كثيرة، وجزع عليه جزعاً شديداً، فمن مراثيه فيه:

كنت السواد لمقلتي ... فبكى عليك الناظر
من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

وقال أيضاً فيه:

ومازلت مذ لد أعطيته ... أدافع عنه حمام الأجل
أعوذه دائباً بالقرآ ... ن وأرمي بطرفي إلى حيث حل
فأضحت يدي قصدها واحد ... إلى حيث حل فلم يرتحل

ومر إبراهيم برجل يستثقله فسلم عليه فقال لبعض من معه: إنه جرمي، فقال له: ما كان عندي إلا أنه من أهل السواد، فضحك إبراهيم وقال: إنما أردت قول الشاعر:

يسائل عن أخي جرم ... ثقيل والذي خلقه

وكتب إبراهيم شفاعة لرجل إلى بعض إخوانه: فلان ممن يزكو شكره، ويعنيني أمره، والصنيعة عنده واجدة موضعها، وسالكة طريقها،

وأفضل ما يأتيه ذو الدين والحجى ... إصابة شكر لم يضع معه أجر

ونظر إبراهيم إلى الحسن بن وهب وهو مخمور فقال له:

عيناك قد حكتا مبي ... تك كيف كنت وكيف كانا

ولرب عين قد أرت ... ك مبيت صاحبها عيانا

وقال: ورفع أحمد بن المدبر على بعض عمال إبراهيم، فحضر إبراهيم دار المتوكل فرأى هلال الشهر على وجهه، ودعا له وضحك، وقال له: إن أحمد بن المدبر رفع على عاملك كذا وكذا فاصدقني عنه، قال إبراهيم: فضاقت علي الحجة، وخفت أن أحقق قوله إن اعترفت، ثم لا أرجع منه إلى شيء فيعود على الغرم، فعدلت عن الحجة إلى الحيلة، فقلت: أنا في هذا يا أمير المؤمنين كما قلت فيك:

رد قولي وصدق الأقوالا ... وأطاع الوشاة والعذالا

أتراه يكون شهر صدود ... وعلى وجهه رأيت الهلالا؟

فقال لا يكون ذلك، واللهلا يكون ذلك أبداً، والتفت إلى الوزير وقال له: كيف تقبل في المال قول صاحبه.

وكان أحمد بن يحيى ثعلب يقول: إبراهيم ابن العباس أشعر المحدثين، وما روي شعر كاتب غيره، وكان يستجيد قوله:

لنا إبل كوم يضيق بها الفضا ... ويفتر عنها أرضها وسماؤها

فمن دونها أن تستباح دماؤنا ... ومن دوننا أن ننستذم دماؤها

حمىً وقرى فالموت دون مرامها ... وأيسر خطب يوم حق فناؤها

ويقول: والله لو أن هذا لبعض الأوائل لاستجيد له: وقال إبراهيم في قينة كان يهواها:

وعلمتني كيف الهوى وجهلته ... وعلمكم صبري على ظلمكم ظلمي

وأعلم مالي عندكم فيردني ... هواي إلى جهلي فأرجع عن علمي

ومن أحسن ما قيل في قصر الليل، قول إبراهيم بن العباس:

وليلة من الليالي الزهر ... قابلت فيها بدرها ببدر

لم تك غير شفق وفجر ... حتى تولت وهي بكر الدهر

وقال أبو الغيث: كنت عند إبراهيم بن العباس وهو يكتب كتاباً، فنقطت القلم نقطة مفسدة فمسحها بكمه، فعجبت فقال: لا تعجب، المال فرع، والقلم أصل، ومن هذا السواد جاءت هذه الثياب، والأصل أحوج إلى المراعاة من الفرع، ثم فكر قليلاً وقال:

إذا ما الفكر ولد حسن لفظ ... وأسلمه الوجود إلى العيان

ووشاه فمنمه بيان ... فصيح في المقال بلا لسان

ترى حلل البيان منشرات ... تجلى بينها حلل المعاني

وقال إبراهيم في الفضل بن سهل:

يقضي الأمور على بديهته ... وتريه فكرته عواقبها

فيظل يصدرها ويوردها ... فيعم حاضرها وغائبها

وإذا ألمت صعبة عظمت ... فيها الرزيئة كان صاحبها

المستقل بها وقد رسبت ... ولوت على الأيام جانبها
وعدلتها بالعدل فاعتدلت ... ووسعت راغبها وراهبها
وإذا الحروب علت بعثت لها ... رأيا تفل به كتائبها
رأياً إذا نبت السيوف مضى ... عزم به فشفى مضاربها

أجرى إلى فئة بدولتها ... وأقام في أخرى نوادبها
وإذا الخطوب تأثلت ورست ... هدت فواضله نوائبها
وإذا جرت بضميره يده ... أبدت له الدنيا مناقبها

قال: واجتمع هارون بن محمد بن عبد الملك بن الزيات وابن برد الخباز، في مجلس عبيد الله بن سليمان، فجعل هارون ينشد من شعر أبيه ومحاسنه، ويفضله ويقدمه، فقال له ابن برد الخباز: إن كان لأبيك مثل قول إبراهيم ابن العباس الصولي:

أسد ضار إذا هيجته ... وأب بر إذا ما قدرا
يعرف الأبعد إن أثرى ولا ... يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

أو مثل قوله:

تلج السنون بيوتهم وترى لهم ... عن جار بيتهم ازورار مناكب
وتراهم بسيوفهم وشفارهم ... مستشرفين لراغب أو راهب
حامين أو قارين حيث لقيتهم ... نهب العفاة ونزهة للراغب

فاذكره وفاخر به، وإلا فأقلل، فخجل هارون.

قال: ودخل عليه أحمد بن المدبر بعد خلاصه من النكبة مهنئاً، وكان استعان به في أمر النكبة فقعد عنه، وبلغه أنه كان يسعى ويحرض عليه ابن الزيات، فقال:

وكنت أخي بالدهر حتى إذا نبا ... نبوت، فلما عاد عدت مع الدهر
فلا يوم إقبالي عدتك طائلاً ... ولا يوم إدباري عدتك من وتر
وما كنت إلا مثل أحلام نائم ... كلا حالتيك من وفاء ومن غدر

وله أيضاً فيه:

لو قيل لي خذ أماناً ... من أعظم الحدثان
لما أخذت أماناً ... إلا من الخلان

فأنا أستحسن قوله:

حتى متى أنا في حزن وفي غصص ... إذا تجدد حزن هون الماضي؟
وقد غضبت فما باليتم غضبي ... حتى رجعت بقلب ساخط راض

ومما كتب إبراهيم بن العباس إلى ابن الزيات:

من رأى في المنام مثل أخ لي ... كان عوني على الزمان وخلي؟

رفعت حاله فحاول حطي ... وأبى أن يعز إلا بذلي

وكتب إليه يستعطفه:

فهبني مسيئاً مثل ما قلت ظالماً ... فعفواً جميلاً كي يكون لك الفضل

فإن لم أكن بالعفو منك لسوء ما ... جنيت به أهلاً فأنت له أهل

ومن منثور كلامه: أتاني فلان في وقت أستثقل فيه لحظة الفرح وحدث الصولي عن العباس بن محمد قال: أنشدني إبراهيم بن العباس، في مجلسه في ديوان الضياع:

ربما تجزع النفوس من الأم ... ر له فرجة كحل العقال

ونكت بقلمه ثم قال:

ولرب نازلة يضيق بها الفتى ... ذرعاً وعند الله منها المخرج

كملت فلما استحكمت حلقاتها ... فرجت وكنت أظنها لا تفرج

قال: فعجبنا من سرعة طبعه، وجودة قريحته.

وحدث الصولي عن أحمد بن يزيد المهلبي قال: حدثني أبي قال: لما قرأ إبراهيم بن العباس على المتوكل رسالته إلى أهل حمص.

أما بعد، فإن أمير المؤمنين يرى من حق الله عليه بما قوم به من أود، وعدل به من زيغ، ولم به من منتشر، استعمال ثلاث يقدم بعضهن أمام بعض، أولاهن ما يتقدم به من تنبيه وتوقيف، ثم ما يستظهر به من تحذير وتخويف، ثم التي لا يقع حسم الداء بغيرها:

أناة فإن لم تغن عقب بعدها ... وعيداً فإن لم يغن أغنت عزائمه

عجب المتوكل من حسن ذلك، وأومأ إلى عبيد الله أما تسمع؟ فقال يا أمير المؤمنين: إن إبراهيم فضيلة خبأها الله لك، واحتبسها على أيامك، وهذا أول شعر نفذ في كتاب عن خلفاء بني العباس.

وحدث عن ميمون بن هارون عن أبيه قال: قلت لإبراهيم بن العباس: إن فلاناً يحب أن يكون لك ولياً فقال لي: أنا والله أحب أن تكون الناس جميعاً إخواني، ولكني لا آخذ منهم إلا من أطيق قضاء حقه، وإلا استحالوا أعداء، وما مثلهم إلا كمثل النار، قليلها مقنع، وكثيرها محرق.

وقال الحسين بن علي الباقطائي: شاورت أبا الصقر قبل وزارته في أمر لي فعرفني الصواب فيه، فقلت له: أنت أيدك الله كما قال إبراهيم بن العباس في هذا المعنى:

أتيتك شتى الرأي لابس حيرة ... فسددتني حتى رأيت العواقبا

على حين ألقى الرأي دوني حجابه ... فجبت الخطوب واعتسفت المذاهبا

فقال: لا تبرح والله حتى أكتب البيتين، فكتبتهما له بين يديه بخطي.

وحدث أبو ذكوان قال: لما توفي المعتصم بالله، وقام ابنه الواثق خليفة بعده، كتب إليه إبراهيم بن العباس يعزيه بأبيه ويهنئه بالخلافة: إن أحق الناس بالشكر من جاء به عن الله، وأولاهم بالصبر من كان سلفه رسول الله، وأمير المؤمنين أعزه الله وآباؤه نصرهم الله أولو الكتاب الناطق عن الله بالشكر، وعترة رسوله

المخصوصون بالصبر، وفي كتاب الله أعظم الشفاء وفي رسوله أحسن العزاء، وقد كان من وفاة أمير المؤمنين المعتصم بالله، ومن مشيئة الله في ولاية أمير المؤمنين الواثق بالله، ما عفا على أوله آخره، وتلافت بدأته عاقبته، فحق الله في الأولى الصبر، وفرضه في الأخرى الشكر، فإن رأى أمير المؤمنين أن يستنجز ثواب الله بصبره، ويستدعي زيادته بشكره، فعل إن شاء الله تعالى وحده: ومن كلامه: ووجد أعداء الله زخرف باطلهم، وتمويه كذبهم سراباً " بقيعة يحسبه الظمآن ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً " وكوميض برق عرض فأسرع، ولمع فأطمع، حتى انحسرت مغاربه، وتشعبت مولية مذاهبه، وأيقن راجيه وطالبه، ألا ملاذ ولا وزر، ولا مورد ولا صدر، ولا من الحرب مفر، هنالك ظهرت عواقب الحق منجية، وخواتم الباطل مردية، سنة الله فيما أزاله وأداله، ولن تجد لسنة الله تبديلاً، ولا عن قضائه تحويلاً، وحدثني الصولي قال: حدثني يحيى ابن البحتري قال: رأيت أبي يذاكر جماعة من شعراء الشام بمعان من الشعر، فمر فيها قلة نوم العاشق وما قيل في ذلك، فأنشدوا إنشادات فيها، فقال لهم أبي: فرغ من هذا كاتب العراق، إبراهيم بن العباس، فقال:

أحسب النوم حكاكا ... إذ رأى منك جفاكا

مني الصبر ومنك ال ... هجر فابلغ بي مداكا

كذبت همة عين ... طمعت في أن تراكا

أي ما حظ لعينٍ ... أن ترى من قد رآكا؟

ليت حظي منك أن تع ... لم ما بي من هواكا

ثم قال البحتري: تصرفت هذه الأبيات في معان من الشعر أحسن في جميعها، قال فكتبتها عنه أجمعها ومما روي له الصولي.

أولى البرية طرا أن تواسيه ... عند السرور، الذي واساك في الحزن

إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا ... من كان يألفهم في المنزل الخشن

وروي له، وهو في الحماسة:

لا يمنعنك خفض العيش في دعةٍ ... نزوع نفس إلى أهل وأوطان

تلقى بكل بلاد إن حللت بها ... أرضاً بأرض وجيراناً بجيران

قال الصولي: حدثني جرير بن أحمد بن أبي دؤاد، قال: كان إبراهيم أصدق الناس لأبي، فعتب على ابنه أبي الوليد في شيء، فقال فيه أحسن قول ذمه فمدح أباه، وما أحسن هذا من جهة جرير:

عفت مساو تبدت منك واضحة ... على محاسن نقاها أبوك لكا

لئن تقدمت أبناء الكرام به ... فقد تقدم آباء الكرام بكا

وروي لإبراهيم في محمد بن عبد الملك:

إن كان رزقي عليك فارم به ... في ما صفا حبه على رصد

لو كنت حراً كما زعمت وقد ... كررتني بالمطال لم أعد

لكنني عدت ثم عدت فإن ... عدت إلى مثلها إذاً فعد

أعتقني سوء ما أتيت من ال ... رق فيا بردها على كبدي
فصرت عبداً للسوء فيك وما ... أحسن سوء قبلي إلى أحد
وله فيه:
وقائل لا أبداً ... إن جد أو إن هزلا
فهو إذا اضطر إلى ... قول نعم قال بلى
تعودوا منه لما ض ... من بالاً قول لا
ومما يستحسن من شعر إبراهيم ابن العباس:
إبتداء بالتجني ... وقضاء بالتظني
واشتفاء بتجني ... ك لأعدائك مني
بأبي قل لي كي أع ... لم لم أعرضت عني؟
قد تمنى ذاك أعدا ... ئي فقد نالوا التمني
وقال أبو زيد البلخي وذكر إبراهيم بن العباس فقال: كان من أبلغ الناس في الكتابة، حتى صار كلامه مثلاً. كتب كتاب فتح عجيباً أثنى على الله وحمده ثم قال في خلال ذلك: وقسم الله الفاسق أقساماً ثلاثة، روحاً معجلة إلى نار الله، وجثة منصوبة بفناء معقله وهامة منقولة إلى دار خلافته.

وحدث الجهشياري عن وهب بن سليمان بن وهب قال: كنت أكتب لإبراهيم بن العباس على ديوان الضياع، وكان رجلاً بليغاً، ولم يكن له في الخراج تقدم، وكان بينه وبين أحمد بن المدبر تباعد، وكان أحمد مقدماً في الكتابة، فقال أحمد بن المدبر للمتوكل: قلدت إبراهيم بن العباس ديوان الضياع وهو متخلف، آية من الآيات لا يحسن قليلاً ولا كثيراً، وطعن عليه طعناً قبيحاً، فقال المتوكل: في غد أجمع بينكما، واتصل الخبر بإبراهيم فأيقن بحاول المكروه، وعلم أنه لا يفي بأحمد بن المدبر في صناعته، وغدا إلى دار السلطان آيساً من نفسه ونعمته، وحضر أحمد فقال له المتوكل: قد حضر إبراهيم وحضرت، ومن أجلكم قعدت، فهات: اذكر ما كنت فيه أمس، فقال أحمد: أي شيء أذكر عنه؟ فإنه لا يعرف أسماء عماله في النواحي، ولا يعلم ما في دساترهم، من تقديراتهم، وكيولهم، وحمل من حمل منهم، ومن لم يحمل، ولا يعرف أسماء النواحي التي تقلدها، وقد اقتطع صاحبه بناحية كذا كذا ألفاً، واختلت ناحية كذا في العمارة، وأطال في ذكر هذه الأمور، فالتفت المتوكل إلى إبراهيم فقال: ما سكوتك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، جوابي في بيتي شعر قلتهما! فإن أذن أمير المؤمنين أنشدهما، فقال هات: فأنشده البيتين المذكورين، رد قولي وصدق الأقوالا، فقال المتوكل زه زه أحسنت، إيتوني بمن يعمل في هذا لحناً، وهاتوا ما نأكل، وجيئوا بالنساء، ودعونا من فضول ابن المدبر، واخلعوا على إبراهيم بن العباس، فخلع عليه، وانصرف إلى منزله.
قال الحسن فمكث يومه مغموماً، فقلت له: هذا يوم سرور وجذل بما جدد الله لك من الانتصار على خصمك، فقال يا بني: الحق أولى بمثل وأشبه، إني لم أدفع أحمد بحجة ولا كذب في شيء مما ذكر، ولا أنا ممن يعشره في الخراج، كما أنه لا يعشرني في البلاغة وإنما فلجت برطازةٍ ومخرقةٍ، أفلا أبكي، فضلاً عن أن أغتم

من زمان يدفع ذلك كله.

وقال الجهشياري: رأيت دفتراً بخط إبراهيم بن العباس الصولي فيه شعره، قال في حبس موسى بن عبد الملك، إياه يصف غليظ ما هو فيه من الحبس وثقل الحديد والقيد، ويذكر موسى في شعره، وكان يكنى بأبي الحسن، فكناه بأبي عمران، فقال في قصيدة طويلة:

كم ترى يبقى على ذابدني؟ ... قد بلي من طول همي وفني

أنا في أسر وأسباب ردي ... وحديد فادح يكلمني

وأبو عمران موسى حنق ... حاقد يطلبني بالإحن

ليس يشفيه سوى سفك دمي ... أو يراني مدرجاً في كفني

وقد كتب أحمد بن مدبر بخطه في ظهر هذا الدفتر:

أبا إسحاق إن تكن الليالي ... عطفن عليك بالخطب الجسيم

فلم أر صرف هذا الدهر يجري ... بمكروه على غير الكريم

ولإبراهيم بن العباس من التصانيف فيما ذكره محمد ابن إسحاق النديم، كتاب ديوان رسائله، كتاب ديوان شعره، كتاب الدولة كبير، كتاب الطيخ كتاب العطر، ومات إبراهيم بن العباس الصولي في سنة ثلاث وأربعين ومائتين في شعبان وهو يتولى ديوان الضياع والنفقات بسامراً.

إبراهيم بن عبد الله النجيرمي

أبو إسحاق النحوي اللغوي أخذ عنه أبو الحسين المهلبي، وجنادة اللغوي الهروي، وكثير من أهل العلم، وكان مقامه بمصر.

قال أبو سعد السمعاني: النجيرمي نسبة إلى نجيرم، ويقال نجارم، وهي محلة بالبصرة، قال المؤلف: لم يصب السمعاني في قوله، إلا أن يكون طائفة من أهل هذا الموضع أقاموا بموضع من محال البصرة فنسب إليهم، ونجيرم قرية كبيرة على ساحل بحر فارس، بينها وبين سيراف نحو خمسة عشر فرسخاً، رأيتها يسمونها أهلها والتجار نيرم، فيسقطون الجيم تخفيفاً، أو تخلفاً، وليس مثلها يحتمل أن يكون لأهلها محلة بالبصرة، وهم فرس من فرس الحال، أكثر أكلهم النبق والسمك حدثني بعض أهل مصر عند كوني بها في سنة اثنتي عشرة وستمائة قال: حدثت أن الفضل بن عباس دخل على كافور الأخشيدي فقال له: أدام الله أيام سيدنا الأستاذ، فخفض الأيام، فتبسم كافور إلى أبي إسحاق النجيرمي، فقال أبو إسحاق:

لا غرو أن لحن الداعي لسيدنا ... وغص من هيبة بالريق والبهر

فمثل سيدنا حالت مهابته ... بين البليغ وبين القول بالحصر

فإن يكن خفض الأيام عن دهش ... من شدة الخوف لا من قلة البصر

فقد تفاءلت في هذا لسيدنا ... والفأل نأثره عن سيد البشر

بأن أيامه خفض بلا نصب ... وأن دولته صو بلا كدر

قال: فأمر له بثلاثمائة دينار، ولابن عباس بمثلها، هكذا أخبرني المصري في خبر هذا الشعر، وأنه لأبي إسحاق النجيرمي، ووجدت في أخبار رواها أبو الجوائز الواسطي قال: حدثني أبو الحسين بن أدين النحوي، وكان شيخاً قد نيف على الثمانين، في سنة أربعمائة قال: حضرت مع والدي وأنا طفل مجلس كافور الإخشيدي، وهو غاص بأهله، فدخل رجل غريب، فسلم ودعا له، وذكر القصة، ولم يذكر الفضل بن عباس، قال: فقام رجل فأنشد ولم يذكر النجيرمي، وأنشد الشعر بعينه، وجهل الرجلين.

قرأت في كتاب من إملاء النجيرمي قال كاتبها: أنشدني أبو إسحاق وهي له:

بدلني الدهر أميراً معوزاً ... بسيد كان خضماً كوثرا

إذا شممت كفة مؤملاً ... شممت منها غمراً مقترا

بما أشم مسكها والعنبرا ... يا بدلاً كان لقاءً أعورا

وأنشدهم أيضاً لنفسه:

وإني فتى ضبر على الأين والوجى ... إذا اعتصروا للوح ماء فظاظها

إذا ضربوها ساعة بدمائها ... وحل عن الكوماء عقد شظاظها

فإنك ضحاك إلى كل صاحب ... وأنطق من قس غداة عكاظها

إذا اشتغب المولى مشاغب مغشمٍ ... فعذره فيها آخذاً بكظاظها

إبراهيم بن عبد الله الغزال اللغوي

لا أعرف من حاله شيئاً، إلا أن السلفي قال: أنشدني أبو القاسم الحسن بن الفتح بن حمزة بن الفتح الهمذاني قال: أنشدني إبراهيم بن عبد الله الغزال اللغوي لنفسه، وكان يتبخبخ بهما:

والبرق في الديجور أهطل مزنة ... أبدت نباتاً أرضها كالزرنب

فوجدت بحراً فيه نار فوقه ... غيم يرى فيه بليلٍ غيهب

إبراهيم بن عبد الرحيم العروضي

حكى عنه أبو العباس أحمد بن محمد النامي في كتاب القوافي فهو من طبقة ابن درستويه وعلي بن سليمان الأخفش.

إبراهيم بن عثمان أبو القاسم بن الوزان

القيرواني النحوي كان فقيهاً على مذهب العراقي وإماماً في النحو واللغة والعربية والعروض غير مدافع مع قلة ادعاء وخفض جناح، وكان عبد الله بن محمد المكفوف يقر له بالفضل، وانتهى من العلم إلى ما لعله لم يبلغه أحد قبله وأما في زمانه فلا يشك فيه، مات سنة ست وأربعين وثلاثمائة وكان يحفظ كتاب العين للخليل ابن أحمد، وغريب المصنف لأبي عبيد، وإصلاح المنطق لابن السكيت، وغيرها من كتب اللغة

وحفظ قبل ذلك كتاب سيبويه، ثم كتب الفراء، وكان يميل إلى مذهب البصريين مع إتقانه معرفة مذاهب الكوفيين، وقال: ولو قال قائل إنه كان أعلم من المبرد وثعلب لصدقه من وقف على علمه ونفاذه، وكان مع ذلك مقصراً في صناعة الشعر وله تصانيف كثيرة في النحو واللغة

إبراهيم بن علي أبو إسحاق الفارسي

النحوي، من تلاميذ أبي علي الفارسي، وله كتاب شرح الجرمي معروف متداول بأيدي الناس، ذكره الثعالبي في البخاريين، وقال هو من الأعيان في علم اللغة والنحو، ورد بخارى في أيام السامانية، فأجل وبجل، ودرس عليه أبناء الرؤساء والكتاب بها، وأخذوا عنه، وولي التصفح في ديوان الرسائل، ولم يزل يليه إلى أن استأثر الله به، وله شعر لم يقع إلي منه إلا قوله في بعض الرؤساء بالحضرة يستهدي منه جبة خز بيضاء غير لبيس من قصيدة:

وأعن على برد الشتاء بجبة ... تذر الشتاء مقيداً مسجوناً
سوسية بيضاء يترك لونها ... ألوان حسادي شواحب جونا
عذراء لم تلبس فكفك في العلا ... تأنى عذاراها وتأبى العونا
تسبي بهجتها عيوناً لم تزل ... تسبي قلوباً في الهوى وعيونا
مثل القلوب من العداة حرارة ... مثل الخدود من الكواعب لينا

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين وقد ذكر ابن العميد فقال: وقد اجتاز به أبو إسحاق الفارسي، وكان من غلمان أبي سعيد السيرافي، وكان قيماً بالكتاب وفريض الشعر، وصنف وأملى، وشرح وتكلم في العروض والقوافي، والمعاني، وناقض المتنبي، وحفظ العلم والرم فما زوده درهماً، ولا تفقده برغيف بعد أن أذن له، حتى حضره وسمع كلامه، وعرف فضله، واستبان سعيه.

إبراهيم بن عقيل بن جيش بن محمد

إبن سعيد أبو إسحاق القرشي، المعروف بابن المكبري النحوي الدمشقي، مات فيما ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق في سنة أربع وسبعين وأربعمائة، ودفن بالباب الصغير.

وذكر أنه حدث عن أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد الشرابي النحوي، وروى عنه أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب وأبو محمد بن الأكفاني.

قال الخطيب وكان صدوقاً قال ابن عساكر وفي قوله نظر: قال وذكره الخطيب في كتابه الذي سماه تلخيص المتشابه، قيده كما كتبناه في أول الترجمة، قال ابن عساكر: وكان أبو إسحاق يذكر أن عنده تعليقة أبي الأسود الدؤلي، التي ألقاها إليه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكان كثيراً ما يعد بها أصحابه، ولاسيما أصحاب الحديث، ولا يفي، إلى أن كتبها عنه بعض تلاميذه الذين يقرءون عليه، وإذا به قد ركب عليها إسناداً لا حقيقة له، اعتبر فوجد موضوعاً، مركباً بعض رجاله أقدم ممن روى عنه، ولم يكن الخطيب علم

بذلك ولا وقف عليه، فلذلك وثقه، قال: وهذه التعليقة فهي في أمالي أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي، نحواً من عشرة أسطر، فجعلها هذا الشيخ إبراهيم قريباً من عشرة أوراق، وله كتاب في النحو، رأيته قدر اللمع، وقد أجاز فيه.

إبراهيم بن الفضل الهاشمي اللغوي

قال الحاكم في تاريخ نيسابور: أبو إسحاق الأديب اللغوي، أقام بنيسابور سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، وسمعته يذكر جماعة من أبي محمد بن صاعد وأقرانه، وسمعته يقول: سمعت أبا بكر بن دريد ينشد لنفسه:

ودعته حين لا تودعه ... نفسي ولكنها تسير معه
ثم افترقنا وفي القلوب له ... ضيق مكان وفي الدموع سعه

إبراهيم بن قطن المهري القيرواني

أخو أبي الوليد عبد الملك المذكور في بابه، ذكره الزبيدي في كتابه وقال: قرأ إبراهيم النحو قبل أخيه أبي الوليد، وكان سبب طلب أبي الوليد النحو أن أخاه إبراهيم رآه يوماً وقد مد يده إلى بعض كتبه يقلبها، فأخذ أبو الوليد كتاباً منها ينظر فيه فجذبه من يده وقال له: مالك ولهذا؟ وأسمعه كلاماً، فغضب أبو الوليد لما قابله به أخوه، وأخذ في طلب العلم حتى علا عليه، وعلى أهل زمانه كلهم، واشتهر ذكره، وسما قدره، فليس أحد يجهل أمره، ولا يعرف إبراهيم إلا القليل من الناس، وكان إبراهيم يرى رأي الخوارج الإباضية:

إبراهيم بن ماهويه الفارسي

رجل أديب، لا أعرف من حاله إلا ما ذكره المسعودي، فقال: له كتاب عارض فيه المبرد في كتابه الملقب بالكامل.

إبراهيم بن محمد بن أبي حصن

الحارث بن أسماء، بن خارجة، بن حصن، بن حذيفة، بن بدر، الفزاري أبو إسحاق، كوفي الأصل نزل ثغر المصيصة حتى مات به، في عدة روايات ذكرها ابن عساكر في تاريخ دمشق، أصحها أنه مات سنة ثمان وثمانين، وقد روي أنه مات سنة ست، وقيل سنة خمس وثمانين، وكان خيِّراً، فاضلاً، ورعاً، صاحب سنة، وأمر بالمعروف، ونهي عن المنكر، وله فضائل جمة، يذكر منها في هذا الكتاب ما انتخبناه من كتاب دمشسسق، وكان أبو إسحاق مع ما اشتهر من فضله كثير الغلط، وله كتاب السيرة في الأخبار والأحداث، رواه عنه أبو عمرو معوية بن عمرو الرومي، وتوفي أبو عمرو هذا ببغداد، سنة خمس عشرة وثلاثمائة. قال ابن عساكر: أبو إسحاق أحد أئمة المسلمين، وأعلام الدين، روى عن الأعمش، وسليمان البتي، وأبي إسحاق سليمان بن فيروز الشيباني، وعبد الملك بن عمير وعطاء بن السائب، ويحيى بن سعيد

الأنصاري، وموسى ابن عقبة، وهشام بن عروة، وحميد الطويل، وسفيان الثوري، وذكر خلقاً كثيراً، وروى عنه سفيان الثوري وأبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، وهما أكبر منه، وذكر خلقاً رووا عنه، وحدث فيما رفعه إلى رباح ابن الفرج الدمشقي قال: سمعت أبا مسهر يقول: قدم علينا إبراهيم بن الفزاري، فاجتمع الناس يسمعون منه، فقال لي: اخرج إلى الناس فقل لهم: من يرى رأي القدرية فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يأتي السلطان فلا يحضر مجلسنا، قال: فخرجت فأخبرت الناس، قال.

وقال عبد الرحمن النسائي: أبو إسحاق الفزاري ثقة مأمون، أحد الأئمة، وكان يكون بالشام، روى عنه ابن المبارك، وحدث الأوزاعي بحديث، فقال رجل، من حدثك يا أبا عمرو؟ فقال: حدثني الصادق المصدق أبو إسحاق إبراهيم الفزاري، وحدث فيما رفعه إلى أبي صالح محبوب بن موسى الفراء، قال: سألت ابن عيينة قلت: حديث سمعت أبا إسحاق رواه عنك، أحببت أن أسمعه منك، فغضب علي فاهرين، وقال: لا يقنعك أن تسمعه من أبي إسحاق، والله ما رأيت أحداً أقدمه على أبي إسحاق، وقال أبو صالح أيضاً: ولقيت الفضل بن عياض فعزاني بأبي إسحاق، وقال لي: والله لربما اشتقت إلى المصيصة مالي فضل الرباط إلا لأرى أبا إسحاق.

حدث فيما رفعه إلى أبي مسلم صالح بن أحمد العجلي عن أبيه قال: أبو إسحاق الفزاري كوفي، إسمه إبراهيم بن محمد، نزل الثغر بالمصيصة، وكان ثقة، رجلاً صالحاً، صاحب سنة، وهو الذي أدب أهل الثغر، وعلمهم السنة، وكان يأمر وينهى، وإذا دخل الثغر رجل مبتدع أخرجه، وكان كثير الحديث، وكان له فقه، أمر سلطاناً يوماً ونهاه فضربه مائتي سوط، وتكلم فيه، وسئل عنه يحيى بن معين فقال: ثقة ثقة. قال أبو صالح الحسين بن محمد بن موسى الفراء: سمعت علي بن بكار يقول: لقيت الرجال الذين لقيهم أبو إسحاق بن عون وغيرهم، والله ما رأيت فيهم أفقه منه. قال أبو صالح: قال عطاء الخفاف: كنت عند الأوزاعي فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق، فقال للكاتب: اكتب إليه: وابدأ به، فإنه والله خير مني.

قال: وكنت عند الثوري، فأراد أن يكتب إلى أبي إسحاق، فقال للكاتب: اكتب إليه فابدأ به، فإنه والله خير مني.

وحدث فيما رفعه إلى إسماعيل بن إبراهيم، قال: أخذ الرشيد زنديقاً فأمر بضرب عنقه، فقال له الزنديق: لم تضرب عنقي يا أمير المؤمنين؟ قال: أريح الناس منك، قال: فأين أنت عن ألف حديث وضعتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما فيها حرف نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: فأين أنت يا عدو الله من أبي إسحاق الفزاري، وعبد الله بن المبارك؟ ينخلانها نخلاً، فيخرجانها حرفاً حرفاً؟

وحدث فيما رفعه إلى عبد الرحمن بن مهدي قال، كان الأوزاعي والفزاري إمامين في السنة، إذا رأيت الشامي يذكر الأوزاعي والفزاري فاطمئن إليه، كان هؤلاء الأئمة في السنة، وحدث أبو علي الروزباري: كان أربعة زمانهم واحد، كان أحدهم لا يقبل من السلطان ولا من الإخوان، يوسف بن أسباط، ورث سبعين ألف درهم لم يأخذ منها شيئاً، وكان يعمل الخوص بيده، وآخر كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً، أبو إسحاق الفزاري، فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في المستورين الذين لا يتحركون والذي

يأخذه من السلطان ينفقه في أهل طرسوس، والثالث كان يأخذ من الإخوان ولا يأخذ من السلطان، وهو عبد الله بن المبارك، يأخذ من الإخوان ويكافيء عليه، والرابع كان يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان، وهو مخلد بن الحسين، كان يقول: السلطان لا يمن والإخوان يمنون.

وحدث ابن عساكر فيما رفعه إلى الأصمعي قال: كنت جالساً بين يدي هارون الرشيد، أنشده شعراً وأبو يوسف القاضي جالس على يساره، فدخل الفضل بن الربيع فقال: بالباب أبو إسحاق الفزاري، فقال: أدخله، فلما دخل قال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له الرشيد: لا سلم الله عليك، ولا قرب دارك، ولا حيا مزارك، قال لم يا أمير المؤمنين؟ قال: أنت الذي تحرم السواد فقال يا أمير المؤمنين من أخبرك بهذا؟ لعل هذا أخبرك، وأشار إلى أبي يوسف، وذكر كلمة: والله يا أمير المؤمنين، لقد خرج إبراهيم على جدك المنصور، فخرج أخي معه وعزمت على الغزو فأتيت أبا حنيفة فذكرت له ذلك، فقال لي: مخرج أخيك أحب إلي مما عزمت عليه من الغزو، ووالله ما حرمت السواد. فقال الرشيد: فسلم الله عليك وقرب دارك، وحيا مزارك، اجلس أبا إسحاق، يا مسرور ثلاثة آلاف دينار لأبي إسحاق، فأتى بها، فوضعت في يده وانصرف بها، فلقيه ابن المبارك فقال له: من أين أقبلت؟ قال: من عند أمير المؤمنين، وقد أعطاني هذه الدنانير، وأنا عنها غني، قال فإن كان في نفسك منها شيء فتصدق بها، فما خرج من سوق الرافقة حتى تصدق بها كلها.

وفضائل أبي إسحاق كثيرة، اختصرت منها حسب ما شرطت من الإيجاز من تاريخ دمشق لابن عساكر.

إبراهيم بن محمد سعدان بن المبارك

النحوي، أحد من كتب وصحح ونظر وحقق، وروى وصدق، وقد صنف كتباً حسنة، منها كتاب الخيل لطيف، كتاب حروف القرآن، وأبوه محمد بن سعدان المكفوف أحد أعيان أهل العلم من القراء، وله باب يذكر فيه.

إبراهيم بن القاسم الكاتب

يعرف بالرقيق القيرواني، والرقيق لقب له، رجل فاضل، له تصانيف كثيرة في علم الأخبار، ومنها كتاب تاريخ إفريقية والمغرب، عدة مجلدات، وكتاب النساء كبير، وكتاب الراح والارتياح كتاب نظم السلوك في مسامرة الملوك أربع مجلدات، وذكره ابن رشيق فقال: هو شاعر سهل الكلام محكمه لطيف الطبع قويه، تلوح الكتابة على ألفاظه، قليل صنعة الشعر، غلب عليه اسم الكتابة وعلم التاريخ وتأليف الأخبار، وهو بذلك أحذق الناس، وكاتب الحضرة منذ نيف وعشرين سنة إلى الآن، ومن شعره جواباً عن أبيات كتبها إليه عمار بن جميل، وقد انقطع عن مجالس الشراب:

قريض كابتسام الرو ... ض جمشه نسيم صبا

كعقد من جمان الط ... ل منظوم وما ثقبا

ومنثور كنثر الد ... رِّ من أسلاكه انسربا
فأهدى نشر زهرته ... فتيت المسك منتهبا
إذا أثماره جنيت ... جنيت العلم والأدبا
بهزل حين ينشده ... كأنك منتش طربا
حباك به أخ يرعى ... من العهد الذي وجبا
صديق مثل صفو الما ... ء بالصهباء قد قطبا
كنزت مودة منه ... كهت أن أكنز الذهبا
إذا عد امرؤ حسباً ... فحسبي ذكره نسباً
ألذ من الحياة لد ... يَّ لكن قلبه قلبا
فهان عليه ما ألقى ... وظن تجلدي لعبا
جفوت الراح عن سبب ... وكان لجفوتي سببا
فصرت لوحدتي كلاً ... على الإخوان مجتنبا
وذاك لتوبة أمل ... ت أن أقضي بها أربا
فها أنا نائب منها ... فزرني تبصر العجبا

وكان قدم مصر في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة بهدية من نصير الدولة باديس بن زيري إلى الحاكم، فقال قصيدة يذكر فيها المناهل، ثم قال:
إذا ما ابن شهر قد لبسنا شبابه ... بدا آخر من جانب الأفق يطلع
إلى أن أقرت جيزة النيل أعيناً ... كما قر عيناً ظاعن حين يرجع
يقول فيها بعد مدح كثير ووصف جميل:
هدية مأمون السريرة ناصح ... أمين إذا خان الأمين المضيع
وما مثل باديس ظهير خلافة ... إذا اختير يوماً للظهيرة موضع
نصير لها من دولة حاتمية ... إذا ناب خطب أو تفاقم مطمع
حسام أمير المؤمنين وسهمه ... وسم زعاف في أعاديه منقع
قال: ومن مليح كلامه قوله من قصيدةٍ:
إذا ارجحنت بما تحوي مآزرها ... وخف من فوقها خصر ومنتطق
ثنى الصبا غصناً قد غازلته صباً ... على كثيب له من ديمة لثق
للشمس ما سترت عنا معاجرها ... وللغزال احورار العين والعنق
مظلومة أن يقال البدر يشبهها ... البدر يكسف أحياناً وينمحق
يجلل المتن وحف من ذوائبها ... جبينها تحت داجي ليلة فلق
كأنها روضة زهراء حالية ... بنورها يرتعي في حسنها الحدق

قال ومن أعجب ما سمعت له قوله من قصيدة يمدح محمد بن أبي العرب:

أظالمة العينين يخلطها سحر ... وإ ظلم الخدان واهتضم الخصر

أعوذ ببرد من ثناياك قد ثنى ... إليك قلوباً حشو اثنائها جمر

لقد ضمنت أن ضمانتي ... ستبري عظامي بالنحول ولا تبرو

وما أم ساجي الطرف خفاقة الحشا ... أطاع لها الحوذان والسلم النضر

إذا ما رعاها نصت الجيد نحوه ... أغن قصير الخطو في لحظه فتر

بأملح منها ناظراً ومقلداً ... ولكن عداني عن تقنصها الهجر

يقول في مديحها:

تصباه أبكار العلا ليس أنها ... منعمة هيفاء أو غادة بكر

يخال بأن العرض غير موفر ... عن الذم إلا أن يدال له الوفر

يقول فيها يصف بلاغته وكتابته:

يوشح ديباج البلاغة أحرفا ... يكاد يرى روضاً يوشحه الزهر

ويفصح لفظاً خطها من فصاحة ... ويشرق من تحبير ألفاظها الحبر

يصيب عيون المشكلات بديهة ... وتبدى له أعقاب ما غيب الفكر

ثم ذكر الممدوح فقال:

وملمومة شهباء يسعى أمامها ... شهاب عزيم من طلائعه الذعر

يزجى بنات الأعوجية شزباً ... عليها بنو الهيجا دروعهم الصبر

أسود وغىً تحت العجاجة غابها ... سريجية بيض وخطية سمر

صبحت بها دهماء قوم أرتهم ... وجوه الردى حمراً خوافقها الصفر

قال: ومثل هذه القصيدة في الجودة قصيدة طويلة يتشوق فيها إخوانه بمصر وهي:

هل الريح إن سارت مشرقة تسري ... تؤدي تحياتي إلى ساكني مصر؟

فما خرطت إلا بكيت صبابة ... وحملتها ما ضاق عن حمله صدري

تراني إذا هبت قبولاً بنشرهم ... شممت نسيم المسك في ذلك النشر

وما أنس من شيء خلا العهد دونه ... فليس بخال من ضميري ولا فكري

ليال أنسناها على غرة الصبا ... فطابت لنا إذ واقعت غرة الدهر

لعمري لئن كانت قصاراً أعدها ... فلست بمعتد سواها من العمر

أخادع دهري أن يعود بفرصة ... فيفقد روح الوصل من راحة الهجر

وترجع أيام خلت بمعاهد ... من اللهو لا تنفك مني على ذكر

فكم لي بالأهرام أو دير نهية ... مصايد غزلان المكابد والقفر؟

إلى الجيزة الدنيا وما قد تضمنت ... جزيرتها ذات المواخير والجسر

وبالمقس فالبستان للعين منظر ... أنيق إلى شاطئ الخليج إلى القصر
وفي سردوس مستراد وملعب ... إلى دير مرحنا إلى ساحل البحر

وكم بين بستان الأمير وقصره ... إلى البركة الزهراء من زهر نضر؟
تراها كمرآة بدت في رفارف ... من السندس الموشى ينشر للتجر
وكم بت في دير القصير مواصلاً ... نهاري بليلي لا أفيق من السكر
تبادرني بالراح بكر غريرة ... إذا هتف الناقوس في غرة الفجر
مسيحية خوطية كلما انثت ... تشكت أذى الزنار من دقة الخصر
وكم ليلة لي بالقرافة خلتها ... لما نلت من لذاتها ليلة القدر
سقى الله صوب القصر تلك مغانياً ... وإن غنيت بالنيل من سبل القطر

وله أيضاً في الغزل:

رئم إذا ما معاريض المنى خطرت ... أجله المتمنى عن أمانيه
يا إخوتي أأقاحي فيه أقبل لي؟ ... أم خط راءين من مسك على فيه؟
أم حس ذاك التراخي في تكلمه ... أم حسن ذاك التهادي في تثنيه؟؟
أم سخطه أم رضاه أم تجنبه؟؟؟ ... أم عطفه أم نواه أم تدانيه؟؟
نفسي فداؤك مالي عنك مصطبر ... يا قاتلي كل معنى من معانيه

وقال يرثي:

أهون ما ألقى وليس بهين ... بأن المنايا للفوس بمرصد
وإني وإن لم ألقك اليوم رائحاً ... لصرف رزاياها لقيتك في غد
فلا يبعدنك الله ميتاً بقفرة ... معفر خد في الثرى لم يوسد
تردى نجيعاً حين بزت ثيابه ... كأن على أعطافه فضل مجسد
مضاء سنان في سنان مذلق ... وفتك حسام في حسام مهند

إبراهيم بن محمد بن عبيد الله بن المدبر

أبو إسحاق الكاتب الأديب الفاضل، الشاعر الجواد المترسل، صاحب النظم الرائق، والنثر الفائق، تولى الولايات الجليلة، ثم وزر للمعتمد على الله، لما خرج من سر من رأى بريد مصر، ومات في سنة تسع وسبعين ومائتين وهو يتقلد للمعتضد ديوان الضياع ببغداد.

وأصلهم من ستمسيان، وكان يدعي أنه من ضبة، وأخوه أحمد من جلة الكتاب وأفاضلهم وكرامهم، وحسدته الكتاب على منزلته من السلطان، فأغروه به، حتى أخرجه إلى دمشق متولياً عليها، وناظراً في تحصيل أموالها، وقبله ابن طولون في أمرٍ قد ذكرته في كتابي التاريخ.

وإبراهيم بن المدبر هو القائل في إبراهيم بن العباس الصولي يهجوه:

عز الطويل عن الأزمة ... لا رده ربي بذمه
إن كان طال فإنه ... من أقصر الثقلين همه
هب كنت صولاً نفسه ... من كان صول ناك أمه
ومن شعره أيضاً:
يا كاشف الكرب بعد شدته ... ومنزل الغيث بعد ما قنطوا
لا تبل قلبي بشحط بينهم ... فالموت دان إذا هم شحطوا
من كتاب نظم الجمان للمنذري، قال العطوي الشاعر: أتيت إبراهيم بن المدبر، فاستأذنت عليه، فلم يأذن لي حاجبه، فأخذت ورقة وكتبت فيها:
أتيتك مشتاقاً فلم أرَ جالساً ... ولا ناظراً إلا بوجه قطوب
كأني غريم مقتض أو كأنني ... نهوض حبيب أو حضور رقيب
فسألت الحاجب حتى أوصلها إليه، فلما قرأها قال: ويحك، أدخل علي هذا الرجل، فدخلت فأكرمني، وقضى حوائجي.

قال أبو علي: سمعت أبا محمد المهلبي يتحدث وهو وزير في مجلس أنس، أن رجلاً كان ينادم بعض الكتاب الظراف، وأحسبه قال: ابن المدبر قال: كنت عنده ذات يوم، فرجع غلام له أنفذه في شيء لا أدري ما هو، فقال له رب الدار ما صنعت؟ فقال ذهبت ولم يكن، فقام يجيء، فجاء، فلم يجيء، فجئت، قال فتبينت في رب الدار تغيراً وهماً، ولم يقل للغلام شيئاً، فعجبت من ذلك، ثم أخذ بيدي وقال: قد ضيق صدري ما جاء به هذا الغلام، فقم حتى تدور في البستان الذي في دارنا ونتفرج، فلعله يخف ما بي، فقلت: والله لقد توهمت أن صدرك قد ضاق بانقلاب كلام الغلام عليك، وقد فهمته وهو ظريف، فقال: إن هذا الغلام من أحصف وأظرف غلام يكون، وذاك أنني ممتحن بعشق غلام أمرد وهو ابن نجاد في جيراننا، والغلام يساعدني عليه، وأبوه يغار عليه، ويمنعه مني، فوجهت هذا الغلام، وقلت: إن لم يك أبوه هناك، فقل له يصير إلينا، فرجع، فلما رآك عندي، قدر أني لم أطلعك على الأمر فرد هذا الجواب الظريف الذي سمعته، فقلت: أعده علي أنت لأفهمه، فقال: إنه يقول: ذهبت إلى الغلام، ولم يكن أبوه هناك، فقام الغلام يجيء، فجاء أبوه، فلم يجيء الغلام فجئت أنا، فقلت له: هذا الغلام يجب أن يكون أخاً وصديقاً لا غلاماً، وقال مخلد بن علي الشامي الحوراني يهجو ابن المدبر:
على أبوابه من كل وجه ... قصدت له أخو مر بن أد
يعني ضبة بن أد، يعني أبوابه مضببة باللؤم أو محكمة عن الخير وكان ابن المدبر ينسب إلى ضبة:
أخو لخم أعارك منه ثوباً ... هنيئاً بالقميص لك الأجد
وأخو لخم يريد جذاماً.
أبوك أراد أمك حين زفت ... فلم توجد لأمك بنت سعد
بنت سعد يريد عذرة بن سعد بن هذيم القبيلة المعروفة.

وزبد في الهجاء بغير ذال ... أحب إليك من عسل بزبد
رأيتك لا تحب الود إلا ... إذا ما كان من عصب وجلد
أراني الله عرك في الجعبي ... وعينك عين بشار بن برد
العر: الجرب. والجعبي: الأست. وعين بشار: يعني أعمى لأن بشار بن برد كان أعمى.

إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال

ابن عاصم، بن سعد، بن مسعود، بعمرو، بن عمير، ابن عوف، بن عقدة، بن غبرة، بن عوف، بن ثقيف، الثقفي، أصله كوفي، وسعد بن مسعود، هو أخو عبيد بن مسعود، صاحب يوم الجسر، في أيام عمر بن الخطاب مع الفرس، وسعد هو عم المختار بن أبي عبيد الثقفي، ولاه علي كرم الله وجهه المدائن، وهو الذي لجأ إليه الحسن يوم ساباط، وكنية إبراهيم أبو إسحاق، وكان جباراً من مشهوري الإمامية، ذكره أبو جعفر محمد بن الحسين الطوسي في مصنفي الإمامية، وذكر أنه مات في سنة ثلاث وثمانين ومائتين قال وانتقل من الكوفة إلى أصفهان، وأقام بها، وكان زيدياً أولاً، وانتقل إلى القول بالإمامية.
وله مصنفات كثيرة، منها: كتاب المغازي، كتاب السقيفة، كتاب الردة، كتاب مقتل عثمان، كتاب الشورى، كتاب بيعة أمير المؤمنين، كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب الحكمين، كتاب النهر، كتاب الغارات، كتاب مقتل أمير المؤمنين، كتاب رسائل أمير المؤمنين وأخباره وحروبه، غير ما تقدم، كتاب قيام الحسن بن علي رضي الله عنهما، كتاب مقتل الحسين، كتاب التوابين وعين الوردة، كتاب أخبار المختار، كتاب فدك: كتاب الحجة في فعل المكرمين، كتاب السرائر، كتاب المودة في ذوي القربى، كتاب المعرفة، كتاب الحوض والشفاعة، كتاب الجامع الكبير في الفقه، كتاب الجامع الصغير، كتاب ما نزل منن القرآن في أمير المؤمنين، كتاب فضل الكوفة، ومن نزلها من الصحابة، كتاب الإمامة كبير، كتاب الإمامة صغير، كتاب المتعتين، كتاب الجنائز، كتاب الوصية، كتاب المبتدإ كتاب أخبار عمر، كتاب أخبار عثمان، كتاب الدار، كتاب الأحداث، كتاب الحرورية، كتاب الاستيفاء والغارات، كتاب السير، كتاب يزيد، كتاب ابن الزبير، كتاب التعبير، كتاب التاريخ، كتاب الرؤيا، كتاب الأشربة الكبير والصغير، كتاب محمد وإبراهيم، كتاب من قتل من آل محمد، كتاب الخطب.

إبراهيم بن محمد بن أحمد بن أبي عون

ابن هلال أبي النجم الكاتب أبو إسحاق، صاحب كتاب التشبهات لابن أبي عون، وكان من أصحاب أبي جعفر محمد بن علي الشلمغاني، المعروف بابن أبي العزاقر، وأحد ثقاته، وممن كان يغلو في أمره، ويدعي أنه إلهه، تعالى الله عن ذلك، وكان ابن أبي العزاقر من أهل قرية من قرى واسط، تعرف بشلغمان، وكان كاتباً ببغداد.
ذكر ثابت أن المحسن بن الفرات، كان له عناية به، فاستخلفه ببغداد لجماعة من العمال بنواحي السلطان،

وكانت صورته صورة الحلاج، وكان له قوم يدعون أنه إلههم، وأن روح الله عز وجل حل في آدم، ثم في شيث، ثم في واحد واحد من الأنبياء والأوصياء، والأئمة، حتى حل في الحسن بن علي العسكري، وأنه حل فيه، ووضع كتاباً سماه الحاسة السادسة، وأباح الزنا والفجور، فظفر به الراضي بالله، فقتله في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وكان قد استغوى جماعة، منهم: ابن أبي عون صاحب كتاب التشبيهات، وكانوا يبيحونه حرمهم، وأموالهم يتحكم فيها، وكان يتعاطى الكمياء وله كتب معروفة ولما أخذ ابن أبي العزاقر، أخذ معه، فلما قتل ابن أبي العزاقر، عرض على إبراهيم بن أبي عون أن يشتمه، أو يبصق عليه، فأبى وأرعد وأظهر خوفاً من ذلك للحين، والشقاء، فقتل، وألحق بصاحبه، وكان من أهل الأدب، وتأليف الكتب، وكان ناقص العقل متهوراً.

قال ثابت: قيل إن أبا جعفر محمد بن علي الشلمغاني المعروف بابن أبي العزاقر ادعى الربوبية فقتل هو وإبراهيم ابن محمد بن أحمد بن أبي النجم، المعروف بابن أبي عون صاحبه، ضربا بالسوط، ثم ضربت أعناقهما وصلبا، ثم أحرقت جثتهما، وذلك يوم الثلاثاء، لليلة خلت من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، نقلته من خطه، وله من التصانيف كتاب النواحي والبلدان، كتاب الجوابات المسكتة، وكتاب التشبيهات، كتاب بيت مال السرور، كتاب الدواوين. كتاب الرسائل.

قال المرزباني: أبو عون أحمد بن أبي النجم الكاتب الأنباري، مولى لبني سليم، وأبو عون وعماه صالح وماجد ابنا أبي النجم شعراء كلهم، وماجد يكنى أبا الدميل، وأبو عون هو القائل في حاتم بن الفرج وكان أبو شبل البرجمي الشاعر في قدمته سر من رأى نزل عليه، وكان أبو شبل أهتم، فقال فيه أبو عون:

لحاتم في بخله فطنة ... أدق حساً من خطى النمل

قد جعل الهتمان ضيفانه ... فصار في أمنٍ من الأكل

ليس على خبز امرئ ضيعة ... آكله عصم أبو شبل

كم قدر ما كله كفه ... إلى فم من سنه عطل؟

فحاتم الجود أخو طيء ... كان وهذا حاتم البخل

وذكر أبو محمد عبد الله بن أحمد الفرغاني، وكان ابن أبي عون أحد القواد، ممن قربه إليه أبو الهيثم العباس بن محمد بن ثوابة، وأكسبه مالاً، فلما قبض على أبي الهيثم صار ابن أبي عون عوناً عليه مع أعدائه، وكان فيمن وكله بدار أبي الهيثم، ولم يحسن إليه أبو الهيثم إلا على بصيرة فيه بظلمه وفسقه، فسلطه الله عليه، كما كان هو يسلطه على الناس، قال ابن أبي عون: أظن أن أبا الهيثم كان يهودياً، قيل: وكيف ذلك؟ قال لأني أخذت غلاماً له ففسقت به في دبره وسكرت، وطلبت أم ولده لأفجر بها، ولم أقدر عليها، ولو كان أبو الهيثم مسلماً لغضب الله له، وهذا قول متمرد على الله، مستغر بإمهال الله تعالى له، ولم يهمله الله عز وجل، ثم أخذه بسوء عمله، وكان ممن آمن بالحلاج وآمن بربوبيته، وأخذ مع من أخذ من أصحاب الحلاج، وقتل شر قتلة، كذا قال الحلاج، إنما هو ابن أبي العزاقر، وإن كانت علتهما واحدة.

وقرأت بمرو رسالة كتبت من بغداد عن أمير المؤمنين الراضي رضي الله عنه إلى أبي الحسين نصر بن أحمد الساماني والي خرسان بقتل العزاقري، لخصت ما يتعلق بابن أبي عون، قال فيها بعد أن ذكر أول من أبدع

مذهباً في الإسلام من الرافضة وأهل الأهواء، وآخر من اضطر المقتدر بالله رحمه الله فانتقم منهم من المعروف بالحلاج، وخبره أرفع وأشهر من أن يوصف ويذكر، وأراق دمه وأزال تمويهه وحسمه.

ولما ورث أمير المؤمنين ميراث أوليائه، وأحله الله محل خلفائه، اقتدى بسنتهم، وجرى على شاكلتهم، في كل أمر قاد إلى مصلحة، ودفع ضرر، وعاد إلى الإسلام وأهله بمنفعة، وجعل الغرض الذي يرجو الإصابة بتيممه، والمثوبة بتعمده، أن يتتبع هذه الطبقة من الكفار، ويطهر الأرض من بقيتهم، الفجار، فبحث عن أخبارهم، وأمر بتقصص آثارهم، وأن ينهي إليه ما يصح من أمورهم، ويحصل له ما يظهر عليه من جمهورهم، فلم يعد أن أحضر أبو علي محمد وزير أمير المؤمنين رجلاً، يقال له محمد بن علي الشلغماني، ويعرف بابن أبي العزاقر، فأعلم أمير المؤمنين أنه من غمار الناس وصغارهم، ووجوه الكفار وكبارهم، وأنه قد استنزل خلقاً من المسلمين، وأشرك طوائف من العمهين، وأن الطلب قد كان لحقه في الأيام الخالية فلم يدرك، وأودعت المحابس قوماً ممن ضل وأشرك، فلما رفع حكمه عنه، وأذن في استنقاذ العباد منه، واطلع من أبي عليّ على صفاء نية، ونقاء طوية، في ابتغاء الأجر، وطلابه رضا الله عز وجل واكتسابه، والامتعاض من أن ينازع في الإلهية، أو يضاهي في الربوبية، آنسه بناحيته فاسترسل، وحثه بالمصير إلى حضرته، فتعجل، ففحص أمير المؤمنين عنه، ووكل إليه همه ففتش أمره تفتيش الحائط للمملكة، المحامي عن الحوزة، القائم بما فوضه الله إليه من رعاية الأمة، ووقف أمير المؤمنين على أنه لم يزل يدخل على العقول من كل مدخل، ويتوصل إلى ما فيها من كل متوصل، ويعتزى إلى الملة وهو لا يعتقدها، وينتمي إلى الخلة وهو عار منها، ويدعي العلوم الإلهية وهو عمٍ عنها، ويحقق استخراج الحكم الغامضة وهو جاهل بها، ويتسم بالقدرة على المعجزات، وهو عاجز عن ممكن الأشياء ومتهيئها، وينتحل الثقة في دين آل محمد، وهو يضمر التبرؤ منها، ويشنؤه ويسبه صلى الله عليه وسلم ويعظمه، يرمق ظاهره العيون، فيصرف عنه الظنون، إلى أن دلته الحيلة والمكر والغيلة، على قوم من ذوي الجدة واليسار والثروة والاحتكار، قد أترفهم النعيم فبطروا، وألهاهم فأشروا، ولججهم في بحار اللذة وتولجوها على كل علة، والتمسوا في ذلك رخصة يجعلونها لأنفسهم عمدة وعصمة، وآخرين لا جدة عندهم ولا سعة، قد قويت شهواتهم، وضعفت حالاتهم، فهم يطلبون أقواتهم بالحق والباطل، ويخوضون في مثلها مع الجاد والهازل، فأباحهم المحظورات، وأحل لهم المحرمات، وامتطى لهم مركب الغرور، وتهور بهم غايات الأمور، ولم يدع فناً من الفنون، ولا نوعاً من الأنواع المخزية إلا فسح لهم فيه، وشحذ عزائمهم عليه، حتى دان له واتبعه وأطاعه وشايعه خلق رين على قلوبهم، فهم لا يفقهون، وضرب على آذانهم، فهم لا يسمعون، وغطيَ على أعينهم، فهم لا يبصرون، وحيل بينهم وبي الرشد، فهم لا يرعوون وأنسوا التدبر والتفكر في خلق أنفسهم، والسماء التي تظللهم، والأرض التي تقلهم فأصفقوا بأجمعهم على أنه خالقهم، وربهم ورازقهم، ومحييهم، يحل فيما شاء من الصور، ويحدث ما شاء من الغير، ويفعل ما يريد، ولا يعجزه قريب ولا بعيد، وادعوا له الدعاوى الباطلة، وزعموا أنهم عاينوا منه الآيات المعضلة، واستظهر أمير المؤمنين، بأن تقدم إلى أبي عليٍّ بمواقفة هذا اللعين على تمويهاته، وقبائح تلبيساته، ليكون إقامة أمير المؤمنين حد الله عليه، بعد الإنعام في الاستبصار، وانكشاف الشبهة فيه عن القلوب

والأبصار، فتجرد أبو علي في ذلك وتشمر، وبلغ منه وما قصر وانثال عليه كل من اطلع على الحقيقة، وتعرف جلية الصورة فوقف أبو علي على أن العزاقري يدعي أنه لحق الحق، وأنه إله الآلهة، الأول القديم، الظاهر، الباطن، الخالق، الرازق، التام، الموصى إليه بكل معنى، ويدعى بالمسيح، كما كانت بنو إسرائيل تسمي الله عز وجل المسيح، ويقول: إن الله جل وعلا، يحل في كل شيء، على قدر ما يحتمل، وأنه خلق الضد ليدل به على مضدوده، فمن ذلك أنه جلى في آدم لعيه السلام لما خلقه، وفي إبليس، وكلاهما لصاحبه يدل عليه لمضادته إياه في معناه، وأن الدليل على الحق أفضل من الحق، وأ الضد أقرب إلى الشيء من شبهه، وأن الله عز وجل إذا حل في هيكل جسد ناسوتي، أظهر من القدرة المعجزة ما يدل على أنه هو، وأنه لما غاب آدم عليه السلام، ظهر اللاهوت في خمسة ناسوتية، كلما غاب منهم واحد، ظهر مكانه غيره، وفي خمسة أبالسة أضداد لتلك الخمسة، ثم اجتمعت اللاهوتية في إدريس عليه السلام

وإبليسه، وتفرقت بعدهما، كما تفرقت بعد آدم عليه السلام واجتمعت في نوح عليه السلام وإبليسه، وتفرقت عند غيبتهما، حسب ما تقدم ذكره، واجتمعت في صالح وإبليسه عاقر الناقة، وتفرقت بعدهما، واجتمعت في إبراهيم وإبليسه نمرود، وتفرقت بعدهما، واجتمعت في هارون وإبليسه فرعون، وتفرقت على الرسم بعدهما، واجتمعت في داود عليه السلام وإبليسه جالوت، وتفرقت لما غاب، واجتمعت في سليمان عليه السلام وإبليسه، وتفرقت كعادتها بعدهما، واجتمعت في عيسى عليه السلام وإبليسه، ولما غاب تفرقت في تلامذة عيسى كلهم عليهم السلام، والأبالسة معهم، واجتمعت في علي بن أبي طالب وإبليسه، وتفرقت بعدهما، إلى أن اجتمعت في ابن أبي العزاقر وإبليسه، ويصف أن الله عز وجل يظهر في كل شيء بكل معنى، وأنه في كل أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه، فيتصور له ما يغيب عنه كأنه يشاهده، وأن الله اسم لمعنى، ومن احتاج إليه الناس فهو إلههم، ولهذا يستوجب كل كفيٍّ أن يسمى الله، وأن كل واحد من أشياعه لعنه الله يقول: إنه رب لمن هو دون درجته، وأن الرجل منهم يقول: إني رب فلان، وفلان رب فلان، حتى الانتهاء إلى ابن أبي العزاقر، لعنه الله، فيقول أنا رب الأرباب، وإله الآلهة، لا ربوبية لرب بعدي، وأنهم لا ينسبون الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، لأن من اجتمعت له اللاهوتية لم يكن له والد ولا ولد، وأنهم يسمون موسى ومحمداً صلى الله عليهما الحائنين، لأنهم يدعو أن هارون أرسل موسى عليهما السلام، وأن علياً رضي الله عنه، أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم فخاناهما، ويزعمون أن علياً أمهل النبي صلى الله عليه وسلم عدة أيام أصحاب الكهف سنين، فإذا انقضت هذه المدة وهي خمسون وثلاثمائة سنة تنقلب الشريعة، ويصفون أن الملائكة كل من ملك نفسه، وعرف الحق ورآه، وأن الحق حقهم، وأن الجنة معرفتهم، وانتحال نحلتهم، والنار الجهل بهم، والصدود عن مذهبهم، ويغتفرون ترك الصلاة والصيام والاغتسال، ويذكرون أن من نعم الله على العبد، أن يجمع له اللذتين، وأنهم لا يتناكحون بتزويج على السنة، ولا بحال تأول أو رخصة، ويبيحون الفروج ويقولون: إن محمداً عليه السلام بعث إلى كبراء قريش وجبابرة العرب، وقلوبهم قاسية، ونفوسهم آبية، فكان من الحكمة ما طالبهم به من السجود، وأن من الحكمة الآن أن يمتحن الناس في إباحة فروج حرمهم، وأن لا شيء عندهم في ملامسة الرجل نساء

ذوي رحمه، وحرم صديقه وأبيه بعد أن يكون على مذهبه، ولا ينكرون أن يطلب أحدهم من صاحبه حرمته ويردها إليه، فيبعث بها طيبة نفسه، وأنه لابد للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النور فيه. وابن أبي العزاقر له في هذه الخصلة كتاب، سماه كتاب الحاسة السادسة، وقال: إنه متى أبى ذلك آب قلب في الكون الذي يجيء بعد هذا امرأة، إذ كان يحقق التناسخ وأنه ومن معه يرون البراءة من الطالبيين، كما يرونها من العباسيين، ويدعون إلى أنفسهم دون غيرهم، إذ كان الحق عندهم، ويظهر فيهم، ووجد كتاب من الحسين ابن القاسم، بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، قيل إنه إلى إبراهيم بن محمد، بن أحمد بن أبي النجم، المعروف بابن أبي عون، أحد وجوه العزاقرية، ترجمته:إبليسه، وتفرقت بعدهما، كما تفرقت بعد آدم عليه السلام واجتمعت في نوح عليه السلام وإبليسه، وتفرقت عند غيبتهما، حسب ما تقدم ذكره، واجتمعت في صالح وإبليسه عاقر الناقة، وتفرقت بعدهما، واجتمعت في إبراهيم وإبليسه نمرود، وتفرقت بعدهما، واجتمعت في هارون وإبليسه فرعون، وتفرقت على الرسم بعدهما، واجتمعت في داود عليه السلام وإبليسه جالوت، وتفرقت لما غاب، واجتمعت في سليمان عليه السلام وإبليسه، وتفرقت كعادتها بعدهما، واجتمعت في عيسى عليه السلام وإبليسه، ولما غاب تفرقت في تلامذة عيسى كلهم عليهم السلام، والأبالسة معهم، واجتمعت في علي بن أبي طالب وإبليسه، وتفرقت بعدهما، إلى أن اجتمعت في ابن أبي العزاقر وإبليسه، ويصف أن الله عز وجل يظهر في كل شيء بكل معنى، وأنه في كل أحد بالخاطر الذي يخطر بقلبه، فيتصور له ما يغيب عنه كأنه يشاهده، وأن الله اسم لمعنى، ومن احتاج إليه الناس فهو إلههم، ولهذا يستوجب كل كفيٍّ أن يسمى الله، وأن كل واحد من أشياعه لعنه الله يقول: إنه رب لمن هو دون درجته، وأن الرجل منهم يقول: إني رب فلان، وفلان رب فلان، حتى الانتهاء إلى ابن أبي العزاقر، لعنه الله، فيقول أنا رب الأرباب، وإله الآلهة، لا ربوبية لرب بعدي، وأنهم لا ينسبون الحسن والحسين رضي الله عنهما إلى علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، لأن من اجتمعت له اللاهوتية لم يكن له والد ولا ولد، وأنهم يسمون موسى ومحمداً صلى الله عليهما الحائنين، لأنهم يدعو أن هارون أرسل موسى عليهما السلام، وأن علياً رضي الله عنه، أرسل محمداً صلى الله عليه وسلم فخاناهما، ويزعمون أن علياً أمهل النبي صلى الله عليه وسلم عدة أيام أصحاب الكهف سنين، فإذا انقضت هذه المدة وهي خمسون وثلاثمائة سنة تنقلب الشريعة، ويصفون أن الملائكة كل من ملك نفسه، وعرف الحق ورآه، وأن الحق حقهم، وأن الجنة معرفتهم، وانتحال نحلتهم، والنار الجهل بهم، والصدود عن مذهبهم، ويغتفرون ترك الصلاة والصيام والاغتسال، ويذكرون أن من نعم الله على العبد، أن يجمع له اللذتين، وأنهم لا يتناكحون بتزويج على السنة، ولا بحال تأول أو رخصة، ويبيحون الفروج ويقولون: إن محمداً عليه السلام بعث إلى كبراء قريش وجبابرة العرب، وقلوبهم قاسية، ونفوسهم آبية، فكان من الحكمة ما طالبهم به من السجود، وأن من الحكمة الآن أن يمتحن الناس في إباحة فروج حرمهم، وأن لا شيء عندهم في ملامسة الرجل نساء ذوي رحمه، وحرم صديقه وأبيه بعد أن يكون على مذهبه، ولا ينكرون أن يطلب أحدهم من صاحبه حرمته ويردها إليه، فيبعث بها طيبة نفسه، وأنه لابد للفاضل منهم أن ينكح المفضول ليولج النور فيه. وابن أبي العزاقر له في هذه الخصلة كتاب، سماه كتاب الحاسة السادسة، وقال: إنه متى أبى ذلك آب قلب في الكون الذي يجيء بعد هذا امرأة، إذ كان يحقق

التناسخ وأنه ومن معه يرون البراءة من الطالبيين، كما يرونها من العباسيين، ويدعون إلى أنفسهم دون غيرهم، إذ كان الحق عندهم، ويظهر فيهم، ووجد كتاب من الحسين ابن القاسم، بن عبيد الله بن سليمان بن وهب، قيل إنه إلى إبراهيم بن محمد، بن أحمد بن أبي النجم، المعروف بابن أبي عون، أحد وجوه العزاقرية، ترجمته:

إلى مولاي بشرى، من غلامه مرزوق الثلاج، المسكين الفقير، الذي بفضل الله يجمع الله بينه وبينه، في خير وعافية برحمته، يقول في فصل منه: على مولاي أعتمد، وهو حسبي، وفي فصل آخر: ومولاي أهل للتفضل علي، ورحمة ضعفي، وأرجو ألا يتأخر بفضله عني، وينجزني وعده، وعيني ممدودة إلى تفضل مولاي، وأسأله به إعانتي، فسئل ابن أبي العزاقر عن ذلك الكتاب، فكتب بيده؟ إنه بخط الحسين بن علي بن القاسم، إلى ابن أبي عون، ووافق ابن أبي عون على ذلك لأن الله أظفر به ومكن منه، ورداه رداء ما عمل، ووفاه غاية ما كتب له من المهل، واعترف بأنه كتاب الحسين ابن علي بن القاسم إليه، وأن ما على عنوانه صحيح، وأنه هو بشرى، وأن مرزوقاً الثلاج هو الحسين بن القاسم، وكتب ذلك بخطه، وأشهد جماعة من العدول على ما اعترف به: ووجدت رقعة لابن أبي عون هذا بخطه، إلى بعض نظرائه، يخاطبه فيها كما يخاطب الإنسان ربه، تبارك وتعالى، ويقول في بعض فصولها: لك الحمد، وكل شيء، وما شئت كان، ربي، وفي فصل آخر منها: ولك الحمد على تشريفك وتقريبك، فوقف عليها، واعترف بها، وأشهد على نفسه عدة من العدول بصحتها.

ووجدت رقعة من المعروف بابن شيث الزيات، إلى ابن أبي عون هذا، يقول فيها: يا مولاي، عوائد مولاي عندي لطيفة، ورحمته وتفضله، وجميل إحسانه بامتنانه علي على كل حال، وائتناسي تفضل منه ورحمة، فأسأله بجوده، أن يتمم ما تفضل به، ولا يسلبني إياه، فإن نعمه عليّ ظاهرة وباطنة، قد ألبسني عافيته، وأصلح شأني، واصلح ولدي، ورزقني القناعة، وفي ذلك الغناء الأكبر، وأكبر منه تفضله عليّ بأمر عظيم، لا يجازى بشكر، ولا يسعه إلا تفضله، فإن مولاي الكبير، دعاني ابتداء فصرت إليه، فقربني وأدناني، ومنّ علي بحديثه، وسقاني بعد جهد بيده، وقربني غاية القرب، ومع هذه الحالة العظيمة، وإعطائه لي الملك الخفي، فقد صحا قلبي عن كل كسر كان فيه، وكل شدة جرت، وفعل بي ما لم يفعله بالثلاج، وأرجو أن يمن مولاي بإتمام صلاحي ديناً ودنيا، والمنة لمولاي، وأسأل مولاي الإحسان والتفضل، فإني فقير على كل حال، وأرجو منه توسعة في كل ضيق، وأمناً من كل خوف وأماناً من الشدائد، وما هو أولى به مما لا أعلمه وهو القادر عليه، والرحيم فيه، بمنه وجميل إحسانه، وهو حسبي ونعم الوكيل.

واعترف ابن أبي عون أنها إليه، وأن المخاطبة فيها له، وأن ابن شيث أراد بقوله " مولاي الكبير " ، ابن أبي العزاقر، وبقوله " الثلاج " الحسين بن القاسم، وأعطى بذلك خطه، وأشهد به، ووجد هذا الرجل مستبصراً في كفره، مستظهراً في أمره، مستقصياً في طريق غيه، ماضياً في عنان شركه وإفكه، حتى إنه كلف التبرؤ من ابن أبي العزاقر لعنه الله ونيله بإهانة يصغر بها قدره، فامتنع من ذلك وأبى، وحاد عنه واستعصى، إلى أن لم يجد محيصاً، فمد يده إلى لحيته، على سبيل توقير وتكريم، وإجلال وتعظيم، وصرف تعد، وإماطة الأذى،

وقال معلناً غير مخافت، " مولاي مولاي " هذا إلى ما وجد بخطه، وخطوط نظرائه، من الكبائر التي لا تسوغ في الدين، ولا يحتملها ذو يقين، وإلى ما رسمته هذه الفرقة من الأدعية، التي موهت بها على أهل الوكالة، والغباوة، وإذا تأملها أولو الروية والرواية، وجدت مباينة لما ألف في الشريعة، مشوبة بالمكر والتدليس، مشحونة بالختل والتلبيس، محلة دم مبتدعها، والمتمسك بها، واستفتى أبو علي القضاة والفقهاء، في أمر ابن أبي العزاقر وصاحبه هذا الكافر، وسائر من على مذهبه، ممن وجدت له كتب ومخاطبة، ومن لم يوجد له ذلك، فأفتى من استفتى منهم بقتلهم، وأباحوا دماءهم، وكتبوا بذلك خطوطهم، فأمر أمير المؤمنين بإحضار ابن أبي العزاقر اللعين، وابن أبي عون صاحبه، وضريبه وتابعه، وأن يجلدا، ليراهما من سمع بهما، ويتعظ بما نزل من العذاب بساحتهما، ويتبين من دان بربوبية ابن أبي العزاقر عجزه عن حراسة نفسه، وأنه لو كان قادراً، لدفع عن مهجته، ولو كان خالقاً دفع وكشف الضر عن جسده، ولو كان رباً لقبض الأيدي عن نكايته.

وجدد أمير المؤمنين الاستظهار، والحزم والروية فيما يمضيه عن العزم، وأحضر عمر بن محمد القاضي بمدينة السلام، والعدول بها، والفقهاء من أهل مجلسه، وسألهم عما عندهم، مما انكشف من أمر ابن أبي العزاقر، وأمور أهل دعوته، وغيه وضلالته، فأقامت الكافة على رأيها في قتله، وتطهير الأرض من رجسه، ورجس مثله، وزال الشك في ذلك عن أمير المؤمنين بالفتيا، وإجماع القاضي والفقهاء، وبما وضح من إزلال هذا الضلال المسلمين، وإفساد الدين، وذلك أعظم وأثقل وزراً من الإفساد في الأرض، والسعي فيها بغير الحق، وقد استحق من جرى هذا المجرى القتل، فأوعز أمير المؤمنين بصلبه وصلب ابن أبي عون، بحيث يراهما المنكر والعارف، ويلحظهما المجتاز والواقف، فصلبا في أحد جانبي مدينة السلام، ونودي عليهما بما حاولاه من إبطال الشريعة. ورأياه من إفساد الديانة. ثم تقدم أمير المؤمنين بقتلهما، ونصب رؤوسهما، وإحراق أجسامهما، ففعل ذلك بمشهد من الخاصة والعامة، والنظارة والمارة.

إبراهيم بن محمد نفطويه

هو إبراهيم بن محمد، بن عرفة بن سليمان، بن المغيرة ابن حبيب بن المهلب، بن أبي صفرة، العتكي الأزدي من أهل واسط وكنيته أبو عبد الله.
قال الثعالبي: لقب نفطويه تشبيهاً إياه بالنفط، لدمامته وأدمته، وقدر اللقب على مثال سيبويه لأنه كان ينسب في النحو إليه، ويجري في طريقته، ويدرس شرح كتابه، وأنشدوا: لو أنزل النحو على نفطويه: قال وقد صيره ابن بسام نفطوية بضم الطاء وتسكين الواو وفتح الياء فقال:
رأيت في النوم أبي آدماً ... صلى عليه الله ذو الفضل
فقال أبلغ ولدي كلهم ... من كان في حزن وفي سهل
بأن حوا أمهم طالق ... إن كان نفطوية من نسلي
كان عالماً بالعربية، واللغة، والحديث، أخذ عن ثعلب، والمبرد، وغيرهما، روى عنه أبو عبيد الله المرزباني،

وأبو الفرج الأصبهاني، وابن حيوية، وغيرهم، ذكره المرزباني في المقتبس، فقال: ولد في سنة أربع وأربعين ومائتين قال: ومات رحمه الله يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وحضرت جنازته عشاء، ودفن في مقابر باب الكوفة، وصلى عليه البربهاري، وكان يخضب بالوسمة، قال: وكان من طهارة الأخلاق، وحسن المجالسة، والصدق فيما يرويه، على حلا ما شاهدت عليها أحداً ممن لقيناه.

وكان يقول: جلست إلى هذه الأسطوانة مذ خمسون، يعني محلته بجامع المدينة، وكان حسن الحفظ للقرآن، أول ما يبتدئ به في مجلسه بمسجد الأنباريين بالغدوات، إلى أن يقرئ القرآن، على قراءة عاصم، ثم الكتب بعده، وكان فقيهاً، عالماً بمذهب داود الإصبهاني، رأساً فيه، يسلم له ذلك جميع أصحابه، وكان مسنداً في الحديث من أهل طبقته، ثقة، صدوقاً، لا يتعلق عليه شيء من سائر ما رووه، وكان حسن المجالسة للخلفاء والوزراء، متقن الحفظ للسيرة، وأيام الناس، وتواريخ الزمان، ووفاة العلماء وكانت له مروءة، وفتوة وظرف.

ولقد هجم علينا يوماً ونحن في بستان كان له بالزبيدية في سنة عشرين، أو إحدى وعشرين وثلاثمائة، فرآنا على حال تبذل، فانقبضت: وذهبت أعتذر إليه: فقال: في التعاقل على التبذل سخف، ثم أنشدنا لنفسه:

لنا صديق غير عالي الهمم ... يحصي على القوم سقاط الكلم

ما استمتع الناس بشيء كما ... يستمتع الناس بحسم الحشم

قال المرزباني: وكان يقول من الشعر المقطعات، في الغزل، وما جرى مجراها: كما يقول المتأدبون، وسنورد من ذلك فيما بعد إن شاء الله حسب الكفاية.

وكان بين أبي عبد الله فطويه، وبين محمد بن الأصبهاني مودة أكيدة، وتصاف تام، وكان ابن داود يهوى أبا الحسين محمد بن جامع الصيدلاني، هوىً أفضى به إلى التلف. وقال ابن عرفة نفطويه، فدخلت عليه في مرضه الذي مات فيه، فقلت يا سيدي ما بك؟ فقال: حب من تعلم، أورثني ما ترى، فقلت: ما يمنعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟ فقال: الاستمتاع نوعان: محظور، ومباح، أما المحظور، فمعاذ الله منه، وأما المباح فهو الذي صيرني إلى ما ترى، ثم قال: حدثني سويد بن سعيد الحدثاني، عن أبي يحيى القتات عن مجاهد، عن ابن عباس، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من حب فعف وكتم، ثم مات، مات شهيداً " ثم غشي عليه ساعة، وأفاق، ففتح عينيه، فقلت له أرى قلبك قد سكن، وعرق جبينك قد انقطع، وهذا أمارة العافية، فأنشأ يقول:

أقول لصاحبي وسلياني ... وغرهما سكون حمى جبيني

تسلوا بالتعزي عن أخيكم ... وخوضوا في الدعاء وودعوني

فلم ادع الأنين لضعف سقم ... ولكني ضعفت عن الأنين

ثم مات من ليلته، وذلك في سنة سبع وتسعين ومائتين فيقال إن نفطويه تفجع عليه، وجزع جزعاً عظيماً، ولم يجلس للناس سنة كاملة، ثم ظهر بعد السنة فجلس، فقيل له في ذلك فقال: إن أبا بكر بن داود قال لي

يوماً، وقد تجارينا حفظ عهود الأصدقاء، فقال: أقل ما يجب للصديق أن يتسلب على صديقه سنة كاملة، عملاً بقول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

فحزنا عليه سنة كما شرط.

قال المؤلف لهذا الكتاب: وأخبار أبي بكر بن داود كثيرة، مليحة رائقة، وقد أفردنا له باباً في هذا الكتاب، فقف عليه تطرب وتعجب، قال المرزباني: ومما أنشدنا لنفسه في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة:

غنج الفتور يجول في لحظاته ... والورد غض النبت في وجناته

وتكل ألسنة الورى عن وصفه ... أو أن تروم بلوغ بعض صفاته

لا يعرف الإسعاف إلا خطرة ... لك طول الصد من عزماته

لا يستطيع نعم ولا يعتادها ... بل لا يسوغ لعل في لهواته

قال وأنشدنا لنفسه:

تشكو الفراق وأنت تزمع رحلة ... هلا أقمت ولو على جمر الغضا

فالآن عذ بالصبر أو مت حسرة ... فعسى يرد لك النوى ما قد مضى

قال وأنشدنا لنفسه:

أتخالني من زلة أتعتب ... قلبي عليك أرق مما تحسب

قلبي وروحي في يديك وإنما ... أنت الحياة فأين منك المهرب

قال مؤلف الكتاب: ولم يورد أبو عبيد الله إلا هذين البيتين، وأنشدني بعض الأصدقاء، البيت الأول منها، وأتبعه بما لا أعلم، أهو من قول نفطويه أو غيره، وهو:

لا يوحشنك ما صنعت فتثني ... متجنباً فهواك لا يتجنب

أنت البريء من الإساءة كلها ... ولك الرضى وأنا المسيء المذنب

وحياة وجهك وهو بدر طالع ... وسواد شعرك وهو ليل غيهب

ما أنت إلا مهجتي وهي التي ... أحيا بها أترى على من أغضب؟

قال المرزباني وأنشدني لنفسه:

كفى بالهوى بلوى وبالحب محنة ... وبالهم تعذيباً وبالعذل مغرما

أما والذي يقضي الأمور بأمره ... فما شاء أمضاه وما شاء أحكما

لقد حملتني صبوتي وصبابتي ... من الشوق ما أضنى الفؤاد وتيما

قال وأنشدنا لنفسه:

تجل بلواي عن البلوى ... ويذهل القلب عن الشكوى

يظلمني من لا أرى ظلمه ... وما عليه لي من عدوى

عذبني الحب ولكني ... لا أطلب الراحة بالبلوى

سلط من أهوى علي الضنى ... لا آخذ الله الذي أهوى

قال: وله:

لك خد تذيبه الأبصار ... يخجل الورد منه والجلنار

لا تغيبي ع ناظري فإني ... أنا من لحظتي عليك أغار

وكان بين نفطويه وابن دريد مماظة فقال فيه لما صنف كتاب الجمهرة:

إبن دريد بقره ... وفيه لؤم وشره

قد ادعى بجهله ... جمع كتاب الجمهرة

وهو كتاب العين إلا ... أنه قد غيره

فبلغ ذلك ابن دريد فقال يجيبه:

لو أنزل الوحي على نفطويه ... لكان ذاك الوحي سخطاً عليه

وشاعر يدعى بنصف اسمه ... مستأهل للصفع في أخدعيه

أحرقه الله بنصف اسمه ... وصير الباقي صراخاً عليه

وحدث ابن شاذان قال: بكر نفطويه إلى درب الرواسين، فلم يعرف الموضع، فتقدم إلى رجل يبيع البقل، فقال له: أيها الشيخ، كيف الطريق إلى درب الرواسين؟ قال فالتفت البقلي إلى جار له، فقال: يا فلان ألا ترى إلى الغلام فعل الله به وصنع، قد احتبس علي، فقال وما الذي تريد منه؟ فقال عوق السلق علي، فما عندي ما أصفع به هذا العاض بظر أمه، فانسل ابن عرفة ولم يجبه، وأنشد الخطيب لنفطويه:

كم قد خلوت بمن أهوى فيمنعني ... منه الحياء وخوف الله والحذر

كم قد خلوت بمن أهوى فيقنعني ... منه الفكاهة والتحديث والنظر

أهوى الملاح وأهوى أن أجالسهم ... وليس لي في سواه منهم وطر

كذلك الحب لا إتيان معصية ... لا خير في لذة من بعدها سقر

ومنه:

أستغفر الله مما يعلم الله ... إن الشقي لمن لم يرحم الله

هبه تجاوز لي عن كل مظلمة ... واسوءتا من حياء يوم ألقاه

وذكره الزبيدي في كتابه، فقال: كان بخيلاً، ضيقاً في النحو، واسع العلم بالشعر.

قال أبو هلال في كتاب الأوائل: حدثني أبو أحمد، قال: كنا في مجلس نفطويه وهو يملي، فدخل غلام وضيء الوجه، وقال: قال رجل من أهل عصرنا:

كم خلس ميعادك يا مخلف ... كم تخلف الوعد وكم تحلف؟؟

قد صرت لا أدعو على كاذب ... ولا ظلوم الفعل لا ينصف

فما شك أحد ممن حضر، أن الغلام كان وعده وأخلفه، وأن الشعر له، وكان نفطويه مع كونه من أعيان العلماء، وعلماء الأعيان، غير مكترث بإصلاح نفسه، فكان يفرط به الصنان، فلا يغيره، فحضر يوماً مجلس حامد بن العباس، وزير المقتدر، فتأذى هو وجلساؤه بكثرة صنانه، فقال حامد: يا غلام، أحضرنا مرتكاً،

فجاء به، فبدأ الوزير بنفسه فتمرتك، وأداره على الجلساء فتمرتكوا، وفطوا ما أراد بنفطويه، وأنه أراد من نفطويه أن يتمرتك، فيزول صنانه، من غير أن يجبهه بما يكره، فقال نفطويه لا حاجة بي إليه، فراجعه فأبى، فاحتد حامد واغتاظ، وقال له يا عاض كذا من أمه، إنما تمرتكنا جميعاً لتأذينا بصنانك، قم لا أقام الله لك وزناً، ثم قال: أخرجوه عني، أو أبعدوه إلى حيث لا أتأذى به، وقال ابن بشران أبو محمد عبيد الله في تاريخه.

ومن شعر نفطويه:

الجد أنفع من عقل وتأديب ... إن الزمان ليأتي بالأعاجيب

كم من أديب يزال الدهر يقصده ... بالنائبات ذوات الكره والحوب

وامرئ غير ذي دين ولا أدب ... معمر بين تأهيل وترحيب

ما الرزق من حيلة يحتالها فطن ... لكنه من عطاء غير محسوب

قال: وكان كثير النوادر، ومن نوادره، قيل لبهلول في كم يوسوس الإنسان، فقال: ذاك إلى صبيان المحلة، قال: وقيل لبعض الشيعة، معاوية خالك، فقال لا أدري، أمي نصرانية، والأمر إليه بخط الوزير المغربي قال نفطويه أما سائر العلوم فهاهنا من يشركنا فيها. وأما الشر: فإذا مت مات على الحقيقة، وقال: من أغرب عليّ ببيت لجرير لا أعرفه فأنا عبده، وقال ابن خالويه، وقال لي يوماً وقد حضرته الوفاة: قد جالستني فما رأيت منك إلا خيراً، فادع لي، ثم قال وضئوني، وقد كنت آخذ بيده، فمر بمسجد هشام بن خلف البزار فقال، هذا مسجد هشام مقرئ أهل بغداد، والله ما كان بأعلم مني، ولكنه أطاع الله فرفع، وعصيت الله فوضع مني.

قال الحسين بن أبي قيراط، انصرفت من عند أبي عبد الله نفطويه، وقد كتبت عنه شيئاً، فجئت إلى أبي إسحاق إبراهيم السري الزجاج، فقال لي: ما هذا الكتاب؟ فأريته إياه، وكان على ظهره مقطوعتان، أنشدنيهما نفطويه لنفسه.

فلما قرأهما الزجاج استحسنهما وكتبهما بخطه على ظهر كتاب غريب الحديث، وكان بحضرته:

تواصلنا على الأيام باق ... ولكن هجرنا مطر الربيع

يروعك صوته لكن تراه ... على روعاته داني النزوع

كذا العشاق هجرهم دلال ... ومرجع وصلهم حسن الرجوع

معاذ الله أن نلقى غضاباً ... سوى ذاك المطاع على المطيع

والأخرى:

وقالوا شانه الجدري فانظر ... إلى وجه به أثر الكلوم

فقلت ملاحة نثرت عليه ... وما حسن السماء بلا نجوم؟

وذكر الفرغاني أن نفطويه كان يقول بقول الحنابلة، إن الاسم هو المسمى، وجرت بينه وبين الزجاج مناظرة، أكر الزجاج عليه موافقته الحنابلة على ذلك.

قرأت في تاريخ خوارزم قال أبو سعد الحمدلجي: سمعت نفطويه يقول: إذا سلمت على اليهودي والنصراني،

فقلت له أطال الله بقاءك، وأدام سلامتك، وأتم نعمته عليك، فإنما أريد به الحكاية أي أن الله قد فعل بك إلى هذا الوقت، وأعتقد به الدعاء للمسلم، قال الحمدلجي: وأنشدنا نفطويه لنفسه:

إذا ما الأرض جانبها الأعادي ... وطاب الماء فيها والهواء

وساعد من تحب بها وتهوى ... فتلك الأرض طاب بها النواء

يرى الأحباب ضنك العيش وسعاً ... ولا يسع البغيضين الفضاء

وعقل المرء أحسن حليتيه ... وزين المرء في الدنيا الحياء

قال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب. كتاب التاريخ، كتاب الاقتصارات، كتاب البارع، كتاب غريب القرآن، كتاب المقنع في النحو، كتاب الإستثناء والشرط في القراءة، كتاب الوزراء، كتاب الملح، كتاب الأمثال، كتاب الشهادات، كتاب المصادر كتاب القوافي كتاب أمثال القرآن، كتاب الرد على من يزعم أن العرب يشتق كلامها بعضه من بعض كتاب الرد على من قال بخلق القرآن، كتاب الرد على المفضل بن سلمة في نقضه على الخليل كتاب في أن العرب تتكلم طبعاً لا تعلماً، والله أعلم.

الجزء الثاني

إبراهيم بن محمد الكلابزي

أدرك المازني وأخذ عن المبرد ومات في سنة ست عشرة وثلاثمائة، قال الزبيدي: وإبراهيم بن محمد بن العلاء الكلابزي اللغوي، من أهل العراق، بصري المذهب. حكي عن ابن المبرد أنه قال: في تلاميذ أبي رجلا: أحدهما يسفل، والآخر يعلو، فقيل ومن هما؟ قال المبرمان يقرأ على أبي، ويأخذ عنه كتاب سيبويه، ثم يقول قال الزجاج، فهذا يسفل، والكلابزي يقرأ عليه، ثم يقول قال المازني، فهذا يعلو، وكان الكلابزي قد أدرك المازني، فقال ابن إبراهيم بن حميد الكلابزي مات بالبصرة سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة، وكان متقدماً في النحو واللغة، وقد ولي القضاء بالشام.

إبراهيم بن محمد بن زكريا

الزهري، الأندلسي، أبو القاسم، يعرف بابن الإفليلي، حدث عن أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي، بكتاب النوادر عن القالي، وكان متصدراً في العلم ببلده، يقرأ عليه الأدب، ويختلف إليه، وله كتاب شرح معاني شعر المتنبي، حسن جيد، قال الحميدي: وكان مع علمه بالنحو واللغة، يتكلم في معاني الشعر، وأقسام البلاغة، والنقد لها، روى عنه جماعة، وحكى عنه بإسناد له أنه قال: كان شيوخنا من أهل الأدب يتعالمون، أن الحرف إذا كتب عليه صح – بصاد وحاء – كان ذلك علامة لصحة الحرف، لئلا يتوهم متوهم عليه خللاً أو نقصاً، فوضع حرف كامل على حرف صحيح، وإذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء، كان علامة أن الحرف سقيم، إذ وضع عليه حرف غير تام، ليدل نقص الحرف على اختلال الحرف، ويسمى ذلك الحرف أيضاً ضبة أي أن الحرف مقفل بها، لم يتجه لقراءة، كما أن الضبة مقفل بها.

قال المؤلف: وهذا كلام على طلاوة من غير فائدة تامة، وإنما قصدوا بكتبهم على الحرف صح، أنه كان شاكاً في صحة اللفظة، فلما صحت له بالبحث، خشي أن يعاوده الشك، فكتب عليها صح، ليزول شكه فيما بعد، ويعلم هو أنه لم يكتب عليها صح إلا وقد انقضى اجتهاده في تصحيحها، وأما الضبة التي صورتها (ص) فإنما هو نصف صح، كتبه على شيء فيه شك، ليبحث عنه فيما يستأنفه، فإذا صحت له أتمها بحاء، فيصير صح، ولو علم عليها بغير هذه العلامة، لتكلف الكشط، وإعادة كتبه صح مكانها.

قال أبو سروان بن حيان: كان أبو القاسم، المعروف بابن الإفليلي، فريد أهل زمانه بقرطبة، في علم اللسان العربي، والضبط لغريب اللغة، في ألفاظ الأشعار الجاهلية والإسلامية، والمشاركة في بعض معانيها، وكان غيوراً على ما يحمل من ذلك الفن، كثير الحسد فيه، راكباً رأسه في الخطأ البين إذا تقلده، أو نشب فيه، يجادل عنه، ولا يصرفه صارف عنه، وعدم علم العروض ومعرفته، مع احتياجه إليه، لإكمال صناعته به ولم يكن له شروع فيه، وكان لحق الفتنة اليزيدية بقرطبة، ومضى الناس بين حائر وطاعن، فازدلف إلى الأمراء المتداولين بقرطبة من آل حمود، ومن تلاهم، إلى أن نال الجاه. واستكتبه محمد بن عبد الرحمن المستكفي، بعد ابن برد، فوقع كلامه جانباً من البلاغة، لأنه كان على طريقة المعلمين المتكلمين، فلم يجر في أساليب الكتاب المطبوعين، فزهد فيه، وما بلغني أنه ألف في شيء من فنون المعرفة، إلا كتابه في شعر المتنبي لا غير، ولحقته تهمة في دينه، في أيام هشام المرواني، في جملة من تتبع من الأطباء في وقته كابن عاصم، والسنابسي، والخمار، وغيرهم، وطلب ابن الإفليلي، وسجن بالمطبق، ثم انطلق.

وفيه يقول موسى بن الطائف، من قصيدة:

يا مبصراً عميت فواطن فهمه ... عن كنه عرضي في البديع وطولي
ولو كنت تعقل ما جهلت مقاومي ... من ضاق فرسخه بخطوة قيلي
ولئن ثلبت الشعر وهو أباطل ... فلقد ثلبت حقائق التنزيل
وخلعت ربق الدين عنك منابذاً ... ولبست ثوب الزيغ والتعطيل
فأقمت للجهال مثلك في العنا ... علماً مشيت أمامه برعيل
ومن المغالط أن تكون مقلداً ... علماً ولو مقدار وزن فتيل
تعتل في الأمر الصحيح معانداً ... أبداً وفهمك علة المعلول
وتظن أنك من فنوني موسر ... وكثير شأنك لا يفي بقليلي
سيسيل روحك من خييث قذارة ... تأثير هذا الصارم المصقول
وأحض سيف الدولة الملك الرضي ... ليعيد عقد رباطك المحلول
وأريك رأي العين أنك ذرة ... عبثت بها مني قوائم فيل

إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد

ابن علي، بن الحسين، بن علي، بن حمزة، بن يحيى ابن الحسين، بن زيد، بن علي، بن الحسين، بن علي بن أبي طالب، أبو علي، والد أبي البركات عمر النحوي، صاحب كتاب شرح اللمع، من أهل الكوفة، له معرفة حسنة بالنحو واللغة والأدب، وحظ من الشعر جيد، نذر مثله، مات – فيما ذكره السمعاني عن ابنه أبي البركات – في شوال سنة ست وستين وأربعمائة، ودفن بمسجد السهلة عن ست وستين سنة، وكان قد سافر إلى الشام ومصر، وأقام بها مدة، ونفق على الخلفاء بمصر، ثم رجع إلى وطنه الكوفة، إلى أن مات بها.

وجدت بخط أبي سعد السمعاني: سمعت أبا البركات عمر ابن إبراهيم: سمعت والدي يقول: كنت بمصر، وضاق صدري بها فقلت:

فإن تسأليني كيف أنت فإنني ... تنكرت دهري والمعاهد والصبرا
وأصبحت في مصر كما لا يسرني ... بعيداً من الأوطان منتزحاً عزبا
وإني فيها كامرئ القيس مرة ... وصاحبه لما بكى ورأى الدربا
فإن أنج من بابي زويلا فتوبة ... إلى الله أن لا مس خفي لها تربا

قال السمعاني: قال لي الشريف، قال أبي، قلت هذه الأبيات بمصر، وما كنت ضيق اليد، وكان قد حصل لي من المستنصر خمسة آلاف دينار مصرية.

قال: وقال الشريف: مرض أبي إما بدمشق أو بحلب، فرأيته يبكي ويجزع، فقلت له يا سيدي ما هذا الجزع؟ فإن الموت لابد منه، قال أعرف، ولكني أشتهي أن أموت بالكوفة، وأدفن بها، حتى إذا أنشرت يوم القيامة أخرج رأسي من التراب، فأرى بني عمي، ووجوهاً أعرفها، قال الشريف: وبلغ ما أراد.

قال: وأنشدني أبو البركات لوالده:

أرخ لها زمامها والأنسعا ... ورم بها من العلا ما شسعا
واجل بها مغترباً عن العدا ... توطئك من أرض العدا متسعا
يا رائد الظعن بأكناف العدا ... بلغ سلامي إن وصلت لعلعا
وحي خدراً بأثيلات الغضا ... عهدت فيه قمراً مبرقعا

كان وقوعي في يديه ولعا ... وأول العشق يكون ولعا
ماذا عليها لو رثت لساهر ... لولا انتظار طيفها ما هجعا؟
تمنعت من وصله فكلما ... زاد غراماً زادها تمنعا
أنا ابن سادات قريش وابن من ... لم يبق في قوس الفخار منزعا
وابن علي والحسين وهما ... أبر من حج ولبى وسعى
نحن بنو زيد وما زاحمنا ... في المجد إلا من غدا مدفعا
الأكثرين في المساعي عددا ... والأطولين في الضراب أذرعا
من كل بسام المحيا لم يكن ... عند المعالي والعوالي ورعا
طابت أصول مجدنا في هاشم ... فطال فيها عودنا وفرعا

قال: وأنشدني لأبيه:

لما أرقت بجلق ... وأقض فيها مضجعي

نادمت بدر سمائها ... بنواظر لم تهجع

وسألته بتوجع ... وتخضع وتفجع

صف للأحبة ما ترى ... من فعل بينهم معي

واقرأ السلام على الحبي ... ب ومن بتلك الأربع

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم النسوي

أبو إسحاق، الشيخ العميد، مات فجاءة في شهور سنة تسع عشرة وخمسمائة بنيسابور، رجل فاضل، شاعر كاتب، حسن المحاورة، كريم الصحبة، سمع الحديث الكثير في أسفاره، وصنف في غريب الحديث لأبي عبيد تصنيفاً مفيداً.

إبراهيم بن مسعود بن حسان

المعروف بالوجيه الصغير، ويعرف جده بالشاعر، وإنما سمي بالوجيه الصغير لأنه كان ببغداد حينئذ نحوي آخر يعرف بالوجيه الكبير، وهو شيخي رحمه الله، وقد ذكرته في باب المبارك بن المبارك، وكانا ضريرين معاً، وكان هذا من أهل الرصافة ببغداد، وكان عجباً في الذكاء وسرعة الحفظ، وكان قد حفظ كتاب سيويه، وقيل: بل حفظ أكثره، وكان يحفظ غير ذلك من كتب الأدب، وأخذ النحو عن مصدق بن شبيب، وكان أعلم منه، وأصفى ذهناً، واعتبط شاباً في جمادى الأولى سنة تسعين وخمسمائة، ولو قدر الله أن يعيش لكان آية من الآيات.

إبراهيم بن محمد بن حيدر بن علي أبو إسحاق

نظام الدين المؤذى، الخوارزمي، سألته عن مولده، فقال: كانت ولادتي في ذي الحجة، سنة تسع وخمسين وخمسمائة، وله من التصانيف: كتاب ديوان الأنبياء، كتاب شرح كليلة بالفارسية، كتاب الوسائل إلى الرسائل، من نثره، كتاب ديوان شعره بالفارسية، كتاب الخطب في دعوات ختم القرآن، سماها يتيمة اليتيمة، كتاب الطرفة في التحفة بالفارسية، رسائل، وكتاب أساس نامه، في المواعظ بالفارسية. كتاب تعريف شواهد التصريف، كتاب أنموذار نامه، يشتمل على أبيات غريبة من كليلة ودمنة، شرحها بالفارسية. كتاب كفتار نامه منطق، كتاب مرتع الوسائل ومربع الرسائل.

إبراهيم بن ممشاذ أبو إسحاق المتوكلي الأصبهاني

قال حمزة: ومن بلغاء إصبهان: أبو غسحاق المتوكلي، وكان من رستاق جي من قرية أسيجان، فخرج إلى العراق، وكتب للمتوكل، ثم صار من ندمائه، فسمي المتوكلي، ولم يكن بالعراق في أيامه أبلغ منه، وله رسالة طويلة في تقريظ المتوكل، والفتح بن خاقان، يتداولها كتاب العراق إلى الآن، وتسخط صحبة أولاد المتوكل، فتركهم ولحق بيعقوب ابن الليث. وقال حمزة أيضاً، فيما رواه عن عمارة بن حمزة: حضر المتوكلي مجلس المتوكل، وقد نثر على المحضر مال جليل، تناهبه الأمراء والقواد بين يديه، وإبراهيم لا يتحرك، فقال له المتوكل، ولم لا تنبسط فيه؟ فال: جلالة أمير المؤمنين تمنعني منه، ونعمته على أغنتني عنه، فأقطعه إقطاعات.

وكان أحد البلغاء في زمانه، حتى لم يتقدمه أحد، وأنفذ في أيام المعتمد رسولاً عنه، وعن الموفق إلى يعقوب بن الليث، فاحتبسه عنده، وقدمه على كل من ببابه، حتى حسده قواد يعقوب وحاشيته، فأخبروا يعقوب أنه يكاتب الموفق في السر، فقتله.

قلت: والأولى من هاتين الروايتين أوضح في أنه هو الذي لحق بيعقوب، يدل على ذلك أنه كتب من عند يعقوب إلى المعتمد:

أنا ابن الأكارم من نسل جم ... وحائز إرث ملوك العجم
ومحيي الذي باد من عزهم ... وعفى عليه طوال القدم

وطالب أوتارهم جهرة ... فمن نام عن حقهم لم أنم
يهم الأنام بلذاتهم ... ونفسي تهم بسوق الهمم
إلى كل أمر رفيع العماد ... طويل النجاد منيف العلم
وإني لآمل من ذي العلا ... بلوغ مرادي بخير النسم
معي علم الكائنات الذي به أرتجي أن أسود الأمم
فقل لبني هاشم أجمعين ... هلموا إلى الخلع قبل الندم
ملكناكم عنة بالرما ... ح طعناً وضرباً بسيف خذم
وأولاكم الملك آباؤنا ... فما إن وفيتم بشكر النعم
فعودوا إلى أرضكم بالحجاز ... لأكل الضباب ورعي الغنم
فإني سألعو سرير الملوك ... بحد الحسام وحرف القلم

وقال يرثي الفضل بن العباس بن مافروخ:

أخ لم تلدني أمه كان واحدي ... وأنسي وهمي في الفراغ وفي الشغل
مضى فرطاً لما استتم شبابه ... ومن قبل أن يحتل منزلة الكهل
فعلمني كيف البكاء من الجوى ... وكيف حزازات الفؤاد من الثكل
إذا ندب الأقوام إخوان دهرهم ... بكيت أخي، فضلاً أخا الجود والفضل

وقال يهجو إسحاق بن سعد القطربلي عامل إصبهان، وقد كان أساء معاملة إخوته بإصبهان:

أين الذين تقولوا ألا يروا ... ضدين مختلفين في ذا العالم
هذا ابن سعد قد أزال قياسكم ... وأباد حجتكم بغير تخاصم
أبدى لنا متحركاً في ساكن ... منه وأظهر قائماً في نائم
وإذا تذكر أصلعاً هشم استه ... يبكي يقول: فديت أصلع هاشم
بالله ما اتخذ الإمامة مذهباً ... إلا لكي يبكي لذكر القائم
قال حمزة: ومن هذا أخذ ابن الناصر قوله:
قل لمن كان إمام ... يا إلى كم تتردد؟
أله التمس ما في سراوي ... ل فتى الناصر أحمد
فهو القائم يا مغرو ... ر من آل محمد

إبراهيم بن موسى الواسطي الكاتب

له كتاب في أخبارالوزراء، عارض فيه كتاب محمد ابن داود الجراح في الوزراء، قاله المسعودي.

إبراهيم بن هلال بن زهرون

أبو إسحاق الحراني، أوحد الدنيا في إنشاء الرسائل، والاشتمال على جهات الفضائل، مات يوم الخميس، لاثنتي عشرة ليلة خلت من شوال سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، عن إحدى وسبعين سنة، ومولده في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، كذا ذكره حفيده أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم في تاريخه.
وكان قد خدم الخلفاء والأمراء من بني بويه والوزراء، وتقلد أعمالاً جليلة، ومدحه الشعراء، وعرض عليه عز الدولة يختيار بن معز الدولة بن بويه الوزارة إن أسلم، فامتنع.
وكان حسن العشرة للمسلمين، عفيفاً في مذهبه.
وكان ينوب أولاً عن الوزير أبي محمد المهلبي، في ديوان الإنشاء، وأمور الوزارة.
ولما ورد عضد الدولة إلى بغداد في سنة سبع وستين وثلاثمائة، نقم عليه أشياء من مكتوباته عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار، فحبسه، فسئل فيه وعرف بفضله، وقيل له: مثل مولانا لا ينقم على مثله ما كان منه، فإنه كان في خدمة قوم لا يمكنه إلا المبالغة في نصحهم، ولو أمره مولانا بمثل ذلك إذا استخدمه في أبيه، ما أمكنه المخالفة، فقال عضد الدولة: قد سوغته نفسه، فإن عمل كتاباً في مآثرنا وتاريخنا أطلقته، فشرع في محبسه في كتاب التاجي في أخبار بني بويه، وقيل إن بعض أصدقائه دخل عليه الحبس، وهو في تبييض وتسويد في هذا الكتاب، فسأله عما يعمله، فقال: أباطيل أنمقها، وأكاذيب ألفقها، فخرج الرجل، وأهمى ذلك إلى عضد الدولة، فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة، فأكب أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، ونصر بن هارون على الأرض يقبلانها، ويشفعون إليه في أمره، حتى أمر باستحيائه، وأخذ أمواله واستصفائه، وتخليد السجن بدمائه، فبقي في السجن بضع سنين، إلى أن تخلص في أيام صمصام الدولة ابن عضد الدولة.

وكان بينه وبين الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد مراسلات ومواصلات ومتاحفات، وكذلك بينه وبين الرضي أبي الحسن محمد بن الحسين الموسوي: مودة ومكاتبات أذكر منها ما يليق باختصارنا هذا، مع اختلاف الملل، وتباين النحل، وإنما كان ينظمهم سلك الأدب، مع تبدد الدين والنسب.

وذكر أبو منصور الثعالبي في كتابه: أنه بلغ من العمر تسعين سنة والذي أوردته من تاريخ حفيده، وهو أعلم به.

فأما بلاغته، وحسن ألفاظه، فقد أغنتنا شهرتها عن صفتها، وذكرتها الشعراء فقال بعضهم:

أصبحت مشتاقاً حليف صبابة ... برسائل الصابي أبي إسحاق

صوب البلاغة والحلاوة والحجى ... ذوب البراعة سلوة العشاق

طوراً كما رق النسم وتارة ... يحكي لنا الأطواق في الأعناق

لا يبلغ البلغاء شأو مبرز ... كتبت بدائعه على الأحداق

ولآخر فيه:

يا بؤس من يمنى بدمع ساجم ... يهمى على حجب الفؤاد لا واجم

لولا تعلله بكأس مدامة ... ورسائل الصابي وشعر كشاجم

قال أبو منصور: وكان يصوم شهر رمضان، مساعدة وموافقة للمسلمين، وحسن عشرة منه لهم، ويحفظ القرآن حفظاً يدور على طرف لسانه، وبرهان ذلك في رسائله.

قال: وكان أبو إسحاق في عنفوان شبابه، أحسن حالاً منه في أيام اكتهاله، وفي ذلك يقول:

عجباً لحظي إذ أراه مصالحي ... عصر الشباب وفي المشيب مغاضبي؟

أمن الغواني كان حتى خانني ... شيخاً، وكان على صباي مصاحبي؟

أمع التضعضع ملني متجنباً ... ومع الترعرع كان غير مجانبي؟

يا ليت صبوته إلي تأخرت ... حتى تكون ذخيرة لعواقبي

من قصيدة، في فنها فريدة، كتبها إلى الصاحب يشكو فيها بثه وحزنه، ويستمطر سحبه ودرره، بعد أن كان يخاطبه بالكلف، ولا يرفعه عن رتبة الأكفاء.

وكان المهلبي لا يرى إلا به الدنيا، ويحن إلى براعته، ويصطنعه لنفسه، ويستدعيه في أوقات أنسه، وتوفي المهلبي، وأبو إسحاق يلي ديوان الرسائل، والخلافة على ديوان الوزارة، لأن المهلبي مات بعمان، وكان قد مضى لافتتاحها، واستخلف أبا إسحاق على ديوان الوزارة، فاعتقل في جملة عمال المهلبي وأصحابه، فقال، وهو معتقل:

يا أيها الرؤساء دعوة خادم ... أربت رسائله على التعديد

أيجوز في حكم المروءة عندكم: ... حبسي وطول تهددي ووعيدي

قلدت ديوان الرسائل، فانظروا ... أعدلت في لفظي عن التسديد؟

أعلي رفع حساب ما أنشأته ... فأقيم فيه أدلتي وشهودي؟

أنسيتم كتباً شحنت فصولها ... بفصول در عندكم منضورد

ورسائلاً نفذت إلى أطرافكم ... عبد الحميد بهن غير حميد

قال: وكانت الرسالة التي ينقمها عليه عضد الدولة، كتاباً أنشأه عن الخليفة، في شأن عز الدولة بختيار، وهو: " وقد جدد له أمير المؤمنين، مع هذه المساعي السوابق، والمعالي السوامق، التي يلزم كل دان وقاص، وعام وخاص، أن يعرف له حق ما كرم به منها، ويتزحزح له عن رتبة المماثلة فيها " فإن عضد الدولة أنكر هذه اللفظة أشد الإنكار، وأسرها في نفسه، إلى أن ملك لاعراق، فحبسه، كما تقدم ذكره.

وقال حفيده هلال بن المحسن في أخبار الوزراء: حدثني أبو إسحاق جدي، قال: لما توفي أبو الحسين هلال أبي، جاءني أبو محمد المهلبي معزياً به، فحين عرفت خبره في تقديمه مشرعة داري الشاطية بالزاهر، بادرت لتلقيه، واستعفيته من الصعود، فامتنع من الإجابة إلى ذلك، وصعد، وجلس ساعة يخاطبني فيها بكل ما يقوي النفس، ويشرح الصدر، ويصف والدي، ويقرظه لي بقوله: ما مات من كنت له خلفاً، ولا فقد من كنت منه عوضاً، ولقد قررت عين أبيك بك في حياته، وسكنت مضاجعه إلى مكانك بعد وفاته، فقبلت يده ورجله، وأكثرت من الثناء عليه، والدعاء له، وحضرتني في الحال ثلاثة أبيات، أنشدته إياها، وهي:

لو وثقنا بأن عمرك يمت ... د بأعمارنا قتلنا النفوسا

قد تركت الموت الزؤام مغيظاً ... يتلظى لجرحه، كيف يوسا

فغدت عندنا المصيبة نعمى ... بأياديك وهي من قبل بوسا

ثم نهض، وأقسم علينا ألا يتبعه أحد منا، وأنفذ إلي في بقية ذلك اليوم خمسة آلاف درهم، فقال: استعن بهذا على أمرك، ولم يبق أحد من أهل الدولة إلا جاءني بعده معزياً، ثم اجتاز بي من الغد في طيارة ووقف واستدعاني، وأمرني بالنزول معه، فبعد جهد ما تركني بقية اليوم.

وحدث أبو منصور، قال: حكى أبو إسحاق الصابيء، قال: طلب مني رسول سيف الدولة بن حمدان عند قدومه الحضرة شيئاً من شعري، وذكر أن صاحبه رسم له ذلك، فدافعته أياماً، ثم ألح علي وقت الخروج فأعطيته هذه الثلاثة الأبيات:

إن كنت خنتك في المودة ساعة ... فدمت سيف الدولة المحمودا

وزعمت أن له شريكاً في العلا ... وجحدته في فضله التوحيدا

قسماً لواني حالف بغمومها ... لغريم دين ما أراد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة، ودخلت عليه مسلماً، أخرج لي كيساً بختم سيف الدولة، مكتوباً عليه اسمي، وفيه ثلثمائة دينار.

ووجدت بخط أبي علي بن أبي إسحاق قال: لما غني ابن حمدان بهذا الشعر، سأله عن قائله، فعرفه، قال والدي رحمه الله: فأنفذ إلي في الوقت عشرة دنانير من دنانير الصلة، وزنها خمسمائة مثقال، وأضاف إلى ذلك رسماً كان ينفذه إلي في كل سنة، إلى أن مات رحمه الله.

قال: وأهدى أبو إسحاق الصابيء إلى عضد الدولة، في يوم مهرجان، إصطرلاباً بقدر الدرهم، محكم الصنعة، وكتب إليه " وفي كتاب الوزراء لحفيده: أنه أهدى الإصطرلاب إلى المطهر بن عبد الله وزير عضد الدولة

وكتب إليه " بهذه الأبيات:

أهدي إليك بنو الحاجات واختلفوا ... في مهرجان عظيم أنت مبليه

لكن عبدك إبراهيم حين رأى ... علو قدرك لا شيء يساميه

لم يرض بالأرض يهديها إليك فقد ... أهدى لك الفلك الأعلى بما فيه

ولقابوس أبيات تشبه هذه مذكورة في بابه: " ذكر القبض على أبي إسحاق الصابئ، والسبب فيه، وما جرى عليه من أمره إلى أن أطلق " .

قال هلال بن المحسن: قبض عليه في يوم السبت لأربع بقين من ذي القعدة سنة سبع وستين وثلاثمائة، وأفرج عنه يوم الأربعاء لعشر بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، فكان مدة حبسه ثلاث سنين وسبعة أشهر وأربعة عشر يوماً.

قال: وكان السبب في القبض عليه، أنه كان قد خدم عضد الدولة عند كونه بفارس بالشعر والمكاتبة، والقيام بما يعرض من أموره بالحضرة، فقبله وأنفق عليه، وأرفده في أكثر نكباته بمال حمله إليه، وورد عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلاثمائة، فزاد قربه منه، وخصوصه به، وتأكد حاله عنده، فلما أراد العود إلى فارس، عمل على الخروج معه، إشفاقاً من المقام بعده، ثم عليم أنه متى فعل ذلك أسلم أهله وولده، وتعجل منهم ما عسى الله أن يدفعه عنه، فاستظهر له عضد الدولة، بأن ذكره في الاتفاق الذي كتب بينه وبين عز الدولة، وعهد به إليه، واليمين التي حلفا بها، وشرط عليهما حراسته في نفسه وماله، وترك تتبعه في شيء من أحواله، وانحدر عضد الدولة، فلم يأمن على نفسه من عز الدولة، وأبي طاهر بن بقية وزيره، واستتر، وأقام على الاستتار مدة، ثم توسط أبو محمد بن معروف أمره معهما، وأخذ له العهد عليهما، والأمان منهما، واستوثق بغاية ما يستوثق به من مثلهما، وظهر، فتركاه مديدة، ثم قبضا عليه، وذلك بإغراء ابن السراج لهما به، وتجدد منه في العداوة له أمور تجنى فيها عليه، وجرت له في هذه التكبة خطوب أشفى فيها على ذهاب النفس، ثم كفاه الله بأن فسد أمر ابن السراج مع ابن بقية بما عامله بالعلة التي عرضت له فقبض عليه، ونقل القيد من رجل أبي إسحاق إلى رجله، وعاد إلى خدمة عز الدولة، وكتب عنه في أيام المباينة بينه وبين عضد الدولة الكتب التي تضمنت الوقيعة والاستهتار عليه، ومنها الكتاب عن الطائع لله بتقديم عز الدولة وإنزاله منزلة ركن الدولة، وهو أعظم ما نقمه عليه.

فلما ورد عضد الدولة إلى بغداد في الدفعة الثانية، وحصل بواسط، استظهر بأن خرج إلى أبي سعد بهرام بن أردشير، وهو يتردد في الرسائل بما يتخوفه من تشعب رأي عضد الدولة، وسأله إجراء ذكره، وإقامة عذره، والاحتياط له بأمان تسكن إليه نفسه، وكتب على يده كتاباً، عاد جوابه بما نسخته: " كتابنا – أيدك الله – من المعسكر بجيل يوم الجمعة لست ليال بقين من شهر ربيع الأول عن سلامة ونعمة، والحمد لله رب العالمين، ووصل كتابك – أيدك الله – وفهمنا وعرفنا ما يحمل، واستمعنا من أبي سعد بهرام بن أزدشير، – أعزه الله، – ما أورده عنك، ومن كانت به حاجة إلى إقامة معذرة، واستقالة من عثرة، أو الاستظهار في مثل هذه الأحوال بوثيقة، فأنت مستغن عن ذلك، بسابقتك في الخدمة، ومنزلتك من الثقة، وموقعك لدينا من

الخصوص والزلفة.

وذكر أبو سعد، – أعزه الله، – إلتماسك أماناً، فقد بذلناه لك على غناك عنه، وأنت آمن على نفسك، ودمك، وشعرك، وبشرك، وأهلك، وولدك، وسائر ما تحويه يدك، حال في كل حال بكنف الأثرة والخصوص والإحسان والقبول عندنا محروس في جاهك، وموقفك، وحالك، فاسكن إلى ذلك، واعتمده، ولك علينا الوفاء به عهد الله وميثاقه، وقد حملنا أبا سعد، – أعزه الله، – في هذا الباب ما يذكره لك، والله نستعين على النية فيك، وهو حسبنا.

والتوقيع بخط عضد الدولة: اعتمد ذلك واسكن إليه، وثق به، إن شاء الله تعالى.

ودخل عضد الدولة إلى بغداد، فأجراه على رسمه، ووقع بإقرار إقطاعه، وإمضاء تقريراته، فلما حصل بالموصل، كتب إلى أبي القاسم المطهر بالقبض عليه فحدثني أبو الحسن فقد بن عبد الله، وكان يكتب لأبي عمرو بن... عند نظره في الموصل، قال: أخرج في الموصل إلى الديوان، ما وجد في قلاع أبي تغلب من الحسابات، ليتأمل ويميز، وكان فيها الشيء الكثير من كتب عز الدولة إلى أبي تغلب بخط أبي إسحاق جدك، فكان أبو عمرو إذا رأى ما فيه ذكر عضد الدولة، لعداوة كانت بينه وبينه، فأظن ما وقف عليه، حرك ما كان في نفسه، حتى كتب من هناك بالقبض عليه.

قال: وحدثني جدي قال: كنت جالساً بحضرة أبي القاسم المطهر بن عبد الله، وزير عضد الدولة، في يوم القبض علي، إذ وردت النوبة، ففضت بين يديه، وبدأ منها بقراءة كتاب عضد الدولة، فلما انتهى إلى فصل منه، وجم وجوماً بان في وجهه، فقال لي أبو العلاء صاعد بن ثابت: أظن في هذا الكتاب ما ضاق صدراً به، وقمت من مجلسه لأنصرف، فتبعني بعض حجابه، وعدل بي إلى بيت من داره، ووكل بي، وأرسل يقول لي: لعلك قد عرفت مني الانزعاج عند الوقوف على الكتاب الوارد من الحضرة اليوم، وكان ذلك لما تضمن من القبض عليك، وأخذ مائة ألف درهم منك، وينبغي أن تكتب خطك بهذا المال، ولا تراجع فيه، فوالله لا تركت ممكناً في معونتك وتخليصك إلا بذلته، وقد جعلت اعتقالك في داري، ومقامك في ضيافتي، فطب نفساً بقولي، وثق بما يتبعه من فعلي. وقبض على ولديه أبي علي المحسن، والدي، وأبي سعيد سنان، عمي، فلما تقدم عضد الدولة إلى أبي القاسم المطهر بالانحدار لقتال صاحب البطيحة، سأل عضد الدولة إطلاقه والإذن له في استخلافه، بحضرته، فقال له: أما العفو، فقد شفعناك فيه، وينبغي أن تعرفه ذلك، وتقول له، إننا قد غفرنا لك عن ذنب، لم نعف عما دونه لأهلنا، – يعني: عز الدولة والديلم – ولأولاد بيتنا – يعني: أبا الحسن محمد بن عمر وأبا أحمد الموسوي – ولكنا وهبنا إساءتك لخدمتك، وعلينا المحافظة فيك على الحفيظة منك، وأما استخلافك إياه بحضرتنا، فكيف يجوز أن ننقله من السخط والنكبة إلى النظر في الوزارة، ولنا في أمره تدبير. وبالعاجل، فنحمل إليه من عندك ثياباً ونفقة، وتطلق ولديه، وتقدم إليه عنا يعمل كتاب في مفاخرنا، فحمل إليه المطهر ثياباً ونفقة وأطلق ولديه، والدي وعمي، ورسم له تأليف الكتاب في الدولة الديلمية، وانحدر المطهر، وبقي أبة إسحاق في محبسه وعمل الكتاب، فكان إذا ارتفع جزء منه، حمل إلى الحضرة العضدية، حتى يقرأه ويتصفحه، ويزيد فيه، وينقص منه، فلما تكامل على ما أراده، حرر وحمل

كلاماً محرراً، فيقال: إنه قرئ عليه في أسبوع، وتركه في الحبس بعد ذلك سنة، واتفق أن خرج إلى الزيارة وعاد، فعمل فيه قصيدة يهنئه فيها بمقدمه، ويذكره بأمره، منها:

أهلاً بأشرف أوبة وأجلها ... لأجل ذي قام يلاذ بنعلها
شاهانشاه تاج ملته التي ... ريدت به في قدرها ومحلها
يا خير من زهت المنابر باسمه ... في دولة علقت يداه بحبلها
وأقمت فينا سيرة عضدية ... هيهات لا تأتي الملوك بمثلها
يردى غوي فاجر في بأسها ... ويعيش بر صالح في فضلها
مولاي عبدك حالف لك حلفة ... تعيا مناكب يذبل عن حملها
لقد انتهى شوقي إليك إلى التي ... لا أستطيع أقلها من ثقلها
طوبى لعين أبصرتك ومن لها ... بغبار دارك جازياً عن كحلها؟
لو بعتني بجميع عمري لفظة ... أو لحظة بالطرف لم أستغلها
أترى أمر بخطرة من بالها؟ ... أترى أعود إلى كثافة ظلها؟
لي ذمة محفوظة في ضمنها ... ووثائق محروسة في كفلها
وإذا رأيت سحائباً لك ثرة ... تروى النفوس الحائمات بهطلها
لا في الرجال الناقعين بوبلها ... كلا ولا في القانعين بطلها
قابلت بالزفرات هبة ريحها ... وحكيت بالعبرات درة سجلها
فلو أن عيني راهنت بدموعها ... يمناك في السقيا لفزت بخصلها

قال: قد كان أبو إسحاق يكاتب عضد الدولة في الحبس بالأشعار، ويرققه، فما رققه شيء كقصيدته القافية، ومنها:

أجل في البنين الزهر طرفك إنهم ... حووا كل مرأى للأحبة مؤنق
وتمت لك النعمى بقرب كبيرهم ... فأهلاً به من طارق خير مطرق
موال لنا مثل النجوم مطيفة ... بمولى موال منك كالبدر مشرق
وقد ضمهم شمل لديك مؤلف ... فأرث لذي الشمل الشتيت المفرق
وإن كنت يوماً عنهم متصدقاً ... فمن مثل ما خولت فيهم تصدق
فلي مقلة تقذى إذا ما مددتها ... غلى حلة ممن أعول ودورق
إناث وذكران أبيت من أجلهم ... على كمد بين الحجابين مقلق
رسائلهم تأتى بما يلدغ الحشا ... ويصدع قلب النازع المتشوق
فباكية ترثي أباها ولم يمت ... وبائنة من بعلها لم تطلق
زغب من الأطفال أبناء منزل ... شوارد عنه كالقطا المتمزق
إذا حرقوا قلبي بنجواهم انشت ... عداك تناجيني فنطفي تحرقي

شهدت لئن أنكرت أنك صنتني ... ولم أرع ما أوليتني من ترفق
لقد ضيع المعروف عندي وأصبحت ... ودائعه مودوعة عند أحمق
وحبسك لي جاه عريض ورفعة ... وقيدك في ساقي تاج لمفرقي
وما موثق لم تطرحه بموثق ... ولا مطلق لم تصطنعه بمطلق
خلا أن أعواماً كملن ثلاثة ... تعرقت البقيا أشد تعرق
وقد ظمئت عيني التي أنت نورها ... إلى نظرة من وجهك المتألق
فيا فرحتي إن ألقه قبل ميتتي ... ويا حسرتي إن مت من قبل نلتقي
خدمتك مذ عشرون عاماً موفقاً ... فهب لي يوماً واحداً لم أوفق
فإن يك ذنب ضاق عندي عذره ... فعندك عفو واسع غير ضيق

قال: وسمعت أبا الريان، حامد بن محمد، الوزير، يقول لجدي، وهما في مجلس أنس، وأنا حاضر معهما: لما أنفذت القصيدة اللامية بالتهنئة، عن قدوم عضد الدولة من الزيارة، عرضتها عليه في وقت كان عبد العزيز بن يوسف غير حاضر فيه، فقرأها، ثم رفع رأسه إلي وإلى عبد الله بن سعدان، وكنت آمنه عليك، وأعلم أن اعتقاده يوافق اعتقادي فيك، فقال: قد طال حبس هذا المسكين ومحنته، فقبلت أنا وهو الأرض عند ذلك، فقال لنا: كأنكما تؤثران إطلاقه، قلنا: إن من أعظم حقوقه علينا، وذرائعه عندنا، أن عرفناه في خدمتك، وخالطناه في أيامك، قال: فإذا كان رأيكما فيه، فأنذا وأفرجا عنه، وتقدما إليه عنا بملازمة منزله، إلى أن يرسم له ما يليق بمثله:

قال أبو الريا، فخرجت مبادراً، وأنفذت لشكرستان صاحبي، وأنفذ بن سعدان محمدا لأواتيه، وانتظرت عودهما بما فعلاه، من صرفك إلى دارك، فأبطأا عليّ، وكنت أعرف من عادة عضد الدولة، أنه يتقدم بالأمر، ثم يسأل عنه، فإن كان قد فعل أمضاه، ولم يرجع، وإن تأخر، فربما بدا له رأي مستأنف في التوقف عنه، فدخلت إلى عضد الدولة في غرض ما، أطالعه به، فقلت له: سمع الله في مولانا ما دعي له، فقال: ما تجدد؟ قلت: شاهد الناس أبا إسحاق الصابئ، وقد أخرج من محبسه، ومضى إلى داره، فأكثروا من الدعاء والشكر، فسكت، وشغلت عضد الدولة علته، وما أفضى إليه من منيته عن النظر في أمره، إلا أنه وصل إلى حضرته، فيما بين الإطلاق واشتداد العلة، في ايام متفرقة، فتفقده بثياب ونفقات، عدة دفعات.

وكان الصاحب ابن عباد يحبه أشد الحب، ويتعصب له، ويتعاهده على بعد الدار بالمنح، وكان الصابئ، منذ حبسه عضد الدولة، متعطلاً، إلى أن مات فكان يواصل حضرة الصاحب بالمدح.

قال أبو منصور: فقرأت له فصلاً من كتاب في ذكر صلة، وصلت منه إليه، استطرفته جداً، وهو: ورد، أطال الله بقاء سيدنا، أبو العباس أحمد بن الحسن، وأبو محمد جعفر بن شعيب، حاجين، فعرجا إلى ملمين، وعاجا إلى مسلمين، فحين عرفتهما، فقبل أن أرد السلام عليهما، مددت اليد إلى ما معهما، كما مدها حسان بن ثابت إلى رسول جبلة بن الأيهم، ثقة مني بصلته، وتشوقاً إلى تكرمته، واعتياداً لإحسانه، وإلفاً لموارد إنعامه، وتيقناً أن الخطرة مني على باله، مقرونة بالنصيب من ماله، وأن ذكراه لي، مشفوعة بجدواه

علي، وقمت عند ذلك قائماً، وقبلت الأرض ساجداً، وكررت الدعاء والثناء مجتهداً، وسألت الله أن يطيل له البقاء، كطول يده بالعطاء، ويمد له في العمر، كامتداد ظله على الحر، وأن يحرس هذا البدد، القليل العدد، من مشيخة الكتاب، ومنتحلي الآداب، ما كنفهم به من ذراه، وأفاءه عليهم من نداه، وأسامهم فيه من مراتعه وأعذبه لهم من شرائعه، التي هم محلئون إلا منها، ومحرومون إلا عنها " .

وكان الصاحب يتمنى انحياز أبي إسحاق إلى جنبته، وقدومه إلى حضرته، ويضمن له الرغائب على ذلك، إما تشوقاً، وإما تشرفاً.

وكان أبو إسحاق يحتمل ثقل الخلة، وسوء أثر العطلة، ولا يتواضع للاتصال بجملة الصاحب، بعدكونه من نظرائه، وتحليه بالرياسة في أيامه.

قال: وأخبرني ثقات، منهم أبو القاسم علي بن محمد الكرخي، وكان شديد الاختصاص بالصاحب، أنه كثيراً ما كان يقول: كتاب الدنيا، وبلغاء العصر أربعة: الأستاذ ابن العميد، وأبو القاسم عبد العزيز بن يوسف، وأبو إسحاق الصابي، ولو شئت لذكرت الرابع يعني نفسه.

فأما الترجيح بين هذين الصدرين، أعني: الصاحب والصابئ، في الكتابة، فقد خاض فيه الخائضون، وأطنب المحصلون، ومن أشفى ما سمعته في ذلك: أن الصاحب كان يكتب كما يريد، وأبو إسحاق يكتب كما يؤمر، وبين الحالين بون بعيد، وكيف جرى الأمر، فهما هما، ولقد وقف فلك البلاغة بعدهما؟ ومما يدل على إناخة كلكل الزمان عليه، وصرف صروفه، بعد النباهة إليه، فصل كتبه إلى صديق له يستميحه، وهو: ولما صارت صروف الدهر تتوغل بعد التطريف وتجحف بعد التحيف، وصادف ما تجدد علي في هذا الوقت منها أشلاء، مني منهوكة، وأعظماً مبرية، وحشاشة مشفية، وبقية مودية، جعلت أختار الجهات، وأعتام الجنبات، لأنحو منها ما لا يعاب سائله إذا سأل، ولا يخيب آمله إذا أمل، وكان سيدي أولها إذا عددت، وأولاها إذا اعتمدت، وكتبت كتابي هذا، بيد يكاد وجهي يتظلم منها إذ تخطه، إشفاقاً على مائه مما يريقه، لولا الثقة بأنه يحقن مياه الوجوه ويحميها، ويجمها، ولا يقذيها.

فصل من كتاب إلى عضد الدولة في تهنئة بتحويل سنته:

أسأل الله مبتهلاً لديه، ماداً يدي إليه، أن يحيل على مولانا هذه السنة، وما يتلوها من أخواتها، بالصالحات الباقيات، والزيادات الغامرات، ليكون كل دهر يستقبله، وأمد يستأنفه، موفراً على المتقدم له، قاصراً عن المتأخر عنه، ويوفيه من العمر أطوله وأبعده، ومن العيش أعذبه وأرغده، عزيزاً منصوراً، محمياً موفوراً، باسطاً يده، فلا يقبضها إلا على نواصي أعداء وحساد، سامياً طرفه، فلا يغضه إلا على لذة غمض ورقاد، مستريحة ركابه، فلا يعملها إلا لاستضافة عز وملك، فائزة قداحه، فلا يجيلها إلا لحيازة مال وملك، حتى ينال أقصى ما يتوجه إليه أمنيته جامحة، وتسمو له همته طامحة.

وحدث هلال بن المحسن: حدثني جدي أبو إسحاق: ثم وجدت هذا الخبر بخط المحسن بن إبراهيم قال: حدثني والدي أبو إسحاق، قال: كان والدي أبو الحسن يلزمني في الحداثة والصبي قراءة كتب الطب، والتحلي بصناعته، وينهاني عن التعرض لغير ذلك، فقويت فيها قوة شديدة، وجعل لي برسم الخدمة في

البيمارستان عشرون ديناراً في كل شهر، وكنت أتردد إلى جماعة من الرؤساء، خلافة له، ونيابة عنه، وأنا مع ذلك كاره للطب، ومائل إلى قراءة كتب الأدب، كاللغة والشعر، والنحو والرسائل والأدب، وكان إذا أحس بهذا مني، يعاتبني عليه، وينهاني عنه، ويقول: يا بني، لا تعدل عن صناعة أسلافك، فلما كان في بعض الأيام، ورد عليه كتاب من بعض وزراء خراسان يتضمن أشياء كثيرة، كلفه إياها، ومسائل في الطب وغيره، سأله عنها، وكان الكتاب طويلاً بليغاً، قد تأنق منشئه، وتغارب، فأجاب عن تلك المسائل، وعمل جملاً لما يريده، وأنفذها على يدي إلى كاتب، لم يكن في ذلك العصر أبلغ منه، وسأله إنشاء الجواب عنه، قال: فمضيت، وأنشأت أنا الجواب، وأطلته وحررته، وجئت به إليه، فلما قرأه، قال: يا بني سبحان الله، ما أفضل هذا الرجل وأبلغه، فقلت له: هذا من إنشائي، فكاد يطير فرحاً، وضمني إليه، وقبل بين عيني، وقال: قد أذنت لك الآن، فامض، فكن كاتباً.

كان أبو إسحاق الصابئ واقفاً بين يدي عضد الدولة، وبين يديه كتب قد وردت عليه من ابن سمجور، صاحب خراسان، وعلى رأسه غلام تركي، حسن الوجه، جميل، الخليقة، وكان مائلاً إليه، ورأيت الشمس إذا وجبت عليه حجبه عنها، إلى أن استتم قراءة ما كان في يده، ثم التفت إليه، فقال له: هل قلت شيئاً يا إبراهيم؟ فقال:

وقفت لتحجبني عن الشمس ... نفس أعز علي من نفسي
ظلت تظللني ومن عجب ... شمس تقنعني عن الشمس

فسر بذلك، وطوى الكتب، وجعله مجلساً للقرب، وألقي على الجواري الستائر، فغنوا به في ذلك اليوم، وهو في الخامس من شوال سنة إحدى وستين وثلاثمائة.

وكتب إلى بعض أصدقائه: ولو حملت نفسي على الاستشفاع والسؤال، لضاق علي فيه المرتكض والمجال، لأن الناس عندنا – ما خلا الأعيان الشواذ الذين أنت بحمد الله أولهم – طائفتان: مجاملة، ترى أنها قد وفتك خيرها، إذا كفتك شرها، وأجزلت لك رفدها، إذا أجنبتك كيدها. ومكاشفة، تنزو إلى القبيح، نزو الجنادب، أو تدب، دبيب العقارب، فإن عوتبوا، حسروا قناع الشقاق، وإن غولظوا، تلثموا بلثام النفاق. والفريقان في ذاك كما قلت منذ أيام:

أيارب، كل الناس أبناء علة ... أما تعثر الدنيا لنا بصديق
وجوه بها من مضمر الغل شاهد ... ذوات أديم في النفاق صفيق
إذا اعترضوا عند اللقاء فإنهم ... قذى لعيون أو شجاً لحلوق
وإن أظهروا برد الودود وظله ... أسروا من الشحناء حر حريق
أخو وحدة قد آنستني كأنني ... بها نازل في معشر ورفيق
فذلك خير للفتى من ثوائه ... بمسبعة من صاحب وصديق

ومن خط أبي علي المحسن، بن إبراهيم بن هلال: حدثني والدي رحمه الله، قال: وصفتع وأنا حدث، للوزير أبي محمد المهلبي، وهو يومئذ يخاطب بالأستاذ، فاستدعى عمي أبا الحسن، ثابت بن إبراهيم، وسأله عني

والتمسني منه، ووعده في بكل جميل، فخاطبني عمي في ذلك، وأشار علي به، فامتنعت، لانقطاعي إلى النظر في العلوم، وكنت مع هذه الحال شديد الحاجة إلى التصرف، لقرب العهد بالنكبة من توزون، التي أتت على أموالنا، فلم يزل بي أبي، حتى حملني إليه، فلما رآني تقبلني، وأقبل علي، ورسم لي الملازمة، وبحضرته في ذلك الوقت جماعة من شيوخ الكتاب، فلما كان في بعض الأيام، وردت عليه عدة كتب من جهات مختلفة، فاستدعاني، وسلمها إلي، وذكر لي المعاني التي تتضمنها الأجوبة، وأطال القول، فمضيت، وأجبت عن جميعها، من غير أن أخل بشيء من المعاني التي ذكرها، فقرأها حتى أتى على آخرها، وتقدم إلي في الحال بإحضار دواتي، والجلوس بين يديه متقدماً على الجماعة، فلزم بعضهم منزله وجداً وغضباً، وأظهر بعضهم التعالل، فلم أزل أتلطف وأداري، وأغضي على قوارص تبلغني، حتى صارت الجماعة إخواني وأصدقائي.

وقرأت بخطه أيضاً: وفي كتاب الوزراء لابنه، قال المحسن: حدثني والدي: وقال هلال: حدثني جدي: واللفظ والمعنى يزيد وينقص، والاعتماد على ما في كتاب هلال، لأنه أتم، قال أبو إسحاق: كنت في مجلس الوزير أبي محمد المهلبي، في بعض أيام الحداثة، جالساً في مجلس أنسه، وبين يديه أبو الفضل العباس بن الحسين، وأبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن، وأبو علي الحسين بن محمد الأنباري، وأبو الفرج بن أبي هشام، وغيرهم من خلفائه وكتابه، وقد أخذ الشراب من الجماعة، وزاد بهم على حد التشوه وكانت لي في ذلك مزية، لأنني شربت معه أرطالاً عدة، إذ حضر رسول الأمير معز الدولة، يذكر أن معه مهما، فقال أبو محمد: يدخل، فدخل، وقال: الأمير يقول: تكتب عني الساعة كتاباً إلى محمد بن إلياس، صاحب كرمان، تخطب فيه ابنته لبختيار، فقال الوزير: هذا كتاب يحتاج إلى تأمل وتثبت، وما في الكتاب من فيه، مع السكر، فضل له، ثم التفت إلى أبي علي الأنباري، فقال له: تتمكن يا أبا علي من كتبه؟ فقال: أما الليلة وعلى مثل هذه الحالة والصورة فلا، ورآني الوزير مصغياً إلى القول، متشوفاً لما يرسمه لي في ذلك، فقال: تكتبه يا أبا إسحاق؟ قلت: نعم: قال: افعل، فقمت إلى صفة يشاهدني فيها، واستدعيت دواتي، ودرجاً منصورياً، وكتبت كتاباً اقتضبته بغير روية، ولا نسخة، والوزير والحاضرون يلاحظوني، ويعجبون من إقدامي، ثم اقتضابي وإطالتي، فلما فرغت منه، أصلحته، وعنونته، وحملته إليه، فوقف عليه ووجهه متهلل، في أثناء القراءة والتأمل، ورمى به إلى أبي علي بن الأنباري، ثم قال للجماعة: هذا كتاب حسن، دال على الكفاية المبرزة، ولو كتبه صاحياً مروياً، لكان عجباً، فكيف إذ يكتبه منتشياً مقتضباً، ولكنه كاتبي وصنيعتي، قم يا أبا إسحاق من موضعك، واجلس ههنا، حيث أجلستك الكفاية، وأومأ إلى جانب أبي الغنائم ابنه، فقبلت يده ورجله، وشكرته، ودعوت له، وجلست بحيث أجلسني، وشرب لي ساراً، ثم استدعى حاجبه، وقال: تقدم دابته إلى حيث تقدم دواب خلفائي، ويوفى من الإكبار الإكرام ما يوفونه، فحسدني على ذلك كل من كان حاضراً، ووفوني من الغد حكم المساواة، في المخاطبة والمعاملة، واستشعروا عندها أسباب العداوة والمنافسة، ثم قلدني دواوين الرسائل، والمظالم، والمعاون تقليداً سلطانياً، كتب به: عن المطيع لله إلى أصحاب الأطراف.

وحدث هلال بن المحسن، قال: حدثني جدي أبو إسحاق، قال: كان أبو طاهر بن بقية واقفاً بين يدي عضد الدولة في سنة أربع وستين وثلاثمائة التي ورد فيها للمعاونة على الأتراك، فقال لي عضد الدولة: لو عرضت

علينا أبياتك إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف، التي هي، وأنشدها، وكانت:

يا راكب الجسرة العيرانة الأجد ... تدمى مناسمها في الحزن والجدد
أبلغ أبا قاسم نفسي الفداء له ... مقالة من أخ للحق معتمد
أنصفت فيها ولم أظلم، وما حسن ... بالمرء إلا مقال الحق والسدد
في كل يوم لكم فتح له خطر ... يشاد فيه بذكر السيد العضد

وما لنا مثله لكننا أبداً ... نجيبكم بجواب الحاسد الكمد
فأنت أكتب مني في الفتوح وما ... تجري مجيباً إلى شأوى ولا أمدي
إذ لست تعرفها تأتيك من أحد ... ولست أعرفها تمضي إلى أحد
وما ذممت ابتدائي إذ بدأتكم ... ولا جوابكم في القرب والبعد
وإنما رمت أن أثني على ملك ... مستطرد بدليل فيه مطرد

قال: فلما استتمها، قال لأبي طاهر: ما قصد أبو إسحاق في هذه الأبيات؟ وسمعها أبو طاهر صفحاً، وقد كان شرب أقداحاً، ولم يعلق بذكره من الأمر إلا ذكر المجلس، واشتهر خبرها عند كل أحد، مما عاد عضد الدولة إلى شيراز سألني أبو طاهر بن بقية عنها، وطالبني بإنشادها غياه، فلم يمكنني إنكارها، فغيرتها في الحال على هذا الوجه:

يا راكب الجسرة العيرانة الأجد ... تدمى مناسمها في الحزن والجدد
أبلغ أبا قاسم، نفسي الفداء له ... مقالة من أخ للود معتقد
أنصفت فيها ولم أظلم، ولا حسن ... بالمرء إلا مقال الحق والسدد
قد أعجبتك فتوح أنت كاتبها ... تردد السجع فيها غير متئد
خلا لك الجو إذ أصبحت منتشياً ... تشدو بها طرباً كالطائر الغرد
تروعني كل يوم منك رائعة ... تبغي الجواب لها من موجع كمد
فأنت أكتب مني في الفتوح وما ... تجري مجيباً إلى شأوي ولا أمدي
أعطيتني شر قسميها وفزت بما ... فيه الفوائد من قرب ومن بعد
فاشكر إلهك واعذرني فقد صديت ... قريحتي من زمان مقرف تلد

ثم سعي بأبي إسحاق إلى عز الدولة، حتى قبض عليه، بعد أن أعطانا أماناً، كتبه ابن بقية بيده، ولم يستقص ابن بقية عليه، لحق كان قد أوجبه عليه، أيام كون عضد الدولة بيع فكتب أبو إسحاق إلى ابن بقية من الحبس:

ألا يا نصير الدين والدولة الذي ... رددت إليها العز، إذ فات رده
أيعجزك استخلاص عبدك بعد ما ... تخلصت مولاك الذي أنت عبده؟

وكتب أبو إسحاق إلى المطهر بن عبد الله، وزير عضد الدولة، وقد عرضت له شكاة:

لو استطعت أخذت علة جسمه ... فقرنتها مني بعلة حالي

وجعلت صحتي التي لم تصف لي ... بدلاً له من صحة الإقبال
فتكون عندي العلتان كلاهما ... والصحتان له بغير زوال

قرأت بخط أبي علي بن إبراهيم الصابئ، كتب والدي إلى بعض إخوانه: كانت رقعتك يا سيدي، وصلت إلي، مشتملة من لطيف تفضلك وبرك، وأنيق نظمك ونثرك، على ما شغلني الاستحسان له، والاسترواح إليه، وتكرير الطرف في مبانيه، والفكرة في معانيه، عن الشروع في الإجابة عنه، ثم تعاطيتها، فوجدتني بين حالتين، إما أوجزت إيجازاً، يظن معه التقصير، أو أطلت إطالة، يظهر منها القصور، فرأيت أولى الأمرين، بذل الممكن، واستنفاد المجهود، بعد تقديم الإقرار لك، والاعتراف بفضلك.

فسبحان رب كريم حبا ... ك بطول اللسان وطول البنان
ووفاك من فضل إنعامه ... كمالاً تقصر عنه الأماني
فما كنت أحسب أن الزما ... ن يزان بمثلك لولا عياني

ومن خطه: حدثني والدي أبو إسحاق قال: راسلت أبا الطيب المتنبي – رحمه الله – في أن يمدحني بقصيدتين، وأعطيه خمسة آلاف درهم، ووسطت بيني وبينه رجلاً من وجوه التجار، فقال له: قل له: والله ما رأيت بالعراق من يستحق المدح غيرك، ولا أوجب علي في هذه البلاد أحد من الحق ما أوجبت، وإن أنا مدحتك، تنكر لك الوزير، يعني – أبا محمد المهلبي، – وتغير عليك، لأنني لم أمدحه، فإن كنت لا تبالي هذه الحال، فأنا أجيبك إلى ما التمست، وما أريد منك منالاً، ولا عن شعري عوضاً، قال والدي: فتنبهت على موضع الغلط، وعلمت أنه قد نصح، فلم أعاوده.

ومن شعر أبي إسحاق، قوله:

جرت الجفون دماً، وكأسي في يدي ... شوقاً إلى من لج في هجراني
فتخالف الفعلان، شارب قهوة ... يبكي دماً، وتشاكل اللونان

فكأن ما في الجفن من كأسي جرى ... وكأن ما في الكأس من أجفاني

وله أيضاً:

أيها اللائم المضيق صدري ... لا تلمني فكثرة اللوم تغري
قد أقام القوام حجة عشقي ... وأبان العذار في الحب عذري

وله أيضاً في غاية الجودة:

حذرت قلبي أن يعود إلى الهوى ... لما تبدل بالنزاع نزوعاً
فأجابني لا تخش مني بعد ما ... أفلت من شرك الغرام وقوعاً
حتى إذا داع دعاه إلى الهوى ... أصغى إليه سامعاً ومطيعا
كذبالة أخمدتها فكما دنا ... منها الضرام تعلقته سريعا

وله أيضاً:

مرضت من الهوى حتى إذا ما ... بدا ما بي لإخواني الحضور

تكنفني ذوو الإشفاق منهم ... ولاذوا بالدعاء وبالنذور
وقالوا للطبيب: أشر فإنا ... نعدك للعظيم من الأمور
فقال شفاؤه الرمان مما ... تضمنه حشاه من السعير
فقلت لهم: أصاب بغير قصد ... ولكن ذاك رمان الصدور

وله أيضاً:

إلى الله أشكو ما لقيت من الهوى ... بجارية أمسى بها القلب يلهج
إذا امتزجت أنفاسنا بالترامنا ... توهمت أن الروح بالروح يمزج
كأني وقد قبلتها بعد هجعة ... ووجدي ما بين الجوانح يلعج
أضفت إلى النفس التي بين أضلعي ... بأنفاسها نفساً إلى الصدر تولج
فإن قيل لي اختر أيما شئت منهما ... فإني إلى النفس الجديدة أحوج

وله أيضاً:

أقول، وقد جردتها من ثيابها ... وعانقتها كالبدر في ليلة التم
وقد آلمت صدري لشدة ضمها ... لقد جبرت قلبي وإن أوهنت عظمي

وله أيضاً:

إن نحن قسناك بالغصن الرطيب فقد ... حفنا عليك به ظلماً وعدوانا
لأن أحسن ما نلقاه مكتسياً ... وأنت أحسن ما نلقاك عرياناً

وله أيضاً:

فديت من لاحظ طرفها ... من جيفة الناس بتسليمته
لما رأت بدر الدجى تائهاً ... وغاظها ذلك من شيمته
سرت له البرقع من وجهها ... فردت البدر إلى قيمته

وكتب أبو إسحاق إلى الوزير، أبي نصر سابور أبن أردشير جواباً عن كتاب إليه:

أتتني على بعد المدى منك نعمة ... تشاكل ما قدمت من نعم عندي
كتابك مطوياً على كل منه ... يمن بها المولى الكريم على العبد
فقبلت إجلالاً له الأرض ساجداً ... وعفرت، قدام الرسول به خدي
وقابلت ما فيه من الطول والندى ... بما في من شكر عليه ومن حمد
وعاليت نحو العرش طرفي باسطاً ... يدي بدعاء قد بذلت به جهدي
وكم لك عندي من يد قد حفظتها ... ولم ينسنيها ما تطاول من عهد

وقال في غلام له، اسمه رشد أسود:

قد قال رشد وهو أسود للذي ... ببياضه يعلو علو الحائن
ما فخر خدك بالبياض وهل ترى ... أن قد أفدت به مزيد محاسن؟؟
ولو أن مني فيه خالاً زانه ... ولو أن منه في خالاً شانني

وله فيه أيضاً:

لك وجه كأن يمناي خط ... ته بلفظ تمله آمالي

فيه معنى من البدور ولكن ... نفضت صبغها عليها الليالي

لم يشنك السواد بل زاد حسناً ... إنما يلبس السواد الموالي

وله في البق:

وليلة لم أذق من حرها وسناً ... كأن في جوها النيران تشتعل

أحاط بي عسكر للبق ذو لجب ... ما فيه إلا شجاع فاتك بطل

من كل شائكة الخرطوم طاعنة ... لا تحجب السجف مسراها ولا الكلل

طافوا علينا، وحر الشمس يطبخنا ... حتى إذا أنضجت أجسادنا أكلوا

وقال يذم البصرة، وكان قد خرج إليها لاستيفاء مال السلطان:

ليس يغنيك في التطهر بالبص ... رة إن حانت الصلاة اجتهاد

إن تطهرت فالمياه سلاح ... أو تيممت فالصعيد سماد

وقال عند رحيله عنها:

توليت عن أرض البصيرة راحلاً ... وأفئدة الفتيان حشو حقائبي

منازل تقري ضيفها كل ليلة ... بأمثال غزلان الصريم الربائب

أقمت بها سوق الصبا والندى معاً ... لعاشقة حيرى وحيران لاعب

فما تظهر الأشواق إلا صنائعي ... ولا تستر الجدران إلا حبائبي

وقال، وقد عتب على بعض ولده:

أرضى عن ابني إذا ما عقني حذراً ... عليه أن يغضب الرحمن من غضبي

ولست أدري لم استحققت من ولدي ... إقذاء عيني وقد أقررت عين أبي؟

وكتب إلى بعض الرؤساء، يلتمس منه إشغال بعض ولده وإجراء رزق عليه:

وما أنا إلا دوحة قد غرستها ... وسقيتها حتى تراخى بها المدى

فلما اقشعر العود منها وصوحت ... أتتك بأغصان لها تطلب الندى

وكتب إليه أبو علي المحسن ابنه، تسلية في إحدى نكباته:

لا تأس للمال إن غالته غائلة ... ففي حياتك من فقد اللهى عوض

إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جمعت ... يداك من طارف أو تالد عرض

وأجابه أبو إسحاق:

يا درة أنا من دون الورى صدف ... لها أقيها المنايا حين تعترض

قد قلت للدهر، قولاً كان مصدره ... عن نية لم يشب إخلاصها مرض:

دع المحسن يحيا، فهو جوهرة ... جواهير الأرض طرا عندها عرض

والنفس لي عوض عما أصبت به ... وإن أصبت بنفسي فهو لي عوض
أتركه لي وأخاه، ثم خذ سلبي ... ومهجتي، فهما مغزاي والغرض
وقال يمدح المهلبي:
وكم من يد بيضاء حازت جمالها ... يد لك لا تسود إلا من القسس
إذا رقشت بيض الصحائف خلتها ... تطرز بالظلماء أردية تشمس
وله فيه، وقد فصد من غير علة:
لهجت يمينك بالندى، فبنانها ... أبداً يفيض حتى العفاة عطاء
حتى فصدت، وما بجسمك علة ... كيما تسبب للطبيب حباء
ولقد أرقت دماً زكياً من يد ... حقنت، بيدي الأمور، دماء
يجري العلا في عرقه جري الندى ... في عوده، فهو اللباب صفاء
لو يقدر الأحرار حين أرقته ... جعلوا له حب القلوب وعاء
فانعم وعش في صحة وسلامة ... تحيي الولى وتكبت الأعداء
وله أيضاً فيه:
لا تحسب الملك الذي أوتيته ... يفضي، وإن طال الزمان، إلى مدى
كالدوح في أفق السماء فروعه ... وعروقه متوجلات في الندى
في كل عام يستجد شبيبة ... فيعود ماء العود فيه كما بدا
حتى كأنك دائر في حلقة ... فلكية في منتهاها المبتدا
وله في ابن سعدان:
وما زلت من قبل الوزارة جابري ... فكن رائشي، إذ أنت ناه وآمر
أمنت بك المحذور، إذ كنت شافعاً ... فبلغني المأمول إذ أنت قادر
لعمري، لقد نلت المنى بك كلها ... وطرفي إلى نيل المنى بك ناظر
عكس قول المهلبي:
بلغت الذي قد كنت آمله بكم ... وإن كنت لم أبلغ لكم ما أؤمل
وله إلى الصاحب:
لما وضعت صحيفتي ... في بطن كف رسولها
قبلتها لتمسها ... يمناك عند وصولها
وتود عيني أنها اق ... ترنت ببعض فصولها
حتى ترى في وجهك ال ... ميمون غاية سؤلها
وقال لأبي القاسم عبد العزيز بن يوسف:
أبو قاسم عبد العزيز بن يوسف ... عليه من العلياء عين تراقبه
روى ورعى لما روى قول قائل ... " وشبع الفتى لؤم إذا جاع صاحبه "

وله تهنئة بالعيد:

يا سيداً أضحى الزما ... ن بأسره منه ربيعا
أيام دهرك لم تزل للناس أعياداً جميعا
حتى لأوشك بينها ... عيد الحقيقة أن يضيعا
فاسلم لنا. ما أشرقت ... شمس على أفق طلوعا
واسعد بعيد ما يزا ... ل إليك معتقداً رجوعا

وله أيضاً، يهنئ عضد الدولة بالأضحى:

صل يا ذا العلا لربك وانحر ... كل ضد وشانئ لك أبتر
أنت أعلى من أن تكون أضاح ... يك قروماً من الجمالة تعقر
بل قروماً من الملوك ذوي السو ... دد تيجانها أمامك تنثر
كلما خر ساجداً لك رأس ... منهم، قال سيفك: الله أكبر

وله أيضاً:

ولما رأيت الله يهدي وخلقه ... تجاسرت واستفرغت جهد جهيد
فكان احتفالي في الهدية درهماً ... يطير على الأنفاس يوم ركود
وجزءاً لطيفاً ذرعه ذرع محبسي ... وتقييده بالشكل مثل قيودي
ألاطف مولانا، وكالماء طبعه ... تسلسل من عذب النطاف برود

وكتب إلى الوزير أبي نصر سابور بن أردشير، وقد أعيد إلى الوزارة:

قد كنت طلقت الوزارة بعد ما ... زلت بها قدم وساء صنيعها
فغدت بغيرك تستحل ضرورة ... كيما يحل إلى ذراك رجوعها
والآن آلت ثم آلت حلفة ... ألا يبيت سواك وهو ضجيعها

وله يهجو:

أيها النابح الذي يتصدى ... بقبيح يقوله لجوابي
لا تؤمل أني أقول لك: اخسأ ... لست أسخو بها لكل الكلاب

وله يهجو:

وراكب فوق طرف ... كأنه فوق طرفي
له قذال متين ... يجل عن كل وصف
يذوب شوقاً إليه ... نعلي وخفي وكفي

وله يهجو:

يبدي اللواط مغالطاً، وعجانه ... أبداً لأعراد الورى مستهدف
فكأنه ثعبان موسى إذ غدا ... لحبالهم وعصيهم يتلقف

وله يصف الشعر:

لقد شان شأن الشعر قوم كلامهم ... إذا نظموا شعراً من الثلج أبرد

فيا رب إن لم تهدهم لصوابه ... فأضللهم عن وزن ما لم يجودوا

وله أيضاً:

إذا جمعت بين امرأين صناعة ... فأحييت أن تدري الذي هو أحذق

فلا تتفقد منهما غير ما جرت ... به لهما الأرزاق حين تفرق

فحيث يكون النقص، فالرزق واسع ... وحيث يكون الفضل، فالرزق ضيق

وله أيضاً:

كل الورى من مسلم ومعاهد ... للدين منه فيك أعدل شاهد

فإذا رآك المسلمون تيقنوا ... حور الجنان لدى النعيم الخالد

وإذا رأى منك النصارى ظبية ... تعطو ببدر فوق غصن مائد

أثنوا على تثليثهم واستشهدوا ... بك إذ جمعت ثلاثة في واحد

وإذا اليهود رأوا جبينك لامعاً ... قالوا لدافع دينهم والجاحد

هذا سنا الرحمن حين أبانه ... لكليمه موسى النبي العابد

ويرى المجوس ضياء وجهك فوقه ... مسود فرع كالظلام الراكد

فتقوم بين ظلام ذاك ونور ذا ... حجج أعدوها لكل معاند

أصبت شمسهم، فكم لك فيهم ... من راكع عند الظلام وساجد

والصابئون يرون أنك فردة ... في الحسن إقراراً لفرد ماجد

كالزهرة الزهراء أنت لديهم ... مسعودة بالمشتري وعطارد

فعلى يديك جميعهم مستبصر ... في الدين من غاوي السبيل وراشد

أصلحتهم وقتلتني فتركتني ... من بينهم أسعى بدين فاسد

قرأت بخط أبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ، حدثني أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي الشاعر، قال: أعانني والدك أبو إسحاق إبراهيم ابن هلال في هجائي، خمرة المجنونة بالشيء الكثير، فمن ذلك:

لخمرة عندي حديث يطول ... رأتني أبول، فكادت تبول

وقالت: تقول بنا يا فتى ... فقلت، وأدليت: لم لا أقول؟

فلما نهضت أتتني رقاع ... وجاءت هدايا ووافي رسول

ومن ذلك أيضاً:

نام إيرى، وقد تولج فيها ... قائلاً فيه من هجير وحر

بيت خيش في برده ونداه ... سجفت دونه شريحة بظر

نعم مستبرد الغراميل لولا ... أنه منتن خبيث المقر

ومن ذلك أيضاً:

ألا هل قائل مني لخمره: ... فقدتك، كل شيء منك عبره

ألا كل النوى في البسر يخفى ... وقد أخفت نواتك كل بسره

إذا وردتك فيشة ذي جمام ... ترف نضارة وتروق حمره

تولت عنك صفراء النواحي ... عليها من ثياب حشاك صدره

فتدخل وهي فيشة جيسوان ... وتخرج وهي كالبرني صفره

ومن خط أبي علي المحسن حدثني السري ابن أحمد الشاعر الرفاء قال أنشدني والدك لنفسه:

مازلت في سكري ألمع كفها ... وذراعها بالقرص والآثار

حتى تركت أديمها وكأنما ... غرس البنفسج منه في الجمار

وأخذت هذا المعنى فقلت:

أحبب إلي بفتية نادمتهم ... بين المحلة والقباب البيض

من كل محض الجاهلية معرق ... في الخرمية بالعدي عريض

وسموا الأكف بخضرة فكأنما ... غرسوا بها الريحان في الإغريض

ومن خطه لأبي الحسن بن سكرة الهاشمي، من قصيدة إلى والدي وعمي أبي العلاء – رحمهما الله – :

آمنوا يا بني هلال جميعاً ... نوب الدهر والزمان المعاند

وارتقوا كيف شئتم في المعالي ... وأذلوا وأهبطوا كل حاسد

لكم في أبي العلاء علو ... وصعود ببدره التم صاعد

زاد في عزكم ومازال منكم ... كل يوم يزيد في الصيد واحد

وكتب من الحبس إلى ابنه المحسن، وقد أكثر من هذا في ترجمة أبيه:

كتبت أقيك السوء من مجلس صنك ... وعين عدوي، رحمةً منه لي، تبكي

وقد ملكتني كف فظ مسلط ... قليل التقى ضار على الفتك والإفك

صليت بنار الهم فازددت صفوة ... كذا الذهب الإبريز يصفو على السبك

وكتب إلى صديق له من الحبس:

نفسي فداؤك غير معتد بها ... إذ قد مللت حياتها وبقاءها

ولو أن لي مالاً سواها لم أكن ... أرضى لنفسك أن تكون إزاءها

لكن صفرت فلم أجد إلا التي ... قد آن لي أن أستطيل ذماءها

وإذا شكرت لمن فداك فإنني ... لك شاكر أن قد قبلت فداءها

وكأنني المفدى حين أرحتني ... من نائبات ما أطيق لقاءها

وقال في الحبس:

إذا لم يكن للمرء بد من الردى ... فأسهله ما جاء والعيش أنكد
وأصعبه ما جاءه وهو راتع ... تطيف به اللذات، والحظ مسعد
فإن أكُ شر العيشتين أعيشها ... فإني إلى خير المماتين أقصد
وسيان يوما شقوة وسعادة ... إذا كان غباً واحداً لهما الغد

وقال في الشيب:

يقول الناس لي: في الشيب عز ... يزيد به جلال المرء ضعفا
ولولا أنه ذلك وهون ... لما احتكم المزين فيه نتفا

أخذه من ابن الرومي:

كفاك من ذلتي للشيب حين أتى ... أني توليت نتفاً لحيتي بيدي

وله أيضاً:

وجع المفاصل وهو أي ... سر ما لقيت من الأذى
جعل الذي استحسنته ... والناس من حظي كذا
والعمر مثل الكأس ير ... سب في أواخرها القذى

حدث الرئيس أبو الحسن هلال، قال: قلت لجدي أبي إسحاق، تجاوز الله عنه وهو يشكو زمانه: يا سيدي، ما نحن بحمد الله تعالى إلا في خير وعافية، ونعمة كافية، فما معنى هذه الشكوى التي تواصلها، ويضيق صدرك بها، وينتغص عيشك معها؟ فضحك وقال: يا بني نحن كدود العسل، قد نقلنا منه إلى الخل، فهو ذا نحس بحموضته، ونأسى ونحزن على ما كنا فيه من العسل ولذته، وأنتم كدود الخل، ما ذقتم حلاوة غيره، ولا رأيتم طلاوة ضده.

ولأبي إسحاق من التصانيف: كتاب رسائله، وهو مشهور، نحو ألف ورقة، كتاب التاجي في أخبار أهله، كتاب اختيار شعر المهلبي، كتاب ديوان شعره.

إبراهيم بن علي الحصري القيرواني الأنصاري

قال ابن صهيب: مات بالمنصورة، من أرض القيروان سنة ثلاث عشرة وأربعمائة وقد جاوز الأشد.

قال: وكان شاعراً، نقاداً، عالماً بتنزيل الكلام، وتفصيل النظام، يحب المجانسة والمطابقة، ويرغب في الاستعارة، تشبهاً بأبي تمام في أشعاره، وتتبعاً لآثاره، وعنده من الطبع ما لو أرسله على سجيته، لجرى جري الماء، ورق رقة الهواء، كقوله في بعض مقطعاته:

يا هل بكيت كما بكت ... ورق الحمائم في الغصون
هتفت سحيراً والربى للقطر رافعة الجفون
فكأنها صاغت على ... شجوى شجي تلك اللحون
ذكرتني عهداً مضى ... للأنس منقطع القرين

فتصرمت أيمها ... وكأنها رجع الجفون

وله في الغزل:

كتمت هواك حتى عيل صبري ... وأدنتني مكاتمتي لرمسي

ولم أقدر على إخفاء حال ... يحول بها الأسى دون التأسي

وحبك مالك لحظي ولفظي ... وإظهاري وإضماري وحسي

فإن أنطق، ففيك جميع نطقي ... وإن أسكت ففيك حديث نفسي

وقوله أيضاً:

إني أحبك حباً ليس يبلغه ... همي ولا ينتهي فهمي إلى صفته

أقصى نهاية علمي فيه معرفتي ... بالعجز مني عن إدراك معرفته

وله تآليف جيدة في ملح الشعر والخبر.

قال ابن رشيق: وقد كان أخذ في عمل طبقات الشعراء على رتب الأسنان، وكنت أصغر القوم سنا، فصنعت:

رفقاً أبا إسحاق بالعالم ... حصلت في أضيق من خاتم

لو كان فضل السبق مندوحة ... فضل إبليس على آدم

فبلغه البيتان، فأمسك عنه، واعتذر منه، ومات، وقد سد عليه باب الفكرة فيه، ولم يصنع شيئاً.

والذي أعرف أنا من تصانيفه: كتاب زهرة الآداب، وكتاب النورين، اختصره منها، وهما يتضمنان أخباراً وأشعاراً حساناً، وكتاب المصون والدر المكنون، وله عندي: كتاب الجواهر، في الملح والنوادر، كتبه عبد القادر البغدادي.

إبراهيم بن يحيى بن المبارك بن المغيرة

اليزيدي، أبو إسحاق بن أبي محمد العدوي، قد ذكر السبب الذي من أجله سمي باليزيدي في خبر أبيه، وكان إبراهيم عالماً بالأدب شاعراً مجيداً، نادم الخلفاء، وقدم دمشق صحبة المأمون، كذا ذكر ابن عساكر في تاريخ دمشق، مات فيما ذكره أبو الفرج بن الجوزي في كتاب المنتظم، سنة خمس وعشرين ومائتين.

قال ابن عساكر: وكان قد سمع أباه أبا محمد اليزيدي وأبا زيد سعد بن أوس الأنصاري، والأصمعي. روى عنه أخوه أبو علي إسماعيل بن يحيى ابن المبارك، وابنا أخيه أحمد وعبيد الله ابنا محمد بن أبي محمد.

قال الخطيب: وهو بصري، سكن بغداد، وكان ذا قدر وفضل، وحظ وافر من الأدب، وله كتاب مصنف، يفتخر به اليزيديون، وهو ما اتفق لفظه، واختلف معناه، نحو من سبعمائة ورقة، رواه عنه ابن أخيه عبيد الله ابن محمد بن أبي محمد، وذكر إبراهيم: أنه بدأ بعمله، وهو ابن سبع عشرة سنة، ولم يزل يعمله إلى أن أتت عليه ستونه سنة، وله كتاب مصادر القرآن، قال ابن النديم: يبلغ فيه إلى سورة الحديد، ومات، وكتاب في بناء الكعبة وأخبارها، وكتاب النقط والشكل، وله كتاب المقصور والممدود. حدث ابن عساكر في تاريخه، بإسناد رفعه إلى إبراهيم بن أبي أحمد عن أبيه، قال: كنت مع أبي عمرو بن العلاء في مجلس إبراهيم ابن عبد

الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، فسأل عن رجل من أصحابه فقده، فقال لبعض من حضره: اذهب فاسأل عنه، فرجع فقال: تركته يريد أن يموت، فقال: فضحك منه بعض القوم، قوال: في الدنيا إنسان يريد أن يموت؟ فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها عربية، إذ يريد هاهنا بمعنى يكاد، قال الله تعالى: " يريد أن ينقض " ، قال: فقال أبو عمرو بن العلاء لا نزال بخير مادام فينا مثلك.

وحدث أيضاً قال: قال إبراهيم اليزيدي: كنت يوماً عند المأمون، وليس معنا إلا المعتصم، قال: فذكر كلاماً فلم أحتمله منه، يعني: من المعتصم، وأجبته قال: فأخفى ذلك المأمون ولم يظهر ذلك الإظهار، فلما صرت من غد إلى المأمون، كما كنت أصبر، قال لي الحاجب: أمرت ألا آذن لك، فدعوت بدواة وقرطاس، فكتبت:

أنا المذنب الخطاء، والعفو واسع ... ولو لم يكن ذنب لما عرف العفو

سكرت فأبدت مني الكأس بعض ما ... كرهت، وما إن يستوي السكر والصحو

ولا سيما إذ كنت عند خليفة ... وفي مجلس ما إن يليق به اللغو

ولولا حميا الكأس كان احتمال ما ... بدهت به لا شك فيه هو السرو

تنصلت من ذنبي تنصل ضارع ... إلى من لديه يغفر العمد والسهو

فإن تعف عني تلف خطوي واسعاً ... وإلا يكن عفو، فقد قصر الخطو

قال: فأدخلها الحاجب، ثم خرج إليّ، فأدخلني، فم المأمون باعيه، فأكببت على يديه فقبلتهما، فضمني إليه وأجلسني.

قال المرزباني: إن المأمون وقع على ظهر هذه الأبيات:

إنما مجلس الندامى بساط ... للمودات بينهم وضعوه

فإذا ما انتهوا إلى ما أرادوا ... من حديث ولذة رفعوه

وحدث أبو الفرج الإصبهاني في كتابه، ورفعه إلى إبراهيم بن اليزيدي، قال: كنت مع المأمون في بلد الروم، فبينا أنا أسير في ليلة مظلمة شاتية ذات غيم وريح، وإلى جانبي قبة إذ برقت بارقة، فإذا في القبة عريب المغنية جارية المأمون، فقالت: إبراهيم بن اليزيدي؟ قلت: لبيك، فقالت: قل في هذا البرق أبياتاً أغني فيها، فقلت:

ماذا بقلبي من أليم الخفق ... إذا رأيت لمعان البرق

من قبل الأردن أو دمشق ... لأن من أهوى بذاك الأفق

فارقته وهو أعز الخلق ... عليّ، والزور خلاف الحق

ذاك الذي يملك مني رقي ... ولست أبغي ما حييت عتقي

فتنفست نفساً ظننت أنه قد قطع حيازيمها، فقلت: ويحك، على من هذا؟ فضحكت، وقالت: على الوطن فقلت: هيهات، ليس هذا كله للوطن، فقالت: ويحك، أفتراك ظننت أنك تستفزني، والله لقد نظرت نظرة مريبة في مجلس، فادعاها أكثر من ثلاثين رئيساً، والله ما علم أحد منهم لمن كانت إلى هذا الوقت.

ووجدت في بعض الكتب: أن إبراهيم اليزيدي، دخل يوماً على المأمون، وعنده يحيى بن أكثم القاضي، فأقبل يحيى على إبراهيم يمازحه، وهم على الشراب، فقال له فيما قال: ما بال المعلمين ينيكون الصبيان، فرفع إبراهيم رأسه، فإذا المأمون يحرض يحيى على العبث به، فغاظ ذلك إبراهيم، فقال: أمير المؤمنين أعلم خلق الله بهذا، فإن أبي أدبه، فقام المأمون من مجلسه مغضباً، ورفعت الملاهي، وكل ما كان بحضرته، فأقبل يحيى بن أكثم على إبراهيم، فقال له: أتدري ما خرج من رأسك؟ إني لأرى هذه الكلمة سبباً في انقراضكم يا آل اليزيدي، قال إبراهيم: فزال عني السكر، وسألت من أحضر لي دواة ورقعة، فأحضرهما، وكتبت معتذراً بقولي:

أنا المذنب الخطاء، والعفو واسع

الأبيات المتقدمة، فرضي وعفا عنه.

قال إبراهيم: وكنت يوماً بحضرة المأمون، فقالت لي عريب، على سبيل الولع: يا سلعوس، قال: وكان من يريد العبث بإبراهيم، لقبه سلعوس، قال إبراهيم: فقلت لها:

قل لعريب: لا تكوني سلعسه ... وكوني كنزيف، وكوني كمونسه

هذه أسماء جواري المأمون، قال: فقال المأمون على الفور:

فإن كثرت منك الأقاويل لم يكن ... هنالك شك، أن ذلك وسوسه

فقال إبراهيم: كذا والله يا أمير المؤمنين قدرت، وإياه أردت، وعبت من فظنة المأمون وذهنه.

الأثرم الفابجاني الإصبهاني

ذكره في كتاب أصبهان، فقال: كان أحد علماء اللغة، وممن جاب بلدان العراق، يجمع اللغة والشعر، وتصحيحهما عن علمائهما.

أحمد بن إبراهيم الضبي

أبو العباس الملقب بالكافي الأوحد، الوزير بعد الصاحب أبي القاسم بن عباد، لفخر الدولة أبي الحسن علي ابن ركن الدولة بن بويه، مات في صفر سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ببروجرد، من أعمال بدر بن حسنويه، على ما نذكره، ذكره الثعالبي فقال: هو جذوة من نار الصاحب أبي القاسم، ونهر من بحره، وخليفته النائب منابه في حياته، القائم مقامه بعد وفاته، وكان الصاحب استصحبه منذ الصبا، واجتمع فيه الرأي والهوى، فاصطنعه لنفسه، وأدبه بآدابه، وقدمه بفضل الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه، وخرج منه صدراً يملأ الصدور كمالاً، ويجري في طريقه ترسماً وترسلاً، وفي ذرا المعالي توقلاً، ويحقق قول أبي محمد فيه من قصيدة:

تزهى بأترابها كما زهيت ... ضبة بالماجد ابن ماجدها

سمائها شمسها غمامتها ... هلالها بدرها عطاردها

يروى كتاب الفخار أجمع عن ... كافي كفاة الورى وواحدها

وقد كانت بلاغة العصر بعد الصاحب والصابئ بقيت متماسكة بأبي العباس، فأشرفت على التهافت بموته، وكادت تشيب بعده لمم الأقلام، وتجف غدر محاسن الكلام، لولا أن الله سد ببقاء الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد ثلم الآداب والكتابة، ثم وصفه بكلام كثير.

ومن شعر أبي العباس الضبي:

لا تركنن إلى الفرا ... ق فإنه مر المذاق

والشمس عند غروبها ... تصفر من ألم الفراق

وكتب إلى الصاحب كافي الكفاة:

أكافي كفاة الأرض ملكك خالد ... وعزك موصول فأعظم بها نعمى

نثرت على القرطاس دراً مبدداً ... وآخر نظماً قد فرعت به النجما

جواهر لو كانت جواهر نظمت ... ولكنها الأعراض لا تقبل النظما

وهذه رسالة من نثره كتبها إلى أبي سعيد الشيبي: وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين، فكان في الحسن روضة حزن، بل جنة عدن، وفي شرح النفس، وبسط الأنس، برد الأكباد والقلوب، وقميص يوسف في أجفان يعقوب، ومنها: – وبعد – فإن المنازعين للأمير حسام الدولة نسور قد اقتنصتها القصور، ودولته – حرسها الله – في إبان شبابها واعتدالها، وريعان إقبالها واقتبالها، قد أسست على صلاح وسداد، وعمارة دنيا ومعاد، وهي مؤذنه بالدوام، في ظل السلامة والسلام.

وأما سبب هربه إلى بروجرد، فإن أم مجد الدولة اتهمته أن سم ابن أخيها، وطلبت منه مائتي ألف دينار، نفقة في مأتمه فلم يفعل، والتجأ إلى بروجرد، وهي من أعمال بدر بن حسنويه الكردي، ثم بدا له في الرجوع إلى الوزارة، فبذل مائتي ألف دينار ليعاد إلى وزارته لمجد الدولة، فلم يجب إلى ذلك، فلما مات احتوى ابنه أبو القاسم سعد على تركته، وكانت عظيمة، ومات بعده بشهور، فاحتوى أبو بكر محمد بن عبد العزيز بن رافع على المال، وورد تابوت أبي العباس إلى بغداد مع أحد حجابه.

وكتب ابنه إلى أبي بكر الخوارزمي، شيخ أصحاب أبي حنيفة، يعرفه أنه وصى بدفنه في مشهد الحسين بن علي رضي الله عنهما، ويسأله القيام بأمره، وابتياع تربة له، فخاطب الشريف الطاهر أبا أحمد في ذلك، وسأله أن يبيعهم تربة بخمسمائة دينار، فقال: هذا رجل التجأ إلى جوار جدي، ولا آخذ لتربته ثمناً، وكتب نفسه الموضع الذي طلب منه، وأخرج التابوت إلى برانا، وخرج الطاهر أبو أحمد ومعه الأشراف والفقهاء وصلى عليه، وأصحب خمسين رجلاً من رجاله حتى أوصلوه ودفنوه هنالك.

وقد مدحه مهيار بقصائد منها:

أجيراننا بالغور والركب منهم ... أيعلم خال كيف بات المتيم؟؟

رحلتم وعمر الليل فينا وفيكم ... سواء ولكن ساهرون ونوم

فيا أنتم من ظاعنين وخلفوا ... قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم

يقون الوجوه الشمس والشمس فيهم ... ويسترشدون النجم والنجم منهم

أناشد نعمان الأخابير عنهم ... كفى خبرة مستفصح وهو أعجم

ولما جلا التوديع عمن أحبه ... ولم يبق إلا نظرة تتغنم
بكيت على الوادي وحرمت ماءه ... وكيف يحل الماء أكثره دم؟
ونفرت بالأنفاس عني حدوجهم ... كأن مطاياهم بهن توسم
وإن ملوكاً في " بروجرد " كرمت ... هم بذلوا الإنصاف فيما تكرموا
فميز من أعدائهم أولياؤهم ... إذا انتقموا يوم الجزاء وأنعموا
أسادتنا والجود صيرنا لكم ... عبيداً وعن قوم نعز ونكرم
إلام وكان البر منكم سجية ... تواصلنا يجفى وكم نتظلم؟
من اعتضتم عنا خطيباً لفضلكم ... وهل مثل شعري عن علاكم يترجم؟؟
وهل غير مدحي طبق الأرض فيكم ... وإن كان ملء الأرض ما قد مدحتم؟
ولما مات رثاه مهيار أيضاً بقصيدة منها:
أبكيك لي ولمن بلين بفرقه ال ... أيتام بعدك والنساء أرامل
ولمستجير والخطوب تنوشه ... متسطعم والدهر فيه آكل

ولمعشر طرق العلوم ذنوبهم ... في الناس وهي لهم إليك وسائل
قد كنت ملتحفاً بمدحك حلة ... فخراً تجر لها علي ذلاذل
فاليوم أشكرك الصنيع مراثياً ... خرس المشبب عندها والغازل

قال هلال: في عصر الجمعة لست بقين من صفر سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، توفي الصاحب كافي الكفاة أبو القاسم إسماعيل بن عباد بالري، ودفن من غد في داره، ونظر في الأمور بعده أبو العباس أحمد بن إبراهيم الضبي، الملقب بالكافي الأوحد، ومنزلة الصاحب، وعلو قدره، وما شاع من ذكره، يغني عن الإطالة، في وصف أمره.

فحدثني القاضي أبو العباس أحمد بن محمد البارودي قال: اعتل الصاحب أبو القاسم، فكان أمراء الديلم، ووجوه الحواشي، وأكابر الناس يغادون بابه ويراوحون، ويخدمونه بالدعاء، وتقبيل الأرض وينصرفون، وجاءه فخر الدولة عدة دفعات، فيقال إن الصاحب قال له وهو على يأس من نفسه: قد خدمتك أيها الأمير الخدمة التي استفرغت فيها الوسع، وسرت في دولتك وأيامك السيرة التي حصلت لك حسن الذكر بها، فإن أديت الأمور بعدي على رسومها علم أن ذلك منك، ونسب الجميل فيه إليك، واستمرت الأحدوثة الطيبة لك، ونسيت أنا في أثناء ما يثنى به عليك، وإن غيرت ذلك وعدلت عنه وسمعت أقوال من يحملك على خلافه، وتسلك به في طريقه، كنت المذكور بما تقدم والمشكور عليه، وقدح في دولتك ما يشيع أنفاً عنك، فقال له في جواب ذلك ما أراه به قبول رأيه. فلما كان وقد غروب الشمس من ليلة الجمعة المذكورة قضى نحبه.

وكان أبو محمد خازن الكتب ملازماً داره على سبيل الخدمة له، وهو عين لفخر الدولة في مراعاة الدار وما فيها، فأنفذ في الحال وعرفه الخبر، فأنفذ فخر الدولة خواصه وثقاته حتى أحاطوا على الدار والخزائن،

ووجد له كيس فيه رقاع أقوام بمائة ألف وخمسين ألف دينار مودعة عندهم، فاستدعاهم وطالبهم بذلك، فأحضروه، وكان فيه ما هو بختم مؤيد الدولة، ورجمت الظنون فيه، فقيل: إنه أخذه من خيانة، وقيل إنه أودعه مؤيد الدولة عن وصية منه إليه، ونقل ما كان في الدار والخزائن إلى دار فخر الدولة، وجهز الصاحب وأخرج تابوته وسط الناس، وقد جلس أبو العباس الضبي لعزائه، فلما بدا على أيدي الحاملين له قامت الجماعة إعظاماً له وقبلوا الأرض، ثم وقفت الصلاة عليه، وعلق بالسلاسل في بيت كبير إلى أن نقل إلى تربته بإصبهان.

وكان القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، قد قال: لا أرى الرحمة عليه، لأنه مات عن غير توبة هرت منه، فطعن عليه بذلك، ونسب إلى قلة الرعاية فيه، وقبض فخر الدولة على القاضي عبد الجبار وأصحابه، وقرر أمرهم على ثلاثة آلاف ألف درهم، فأدوا ذلك ورقاً وعيناً وقيمة عقار سلموه، وباع في جملة ما باع ألف طيلسان محشي، وألف ثوب مصري، وقلد القضاء بعده علي بن عبد العزيز، وطالب أبا العباس الضبي أن يحصل من الأعمال والمتصرفين فيها ثلاثين ألف ألف درهم، وقال له: إن الصاحب أضاع الأموال، وأهمل الحقوق، وينبغي أن يستدرك ما فات، ويتبع ما مضى، فامتنع من ذاك مع تردد القول فيه.

وكتب أبو علي الحسن بن أحمد بن حمولة وكان من أعلام الكتاب المتقدمين، الذين استخصهم الصاحب وأقر لهم بالفضل، وقد قاد الجيوش الكثيرة فهزمهم، فقامت له الهيبة التامة في قلوب العساكر، والملوك المجاورين، وكان عند موت الصاحب بجرجان، مقيماً مع الجيوش لمدافعة قابوس بن وشمكير، وجيوش خراسان، فكتب يخطب الوزارة ويضمن ثمانية آلاف ألف درهم عنها، فأجيب بالحضور، فلما قرب، قال فخر الدولة لأبي العباس الضبي: قد ورد أبو علي وعزمت على الخروج من غد لتلقيه، وأمرت الجماعة من قوادي وأصحابي بالنزول له، ولا بد من خروجك وفعلك مثل ذلك، فثقل هذا القول على أبي العباس، وقال له خواصه وأصحابه: هذا ثمرة امتناعتك عليه، وتقاعدك عما دعاك له، وسيكون لهذه الحال ما بعدها، فراسل فخر الدولة وبذل له ستة آلاف ألف درهم على إقراره على الوزارة، وإعفائه من تلقي أبي علي، وخرج فخر الدولة وتلقاه، ولم يخرج أبو العباس.

ورأى فخر الدولة أن من الصلاح لأمره الإشراك بينهما في وزارته، فسامح أبا علي بألفي ألف درهم من جملة الثمانية التي بذلها، وسامح أبا العباس بألفي ألف درهم من جملة الستة التي ذكرناها، وقرر عليهما عشرة آلاف ألف درهم، وجمع بينهما في النظر، وخلع عليهما خلعتين متساويتين، ورتب أمرهما على أن يجلسا في دست واحد، ويكون التوقيع لهذا في يوم، والعلامة للآخر، ويجعل الكتب باسمهما، فقدم هذا على عنواناتهما يوماً، ووقع التراضي بذلك، وجرت الحال عليه، ونظرا في الأعمال، وتحصيل الأموال، وقبضا على أصحاب الصاحب أبي القاسم ومن لحقته المسامحة في أيامه، وقررا عليهم المصادرات.

وذكر القاضي أبو العباس عن أبي العلاء بن المقرن أنه حدثه أنهما استخرجا من إصبهان وحدها جملة وافرة، وجرت حال غيرها من النواحي إلى مصادرة أهلها على مثل هذه الصورة، وأنفذا أبا بكر بن رافع إلى إستراباذ ونواحيها لاستيفاء ما يستوفيه من المعاملين والتناء فيها، فقيل: إنه جمع الوجوه، وأرباب الأحوال،

وأخر الإذن لهم حتى تعالى النهار، واشتد الحر، ثم أطعمهم طعاماً أكثر ملحه، ومنعهم الماء عليه وبعده، وقدم إليهم الدواة والكاغد وطالبهم بكتب خطوطهم بما يصححونه، ولم يزل يستام عليهم فيه وهم يتلهفون عطشاً، إلى أن ألزموا له عشرة آلاف ألف درهم، وتوقف العمال والمتصرفون عن الخروج إلى قزوين، لأن أهلها أهل امتناع وقوة، فبذل القارضي بن شيرمردي الخروج إليها، وذكر أنه يعرف وجوه أموال فيها، وخرج وحاول مطالبة أهلها، ومعاملتهم بمثل ما عومل به غيرهم، فاجتمعوا وهجموا عليه في داره وقتلوه.

واجتمع لفخر الدولة من الأموال في الخزائن والقلاع ما كثره المقللون ثم تمزق بعد وفاته، فلم تبق منه بقية في أسرع وقت، ثم مات فخر الدولة، وولي الأمر بعده ابنه مجد الدولة أبو طالب رستم، واستولت السيدة والدته على الأمر، وأجري أمر الوزيرين على حاله في أيام فخر الدولة من التشارك في تدبير المملكة، ومزقا أموال فخر الدولة، وبذراها غاية التبذير، ثم نجم قابوس، واستولى على رججان، وضام جيوش خراسان، فدعت الضرورة إلى تجهيز جيش إليه، وأن يخرج معه أحد الوزيرين، فتقارعا على من يخرج منهما، فوقعت القرعة على الجليل أبي علي الحسن بن أحمد بن حمولة، فخرج ومعه العساكر الجمة، ووقعت بينه وبين قابوس وقائع استنفدت الأموال التي صحبته، واحتاج إلى الإمداد من الري، فتقاعد به أبو العباس الضبي، فرجع إلى الري مفلولاً، وأقاما على أمرهما من الاشتراك مدة، ثم سعت بينهما السعاة وقالوا: فساد الأمر إنما هو من اشتراكهما، واختلاف آرائهما، والرأي أن يعزل أحدهما ويبقى الآخر، وكان ابن حمولة شديد الثقة بنفسه، معتقداً أن العساكر لا تختار غيره، ولا تريد سواه، فكان متغافلاً حتى دبر أبو العباس الضبي عليه، وقبض عليه بأمر السيدة، وحمله إلى قلعة استوناوند، ثم أنفذ إليه من قتله.

واستبد أبو العباس بالأمر، وجرت له خطوب، وعجز في آخرها ومات، فرأته السيدة، فاتهم أنه سقاه السم، فهرب حتى لحق بروجرد في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة ملتجئاً إلى بدر بن حسنويه، فلم يزل عنده إلى أن مات في بروجرد في سنة سبع وتسعين أو ثمان وتسعين، وتبعه ابنه أبو القاسم سعد لاحقاً به، وكانت المدة قريبة بينهما.

وقيل: إن أبا بكر بن رافع، واطأ أحد غلمانه فسقاه سماً كان فيه حتفه، ونهض أبو بكر من همذان إلى بروجرد لاحتمال تركته، فذكر أنه حصل له ما زاد على ستمائة ألف دينار.

أحمد بن إبراهيم أبو رياش

وجدت بخط الحميدي، فيما رواه عن التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة قال: هو أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي، ووجدت بخط بعض أدباء مصر قال: أبو رياش، أحمد بن إبراهيم الشيباني، ولعل أبا هاشم كنية إبراهيم، مات فيما ذكره أبو غالب همام بن الفضل بن مهذب المغربي في تارلايخه في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة.

قال أبو علي المحسن بن علي التنوخي: ومن رواة الأدب الذين شاهدناهم أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي، وكان يقال: إنه يحفظ خمسة آلاف ورقة لغة، وعشرين ألف بيت شعر، إلا أن أبا محمد المافروخي أبر عليه، لأنهما اجتمعا أول ما تشاهدا بالبصرة، فتذاكرا أشعار الجاهلية، وكان أبو محمد يذكر القصيدة فيأتي أبو رياش على عيونها، فيقول أبو محمد لا، إلا أن تهذها من أولها إلى آخرها، فينشد معه ويتناشدا إلى آخرها، ثم أتى أبو محمد بعده بقصائد لم يتمكن أبو رياش أن يأتي بها إلى آخرها، وفعل ذلك في أكثر من مائة قصيدة. حدثني بذلك من حضر ذلك المجلس معهما.

وحكى أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري، في كتابه المعروف بالرياش المصطنعي: أن أبا رياش كان طويل الشخص، جهير الصوت، يتكلم بكلام البادية، ويظهر أنه على مذهب الزيدية، ويتزوج كثيراً ويطلق، وكان يقول: ولدت بالبادية، ولعبت بالحضرمة، وتأدبت بالبصرة، والحضرمة بستان في ناحية اليمامة، له خاصية في عظم البصل، والريش والرياش حسن الهيئة والشارة.

وقال أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي في اليتيمة: كان أبو رياش باقعة في حفظ أيام العرب وأنسابها وأشعارها، غاية بل آية في هذ دواوينها وسرد أخبارها، مع فصاحة وبيان، وإعراب وإتقان، ولكنه كان عديم المروءة، وسخ اللبسة، كثير التقشف، قليل التنظف، وفيه يقول أبو عثمان الخالدي:

كأنما قمل أبي رياش ... ما بين صئبان قفاه الفاشي

وذا وذا قد لج في انتعاش ... شهدانج بدد في خشخاشِ

وكان مع ذلك شرهاً على الطعام، رجيم شيطان المعدة، حوتي الالتقام، ثعباني الالتهام، سيء الأدب في المؤاكلة، دعاه أبو يوسف الزيدي والي البصرة إلى مائدته، فلما أخذ في الأكل، مد يده إلى بضعة لحم فانتهشها ثم ردها إلى القصعة، فكان بعد ذلك إذا حضر مائدته أمر بأن يهيأ له طبق ليأكل عليه وحده.

ودعاه يوماً المهلبي الوزير إلى طعامه، فبينما هو يأكل، إذ امتخط في منديل الغمر وبصق فيه، ثم أخذ زيتونة من قصعة فغمزها بعنف حتى طفرت نواتها فأصابت وجه الوزير، فتعجب من سوء أدبه، فاحتمله لفرط علمه، ففي شره أبي رياشٍ يقول ابن لنكك:

يطير إلى الطعام أبو رياشٍ ... مبادرة ولو واره قبر

أصابعه من الحلواء صفر ... ولكن الأخادع منه حمر

وله فيه:

أبو رياش بغي والبغي مصرعه ... فشدد الغين ترميه بآبدته

عبد ذليل هجا للحين سيده ... تصحيف كنيته في صدغ والدته

وله فيه وقد ولاه المافروخي عملاً بالبصرة:

قل للوضيع أبي رياش لا تبل ... ته كل تيهك بالولاية والعمل

ما ازددت حين وليت إلا خسة ... كالكلب أنجس ما يكون إذا اغتسل

ولابن لنكك فيه أشعار كثيرة: بعضها في أخبار ابن لنكك، من كتاب الشعراء. وجدت في موضع آخر من كتاب نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي، كان أبو رياش أحمد بن أبي هاشم القيسي اليمامي رجلاً من حفاظ

اللغة، وكان جندياً في أول أمره مع المسمعي برسم العرب، ثم انقطع إلى العلم والشعر وروايته لنا بالبصرة، وأنا حديث مع عمي حتى صرت رجلاً، وكتبت عنه وأخذت منه علماً صالحاً، وكان يتعصب على أبي تمام الطائي. وقال بعض الحاضرين لأبي: إن من عيون شعر أبي رياش قوله في أبيات عند ذكر امرأة شبب بها:

لها فخذ بختية تعلف النوى ... على شفة لمياء أحلى من التمر

فغضب أبو رياش ونهض، فأمر أبي بإجلاسه وقال للحاضر القائل: ولا كل ذا: وترضاه، ووهب له دراهم صالحة القدر.

قال: وأخبرني من حضر مجلس أبي محمد المافروخي عامل البصرة، وقد تنازعا في شيء من اللغة اختلفا فيه، فقال أبو رياش: كذا أخبرتني عمتي أو جدتي في البادية عن العرب، ووجدتها تتكلم به. فقال له أبو الحسين محمد ابن محمد بن جعفر بن لنكك الشاعر وكان حاضراً: اللغة لا تؤخذ عن البغيات، فأمسك خجلاً، وكان أبو محمد المافروخي قد ولاه الرسم على المراكب بعبادان بحار سابع وأحسن إليه واختاره، عصبية منه للعلم والأدب، فقال ابن لنكك:

أبو رياش ولي الرسما ... وكيف لا يصفع أو يعمى

يا رب جدي دق في خصره ... ثم أتانا بقفا يذمى

قال وحدثني أبو رياش قال: مدحت الوزير المهلبي فتأخرت صلته، وطال ترددي إليه، فقلت:

وقائلة قد مدحت الوزي ... ر وهو المؤمل والمستماح

فماذا أفادك ذاك المدي ... ح وهذا الغدو وذاك الرواح؟

فقلت لها ليس يدري امرؤ ... بأي الأمور يكون الصلاح؟

علي التقلب والإضطرا ... ب جهدي وليس علي النجاح

قال المؤلف: وأما أبو محمد المافروخي الذي تقدم ذكره مكرراً، فهو أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الفروخي فإنه كان يتقلد عمالة البصرة، وكان من العلم والجلالة على ما تقدم ذكره، وكان مع ذلك تمتاماً، يكرر الحرف في كلامه، وهو الذي تسميه العامة فأفاء، وكان مستغلقاً جداً، فحدث التنوخي أنه اعترض جملاً يسير في صحن الدار بحضرته، ووقف ليخاطب عليه فلم يرضه فقال أخرجوه عني، وكرر أخ أخ لأجل عقلة لسانه، فبرك الجمل، لأنه ظن أنه يقال له ذلك، كما يقال إذا أريد منه البروك، قال: وكان إذا أنشد الشعر أون قرأ القرآن، قرأه وأورده على أحسن ما يكون من حسن الأداء، وطيب الحنجرة، فقيل له: لو كان كلامك كله شعراً أو كقراءة القرآن، تخلصت من هذه الشدة، فقال يكون ذلك طنزاً، قال: وكان أحد خلفائه قد خرج إلى بعض الأعمال، واستخلف بحضرته ابناً له، كان مثل المافروخي في التمتمة، فخاطبه المافروخي أول ما دخل إليه في أمر شيء قال فيه و. و. و. مراراً، فأجابه ذلك الابن بمثل كلامه، فقال يا غلمان قفاه، كأنه يحكيني، فصفع صفعاً محكماً، حتى حضره أقوام وحلفوا له أن ذلك عادته، فأخذ يعتذر إليه، قال الذنب لأبيه، لما نزل في حضرتي مثله فهذا خبر المافروخي لتعرفه،

أحمد بن إبراهيم الأديبي

الخوارزمي أبو سعيد، من مشاهير فضلاء خوارم وأدبائها وشعرائها.
قال أبو محمد في تاريخ خوارزم: ذكره أبو الفضل الصفاري في كتابه، قرأت بخطه أنه كان كاتباً بارعاً، حسن التصرف في الترسل، وافر الحظ من حسن الكتابة، وفصاحة البلاغة، وكان خطه في الدرجة العليا من أقسام الحسن والجودة، فمن كلامه: الزيادة فوق الحد نقصان، والإساءة بلسان الحق إحسان.
قال: وكان إذا رأى كتابة متعقدة متكلفة قال: الكتابة تسكن سكن أخرى: وكتب إلى بعض الرؤساء في شكاية رجل ثقيل: قد منيت من هذا الكهل الرازي، صاحب الجبة الكهباء، واللحية الشهباء بالداهية الدهياء، والصيلم الصماء، جعل لسانه سنانه، وأشفار عينيه الصلبة شفاره، فإذا تكلم كلم بلسانه، أكثر مما يكلم بسنانه، وإذا لمح ببصره، جرح القلوب بلحظه، أشد مما جرح الآذان بلفظه، يظهر للناس في زي مظلوم، وإنه لظالم، ويشكو إليهم وجع السليم، وهو سالم.
وكتب إلى بعض الرؤساء وقد حجب عنه:
ومحجب بحجاب عز شامخ ... وشعاع نور جبينه لا يحجب
حاولته فرأيت بدراً طالعاً ... والبدر يبعد بالشعاع ويقرب
قبلت نور جبينه متعززاً ... باللحظ منه وقد زهاه الموكب
كالشمس في كبد السماء ونورها ... من جانبيه مشرق ومغرب
إن بان شخصي عن مجالس غيره ... فالنفس في ألطافه تتقلب
وإذا تقاربت النفوس وما انتأت ... أشخاصها فهو الجواد الأقرب

وكتب إلى واحد، وقد بعث إليه شاة: وصلت الشاة فكانت شاة الشياة، حسنة الحلي والشيات، ففرح الفراريج بمكانها، وملأوا منها حواصلهم، وثنوا بالدباء والدعاء أناملهم: وله: ساعدت الأيام بالمراد، ووفت بالميعاد، وجمعت لي بين طرفي الإصعاد والإسعاد، وله: حضرت مواليا الحضرة التي تضرب غليها أكباد الإبل، من كل فج عميق، وتمتد نحوها أعناق الأمل، من كل فوج وفريق، وله: أيام مولانا مشرقة، كأخلاقه، وأخباره عبقة، كأعراقه تزهى بجلال مكانه الرتب والمعارج، وتزين بكرم وجهه الأعياد والمهارج، وله: لا يليق خاتم العز والجلال إلا بخناصره، ولا يرجع الباطل إلى الحق إلا عند ناصره، وله: من لحظته عين إقباله، وسقته عين إفضاله، أقبلت سعوده بإشراق، وأذن عوده بإيراق، وله: إن كانت الوزارة دثرت رسومها وآثارها، ودرست أعلامها ومنارها، فلقد قيض الله لها مولانا فمد باعها، وعمر رباعها، فأنست بتدابيره الثاقبة من وحشة نفارها، واستروحت من آرائه الصائبة إلى كنفها وقرارها، وله: كتابي وأنا في سلامة إلا من الشوق إلى طلعته المسعودة، والنزاع إلى أخلاقه المشهودة، وملاحظة تلك الهمم العلية، ومطالعة تلك الحركات الشهية، ومجاري تلك الأنامل بالأقلام، فإنها إذا جرت نثرت الدرر، وأسالت على جباه الأنام الغرر، وسنت للبلغاء والكتاب، سنن الفقر والآداب.

أحمد بن إبراهيم بن محمد السجزي

أبو نصر، أحد الأدباء الفضلاء، قرأ على أبي بكر عبد القاهر، ثم قرأت بخط سلامة بن عياض الكفرطابي النحوي ما صورته: وجدت في آخر نسخة المعتضد، لعبد القاهر الجرجاني بالري مكتوباً، ما حكايته: قرأ علي الأخ الفقيه أبو نصر، أحمد بن إبراهيم بن محمد السجزي أيده الله، هذا الكتاب من أوله إلى آخره، قراءة ضبط وتحصيل، وكتبه عبد القاهر بن عبد الرحمن بخطه في شهر الله المبارك من شهور سنة أربع وخمسين وأربعمائة.

أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد

الطبيب يعرف بابن الجزار القيرواني، كان طبيباً حاذقاً دارساً، كتبه جامعة لمؤلفات الأوائل، فيه حسن الفهم لها، وله مصنفات فيه وفي غيره.
فمن أشهر كتبه في الطب، كتابه في علاج الأمراض، سماه زاد المسافر، وكتابه في الأدوية المفردة، المعروف بالاعتماد، وكتابه في الأدوية المركبة، المعروف بالبغية، ورسائله في النفس، وذكر اختلاف الأوائل فيها، وكان أيضاً له عناية بالتاريخ، ألف فيه كتاباً، رأيته في مجلدات تزيد على العشر، سماه التعريف بصحيح التاريخ، وذاك الذي أوجب ذكره في هذا الكتاب، وكان مع ذلك حسن المذهب بأصل السيرة، صائناً لنفسه، منقبضاً عن الملوك، ذا ثروة، ولم يكن يقصد أحداً إلى بيته، وكان له معروف، وأدوية يفرقها، وكان في أيام المعز لدين الله، في حدود سنة خمسين وثلاثمائة أو ما قاربها.
أحمد بن أحمد بن أخي الشافعي
هو رجل من أهل الأدب، رأيت جماعة من أعيان العلماء يفتخرون بالنقل من خطه، ورأيت خطه وليس بجيد المنظر، لكنه متقن الضبط، ولم أر أحداً ذكر شيئاً من خبره، لكني وجدت خطه في آخر كتاب، وقد قال فيه: كتبه أحمد بن أحمد المعروف بابن أخي الشافعي وراق ابن عبدوس الجهشياري، والجهشباري هذا قد ذكر في بابه، وقد جمع ديوان البحتري وغيره.

أحمد بن إسحاق بن البهلول

ابن حسان بن سنان، أبو جعفر التنوخي أنباري الأصل، ولي القضاء بمدينة المنصور عشرين سنة، ومات لإحدى عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر، سنة ثماني عشرة وثلاثمائة، ومولده بالأنبار سنة إحدى وثلاثين ومائتين، عن ثمان وثمانين سنة.
قال أبو بكر الخطيب: وحدث حديثاً كثيراً، وكان عنده عن أبي لهب محمد بن العلاء حديث واحد، وروى عنه الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين، والمخلص، وجماعة، وكان ثقة، قال: وذكر طلحة بن محمد بن جعفر في تسمية قضاة بغداد.
أحمد بن إسحاق بن البهلول، عظيم القدر، واسع الأدب، تام المروءة، حسن الفصاحة، حسن المعرفة بمذهب

أهل العراق، ولكن غلب عليه الأدب، وكان لأبيه إسحاق مسند كبير حسن، وكان ثقة، وحمل الناس عن جماعة من أهل هذا البيت، منهم البهلول بن حسان، ثم ابنه إسحاق، ثم أولاد إسحاق.

ولم يزل أحمد بن إسحاق على عضاء المدينة من سنة ست وتسعين ومائتين، إلى شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وثلاثمائة، ثم صرف، وكان بيناً في الحديث، ثقة مأموناً، جيد الضبط لما حدث به، وكان مفتياً في علوم شتى، منها الفقه على مذهب أبي حنيفة وأصحابه، وربما خالفهم في مسألات يسيرة، وكان تام العلم باللغة، حسن القيام بالنحو على مذهب الكوفيين، وله فيه كتاب ألفه، وكان تام الحفظ للشعر القديم والمحدث والأخبار الطوال والسير والتفسير، وكان شاعراً كثير الشعر جداً، خطيباً، حسن الخطابة والنفوه بالكلام، لسناً صالح الخط في الترسل والمكاتبة والبلاغة في المخاطبة، وكان ورعاً متخشناً في الحكم تقلد القضاء بالأنبار، وهيت، وطريق الفرات، من قبل الموفق بالله الناصر لدين الله، في سنة ست وسبعين ومائتين، ثم تقلد للناصر دفعة أخرى، ثم تقلد للمعتضد، ثم تقلد بعض كور الجبل للمكتفي، في سنة اثنتين وتسعين ومائتين، ولم يخرج إليها، ثم قلده المقتدر بالله في سنة ست وتسعين ومائتين بعد فتنة ابن المعتز القضاء بمدينة المنصور من مدينة السلام، وطسوج قطربل ومسكن، والأنبار، وهيت، وطريق الفرات، ثم أضاف له إلى ذلك بعد سنين القضاء بكور الأهواز مجموعة، لما مات قاضيها إذ ذاك محمد بن خلف، المعروف بوكيع، فمازال على هذه الأعمال إلى أن صرف عنها في سنة سبع عشرة وثلاثمائة.

وحدث أبو نصر يوسف بن عمر ابن القاضي أبي عمر محمد بن يوسف قال: كنت أحضر دار المقتدر بالله وأنا غلام حدث بالسواد مع أبي الحسين، وهو يومئذ قاضي القضاة، فكنت أرى في بعض المواكب القاضي أبا جعفر يحضر بالسواد، فإذا رآه أبي عدل إلى موضعه فجلس عنده، فيتذاكران الشعر والأدب والعلم، حتى يجتمع عليهما من الخدم عدد كثير، كما يجتمع على القصاص استحساناً لما يجري بينهما، فسمعته يوماً وقد أنشد بيتاً لا أذكره الآن، فقال له أبي أيها القاضي: إني أحفظ هذا البيت بخلاف هذه الرواية، فصاح عليه صيحة عظيمة وقال: اسكت، ألي تقول هذا؟ أنا أحفظ لنفسي من شعري خمسة عشر ألف بيت، وأحفظ للناس أضعاف ذلك وأضعافه وأضعافه، يكررها مراراً.

وفي رواية ابن عبد الرحيم عن التنوخي قال: قال له هات: ألي تقول هذا؟ وأنا أحفظ من شعري نيفاً وعشرين ألف بيت، سوى ما أحفظه للناس، قال: فاستحيى أبي منه لسنه ومحله وسكت. قال: وحدثني القاضي أبو طالب محمد ابن القاضي أبي جعفر ابن البهلول قال: كنت مع أبي في جنازة بعض أهل بغداد من الوجوه، وإلى جانبه في الحق جالس أبو جعفر الطبري، فأخذ أبي يعظ صاحب المصيبة ويسليه، وينشده أشعاراً، ويروي له أخباراً، فداخله الطبري في ذلك، وذئب معه، ثم اتسع الأمر بينهما في المذاكرة، وخرجا إلى فنون كثيرة من الأدب والعلم استحسنها الحاضرون، وعجبوا منها، وتعالى النهار وافترقنا، فلما جعلت أسير خلفه قال يا بني: هذا الشيخ الذي داخلنا اليوم في المذاكرة من هو؟ أترعفه؟ فقلت يا سيدي كأنك لم تعرفه؟ فقال لا: فقلت: هذا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، فقال: إنا لله، ما أحسنت عشرتي يا بني، فقلت: كيف يا سيدي؟ فقال: ألا قلت لي في الحال، فكنت أذاكره غير تلك المذاكرة، هذا رجل مشهور

بالحفظ، والاتساع في صنوف من العلم، وما ذاكرته بحسبها، قال: ومضت على هذا مدة، فحضرنا في حق لآخر وجلسنا، وإذ بالطبري يدخل إلى الحق، فقلت له: قليلاً قليلاً أيها القاضي، هذا أبو جعفر الطبري قد جاء مقبلاً، قال: فأومأ إليه بالجلوس عنده، فعدل إليه، فأوسعت له حتى جلس إلى جنبه، وأخذ أبي يجاريه، فكلما جاء إلى قصيدة ذكر الطبري منها أبياتاً، قال أبي هاتها يا أبا جعفر، فربما تلعثم، فيمر أبي في جميعه، حتى سبقه، قال: فما سكت أبي يومه ذاك إلى الظهر، وبان للحاضرين تقصير الطبري، ثم قمنا، فقال لي أبي: الآن شفيت صدري.

ولأبي جعفر هذا كتاب في النحو على مذهب الكوفيين، حدث أبو علي التنوخي، حدثني أبو الحسين علي بن هشام ابن عبد الله، المعروف بابن أبي قيراط، كاتب ابن الفرات، وأبو محمد عبد الله بن علي ذكويه، كاتب نصر القشوري، وأبو الطيب محمد بن أحمد الكلوذاني كاتب ابن الفرات، قالوا: كنا مع أبي الحسن بن الفرات، في دار المقتدر، في وزارته الثانية، في يوم الخميس لخمس ليال بقين من جمادى الآخرة من سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقد استحضر ابن قليجة رسول علي بن عيسى إلى القرامطة في وزارته الأولى، فواجه علي بن عيسى في المجلس بحضرتنا بأنه وجه إلى القرامطة مبتدئاً، فكاتبوه يلتمسون منه المساحي والطلق وعدة حوائج، فأنفذ جميع ذلك إليهم، وأحضر ابن الفرات معه خطه، " أي ابن عيسى " في نسخة أنشأها ابن ثوابة إلى القرامطة، جواباً عن كتابهم إليه، وقد أصلح علي بن عيسى فيها بخطه، ولم يقل إنكم خارجون عن ملة الإسلام بعصيانكم أمير المؤمنين، ومخالفتكم إجماع المسلمين، وشقكم العصا، ولكنكم خارجون عن جملة أهل الرشاد والسداد، وداخلون في جملة أهل العناد والفساد، فهجن ابن الفرات علياً بذلك، وقال: ويحك تقول القرامطة مسلمون؟ والإجماع قد وقع على أنهم أهل ردة، لا يصلون ولا يصومون، وتوجه إليهم بالطلق وهو الذي إذا طلي به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار، قال: أردت بهذا المصلحة، واستعادتهم إلى الطاعة بالرفق وبغير حرب، فقال ابن الفرات لأبي عمر القاضي: ما عندك في هذا يا أبا عمر؟ اكتب به، فأفحم، وجعل مكان ذلك أن أقبل على علي بن عيسى فقال: يا هذا، لقد أقررت بما لو أقر به إمام لما وسع الناس طاعته، قال: فرأيت علي بن عيسى وقد حدق إليه تحديقاً شديداً، لعلمه بأن المقتدر في موضع يقرب منه، بحيث يسمع الكلام ولا يراه الحاضرون، فاجتهد ابن الفرات بأبي عمر أن يكتب بخطه شيئاً فلم يفعل، وقال: قد غلط غلطاً وما عندي غير ذلك، فأخذ خطه بالشهادة عليه بأن هذا كتابه، ثم أقبل على أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول القاضي، فقال: ما عندك يا أبا جعفر في هذا؟ فقال: إن أذن الوزير أن أقول ما عندي فيه على شرح قلته، قال افعل: قال: صح عندي أن هذا الرجل وأومأ إلى علي بن عيسى، افتدى بكتابين كتبهما إلى القرامطة في وزارته الأولى ابتداء وجواباً ثلاثة آلاف رجل من المسلمين، كانوا مستعبدين، وهم أهل نعم وأموال، فرجعوا إلى أوطانهم ونعمهم، فإذا فعل الإنسان مثل هذا الكتاب على جهة طلب الصلح، والمغالطة للعدو لم يجب عليه شيء، قال: فما عندك فيما أقر به أن القرامطة مسلمون؟ قال: إذا لم يصح عنده كفرهم وكاتبوه بالتسمية لله ثم الصلاة على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وانتسبوا إلى أنهم مسلمون، وإنما ينازعون في الإمامة فقط لم يطلق عليهم الكفر، قال فما

عندك في الطلق ينفذ إلى أعداء الإمام؟ فإذا طلي به البدن أو غيره لم تعمل فيه النار، وصاح بها كالمنكر على أبي جعفر، فأخبرني، فأقبل ابن البهلول على علي بن عيسى فقال له: أنفذت الطلق الذي هذه صفته إلى القرامطة؟ فقال علي بن عيسى لا، فقال ابن الفرات: هذا رسولك وثقتك ابن قليجة، قد أقر عليك بذلك، فلحق علي بن عيسى دهشة فلم يتكلم، فقال ابن الفرات لأبي جعفر بن البهلول، احفظ إقراره بابن قليجة ثقته ورسوله، وقد أقر عليه بذلك، فقال: أيها الوزير: لا يسمى هذا مقراً، هذا مدع، وعليه البينة، فقال ابن الفرات: فهو ثقته بإنفاذه إياه، قال: إنما وثقه في حمل كتاب، فلا يقبل قوله عليه في غيره، فقال ابن أبي جعفر: أنت وكيله، ومحتج عنه؟، لست إلا حاكماً، فقال: لا، ولكني أقول الحق في هذا الرجل، كما قلته في حق الوزير – أيده الله، – لما أراد حامد بن العباس في وزارته ومن ضامه الحيلة على الوزير – أعزه الله – بما هو أعظم من هذا الباب، فإن كنت لم أصب حينئذ فلست مصيباً في هذا الوقت، فسكت ابن الفرات، والتفت إلى علي بن عيسى وقال: أقرمطي؟ فقال له علي بن عيسى: أيها الوزير، أنا قرمطي؟ أنا قرمطي؟ يعرض به، وذكر قصة طويلة، ليست من خبر ابن البهلول في شيء.

وحدث أبو الحسن علي بن هشام بن أبي قيراط قال: دخلت مع أبي إلى أبي جعفر أحمد بن إسحاق بن البهلول عقيب عيد لنهنئه به، وتطاول الحديث، فقال له أبي:

قد كنت أكاتب الوزير – أيده الله – إلى محبسه، يعني ابن الفرات، لأنه هو كان الوزير إذ ذاك الوزارة الثالثة، وأعرفه ما عليه القاضي من موالاته من كذا وكذا، والآن: وهو على شكر القاضي والاعتداد به، قال: فلما سمع ذلك فرق الغلمان، ومن كان في مجلسه من أصحابه حتى خلا، وقال: ليس يخفى علي النغير في عين الوزير، وإن كان لم ينقصني من رتبة ولا عمل، وبالله أحلف، لقد لقيت حامد بن العباس بالمدائن لما جيء به للوزارة، فقام لي في حراقته قائماً، وقال لي: هذا الأمر لك ولولدك، وسيبين لك ما أفعله في زيادتك، من الأعمال والأرزاق، ثم لقيته يوم الخلع عليه بعد لبسه إياها فتطاول، فلما فعلت به في أمر الوزير – أيده الله – ما فعلته بحضرة أمير المؤمنين عاداني، وصار لا يعيرني طرفه، وتعرضت منه لكل بلية، فكنت خائفاً له حتى أراح الله منه بتفرد علي بن عيسى بالأمور، واشتغاله هو بالضمان، وسقوط حاجتنا إلى لقائه، ومالي إلى هذا الوزير – أيده الله – ذنب يوجب انقباضه، إلا أني أديت الوديعة التي كانت له عندي، وبالله لقد وريت عن ذكرها جهدي، ودافعت بما يدافع به مثلي، ممن لا يمكنه الكذب. فلما جاء ابن حماد كاتب موسى بن خلف وأقر بها، وأحضر الدليل بإحضار المرأة التي حملتها، لم أجد بداً عن أدائها، وقد فعل مثلي أبو عمر في الوديعة التي كانت له عنده، إلا أن أبا عمر فعل ما قد علمته من حيلة، بشراء فص بنصف درهم، نقش عليه علي بن محمد، ووضع مالاً من عنده في أكياس ختمها به، وقال للوزير: وديعتك عندي بحالها، وإنما غرمت ما أديت عنك من مالي، وأراد التقرب إليه ففعل هذا، وأنت تعلم فرق ما بيني وبين أبي عمر في كثرة المال، فأريد أن تحل سخيمته، وتستصلح لي نيته، وتذكره بحقي القديم عليه، ومقامي له بين يدي الخليفة، ذلك، وإن مثل ذلك لا ينسى بتجن لا يلزم. فقال له أبي: أنا أفعل ولا أقصر، وقد اختلفت الأخبار علينا فيما جرى ذلك اليوم، فإن رأى القاضي – أعزه الله – أن يشرحه لي، فعل. فقال أبو جعفر:

كنت أنا، وأبو عمرو علي بن عيسى، وحامد بن العباس، بحضرة الخليفة مع جماعة من خواصه، وكلهم منحرف عن الوزير – أيده الله، – ومحب لمكروهه، إذ حضر حامد الرجل الجندي الذي ادعى أنه وجده راجعاً من أردبيل إلى قزوين، ثم إلى إصبهان ثم إلى البصرة، فإنه أقر له عفواً أنه رسول ابن الفرات إلى ابن أبي الساج، في عقد الإمامة لرجل من الطالبيين المقيمين بطبرستان، ليقويه ابن أبي الساج، ويسيره إلى بغداد، ويعاونه ابن الفرات بها، وأنه مخبر أنه تردد في ذلك دفعات، وخاطبه بحضرة الخليفة في أن يصدق عما عنده في ذلك، فذكر الرجل مثل ما أخبر به عنه حامد، ووصف أن موسى بن خلف كان يتحير لابن الفرات، لأنه من الدعاة الذين يدعونه إلى الطالبيين، وأنه كان يمضي في وقت من الأوقات إلى ابن أبي الساج في شيء من هذا، فلما استتم الخليفة سماع هذا الكلام، اغتاظ غيظاً شديداً، وأقبل على ابن عمر وقال: ما عندك فيمن فعله هذا؟ فقال: لئن كان فعل ذلك، لقد أتى أمراً فظيعاً، وأقدم على أمر يضر بالمسلمين جميعاً، واستحق لذا كلمة عظيمة لا أحفظها، قال أبو جعفر: وتبينت في علي ابن عيسى كراهية لما جرى، والإنكار للدعوى، والطنر بما قيل فيها، فقويت بذلك نفسي، وأقبل الخليفة علي فقال: ما عندك يا أحمد فيمن فعل هذا؟ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يعفيني. فقال ولم؟ فقلت: لأن الجواب ربما أغضبت به من أنا محتاج إلى رضاه، أو خالف ما يوافقه من ذلك ويهواه، ويضر بي، فقال: لابد أن تجيب، فقلت: الجواب ما قال الله تعالى، " يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين " ومثل هذا يا أمير المؤمنين لا يقبل فيه خبر واحد، والتمييز يمنع من قبول مثل هذا على ابن الفرات، أتراه يظن به أنه رضي أن يكون تابعاً لابن أبي الساج؟، ولعله ما كان يرضى وهو وزير أن يستحجبه، ثم أقبلت على الرجل فقلت له: صف لي أردبيل، عليها سور أم لا؟ فإنك على ما تدعيه من دخولها، لابد أن تكون عارفاً بها، واذكر لنا صفة باب دار الإمارة، هل هو حديد، أم خشب؟ فتلجلج، فقلت له: كاتب ابن أبي الساج بن محمود ما اسمه؟ وما كنيته؟ فلم يعرف ذلك، فقلت له فأين الكتب التي معك؟ فقال: لما أحسست بأني قد وقعت في أيديهم رميت بها

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

خوفاً من أن توجد معي فأعاقب، قال: فأقبلت على الخليفة وقلت: يا أمير المؤمنين، هذا جاهل متكسب، مدسوس من قبل عدو غير محصل، فقال علي بن عيسى مؤيداً لي: قد قلت هذا للوزير فلم يقبل قولي، وليس يهدد هذا فضلاً عن أن ينزل به مكروه إلا أقر بالصورة، فأقبل الخليفة على نذير الحرمي، وعدل عن أن يأمر نصراً الحاجب بذلك، لما يعرفه بينه وبين ابن الفرات. بحقنا عليك لما ضربته مائة مقرعة أشد الضرب، إلى أن يصدق عن الصورة، فعديَ بالرجل عن حضرة الخليفة ليبعد ويضرب، فقال: لا: إلا ههنا، فضرب بالقرب منه دون العشرة، فصاح: غدرت، وضمنت لي الضمانات، وكذبت، والله ما دخلت أردبيل قط، فطلب نزار بن محمد الضبي أبو معد، وكان صاحب الشرطة وقد انصرف، فقال الخليفة لعلي بن عيسى: وقع إليه بأن يضرب هذا مائة سوط، ويثقله بالحديد، ويحبس في المطبق، فوالله لقد رأيت حامداً وقد كاد يسقط انخذالاً وانكساراً ووجداً وإشفاقاً، وخرجنا وجلسنا في دار نصر الحاجب، وانصرف حامد، وأخذ علي ابن عيسى ينظر في الحوائج، وأخر أمر الرجل، فقال له حاجبه ابن عبدوس: قد وجه نذير بالمضروب المتكذب فقلت له: إنه وإن كان قد جهل، فقد غمني ما لحقه خوفاً من أن أكون سببه، فإن أمكنك أن تسقط عنه المكروه أو بعضه أجرت، فقال: ما في هذا – لعنه الله – أجر، ولكن أقتصر على خمسين مقرعة، وأعفيه من السياط، ثم وقع بذلك إلى نزار وانصرفنا، فصار حامد من أعدى الناس لي.وفاً من أن توجد معي فأعاقب، قال: فأقبلت على الخليفة وقلت: يا أمير المؤمنين، هذا جاهل متكسب، مدسوس من قبل عدو غير محصل، فقال علي بن عيسى مؤيداً لي: قد قلت هذا للوزير فلم يقبل قولي، وليس يهدد هذا فضلاً عن أن ينزل به مكروه إلا أقر بالصورة، فأقبل الخليفة على نذير الحرمي، وعدل عن أن يأمر نصراً الحاجب بذلك، لما يعرفه بينه وبين ابن الفرات. بحقنا عليك لما ضربته مائة مقرعة أشد الضرب، إلى أن يصدق عن الصورة، فعديَ بالرجل عن حضرة الخليفة ليبعد ويضرب، فقال: لا: إلا ههنا، فضرب بالقرب منه دون العشرة، فصاح: غدرت، وضمنت لي الضمانات، وكذبت، والله ما دخلت أردبيل قط، فطلب نزار بن محمد الضبي أبو معد، وكان صاحب الشرطة وقد انصرف، فقال الخليفة لعلي بن عيسى: وقع إليه بأن يضرب هذا مائة سوط، ويثقله بالحديد، ويحبس في المطبق، فوالله لقد رأيت حامداً وقد كاد يسقط انخذالاً وانكساراً ووجداً وإشفاقاً، وخرجنا وجلسنا في دار نصر الحاجب، وانصرف حامد، وأخذ علي ابن عيسى ينظر في الحوائج، وأخر أمر الرجل، فقال له حاجبه ابن عبدوس: قد وجه نذير بالمضروب المتكذب فقلت له: إنه وإن كان قد جهل، فقد غمني ما لحقه خوفاً من أن أكون سببه، فإن أمكنك أن تسقط عنه المكروه أو بعضه أجرت، فقال: ما في هذا – لعنه الله – أجر، ولكن أقتصر على خمسين مقرعة، وأعفيه من السياط، ثم وقع بذلك إلى نزار وانصرفنا، فصار حامد من أعدى الناس لي.

وقال ابن عبد الرحيم: حدثني القاضي أبو القاسم التنوخي، وله بأمره الخبرة التامة، لما يجمعهما من النسب في الصناعة، قال: كان أبو عفر من جلة الناس وعظمائهم وعلمائهم، وتقلد قضاء الأنبار، وهيت، والرحبة،

وطريق الفرات، في أيام المعتمد بعد كتبة الموفق أبي أحمد، سنة سبعين ومائتين، وأقام يليها إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة، وأضيف له غليها الأهواز وكورها السبع، وخلفه عليها جدي أبو القاسم علي بن محمد التنوخي، في سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وقلده ماه الكوفة، وماه البصرة، مضافات إلى ما تقدم ذكره، ثم رد عليه مدينة المنصور وطسوج مسكن، وقطربل بعد فتنة ابن المعتز في سنة ست وتسعين ومائتين، ولم يزل على هذه الولايات إلى سنة ست عشرة وثلاثمائة، وأسن وضعف، فتوصل أبو الحسين الأشناني إلى أن ولي قضاء المدينة، فكانت له أحاديث قبيحة. وقيل إن الناس سلموا عليه بالقباء إيماء إلى البغاء، وكان إليه الحسبة ببغداد، فصرف في اليوم الثالث، وأعيد العمل إلى أبي جعفر، فامتنع من قبوله، فرفع يده عن النظر في جميع ما كان إليه، وقال: أحب أن يكون بين الصرف والقبر فرجة، ولا أنزل من القلنسوة إلى الحفرة، وقال في ذلك.

تركت القضاء لأهل القضا ... ء وأقبلت أسمو إلى الآخرة

فإن يك فخراً جليل الثنا ... ء فقد نلت منه يداً فاخرة

وإن كان وزراً فأبعد به ... فلا خير في إمرة وازرة

فقيل له: فابذل شيئاً حتى يرد العمل إلى ابنك أبي طالب، فقال: ما كنت لأتحملها حياً وميتاً، وقد خدم ابني السلطان، وولاه الأعمال، فإن استوثق خدمته قلده، وإن لم يرتض مذاهبه صرفه، وهذا يفتضح ولا يخفى، وأنشدهم:

يقولون همت بنت لقمان مرة ... بسوء وقالت يا أبي ما الذي يخفى؟

فقال لها ما لا يكون، فأمسكت ... عليه ولم تمدد لمنكرة كفا

وما كل مستور يغلق دونه ... مصاريع أبواب، ولو بلغت ألفا

بمستتر، والصائن العرض سالم ... وربتما لم يعدم الذم والقذفا

على أن أثواب البرئ نقية ... ولا يلبث الزور المفكك أن يطفا

قال: ولست أعلم، هذا الشعر له أم تمثل به؟ قال التنوخي: وكان أبو جعفر يقول الشعر تأدباً وتطرباً، وما علمت أنه مدح أحداً بشيء منه، وله قصيدة طردية مزدوجة طويلة، وحمل الناس عنه علماً كثيراً، ومن شعره.

رأيت العيب يلصق بالمعالي ... لصوق الحبر في لفق الثياب

ويخفى في الدنئ فلا تراه ... كما يخفى السواد على الإهاب

وله في الوزير ابن الفرات:

قل لهذا الوزير قول محق ... بثه النصح أيما إبثاث

قد تقلدتها ثلاثاً ثلاثاً ... وطلاق البتات عند الثلاث

وكان الأمر على ما قاله، فإن ابن الفرات قتل بعد الوزارة الثالثة في محبسه: وله أيضاً:

أقبلت الدنيا وقد ولى العمر ... فما أذوق العيش إلا كالصبر

لله أيام الصبا إذ تعتكر ... لاقت لدينا لو تثوب ما يسر

وله أيضاً:

ويجزع من تسليمنا فيردنا ... مخافة أن تبغى يداه فيبخلا

وما ضره لو أن أجاب ببشره ... فنقنع بالبشر الجميل ونرحلا

وله أيضاً:

وحرقة أورثتها فرقة دنفاً ... حيران لا يهتدي إلا إلى الحزن

في جسمه شغل عن قلبه وله ... في قلبه شغل عن سائر البدن

وله أيضاً:

أبعد الثمانين أفنيتها ... وخمساً وسادسها قد نما

ترجى الحياة وتسعى لها؟ ... لقد كاد دينك أن يكلما

وله أيضاً:

إلى كم تخدم الدنيا ... وقد جزت الثمانينا؟

لئن لم تك مجنوناً ... فقد فقت المجانينا

وقد ذكر أبو عبيد الله ابن بشران في تاريخه قال: دخل على القاضي أحمد بن إسحاق بن البهلول أبو القاسم عمر بن شاذان الجوهري فقال له: ارتفع يا أبا حفص، فقال له بعض من حضر هو أبو القاسم، فأنشأ ابن البهلول يقول:

فإن ننسي الأيام كنية صاحب ... كريم فلم أنس الإخاء ولا الودا

ولكن رأيت الدهر ينسيك ما مضى ... إذا أنت لم تحدث إخاء ولا عهدا

أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد

بديع الزمان الهمذاني، أبو الفضل، قال أبو شجاع شيرويه بن شهردار في تاريخ همذان: إن أحمد بن الحسين ابن يحيى بن سعيد بن بشر أبا الفضل، الملقب ببديع الزمان، سكن هراة، روى عن أبي الحسين أحمد بن قارس بن زكريا، وعيسى بن هشام الأخباري، وكان أحد الفضلاء والفصحاء، متعصباً لأهل الحديث والسنة، ما أخرجت همذان بعده مثله، وكان من مفاخر بلدنا، روى عنه أخوه أبو سعد بن الصفار، والقاضي أبو محمد عبد الله بن الحسين النيسابوري، قال: وتوفي في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة: قال شيرويه ومحمد بن الحسين ابن يحيى بن سعيد بن بشر الصفار الفقيه أبو سعد أخو بديع الزمان أبي الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى لأبيه وأمه مفتي البلد، روى عن ابن لال، وابن تركان، وعبد الرحمن الإمام، وأبي بكر محمد بن الحسين الفراء، وابن جائحان، وذكر جماعة وافرة، قال: وأدركته، ولم يقض لي عنه السماع، وكان في الحديث ثقة، ويتهم بمذهب الأشعرية، ويقال: جن في آخر عمره إلى أن مات، وسمعت بعض أصحابنا يقول: كان يعرف الرجال، والمتون، ولد في ثالث عشر جمادى الآخرة، سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، ومات ولم يذكره وذكره الثعالبي في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، وكذا قال أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي

في تاريخ هراة، قال المؤلف: وقد رأيت ذكر البديع في عدة تصانيف من كتب العلماء، فلم يستقص أحد خبره أحسن مما اقتصه الثعالبي، وكان قد لقيه وكتب عنه، فنقلت خبره من كتابه، ولخصته من بعض سجعه، قال:

بديع الزمان، ومعجزة همذان، ونادرة الفلك، وبكر عطارد، وفرد الدهر، وغرة العصر، ولم نرَ نظيره في الذكاء، وسرعة الخاطر، وشرف الطبع، وصفاء الذهن، وقوة النفس، ولم ندرك نظيره في طرف النثر وملحه وغرر النظم ونكته، وكان صاحب عجائب وبدائع، فمنها. أنه كان ينشد الشعر لم يسمعه قط، وهو أكثر من خمسين بيتاً إلا مرة واحدة، فيحفظها كلها، ويؤديها من أولها إلى آخرها، لا يخرم حرفاً، وينظر في الأربعة والخمسة الأوراق، من كتاب لم يعرفه ولم يره، نظرة واحدة خفيفة ثم يهذها عن ظهر قلبه هذا، ويسردها سرداً، وهذا حاله في الكتب الواردة وغيرها، وكان يقترح عليه عمل قصيدة، وإنشاء رسالة، في معنى بديع، وباب غريب، فيفرغ منها في الوقت والساعة، وكان ربما كتب الكتاب المقترح عليه، فيبتدئ بآخره، ثم هلم جرا إلى أوله، ويخرجه كأحسن شيء وأملحه، ويوشح لقصيدة الفريدة من قوله، بالرسالة الشريفة من إنشائه، فيقرأ من النظم النثر، ويروي من النثر النظم، ويعطى القوافي الكثيرة، فيصل بها الأبيات الرشيقة، ويقترح عليه كل عويص وعسير من النظم والنثر، فيرجله أسرع من الطرف، على ريق لم يبلعه، ونفس لا يقطعه، وكلامه كله عفو الساعة، وفيض اليد، ومسارقة القلم، ومسابقة اليد للفم، وكان يترحم ما يقترح عليه من الأبيات الفارسية، المشتملة على المعاني الغريبة، بالأبيات العربية، فيجمع فيها بين الإبداع والإسراع، إلى عجائب كثيرة لا تحصى، ولطائف تطول أن تستقصى، وكان مع ذلك مقبول الصورة، حسن العشرة، وفارق همذان سنة ثمانين وثلاثمائة وهو في مقتبل الشبيبة، غض الحداثة، وقد درس على أبي الحسن فارس، وأخذ عنه جميع ما عنده، واستنفد علمه، وورد حضرة الصاحب ابن عباد، فتزود من ثمارها، وحسن آثارها، ثم قدم جرجان، واقام بها مدة، على مداخلة الإسماعيلية، والتعيش في أكنافهم، واختص بالدهخداه أبي سعيد محمد بن منصور، ونفقت بضاعته لديه، وتوفر حظه من عادته المعروفة، في إسداء الإفضال على الأفاضل، ولما أراد ورود نيسابور أعانه بما سيره إليها، فوردها في سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، ونشر بها بزه، وأظهر طرزه، وأملى أربعمائة مقامة، نحلها أبا الفتح الإسكندري في الكدية وغيرها، وضمنها ما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين، ثم شجر بينه وبين الأستاذ أبي بكر الخوارزمي ما كان سبباً لهبوب ريح الهمذاني، وعلو أمره، إذ لم يكن في الحساب أن أحداً من العلماء ينبري لمساجلذته، فلما تصدى الهمذاني لمباراته، وجرت بينهما مقامات، ومبادهات ومناظرات، وغلب قوم هذا، وغلب آخرون ذاك، طار ذكر الهمذاني في الآفاق، وشاع ذكره في الأفاق، ودرت له أخلاف الرزق، فلما مات الخوارزمي خلاله الجو، وتصرفت به أحوال جميلة، وأسفار كثيرة، ولم يبق من بلاد خراسان وسجستان وغزنة بلدة إلا دخلها، وجنى ثمرها، ولا ملك ولا أمير ولا وزير إلا واستمطر بنوئه، وسرى في ضوئه، فحصلت له نعمة حسنة، وثروة جميلة، وألقى عصاه بهراة، فاتخذها دار قراره، وصاهر بها أبا علي الحسين بن محمد الخشنامي، وهو الفاضل الكريم الأصيل، وانتظمت أحواله بمصارهرته، واقتنى بمعونته ضياعاً فاخرة، وحين بلغ أشده

وأربى على أربعين سنة، ناداه الله فلباه، وفارق دنياه، في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.
وهذا أنموذج من رسائله فصل: من رقعة كتبها إلى الخوارزمي: وهذا أول ما كاتبه به: أنا لقرب الأستاذ، كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح للقائه، كما انتفض العصفور بلله القطر، ومن الامتزاج بولائه، كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج بمزاره، كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب، " ومن رقعة إلى غيره " : يعز عليّ أن ينوب – أيد الله الشيخ – في خدمته قلمي عن قدمي، ويسعد برؤيته رسولي، دون وصولي، ويرد مشرع الأنس به كتابي، قبل ركابي. ولكن ما الحيلة؟ والعوائق جمة، وعليّ أن أسعى ولي ... س عليّ إدراك النجاح
وقد حضرت داره، وقبلت جداره، وما بي حب الحيطان، ولكن شغف بالقطان، ولا عشق الجدران، ولكن شوق إلى السكان.
وقال البديع، وأراد التحميض كما يقول أهل بغداد، ومعناه عندهم غير ذلك كقوله:
ولقد دخلت ديار فارس مرة ... أبتاع ما فيها من الأعراض
فإذا فسا فيها رجال سادة ... لهفي على ذاك الزمان الماضي

فالسامع يرى أنه أراد فسا مدينة بفارس، التي منها أبو علي الفسوي النحوي، وإنما أراد فسا من الفسو، والضمير في فيها يريد به اللحية.
وذكره أبو إسحاق الحصري في كتاب زهر الآداب، وقد ذكر أبا الفضل الهمذاني بديع الزمان فقال: وهذا اسم وافق مسماه، ولفظ طابق معناه، كلامه غض المكاسر، أنيق الجواهر، يكاد الهواء يسرقه لطفاً، والهوى يعشقه ظرفاً.
ولما رأى أبا بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي أغرب بأربعين حديثاً، وذكر أنه استنبطها من ينابيع صدره، وانتخبها من معادن فكره، وأبداها للأبصار والبصائر، وأهداها إلى الأفكار والضمائر، في معارض حوشية، وألفاظ عنجهية فجاء أكثرها تنبو عن قبوله الطباع، ولا ترفع له حجب الأسماع، وتوسع فيها إذ صرف ألفاظها ومعانيها في وجوه مختلفة، وضروب منصرفة، عارضه بأربعمائة مقامة في الكدية تذوب ظرفاً، وتقطر حسناً، لا مناسبة بين المقامتين لفظاً ولا معنى، عطف مساجلتها، ووقف مناقلتها بين رجلين، سمى أحدهما عيسى بن هشام، والآخر أبا الفتح الإسكندري، وجعلهما يتهاديان الدر، ويتنافثان السحر، في معان تضحك الحزين، وتحرك الرصين، وتطالع منها كل طريفة، وتوقف منها على كل لطيفة، وربما أفرد بعضهما بالحكاية، وخص أحدهما بالرواية، وقد ذكره أبو نصر عبد الرحمن بن عبد الجبار الفامي في تاريخ هراة من تأليفه.
وأنشد للبديع:
خرج الأمير ومن وراء ركابه ... غيري وعز علي " أن " لم أخرج
أصبحت لا أدري أأدعو طغمشي ... أم يكنليني أم أصيح بنذغجي؟؟؟
وبقيت لا أدري أأركب أبرشي ... أم أدهمي أم أشهبي أم ديزجي؟؟؟

يا سيد الأمراء مالي خيمة ... إلا السماء إلى ذراها ألتجي
كنفي بعيري إن ظعنت ومفرشي ... كمى وجنح الليل مطرح هودجي

وكتب بديع الزمان إلى مستميح عاوده مراراً، وقال له: لم لا تديم الجود بالذهب، كما تديمه بالأدب؟

فكتب البديع: عافاك الله: مثل الإنسان في الإحسان، مثل الأشجار في الإثمار، وسبيل من ابتدأ بالحسنة، أن يرفه إلى السنة، وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي، وهما فؤادي ويدي، أما اليد فتولع بالجود، وأما الفراد فيتعلق بالوفود، ولكن هذا الخلق النفيس، لا يساعده إلا الكيس، وهذا الخلق الكريم، لا يحتمله إلا الكريم، ولا قرابة بين الأدب والذهب، فلم جمعت بينهما؟ والأدب لا يمكن ثرده في قصعة، ولا صرفه في ثمن سلعة، قد جهدت جهدي بالطباخ، أن يطبخ لي من جيمية الشماخ لوناً فلم يفعل، وبالقصاب، أن يذبح أدب الكتاب فلم يقبل، وأنشدت في الحمام، ديوان أبي تمام، فلم ينجع، ودفعت إلى الحجام، مقطعات اللجام، فلم يأخذ، واحتيج في البيت، إلى شيء من الزيت، فأنشدت ألفاً ومائتي بيت، من شعر الكميت، فلم يغن، ودفعت أرجوزة العجاج، في توابل السكباج، فلم ينفع، وأنت لم نقنع، فما أصنع؟ فإن كنت تحسب اختلافك غلي، إفضالاً منك علي، فراحتي، ألا تطرق ساحتي، وفرجي، ألا تجي، وللسلام: وحدث أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي صاحب كتاب وشاح الدمية، وقد ذكر أبا بكر الخوارزمي وقد رمي بحجر البديع الهمذاني، في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة وأعان البديع الهمذاني قوم من وجوه نيسابور، كانوا مستوحشين من أبي بكر، فجمع السيد نقيب السيادة بنيسابور أبو علي بينهما، وأراده على الزيارة، وداره بأعلى ملقاباذ فترفع، فبعث غليه السيد مركوبه، فحضر أبو بكر مع جماعة من تلامذته، فقال له البديع: إنما دعوناك لتملأ المجلس فوائد، وتذكر الأبيات الشوارد، والأمثال الفوارد، ونناجيك فنسعد بما عندك، وتسألنا فتسر بما عندنا، ونبدأ بالفن الذي ملكت زمامه، وطار به صيتك، وهو الحفظ إن شئت، والنظم إن أردت، والنثر إن اخترت، والبديهة إن نشطت، فهذه دعواك، التي تملأ منها فاك، فأحجم الخوارزمي عن الحفظ لكبر سنه، ولم يجل في النثر قداحاً، وقال أبادهك، فقال البديع: الأمر أمرك يا أستاذ، فقال له الخوارزمي: أقول لك ما قال موسى للسحرة: " قال بل ألقوا " .

فقال البديع:

الشعر أصعب مذهباً ومصاعدا ... من أن يكون مطيعه في فكه
والنظم بحر والخواطر معبر ... فانظر إلى بحر القريض وفلكه

فمتى تراني في القريض مقصراً ... عرضت أذن الإمتحان لعركه

قال: وهذه أبيات كثيرة، فيها مدح الشريف أبي علي والمفاخرة، وتهجين الخوارزمي، فقال الخوارزمي أيضاً أبياتاً: ولكن ما أبرزها من الغلاف.

فقال له البديع: أما تستحي أن يكون السنور أعقل منك، لأنه يجعر فيغطيه بالتراب. فقال لهما الشريف، انسجا على منوال المتنبي: أرق على أرق ومثلي يأرق فابتدأ أبو بكر وكان إلى الغايات سباقاً، وقال:

فإذا ابتدهت بديهة يا سيدي ... فأراك عند بديهتي تتقلق

مالي أراك ولست مثلي في الورى ... متموهاً بالترهات تمخرق

ونظم أبياتاً ثم اعتذر، فقال: هذا كما يجيء، لا كما يجب، فقال البديع: قبل الله عذرك، لكن رقعت بين قافات خشنة، كل قاف كجبل قاف، فخذ الآن جزاء عن قرضك، وأداء لفرضك:

مهلاً أبا بكر فزندك أضيق ... واخرس فإن أخاك حي يرزق

يا أحمقا وكفاك تلك فضيحة ... جربت نار معرتي هل تحرق؟

فقال له أبو بكر: يا أحمقا: لا يجوز فإنه لا ينصرف فقال البديع: لا نزال نصفعك حتى ينصرف وتنصرف معه، وللشاعر أن يرد ما لا ينصرف، وإن شئت قلت يا كودنا ثم قولك في البيت يا سيدي، ثم قلت تتقلق مدحت أم قدحت؟ فإن اللفظين لا يركضان في حلبة فقال لهما الشريف قولاً على منوال المتنبي: أهلاً بدار سباك أغيدها قال البديع:

يا نعمة لا تزال تجحدها ... ومنة لا تزال تكندها

فقال أبو بكر: الكنود قلة الخير لا الكفران.

فكذبه الجمع وقالوا: ما قرأت قوله تعالى: " إن الإنسان لربه لكنود " ؟ أي لكفور. فقال له أبو بكر: أنا اكتسبت بفضلي دية أهل همذان، فما الذي اكتسبت أنت بفضلك؟ فقال له البديع أنت في حرفة الكدية أحذق، وبالاستماحة أحرى وأخلق. فقطعه الكلام، ثم أنشد:

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا اللطم في الخد الرقيق

فال الخوارزمي: أنا أحفظ هذه القصيدة، فقال البديع أخطأت: فإن البيت على غير هذه الصيغة وهي:

وشبهنا بنفسج عارضيه ... بقايا الوشم في الوجه الصفيق

فقال له أبو بكر: والله لأصفعنك ولو بعد حين، فقال البديع: أنا أصفعك اليوم، وتضربني غداً، اليوم خمر، وغداً أمر. وأنشد قول ابن الرومي:

رأيت شيخاً سفيهاً ... يفوق كل سفيه

وقد أصاب شبيهاً ... له وفوق الشبيه

ثم أنشد البديع:

وأنزلني طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت أمراً لا أشاكله

أخامقة حتى يقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

فأمال النعاس الرؤوس، وسكنت الألحان والنفوس، وسلب الرقاد الجلوس، فنام القوم كعادتهم في ضيافات نيسابور، وأصبحوا فتفرقوا، وبعض القوم يحكم بلغبة البديع، وبعضهم يحكم بغلبة الخوارزمي، وسعى الفضلاء بينهما بالصلح ودخل عليه البديع واعتذر، وتاب واستغفر مما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقال له البديع: بعد الكدر صفو، وبعد الغيم صحو، فعرض عليه الخوارزمي الإقامة عنده سحابة يومه، فأجابه البديع وأضافه الخوارزمي، وكان بعض الرؤساء مستوحشاً من الخوارزمي، وهيأ مجمعاً في دار الشيخ السيد أبي القاسم الوزير، وكان أبو القاسم فاضلاً ملء إهابه، وحضر أبو الطيب سهل الصعلوكي، والسيد أبو الحسين العالم، فاستمال البديع قلب السيد أبي الحسين بقصيدة قالها في مدائح أهل البيت أولها:

يا معشراً ضرب الزما ... ن على معرسهم خيامه

ثم حضر المجلس القاضي أبو عمر البسطامي، وأبو القاسم ابن حبيب، والقاضي أبو الهيثم، والشيخ أبو نصر بن المرزبان، ومع الإمام أبي الطيب الفقهاء والمتصوفة، وحضر أبو نصر الماسرجسي مع أصحابه، والشيخ أبو سعد الهمذاني، ودخل مع الخوارزمي جم غفير من أصحابه، فقيل لهما: أنشدا على منوال قول أبي الشيص:

أبقى الزمان به ندوب عضاض ... ورمى سواد قرونه ببياض

فابتدر الخوارزمي فقال:

يا قاضياً ما مثله من قاض ... أنا بالذي تقضي علينا راض

منها:

ولقد بليت بشاعر متهتك ... لا بل بليت بناب ذئب غاض

فقال البديع: ما معنى قولك: ذئب غاض. فقال أبو بكر: ما قلته. فشهد عليه الحاضرون أنه قاله، فقال أبو بكر: الذئب الغاضي: الذي يأكل الغضا، فقال البديع: استوق الذئب صار الذئب جملاً يأكل الغضا، ثم دخل الرئيس أبو جعفر، والقاضي أبو بكر الحيري والشيخ أبو زكريا والشيخ أبو الرشيد المتكلم، فقال الرئيس: قولاً على هذا النمط:

برز الربيع لنا برونق مائه ... وانظر لمنظر أرضه وسمائه

والترب بين ممسك ومعنبر ... من نوره بل مائه وروائه

ثم أنشد الخوارزمي على هذا النمط، فلما فرغ من إنشاده قال البديع للوزير والرئيس: لو أن رجلاً حلف بالطلاق أني لا أقول شعراً، ثم نظم تلك الأبيات التي قالها الخوارزمي، لا يقال نظرت لكذا، ويقال نظرت إلى كذا، وأنت قلت فانظر لمنظر، وشبهت الطير بالمحصنات، وهذا تشبيه فاسد، ثم شبهتها بالمغنيات حين قلت:

والطير مثل المحصنات صوادح ... مثل المغني شادياً بغنائه

المحصنات كيف توصف بالغناء ثم قلت كالبحر في تزخاره، والغيث في إمطاره، والغيث هو المطر، فقال البديع: الغيث المطر والسحاب، وصدقه الحاضرون، وأنكروا على الخوارزمي، فقال الإمام أبو الطيب: علمنا أي الرجلين أفضل وأشعر؟ فقام البديع وقبل رأس الخوارزمي ويده وقال: اشهدوا أن الغلبة له، قال ذلك على سبيل الاستهزاء، وتفرق الناس واشتغلوا بتناول الطعام، وأبو بكر ينطق عن كبد حرى والوزير يقول للبديع: ملكت فأسجح، فلما قام أبو بكر أشار إلى البديع وقال: لأتركنك بين الميمات، فقال: ما معنى الميمات؟ فقال: بين مهدوم، مهزوم، مغموم، محموم، مرجوم، محروم، فقال البديع: لأتركنك بين الهيام والسقام والسام والبرسام والجذام والسرسام، وبين السينات، بين منحوس، ومنخوس، ومنكوس، ومعكوس، وبين الخاءات، من مطبوخ، ومسلوخ، ومشدوخ، ومفسوخ وممسوخ، وبين الباءات، بين مغلوب، ومسلوب، ومصلوب، ومنكوب، فخرج البديع وأصحاب الشافعي يعظمونه بالتقبيل والاستقبال،

والإكرام والإجلال، وما خرج الخوارزمي حتى غابت الشمس، وعاد إلى بيته وانخذل انخذالاً شديداً، وانكسف باله وانخفض طرفه، ولم يحل عليه الحول حتى خانه عمره، وذلك في شوال سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. قال أبو الحسن البيهقي: وبديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين الحافظ، كان يحفظ خمسين بيتاً بسماع واحد، ويؤديها من أولها إلى آخرها، وينظر في كتاب نظراً خفيفاً، ويحفظ أوراقاً ويؤديها من أولها إلى آخرها، فارق همذان في سنة ثمانين وثلاثمائة، وكان قد اختلف إلى أحمد بن فارس صاحب المجمل، وورد حضرة الصاحب، وتزود من ثمارهما، واختص بالدهخداه أبي سعد محمد بن منصور، ونفقت بضاعته لديه، ووافى نيسابور في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، وبعد موت الخوارزمي خلاله الجو، وجرت بينه وبين أبي علي الحسين ابن محمد الخشنامي مصاهرة، وألقى عصا المقام بهراة، ثم فارق دنياه في سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة.

وحدث الثعالبي في أخبار أبي فراس قال: حكى أبو الفضل الهمذاني قال: قال الصاحب أبو القاسم يوماً لجلسائه وأنا فيهم – وقد جرى ذكر أبي فراس الحرث بن سعيد بن حمدان – لا يقدر أحد أن يزور على أبي فراس شعراً فقلت: من يقدر على ذلك؟ وهو الذي يقول:

رويدك لا تصل يدها بباعك ... ولا تعز السباع إلى رباعك

ولا تغر العدو على إبي ... يمين إن قطعت فمن ذراعك

فقال الصاحب: صدقت: فقلت: – أيد الله مولانا – فقد فعلت. ويقال: إن السبب في مفارقة البديع الهمذاني حضرة الصاحب، أنه كان في مجلسه فخرجت منه ريح " فقال الصاحب " فقال البديع هذا صرير التخت، فقال الصاحب: أخشى أن يكون صرير النحت، فأورثه ذلك جلاً كان سبب مفارقته إياه وورود إلى خراسان، وكانت أول رقعة كتبها البديع إلى الخوارزمي عند وروده نيسابور: أنا لقرب الأستاذ أطال الله بقاءه، كما طرب النشوان مالت به الخمر، ومن الارتياح للقائه، كما انفض العصفور بلله القطر، ومن الامتراج بولائه، كما التقت الصهباء والبارد العذب، ومن الابتهاج بمزاره كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب، فكيف ارتياح الأستاذ لصديق طوى إليه ما بين قصبتي العراق وخراسان، بل عتبتي الجبل ونيسابور؟ وكيف اهتزازه لضيف في بردة حمال وجلدة جمال.

رق الشمائل منهج الأثواب ... بكرت عليه مغيرة الأعراب

كمهلهل وربيعة بن مكدم ... وعبينة بن الحارث بن شهاب

وهو ولي إنعامه، بإنفاذ غلامه، إلى مستقري لأفضي إليه بما عندي إن شاء الله تعالى وحده. ثم اجتمع إليه فلم يحمد لقيه،فانصرف عنه، وكتب إليه: الأستاذ – والله يطيل بقاءه. ويديم تأييده ونعماءه – أزرى بضيفه أن وجده يضرب آباط القلة في أطمار الغربة، فأعمل في ترتيبه أنواع المصارفة، وفي الاهتزاز له أصناف المضايقة، من إيماء بنصف الطرف، وإشارة بشطر الكف، ودفع في صدر القيام عن التمام، ومضغ الكلام، وتكلفه لرد السلام، وقد قبلت هذا الترتيب صعراً، واحتملته وزراً، واحتضنته نكراً، وتأبطته شراً، ولم آله عذراً، فإن المرء بالمال وثياب الجمال، وأنا مع هذه الحال، وفي هذه الأسمال، أتقزز صف النعال، ولو حاملته العتاب، وناقشته الحساب، وصدقته السماع، لقلت إن بوادينا ثاغية صباح، وراغية رواح، وقوماً يجرون

المطارف، ولا يمنعون المعارف.

وفيهم مقامات حسان وجوههم ... وأندية ينتابها القول والفعل

على مكثريهم حق من يعتريهم ... وعند المقلين السماحة والبذل

ولو طوحت بالأستاذ أيدي الغربة إليهم، لوجد منال البشر قريباً، ومحط الرحل رحيباً، ووجه المضيف خصيباً، ورأيه – أيده الله – في أن يملأ من هذا الضيف أجفان عينه، ويوسع أعطاف ظنه ويجيبه بموقع هذا العتاب الذي معناه ود، والمر الذي يتلوه شهد موفق إن شاء الله تعالى.

" الجواب من الخوارزمي "

إنك إن كلفتني ما لم أطق ... ساءك ما سرك مني من خلق

فهمت ما تناوله سيدي من حسن خطابه، ومؤلم عتبه وعتابه، وصرفت ذلك منه إلى الضجر الذي لا يخلو منه من نبا به دهر، ومسه من الأيام ضر، والحمد لله الذي جعلني موضع أنسه، ومظنة مشتكى ما في نفسه، أما ما شكاه سيدي من مضايقتي إياه رغم في القيام، وتكلفي لرد السلام، فقد وفيته حقه، كلاماً، وسلاماً، وقياماً على قدر ما قدرت عليه، ووصلت إليه، ولم أرفع عليه غير السيد أبي القاسم، وما كنت لأرفع أحداً على من أبوه الرسول، وأمه البتول، وشاهداه التوراة والإنجيل، وناصراه التأويل والتنزيل، والبشير به جبرائيل وميكائيل، وأما عدم الجمال، ورثاثة الحال، فما يضعان عندي قدراً ولا يضران نجراً، وإنما اللباس جلدة، والزي حلية بل قشرة، وإنما يشتغل بالجل من لا يعرف قيمة الخيل، ونحن بحمد الله نعرف الخيل عارية من لالها، ونعرف الرجال بأقوالها وأفعالها، لا بآلاتها وأحوالها، وأما القوم الذين صدر سيدي عنهم، وانتمى إليهم، ففيهم لعمري فوق ما وصف حسن عشرة، وسداد طريقة، وجمال تفصيل وجملة، ولقد جاورتهم فنلت المراد، وأحمدت المراد.

فإن أكُ قد فارقت نجداً وأهله ... فما عهد نجد عندنا بذميم

والله يعلم نيتي للأحرار عامة، ولسيدي من بينهم خاصة، فإن أعانني على مرادى له، ونيتي فيه بحسن العشرة، بلغت له بعض ما في المنية، وجاوزت مسافة القدرة، وإن قطع على طريق عزمي بالمعارضة وسوء المؤاخذة، صرفت عناني عن طريق الاختيار، بيد الاضطرار.

فما النفس إلا نطفة بقرارة ... إذ لم تكدر كان صفواً غديرها

وعلى هذا، فحبذا عتاب سيدي إذا صادف ذنباً، واستوجب عتباً، فأما أن يسلفنا العربدة، ويستكثر المعتبة والموجدة، فتلك حالة نصونه عنها، ونصون أنفسنا عن احتمال مثلها، فليرجع بنا إلى ما هو أشبه به وأجمل له، ولست أسومه أن يقول " استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين " ولكن أسأله أن يقول: " لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين " .

" رقعة البديع الثالثة إلى الخوارزمي " .

أنا أرد من الأستاذ سيدي شرعة وده، وإن لم تصف، وألبس خلعة بره، وإن لم تضف وقصاراي أن أكيله صاعاً بصاع، ومداً عن مد، وإن كنت في الأدب دعي النسب، ضعيف السبب، ضيق المضطرب، سيء

المنقلب، أمت إلى أهله بعشرة رشيقة، وأنزع إلى خدمة أصحابه بطريقة، ولكن بقي أن يكون الخليط منصفاً في الإخاء، عادلاً في الوداد، إذا زرت زار، وإن عدت عاد. والأستاذ سيدي – أيده الله – ضايقني في القبول أولاً، ونافشني في الإقبال ثانياً، فأما حديث الاستقبال وأمر الإنزال والأنزال فطاق الطمع ضيق عنه، غير متسع لتوقعه منه. وبعد، فكلفة الفضل هينة، وفروض الود متعينة، وطرق المكارم بينة، وأرض العشرة لينة، فلم اختار قعود التعالي مركباً، وصعود التغالي مذهباً؟ وهلا ذاد الطير عن شجر العشرة، إذا كان ذاق الحلو من ثمرها، وقد علم الله أن شوقي إليه قد كد الفؤاد برحاً على برح، ونكأه قرحاً على قرح، فهو شوق داعيته محاسن الفضل، وجاذبته بواعث العلم ولكنها مرة مرة ونفس حرة، ولم تقد إلا بالإعظام، ولم تلق إلا بالإكرام، وإذا استعفاني سيدي الأستاذ من معاتبته، واستعادته ومؤاخذته إذا جفا واستزادته، وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها، فليس إلا غصص الشوق أتجرعها، وحلل الصبر أتدرعها، فلم أعره من نفسي، وأنا لو أعرت جناحي طائر لما رقت إلا إليه ولا حلقت إلا عليه.

أحبك يا شمس النهار وبدره ... وإن لامني فيك السها والفراقد

وذاك لأن الفضل عندك باهر ... وليس لأن العيش عندك بارد

" جواب الخوارزمي عنها " شريعة ودي لسيدي – أدام الله عزه – إذا وردها صافية وثياب بري إذا قبلها ضافية، هذا ما لم يكدر الشريعة بتعنته وتعصبه، ولم تحترق الثياب بتجنبه وتسحبه، فأما الإنصاف في الإخاء فهو ضالتي عند الأصدقاء، ولا أقول:

وإني لمشتاق إلى ظل صاحب ... يرق ويصفو إن كدرت عليه

فإن قائل هذا البيت قاله والزمان زمان، والإخوان إخوان، وحسن العشرة سلطان، ولكني أقول: وإني لمشتاق إلى ظل:

رجل يوازنك المودة جاهداً ... يعطي ويأخذ منك بالميزان

فإذا رأى رجحان حبة خردل ... مالت مودته مع الرجحان

وقد كان الناس يقترحون الفضل فأصبحنا نقترح العدل، وإلى الله المشتكى لا منه. ذكر الشيخ سيدي – أيده الله، – حديث الاستقبال، وكيف يستقبل من انقض علينا انقضاض العقاب الكاسر، ووقع بيننا وقوع السهم العائر، وتكليف المرء ما لا يطيق يجوز على مذهب الأشعري، وقد زاد سيدي على أستاذه الأشعري، فإن أستاذه كلف العاجز ما لا يطيق مع عجزه عنه، وسيدي كلف الجاهل علم الغيب مع الاستحالة منه، والمنزل بما فيه قد عرضته عليه، ولو أطقت حمله لحملته إليه، والشوق الذي ذكره سيدي، فعندي منه الكثير الكبير، وعنده منه الصغير اليسير، وأكثرنا شوقاً أقلنا عتاباً، وألينا خطاباً، ولو أراد سيدي أن أصدق دعواه في شوقه إلي، ليغض من حجم عتبه علي، فإنما اللفظ زائد، واللحظ وارد، فإذا رق اللفظ، دق اللحظ، وإذا صدق الحب ضاق العتاب والعتب.

فبالخير لا بالشر فارج مودتي ... وأي امرئ يعتاد منه الترهب

عتاب سيدي قبيح، ولكنه حسن، وكلامه لين، ولكنه خشن، أما قبحه فلأنه عاتب بريئاً، ونسب إلى الإساءة ما لم يكن مسيئاً، وأما حسنه فلألفاظه الغرر ومعانيه التي هي كالدرر، فهي كالدنيا ظاهرها يغر،

وباطنها يضر، وكالمرعلى على دمن الثرى، منظره بهي، ومخبره وبي، ولو شاء سيدي نظم الحسن والإحسان، وجمع بين صواب الفعل واللسان.

يا بديع القول حاشا ... لك من هجو بديع
وبحسن القول عوذ ... تك من سوء الصنيع
لا يعب بعضك بعضاً ... كن مليحاً في الجميع
" رقعة أخرى للبديع إلى الخوارزمي "

أنا وإن كنت مقصراً في موجبات الفضل، من حضور مجلس الأستاذ سيد، فما أفري إلا جلدي. ولا أبري إلا قدحي ولا أبخس إلا حظي، وإن يكن ذاك جرماً فلقي هذا عقاباً، ومع ذاك فما أعمر أوقاتي إلا بمدحه، ولا أطرز ساعاتي إلا بذكره، ولا أركض إلا في حلبة وصفه، حرس الله فضله، نعم، وقد رددت كتاب الأوراق للصولي، وتطاولت لكتاب البيان والتبيين. للجاحظ، وللأستاذ سيدي في الفضل والتفضل به رأيه وقال البديع يمدح الصحابة ويهجو الخوارزمي ويجيبه عن قصيدة رويت له في الطعن عليهم:

وكلني بالهم والكآبة ... طعانة لعانة سبابه
للسلف الصالح والصحابة ... أساء سمعاً فأساء جابه
تأملوا يا كبراء الشيعة ... لعشرة الإسلام والشريعة
أتستحل هذه الوقيعة ... في تبع الكفر وأهل البيعة
فكيف من صدق بالرسالة ... وقام للدين بكل آله
وأحرز الله يد العقبى له ... ذلكم الصديق لا محالة
إمام من أجمع في السقيفة ... قطعاً عليه أنه الخليفة
ناهيك من أثاره الشريفة ... في رده كيد بني حنيفة
سل الجبال الشم والبحارا ... وسائل المنبر والمنارا
واستعلم الآفاق والأقطارا ... من أظهر الدين بها شعارا
ثم سل الفرس وبيت النار ... من الذي فل شبا الكفار
هل هذه البيض من الآثار ... إلا لثاني المصطفى في الغار
وسائل الإسلام من قواه ... وقال إذ لم تقل الأفواه
واستنجز الوعد فأومى الله ... من قام لما قعدوا إلا هو
ثاني النبي في سني الولادة ... ثانيه في الغارة بعد العادة
ثانيه في الدعوة والشهادة ... ثانيه في القبر بلا وساده
ثانيه في منزلة الزعامة ... نبوة أفضت إلى إمامه
أتأمل الجنة يا شتامه ... ليست بمأواك ولا كرامة
إن امرأً أثنى عليه المصطفى ... ثمت والاه الوصى المرتضى

واجتمعت على معاليه الورى ... واختاره خليفة رب العلا
واتبعته أمة الأمى ... وبايعته راحة الوصي
وباسمه استسقى حيا الوسمي ... ما ضره هجو الخوارزمي
سبحان من لم يلقم الصخر فمه ... ولم يعده حجراً ما أحلمه
يا نذل يا مأبون أفطرت فمه ... لشد ما اشتقات إليك الحطمه
إن أمير المؤمنين المرتضى ... وجعفر الصادق أو موسى الرضى
لو سمعوك بالخنا معرضا ... ما ادخروا عنك الحسام المنتضى
ويلك لم تنبح يا كلب القمر؟ ... مالك يا مأبون تغتاب عمر
سيد من صام وحج واعتمر ... صرح بإلحادك لا تمش الخمر
يا من هجا الصديق والفاروقا ... كيما يقيم عند قوم سوقا
نفخت يا طبل علينا بوقاً ... فما لك اليوم كذا موهوقا؟
إنك في الطعن على الشيخين ... والقدح في السيد ذي النورين
لواهن الظهر سخين العين ... معترض للحين بعد الحين
هلا شغلت باستك المغلومة ... وهامة تحملها ميشومه
هلا نهتك الوجنة الموشومه ... عن مستري الخلد ببئر رومه
كفى من الغيبة أدنى شمه ... من استجاز القدح في الأئمه
ولم يعظم أمناء الأمه ... فلا تلوموه ولوموا أمه
مالك يا نذل وللزكيه ... عائشة الراضيه المرضيه؟
يا ساقد الغيرة والحميه ... ألم تكن للمصطفى حظيه؟
من مبلغ عني الخوارزميا ... يخبره أن ابنه عليا
قد اشترينا منه لحماً نيا ... بشرط أن يفهمنا المعنيا

يا أسد الخلوة خنزير الملا ... مالك في الجري تقود اعلجملا
يا ذا الذي يثلبني إذا خلا ... وفي الخلا أطعمه ما في الخلا
وقلت لما احتفل المضمار واحتفت الأسماع والأبصار
سوف ترى إذا انجلى الغبار ... أفرس تحتي أم حمار؟

وكتب البديع إلى معلمه جواباً: الشيخ الإمام يقول: فسد الزمان، أفلا يقول متى كان صالحاً؟ أفي دولة العباسية، وقد رأينا آخرها، وسمعنا بأولها، أم في المدة المروانية، وفي أخبارها ما لا تكسع الشول بأغبارها، إنك لا تدري من الناتج، أم السنين الحربية:

والسيف يغمد في الطلى ... والرمح يركز في الكلى
ومبيت حجر بالفلا ... والحدثان بكربلا

أم الأيام العدوية، فنقول، هل بعد البزول إلا النزول، أم الأيام التيمية، وتقول طوبى لمن مات في نأنأة الإسلام، أم على عهد الرسالة، وقيل اسكتي يا رحالة فقد ذهبت الأمانة، أم في الجاهلية، ولبيد يقول:

ذهب الذين يعاش في أكنافهم ... وبقيت في خلف كجلد الأجرب

أم قبل ذلك، وأخو عاد يقول:

بلاد بها كنا وكنا نحبها ... إذا الأهل أهل والبلاد بلاد

أم قبل ذلك وقد قال آدم عليه السلام: تغيرت البلاد ومن عليها فوجه الأرض مغبر قبيح أم قبل ذلك، والملائكة تقول، " أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء " وإني على توبيخه لي لفقير إلى لقائه، شفيق على بقائه، ما نسبته ولا أنساه، وإن له بكل كلمة علمنا مناراً، ولكل حرف أخذته منه نارا، ولو عرفت لكلامي موقعاً من قلبه لاغتنمت خدمته به، ولكني خشيت أن تقول: " هذه بضاعتنا ردت إلينا " واثنان قلما يجتمعان، الخراسانية والإنسانية، وإني وإن لم أكن خراساني الطينة، فإني خراساني المدينة، والمرء من حيث يوجد، لا من حيث يولد، والإنسان من حيث يثبت، لا من حيث ينبت، فإذا انضاف إلى تربة خراسان ولادة همذان، ارتفع القلم، وسقط التكليف، والجرح جبار، والجاني حمار، فليحملني على هناتي، أليس صاحبنا يقول؟

لا تلمني على ركاكة عقلي ... إن تصورت أنني همذاني

أحمد بن الحسين بن عبيد الله

ابن إبراهيم بن عبد الله الأسدي الغضاري، كان من الأدباء، والفضلاء الأذكياء، وله خط يزري بخط ابن مقلة على طريقته،

أحمد بن أبان بن السيد اللغوي الأندلسي

أخذ عن أبي علي القالي وغيره من علماء بلاده: وكان عالماً حاذقاً أديباً، مات – فيما ذكره أبو القاسم خلف ابن عبد الملك بن بشكوال القرطبي في تاريخه – في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، وكان يعرف بصاحب الشرطة.

قال أبو نصر الحميدي: في آخر كتابه، في باب من يعرف بأحد آبائه: ابن سيد إمام في اللغة والعربية، وكان في أيام الحكم المستنصر، وهو مصنف كتاب العالم في اللغة في نحو مائة مجلد، مرتب على الأجناس، بدأ بالفلك، وختم بالذرة، وله في العربية: كتاب العالم والمعلم على المسألة والجواب، وكتاب شرح كتاب الأخفش، وله غير ذلك، ذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه، ولم يسمه لنا، ولعله أحمد بن أبان بن سيد المذكور في بابه.

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل

ابن داود بن حمدون النديم أبو عبد الله، ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنفي الإمامية، وقال: هو شيخ أهل اللغة ووجههم، وأستاذ أبي العباس ثعلب، قرأ عليه قبل ابن الأعرابي، وتخرج من يده، وكان خصيصاً بأبي محمد الحسن بن علي عليهما السلام، وأبي الحسن قبله، وله معه مسائل وأخبار، وله كتب، منها: كتاب أسماء الجبال والمياه والأودية، كتاب بني مرة بن عوف، كتاب بني نمر بن قاسط، كتاب بني عقيل، كتاب بني عبد الله بن غطفان، كتاب طيء، كتاب شعغر العجير السلولي وصنعته، كتاب شعر ثابت ابن قطنة، الشابشتي: وكان خصيصاً بالمتوكل، ونديماً له، وأنكر منه المتوكل ما أوجب نفيه من بغداد، ثم قطع أذنه، وكان السبب في ذلك أن الفتح بن خاقان كان يعشق شلهيك خادم المتوكل، واشتهر الأمر فيه، حتى بلغه، وله فيه أشعار، ذكرت بعضها في ترجمة الفتح، وكان أبو عبد الله يسعى فيما يحبه الفتح، ونمى الخبر إلى المتوكل فاستدعى أبا عبد الله، وقال له: إنما أردتك لتنادمني، ليس لتقود على غلماني، فأنكر ذلك، وحلف يميناً حنث فيها، فطلق من كانت حرة من نسائه، وأعتق من كان مملوكاً، ولزمه حج ثلاثين سنة، فكان يحج في كل عام.

قال: فأمر المتوكل بنفيه إلى تكريت فأقام فيها أياماً، ثم جاءه زرافة في الليل على البريد، فبلغه ذلك، فظن أن المتوكل لما شرب بالليل وسكر أمر بقتله، فاستسلم لأمر الله، فلما دخل إليه، قال له: قد جئتك في شيء، ما كنت أحب أن أخرج في مثله، قال: وما هو؟ قال: أمير المؤمنين أمر بقطع أذنك، وقال: قل له: لست أعاملك إلا كما يعامل الفتيان، فرأى ذلك هيناً في جنب ما كان توهمه من إذهاب مهجته، فقطع غضروف أذنه من خارج، ولم يستقصه، وجدعله في كافور كان معه، وانصرف به.

وبقي منفياً مدة، ثم حدر إلى بغداد، فأقام بمنزله مدة.

قال أبو عبد الله: فلقيت إسحاق بن إبراهيم الموصلي، ثم لما كف بصره، فسألني عن أخبار الناس والسلطان، فأخبرته، ثم شكوت إليه غمي بقطع أذني، فجعل يسليني ويعزيني، ثم قال لي: من المتقدم اليوم عند أمير المؤمنين، الخاص من ندمائه؟ قلت: محمد بن عمر البازيار، قال: من هذا الرجل؟ وما مقدار علمه وأدبه؟ فقلت: أما أدبه فلا أدري، ولكني أخبرك بما سمعت منه منذ قريب، حضرنا الدار يوم عقد المتوكل لأولاده الثلاثة، فدخل مروان بن أبي الجنوب ابن أبي حفصة، فأنشده قصيدته، التي يقول فيها:

بيضاء في وجناتها ... ورد، فكيف لنا بشمه؟

فسر المتوكل بذلك سروراً كثيراً شديداً، وأمر، فنثر عليه بدرة دنانير، وأن تلقط وتطرح في حجره، وأمره بالجلوس، وعقد له على اليمامة والبحرين، فقال: يا أمير المؤمنين: ما رأيت كاليوم، ولا أرى، – أبقاك الله – ما دامت السموات والأرض، فقال محمد بن عمر: هذا بعد طول إن شاء الله وقبل، قال له: فما تقول في أدبه؟ فقال: أأكثر من أن يقول للخليفة: – أبقاك الله – أيا أمير المؤمنين إلى يوم القيامة وبعد القيامة بشيء كثير؟ فقال إسحاق: ويلك، جزعت على أذنك، وغمك قطعها، حتى لا تسمع مثل هذا الكلام؟ ثم قال: لو أن لك مكوك آذان، إيش كان ينفعك مع هؤلاء؟ قال: ثم أعاده المتوكل إلى خدمته، وكان إذا دعاه قال له، يا عبيد، على جهة المزاح، وقال له يوماً هل لك في جارية أهبها لك؟ فأكبر ذلك وأنكره، فوهب له جارية، يقال لها، صاحب، من جواريه، حسنة كاملة، إلا أن بعض الخدم رد بيده على فمها، وقد أرادت أن تدميه،

فصدع ثنيتها، فاسودت، فشانها ذلك عنده، وحمل كل ما كان لها، وكان شيئاً كثيراً عظيماً.
فلما مات أبو عبد الله، تزوجت " صاحب " بعض العلويين، قال علي بن يحيى بن المنجم: فرأيته في النوم وهو يقول:
أبا علي ما ترى العجائبا؟ ... أصبح جسمي في التراب غائباً
واستبدلت " صاحب " بعدي صاحبا ومن شعر أبي عبيد الله، يكاتب فيه علي بن يحيى:
من عذيري من أبي حسن ... حين يجفوني ويصرمني
كان لي خلاً وكنت له ... كامتزاج الروح بالبدن
فوشى واش، فغيره ... وعليه كان يحسدني
إنما يزداد معرفة ... بودادي حين يفقدني

قال: واتصل بنجاح بن سلمة، أن أبا عبد الله بن حمدون يذكره بحضرة المتوكل، يتنادر به، فلقيه نجاح يوماً فقال له: يا أبا عبد الله، قد بلغني ذكرك لي بغير الجميل في حضرة أمير المؤمنين، أتحب أن أنهي إليه قولك إذا خلوت؟.
" أتراني أحبه وقد فعل بي ما فعل؟ " " والله ما وضعت يدي على أذني، إلا تجددت " " له عندي بغضة "
فقال ابن حمدون: الطلاق لي لازم إن كنت قلت هذا قط، وامرأته طالق إن ذكره بغير ما يحبه أبداً.
وكان أبوه إبراهيم، وأظن أنه الملقب بحمدون، خادم المعتصم، ثم الواثق بعده، وكان يعاتب المتوكل في أيام أحبه الواثق، وجاءه مرة بحية وأخرج رأسها من كمه، تعريضاً بأنه شجاع، وكان ذلك يعجب الواثق.
ولما مات الواثق نادم حمدون المتوكل، فلما كان في بعض الأيام أمر المتوكل بإحضار فريدة جارية أخيه الواثق، فأحضرت مكرهة، ودفع إليها عود، فغنت غناء كالندبة، فغضب المتوكل وأمرها أن تغني غناء، فغنت بتحزن وشجى، فزاد ذلك في طيب غنائها فوجم حمدون للرقة التي تداخلته، فغضب المتوكل، ورأى أنه فعل ذلك بسبب أخيه الواثق حزناً عليه، وكان يبغض كل من مال إليه، فأمر بنفيه إلى السند، وضربه ثلثمائة سوط، فسأل أن يكون الضرب من فوق الثياب لضعفه عن ذلك، فأجيب إلى ذلك، وأقام منفياً ثلاث سنين.
وتزوج المتوكل فريدة، بعد ذلك، فولدت له ابنه أبا الحسن.
وحدث حمدون بن إسماعيل، قال: دعاني المعتصم يوماً فدخلت إليه، وهو في بعض مجالسه، وإلى جنبه باب صغير، فحادثته ملياً إلى أن رأيت الباب قد حرك، وخرجت منه جارية بيضاء، مقدودة، حسنة الوجه، وبيدها رطل، وعلى عنقها منديل، فأخذ الرطل من يدها فشربه، ثم قال: أخرج يا حمدون، فخرجت، فكنت في دهليز الحجرة، فلم ألبث أن دعاني، فدخلت، وهو على حاله، فحادثته ملياً، ثم حرك ذلك الباب، فخرجت جارية، كأحسن ما يكون من النساء، سمراء رقيقة اللون، بيدها رطل، فأخذه وشربه، وقال: ارجع إلى مكانك، فخرجت، فلبثت ساعة هناك، ثم دعاني، فأتيته وحادثته ساعة، وحرك الباب، فخرجت أحسن الثلاث، بيدها رطل، ومعها منديل، فأخذ الرطل فشربه، وقال: ارجع إلى مكانك، فخرجت، فلبثت ساعة،

ثم دعاني، فدخلت: فقال لي: أتعرف هؤلاء؟ قلت: معاذ الله أن أعرف أحداً ممن هو داخل دار أمير المؤمنين، فقال: إحداهن ابنة بابك الخرمي، والأخرى ابنة المازيار أو " المازيان " ، والثالثة ابنة بطريق عمورية، افترعتهن الساعة، وهذا نهاية الملك يا حمدون.

وأما أبو محمد بن حمدون، فذكر جحظة أن مولده في سنة سبع وثلاثين ومائتين، وتوفي ببغداد في رمضان سنة تسع وثلاثمائة، ونادم المعتمد، وخص به، وكان من ثقاته المتقدمين عنده، وله معه أخبار.

وأما أبو العيس بن أبي عبد الله بن حمدون، أحد المشهورين بجودة الغناء والصنعة فيه، وابنه إبراهيم بن أبي العبيس أيضاً من المجيدين في الغناء، وشجاء الصوت، فهؤلاء المعروفون بمنادمة الخلفاء من بني حمدون.

وحدث أحمد بن أبي طاهر: أن ابن حمدون النديم حدثه: أن الواثق بالله بسط جلاسه، وأمرهم ألا ينقبضوا في مجلسه، وأن يجروا النادرة على ما اتفقت عليه غير محتشمين، وإن اتفق وقوعها عليه احتمل، قال: فعبرنا على ذلك مدة، وكان على إحدى عيني الواثق نكتة بياض، فلما كان في بعض الأيام، أنشد الواثق أبيات أبي حية النميري:

نظرت كأني من وراء زجاجة ... إلى الدار من ماء الصبابة أنظر

فقلت: وإلى غير الدار يا أمير المؤمنين؟ فتبسم، ثم قال لوزيره: قد قابلني هذا الرجل بما لا أطيق أن أنظر إليه بعدها. فانظر كم مبلغ جاريه وجرايته، وأرزاقه وصلاته، فاجمعها، وأقطعه بها إقطاعاً بالأهواز، وأخرجه إليها ليبعد عن ناظري، ففعل، قال: وأخرجت إليها، وتبيغ بي الدم، فالتمست حجاماً كان في خدمتي، فقيل: لم يخرج في الصحبة لعلة لحقته، فقلت: التمسوا حجاماً نظيفاً حاذقاً، وتقدموا إليه بقلة الكلام، وترك الانبساط، فأتوني بشيخ حسن على غاية النظافة وطيب الريح، فجلس بين يدي، وأخذ الغلام المرآة، فلما أخذ في إصلاح وجهي، قلت له: اترك في هذا الموضع، واحذف في هذا الموضع، وعدل هذه الشعرات، وسرح هذا المكان، وأطلت الكلام وهو ساكت، فلما قعد للحجامة، قلت له: اشرط في الجانب الأيمن اثنتي عشرة شرطة، وفي الجانب الأيسر أربع عشرة شرطة، فإن الدم في الجانب الأيسر أقل منه في الأيمن، لأن الكبد في الأيمن، والحرارة هناك أوفر، والدم أغزر، فإذا زدت في شرط الأيمن، اعتدل خروج الدم من الجانبين، ففعل، وهو مع ذلك ساكت، فعجبت من صمته، وقلت للغلام: ادفع إليه ديناراً، فدفعه إليه، فرده، فقلت: استقله، ولعمري إن العيون إلى مثلي ممتدة، والطمع مستحكم في نديم الخليفة، وصاحب إقطاعه، أعطه ديناراً آخر، ففعل، فردهما وأبى أن يأخذهما، فاغتظت وقلت: – قبحك الله، – أنت حجام سواد، وأكثر من يجلس بين يديك يدفع لك نصف درهم، وأنت تستقل ما دفعت إليك؟ فقال: وحقك ما رددتها استقلالاً، ولكن نحن أهل صناعة واحدة، وأنت أحذق مني، وما كان الله ليراني وأنا آخذ من أهل صناعتي أجرة أبداً، فأخجلني وانصرف ولم يأخذ شيئاً.

فلما كان في العام القابل، خرجت لمثل ما خرجت إليه في العام الماضي، واحتجت إلى نقص الدم، فقلت لغلامي: اذهب فجئنا بذلك الحجام، فقد عرف الخدمة، وقد انصرف تلك الدفعة ولم يأخذ شيئاً، ولعله قد نسيها، فيقع برنا منه على حاجة منه إليه، قال: فلما جلس بين يدي، وأصلح وجهي الإصلاح الذي كنت

أوقفته عليه، وحجمني أحسن حجامة، فلما فرغ، قلت: سبحان الله، أنت صانع سواد، فمن أين لك هذا الحذق بهذه الصنعة؟ فقال: وحقك ما كنت أحسن من هذا شيئاً، ولكن حجام الخليفة اجتاز بنا بهذا الموضع في العام الماضي، فتعلمت منه هذا، فضحكت منه، وأمرت له بثلاثين ديناراً، مع ما تم له من معاريض كلامه في الدفعتين جميعاً.

وأنشد جحظة في أماليه لنفسه، يرثي حمدون النديم، كذا قال، ولم يعينه:

أيعذب من بعد ابن حمدون مشرب ... لقد كدرت بعد الصفاء المشارب؟

أصبنا به فاستأسد الضبع بعده ... ودب إلينا من أناس عقارب

وقطب وجه الدهر بعد وفاته ... فمن أي وجه جئته فهو قاطب

بمن ألج الباب الشديد حجابه ... إذا ازدحمت يوماً عليه المواكب؟

بمن أبلغ الغايات، أم من بجاهه ... أنال وأحوي كل ما أنا طالب؟؟

فأصبحت حلف البيت، خلف جداره ... وبالأمر مني يستعيذ النجائب

وقال جحظة في أبي جعفر بن حمدون، ولا أعرفه إلا أنه كذا، أورده في أماليه:

أبا جعفر لا تنال العلا ... بتيهك في المجلس الحاشد

ولا بغلام كبدر التما ... م ركب في غصن مائد

ولا بازيار إذا ما أت ... اك يخطر بالذر والصائد

فكيف ومالك من شاكر ... وكيف ومالك من حامد؟؟

أتذكر إذ أنت تحت الزما ... ن وحيد بلا درهم واحد؟

وتحدث جحظة في أماليه قال: قال لي أبو عبد الله ابن حمدون: حسبت ما وصلني به المتوكل في مدة خلافته، وهي أربع عشرة سنة وشهور، فوجدته ستين ألفاً وثلاثمائة ألف دينار، ونظرت فيما وصلني به المستعين في مدة خلافته، وهي ثلاث سنين ونيف، وكان أكثر مما وصلني به المتوكل، ثم خلع المستعين، وحدر إلى واسط، ومنع من كل شيء إلا القوت، فاشتهى نبيذاً، فخرجت دايته إلى أهل واسط، فتشكت ذلك إليهم، فقال لها رجل من التجار: له عندي كل يوم خمسة أرطال نبيذ دوشاب، فكانت تمضي إليه في كل يوم فتجيئه به سراً، إلى أن حمل من واسط، فقتل بالقاطول:

أحمد بن إبراهيم بن أبي عاصم

اللؤلؤي، أبو بكر، قال الزبيدي: ومن نحاة القيروان ابن أبي عاصم، وكان من العلماء النقاد في العربية والغريب والنحو والحفظ والقيام بشرح أكثر دواوين العرب.

مات فيما ذكره الزبيدي، سنة ثماني عشرة وثلاثمائة وله ست وأربعون سنة، وكان كثير الملازمة لأبي محمد المكفوف النحوي، وعنه أخذ، وكان صادقاً في علمه وبيانه لما يسأل عنه، وله تأليف في الضاد والظاء حسن بين، وكان شاعراً مجيداً، وكان أبوه موسراً، فلم يكن يمدح أحداً بمجازاة، وترك الشعر في آخر عمره، وأقبل على طلب الحديث والفقه، وهو القائل:

أيا طلل الحي الذين تحملوا ... بوادي الغضا، كيف الأحبة والحال
وكيف قضيب البان والقمر الذي ... بوجنته ماء الملاحة سيال
كأن لم تدر ما بيننا ذهبية ... عبيرية الأنفاس عذراء سلسال
ولم أتوسد ناعماً بطن كفه ... ولم يحو جسمينا مع الليل سربال
فبانت به عني ولم أدر بغتة ... طوارق صرف البين، والبين مغيال
فلما استقلت ظعنهم وحدوجهم ... دعوت، ودمع العين في الخد هطال
حرمت منايا منك، إن كان ذا الذي ... تقوله الواشون عني كما قالوا

وهذا البيت الأخير تضمين من أبيات لها قصة أنا ذاكرها.

ذكر أبو الفرج علي بن الحسين، في كتابه، قال: كان عبد الله بن محمد القاضي، المعروف بالخليجي، ابن أخت علوية المغني، وكان تياهاً صلفاً، فتقلد في خلافة الأمين قضاء الشرقية، وكان يجلس إلى أسطوانة من أساطين الجامع، فيستند إليها بجميع بدنه ولا يتحرك، فإذا تقدم إليه الخصمان أقبل عليهما بجميع جسده، وترك الاستناد، حتى يفصل بينهما، ثم يعود لحاله، وعمد بعض المجان إلى رقعة من الرقاع التي يكتب فيها الدعاوي، فألصقها في موضع دنيته بالدبق فلما جلس الخليجي إلى السارية، وتمكن منها، وتقدم إليه الخصوم، وأقبل إليهم بجميع جسده، كما كان يفعل، انكشف رأسه، وبقيت الدنية موضعها مصلوبة ملتصقة، فقام الخليجي مغضباً، وعلم أنها حيلة عليه وقعت، فغطى رأسه بطيلسانه وتركها مكانها، حتى جاء بعض أصحابه فأخذها، فقال بعض شعراء عصره:

إن الخليجي من تتايهه ... أثقل باد لنا بطلعته
ماتيه ذي نخوة مناسبة ... بين أخاوينه وقصعته
يصالح الخصم من يخاصمه ... خوفاً من الجور في قضيته
لو لم تديقه كف قانصه ... لطار فيها على رعيته

واشتهرت الأبيات والقصة ببغداد، وعمل لها علوية حكاية أعطاها الزفانين والمخنثين، فأخرجوه منها، وكان علوية يعاديه لمنازعة كانت بينهما ففضحه، واستعفى الخليجي من القضاء ببغداد، وسأل أن يولى بعض الكور البعيدة، فولي جند دمشق أو حمص، فلما ولي المأمون الخلافة، غناه علوية بشعر الخليجي، وهو:

برئت من الإسلام، إن كان ذا الذي ... تقوله الواشون عني كما قالوا
ولكنهم، لما رأوك غرية ... بهجري، تساعوا بالنميمة واحتالوا
فقد صرت أذناً للوشاة سميعة ... ينالون من عرضي، ولو شئت ما نالوا

فقال له المأمون: من يقول هذا الشعر؟ قال: قاضي دمشق، فأمر المأمون بإحضاره، فكتب إلى والي دمشق بإحضاره، فكتب فأشخص، وجلس المأمون للشرب، وأحضر علوية، ودعا بالقاضي؛ فقال له: أنشدني قولك:

برئت من الإسلام، إن كان ذا الذي ... تقوله الواشون عني، كما قالوا

فقال: يا أمير المؤمنين، هذا شيء قلته منذ سنة، وأنا صبي، والذي أكرمك بالخلافة، وورثك ميراث النبوة،

ما قلت شعراً منذ أكثر من عشرين سنة إلا في زهد أو عتاب صديق، فقال له: إجلس، فجلس، فناوله قدحاً من نبيذ كان في يده، فقال: يا أمير المؤمنين ما غيرت الماء بشيء قط مما يختلف في تحليله، فقال: لعلك تريد نبيذ التمر أو الزبيب؟ فقال: لا، والله يا أمير المؤمنين ما أعرف شيئاً منها، فأخذ القدح من يده، وقال: أما والله لو شربت هذا لضربت عنقك، ولقد ظننت أنك صادق في قولك كله، ولكن لا يتولى لي أبداً رجل بدأ في قوله بالبراءة من الإسلام، انصرف إلى منزلك، وأمر علوية أن يغير ذلك ويقول: حرمت منايا منك إن كان ذا الذي

أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله

ابن الحسن الفارسي، أبو حامد المقرئ الأديب، نزيل نيسابور، جمع في القراءات مصنفات كثيرة.
قال الحاكم: وكان من العباد، أقام في منزل أبي إسحاق المزكي سنين، لتأديب أولاده، وحفظ سماعاتهم عليهم، سمع في بلده من أصحاب أبي الأشعث وعمر بن شبة وأقرانهم، مات بنيسابور سنة ست وأربعين وثلاثمائة.
قال الحاكم: حدثني أبو حامد الفارسي قال: حدثنا أبو الحسين زكريا قال: كنت عند أبي بكر محمد داود ابن علي الإصبهاني الفقيه، وهو يكتب إلى بعض إخوانه بهذه الأبيات:
جعلت فداك، قد طال اشتياقي ... وليس تزيدني إلا مطالا
كتبت إليك أستدعي نوالاً ... فلم تكتب إلي نعم ولا لا
نصحت لكم حذاراً أن تعابوا ... فعاد علي نصحكم وبالا

أحمد بن إبراهيم بن معلى بن أسد العمي

أبو بشر، ذكره أبو جعفر الطوسي في مصنفي الإمامية، قال: والعم هو مرة بن مالك بن حنظلة بن زيد مناة، وهو ممن دخل في تنوخ بالحلف وسكنوا الأهواز وكان مستملي أبي أحمد الجلودي، وسمع كتبه كلها ورواها، وكان ثقة في حديثه، حسن التصنيف، وأكثر الرواية عن العامة والأخباريين، وكان جده المعلى ابن أسد من أصحاب صاحب الزنج، المختصين به، وروى عنه، وعن عمه أسد بن المعلى أخبار صاحب الزنج، وله تصانيف، منها: كتاب التاريخ الكبير، كتاب التاريخ الصغير، كتاب مناقب علي، كتاب أخبار صاحب الزنج، كتاب الفرق وهو كتاب حسن غريب كتاب أخبار السيد الحميري، كتاب عجائب العالم.

أحمد بن إسحاق، يعرف بالجفر

حميري النسب، مصري الدار، لم أجد له ذكراً إلا في كتاب أبي بكر الزبيدي، فإنه ذكره في نحاة مصر قال: ومات سنة ثلاثمائة وواحد.

أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن الخصيب

نطاحة من أهل الأنبار، كان كاتب عبيد الله بن عبد الله بن طاهر، وكان بليغاً مترسلاً، شاعراً أديباً، متقدماً في صناعة البلاغة، وكان في الأكثر يكتب عن نفسه إلى إخوانه، وبينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات عجيبة.

ذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: له من التصانيف: كتاب ديوان رسائله، نحو ألف ورقة، يحتوي على كل حسن من الرسائل. كتاب الطبيخ، كتاب طبقات الكتاب، كتاب أسماء المجموع المقول من الرقاع، يشتمل على سماعاته من العلماء وما شاهد من أخبار الجلة كتاب صفة النفس، كتاب رسائله إلى إخوانه.

قال المرزباني في المعجم: وجده الخصيب بن عبد الحميد صاحب مصر، وأصلهم منالمزار، وهو القائل:

خير الكلام قليل ... على كثير دليل

والعي معنى قصير ... يحويه لفظ طويل

وفي الكلام عيون ... وفيه قال وقيل

وللبليغ فصول ... وللعيي فضول

وله أيضاً:

لا تجعلن بعد داري ... مخمساً لنصيبي

فرب شخص بعيد ... إلى الفؤاد قريب

ورب شخص قريب إليه غير حبيب

ما القرب والبعد إلا ... ما كان بين القلوب

وله يمدح كاتباً:

وإذا نمنمت بنانك خطاً ... معرباً عن إصابة وسداد

عجب الناس من بياض معان ... يجتنى من سواد ذاك المداد

وله أيضاً:

ماذا أقول لمن إن زرته حجبا ... وإن تخلفت عنه مكرها عتبا

وإن أردت خلاصاً من تعتبه ... ظلماً، فعاتبته في فعله غضباً

قال أحمد بن يحيى: كان أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم الكاتب، علامة شاعراً، أحسن المعرفة بالشعر، وكان من الظرفاء الخلعاء، قال لي مرة: يا أبا العباس، ما بنات مخز؟ فقلت: بنات " مخز " سحائب بيض يأتين قبل الصيف، تشبه النساء في بياضهن وحسنهن بها، لأن سحاب الصيف لا ماء فيه فيسود ويتغير، فقال لي: قلبك عربي.

وساهدى من أحمد بن إسماعيل كتاب حدود الفراء، فأهداه وكتب على ظهره:

خذه فقد سوغت منه مشبهاً ... بالروض أو بالبرد في تفويفه

نظمت كما نظم السحاب سطوره ... وتأنق الفراء في تأليفه

وشكلته وتقطته فأمنت من ... تصحيفه ونجوت من تحريفه
بستان خط غير أن ثماره ... لا تجتنى إلا بشكل حروفه

أحمد بن أبي الأسود القيرواني

ذكر الزبيدي فقال: كان غاية في النحو واللغة، وهو من أصحاب عبد الملك المهدي، وله تصانيف في النحو والغريب، ومؤلفات حسان وكان شاعراً مجيداً:

أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمد الأخباري

المؤرخ، كان شيعياً، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف وله كتاب التاريخ إلى آخر أيام المقتدر، ابتدأه بأيام المأمون، ويوشك أن يكون ذيلاً على الأول، رأيت الكتابين.
وقال أبو الحسين بن أحمد السلامي البيهقي: أنشدني ابن أعثم الكوفي:
إذا اعتذر الصديق إليك يوماً ... من التقصير عذر أخ مقر
فصنه عن جفائك وارض عنه ... فإن الصفح شيمة كل حر

أحمد بن بختيار بن علي بن محمد المانداني

أبو العباس الواسطي، وكان له معرفة جيدة بالأدب والنحو واللغة، مات ببغداد في جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، ومولده في ذي الحجة سنة ست وسبعين وأربعمائة بأعمال واسط، وقد ولي القضاء بواسط، وكان فقيهاً فاضلاً، له معرفة تامة بالأدب واللغة، ويد باسطة في كتب السجلات والكتب الحكمية، سمع أبا القاسم ابن بيان، وأبا علي بن نبهان، وغيرهما.
قال أبو الفرج بن الجوزي: وكان يسمع معنا علي بن الفضل بن ناصر.
صنف كتباً، منها: كتاب القضاة. كتاب تاريخ البطائح.
قرأت بخط حجة الإسلام، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب: أنشدني صديقنا الشيخ أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي بن محمد المانداني لنفسه في ابن المرخم:
قد نلت بالجهل أسباباً لها خطر ... يضيق فيها على العقل المعاذير
مصيبة عمت الإسلام قاطبة ... لا يقتضي مثلها حزم وتدبير
إذا تجاري ذوو الألباب جملتها ... قالوا: جهول أعانته المقادير

أحمد بن أمية بن أبي أمية، أبو العباس الكاتب

ذكره المرزباني فقال: أهل بيت الكتابة، والغزل، والظرف، والأدب.
حدثنا أحمد بن القاسم النيسابوري: أنه لقيه بعد الخمسين والمائتين، أو حواليها، وأخذ عنه علماً كثيراً

وأدباً.

قلت: وأمية، مولى لهشام بن عبد الملك، واتصل في دولة بني العباس بالربيع، حاجب المنصور، وكتب بين يديه، وله شعر حسن، وولده أهل بيت علم، منهم: أحمد هذا، وأخوه محمد، وقد ذكرته في أخبار الشعراء.

قال المرزباني: وأحمد هو القائل:

خبرت عن تغير الأترابا ... ومشيبي، فقلن: بالله شابا

نظرت نظرة إلي، فصدت ... كصدود المخمور شم الشرابا

إن أدهى مصيبة نزلت بي ... أن تصدى، وقد علمت الشبابا

وكان أبو هفان يقول: ليس في الدنيا هجاء أشرف ولا أظرف من قول أحمد بن أمية:

إذا ابن شاهك قد وليته عملاً ... أضحى وحقك عنه وهو مشغول

بسكة أحدثت، ليست بشارعة ... في وسطها عرصة في وسطها ميل

يرى فرانقها في الركض مندفعاً ... تهوى خريطته والبغل مشكول

أحمد بن بشر بن علي التجيبي

يعرف بابن الأغبس، ذكره الحميدي وقال: مات سنة ست وعشرين وثلاثمائة، وكان فقيهاً على مذهب الشافعي، مائلاً إلى الحديث، عالماً بكتب القرآن، قد أتقن كل ما قيل فيها، من جهة العربية والتفسير واللغة والقراءة، وكان حافظاً للغة العربية، كثير الرواية، جيد الخط والضبط للكتب، وأخذ عن العجلي والخشني وابن الغازي.

أحمد بن بكران بن الحسين الزجاج

كتب عنه علي بن محمد الأزدي في سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

أحمد بن بكر العبدي أبو طالب

صاحب كتاب شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي، كان نحوياً لغوياً قيماً بالقياس والإفتنان في العلوم العربية، أخذ عن القاضي أبي سعيد السيرافي، وأبي الحسن الرماني، وأبي علي الفارسي، ومات في سنة ست وأربعمائة في خلافة القادر بالله، لم أجد له خبراً فأحكيه، إلا ما حكى هو عن نفسه في كتاب شرح الإيضاح: أنه تكلم مع أبي محمد يوسف بن أبي سعيد الحسن السيرافي قال العبدي: ما كان ابن السيرافي مكيناً في هذا الشأن على شهرته عند الناس في اللغة في ياء تفعلين، فقال: هي علامة التأنيث، والفاعل مضمر، فقلت له: ولو كانت بمنزلة التاء في ضربت، علامة للتأنيث فقط، لثبتت مع ضمير الاثنين، وعلم أن فيها مع دلالتها على التأنيث، معنى الفاعل، فلما صار للاثنين، بطل ضمير الواحد الذي هو الياء، وجاءت الألف وحدها، فقال: هذا زنبيل الحوائج كذا وكذا، وانقطع الوقت بالضحك من ابن شيخنا، ومن قلة تصرفه.

وقرأت في فوائد، نقلت عن أبي القاسم المغربي الوزير: أن العبدي أصيب بعقله، واختل في آخر عمره، وله من التصانيف كتاب شرح الإيضاح، كتاب شرح الجرمي.

أحمد بن أبي بكر بن أبي محمد الخاوراني

النحوي، الأديب، أبو الفضل، يلقب بالمخدويه، لقيته بعرف سرين، وهو شاب فاضل بارع متفنن قيم بعلم النحو، محترق بالذكاء، حافظ للقرآن، كتب بخطه العلوم، وقرأها على مشايخه، ورأيته قد صنف كتابين صغيرين في النحو، وشرع في أشياء لم تمهله المنية ليتمها، منها – فيما ذكر لي – شرح المفصل للزمخشري، وكتب عني الكثير، وفارقته في سنة سبع عشرة وستمائة، ثم بلغني أنه اعتب، فمات في سنة عشرين وستمائة، وعمره نحو ثلاثين سنة، وله رسالة صالحة.

أحمد بن عفر الدينوري

ختن ثعلب على ابنته، يكنى: أبا علي، أحد النحاة المبرزين المصنفين في نحاة مصر، وقال: إنه مات بمصر سنة تسع وثمانين ومائتين، قال: وكان أبو علي الدينوري يخرج من منزل ثعلب، وهو جالس على باب داره، فيتخطى أصحابه، ومعه محبرته، فيقرأ كتاب سيبويه على أبي العباس المبرد، فيعاتبه ثعلب ويقول: إذا رآك الناس تمضي إلى هذا الرجل، وتقرأ عليه، وتتركني، يقولون ماذا؟ فلم يكن يلتفت إلى قوله، قال: وكان أبو علي هذا حسن المعرفة، قال: قال المصعبي: فسألت أبا علي: كيف صار المبرد أعلم بكتاب سيبويه من ثعلب؟ فقال: المبرد قرأه على العلماء وثعلب قرأه على نفسه.
قال الزبيدي: وأصله من الدينور، وقدم البصرة، وأخذ عن المازني، وحمل عنه كتاب سيبويه، ثم دخل بغداد، فقرأ على المبرد، ثم قدم مصر، وألف كتاب المهذب في النحو، وكتب في صدره اختلاف البصريين والكوفيين، وعزا كل مسألة إلى صاحبها، ولم يعتل لكل واحد منهم، ولا احتج لمقالته، فلما أمعن في الكتاب ترك الاختلاف، ونقل مذهب البصريين، وعول في ذلك على كتاب الأخفش سعيد بن مسعدة، وله كتاب مختصر في ضمائر القرآن، استخرجه من كتاب المعاني للفراء، ولما قدم علي بن سليمان الأخفش إلى مصر، خرج أبو علي منها، فلما رجع الأخفش إلى بغداد، عاد أبو علي إلى مصر، فأقام بها حتى مات في السنة المقدم ذكرها، وله كتاب إصلاح المنطق.

أحمد بن جعفر جحظة

هو أبو الحسن أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك البرمكي النديم، قال أبو عبد الله الحسن ابن علي بن مقلة: سألت جحظة عمن لقبه بهذا اللقب، فقال: ابن المعتز لقيني يوماً فقال لي: ما حيوان إذا قلب صار آلة للبحرية؟؟ فقلت: علق، إذا عكس صار قلعاً فقال: أحسنت يا جحظة، فلزمني هذا اللقب، وهو من في عينيه نتو جداً، وكان قبيح المنظر، وكان له لقب آخر، يلقبه به المعتمد، وهو خنياكر، وما

أدري أي شيء معناه؟ كان حسن الأدب، كثير الرواية للأخبار، متصرفاً في فنون من العلم، كالنحو واللغة والنجوم، مليح الشعر، مقبول الألفاظ، حاضر النادرة وكان طنبورياً حاذقاً فيه فائقاً، مات في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة بجيل، ومولده سنة أربع وعشرين ومائتين، ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال: ولجحظة من التصانيف: كتاب الطبيخ – لطيف، – كتاب الطنبوريين، كتاب فضائل السكباج، كتاب الترنم، كتاب المشاهدات، كتاب ما شاهده من أمر المعتمد على الله، كتاب ما جمعه مما جربه المنجمون فصح من الأحكام، كتاب ديوان شعره.

قال: كان جحظة وسخاً قذراً دني النفس، في دينه قلة، وهو القائل:

إذا ما ظمئت إلى ريقه ... جعلت المدامة منه بديلا

وأين المدامة من ريقه؟ ... ولكن أعلل قلباً غليلا

ومن سائر شعره قوله:

لي صديق مغري بقربي وشدوي ... وله عند ذاك وجه صفيق

قوله إن شدوت أحسنت، زدنيوبأحسنت لا يباع الدقيق

حدث الخطيب قال: قال جحظة: أنشدت عبيد الله ابن طاهر قولي:

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان في العالم من يسمع

كم واثق بالعمر واثقته ... وجامع بددت ما يجمع

فقال لي: ذنبك إلى الزمان الكمال.

ومن شعر جحظة:

أقول لها والصبح قد لاح ضوءه ... كما لاح ضوء البارق المتألق

شبيهك قد وافى ولاح افتراقنا ... فهل لك في صوت وكأس مروق؟

فقالت شفائي في الذي قد ذكرته ... وإن كنت قد نغصته بالتفرق

قال جحظة: صك لي بعض الملوك بصك فدافعني الجهبذ به، حتى ضجرت، فكتبت إليه:

إذا كانت صلاتكم رقاعاً ... تخطط بالأنامل والأكف

فها خطي، خذوه بألف ألف ... ولم تكن الرقاع تجر نفعاً

وأنشد جحظة في أماليه:

طرقنا بزوغي حين أينع زهرها ... وفيها، لعمر الله، للعين منظر

وكم من بهار يبهر العين حسنه ... ومن جدول بالبارد العذب يزخر

ومن مستحث بالمدام كأنه، ... وإن كان ذمياً، أمير مؤمر

وفي كفه اليمنى شراب، مورد ... وفي كفه اليسرى بنان معصفر

شقائق تندى بالندى فكأنها ... خدود عليهن المدامع تقطر

وكم ساقط سكراً يلوك لسانه ... وكم قائل هجراً وما كان يهجر

وكم منشد بيتاً وفيه بقية ... من العقل إلا أنه متحير
" فكان مجني دون من كنت أتقي ... ثلاث شخوص كاعبان ومعصر "
وكم من حسان جس أوتار عوده فألهب ناراً في الحشا تتسعر
يغني وأسباب الصواب تمده ... بصوت جليل ذكره حين يذكر
أحن حنين الواله الطرب الذي ... ثنى شجوه بعد الغداء التذكر
أجحظة إن تجزع على فقد معشر ... فقدت بهم من كان للكسر يجبر
وأصبحت في قوم كأن عظامهم ... إذا جئتهم في حاجة تتكسر
فصبراً جميلاً، إن في الصبر مقنعاً ... على ما جناه الدهر، والله أكبر
وأنشد أيضاً لنفسه:
يا من بعدت عن الكرى ببعادهالصبر مذ غيبت عني غائب
أصبحت أجحد أنني لك عاشق ... والعين مخبرة بأني كاذب
وأنشد أيضاً لنفسه:
قد قلل الإدمان أكلي فما ... أطعم زاداً قيس إبهام
فالحمد لله وشكراً له ... قد صرت من بائد أقوام
قوم ترى أولادهم بينهم ... للجوع في حلية أيتام
وأنشد لنفسه:
أرى الأيام تضمن لي بخير ... ولكن بعد أيام طوال
فمن ذا ضامن لدوام عمري ... إلى دهر يغير سوء حالي
هي التسعون قد عطفت قناتي ... ونفرت الغواني عن وصالي
وفيها لو عرفت الحق شغلعن الأمر الذي اضحى اشتغالي
كأني بالنوادب قائلات، ... وجسمي فوق أعناق الرجال
ألا سقيا لجسمك كيف يبلى وذكرك في المجالس غير بالي وأنشد أيضاً لنفسه:
أنفق ولا تخش إقلالاً، فقد قسمت ... بين العباد مع الآجال أرزاق
لا ينفع البخل مع دنيا مولية ... ولا يضر مع الإقبال إنفاق
وأنشد أيضاً لنفسه:
تعجبت إذ رأتني فوق مكسور ... من الحمير عقير الظهر مضرور
من بعد كل أمين الرسغ معترض ... في السير تحسبه إحدى التصاوير
فقلت لا تعجبي مني ومن زمن ... ألحنى علي بتضييق وتقتير
بل فاعجبي من كلاب قد خدمتهم ... تسعين عاماً بأشعاري وطنبوري؟
ولم يكن في تناهي حالهم بهم ... حر يعود لعى حالي بتغيير

وقيل لجحظة: كيف حالك؟ فقال: كما قال الشاعر:

أي شيء رأيت أعجب من ذا ... إن تفكرت ساعة في الزمان؟

كل شيء من السرور بوزن ... والبلايا تكال بالقفزان

وأنشد جحظة لنفسه:

الحمد لله ليس لي كاتب ... ولا على باب منزلي حاجب

ولا حمار إذا عزمت على ... ركوبه، قيل: جحظة راكب

ولا قميص يكون لي بدلاً ... مخافة من قميصي الذاهب

وأجرة البيت فهي مقرحة ... أجفان عيني بالوابل الساكب

إن زارني صاحب عزمت على ... بيع كتاب لشبعة الصاحب

أصبحت في معشر تشمتهم ... فرض من الله لازب واجب

فيهم صديق في عرسه عجب ... إذا تأملت، أمرها عاجب

تحسبها حرة وحافرها ... أرق من شعر خالد الكاتب

وأنشد لنفسه:

ألحمد لله لم أقل قط: يا بد ... ر ويا منصفاً ويا كافور

لا، ولا قلت: أين أين الشوا ... هين ووزاننا وأين البذور

لا ولا قيل: قد أتاك من الضي ... عة بر موفر وشعير

وأتاك العطاء بالند لما ... قيل لي إن في الخزين بخور

أنا خلو من المماليك والأم ... لاك جلد على البلا وصبور

ليس إلا كيسرة وقديح ... وخليق أتت عليه الدهور

قال جحظة: ومررت بوقاد يوقد في التنور ويغني:

أنا أهواك نور الل ... ه فافعل ما بدا لك

إن تكن تمنعني شخ ... صك فابذل لي خيالك

قد أخذت الدن والطن ... بور والكلب فمالك؟

قل لمن جنبك القم ... موث من دسك والك

وله أيضاً:

ولي صاحب زرته للسلا ... م فقابلني بالحجاب الصراح

وقالوا تغيب عن داره ... لخوف غريم ملح وقاح

ولو كان عن داره غائباً ... لأدخلني أهله للنكاح

وقال يستزير بعض إخوانه:

لنا يا أخي زلة وافره ... وقدر معجلة حاضره

وراح تزيل إذا صفقت ... سنا البرق في الليلة الماطره

ومسمعة لم يخنها الصوا ... ب وزامرة أيما زامره
وما شئت من خبر نادر ... ونادرة بعدها نادره
فآت ولو كنت يا ابن الكرام وحاشاك من ذاك في الآخره
وأنشد لنفسه أيضاً:
ما زارني في الحبس من نادمته ... كأسين: كأس مودة ومدام
بخلوا علي وقد طلبت سلامهم ... فكأنني طالبتهم بطعام
وأنشد أيضاً لنفسه:
وذي جدة طلبت إليه براً ... من الجلساء مذموم الخلائق
فأقسم أنه رجل فقير ... أرانيه المهيمن وهو صادق
كأني بالمنازل عن قليل ... خلون من المطرزة النمارق
وقد ظفر النساء بما تركتم ... فصار لماهر بالنيك حاذق
وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه:
وقائل قال لي: من أنت؟ قلت له، ... مقال ذي حكمة واتت له الحكم
لست الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
أنا الذي دينه إسعاف سائله ... والضر يعرفه والبؤس والعدم
أنا الذي حب أهل البيت أفقره ... فالعدل مستعبر والجور مبتسم
وله أيضاً:
ولي كبد لا يصلح الطب سقمها ... من الوجد لا تنفك دامية حرى
فيا ليت شعري والظنون كثيرة ... أيشعر بي من بت أرعى له الشعرى
وله أيضاً:
شكري لإحسانك شكر امرئ ... يستوهب الإحسان من واهبه
وكيف لا أشكر من لا أرى ... في منزلي إلا الذي جاد به
وأنشد جحظة لنفسه في أماليه.
حسبي ضجرت من الأدب ... ورأيته سبب العطب
وهجرت إعراب الكلام ... وما حفظت من الخطب
ورهنت ديوان النقا ... ئض واسترحت من التعب
وله أيضاً:
لا تعجبي يا هند من ... حالي فما فيها عجب

إن الزمان بمن تقد ... م في النباهة منقلب
فالجهل يضطهد الحجى ... والرأس يعلوه الذنب

حدث غرس النعمة في كتاب الهفوات قال: كان جحظة لما أسن يفسو في مجالسه، فيلقى من يعاشره منه جهداً. قال الحسين بن العباس: وكنت أحب غناءه، والكتابة عنه، لما عنده من الآداب، وكان يستطيب عشرتي، وكنت إذا جلست عنده أخذته غلبة الريح، فجئته يوماً في مجلس الأدب، والناس عنده، وهو يملي، فلما خفوا، قال لي ولآخر كان معي: اجلسا عندي حتى أقعدكما على أسود، وأطعمكما طباهجة بكبود، وأسقيكما من معتقة اليهود، وأبخركما بعنبر وعود، أطيب من الندود، وأغنيكما غناء المشدود، فقلت: هذا موضع السجود، وجلسنا، وصديقي لا يعرف خلقه في الفساء، وأنا قد أخذت الريح فوقي، فوفى لنا بجميع ما ذكره، وقال لنا، وقد غنى وشربنا: نحن بالغداة علماء وبالعشي في صورة المخنكرين، فلما أخذ النبيذ منه، أخذ يفسو، وصديقي يغمزني ويتعجب، فأقول له: إن ذلك عادته وخلقه، وإن سبيله أن يحتمل، إلى أن غني صوتاً من الشعر، والصنعة له فيه، وكان يجيده:

إن بالحيرة قسا قد مجن ... فتن الرهبان فيها وافتتن

ترك الإنجيل حيناً للصبا ... ورأى الدنيا مجوناً فركن

قال: فطرب عليه صديقي طرباً شديداً، واستحسنه كثيراً، وأراد أن يقول له: أحسنت والله يا أبا الحسن. فقال له ما في نفسه يتردد من أمر الفساء: أفس علي يا أبا الحسن كيف شئت، فخجل جحظة، وخجل الفتى، وانصرفنا.

وحدث الخطيب، عن أبي الفرج الإصبهاني، قال: حدثني جحظة قال: اتصلت علي إضاقة، أنفقت فيها كل ما أملكه، حتى بقيت ليس في داري سوى البواري، فأصبحت يوماً، وأنا أفلس من طنبور بلا وتر، كما في المثل، ففكرت كيف أعمل، فوقع لي أن أكتب إلى محبرة بن أبي عباد الكاتب، وكنت أجاوره، وكان قد ترك التصرف قبل ذلك بسنتين، وحالفه النقرس، فأزمنه حتى صار لا يتمكن من التصرف إلا محمولاً على الأيدي أو في محفة، وكان مع ذلك على غاية الظرف، وكبر النفس، وعظم الهمة، ومواصلة الشرب والقصف، فأردت أن أتطايب عليه ليدعوني، فآخذ منه ما أنفقه مدة، فكتبت إليه:

ماذا ترى في جدي ... وفي عقار بوارد

وقهوة ذات لون ... يحكى خدود الخزائد

ومسمع يتغنى ... من آل يحيى بن خالد

إن المضيع لهذا ... نزر المروءة بارد

فما شعرت إلا بمحفة محبرة يحملها غلمانه إلى داري، وأنا جالس على بابي، فقلت له: لم جئت؟ ومن دعاك؟ فقال: أنت، فقلت: إنما قلت لك: ماذا ترى في هذا؟ وعنيت في بيتك، وما قلت لك: إنه في بيتي، وبيتي والله أفرغ من فؤاد أم موسى، فقال: الآن قد جئت ولا أرجع، ولكن أدخل إليك، وأستدعي من داري ما أريد، قلت: ذاك إليك، فدخل، فلم ير في بيتي إلا بارية، فقال: يا أبا الحسن، هذا والله فقر مطيح، هذا ضر مدقع، ما هذا؟ قلت: هو والله ما ترى، فأنفذ إلى داره، فاستدعى فرشاً وآلة وقماشاً وغلماناً، وجاء فراشوه ففرشوا ذلك، وجاء وافر الصفر والشمع وغير ذلك مما يحتاج إليه، وجاء طباخه بما كان في مطبخه، وهو شيء كثير، بآلات ذلك، وجاء شرابيه بالأواني والمخروط والفاكهة وآلة التبخير والبخور وألوان الأنبذة،

وجلس يومه ذلك وليلته عندي، يشرب على غنائي وغناء مغنية أحضرها، كنت ألقنها، فلما كان من الغد سلم إلى غلامه كيساً فيه ألف درهم، ورزمة ثياب صحاح، ومقطوعة من فاخر الثياب، واستدعى محفة فجلس فيها، وشيعته، فلما بلغ آخر الصحن،قال: مكانك يا أبا الحسن، احفظ بابك، فكل ما في دارك لك، فلا تدع أحداً يحمل منه شيئاً، وقال للغلمان: اخرجوا، فخرجوا بين يديه، وأغلقت الباب على قماش بألفو كثيرة.

وأنشد السلامي لجحظة في سعد الحاجب:

يا سعد إنك قد خدمت ثلاثة ... كل عليه منك وسم لائح

وأراك تخدم رابعاً لتميته ... رفقاً به فالشيخ شيخ صالح

يا خادم الوزراء إنك عندهم ... سعد ولكن أنت سعد الذابح

وحدث جحظة قال: دخلت، وأنا في بقايا علة، على كاتب، قال ابن بشران، على هارون ابن عريب الخالي، فقدم إلينا مضيرة عصبان، فأمعنت منها، فقال: – جعلت فداك – أنت عليل، وبدنك نحيل، والعصب ثقيل، واللبن يستحيل، فثقلت له: والعظيم اعلجليل، المفضل المنيل، لا تركت منها كثيراً ولا قليلاً، وحسبنا الله ونعم الوكيل، فغضب علي فضربني عشرين مقرعة، فقلت:

ولي صاحب لا قدس الله روحه ... وكان من الخيرات غير قريب

أكلت عصيداً عنده في مضيرة ... فيالك من يوم علي عصيب

قال: ودخلت إليه يوماً آخر، فقدم إلي لوزينجاً لها أيام وقد حمضت، فأخذت أمعن في أكلها، فقال لي: إن اللوزينج إذا كان بالجوز أبشم وإذا كان باللوز أتخم، فقلت: نعم يا سيدي إذا كانت لوزينجاً، وأما إذا كانت مصوصاً فلا! وحدث عبد الله بن المعتز، قال: عربد ابن أبي العلاء على جحظة بحضرتي، فأمرت بتنحية جحظة إلى أن رضي أحمد، فكتب إلي جحة:

أليس من العجائب أن مثلي ... يقام لأحمد بن أبي العلاء

ولي نفس أبت إلا ارتفاعاً ... فأضحت كالسماء على السماء

لقد غضب الزمان على أناس ... فأبلاهم بأولاد الزناء

في تاريخ دمشق قال جحظة: سلمت على بعض الرساء وكان مبخلاً، فلما أردت الانصراف قال لي. يا أبا الحسن، إيش يقول في قطائف تأتيه؟ ولم يكن له بذلك عادة؟ فقلت: ما آبى ذلك، فأحضر لي جاماً فيه قطائف، قد حمت فأرجفت فيها، وصادفت مني سغبة، وهو ينظر إلي شزراً، فقال لي: يا أبا الحسن، إن القطائف إذا كانت بجوز أتخمتك، وإذا كانت بلوز أبشمتك، قال: فقلت: هذا إذا كانت قطائف، أما إذا كانت مصوصاً فلا. وعملت لوقتي هذه الأبيات:

دعاني صديق لي لأكل القطائف ... فأمعنت فيها آمناً غير خائف

فقال، وقد أوجعت بالأكل قلبه ... رويك، مهلاً، فهي إحدى المتالف

فقلت له: ما إن سمعنا بمالك ... ينادى عليه: يا قتيل القطائف

قال عبد الله بن المعتز: كتب إلي جحظة في يوم مطير: انصرفت من عندك – جعلني الله فداك – وقد كنا عقدنا موعداً للقاء، ومنعني من المصير إليك ما نحن فيه من انقطاع شريان الغمام، فتفضل ببسط العذر لعبدك، إن شاء الله.

ومن شعر جحظة:

وليل في جوانبه حران ... فليس لطول مدته انقضاء

عدمت مطالع الإصباح فيه ... كأن الصبح جود أو وفاء

وله أيضاً:

رحلتم فكم من أنة بعد زفرة ... مبينة للناس شوقي إليكم

وقد كنت أعتقت الجفون من البكا ... فقد ردها في الرق حزني عليكم

وحدث أبو الفرج الإصبهاني قال: دعاني محمد بن الشار يوماً، ودعا جحظة، وأطال حبس الطعام جداً، وجاع جحظة، فأخذ دواة وبياضاً وكتب:

مالي وللشار وأولاده ... لا قدس الوالد والوالده

قد حفظا القرآن واستعملوا ... ما فيه إلا سورة المائده

ورمى بها إلي، فقرأتها، ودفعتها إلى ابن الشار، فقرأها، ووثب مسرعاً، فقدم المائدة، فقاطعه جحظة، فكان يجهد جهده أن يجيئه فلا يفعل، فإذا عاتبناه قال: والله حتى يحفظ تلك السورة.

وله أيضاً:

يطول علي الليل حتى أمله ... فأجلس والنوام في غفلة عني

فلا أنا بالراضي من الدهر فعله ... ولا الدهر يرضى بالذي ناله مني

قال أبو علي: حدثني أبو القاسم الحسين بن علي البغدادي، وكان أبوه ينادم ابن الحواري، ثم نادم اليزيديين بالبصرة، وأقام بها سنين، قال: كان جحظة خسيف الدين، وكان لا يصوم شهر رمضان، وكان يأكل سراً، فكان عند أبي يوماً في شهر رمضان مسلماً، فأجلسته، فلما كان نصف النهار سرق من الدار رغيفاً، ودخل المستراح، وجلس على المقعدة، واتفق أن دخل أبي فرآه فاستعظم ذلك وقال: ما هذا يا أبا الحسن؟ فقال: أفت لبنات وردان ما يأكلون، فقد رحمتهم من الجوع: ومن شعر جحظة:

إن كنت ترغب في الزيا ... رة عند أوقات لزياره

فدع الشتيمة للغلا ... م إذا دنت من الغضاره

ومن مطبوع شعر جحظة:

وإذا جفاني صاحب ... لم أستجز ما عشت قطعه

وتركته مثل القبو ... ر أزورها في كل جمعه

وحدث جحظة في أماليه: دخلت إلى عريب المأمونية مع شروين المغنى، وأبي العبيس المغنى، وأنا يومئذ غلام على قباء ومنطقة، وأنكرتني، وسألت عني، فأخبرها شروين، وقال لها: هذا فتى من أهلك، هذا ابن جعفر

بن موسى بن يحيى بن خالد البرمكي، وهو يغني بالطنبور، فأدنتني، وقربت مجلسي، ودعت بطنبور، وأمرتني أن أغني، ففنيت أصواتاً، فقالت: أحسنت يا بني، ولتكونن مغنياً، ولكن إذا حضرت بين هذين الأسدين ضعت أنت وطنبورك، تعني بين عوديهما، وأمرت لي بمائة دينار.

وأنشد لنفسه في أماليه:

دعيني من العذل أين الكبير؟ ... بحرمة معبودك الأكبر
فلست بباك على ظاعن ... ولا طلل محول مقفر
ولكن بكائي على ماجد ... أراد نوالاً فلم يقدر

وأنشد فيه لنفسه:

مرضت فلم يعدني في شكاتي ... من الإخوان ذو كرم وخير
فإن مرضوا، وللأيام حكم ... سينفذ في الكبير وفي الصغير
غدوت على المدامة والملاهي ... وإن ماتوا حزنت على القبور

وأنشد فيه لنفسه:

يا راقداً، ونسيم الورد منتبه ... في ربقة القفص والأطيار تنتحب
الورد ضيف، فلا تجهل كرامته ... وهاتها قهوة في الكاس تلتهب
سقياً له زائراً تحيا النفوس به ... يجود بالوصل حيناً ثم يجتنب
تباً لحر رآه وهو ذو جدة ... لم يقض من حقه بالشرب ما يجب

وقد قال جحظة:

ناديت عمراً، وقد مالت بجانبه ... مدامة، أخذت بالراس والقدم
قد لاح في الدير نار الراهبين وقد ... ناداك بالصبح ناقوساهما، فقم
فقام يعثر في أثواب نعسته ... لبزل صافية كالنجم في الظلم
فاستلها، وشدا، والكأس في يده: ... سلم على الربع من سلمى بذي سلم
لو دام لي في الورى خل وعاتقة ... لما حفلت بذي قربى ولا رحم
ولا بكرت إلى حلو لنائله ... ولا التفت إلى شيء من النعم

حدث أبو علي المحسن بن محمد بن علي قال: كان الحسن بن مخلد أكرم الناس في بذل المال، وأبخلهم بطعامه، فكان يحضر ندماؤه على مائدته، فلا يستجرئ أحد منهم أن يشعب شيئاً البتة، وينزهون أنفسهم عند رفع المائدة بمسح أيديهم بلحاهم، وله في ذلك قصص عجيبة.

قال جحظة: ربحت بأكلة افتديتها مع الحسن ابن مخلد خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وخمسة أثواب فاخرة، وعتيدة طيبة سرية، فقيل له: كيف كان ذلك؟ فقال: كان الحسن بن مخلد بخيلاً على الطعام، سمحاً بالمال، وكان يأخذ ندماءه بغتة، فيسقيهم النبيذ، ويؤاكلهم فمن أكل قتله قتلا، ومن شرب معه على الخسف حظي عنده، قال: فكنت عنده يوماً، فقال لي: يا أبا الحسن، قد عملت غداً على الصبوح الجاشري

فبت عندي، فقلت: لا يمكنني، ولكني أباكرك قبل الوقت، فعلى أي شيء عملت أن تصطبح؟ فقال: قد أعد لنا كذا وكذا، ووصف ما تقدم به إلى الطباخ بعمله، فعقدنا الرأي أن أباكره، وقمت وجئت إلى منزلي، ودعوت طباخي فتقدمت غليه بأن يصلح لي مثل ذلك بعينه، ويفرغ منه وقت العتمة، ففعل، ونمت، وقمت وقد مضى نصف الليل، فأكلت ما أصلح، وغسلت يدي وأسرج لي وأنا عامل على المضي إليه، إذ طرقتني رسله، فجئته، فقال. بحياتي أكلت؟ قلت. أعيذك بالله، انصرفت من عندك قبل الغروب، وهذا نصف الليل، فأي وقت أصلح لي شيء؟ أو أي وقت أكلت شيئاً؟ سل غلمانك على أي حال وجدوني، فقالوا. وجدناه يا سيدنا وقد لبس ثيابه، وهو ينتظر أن يفرغ له من إسراج بغلته ليركبها، فسر بذلك سروراً شديداً، وقدم الطعام، فما كان في فضل أشمه، فأمسكت عن تشعيبه ضرورة، وهو يستدعي أكلي، ولو أكلت أحل دمي، قال: وكذا كانت عادته، فأقول: هو ذا آكل يا سيدي أفي الدنيا أحد يأكل أكثر من هذا؟ وانقضى الأكل، وجلسنا على الشرب، فجعلت أشرب بأرطال، وهو يفرح، وعنده أني أشرب على الريق، أو على ذلك الأكل الذي جلست معه، ثم أمرني بالغناء، فغنيت، فاستطاب ذلك، وطرب، وشرب أرطالاً، فلما رأيت النبيذ قد عمل فيه، قلت: يا سيدي تطرب أنت على غنائي، فأنا على أي شيء أطرب؟ فقال: يا غلام هات دواة، فأحضرها، فكتب لي رقعة ورمى بها غلي، وإذا هي على صيرفي يعامله بخمسمائة دينار، فأخذتها وشكرته، ثم غنيته، وطرب وزاد سكره، فطلبت منه ثياباً، فخلع علي خمسة أثواب، ثم أمر أن يبخر كل ما بين يديه، فأحضرت عتيدة حسنة سرية فيها طيب كثير، فأخذ الغلمان يبخرون منها للناس، فلما انتهوا إلي، قلت: يا سيدي: وأنا أرضى أن أتبخر فحسب؟ فقال لي: ما تريد؟ قلت: أريد نصيبي من العتيدة، قال: قد وهبتها لك، فأخذتها، وشرب بعد ذلك رطلاً، واتكأ على مسورته، وكذا كانت عادته، إذا سكر، فقام الناس من مجلسه، وقمت وقد طلع الفجر وأضاء، وهو وقت يبكر الناس في حوائجهم، فخرجت كأني لص قد خرج من بيت قوم على قفا غلامي الثياب والعتيدة كلها، فصرت إلى منزيلي ونمت نومة، ثم ركبت إلى رب عون أريد الصيرفي، فأوصلت إليه الرقعة، فقال: يا سيدي أنت لارجل المسمى في التوقيع؟ قلت: نعم، قال: أنت تعلم أن مثلنا يعاملون للفائدة، قلت: أجل، قال: ورسمنا أن نعطى في مثل هذا ما يكسر في كل دينار درهماً، فقلت له: ليس أضايقك في هذا القدر، فقال: ما قلت هذا إلا لأربح عليك الكبير أيما أحب إليك: أن تأخذ كما يأخذ الناس، وهو ما قد عرفتك، أو تجلس مكانك إلى الظهر، حتى أفرغ من شغلي، ثم تركب معي إلى داري، فتقيم عندي اليوم والليلة تشرب، فقد والله سمعت بك، وكنت أتمنى أن أسمعك، ووقعتن الآن لي رخيصاً، فإذا فعلت هذا، دفعت إليك الدنانير من غير خسران، فقلت: أقيم عندك، فجعل الرقعة في كمه، وأقبل على شغله، فلما دنا الظهر، جاء غلامه ببغلة فارهة، فركب وركبت معه، وصرنا إلى دار سرية حسنة، بفاخر الفرش والآلات، ليس فيها إلا جوار روم للخدمة من غير فحل، فتركني في مجلسه، ودخل، ثم خرج بثياب أولاد الخلفاء من حمام داره، وتبخر وبخرني بيده بند عتيق جيد، وأكلنا أسرى الطعام وأنظفه، وقمنا إلى مجلس سري للشرب، فيه فواكه وآلات بمال، وشربنا ليلتنا، فكانت ليلتي عنده أطيب من أختها عند الحسن بن مخلد، فلما أصبحنا، أخرج كيسين، في

أحدهما دنانير، وفي الأخرى دراهم، فوزن خمسمائة دينار، وخمسمائة درهم، وقال: يا سيدي تلك ما أمرت به، وهذه الدراهم هدية مني إليك، فأخذها وصار الصيرفي صديقي، وداره لي.

قال: وحدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف التنوخي قال: حدثني أبو لعي بن الأعرابي الشاعر قال: كنت في دعوة جحظة، فأكلت، وجلسنا نشرب، وهو يغني، إذ دخل رجل فقدم إليه جحظة زلة كان زلها من طعامه ونحن نأكل، وكان بخيلاً على الطعام، قال: وكأن الرجل كان طاوياً، طاوى تسع، فأتى على الزلة، ورفع الطيفورية فارغة، وجحظة يرمقه ونحن نلمح جحظة، ونضحك، فلما فرغ، قال له جحظة: تلعب معي بالنرد قال: نعم، فوضعاه بينهما، ولعبا، فتوالى اللعب على جحظة من الرجل بأن تجيء الفصوص على ما يريد من الأعداد ويكره جحظة، فأخرج جحظة رأسه من قبة الخيش رافعاً له إلى السماء، وقال كأنه يخاطب الله جل وعز: لعمري إني أستحق هذا، لأني أشبع من أجعته.
قلت: ما أشد تباعد ما بين هببذين الخبرين، وخبر رواه التنوخي أيضاً عن أبي العباس بن المنم، قال. سمعت أبا عبد الله الموسوي العلوي يقول: قصدني أبو جعفر محمد بن يحيى شيرزاد، في أيام تدبيره الأمر، قصداً قبيحاً، وعمل لي كتابة مؤامرة في خراجاتي بمائة ألف درهم، أكثرها واجب وباقيها كالواجب، وأحضرني للمناظرة. عليها، واعتقلني في داره، فضقت ذرعاً بما نزل بي وعلمت أن المال سيلزمني إذا نوظرت، وأنه يؤثر في حالي، ويهتك جاهي، فلم أدر ما أصنع، فشاورت بعض من يختص به، فقال: طمعه فيك والله قوي، وما يفعل معه بشيء غير المال، فقلت له: ففكر في حيلة أو مخادعة، ففكر ثم قال: لا أعرف لك دواء إلا شيئاً واحداً إن سمحت به نفسك وتركت العلوية عنك وفعلت نجوت، قلت. ما هو، قال: هو رجل سمح على الطعام، محب لأكلة مائدته، موجب لحرمته، وأرى لك، إذا وضع طعامه، أن تخرج إليه، فإنك معه في الدار، ولا يمنعك الموكلون من ذلك، فتجيء بغير إذن، فتجلس على المائدة، وتأكل وتنبسط وتخاطبه في أمرك عقيب الأكل، وتسأله، وترفق به، وتخضع له، فإنه يسامحك بأكثرها، ويقرب ما بينك وبينه، فشق ذلك علي، ثم نظرت، فإذا وزن المال أشق منه، وكان أبو جعفر لا يأكل إلا بعد المغرب في كل يوم أكلة، فلم آكل ذلك اليوم شيئاً، وراعيت مائدته، فلما وضعت، قمت، فقال الموكلون: إلى أين؟ قلت. إلى مائدة الوزير، فما قدروا أن يمنعوني، فلما رأى أبو جعفر، أكبر ذلك وتهلل وجهه وقال. ألا عندي يا سيدي، وأجلسني إلى جنبه، فأقبلت آكل وأنبسط في الأكل والحديث، إلى أن رفعت المائدة واستدعاني إلى موضعه، فغسلت يدي بحضرته، فلما فرغت، أردت أن أبتدئه بالخطاب، فقال لي: قد آذيتك يا سيدي، يا أبا عبد الله، بتأخرك عن منزلك، فامض إلى بيتك، وما أخاطبك بشيء مما في نفسي، ولا مما أردت مخاطبتك به، ولا مطالبة عليك من جهتي، بعد ما تفضلت به، فشكرته، وقلت: إن رأى سيدنا، أيده الله، أن يتمم معروفه بتسليم المؤامرة إلي، فقال: هاتموها، فما برحت إلا وهي في خفي، وانصرفت إلى منزلي وقد سقط المال بي، ولزمته للسلم، وصرت أتعمد مؤاكلته، والتخصص به، فسلمت طول أيامه، وسلم جاهي ومالي علي، إلى أن مضى لسبيله.
قلت: هذا حسن من فعله، مع عسف كان فيه بالرعية في جباية المال، لم يسبق إليها، ولا تبعه بعده أحد في

مثلها، فكانت له أفعال منكرة منها: أنه استدعى العيارين وضمنهم ما يسرقونه من أموال الناس وكتب جحظة إلى أبي إسحاق إبراهيم بن عبد الله المشمعي، وكان قائداً جليلاً، تقلد البصرة وفارس:

إليك أبا إسحاق مني رسالة ... تزين الفتى، إن كان يعشق زينه

لقد كنت غضباناً على الدهر زاريا ... عليه، فقد أصلحت بيني وبينه

وكان أبو إسحاق هذا أديباً شاعراً، ومن شعره:

ألا طف من أجله أهله ... وكل إلي حبيب قريب

وأسأل عن غيره قبله ... لأبطل ظن الذي يستريب

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه:

قد نلتم صحة، ما نالها بشر ... وحزتم نعمة ما نالها ملك

فليت شعري أمقدار تعمدكم ... بما أتاكم به، أم وسوس الفلك

وأنشد جحظة في أماليه:

يا من دعاني وفر مني ... أخلفت والله حسن ظني

قد كنت أرضى بخبز رز ... وماله أو قليل بن

وسكرة من نبيذ دبس ... أقام يوماً بعقر دن

فكيف يغلو بما ذكرنا ... مساعد شاعر مغني

وحدث جحظة في أماليه قال: كنت أشرب عند بعض إخواني بباب حرب في ناعورة ثابت في يوم مطر، ومعنا شيخ خضيب حسن البرة متصدر، فنجارينا ذكر المطر، وما جاء فيه من الخبر، فقال الشيخ: حدثوا يا سيدي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه، أبا بكر وأبا حفص وعلى النبيين السريين منكر ونكير وعلى عمرو بن العاضي قاتل الكفار يوم غدير خم وصاحب راية النبي يوم القطائف – يريد يوم الطائف – أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومحا ملك يتبحا حتى يضحا في موضحا ثم يصعد ويدحا فقلت: يا شيخ فالقطر يقع في الكنيف، والملك ينزل معه قال: نعم يا سيدي فيهم ما في الناس من الدناءة والخسة.

وأنشد جحظة لنفسه في أماليه:

قالت أعاليه الصلب ... لما تثنى واضطرب

أترى جنيت جناية؟ حتى صلبت على الخشب قال جحظة في أماليه: استهديت من بعض إخواني دواة فأخرها عني، ثم اجتمعنا في مجلس أبي العباس ثعلب، فقلت لأبي العباس: ما أراد الشاعر بقوله:

أحاجيك: ما قبر عديم ترابه ... به معشر موتى وإن لم يكفنوا

سلوت عن التبيان مدة قبرهم ... فإن نبشوا يوماً من الدهر بينوا

فسكت ساعة، ثم قال: الدواة، فلما انصرفت إلى منزلي إذا الدواة قد سبقتني إليه.

قال جحظة: دعوت فضيلاً الأعرج، وكان عندنا جماعة فكتب إلينا:

أنا في منزلي، وقد رزق الل ... ه نديماً ومسمعاً وعقارا
فاعذروني بأن تخلفت عنكم ... شغل الحلي أهله أن يعارا
ومثله لغيره:
حي طيفاً من الأحبة زارا ... بعد أن نوم الكرى السمارا
داعياً في الوصال تحت دجى اللي ... ل عيوناً عن الوصال سهارى
قلت ما بالنا جفينا وكنا ... قبل ذاك الأسماع والأبصارا
قال: إنا كما عهدت، ولكن ... شغل الحلي أهله أن يعارا
قال جحظة: وسألت الحسن بن مخلد حاجة، فقال: إذا كان بعد ثلاث عرفنك، فقلت: يا سيدي تعدني أن تعدني.
قال جحظة في أماليه: كنت جالساً عند صديق لي، فجاءه رقعة من منزله، فلما نظر فيها ضرط، فحادثته ساعة واعتقلته وأخذتها، وإذا فيها: قد فني الدقيق وغدا الخبزة.
وأنشد لنفسه في أماليه يقول:
يقول لي مالكي، والدمع منحدر ... لا خفف الله رب العرش بلواكا
وإن دعوت إليه عند معتبة، ... يقول قلبي له في السر: حاشاكا
وأنشد أيضاً لنفسه في أماليه:
ما أنصفتني يد الزمان ولا ... أدركني غير حرفة الأدب
لا حفظ الله، حيثما سلكت ... أمي، وأير الحمار في أست أبي
ما تركا درهماً أصون به ... وجهي يوماً عن ذلة الطلب

أحمد بن جميل بن الحسن بن جميل أبو منصور

أديب أريب، فاضل كامل، له يد باسطة في النظم والنثر، وهو من أهل بغداد، وكان يسكن باب الأزج.
ذكره أبو الفرج بن الجوزي، في مذيله على صدقة ابن الحسن، فقال: كانت له معرفة بالأدب جيدة، وله كتاب مقامات حذو الحريري، وله فضل.
ومات في شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وخمسمائة.

أحمد بن حاتم أبو نصر الباهلي

صاحب الأصمعي، روى عن الأصمعي كتبه، وقال أبو العباس محمد بن أحمد القمري الإسكافي النحوي.
كان أبو نصر ابن أخت الأصمعي، وقال أبو الطيب في كتاب مراتب النحويين: زعموا أن أحمد بن حاتم كان ابن أخت الأصمعي، وليس هذا بثبت، رأيت أبا جعفر بن باسوه ينكره، وكان أثبت من عبد الرحمن، يعني ابن أخت الأصمعي، واسن، وكان يضيق على ابن الأعرابي وقد أخذ عن الأصمعي وأبي عبيدة وأبي

زيد، وأقام ببغداد، وربما حكى الشيء بعد الشيء عن أبي عمرو الشيباني، ومات، فيما ذكره هو وأبو عبد الله ابن الأعرابي وعمرو بن عمرو الشيباني في سنة إحدى وثلاثين ومائتين وقد نيف على السبعين.

وحدث المرزباني عن أبي عمر الزاهد قال: قال ثعلب دخلت على يعقوب بن السكيت، وهو يعمل إصلاح المنطق فقال، يا أبا العباس، رغبت عن كتابي، فقلت له كتابك كبير وأنا عملت الفصيح للصبيان، ثم قال سر معي إلى أبي نصر صاحب الأصمعي، فمضيت معه فلما كنا في الطريق قال: قد سألت أبا نصر عن بيت شعر فأجابني جواباً لم أرضه، أفأعيده عليه؟ فقلت: لا تفعل فإن عنده أجوبة، وقد أجابك ببعضها، فلما دخلت عليه سأله عن البيت، فقال له: يا مؤاجر أنت وهذا وأنا قريبك حتى رموني بك، عندي عشرون جواباً في هذا، وخجل من ذلك، وخرجنا، فقلت له: لا مقام لك هاهنا، اخرج من سر من رأى، واكتب إلي بما تحتاج إليه لأسأل عنه وأعرفك إياه.
وحكي عن الأصمعي أنه كان يقول: ما يصدق علي إلا أبو نصر، وكان ثقة مأموناً.
ولأبي نصر من التصانيف: كتاب الشجر والنبات، كتاب اللبإ واللبن، كتاب الإبل، كتاب أبيات المعاني كتاب اشتقاق الأسماء، كتاب الزرع والنحل، كتاب الخيل كتاب الطير. كتاب ما يلحن فيه العامة، كتاب الجراء.
وذكره حمزة في كتاب إصبهان، قال: ولما أقدم الخصيب بن أسلم أبا محمد الباهلي صاحب الأصمعي إلى إصبهان، نقل معه مصنفات الأصمعي، وأشعار شعراء الجاهلية والإسلام مقروءة على الأصمعي، وكان قدومه إصبهان بعد سنة عشرين ومائتين فأقام أشهراً، ثم تأهب منها للحج، فدخل إلى عبد الله بن الحسن، وسأله أن يدله على رجل يسلم إليه دفاتره إلى أن يرجع، فقال له عليك بمحمد بن العباس، وكان مؤدب أولاد عبد الله بن الحسن، مقبول القول، فسلم الباهلي إليه دفاتره، وخرج، فأنسخها محمد بن عبد الله الناس، فقدم الباهلي وقامت قيامته، ودخل إلى عبد الله بن الحسن، وذكر له ما كان يأمل في دفاتره من التكسب بها، فجمع له عبد الله بن الحسن من أهل البلد عشرة آلاف درهم، ووصله الخصيب بعشرين ألفاً، فتناولها ورجع إلى البصرة.

الجزء الثالث

أحمد بن الحارث بن المبارك الخزاز

أبو جعفر، راوية أبي الحسن المدائني، والعتابي، كان راوية مكثراً، موصوفاً بالثقة، وكان شاعراً، وهو من موالي المنصور، ومات الخزاز، فيما ذكره قانع، ورواه المرزباني عنه، في ذي الحجة سنة سبع وخمسين ومائتين، وكان ينزل في باب الكوفة، فدفن في مقابرها، وقيل: مات في سنة تسع وخمسين.
وذكره المرزباني في المقتبس: فقال: حدثني علي بن هارون، قال: أخبرني عبيد الله بن أحمد، بن طاهر، عن أبيه، عن محمد بن صالح، بن النطاح، مولى هاشم عن أبيه، قال: طلب المنصور رجالاً يجعلهم بوابين له، فقيل

له: لا يضبطهم إلا قوم لئام الأصول، أنذال النفوس، صلاب الوجوه، ولا تجدهم إلا في رقيق اليمامة، فاشترى له مائتي غلام من اليمامة، فصير بعضهم بوابين، وبقي الباقون، فكان ممن بقي خلاد، جد أبي العيناء محمد بن القاسم بن خلاد، وحسان جد إبراهيم بن عطار، جد أحمد بن الحارث الخزاز.

وقال المرزباني: أخبرني محمد بن يحيى قال: حدثني الحسين بن إسحاق، قال: أنشدت أحمد بن الحارث شعراً للبحتري، فعاب منه شيئاً، فبلغ البحتري، فقال:

الحمد لله على ما أرى ... من قدر الله الذي يجري
ما كان ذا العالم من عالمي ... يوماً ولا ذا الدهر من دهري
يعترض الحرمان في مطلبي ... ويحكم الخزاز في شعري

وروى محمد بن داود، لأحمد بن الحارث، في إبراهيم ابن المدبر، وحاجبه بشر:

وجه جميل وصاحب صلف ... كذاك أمر الملوك يختلف
فأنت تلقى بالبشر واللطف ... وبشر يلقاهم به جنف
يا حسن الوجه والفعال ويا ... أكرم وجه سما به شرف
ويا قبيح الفعال بالحاجب ال ... غث الذي كل أمره نطف
فأنت تبني وبشر يهدمه ... والمدح والذم ليس يأتلف

وذكر أبو بكر الخطيب، فقال: كان الخزاز ذا فهم ومعرفة، صدوقاً، أسمع المدائني كتبه كلها، وهو بغدادي، روى عنه السكري، وابن أبي الدنيا، وغيرهما. وكان كبير الرأس، طويل اللحية كبيرها، حسن الوجه، كبير الفم ألثغ، خضب قبل موته لسنة خضاباً قانئاً، فسئل عن ذلك، فقال: بلغني أن منكراً ونكيراً، إذا حضرا ميتاً فرأياه خضيباً، قال منكر لنكير: تجاف عنه.

ومن سائر شعره قوله:

إني امرؤ لا أرى بالباب أقرعه ... إذا تنمر دوني حاجب الباب
ولا ألوم امرأ في رد ذي شرف ... ولا أطالب ود الكاره الآبي

ولما قتل بغا التركي باغر التركي، وهاجت الأتراك على المستعين بالله، وخافهم، وانحدر من سر من رأى إلى بغداد، في سنة إحدى وخمسين إلى مائتين في المحرم، قال أحمد بن الحارث:

لعمري لئن قتلوا باغراً ... لقد هاج باغر حرباً طحوناً
وفر الخليفة والقائدا ... ن بالليل يلتمسون السفينا
وحل ببغداد قبل الشروق ... فحل بهم منه ما يكرهونا
فليت السفينة لم تأتنا ... وغرقها الله والراكبينا

هي قصيدة يذكر فيها الحرب وصفتها.

وقال أحمد بن الحارث، في بشر حاجب إبراهيم ابن المدبر:

قد تركناك لبشر ... وتركنا لك بشرا

وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه، وقال: له من الكتب: كتاب المسالك والممالك. كتاب أسماء الخلفاء، وكتابهم، والصحابة. كتاب مغازي البحر في دولة بني هاشم، وذكر أبي حفص صاحب أقريطش. كتاب القبائل. كتاب الأشراف. كتاب ما نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه، كتاب أبناء السراري. كتاب نوادر الشعراء. كتاب مختصر كتاب البطون. كتاب مغازي النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه وأزواجه. كتاب أخبار أبي العباس. كتاب الأخبار والنوادر. كتاب شحنة البريد. كتاب النسب. كتاب الحلائب والرهان. كتاب جمهرة نسب الحارث بن كعب، وأخبارهم في الجاهلية.

أحمد بن الحسنالسكوتي

بن إسماعيل أبو عبد الله السكوتي الكندي النسابة، كان له اختصاص بالمكتفي، ثم بالمقتدر.
ذكره أبو الحسن، محمد بن جعفر بن النجار، الكوفي، في تاريخ الكوفة، وقال: إنه كان ممن أخذ عن ثعلب الأدب، وكان مليح المجلس، حسن الترسل، ممكناً من نفسه، هذا لفظ ابن النجار بعينه.
وحكى ابن النجار، عن أبي عبد الله قال: قال ابن عبدة النساب: ما عرف النساب أنساب العرب على حقيقة، حتى قال الكميت النزاريات، فأظهر بها علماً كثيراً، ولقد نظرت في شعره، فما رأيت أحداً أعلم منه بالعرب وأيامها.
قال أبو عبد الله: فلما سمعت هذا، جمعت شعره، فكان عوني على التصنيف لأيام العرب.
ورأيت أنا لأبي عبد الله كتاباً في أسماء مياه العرب، ونقلته غير تام:

أحمد بن الحسن، بن القاسم

،
بن الحسن، أبو علي أبو بكر، يلقب الفلكي، جد أبي الفضل الفلكي الحافظ الهمذاني.
قال شيرويه: روى عن الحسن بن الحسين التميمي، وأبي الحسن، علي بن الحسن، بن سعد البزاز، وأبي بكر، عمر بن سهل الحافظ، روى عنه ابناه أبو عبد الله الحسين، وأبو الصقر الحسن.
قال: وكان إماماً جامعاً في كل فن، عالماً بالأدب، والنحو، والعروض، وسائر العلوم، وخصوصاً في علم الحساب، فإنه كان يقال له: الحاسب، ولذلك لقب بالفلكي، وكان هيوباً، ذا حشمة ومنزلة عند الناس.
مات في ذي القعدة، سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، وهو ابن خمس وثمانين سنة.

أحمد بن الحسن، بن محمد، بن اليمان

ابن الفتح، الدينارى، أبو عبد الله، رجل أديب، إلا أن الغالب عليه الخط، وذكرنا له، إنما هو لحسن خطه، الذي بلغ فيه الغاية.
وقال أبو الوزير عميد الدولة، أبو سعد بن عبد الرحيم، في أخبار ابنه عبد الجبار، بن أحمد: وكان والده أبو

عبد الله الديناري مقدماً مكرماً، يزور بحسن خطه على أبي عبد الله بن مقلة، ترويراً لا يكاد يفطن له، وله ولد أديب، يقال له: أبو يعلى عبد الجبار، ذكر في بابه.

أحمد بن الحسين، يعرف بابن شقير

أبو بكر، هو أحمد بن الحسين، بن العباس، بن الفرج، النحوي، أخذ عن أحمد بن عبيد بن ناصح، وكان مشهوراً برواية كتب الواقدي، عن أحمد بن عبيد عنه. ومات في صفر سنة سبع عشرة وثلاثمائة، في خلافة المقتدر، وهو في طبقة أبي بكر بن السراج، وله تصانيف، منها: كتاب مختصر في النحو. كتاب المقصور والممدود. كتاب المذكر والمؤنث.
قرأت في كتاب ابن مسعدة: أن الكتاب الذي ينسب إلى الخليل، ويسمى الجمل، من تصانيف ابن شقير هذا. قال: يقول فيه: النصب على أربعين وجهاً.

أحمد بن الحسين بن مهران المقرئ

أبو بكر النيسابوري، قال الحافظ أبو القاسم: أصله من أصبهان، سكن نيسابور.

قال الحاكم: هو إمام عصره في القراءات، وأعبد من رأينا من القراء، وكان مجاب الدعوة. مات في السابع والعشرين من شوال، سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وهو يوم مات ابن ست وثمانين سنة، وصلينا عليه في ميدان الطاهرية، وتوفي في ذلك اليوم، أبو الحسن العامري، صاحب الفلسفة.
قال الحاكم: فحدثني عمر بن أحمد الزاهد، قال: سمعت الثقة من أصحابنا، يذكر أنه رأى أبا بكر بن الحسين بن مهران – رحمه الله – في المنام، في الليلة التي دفن فيها، قال: فقلت. أيها الأستاذ ما فعل الله بك؟ فقال: إن الله عز وجل، أقام أبا الحسن العامري بحذائي، وقال: هذا فداؤك من النار.
ثم ذكر الحاكم بإسناد رفعه إلى أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كان يوم القيامة، أعطى الله كل رجل من هذه الأمة رجلاً من الكفار، فيقول: هذا فداؤك من النار " . وهذا الخبر إذا قرن بالرؤيا، صار من براهين الشرع.
قال الحاكم: سمع ابن مهران بنيسابور، أبا بكر بن محمد، بن إسحاق، بن خزيمة، وأبا العباس السراج الثقفي، وأبا العباس الماسرجسي. وله من التصانيف: كتاب الشامل، كتاب الغاية، كتاب قراءة أبي عمرو، كتاب غرائب القرآن، كتاب وقوف القرآن، كتاب الانفراد، كتاب شرح المعجم، كتاب شرح التحقيق، كتاب اختلاف عدد السور، كتاب رؤوس الآيات، كتاب الوقف والابتداء، كتاب قراءة عبد الله بن عمرو، كتاب علل كتاب المبسوط، كتاب آيات القرآن، كتاب الاتفاق والانفراد، كتاب المقطع والمبادئ.
قال الحاكم: سمعت أبا بكر بن مهران يقول: قرأت على أبي علي، محمد بن أحمد، بن حامد، الصفار المقرئ، القرآن من أوله إلى آخره، وقال: قرأت القرآن من أوله إلى آخره، على أبي بكر، محمد بن سليمان، بن موسى الهاشمي ببغداد، قال: قرأت على قنبل بن عبد الرحمن، بن محمد ابن خالد، بن سعيد، بن خرجة

المكي. وقال: قرأت على أبي الحسن النبال، وأخبرني أنه قرأ على ابن الإخريط وهب بن واضح، وقرأ ابن الإخريط، على إسماعيل بن عبد الله، بن قسطنطين، وقرأ ابن قسطنطين، على شبل بن عباد، ومعروف بن مسكان، فأخبراه أنهما قرأا على عبد الله بن كثير، عن مجاهد، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال الحاكم: ومحمد بن الحسين، بن مهران الأديب، الفقيه الكاتب، أخو أبي بكر، سمع عبد الله بن شيرويه وأقرانه، وسمع الكتب من أبي بكر، محمد بن إسحاق، ابن خزيمة وأقرانه. ومات في شعبان، سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة، وهو ابن نيف وثمانين سنة.

أحمد بن أبي خالد، أبو سعيد الضرير

البغدادي، رأيت في فوائد أبي الحسين، أحمد بن فارس، بن زكريا اللغوي، صاحب كتاب المجمل ما صورته: وجدت في تفسير أبي موسى، محمد بن المثنى العنزي، ولم أسمعه، حدثني أبو معاوية الضرير، محمد بن حازم، حدثنا إسماعيل، روى عن أبي صالح، هكذا أسماه، وقد سماه السلامي، كما ذكرناه في الترجمة، والذي ترجمناه أصح، لأني رأيته في مواضع أخر موافقاً له، والله أعلم.

قال الأزهري: كان طاهر بن عبد الله، بن طاهر، استقدمه من بغداد إلى خراسان، وقام بنيسابور وأملى بها المعاني، والنوادر، ولقي أبا عمرو الشيباني، وابن الأعرابي، وكان يلقي الأعراب الفصحاء، الذين استوردهم ابن طاهر نيسابور، فيأخذ عنهم، وكان شمر، وأبو الهيثم يوثقانه.

ونقلت من كتاب نتف الطرف، تأليف أبي علي الحسين، بن أحمد السلامي، صاحب كتاب ولاة خراسان، وقد ذكرناه في بابه، قال: خرج أبو سعيد الضرير، عن أبي عبيد، من غريب الحديث جملة مما غلط فيه، وأورد في تفسيره فوائد كثيرة، ثم عرض ذلك على عبد الله بن عبد الغفار، وكان أحد الأدباء، فكأنه لم يرضه، فقال لأبي سعيد: ناولني يدك، فناوله يده، فوضع الشيخ في كفه متاعه، وقال: اكتحل بهذا يا أبا سعيد، حتى تبصر، فكأنك لا تبصر، ثم قال: سمعت أبا جعفر، محمد بن سليمان الشرمقاني قال: سمعت أبا سعيد الضرير يقول، كان يقال: إذا أردت أن تعرف خطأ أستاذك فجالس غيره، وله تصانيف: منها كتاب الرد على أبي عبيد في غريب الحديث، وكتاب الأبيات.

قال السلامي: حدثني أبو العباس، محمد بن أحمد الغضاري، قال: حدثني عمي محمد بن الفضل، وكان قد بلغ مائة وعشرين سنة، قال: لما قدم عبد الله بن طاهر نيسابور، وأقدم معه جماعة من فرسان طرسوس وملطية، وجماعة من أدباء الأعراب، منهم عرام، وأبو العميثل، وأبو الميسجور، وأبو العجنس، وعوسجة، وأبو الغدافر وغيرهم، فتفرس أولاد قواده وغيرهم بأولئك الفرسان، وتأدبوا بأولئك الأعراب، وبهم تخرج أبو سعيد الضرير، واسمه أحمد بن خالد، وكان وافى نيسابور مع عبد الله ابن طاهر، فصار بهم إماماً في الأدب، وقد كان صحب بالعراق أبا عبد الله، محمد بن زياد الأعرابي، وأخذ عنه، فبلغ ابن الأعرابي، أن أبا سعيد يروى عنه أشياء كثيرة مما يفتي فيه، فقال لبعض من لقيه من الخراسانية: بلغني أن أبا سعيد يروي عني

أشياء كثيرة، فلا تقبلوا منه ذلك، غير ما يرويه من أشعار العجاج ورؤبة، فإنه عرض ديوانهما علي وصححه.

وحدث عن الغضاري، عن عمه قال: اختصم بعض الأعراب اللذين كانوا مع عبد الله بن طاهر، في علاقة بينهم إلى صاحب الشرطة بنيسابور، فسألهم بينة وشهوداً يعرفون، فأعجزهم ذلك: فقال أبو العيسجور:

إن يبغ منا شهوداً يشهدون لنا ... فلا شهود لنا غير الأعاريب

وكيف يبغي بنيسابور معرفة ... من داره بين أرض الحزن واللوب

قرأت بخط عبد السلام الصري، في كتاب محمد بن أبي الأزهر. قال: حدثني وهب بن إبراهيم، خال عبيد الله، بن سليمان ابن وهب، قال: كنا يوماً بنيسابور في مجلس أبي سعيد العفوف، وكان أبو سعيد عالماً باللغة جداً، إذ هجم علينا مجنون من أهل قم، فسقط على جماعة من أهل المجلس، فاضطرب الناس لسقطته، ووثب أبو سعيد، لا يشك أن آفة لحقتنا من سقوط جدار، أو شرود بهيمة، فلما رآه المجنون على تلك الحال، قال: الحمد لله رب العالمين، على رسلك، يا شيخ لا ترع، آذاني هؤلاء الصبيان، وأخرجوني عن طبعي، إلى ما لا أستحسنه من غيري، فقال أبو سعيد: امتنعوا عنه عافاكم الله، فوثبنا وشردنا من كان ورجعنا، فسكت ساعة لا يتكلم، إلى أن عدنا إلى ما كنا فيه من المذاكرة، وابتدأ بغضنا بقراءة قصيدة من شعر نهشل بن جرير التميمي، حتى بلغ قوله:

غلامان خاضا الموت من كل جانب ... فآبا ولم يعقد وراءهما يد

متى يلقيا قرناً فلا بد أنه ... سيلقاه مكروه من الموت أسود

فما استتم هذا البيت حتى قال: قف يا أيها القارئ، تتجاوز المعنى ولا تسأل عنه، ما معنى قوله: ولم وراءهما يد؟ فأمسك من حضر عن القول، فقال: قل يا شيخ، فإنك المنظور إليه، والمقتدى به، فقال أبو سعيد: يقول: إنهما رميا بأنفسهما في الحرب أقصى مراميها، ورجعا موفورين لم يؤسرا، فتعقد أيديهما كتفاً، فقال: يا شيخ، أترضى لنفسك بهذا الجوب؟ فأنكرنا ذلك على المجنون، فنظر بعضنا إلى بعض، فقال أبو سعيد: هذا الذي عندنا، فما عندك؟ فقال: المعنى يا شيخ، آبا، ولم تعقد يد بمثل فعلهما بعدهما، لأنهما فعلا ما لم يفعله أحد، كما قال الشاعر:

قرم إذا عدت تميم معاً ... ساداتها عدوه بالخنصر

ألبسه الله ثياب الندى ... فلم تطل عنه ولم تقصر

أي خلقت له، وقريب من الأول قوله:

قومي بنو مذحج من خير الأمم ... لا يصعدون قدماً على قدم

يعني أنهم يتقدمون الناس، ولا يطئون على عقب أحد، وهذان فعلا ما لم يعطه أحد، فلقد رأيت أبا سعيد وقد احمر وجهه، واستحيا من أصحابه، ثم غطى المجنون رأسه، وخرج وهو يقول: يتصدرون ويغرون الناس من أنفسهم، فقال أبو سعيد بعد خروجه: اطلبوه، فإني أظنه إبليس، فطلبناه فلم نظفر به.

قال الشافعي: حدثني أبو جعفر الشرمقاني قال: كان أبو سعيد الضرير مثرياً ممسكاً، لا يكسر رأس رغيف له، إنما يأكل عند من يختلف إليهم، لكنه كان أديب النفس، عاقلاً.

حضر يوماً مجلس عبد الله بن طاهر، فقدم إليه طبق عليه قصب السكر، وقد قشر وقطع كاللقم، فأمره عبد الله ابن طاهر أن يتناول منه، فقال أبو سعيد: إن لهذا لفاظة ترتجع من الأفواه، وأنا أكره ذلك في مجلس الأمير، – أيده الله – فقال عبد الله: تناول، فليس بصاحبك من احتشمك واحتشمته، أما إنه لو قسم عقلك على مائة رجل، لصار كل رجل منهم عاقلاً، وقيل: إن هذا الكلام جرى بين الضرير، وبين أبي دلف في مجلسه. وحدث قال: حدثني الغضاري قال: كان أبو سعيد الضرير، يختار المؤدبين لأولاد قواد عبد الله بن طاهر، ويبين مقدار أرزاقهم، ويطوف عليهم، ويتعهد من بين أيديهم من أولئك الصبيان، فاستقبله يوماً في ميدان الحسين بعض أولئك المؤدبين، فقال له: يا فلان، من أين وجهك؟ قال: من شاذياخ. قال زد فيه ألفاً ولاماً، فقال من شاذيا خال، فقال أبو سعيد: اللهم غفراً، زدهما في أول الحرب، ويلك، فقال: ألف لام شاذياخ، فقال صم صداك، كم رزقك؟ قال سبعين درهماً، فقال: يصرف ويبدل به غيره، وهو صاغر صد.

وحدث الحاكم في كتاب نيسابور: سمعت أبا زكريا يحيى بن محمد العنبري يقول: سمعت أبي يقول: لما قلد المأمون عبد الله بن طاهر ولاية خراسان، سنة سبع عشرة ومائتين، وناوله العهد بيده قال: حاجة يا أمير المؤمنين، قال: مقضية، قال: يسعفني أمير المؤمنين في استصحاب ثلاثة من العلماء، قال: من هم؟ قال: الحسين ابن الفضل البجلي، وأبو سعيد الضرير، وأبو إسحاق القرشي. فأجابه إلى ذلك، فقال عبد الله: وطبيب يا أمير المؤمنين، فليس في خراسان طبيب حاذق. قال: من؟ قال: أيوب الرهاوي. فقال يا أبا العباس: لقد أسعفناك بما التمسته. قود أخليت العراق من الأفراد، قال: فقدم الحسن بن الفضل بنيسابور، وابتاع بها داراً مشهورة بباب غزرة، فبقي يعلم الناس العلم، ويفتي، إلى أن مات في شعبان، سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وهو ابن مائة سنة وأربع سنين، ودفن في مقبرة الحسين ابن معاذ، قال: ولو كان في بني إسرائيل لكان من عجائبهم، يعني الحسين بن الفضل. ذكر ذلك كله في ترجمة الحسين بن الفضل.

قرأت بخط الأزهري من كتاب نظم الجمان للمنذري، سمعت أبا عبد الله المعقلي المزني يقول: سمعت أبا سعيد الضرير يقول: كنت أعرض على ابن الأعرابي أصول الشعر، أصلاً أصلاً، وعرض عليه – وأنا أحضر – شعر الكميت في المجالس التي كان يحضرها، قال: فحفظته بعضره، وحفظت النكت التي أفاد فيها، فقال لي ابن الأعرابي يوماً: لم تعرض عليّ فيما عرضت شعر الكميت، فقلت له: عرضه عليك فلان فحفظته بعرضه، وحفظت ما أفدت فيه من الفوائد والنكت والمعاني، وجعلت أنشده، وأعرفه من تلك النكت، فعجب.

وقال أبو سعيد الضرير: سألني أبو دلف عن بيت امرئ القيس:

كبكر المقاناة البياض بصفرة

قال: أخبرني عن البكر، هي المقاناة أم غيرها؟ قال: قلت هي هي: قال: أفيضاف الشيء إلى صفته؟ قلت: نعم، قال: وأين؟ قلت: قد قال الله تعالى: " ولدار الآخرة " فأضاف الدار إلى الآخرة، وهي هي بعينها، والدليل على ذلك، أنه قال في سورة أخرى: " وللدار الآخرة " قال: أريد أشفى من هذا؟ فأنشدته لجرير:

يا ضب إن هوى القيون أضلكم ... كضلال شيعة أعور الدجال

أحمد بن داود بن وتند

أبو حنيفة الدينوري، أخذ عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت. وكان نحوياً لغوياً، مهندساً منجماً حاسباً، راوية ثقة فيما يرويه ويحكيه. مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وثمانين ومائتين، وجدت ذلك على ظهر كتاب النبات من تصنيفه، ووجدت في كتاب عتيق: مات أحمد بن داود أبو حنيفة الدينوري. قبل سنة تسعين ومائتين، ثم وجدت على ظهر النسخة التي بخط ابن المسبح، بكتاب النبات، من تصنيف أبي حنيفة، توفي أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، ليلة الاثنين، لأربع بقين من جمادى الأولى، سنة ثمانين ومائتين، ووجدت في كتاب الوفيات، لأبي عبد الله محمد بن سفيان بن هارون، بن بنت جعفر، بن محمد الفريابي البغدادي، مات أبو حنيفة أحمد بن داود، بن وتند، صاحب كتاب النبات، في سنة إحدى وثمانين ومائتين.

قال أبو حيان في كتاب تقريظ الجاحظ: ومن خطه الذي لا أرتاب فيه نقلت، قال: قلت لأبي محمد الأندلسي، يعني عبد الله بن حمود الزبيدي، وكان من عدد أصحاب السيرافي، وله في هذا الكتاب ذكر، قد اختلفت أصحابنا في مجلس أبي سعيد السيرافي، في بلاغة الجاحظ، وأبي حنيفة صاحب النبات، ووقع الرضا بحكمك، فما قولك؟ فقال أنا أحقر نفسي عن الحكم لهما وعليهما، فقال: لابد من قول. قال: أبو حنيفة أكثر ندارة، وأبو عثمان أكثر حلاوة، ومعاني أبي عثمان لائطة بالنفس، سهلة في السمع، ولفظ أبي حنيفة أعذب وأغرب، وأدخل في أساليب العرب، قال أبو حيان: والذي أقول وأعتقد وآخذ به، وأسنهم عليه، أني لم أجد في جميع من تقدم وتأخر ثلاثة: لو اجتمع الثقلان على تقريظهم، ومدحهم، ونشر فضائلهم، في أخلاقهم وعلمهم، ومصنفاتهم ورسائلهم، مدى الدنيا إلى أن يأذن الله بزوالها، لما بلغوا آخر ما يستحقه كل واحد منهم، أحدهم: هذا الشيخ، الذي أنشأنا له هذه الرسالة، وبسببه جشمنا هذه الكلفة، أعني أبا عثمان، عمرو بن بحر. والثاني: أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، فإنه من نوادر الرجال، جمع بين حكمة الفلاسفة، وبيان العرب، له في كل فن ساق وقدم، ورواء وحكم، وهذا كلامه في الأنواء، يدل على حظ وافر من علم النجوم، وأسرار الفلك، فأما كتابه في النبات فكلامه فيه، في عروض كلام آبدي بدوي، وعلى طباع أفصح عربي، ولقد قيل لي: إن له في القرآن كتاباً، يبلغ ثلاثة عشر مجلداً، ما رأيته، وإنه ما سبق إلى ذلك النمط، هذا مع ورعه وزهده، وجلالة قدره، وقد وقف الموفق عليه، وسأله وتحفى به. والثالث: أبو زيد أحمد بن سهل البلخي، فإنه لم يتقدم له شبيه في الأعصر الأول، ولا يظن أنه يوجد له نظير في مستأنف الدهر، ومن تصفح كلامه في كتاب أقسام العلوم، وفي كتاب أخلاق الأمم، وفي كتاب نظم القرآن، وفي كتاب اختيار السير، وفي رسائله إلى إخوانه، وجوابه عما يسأل عنه، ويبده به، علم أنه بحر البحور، وأنه عالم العلماء، وما رئي في الناس، من جمع بين الحكمة والشريعة سواه، وإن القول فيه لكثير، ولو تناصرت إلينا أخبارهما، لكنا نحب أن نفرد لكل واحد منهما تقريظاً مقصوراً عليه، وكتاباً منسوباً إليه، كما فعلت بأبي عثمان.

قرأت في كتاب ابن فرجة: المسمى بالفتح، على أبي الفتح، في تفسير قول المتنبي:

فدع عنك تشبيهي بما وكأنه ... فما أحد فوقي وما أحد مثلي

وقال فيه: ما لم يرضه ابن فرجة، ونسبه إلى أنه سأل عنه أبا الطيب، فأجاب بهذا الجواب، فأورد ابن فرجة هذه الحكاية: زعموا أن أبا العباس المبرد ورد الدينور زائراً لعيسى ابن ماهان، فأول ما دخل عليه وقضى سلامه، قال له عيسى: أيها الشيخ، ما الشاة المثمة، التي نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن أكل لحمها؟ فقال هي الشاة القليلة اللبن، مثل اللجبة. فقال: هل من شاهد؟ قال: نعم قول الراجز:

لم يبق من آل الحميد نسمه ... إلا عنيز لجبة مجثمهْ

فإذا بالحاجب يستأذن لأبي حنيفة الدينوري، فلما دخل، قال له: أيها الشيخ، ما الشاة المجثمة، التي نهينا عن أكل لحمها؟ فقال: هي التي جثمت على ركبها وذبحت من خلف قفاها، فقال: كيف تقول؟ وهذا شيخ العراق، يعني أبا العباس المبرد يقول: هي مثل اللجبة، وهي القليلة اللبن، وأنشده البيتين، فقال أبو حنيفة: أيمان البيعة تلزم أبا حنيفة، إن كان هذا التفسير، سمعه هذا الشيخ أو قرأه، وإن كان البيتان إلا لساعتهما هذه، فقال: صدق الشيخ أبو حنيفة، فإنني أنفت أن أرد عليك من العراق، وذكري ما قد شاع، فأول ما تسألني عنه لا أعرفه، فاستحسن منه هذا الإقرار، وترك البهت قال ابن فرجة: وأنا أحلف بالله العلي، إن كان أبو الطيب قط سئل عن هذا البيت، فأجاب هذا الجواب، الذي حكاه ابن جني، وإن كان إلا متزيداً مبطلاً فيما يدعيه، – عفا الله عنه، وغفر له – فالجهل والإقرار به أحسن من هذا، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: وله من الكتب المصنفة: كتاب الباه، كتاب ما يلحن فيه العامة، كتاب الشعر والشعراء، كتاب الفصاحة، كتاب البحث في حساب الهند، كتاب الجبر والمقابلة، كتاب البلدان كبير، كتاب النبات، لم يصنف في معناه مثله، كتاب الرد على لغزة الأصفهاني، كتاب الجمع والتفريق، كتاب الأخبار الطوال، كتاب الوصايا، كتاب نوادر الجبر، كتاب إصلاح المنطق، كتاب القبلة والزوال، كتاب الكسوف، قال أبو حيان: وله كتاب في تفسير القرآن.

أحمد بن رشيق الأندلسي

الكاتب أبو العباس، ذكره الحميدي وقال: كان أبوه من موالي بني شهيد، ونشأ هو بمرسية، وانتقل إلى قرطبة، وطلب الأدب وبرز فيه، وبسق في صناعة الرسائل، مع حسن الخط المتفق على نهايته، وتقدم فيهما وشارك في سائر العلوم، ومال إلى الفقه والحديث، وبلغ من رياسة الدنيا أبلغ منزلة، وقدمه الأمير الموفق أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري على كل من في دولته، لأسباب أكدت له ذلك عنده، من المودة والثقة، والنصيحة والصحبة في النشأة، وكان ينظر في أمور الجهة التي كان فيها نظر العدل والسياسة، ويشتغل بالفقه والحديث، ويجمع العلماء والصالحين ويؤثرهم، ويصلح الأمور جهده، وما رأينا من أهل الرياسة من يجري مجراه، من هيبة مفرطة، وتواضع وحلم عرف به، مع القدرة، مات بعد الأربعين وأربعمائة، عن سن عالية، وله كتاب رسائل مجموعة متداولة، منها رسالة إلى أبي عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج نجح الفاسي، وأبي بكر بن عبد الرحمن فقيهي القيروان في الإصلاح بينهما، وكتاب على تراجم كتاب الصحيح

للبخاري، ومعاني ما أشكل منه، وقد رأيته غير مرة إذا غضب في مجلس الحكم أطرق ثم قام، ولم يتكلم بين اثنين، فظننته كان يذهب إلى حديث أبي بكر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يحكم حاكم بين اثنين وهو غضبان " وظننت أن قيامه عند الغضب شيء ما سبق إليه، حتى رأيت بعض المصنفين القدماء قد حكى عن يزيد بن أبي حبيب أنه قال: إنما غضبي في نعلي، إذا سمعت ما أكره أخذتهما ومضيت.

أ؛مد بن رضوان أبو الحسن

النحوي، أظنه ممن أخذ النحو عن أصحاب أبي علي الفارسي.

أحمد بن زهير أبو خيثمة

هو أبو بكر، أحمد بن أبي خيثمة، زهير بن حرب، ابن شداد، النسائي الأصل، سمع أبا نعيم الفضل ابن دكين، ويحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، وأخذ علم النسب عن مصعب بن عبد الله الزبيري، وأيام الناس عن أبي الحسن المدائني، والأدب عن محمد بن سلام الجمحي، ومات في شوال سنة تسع وسبعين ومائتين، في خلافة المعتمد على الله، عن أربع وتسعين سنة، ذكر ذلك كله الخطيب، قال: وله كتاب التاريخ الذي أحسن تصنيفه، وكثر فائدته، قال: ولا أعرف أغزر فوائد من كتاب التاريخ الذي ألفه أحمد بن خيثمة، وكان لا يرويه إلا على الوجه، فسمعه منه الشيوخ الأكابر، كأبي القاسم البغوي ونحوه، قال: واستعار أبو العباس ابن محمد بن إسحاق السراج من أبي بكر بن أبي خيثمة شيئاَ من التاريخ، فقال: يا أبا العباس علي يمين أن لا أخذت بهذا الكتاب إلا على الوجه، فقال أبو العباس وعلي عزيمة أن لا أكتب إلا ما اشتهيه فرده عليه، ولم يحدث في تاريخه عنه بحرف، وأنشد الخطيب لابن أبي خيثمة:

قالوا اهتجارك من تهواه تسلاه ... فقد هجرت فما لي لست أسلاه

من كان لم ير في هذا الهوى أثراً ... فليلقني ليرى آثار بلواه
من يلقني يلق مرهوناً بصبوته ... متيماً لا يفك الدهر قيداه
متيم شفه بالحب مالكه ... ولو يشاء الذي أدواه داواه

قال الخطيب: وكان ابن أبي خيثمة كبير الكتاب، أكثر الناس عنه السماع.

في كتاب الفرغاني: أنه مات سنة سبع وتسعين، قال: وفي آخر شوال مات ابن أبي خيثمة صاحب التاريخ من سكتة، وكانت له معرفة بأخبار الناس وأيامهم، وله مذهب، كان الناس ينسبونه إلى القول بالقدر، وكان مختصاً بعلي بن عيسى.

أحمد بن سعد أبو الحسين الكاتب

ذكره حمزة في أهل أصبهان، فقال ندب في أيام القاهر بالله إلى عمل الخراج أبو الحسين أحمد بن سعد، فورد أصبهان غرة جمادى الأولى، سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وعزل عنها أبو علي بن رستم في جمادى الآخرة من هذه السنة، ثم قدم أبو الحسين بن سعد من فارس متقلداً لتدبير البلد، وعمل الخراج، من قبل الأمير علي ابن بويه، يعني عماد الدولة، في جمادى الأولى سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ثم صرف في سنة أربع وعشرين. قال: ثم رد جباية الخراج في أربع وعشرين إلى أبي القاسم سعد بن أحمد بن سعد، قال ثم إن أبا الحسين عزل في شوال من هذه السنة، لم يذكره بعد ذلك، وعد فضلاء أصبهان من أصحاب الرسائل، ثم قال: وأما أبو مسلم محمد، وأبو الحسين أحمد بن سعد، فقد استغنينا بشهرة هذين وبعد صوتهما في كور المشرق والمغرب، وعند كتاب الحضرة، وإجماع أهل الزمان على فضلهما عن وصفهما، وعامة الرسائل لهما، ثم ذكره في المصنفين فقال: له من الكتب، كتاب الاختيار من الرسائل، لم يسبق إلى مثله، وكتاب آخر في الرسائل، سماه فقر البلغاء، وكتاب الحلي والثياب، وكتاب المنطق، وكتاب الهجاء، قرأت في كتاب عتيق.

حدثني شيخ كبير قال: تنبأ في مدينة أصبهان رجل في زمن أبي الحسين بن سعد، فأتي به، وأحضر العلماء والعظماء والكبراء كلهم فقيل له من أنت؟ فقال: أنا نبي مرسل، فقيل له: ويلك: إن لكل نبي آية، فما آيتك وحجتك؟ فقال: ما معي من الحجج لم يكن لأحد قبلي من الأنبياء والرسل، فقيل له: أظهرها: فقال: من كان منكم له زوجة حسناء، أو بنت جميلة، أو أخت صبيحة، فليحضرها إلي أحبلها بابن في ساعة واحدة، فقال أبو الحسين بن سعد: أما أنا فأشهد أنك رسول، وأعفني من ذلك، فقال له رجل: نساء ما عندنا: ولكن عندي عنز حسناء، فأحبلها لي: فقام يمضي، فقيل له إلى أين؟ قال أمضي إلى جبرائيل وأعرفه أن هؤلاء يريدون تيساً، ولا حاجة بهم إلى نبي، فضحكوا منه وأطلقوه وأنشد للإصبهاني أبي الحسين هذا أشعاراً منها في جواب معمى:

رماني أخ أصفي له الود جاهداً ... ومن يتطوع بالمودة يحمد
بداهية تعيي على كل عالم ... بوجه المعمى بالصواب مؤيد
وحمل سرب الوحش والطير سره ... وأرسلها تكرا ببيداء قردد
فانهضت قلبي وهو في نفس جارح ... ومن يغد يوماً بالجوارح يصطد
فحاش لي الصنفين من بين أرنب ... يقود الوحوش طائعات وهدهد
يسوق لنا أسراب طير تتابعت ... على نسق مثل الجمان المنضد
ومزقتها بالزجر حتى تحولت ... وعادت عباديداً بشمل مبدد
وراوضتها بالفكر حتى تذللت ... فمن مسمح طوعاً ومن متجلد
فأخرجت السر الخفي وأنشدت ... قريض رهين بالصبابة ذي دد
وإني وإياها لكالخمر والفتى ... متى يستطع منها الزيادة يزدد

وله في الفضل محمد بن الحسين بن العميد:

البين أفردني بالهم والكمد ... والبين جدد حر الثكل في كبدي

فارقت من صار لي من واحدي عوضاً ... يا رب لا تجعلنها فرقة الأبد
أمسك حشاشة نفسي أن يطيف بها ... كيد من الدهر بعد الفقد للولد
لا في الحياة فإني غير مغتبط ... بالعيش بعد انقصاف الظهر والعضد
بل ابق لي الخلف المأمول حيطته ... على عيال وأطفال ذوي عدد
من أن يروا ضيعة في عرصة البلد ... وأن يروا نهزة في كف مضطهد

ربي رجائي وحسب المرء معتمداً ... نجل العميد وصنع الواحد الصمد

وله إلى أبي الحسين بن لرة، في مملوك له أسود كان تبناه:

حذر فديتك بشرى من تبرزه ... إني أخاف عليه لفعة العين
إذا بدت لك منه طرة سبلت ... على الجبين وتحريف كنونين
حسبت بدراً بدا تما فأكلفه ... غمامة نشرت في الأرض ثوبين
كأنما خط في أصداغه قلم ... بالحبر خطين جاءا نحو قوسين
لكن ذلك منه غير دافعه ... عن القبول وعن بعد من الشين

وهذه قطعة شعر لأبي الحسين بن سعد على أربع قواف كلما أفردت قافية كان شعراً برأسه إلى آخر الأبيات.

وبلدة قطعتها بضامر ... خفيدد عيرانة ركوب
وليلة سهرتها لزائر ... ومسعد مواصل حبيب
وقينة وصلتها بطاهر ... مسود ترب العلا نجيب
إذا غوت أرشدتها بخاطر ... مسدد وهاجس مصيب
وقهوة باكرتها لفاجر ... ذي عتد، في دينه وروب
سورتها كسرتها بماطر ... مبرد من جمة القليب
وحرب خصم بختها بكائر ... ذي عدد في قومه مهيب
معوداً بل سفتها بباتر ... مهند يفري الطلى رسوب
وكم حظوظ نلتها من قادر ... ممجد بصنعة القريب
كافية إذ شكرتها في سامر ... ومشهد للملك الرقيب

أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي

أبو الحسن، نزل ببغداد، وحدث عن الزبير بن بكار بالموفقيات وغيرها من مصنفاته، وكان مؤدب ولد المعتز، واختص بعبد الله بن المعتز، روى عنه إسماعيل الصفار وغيره، وكان صدوقاً، مات سنة ست وثلاثمائة، ذكره المرزباني في كتابه، فقال: أبو بكر محمد ابن القاسم الأنباري: حدثني أحمد بن سعيد، قال: كنت أؤدب أولاد المعتز، فتحمل أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري على قبيحة أم المعتز بقوم سألوها أن تأذن

له في أن يدخل إلى ابن المعتز وقتاً من النهار، فأجابت أو كادت تجيب، فلما اتصل الخبر بي جلست في منزلي غضبان مفكراً لما بلغني عنها، فكتب إلي أبو العباس عبد الله بن المعتز، وله ثلاث عشرة سنة.

أصبحت يا ابن سعيد حزت مكرمة ... عنها يقصر من يحفى وينتعل
سربلتني حكمة قد هذبت شيمي ... وأججت غرب ذهني فهو مشتعل
أكون إن شئت قسا في خطابته ... أو حارثاً وهو يوم الفخر مرتجل
وإن أشأ فكريد في فرائضه ... أو مثل نعمان ما ضاقت بي الحيل
أو الخليل عروضياً أخا فطن ... أو الكسائي نحوياً له علل
تغلي بداهة ذهني في مركبها ... كمثل ما عرفت آبائي الأول
وفي فمي صارم ما سله أحد ... من غمده فدرى ما العيش والجذل
عقباك شكر طويل لا نفاد له ... تبقى معالمه ما أطت الإبل

قس: هو ابن ساعدة الإيادي، والحارث بن حلزة، كان ارتجل قصيدة آذنتنا ببينها، وزيد بن ثابت الأنصاري، والنعمان: أبو حنيفة، صاحب الرأي والفقه، وحدث أيضاً قال: كتب ابن المعتز إلى أحمد بن سعيد الدمشقي واباً عن كتاب استزاده فيه: قيد نعمتي عندك بمثل ما كنت استدعيتها به، وذب عنها أسباب الظن، واستدم ما تحب مني، بما أحب منك.

وكتب ابن المعتز إلى الدمشقي، جواباً عن اعتذار كان من الدمشقي، في شيء بلغ ابن المعتز عنه: والله لا قابل إحسانك مني كفر، ولا تبع إحساني إليك من فلك مني يد لا أقبضها عن نفعك، وأخرى لا أبسطها إلى ظلمك، ما يسخطني فإني أصون وجهك عن ذل الاعتذار.

أحمد بن سعيد بن شاهين

البصري، أبو العباس، هو أحمد بن سعيد بن شاهين ابن علي بن ربيعة: ذكره محمد بن إسحاق النديم، فقال هو من أهل الأدب، وله من الكتب: كتاب ما قالته العرب، وكثر في أفواه العامة.

أحمد بن سعيد بن حزم

الصدفي الأندلسي المنتجيلي، أبو عمر، ذكره الحميدي فقال: سمع بالأندلس جماعة منهم محمد بن أحمد الزراد، وذكره غيره، ورحل فسمع إسحاق بن إبراهيم بن النعمان، وأحمد بن عيسى المصري، المعروف بابن أبي عجينة، وغيرهما وألف كتاب تاريخ الرجال، كبيراً، جمع فيه جميع ما أمكنه من أقوال الناس في أهل العدالة والتجريح سمعه منه خلف بن أحمد، المعروف بابن أبي جعفر، وأحمد بن محمد الأشبيلي، المعروف بابن الحزاز، قال ابن عبد البر: ويقال إنه لم يكمل سماعه إلا لهما، ومات أبو عمر الصدفي سنة خمسين وثلاثمائة، كل هذا من كتاب الحميدي، وذكر بعض الناس أنه من ولد جعفر بن الحارث، من أهل قرطبة، ويكنى أبا عمرو، عني بالآثار والسنن، وجمع الحديث والتاريخ، وروى عنه جماعة بالأندلس، منهم أحمد بن ثوابة،

وأسلم بن عبد العزيز، وطبقتهم، ورحل إلى المشرق، سنة إحدى عشرة وثلاثمائة مع أحمد ابن عبادة ارعيني، فسمع بمكة من أبي جعفر العقبلي، وأبي بكر بن المنذر صاحب الإشراق، والديلي أبي جعفر، محمد بن إبراهيم، وأبي سعيد بن الأعرابي وغيرهم، وسمع بمصر على جماعة، منهم أبو عبد الله محمد بن الربيع بن سليمان، وبالقيروان من أحمد بن نصر، ومحمد بن محمد ابن اللباد، ثم انصرف إلى الأندلس، فصنف تاريخاً في المحدثين، بلغ فيه الغاية قرئ عليه، ولم يزل يحدث إلى أن مات، ليلة الخميس لتسع بقين من جمادى الآخرة سنة خمسين وثلاثمائة، ومولده يوم الجمعة لخمس خلون من شهر ربيع الآخر سنة أربع وثمانين ومائتين.

أحمد بن سليمان الطوسي أبو عبد الله

هو أبو عبد الله، أحمد بن سليمان بن داود بن محمد ابن العباس الطوسي، واسم أبي العباس الفضل بن سليمان بن المهاجر، بن سنان بن حكيم، وكان فاضلاً مات فيما ذكره الخطيب في صفر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة عن ثلاث وثمانين سنة. قال ابن شاذان: قال الطوسي ولدت سنة أربعين ومائتين، روى عنه أبو حفص ابن شاهين، وأبو الفرج الإصبهاني صاحب كتاب الأغاني وأبو عبيد الله المرزباني وكان صدوقاً.
حدث ابن طاهر المباشر أبو عبد الله المعروف بقنينة سمعت الخضر بن داود بمكة يقول: قدم علينا سليمان ابن داود الطوسي وهو على البريد، وكان الزبير قد فرغ من كتاب النسب، فأهدى إليه الطوسي هدايا كثيرة، فأهدى إليه الزبير كتاب النسب، فقال له سليمان: أحب أن تقرأه علي، فقرأه عليه، وسمع ابنه أحمد ابن سليمان مع أبيه جميع الكتاب، فروى عنه أبو بكر ابن شاذان، وأبو حفص بن شاهين، وأبو عبد الله المرزباني والمخلص.

أحمد بن سليمان بن وهب

ابن سعيد الكاتب، أبو الفضل، وأبوه أبو أيوب سليمان بن وهب الوزير، وعمه الحسن بن وهب معروفان مشهوران، مذكوران في هذا الكتاب، ونسب هذا البيت مستقصى في ترجمة الحسن بن وهب، مات فيما ذكره أبو عبد الله في كتاب معجم الشعراء في سنة خمس وثمانين ومائتين، وكان أبو الفضل هذا بارعاً فاضلاً ناظماً ناثراً، قد تقلد الأعمال، ونظر للسلطان في جباية الأموال، وأخوه عبيد الله بن سليمان، والقاسم بن عبيد الله وزير المعتضد والمكتفي، ولأحمد من التصنيفات: كتاب ديوان شعره، وكتاب ديوان رسائله.
حدث لاصولي قال: وجدت بخط بعض الكتاب أن أحمد ابن سليمان سأل صديقاً له حاجة فلم يقضها له فقال:

قل لي نعم مرة إني أسر بها ... وإن عداني ما أرجوه من نعم
فقد تعودت لا حتى كأنك لا ... تعد قولك لا إلا من الكرم

قال: وحدثني الطالقاني: كنا عند أحمد بن سليمان على شرب، ومعنا رجل من الهاشميين ورجل من الدهاقين،

فعربد الهاشمي علي الدهقان، فأنشد أحمد بن سليمان:

إذا بدأ الصديق يوم سوء ... شفكن منه لآخر ذا ارتقاب

وأمر بإخراج الهاشمي، فقال له: أتخرجني وتدع نبطياً؟ فقال، نعم: رأس كلب أحب إلي من ذنب أسد، وحدث عن الحسين بن إسحاق قال: كنت عند أحمد بن سليمان بن وهب. ونحن على شراب، فوافته رقعة فيها أبيات مدح، فكتب الجواب فنسخته، ولم أنسخ الرقعة الواردة عليه، وكان جوابه: وصلت رقعتك – أعزك الله – فكانت كوصل بعد هجر، وغنىً بعد فقر، وظفر بعد صبر، ألفاظها در مشوف ومعانيها جوهر مرصوف، وقد اصطحبا أحسن صحبة، وتألفا أقرب ألفة، لا تمجها الآذان، ولا تتعب بها الأذهان، وقرأت في آخرها من الشعر ما لم أملك نفسي أن كتبت لجلالته عندي، وحسن موقعه من نفسي، بما لا أقوم به مع تحيف الصهباء لبي، وشربها من عقلي، مقدار شربي، ولكني واثق منك بطي سيئتي ونشر حسنتي:

نفسي فداؤك يا أبا العباس ... وافى كتابك بعد طول اليا

وافى وكنت بوحشتي متفرداً ... فأصارني للجمع والإيناس

وقرأت شعرك فاستطلت لحسنه ... فخراً على الخلصاء والجلاس

عاينت منه عيون وشي سديت ... ببدائع في جانب القرطاس

فاقت دقائقه وجل لحسنه ... عن أن يحد بفطنة وقياس

شعر كجري الماء يخرج لفظه ... من حسن طبعك مخرج الأنفاس

لو كان شعر الناس جسماً لم يكن ... لكماله إلا مكان الراس

وكان لأحمد خادم يقال له عرام، ويكنى أبا الحسام، وكان يهواه جداً، فخرج مرة إلى الكوفة بسبب رزقه مع إسحق بن عمران، فكتب إلى إسحق:

دموع العين مذروفهْ ... ونفس الصب مشغوفهْ

من الشوق إلى البدر ال ... ذي يطلع بالكوفهْ

فلما قرأ كتابه وفاه رزقه، وأنفذه إليه سريعاً، ومن كلامه: النعم أيدك الله ثلاث، مقيمة، ومتوقعة، ويغر محتسبة، فحرس الله لك مقيمها، وبلغك متوقعها، وآتاك ما لم تحتسب منها.

قال: ودخل أحمد بن سليمان إلى صديق له، ولم يره كما ظن من السرور، فدعا بدواة وكتب:

قد أتيناك زائرين خفافاً ... وعلمنا بأن عندك فضله

من شراب كأنه دمع مرها ... ء أضأت لها من الهجر شعلهْ

ولدينا من الحديث هنات ... معجبات نعدها لك جمله

إن يكن مثل ما تريد وإلا ... فاحتملنا فإنما هي أكله

ومن مشهور شعره، الذي لا تخلو مجاميع أهل الفضل منه قوله يصف السرو من أبيات، وربما نسبوه إلى غيره،

حفت بسرو كالقيان تلحفت ... خضر الحرير على قوام معتدل

فكأنها والريح حين تميلها ... تبغي التعانق ثم يمنعها الخجل

وكتب في صدر كتاب إلى ابن أخيه، الحسن بن عبيد الله بن سليمان:

يا ابني ويا ابن أخي الأدنى ويا ابن أبي ... والمرتدي برداء العقل والأدب

ومن يزيد جناحي من قواك به ... ومن إذا عد مني زان لي حسبي

ومن منثوره كتب إلى ابن أبي الإصبع: لو أطعت الشوق إليك، والنزاع نحوك، لكثر قصدي لك، وغشياني إياك، مع العلة القاطعة عن الحركة، الحائلة بيني وبين الركوب، فالعلة إن تخلفت مخلفتي، وإيثار التخفيف يؤخر مكاتبتي، فأما مودة القلب، وخلوص النية، ونقاء الضمير، والاعتداد بما يجدده الله لك من نعمة، ويرفعك إليه من درجة، ويبلغك إياه من رتبة، فعلى ما يكون عليه الأخ الشقيق، وذو المودة الشفيق، وأرجو أن يكون شاهدي على ذلك من قلبك أعدل الشهود، ووافدي بإعلامك إياه أصدق الوفود، وبحسب ذلك انبساطي إليك في الحاجة، تعرض قبلك، ويعنى بالنجاح منها عند، وعرضت حاجة ليس تمنعني قلتها من كثير الشكر عليها، والاعتداد بما يكون من قضائك إياها، وقد حملتها يحيى لتسممها منه، وتتقدم بما أحب فيها، جارياً على كرم سجيتك، وعادة تفضلك، إن شاء الله.

وكتب إلى أخيه الوزير، عبيد الله، وقد سافر ولم يودعه، – أطال الله بقاء الوزير – مصحباً له السلامة الشاملة والغبطة المتكاملة، والنعم المتظاهرة، والمواهب المتواترة، في ظعنه ومقامه، وحله وترحاله، وحركته وسكونه، وليله ونهاره، وعجل إلينا أوبته، وأقر عيوننا برجعته، ومتعنا بالنظر إليه: كان شخوص الوزير – أعزه الله – في هذه المدة يغتة، أعجل عن توديعه فزاد ذلك في ولهي، وإضرام لوعتي، واشتدت له وحشتي، وذكرت قول كثير:

وكنتم تزينون البلاد ففارقت ... عشية بنتم زينها وجمالها

فقد جعل الراضون إذ أنتم لها ... بخصب البلاد يشتكون وبالها

والوزير – أعزه الله – يعلم ما قيل في يحيى بن خالد:

ينسى صنائعه ويذكر وعده ... ويبيت في أمثاله يتفكر

وكتب إلى صديق له: ليس عن الصديق المخلص، والأخ المشارك، في الأحوال كلها مذهب ولا وراءه، للواثق به مطلب، والشاعر يقول:

وإذا يصيبك واحوادث جمة ... حدث حداك إلى أخيك الأوثق

وأنت الأخ الأوثق، والولي المشفق، والصديق الوصول، والمشارك في المكروه والمحبوب، قد عرفني الله من صدق صفائك، وكرم وفائك، على الأحوال المتصرفة، والأزمنة المتقلبة، ما يستغرق الشكر، ويستعبد الحر، وما من يوم يأتي علي إلا وتقتي بك تزداد استحكاماً، واعتمادي عليك يزداد توكداً والتياماً، أنبسط في حوائجي، وأثق بنجح مسألتي، والله أسأل لك طول البقاء، في أدوم النعمة وأسبغها وأكمل العوافي وأتمها، وألا يسلب الدنيا نضرتها بك، وبهجتها ببقائك، فما أعرف بهذا الدهر المتنكر في حالاته، حسنة سواك، ولا

حيلة غيرك، فأعيذك بالله من العيون الطامحة، والألسنة القادحة وأسأله أن يجعلك في حرزه الذي لا يرام، وكنفه الذي لا يضام، وأن يحرسك بعينه التي لا تنام، إنه ذو المن والإنعام.

أحمد بن سليمان المعيدي

أبو الحسين، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: روى عن علي بن ثابت، عن أبي عبيد، وعن ابن أخيه أبي الوزير، عن الأعرابي، روى عنه أبو بكر محمد بن الحسين، بن مقسم، وخطه يرغب فيه: وهو أحد العلماء المشاهير الثقات، قرأت بخط ابن أبي نواس. قال: أبو عمر ابن حيويه قال لي أبو عمران: مات المعيدي ليلة الأربعاء ودفن يوم الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

أحمد بن سهل البلخي أبو زيد

كان فاضلاً، قائماً بجميع العلوم القديمة والحديثة، يسلك في مصنفاته طريقة الفلاسفة، إلا أنه بأهل الأدب أشبه، وكان معلماً للصبيان، ثم رفعه العلم إلى مرتبة علية، كما اقتصصنا في أخباره، وقد وصفه أبو حيان في كتابه، في تقريظ الجاحظ، بوصف ذكرته في أخبار أبي حنيفة أحمد بن داود، فاحتسبت به كعادتي في الإيجاز، وترك التكرير، مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة على ما أذكره فيما بعد، عن سبع أو ثمان وثمانين سنة.

حكي عنه أنه قال: كان الحسين بن علي المروروزي، وأخوه وأنا صعلوك يجريان علي صلات معلومة دائمة، فلماصنفت كتابي في البحث عن التأويلات قطعاها عني، وكان لأبي علي محمد بن أحمد بن جيهان من خرخان الجيهاني، وزير نصر بن أحمد الساماني جوار يدرها علي، فلما أمليت كتاب القرابين والذبائح حرمنيها، قال: وكان الحسين قرمطياً، وكان الجيهاني ثنوياً، وكان أبو زيد يرمى بالإلحاد، ذكر ذلك كله محمد بن إسحاق النديم، قال: ولأبي زيد من الكتب: كتاب أقسام العلوم، كتاب شرائع الأديان، كتاب اختيارات السير، كتاب السياسة الكبير، كتاب السياسة الصغير، كتاب كمال الدين، كتاب فضل صناعة الكتابة، كتاب مصالح الأبدان والأنفس، يعرف بالمقالتين، كتاب أسماء الله وصفاته، كتاب صناعة الشعر، كتاب فضيلة علم الأخبار، كتاب الأسماء والكنى والألقاب، كتاب أسماء الأشياء، كتاب النحو والتصريف، كتاب الصورة والمصدر، كتاب رسالة حدود الفلسفة، كتاب ما يصح من أحكام النجوم، كتاب الرد على عبدة الأوثان، كتاب فضيلة علوم الرياضات، كتاب في أقسام علوم الفلسفة، كتاب القرابين والذبائح، كتاب عصمة الأنبياء، كتاب نظم القرآن، كتاب قوارع القرآن، كتاب الفتاك والنساك، كتاب ما أغلق من غريب القرآن، كتاب في أن سورة الحمد تنوب عن جميع القرآن، كتاب أجوبة أبي القاسم الكعبي، كتاب النوادر في فنون شتى، كتاب أجوبة أهل فارس، كتاب تفسير " صورٍ " كتاب السماء والعالم لأبي جعفر الخازن، كتاب أجوبة أبي علي بن محتاج، كتاب أجوبة أبي إسحاق المؤدب، كتاب المصادر، كتاب أجوبة أبي الفضل السكري كتاب الشطرنج، كتاب فضائل مكة على سائر البقاع، كتاب جواب رسالة أبي علي بن المنير الزيادي، كتاب منية الكتاب، كتاب البحث عن التأويلات كبير، كتاب الرسالة السالفة إلى العاتب،

كتاب رسالته في مدح الوراقة، كتاب الوصية، كتاب صفات الأمم، كتاب القرود، كتاب فضل الملك، كتاب المختصر في اللغة، كتاب صولجان الكتبة، كتاب نثاراتٍ على كلامه، كتاب أدب السلطان والرعية، كتاب فضائل بلخ، كتاب تفسير الفاتحة والحروف المقطعة في أوائل السور، كتاب رسول الكتب، كتاب كتبه إلى أبي بكر بن المستير، عاتباً ومنتصفاً، في ذمه المعلمين والوراقين، كتاب كتبه إلى أبي بكر بن المظفر، في شرح ما قيل في حدود الفلسفة، كتاب أخلاق الأمم، وقرأت بخط أبي سهل أحمد بن عبيد الله بن أحمد، مولى أمير المؤمنين، وتصنيفه كتاباً في أخبار أبي زيد البلخي، وأبي الحسن شهيد البلخي، فلخصت منه ما ذكرته في تراجم الثلاثة.

قال في أخبار أبي زيد، ولد أبو زيد أحمد بن سهل ببلخ، بقرية تدعى شامستيان، من رستاق نهر غربنكي، من جملة اثني عشر نهراً من أنهار بلخ، وكان أبوه سجزياً يعلم الصبيان، هذا ما ذكره أبو محمد الحسن بن محمد الوزيري، وله كتاب في أخبار أبي زيد البلخي.

وسمعت أنه كان يعلم بهذه القرية المدعوة شامستيان أعني أباه، وكان أبو زيد يميل إليها ويحبها، لأجل مولده بها، ونزعه إليها حب المولد، ومسقط الرأس والحنين إلى الوطن الأول، ولذلك لما حسنت حاله، ودعته نفسه إلى اعتقاد الضياع والأسباب، والنظر للأولاد والأعقاب، اختارها من قرى بلخ، فاعتقد بها ضيعته، ووكل بها همته، وصرف إلى اتخاذ العقد بها عنايته، وقد كانت تلك الضياع بعد باقية، إلى قريب من هذا الزمان، في أيدي أحفاده وأقاربه، بها وبالقصبة ثم إنهم كما أقدر قد فنوا وانقرضوا، في اختلاف هذه الحوادث ببلخ وغيرها، من سائر البلدان، فلا أحسب أنه بقي منهم نافخ ضرم، ولا عين تطرف، لا تحس منهم من أحد ولا تسمع منهم ركزاً.

سمعت أن الأمير أحمد بن سهل بن هاشم كان ببلخ، وعنده أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي، وأبو زيد ليلة من الليالي وفي يد الأمير عقد لآلائي نفيسة، ثمينة، تتلألأ كاسمها، ويتوهج نورها، وكان حمل إليه من بعض بلاد الهند، حين افتتحت، فأفرد الأمير منها عشرة أعداد، وناولها أبا القاسم، وعشرة أعداد أخر، وناولها أبا زيد، وقال: هذه اللآلئ في غاية النفاسة، فأحببت أن أشرككما فيها، ولا أستبد بها دونكما. فشكرا له ذلك، ثم إن أبا القاسم وضع لآلئه بين يدي أبي زيد، وقال: إن أبا زيد وهو من هو مهتم بشأنهن، فأردت أن أصرف ما برني به الأمير إليه، لينتظم في عقده فقال الأمير: نعماً فعلت، ورمى بالعشرة الباقية إلى أبي زيد وقال خذها فلست في الفتوة بأقل حظاً، ولا أوكس سهماً، من أبي القاسم، ولا تغبنن عنها، فإنها ابتيعت من الفئ، بثلاثين ألف درهم، فاجتمعت الثلاثون عند أبي زيد برمتها، وباعها بمال جليل، وصرف ثمنها إلى الضيعة التي اشتراها بشامستيان.

قال وكان أبو زيد كما ذكر أبو محمد الحسن الوزيري – وكان رآه واختلف إليه – ربعة نحيفاً مصفاراً، أسمر اللون جاحظ العينين، فيهما تأخر ومثل بوجهه آثار جدري، صموتاً سكيتاً، ذا وقار وهيبة، وقد وصفه أبو علي أحمد المنيري الزيادي، في رسالته التي كتبها إليه، وأراد أن يهدم بنيانه، ويضع شانه، ويوهي أركانه، فرند عليه أبو زيد في جوابها، ما ألبسه الشنار والصغار، ونبه العالم أن حظه من العلوم حظ منكود، وأنه

فيما أجرى له من كلامه غير سديد، قرأت على أبي محمد الوزيري كلتا الرسالتين، فزعم أنه قرأهما عليهما، أعني أبا زيد والمنيري كليهما، فذكر المنيري في رسالته في جملة ما هجنه به، وأنك لا تصلح إلا أن تكون زامراً، أو مغيراً، أو محتكراً فدل هذا الكلام على أنه كان جاحظ العين، أشدق، مع قصر قامته، ودنو هامته، قال: ثم حدثت أنه كان في عنفوان شبابه، وطراءة زمانه، وأول حداثته، ومائه، دعته نفسه إلى أن يسافر ويدخل إلى أرض العراق، ويجثو بين يدي العلماء، ويقتبس منهم العلو، فتوجه إليها راجلاً مع الحاج، وأقام بها ثماني سنين، وجازها فطوف البلدان المتاخمة لها، ولقي الكبار والأعيان، وتتلمذ لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق الكندي، وحصل من عنده علوماً جمة، وتعمق في علم الفلسفة، وهجم على أسرار علم التنجيم، والهيئة وبرز في علم الطب والطبائع وبحث عن أصول الدين أتم بحث، وأبعد استقصاء، حتى قاده ذلك إلى الحيرة، وزل به عن النهج الأوضح، فتارة كان يطلب الإمام ومرة كان يسند الأمر إلى النجوم والأحكام، ثم إنه لما كتبه الله في الأول من السعداء، وحكم بأنه لا يتركه يتسكع في ظلمات الأشقياء، بصره أرشد الطرق، وهداه لأقوم السبل، فاستمسك بعروة من الدين وثيقة، وثبت من الاستقامة على بصيرة وحقيقة، فذكر أبو الحسن الحديثي قال: كان أبو بكر البكري فاضلاً خليعاً لا يبالي ما قال، وكان يحتمل عنه لسنه، قال: أذكر إذ كنا عنده وقد قدمت المائدة وأبو زيد يصلي، وكان حسن الصلاة، فضجر البكري من طول صلاته، فالتفت إلى رجل من أهل العلم، يقال له أبو محمد الجحندي فقال: يا أبا محمد، ريح الإمامة يعد في رأس أبي زيد، فخفف أبو زيد الصلاة وهما يضحكان، قال أبو الحسن: فلم أدر ما ذلك! حتى سألت لا أدري الجحندي أو أبا بكر الدمشقي فقال: أحدهما: العم أن أبا زيد في أول أمره كان خرج في طلب الإمام إلى العراق، إذ كان قد تقلد مذهب الإمامية، فعيره البكري بذلك

قال: وكان حسن الاعتقاد، ومن حسن اعتقاده أنه كان لا يثتب من علم النجوم الأحكام، بل كان يثبت ما يدل عليه الحسبان، ولقد جرى ذكره رحمه الله في مجلس الإمام أبي بكر، أحمد بن محمد بن العباس البزار، وهو الإمام ببلخ، والمفتي بها، فأثنى عليه خيراً، وقال: إنه كان قويم المذهب، حسن الاعتقاد، لم يعرف بشيء في ديانته، كما ينسب إليه من نسب إلى علم الفلسفة، وكل من حضر من الفضلاء والأماثل، أثنى عليه ونسبه إلى الاستقامة والاستواء، وأنه لم يعثر له مع ما له من المصنفات الجمة، على كلمة تدل على قدح في عقيدته، ثم لما قضى وطره من العراق، وصار في كل فن من فنون العلم قدوة، وفي كل نوع من أنواعه إماماً، قصد العود إلى بلده، فتوجه إليها مقبلاً على طريق هراة، حتى وصل إلى بلخ، وانتشر بها علمه، فلما ورد أحمد بن سهل بن هاشم المروزي بلخ، واستولى على تخومها، راوده على أن يستوزره فأبى عليه، واختار سلامة الأولى، والعقبى، فاتخذ أبا القاسم الكعبي وزيراً، وأبا زيد كاتباً، وكان أبو القاسم الوزير وأبو زيد من الكتاب، وعظم محلهما عنده، وأصبحا بأرفع طرف عنده مرموقين وبأروى كأس من جنابه مصبوحين ومغبوقين، وكان رزق أبي القاسم في الشهر ألف درهم ورقاً، ولأبي زيد خمسمائة درهم ورقاً، وكان أبو القاسم يأمر الخازن بزيادة مائة درهم لأبي زيد من رزقه ونقصان مائة درهم من رزق نفسه، فكان يصل إلى أبي زيد ستمائة درهم وإلى أبي القاسم تسعمائة درهم، وكان يأخذ لنفسه مكسرة، ويأمر لأبي زيد بالوضح

الصحاح، فبقوا على ذلك مدة غير طويلة، وعاشوا على جملة جميلة، حتى فتكت بهم يد المنون، وهلك أحمد بن سهل عن عمر قصير، واستمتاع بإمامة غير كبير، قال: أخبرني أبو محمد الحسن بن الوزيري: وكان لقي أبا زيد وتتلمذ له قال: كان أبو زيد ضابطاً لنفسه ذا وقار، وحسن استبصار، قويم اللسان، جميل البيان، متثبتاً نزر الشعر، قليل البديهة، واسع الكلام في الرسائل والتأليفات، إذا أخذ في الكلام أمطر اللآلئ المنثورة، وكان قليل المناظرة، حسن العبارة، وكان يتنزه عما يقال في القرآن، إلا الظاهر المستفيض من التفسير والتأويل، والمشكل من الأقاويل، وحسبك ما ألفه من كتاب نظم القرآن، الذي لا يفوقه في هذا لاباب تأليف.

قرأت في كتاب البصائر لأبي حيان الفارسي، من ساكني بغداد، قال: قال أبو حامد القاضي لم أر كتاباً في القرآن مثل كتاب لأبي زيد البلخي، وكان فاضلاً يذهب في رأي الفلسفة، لكنه تكلم في القرآن بكلام لطيف دقيق في مواضع، وأخرج سرائره، وسماه نظم لاقرآن، ولم يأت على جميع المعاني فيه.

قال: وللكعبي كتاب في التفسير، يزيد حجمه على كتاب أبي زيد، قال الوزيري: وكان أيضاً يتحرج عن تفضيل الصحابة بعضهم على بعض، وكذلك عن مفاخرة العرب والعجم، ويقول ليس في هذه المناظرات الثلاث ما يجدي طائلاً، ولا يتضمن حاصلاً، لأن الله تعالى يقول في معنى القرآن: (قرآناً عربياً غير ذي عوج) الآية وأما معنى الصحابة وتفضيل بعضهم على بعض، فقوله عليه السلام، أصحابي كالنجوم، بأيهم اقتديتم اهتديتم، وكذلك العربي والشعوبي، فإنه سبحانه يقول: (فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) ويقول في موضع آخر، (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) قال: وسمعت بعض أهل الأدب يقول: اتفق أهل صناعة الكلام أن متكلمي العالم ثلاثة، الجاحظ، وعلي بن عبيدة اللطفي، وأبو زيد البلخي، فمنهم من يزيد لفظه على معناه، وهو الجاحظ ومنهم من يزيد معناه على لفظه، وهو علي بن عبيدة، ومنهم من توافق لفظه ومعناه، وهو أبو زيد.

وقال أبو حيان في كتاب النظائر: أبو زيد البلخي يقال له بالعراق جاحظ خراسان، وحكي أن أبا زيد لما دخل على أحمد بن سهل، أول دخوله عليه، سأله عن اسمه، فقال أبو زيد، فعجب أحمد بن سهل من ذلك، حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته، وعد ذلك من سقطاته، فلما خرج ترك خاتمه في مجلسه عنده، فأبصره أحمد بن سهل، فازداد تعجباً من غفلته، فأخذه بيده ونظر في نقش فصه، فإذا عليه أحمد بن سهل، فعلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للموافقة الواقعة بين اسمه واسمه، وأنه أخذ بحسن الأدب، وراعى حد الاحتشام، واختار وصمة التزام الخطإ في الوقت والحال، على أن يتعاطى اسم الأمير بالاستعمال والابتذال.

وحكي أن أبا زيد في حداثته، وحال فقره وخلته كان التمس من أبي علي المنيري حنطة، فأمره بحمل جراب إليه ففعل، فلم يعطه حنطة، وحبس الجراب، ومضى على هذا أعوام كثيرة، وخرج شهيد بن الحسين إلى محتاج بن أحمد بالصعانيان، وكتب إلى أبي زيد كتباً لم يجبه أبو زيد عنها، فكتب إليه شهيد بهذين البيتين، يعيره بحديث الجراب:

أمني النفس منك جواب كتبي ... وأقطعها لتسكن وهي تابي

إذا ما قلت سوف يجيب قالت ... إذا رد المنيري الجرابا

قال: وقرأت بخط أبي الحسن الحديثي، على ظهر كتاب كمال الدين لأبي زيد، قال أبو بكر الفقيه: ما صنف في الإسلام كتاب أنفع للمسلمين من كتاب البحث عن التأويلات، صنفه أبو زيد البلخي، وهذا الكتاب يعني كتاب كمال الدين.

وكان لأبي زيد حافد يقال له علي بن محمد بن أبي زيد، قال: ولأبي زيد نحو من سبعين تأليفاً، قال: ولقي أحمد بن سهل الأمير أبا زيد في طريق، وقد أجهده السير، فقال له: عييت أيها الشيخ، فقال أبو زيد: نعم أعييت أيها الأمير، فنبهه أنه لحن في قوله " عييت " إذ العي في الكلام، والإعياء في المشي، وأنشد أبو زيد:

لكل امرئ ضيف يسر بقربه ... ومالي سوى الأحزان والهم من ضيف

تناءت بنا دار الحبيب اقترابها ... فلم يبق إلا رؤية الطيف للطيف

وقال أبو زيد: كان يبلخ مجنون من عقلاء المجانين وكان يعرف بأبي إبراهيم إسحاق بن إسحاق البغدادي، " من عقلاء المجانين " دخل إلي وكنت ألاعب الأهوازي بالشطرنج، فقال أبو زيد والأهوازي لك فتحيرت في هذا الكلام، فقال لي احسب فحسبت بحروف الجمل، فكان ستون، قال فصل بين كنيتك وكنيته الأهوازي، قال فوصلت، فإذا أبو زيد ثلاثون، والأهوازي ثلاثون، فقضيت عجباً من اختراعه في تلك الوهلة هذا الحساب.

وأما خبر وفاته، فقال صاحب الكتاب المذكور: ذكر أبو زيد الدمشقي قال: دخلت على أبي زيد – رحمه الله – يوم الجمعة ضحوة لعشر بقين من ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة فوجدته ثقيلاً من علته، فسلمت سلاماً ضعيفاً، ثم قال: يا أبا بكر قد انقطع السبب، وما هو إلا فراق الإخوان، ودمعت عينه، وبكيت أنا، وقلت: أرجو أن يشفع الله الشيخ فينا وفي عترتنا بعافيته، فقال: أيهات: وقرأ هذه الآية: (أفرأيت إن متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) ثم قال: لا تغب عني وكن بالقرب.

فلما كان عند العتمة قال: انصرفوا حتى أدعوكم، وقال لابنه الحسين إذا طلع القمر ونزل في الدار فأعلمني، فلما طلع القمر أعلمه، فصاح بهم فجاءوا، وقال أطلع القمر؟ فقالوا: نعم، قال: اجمعوا كل من في المنزل، فاجتمعوا عليه، فسأل كل واحد منهم عن حاله، وعن كسوته، وعن آلة الشتاء، ثم قال: بقي شيء لم أصلحه لكم. قالوا: لا: فاستحلفهم ثم قال: عليكم السلام، هذا آخر اجتماعي معكم، ثم جعل يتشهد ويستغفر، ثم قال: قوموا فقد جاء نوبة غيركم، فخرجوا من باب الطارمة، وهم يسمعون تشهده، ثم سكت فرجعوا وقد قضى نحبه، رحمه الله، هذا العقل والتمييز صار كما قال أبو تمام:

ثم انقضت تلك السنون وأهلها ... فكأنها وكأنهم أحلام

قال المؤلف: هذا آخر ما كتبته عن كتاب أبي سهل أحمد بن عبيد الله من أخبار أبي زيد، وما أرى أن أحداً جاء من خبر أبي زيد بأحسن مما جاء به، أثابه الله على اهتمامه الجنة، وسأكتب أخبار أبي القاسم، عبد الله بن أحمد الكعبي البلخي عنه في موضعه، ولم أخل من أخبار أبي زيد التي ذكرها بشيء مما يتعلق به، إنما تركت أشياء من فوائده تتعلق بكتب المجاميع.

وقال المرزباني: أحمد بن سهل البلخي محدث معتمدي وهو القائل يرثي الحسن بن الحسين العلوي، وقد توفي ببلخ:

إن المنية رامتنا بأسهمها ... فأوقعت سهمها المسموم بالحسن
أبو محمد الأعلى فغادره ... تحت الصفيح مع الأموات في قرن
يا قبر إن الذي ضمنت جثته ... من عصبة سادة ليسوا ذوي أفن
محمد وعلي ثم زوجته ... ثم الحسين ابنه والمرتضى الحسن
صلى الإله عليهم والملائكة ال ... مقربون طوال الدهر والزمن

قال المؤلف: هكذا قال المرزباني، ولا أدري أيريد صاحبنا هذا أو غيره؟ فإنه لم يذكره بأكثر مما كتبناه.
وقرأت في كتاب البلدان لأبي عبد الله البشاري، أن صاحب خراسان استدعاه إلى بخاري، ليستعين به على سلطانه، فلما بلغ جيحون ورأى تغطمط أمواجه وجرية مائه وسعة قطره كتب إليه: إن كنت استدعيتني لما بلغك من صائب رأيي فإني إن عبرت هذا النهر فلست بذي رأي ورأيي يمنعني من عبوره: فلما قرأ كتابه عجب منه وأمره بالرجوع إلى بلخ.

أحمد بن الصنديد العراقي

يكنى أبا مالك، كان من أهل الأدب والشعر، روى شعر المعري عنه، وله فيه شرح، وله مع الحصري مناقضات دخل الأندلس، وكان عند بني طاهر، ومدح الرساء والأكابر.

أحمد بن أبي طاهر أبو الفضل

واسم طاهر طيفور، مروروزي الأصل، أحد البلغاء الشعراء الرواة، من أهل الفهم المذكورين بالعلم، وهو صاحب كتاب تاريخ بغداد، في أخبار الخلفاء والأمراء وأيامهم، مات سنة ثمانين ومائتين ودفن بباب الشام ببغداد، ومولده سنة أربع ومائتين مدخل المأمون بغداد من خراسان، ذكر ذلك ابنه عبيد الله، فيما ذيله على تاريخ والده، وحكاه عنه، قال: وروى عن عمر بن شبة، روى عنه ابنه عبيد الله، ومحمد بن خلف بن المرزبان، وحدث جعفر بن أحمد صاحب كتاب الباهر: كان أحمد بن أبي طاهر مؤدب كتاب عامياً، ثم تخصص وجلس في سوق الوراقين، في الجانب الشرقي، قال: ولم أر ممن شهر بمثل ما شهر به من التصنيف للكتب، وقول الشعر أكثر تصحيفاً منه ولا أبلد علماً، ولا ألحن، ولقد أنشدني شعراً، يعرضه علي في إسحاق بن أيوب، لحن في بضعة عشر موضعاً منه، وكان أسرق الناس لنصف بيت وثلث بيت، قال: وكذا قال لي البحتري فيه، وكان مع هذا جميل الأخلاق، ظريف المعاشرة، حلواً من بين الكهول.
وحدث أبو دهقان قال: كنت أنزل في جوار المعلى ابن أيوب، صاحب العرض والجيش في أيام المأمون، وكان أحمد بن أبي طاهر ينزل عنده، فأضقنا إضاقة شديدة، وتعذرت علينا وجوه احليلة، فقلت لابن أبي طاهر: هل لك في شيء لا بأس به؟ تدعني حتى أسجيك وأمضي إلى منزل المعلى بن أيوب، فأعلمه أن

صديقاً لي قد توفي فآخذ منه ثمن كفن فننفقه، فقال نعم: وجئت إلى وكيل المعلى فعرفته خبرنا، فصار معي إلى منزلي، فتأمل ابن أبي طاهر، ثم نقر أنفه فضرط، فقال لي ما هذا؟ فقلت هذه بقية من روحه كرهت نكهته فخرجت مناسته، فضحك، وعرف المعلى خبرنا، فأمر لنا بجملة دنانير، والمعلى هذا هو الذي يقول فيه دعبل، وقيل أبو علي البصير:

لعمر أبيك ما نسب المعلى ... إلى كرم وفي الدنيا كريم

ولكن البلاد إذا اقشعرت ... وصوح نبتها رعي الهشيم

وحدث الجهشياري في كتاب الوزراء قال: مدح أحمد ابن أبي طاهر الحسن بن مخلد، وزير المعتمد، فأمر له بمائة دينار، وقال: إيت رجاء الخادم فخذها منه، فلقي أحمد رجاء فقال له: لم يأمرني بشيء، فكتب إلى الحسن:

أما رجاء فأرجا ما أمرت به ... فكيف إن كنت لم تأمره يأتمر؟

بادر بجودك مهما كنت مقتدراً ... فليس في كل حال أنت مقتدر

فأمر بأضعافها له.

وذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: له من الكتب كتاب المنثور والمنظوم، أربعة عشر جزءاً، والذي بيد الناس ثلاثة عشر جزءاً، كتاب سرقات الشعراء، كتاب بغداد، كتاب الجواهر، كتاب المؤلفين، كتاب الهدايا، كتاب المشتق، كتاب المختلف من المؤتلف، كتاب أسماء الشعراء الأوائل، كتاب الموشى، كتاب ألقاب الشعراء، ومن عرف بالكنى ومن عرف بالاسم، كتاب المعروفين من الأنبياء، كتاب المعتذرين، كتاب اعتذار وهب من ضرطته، كتاب من أنشد شعراً وأجيب بكلام، كتاب الحجاب، كتاب مرثية هرمز بن كسرى بن أبي شروان، كتاب خبر الملك العالي في تدبير المملكة والسياسة، كتاب المصلح والوزير المعين، كتاب الملك البابلي والملك المصري الباغيين، والملك الحكيم الرومي، كتاب المزاح والمعاتبات، كتاب مفاخرة الورد والنرجس، كتاب مقاتل الفرسان، كتاب مقاتل الشعراء، كتاب الخيل، كبير، كتاب الطرد، كتاب سرقات البحتري من أبي تمام، كتاب جمهرة بني هاشم، كتاب رسالة إلى إبراهيم بن المدبر، كتاب الرسالة، في النهي عن الشهوات، كتاب الرسالة إلى علي بن يحيى، كتاب الجامع، في الشعراء وأخبارهم، كتاب فضل العرب على العجم، كتاب لسان العيون، كتاب أخبار المتظرفات، كتاب اختيار أشعار الشعراء كتاب اختيار شعر بكر ابن النطاح، كتاب المؤنس، كتاب الغلة والغليل، كتاب اختيار شعر العتابي، كتاب اختيار شعر منصور النمري، كتاب اختيار شعر أبي العتاهية، كتاب أخبار بشار واختيار شعره، كتاب أخبار مروان وآل مروان واختيار أشعارهم كتاب أخبار ابن ميادة كتاب أخبار ابن هرمة ومختار شعره. كتاب أخبار ابن الدمينة. كتاب أخبار وشعر عبد الله بن قيس الرقيات. وأنشد له ابنه عبيد الله في كتابه:

وما الشعر إلا السيف ينبو وحده ... حسام ويمضي وهو ليس بذي حد

ولو كان بالإحسان يرزق شاعر ... لأجدى الذي يكدى وأكدى الذي يجدي

ومن قوله أيضاً:

قد كنت أصدق في وعدي فصيرني ... كذابة ليس ذا في جملة الأدب
يا ذاكراً حلت عن عهدي وعهدكم ... فنصرة الصدق أفضت بي إلى الكذب

حدث المرزباني في كتاب المقتبس، عن عبد الله ابن محمد الحليمي، قال: أنشدني أحمد بن أبي طاهر لنفسه في أبي العباس المبرد:

كملت في المبرد الآداب ... واستقلت في عقله الألباب
غير أن الفتى كما زعم النا ... س دعي مصحف كذاب

وحدث عن الصولي، عن أبي علي بن عينويه الكاتب، قال: حدثني أحمد بن أبي طاهر قال: خرجت من منزل أبي الصقر، نصف النهار في تموز، فقلت ليس بقربي منزل أقرب من منزل المبرد، إذ كنت لا أقدر أصل إلى منزلي بباب الشام، فجئته، فأدخلني إلى حويشة له، وجاء بمائدة، فأكلت معه لونين طيبين، وسقاني ماء بارداً، وقال لي: أحدثك إلى أن تنام، فجعل يحدثني أحسن حديث، فحضرني لشؤمي وقلة شكري بيتان، فقلت: قد حضرني بيتان أنشدهما؟ فقال: ذاك إليك، وهو يظن أني قد مدحته، فأنشدته:

ويوم كحر الشوق في صدر عاشق ... على أنه منه أحر وأومد
ظللت به عند المبرد قائلاً ... فما زلت في ألفاظه أتبرد

فقال لي: قد كان يسعك إذا لم تحمد ألا تذم، ومالك عندي جزاء إلا أن أخرجك، والله لا جلست عندي بعد هذا، فأخرجني، فمضيت إلى منزلي بباب الشام، فمرضت من الحر الذي نالني مدة، فعدت باللوم على نفسي.

قال الخالدي حدثنا جحظة عن أحمد بن أبي طاهر قال: قصدت سر من رأى، زائراً بعض كتابها بشعر مدحته به، فقبلني وأحسن إلي، وأجزل صلتي، ووهب لي غلاماً رومياً، حسن الوجه، ورحلت أريد بغداد سائراً على الظهر، ولم أركب الماء، فلما سرت نحو الفرسخ أخذتنا السماء بأمر عظيم من القطر، ونحن بالقرب من دير السوسن، فقلت للغلام: اعدل بنا يا بني إلى هذا الدير، نقيم فيه إلى أن يخف هذا المطر، ففعل وازداد القطر واشتد، وجاء الليل، فقال الراهب: أتت العشية ههنا، وعندي شراب جيد، فتبيت وتقصف، ويسكن المطر، وتجف الطريق وتبكر، فقلت: أفعل فأخرج إلي شراباً ما رأيت قط أصفي منه، ولا أعطر فقلت: هات مدامك، وأمرت بحط الرحل، وبت والغلام يسقيني، والراهب نديمي، حتى مت سكراً، فلما أصبحت رحلت، وقلت:

سقى سر من را وسكانها ... وديراً لسوسنها الراهب
سحاب تدفق عن رعده ال ... صفوق وبارقه الواصب
فقد بت في ديره ليلة ... وبدر على غصن صاحبي
غزال سقاني الصبا ... ح صفراء كالذهب الذائب
على الورد من حمرة الوجنت ... ين وفي الآس من خضرة الشارب
سقاني المدامة مستيقظاً ... ونمت ونام إلى جانبي

فكانت هناة لك الويل من ... جناها الذي خطه كاتبي
فيا رب تب واعف عن مذنب ... مقر بزلته تائب

أحمد بن الطيب السرخسي

يعرف بابن الفرائقي أحد العلماء الفهماء المحصلين، الفصحاء البلغاء المتقنين، له في علم الأثر الباع الواسع، وفي علوم الحكماء الذهن الثاقب الوقاد، وبسطة الذراع، وهو تلميذ الكندي وله في كل فن تصانيف، ومجاميع وتواليف، وكان أحد ندماء أبي العباس المعتضد بالله، والمختصين به، فأنكر منه بعض شأنه، فأذاقه حمامه صبراً، وجعله نكالاً، ولم يرع له ذمة ولا إلاً.

وقال في تاريخ دمشق: ذكره أبو الحسن محمد بن أحمد بن القواس، قال: ولي أحمد بن الطيب الحسبة يوم الاثنين، والمواريث يوم الثلاثاء، وسوق الرقيق يوم الأربعاء، لسبع خلون من رجب سنة اثنتين وثمانين ومائتين وفي يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين غضب المعتضد على أحمد بن الطيب، وفي يوم الخميس لثلاث بقين من جمادى الأولى ضرب ابن الطيب مائة سوط، وحول إلى المطبق، وفي صفر سنة ست وثمانين ومائتين مات ابن الطيب السرخسي.

حدث أبو القاسم، عن عبد الله بن عمر الحاربي، قال حدثني أبي قال: حدثني أبو محمد عبد الله بن حمدون، نديم المعتضد، قال: كان المعتضد في بعض متصيداته مجتازاً بعسكره وأنا معه، فصاح ناطور في قثاء فاستدعاه وسأله عن سبب صياحه، فقال: أخذ بعض الجيش شيئاً فقال: اطلبوهم فجاءوا بثلاثة أنفس، فقال: هؤلاء الذين أخذوا القثاء؟ فقال الناطور: نعم، فقيدهم في الحال، وأمر بحبسهم، فلما كان من الغد أنفذهم إلى القراح وضرب أعناقهم فيه، وسار، وأنكر الناس ذلك وتحدوا به، ونجت قلوبهم منه، ومضت على ذلك مدة طويلة، فجلست أحادثه ليلة، فقال لي: يا عبد الله، هل يعتب الناس علي شيئاً؟ عرفني حتى أزيله، فقلت: كلا يا أمير المؤمنين، فقال: أقسمت عليك بحياتي إلا صدقتني، قلت: يا أمير المؤمنين وأنا آمن؟ قال: نعم، قلت: إسراعك إلى سفك الدماء، فقال: والله ما هرقت دماً قط منذ وليت هذا الأمر إلا بحقه، قال: فأمسكت إمساك من ينكر عليه الكلام، فقال: بحياتي لما قلت، فقلت: يقولون إنك قتلت أحمد بن الطيب، وكان خادمك، ولم تكن له جناية ظاهرة، فقال: ويحك، إنه دعاني إلى الإلحاد، فقلت له: يا هذا، أنا ابن عم صاحب هذه الشريعة، وأنا الآن منتصب منصبه، فألحد حتى أكون من؟ وكان قال لي: إن الخلفاء لا تغضب، وإذا غضبت لم ترض، فلم يصلح إطلاقه، فسكت سكوت من يريد الكلام، فقال: في وجهك كلام، فقلت: الناس ينقمون عليك أمر الثلاثة الأنفس الذين قتلتهم في قراح القثاء، فقال: والله ما كان أولئك المقتولون هم الذين أخذوا القثاء وإنما كانوا لصوصاً، حملوا من موضع كذا وكذا، ووافق ذلك أمر أصحاب القثاء، فأردت أن أهول على الجيش، بأن من عاث منهم في عسكري وأفسدوا في هذا القدر، كانت هذه عقوبتي له، ليكفوا عما فوقه، ولو أردت قتلهم لقتلتهم في الحال والوقت، وإنما حبستهم، وأمرت بإخراج اللصوص من غد مغطين الوجوه، ليقال إنهم أصحاب القثاء، فقلت: فكيف تعلم العامة؟ قال: بإخراجي القوم الذين أخذوا القثاء أحياء، وإطلاقي لهم في هذه الساعة، ثم قال: هاتوا القوم، فجاءوا

بهم، وقد تغيرت حالهم، فقال لهم: ما قصتكم؟ فاقتصوا عليه قصة القثاء، فاستتابهم عن فعل مثل ذلك وأطلقهم، فانتشرت الحكاية فزالت التهمة.

أحمد بن عبد الله بن عبد الرحيم

ابن سعيد بن أبي زرعة الزهري مولاهم، يكنى أبا بكر البرقي، وقد ذكرنا فيما بعد برقياً آخر، اسمه أحمد بن محمد، وهو أيضاً من برقة قم، وقد اشتد علي أمره وأمر هذا، فقلت كما وجدت، ولا شك أنهما من بيت واحد، والله أعلم.

وكانوا ثلاثة إخوة كلهم من أهل العلم، أبو بكر أحمد، وأبو عبد الله محمد، وأبو سعيد عبد الرحيم، يروي ثلاثتهم المغازي عن عبد الملك بن هشام، وفي كتاب أصبهان لحمزة، في الفصل الذي ذكر فيه أهل الأدب واللغة قال: أحمد بن عبد الله البرقي كان من رستاق برق رود، وهو أحد الرواة للغة والشعر، واستوطن قم، فخرج ابن أخيه أبو عبد الله البرقي هناك، ثم قدم أبو عبد الله أصبهان فاستوطنها.
قرأت في كتاب جمهرة النسب قال ابن حبيب: أخبرني أبو عبد الله البرقي – وكان أعلم أهل قم بنسب الأشعريين – أن ابن الكلبي قال: في ثلاثة أحياء من الأشعريين لسن وإنما هو أسن وقال مراطة، وإنما هو إمراطة، وقال زكاز وإنما هو ركاز.

أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة

أبو جعفر الكاتب، ولد ببغداد، ومات بمصر وهو على قضائها، سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وقد روى عن أبيه تصانيفه كلها، حدث عنه أبو الفتح المراغي النحوي، وعبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، وغيرهما، وقال أبو يعقوب يوسف بن يعقوب بن خرزاذ النجيرمي إن أبا جعفر بن قتيبة حدث بكتب أبيه كلها بمصر حفظاً، ولم يكن معه كتاب، وأحسب ذكر ذلك عن أبي الحسين المهلبي.
وحدث أبو سعيد بن يونس قال: قدم أحمد بن عبد الله ابن مسلم بن قتيبة مصر سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وتولى بها القضاء وتوفي بها وهو على القضاء سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد بن عبد الله المعبدي

من ولد معبد بن العباس، بن عبد المطلب بن هاشم، أحد من اشتهر بالنحو وعلم العربية من الكوفيين وجه من وجوه أصحاب ثعلب الكبار، ذكره الزبيدي، وقد تقدم ذكر آخر يقال له أحمد بن سليمان، لا أدري أهو هذا ونسب إلى جد له أعلى يقال له سليمان أم هو غيره؟ قرأت بخط ابن أبي نواس قال أبو عمر بن حيويه، قال لي أبو عمر: مات المعبدي ليلة الأربعاء لثمان بقين من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائتين.

أحمد بن عبد الله بن أحمد الفرغاني

أبو منصور بن أبي محمد عبد الله، بن أحمد بن خزيان بن حامس الفرغاني كان أبوه صاحب محمد بن جرير الطبري، صاحب التفسير والتاريخ، وقد كتبنا خبره فيما بعد في بابه، مات أحمد هذا في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، ومولده لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وكانت وفاته كما أخبرني المصريون بها في سنة اثنتي عشرة وستمائة عند كوني بها.
روى أبو منصور عن أبيه تصانيف أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري، وصنف أبو منصور أيضاً عدة تصانيف، منها كتاب التاريخ، وصل به تاريخ والده، وكتاب سيرة العزيز سلطان مصر، المنتسب إلى العلويين، وكتاب سيرة كافور الإخشيدي،وبمصر كان مقامه.

أحمد بن عبد الله بن بدر القرطبي

النحوي، أبو مروان الحكم المستنصر، روى عن أبي عمر بن أبي الحباب، وأبي بكر بن هذيل، وكان نحوياً لغوياً، شاعراً عروضياً، مات سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، حدث عنه أبو مروان الطبيبي، وذكر خبره ووفاته، قاله ابن بشكوال.

أحمد بن عبد الله بن سليمان

أبو العلاء المعري، هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان، بن داود بن المطهر، بن زياد بن ربيعة، بن الحارث ابن ربيعة، بن أرقم بن أنور، بن أسحم بن النعمان، ويقال له الساطع الجمال، بن عدي بن عبد غطفان، بن عمرو بن يربح، بن خزيمة بن تيم الله، بن أسد بن وبرة ابن تغلب بن حلوان، بن عمران بن الحاف، بن قضاعة، وتيم الله مجتمع تنوخ من أهل محلة النعمان، من بلاد الشام، كان غزير الفضل، شائع الذكر، وافر العلم، غاية الفهم، عالماً باللغة حاذقاً بالنحو، جيد الشعر، جزل الكلام، شهرته تغني عن صفته، وفضله ينطق بسجيته، ولد بمعرة النعمان سنة ثلاث وستين وثلاثمائة واعتل بالجدري، التي ذهب فيها بصره سنة سبع وستين وثلاثمائة، وقال الشعر وهو ابن إحدى عشرة سنة، ورحل إلى بغداد سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة، أقام ببغداد سنة وسبعة أشهر، ثم رجع إلى بلده، فأقام ولزم منزله إلى أن مات، يوم الجمعة الثاني من شهر ربيع الأول، سنة تسع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم، وكان في آبائه وأعمامه، ومن تقدمه من أهله وتأخر عنه، من ولد أبيه ونسله فضل، وقضاة وشعراء، أنا ذاكر منهم من حضرني، لتعرف نسبه في العلم، كما عرفت ما أعطيه من الفهم.

كان سليمان بن أحمد بن سليمان جده، قاضي المعرة، ولي القضاء بحمص، وبها مات سنة تسعين ومائتين، ثم ولي القضاء بعده بها ولده أبو بكر محمد، عم أبي العلاء وفيه يقول الصنوبري الشاعر:

بأبي يا بن سليمان ... سدت تنوخا
وهم السادة شبا ... ناً لعمري وشيوخا
أدرك البغية من أض ... حى بناديك منيخا

وارداً عنك نيلاً ... وفراتاً وبليخا
واجداً منك متى است ... صرخ للمجد صريخا
في زمان غادر اله ... مات في الناس مسوخا
ثم بعده أخوه، أبو محمد عبد الله، والد أبي العلاء ولعبد الله شعر في مرثية والده:
إن كان أصبح من أهواه مطرحاً ... بباب حمص فما حزني بمطرح
لو بان أيسر ما أخفيه من جزع ... لمات أكثر أعدائي من الفرح
وتوفي عبد الله بحمص سنة سبع وسبعين وثلاثمائة ومنهم أبو المجد، محمد بن عبد الله أخو أبي العلاء، وكان أسن من أبي العلاء، وله أيضاً شعر، منه في الزهد:
كرم المهيمن منتهى أملي ... لا نيتي أجر ولا عملي
يا مفضلاً جلت فواضله ... عن بغيتي حتى انقضى أجلي
كم قد أفضت علي من نعم ... كم قد سترت علي من زلل
إن لم يكن لي ما ألوذ به ... يوم الحساب فإن عفوك لي
ومنهم عبد الواحد، أبو الهيثم أخو أبي العلاء القائل في الشمعة:
وذات لون كلوني في تغيره ... وأدمع كدموعي في تحدرها
سهرت ليلي وباتت لي مسهرة ... كأن ناظرها في قلب مسهرها
وله أيضاً:
قالوا تراه سلا لأن جفونه ... ضنت عشية بيننا بدموعها
ومن العجائب أن يفيض مدامع ... نار الغرام تشب في ينبوعها
هؤلاء من حضرني، ممن كان قبل أبي العلاء وفي زمانه، وقد تأخر عن زمانه من أهله من كان عالماً فاضلاً، وأنا ذاكرهم ههنا ليجيئوا على نسق واحد، فمنهم القاضي أبو المجد، محمد بن عبيد الله، وأبو المجد الثاني هو أخو أبي العلاء، وذكره العماد في الخريدة، فقال: ذكر لي ابنه القاضي أبو اليسر الكاتب، أنه كان فاضلاً أديباً، فقيهاً على مذهب الشافعي، أريباً مفتياً خطيباً، أدرك عم أبيه أبا العلاء، وروى عنه مصنفاته وأشعاره، وولي القضاء بالمعرة إلى أن دخلها الفرنج – خذلهم الله – في سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، فانتقل إلى شيزر وأقام بها مدة، ثم انتقل إلى حماة فأقام بها إلى أن مات، في محرم سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة، ومولده سنة أربعين وأربعمائة وله ديوان ورسائل، ومن شعره:
رأيتك في نومي كأنك معرض ... ملالاً فداويت الملالة بالترك
وأصبحت أبغي شاهداً فعدمته ... فعدت فغلبت اليقين على الشك
وعهدي بصحف الود تنشر بيننا ... فإن طويت فاجعل ختامك بالمسك
لئن كانت الأيام أبلى جديدها ... جديدي وردت من رحيب إلى ضنك
فما أنا إلا السيف أخلق جفنه ... وليس بمأمون الفرند على الفتك
قال: وأنشدني بعض أهل المعرة:

جس الطبيب يدي جهلاً فقلت له ... إليك عني فإن اليوم بحراني
فقال لي ما الذي تشكو؟ فقلت له ... إني هويت بجهلي بعض نجيراني
فقام يعجب من قولي وقال لهم ... إنسان سوء فداووه بإنسان
قال: وأنشدني مؤيد الدولة، أسامة بن منقذ قال: أنشدني القاضي أبو المجد المعري لنفسه:
وقائلة رأت شيباً علاني ... عهدتك في قميص صباً بديع
فقلت فهل ترين سوى هشيم ... إذا جاوزت أيام الربيع
قال الأمير أسامة: ولما فارق أهله بالمعرة وبقي منفرداً، وكان له غلام اسمه شعيا قال:
زمان غاض أهل الفضل فيه ... فسقياً للحمام به ورعيا
أسارى بين أتراك وروم ... وفقد أحبة وفراق شعيا
قال: وقد سبقه إلى هذا المعنى الوزير المغربي، فإنه لما تغيرت عليه الوزارة وتغرب، كان معه غلام اسمه داهر فقال:
كفى حزناً أني مقيم ببلدة ... يعللني بعد الأحبة داهر

يحدثني مما يجمع عقله ... أحاديث منها مستقيم وجائر
قال الأمير أسامة: لما بليت بفرقة الأهل، كتبت إلى أخي، أستطرد بغلامي أبي المجد، والوزير المغربي، اللذين ذكراهما في شعريهما:
أصبحت بعدك يا شقيق النفس في ... بحر من الهم المبرح زاخر
متفرداً بالهم من لي ساعة ... برفاق شعيا أو علالة داهر
الحديث شجون، يذكر الشيء بما يتصل به، وأشعار أبي المجد المعري كثيرة، منها:
قد أوسع الله البلاد وللفتى ... إلى بعضها عن بعضها مترحرح
فخل الهوينا إنها شر مركب ... ودونك صعب الأمر فالصعب أنجح
فإن نلت ما تهوى فذاك وإن تمت ... فللموت خير للكريم وأروح
ومنهم أبو اليسر، شاكر بن عبد الله، بن محمد، بن أبي المجد، بن عبد الله، بن محمد، بن سليمان، قال العماد: كان كاتب الإنشاء لنور الدين محمود بن زنكي قبلي، فلما استعفى وقعد في بيته، توليت الإنشاء بعده، ومولده بشيزر في جمادى الآخرة، سنة ست وتسعين وأربعمائة، وكان قد تولى ديوان الإنشاء سنين كثيرة، قال: وأنشدني لنفسه:
وردت بجهلي مورد الصب فارتوت ... عروقي من محض الهوى وعظامي
ولم تك إلا نظرة بعد نظرة ... على غرة منها ووضع لثام
فحلت بقلبي من تثنيه لوعة ... تفرت بها حتى الممات عظامي
وله أيضاً:
سارقته نظرة أطال بها ... عذاب قلبي وما له ذنب

يا جور حكم الهوى ويا عجبا ... تسرق عيني ويقطع القلب

وله:

يا له عارضاً إذا دب في الخد ... دبيباً من تحت عقرب صدغ

قعد القلب منهما في بلاء ... وعذاب ما بين قرص ولدغ

وله:

غريت بهم نوب الليالي فاغتدوا ... ما يستقر لهم بأرض دار

حتى كأنهم طريف بضائع ... وكأن أحداث الزمان تجار

وله أيضاً:

تعمم رأسي بالمشيب فساءني ... وما سرني تفتيح نور بياضه

وقد أبصرت عيني خطوباً كثيرة ... فلم أر خطباً أسوداً كبياضه

ومنهم القاضي أبو مسلم، وادع بن عبد الله، بن محمد، ابن عبد الله، بن سليمان، كان أبو العلاء عم أبيه، تولى القضاء بمعرة النعمان وكفر طاب وحماة، وكان مشهوراً بالكرم، ومولده سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، وله رسائل حسنة، وشعر بديع منه:

وقائلة ما بال جفنك أرمدا ... فقلت وفي الأحشاء من قولها لدغ

لئن سرقت عيناه من لون خده ... فغير بديع ربما نقض الصبغ

ومن شعره أيضاً:

ولما تلاقينا وهذا بناره ... حريق وهذا بالدموع غريق

تقلدت الدر الذي فاض جفنها ... فرصعه من مقلتي عقيق

ومنهم أبو عدي النعمان بن مسلم، وادع من أهل العلم والفضل، وهو القائل:

يأيها الملاك لا تبرحوا الأم ... لاك وارجوها إلى قابل

فالعام قد صحت ولكنها ... للعدل والمشرف والعامل

ومات أبو عدي بعد سنة خمسين وخمسمائة. ومنهم أبو مرشد سليمان بن علي، بن محمد بن عبد الله، بن سليمان، ولي القضاء بمعرة النعمان، وانتقل إلى شيزر بعد أخذ الفرنج المعرة، وتوفي بها، وله رسائل وشعر، منه قصيدة التزم في كل كلمة منها حرف النون، أولها:

نزه لسانك عن نفاق منافق ... وانصح فإن الدين نصح المؤمن

وتجنب المن المنكد للندى ... وأعن بنيلك من أعانك وامنن

ومنهم أبو سهل، عبد الرحمن بن مدرك، بن علي بن محمد بن سليمان، مولده ومنشؤه بشيزر وحماة، وتوفي في الزلزلة التي كانت بحماة سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة وكان شاعراً مطبوع الشعر، ومنه:

جرحت بلحظي خد الحبي ... ب فما طالب المقلة الفاعلهْ

ولكن اقتص من مهجتي ... كذك الديات على العاقلهْ

ومن شعره أيضاً:

ولما سألت القلب صبراً عن الهوى ... وطالبته بالصدق وهو يروغ
تيقنت منه أنه غير صابر ... وأن سلوا عنه ليس يسوغ

فإن قال لا أسلوه قلت صدقتني ... وإن قال أسلو عنه قلت دروغ

هذه كلمة أعجمية معناها كذب، ومنهم أخوه أبو المعالي صاعد بن مدرك، بن علي، بن محمد، بن عبد الله، ابن سليمان، مولده ومنشؤه شيزر وحماة، ومات بمعرة النعمان، ومن شعره:

أيأيها الوادي المبيني هل لنا ... تلاق فنشكو فيه صنع التفرق
أبثك ما بي من غرام ولوعة ... وفرط جوى يضني وطول تشوق
عسى أن ترقى حين ملكت رقه ... وترثي له مما بهجرك قد لقي
بوصل يروي غلة الوجد والأسى ... ويطفي به حر الجوى والتحرق

وغير هؤلاء حذفت أسماءهم اختصاراً، وإنما قصدت الإخبار عن إعراق أبي العلاء في بيت العلم.

ونقلت من بعض الكتب، أن أبا العلاء لما ورد إلى بغداد، قصد أبا الحسن علي بن عيسى الربعي، ليقرأ عليه، فلما دخل إليه، قال علي بن عيسى: ليصعد الإسطبل، فخرج مغضباً ولم يعد إليه، والإسطبل في لغة أهل الشام الأعمى، ولعلها معربة.

ودخل على المرتضى أبي القاسم، فعثر برجل، فقال من هذا الكلب؟ فقال المعري: الكلب من لا يعرف للكلب سعين اسماً، وسمعه المرتضى فاستدناه، واختبره فوجده عالماً مشبعاً بالفطنة والذكاء، فأقبل عليه إقبالاً كثيراً.

وكان أبو العلاء يتعصب للمتنبئ، ويزعم أنه أشعر المحدثين، ويفضله على بشار ومن بعده، مثل أبي نواس، وأبي تمام، وكان المرتضى يبغض المتنبئ، ويتعصب عليه، فجرى يوماً بحضرته ذكر المتنبئ، فتنقصه المرتضى، وجعل يتبع عيوبه، فقال المعري: لو لم يكن للمتنبئ من الشعر إلا قوله:

لك يا منازل في القلوب منازل

لكفاه فضلاً، فغضب المرتضى وأمر فسحب برجله، وأخرج من مجلسه، وقال لمن بحضرته: أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذكر هذه القصيدة؟ فإن للمتنبئ ما هو أجود منها لم يذكرها، فقيل: النقيب السيد أعرف، فقال أراد قوله في هذه القصيدة:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص ... فهي الشهادة لي بأني كامل

ولما رجع إلى المعرة لزم بيته: فلم يخرج منه، وسمى نفسه رهين المحبسين، يعني حبس نفسه في المنزل، وترك الخروج منه. وحبسه عن النظر إلى الدنيا بالعمى: وكان متهماً في دينه، يرى رأي البراهمة، لا يرى إفساد الصورة، ولا يأكل لحماً، ولا يؤمن بالرسل، والبعث والنشور، وعاش شيئاً وثمانين سنة، لم يأكل اللحم منها خمساً وأربعين سنة، وحدثت أنه مرض مرة، فوصف الطبيب له الفروج، فلما جئ به لمسه بيده وقال: استضعفوك فوصفوك، هلا وصفوا شبل الأسد: وقد أوردنا من شعره ما يستدل به على سوء معتقده، ويخبرك بنحلته ومستنده.

وحدث غرس النعمة أبو الحسن الصابئ، أنه بقي خمساً وأربعين سنة لا يأكل اللحم ولا البيض، ويحرم إيلام الحيوان، ويقتصر على ما تنبت الأرض، ويلبس حشن الثياب، ويظهر دوام الصوم، قال: ولقيه رجل فقال له: لم لا تأكل اللحم؟ قال: أرحم الحيوان، قال: فما تقول في السباع التي لا طعام لها إلا لحوم الحيوان؟ فإن كان لذلك خالق فما أنت بأرأف منه، وإن كانت الطبائع المحدثة لذلك فما أنت بأحذق منها ولا أتقن عملاً، فسكت، قال ابن الجوزي: وقد كان يمكنه أن لا يذبح رحمة، وأما ما قد ذبحه غيره فأي رحمة بقيت؟ قال: وقد حدثنا عن أبي زكريا أنه قال: قال لي المعري: ما الذي تعتقد؟ فقلت في نفسي: اليوم أقف على اعتقاده، فقلت له: ما أنا إلا شاك، فقال: وهكذا شيخك. قال القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني: قال لي المعري: لم أهج أحداً قط، فقلت له: صدقت. إلا الأنبياء عليهم السلام، فغير وجهه.

وحدث أبو زكرياء قال: لما مات أبو العلاء أنشد على قبره أربعة وثمانون شاعراً مراثي، من جملتها أبيات لعلي بن الهمام من قصيدة طويلة:

إن كنت لم ترق الدماء زهادة ... فلقد أرقت اليوم من جفني دما

سيرت ذكراً في البلاد كأنه ... مسك مسامعها يضمخ أو فما

وترى الحجيج إذا أرادوا ليلة ... ذكراك أوجدب فدية من أحرما

كأنه يقول: إن ذكراك طيب، والطيب لا يحل للمحرم، فيجب عليه فدية، ومن شعره في الزهد:

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمنا صرف الزمان كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ومن شعره في الزهد:

فلا تشرف بدنيا عنك معرضة ... فما التشرف بالدنيا هو الشرف

واصرف فؤادك عنها مثلما انصرفت ... فكلنا عن مغانيها سينصرف

يا أم دفر لحاك الله والدة ... فيك الخناء وفيك البؤس والسرف

لو أنك العرس أوقعت الطلاق بها ... لكنك الأم ما لي عنك منصرف

وحدث أبو الكرم، خميس بن علي الجوزي النحوي، حدثنا القاضي أبو يوسف القزويني قال: قال لي ملحد المعرة: ما سمعت في أمر الحسين بن علي رضي الله عنهما شيئاً يجب أن يحفظ، فقلت له: قد قال سوادي من أهل بلادنا أبياتاً، لا يقول مثلها تنوخ جدك الأكبر،

رأس ابن بنت محمد ووصيه ... للمسلمين على قناة يرفع

والمسلمون لمنظر ولمشهد ... لا جازع فيهم ولا متفجع

كحلت بمنظرك العيون عماية ... وأصم رزؤك كل أذن تسمع

أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى ... وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع

ما روضة إلا تمنت أنها ... لك تربة ولحظ قبرك مضجع

قال ولم يسم لنا قائلاً: وقال أبو منصور الثعالبي في يتيمة الدهر: وكان حدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي

الشاعر، وهو من لقيته قديماً وحديثاً في مدة ثلاثين سنة، قال: لقيت بمعرة النعمان عجباً من العجب، رأيت شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والنرد ويدخل في كل فن من الجد والهزل، يكنى أبا العلاء، وسمعته يقول: أنا أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر، قال: وحضرته يوماً وهو يملي في جواب كتاب ورد عليه من بعض الرؤساء:

وافى الكتاب فأوجب الشكرا ... فضممته ولثمته عشرا

وفضضته وقرأته فإذا ... أجلى كتاب في الورى يقرا

فمحاه دمعي من تحدره ... شوقاً إليك فلم يدع سطرا

قال وأنشدني لنفسه:

لست أدري ولا المنجم يدري ... ما يريد القضاء بالإنسان

غير أني أقول قول محق ... قد يرى الغيب فيه مثل العيان

إن من كان محسناً فابكينه ... لجميل عواقب الإحسان

حدث أبو سعد السمعاني في كتاب النسب، وقد ذكر المعري فقال بعد وصفه: وذكر تلميذه أبو زكريا التبريزي، أنه كان قاعداً في مسجده بمعرة النعمان، بين يدي أبي العلاء يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه، قال: وكنت قد أقمت عنده سنين، ولم أر أحداً من أهل بلدي، فدخل المسجد مغافصة بعض جيراننا للصلاة، فرأيته وعرفته، فتغيرت من الفرح، فقال لي أبو العلاء: إيش أصابك؟ فحكيت له أني رأيت جاراً لي، بعد أن لم ألق أحداً من أهل بلدي سنتين، فقال لي: قم وكلمه. فقلتع: حتى أتمم السياق. فقال: قم أنا أنتظر لك، فقمت وكلمته بلسان الأذربية شيئاً كثيراً، إلى أن سألت عن كل ما أردت، فلما رجعت وقعدت بين يديه قال لي: أي لسان هذا؟ قلت هذا لسان أهل أذربيجان، فقال لي: ما عرفت اللسان ولا فهمته، غير أني حفظت ما قلتما، ثم أعاد علي اللفظ بعينه، من غير أن ينقص عنه أو يزيد عليه في جميع ما قلت، وقال جاري: فتعجبت غاية التعجب، كيف حفظ ما لم يفهمه.

قال المؤلف: وهذا غاية ليس بعدها شيء في حسن الحفظ، وقال المؤلف: وأنا كثير الاستحسان لقول أبي العلاء:

أسالت أتي الدمع فوق أسيل ... ومالت لظل بالعراق ظليل

أيا جارة البيت الممنع أهله ... غدوت ومن لي عندكم بمقيل؟

لغيري زكاة من جمال وإن تكن ... زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

وأرسلت طيفاً خان لما بعثته ... فلا تثقي من بعده برسول

خيالاً أرانا نفسه متجنياً ... وقد زار من صافي الوداد وصول

نسيت مكان العقد من دهش النوى ... فعلقته من وجنة بمسيل

وكنت لأجل السن شمس غدية ... ولكنها للبين شمس أصيل

أسرت أخانا بالخداع وإنه ... يعد إذا اشتد الوغى بقبيل

فإن تطلقيه تملكي شكر قومه ... وإن تقتليه تؤخذي بقتيل
فإن عاش لاقى ذلة واختياره ... وفاة عزيز لا حياة ذليل

وكيف يجر الجيش يطلب غارة ... أسير لجرور الذيول كحيل
ومن شعره لزوم ما لا يلزم:
يا محلى عليك مني سلام ... سوف أمضي وينجز الموعود
فلجسمي إلى التراب هبوط ... ولورحي إلى الهواء صعود
وعلى حالها تدوم الليالي ... فنحوس لمعشر وسعود
أترجون أن أعود إليكم؟ ... لا ترجوا فإنني لا أعود
قرأت بخط أبي سعد، أنشدنا الوكيل بأصبهان، أنشدنا عبيد الله القشيري، أنشدنا أبو الوليد الدربندي، قال: أنشدني أبو العلاء التنوخي في داره، عند وداعي إياه.
كم بلدة فارقتها ومعاشر ... يذرون من أسف علي دموعا
وإذا أضاعتني الخطوب فلن أرى ... لعهود إخوان الصفاء مضيعا
خاللت توديع الأصادق للنوى ... فمتى أودع خلي التوديعا؟
قال أبو الهبارية: أنشدني أبو زكريا الخطيب التبريزي قال: أنشدني أبو العلاء، أحمد بن عبد الله، بن سليمان المعري لنفسه:
أرى جيل التصوف شر جيل ... فقل لهم وأهون بالحلول
أقال الله حين عبدتموه ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لي
ومن شعر أبي العلاء في الغزل:
يا ظبية علقتني في تصيدها ... أشراكها وهي لم تعلق بأشراكي
أعييت قلبي وما راعيت حرمته ... فلم رعيت ولا راعيت مرعاك
أتحرقين فؤاداً قد حللت به ... بنار حبك عمداً وهو واراك
أسكنته حين لم يسكن به سكن ... وليس يحسن أن يسخى بسكناك
ما بال داعي غرامي حين يأمرني ... بأن أكابد حر الوجد ينهاك
ولم غدا القلب ذا يأس وذا طمع ... يرجوك أن ترحميه ثم يخشاك
ومن خط ابن العصار، قال أبو العلاء في رجل اسمه أبو القاسم:
هذا أبو القاسم أعجوبة ... لكل من يدري ولا يدري
لا ينظم الشعر ولا يحفظ ال ... قرآن وهو الشاعر المقري
قرأت بخط أبي سعيد قال: سمعت المبارك بن أحمد ابن الأخوث مذاكرة، خرج رجل على سبيل: الفرجة فقعد على الجسر، فأقبلت امرأة من جانب الرصافة، متوجهة إلى الجانب الغربي، فاستقبلها شاب فقال لها: رحم الله علي بن الجهم فقالت المرأة في الحال: رحم الله أبا العلاء المعري، ولم يقفا، ومرا مشرقاً ومغربة،

فتتبعت المرأة وقلت لها: أخبريني – عافاك الله – عما قال لك، وعما أجبته؟ فقالت: نعم، رحم الله علي بن الجهم أراد قوله:

عيون المها بين الرصافة والجسر ... جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بترحمي على أبي العلاء قوله:

فيا دارها بالحزن إن مزارها ... قريب ولكن دون ذلك أهوال

قال أبو زكريا، يحيى بن علي، الخطيب التبريزي: أنشدني أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري لنفسه:

منك الصدود ومني بالصدود رضى ... من ذا علي بهذا في هواك قضى

لي منك ما لو غدا بالشمس ما طلعت ... من الكآبة أو بالبرق ما ومضا

جربت دهري وأهليه فما تركت ... لي التجاريب في ود امرئ غرضا

إذا الفتى ذم عيشاً في شبيبته ... ماذقا يقول إذا عصر الشباب مضى؟

وقد تعوضت عن كل بمشبهه ... فما وجدت لأيام الصبا عوضا

وله أيضاً:

غدوت مريض العقل والدين فالقني ... لتعلم أنباء الأمور الصحائح

الأبيات: قرأت بخط عبد الله بن محمد، بن سعيد بن سنان، الخفاجي الشاعر في كتاب له ألفه في الصرفة، زعم فيه: أن القرآن لم يخرق العادة بالفصاحة، حتى صار معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأن كل فصيح بليغ قادر على الإتيان بمثله، إلا أنهم صرفوا عن ذلك، لا أن يكون القرآن في نفسه معجز الفصاحة، وهو مذهب لجماعة من المتكلمين والرافضة، منهم بشر المريسي، والمرتضى أبو القاسم، قال في تضاعيفه: وقد حمل جماعة من الأدباء قول أصحاب هذا الرأي، على أنه لا يمكن أحد من المعارضة بعد زمان التحدي، على أن ينظموا على أسلوب القرآن، وأظهر ذلك قوم، وأخفاه آخرون.

ومما ظهر منه قول أبي العلاء في بعض كلامه: أقسم بخالق الخيل، والريح الهابة بليل، ما بين الأشراط ومطالع سهيل، إن الكافر لطيول الويل، وإن العمر لمكفوف الذيل، اتق مدارج السيل، وطالع التوبة من قبيل، تنج وما إخالك بناجٍ.

وقوله: أذلت العائذة أباها، وأصاب الوحدة ورباها، والله بكرمه اجتباها، أولاها الشرف بما حباها، أرسل الشمال وصباها، " ولا يخاف عقباها " .

وقال:

ما جار شماسك في كلمة ... ولا يهوديك بالطامع

والطيلسان اشتق في لفظه ... من طلسة المبتكر الخامع

والقس خير لك فيما أرى ... من خاطب يخطب في جامع

وله أيضاً:

قالوا: فلان جيد فأجبتهم ... لا تكذبوا ما في البرية جيد
فغنيهم نال الغناء ببخله ... وقهيرهم بصلاته يتصيد
والناس في أبي العلاء مختلفون، فمنهم من يقول: إنه كان زنديقاً، وينسبون إليه أشياء مما ذكرناها، ومنهم من يقول: كان زاهداً عابداً متقللاً، يأخذ نفسه بالرياضة والخشونة، والقناعة باليسير، والإعراض عن أعراض الدنيا.
قال كمال الدين أبو القاسم، عمر بن أبي جرداة: قرأت بخط أبي اليسر شاكر بن عبد الله، بن سليمان المعري، أن المنتصر صاحب مصر، بذل لأبي العلاء ما بيت المال بالمعرة من الحلال، فلم يقبل منه شيئاً، فقال:
كأنما لي غاية من غنى ... فعد عن معدن أسوان
سرت برغمي عن زمان الصبي ... يعجلني وقتي وأكواني
صد أبي الطيب لما غدا ... منصرفاً عن شعب بوان
وقال أيضاً:
لا أطلب الأرزاق وال ... مولى يفيض علي رزقي
إن أعط بعض القوت أع ... لم أن ذلك ضعف حقي
قال: وقرأت بخط أبي المعري في ذكره، وكان – رضي الله عنه – ، يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل، وتعمل تلامذته وغيرهم على لسانه الأشعار، يضمنونها أقاويل الملحدة قصداً لهلاكه، وإيثاراً لإتلاف نفسه، فقال – رضي الله عنه – :
حاول إهواني قوم فما ... واجهتهم إلا بإهوان
يخرشوني بسعاياتهم ... فغيروا نية إخواني
لو استطاعوا لوشوا بي إلى ال ... مريخ في الشهب وكيوان
وقال أيضاً:
غريت بذمي أمة ... وبحمد خالقها غريت
وعبدت ربي ما استطع ... ت ومن بريته بريت
وفرتني الجهال حا ... سدة علي وما فريت
سعروا علي فلم أح ... س وعندهم أني هريت
فهرست كتبه على ما نقلته من خط أحد مستملي أبي العلاء، قال: الذي أملاه أبو العلاء، أحمد بن عبد الله، بن سليمان التنوخي – تجاوز الله عنه – من الكتب على ضروب: منها ما هو في الزهد، وقرأت في نسخة أخرى: فهرست كتبه ما صورته، قال الشيخ أبو العلاء – رضي الله عنه – : لزمت مسكني منذ سنة أربعمائة، واجتهدت على أن أتوفر على تسبيح الله وتحميده، إلى أن أضطر إلى غير ذلك، فأمليت أشياء، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن، علي بن عبد الله ابن أبي هاشم – أحسن الله معونته – فألزمني بذلك حقوقاً جمة، وأيادي بيضاء، لأنه أفنى في زمنه، ولم يأخذ عما صنع ثمنه، والله يحسن له الجزاء، ويكفيه

حوادي الزمن والأرزاء، وهي على ضروب مختلفة، فمنها ما هو في الزهد والعظات، وتمجيد الله سبحانه وتعالى من المنظوم والمنثور، فمن ذلك، الكتاب المعروف بالفصول والغايات، والمرادب الغايات القوافي، لأن القافية غاية البيت، أي منتهاه، وهو كتاب موضوع على حروف المعجم، ما خلا الألف، لأن فواصله مبينة على أن يكون ما قبل الحرف المعتمد فيها ألفاً، ومن المحال أن يجمع بين ألفين، ولكن تجئ الهمزة وقبلها ألف، مثل العطاء والكساء، وكذلك الشراب والسراب في الباء، ثم على هذا الترتيب، ولم يعتمد فيه أن تكون الحروف التي يبنى عليها مستوية الإعراب، بل تجئ مختلفة.

وفي الكتاب قواف تجئ على نسق واحد، وليست المطلقة بالغايات، ومجيئها على حرف واحد، مثل أن يقال: عمامها، وغلامها، وغمامها، وأمرا، وتمرا، وما أشبه، وفيه فنون كثيرة من هذا النوع.

وقيل إنه بدأ بهذا الكتاب قبل رحلته إلى بغداد، وأتمه بعد عوده إلى معرة النعمان، وهو سبعة أجزاء، وفي نسخة، مقداره مائة كراسة، وكتاب الشاذن، أنشأه في ذكر غريب هذا الكتاب، وما فيه من اللغز، مقداره عشرون كراسة، وكتاب إقليد الغايات، لطيف مقصور على تفسير اللغز، مقداره عشر كراريس، الكتاب المعروف بالأيك والغصون، وهو كتاب الهمزة والردف بخطه، يبنى على إحدى عشرة حالة، الهمزة في حال إفرادها وإضافتها، ومثال ذلك السماء بالرفع: السماءَ، بالنصب: السماء، بالخفض: سماء يتبع الهمة التنوين: سماؤه، مرفوع مضاف، سماءه منصوب مضاف: سمائه مخفوض مضاف، ثم يجئ سماؤها، وسماءها، وسمائها، على التأنيث، ثم همزة بعدها هاء ساكنة، مثل عباءه وملاءه، فإذا ضربت في حروف المعجم الثمانية والعشرين، خرج من ذلك ثلاثمائة فصل وثمانية فصول، وهي ستتوفاة في كتاب الهمزة والردف، وذكرت فيه الأرداف الأربعة بعد ذكر الألف، وهي الواو المضموم ما قبلها، والواو التي قبلها فتحة، ويذكر لكل جنس من هذه أحد عشر وجهاً، كما ذكر للألف، ومن غير خطه وهو في العظات وذم الدنيا، وهو إثنان وتسعون جزءاً، نسخة أخرى، ويكون مقدار هذا الكتاب ألفاً ومائتي كراسة، ومن خطه الكتاب المعروف بتضمين الآي، وهو كتاب مختلف الفصول، فمنه طائفة على حروف المعجم، وقبل الحرف المعتمد ألف، مثل أن يقال في الهمزة: بناء ونساء، وفي الباء ثياب وعباب، ثم على هذا إلى آخر الحروف، ومنه فصول كثيرة على فاعلين، مثل باسطين وقاسطين، وعلى فاعلون، مثل حامدون وعابدون، وفيه ما هو على غير هذا الفن، والغرض أن يأتي بعد انقضاء الكلام آية من الكتاب العزيز، مثل قوله " إياك نعبد وإياك نستعين " ، وربما اقتصر على بعض الآية، أو جئ بآيتين أو أكثر منهما، إذا كانت الآيات من ذوات القصر، كآيات " عبس " ونحوها، ومقدار هذا الكتاب أربعمائة كراسة.

وكان السبب في تأليف هذا الكتاب، أن بعض الأمراء سأله أن يؤلف كتاباً برسمه، ولم يؤثر أن يؤلف شيئاً في غير العظات، والحث على تقوى الله، فأملى هذا الكتاب. كتاب تفسير الهمزة والردف، جزء، كتاب سيف الخطبة جزءان، يشتمل على خطب السنة، فيه خطب للجمع والعيدين، والخسوف والكسوف، والاستسقاء، وعقد النكاح، وهي مؤلفة على حروف من حروف المعجم، فيها خطب عمادها الهمزة، وخطب بنيت على الباء، وخطب على الدال، وعلى الراء، وعلى اللام، وعلى الميم، وعلى النون، وتركت

الجيم والحاء وما يجري مجراهما، لأن الكلام المقول في الجماعات، ينبغي أن يكون سجسجاً سهلاً، ومقداره أربعون كراسة، وكان سأله في الكتاب رجل من المتظاهرين بالديانة، فصنف له كتاب نشر شواهد الجمهرة ولم يتم ثلاثة أجزاء. كتاب دعاء وحرز الخيل، كتاب مجد الأنصار في القوافي، كتاب تاج الحرة في عظات النساء خاصة، وتختلف فصوله، فمنها ما يجئ بعد حرفه الذي بني الروي عليه ياء للتأنيث، كقوله: " شائي " وتشائي وتسائي، وهابي، وترائي. ومنه ما هو مبني على الكاف، نحو غلامك وكلامك. ومنها ما يجيء على تفعلين، مثل ترغبين وتذهبين، وأنواعه كثيرة، فيكون هذا الكتاب نحو أربعمائة كراسة. كتاب يعرف بدعاء ساعة، وكتاب آخر يعرف بوقفة الواعظ، وكتاب يعرف بسجع الحمائم، يتكلم فيه على ألسن حمائم أربع، وكان بعض الرساء سأله أن يصنف له تصنيفاً يذكره فيه، فأنشأ له هذا الكتاب، وجعل ما يقوله على لسان الحمامة في العظة، والحث على الزهد. قال غيره: هو أربعة أجزاء، مقداره ثلاثون كراسة. كتاب يعرف بلزوم ما لا يلزم، وهو في المنظوم، بني على حروف المعجم، يذكر كل حرف سوى الألف بوجوهه الأربعة، وهي: الضمة والفتحة والكسرة والوقف، ومعنى لزوم ما لا يلزم، أن القافية يردد فيها حرف لو غير لم يكن مخلاً بالنظم، كما قال كثير:

خليلي هذا ربع عزة فاعقلا ... قلوصيكما ثم انزلا حيث حلت

فلزم اللام قبل اتاء، وذلك لا يلزمه، ولم يفعل كما فعل الشنفري في قصيدته التي على التاء، لأنه لم يلزم فيها إلا حرفاً واحداً، ولكنه خالف بين الحروف التي قبل الروي، فقال:

أرى أم عمرو أزمعت فاستقلت ... وما ودعت جيرانها يوم ولت

وقال فيها:

بريحانة من نبت حلية نورت ... لها أرج ما حولها غير مسنت

وقال فيها:

لها وفضة فيها ثلاثون سيحفاً ... إذا أنست أولى العداة اقشعرت

ومن غير خطه ما هو ثلاثة أجزاء، أو أربعمائة وعشرون كراسة، يحتوي على أحد عشر ألف بيت من الشعر. كتاب زجر النابح، يتعلق بلزوم ما لا يلزم، وذلك أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزوم ما لا يلزم، يريد بها التشرر والأذية، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه أن ينشئ هذا، فأنشأ هذا الكتاب وهو كاره، ومن غير خطه ما هو شرح اللزوم، وهو جزء واحد، مقداره أربعون كراسة، كتاب يتعلق بزجر النابح، سماه بحر الزجر، كتاب ملقى السبيل، صغير، فيه نظم ونثر، كتاب الجلي والحلي، سأله فيه صديق له من أهل حلب، يعرف بابن الحلي، مجلد واحد وعشرون كراسة، ومن غير هذا الجنس كتاب لطيف، فيه شعر قيل في الدهر الأول: يعرف بكتاب سقط الزند، وأبياته ثلاثة آلاف بيت، كتاب يعرف بجامع الأوزان، فيه شعر منظوم على معنى اللغز، يعم به الأوزان الخمسة عشر، التي ذكرها الخليل بجميع ضروبها، ويذكر قوافي كل ضرب من ذلك، مثاله أن يقال للضرب الأول من الطويل أربع قواف، المطلقة المجردة، ثم قول القائل:

ألا يا اسلمي يا هند هند بني بدر ... وإن كان حيانا عداً آخر الدهر

والقافية المردفة، مثل قول امرئ القيس:

ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي

والمقيدة المجردة، وذلك مفقود في الشعر القديم والمحدث، وربما جاء به المحدثون على النحو الذي يسمى مقصوراً، كما قال بعض الناس وهو في السجن: هو صالح ابن عبد القدوس:

إلى الله أشكو إنه موضع الشكوى ... وفي يده كشف المصيبة والبلوى

خرجدنا من الدنيا ونحن من أهلها ... فما نحن بالأحياء فيها ولا الموتى

إذا ما أتانا مخبر عن حديثها ... فرحنا وقلنا جاء هذا من الدنيا

وتعجبنا الرؤيا فجل حديثنا ... إذا نحن أصبحنا الحديث عن الرؤيا

فإن حسنت لم تأت عجلى وأبطلت ... وإن قبحت لم تحتبس وأتت عجلى

والقافية المقيدة المؤسسة، مثل أن يكون العادل والقائل، وذلك مرفوض متروك، ثم على هذا النحو إلى آخر الكتاب، ومقداره ستون كراسة، ويكون عدد أبيات شعره نحو تسعة آلاف بيت، وهو ثلاثة أجزاء.

كتاب يعرف بالسجع السلطاني، يشتمل على مخاطبات للجنود والوزراء، وغيرهم من الولاة.

وكان بعض من خدم السلطان وارتفعت طبقته، لا قدم له في الكتابة، فسأل أن ينشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره، وهو لا يشعر بما يريد، لقلة خبرته بالأدب، فألف هذا الكتاب، وهو أربعة أجزاء، وكتاب يعرف بسجع الفقيه، جزء، ثلاثون كراسة، وكتاب لطيف يعرف بسجع المضطرين، عمله لرجل مسافر يستعين به على أمور دنياه، وكتاب مختصر يعرف بذكرى حبيب، في غريب شعر أبي تمام، سأل فيه صديق لأبي العلاء من الكتاب، وهو أربعة أجزاء ستون كراسة، وهذه الكتب المسئسول في تأليها، إنما تكلفها مؤلفها من فرط الحياء، وهو لتأليفها كاره، وكتاب عبث الوليد، فيما يتصل بشعر البحتري، وكان سبب إنشائه: أن بعض الرساء أنفذ نسخة ليقابل له بها، فأثبت ما جرى من الغلط، ليعرض ذلك عليه، وهو جزء واحد وعشرون كراسة، وكتاب يعرف بالرياش المصطنعي في شرح مواضع من الحماسة الرياشية، عمل لرجل يلقب بمصطنع الدولة، ويخاطب بالإمرة، واسمه كليب بن علي، ويكنى أبا غالب، أنفذ نسخة من الحماسة الرياشية، وسأل أن يخرج على حواشيها شيئاً لم يذكره أبو رياش، مما يحتاج إلى تفسيره، فخشي أن تضيق الحواشي عن ذلك، فصنع هذا الكتاب، وجمع فيه ما سنح مما لم يفسره أبو رياش، أربعون كراسة، وكتاب يعرف بشرف السيف، عمل للرجل الذي كان مقيماً بدمشق، وهو المعروف بنشتكين الدزبري.

وكان السبب في عمله: أنه كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام، ويخفي المسألة عنه، فأراد جزاءه على ما فعل، – جزءان – وكتاب يعرف بتعليق الجليس، مما يتصل بكتاب أبي القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، المعروف بالجمل – جزء – وكتاب إسعاف الصديق، ثلاثة أجزاء، يتعلق بالجمل أيضاً، وكتاب قاضي الحق، يتصل بالكتاب المعروف بالكافي، الذي ألفه أبو جعفر النحاس، وكتاب الحقير النافع، مختصر في النحو، خمس كراريس، وكتاب يتصل به يعرف بالطل الطاهري، أنشئ لرجل يعرف بأبي طاهر حلبي، وكتاب المختصر الفتحي، يتصل بكتاب محمد بن سعدان، صنعه لرجل يكنى أبا الفتح، محمد بن علي بن أبي هاشم،

وكان أبو هذا الرجل، تولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع هذه الكتب، فألزمه بذلك حقوقاً جمة، وأيادي كثيرة، وكتاب في الرسائل الطوال، فيها رسالة الغفران، كتاب سميته خطب الخيل، يتكلم على ألسنتها، ومقداره عشر كراريس، كتاب يعرف بخطبة الفصيح، يتكلم فيه على أبواب الفصيح، مقداره خمس عشرة كراسة، وكتاب شرح فيه ما جاء في الذي قبله من الغريب، يعرف بتفسير خطبة الفصيح، وكتاب رسل الراموز، نحو ثلاثين كراسة، وكتاب راحة اللزوم، ويشرح فيه ما في كتاب لزوم ما لا يلزم من الغريب، نحو مائة كراسة، وكتاب لطيف يعرف بخماسية الراح، في ذم الخمر، ومعنى هذا الوسم، أنه بني على حروف المعجم، فذكر لكل حرف تمكن حركته خمس سجعات مضمومات، وخمساً مفتوحات، وخمساً مكسورات، وخمساً موقوفات، يكون مقداره عشر كراريس، وكتاب المواعظ الست، وهو لطيف، ومعنى هذا التلقيب، أن الفصل الأول منه في خطاب رجل، والثاني في خطاب اثنين، والثالث في خطاب جماعة، والرابع في خطاب امرأة، والخامس في خطاب امرأتين، والسادس في خطاب نسوة، نحو خمس عشرة كراسة، كتاب ضوء السقط، تفسير غريب سقط الزند، مقادره عشرون كراسة، وكتاب الصاهل والشاحج يتكلم فيه على لسان فرس وبغل، مقداره أربعون كراسة، صنفه لأبي شجاع فاتك، الملقب بعزيز الدولة، والي حلب من قبل المصريين، وكان رومياً، وكتاب منار القائف، في تفسير الكتاب الذي قبله فيما جاء فيه من اللغز والغريب، عشر كراريس، كتاب دعاء الأيام السبعة، وكتاب رسالة على لسان ملك الموت عليه السلام، وكتاب بعض فضائل أمير المؤمنين، علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وكتاب أدب العصفورين، وكتاب السجعات العشر، موضوع على كل حرف من حروف المعجم، عشر سجعات في المواعظ، كتاب شرح كتاب سيبويه، لم يتم، مقداره خمسون كراسة، كتاب يتصل بكتاب الزجاجي، يعرف بعون الجمل، عمل أيضاً لأبي الفتح، محمد بن علي، بن أبي هاشم المذكور آنفاً، وهو آخر شيء أملاه، وكتاب في النحو يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي، ولقبه ظهير العضدي، وكتاب ديوان الرسائل، وهو ثلاثة أقسام.

الأول رسائل طوال، تجري مجرى الكتب المصنفة، مثل كتاب رسالة الملائكة، وكتاب الرسالة السندية، جزء، وكتاب رسالة الغفران، جزء، وكتاب رسالة الفرض، جزء، ونحو ذلك.

والثاني: رسائل دون هذه في الطول، مثل كتاب رسالة المنيح، وكتاب رسالة الاغريض.

والثالث كتاب الرسائل القصار، كنحو ما تجري به العادة في المكاتبة، قيل إنه أربعون جزءاً، وقيل إنه ثمانمائة كراسة، وكتاب خادم الرسائل، في تفسير ما تضمنته هذه الرسائل، مما يحتاج إليه المبتدئون في الأدب، كتاب نظم السور، وكتاب عظات السور، وكتاب الراحلة، ثلاثة أجزاء، في تفسير كتاب لزوم ما لا يلزم، وكتاب في المنظوم، يعرف بكتاب استغفر واستغفري، مقداره مائة وعشرون كراسة، فيه نحو من عشرة آلاف بيت، وكتاب يعرف بالرسالة الحضية، وكتاب رسائل المعونة، وهي ما كتبت على ألسن قوم، وكتاب مثقال النظم في العروض، جزء، وكتاب اللامع العزيزي، في تفسير شعر المتنبي، عمل للأمير عزيز الدولة، وغرسها ابن تاج الأمراء، أبي الدوام، ثابت ابن ثمال، بن صالح، بن مرداس، بن إدريس، بن نصر، بن حميد، بن شداد، بن عبد قيس، بن ربيعة ابن كعب، بن عبد الله، بن أبي بكر، بن كلاب، ابن ربيعة، بن عامر، بن صعصعة، ويقال له أيضاً اللامع العزيزي، مقداره مائة وعشرون كراسة.

هذا ما وجدناه وأثبتناه عن جماعة من أصحاب أبي العلاء، قالوا: وله بعض كتب في العروض والشعر، بدأها ولم تتم، أو تمت وشذ عنا أسماؤها.

ومن شعره الدال على سوء عقيدته من لزوم ما لا يلزم:

ألا فانعموا واحذروا في الحيا ... ة ملهىً يسمى زوال النعم
أتوكم بأقوالهم والحسا ... م يسد به زاعم ما زعم
تلوا باطلاً وجلوا صارماً ... وقالوا صدقنا فقلنا نعم
زخارف ما ثبت في القلوب ... عمى عليكم بهن المعم

ومن ذلك أيضاً:

فقد طال العناء فكم تعاني ... سطوراً عاد كاتبها بطمس
دعا موسى وزال وقام عيسى ... وجاء محمد بصلاة خمس
وقيل يجئ دين غير هذا ... فأودى الناس بين غد وأمس
إذا قلت المحال رفعت صوتي ... وإن قلت اليقين أطلت همسي

ومن ذلك أيضاً:

وجدت الشرع تخلقه الليالي ... كما خلق الرداء الشرعبي
هي العادات يجري الشيخ منها ... على شيم تعودها الصبي
وأشوى الحق رام مشرقي ... ولم يرزقه آخر مغربي
فذا عمر يقول وذا سواه ... كلا الرجلين في الدعوى غبي

ومن ذلك أيضاً:

إذا ما ذكرنا آدماً وفعاله ... وتزويجه بنتيه لابنيه في الخنا
علمنا بأن الخلق من أصل زنية ... وأن جميع الناس من عنثر الزنا

وقال في رسالة الغفران، ولما أجلى عمر بن الخطاب أهل الذمة عن جزيرة العرب، شق ذلك على الجالين، فيقال: إن رجلاً من يهود خيبر، يعرف بسمير بن أدكن، قال في ذلك:

يصول أبو حفص علينا بدرة ... رويدك إن المرء يطفو ويرسب
مكانك لا نتبع حمولة ماقط ... لتشبع أن الزاد شيء محبب
فلو كان موسى صادقاً ما ظهرتم ... علينا ولكن دولة ثم تذهب
ونحن سبقناكم إلى المين فاعرفوا ... لنا رتبة البادي الذي هو أكذب
مشيتم على آثارنا في طريقنا ... وبغيتكم في أن تسودوا وترهبوا

وهذا يشبه أن يكون شعره، قد نحله هذا اليهودي، أو أن إيراده لمثل هذا، واستلذاذه به، من أمارات سوء عقيدته، وقبح مذهبه، ومن أشعاره الدالة على سوء اعتقاده، قوله في لزوم ما لا يلزم أيضاً:

وهيهات البرية في ضلال ... وقد نظر اللبيب لما اعتراها

تقدم صاحب التوراة موسى ... وأوقع في الخسار من افتراها
فقال رجاله وحي أتاه ... وقال الناظرون بل افتراها
وما حجي إلى أحجار بيت؟ ... كؤوس الخمر تشرب في ذراها
إذا رجع الحليم إلى حجاه ... تهاون بالمذاهب وازدراها
وله أيضاً:
خذ المرآة واستخبر نجوماً ... تمر بمطعم الأرى المشور
تدل على الممات بلا ارتياب ... ولكن لا تدل على النشور
ومنها أيضاً:
هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدوا ... ويهود حارت والمجوس مضللهْ
إثنان أهل الأرض ذو عقل بلا ... دين وآخر دين لا عقل لهْ
ومنها أيضاً:
إن الشرائع ألقت بيننا إحناً ... وأورثتنا أفانين العداوات
وما أبيحت نساء الروم عن عرض ... للعرب إلا بأحكام النبوات
ومنها أيضاً:
تناقض ما لنا إلا الشكوت له ... وأن نعوذ بمولانا من النار
يد بخمس مئين عسجد فديت ... ما بالها قطعت في ربع دينار؟
قال المؤلف: كان المعري حماراً، لا يفقه شيئاً، وإلا فالمراد بهذا بين، لو كانت اليد لا تقطع إلا في سرقة خمسمائة دينار، لكثر سرقة ما دونها، طمعاً في النجاة، ولو كانت اليد تفدى بربع دينار، لكثر من يقطعها، ويؤدي ربع دينار دية عنها، نعوذ بالله من الضلال. ومنها أيضاً:
ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة ... وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
تحطمنا الأيام حتى كأننا ... زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك
ومما يدل على كفره تصريحاً قوله:
عقول تستخف بها سطور ... يدري الفتى لمن الثبور؟
كتاب محمد وكتاب موسى ... وإنجيل ابن مريم والزبور
ومن ذلك أيضاً:
صرف الزمان مفرق الإلفين ... فاحكم إلهي بين ذاك وبيني

أنهيت عن قتل النفوس تعمداً ... وبعثت أنت لقتلها ملكين؟
وزعمت أن لها معاداً ثانياً ... ما كان أغناها عن الحالين!!
ومن ذلك أيضاً:
إذا كان لا يحظى برزقك عاقل ... وترزق مجنوناً وترزق أحمقا

فلا ذنب يا رب السماء على امرئ ... رأى منك ما لا يشتهي فتزندقا

ومن ذلك أيضاً قوله:

في كل أمرك تقليد تدين به ... حتى مقالك ربي واحد أحد

وقد أمرنا بفكر في بدائعه ... فإن تفكر فيه معشر لحدوا

لولا التنافس في الدنيا لما وضعت ... كتب التناظر لا المغني ولا العمد

ومن ذلك أيضاً قوله:

قلتم لنا خالق قديم ... صدقتم هكذا نقول

زعمتموه بلا زمان ... ولا مكان ألا فقولوا

هذا كلام له خبئ ... معناه ليست لنا عقول

ومن ذلك أيضاً قوله:

دين وكفر وأنباء تقال وقر ... قان ينص وتوراة وإنجيل

في كل جيل أباطيل ملفقة ... فهل تفرد يوماً بالهدى جيل؟

ومن ذلك أيضاً:

ألحمد لله قد أصبحت في لجج ... مكابداً من هموم الدهر قاموساً

قالت معاشر لم يبعث إلاهكم ... إلى البرية عيساها ولا موسا

وإنما جعلوا الرحمن مأكلة ... وصيروا دينهم للملك ناموسا

ولو قدرت لعاتبت الذين بغوا ... حتى يعود حليف الغي مغموسا

ومن ذلك أيضاً قوله:

ولا تحسب مقال الرسل حقاً ... ولكن قول زور سطروه

وكان الناس في عيش رغي ... فجاءوا بالمحال فكدروه

قال المؤلف: نقلت هذا كله من تاريخ غرس النعمة محمد بن هلال، بن المحسن الصابئ، وحمدت الله تعالى على ما ألهم من صحة الدين، وصلاح اليقين، واستعذت به من استيلاء الشيطان على العقول.

قرأت في كتاب فلك المعاني، أن كثيراً من الجهال يعد الموت ظلماً من الباري عز وجل، ويستقبحه، بما فيه من النعمة، والحكمة والراحة والمصلحة، وقد قال أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري مع تخذلقه ودعواه الطويلة العريضة، وشهرة نفسه بالحكمة، ومظاهرته:

ونهيت عن قتل النفوس تعمداً ... وبعثت أنت لقتلها ملكين

وزعمت أن لنا معاداً ثانياً ... ما كان أغناها عن الحالين!!

وهذا كلام مجنون معتوه، يعتقد أن القتل كالموت والموت كالقتل، فليت هذا الجاهل لما حرم الشرع وبرده، والحق وحلاوته، والهدى ونوره، واليقين وراحته، لم يدع ما هو برئ منه، بعيد عنه، ولم يقل:

غدوت مريض العقل والرأي فالقني ... لتعلم أنباء العقول الصحائح

حتى سلط الله عليه أبا نصر بن أبي عمران، داعي الدعاة بمصر، فقال له: أنا ذلك المريض رأياً وعقلاً، وقد

أتيتك مستشفياً فاشفني، وجرت بينهما مكاتبات كثيرة، أمر في آخرها بإحضاره حلب، ووعده على الإسلام خيراً من بيت المال، فلما علم أبو العلاء أنه يحمل للقتل أو الإسلام، سم نفسه ومات، وليته لما ادعى العقل خرس، ولم يقل مثل هذه الترهات التي يخلد إليها من لا حاجة لله تعالى فيه.

قال المؤلف: لما وقفت على هذه القصة، اشتهيت أن أقف على صورة ما دار بينهما على وجهه، حتى ظفرت بمجلد لطيف، وفيه عدة رسائل من أبي نصر، هبة الله ابن موسى، بن أبي عمران، إلى المعري في هذا المعنى، انقطع الخطاب بينهما على المساكتة، ولم يذكر فيها ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية، من سم المعري نفسه. ونقلها على الوجه يطول، فلخصت منها الغرض، دون تفاصح المعري وتشدقه.

كتب ابن أبي عمران إليه:

الشيخ – أحسن الله توفيقه – الناطق بلسان الفضل والأدب، الذي ترك من عداه صامتاً، مشهود له بهذه الفضيلة، من كل من هو فوق البسيطة، غير أن الأدب الذي هو جالينوس طبه، وعنده مفاتح غيبه، ليس مما يفيده كبير فائدة، في معاشه أو معاده، سوى الذكر السائر به الركبان، مما هو إذا تسامع المذكور به، علم أنه له بمكانة الجمال والزينة، مادام حياً، فإذا رمت به يد المنون من ظهر الأرض إلى بطنها، فلا بحسن ذكره ينتفع، ولا بقبيحه يستضر، وإذا كانت الصورة هذه، كان مستحيلاً منه، – أيده الله – مع وفور عقله، أن جعل مواده كلها منصبة إلى إحكام اللغة العربية، والتقعر فيها، واستيفاء أقسام ألفاظها ومعانيها، ووفر عمره على ما لا نتيجة له منها، وترك نفسه المتوقدة، نار ذكائها خلواً من النظر في شأن معاده، وأن يختار من عمله ما لا ينفع، فيمكث إذا ذهب الزبد جفاء من غيره، فإذا هو – حرسه الله – بمقتضى هذا الحكم، مرتو من عذب مشرب هذا العلم، وإنما ليس يبوح به، لضرب من ضروب السياسة، والدليل على كونه ناظراً لمعاده، سلوكه سبيل العيش والتزهد، وعدوله عن الملاذ، من المأكول والمشروب والملبوس، وتعففه عن أن يعل جوفه للحيوان مدفناً، أو أن يذوق من درها لبناً، أو يستطعم من استبدت عليه في حرثه وإنشائه، وهذه طريقة من يعتقد أنه إذا آلمها جوزي بألمها، وهذا غاية في الزهد.

ولما رأيت ذلك، وسمعت داعية البيت الذي يعزى إليه، وهو:

غدوت مريض الدين والعقل فالقني ... لتعلم أنباء الأمور الصحائح

شددت إليه راحلة العليل في دينه وعقله، إلى الصحيح الذي ينبئني أنباء الأمور الصحائح، وأنا أول ملب لدعوته، معترف بخبرته، وهو حقيق ألا يوطئني العشواء فيسلك بي في المجاهل، ولا يعتمد فيما يورده تلبيس الحق بالباطل.

وأول سؤالي عن أمر خفيف، فإن استنشقت نسيم الصبا، سقت السؤال إلى المهم: أسأله عن العلة في تحريمه على نفسه اللحم واللبن، وكل ما يصدر إلى الوجود من منافع الحيوان، فأقول: أليس النبات موضوعاً للحيوان يمتار منه؟ وبوجوده وجوده، وبقوة في الحيوان حساسة استولى على الانتفاع بالنبات، ولو لم يكن الحيوان، لكان موضوع النبات باطلاً لا معنى له، وعلى هذه القضية، فإن القوة الإنسانية مستولية على الحيوان، استيلاء الحيوان على النبات، لرجحانها عليه بالنطق والعقل، فهي مسخرة له على أنواع من

التسخير، ولولا ذلك، لكان موضوع الحيوان باطلاً، فتجافى الشيخ – وفقه الله – عن الانتفاع بما هو موضوع له، مخلوق لأجله، إبطال لتركيب الخلقة، ثم امتناعه عن أكل الحيوان، ليس يخلو القصد به من أحد أمرين، الأول: إما أنه تأخذه رأفة بها، فلا يرى تناولها بالمكروه، وما ينبغي له أن يكون أرأف بها من خالقها، فإذا ادعى أن تحليلها وتحريمها، إنما كان من بعض البشر، يعني به أصحاب الشرائع، وأن الله لم يبح إراقة دم حيوان وأكله، كان الدليل على بطلان قوله، وقوع المشاهدة لجنس السباع وجوارح الطير، التي خلقها الله سبحانه على صيغة لا تصلح إلا لتنش اللحوم وفسخها، وتمزيق الحيوانات وأكلها. وإذا كان هذا الشكل قائم العين في الفطرة، كان جنس البشر وسيع العذر في أكل اللحوم، وكان من أصل لهم ذلك محقاً.

والثاني: أنه يرى سفك دماء الحيوان خارجاً عن أوضاع الحكمة، وذلك اعتراض منه على خالقه الذي أوجده. وإذا أنعم الشيخ وساق إلى حجة أعتمدها، رجوت كشف المرض الذي وقع اعترافي به.

الجواب من أبي العلاء المعري إليه قال العبد الضعيف العاجز، أحمد بن عبد الله، بن سليمان: أول ما أبدأ به، أني أعد سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين – أطال الله بقاءه – ممن ورث حكمة الأنبياء، وأعد نفسي الخاطئة من الأغبياء، وهو بكتابه إلي متواضع، ومن أنا؟ حتى يكتب مثله إلى مثلي، مثله في ذلك، مثل الثريا كتب إلى الثرى وقد علم الله أن سمعي ثقيل، وبصري عن الإبصار نقيل، قضي علي وأنا ابن أربع، لا أفرق بين النازل والطالع، ثم توالت محني، فأشبه شخصي العود المحني، ومنيت في آخر عمري بالإقعاد، وعداني عن النهضة عاد. وأما ما ذكره سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين، فالعبد الضعيف العاجز، يذكر له مما عاياه طرفاً، فأقول: إن الله – جلت عظمته – ، حكم علي بالإزهاد، فطفقت من العدم في جهاد، وأما قول العبد الضعيف العاجز:

" غدوت مريض العقل والدين فالقني " فإنما خاطب به من هو في غمرة الجهل، لا من هو للرياسة علم وأصل، وقد علم أن الحيوان كله حساس يقع به الألم، وقد سمع العبد الضعيف من اختلاف القدماء.

وأول ما يبدأ به، لو أن قائلاً من البشر قال: إذا بنينا القضية البتية المركبة من المسند والمسند إليه، ولها واسطتان، إحداهما نافية، والأخرى استثنائية، فقلنا: الله لا يفعل إلا الخير، فهذه القضية كاذبة أم صادقة؟ فإن قيل صادقة، فقد رأينا الشرور غالبة، فعلمنا أن ذلك أمر خفي، ولم يزل من ينسب إلى الدين يرغب في هجران اللحوم، لأنها لم يوصل إليها إلا بإيلام حيوان، يفر منه في كل أوان، وأن الضائنة تكون في محل القوم وهي حامل، فإذا وضعت وبلغ ولدها شهراً أو نحوه، اعتبطوه فأكلوه، ورغبوا في اللبن، وباتت أمه ثاغية، لو تقدر سعت له باغية، وقد تردد في كلام العرب ما يلحق الوحشية من الوجد، والناقة إذا فقدت الفصيل، فقال قائلهم:

فما وجدت كوجدي أم سقب ... أضلته فرجعت الحنينا

وللسائل أن يقول: إن كان الخير لا يريد ربنا سواه، فالشر لا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون قد علم به أو لا. فإن كان عالماً به، فلا يخلو من أحد أمرين: إما أن يكون مريداً له أو لا. فإن كان مريداً له، فكأنه الفاعل، كما أن القائل يقول: قطع الأمير يد السارق، وإن لم يباشر ذلك بنفسه.

وإن كان غير مريد، فقد جاز عليه ما لا يجوز على أمير مثله في الأرض، أنه إذا فعل في ولايته شيء لا يرضاه أنكره، وأمر بزواله، وهذه عقدة، قد اجتهد المتكلمون في حلها فأعوزهم.

وقد ذكرت الأنبياء: أن البارئ – جلت عظمته – رؤوف رحيم، ولو رأف بيني آدم، وجب أن يرأف بغيرهم من أصناف الحيوان، الذي يجد الألم بأدنى شيء، وقد علم أن الوحوش الراتعة يبكر إليها الفارس، فيطعن العير أو الأتان، وهن ما أسدين إليه ذنباً، ولأي حال استوجب من يفعل بها هذا، " الرقة " ؟ وهي لم تشرب من الماء بذنوب، ولم تجز ما تكسب من الذنوب، وقد رأيت الجيشين المنتسب كل واحد منهما إلى الشرع المنفرد، يلتقيان وكلاهما في مدد، ويقتل بينهما آلاف عدداً، فهذا محسوب من أي الوجهين؟ فليس عند النظر بهين. فلما بلغ العبد الضعيف العاجز اختلاف الأقوال، وبلغ ثلاثين عاماً، سأل ربه إنعاماً، فرزقه صوم الدهر، فلم يفطر في السنة ولا الشهر، إلا في العيدين، وصبر على توالي الجديدين، وظن اقتناعه بالنبات يثبت له جميل العاقبة.

وقد علم سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين ولا ريب، أنه قد نظر في الكتب المتقدمة، وما حكي عن جالينوس وغيره، من اعتقاد يدل على الحيرة. وإذا قيل: إن الباريء رؤوف رحيم، فلم سلط الأسد على افتراس نسمة إنسية؟، ليست بالمفسدة ولا القسية، وكم مات بلدغ الحيات جماعة مشهورة؟، وسلط على الطير الراضية بلقط الحبة البازي والصقر، وإن القطاة لتدع فراخها ظماء، وتبتكر لترد ماء تحمله إليها في حوصلتها، فيصادفها دونهن أجدل فيأكلها، فيهلك فراخها عطشاً، وذكر أشياء من هذا الباب، ثم قال:

وأعوذ بالله وأتبرأ من قول الكافر:

ألمت بالتحية أم بكر ... فحيوا أم بكر بالسلام

وكائن بالطوى طوى بدر ... من الشيزي يكلل بالسنام

ألا يا أم بكر لا تكرى ... علي الكأس بعد أخي هشام

وبعد أخي أبيه وكان قرماً ... من الأقرام شراب المدام

ألا من مبلغ الرحمن عني ... بأني تارك شهر الصيام

إذا ما الرأس زايل منكبيه ... فقد شبع الأنيس من الطعام

أيوعدنا ابن كبشة أن سنحيا ... وكيف حياة أصداء وهام؟؟

أينزل أن يرد الموت عني ... ويحييني إذا بليت عظامي؟؟

ولعن الله القائل. ويقال: إنه الوليد بن يزيد بن عبد الملك.

أدنها مني خليلي ... عنه لا دون الإزار

فلقد أيقنت أني غير مبعوث لنار

سأروض الناس حتى ... يركبوا دين الحمار

وأرى من يطلب الجن ... ة يسعى في خسار

وويل لابن رعيان إن كان قال:

هي الأولى وقد نعموا بأخرى ... وتسويف الظنون من السواف

فإن يك بعض ما قالوه حقاً ... فإن المبتليك هو المعافى

ومما حثني على ترك أكل الحيوان، أن الذي لي في السنة نيف وعشرون ديناراً، فإذا أخذ خادمي بعض ما يجب، بقي لي ما لا يعجب، فاقتصرت على فول وبلسن وما لا يعذب على الألسن، فأما الآن، فإذا صار إلى من يخدمني كبير، فعندي وعنده هين، فما حظي إلا اليسير المتعين، ولست أريد في رزقي زيادة، ولا أوثر لسقمي عيادة، والسلام.

الجواب من ابن أبي عمران حوشي الشيخ: – أدام الله سلامته – من أن يكون ممن قطف في مرض دينه وعقله بعلته، وأجاب دعوة الداعي منه، بالبيت الشائع عنه، لينال شفاء علته، جواباً يزيده إلى غلته غلة، إذاً يكون كما قال المتنبي:

أظمتني الدنيا فلما جئتها ... مستسقياً مطرت علي مصائبا

كان سؤالي له – حرسه الله – في شيء يختص بنفسه، في هجره ما يسد الجسم من اللحم، الذي ينبت اللحم، فأجاب بما أقول في جوابه: أهذه أنباء الخ، وهل زاد السقيم بدوائه هذا إلا سقماً، والأعمى الأصم في دينه وعقله بما قال إلا عمىً وصمماً، على أن جميع ما ذكره بنجوة عن سؤالي الأول، ومعزل عنه، ولا مناسبة بينهما وبينه.

وأما القول بأن اللحوم لا يوصل إليها إلا بإيلام الحيوان، فقد سبق الجواب: لا يكونن الشيخ أرأف بها من خالقها، فليس يخلو من كونه عادلاً أو جائراً، فإن كان عادلاً، فإنه سبحانه يقبض أرواح الآكل والمأكول جميعاً، وذلك مسلم له، وإن كان جائراً، لم ينبغ أن نرجع لعى خالقنا بعلنا وجوره.

وأما قوله وللسائل أن يقول: إن كان الخير هو الذي لا يريد ربنا سواه، فالشر لا يخلو من أحد أمرين، إما أن يكون قد عليم به أو لا، إلى آخره، فأقول: قيل إن إنساناً ضاع له مصفحف، فقيل له اقرأ " والشمس وضحاها " فإنك تجده، فقال: وهذه السورة أيضاً فيه، فأقول أيضاً: إن هذا أيضاً من ذلك، وجميعه ظلمات فأين النور؟ وإنما قصدنا أن نعرف أنباء الأمور الصحائح كما قاله. وأما قوله: لما رأي اختلاف الأقوال، وأيقن بنفاه وزوال، سأل ربه أن يرزقه صوم الدهر، واقتنع بالنبات، فما صح لي أن الرب الذي سأله، هو الذي يريد الشر وحده، أو الذي يريدهما جميعاً، والصوم فرع على أصل، من شرع يأتي به رسول، والرسول يتعلق بمرسل، وقصتنا في الرسل مشتبهة، يبعث رسولاً يريد أن يطاع، أم لا يطاع؟ فإن كان يريد أن يطاع، فهو مغلوب على إرادته، لأن من لا يطيعه أكثر، وإن كان يريد ألا يطاع، فإرساله إياه محال، وطلبة حجة على الضعفاء ليعذبهم، فإن كان موضوع صومه على هذا، فلم يفعل شيئاً، وإن كان على غيره مما هو أجلى وأوضح، فهو الذي أطلبه.

وأما حكايته قول بعض الملحدين، واستعاذته بالله أن يكون من المعترضين، في قوله تعالى: " وأنه أهلك عاداً الأولى، وثمود فما أبقى " الآيات. إن كان الباري سبحانه خلقهم، وهو يعلم أنهم مجرمون، ومن التوبة والإنابة يحرمون، فكان الأولى به، وهو الرؤوف الرحيم، ألا يخلقهم لئلا يعذبهم، وإن كان لا يعلم، فهو كأمثالنا، ولا يدري ما يكون منه. وقول الشيخ بعده: معاذ الله أن نقول ذلك. بل نسلم ونتلو الآية: " من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً " فليس الملحد إذا قال: إن السكر حلو، والخل

حامض، لا يقبل منه لكونه ملحداً. وقوله يقتضي جواباً. فإن كان عند الشيخ جواب، فهو الذي نبغي، وإلا فما التسليم في هذا الموضع، إلا التسليم للملحد، لا شيء غيره، وأما إنشاده: " ألمت بالتحية أم عمرو " وما بعده من الأشعار، وذمه من قال ولعنه، فمن الذي اتهمه بشيء من ذلك؟ حاشاه، وما الذي أوجب الإذكار بكفريات شعرهم؟. وأما ختمه الرسالة بقوله: إن الذي حثه على ترك أكل الحيوان، أن الذي له في السنة نيف وعشرون ديناراً، يصير إلى خادمه معظمها ويبقى له أيسرها، فتحمل مئونة القدر الذي يطعمه، لو كان ثقيلاً لوجب تحمله، فكيف وهو الخفيف محمله؟. وقد كاتبت مولاي تاج الأمراء، – حرس الله عزه – ، أن يتقدم بإزاحة العلة، فيما هو بلغة مثله من ألذ الطعام، ومراعاته به على الإدرار والدوام، ليتكشف عنه غاشية هذه الضرورة، ويجري أمره في معيشته على أحسن ما يكون من الصورة، ثم إن قام من الشيخ نشطة لجواب، أعفاني فيه عن قصد الأسجاع، ولزوم ما لا يلزم، فإن ملتمسي فيه المعاني لا الألفاظ.
الجواب من أبي العلاء "

سيدنا الرئيس الأجل، المريد في الدين، عصمة المؤمنين، هدى الله الأمم بهدايته، وسلك بهم طريق الخير على يده، قد بدأ المعترف بجهله، – المقر بحيرته، والداعي إلى الله سبحانه أن يرزقه ما قل من رحمته، في أول ما خاطبه به – ، أن ذكر اعتقاده في سيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين، ضوأ الله الظلم ببصيرته، وأذهب شكوك الأفئدة برأيه وحكمته، وما نفسه عليه من الذلة والحقرية عنده، وأنه سحسبها ساكتة في بعض السوام، وعجب أن مثله يطلب الرشد ممن لا رشد عنده، فيكون كالقمر الذي هو دائب في خدمة ربه ليلاً ونهاراً، يطلب الحقيقة ممن أقمر بفلاة يرد الماء على الصائد، ويصيب قلبه بسهم. وقد ذكر – أيد الله الحق بحياته – ، بيتاً من أبيات على الحاء، ذكر وليه ليعلم غيره ما هو عليه من الاجتهاد في التدين، وما حيلته في الآية المنزلة؟ التي هي قوله: " من يهد الله فهو المهتد " وأولها:
غدوت مريض العقل والدين فالقني ... لتعلم أنباء الأمور الصحائح
فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ... ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح
ولا يقدر أحد يدفع أن الحيوان البحري، لا يخرج من الماء إلا وهو كاره وإذا سئل المعقول عن ذلك، لم يقبح ترك أكله وإن كان حلالاً، لأن المتدينين لم يزالوا يتركون ما هو لهم حلال مطلق:
وأبيض أمات أرادت صريحة ... لأطفالها دون الغواني الصرائح
والمراد بالأبيض: اللبن، ومشهور أن الأم إذا ذبح ولدها وجدت عليه وجداً عظيماً، وسهرت لذلك ليالي، وقد أخذ لحمه، وتوفر على أصحاب أمه ما كان يرضع من لبنها، وأي ذنب لمن تحرج عن ذبح السليل؟ ولم يرغب في استعمال اللبن، ولا يزعم أنه محرم، وإنما تركه اجتهاداً في التعبد، ورحمة للمذبوح، رغبة أن يجازى عن ذلك بغفران خالق السموات والأرض، وإذا قيل: إن الله سبحانه يساوي بين عباده في الأقسام، فأي شيء أسلفته الذبائح من الخطأ، حتى تمنع حظها من الرأفة والرفق؟
فلا تفجعن الطير وهي غوافل ... بما وضعت فالظلم شر القبائح
وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن صيد الليل، وذلك أحد القولين في قوله عليه الصلاة والسلام: "

أقروا الطير في وكناتها " ، وفي الكتاب العزيز: " يأيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم، ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم " إلى غيرها من الآي في المعنى، فإذا سمع من له أدنى حس هذا القول، فلا لوم عليه إذا طلب التقرب إلى رب السموات والأرضين، بأن يجعل صيد الحل كصيد الحرم، وإن كان ذلك ليس بمحظور:

ودع ضرب النحل الذي بكرت له ... كواسب من أزهار نبت فوائح

لما كانت النحل تحارب الشائر عن العسل بما تقدر عليه، وتجتهد أن ترده عن ذلك، فلا غرو إن أعرض عن استعماله، رغبة في أن تجعل النحل كغيرها، مما يكره فيه ذبح الأكيل، وأخذ ما كان يعيش به لتشربه النساء، كي يبدن وغيرها من بني آدم، وقد وصفت الشعراء ذلك، فقال أبو ذئب يصف مشتار العسل:

إذا لسعته النحل لم يرج لسعها ... وخالفها في بيت لوب عواسل

وروى عن علي عليه السلام حكاية معناها: أنه كان له دقيق شعير في وعاء يختم عليه، فإذا كان صائماً لم يختم على شيء من ذلك الدقيق، وقد كان عليه السلام يصل إلى غلة كثيرة، ولكنه كان يتصدق بها، ويقتنع أشد اقتناع، وروي عن بعض أهل العلم أنه قال في بعض خطبه: إن غلته تبلغ في السنة خمسين ألف دينار، وهذا يدل على أن الأنبياء والمجتهدين من الأئمة، يقصرون نفوسهم، ويؤثرون بما يفضل منهم أهل الحاجة.

وقد عدل سيدنا الرئيس إلى الإيماء بأن من ترك أكل اللحم ذميم، ولو أخذ بهذا المذهب، لوجب على الإنسان ألا يصلي صلاة إلا ما افترض عليه، لأن ما زاد على ذلك، أداه إلى كلفة، والله تبارك وتعالى لا يريد ذلك، ولوجب أن الذي له مال كثير، إذا أخرج عن الذهب ربع العشر، لا يحسن به أن يزيد على ذلك، وقد حث الناس على النفقات في غير موضع من الكتاب الأشرف. والعبد الضعيف العاجز، قد افتقر إلى مثل ذلك، ولو مثل بحضرته السامية، لعلم أنه لم يبق فيه بقية لأن يسأل ولا أن يجيب، لأن أعضاءه متخاذلة، وقد عجز عن القيام في الصلاة، فإنما يصلي قاعداً، والله المستعان. وكيف له أن يكون يصل إلا أن يدب على عكاز؟. ثم استشهد على عجزه بأشعار العرب، وإني لأعجز إذا اضطجعت عن القعود، فربما استعنت بإنسان، فإذا هم بإعانتي، وبسط يديه لنهضتي، ضربت عظامي، لأنهن عاريات من كسوة كانت عليهن. وأما استشهاده ببيت أبي الطيب، فمن استرشد بمثل العبد الضعيف العاجز، مثله مثل من طلب في القتادة ثمر النخلة، وإنما حمل سائله على ذلك حسن الظن، الذي هو دليل على كرم الطبع، وشرف النفس، وطهارة المولد، وخالص الخيم.

وأما ما ذكره من المكاتبة في توسيع الرزق علي، فيدل على إفضال ورثه عن أب فأب، وجد في إثر جد، حتى يصل النسب إلى التراب، فالعبد الضعيف العاجز، ما له رغبة في التوسع، ومعاودة الأطعمة. وتركها صار له طبعاً ثانياً. وإنه ما أكل شيئاً من حيوان خمساً وأربعين سنة.

والشيخ لا يترك أخلاقه ... حتى يوارى في ثرى رمسه

وقد علم أن السيد الأجل، تاج الأمراء، فخر الملك، عمدة الإمامة، وعدة الدولة ومجدها، ذا الفخرين، نصيف أولاد سام وحام ويافث، وود العبد الضعيف العاجز، لو أن قلعة حلب، وجميع جبال الشام جلعها

الله ذهباً، لينفقه تاج الأمراء، نصير الدولة النبوية، على إمامها السلام. وكذلك على الأئمة الطاهرين من آبائه، من غير أن يصير إلى العبد الضعيف من ذلك قيراط، وهو يستحي من حضرة تاج الأمراء، أن ينظر إليه بعين من رغب في العاجلة بعد ما ذهب، وهو رضي أن يلقى الله جلت قدرته، وهو لا يطالب إلا بما فعل من اجتناب اللحوم، فإن وصل إلى هذه الرتبة فقد سعد. ثم اعتذر عن السجع بأخبار أوردها، واحتجاجات ذكرها. وسيدنا الرئيس الأجل، المؤيد في الدين، لازالت حجته باهرة، ودولته عالية، كما قال ثعلبة بن صعير:

ولرب قوم المين ذوي شذى ... تغلي صدورهم بهتر هاتر

لاقيتهم مني بما قد ساءهم ... وخسأت باطلهم بحق ظاهر

ولو ناظر أرسطاليس لجاز أن يفحمه، أو أفلاطون لنبذ حججه خلفه، والله يجمل بحياته الشريعة، وينصر بحججه الملة، وحسبي الله ونعم الوكيل.

" الجواب من ابن أبي عمران "

ما فاتحت الشيخ – أحسن الله توفيقه – بالقول، إلا مفاتحة متناكر عليه فيه، مؤثر لأن يخفي من أين جاء السؤال؟ فيكون الجواب عنه باستدلال ورفض حشمة، وحذف تكلف للخطاب بسيدنا والرئيس، وما يجري هبذا المجرى، إذ كان حكم ما يتجارى فيه، موجباً ألا يتخلله شيء من زخارف الدنيا، ولأني أعتقد أن سيدي بالحقيقة، من تستقل دون يده يداي، صداً منه للدنيا، أو تمتار نفسي من نفسه، استفادة من معالم الأخرى، فما أدري كيف انكشفت الحال؟، حتى صار الشيخ – أدام الله تأييده – يخاطبني بسيدنا والرئيس، ولست مفضلاً عليه في دنيا ولا دين، بل شاد راحلتي إليه الاستفادة، إن وردت موردها، أو صادفت نمراً أو علالتها، قابلتها بالشكر لنعمته، والإسجال على نفسي بأستاذيته، وبعد، فإني أعلمه – أدام الله سلامته – أني شققت جيب الأرض، من أقصى دياري إلى مصر، وشاهدت الناس بين رجلين، إما منتحل لشريعة صبا إليها، ولهج بها، إلى الحد الذي إن قيل له من أخبار شرعه: إن فيلاً طار، أو جملاً باض، لما قابله إلا بالقبول والتصديق، ولكان يكفر من يرى غير رأيه فيه، ويسفهه ويلعنه، والعقل عند من هذه سبيله في مهواة وفي مضيعة، فليس يكاد ينبعث أن هذه الشريعة التي هو منتحلها، لم يطوق طوقها، ولم يسور سوارها، إلا بعد بلوغ نور العقل منه، فكيف يصح توليه أولاً، وعزله آخراً؟. فلما رمت بي المرامي إلى الشام، وسمعت أن الشيخ – وفقه الله – يفضل في الأدب والعلم، وقد اتفقت عليه الأقاويل، ووضح به البرهان والدليل، ورأيت الناس فيما يتعلق بدينه مختلفين، وفي أمره مبتلين، فكل يذهب فيه مذهباً، وحضرت مجلساً جليلاً أجري فيه ذكره، فقال الحاضرون فيه غثاً وسميناً فحفظته في الغيب، وقلت: إن المعلوم من صلابته في زهده، يحميه من الظنة والريب، وقام في نفسي أن عنده من حقائق الله سراً قد أسبل عليه من البقية ستراً، وأمراً يميز به عن قوم يكفر بعضهم بعضاً، ولما سمعت البيت " غدوت مريض العقل " توثقت من خلدي فيما حدثت عقوده، وتأكدت عهوده، وقلت: إن لساناً يستطيع بمثل هذه الدعوى نطقاً، ويفتق من هذا الفخر العظيم رتقاً، للسان صامت عنده كل ناطق، من ذروة من جبل العلم شاهق، فقصدته قصد موسى للطور،

أقتبس منه ناراً، وأحاول أن أرفع بالفخر مناراً، لمعرفة ما تخلف عن معرفته المتخلفون، واختلف في حقيقته المختلفون، فأدليت دلوي بالمسألة الخفيفة، التي سألت عنها، ترقياً من دون إلى فوق، وتدرجاً من صغرى إلى كبير فكان جوابه، أنه يصغر عن أن يكون للاسترشاد محلاً، فقلت: هذه زيادة في فضله، وما يجوز صدور مثله عن مثله، ثم انتهى إلى الإحالة على كون الناس ممن تقدم أو تأخر، في وادي الحيرة تائهين، وفي أذياله متعثرين، من قائل يقول: إن الخير والشر من الله، ومجيب يجيبه، هل كان ما كان يستعيذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم من وعث السفر؟ وكل مستعاذ منه، خيراً أو شراً. فإن كان خيراً فالاستعاذة منه باطلة، وإن كان شراً والله مريده، فالاستعاذة منه كذلك فضول وزيادة في المعنى، وسؤال من يسأل: هل كان سم الحسن وقتل الحسين، عليهما السلام خيراً أو شراً؟ فإن كان خيراً فاللعنة على القاتل من أي جهة؟ وإن كان شراً والله مريده، زال اللوم عن القاتل. وقائل يقول: إن الخير من الله، والشر من غيره، ومجيب يجيب بالجواب الذي يقطع به الأسباب، وغيره مما أطال به الخطاب، من أشعار الملحدة وأقوالهم، فكان جوابي – أدام الله سلامته – أنني من هؤلاء الذين ذكرتهم، تبريت إليك، وتطايحت عليك. وإن كلامهم عندي قبل أن عللته عليل، وهو على مسامع القبول مني ثقيل، فافتح لي إلى ما عندك باباً، وأفسح لي من لدنك جناباً، فلم يفعل، ثم خاطبته على امتناعه من أكل اللحوم، فاحتج بكونه متحرجاً من قصدها – أعني البهائم – بالمضرة والإيلام، متعففاً عنها لهذه الجهة، فقطعت لسان حجته بعد تناهيها، وقلت: إذا كان الله تعالى سلط بعضها لتأكل بعضاً، وهو أعرف بوجوه الحكمة، وأرأف باخليقة، فلا يكون أرأف بها من ربها، ولا أعدل فيها من خالقها، ثم عدل إلى قصور يد الاستطاعة دون ذلك، إذ كان القدر الذي هو له في السنة منصرفاً إلى من يتولى خدمته أكثره، وخالصاً له أقله، فقطعت الحجة في هذا الباب أيضاً، وعينت له على جهة كريمة، من الذين لا يتعبون ما أنفقوا مناً ولا أذى، ما يقوم

بقدر كفايته، من أطيب ما يأكلون، وأزكى ما في البيوت يدخرون فنجافت نفسه – وقاها الله السوء – عن هذا الباب أيضاً، وكتب في الجواب الثاني بأنه لا يؤثر ذلك، ولا يرغب فيه، ولا يخرق عادته المستمرة في الترك، وابتدأ يقول: إني طلبت الرشد ممن لا رشد عنده، وإن البيت الذي قاله مما تعلقت به، وجعلته محجة إلى استقراء طريقته ومذهبه، إنما أراد الإعلام باجتهاده في التدين، وما حيلته في الآية المنزلة " من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً " فجمع بين المتضادين في كلمة واحدة، لأنه إن كانت الآية حقاً، كان الاجتهاد باطلاً. وقال: إن لله سبحانه أسراراً لا يقف عليها إلا الأولياء، فنحن على ذلك السر ندور، وعلى باب من هو عنده نطوف، فإن قلنا: إنه – حرسه الله – من أصحابه، بدعوى صحته في دينه وعقله ومرض الناس على موجب قوله، قال: لا رشد عندي، فنظمه في هذا المعنى يناقض نثره، ونثره يخالف نظمه، فكيف الحيلة؟ ثم قال: إن البيت المقول:ر كفايته، من أطيب ما يأكلون، وأزكى ما في البيوت يدخرون فتجافت نفسه –وقاها الله السوء – عن هذا الباب أيضاً، وكتب في الجواب الثاني بأنه لا يؤثر ذلك، ولا يرغب فيه، ولا يخرق عادته المستمرة في الترك، وابتدأ يقول: إني طلبت الرشد ممن لا رشد عنده، وإن البيت الذي قاله مما تعلقت به، وجعلته محجة إلى استقراء طريقته ومذهبه، إنما أراد الإعلام باجتهاده في

التدين، وما حيلته في الآية المنزلة " من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً " فجمع بين المتضادين في كلمة واحدة، لأنه إن كانت الآية حقاً، كان الاجتهاد باطلاً. وقال: إن لله سبحانه أسراراً لا يقف عليها إلا الأولياء، فنحن على ذلك السر ندور، وعلى باب من هو عنده نطوف، فإن قلنا: إنه – حرسه الله – من أصحابه، بدعوى صحته في دينه وعقله ومرض الناس على موجب قوله، قال: لا رشد عندي، فنظمه في هذا المعنى يناقض نثره، ونثره يخالف نظمه، فكيف الحيلة؟ ثم قال: إن البيت المقول:

غدوت مريض العقل والدين فالقني ... لتعلم أنباء العقول الصحائح

يؤدي معناه البيت الثاني:

فلا تأكلن ما أخرج الماء ظالماً ... ولا تبغ قوتاً من غريض الذبائح

فكأن مرض الدين والعقل من جهة أكل اللحوم، وشرب الألبان، وتناول العسل، فمن ترك هذه المطاعم، كان صحيحاً دينه وعقله، وهو يعلم أن صحة الأديان والعقول لا تقوم بذلك، ولا يجوز أن يكون هذا البيت الثاني، ناسخاً لحكم الأول، فيكون محصول دعواه في فقر الناس، إلى أن يصح دينهم وعقلهم، هو أن يقول لهم: لا تأكلوا اللحم واللبن!!! وأما قوله: إن الحيوان البحري كاره أن يخرج إلى البر، وإنه ليس يقبح في العقول ترك أكله وإن كان حلالاً، لأن المتدينين لم يزالوا يتركون ما لهم طلقاً، فما من حيوان بحري ولا بري، هو أجل من هذا الإنسان الحي العاقل، وهو كاره للموت فيموت، وكاره لأن يأكله شيء، والدود يأكله في قبره، فإن كان ذلك صاندراً عن موضع حكمة، كان ما ذكره من الحيوان البري والبحري جارياً في مضمار هذا، مثلاً بمثل، وإن كان معدولاً به عن وجه الحكمة، كان محالاً أن يكون صانعي سفيهاً، وأكون – وأنا مصنوعه – حكيماً.

وأما قوله: إن النبي صلى الله عليه وسلم، صلى إلى أن تقرحت قدماه، فقيل له فيه، فقال: أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً؟ فما هذا مما نحن عليه في شيء، والإنسان له أن يصلي ما شاء من الصلوات، في الأوقات التي تجوز فيها الصلاة، على ألا يزيد في الفرائض ولا ينقص منها، وهذا الكلام شرعي، وكانت القضية للتكلم على العقليات.

وأما قوله: إنه عليه الصلاة والسلام، حرم صيد الحرم، وإن لغيره أن يحرم صيد الحل تقرباً إلى الله سبحانه، فليس لأحد أن يحلل أو يحرم غيره، وأما قوله: إن علياً عليه السلام: لما قدم إليه الخييص سأل: هل أكل النبي صلى الله عليه وسلم منه؟ فلما قالوا لا: رفعه ولم يأكله، فهذه الحجة عليه لا له، فإن الناس مجمعون على أن النبي صلى الله عليه وسلم، لم يفارق أكل اللحم، وهو يهجره دهره، وذلك بالضد سواء، ولو أنه – حرسه الله – لم يستظهر علي بالشريعة، ولم يتجاوز نصبة العقل، لصنته عن هذا الجواب الذي عسى أن يستغل سره. ويعز علي ذلك.

وأما ما شكاه من ضعفه، وقصور حركته، وأنه لم يبق فيه بقية لأن يسأل ولا أن يجيب، فما هو – حرسه الله – على علاته من الضعف والقوة، إلا من محاسن الزمان، وممن سارت بذكر فضله الركبان، إلا أنه على عدوان الدهر عليه، عدا على نفسه، بحرمانها ملاذ دنياها، فإن وثقت نفسه بملاذ تعتاض عنها، مما هو خير

وأبقى منها، فما خسرت صفقته، وقام مصداق قوله بالبيت المقدم ذكره، وإن كان يوسم بميسم الشح بمنع المنتجعين، ورد السائلين. وإن كان شق على نفسه من غير بصيرة كما يدعيه الآن، خوضاً مع الخائضين، وتحيراً مع أمثالنا من المتحيرين، فقد أضاعها وجنى عليها، وادعى في البيت المقدم ذكره ما لا برهان له، والغرض في السؤال والجواب الفائدة، وإذا عدمت فقد خفف الله عنه أن يتكلف جواباً.

وأما الأسجاع ومساءلتي التخلي عنها، فما كانت إلا ضحاً بالمعاني أن تضل بتتبعها، ولأنني إذا تتبعت فضله، بصنعاته في الأدب والشعر، وجدت في أرضه مراغماً كثيراً وسعة، ومن أين لي، أن أظهر على مكنون جواهر علوم دينه؟ كظهوري على مصنفات أدبه وشعره، وقبل وبعد، فأنا أعتذر عن سر له – أدام الله حراسته – أذعته، وزمان منه بالقراءة والإجابة شغلته، لأنني من حيث ما نفعته ضررته، والله تعالى يعلم، أني ما قصدت به غير الاستفادة من علمه، والاغتراف من بحره، والسلام.

وكنا بحضرة القاضي الأكرم، الوزير جمال الدين، أبي الحسن علي بن يوسف، بن إبراهيم الشيباني – حرس الله مجده – وفيه جماعة من أهل الفضل والأدب، فقال أبو الحسن، علي بن عدلان النحوي الموصلي:

حضرت بدمشق عند محمد بن نصر، بن عنين الشاعر، وزير المعظم، فجاءته رقعة طويلة عريضة، خالية من معنى، فارغة من فائدة، فألقاها إلي قائلاً: هل رأيت قط رقعة أسقط أو أدبر من هذه، مع طول وعرض؟ فتناولتها فوجدتها كما قال، وشرعت أخاطبه، فأومأ إلي بالسكوت وهو مفكر، ثم أنشدني لنفسه:

وردت منك رقعة أسأمتني ... وثنت صدري الحمول ملولا

كنهار المصيف ثقلاً وكرباً ... وليالي الشتاء برداً وطولا

فاستحسن أهل المجلس هذه البديهة، وعجبوا من حسن المعنى، فقال القاضي الأكرم: مازلت أستحسن كلاماً وجدته على ظهر كتاب ديوان الأعشى، في مدينة قفط سنة خمس وثمانين، يتضمن لأبي العلاء المعري شعراً، يشبه ما في هذين البيتين من المقابلة، ضداً بضد في موضعين، ولعل هذين البيتين يفضلان على ذلك، فقلنا له: وما ذلك الكلام؟ فقال: حكي أن صالح بن مرداس صاحب حلب، نزل على معرة النعمان محاصراً، ونصب عليها المجانيق، واشتد في الحصار لأهلها، فجاء أهل المدينة إلى الشيخ أبي العلاء، لعجزهم عن مقاومته، لأنه جاءهم بما لا قبل لهم به، وسألوا أبا العلاء تلافي الأمر، بالخروج إليه بنفسه. وتدبير الأمر برأيه، إما بأموال يبذلونها، أو طاعة يعطونها، فخرج ويده في يد قائده، وفتح الناس له باباً من أبواب معرة النعمان، وخرج منه شيخ قصير يقوده رجل، فقال صالح: هو أبو العلاء، فجيئوني به، فلما مثل بين يديه، سلم عليه، ثم قال: الأمير – أطال الله بقاءه – ، كالنهار الماتع، قاظ وسطه، وطاب أبرداه، أو كالسيف القاطع، لان متنه، وخشن حداه، " خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين " فقال صالح: " لا تثريب عليكم اليوم " قد وهبت لك المعرة وأهلها، وأمر بتقويض الخيام والمجانيق، فنقضت ورحل، ورجع أبو العلاء وهو يقول:

نجى المعرة من براثن صالح ... رب يعافي كل داء معضل

ما كان لي فيها جناح بعوضة ... الله ألحفهم جناح تفضل

قال أبو غالب بن مهذب المعري في تاريخه، في سنة سبع عشرة وأربعمائة:

صاحت امرأة يوم الجمعة في جامع المعرة، وذكرت أن صاحب الماخور أراد أن يغتصبها نفسها، فنفر كل من في الجامع، وهلموا الماخور، وأخذوا خشبه ونهبوه، وكان أسد الدولة في نواحي صيدا، فوصل الأمير أسد الدولة، فاعتقل من أعيانها سبعين رجلاً، وذلك برأي وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ، وأوهمه أن في ذلك إقامة للهيبة، قال: ولقد بلغني أنه دعي لهؤلاء المعتقلين بآمد وميا فارقين على المنابر، وقطع تادرس عليهم ألف دينار، وخرج الشيخ أبو العلاء المعري إلى أسد الدولة صالح، وهو بظاهر المعرة، وقال له الشيخ أبو العلاء: مولانا السيد الأجل، أسد الدولة، ومقدمها وناصحها، كالنهار الماتع، اشتد هجيره، وطاب أبرداه، وكالسيف القاطع، لان صفحه، وخشن حداه، " خذ العفو وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين " . فقال صالح: قد وهبتهم لك أيها الشيخ، ولم يعلم أبو العلاء، أن المال قد قطع عليهم، وإلا كان قد سأل فيه، ثم قال الشيخ أبو العلاء بعد ذلك شعراً وهو:

تغيبت في منزلي برهة ... ستير العيون فقيد الحسد
فلما مضى العمر إلا الأقل ... وحم لروحي فراق الجسد
بعثت شفيعاً إلى صالح ... وذاك من القوم رأي فسد
فيسمع مني سجع الحمام ... وأسمع منه زئير الأسد
فلا يعجبني هذا النفاق ... فكم نفقت محنة ما كسد

أحمد بن عبد الرحمن بن نخيل الحميري

أبو العباس الشنتمري يقول فيه أبو العباس، أحمد بن عبد العزيز، بن غنزوان الكاتب الشنتمري، وقد حضر القراءة عليه هو وجماعة من طلبة شنتمرية:

ومجلس ليس لشر به ... باع وباع الخير فيه مديد
وربما تقضى حياة به ... ويثني العالم فيه بليد
يزينه في جمعه فتية ... غر كما تدري صباح الخدود
ما منهم في جمعهم واحد ... إلا أخو نبل وذهن حديد
تجمعوا حول فقيه حوى ... حلماً وعلماً مع رأي سديد
إن خانك التفكير في مشكل ... فآت من يبلغ ما قد تريد
وإن يقل كان الذي قاله ... ولم يكن فيه لخلق مزيد
كأنه بين تلاميذه ... بدر بدا بين نجوم السعود

أحمد بن عبد الله المهاباذي الضرير

من تلاميذ عبد القاهر الجرجاني، له شرح كتاب اللمع.

أحمد بن عبد السيد بن علي

يعرف بابن الأشقر، النحوي أبو الفضل، متأخر من ساكني قطيعة باب الأزج، ذكره أبو عبد الله بن الدبيثي في كتابه، الذي ذيله على تاريخ السمعاني وقال: هو أديب فاضل، قرأ على أبي زكريا، يحيى بن علي الخطيب التبريزي، ولازمه حتى برع في فنه، وسمع على علو سنه، من أبي الفضل محمد بن ناصر السلامي، قال: وسمعت من يذكر أنه رأى أبا محمد بن الخشاب النحوي بالقطيعة، من باب الأزج، وهو يسأله عن مسائل من النحو ويباحثه، وقد روى الأشقر: وأقرأ العربية، إلا أن الروايات عنه قليلة.

أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن عبد الملك

ابن عمر، بن محمد، بن عيسى، بن شهيد أبو عامر، أشجعي النسب، من ولد الوضاح، بن رزاح، الذي كان مع الضحاك يوم المرج، ذكره الحميدي وقال: إنه مات في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وأربعمائة بقرطبة، ومولده سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وأبو عبد الملك بن أحمد، شيخ من شيوخ وزراء الدولة العامرية، ومن أهل الأدب، وكان في أيام عبد الرحمن الناصر، له شعر وبديهة، ولم يخلف لنفسه نظيراً في علمي النظم والنثر. قال: وهو من العلماء بالأدب، ومعاني الشعر، وأقسام البلاغة، وله حظ من ذلك بسق فيه، ولم ير لنفسه في البلاغة أحداً يجاريه، وله كتاب حانوت عطار في نحو من ذلك.
وسائر رسائله وكتبه نافعة الجد، كثيرة الهزل، وشعره كثير مشهور، وقد ذكره أبو محمد علي بن أحمد مفتخراً به، فقال: ولنا من البلغاء أحمد بن عبد الملك، بن شهيد. وله من التصرف في وجوه البلاغة وشعابها مقدار، ينطق فيه بلسان مركب من لساني عمرو وسهل، ومن شعر أبي عامر المختار:
وما ألان قناتي غمز حادثة ... ولا استخف بحلمي قط إنسان
أمضي على الهول قدماً لا ينهنهني ... وأثني لسفيهي وهو حردان

ولا أقارض جهالاً بجهلهم ... والأمر أمري والأيام أعوان
أهيب بالصبر والشحناء ثائرة ... وأكظم الغيظ والأحقاد نيران
وقوله:
ألمت بالحب حتى لو دنا أجلي ... لما وجدت لطعم الموت من ألم
وذادني كرمي عمن ولهت به ... ويلي من الحب أو ويلي من الكرم
قال: وقال أبو محمد علي بن أحمد: ولم يعقب أبو عامر، وانقرض عقب الوزير أبيه بموته، وكان جواداً لا يليق شيئاً، ولا يأسى على فائت، عزيز النفس، مائلاً إلى الهزل، وكان له من علم الطب نصيب وافر.

أحمد بن عبد الملك بن علي بن أحمد

ابن عبد الصمد، بن بكر المؤذن، أبو صالح النيسابوري، الحافظ الأمين، لافقيه المفسر، المحدث الصوفي، نسيج وحده، في طريقته وجمعه وإفادته، ولد في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، ومات لتسع خلون من شهر رمضان سنة سبعين وأربعمائة، وكان أبو سعد السمعاني في المزيد فقال: ومن خطه نقلت، كان عليه

الاعتماد في الودائع من كتب الحديث، المجموعة في الخزائن، الموروثة عن المشايخ، الموقوفة على أصحاب الحديث، وكان يصونها، ويتعهد حفظها، ويتولى أوقاف المحدثين، من الحبر والكاغد وغير ذلك، ويقوم بتفرقتها عليهم، وإيصالها إليهم، وكان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية سنين احتساباً، ووعظ المسلمين وذكرهم، وكان يأخذ صدقات الرؤساء والتجار، ويوصلها إلى ذوي الحاجات، ويقيم مجالس الحديث، وكان إذا فر، جمع وصنف وأفاد، وكان حافظاً ثقة ديناً، خيراً كثير السماع، واسع الرواية، جمع بين الحفظ والإفادة والرحلة، وكتب الكثير بخطه.

ثم ذكر أبو سعد جماعة كثيرة، ممن سمع عليه، بجرجان، والري، والعراق، والحجاز، والشام، ثم قال كما ينطق به تصانيفه وتخريجاته، ولم يتفرغ للإملاء، لاشتغاله بالمهمات التي هو بصددها، ثم ذكر جماعة رووا عنه. ثم قال: وصنف التصانيف، وجمع الفوائد، وعمل التواريخ، منها: كتاب التاريخ لبلدنا مرو، ومسودته عندنا بخطه، وأثنى عليه ثناء طويلاً.

وذكر أن الخطيب أبا بكر ذكره في تاريخه، وأنه كتب عنه، وكتب هو عن الخطيب، ووصفه بالحفظ والمعرفة، والذب عن حديث النبي صلى الله عليه وسلم، ثم روى عنه أخباراً وأسانيد كثيرة، منها ما أسنده إليه، وقال: أنشد الشريف أبو الحسن عمران ابن موسى المغربي لنفسه:

حذيت وفائي منك غدراً وخنتني ... كذاك بدور التم شيمتها الغدر

وحاولت عند البدر والشمس سلوة ... فلم يسلني يا بدر شمس ولا بدر

وفي الصدر مني لوعة لو تصورت ... بصورة شخص ضاق عن حملها الصدر

أمنت اقتدار البين من بعد بينكم ... فما لفراق بعد فرقتكم قدر

أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله

ابن محمد، بن علي، بن الحسين، بن يحيى، بن السيني، أبو البركات، بن أبي الفرج، مؤدب الخلفاء، كانت له معرفة حسنة بالآداب، ومات في سادس عشر من المحرم، سنة أربع عشرة وخمسمائة، عن ست وخمسين سنة، وثلاثة أشهر.

قال أبو الفرج بن الجوزي: كان أبو البركات يعلم أولاد المستظهر، وكان له أنس بالمسترشد، فلما قبض على ابن الجوزي صاحب المخزن، ولي ابن السيني مكانه النظر في المخزن سنة وثمانية أشهر، وكان عالماً بالأدب والشعر، كثير الإفضال على أهل العلم، وخلف من المال ما حزر بمائة ألف دينار. وقف وقوفاً على مكة والمدينة.

أحمد بن عبيد بن ناصح بن بلنجر

أبو جعفر النحوي الكوفي، يعرف بأبي عصيدة. ديلمي الأصل، من موالي بني هاشم، حدث عن الواقدي، والأصمعي، وأبي داود الطيالسي، وزيد بن هارون، وغيرهم. وروى عنه القاسم بن محمد، بن بشار

الأنباري، وأحمد بن حسن، بن شهير، ومات فيما ذكره أبو عبد الله، محمد ابن شعبان بن هارون، بن بنت الغرياني في تاريخ الوفيات له، في سنة ثلاث وسبعين ومائتين.
قالوا: وكان ضعيفاً فيما يرويه، وله من التصانيف: كتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وكتاب الزيادات في السفر لابن السكيت في إصلاحه، وكتاب عيون الأخبار والأشعار.

وحدث محمد بن إسحاق النديم قال: كان أبو عصيدة وابن قادم يؤدبان ولد المتوكل، قال: لما أراد المتوكل أن يتخذ المؤدبين لولده، جعل ذلك إلى إيتاخ، فأمر إيتاخ كاتبه أن يتولى ذلك، فبعث إلى الطوال، والأحمر، وابن قادم، وأبي عصيدة هذا، وغيرهم من أدباء ذلك العصر، فأحضرهم مجلسه، وجاء أبو عصيدة، فقعد في آخر الناس، فقال له من قرب منه: لو ارتفعت، فقال: بل أجلس حيث انتهى بي المجلس، فلما اجتمعوا، قال لهم الكاتب: لو تذاكرتم وقفنا على موضعكم من العلم، واخترنا. فألقوا بينهم بيت ابن عنقاء الفزاري:
ذريني إنما خطئي وصوبي ... علي وإنما أنفقت مال
فقالوا: ارتفع مال بإنما، إذا كانت ما بمعنى الذي، ثم سكتوا، فقال لهم أحمد بن عبيد من آخر الناس: هذا الإعراب، فما المعنى؟ فأحجم الناس عن القول، فقيل له: فما المعنى عندك؟ قال: أراد ما لومك إياي؟ وإن ما أنفقت مال، ولم أنفق عرضاً، فالمال لا ألام على إنفاقه، فجاءه خادم من صدر المجلس فأخذ بيده، حتى تخطى به إلى أعلاه، وقال له: ليس هذا موضعك، فقال: لأن أكون في مجلس أرفع منه إلى أعلاه، أحب إلي من أن أكون في مجلس أحط عنه. فاختير هو وابن قادم، بخط عبد السلام البصري.
حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف، بن يوسف، بن موسى سبط فلان، قال: حدثنا أبو القاسم عبيد الله، ابن محمد، بن جعفر الأزدي قال: سمعت أحمد بن عبيد، بن ناصح يقول: لما أراد المتوكل أن يعقد للمعتز ولاية العهد، حططته عن مرتبته قليلاً، وأخرت غداءه عن وقته، فلما كان وقت الانصراف، قلت للخادم احمله، فضربته من غير ذنب، فكتب بذلك إلى المتوكل: فأنا في الطريق منصرفاً، إذ لحقني صاحب رسالة فقال: أمير المؤمنين يدعوك، فدخلت على المتوكل وهو جالس على كرسي، والغضب يبين في وجهه، والفتح قائم بين يديه متكئاً على السيف، فقال: ما هذا الذي فعلته يا أبا عبد الله؟ قلت: أقول يا أمير المؤمنين؟ فقال: قل، إنما سألتك لتقول، قلت: بلغني ما عزم عليه أمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – فدعوت ولي عهده وحططت منزلته، ليعرف هذا المقدار، فلا يعجل بزوال نعمة أحد، وأخرت غداءه، ليعرف هذا المقدار من الجوع، فإذا شكي إليه الجوع عرف ذلك، وضربته من غير ذنب، ليعرف مقدار الظلم، فلا يعجل على أحد، قال: فقال أحسنت، وأمر لي بعشرة آلاف درهم، ثم لحقني رسول قبيحة بعشرة آلاف أخرى، فانصرفت بعشرين ألفاً. قال: وحدثنا أبو القاسم الأزدي قال: سمعت أحمد بن عبيد، بن ناصح يحدث قال: قال لي المعتز يوماً: يا مؤدبي، تصلي جالساً؟ وتضربني قائماً؟ فقلت له: وضربك من الفروض، ولا أودي فرضي إلا قائماً،
وقال عبد الله بن عدي الحافظ: أحمد بن عبيد، أبو عصيدة النحوي، كان بسر من رأى يحدث عن الأصمعي، ومحمد بن مصعب القرقساني بمناكير، وقال أبو أحمد الحافظ النيسابوري وذكره فقال: لا يتابع على جل حديثه قال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري: أنشدني أبي قال: أنشدنا أحمد ابن عبيد:

ضعفت عن التسليم يوم فراقنا ... فودعتها بالطرف والعين تدمع
وأمسكت عن رد السلام فمن رأى ... محباً بطرف العين قبلي يودع؟
رأيت سيوف البين عند فراقنا ... بأيدي جنود الشوق بالموت نلمع
عليك سلام الله مني مضاعفاً ... إلى أن تغيب الشمس من حيث تطلع

أحمد بن عبيد الله بن محمد

ابن عمار أبو العباس الثقفي الكاتب المعروف بحمار العير، كذا قال الخطيب، قال: وله مصنفات في مقاتل الطالبيين وغير ذلك، وكان يتشيع، ومات في سنة أربع عشرة وثلاثمائة. حدث عن عثمان بن أبي شيبة، وسليمان بن أبي شيخ، وعمر ابن شبة، ومحمد بن داود بن الجراح، وغيرهم. وروى عنه القاضي الجابي، وابن زنجي الكاتب، وأبو عمرو بن حيويه، وأبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، وغيرهم. وفيه يقول ابن الرومي:

وفي ابن عمار عزيرية ... يخاصم الله بها والقدر
ما كان لم كان؟ وما لم يكن ... لم لم يكن؟ فهو وكيل البشر
لا بل فتى خاصم في نفسه ... لم لم يفز قدماً وفاز البقر
وكل من كان له ناظر ... صاف فلا بد له من نظر

هذا ما ذكره الخطيب.

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

ووجدت في كتاب ألفه أبو الحسن، علي بن عبيد الله، ابن المسيب الكاتب، في أخبار ابن الرومي، وكان ابن المسيب هذا، صديقاً لابن الرومي وخليطاً له. قال: كان أحمد بن محمد، بن عبيد الله، بن عمار، " هكذا قال في نسبه، بتقديم محمد على عبيد الله " صديقاً لابن الرومي، كثير الملازمة له، وكان ابن الرومي يعمل له الأشعار، وينحله إياها، يستعطف بها من يصحبه، وكان ابن عمار محدوداً فقيراً، وقاعة في الأحرار، وكان أيام افتقاره، كثير السخط لما تجري به الأقدار، في آناء الليل والنهار، حتى عرف بذلك، فقال له علي بن العباس، بن الرومي يوماً: يا أبا العباس، قد سميتك العزير، قال له: وكيف وقعت لي على هذا الاسم؟ قال: لأن العزير خاصم ربه، بأن أسال من دماء بني إسرائيل على يدي، بختنصر سبعين ألف دم، فأوحى الله: " لئن لم تترك مجادلتي في قضائي، لأمحونك من ديوان النبوة " : وقال فيه: " وفي ابن عمار عزيرية " وذكر البيتين اللذين في كتاب الخطيب وزاد:

لا، بل فتى خاصم في نفسه ... لم لم يفز قدماً وفاز البقر؟

وكل من كان له ناظر ... صاف فلا بد له من نظر

وكتب ابن الرومي إلى أحمد بن محمد، بن بشر المرشدي قصيدة يمدحه فيها، ويهنئه بمولود ولد له، ويحضه على بر ابن عمار والإقبال عليه، يقول فيها:

ولي لديكم صاحب فاضل ... أحب أن يبقى وأن يصحبا

مبارك الطائر ميمونه ... خبرني عن ذاك من جربا

بل عندكم من يمنه شاهد ... قد أفصح القول وقد أعربا

جاء فجاءت معه غرة ... تقبل الناس بها كوكبا

إن أبا العباس مستصحب ... يرضي أبا العباس مستصحبا

لكن في الشيخ عزيرية ... قد تركته شرساً مشغبا

فاشدد أبا العباس كفاً به ... فقد ثقفت الحطب المحوبا

باقعة إن أنت خاطبته ... أعرب أو فاكهته أغربا

أدبه الدهر بتصريفه ... فأحسن التأديب إذ أدبا

وقد غدا ينشر نعماءكم ... في كل ناد موجزاً مطنباً

والقصيدة طويلة. قال: وصار محمد بن داود، بن الجراح يوماً إلى ابن الرومي مسلماً عليه، فصادف عنده أبا العباس أحمد بن محمد بن عمار، وكان من الضيق والإملاق النهاية، وكان علي بن العباس مغموماً به، فقال محمد بن داود لابن الرومي، ولأبي عثمان الناجم: لو صرتما إلي وكثرتما بما عندي، لأنس بعضنا ببعض، فأقبل ابن الرومي، على محمد بن داود فقال: أنا في بقية علة، وأبو عثمان مشغول بخدمة صاحبه، يعني ابن بليل، وهذا أبو العباس بن عمار، له موضع من الرواية والأدب، وهو على غاية الإمتاع والإيناس بمشاهدته،

وأنا أحب أن تعرف مثله، وفي العاجل خذه معك، لتقف على صدق القول فيه. فأقبل محمد بن داود، على أحمد بن عمار، وقال له: تفضل بالمصير إلي في هذا اليوم، وقبله قبولاً ضعيفاً، فصار إليه ابن عمار في ذلك اليوم، ورجع إلى ابن الرومي فقال له: إني أقمت عند الرجل وبت، وأريد أن تقصده وتشكره، وتؤكد أمري معه. ومحمد بن داود في هذا الوقت متعطل، ملازم منزله، فصار إليه، وأكد له الأمر معه، وطال اختلافه إليه، إلى أن ولي عبيد الله بن سليمان وزارة المعتضد، واستكتب محمد بن داود بن الجراح، وأشخصه معه، وقد خرج إلى الجبل ورجع، وقد زوجه بعض بنات، وولاه ديوان المشرق، فاستخرج لابن عمار أقساطاً أغناه بها، وأجرى عليه أيضاً من ماله، ولم يزل يختلف إليه أيام حياة محمد بن داود.

وكان السبب في أن نعشه الله بعد العثار، وانتاشه من الإقبار ابن الرومي، فما شكر ذلك له، وجعل يتخلفه، ويقع فيه ويعيبه، وبلغ ابن الرومي ذلك، فهجاه بأهاج كثيرة، منها وهو مصحف:

ألا قل لابن عمار ... ألا تعظم من قدري
بحر أختك وحر والد ... تك لا تعرض لشعري
وتذكر حين تنسى ... حر عمتك وأيرى
وإذ فتىً فرح الرو ... حة منقاد لأمري؟؟
خر خالاتك للج ... يران لكن لست تدري

قال ابن المسيب: ومن عجيب أمر عزير هذا، أنه كان ينتقص ابن الومي في حياته، ويزري على شعره، ويتعرض لهجائه، فلما مات ابن الرومي، عمل كتاباً في تفضيله، ومختار شعره، وجلس يمليه على الناس، وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست، فقال: كان يصحب محمد بن داود، بن الجراح، ويروي عنه، ثم توكل للقاسم بن عبيد الله، بن سليمان وولده.

وله من الكتب كتاب المبيضة، وهو في مقاتل الطالبيين، كتاب الأنواء، كتاب مثالب أبي نواس، كتاب أخبار سليمان بن أبي شيخ، كتاب الزيادة في أخبار الوزراء، لابن الجراح، كتاب أخبار حجر بن عدي، كتاب أخبار أبي نواس، كتاب أخبار ابن الرومي ومختار شعره، كتاب المناقضات، كتاب أخبار أبي العتاهية، كتاب الرسالة في بني أمية، كتاب الرسالة في تفضيل بني هاشم ومواليهم، وذم بني أمية وأتباعهم، كتاب الرسالة في المحدب والمحدث، كتاب أخبار عبد الله بن معاوية الجعدي، كتاب الرسالة في مثال معاوية.

وذكره أبو عبد الله المرزباني في كتاب المعجم فقال: وذكر أنه مات في سنة عشر وثلاثمائة قال: وهو القائل:

وعيرتني النقصان والنقص شامل ... ومن ذا الذي يعطى الكمال فيكما؟
وأقسم أني ناقص غير أنني ... إذا قيس بي قوم كثير تقللوا
تفاضل هذا الخلق بالعلم والحجى ... ففي أيما هذين أنت؟ فتفضل
ولو منح الله الكمال ابن آدم ... لخلده والله ما شاء يفعل

وذكر ابن زنجي أبو القاسم الكاتب قال: كان الوزير أبو الحسن، علي بن محمد، بن الفرات، قد أطلق في وزارته الأخيرة للمحدثين عشرين ألف درهم، فأخذت لأبي العباس أحمد بن عبد الله بن عمار، لأنه كان

يجيئني ويقيم عندي: وسمعت منه أخبار المبيضة، ومقتل حجر، وكتاب صفين، وكتاب الجمل، وأخبار المقدمي، وأخبار سليمان بن أبي شيخ، وغير ذلك خمسمائة درهم.

أ؛مد بن عبد الله كلوذاني

بن أحمد، أبو الحسين الكلوذاني، المعروف بابن قرعة، من أهل الأدب والفضل الغزير، كتب بخطه الكثير من المصنفات الطوال، ولازم أبا بكر الصولي، وتضلع عليه من أدبه، وروى عنه، وطلب الأدب طول عمره، ثم عاد إلى بلده كلوذي، فأقام بها طول عمره، وقصده الناس، فكان أيدبها وفاضلها، ولم يزل بها إلى آخر عمره.

أحمد بن عبيد الله بن الحسن بن شقير

أبو العلاء البغدادي، ذكره الحافظ أبو القاسم في تاريخ دمشق، وقال: حدث عن أبي بكر محمد بن هارون بن الحدو، وحامد بن شعيب البلخي، والهيثم ابن خلف، وأبي بكر الباغندي والبغوي، وأبي عمر الزاهد، وأبي بكر بن الأنباري، وابن دريد، وأحمد بن فارس، وأبي بكر أحمد بن عبد الله سيف السجستاني، روى عنه تمام الرازي، ومكي بن محمد بن الغمر، وأبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله، بن الحيان، ومحمد بن عبد الله ابن الحسن الدوري.

أحمد بن علي بن يحيى بن أبي منصور

المنجم، أبو عيسى، نذكر كل واحد من آبائه وأعمامه، وأهل بيته في بابه، إن شاء الله تعالى وحده. وأما نسبهم، وولاؤهم، وأوليتهم، فنذكره في باب جده يحيى بن أبي منصور المنجم، إن شاء الله، وكان أحمد هذا، نبيلاً فاضلاً، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: له كتاب تاريخ سني العالم.

أحمد بن علي، أبو بكر الميموني

البرزندي النحوي، ذكره أبو الفتح، منصور بن المعذر النحوي، الأصفهاني المتكلم، وقد ذكر جماعة من المعتزلة النحويين، فذكر أبا سعيد السيرافي، وأبا علي الفارسي، وعلي ين عيسى الرماني، وغيرهم، ثم قال: وأبو بكر أحمد بن علي النحوي البرزندي، الشافعي النحوي المعتزلي، القائل:

إذا مت فانعيني إلى العلم والنهى ... وما حبرت كفي يما في المحابر

فإني من قوم بهم يصبح الهدى ... إذا أظلمت بالقوم طرق البصائر

أحمد بن علي المعروف بابن خشكنانجه

بن وصيف، المعروف بابن خشكنانجه يكنى أبا الحسين، وكان أبوه علي الملقب بخشكنانجهْ، فاضلاً، وقد ذكر في بابه، مات أحمد ببغداد، وذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان كاتباً بليغاً، فصيحاً شاعراً، وله من الكتب: كتاب النثر الموصول بالنظم، كتاب صناعة البلاغة، كتاب الفوائد:

أحمد بن علي القاساني اللغوي

أبو العباس، يعرف بلوه، وقيل بابن لوه، لا أعرف من أمره إلا ما قرأته بخط بديع بن عبد الله، فيما كتبه عن أبي الحسين، أحمد بن فارس اللغوي. أنشدني أحمد بن علي بن القاساني اللغوي:

إغسل يديك من الثقات ... وأصرمهم صرم البتات

واصحب أخاك على هوا ... ه وداره بالترهات

ما الود إلا باللسا ... ن فكن لساني الصفات

وقال في موضع آخر منه: سمعت أبا العباس أحمد ابن علي القاساني يقول: سمعت أعرابياً بالبادية يقول:

قل لدنيا أصبحت تلعب بي ... سلط الله عليك الآخرهْ

قلت أنا: هذا البيت معروف للحسين بن الضحاك، مع بيت آخر هو:

إن أكن أبرد من قنينة ... أو من الريش فأمي فاجرهْ

وقال في موضع آخر،: أخبرني أبو العباس، أحمد ابن علي القاساني، يعرف بلوه، وقال في موضع آخر: يعرف بابن لوه بقزوين، قال: كنت بالبصرة، وبها أبو بكر بن دريد، فبينا نحن في مجلسه، ورد علينا رجل من أهل الكوفة، فجعل يسأله عن مسائل، يظهر فيها لنا أنه يتعنته ويتسقطه، فأقبل عليه أبو بكر فقال له: يا هذا: قد عرفت مغزاك، وأحب أن تجمع ما تريد أن تسألني عنه في قرطاس، وتأتيني به وتأخذ من الجواب بديهة إن شئت، أو روية، فمضى الرجل وجاءه بعد ثلاث، وقد جمع له، فما سأله عن مسألة إلا وأبو بكر يبادره بالجواب، والرجل يكتب، ثم إنا سألنا الرجل، فأعطانا المسائل والجواب، فكتبتها، وهي هذه سماعي من أبي بكر لفظاً، القهوسة: مشية بسرعة، القعسرة: الصلابة والشدة، القعسنة: الانتصاب في الجلسة ويقال: الفقعسة أن يرفع الرجل رأسه وصدره، العقوسة: التذلل، الفقعسة: استرخاء وبلادة في الإنسان، البحدلة: القصر، بهدل: طائر، الكهدل: الشابة الناعمة، غطمش، من قولنا: تغطمش علينا: إذا ظلمنا، هجعم من الهجعمة: وهي الجرأة، خضارع من الخضرعة: وهي التسمح بأكثر ما عند الإنسان، التخثعم: الانقباض، الخثعمة: التلطخ بالدم، الشعفر: المرأة الحسناء، الكلحبة: العبوس، ويقال: كلحبت النار إذا مدت لسانها، سنبس من الصلابة والبيس، البلندي: الغليظ الصلب، القرثعة: تقرد الصوف في خروف ونحو هذه.

قال ابن فارس: أنشدني أبو العباس أحمد بن علي القلساني، وكان يعرف بابن لوه، قال: أنشدني أبو عبد الله نفطويه لبعض الأعراب:

إذا واله حنت من الليل حنة ... إلى إلفها جاوبتها بحنين

هنالك لا روادهم يبلغوننا ... ولا خبر يجلو العمى بيقين

وقال: قال أبو العباس: حججت فوقفت على أعرابية فقلت لها: كيف أصبحت؟ فقالت:

بخير على أن النوى مطمئنة ... بليلي وأن العين باد معينها

وإني لباك من تفرق شملهم ... فمن مسعد للعين؟ أم من يعينها؟

قال وأنشدني:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... بواد به الجثجاث والسلم والنضر

قال ابن فارس: وأنشدني أحمد بن علي القاساني:

وأمست أحب الناس قرباً ورؤية ... إلى قلبه سلمى وإن لم نحبب

حبيب إليه كل واد تحله ... سليمى خصيباً كان أو غير مخصب

قال وأنشدني:

وإذا دعا داع بها فديتها ... وعضضت من جزع لفرقتها يدي

لا يبعدن تلك الشمائل والحلي ... منها وإن سكنت محل الأبد

أحمد بن علي بن هارون

ابن علي، بن يحيى، بن أبي منصور المنجم، والمنجم أبو الفتح، أحد من سلك سبيل آبائه في طرق الآداب، واهتدى بهديهم في تلك إلى الفضائل من كل، روى عنه أبو علي التنوخي في نشواره فأكثر، ووصفه بالفضل وما قصر، وأنشد له أشعاراً قال: أنشدني أبو الفتح، أحمد بن علي، بن هارون، بن يحيى المنجم، في الوزير أبي الفرج، محمد بن العباس بن فسانجس في وزارته، وقد عمل على الانحدار إلى الأهواز لنفسه:

قل للوزير سليل المجد والكرم ... ومن له قامت الدنيا على قدم

ومن يداه ماً تجدي ندىً وردىً ... يجريهما عدل حكم السيف والقلم

ومن إذا هم أن يمضي عزائمه ... رأيت ما تفعل الأقدار في الأمم

ومن عوارفه تهمي وعادته ... في رب بدأته تنمى على القدم

لأنت أشهر في رعي الذمام وفي ... حكم التكرم من نار على علم

والعبد عبدك في قرب وفي بعد ... وأنت مولاه إن تظعن وإن تقم

فمره يتبعك أو لا فاعتمده بما ... تجري به عادة الملاك في الخدم

قال وأنشدني لنفسه، وذكر أنه لا يوجد لها قافية رابعة من جنسها في الحلاوة:

سيدي أنت ومن عاداته ... باعتدال وبجود جاريهْ

أنصف المظلوم وارحم عبرة ... بدموع ودماء جاريهْ

ربما أكني بقول سيدي ... عند شكواي الهوى عن جاريهْ

قال: وأنشدني لنفسه، والقافية كلها عود باختلاف المعنى:

العيش عافية والريح والعود ... فكل من حاز هذا فهو مسعود

هذا الذي لكم في مجلس أنق ... شنجاره العنبر الهندي والعود
وقينة وعدها بالخلف مقترن ... بما يؤمله راج وموعود
وفتية كنجوم الليل دأبهم ... إعمال كأس حداها النار والعود
فاغدوا علي بكاس الراح مترعة ... عوداً وبدءاً فإن أحمدتم عودوا

أحمد بن علي، أبو الحسن البتي الكاتب

كان يكتب للقادر بالله عند مقامه بالبطيحة، ولما وصلته البيعة، كتب عنه إلى بهاء الدولة، وكان البتي حافظاً للقرآن تالياً له، مليح المذاكرة بالأخبار والآداب، عجيب النادرة، ظريف المزح والمجون، قال ابن عبد الرحيم: كان البتي في بدء أمره يلبس الطيلسان، ويسمع الحديث، ويقرأ القرآن على شيوخ عصره، وكان يذكر أنه قرأ القرآن على زيد بن أبي بلال، وكان غاية في جمع خلال الأدب، يتعلق بصدور وافرة من فنون العلم، ويكتب خطاً جيداً، ويترسل ترسلاً لا بأس به، وينظم شعراً دون ما كان حظي به من العلم، ثم لبس من بعد الدراعة، وسلك في لبسه مذاهب الكتاب القدماء، وكان يلبس الخفين والمبطنة، ويتعمم العمة التغرية، وإن لبس لاجة لم تكن الامربدية، وكان لا يتعرض لحلق شعره، جرياً على السنة السالفة، وكتب من بعد في ديوان الخلافة، وكان له حرمة بالقادر بالله رعاها له، ثم غلب على أخلاقه الهزل، وتجافى الجد بالواحدة، وانقطع إلى اللعب، وكان شكله ولفظه، وما يورده من النوادر، يدعو إلى مكاثرته، والرغبة إلى مخالطته، فحضر مجلس بهاء الدولة ف يجملة الندماء، ونفق عنده نفاقاً لا مزيد عليه، ولم يكن لأحد من الرؤساء مسرة تتم، ولا أنس يكمل إلا بحضوره، فكانوا يتداولونه ولا يفارقونه، ونادم الوزراء، حتى انتهى إلى منادمة فخر الملك، وأعجب به غاية الإعجاب، وأحسن إليه غاية الإحسان، ومات في أيامه، وكانت له نوادر مضحكة، وجوابات سريعة، لا يكاد يلحقه فيها أحد، وتعرض لغيبة الناس، تعرضاً قلما أخل به على الوجه المضحك، الذي يكون سبباً إلى تدارك تلك المنقصة، وطريقاً إلى استقالة زلته فيها، بما اعتمده من التطايب، وكان يذهب مذهب المعتزلة، ويميل إلى فقه أبي حنيفة، ويتعصب للطائي تعصباً شديداً، ويفضل البحتري على أبي تمام، ويغلو فيه غاية الغلو.

فمن نوادره الشائعة أنه انحدر مع الرضي والمرتضى، وابن أبي الريان الوزير، وجماعة من الأكابر لاستقبال بعض الملوك، فخرج عليهم اللصوص، ورموهم بالحراقات، وجعلوا يقولون: ادخلوا يا أزواج القحاب، فقال البتي: ما خرج هؤلاء علينا إلا بعين، قالوا: ومن أين علمت؟ قال: وإلا فمن أين علموا أنا أزواج قحاب؟ وكان البتي صاحب الخبر والبريد في الديوان القادري، ومات في شعبان سنة ثلاث وأربعمائة، وله تصانيف منها: كتاب القادري، وكتاب العميدي، كتاب الفخري.

قال الوزير أبو القاسم المغربي: كان أبو الحسن البتي أحد المتفننين في العلوم، لا يكاد يجاري في فن من العلوم فيعجز عنه، وكان مليح المحاضرة، كثير المذاكرة، طيب النادرة: مقبول المشاهدة، رأيته على باب أحد رؤساء العمال وقد حجب عنه، فكتب إليه:

على أي باب أطلب الإذن بعد ما ... حجبت عن الباب الذي أنا صاحبه
فخرج الإذن له في الحال.

وحدث الرئيس أبو الحسن هلال بن المحسن قال: كنت عند فخر الملك أبي غالب بن خلف بالأهواز، فكتب إلى أبي ياسر عماد بن أحمد الصيرفي: احمل إلى أبي الحسن البتي مائتي دينار مع امرأة لا يعرفها، واكتب معها رقعة غير مترجمة، وقل فيها: قد دعاني ما آثرته من مخالطتك، ورغبت فيه من مودتك، إلى استدعاء المواصلة منك، وافتتاح باب الملاطفة بيني وبينك، وقد أنفذت مع الرسول مائتي دينار، فأخذها أبو الحسن، وكتب على ظهر الرقعة: مال لا أعرف مهديه، فأشكر له ما يوليه، إلا أنه صادف إضافة دعت إلى أخذه، والاستعانة في بعض الأمور به، قلت:

ولم أدر من ألقى عليه رداءه ... سوى أنه قد سل عن ماجد محض
وإذا سهل الله لي اتساعاً، رددت العوض موفوراً، وكان المبتدي بالبر مشكوراً.
وكان أبو الحسن قد فطن للقصة، وكتب على بصيرة ولما أنفذ أبو ياسر بالجواب، أقرأنيه فخر الملك.
فاستحسنت وقوع هذا البيت موقعه من التمثل. ومن شعر الرضي الموسوي إليه، الأبيات المشهورة:

أبا حسن أتحسب أن شوقي ... يقل على مكاثرة الخطوب
يهش لكم على الفرقان قلبي ... هشاشته إلى الزور القريب
وألفظ غيركم ويسوغ عندي ... ودادكم مع الماء الشروب

ورثاه الموسوي بقوله:

ما للهموم كأنها ... نار على قلبي تشب
والدمع لا يرقا له ... غرب كأن العين غرب
ما كنت أحسب أنني ... جلد على الأرزاء صعب
ما أخطأتك النائبا ... ت إذا أصابت من تحب

ورثاه المرتضى أخو الرضي بقوله:

عرج على الدار مغبراً جوانبها ... فاسأل بها عجلاً عن ساكن الدار
وقل لها أين ما كنا نراه على ... مر المدى بك من نقض وإمرار؟
وأين أوعية الآداب فاهقة ... تجري خلالك جري الجدول الجاري
يا أحمد بن علي والردى عرض ... يزور بالرغم منا كل زوار
علقت منك بحبل غير منتكث ... عند الحفاظ وعود غير خوار
وقد بلوتك في سخط وعند رضىً ... وبين طيٍ لأنباءٍ وإظهار
فلم تفدني إلا ما أضن به ... ولم تزدني إلا طيب أخبار
لا عار فيما شربت اليوم غصته ... من المنون وهل بالموت من عار؟
ولم ينلك سوى ما نال كل فتى ... عالي المكان ولاقى كل جبار

وأمر بهاء الدولة أبا الحسن البتي أن يعمل شعراً يكتب على تكة إبريسم فقال:

لم لا أتيه ومضجعي ... بين الروادف والخصور؟

وإن اتشحت فإنني ... بين الترائب والنحور

ولقد نشأت صغيرة ... إلفاً لربات الخدور

وله يصف كوز لافقاع:

يا رب ثدي مصصته بكراً ... وقد عراني خمار مغبوق

له هدير إذا شربت به ... مثل هدير الفحول في النوق

كأن ترجيعه إذا رشف الرا ... شف فيه صياح مخنوق

وله أيضاً:

ما احمرت العين من دمع أضر بها ... في عرصتي طلل أو إثر مرتحل

لكن رآها الذي يهوى وقد نظرت ... في وجه آخر فاحمرت من الخجل

قال ابن عبد الرحيم: وكان القادر بالله استتر عنده، لما طلبه الطائع قبل انحداره، وأخذ يده أن يستلينه، فلما ولي وقضي الأمر، صرف ابن حاجب النعمان، ورتبه في كتابته، واتفق أن كان ذلك في وقت الأضحى، فخرج إليه خادم على العادة في مثل ذلك، فقال له: رسم أن تحصى أسقاط الأضاحي، فقال لغلامه: خذ الدواة، فإن القوم يريدون كراعياً، ولا يريدون كاتباً، وانصرف بهذا المزح من الخدمة، وكان الهزل قد غلب عليه، وعزب عنه الجد جملة، وكان بينه وبين الرضي مقارضة لكلام جرى بينهما، فاتفق أن اجتاز بقرب دار الرضي، عند مسجد الأنباري، فقال لغلامه: مل بنا عن تلك الدار، فإني أكره المرور بها، فالتفت فوقعت عينه على الرضي، فتمم كلامه من غير أن يقطعه وقال: فإنني لا وجه لي في لقائه، لطول جفائه، فاستحسن هذا من بديهته، ودخل دار الرضي واصطلحا.

ومن نوادره: أنه سمع يوماً أصوات الملاحين، وارتفاع ضجة، فقال: ما هذا؟ فقالوا: هؤلاء أولاد أبي الفضل، بن حاجب النعمان، وأبي سعيد بن أبي الخطاب، وجماعة أولادهم، فقال: ما بيننا وبين هؤلاء إلا موت الآباء؟ ورأى معلماً قبيح الوجه، يعرف بنفاط الجن، وكان وحشاً انكشفت سوأته، فقال له يا هذا: استر عورتك السفلى، فإنك قد أدليت، ولكن بغير حجة، واستقبل أبا عبد الله بن الدراع، في ميدان بستان فخر الدولة، وهو متكئ على يد غلام أسود، فقال أبو عبد الله: هذا الأسود يصلح لخدمة سيدنا، فقال البتي: أي الخدم؟ فقال: خدمة الفراش، فقال: اللهم غفراً، أرمى بالبغاء، وليس في منزلي خنفساء؟ ويعرى منه سيدنا، وفي داره جميع بني حام.

بشر ابن الحواري بمولود، وكان ابن الحواري سمج الخلقة، فقال له البتي: إن كان هذا المولود يشبهك فويه، ثم ويه.

وسقاه الفقاعي في دار فخر الدولة فقاعاً، فلم يستطبه، فرد الكوز مفكراً، فقال له الفقاعي: في أي شيء تفكر؟ فقال: في دقة صنعتك، كيف أمكنك أن تخرى في بهذه الكيزان كلها مع ضيق رأسها؟ وأتاه غلامه في

مجلس حفل فقال له: إن ابنك وقع من ثلاث درج، فقال: ويلك من ثلاث بقين؟ أو خلون؟ فلم يفهم عنه، فقال: إن كان خلون فسهل، وإن بقين فيحتاج إلى نائحة.

ودخل الرقي العلوي على فخر الملك، فقال: – أطال الله بقاء مولانا، واسعده بهذا اليوم – ، فقال له وأي يوم هذا؟ فقال أيلون، فقال البتي بالنون، فقال: ما قرأت النحو، فقال البتي: أنت إذاً معذور، فإنك ثلاثة أرباع رقيع، أراد رقي، إذا ألحقت به العين وهو الحرف الرابع، صار رقيع.

قال ابن عبد الرحيم: وكان بين البتي وبين أبي القاسم بن فهد ملاحاة ومنابذة، ثم أصلح فخر الملك بينهما، فعمل فيه أبياتاً يقول فيها:

قلت للبتي لما ... رام صلحي من بعيد

وكان يرمي بالبخر، ويزن بالأبنة أيضاً، وقال فيه أيضاً:

وكل شرط للصلح أقبله ... إن أنت أعفيتني من القبل

وحدث ابن عبد الرحيم قال: وكان البتي مقبولاً، مستملحاً في جميع أحواله، ولم يكن فيه أقل من شعره، فإنه كان في غاية البرد، وعدم الطبع، وكان قد عمل في فخر الملك، وهو يسد فتق النهروان قصيدة، يصف فيها السكر قال فيها:

إذا أتاه الماء من جانب ... عاجله بالسد من جانب

فقال له: هذا والله أيها الأستاذ بارد، وأعاده، فحكى البيت وتأمله، وقال نعم، والله هو بارد، وجعل يعوج على نفسه، ويكرر الإنشاد مستبرداً له، فضحك فخر الملك منه، وقطع الإنشاد ولم يتممه.

قال: ولم يكن يسلم أحد من لسانه، وتعويجه وثلبه له، وإذا اتفق أن يسمعه من يقول ذلك فيه، التفت إليه كالمعتذر، وقال: مولاي ههنا؟ ما علمت بحضوره، ويجعل كونه ما عليم بحضوره اعتذاراً، كأنه مباح له ثلبه بالغيبة.

قال: وكان مع ذكائه وتوقده، وكثرة طنزه وتولعه، أشد الناس غباوة في الأمور الجديات، وأبعدهم من تصورها، وكان له معرفة تامة بالغناء وصنعته، ولا تكاد المغنية تغني بصوت إلا ذكر صنعته، وشاعره وجميع ما قيل في معناه، وله من قصيدة في ابن صالحان:

سل الربع بالخبتين كيف معاهده ... وأنى برجع القول منه هوامده؟؟

عفت حقباً بعد الأنيس رسومه ... فلم يبق إلا نؤيه وخوالده

ديار نزفت الدمع في عرصاتها ... تؤاماً إلى أن أقرح الجفن فارده

أرقت دماً بعد الدموع نزحته ... من القلب حتى غيضته شوارده

سأستعتب الدهر الخئون بسيد ... يرد جماح الدهر إذ هو قائده

سواء عليه طارف المال في الندى ... إذ ما انتحاه السائلون وتالده

وله فيه:

قرم إذا اعتذرت نوافل بره ... لم يلف دافع حقها بمعاذر

من معشر ورثوا المكارم والعلا ... وتقسموها كابراً عن كابر

قوم يقوم حديثهم بقديمهم ... ويسير أولهم بمجد الآخر

وكان أبو إسحاق الصابئ قد عمل لأبي بشر بن طازاد نسخة كتاب أراد إنشاءه، ونحله إياه، فكتب إليه أبو الحسن البتي يعرض بذلك:

زكاة العلوم زكاة الندى ... وعرف المعارف بذل الحجى

ولكن يجر به أهله ... فأجر بنيلك فضل التقى

لئن كنت أوجبته قربة ... لما وقع الموقع المرتضى

وما صدقاتك مقبولة ... إذا ما تنكبت فيها الهدى

قد عرفت – أطال الله بقاء سيدي – العارية والمستعير، وكيف جرى الأمر في ذلك، وما ظننت أن هذا يجري مجرى الماعون الذي لا يحسن منعه، " إذ لا يقع الغرض موقعه، بل ساء لنفرته من لابسه: "

أحمد بن علي بن محمد، أبو عبد الله

الرماني النحوي، المعروف بابن الشرابي، ذكره أبو القاسم فقال: سمع عبد الوهاب بن حسن الكلابي، وأبا الفرج الهيثم بن أحمد الفقيه، وأبا القاسم عبد الرحمن بن الحسين، بن الحسن، بن علي، بن يعقوب، بن أبي العقب، حدث بكتاب إصلاح المنطق، ليعقوب بن السكيت، عن أبي جعفر محمد بن أحمد الجرجاني، عن أبي علي الحسن ابن إبراهيم الآمدي، عن أبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، عن ثعلب، عن ابن السكيت، روى عنه أبو نصر بن طلاب الخطيب. قال ابن الأكفاني: حدثنا عبد العزيز بن أحمد الكناني، قال: توفي أبو عبد الله، أحمد بن علي الرماني، الشرابي النحوي، يوم الجمعة ليومين مضيا من ربيع الآخر، سنة خمس عشرة وأربعمائة.

الجزء الرابع

أحمد بن علي بن خيران الكاتب

المصري، أبو محمد الملقب بولي الدولة، صاحب ديوان الإنشاء بمصر بعد أبيه، وكان أبوه أيضاً فاضلاً بليغاً، أعظم قدراً من ابنه، وأكثر علماً، وكان أبو محمد هذا، يتقلد ديوان الإنشاء للظاهر، ثم للمستنصر، وكان رزقه في كل سنة ثلاثة آلاف دينار، وله عن كل ما يكتبه من السجلات، والعهودات، وكتب التقليدات رسوم، يستوفيها من كل شيء بحسبه، وكان شاباً حسن الوجه، جميل المروءة، واسع النعمة، طويل اللسان، جيد العارضة، وسلم إلى أبي منصور بن الشيرازي، رسول ابن النجار إلى مصر من بغداد، جزأين من شعره ورسائله، واستصحبهما إلى بغداد، ليعرضهما على الشريف المرتضي أبي القاسم وغيره، ممن يأنس به من رؤساء البلد، ويستشير في تخليدهما دار العلم، لينفذ بقية الديوان والرسائل، إن علم أن ما أنفذه منها ارتضي واستجيد، وأنه فارقه حياً، ثم ورد الخبر، بأنه مات في شهر رمضان، سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة في

أيام المستنصر.

قال ابن عبد الرحيم: ووقع إلى الجزء من الشعر فتأملته، فما وجدته طائلاً، وعرفني الرئيس أبو الحسن، هلال بن المحسن: أن الرسائل صالحة سليمة. قال: وقد انتزعت من المنظوم على خلوة، إلا من الوزن والقافية. فمن شعره:

عشق الزمان بنوه جهلاً منهم ... وعلمت سوء صنيعه فشنئته
نظروه نظرة جاهلين ففرهم ... ونظرته نظر الخبير فخفته
ولقد أتاني طائعاً فعصيته ... وأباحني أحلى جناه فعفته

ومن شعره أيضاً:

ولي لسان صارم حده ... يدمي إذا شئت ولا يدمى
ومنطق ينظم سمل العلا ... ويستميل العرب والعجما
ولو دجا الليل على أهله ... فأظلموا كنت لهم نجما

ومن شعره أيضاً:

أخذ المجد يميني ... لتفيضن يميني
ثم لا أرجئ إحسا ... ناً إلى من يرتجيني

ومن شعره أيضاً:

ولقد سموت على الأنام بخاطر ... ألله أجرى: منه بحراً زاخرا
فإذا نظمت نظمت روضاً حالياً ... وإذا نثرت نثرت دراً فاخرا

وقال على لسان بعض العلويين، يخاطب العباسيين:

وينطقنا فضل البدار إلى الهدى ... ويخرسكم عن ذكر فضل لنا بدر
وما كانت الشورى علينا غضاضة ... ولو كنتم فيها ساتطاركم الكبر

ومن شعره أيضاً:

يا من إذا أبصرت طلعته ... سدت على مطالع الحزم
قد كف لحظي عنك مذ كثرت ... فينا الظنون فكف عن ظلمي

ومن شعره أيضاً:

حيوا الديار التي أقوت مغانيها ... واقضوا حقوق هواها بالبكا فيها
ديار فاترة الألحاظ غانية ... جنت عليك ولجت في تجنيها
ظللت تسح دموعي في معاهدها ... سح السحاب إذا جادت عزاليها

ومن شعره أيضاً:

أيها المغتاب لي حسداً ... مت بداء البغي والحسد
حافظي من كل معتقد ... في سوءاً: حسن معتقدي

ومن شعره أيضاً:

أما ترى الليل قد ولت كواكبه ... والصبح قد لاح وانبثت مواكبه
ومنهل العيش قد طابت موارده ... والدهر وسنان قد أغفت نوائبه
فقم بنا نغتنم صفو الزمان فما ... صفو الزمان لمخلوق يصاحبه
ومن شعره أيضاً:
خلقت يدي للمكرمات ومنطقي ... للمعجزات ومفرقي للتاج
وسموت للعلياء أطلب غاية ... يشقى بها الغاوي وحظى الراجي
ومن شعره:
أنا شيعي لآل المصطفى ... غير أني لا أرى سب السلف
أقصد الإجماع في الدين ومن ... قصد الإجماع لم يخش التلف
لي بنفسي شغل عن كل من ... للهوى قرظ قوماً أو قذف
ومن شعره:
فقام يناوي غرة الشمس نوره ... وتنصف من ظلم الزمان عزائمه
أغر له في العدل شرع يقيمه ... وليس له في الفضل ند يقاومه
وقال على لسان ذلك الملك – ، يخاطب الظاهر لإعزاز دين الله، حين أمر بالختم على جميع ماله – : هذين البيتين، وكانا السبب في الإفراج عما أخذ منه والرضى عنه:
من شيم المولى الشريف العلي ... ألا يرى مطرحاً عبده
وما جزا من جن من حبكم ... أن تسلبوه فضلكم عنده
وكان ابن خيران، قد خرج إلى الجيزة متنزهاً، ومعه من أصحابه، المتقدمين في الأدب، والشعر، والكتابة، وقد احتفوا به يميناً وشمالاً، فأدى بهم السير إلى مخاضة مخوفة، فلما رأى إحجام الجماعة من الفرسان عنها، وظهور جزعهم منها، قنع بغلته، فوجها حتى قطعها، وانثنى قائلاً مرتجلاً:
ومخاضة يلقى الردى من خاضها ... كنت الغداة إلى العدا خواضها
وبذلت نفسي في مهاول خوضها ... حتى تنال من العدا أغراضها
وله أيضاً:
من كان بالسيف يسطو عند قدرته ... على الأعادي ولا يبغي على أحد
فإن سيفي الذي أسطو به أبداً ... فعل الجميل وترك البغي والحسد
وله أيضاً:
قد علم السيف وحد القنا ... أن لساني منهما أقطع
والقلم الأشرف لي شاهد ... بأنني فارسه المصقع
قال ابن عبد الرحيم: وهو كثير الوصف لشعره، والثناء على براعته ولسنه، وجميع ما في الجزء بعد ما ذكرته، لا حظ فيه، وليس فيه مدح إلا في سلطانهم المستنصر، والباقي على نحو ما ذكرته في مراثي أهل البيت عليهم السلام، ولو كان فيه ما يختار، لاخترته.

أحمد بن علي، بن ثابت، بن أحمد، بن مهدي

الخطيب، أبو بكر البغدادي، الفقيه الحافظ، أحد الأئمة المشهورين، المصنفين المكثرين، والحفاظ المبرزين، ومن ختم به ديوان المحدثين، سمع ببغداد شيوخ وقته، وبالبصرة، وبالدينور، وبالكوفة، ورحل إلى نيسابور في سنة خمس عشرة وأربعمائة حاجاً، فسمع بها، ثم قدمها بعد فتنة البساسيري، لاضطراب الأحوال ببغداد، فآذاه الحنابلة بجامع المنصور، سنة إحدى وخمسين، فسكنها مدة، وحدث بها بعامة كتبه ومصنفاته، إلى صفر سنة سبع وخمسين، فقصد صور، فأقام بها، وكان يتردد إلى القدس للزيارة، ثم يعود إلى صور، إلى أن خرج من صور، في سنة اثنتين وستين وأربعمائة، وتوجه إلى طرابلس، وحلب، فأقام في كل واحدة من البلدتين أياماً قلائل، ثم عاد إلى بغداد، في أعقاب سنة اثنتين وستين، وأقام بها سنة، إلى أن توفي، وحينئذ روى تاريخ بغداد، وروى عنه من شيوخه: أبو بكر البرقاني، والأزهري، وغيرهما.

وقال غيث بن علي الصوري: سألت أبا بكر الخطيب عن مولده، فقال: ولدت يوم الخميس لست بقين من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة: وكان الخطيب يذكر، أنه لما حج، شرب من ماء زمزم ثلاث شربات، وسأل الله عز وجل ثلاث حاجات، آخذاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم: " ماء زمزم لما شرب له " : فالحاجة الأولى: أن يحدث بتاريخ بغداد، والثانية: أن يملي الحديث بجامع المنصور، والثالثة: أن يدفن إذا مات عند قبر بشر الحافي، فلما عاد إلى بغداد، حدث بالتاريخ بها، ووقع إليه جزء، فيه سماع الخليفة القائم بأمر الله، فحمل الجزء، ومضى إلى باب حجرة الخليفة، وسأل أن يؤذن له في قراءة الجزء، فقال الخليفة: هذا رجل كبير في الحديث، فليس له إلى السماع مني حاجة، ولعل له حاجة، أراد أن يتوصل إليها بذلك، فسلوه ما حاجته؟ فسئل، فقال: حاجتي أن يؤذن لي أن أملي بجامع المنصور، فتقدم الخليفة إلى نقيب النقباء بأن يؤذن له في ذلك، فحضر النقيب، فلما مات أرادوا دفنه عد قبر بشر بوصية منه، قال ابن عساكر: فذكر شيخنا إسماعيل بن أبي سعد الصوفي، وكان الموضع الذي بجنب بشر، قد حفر فيه أبو بكر أحمد بن علي الطرثيثي قبراً لنفسه، وكان يمضي إلى ذلك الموضع، فيختم فيه القرآن ويدعو، ومضى على ذلك عدة سنين، فلما مات الخطيب، سألوه أن يدفنوه فيه، فامتنع، فقال: هذا قبري، قد حفرته، وختمت فيه عدة ختمات، ولا أمكن أحداً من الدفن فيه، وهذا مما لا يتصور، فانتهى الخبر إلى والدي، فقال له: يا شيخ، لو كان بشر في الأحياء، ودخلت أنت والخطيب إليه، أيكما كان يقعد إلى جنبه؟ أنت أو الخطيب؟؟ فقال: لا، بل الخطيب، فقال له: كذا ينبغي أن يكون في حالة الموت، فإنه أحق به منك، فطاب قلبه، ورضي بأن يدفن الخطيب في ذلك الموضع، فدفن فيه.

وقال المؤتمن الساجي: ما أخرجت بغداد بعد الدار قطني، أحفظ من الخطيب، وذكر في المنتظم: أن الخطيب لقي في مكة أبا عبد الله بن سلامة القضاعي، فسمع منه بها، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد المروزي في خمسة أيام، ورجع إلى بغداد، فقرب من رئيس الرؤساء، أبي القاسم بن مسلمة، وزير القائم بأمر الله تعالى، وكان قد أظهر بعض اليهود كتاباً، وادعى أنه كتاب رسول الله صلى عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر، وفيه شهادات الصحابة، وأنه خط علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – ، فعرضه رئيس

الرؤساء على أبي بكر الخطيب، فقال: هذا مزور، فقيل له: من أين لك ذلك؟ قال: في الكتاب شهادة معاوية بن أبي سفيان، ومعاوية أسلم يوم الفتح، وخيبر كانت في سنة سبع، وفيه شهادة سعد بن معاذ، وكان قد مات يوم الخندق، في سنة خمس، فاستحسن ذلك منه.

وذكر محمد بن عبد الملك الهمذاني: أن رئيس الرؤساء تقدم إلى القصاص والوعاظ، ألا يورد أحد حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى يعرضه على أبي بكر الخطيب، فما أمرهم بإيراده أوردوه، وما منعهم منه ألغوه.

وفي المنتظم قال: ولما جاءت نوبة البساسيري، استتر الخطيب، وخرج من بغداد إلى الشام، وأقام بدمشق، ثم خرج إلى صور، ثم إلى طرابلس، وإلى حلب، ثم عاد إلى بغداد، في سنة اثنتين وستين، فأقام بها سنة، ثم مات.

قال: وله ستة وخمسون مصنفاً، بعيدة المثل، منها: كتاب تاريخ بغداد، كتاب شرف أصحاب الحديث، كتاب الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، كتاب الكفاية في معرفة علم الرواية، كتاب المتفق والمفترق، كتاب السابق واللاحق، كتاب تلخيص المتشابه في الرسم، كتاب في التلخيص، كتاب في الفصل والوصل، كتاب المكمل في بيان المهمل، كتاب الفقيه والمتفقه، كتاب الدلائل والشواهد، على صحة العمل باليمين مع الشاهد، كتاب غنية المقتبس في تمييز الملتبس، كتاب الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة، كتاب الموضح، وهو أوهام الجمع والتفريق، كتاب المؤتنف في كملة المختلف والمؤتلف، كتاب منهج الصواب، في أن التسمية من فاتحة الكتاب، كتاب الجهر بالبسملة، كتاب الخيل، كتاب رافع الارتياب في القلوب من الأسماء والألقاب، كتاب القنوت، كتاب التبيين لأسماء المدلسين، كتاب تمييز المزيد في متصل الأسانيد، كتاب من وافق كنيته اسم أبيه، كتاب من حدث فنسي، كتاب رواية الآباء عن الأبناء، كتاب الرحلة في طلب الحديث، كتاب الرواة عن مالك بن أنس، كتاب الاحتجاج للشافعي فيما أسند إليه، والرد على الجاهلين بطعنهم عليه، كتاب التفصيل لمبهم المراسيل، كتاب اقتضاء العلم العمل، كتاب تقييد العلم، كتاب القول في علم النجوم، كتاب روايات الصحابة عن التابعين، كتاب صلاة التسبيح، كتاب مسند نعيم بن همماز، جزء. كتاب النهي عن صوم يوم الشك، كتاب الإجازة للمعلوم والمجهول، كتاب روايات السنة من التابعين، كتاب البخلاء، كتاب الطفيليين، كتاب الدلائل والشواهد، كتاب التنبيه والتوقيف، على فضائل الخريف.

قال ابن الجوزي: فهذا الذي ظهر لنا من تصانيفه، ومن نظر فيها عرف قدر الرجل، وما هيئ له مما لم يهيأ لمن كان أحفظ منه، كالدار قطني وغيره.

وحدث أبو سعد السمعاني، قرأت بخط والدي: سمعت أبا الحسين بن الطيوري ببغداد يقول: أكثر كتب الخطيب سوى التاريخ، مستفاد من كتب الصوري، كان الصوري بدأ بها ولم يتممها، وكانت للصوري أخت بصور، مات وخلف عندها اثني عشر عدلاً محزوماً من الكتب، فلما خرج الخطيب إلى الشام، حصل من كتبه ما صنف منها كتبه، قال: وكان سبب وفاة الصوري، أنه افتصد، وكان الطبيب الذي فصده، قد أعطي مبضعاً مسموماً ليفصد به غيره، فغلط، ففصده فقتله.

قال ابن الجوزي عند سماع هذه الحكاية: وقد يضع الإنسان طريقاً فيسلكه غيره، وما قصر الخطيب على كل حال، وكان حريصاً على علم الحديث، كان يمشي في الطريق وفي يده جزء يطالعه، وكان حسن القراءة، فصيح اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر الحسن.

قال ابن الجوزي: ونقلت –من خطه –من شعره قوله:

لعمرك ما شجاني رسم دار ... وقفت بها ولا ذكر المغاني
ولا أثر الخيام أراق دمعي ... لأجل تذكري عهد الغواني
ولا ملك الهوى يوماً فؤادي ... ولا عاصيته فثنى عناني
رأيت فعاله بذوي التصابي ... وما يلقون من ذل الهوان
فلم أطمعه في وكم قتيل ... له في الناس لا يحصى وعان؟
طلبت أخاً صحيح الود محضاً ... سليم الغيب مأمون اللسان
فلم أعرف من الإخوان إلا ... نفاقاً في التباعد والتداني
وعالم دهرنا لا خير فيه ... ترى صوراً تروق بلا معاني
ووصف جميعهم هذا فما إن ... أقول سوى فلان أو فلان
ولما لم أجد حراً يواتي ... على ما ناب من صرف الزمان
صبرت تكرماً لقراع دهري ... ولم أجزع لما منه دهاني
ولم أك في الشدائد مستكيناً ... أقول لها ألا كفي كفاني
ولكني صليب العود عود ... ربيط الجأش مجتمع الجنان
أبي النفس لا أختار رزقاً ... يجيء بغير سيفي أو سناني
لعز في لظى باغيه يشوى ... ألذ من المذلة في الجنان
ومن طلب المعالي وابتغاها ... أدار لها رحا الحرب العوان

ومن شعره أيضاً:

لا تغبطن أخا الدنيا بزخرفها ... ولا للذة وقت عجلت فرحاً
فالدهر أسرع شيء في تقلبه ... وفعله بين للخلق قد وضحا
كم شارب عسلاً فيه منيته ... وكم تقلد سيفاً من به ذبحا

قال أبو الفرج: وكان الخطيب قديماً على مذهب أحمد بن حنبل، فمال عنه أصحابنا لما رأوا من ميله إلى المبتدعة وآذوه، فانتقل إلى مذهب الشافعي، وتعصب في تصانيفه عليهم، فرمز إلى ذمهم، فصرح بقدر ما أمكنه، فقال في ترجمة أحمد بن حنبل: سيد المحدثين، وفي ترجمة الشافعي: تاج الفقهاء، فلم يذكر أحمد بالفقه، وقال في ترجمة حسين الكرابيسي، إنه قال عن أحمد: " إيش " تعمل بهذا الصبي. إن قلنا لفظنا بالقرآن مخلوق، قال بدعة، وإن قلنا غير مخلوق، قال بدعة، ثم التفت إلى أصحاب أحمد: فقدح فيهم بما أمكن، وله دسائس في ذمهم عجيبة، وذكر شيئاً مما زعم أبو الفرج أنه قدح في الحنابلة، وتأول له، ثم قال: أنبأنا أبو

زرعة، طاهر بن محمد بن طاهر المقدسي عن أبيه، قال: سمعت إسماعيل بن أبي الفضل القومسي، وكان من أهل المعرفة بالحديث يقول: ثلاثة من الحفاظ لا أحبهم، لشدة تعصبهم وقلة إنصافهم، الحاكم أبو عبد الله، وأبو نعيم الأصبهاني، وأبو بكر الخطيب. قال أبو الفرج: وصدق إسماعيل، وكان من أهل المعرفة، فإن الحاكم كان متشيعاً ظاهر التشيع، والآخران كانا يتعصبان للمتكلمين والأشاعرة. قال: وما يليق هذا بأصحاب الحديث، لأن الحديث جاء في ذم الكلام، وقد أكد الشافعي في هذا، حتى قال رأيي في أصحاب الكلام، أن يحملوا على البغال ويطاف بهم قال: وكان للخطيب شيء من المال، فكتب إلى القائم بأمر الله: إني إذا مت، كان مالي لبيت المال، وأنا أستأذن أن أفرقه على من شئت، فأذن له، ففرقه على أصحاب الحديث، وكان مائتي دينار، ووقف كتبه على المسلمين، وسلمها إلى أبي الفضل، بن خيرون، فكان يعزها، ثم صارت إلى ابنه الفضل، فاحترقت في داره، ووصى الخطيب أن يتصدق بجميع ما لعيه من الثياب.

قال ابن طاهر: سألت أبا القاسم هبة الله بن عبد الوارث الشيرازي، قلت: هل كان أبو بكر الخطيب كتصانيفه في الحفظ؟ فقال: لا، كنا إذا سألناه عن شيء أجابنا بعد أيام، وإن ألححنا عليه غضب، وكانت له بادرة وحشة.

وأما تصانيفه فمصنوعة مهذبة، ولم يكن حفظه على قدر تصانيفه.

وذكر أبو سعد السمعاني، في ترجمة عبد الرحمن بن محمد، بن عبد الواحد القزاز، قال: سمع جميع كتاب تاريخ مدينة السلام، من مصنفه أبي بكر الخطيب الحافظ، إلا الجزأين السادس، والثلاثين، فإنه قال: توفيت والدتي، واشتغلت بدفنها والصلاة عليها، ففاتني هذان الجزآن، وما أعيدا لي، لأن الخطيب كان قد شرط في الابتداء، ألا يعاد الفوت لأحد، فبقيا غير مسموعين.

قال السمعاني: لما رجعت إلى خراسان، حصل لي تاريخ الخطيب، بخط شجاع بن فارس، الذهلي الأصل، الذي كتبه بخطه لأبي غالب، محمد بن عبد الواحد القزاز، وعلى وجه كل واحد من الأجزاء مكتوب: سماع لأبي غالب، ولابنه أبي منصور عبد الرحمن، ولأخيه عبد المحسن، إلا هذين الجزأين، السادس، والثلاثين، فإنه كتب على وجهيهما: إجازة لأبي غالب، وابنه أبي منصور. وشجاع أعرف الناس، فيكون قد فاته الجزءان المذكوران، لا جزء واحد. ونقلت من خط أبي سعد السمعاني، ومنتخبه لمعجم شيوخ عبد العزيز، بن محمد النخشبي، قال: ومنهم أبو بكر، أحمد بن علي، بن ثابت الخطيب، يخطب في بعض قرى بغداد، حافظ فهم، ولكنه كان يتهم بشرب الخمر، كنت كلما لقيته بدأني بالسلام، فلقيته في بعض الأيام فلم يسلم علي، ولقيته شبه المتغير، فلما جاز عني لحقني بعض أصحابنا، وقال لي: لقيت أبا بكر الخطيب سكران، فقلت له: قد لقيته متغيراً، واستنكرت حاله، ولم أعلم أنه سكران، ولعله قد تاب، إن شاء الله.

قال السمعاني: ولم يذكر عن الخطيب – رحمه الله – هذا، إلا النخشبي، مع أني لحقت جماعة كثيرة من أصحابه. وقال في المذيل: والخطيب في درجة القدماء من الحفاظ، والأئمة الكبار، كيحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأحمد بن أبي خيثمة، وطبقتهم. وكان علامة العصر، اكتسى به هذا الشأن غضارة، وبهجة ونضارة، وكان مهيباً وقوراً، نبيلاً خطيراً، ثقة صدوقاً، متحرياً، حجة فيما يصنفه ويقوله، وينقله ويجمعه،

حسن النقل والخط، كثير الشكل والضبط، قارئاً للحديث، فصيحاً. وكان في درجة الكمال، والرتبة العليا، خلقاً وخلقاً، وهيئة ومنظراً، انتهى إليه معرفة علم الحديث وحفظه، وختم به الحفاظ، – رحمه الله – بدأ بسماع الحديث سنة ثلاث وأربعمائة، وقد بلغ إحدى عشرة سنة من عمره. ثم إنه قال: وسمعت بعض ماشيخي يقول: دخل بعض الأكابر جامع دمشق أو صور، ورأى حلقة عظيمة للخطيب، والمجلس غاص، يسمعون منه الحديث، فصعد إلى جانبه، وكأنه استكثر الجمع، فقال له الخطيب: القعود في جامع المنصور مع نفر يسير، أحب إلي من هذا. قال: وسمعت أبا الفتح مسعود بن محمد، بن أحمد أبي نصر، الخطيب بمرو يقول: سمعت عمر النسوي – يعرف بابن أبي ليلى – يقول: كنت في جامع صور عند الخطيب، فدخل عليه بعض العلوية، وفي كمه دنانير، وقال للخطيب: فلان – وذكر بعض المحتشمين من أهل صور – يسلم عليك ويقول: هذا تصرفه في بعض مهماتك، فقال الخطيب: لا حاجة لي فيه، وقطب وجهه، فقال العلوي: فتصرفه إلى بعض أصحابك، قال: قل له يصرفه إلى من يريد، فقال العلوي: كأنك تستقله، ونفض كمه على سجادة الخطيب، وطرح الدنانير عليها، وقال: هذه ثلاثمائة دينار، فقام الخطيب محمر الوجه، وأخذ السجادة، ونفض الدنانير على الأرض، وخرج من المسجد.

قال الفضل بن أبي ليلى: ما أنسى عز خروج الخطيب، وذل ذلك العلوي، وهو قاعد على الأرض، يلتقط الدنانير من شقق الحصر، ويجمعها.

وحدث بإسناد رفعه إلى الخطيب، قال: حدثت ولي عشرون سنة، حين قدمت من البصرة، كتب عني شيخنا أبو القاسم الأزهري، أشياء أدخلها في تصانيفه، وسألني فقرأتها عليه، وذلك في سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

وحدث قال: ذكر أبو الفضل ناصر السلامي قال: كان أبو بكر الخطيب من ذوي المروآت حدثني أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب اللغوي قال: لما دخلت دمشق في سنة ست وخمسين، كان بها إذ ذاك الإمام أبو بكر الحافظ، وكانت له حلقة كبيرة يجتمعون في بكرة كل يوم، فيقرأ لهم، وكنت أقرأ عليه الكتب الأدبية المسموعة له، فكان إذا مر في كتابه شيء يحتاج إلى إصلاح يصلحه، ويقول: أنت تريد مني الرواية، وأنا أريد منك الدراية، وكنت أسكن منارة الجامع، فصعد إلي يوماً وسط النهار، وقال: أحببت أن أزورك في بيتك، وقعد عندي، وتحدثنا ساعة، ثم أخرج قرطاساً فيه شيء، وقال: الهدية مستحبة، وأسألك أن تشتري به الأقلام، ونهض، ففتحت القرطاس بعد خروجه، فإذا فيه خمسة دنانير صحاح مصرية، ثم إنه مرة ثانية، صعد وحمل إلي ذهباً، وقال لي تشتري به كاغداً، وكان نحواً من الأول أو أكثر، قال: وكان إذا قرأ الحديث في جامع دمشق، يسمع صوته في آخر الجامع، وكان يقرأ مع هذا صحيحاً.

وقال أبو طاهر أحمد بن محمد، بن أحمد، السلفي الحافظ، الأصبهاني، يمدح مؤلفات الخطيب:

تصانيف ابن ثابت الخطيب ... ألذ من الصبا الغصن الرطيب

تراها إذ حواها من رواها ... رياضاً تركها رأس الذنوب

ويأخذ حسن ما قد صاغ منها ... بقلب الحافظ الفطن الأريب

فأية راحة ونعيم عيش ... يوازي كتبه أم أي طيب؟؟

وحدث محمد بن طاهر المقدسي، سمعت أبا القاسم مكي بن عبد السلام الرميلي كان يقول: سبب خروج

أبي بكر الخطيب من دمشق إلى صور، أنه كان يختلف إليه صبي صبيح الوجه، وقد سماه مكي، وأنا نكبت عن ذكره، فتكلم الناس في ذلك، وكان أمير البلدة رافضياً متعصباً، فبلغه القصة، فجعل ذلك سبباً للفتك به، فأمر صاحب الشرطة أن يأخذه بالليل ويقتله

وكان صاحب الشرطة من أهل السنة، فقصده صاحب الشرطة تلك الليلة مع جماعة من أصحابه، ولم يمكنه أن يخالف الأمر، فأخذه وقال له: قد أمرت بكذا وكذا، ولا أجد لك حيلة، إلا أني أعبر بك على دار الشريف، بن أبي الحسن العلوي، فإذا حاذيت الباب فادخل الدار، فإني أرجع إلى الأمير، وأخبره بالقصة، ففعل ذلك، ودخل دار الشريف، وذهب صاحب الشرطة إلى الأمير، وأخبره الخبر، فبعث الأمير إلى الشريف أن يبعث به، فقال الشريف: أيها الأمير، أنت تعرف اعتقادي فيه، وفي أمثاله، ولكن ليس في قتله مصلحة، هذا رجل مشهور بالعراق، وإن قتلته، قتل به جماعة من الشيعة بالعراق، وخربت المشاهد، قال: فما ترى؟ قال: أرى أن يخرج من بلدك، فأمر بإخراجه، فخرج إلى صور، وبقي بها مدة، إلى أن رجع إلى بغداد، فأقام بها إلى أن مات.

ومن شعر الخطيب أيضاً:

قد شاب رأسي وقلبي ما يغيره ... كر الدهور عن الإسهاب في الغزل
وكم زماناً طويلاً ظلت أعذله ... فقال قولاً صحيحاً صادق المثل
حكم الهوى يترك الألباب حائرة ... ويورث الصب طول السقم والعلل
وحبك الشيء يعمي عن مقابحه ... ويمنع الأذن أن تصغي إلى العذل
لا أسمع العذل في ترك الصبا أبداً ... جهدي فما ذاك من همي ولا شغلي
من ادعى الحب لم تظهر دلائله ... فحبه كذب قول بلا عمل

وله أيضاً:

تغيب الخلق عن عيني سوى قمر ... حسبي من الخلق طرا ذلك القمر
محله في فؤادي قد تملكه ... وحاز روحي ومالي عنه مصطبر
فالشمس أقرب منه في تناولها ... وغاية الحظ منها للورى النظر
أردت تقبيله يوماً مخالسة ... فصار من خاطري في خده أثر
وكم حليم رآه ظنه ملكاً ... وراجع الفكر فيه أنه بشر

قال عبد الخالق بن يوسف: أنشدني من لفظه الشيخ أبو العز، أحمد بن عبد الله كادش، عن الخطيب، وقال: هي في أبي منصور بن النفور:

الشمس تشبهه والبدر يحكيه ... والدر يضحك والمرجان من فيه!!
ومن سرى وظلام الليل معتكر ... فوجهه عن ضياء البدر يغنيه
روي له الحسن حتى حاز أحسنه ... لنفسه وبقي للخلق باقيه
فالعقل يعجز عن تحديد غايته ... والوحي يقصر عن فحوى معانيه

يدعو القلوب فتأتيه مسارعة ... مطيعة الأمر منه ليس تعصيه
سألته زروة يوماً فأعجزني ... وأظهر الغضب المقرون بالتيه
وقال لي دون ما تبغي وتطلبه ... تناول الفلك الأعلى وما فيه
رضيت يا معشر العشاق منه بأن ... أصبحت أعلم أني من محبيه
وأن يكون فؤادي في يديه لكي ... يميته بالهوى منه ويحييه

وله أيضاً:

بنفسي عاتب في كل حال ... وما لمحبه ذنب جناه
حفظت عهوده ورعيت منه ... ذماماً مثله لي ما رعاه
حرمت وصاله إن كنت يوماً ... جرى لي خاطر بهوى سواه
ولو تلفي رضاه لهان عند ... خروج الروح في طلبي رضاه

وله أيضاً:

خمار الهوى يربي على نشوة الخمر ... وذو الحزم فيه ليس يصحو من السكر
وللحب في الأحشاء حر أقله ... وأبرده يوفي على لهب الجمر
أخبركم يأيها الناس أنني ... عليم بأحوال المحبين ذو خبر
سبيل الهوى سهل يسير سلوكه ... ولكنه يفضي إلى مسلك وعر
وترجع أوصاف الهوى ونعوته ... لحرفين سعد الوصل أو شقوة الهجر

وله أيضاً:

إلى الله أشكو من زماني حوادثاً ... رمت بسهام البين في غرض الوصل
أصابت بها قلبي ولم أقض منيتي ... ولو قتلتني كان أجمل بالفعل
" متى ما تماثل بين " قتل وفرقة ... تجد فرقة الأحباب شراً من القتل

قال أبو بكر الخطيب: كتب معي أبو بكر البرقاني إلى أبي نعيم الأصبهاني الحافظ كتاباً يقول في فصل منه: وقد نفذ إلى ما عندك عمداً متعمداً، أخونا أبو بكر أ؛مد بن علي، بن ثابت، – أيده الله وسلمه – ليقتبس من علومك، ويستفيد من حديثك، وهو بحمد الله، من له في هذا الشأن سابقة حسنة، وقدم ثابة، وفهم حسن وقد رحل فيه وفي طلبه، وحصل له منه ما لم يحصل لكثير من أمثاله الطالبين له، وسيظهر لك منه عند الاجتماع من ذلك مع التورع والتحفظ، وصحة التحصيل، ما يحسن لديك موقعه، ويجمل عندك منزلته، وأنا أرجو إذا صحت منه لديك هذه الصفة، أن تلين له جانبك، وأن تتوفر له، وتحتمل منه ما عساه يورده، من تثقيل في اللاستكثار، أو زيادة في الاصطبار، فقديماً حمل السلف عن الخلف، ما ربما ثقل، وتوفروا على المستحق منهم بالتخصيص، والتقديم والتفضيل، ما لم ينله الكل منهم، وقال الرئيس أبو الخطاب بن الجراح، يمدح الخطيب:

فاق الخطيب الورى صدقاً ومعرفة ... وأعجز الناس في تصنيفه الكتبا

حمى الشريعة من غاو يدنسها ... بوضعه ونفى التدليس والكذبا
جلا محاسن بغداد فأودعها ... تاريخه مخلصاً لله محتسباً
وقال في الناس بالقسطاس منزويا ... عن الهوى، وأزال الشك والريبا
سقى ثراك أبا بكر على ظمأ ... جون ركام يسح الواكف السربا
ونلت فوزاً ورضواناً ومغفرة ... إذا تحقق وعد الله واقتربا
يا أحمد بن علي طبت مضطجعاً ... وباء شانيك بالأوزار محتفبا

وقال أبو القاسم: حدثني أبو محمد الأكفاني، حدثني أبو القاسم، مكي بن عبد السلام المقدسي، قال: مرض الشيخ أبو بكر الخطيب ببغداد، في نصف رمضان، إلى أن اشتد به الحال، في ذي الحجة، وأيسنا منه، وأوصى إلى أبي الفضل بن خيرون، ووقف كتبه على يده، وفرق جميع ماله في وجوه البر، وعلى أهل العلم والحديث، وأخرجت جنازته من حجرة تلي المدرسة النظامية، من نهر المعلى، وتبعه الفقهاء، والخلق العظيم، ومرت الجنازة على الجسر، وحملت إلى جامع المنصور، وكان بين يدي الجنازة جماعة ينادون: هذا الذي كان يذب عن رسول الله، هذا الذي كان يحفظ حديث رسول الله، وعبرت الجنازة بالكرخ، ومعها ذلك الخلق العظيم.

أحمد بن علي، بن قدامة، أبو المعالي

قاضي الأنبار، أحد العلماء بهذا الشأن، المعروفين المشهورين به، وله من الكتب كتاب في علم القوافي، وكتاب في النحو. مات في شوال، سنة ست وثمانين وأربعمائة.

أحمد بن علي، بن عمر، بن سوار المقرئ

أبو طاهر، مات، فيما ذكره السمعاني، في رابع شعبان، سنة ست وتسعين وأربعمائة، ودفن عند قبر معروف الكرخي، قال: وقال ابن ناصر أبو الفضل: أظن أن مولد ابن سوار في سنة ست عشرة وأربعمائة، قال: وسمعت أبا المعمر، المبارك بن أحمد الأنصاري قال: سألت ابن سوار عن مولده، فقال: ولدت سنة اثنتي عشرة وأربعمائة.

قال: وهو والد شيخنا أبي الفوارس هبة الله، بن محمد، وكان ثقة أميناً، مقرئاً فاضلاً، وكان حسن الأخذ للقرآن العظيم، ختم عليه جماعة كتاب الله، وكتب الكثير بخطه من الحديث، وصنف في القرآن كتاب المستنير وغيره، سمع عبد الواحد بن رزمة، صاحب أبي سعيد السيرافي في النحو. وأبا القاسم علي بن المحسن التنوخي، وأبا طالب محمد بن محمد، بن إبراهيم، بن غيلان البزاز، وغيرهم. وروى عنه عبد الوهاب الأنماطي، ومحمد بن ناصر، الحافظان، وغيرهما.

قال: وسألت عنه الأنماطي فقال: ثقة مأمون، فيه خير ودين. وسألت عنه الحافظ بن ناصر، فأحسن الثناء عليه، وقال: شيخ نبيل عالم ثبت، متقن رحمه الله.

وأنشد السمعاني بإسناده إلى ابن سوار، قال: أنشدني أبو الحسن علي بن محجمد السمار: أنشدنا أبو نصر عبد العزيز ابن نباتة السعدي لنفسه:

نعلل بالدواء إذا مرضنا ... وهل يشفي من الموت الدواء؟

ونختار الطبيب، وهل طبيب ... يؤخر ما يقدمه القضاء؟

وما أنفاسنا إلا حساب ... ولا حركاتنا إلا فناء

وذكره أبو علي الحسين بن محمد، بن فيرو الصدفي في شيوخه، يذكر نسبه، ثم قال: البغدادي الضرير المقرئ الأديب، ولعله أضر على كبر، فإن الخب بن النجار، أخبرني أنه رأى خطه تحت الطباق متغيراً.

سمع الصدفي منه كتابه المستنير، وكتابه في المفردات، أفرد ما جمعه في المستنير، وقال: هو شيخ فاضل في الحنفية، سمع كثيراً، وحبس نفسه على القرآن.

وذكره أبو بكر بن العربي في شيوخه، فقال: واقف على اللغة، مذاكر، ثقة، فاضل، قرأ على أبوي علي الشرمقاني والعطار. وأبي الحسن بن فارس الخياط، وأبي الفتح بن المقدر، وأبي الفتح بن شيطا، وغيرهم.

أحمد بن علي، بن مخلد، البيادي الأديب

أبو العباس، ذكره عبد الغافر فقال: أحد وجوه أفاضل النواحي، المشهورين باللهجة الفصيحة في النظم والنثر، سمع الأحاديث، وعني بجمعها.

أحمد بن علي، بن أبي جعفر، محمد

ابن أبي صالح البيهقي، أبو جعفر المقرئ اللغوي، ويعرف بيو جعفرك، ومعنى هذه الكاف المزيدة ففي آخر الاسم الفارسي " التصغير " يقولون في تصغير علي " عليك " وفي تصغير حسن " حسنك " وفي تصغير جعفر " جعفرك " وما أشبهه. مات فيما ذكره أبو سعد السمعاني في مشيخة أبيه، في سلخ شهر رمضان، سنة أربع وأربعين وخمسمائة. أخبرني بذلك الشيخ الإمام أبو المظفر عبد الرحيم ابن سعد السمعاني، عن والده، وأخبرني أيضاً أن مولده في حدود سنة سبعين وأربعمائة.

قال السمعاني: كان إماماً في القراءة والتفسير، والنحو واللغة، صنف التصانيف في ذلك، وانتشرت عنه في البلاد وظهر له أصحاب نجباء، وتخرج به خلق، وكان ملازماً لبيته لا يخرج منه إلا في أوقات الصلاة، إلى مسجد نيسابور، لأنه كان إمامه، وكان لا يزور أحداً، إنما يقصده الناس إلى منزله، للتعلم منه والتبرك به، سمع أبا نصر أحمد بن محمد، بن صاعد القاضي، وأبا الحسن علي بن الحسن، بن العباس، الصندلي الواعظ وغيرهما. وذكر وفاته كما تقدم.

وذكر تاج الدين، محمود بن أبي المعالي الحواري، في مقدمة كتاب ضالة الأديب، قال: أحمد بن علي البيهقي، كان إماماً في القراءات والأدب، حفظ كتاب الصحاح في اللغة عن ظهر قلب، بعد ما قرأه على أبي الفضل أحمد بن محمد الميداني، وكتباً كثيرة، وله مؤلفات، منها: كتاب المحيط بلغات القرآن، كتاب ينابيع اللغة، فيه

صحاح اللغة من الشواهد، وضم إليه من تهذيب اللغة والشامل لأبي منصور الجبان، والمقاييس لابن فارس، قدراً صالحاً من الفوائد والفرائد وهو كتاب صالح، كبير الحجم، يقرب حجمه من الصحاح، وله أيضاً: كتاب تاج المصادر، كتاب المحيط بعلم القرآن.

وقال علي بن محمد، بن علي الجويني، يمدح بو جعفرك ويذكر كتابه تاج المصادر، وقد راعى اللزوم:

أبا جعفر يا من جعافر فضله ... موارد منها قد صفت ومصادر

كتابك ذا غيل تأشب نبته ... وأنت به ليث بخفان خادر

لبست صدار الصبر، يا خير مصدر ... مصادر لا تنهى إليها المصادر

فقل لرواة الفضل والأدب: انتهوا ... إليها، ونحو الري منها فبادروا

أحمد بن علي، بن إبراهي، بن الزبير، الغساني

الأسواني المصري، يلقب بالرشيد، وكنيته أبو الحسين. مات في سنة اثنتين وستين وخمسمائة، على ما نذكره، وكان كاتباً شاعراً، فقيها، نحوياً، لغوياً، ناشئاً، عروضياً، مؤرخاً، منطقياً، مهندساً، عارفاً بالطب، والموسيقى، والنجوم، متفنناً.

قال السلفي: أنشدني القاضي أبو الحسن، أحمد بن علي ابن إبراهيم، الغساني الأسواني لنفسه بالثغر:

سمحنا لدنيانا بما بخلت به ... علينا، ولم نخفل بجل أمورها

فيا ليتنا لما حرمنا سرورها ... وقينا أذى آفاتها وشرورها

قال: وكان ابن الزبير هذا، من أفراد الدهر فضلاً في فنون كثيرة من العلوم، وهو من بيت كبير بالصعيد، من الممولين وولي النظر بثغر الإسكندرية والدواوين السلطانية، بغير اختياره، وله تآليف ونظم ونثر، التحق فيها بالأوائل المجيدين، قتل ظلماً وعدواناً في محرم سنة اثنتين وستين وخمسمائة، وله تصانيف معروفة لغير أهل مصر، منها: كتاب منية الألمعي وبلغة المدعي: تشتمل على علوم كثيرة. كتاب المقامات. كتاب جنان الجنان، وروضة الأذهان، في أربع مجلدات، يشتمل على شعر شعراء مصر، ومن طرأ عليهم. كتاب الهدايا والطرف. كتاب شفاء الغلة، في سمت القبلة. كتاب رسائله نحو خمسين ورقة، كتاب ديوان شعره، نحو مائة ورقة.

ومولده بأسوان، وهي بلدة من صعيد مصر، وهاجر منها إلى مصر، فأقام بها، واتصل بملوكها، ومدح وزراءها، وتقدم عندهم، وأنفذ إلى اليمن في رسالة، ثم قلد قضاءها وأحكامها، ولقب بقاضي قضاة اليمن، وداعي دعاة الزمن. ولما استقرت بها داره، سمت نفسه إلى رتبة الخلافة، فسعى فيها، وأجابه قوم، وسلم عليه بها، وضربت له السكة، وكان نقش السكة على الوجه الواحد: " قل هو الله أحد، الله الصمد " وعلى الوجه الآخر: الإمام الأمجد، أبو الحسين أحمد، ثم قبض عليه، وأنفذ مكبلاً إلى قوص، فحكى من حضر دخوله إليها: أنه رأى رجلاً ينادي بين يديه: هذا عدو السلطان، أحمد بن الزبير، وهو مغطى الوجه، حتى وصل إلى دار الإمارة، والأمير بها يومئذ طرخان سليط، وكان بينهما ذحول قديمة، فقال: احبسوه في

المطبخ، الذي كان يتولاه قديماً، وكان بان الزبير، قد تولى المطبخ، وفي بذلك يقول الشريف الأخفش، من أبيات يخاطب الصالح بن رزيك:

يولى على الشيء أشكاه ... فيصبح هذا لهذا أخا

أقام على المطبخ ابن الزبير ... فولى على المطبخ المطبخا

فقال بعض الحاضرين لطرخان: ينبغي أن تحسن إلى الرجل، فإن أخاه، – يعني المهذب حسن بن الزبير، – قريب من قلب الصالح، ولا أستبعد أن يستعطفه عليه، فتقع في خجل.

قال: فلم يمض على ذلك غير ليلة أو ليلتين، حتى ورد ساع من الصالح بن رزيك، إلى طرخان بكتاب يأمره فيه بإطلاقه، والإحسان إليه، فأحضره طرخان من سجنه مكرماً.

قال الحاكي: فلقد رأيته، وهو يزاحمه في رتبته ومجلسه.

وكان السبب في تقدمه في الدولة المصرية في أول أمره، ما حدثني به الشريف، أبو عبد الله، محمد بن أبي محمد العزيز الإدريسي، الحسني الصعيدي قال: حدثني زهر الدولة، حدثنا: أن أحمد بن الزبير، دخل إلى مصر بعد مقتل الظافر، وجلوس الفائز، وعليه أطمار رثة، وطيلسان صوف، فحضر المأتم، وقد حضر شعراء الدولة، فأنشدوا مراثيهم على مراتبهم، فقام في آخرهم، وأنشد قصيدته التي أولها:

ما للرياض تميل سكرا ... هل سقيت بالمزن خمرا

إلى أن وصل إلى قوله:

أفكر بلاء بالعرا ... ق، وكربلاء بمصر أخرى؟

فذرفت العيون، وعج القصر بالبكاء والعويل، وانثالت عليه العطايا من كل جانب، وعاد إلى منزله بمال وافر، حصل له من الأمراء والخدم، وحظايا القصر، وحمل إليه من قبل الوزير جملة من المال، وقيل له: لولا أنه العزاء والمأتم، لجاءتك الخلع.

قال: وكان على جلالته وفضله، ومنزلته من العلم والنسب، قبيح المنظر، أسود الجلدة، جهم الوجه، سمج الخلقة، ذا شفة غليظة، وأنف مبسوط، كخلقة الزنوج، قصيراً.

حدثني الشريف المذكور عن أبيه، قال: كنت أنا والرشيد بن الزبير، والفقيه سليمان الديلمي، نجتمع بالقاهرة في منزل واحد، فغاب عنا الرشيد، وطال انتظارنا له، وكان ذلك في عنفوان شبابه، وإبان صباه، وهبوب صباه، فجاءنا، وقد مضى معظم النهار، فقلنا له: ما أبطأ بك عنا؟ فتبسم وقال: لا تسألوا عما جرى عليّ اليوم، فقلنا: لابد من ذلك، فتمنع، وألححنا عليه، فقال: مررت اليوم بالموضع الفلاني، وإذا امرأة شابة، صبيحة الوجه، وضيئة المنظر، حسانة الخلق، ظريفة الشمائل، فلما رأتني، نظرت إلي نظر مطمع لي في نفسه، فتوهمت أنني وقعت منها بموقع، ونسيت نفسي، وأشارت إلي بطرفها، فتبعتها وهي تدخل في سكة وتخرج من أخرى، حتى دخلت داراً، وأشارت إلي، فدخلت، ورفعت النقاب عن وجه كالقمر في ليلة تمامه، ثم صفقت بيديها منادية: يا ست الدار، فنزلت إليها طفلة، كأنها فلقة قمر، وقالت لها: إن رجعت تبولين في الفراش، تركت سيدنا القاضي يأكلك، ثم التفتت وقالت: – لا أعدمني الله إحسانه، بفضل سيدنا

القاضي أدام الله عزه – ، فخرجت وأنا خزيان خجلاً، لا أهتدي إلى الطريق.
وحدثني قال: اجتمع ليلة عند الصالح بن رزيك، هو وجماعة من الفضلاء، فألقى عليهم مسألة في اللغة، فلم يجب عنها بالصواب سواه، فأعجب به الصالح، فقال الرشيد: ما سئلت قد عن مسألة إلا وجدتني أتوقد فهماً. فقال ابن قادوس، وكان حاضراً:

إن قلت: من نار خلق ... ت، وفقت كل الناس فهماً
قلنا: صدقت، فما الذي ... أطفاك حتى صرت فحما؟

وأما سبب مقتله: فلميله إلى أسد الدين شيركوه عند دخوله إلى البلاد، ومكاتبته له، واتصل ذلك بشاور وزير العاضد، فطلبه، فاختفى بالإسكندرية، واتفق التجاء الملك صلاح الدين، يوسف بن أيوب إلى الإسكندرية، ومحاصرته بها، فخرج ابن الزبير راكباً متقلداً سيفاً، وقاتل بين يديه، ولم يزل معه مدة مقامه بالإسكندرية، إلى أن خرج منها فتزايد وجد شاور عليه، واشتد طلبه له، واتفق أن ظفر به، على صفة لم تتحقق لنا، فأمر بإشهاره على جمل، وعلى رأسه طرطور، ووراءه جلواز ينال منه.
وأخبرني الشريف الإدريسي، عن الفضل بن أبي الفضل، أنه رآه على تلك الحال الشنيعة، وهو ينشد:

إن كان عنك يا زمان بقية ... مما تهين به الكرام فهاتها

ثم جعل يهمهم شفتيه بالقرآن، وأمر به، بعد إشهاره بمصر والقاهرة، أن يصلب شنقاً، فلما وصل به إلى الشناقة، جعل يقول للمتولي ذلك منه: عجل عجل، فلا رغبة للكريم في الحياة بعد هذه الحال، ثم صلب.
حدثني الشريف المذكور قال: حدثني الثقة حجاج ابن المسبح الأسواني: أن ابن الزبير دفن في موضع صله، فما مضت الأيام والليالي، حتى قتل شاور، وسحب فاتفق أن حفر له ليدفن، فوجد الرشيد بن الزبير في الحفرة مدفوناً، فدفنا معاً في موضع واحد، ثم نقل كل واحد منهما بعد ذلك إلى تربة له بقرافة مصر القاهرة.
ومن شعر الرشيد، قوله يجيب أخاه المهذب عن قصيدته التي أولها:

يا ربع، أين ترى الأحبة يمموا ... رحلوا، فلا خلت المنازل منهم

ويروى: ونأوا فلا سلت الجوانح عنهم

وسروا، وقد كتموا الغداة مسيرهم ... وضياء نور الشمس ما لا يكتم
وتبدلوا أرض العقيق عن الحمى ... روت جفوني أي أرض يمموا
نزلوا العذيب، وإنما في مهجتي ... نزلوا، وفي قلب المتيم خيموا
ما ضرهم، لو ودعوا من أودعوا ... نار الغرام، وسلموا من أسلموا
هم في الحشا إن أعرقوا أو أشأموا ... أو أيمنوا، أو أنجدوا، أو أتهموا،
وهم مجال الفكر من قلبي وإن ... بعد المزار فصفو عيشي معهم
أحبابنا، ما كان أعظم هجركم ... عندي، ولكن التفرق أعظم
غبتم، فلا والله ما طرق الكرى ... جفني، ولكن سح بعدكم الدم
وزعمتم أني صبور بعدكم ... هيهات، لا لقيتم ما قلتم

وإذا سئلت بمن أهيم صبابة ... قلت: الذين هم الذين هم هم
النازلين بمهجتي وبمقلتي ... وسط السويدا، والسواد الأكرم

لا ذنب لي في البعد أعرفه سوى ... أني حفظت العهد، لما خنتم
فأقمت، حين ظعنتم، وعدلت، لم ... ما جرتم، وسهدت، لما نمتم
يا محرقاً قلبي بنار صدورهم ... رفقاً، ففيه نار شوق تضرم
أسعرتم فيه لهيب صبابة ... لا تنطفي إلا بقرب منكم
يا ساكني أرض العذيب سقيتم ... دمعي، إذا ضن الغمام المرزم
بعدت منازلكم وشط مزاركم ... وعهودكم محفوظة، مذ غبتم
لا لوم للأحباب فيما قد جنوا ... حكمتهم في مهجتي فتحكموا
أحباب قلبي أعمروه بذكركم ... فلطالما حفظ الوداد المسلم
واستخبروا ريح الصبا تخبركم ... عن بعض ما يلقى الفؤاد المغرم
كم تظلمونا قادرين، وما لنا ... جرم ولا سبب لمن نتظلم؟
ورحلتم، وبعدتم، وظلمتم ... ونأيتم، وقطعتم، وهجرتم
هيهات لا أسلوكم أبداً، وهل ... يسلو عن البيت الحرام المحرم؟
وأنا الذي واصلت، حين قطعتم ... وحفظت أسباب الهوى، إذ خنتم
جار الزمان علي، لما جرتم ... ظلماً، ومال الدهر، لما ملتم
وغدوت بعد فراقكم، وكأنني هدف يمر بجانبيه الأسهم
ونزلت مقهور الفؤاد ببلدة ... قل الصديق بها وقل الدرهم
في معشر خلقوا شخوص بهائم ... يصدى بها فكر اللبيب ويبهم
إن كورموا لم يكرموا، أو علموا ... لم يعلموا، أو خوطبوا لم يفهموا
لا تنفق الآداب عندهم ولا ال ... إحسان يعرف في كثير منهم
صم عن المعروف حتى يسمعوا ... هجر الكلام فيقدموا ويقلموا
فالله يغني عنهم، ويزيد في ... زهدي لهم، ويفك أسري منهم

أحمد بن علي الصفار، الخوارزمي أبو الفضل

قال محمد بن أرسلان: كان من فضلاء خوارزم، وبلغائهم، وكتابهم، وله أشعار مونقة لطيفة، ورسائل لبقة خفيفة، جمع رسائله أبو حفص، عمر بن الحسن، بن المظفر الأديبي، وجعلها على خمسة عشر باباً، وذكر في أول جمعه: وبعد، فإني رغبت في مطالعة رسائل، تكون إلى التخريج في البراعة وسائل، ثم تقلبت وتطلبت، فلم أر أعذب في السمع، وأعلق بالطبع، وأجرى في ميدان أهل الزمان، من غرر أبي الفضل الصفاري، ثم ذكرت ما كان بينه وبين والدي – رحمه الله – من المحبة المشتبكة اسشتباك الرحم، الجارية في عروقها مجرى

الدم، والأخوة الصافية من الكدر، الباقية على الغير، فاقترحت عليه أن يلقي إلي ما حصل لديه، من رقاعه الصادرة إليه، فأجابني إلى ملتمسي، فدونت ما ألقاه إلي من إنشائه، وألحقت به ما وجدته عند غيره من أودائه، وهذا أنموذج من كلامه: كتب عن أبي سعيد، سهل بن أحمد السهلي، إلى عميد الملك أبي نصر الكندري، حين أنهض ولده إلى حضرته:

كتابي – أطال الله بقاء الشيخ السيد – وأنا معترف برق ولائه، متصرف في شكر سوابق آلائه، حامد لله تعالى على تظاهر أسباب عزه وعلائه، ولم أزل منذ حرمت التشرف بخدمته، أنطوي على مبايعته، وأتلظى شوقاً ألى التسعد بخدمة حضرته، التي هي مجمع الوفود، ومطلع الجود، وعصره المحمود، وأتمنى على الله تعالى حالاً تدنيني من جنابه الرحب، ومشرعه العذب، ومتى تذكرت تلك الأيام، التي كانت تسعفني بالتمكن من خدمته، التي هي مادة الجمال، وغاية الآمال، انثنيت بحسرة مرة، وانطويت على غصة مستمرة، وكم كاتبت شريف حضرته، لازالت محسودة مأنوسة، فلم أؤهل لجواب، ولم أشرف بخطاب، فأمسكت عن العادة في المعاودة، جرياً على طريقة الأصاغر، في مراعاة حشمة الأكابر، ولو جريت في مكاتبة حضرته على حكم الاعتقاد، والنية الخالصة في الوداد، لأكثرت، حتى أضجرت، وهو بحمد الله أحسن أخلاقاً، وأوفر في الكرم والمجد خلاقاً، من أن يرى عن قدماء خدمه متجافياً، ولخواص أصاغره جافياً، ولو كان رحيلي ممكناً، لاستعملت في الخدمة قدمي، دون قلمي، وحين عجزت عن ذلك، لما أنا مدفوع إليه من اختلال الحال، وتضاعف الاعتلال، أنهضت ولدي أبا الحسين خادمه، وابن خادمه، نائباً عني في إقامة رسم حضرته، التي من فاز بها، فقد فاز وسعد، وعلا نجمه وصعد، فلا زال مولانا منيع الأركان، رفيع القدر ولا مكان، سابغ القدرة والإسكان، محروس العز والسلطان، تدين المقادير لأحكامه، وتجري السعود تحت راياته وأعلامه، آمين، إن شاء الله.

أحمد بن علي، بن المعمر، بن محمد المعمر بن أحمد، بن محمد

ابن محمد، بن عبيد الله، بن علي، بن عبيد الله، بن الحسين ابن علي، بن الحسين، بن علي، بن أبي طالب، أبو عبد الله، النقيب الطاهر، نقيب نقباء الطالبيين، ابن النقيب الطاهر أبي الغنائم، أديب، فاضل، شاعر منشئ، له رسائل مدونة حسنة، مرغوب فيها، يتناولها الناس في مجلدين، وكان من ذوي الهيئات والمنزلة الخطيرة، التي لا يجحدها أحد، وكان فيه كيس ومحبة لأهل العلم، وبينه وبين محمد بن الحسن، بن حمدون مكاتبات، كتبناها في ترجمته، وكان وقوراً، عاقلاً جداً، تولى النقابة بعد أبيه، في سنة ثلاثين وخمسمائة، ولم يزل على ذلك إلى أن مات، في سنة تسع وستين وخمسمائة تاسع عشر جمادى الآخرة، فيكون: قد تولى النقابة تسعاً وثلاثين سنة، وبداره بالحريم الطاهري كانت وفاته، وصلى عليه جمع كثير، وتقدم في الصلاة عليه شيخ الشيوخ، أبو القاسم عبد الرحيم، بن إسماعيل النيسابوري، بوصية منه بذلك، بعد مشاجرة جرت بينه وبين قثم بن طلحة، نقيب الهاشميين، ودفن بداره المذكورة، ثم نقل بعد ذلك إلى المدائن، فدفن بالجانب الغربي منها، في مشهد أولاد الحسين بن علي، عليه السلام، وكان قد سمع الحديث من أبي الحسين

بن المبارك، ابن عبد الجبار الصيرفي، وأبي الحسن علي بن محمد ابن العلاف، وأبي الغنائم محمد بن علي الزينبي، وغيرهم، وحدث عنهم. سمع منه أبو الفضل، أحمد بن صالح، بن شافع، وأبو إسحاق، إبراهيم بن محمود، بن الشعار، والشريف أبو الحسن، علي بن أحمد اليزيدي، وغيرهم. وله كتاب ذيله على منثور المنظوم لابن خلف الثيرماني، وكتاب آخر مثله في إنشائه، وكانت حرمته في الأيام المقتفوية وأمره لم ير أحد من النقباء مثلهما، مقدرة وبسطة. ثم مرض مرضة شارف فيها التلف، فولى ولده الأسن النقابة موضعه، ثم أفاق من مرضه، واستمر ولده على النقابة، حتى عزل عنها، ومات ولده في سنة ثلاث وخمسين، ولم تعد منزلته إلى ما كانت عليه في أيام المستنجد، لأسباب جرت من العلويين.

أحمد بن علوية، الأصبهاني الكرماني

قال حمزة: كان صاحب لغة، يتعاطى التأديب، ويقول الشعر الجيد، وكان من أصحاب أبي علي لغذة، ثم رفض صناعة التأديب، وصار في ندماء أحمد بن عبد العزيز، ودلف بن أبي دلف العجلي، وله رسائل مختارة، فدونها أبو الحسن أحمد بن سعد، في كتابه المصنف في الرسائل، لوه ثمانية كتب في الدعاء من إنشائه، ورسالة في الشيب ولاخضاب، وله شعر جيد كثير، منه في أحمد ابن عبد العزيز العجلي:

يرى مآخير ما يبدو أوائله ... حتى كأن عليه الوحي قد نزلا
ركن من العلم لا يهفو لحفظة ... ولا يحيد وإن أبرمته جدلا

إذا مضى العزم لم ينكث عزيمته ... ريب ولا خيف منه نقض ما فتلا
بل يخرج الحية الصماء مطرقة ... من جحرها ويحط الأعصم الوعلا

وله فيه:

إذا ما جنى الجاني عليه جناية ... عفا كرماً عن ذنبه لا تكرما
ويوسعه رفقاً يكاد لبسطه ... يود برئ القوم لو كان مذنبا

وله يهجو زامراً اسمه حمدان:

حذار يا قوم من حمدان وانتبهوا ... حذار يا سادتي من زامر زاني
فما يبالي إذا ما دب مغتلما ... بدا بصاحب دار أو بضيفان
يلهى الرجال بمزمار فإن سكروا ... ألهى النساء بمزمار له ثاني

ومن شعره:

حكم الغناء تسمع ومدام ... ما للغناء مع الحديث نظام
لو أنني قاض قضيت قضية ... إن الحديث مع الغناء حرام

قال حمزة: وله وأنشدنيها في سنة عشر وثلاثمائة، وله ثمان وتسعون سنة:

دنيا مغبة من أثرى بها عدم ... ولذة تنقضي من بعدها ندم
وفي المنون لأهل اللب معتبر ... وفي تزودهم منها التقى غنم

والمرء يسعى لفضل الرزق مجتهداً ... وما له غير ما قد خطه القلم
كم خاشع في عيون الناس منظره ... والله يعلم منه غير ما علموا
قال: وقال بعد أن أتت عليه مائة:
حتى الدهر من بعد استقامته ظهري ... وأفضى إلى ضحضاح غايته عمري
ودب البلى في كل عضو ومفصل ... ومن ذا الذي يبقى سليماً على الدهر؟
قال: ولأحمد بن علوية قصيدة، على ألف قافية، شيعية، عرضت على أبي حاتم السجستاني، فأعجب بها، وقال: يأهل البصرة، غلبكم أهل أصبهان، وأول هذه القصيدة:
ودب البلى في كل عضو ومفصل ... ومن ذا الذي يبقى سليماً على الدهر؟
قال: ولأحمد بن علوية قصيدة، على ألف قافية، شيعية، عرضت على أبي حاتم السجستاني، فأعجب بها، وقال: يأهل البصرة، غلبكم أهل أصبهان، وأول هذه القصيدة:
ما بال عينك ثرة الإنسان ... عبرى اللحاظ سقيمة الأجفان
وقال أحمد بن علوية يهجو الموفق، لما أنفذ الأصبغ رسولاً إلى أحمد بن عبد العزيز العجلي، يأمره بإنفاذ قطعة من جيشه:
أدى رسالته وأولص كتبه ... وأتى بأمر لا أبالك معضل
قال اطرح ملك اصبهان وعزها ... وابعث بعسكرك الخميس الجحفل
فعلمت أن جوابه وخطابه ... عض الرسول ببظر أم المرسل

أحمد بن عمر، البصري النحوي

روى عن أبي بشر، عن أبي المفرح الأنصاري، عن ابن السكيت، وروى عنه أبو عبد الله، محمد بن المعلى ابن عبد الله الأزدي.

أحمد بن عمران، بن سلامة الألهاني، أبو عبد الله النحوي

يعرف بالأخفش، قديم، ذكره أبو بكر الصولي، في الكتاب الذي ألفه في شعراء مصر، فقال: كان نحوياً لغوياً، وأصله من الشام، وتأدب بالعراق، فلما قدم مصر، أكرمه إسحاق بن عبد القدوس، وأخرجه إلى طبرية، فأدب ولده، وله أشعار كثيرة في أهل البيت، عليهم السلام، منها:
إن بني فاطمة الميمونة ... الطيبين الأكرمين الطينهْ
ربيعنا في السنة الملعونهْ ... كلهم كالروضة المهتونهْ
قال: وحدثني علي بن سراج قال: حدثني جعفر بن أحمد قال: قال لي أحمد بن عمران، قال الهيثم بن عدي، ممن أنت؟ قلت: أنا من ألهان، أخي همدان، قلت: نعم، هم عرس الجن، يسمع به ولا يرى، ما رأيت ألهانيا قبلك، قال: وكان الألهاني قد نزل على رعل حي من بني سليم فلم يقروه، فقال:

تضيفت بغلتي والأرض معشبة ... رعلاً وكان قراها عندهم علسي
وأكلباً كأسود الغاب ضارية ... وواقفات بأيدي أعبد عبس
والعام أرغد والأيام فاضلة ... وما ترى في سواد الحي من قبس
يستوحشون من الضيف الملم بهم ... ويأنسون إلى ذي السوءة الشرس
وله يمدح جعفر بن جدلة:
إذا استسلم المال عند الهذيل ... فمال الفتى جعفر خاسر
وإن ضن جازره بالمدى ... فإن الحسام له حاضر

أحمد بن فارس، بن زكريا اللغوي

وقال ابن الجوزي: أحمد بن زكريا، بن فارس، ولا يعاج به، مات سنة تسع وستين وثلاثمائة: وقال قبل وفاته بيومين:
يا رب إن ذنوبي قد أحطت بها ... علماً وبي وبإعلاني وإسراري
أنا الموحد لكني المقر بها ... فهب ذنوبي لتوحيدي وإقراري
ووجد بخط الحميدي: أن ابن فارس مات في حدود سنة ستين وثلاثمائة، وكل منهما لا اعتبار به، لأني وجدت خط كفه على كتاب " الفصيح " تصنيفه، وقد كتبه في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، وذكره الحافظ السلفي، في شرح مقدمة معالم السنن للخطابي فقال: أصله من قزوين، وقال غيره: أخذ أحمد بن فارس على أبي بكر، أحمد بن الحسن الخطيب، راوية ثعلب، وأبي الحسن، علي بن إبراهيم القطان، وأبي عبد الله، أحمد بن طاهر المنجم، وعلي بن عبد العزيز المكي، وأبي عبيد، وأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، وكان ابن فارس يقول: ما رأيت مثل ابن عبد الله أحمد بن طاهر، ولا رأى هو مثل نفسه.
وكان ابن فارس قد حمل إلى الري بأجرة، ليقرأ عليه مجد الدولة، أبو طالب بن فخر الدولة، علي بن ركن الدولة، بن أبي الحسن بويه الديلمي صاحب الري، فأقام بها قاطناً.
وكان الصاحب ابن عباد يكرمه، ويتتلمذ له، ويقول: شيخنا أبو الحسين، ممن رزق حسن التصنيف وأمن فيه من التصحيف، وكان كريماً جواداً، لا يبقي شيئاً، وربما سئل فوهب ثياب جسمه، وفرش بيته، وكان فقيهاً شافعياً، فصار مالكياً، وقال: دخلتي الحمية لهذا البلد، يعني الري، كيف لا يكون فيه رجل على مذهب هذا الرجل؟ المقبول القول على جميع الألسنة وله من التصانيف: كتاب المجمل، وكتاب متخير الألفاظ، كتاب فقه اللغة، كتاب غريب إعراب القرآن، كتاب تفسير أسماء النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب مقدمة كتاب دار العرب، كتاب حلية الفقهاء، كتاب العرق، كتاب مقدمة الفرائض، كتاب ذخائر الكلمات، كتاب شرح رسالة الزهري إلى عبد الملك بن مروان، كتاب الحجر، كتاب سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب صغير الحجم، كتاب الليل والنهار، كتاب العم والخال، كتاب أصول الفقه، كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب الصاحبي، صنفه لخزانة الصاحب، كتاب جامع التأويل في تفسير القرآن، أربع مجلدات، كتاب الثياب والحلي، كتاب خلق الإنسان، كتاب الحماسة المحدثة، كتاب مقاييس

اللغة، وهو كتاب جليل لم يصنف مثله، كتاب كفاية المتعلمين في اختلاف النحويين.
وحدث ابن فارس: سمعت أبي يقول: حججت فلقيت ناساً من هذيل، فجاريتهم ذكر شعرائهم، فما عرفوا أحداً منهم، ولكني رأيت أمثل الجماعة رجلاً فصيحاً وأنشدني:

إذا لم نحظ في أرض فدعها ... وحث اليعملات على وجاها
ولا يغررك حظ أخيك فيها ... إذا صفرت يمينك من جداها
ونفسك فر بها إن خفت ضيماً ... وخلالدار تنعى من بكاها
فإنك واجد أرضاً بأرض ... ولست بواجد نفساً سواها

ومن شعر ابن فارس:

وقالوا كيف أنت؟ فقلت خير ... تقضى حاجة ويفوت حاج
إذا ازدحمت هموم القلب قلنا ... عسى يوماً يكون لها انفراج
نديمي هرتي وسرور قلبي ... دفاتر لي ومعشوقي السراج

ومن شعره في همذان:

سقى همذان الغيث لست بقائل ... سوى ذا وفي الأحشاء نار تضرم
وما لي لا أصفي الدعاء لبلدة ... أفدت بها نسيان ما كنت أعلم
نسيت الذي أحسنته غير أنني ... مدين وما في جوف بيتي درهم

وله أيضاً:

إذا كنت في حاجة مرسلاً ... وأنت بها كلف مغرم
فأرسل حكيماً ولا توصه ... وذاك الحكيم هو الدرهم

وله أيضاً:

مرت بنا هيفاء مقدودة ... تركية تنمى لتركي
ترنو بطرف فاتن فاتر ... كأنه حجة نحوي

قال الثعالبي: حدثني ابن عبد الوارث النحوي قال: كان الصاحب منحرفاً عن أبي الحسين بن فارس، لانتسابه إلى خدمة آل العميد، وتعصبه لهم، فأنفد إليه من همذان كتاب الحجر نم تأليفه، فقال الصاحب: رد الحجر من حيث جاءك، ثم لم تطب نفسه بتركه فنظر فيه، وأمر له بصلة: ولابن فارس في اليتيمة:

يا ليت لي ألف دينار موجهة ... وأن حظي منها فلس فلاس

قالوا فما لك منها؟ قلت تخدمني ... لها ومن أجلها الحمقى من الناس

وله أيضاً:

إسمع مقالة ناصح ... جمع النصيحة والمقهْ
إياك واحذر أن تبي ... ت من الثقات على ثقهْ

وله أيضاً:

وصاحب لي أتاني يستشير وقد ... أراد في جنبات الأرض مضطرباً
قلت اطلب أي شيء شئت واسع ورد ... منه الموارد إلا العلم والأديبا
وله أيضاً:
إذا كان يؤذيك حر المصي ... ف وكرب الخريف وبرد الشتا
ويلهيك حسن ازمان الربي ... ع فأخذك للعلم قل لي متى؟
وله أيضاً:
عتبت عليه حين ساء صنيعه ... وآليت لا أمسيت طوع يديه
فلما خبرت الناس خبر مجرب ... ولم أر خيراً منه عدت إليه
وله أيضاً:
تلبس لباس الرضا بالقضا ... وخل الأمور لمن يملك
تقدر أنت وجاري القضا ... ء مما تقدره يضحك
قال يحيى بن مندة الأصبهاني: سمعت عمي عبد الرحمن ابن محمد العبدي يقول: سمعت أبا الحسين أحمد بن زكريا ابن فارس النحوي يقول: دخلت بغداد طالباً للحديث، فحضرت مجلس بعض أصحاب الحديث وليست معي قارورة، فرأيت شاباً عليه سمة جمال، فاستأذنته في كتب الحديث من قارورته، فقال: من انبسط إلى الإخوان بالاستئذان، فقد استحق الحرمان. قال عبد الرحمن بن مندة: وسمعت ابن فارس يقول: سمعت أبا أحمد بن أبي التيار يقول: أبو أحمد العسكري يكذب، على الصولي، مثلما كان الصولي، يكذب على الغلابي، مثلما كان الغلابي، يكذب على سائر الناس. قرأت بخط الشيخ أبي الحسن، علي بن عبد الرحيم السلمي، وجدت بخط ابن فارس على وجه المجمل والأبيات له، ثم قرأتها على سعد الخير الأنصاري، وأخبرني أنه سمعها من ابن شيخه أبي زكريا، عن سليمان بن أيوب، عن ابن فارس:
يا دار سعدى بذات الضال من غضم ... سقاك صوب حيا من واكف العين
العين: سحاب ينشأ من قبل القبلة.
إني لأذكر أياماً بها ولنا ... في كل إصباح يوم قرة العين
العين ههنا: عين الإنسان وغيره.
تدني معشقة منا معتقة ... تشجها عذبة من نابع العين
العين ههنا: ما ينبع منه الماء.
إذا تمززها شيخ به طرق ... سرت بقوتها في الساق والعين
العين ههنا: عين الركبة، والطرق: ضعف الركبتين.
والزق ملآن من ماء السرور فلا ... تخشى توله ما فيه من العين
العين ههنا: ثقب يكون في المزادة، وتوله الماء: أن يتسرب.
وغاب عذالنا عنا فلا كدر ... في عيشنا من رقيب السوء والعين
العين ههنا: لا رقيب.

يقسم الود فيما بيننا قسماً ... ميزان صدق بلا بخس ولا عين
العين ههنا: العين في الميزان.
وفائض المال يغنينا بحاضره ... فنكتفي من ثقيل الدين بالعين
العين ههنا: المال الناض.
والمجلمل المجتبي تغني فوائده ... حفاظه عن كتاب الجيم والعين
قال: وبخطه أيضاً: سمعت أبي يقول: حججت فلقيت بمكة ناساً من هذيل، فجاريتهم ذكر شعرائهم. وجدت على نسخة قديمة بكتاب المجمل، من تصنيف ابن فارس ما صورته: تأليف الشيخ أبي الحسين، أحمد بن فارس، ابن زكريا الزهراوي، الأستاذ خرزي، واختلفوا في وطنه، فقيل: كان من رستاق الزهراء، من القرية المعروفة بكرسفة وجيانا باذ، وقد حضرت القريتين مراراً، ولا خلاف أنه قروي.
حدثني والدي محمد بن أحمد، وكان من جملة حاضري مجالسه، قال: أتاه آت فسأله عن وطنه، فقال: كرسف، قال فتمثل الشيخ:
بلاد بها شدت على تمائمي ... وأول أرض مس جليد ترابها
وكتبه مجمع بن محمد، بن أحمد بخطه، في شهر ربيع الأول، سنة ست وأربعين وأربعمائة، وكان في آخر هذا الكتاب ما صورته أيضاً: قضى الشيخ أبو الحسين، أحمد ابن فارس – رحمه الله – في صفر سنة خمس وتسعين وثلاثمائة بالري، ودفن بها مقابل مشهد قاضي القضاة، أبي الحسن، علي بن عبد العزيز، يعني الجرجاني.
أنشد أبو الريحان البيروني في كتاب الآثار الباقية، عن القرون الخالية، لأحمد بن فارس:
قد قال فيما مضى حكيم ... ما المرء إلا بأصغريه

فقلت قول امرئ لبيب ما المرء إلا بدرهميه
من لم يكن معه درهماه ... لم تلتفت عرسه إليه
وكان من ذله حقيراً ... تبول سنوره عليه
وحدث هلال بن المظفر الريحاني قال: قدم عبد الصمد، ابن بابك الشاعر إلى الري، في أيم الصاحب، فتوقع أبو الحسين، أحمد بن فارس، أن يزوره ابن بابك، ويقضي حق علمه وفضله، وتوقع ابن بابك، أن يزوره ابن فارس، ويقضي حق مقدمه، فلم يفعل أحدهما ما ظن صاحبه، فكتب ابن فارس إلى القاسم بن حسولة:
تعديت في وصلي فعدي عتابك ... وأدنى بديلاً من نواك إيابك
تيقنت أن لم أحظ والشمل جامع ... بأيسر مطلوب فهلا كتابك
ذهبت بقلب عيل بعدك صبره ... غداة أرتنا المرقلات ذهابك
وما استمطرت عيني سحابة ريبة ... لديك ولا مست يميني سخابك
ولا نقبت والصب يصبو لمثلها ... عن الوجنات الغانيات نقابك
ولا قلت يوماً عن قلىً وآمة ... لنفسك: سلى عن ثيابي ثيابك

وأنت التي شيبت قبل أوانه ... شبابي سقى الغر الغوادي شبابك
تجنبت ما أوفى وعاقبت ما كفى ... ألم يأن سعدى أن تكفي عتابك؟
وقد نبحتني من كلابك عصبة ... فهلا وقد حالوا زجرت كلابك
تجافيت عن مستحسن البر جملة ... وجرت على بختي جفاء ابن بابك
فلما وقف أبو القاسم الحسولي على الأبيات، أرسلها إلى ابن بابك، وكان مريضاً، فكتب جوابها بديهاً:
وصلت الرقعة – أطال الله بقاء الأستاذ – وفهمتها، وأنا أشكو إليه الشيخ أبا الحسن، فإنه صيرني فصلاً لا وصلاً، وجاً لا نصلاً، ووضعني موضع الحلاوى من الموائد، وتمت من أواخر القصائد، وسحب اسمي منها مسحب الذيل، وأوقعه موقع الذنب المحذوف من الخيل، وجعل مكاني مكان القفل من الباب، وفذلك من اعلحساب، وقد أجبت عن أبياته بأبيات، أعلم أن فيها ضعفاً لعلتين: علتي، وعلتها، وهي:
أيا أثلات الشعب من مرج يابس ... سلام على آثاركن الدوارس
لقد شاقني والليل في شملة الحيا ... إليكن ترجيع النسم المخالس
ولمحة برق مستضئ كأنه ... تردد لحظ بين أجفان ناعس
فبت كأني صعدة يمنية ... تزعزع في نقع من الليل دامس
ألاى حبذا صبح إذا ابيض أفقه ... تصدع عن قرن من الشمس وارس
ركبت من الخلصاء أرقب سيلها ... ورود المطي الظامئات الكوانس
فيا طارق الزوراء قل لغيومها ... أهلي على مغنى من الكرخ آنس
وقل لرياض القفص تهدي نسيمها ... فلست على بعد المزار بآيس
ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... لقى بين أقراط المها والمحابس
وهل أرين الري دهليز بابك ... وبابك دهليز إلى أرض فارس
ويصبح ردم السد قفلاً عليهما ... كما صرت قفلاً في قوافي ابن فارس
فعرض أبو القاسم الحسولي المقطوعين على الصاحب، وعرفه الحال، فقال: البادئ أظلم، والقادم يزار، وحسن العهد من الإيمان.

أحمد بن الفضل، بن شبابة الكاتب، أبو الصقر

النحوي الهمذاني، من أهل همذان، ذكره شيرويه كان يلقب بساسي دوير، مات سنة خمسين وثلاثمائة، روى عن إبراهيم بن الحسين ديزيل، وأبي خليفة الفضل ابن الحباب الجمحي، وأبي القاسم عبد الله، بن محمد، بن عبد العزيز البغوي، وأبي سعيد الحسن بن علي، بن زكريا العدوي، وأبي بكر محمد، بن خلف وكيع، وأبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وأبي العباس، محمد بن يزيد المبرد، وأبي بكر بن دريد النحوي، وأبي الحسن علي بن سعيد العسكري، وعلي بن الفضل الرشيدي وغيرهم. روى عنه أبو بكر أحمد بن علي، بن بلال، وأبو العباس، أحمد ابن إبراهيم، بن تركان، وأبو الحسن، إبراهيم بن عفر الأسدي، وأبو بكر بن خلف، بن محمد الخياط، وأبو عبد الله أحمد بن عمر الكاتب، وابن روزنة، وغيرهم.

حدثنا عبد الملك بن عبد الغفار، الفقيه لفظاً، أخبرنا عبد الله بن عيسى الفقيه، حدثنا محمد بن أحمد قال: سمعت أبا الصقر بن شبابة الكاتب يقول: كنت بالبصرة، فاستأذنت على ابن خليفة، وعنده جماعة من الهاشميين يتغدون، فحبسني البواب، فكتبت في رقعة وناولتها بعض غلمانه، فناولها أبا خليفة:

أبا خليفة تجفو من له أدب ... وتتحف الغر من أولاد عباس

ما كان قدر رغيف لو سمحت به ... شيئاً وتأذن لي في جملة الناس

فلما وصلت إليه الرقعة قال: علي بالهمذاني صاحب الشعر، فأدخلت إليه، فقدم إلي طبقاً من رطب، وأجلسني معه.

أحمد بن الفضل، بن محمد، بن أحمد

ابن محمد، بن جعفر

الباطرقاني المقرئ، مات في الثاني والعشرين من صفر، سنة ستين وأربعمائة بأصبهان.

قال السمعاني: كان مقرئاً فاضلاً، ومتحدثاً مكثراً من الحديث، كتب بنفسه الكثير، وكان حسن الخط دقيقه، قرأ القرآن على جماعة من مشاهير القدماء بالروايات، وصنف التصانيف فيه، منها: كتاب طبقات القراء، كتاب الشواذ، وصلى بالناس إماماً في الجامع الكبير سنين، بعد ابن المظفر بن الشبيب، سمع الحديث من أبي عبد الله، محمد بن إسحاق، بن إبراهيم، ابن عبد الله، بن خرشيدة التاجر وجماعة، وروى لنا عن جماعة كثيرة.

قال ابن مندة: جرى ذكر الباطرقاني عند الإمام عمر، – رحمه الله – ، والشيخ الحافظ أبو محمد، عبد العزيز ابن محمد النخشبي، وجماعة حاضرون، فقال عبد العزيز صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه صحيح البخاري، إلا أنه كتب المتن من الأصل، ثم ألحقه الإسناد، وهذا ليس من شرط أصحاب الحديث وأهله، يتكلم في مسائل لا يسع الموضع ذكرها، ولو اقتصر على الإقراء والحديث، لكان خيراً له.

أحمد بن كامل، بن شجرة، بن منصور، بن كهب

ابن يزيد أبوبكر القاضي، قال الخطيب: قال القاضي بن كامل، ولدت في سنة ستين ومائتين. ومات في المحرم سنة خمسين وثلاثمائة، قال الخطيب: فكان ينزل في شارع عبد الصمد، وهو أحد أصحاب محمد بن جرير الطبري، وتقلد قضاء الكوفة، من قبل أبي عمر محمد بن يوسف، فكان من العلماء بالأحكام، وعلوم القرآن، والنحو، والشعر، وأيام الناس، والتاريخ، وأصحاب الحديث، وله مصنفات في أكثر من ذلك، قال النديم. منها: كتاب غريب القرآن، كتاب القراءات، كتاب التقريب في كشف الغريب، كتاب موجز التأويل عن حكم التنزيل، كتاب التنزيل، كتاب الوقوف، كتاب التاريخ، كتاب المختصر في الفقه، كتاب الشروط الكبير، كتاب الشروط الصغير، كتاب البحث والحث، كتاب أمهات المؤمنين، كتاب الشعر، كتاب الزمان، كتاب أخبار القضاة.

وكان قد اختار لنفسه مذهباً، قال الخطيب: وحدث ابن كامل، عن محمد بن سعد العوفي، ومحمد بن الجهم السمري، وأبي قلابة الرقاشي، وأحمد بن أبي خيثمة، وأبي إسماعيل الترمذي. روى عنه الدارقطني، وأبو عبد الله المرزباني، وحدثنا عنه ابن رزقويه وغيره، وقال ابن رزقويه: لم تر عيناي مثله، ولما بلغ الثمانين أنشدنا:

عقد الثمانين عقد ليس يبلغه ... إلا المؤخر للأخبار والغير

قال: وأنشدني القاضي بن كامل لنفسه:

صرف الزمان تنقل الأيام ... والمرء بين محلل وحرام

وإذا تقشعت الأمور تكشفت ... عن فضل أيام وقبح أنام

وسئل الدارقطني عن ابن كامل، فقال: كان متساهلاً، ربما حدث ن حفظه بما ليس عنده في كتابه، وأهلكه العجب، فإنه كان يختار، ولا يضع لأحد من الأئمة أصلاً، قيل: أكان جريري المذهب؟ فقال: بل خالفه، واختار لنفسه، وأملى كتاباً في السير، وتكلم على الأخبار.

أنبأنا الخطيب أبو الفضل، عبيد الله بن أحمد، بن عبد الله المنصوري، قال: حدثنا أبو منصور، موهوب بن الجواليقي، حدثنا ثابت بن بندار، حدثنا أبو علي الحسن ابن أحمد بن شاذان، حدثنا أبو بكر أحمد بن كامل، بن شجرة القاضي، في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، حدثني عبد الله بن أحمد، بن عيسى المقرئ، يعرف بالقسطاطي، قال: حدثنا أحمد بن سهل، أبو عبد الرحمن، قال: قدم علينا سعد بن زنبور، فأتيناه فحدثنا، قال: كنا على باب الفضيل ابن عياض، فاستأذنا عليه، فلم يؤذن لنا، قال: فقيل لنا: إنه لا يخرج إليكم إلا أن يسمع القرآن، قال: وكان معنا رجل مؤذن، وكان صيتاً فقلنا له: اقرأ فقرأ: " ألهاكم التكاثر " ، ورفع بها صوته، قال: فأشرف علينا الفضيل، وقد بكى حتى بل لحيته بالدموع، ومعه خرقة ينشف بها الدمع من عينيه، وأنشأ يقول:

بلغت الثمانين أو جزتها ... فماذا أؤمل أو أنتظر؟

أتاني ثمانون من مولدي ... وبعد الثمانين ما ينتظر؟

علتني السنون فأبلينني.

قال: ثم خنقته العبرة، قال: وكان معنا علي بن خشرم فأتمه له، فقال: فدقت عظامي وكل البصر قال: ثم قال القاضي أحمد بن كامل: ولدت سنة ستين ومائتين، وأنشدنا:

عقد الثمانين عقد ليس يبلغه ... إلا المؤخر للأخبار والغير

أحمدبن كليب النحوي

صاحب أسلم الأندلسي، ذكر أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي في المنتظم: أن أحمد بن كليب، مات سنة ست وعشرين وأربعمائة، وذكر قصته التي أذكرها فيما بعد بعينها، ولا أدري من أين له هذه الوفاة؟ فإن الحميدي ذكره في كتابه، ولم يذكر وفاته، قال الحميدي: هو شاعر مشهور الشعر، ولا سيما شعره في أسلم، وكان قد أفرط في حبه، حتى أداه ذلك إلى الموت، وخبره في ذلك ظريف رواه عن محمد بن الحسن

المذحجي.

قال: كنت أختلف في النحو إلى أبي عبد الله، محمد ابن خطاب النحوي في جماعة، وكان معنا عنده أبو الحسن، أسلم بن أحمد، بن سعيد، بن قاضي الجماعة، وأسلم بن عبد العزيز، صاحب المزني والربيع، قال محمد بن الحسن: وكان من أجمل من رأته العيون، وكان يجئ معنا إلى محمد بن خطاب، أ؛مد بن كليب، وكان من أهل الأدب البارع، والشعر الرائق، فاشتد كلفه بأسلم، وفارق صبره، وصرف فيه القول متستراً بذلك، إلى أن فشت أشعاره فيه، وجرت على الألسنة، وتنوشدت في المحافل، فلعهدي بعرس، وفيه زامر يزمر في البوق بقول أحمد بن كليب في أسلم:

أسلمني في هوا ... ه أسيلم هذا الرشا

غزال له مقلة ... يصيب بها من يشا

وشى بيننا حاسد ... سيسأل عما وشى

ولو شاء أن يرتشي ... على العمل روحي ارتشى

فلما بلغ هذا المبلغ، انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب، ولزم بيته والجلوس على بابه، فكان أحمد بن كليب، لا شغل له إلا المرور على باب أسلم، سائراً ومقبلاً نهاره كله، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهاراً، فإذا صلى المغرب واختلط الظلام، خرج مستروحاً، وجلس على باب داره، فعيل صبر أحمد بن كليب، فتحيل في بعض الليالي، ولبس جبة من جباب أهل البادية، وأعتم بمثل عمائمهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجاً، وبالأخرى قفصاً فيه بيض، وتحين جلوس أسلم عند اختلاط الظلام على بابه، فتقدم إليه وقبل يديه، وقال: يأمر مولاي بأخذ هذا؟ فقال له أسلم: ومن أنت؟ قال: صاحبك في الضيعة الفلانية، وقد كان تعرف أسماء ضياعه وأصحابه فيها، فأمر أسلم بأخذ ذلك منه، ثم جعل أسلم يسأله عن الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام، وتأمله فعرفه، فقال يا أخي: وهنا بلغت بنفسك؟ وإلى ههنا تبعتي؟ أما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملة، وعن القعود على باب داري نهاراً؟ حتى قطعت علي جميع مالي فيه راحة، قد صرت في سجنك، والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي، ولا قعدت ليلاً ولا نهاراً على بابي، ثم قام، وانصرف أحمد بن كليب حزيناً كئيباً.

قال محمد بن الحسن: واتصل ذلك بنا، فقلنا لأحمد ابن كليب: قد خسرت دجاجك وبيضك، فقال هات: كل ليلة قبلة يده، وأخسر أضعاف ذلك. قال: فلما يئس من رؤيته ألبتة، نهكته العلة، وأضجعه المرض، قال: فأخبرني شيخنا محمد بن خطاب قال: فعدته، فوجدته بأسوإ حال، فقلت له: ولم لا تتداوى؟ فقال: دوائي معروف وأما الأطباء، فلا حيلة لهم فيه، ألبتة. فقلت له: وما دواؤك؟ قال: نظرة من أسلم، فلو سعيت في أن يزورني لأعظم الله أجرك، وكان هو والله أيضاً يؤجر، قال: فرحمته، وتقطعت نفسي له، ونهضت إلى اسلم، فتلقاني بما يجب، فقلت له: لي حاجة، قال: وما هي؟ قلت له: قد علمت ما جمعك مع أحمد من ذمام الطلب عندي، فقال: نعم، فقد تعلم أنه أشهر اسمي وآذاني، فقلت له: كل ذلك مغتفر في الحال التي هو فيها، والرجل يموت، فتفضل بعيادته، فقال: والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلفني هذا، فقلت

له: لا بد، فليس عليك في ذلك شيء، فإنما هي عيادة مريض، قال: ولم أزل به حتى أجاب، فقلت: فقم الآن، فقال لي: لست والله أفعل ذلك، ولكن غداً، فقلت له: ولا خلف؟ فقال: نعم. قال: فانصرفت إلى أحمد بن كليب، وأخبرته بوعده بعد تأبيه، فسر بذلك، وارتاحت نفسه. قال: فلما كان من الغد، بكرت إلى أسلم وقلت له، الوعد، فوجم وقال: والله لقد تحملني على خطة صعبة، وما أدري كيف أطيق ذلك؟ فقلت له: لا بد من أن تفي بوعدك، فأخذ رداءه ونهض معي راجلاً، فلما أتينا منزل أحمد بن كليب، وكان يسكن في آخر درب طويل، فلما توسط الدرب احمر وخجل، وقال لي: الساعة والله أموت، وما أستطيع أن أنقل قدمي، ولا أن أعرض لهذا نفسي. فقلت: لا تفعل، بعد أن بلغت المنزل، أن تنصرف؟ قال لا سبيل والله إلى ذلك، ألبتة، قال: ورجع مسرعاً، فاتبعته وأخذت بردائه، فتمادى وتمزق الرداء، وبقيت قطعة منه في يدي، ومضى فلم أدركه، فرجعت ودخلت إلى أحمد بن كليب، وقد كان غلامه دخل إليه، إذ رآنا من أول الدرب مبشراً، فلما رآني دونه، تغير لونه، وقال: وأين أبو الحسن؟ فأخبرته بالقصة، فاستحال من وقته، واختلط، وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثره من التوجع، فاستبشعت، الحال، وجعلت أرجع وقمت، فثاب إليه ذهنه، وقال لي: يا أبا عبد الله، اسمع، وأنشد:

أسلم يا راحة العليل ... رفقاً على الهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

فقلت له: اتق الله، ما هذه العظيمة؟ فقال لي: قد كان ما كان، فخرجت عنه، فوالله ما توسطت الدرب حتى سمعت الصراخ عليه، وقد فارق الدنيا، هذا قتيل الحب، لا دية ولا قود.

قال: وهذه قصة مشهورة عندنا، والرواة ثقات، وأسلم هذا، من بيت جليل، وهو صاحب الكتاب المشهور في أغاني زرياب، وكان شاعراً أديباً.

قال الحميدي: وقد رأيت ابنه أبا الجعد قال: وذكرت هذه القصة لمحمد بن سعيد الخولاني الكاتب، فعرفها، وقال لي: أخبرني الثقة قال: لقد رأيت أسلم هذا في يوم شديد المطر، لا يكاد أحد يمشي في طريق، وهو قاعد على قبر أحمد بن كليب زائراً له، وقد تحين غفلة الناس في مثل ذلك الوقت، وكان أحمد بن كليب، قد أهدى إلى أسلم في أول أمره كتاب الفصيح، وكتب عليه:

هذا كتاب الفصيح ... بكل لفظ مليح

وهبته لك طوعاً ... كما وهبتك روحي

وقرأت في كتاب الديارات للخالدي حكاية أعجبني أمر صاحبها، وأحببت أن يكون لها موضع من كتابي هذا، وكأن المثل يذكر بالمثل، ذكرتها عقيب خبر أحمد بن كليب، فإنهما خبران متقاربان.

قال: حدثني أبو الحسين، يحيى بن الحسين الكندي الحراني الشاعر، قال: حدثني أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري، قال: كان بالرها وراق يقال له سعد، وكان في دكانه مجلس كل أديب، وكان حسن الأدب والفهم، يعمل شعراً رقيقاً، وما كنا نفارق دكانه، أنا وأبو بكر المعوج، الشامي الشاعر، وغيرنا من شعراء الشام، وديار مصر، وكان لتاجر بالرها نصراني، من كبار تجارها ابن اسمه عيسى، من أحسن الناس وجهاً، وأحلاهم قداً، وأظرفهم طبعاً ومنطقاً، وكان يجلس إلينا، ويكتب عنا أشعارنا، وجميعنا يحبه، ويميل إليه، وهو

حينئذ صبي في الكتاب، فعشقه سعد الوراق عشقاً مبرحاً، ويعمل فيه الأشعار، فمن ذلك وقد جلس عنده في دكانه:

إجعل فؤادي دواة والمداد دمي ... وهاك فابر عظامي موضع القلم
وصير اللوح وجهي وامحه بيد ... فإن ذلك برء لي من السقم
ترى المعلم لا يدري بمن كلفي ... وأنت أشهر في الصبيان من علم

ثم شاع – بعشق الغلام في الرها – خبره، فلما كبر وشارف الائتلاف أحب الرهبنة، وخاطب أباه وأمه في ذلك، وألح عليهما حتى أجاباه، وخرجا به إلى دير زكى بنواحي الرقة، وهو في نهاية حسنه، فابتاعا له قلاية، ودفعا إلى رأس الدير جملة من المال عنها، فأقام الغلام فيها، وضاقت على سعد الوراقالدنيا بما رحبت، وأغلق دكانه، وهجر إخوانه، ولزم الدير مع الغلام، وسعد في خلال ذلك، يعمل فيه الأشعار: فمما عمل فيه وهو في الدير، وكان الغلام قد عمل شماساً:

يا حمة قد علت غصناً من البان ... كأن أطرافها أطراف ريحان
قد قايسوا الشمس بالشماس فاعترفوا ... بأنما الشمس والشماس سيان
فقل لعيسى بعيسى كم هراق دماً ... إنسان عينك من عين لإنسان

ثم إن الرهبان، أنكروا على الغلام كثرة إلمام سعد به، ونهوه عنه، وحرموه أن أدخله، وتوعدوه بإخراجه من الدير إن لم يفعل، فأجابهم إلى ما سألوه من ذلك.

فلما رأى سعد امتناعه منه، شق عليه، وخضع للرهبان، ورفق بهم ولم يجيبوه، وقالوا: في هذا علينا إثم وعار، ونخاف السلطان، فكان إذا وافى الدير، أغلقوا الباب في وجهه، ولم يدعوا الغلام يكلمه، فاشتد وجده، وازداد عشقه، حتى صار إلى الجنون، فخرق ثيابه، وانصرف إلى داره، فضرب جميع ما فيها بالنار، ولزم صحراء الدير، وهو عريان يهيم، ويعمل الأشعار ويبكي.

قال أبو بكر الصنوبري: ثم عبرت يوماً أنا والمعوج، من بستان بتنا فيه، فرأيناه جالساً في ظل الدير وهو عريان، وقد طال شعره، وتغيرت خلقته، فسلمنا عليه، وعذلناه وعتبناه. فقال: دعاني من هذا الوسواس، أتريان ذلك الطائر على هيكل؟ وأومأ بيده إلى طائر هناك، فقلنا: نعم، فقال: أنا وحقكما يا أخوي، أناشده منذ الغداة أن يسقط، فأحمله رسالة إلى عيسى، ثم التفت إلي وقال: يا صنوبري، معك ألواحك؟ قلت: نعم. قال اكتب:

بدينك يا حمامة دير زكي ... وبالإنجيل عندك والصليب
قفي وتحملي عني سلاماً ... إلى قمر على غصن رطيب
عليه مسوحه وأضاء فيها ... وكان البدر في حلل المغيب
وقالوا رابنا إلمام سعد ... ولا والله ما أنا بالمريب
وقولي سعدك المسكين يشكو ... لهيب جوىً أحر من اللهيب
فصله بنظرة لك من بعيد ... إذا ما كنت تمنع من قريب

وإن أنا مت فاكتب حول قبري ... محب مات من هجر الحبيب
رقيب واحد تنغيص عيشي ... فكيف بمن له مائتا رقيب؟
ثم تركنا وقام يعدو إلى باب الدير، وهو مغلق دونه، وانصرفنا عنه، ومازال كذلك زماناً، ثم وجد في بعض الأيام ميتاً إلى جانب الدير، وكان أمير البلد يومئذ، العباس بن كيغلغ، فلما اتصل ذلك به وبأهل الرها، خرجوا إلى الدير، وقالوا: ما قتله غير الرهبان، وقال لهم ابن كيغلغ: لابد من ضرب رقبة الغلام، وإحراقه بالنار، ولا بد من تعزير جميع الرهبان بالسياط، وتصعب في ذلك، فافتدى النصارى نفوسهم وديرهم بمائة ألف درهم.
وكان الغلام بعد ذلك، إذا دخل الرها لزيارة أهله، صاح به الصبيان: يا قاتل سعد الوراق، وشدوا عليه بالحجارة يرجمونه، وزاد عليه الأمر في ذلك، حتى امتنع من دخول المدينة، ثم انتقل إلى دير سمعان، وما أدري ما كان منه.

ومثل هذه الحكاية، خبر مدرك بن علي الشيباني، وكان مدرك شاعراً، أديباً فاضلاً، وكان كثيراً ما يلم بدير الروم ببغداد، ويعاشر نصاراه، وكان بدير الروم غلام من أولاد النصارى، يقال له: عمرو بن يوحنا، وكان من أحسن الناس وجهاً، وأملحهم صورة وأكملهم خلقاً، وكان مدرك بن علي يهواه، وكان لمدرك مجلس يجتمع فيه الأحداث لا غير، فإن حضر شيخ أو ذو لحية قال له مدرك: إنه قبيح بك أن تختلط مع الأحداث والصبيان، فقم في حفظ الله، فيقوم، وكان عمرو ممن يحضر مجلسه، فعشقه وهام به، فجاء عمرو يوماً، فكتب مدرك رقعة فطرحها في حجره، فقرأها فإذا فيها:
بمجالس العلم ... التي بك تم حسن جموعها
إلا رثيت لمقلة ... غرقت بفيض دموعها
بيني وبينك حرمة ... الله في تضييعها
فقرأ الأبيات عمرو، ووقف عليها من كان بالمجلس، وقرءوها، فاستحيا عمرو، وانقطع عن الحضور، وغلب الأمر على مدرك، وقال فيه قصيدته المزدوجة المشهورة، التي أولها:
من عاشق ناء هواه داني ... ناطق دمع صامت اللسان
موثق قلب مطلق الجثمان ... معذب بالصد والهجران
وهي طويلة: وكتب إليه لما هجره، وقطع مجلسه:
فيض الدموع وشدة الأنفاس ... شهدا على ما في هواه أقاسي
لبس الملاحة وهو ألبسني الضنا ... شتان بين لباسه ولباسي
يا من يريد وصالنا ويصده ... ما قد يحاذر من كلام الناس
صلني فإن سبقت إليك مقالة ... منهم فعصب ما يقال براسي
ثم خرج مدرك إلى الوسواس، وسل جسمه، وتغير عقله، وترك مجلسه، وانقطع عن الإخوان، ولزم الفراش.
قال حسان بن محمد، بن عيسى، بن شيخ: فحضرته عائداً في جماعة من إخوانه، فقال: ألست صديقكم؟

والقديم العشق لكم؟ فما منكم أحد ليسعدني بالنظر إلى وجه عمرو، قال: فمضينا إلى عمرو فقلنا له: إن كان قتل هذا الرجل ديناً، فإن إحياءه مروءة، قال: وما فعل؟ قلنا قد صار إلى حال لا نحسبك تلحقه قال: فنهض معنا، فلما دخلنا عليه، سلم عليه عمرو، فأخذ بيده وقال: كيف تجدك يا سيدي، فنظر إليه، ثم أغمي عليه، وأفاق، وهو يقول:

أنا في عافية إل ... لا من الشوق إليكا

أيها العائد ما بي ... منك لا يخفى عليكا

لا تعد جسماً وعد قل ... باً رهيناً في يديكا

كيف لا يهلك مرشو ... ق بسهمي مقلتيكا

ثم شهق شهقة فارق الدنيا فيها، فما برحنا حتى دفناه – رحمه الله – .

أحمد المحرر، يعرف بالأحول

قديم، كان في أيام الرشيد والمأمون، وبعد ذلك. قال أبو عبد الله بن عبدوس: ذكر أبو الفضل بن عبد الحميد في كتابه: أن الأحول المحرر شخص مع محمد بن يزداد، بن سعيد وزير المأمون، عند شخوص المأمون إلى دمشق، وأنه شكا يوماً إلى أبي هارون، خليفة محمد بن يزداد، الوحدة والغربة، وقلة ذات اليد، وسأله أن يكلم له محمداً في كلام المأمون في أمره. ليبره بشيء، ففعل أبو هارون ذلك، ورأى محمد بن يزداد من المأمون طيب نفس، فكلمه فيه وعطفه عليه، فقال له المأمون: أنا أعرف الناس به، ولا يزال بخير ما لم يكن معه شيء، فإذا رزق فوق القوت بذره وأفسده، ولكن أعطه لموضع كلامك، أربعة آلاف درهم، فدعا ابن يزداد بالأحول، وعرفه ما جرى، ونهاه عن الفساد، وأمر له بالمال، فلما قبضه ابتاع غلاماً بمائة دينار، واشترى سيفاً ومتاعاً، وأسرف فيما بقي بعد ذلك، حتى لم يبق معه شيء، فلما رأى الغلام ذلك، أخذ كل ما كان في بيته وهرب، فبقي عرياناً، بأسوء حال، وصار إلى أبي هارون، خليفة بن يزداد فأخبره، فأخذ أبو هارون نصف طومار ونشره ووقع في آخره:

فر الغلام فطار قلب الأحول ... وأنا الشفيع وأنت خير معول

ثم ختمه ودفعه إليه، وقال له: امض به إلى محمد ابن يزداد، فأوصله إليه، فلما رآه ابن يزداد، قال له: ما في كتابك؟ قال: لا أدري، فقال: هذا من حمقك، تحمل كتاباً لا تدري ما فيه، ثم فضه فلم ير فيه شيئاً، فجعل ينشره وهو يضحك، حتى أتى على آخره، فوقف على البيت ووقع تحته:

لولا تعنت أحمد لغلامه ... كان الغلام ربيطة بالمنزل

ثم ختمه وناوله، وأمره أن يرده إلى خليفته، فقال له: الله الله في، – جعلت فداك – ، ارحمني من الحال التي صرت إليها، فرق له، ووعده أن يكلم المأمون، فلما وجد بعد ذلك خلوة من المأمون، كلمه فيه، وشرح له ما جرى أجمع، ووصف له ضعف عقل الأحول، ووهي عقدته وسخفه، فأمر المأمون بإحضاره، فلما وقف بين يديه، قال له: يا عدو الله، تأخذ مالي فتشتري به غلاماً حتى يفر منك، فارتاع لذلك، وتلجلج لسانه.

فقال: – جعلت فداك – يا أمير المؤمنين. ما فعلت، فقال له: ضع يدك على رأسي، والحف أنك لم تفعل. فجعل ابن يزداد يأخذ بيده لذلك، والمأمون يضحك، ويشير إليه أن ينحيها. ثم أمر له بإجراء رزق واسع في كل شهر، ووصله مرة بعد مرة، حتى أغناه، وكان يعجبه خطه.

أحمد بن محمد، بن حميد، بن سليمان، بن حفص، بن عبد الله

ابن أبي الجهم، بن حذيفة، بن غانم، بن عامر، بن عبد الله، بن عبيد، بن عوتج، بن عدي، بن كعب العدوي الجهمي: أبو عبد الله، من بني عدي بن كعب، القرشي، ينسب إلى جده أبي الجهم، بن حذيفة، حجازي، دخل العراق وبها تأدب ونشأ، وكان أديباً، راوية شاعراً، متقناً، عالماً بالنسب، والمثالب، ويتناول جلة الناس، وله في ذلك كتب، مات.

ذكره المرزباني، ومحمد بن إسحاق النديم، فقالا: وقع بينه وبين قوم من العمريين والعثمانيين شر، فذكر سلفهم بأقبح ذكر، فكلمه بعض الهاشميين في ذلك، فذكر العباس بأمر عظيم، فأفضى خبره إلى المتوكل، فأمر بضربه مائة سوط، وتولى ضربه إياها، إبراهيم ابن إسحاق، بن إبراهيم، فلما فرغ من ضربه، قال فيه:

تبرا الكلوم وينبت الشعر ... ولكل مورد غلة صدر

واللؤم في أثواب منبطح ... لعبيده ما أورق الشجر

قال: وله من الكتب، كتاب قريش وأخبارها، كتاب المعصومين، كتاب المثالب، كتاب الانتصار في الرد على الشعوبية، كتاب فضائل مضر.

أحمد بن أبي عبد الله، بن محمد، بن خالد، بن عبد الرحمن

ابن محمد، بن علي الرقي، أبو جعفر، الكوفي الأصل، وكان يوسف بن عمر الثقفي، والي العراق من قبل هشام ابن عبد الملك، قد حبس جده محمد بن علي بعد قتل زيد ابن علي، ثم قتله، وكان خالد صغير السن، فهرب مع أبيه عبد الرحمن إلى برقة قم، فأقاموا بها.

وكان ثقة في نفسه، غير أنه أكثر الرواية عن الضعفاء، واعتمد المراسيل، وصنف كتباً كثيرة، منها: المحاسن وغيرها، وقد زيد في المحاسن ونقص، فمما وقع إلي منها: كتاب الإبلاغ، كتاب التراحم والتعاطف، كتاب أدب النفس، كتاب المنافع، كتاب أدب المعاشرة، كتاب المعيشة، كتاب المكاسب، كتاب الرفاهية، كتاب المعاريض، كتاب السفر، كتاب الأمثال، كتاب الشواهد من كتاب الله عز وجل، كتاب النجوم، كتاب المرافق، كتاب الدواجن، كتاب المشوم، كتاب الزينة، كتاب الأركان، كتاب الزي، كتاب اختلاف الحديث، كتاب المآكل، كتاب الفهم، كتاب الإخوان، كتاب الثواب، كتاب تفسير الأحاديث وأحكامه، كتاب العلل، كتاب العقل، كتاب التخويف، كتاب التحذير، كتاب التهذيب، كتاب التسلية، كتاب التاريخ، كتاب التبصرة، كتاب غريب كتب المحاسن، كتاب مذام الأخلاق، كتاب النساء، كتاب المآثر والأحساب، كتاب أنساب الأمم، كتاب الزهد والموعظة، كتاب الشعر والشعراء، كتاب العجائب، كتاب

الحقائق، كتاب المواهب والحظوظ، كتاب الحياة، وهو كتاب النور والرحمة، كتاب التعيين، كتاب التأويل، كتاب مذام الأفعال، كتاب الفروق، كتاب المعاني والتحريف، كتاب العقاب، كتاب الامتحان، كتاب العقوبات، كتاب العين والخصائص، كتاب النحو، كتاب العيافة والقيافة، كتاب الزجر والفأل، كتاب الطيرة، كتاب المراشد، كتاب الأفانين، كتاب الغرائب، كتاب الخيل، كتاب الصيانة، كتاب الفراسة، كتاب العويص، كتاب النوادر، كتاب مكارم الأخلاق، كتاب ثواب القرآن، كتاب فضل القرآن، كتاب مصابيح الظلم، كتاب المنتخبات، كتاب الدعابة والمزاح، كتاب الترغيب، كتاب الصفوة، كتاب الرؤيا، كتاب المحبوبات والمكروهات، كتاب خلق السموات والأرض، كتاب بدء خلق إبليس والجن، كتاب الدواجن والرواض، كتاب مغازي النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب بنات النبي صلى الله عليه وسلم وأزواجه، كتاب الأحناش والحيوان، كتاب التأويل، كتاب طبقات الرجال، كتاب الأوائل، كتاب الطب، كتاب التبيان، كتاب الجمل، كتاب ما خاطب الله به خلقه، كتاب جداول الحكمة، كتاب الأشكال والقرائن، كتاب الرياضة، كتاب ذكر الكعبة، كتاب التهانئ، كتاب التعازي.

أحمد بن محمد، بن يوسف الأصبهاني

قال حمزة في كتاب أصبهان، وذكره في جملة الأدباء الذين كانوا بها، وقال: له كتاب في طبقات البلغاء، وكتاب في طبقات الخطباء، لم يسبق إلى مثلهما، وكتاب أدب الكتاب، وأنشد الأصبهاني في القاضي الوليد.

لعمرك ما حمدنا غب ود ... بذلنا الصفو منه للوليد
رجونا أن يكون لنا ثمالاً ... إذا ما المحل أذوى كل عود
ويحيى أحمد بن أبي دؤاد ... سليل المجد والشرف العتيد
فزرناه فلم نحصل لديه ... على غير التهدد والوعيد
نورد حوضه الآمال منا ... فآبت غير حامدة الورود
يظل عدوه يحظى لديه ... بنيل الحظ من دون الودود
رضينا بالسلامة من جداه ... وأعفيناه من كرم وجود

وقال في مثل للفرس قلبه إلى العربية شعراً:

إني إذا ما رأيت فرخ زنى ... فليس يخفى على جوهره
لو في جدار تخط صورته ... لماج في كف من يصوره

وقال في رجل عدل عن انتحال علم الإسلام، إلى علم الفلسفة:

فارقت علم الشافعي ومالك ... وشرعت في الإسلام رأي رقلس
وأراك في دين الجماعة زاهداً ... ترنو إليه بميل طرف الأشوس

وكتب إلى بعض إخوانه:

نفسي فداؤك من خليل مصقب ... لم يشفني منه اللقاء الشافي
عندي غداً فئة تقوم بمثلها ... لله حجته على الأصناف

مثل النجوم يلذ حسن حديثهم ... ليسوا بأوباش ولا أجناف
أو روضة زهراء معشبة الثرى ... كال الربيع لها بكيل واف
من بين ذي علم يصول بعلمه ... أو شاعر يقضي بحد قواف
منهم أبو الحسن ابن قلس دهره ... وأبو الهذيل وليس بالعلاف
والهرمزاني الذي يسمو به ... شرف أناف به على الأشراف
فاجعل حديثك عندنا يشفي الجوى ... فنفوسنا ولهى إلى الإيلاف

ألن الجواب فليس يعجبني أخ ... في الدين شاب وفاءه بخلاف

أحمد بن محمد، بن أبي محمد اليزيدي

أبو جعفر، ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر، في تاريخ دمشق، فقال: أحمد بن محمد، بن يحيى المبارك، ابن المغيرة، أبو جعفر العدوي النحوي، المعروف أبوه باليزيدي، كان من ندماء المأمون، وقدم معه دمشق، وتوجه منها غازياً للروم، سمع جده أبا محمد يحيى، وأبا زيد الأنصاري، وكان مقرئاً، روى عنه أخواه، عبيد الله، والفضل ابنا محمد، وابن أخيه محمد بن العباس، ومحمد بن أبي محمد، وعون بن محمد الكندي، ومحمد بن عبد الملك الزيات، مات قبيل سنة ستين ومائتين. قرأت في كتاب أبي الفرج الأصبهاني، حدثنا محمد بن العباس، حدثني أبي، عن أخيه أبي جعفر قال: دخلت يوماً على المأمون بقارا، وهو يريد الغزو، فأنشدته شعراً مدحته به، أوله:

يا قصر ذا النخلات من بارا ... إني حننت إليك من قارا
أبصرت أشجاراً على نهر ... فذكرت أنهاراً وأشجارا
لله ايام نعمت بها ... في القفص أحياناً وفي بارا
إذ لا أزال أزور غانية ... ألهو بها وأزور خمارا
لا أستجيب لمن دعا لهدى ... وأجيب شطاراً ودعارا
أعصى النصيح وكل عاذلة ... وأطيع أوتاراً ومزمارا

قال: فغضب المأمون قوال: أنا في وجه عدو، وأحض الناس على الغزو، وأنت تذكرهم نزهة بغداد، قلت: الشيء بتمامه، ثم قلت:

وصحوت بالمأمون من سكري ... ورأيت خير الأمر ما اختارا
ورأيت طاعته مؤدية ... للفرض إعلاناً وإسرارا
فخلعت ثوب الهزل من عنقي ... ورضيت دار الخلد لي دارا
وظللت معتصماً بطاعته ... وجواره وكفى به جارا
إن حل أرضاً فهي لي وطن ... وأسير عنها حيثما سارا

فقال له يحيى بن أكثم: ما أحسن ما قال يا أمير المؤمنين! أخبر أنه كان في سكر وخسار، فترك ذلك

وارعوى، وآثر طاعة خليفته، وعلم أن الرشد فيها، فسكن وأمسك، ولأحمد بن اليزيدي هذا، بيت جمع فيه حروف المعجم كلها وهو:

ولقد شجتني طفلة برزت ضحى ... كالشمس خثماء العظام بذي الغضا

وذكره أبو بكر الزبيدي فقال: هو أمثل أهل بيته في العلم.

أحمد بن محمد، بن عبد الكريم، بن سهل

ويقال ابن أبي سهل الأحول، أبو العباس، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو من متقدمي الكتاب وأفاضلهم، وكان عالماً بصناعة الخراج، متقدماً في ذلك على أهل عصره، مات سنة سبعين ومائتين وله كتاب الخراج.

أحمد بن محمد، بن ثوابة، بن خالد الكاتب

أبو العباس، قال محمد بن إسحاق النديم: هو أحمد ابن محمد، بن ثوابة، بن يونس، أبو العباس الكاتب، أصلهم نصارى، وقيل: إن يونس يعرف بلبابة، وكان حجاماً، وقيل: أمهم لبابة، ومات أبو العباس سنة سبع وسبعين ومائتين، وقال الصولي: مات في سنة ثلاث وسبعين قال: وحدثني أبو سعيد، وهب بن إبراهيم، بن طازاذ قال: كان بين علي بن الحسين، وبين أبي العباس بن ثوابة، منازعة في ضيعة، فاجتمعا في مجلس بعض الرؤساء وأحسبه عبيد الله بن سليمان، فرد علي بن الحسين، مناظرة أبي العباس، إلى أخيه أبي القاسم، بن الحسين، فناظر أبا العباس، فأقبل أبو العباس يهاتره ويطنز به وقال في جملة قوله: من أنتم؟ إنما نفقتم بالبذيذة، قال: فالتفت علي بن الحسين، إلى صبي كان معه، كأنه الدنيا المقبلة، فأخذ بيده، وقام قائماً في موضعه، وكشف عن رأسه، وقال بأعلى صوته: يا معشر الكتاب، قد عرفتموني، وهذا ولدي، من فلانة بنت فلان الفلاني، وهي من طالق طلاق الحرج والسنة، على سائر المذاهب، إن لم يكن هذا الشرط الذي في أخدعي شرط جده فلان المزين، لا يكنى عن جد ابن ثوابة، قال: فاستخذل أبو العباس، ولم يحر جواباً، ولا أجرى بعد ذلك كلاماً في الضيعة، وسلمها من غير منازعة ولا محاورة.

قال: وكان أبو العباس من الثقلاء البغضاء، وله كلام مدون مستهجن مستثقل، منه: علي بماء الورد أغسل فمي من كلام الحاجم. ومنه: لما رأى أمير المؤمنين الناس قد تدارسوا وتدقلموا وترنسعوا وتذوروا تدسقن وله من التصانيف: كتاب رسائله المجموعة، كتاب رسالته في الكتابة والخط، وأخوه جعفر بن محمد، بن ثوابة، تولى ديوان الرسائل في أيام عبيد الله بن سليمان الوزير، وله ابن اسمه محمد بن أحمد، كان أيضاً مترسلاً بليغاً، وله كتاب رسائل. وأبو الحسين محمد بن جعفر، بن ثوابة، وابنه أبو عبد الله، أحمد بن محمد، بن جعفر. وله أيضاً ديوان رسائل، وهو آخر من بقي من فضلائهم.

ومن كلام أبي العباس: من حق المكاتبة، أن يسبقها أنس، وينعقد قبلها ود، ولكن الحاجة أعجلت عن ذلك، فكتبت كتاب من يحسن الظن إلى من يحققه.

ومن فصل له إلى عبيد الله بن سليمان: لم يؤت الوزير من عدم فضيلة، ولم أوت من عدم وسيلة، وغلة الصادي تأبى له انتظار الوارد، وتعجل عن تأمل ما بين الغدير والواد، ولم أزل أترقب أن يخطرني بباله، ترقب الصائم لقطره، وأنتظره انتظار الساري لفجره، إلى أن برح الخفاء، وكشف الغطاء، وشمت الأعداء، وإن في تخلفي وتقدم المقصرين، لآية للمتوسمين والحمد لله رب العالمين.

وقيل لابن ثوابة: قد تقلد إسماعيل بن بلبل الوزارة، فقال: إن هذا عجز قبيح من الأقدار، وكان محمد بن أحمد بن ثوابة، كاتباً لباكباك التركي، فلما أغري المهتدي بالرافضة، قال المهتدي لباكباك: كاتبك والله أيضاً رافضي، فقال باكباك: كذب والله على كاتبي، ما كان يقول هؤلاء، فشهدت الجماعة عليه، فقال باكباك: كذبتم، ليس كاتبي كما تقولون، كاتبي خير فاضل، يصلي ويصوم، وينصحني، ونجاني من الموت، لا أصدق قولكم عليه، فغضب المهتدي، وردد الأيمان على صحة القول في ابن ثوابة، وهو يقول: لا، لا، فلما انصرف القوم من حضرة المهتدي، أسمعهم باكباك وشتمهم، ونسبهم إلى أخذ الرشا والمصانعات وأغلظ لهم وأمر ببعضهم فنيل بمكروه، إلى أن تخلصوا من يده، واستتر ابن ثوابة، وقلد المهتدي كتابة باكباك، سهل بن عبد الكريم الأحول، ونودي على ابن ثوابة، ثم تنصل باكباك إلى المهتدي، واعتذر إليه فقبل عذره، وصفح عنه، فلما قدم موسى بن بغا، سر من رأى من الجبل، تلقاه باكبابك، وسأله النطف في المسألة، في الصفح عن كاتبه ابن ثوابة، فلما جلد المهتدي البيعة في دار أناجور التركي، عاود باكباك المسألة في كاتبه، فوعده بالرضا عنه، وقال: الذي فعلته بابن ثوابة، لم يكن لشيء كان في نفسي عليه يخصني، لكن غضباً لله تعالى وللدين، فإن كان قد نزع عما أنكر منه، وأظهر تورعاً، فإني قد رضيت عنه، ثم رضي عنه الخليفة في يوم الجمعة، النصف من محرم، سنة خمسين ومائتين، وخلع عليه أربع خلع، وقلده سيفاً، ورجع إلى كتابة باكباك ميمون بن هارون.

قال لي الحسن، علي بن محمد، بن الأخضر: كنا يوماً في مجلس أبي العباس ثعلب، إذ جاءه أبو هفان البصري للسلام عليه، فسأله عن أمره، وسبب قدومه من سامراً، واين يريد؟ فقال أريد ابن ثوابة، يعني أحمد بن محمد، ابن ثوابة، بن خالد، وكان بالرقة، وكان ذلك في أيام عيد، فقال أبو العباس: كيف رضاك عن بني ثوابة؟ فقال: إني والله أكره هجاءهم في يوم مثل هذا، ولكني أقمت هجائي لهم مقام الزكاة، وقلت:

ملوك ثناهم كأحسابهم ... وأخلاقهم شبه آدابهم

فطول قرونهم أجمعين ... يزيد على طول أذنابهم

وقال الصولي: كانت بين أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير، وبين أبي العباس، أحمد بن محمد، بن ثوابة وحشة شديدة، لأسباب منها: أشياء جرت في مجلس صاعد في آخر أيامه، قد حدثني رشيق الموسوي الخادم – وما رأيت خادماً أعقل منه، ولا أكتب يداً – قال: كنا في مجلس صاعد، فسأل عن رجل، فقال أبو الصقر: قد كان أنفيي، يريد نفي، فقال ابن ثوابة: في الخرء، فسمعها، فقال أبو الصقر: كيف تكلم من حقه أن يشد ويحد؟ فقال ابن ثوابة: من جهلك، إنك لا تعلم أن من يشد لا يحد، ومن يحد لا يشد، ثم ضرب الدهر من ضربه، فرايت ابن ثوابة قد دخل إلى أبي الصقر بواسط، فوقف بين يديه، ثم قال: أيها الوزير، "

لقد آثرك الله علينا وإن كنا لخاطئين " . فقال له أبو الصقر: " لا تثريب عليكم " يا أبا العباس، ثم رفع مجلسه، وقلده طساسيج بابل، وسورا، وبربسما، فضاعف وزاد في الدعاء له، فمازال والياً إلى أن توفي في سنة ثلاث وسبعين ومائتين. هكذا ذكر الصولي، والأول منقول من كتاب محمد بن إسحاق، وهذا أولى بالصواب.

قال الصولي: وحدثني الحسين بن علي الكاتب، قال: كان أبو العيناء في جملة أبي الصقر، قال: وكان يعادي ابن ثوابة، لمعاداة أبي الصقر، فاجتمعا في مجلس بعقب ما جرى بين أبي الصقر، وبين ابن ثوابة في مجلس صاعد، فتلاحيا، فقال له ابن ثوابة: أما تعرفني؟ قال: بل أعرفك ضيق العطن، كثير الوسن، قليل الفطن، خاراً على الذقن، قد بلغني تعديك على أبي الصقر. وإنما حلم عنك، لأنه لم ير عزاً فيذله: ولا علواً فيضعه. ولا حجراً فيهدمه، فعاف لحمك أن يأكله. وسهك دمك أن يسفكه، فقال له: اسكت، فما تساب اثنان إلا غلب ألأمهما، قال أبو العيناء: فلهذا غلبت بالأمس أبا الصقر، فأسكته.

ومن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن، حدث علي بن سليمان الأخفش قال: ذكر لي المبرد، أنه كان في سوم نوبة له عند أبي العباس، أحمد بن محمد، بن ثوابة، حتى دخل عليه غلامه، وفي يده رقعة البحتري، فقرأها أبو العباس، ووقع فيها توقيعاً خفيفاً، وأمر بإصلاحها، فأصلحت وأعيدت إليه. قال المبرد: فرمى بها إلي، فإذا فيها:

إسلم أبا العباس واب ... ق فلا أزال الله ظلك
وكن الذي يبقى لنا ... ونموت حين نموت قبلك
لي حاجة أرجو لها ... إحسانك الأوفى وفضلك
والمجد مشترط علي ... ك قضاءها والشرط أملك
فلئن كفيت ملمها ... فلمثلها أعددت مثلك

قال: وإذا وقع ابو العباس: مقضية، والله الذي لا إله إلا هو، ولو أتلفت المال، وأذهبت الحال، فقل: – رعاك الله – ما شئت منبسطاً، وثق بما أنا عليه لك مغتبطاً، إن شاء الله تعالى.

وقال أحمد بن علي المادرائي، الكاتب الأعور الكردي، صديق المبرد يهجو ابن ثوابة من قصيدة:

تعست أبا الفضل الكتابةْ ... من أجل مقت بني ثوابةْ
وسألت أهل المهتي ... ن من الخطابة والكتابةْ
عن عادل في حكمه ... فعليك أجمعت العصابةْ
فاسمع فقد ميزتهم ... ولكلهم طرز وبابه
أما الكبير فمن جلا ... لته يقال له لبابةْ
وإذا خلا فممدد ... في البيت قد شالوا كعابةْ
وارفض عنه زهوه ... وتقشعت تلك المهابةْ

نقلت من خط عبد السلام البصري، حدثنا أبو العباس التميمي، حدثنا جحظة في أماليه، قال: حضرت مجلس أبي العباس ثعلب، وعنده جماعة من أصحابه، وحضر أحمد بان علي المادرائي، فسأله عن أبي العباس

بن ثوابة، وقال له، متى عهدك به؟ فقال: لا عهد ولا عقد، ولا وفاق ولا ميثاق، فقال له ثعلب: عهدي بك إذا غضبت هجوت، فهل من شيء؟ فأنشد:

بني ثوابة أنتم أثقل الأمم ... جمعتم ثقل الأوزار والتخم

أهاض حين أراكم من بشامتكم ... على القلوب وإن لم أوت من بشم

كم قائل حين غاظته كتابتكم ... لو شئت يا رب ما علمت بالقلم

فقال ثعلب: أحسنت والله في شعرك، وأسأت إلى القوم.

وعن أبي الفرج الأصبهاني، حدثني أبو الفضل العباس بن أحمد، بن محمد، بن ثوابة، قال: قدم البحتري النيل على أحمد بن علي الإسكافي، مادحاً له، فلم يثبه ثواباً يرضاه، بعد أن طالت مدته عنده، فهجاه بقصيدته التي يقول فيها:

ما كسبنا من أحمد بن علي ... ومن النيل غير حمى النيل

وهجاه بقصيدة أخرى أولها: قصة النيل فاسمعوها عجابهْ فجمع إلى هجائه إياه، هجاء بني ثوابة، وبلغ ذلك أبي، فبعث إليه بألف درهم، وثياباً ودابة بسرجها ولجامها، فرده، وقال: قد أسلفتكم إساءة، فلا يجوز معه قبول صلتكم، فكتب إليه أبي: أما الإساءة فمغفورة، والمعذرة مشكورة، والحسنات يذهبن السيئات، وما يأسو جراحك مثل يدك، وقد رددت إليك ما رددته علي، وأضعفته، فإن تلافيت ما فرط منك، أثبنا وشكرنا، وإن لم تفعل، احتملنا وصبرنا، فقبل ما بعث به، وكتب إليه: كلامك والله أحسن من شعري، وقد أسلفتني ما أخجلني، وحملتني ما أثقلني، وسيأتيك ثنائي، ثم غدا عليه بقصيدة أولها: ضلال لها ماذا أرادت من الصد؟ وقال فيه بعد ذلك: برق اضاء العقيق من ضرمه وقال فيه أيضاً: أن دعاه داعي الهوى فأجابهْ: قلم يزل أبي يصله بعد ذلك، وتتابع بره لديه، حتى افترقا.

وكتب أحمد بن محمد، بن ثوابة، إلى إسماعيل بن بلبل، حين صاهر الناصر لدين الله، الموفق بالله: " بسم الله الرحمن الرحيم " ، بلغني، للوزير – أيده الله – نعمة زاد شكرها على مقادير الشكر، كما أربى مقدارها على مقادير النعمة، فكان مثلها قول إبراهيم بن العباس:

بنوك غدوا آل النبي، ووارثوا ال ... خلافة، والحاوون كسرى وهاشما

وأنا أسأل الله تعالى أن يجعلها موهبة ترتبط ما قبلها، وتنتظم ما بعدها، وتصل جلال الشرف، حتى يكون الوزير – أعزه الله – على سادة الوزراء موفياً، ولجميل العادة مستحقاً، ولمحمود العاقبة مستوجباً، وأن يلبس خدمه، وأولياءه، من هذه الحلل العالية، ما يكون لهم ذكراً باقياً، وشرفاً مخلداً.

وكان يلقب لبابة، وكان عبيد الله بن سليمان، قد صرف أحمد بن محمد، بن ثوابة، عن طساسيج كان يتقلدها، بأبي الحسن بن مخلد.

فقال أحمد بن علي المادرائي الأعور الكردي:

إني وقفت بباب الجسر في نفر ... فوضى يخوضون في غرب من الخبر

قالوا: لبابة أضحت وهي ساخطة ... قد قدت الجيب من غيظ ومن ضجر

فقلت: حقاً وقد قرت بقولهم ... عيني وأعين إخواني بني عمر
لا تعجبوا لقميص قد من قبل ... فإن صاحبه قد قد من دبر
ولأبي سهل فيه، يخاطب عبيد الله بن سليمان:
يا أبا القاسم الذي قسم الل ... ه في الورى الهوى والمهابْ
كدت تنفي هل الكتابة عنها ... حين أدخلت فيهم ابن ثوابْ
أنت ألحقته وما كان فيهم ... بهم ظالماً به للكتابْ
هل رأينا مخنثاً كاتباً أو ... هل يسمى أديب قوم لبابْ؟؟
وله فيه:
أقصرت عن جدي وعن شغلي ... والمكرمات وعدت في هزلي
لما أراني الدهر من تصريفه ... غيراً يغير مثلها مثلي
بلغ أحمد بن ثوابة بجنونه ... ما ليس يبلغه ذوو عقل
إن كان نقص المرء يجلب حظه ... فالعقل يرفع رزق ذي فضل

قال أبو حيان في كتاب الوزرين: حدثنا أبو بكر الصيمري قال: حدثنا ابن سمكة قال: حدثنا ابن محارب قال: سمعت أحمد بن الطيب يقول: إن صديقاً لابن ثوابة الكاتب أبي العباس، يكنى أبا عيدة، قال له ذات يوم: إنك بحمد الله ومنه، ذو أدب وفصاحة وبراعة، فلو أكملت فضائلك، بأن تضيف إليها معرفة البرهان القياسي، وعلم الأشكال الهندسية، الدالة على حقائق الأشياء، وقرأت إقليدس وتدبرته، فقال له ابن ثوابة: وما كان إقليدس؟ ومن هو؟ قال: رجل من علماء الروم، يسمى بهذا الإسم، وضع كتاباً فيه أشكال كثيرة مختلفة، تدل على حقائق الأشياء المعلومة والمغيبة، يشحذ الذهن، ويدقق الفهم، ويلطف المعرفة، ويصفي الحاسة، ويثبت الروية، ومنه افتتح الخط، وعرفت مقادير حروف المعجم، قال له أبو العباس بن ثوابة: وكيف ذلك؟ قال: لا تعلم كيف هو؟ حتى تشاهد الأشكال، وتعاين البرهان، قال: فافعل ما بدا لك، فأتاه برجل يقال له قويري مشهور، ولم يعد إليه بعد ذلك، قال أحمد بن الطيب: فاستغربت ذلك، وعجبت منه، فكتبت إلى أبي ثوابة رقعة نسختها:

" بسم الله الرحمن الرحيم " ، اتصل بي، – جعلت فداك – ، أن رجلاً من إخوانك أشار عليك، بتكميل فضائلك وتقويتها، بشيء من معرفة القياس البرهاني، وطمأنيتك إليه، وأنك أصغيت إلى قوله، وأذنت له، فأحضرك رجلاً كان غاية في سوء الأدب، ومعدناً من معادن الكفر، وإماماً من أئمة الشرك، لاستغرارك واستغوائك، يخادعك عن عقلك الرصين، وينازلك في ثقافة فهمك المبين، فأبى الله العزيز، إلا جميل عوائه الحسنة قبلك، ومننه السواب لديك، وفضله الدائم عندك، بأن تأتي على قواعد برهانه من ذروته، وتحط عوالي أركانه، من أقصى معاقد أسه، فأحببت استعلامي ذلك على كنهه من جهتك، ليكون شكري لك، على ما كان منك، حسب لومي لصاحبك، على ما كان منه، ولأتلافي الفارط، في ذلك بتدبر المشيئة، إن شاء الله تعالى، قال: فأجابني ابن ثوابة برقعة نسختها: " بسم الله الرحمن الرحيم " وصلت رقعتك – أعزك

الله – وفهمت فحواها، وتدبرت متضمنها، والخبر كما اتصل بك، والأمر كما بلغك، وقد لخصته وبينته، حتى كأنك معنا وشاهدنا، وأول ما أقول: الحمد لله مولي النعم، والمتوحد بالقسم، " إليه يرد علم الساعة " ، " وإليه المصير " ، وأنا أسأله إتراع الشكر على ذلك، وعلى ما منحنا من ودك، وإتمامه بيننا بمنه، ومما أحببت: إعلامك وتعريفك بما تأدى إليك، أن أبا عبيدة " لعنه الله تعالى " بنحسه، ودسه وحدسه، اغتالني ليكلم ديني، من حيث لا أعلم، وينقلني عما أعتقده، وأراه وأضمره، من الإيمان بالله عز وجل، وبرسوله صلى الله عليه وسلم، موطداً إلى الزندقة، بسوء نيته من الهندسة، وأنه يأتيني برجل يفيدني علماً شريفاً، تكمل به فضائلي فيما زعم، فقلت: عسى أفيد به براعة في صناعة، أو كمالاً في مروءة، أو فخاراً عند الأكفاء، فأجبته: بأن هلم، فأتاني بشيخ ديراني شاخص النظر، منتشر عصب البصر، طويل مشذب، محزوم الوسط، متزمل في مسكة فاستعذت بالرحمن، إذ نزغني الشيطان، ومجلسي غاص بالأشراف، من كل الأصناف وكلهم يرمقه، ويتشوف إلى رفعي مجلسه، وإدنائه وتقريبه، ويعظمونه ويحيونه، " والله محيط بالكافرين " ، فأخذ مجلسه، ولوى أشداقه، وفتح أوساقه، فتبينت في مشاهدته النفاق، وفي ألفاظه الشقاق، فقلت: بلغني أن عندك معرفة من الهندسة، وعلماً واصلاً إلى فضل، يفيد الناظر فيه حكمة، وتقدماً في كل صناعة، فهلم أفدنا شيئاً منها، عسى أن يكون عوناً لنا على دين أو دنيا، في مروءة ومفاخرة لدى الأكفاء، ومفيداً زهداً ونسكاً، فذلك هو الفوز العظيم، " فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز " ، " وما ذلك على الله بعزيز " ، قال: فأحضرني دواة وقرطاساً، فأحضرتهما، فأخذ القلم ونكت نكتة، نقط منها نقطة، تخيلها بصري، وتوهمها طرفي، كأصغر من حبة الذرة، فزمزم عليها من وساوسه، وتلا عليها من حكم أسفار أباطيله، ثم أعلن عليها جاهراً بإفكه وأقبل علي وقال: أيها الرجل، إن هذه النقطة شيء لا جزء له، فقلت: أضللتني ورب الكعبة، وما الشيء الذي لا جزء له؟ فقال كالبسيط، فأذهلني وحيرني، وكاد يأتي على عقلي، لولاأن هداني ربي، لأنه أتاني بلغة، ما سمعتها والله من عربي ولا عجمي، وقد أحطت علماً بلغات العرب، وقمت بها وسبرتها جاهداً، واختبرتها عامداً، وصرت فيها إلا ما لا أجد أحداً يتقدمني إلى المعرفة به، ولا يسبقني إلى دقيقة وجليلة، فقلت أنا: وما الشيء البسيط؟ فقال: كالله، وكالنفس، فقلت له: إنك من الملحدين، أتضرب بالله الأمثال؟ والله يقول: " فلا تضربوا لله الأمثال، إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون " لعن الله مرشداً أرشدني إليك، ودالاً دلني عليك، فما ساقك إلي إلا قضاء سوء، ولا كسعك نحوي إلا الحين، وأعوذ بالله من الحين، وأبرأ إليه منكم ومما تلحدون، والله ولي أمير المؤمنين، إني بريء مما تشركون، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فلما سمع مقالتي كره استعاذتي، فاستخفه الغضب، فأقبل علي مستبسلاً وقال: إني أرى فصاحة لسانك سبباً لعجمة فهمك، وتدرعك بقولك آفة من آفات عقلك، فلولا من حضر والله المجلس، وإصغاؤهم إليه مستصوبين أباطيله، ومستحسنين أكاذيبه، وما رأيت من استهوائه إياهم بخدعه، وما تبينت من توازرهم، لأمرت بسل لسان اللكع الألكن، وأمرت بإخراجه، إلى آخر نار الله وسعيره، وغضبه ولعنته، ونظرت إلى أمارات الغضب في وجوه الحاضرين، فقلت: ما غضبكم لنصراني يشرك بالله

ويتخذ من دونه الأنداد، ويعلن بالإلحاد، ولا مكانكم لنهكته عقوبة، فقال له رجل منهم: إن كان حكيم، فغاظني قوله، فقلت: لعن الله حكمة مشوبة بكفر، فقال لي آخر: إن عندي مسلماً يتقدم أهل هذا العلم، ورجوت بذكره الإسلام خيراً، فقلت: ائتني به، فأتاني برجل قصير دحداح، آدم، مجدور الوجه، أخفش العينين، أجلح أفطس، سيء المنظر، قبيح لازي، فسلم، فرددت عليه السلام، فقلت: ما اسمك؟ فقال أعرف بكنية قد غلبت علي، فقلت: أبو من؟ فقال أبو يحيى، فتفاءلت بملك الموت عليه السلام، وقلت: اللهم إني أعوذ بك من الهندسة، اللهم فاكفني شرها، فإنه لا يصرف السوء إلا أنت، وقرأت " الحمد لله، والمعوذتين، وقل هو الله أحد " ، وقلت: إن صديقاً لي جاءني بنصراني يتخذ الأنداد، ويدعي أن لله الأولاد، ليغويني، فهلم أفدنا شيئاً من هندستك، واقبسنا من ظرائف حكمتك، ما يكون لي سبباً إلى رحمة الله، ووسيلة إلى غفرانه، فإنها أربح تجارة، وأعود بضاعة، فقال: أحضرني دواة وقرطاساً، فقلت: أتدعو بالدواة والقرطاس، وقد بليت منهما بلية، كلها لم تندمل عن سويداء قلبي، فقال: وكيف كان ذلك؟ فقلت: إن النصراني نقط نقطة كأصغر من سم الخياط، وقال لي، إنها معقولة كربك الأعلى، فوالله ما عدا فرعون وكفره وإفكه، فقال: إني أعفيك من النقطة، – لعن الله – قوبري، وما كان يصنع بالنقطة؟ وهل بلغت أنت أن تعرف النقطة؟ فقلت: استجهلني ورب الكعبة، وقد أخذت بأزمة الكتابة، ونهضت بأعبائها، واستقللت بثقلها، يقول لي: لا تعرف فحوى النقطة، فنازعتني نفسي في معالجته بغليظ العقوبة، ثم استعطفني الحلم إلى الأخذ بالفضل، ودعا بغلامه، وقال: ائتني بالتخت، فوالله ما رأيت مخلوقاً بأسرع إحضاراً له من ذلك الغلام، فأتاه به، فتخيلته هيئة منكرة، ولم أدر ما هو؟ وجعلت أصوب الفكر فيه، وأصعد أخرى، وأجيل الرأي ملياً، وأطرق طويلاً، لأعلم أي شيء هو؟ أصندوق هو؟ فإذا ليس بصندوق، أتخت؟ فغذا ليس بتخت، فتخيلته كتابوت، فقلت: لحد لملحد، يلحد به الناس عن الحق، ثم أخرج من كمه ميلاً عظيماً، فظننته متطبباً، وإنه لمن شر المتطببين، فقلت له: إن أمرك لعجب كله، ولم أر أميال المتطببين كميلك، أتفقأ به العين؟ قال: لست بمتطبب، ولكن أخط به الهندسة على هذا التخت، فقلت له: إنك وإن كنت مبايناً للنصراني في دينه، لموازر له في كفره، أتخط على تخت بميل، لتعدل به عن وضح الفجر إلى غسق الليل؟ وتميل بي إلى الكذب باللوح المحفوظ، وكاتبيه الكرام، إياي تستهوي؟ أم حسبتني كمن يهتز لمكايدكم فقال: لست أذكر لوحاً محفوظاً، ولا مضيعاً، ولا كاتباً كريماً، ولا لئيماً، ولكن أخط فيه الهندسة، وأقيم عليها البرهان بالقياس والفلسفة، قلت له: اخطط، فأخذ يخط، وقلبي مروع يجب وجيباً، وقال لي غير متعظم: إن هذا الخط طول بلا عرض، فتذكرت صراط ربي المستقيم، وقلت له: – قاتلك الله – أتدري ما تقول؟ تعال صراط ربي المستقيم، عن تخطيطك وتشبيهك، وتحريفك وتضليلك، إنه لصراط مستقيم، وإنه لأحد من السيف الباتر، والحسام القاطع، وأدق من الشعر، وأطول مما تمسحون، وأبعد مما تذرعون، ومداه بعيد، وهوله شديد، أتطمع أن تزحزحني عن صراط ربي؟ وحسبتني غراً غبياً، لا أعلم ما في باطن ألفاظك، ومكنون معانيك، والله ما خططت الخط، وأخبرت أنه طول بلا عرض، إلا ضلة بالصراط المستقيم، لتزل قدمي عنه، وأن ترديني في جهنم، – أعوذ بالله وأبرأ إليه من الهندسة، ومما تدل عليه، وترشد إليه – ، إني بريء من الهندسة، ومما تعلنون وتسرون، ولبئسما سولت لك نفسك، أن تكون من خزنتها، بل من وقودها، وإن لك فيها لأنكالاً

وسلاسل وأغلالاً، وطعاماً ذا غصة، نفأخذ يتكلم. فقلت: سدوا فاه، مخافة أن يبدر من فيه، مثل ما بدر من المضلل الأول، وأمرت بسحبه، فسحب إلى أليم عذاب، ونار " وقودها الناس والحجارة، عليها ملائكة غلاظ شداد، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون " ثم أخذت قرطاساً، وكتبت بيدي يميناً، آليت فيها بكل عهد مؤكد، وعقد مردد، ويمين ليست لها كفارة، أني لا أنظر في الهندسة أبداً، ولا أطلبها، ولا أعلمها من أحد لا سراً ولا جهراً، ولا على وجه من الوجوه، ولا على سبب من الأسباب، وأكدت بمثل ذلك على عقبي وعقب أعقابهم، لا تنظروا فيها ولا تتعلموها، مادامت السموات والأرض، إلى أن تقوم الساعة، لميقات

يوم معلوم، وهذا بيان ما سألت – أعزك الله – عنه، فيما دفعت إليه، وامتحنت به، ولتعلم ما كان مني، ولولا وعكة أنا في عقابيلها، لحضرتك مشافهاً، وأخذت بحظ المتمني بك، والاستراحة إليك، تمهد على ذلك عذري، فإنك غير مباين لفكري، والسلام.م، وهذا بيان ما سألت – أعزك الله – عنه، فيما دفعت إليه، وامتحنت به، ولتعلم ما كان مني، ولولا وعكة أنا في عقابيلها، لحضرتك مشافهاً، وأخذت بحظ المتمني بك، والاستراحة إليك، تمهد على ذلك عذري، فإنك غير مباين لفكري، والسلام.

قال عبد الله الفقير إليهن مؤلف هذا الكتاب: لا شك أن أكثر ما في هذه الرسالة، مفتعل مزور، وما أظن برجل مثل ابن ثوابة، وهو بمكانة من العلم، بحيث تلقى إليه مقاليد الخلافة، فيخاطب عنها بلسانه القاصي والداني، ويرتضيه العقلاء والوزراء، بحيث لا يرون له نظيراً في زمانه، في براعة لسانه، تولى كتابة الإنشاء السنين الكثيرة، أن يكون منه هذا كله، ولكن عسى أن يكون منه، ما كان من ابن عباد، وهو الذي ساق أبو حيان، خبر ابن ثوابة لأجله، وهو أن قال: كان ابن عباد يسب أصحاب الهندسة، ويقول: جاءني بعض هؤلاء الحمقى، ورغبني في الهندسة، فابتدأ فأثبت خمسة وعشرين، وخط خطاً، ووضع شكلاً، وطول، وزعم أنه يعمل برهاناً على ذلك، فقلت له: كنت أعرف أن هذا خمسة وعشرون ضرورة، وقد شككت الآن، فأنا مجتهد حتى أعلم بالاستدلال، وهذا هو الخسار، قلت: ومثل هذا لا يبعد أن يقول مثله، من لم يتدرب بهذه الصناعة، فأما ما تقدم من حديث ابن ثوابة، فهو غاية في التجلف، والرجل كان أجل من ذلك، وإنما أتي إما من جهة أحمد بن الطيب، لأنه كان فيلسوفاً، وكان ابن ثوابة متعجرفاً كما ذكرنا، فأخذ يسخر منه، ليضحك المعتضد، فإن أحمد بن الطيب، كان من جلساء المعتضد. وإما أن يكون أبو حيان، جرى على عادته، في وضع ما أكثر من وضعه من مثل ذلك، والله أعلم.

أحمد بن علي، بن المأمون، النحوي اللغوي

القاضي، صاحب الخط المليح، والعقل الصحيح. مات في التاسع عشر من شعبان، سنة ست وثمانين وخمسمائة، ومولده في ذي القعدة، سنة تسع وخمسمائة. سألت ولده أبا محمد، عبد الله بن أحمد عنه، فأعطاني جزءاً بخط والده هذا، وقد ضمنه ذكر نفسه، وذكر ولده، فنقلت منه جميع ما أذكره في هذه الترجمة، إلا ما أبينه، فقال: أنا أحمد بن علي، بن هبة الله، بن علي الزوال، " وأصله الزول، وإنما غيره

المتكلمون، وزادوا ألفاً، والزول: الرجل الشجاع، وقد ذكر ذلك في كتاب الألفاظ لابن السكيت " ، بن محمد، بن يعقوب، بن الحسين، ابن عبد الله المأمون بالله، الخليفة، بن هارون الرشيد بالله الخليفة، بن محمد المهدي بالله الخليفة، بن عبد الله المنصور بالله الخليفة، بن محمد الكامل، بن علي السجاد، ابن عبد الله خير الأمة، بن العباس سيد العمومة، ابن عبد المطلب شيبة الحمد، بن هاشم عمرو العلا، ابن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، هو قريش بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، ابن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، ابن أد، بن أدد، بن اليسع، بن الهميسع، بن سلامان، ابن ثبت، بن جميل، بن قيدار، بن إسماعيل، بن إبراهيم الخليل، بن آزر، بن تارح، بن ناحور، بن ساروغ، ابن أرغو، بن فالع، بن عابر، بن سالخ، ابن أرفخشذ، ابن سام، بن نوح، بن لمك، بن متوشلخ، بن أخنوخ، وهو إدريس بن ليارد، بن مهلائيل، بن قينان، بن أنوش، بن شيث، بن آدم، أبي البشر، فطرة الله عز وجل، ومولدي في ضحى نهار الثلاثاء، ثالث عشر ذي القعدة سنة تسع وخمسمائة، ولدت بدرب فيروز، في الدار المعروفة الآن، بورثة ابن الثقفي، القاضي عز الدين، قاضي القضاة، – رحمه الله – ، وكان والدي يومئذ، كاتب الزمام في الأيام المستظهرية، وبعد ذلك في الأيام المسترشدية مدة، وكنت مذ نشأت، ختمت القرآن، وقرأته للعشرة، على المرزقي – رحمه الله – ، الأمين أبي بكر، أنا وحجة الإسلام، أبو محمد، إسماعيل بن الجواليقي – وفقه الله – ، وكنا نترافق حين الحداثة في القراءة على الشيوخ، ويتكثر بعضنا ببعض، ونتعاضد في القراءة، وكتبت الخط على أبي سعيد الحسن بن منصور، أبي الحسن الجزري، – رحمه الله – ، وكان صالحاً أديباً، صائم الدهر، عالماً في فنون من العلم، فقيهاً، وكان والدي يؤثرني من دون إخوتي، لما يراه من اشتغالي بالعلم، فإنني منذ انفصلت من المكتب، رجعت بقراءة النحو واللغة، إلى شيخنا أوحد الزمان، أبي منصور بن الجواليقي، – رحمه الله – ، وصحبته إحدى عشرة سنة، وقرأت عليه كتباً كثيرة من حفظي، ويغر حفظي، حتى توليت القضاء، سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، وكان الحكم والقضاء على دجيل، إلى والدي المقدم ذكره، مضافاً إلى الخطابة، فحين ولي أمر ديوان الزمام ببغداد، رد القضاء إلى ولده هبة الله، الملقب بتاج العلا، وكان يخاطب من الديوان العزيز – مجده الله – بالأجل الأوحد، زين الإسلام، نجم الكفاءة، تاج العلا، جمال الشرف، مجد القضاة، عين الكفاءة، وكان بعد ذلك أضيف إليه نظر دجيل أجمع، مع المخزنيات، وكان ذا سطوة وشجاعة، وثروة كبيرة، ومماليك من الأتراك، والإماء والعبيد، والقرايا والأملاك، والرياسة التامة، والصيت والذكر الجميل، بين العرب والعجم، وكان له معروف كبير، ودار مضيف بحربي، يجتمع إليها أمراء العرب على طبقاتهم، وغيرهم من الغرباء، وكان له نواب في القضاء بحربي، والحظيرة، وغيرهما، وكانت ولايته من قاضي القضاة الدامغاني، إلى أن درج بالموصل مسموماً مخافة منه، لما شوهد من رياسته، وتبع العرب والتركمان له، وحمل السلاح، والجند الكثير، والاستطالة العظيمة، وأنفذ ميتاً في ستارة حتى دفن بحربي، في أواخر سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وانحدر ولده علي بن هبة الله، بن علي، طالباً مكانه ببذل المال الجم، وكان وزير الزمان يومئذ، شرف الدين علي بن طراد الزينبي، في أوائل الأيام المقتفوية، فترك مع بذله، ووليت بعد أن أحضرت، وقيل لي: قد رسم توليك من غير قربة، لتميزك بالعلم، وكان لي من العمر يومئذ، أربع وعشرون

سنة، واعتزى ابن أخي بعد ذلك، إلى ديوان السلطنة، وخاطب الديوان العزيز في ذلك فلم يجب، ودخل في النوبة جماعة من الأهل والأكابر من ولاة الأمر، فتوسط الحال على أن يكون لولده مجلس وساطة، وحكم

بحربي في المداينات، وما عداها إلي مع الخطابة، ولذلك نصر يقين، فكتبت رسالة إلى المواقف المقدسة النبوية المقتفوية، – قدسها الله – . في المداينات، وما عداها إلي مع الخطابة، ولذلك نصر يقين، فكتبت رسالة إلى المواقف المقدسة النبوية المقتفوية، – قدسها الله – .

ومنها: ومعاذ الله أن يقارن هذا الفتى بالعبد، ولا يعرف فتيلاً من وثير، ولا يؤلف بين كلمتين في تعبير، لوسيم قراءة الفاتحة أخجلته، أو ريم منه التماس حاجة في التطهر أحفزته، وعد عن أسباب لا يمكن بسطها، ولا يروق خطها، وأما العبد فطرائقه معلومة، ومآخذه مفهومة، ومحل الشيء عنده قابل، والجمهور إليه مائل، وسحاب الاستحقاق لما أهل له في أرضه هاطل، ومعاذ الله أن يتغير من كريم الآراء الشريفة في حقه رأي، أو ينفصم من تلك الوعود فيما أهل له وأي، والوعود كالعهود، ومواقع الكلم الشريفة كالتربق في الجلمود، وهو واثق من الإنعام، بما سار بين الأنام، ليغدو مستحكم الثقة بالإكرام، والأمر أعلى والسلام.

فبرز التوقيع الأشرف المقتفوي، يؤمر فيه بالعمل بسابق التوقيع، وخرجت إلى العمل، وبقيت مدة، فتولي القضاء لمدينة السلام، وفاء بن المرخم، وكان على حالة جليلة من الاختصاص، واستخدام قضاة الأطراف من جانبه، فأبيت ذلك،وخاطبت في الخروج عن يده، وإضافة باقي دجيل، مع ما والاه وقاربه، من لدن تكريت إلى الأنبار، وإلى الجبل وما والاه، من بلد خانقين، وروشن قبادوا، إلى الحربية من الجانب الغربي ببغداد، وكنت أحكم في ذلك أجمع، حتى ولي المستنجد بالله، – رضي الله عنه – ، وقصر القضاة وغيرهم، وأنا في الجملة، وبقيت إحدى عشرة سنة مقصوراً، إلى أن توفي إلى رحمة الله، بعد أن استوعب ما كنت أملكه سائره، فلم أضيع من زماني شيئاً، وكنت في الحبس بمائتي مجلدة، منها، الجمهرة لأبي بكر بن دريد، مجلدتان. وشرح سيويه، ثلاث مجلدات. وإصلاح المنطق، محشي مجلدة واحدة. والغريبان للهروي، مجلدة واحدة. وأشعار الهذليين ثلاث مجلدات. وشعر المتنبي مجلدة. وغريب الحديث لأبي عبيد، مجلدتان. وأشياء يطول شرحها من الكتب الكبار، وحفظت أولادي الختمة، وأيضاً حفظتهم كتباً كثيرة في علم العربية والتفاسير، وغريب القرآن، والخطب والأشعار، وشرحت لهم كتاب الفصيح، وجمعت لهم كتاباً سميته أسرار الحروف، يبين فيه مخارجها ومواقعها من الزوائد، والمنقلب، والمبدل، والمتشابه، والمضاعف، وتصريفها في المعاني الموجودة فيها، والمعاني الداخلة عليها، وذكرت فيه من اشتقاق الأسماء، كل ما تكلمت به علماء البصريين، والكوفيين، وغيرهم من أهل اللغة، وهو مجلدة ضخمة، تحتوي على عشرين كراسة، في كل وجهة عشرون سطراً.

ولما درج الإمام المستنجد بالله، وأتاح الله الخروج من ذلك الضيق، وولي بعده الإمام العادل الرحيم، المستضئ بالله أمير المؤمنين، وشملت رحمته من كان في السجن من الأمة، حتى لم يبق فيه أحداً إلا أفرج عنه، ومن وجد له بخزانته المعمورة من ماله شيئاً عليه اسمه، أعاده عليه، وكل من كان في ولاية، أعاده إليها، ومن وجد من ملكه شيئاً تحت الاعتراض، أفرج عنه، وأعاده إليه، وأنا ممن أنعم في حقه، بإعادة خرقة كان

ختمها باقياً عليها، واسمي فيها ثلاثمائة دينار إمامية صحاح، من جملة ما أخذ من مالي، فأعادها علي، وأعاد علي سهاماً في ثلث قراي بالرذان، وقراحاً ببلدة الحظيرة، وما كان فات وبيع لم يرجع، وأنعم في حقي بإعادة ولايتي علي، وتقريبي واستخدامي في مهام عدة، وكان الوسيط في ذلك كله، الوزير عضد الدولة، أبو الفرج بن رئيس الرؤساء، وكان محباً لإسداء العوارف والاصطناع، وجذب الباع، وإدخال المكارم عند الرجال، وكان كريماً رحب الفناء لأرباب الحوائج، بعيداً ما ينفصل من بابه محروم.

هذا آخر ما نقلته من خطه، واجتمعت بولده قوام الدين، أبي محمد عبد الله، بن أحمد، وقد أفردت له ترجمة في هذا الكتاب، فأنشدني لوالده من حفظه:

فراد المشوق كثير العنا ... ومن كتم الوجد أبدى الضنا
وكم مدنف في الهوى بعدهم ... وكانوا الأماني له والمنا
لقد خلفوه أخا لوعة ... موله شوق يعاني العنا
ينادي من الشوق في إثرهم ... إذا آده ما به قد منا

بيا جسداً ناحلاً بالعراق ... مقيماً وقلباً بوادي منى
تحرقه زفرات الحني ... ن ويغدو بهن الشجا ديدنا

وهي طويلة، قالها في زعيم الدين بن جعفر، عند عوده من مكة.

أحمد بن أبي عمر، المقرئ، المعروف بأحمد الزاهد

أبو عبد الله الأندرابي، مات في العشرين من ربيع الأول، سنة سبعين وأربعمائة، ذكره عبد الغافر، وقال: شيخ زاهد عابد، عالم بالقراءات، له التصانيف الحسنة في علم القراءات، سمع الحديث، وأكثر سماعه مع السيد أبي المعالي، جعفر بن حيدر العلوي، الهروي الصوفي، وكان رفيقه، سمعا صحيح مسلم وغيره، وروى عن محمد بن يحيى ابن الحسن الحافظ. روى عنه أبو الحسن الحافظ.

أحمد بن محمد، بن بشر، بن سعد المرثدي، أبو العباس

ذكره الطيب فقال: كنيته أبو علي، ومات في صفر: سنة ست وثمانين ومائتين، وذكر ابن بنت الغرياني أنه مات في سنة أربع وثمانين، وسمع علي ابن الجعد، والهيثم بن خارجة في آخرين، وروى عنه أبو بكر الشافعي وغيره، وكان عبد الرحمن بن يوسف يثني عليه، وقال ابن المنادي: هو أحد الثقات، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: كنيته أبو العباس الكبير، وهو الذي كان ابن الرومي يكاتبه في السمك كان المرثدي يكتب للموفق في خاصة أمره، وله من الكتب: كتاب الأنواء في نهاية الحسن، كتاب رسائله، كتاب أشعار قريش، وعليه عول أبو بكر الصولي في كتاب الأوراق، وله انتحل، وقد ذكرت ذلك في أخبار الصولي.

أحمد بن محمد، بن عاصم، أبو سهل الحلواني

ذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: بينه وبين أبي سعيد السكري نسب قريب، فروى عن أبي سعيد كتبه، وكان كثيراً ما توجد بخطه، وخطه في نهاية القبح، إلا أنه من العلماء، وله من الكتب: كتاب المجانين الأدباء.

أحمد بن محمد، بن بنت الشافعي

هو صحيح الخط، متقن الضبط، من أهل الأدب، يعتمد على خطه وضبطه، لا أعرف من خطه إلا ما رأيته بخطه، بكتاب تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، وقد ذكر عند خاتمته " وكتبه أحمد بن محمد، بن بنت الشافعي، وراق الجهشياري " .

أحمد بن محمد، بن سليمان، بن بشار، الكاتب

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو أستاذ أبي عبد الله الكوفي الوزير، وكان أحد الأفاضل من الكتاب بلاغة، وفصاحة، وصناعة، وله كتاب الخراج نحو ألف ورقة، وكتاب الشراب والمنادمة.

أحمد بن محمد، المهلبي أبو العباس

كذا ذكره محمد بن إسحاق النديم في كتابه، وقال: هو مقيم بمصر ويعرف بالبرجاني وله من الكتب: كتاب شرح علل النحو، كتاب المختصر في النحو، وكان بمصر نحوي يعرف بالمهلبي، اسمه علي بن أحمد، وكان في هذا العصر. فإن كان هذا، فقد وهم النديم في اسمه، وإلا فهو غيره، والله أعلم، وقد كتبنا لذلك ترجمة في بابه.

أحمد بن محمد، بن نصر

الجيهاني أبو عبد الله، وزير نصر بن أحمد، بن نصر الساماني، صاحب خراسان، كان أديباً فاضلاً، ذكره محمد بن إسحاق النديم، وقال: له من الكتب كتاب آئين، كتاب العهود والخلفاء والأمراء، كتاب المسالك والممالك، كتاب الزيادات في كتاب الناشئ من المقالات، ولأحمد بن أبي بكر الكاتب، يهجو أبا عبد الله الجيهاني:

أيا رب فرعون لما طغى ... وتاه وأبطره ما ملك
لطفت وأنت اللطيف الخبير ... فأقحمته اليم حتى هلك
فما بال هذا الذي لا أرا ... ه يسلك إلا الذي قد سلك
مصوناً على نائبات الدهو ... ر يدور بما يشتهيه الفلك
ألست على أخذه قادراً ... فخذه وقد خصل الملك لك
فقد قرب الأمر من أن يقا ... ل ذا الأمر بينهما مشترك
وإلا فلم صار يملي له ... وقد لج في غيه وانهمك

ولن يصفو الملك مادام ه ... ذا شريكاً وهل ثم شك

ذكر هذه الأبيات أبو الحسن، محمد بن سليمان، ابن محمد في كتاب فريد التاريخ، في أخبار خراسان، وقال فيه بعضهم يهجوه، قال: وأظنه اللحام:

لا لسان لا رواء ... لا بيان لا عبارهْ

لا ولا رد سلام ... منك إلا بالإشارهْ

أنا أهواك ولكن ... أين آثار الوزارهْ

قال: ثم مات السديد، منصور بن نوح، وقام مقامه الرضي أبو القاسم، نوح بن منصور، والجيهاني على وزارته، ثم صرفت عنه الوزارة في شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وثلاثمائة، ووليها أبو الحسين عبد الله بن أحمد العتبي.

أحمد بن محمد، بن يزداد، بن رستم

أبو جعفر النحوي الطبري، سكن بغداد، قال الخطيب: وحدث بها عن نصير بن يوسف، وهاشم بن عبد العزيز، صاحبي علي بن حمزة الكسائي، روى بإسناده قال: قال عبد الله بن مسعود: إني قد سمعت القراء، فوجدتهم متقاربين، فاقرءوا كما علمتم، فإنما هو كقول أحدكم هلم، وتعال. قال عمر بن محمد، بن سيف الكاتب: سمعت من ابن رستم، في سنة أربع وثلاثمائة. قال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب: كتاب غريب القرآن، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب صورة الهمز، كتاب التصريف، كتاب النحو، وقرأت في كتاب الغاية، لأبي بكر بن مهران النيسابوري في القراءات: قرأت على أبي عيسى، بكار بن أحمد المقرئ قال: قرأت على أبي جعفر، أحمد بن محمد، بن رستم الطرائي، وكان مؤدباً في دار الوزير بن الفرات، ووصلنا إليه بالحيل والشفعاء، وكان بصيراً بالعربية، حاذقاً في النحو، أخذ القراءات عن نصير بن يوسف، أبي المنذر النحوي، صاحب الكسائي، وأخذ نصير عن الكسائي.

أحمد بن محمد، بن عبد الله، بن صالح

ابن شيخ بن عمير، أبو الحسن، أحد أصحاب أبي العباس ثعلب، ذكره المرزباني في كتاب المقتبس، وقال ابن بشران في تاريخه: في سنة عشرين وثلاثمائة، مات أبو بكر بن أبي شيخ ببغداد، وكان محدثاً أخبارياً، وله مصنفات، ولا أدري أهو هذا، أم غيره؟ فإن الزمان واحد، وكلاهما أخباري، والله أعلم، ولعل ابن بشران غلط في جعله ابن أبي شيخ، أو جعله أبا بكر، والله أعلم.

حدث المرزباني، عن عبد الله بن يحيى العسكري، قال: أنشدني أبو الحسن، أحمد بن محمد، بن صالح، بن شيخ ابن عمير الأسدي لنفسه، وكتب بها إلى بعض إخوانه:

كنت يا سيدي على التطفيل ... أمس لولا مخافة التثقيل

وتذكرت دهشة القارع البا ... ب إذا ما أتى بغير رسول

وتخوفت أن أكون على القو ... م ثقيلاً فقدت كل ثقيل
لو تراني وقد وقفت أروي ... في دخول إليك أو في قفول
لرأيت العذراء حين تحايا ... وهي من شهوة على التعجيل

وحدث عن عمر بن بنان النماطي، عن أبي الحسن الأسدي قال: تركت النبيذ، وأخبرت أبا العباس ثعلباً بتركي إياه، ثم لقيت محمد بن عبد الله، بن طاهر، فسقاني فمررت على ثعلب، وهو جالس على باب منزله عشياً، فلما رآني أتكفأ في مشيتي، علم أني شارب، فقام ليدخل إلى منزله، ثم وقف على بابه، فلما حاذيته وسلمت عليه، أنشأ يقول:

فتكت من بعد ما نسكت وصا ... حبت ابن سهلان صاحب القسط
إن كنت أحدثت زلة غلطاً ... فالله يعفو عن زلة الغلط

قال عمر: فسألت ثعلباً عن ابن سهلان صاحب القسط، فقال: أهل الطائف يسمون الخمار صاحب القسط.

وحدث عن الصولي قال: انشدني أبو الحسن، أحمد بن محمد الأنباري لنفسه، في قصيدته المزدوجة، التي تمم بها قصيدة علي بن الجهم، التي ذكر فيها الخلفاء إلى زمانه:

ثم تولى المستعين بعده ... فحاز بيت ماله وجنده
ثم أتى بغداد في محرم ... إحدى وخمسين برأي مبرم

وذكر قطعة من أخباره، ثم قال:

وثبتت خلافة المعتز ... ولم يشب أموره بعجز

وذكر طرفاً من أموره، ثم قال:

وقلدوا محمد بن الواثق ... في رجب من غير أمر عائق

وقال أيضاً:

المهتدي بالله دون الناس ... جاء به الرحمن بعد الياس

ثم قال بعد أبيات:

وقام بالأمر الإمام المعتمد ... إمام صدق في صلاح مجتهد

وساق قطعة من سيرته.

أحمد بن محمد، جراب الدولة

هو أحمد بن محمد، بن علويهْ، من أهل سجستان، ويكنى أبا العباس، وكان طنبورياً أحد الظرفاء الطياب، كان في أيام المقتدر، وأدرك دولة بني بويه، فلذلك سمى نفسه بجراب الدولة، لأنهم كانوا يفتخرون بالتسمية في الدولة، وكان يلقب بالريح أيضاً، وله: كتاب ترويح الأرواح ومفتاح السرور والأفراح، لم يصنف في فنه مثله اشتمالاً على فنون الهزل والمضاحك.

أحمد بن محمد، بن إسحاق

،

بن إبراهيم، الهمذاني أبو عبد الله، يعرف بابن الفقيه، أحد أهل الأدب، ذكره محمد بن إسحاق في كتابه، الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة قال: وله كتاب البلدان نحو ألف ورقة، أخذه من كتب الناس، وسلخ كتاب الجيهاني، وكتاب ذكر الشعراء المحدثين، والبلغاء منهم والمفحمين.

وقال شيرويه: محمد بن إسحاق، بن إبراهيم، الفقيه أبو أحمد، والد أبي عبيد الأخباري، روى عن إبراهيم بن حميد البصري وغيره، وروى عنه ابنه أبو عبد الله، وقال شيرويه: أحمد بن أحمد، بن محمد، بن إسحاق، بن إبراهيم الأخباري، أبو عبد الله، يعرف بابن الفقيه، ويلقب بحالان، صاحب كتاب البلدان، روى عن أبيه، وإبراهيم بن الحسين، بن ديزيل، ومحمد بن أيوب الرازي، وأبي عبد الله الحسين، بن أبي السرح الأخباري، وذكر جماعة قال: وروى عنه أبو بكر بن بلال، وأبو بكر بن روزنة، ولم يذكر وفاته.

أحمد بن محمد، بن الوليد

،

بن محمد، يعرف بولاد من أهل بيت علم، ولأبيه وجده ذكر في هذا الكتاب، وتراجم في مواضعها، وكنية أحمد هذا، أبو العباس. مات فيما ذكره الزبيدي في كتابه سنة اثنتين وثلاثمائة، قال: وكان بصيراً بالنحو، ساداً فيه، ورحل إلى بغداد من موطنه مصر، ولقي إبراهيم الزجاج وغيره، وكان الزجاج يفضله، ويقدمه على أبي جعفر النحاس، وكانا جميعاً تلميذيه، وكان الزجاج لايزال يثني عليه عند كل من قدم إلى بغداد من مصر، ويقول لهم: لي عندكم تلميذ من حاله وصفته كذا، فيقال له: أبو جعفر النحاس، فيقول: بل أبو العباس بن ولاد. قال: وجمع بعض ملوك مصر بين ابن ولاد، وابن النحاس، وأمرهما بالمناظرة، فقال ابن النحاس لابن ولاد: كيف تبني مثال أفعلوت من رميت، فقال ابن ولاد: أقول ارمييت، فخطأه أبو جعفر، وقال: ليس في كلام العرب افعلوت، ولا افعليت، فقال أبو العباس: إنما سألتني أن أمثل لك بناء ففعلت، وإنما تعقله أبو جعفر بذلك.

قال الزبيدي: ولقد أحسن في قياسه، حين قلب الواو ياء، وقد كان أبو الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش: يبني من الأمثلة، ما لا مثال له في كلام العرب، وله كتاب المقصور والممدود، وكتاب الانتصار لسيبويه، فيما ذكره المبرد.

أحمد بن محمد، البشتي الخارزنجي

قال السمعاني: خارزنج قرية بنواحي نيسابور، بناحية بشت، والمشهور من هذه القرية: أبو حامد، أحمد بن محمد الخارزنجي، إمام أهل الأدب بخراسان في عصره بلا مدافعة، فإن فضلاء عصره شهدوا له، لما حج بعد الثلاثين وثلاثمائة، وشهد له أبو عمر الزاهد، صاحب ثعلب، ومشايخ العراق بالتقدم، وكتابه المعروف

بالتكملة، البرهان في تقدمه وفضله، ولما دخل بغداد، تعجب أهلها من تقدمه في معرفة اللغة، فقيل: هذا الخراساني لم يدخل البادية قط، وهو من آدب الناس، فقال: أنا بين عربين: بشت، وطوس. سمع الحديث من أبي عبد الله محمد بن إبراهيم البوشنجي، وحدث، سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ، ومات في رجب سنة ثمان وأربعين وثلاثمائة، وهذا كله نقله السمعاني من كتاب الحاكم أبي عبد الله.

قال الأزهري: وممن ألف وجمع من الخراسانيين في زماننا هذا فصحف، وأكثر فغير، رجلان: أحدهما يسمى أحمد بن محمد البشتي، ويعرف بالخارزنجي، والآخر أبو الأزهر البخاري، فأما الخارزنجي، فإنه ألف كتاباً سماه التكملة، أراد أنه كمل كتاب العين، المنسوب إلى الخليل بن أ؛مد بكتابه، وأما البخاري: فإنه سمى كتابه الحصائل، فأعاره هذا الاسم، لأنه أراد تحصيل ما أغفله الخليل، ونظرت في أول كتاب البشتي، فرأيته أثبت في صدره الكتب المؤلفة، التي استخرج كتابه منها، وعدد كتباً. قال الخارزنجي: استخرجت ما وضعت في كتابي هذا من الكتب المذكورة. قال: ولعل بعض الناس يبتغي العيب بتهجينه والقدح فيه، لأني أسندت ما فيه إلى هؤلاء العلماء من غير سماع، وإنما إخباري عن صحفهم، كإخباري عنهم، ولا يزرى ذلك على من عرف الغث من السمين، وميز بين الصحيح والسقيم، وقد فعل مثل ذلك أبو تراب، صاحب كتاب الاعتقاب، فإنه روى عن الخليل بن أحمد، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي، وبينه وبين هؤلاء فترة، وكذلك العتبي روى عن سيبويه، والأصمعي، وأبي عمرو، وهو لم ير منهم أحداً، قال المؤلف: ورد عليه الأزهري في هذا الفصل، بما يطول على كتبه، وله من الكتب: كتاب التكملة، كتاب التفصلة، كتاب تفسير أبيات أدب الكاتب.

أحمد بن محمد، بن إسحاق، بن أبي خيصة

يعرف بالحرمي بن أبي العلاء، أبو عبد الله، من أهل مكة، سكن بغداد، ذكره الخطيب فقال: مات سنة سبع عشرة وثلاثمائة، وكان كاتب أبي عمر محمد بن يوسف القاضي، وحدث عن الزبير بكتاب النسب وغيره. وحدث عنه أبو حفص بن شاهين، وأبو عمر بن حيوية، وأكثر عنه أبو الفرج، علي بن الحسين الأصبهاني وغيره.

أحمد بن محمد، بن موسى، بن العباس، أبو محمد

ذكره ابن الجوزي في المنتظم، وقال: كان معتنياً بأمر الأخبار، وطلب التواريخ، وولي حسبة سوق الرقيق، وكتب عنه، ومات في محرم سنة أربع وعشرين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد، بن عبد الله الزردي

اللغوي، العلامة النيسابوري، أبو عمر الزردي، من قرى إسفرايين، من رساتيق نيسابور، ذكره الحاكم، وقال: مات أبو عمرو الزردي في شعبان، سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، قال: وكان واحداً في هذه الديار في عصره، بلاغة وبراعة، وتقدماً في معرفة أصول الأدب، وكان رجلاً ضعيف البنية مسقاماً، يركب حماراً ضعيفاً، ثم إذ تكلم، تحير العلماء في براعته، سمع الحديث الكثير من أبي عبد الله محمد ابن المسيب الأرغياني، وأبي عوانة يعقوب بن إسحاق، وأقرانهما.

قال الحاكم: سمعت الأستاذ أبا عمرو الزردي في منزلنا يقول: إن الله إذا فوض سياسة خلقه، إلى واحد يخصه لها منهم، وفقه لسداد السيرة، وأعانه بإلهامه، من حيث رحمته تسع كل شيء، ولمثل ذلك، كان يقول ابن المقفع: تفقدوا كلام ملوككم، إذ هم موقفون للحكمة، ميسرون للإجابة، فإن لم تحظ به عقولكم في الحال، فإن تحت كلامهم حيات فواغر، وبدائع جواهر، وكان بعضهم يقول: ليس لكلام سبيل أولى من قبول ذلك، فإن ألسنتهم ميازيب الحكمة والإصابة. قال: وسمعت أبا عمر الزردي يقول: العلم علمان: علم مسموع، وعلم ممنوح.

أحمد بن محمد، بن عبد ربه

بن حبيب، بن حدير ابن سالم، مولى هشام بن عبد الرحمن، بن معاوية، ابن هشام، بن عبد الملك، بن مروان، كنيته أبو عمر، ذكره الحميدي، وقال: إنه مات في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة ست وأربعين ومائتين. عن إحدى وثمانين سنة، وثمانية أشهر، وثمانية أيام، وهو من أهل بلاد الأندلس، قال الحميدي: وأبو عمر من أهل العلم، والأدب، والشعر، وهو صاحب كتاب العقد في الأخبار، مقسم على عدة فنون، وسمى كل باب منه على نظم العقد، كالواسطة، والزبرجدة، والياقوتة، والزمردة، وما أشبه ذلك، وبلغني أن الصاحب بن عباد، سمع بكتاب العقد، فحرص حتى حصل عنده، فلما تأمله، قال: " هذه بضاعتها ردت إلينا " ، ظننت أن هذا الكتاب يشتمل على شيء من أخبار بلادهم، وإنما هو مشتمل على أخبار بلادنا،لا حاجة لنا فيه، فرده. قال الحميدي: وشعره كثير مجموع، رأيت منه نيفاً وعشرين جزءاً، من جملة ما جمع للحكم بن عبد الله الملقب بالناصر الأموي سلطان العرب، وبعضها بخطه. قال: وكانت لأبي عمر بالعلم جلالة، وبالأدب رياسة وشهرة، مع ديانته وصيانته، واتفقت له أيام وولايات للعلم، فيها نفاق، فتسود بعد المول، وأثرى بعد فقر، وأشير بالتفضيل إليه، إلا أنه غلب عليه الشعر، ومن شعره وكان بعض من تألفه قد أزمع لعى الرحيل في غداة عينها، فأتت السماء في تلك الغداة بمطر جود، منعته من الرحيل، فكتب إليه أبو عمر ابن عبد ربه:

هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر ... هيهات يأبى عليك الله والقدر
مازلت أبكي حذار البين ملتهفاً ... حتى رثا لي فيك الريح والمطر
يا برده من حيا مزن على كبد ... نيرانها بغليل الشوق تستعر
آليت ألا أرى شمساً ولا قمراً ... حتى أراك فأنت الشمس والقمر

ومن شعره السائر:

الجسم في بلد والروح في بلد ... يا وحشة الروح بل يا غربة الجسد
إن تبك عيناك لي يا من كلفت به ... من رحمة فهما سهمان في كبد
قال: ووقف ابن عبد ربه تحت روشن لبعض الرؤساء، قد رش بماء وكان فيه غناء حسن، ولم يعرف لمن هو؟ فقال:
يا من يضن بصوت الطائر الغرد ... ما كنت أحسب هذا البخل في أحد
لو أن أسماع أهل الأرض قاطبة ... أصغت إلى الصوت لم يقص ولم يزد
فلا تضن على سمعي تقلده ... صوتاً يجول مجال الروح في الجسد
لو كان زرياب حيا ثم أسمعه ... لذاب من حسد أو مات من كمد
أما النبيذ: فإني لست أشربه ... ولست آتيك إلا كسرتي بيدي
وزرياب عندهم، يجري مجرى إسحاق بن إبراهيم الموصلي في صنعة الغناء ومعرفته، وله أصوات مدونة، ألفت الكتب فيها، وضربت به الأمثال. قال: ولأبي عمر أيضاً أشعار كثيرة، سماها الممحصات، وذلك أنه نقض كل قطعة قالها في الصبا والغزل، بقطعة في المواعظ والزهد، وأرى أن من ذلك قوله:
ألا إنما الدنيا غضارة أيكة ... إذا اخضر منها جانب جف جانب
هي الدار ما الآمال إلا فجائع ... عليها ولا اللذات إلا مصائب
وكم أسخنت بالأمس عيناً قريرة ... وقرت عيون دمعها الآن ساكب
فلا تكتحل عيناك منها بعبرة ... على ذاهب منها فإنك ذاهب
ومن شعره، وهو آخر شعر قاله فيما قيل:
بليت وأبلتني الليالي بكرها ... وصرفان للأيام معتوران
ومالي لا أبكي لسبعين حجة ... وعشر أتت من بعدها سنتان

وقد أجاز لي رواية كتابه الموسوم بالعقد، الحافظ ذو النسبين، بني دحية والحسين، أبو الخطاب عمر بن الحسين، المعروف بابن دحية المغربي السبتي، فإنه رواه عن شيخه أبي محمد عبد الحق، بن عبد الملك، بن ثوبة العبدي، عن شيخه أبي عبد الله، محمد بن معمر، عن شيخه أبي بكر، محمد بن هشام المصحفي عن أبيه، عن زكريا بن بكير، بن الأشبح، عن المصنف. وقسم كتاب العقد على خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب منها جزءان، فذلك خمسون جزءاً في خمسة وعشرين كتاباً، كل كتاب باسم جوهرة من جواهر العقد، فأولها: كتاب اللؤلؤة في السلطان، ثم كتاب الفريدة في الحروب، ثم كتاب الزبرجدة في الأجواد، ثم كتاب الجمانة في الوفود، ثم كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك، ثم كتاب الياقوتة في العلم والأدب، ثم كتاب الجوهرة في الأمثال، ثم كتاب الزمردة في المواعظ، ثم كتاب الدرة في التعازي والمراثي، ثم كتاب اليتيمة في الأنساب، ثم كتاب العسجدة في كلام الأعراب، ثم كتاب المجنبة في الأجوبة، ثم كتاب الواسطة في الخطب، ثم كتاب المجنبة الثانية، في التوقيعات، والفصول، والصدور، وأخبار الكتبة، ثم كتاب العسجدة الثانية في الخلفاء وأيامهم، ثم اليتيمة الثانية في أخبار زياد، والحجاج، والطالبيين، والبرامكة، ثم الدرة الثانية في أيام العرب

ووقائقعهم، ثم الزمردة الثانية في فضائل الشعر، ومقاطعه ومخارجه، ثم الجوهرة الثانية في أعرايض الشعر، وعلل القوافي، ثم الياقوة الثانية في علم الألحان واختلاف الناس فيه، ثم المرجانة الثانية في النساء وصفاتهن، ثم الجمانة الثانية في المتنبئين زالممرورين، والطفيليين، ثم الزبرجدة الثانية في التحف، والهدايا، والنتف، والفاكهات والملح، ثم الفريدة الثانية في الهيئات والبنائين، والطعام والشراب، ثم اللؤلؤة الثانية في طبائع الإنسان، وسائر الحيوان، وتفاضل البلدان، وهو آخر الكتاب: ومن شعر ابن عبد ربه:

ودعتني بزورة واعتناق ... ثم نادت متى يكوت التلاقي

وبدت لي فأشرق الصبح منها ... بين تلك الجيوب والأطواق

يا سقيم الجفون من غير سقم ... بين عينيك مصرع العشاق

إن يوم الفراق أقطع يوم ... ليتني مت قبل يوم الفراق

ومن شعره أيضاً:

يا ذا الذي خط الجمال بخده ... خطين هاجا لوعة وبلابلا

ما صح عندي أن لحظك صارم ... حتى لبست بعارضيك حمائلا

قال: أخبرني بعض العلية: أن الخطيب أبا الوليد ابن عسال، حج، فلما انصرف، تطلع إلى لقاء المتنبئ واستشرف، ورأى أن لقيته فائدة يكتسبها، وحلة فخر لا يحتسبها، فصار إليه، فوجده في مسجد عمرو بن العاص، ففاوضه قليلاً ثم قال: ألا أنشدني لمليح الأندلس، يعني ابن عبد ربه فأنشده:

يا لؤلؤاً يسبي العقول أنيقا ... ورشاً بتقطيع لاقلوب رفيقا

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله ... ورداً يعود من الجناء عقيقا

وإذا نظت إلى محاسن وجهه ... أبصرت وجهك في سناه غريقا

يا من تقطع خصره من ردفه ... ما بال قلبك لا يكون رقيقا

فلما أكمل إنشاده، استعادها منه، ثم صفق بيديه. وقال: يا ابن عبد ربه، لقد يأتيك العراق حبواً. ثم إن ابن عبد ربه، أقلع في آخر عمره عن صبوته، وأخلص لله في توبته، فاعتبر أشعاره التي قالها في الغزل واللهو، وعمل على أعاريضها وقوافيها في الزهد، وسماها الممحصات، فمنها القطعة التي أولها: هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر محصها بقوله:

يا قادراً ليس يعفو حين يقتدر ... ماذا الذي بعد شيب الرأس تنتظر؟

عاين بقلبك إن العين غافلة ... عن الحقيقة واعلم أنها سقر

سوداء تزفر من غيظ إذا سعرت ... للظالمين فما تبقي ولا تذر

لو لم يكن لك غير الموت موعظة ... لكان فيه عن اللذات مزدجر

أنت المقول له ما قلت مبتدئاً ... هلا ابتكرت لبين أنت مبتكر

أحمد بن محمد، بن إسماعيل النحاس

أبو جعفر من أهل مصر، رحل إلى بغداد، فأخذ عن المبرد، والأخفش علي بن سليمان، ونفطويه، والزجاج، وغيرهم. ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات بها، فيما ذكره أبو بكر الزبيدي في كتابه، في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

وأبو جعفر هذا: صاحب الفضل الشائع والعلم المتعارف الذائع، يستغني بشهرته، عن الإطناب في صفته. قال الزبيدي: ولم يكن له مشاهدة، فإذا خلا بعلمه جود وأحسن، وكان لا ينكر أن يسأل أهل النظر والفقه، ويفاتشهم عما أشكل عليه في تصانيفه. قال الزبيدي: فحدثني قاضي القضاة بالأندلس، وهو المنذر بن سعيد البلوطي قال: أتيت ابن النحاس في مجلسه بمصر، فألفيته يملي في أخبار الشعراء شعر قيس بن معاذ المجنون، حيث يقول:

خليلي هل بالشام عين حزينة ... تبكي على نجد لعلي أعينها؟

قد اسلمها الباكون إلا حمامة ... مطوقة باتت وبات قرينها

تجاوبها أخرى على خيزرانة ... يكاد يدنيها من الأرض لينها

فقلت: يا ابا جعفر، ماذا – أعزك الله – باتا يصنعان؟ فقال لي: وكيف تقوله أنت يا أندلسي؟ فقلت: بانت وبان قرينها، فسكت، ومازال يستثقلني بعد ذلك، حتى منعني كتاب العين، وكنت ذهبت إلى الانتساخ من نسخته، فلما قطع بي، قيل انتسخ من أبي العباس ابن ولاد، فقصدته، فلقيت رجلاً كامل العلم، حسن المروءة، وسألته الكتاب فأخرجه غلي، ثم تندم أبو جعفر لما بلغه إباحة ابن العباس الكتاب لي، وعاد إلى ما كنت أعرفه منه.

قال: وكان أبو جعفر لئيم النفس، شديد التقتير على نفسه، وكان ربما وهبت له العمامة، فقطعها ثلاث عمائم، وكان يأبى شرى حوائجه بنفسه، ويتحامل فيها على أهل معرفته، وصنف كتباً حساناً مفيدة، منها كتاب الأنوار، كتاب الاشتقاق لأسماء الله عز وجل، كتاب معاني القرآن، كتاب اختلاف الكوفيين والبصريين سماه " المقنع " ، كتاب أخبار الشعراء، كتاب أدب الكتاب، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب الكافي في النحو، كتاب صناعة الكتاب، كتاب إعراب القرآن، كتاب شرح السبع الطوال، كتاب شرح أبيات سيبويه، كتاب الاشتقاق، كتاب معاني الشعر، كتاب التفاحة في النحو، كتاب أدب الملوك.

وسمعت من يحكي: أن تصانيفه تزيد على الخمسين مصنفاً، وقد ذكر أبو عبد الله الحميدي: القاضي المذكور في قصة ابن النحاس، وقال: هو أبو الحكم، المنذر ابن سعيد، يعرف بالبلوطي، ينسب إلى موضع هناك قريب من قرطبة، يقال له فحص البلوط، ولي قضاء الجماعة بقرطبة، في حياة الحكم المستنصر، وذكر له قصة استحسنتها فأثبتها ههنا، إذ لم أجعل له ترجمة، لأنه لم يذكره بالتصنيف في الأدب، فقال: كان الحكم المستنصر مشغوفاً بأبي علي القالي، يؤهله لكل مهمة في بابه، فلما ورد رسول ملك الروم، أمره عند دخول الرسول إلى الحضرة أن يقوم خطيباً، بما كانت العادة جارية به، فلما كان في ذلك الوقت، وشاهد أبو علي الجمع، وعاين الحفل، جبن ولم تحمله رجلاه، ولا ساعده لسانه، ففطن له أبو الحكم، منذر بن سعيد القاضي، فوثب وقام مقامه، وارتجل خطبة بليغة على غير أهبة، وأنشد لنفسه في آخرها:

هذا المقال الذي ما عابه فند ... لكن صاحبه أزرى به البلد

لو كنت فيهم غريباً كنت مطرفاً ... لكنني منهم فاغتالني النكد
لولا الخلافة أبقى الله بهجتها ... ما كنت أبقى بأرض ما بها أحد
واتفق الجمع على استحسانه، وجمال استدراكه، وصلب العلج وقال: هذا كبش رجال الدولة، ثم ذكر قصته مع ابن النحاس بعينها.

أحمد بن محمد بن حمادة أبو الحسن الكاتب

حسن الأدب، من أفاضل الكتاب، صنف الكتب ولقي الأدباء، وله كتاب امتحان الكتاب، وديوان ذوي الألباب، كتاب شحذ الفطنة، كتاب الرسائل، ذكر ذلك محمد بن إسحاق.

أحمد بن محمد، بن عبد الله، بن هارون

أبو الحسين، أظنه من عسكر مكرم، لأنه اعتنى بشرح مختصر محمد بن علي، بن غسماعيل المبرمان، ثم قرأت في بعض المجموعات:

تقدم رجلان إلى القاضي أبي أحمد بن أبي علان، –رحمه الله – ، فادعى أحدهما على الآخر شيئاً، فقال المدعي عليه: ماله عندي حق، فقال القاضي: من هذا؟ فقالوا: ابن هارون النحوي العسكري، فقال القاضي: فاعطه ما أقررت له به. له شرح كتاب التلقين، رأيته وسماه البارع، وكتاب شرح العيون، وكتاب شرح المجاري، رأيت كتاب شرح التلقين بخطه، وقد كتبه في رجب، سنة تسع وستين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد، بن ميمون

بن أحمد، بن نصر، بن ميمون ابن مروان بن الأسلمي، الكفيف النحوي أبو عمرو، قال ابن الفرضي: هو من أهل قرطبة، ويقال له اشكابة. سمع من قاسم بن أصبغ، ومحمد بن محمد الخشني وغيرهما، وكان صالحاً عفيفاً، أدب عند الرؤساء والجلة من الملوك، ومات لإحدى عشرة ليلة خلت من شوال، سنة تسعين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد،العروضي

بن أحمد أبو الحسن، العروضي معلم أولاد الراضي بالله، وجدت على كتابه في العروض بخطه، وقد قرئ عليه في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة. وكان إماماً في علم العروض، حتى قال ابو علي الفارسي في بعض كتبه، وقد احتاج إلى الاستشهاد ببيت قد تكلم عليه في التقطيع: " وقد كفانا أبو الحسن العروضي الكلام في هذا الباب " ولقي أبو الحسن ثعلباً وأخذ عنه، وروى أبو عبيد الله محمد بن عمران المرزباني: نقلت من كتاب ألفه أبو القاسم عبيد الله بن جرو الأسدي في العروض، وكان الكتاب بخط أبي الحسن السمسماني يقول

فيه: وكان أبو الحسن علي بن أحمد العروضي، عمل كتاباً كبيراً، وحشاه بما قد ذكر أكثره، ونقل كلام أبي إسحاق الزجاج، وزاد فيه شيئاً قليلاً، وضم إليه باباً في علم القوافي، وذاك علم مفرد مثل علم العروض، وفيه مسائل لطيفة، واختلاف كثير، يحتاج إلى كشف واستقصاء نظر، ولم أره كبير عمل، ولو نسخ كتاب أبي الحسن الأخفش في القوافي، لكان أعذر عندي، ثم ضم إليه باباً في استخراج المعمي، وهذا لا يتعلق بالعروض، وضم إليه باباً في الإيقاع ونسبه، وغيره به أحذق، وختمه بقصيدة في العروض، ولم يفد بها غير التكرير، وكان ينبغي أن يوفي صناعته حقها، ولا يخل بشيء منها، ثم يتعرض لما قد ضمه إليها.

أحمد بن محمد التاريخي

،

الرعيني بالأندلس الحميدي: عالم بالأخبار، ألف في مآثر المغرب كتباً جمة، منها: كتاب ضخم ذكر فيه مسالك الأندلس ومراسيها، وأمهات مدنها وأجنادها الستة، وخواص كل بلد منها، ذكره ابن جرير وأثنى عليه.

أحمد بن محمد، بن موسى بن، بشير بن، جناد

ابن لقيط، الرازي الأندلسي، أصله من الري، ذكره أبو نصر الحميدي قال: له كتاب في أخبار ملوك الأندلس وكتابهم وخططها، على نحو كتاب أحمد بن أبي طاهر في أخبار بغداد، وكتاب في أنساب مشاهير أهل الأندلس، في خمس مجلدات ضخم، من أحسن كتاب وأوسعه، كتاب تاريخه الأوسط، كتاب تاريخه الأصغر، كتاب مشاهير أهل الأندلس، في خمسة أسفار، من جيد كتبه.

وقال ابن الفرضي: أصله رازي، قدم أبوه على الإمام محمد، وكان أبوه من أهل اللسن والخطابة، وولد أحمد هذا بالأندلس، يوم الاثنين عاشر ذي الحجة، سنة أربع وسبعين ومائتين، ومات لاثنتي عشرة ليلة خلت من رجب، سنة أربع وأربعين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد، بن فرج، الجياني الأندلسي

أبو عمرو وقد ينسب إلى جده، فيقال: أحمد بن فرج، وكذلك أخوه، وهو وافر الأدب، كثير الشعر، معدود في العلماء والشعراء، وله الكتاب المعروف بكتاب الحدائق، ألفه للحكم المستنصر، عارض فيه كتاب الزهرة لابن داود الأصبهاني، إلا أن ابن داود، ذكر مائة باب، في كل باب مائة بيت، وأبو عمرو ذكر مائتي باب، في كل باب مائة بيت، ليس منها باب يكرر اسمه لأبي بكر، ولم يورد فيه لغير الأندلسيين شيئاً، وأحسن الاختيار ما شاء.

وله أيضاً كتاب المنتزين والقائمين بالأندلس وأخبارهم، وكان الحكم قد سجنه لأمر نقمه عليه، قال الحميدي: وأظنه مات في سجنه، وله في السجن أشعار كثيرة مشهورة.

أحمد بن محمد، بن سعيد، بن عبيد الله

ابن أحمد، بن سعيد، بن أبي مريم، أبو بكر القرشي الوراق، وراق أبي الحسن، أحمد بن عمير، بن جوصي، الحافظ الدمشقي، ويعرف بابن فطيس.

قال ابن عساكر في تاريخ دمشق: ومات في شوال سنة خمسين وثلاثمائة، ومولده في رمضان، سنة إحدى وسبعين ومائتين، أو اثنتين وسبعين ومائتين، وهو صاحب الخط الحسن المشهور، مولى جويرية بنت أبي سفيان، روى الحديث عن جماعة من أهل الشام، قال ابن عساكر: وقد ذكره عبد العزيز الكناني وقال: كان ثقة مأموناً، يورق للناس بدمشق، له خط حسن.
قال المؤلف: وإنما ذكرناه، لما اشترطنا في أول الكتاب، من ذكر أرباب الخطوط المنسوبة، فذكرناه لما وصفه به ابن عساكر من جودة الخط، وأما أنا، فلم أر من خطه شيئاً.

أحمد بن محمد، بن الفضل

،

بن جعفر، بن محمد ابن الجراح، أبو بكر الخزاز، سمع أبا بكر ابن دريد، وأبا بكر بن السراج، وأبا بكر بن الأنباري، وروى كثيراً من مصنفاتهم، ومات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة، وكان ثقة حسن الأدب والخط، والإتقان، والضبط، فاضلاً أديباً، كثير الكتب، حسن الحال، ظاهر الثروة، روى عنه القاضي أبو العلاء الواسطي، والصيمري، والتنوخي، وأبو الحسين هلال بن المحسن، وأولاد الصابئ كلهم كثيراً من كتب الأدب، متصلة الرواية إلى الآن، وقد روى شيخنا تاج الدين أبو اليمن من طريقه عدة كتب أدبية.
قال أبو القاسم التنوخي: سمعت ابن الجراح يقول: كتبي بعشرة آلاف درهم، ووابي بعشرة آلافدرهم.
وسلاحي بعشرة آلاف درهم قال التنوخي: وكان أحد الفرسان، يلبس أداته، ويركب فرسه، ويخرج إلى الميدان، ويطارد الفرسان.

أحمد بن محمد، بن أحمد،الأصبهاني المقرئ "

بن الحسين، بن سعيد، " أبو علي الأصبهاني المقرئ " سكن دمشق، وصنف تصانيف في القراءات، وقرأ القرآن على أبي القاسم، زيد بن علي، بن أحمد، بن أبي بلال الكوفي، وأبي بكر النقاش، وأبي العباس بن الحسن ابن سعد الفاسي، وأبي عبد الله، صالح بن مسلم، بن عبيد الله، بن المقرئ، وأبي الفتح، المظفر بن أحمد، بن إبراهيم، بن برهان. وسمع بدمشق أبا محمد عبد الله بن عطية، وعبد الوهاب بن الحسن الكلابي، والحسين بن علي، وأبا القاسم بن الفرات، وأبا نصر بن الجبان. ومات سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة، بدمشق في شهر ربيع الآخر، وكان لجنازته مشهد عظيم.

أحمد بن محمد، بن هاشم

،

بن خلف، ابن عمرو بن سعيد ابن عثمان، بن سلمان، بن سليمان، القيسي القرطبي الأعرج، يكنى أبا عمر، سمع محمد بن عمر بن لبابة، وأسلم بن عبد العزيز، وأحمد بن خالد، ومال إلى النحو وغلب عليه، وأدب به، وكان وقوراً مهيباً، لا يقدم عليه، ولا عنده هزل، وكان يلقب بالقاضي لوقاره. مات سنة خمس وأربعين وثلاثمائة. قال ابن الفرضي: ذكره محمد ابن حسن.

أحمد بن محمد، بن جعفر، بن ثوابة

يكنى أبا عبد الله، أحد البلغاء الفهماء، وأرباب الاتساع في علم البلاغة، ولي ديوان الرسائل بعد أبيه محمد بن جعفر، في سنة اثني عشرة وثلاثمائة، في أيام المقتدر، ولم يزل على ديوان الرسائل، إلى أن مات وهو متوليه، في أيام معز الدولة، في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فولي ديوان الرسائل بعده، أبو إسحاق الصابئ، حدث أبو الحسين، علي بن هشام الكاتب قال: سمعت الوزير أبا الحسن، علي بن عيسى، يقول لأبي عبد الله، أحمد بن محمد، بن محمد، بن جعفر، بن ثوابة، ما قال: " أما بعد " فما أحد، على وجه الأرض أكتب من جدك، وكان أبوك أكتب منه، وأنت أكتب من أبيك، قال أبو علي المحسن التنوخي: وقد رأيت أنا أبا عبد الله هذا في سنة تسع وأربعمائة، وإليه ديوان الرسائل، وكان نهاية في حسن الكلام والكتبة.

أحمد بن محمد، بن الفضل، الأهوازي

يعرف بابن كنير، صاحب بلاغة وفضل، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب مناقب الكتاب.

أحمد بن محمد، الأفريقي المعروف بالمتيم

أبو الحسن، أحد الأدباء، الفضلاء، الشعراء، له من التصانيف: كتاب الشعراء الندماء، كتاب الانتصار المنبئ عن فضل المتنبئ، وغير ذلك، وله ديوان شعر كبير، قال الثعالبي: رأيته ببخارى شيخاً رث الهيئة، تلوح عليه سيماء الحرفة، وكان يتطبب ويتنجم، فأما صناعته التي يعتمد عليها، فالشعر. ومما أنشدني لنفسه:

وفتية أدباء ما علمتهم ... شبهتهم بنجوم الليل إذ نجموا

فروا إلى الراح من خطب يلم بهم ... فما درت نوب الأيام أين هم؟

قال: وأنشدني أيضاً لنفسه:

تلوم على تركي الصلاة حليلتي ... فقلت أعزبي عن ناظري أنت طالق
فوالله لا صليت لله مفلساً ... يصلي له الشيخ الجليل وفائق
لماذا أصلي أين مالي ومنزلي ... وأين خيولي والحلي والمناطق
أصلي ولا فتر من الأرض يحتوي ... عليه يميني إنني لمنافق؟
بلى إن على الله وسع لم أزل ... أصلي له ما لاح في الجو بارق
وله في تركي:
قلبي أسير في يدي مقلة ... تركية ضاق لها صدري
كأنها من ضيقها عروة ... ليس لها زر سوى السحر

أحمد بن محمد، بن إبراهيم، بن الخطاب

الخطابي أبو سليمان، من ولد زيد بن الخطاب، أخي عمر بن الخطاب، كذا ذكر أبو عبيد الهروي، وكان تلميذه، وأبو منصور الثعالبي، وكان صديقه. مات الخطابي فيما ذكره عبد الرحمن بن عبد الجبار، الفامي الهروي، في تاريخ هراة من تصنيفه " وسماه حمداً " في سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، ومولده في رجب، سنة تسع عشرة وثلاثمائة.
نقلت من خط أبي سعد السمعاني، قال: نقلت من خط الشيخ ابن عمر، توفي الإمام أبو سليمان الخطابي ببست في رباط على شاطئ هندمند، يوم السبت السادس عشر من شهر ربيع الآخر، سنة ست وثمانين وثلاثمائة. وذكر أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي في كتاب المنتظم: أنه توفي سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، وهذا ليس بشيء. قال السمعاني: كان الخطابي حجة صدوقاً، رحل إلى العراق، والحجاز، وجال في خراسان، وخرج إلى ما وراء النهر، وكان يتجر في ملكه الحلال، وينفق على الصلحاء من إخوانه، وقد ذكره الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر، وقال: كان يشبه في زماننا بأبي عبيد القاسم بن سلام. وذكره الحافظ أبو طاهر، أحمد بن محمد، بن أحمد السلفي، في شرح مقدمة كتاب معالم السنن له،فقال: وذكر الجم الغفير، والعدد الكثير، أن اسمه حمد، وهو الصواب، وعليه الاعتماد. قال المؤلف: وإنما ذكرته أنا في هذا الباب، لأن الثعالبي، وأبا عبيد الهروي، وكانا معاصريه وتلميذيه، سمياه أحمد، وقد سماه الحاكم بن البيع في كتاب نيسابور حمداً، وجعله في باب من اسمه حمد، وذكر أبو سعد السمعاني في كتاب مرو: سئل أبو سليمان عن اسمه فقال: اسمي الذي سميت به حمد، لكن الناس كتبوه أحمد، فتركته عليه. قال: ورثاه أبو بكر عبد الله بن إبراهيم الحنبلي ببست في شعر،فسماه حمداً فقال:
وقد كان حمداً كاسمه حمد الورى ... شمائل فيها للثناء ممادح
خلائق ما فيها معاب لعائب ... إذا ذكرت يوماً فهن مدائح
تغمده الله الكريم بعفوه ... ورحمته والله عاف وصافح
لازال ريحان الإله وروحه ... قرى روحه ما حن في الأيك صادح
قال: وأخذ العلم عن كثير من أهله، ورحل في طلب الحديث، وطوف وألف في فنون من العلم وصنف.

وأخذ الفقه عن أبي بكر القفال الشاشي، وأبي علي بن أبي هريرة، ونظرائهما من فقهاء أصحاب الشافعي. ومن تصانيفه: كتاب معالم السنن، في شرح كتاب السنن لأبي داود، كتاب غريب الحديث، ذكر فيه ما لم يذكره أبو عبيد، ولا بان قتيبة في كتابيهما، وهو كتاب ممتع مفيد، رواه عنه أبو الحسين عبد الغافر بن محمد، بن عبد الغافر، الفارسي ثم النيسابوري. كتاب تفسير أسامي الرب عز وجل، شرح الأدعية المأثورة، كتاب شرح البخاري. كتاب العزلة. كتاب إصلاح الغلط. كتاب العروس. كتاب أعلام الحديث. كتاب الغنية عن الكلام. كتاب شرح دعوات لأبي خزيمة. ومن شيوخ الخطابي في الأدب وغيره: إسماعيل الصغر، وأبو عمر الزاهد، وأبو العباس الأصم، وأحمد بن سليمان النجار، وأبو عمرو السماك، ومكرم القاضي، وجعفر الخلدي، كل هؤلاء بغداديون، سوى الأصم، فإنه نيسابوري، وبها كتب عنهم عالي الإسناد جداً، وروى عنه خلق: منهم عبد بن أحمد، ابن غفير الهروي، وأبو مسعود الحسن بن محمد الكرابيسي البستي، روى عنه ببست، وأبو بكر محمد ابن الحسن المقرئ، روى عنه بغزنة، وأبو الحسن علي ابن الحسن، الفقيه السجزي، روى عنه بسجستان، وأبو عبد الله محمد بن علي، بن عبد الله الفسوي، روى عنه بفارس، وآخرون.

وقد روى عنه الإمام الفقيه، أبو حامد الإسفراييني، فقيه العراق، والحاكم أبو عبد الله، محمد بن البيع النيسابوري، روى عنه بخراسان وقد حدث عنه أبو عبيد الهروي في كتاب الغريبين. وأنشد أبو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، لأبي سليمان الخطابي في اليتيمة أشعاراً منها:

وما غربة الإنسان في شقة النوى ... ولكنها والله في عدم الشكل

وإني غريب بين بست وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

ولأبي منصور الثعالبي في الخطاب شعر منه:

أبا سليمان سر في الأرض أو أقم ... فأنت عندي دنا مثواك أو شطنا

ما أنت غيري، فأخشى أن تفارقني ... فديت روحك بل روحي، فأنت أنا

نقلت من خط أبي سعد السمعاني: أنبأنا إسماعيل ابن أحمد الحافظ، أنبأنا أبو القاسم سعد بن علي، بن محمد الريحاني أدباً، أنبأنا أبو سعد الخليل، بن محمد الخطيب، قال: كنت مع أبي سليمان الخطابي، فرأى طائراً على شجرة، فوقف ساعة يستمع، ثم أنشأ يقول:

يا ليتني كنت ذاك الطائر الغردا ... من البرية منحازاً ومنفردا

في غصن بان دهته الريح تخفضه ... طوراً وترفعه أفنانه صعدا

خلو الهموم سوى حب تلمسه ... في الترب أو نفية يروى بها كبدا

ما إن يؤرقه فكر لرزق غد ... ولا عليه حساب في المعاد غدا

طوباك من طائر طوباك ويحك طب ... من كان مثلك في الدنيا فقد سعدا

وحدث أبو بكر محمد بن علي، بن الحسن، بن الراغوثي اللغوي، فيما ذكره السلفي قال: أنشدني أبو منصور الثعالبي بنيسابور للخطابي، يقوله في الثعالبي:

قلبي رهين بنيسابور عند أخ ... ما مثله حين تستقري البلاد أخ
له صحائف أخلاق مهذبة ... منها التقى، والنهى، والحلم ينتسخ
قال أبو طاهر السلفي: وقلت أنا فيه في سنة خمسين وخمسمائة، لشغفي بتآليفه، ورغبتي في تحصيل تصانيفه.
ظن هذا الخطاء في الخطابي ... شيخ أهل العلوم والآداب
من على كتبه اعتماد ذوي القض ... ل ومن قوله كفصل الخطاب
أن يحوز الفردوس إذ أتعب لانف ... س لذي العرش غاية الإتعاب
وتعنى في الأخذ جداً وفي النص ... نيف من بعد رغبة في الثواب
نضر الله وجهه من إمام ... ألمعي أتى بكل صواب
ولعمري قد فاز بالروح والري ... حان من غير شبهة وارتياب
هو قد كان شمس متبعي الشر ... ع على الزائفين سوط عذاب
وللسلفي فيه أشعار غير هذا، في نهاية الضعف والسقط كما ترى. ومن شعره في اليتيمة:
وليس اغترابي عن سجستان أنني ... عدمت بها الإخوان والدار والأهلا
ولكنني مالي بها من مشاكل ... وإن الغريب الفرد من يعدم الشكلا
وله:
شر السباع العوادي دونه وزر ... والناس شرهم ما دونه وزر
كم معشر سلموا لم يؤذهم سبع ... وما ترى بشراً لم يؤذه بشر
ومنه أيضاً:
ما دمت حياً فدار الناس كلهم ... فإنما أنت في دار المداراة
من يدر دارى، ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليل نديماً للندامات
ومنه أيضاً:
وقائل ورأى من حجبتي عجباً ... كم ذا التواري وأنت الدهر محجوب؟
فقلت: حلت نجوم الدهر منذ بدا ... نجم المشيب ودين الله مطلوب
فلذت من وجل بالاستتار عن ال ... أبصار إن غريم الموت مرهوب
ومنه أيضاً:
تغنم سكوت الحادثات فإنها ... وإن سكنت عما قليل تحرك
وبادر بأيام السلامة إنها ... رهان وهل للرهن عندك مترك
ومنه أيضاً:
تسامح، ولا تستوف حقك كله ... وأبق ولم يستقص قط كريم
ولا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم
وقال أبو القاسم الداوودي الهروي: قال الثعالبي له في مرثية الخطابي – رحمه الله – :

انظروا كيف تخمد الأنوار ... انظروا كيف تسقط الأقمار؟؟
انظروا هكذا تزول الرواسي ... هكذا في الثرى تغيض البحار

أحمد بن محمد،أبو عبيد الهروي

بن عبد الرحمن، أبو عبيد الهروي الباشاني المؤدب، صاحب كتاب غريبي القرآن والحديث، والسابق إلى الجمع بينهما في علمنا، قرأ على جماعة منهم: أبو سليمان الخطابي، وكان اعتماده وشيخه الذي يفتخر به، أبا منصور محمد بن أحمد الأزهري، صاحب كتاب التهذيب في اللغة. مات أبو عبيد هذا، فيما ذكره المليحي، سنة إحدى وأربعمائة في رجبها. روى عنه كتاب الغريبين، أبو عمرو عبد الواحد بن أحمد المليحي، وأبو بكر محمد بن إبراهيم، بن أحمد الأزدستاني، وله من الكتب: كتاب الغريبين. كتاب ولاة هراة.

أحمد بن محمد، بن عبد الله، بن يوسف

ابن محمد، بن مالك السهلي الأديب، أبو الفضل، العروضي الصفار الشافعي، ذكره عبد الغفار في السياق، فقال: مات بعد سنة ست عشرة وأربعمائة، ومولده سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وهو شيخ أهل الأدب في عصره، حدث عن الأصم، والمكاري. وأبي الفضل المزكي، وأبي منصور الأزهري، وأقرانهم. وتخرج به جماعة من الأئمة، منهم: علي بن أحمد الواحدي، وغيره، وذكره أبو منصور الثعالبي فقال: إمام في الأدب، خنق التسعين في خدمة الكتب، وأنفق عمره على مطالعة العلوم، وتدريس مؤدبي نيسابور، وإحراز الفضائل، والمحاسن، وهو القائل في صباه:

أوفى على الديوان بدر الدجى ... فسل نجوم السعد ما حظه؟
أخده أملح أم خطه ... ولحظه أفتن أم لفظه؟؟

قال: وأنشدني لنفسه:

لعزة الفضة العبرة ... أودعها الله قلب صخرهْ
حتى إذا النار أخرجتها ... بألف كد وألف كرهْ
أودعها الله كف وغد ... أقسى من الصخر ألف مرهْ

أحمد بن محمد،ابن شرام الغساني

بن أحمد، بن سلمة، ابن شرام الغساني أحد النحاة المشهورين بالشام، صحب أبا القاسم الزجاجي وأخذ عنه، وكتب تصانيفه، وكان جيد الخط والضبط، صحيح الكتابة، وجدت خطه في كتاب أمالي الزجاجي، وقد فرغ من كتابتها، في سنة ست وأربعين وثلاثمائة. ذكره أبو القاسم فقال: أحمد بن محمد، بن أحمد، بن سلمة، أبو بكر بن أبي العباس، الغساني المعروف بابن شرام النحوي، سمع أبا بكر الخرائطي، وأبا الدحداح أحمد بن محمد، بن إسماعيل التميمي، وأبا الحسن أحمد ابن جعفر، بن محمد الصيدلاني، وعبد الغافر بن سلامة

الحمصي، وأبا القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، وأبا بكر أحمد بن محمد، بن سعيد، بن عبيد الله، بن فطيس، والحسن بن حبيب الحظائري، وأبا الطيب أحمد ابن إبراهيم، بن عبادل الشيباني، وإبراهيم بن محمد، بن أبي ثابت، وأبا علي محمد بن القاسم، بن أبي نصر. روى عنه رشا بن نظيف، وأبو بكر أحمد بن الحسن، بن أحمد ابن الطبال، وأبو الحسن الربعي، وأبو نصر بن الجبان. قال ابن الأكفاني: رأيت في كتاب عتيق: توفي أبو بكر ابن شرام يوم الثلاثاء، لعشر خلون من شعبان، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

أحمد بن محمد،الخلال، الوراق

بن الحسن، " الخلال، الوراق، الأديب، " صاحب الخط المليح الرائق، والضبط المتقن الفائق، أظنه ابن أبي الغنائم الأديب، وقد ذكرنا في باب علي ابن محمد، " آخر " ، ونراه أخا هذا، والله أعلم. وجدت خطه على كتاب قد كتبه في سنة خمس وستين وثلاثمائة.

الجزء الخامس

أحمد بن محمد،الملقب مسكوية

بن يعقوب، الملقب مسكوية أبو علي الخازن، صاحب التجارب، مات فيما ذكره يحيى بن مندة، في تاسع صفر، سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، قال أبو حيان في كتاب الإمتاع: وقد ذكر طائفة من متكلمي زمانه، ثم قال: وأما مسكوية، ففقير بين أغنياء، وغني بين أنبياء، لأنه شاذ، وإنما أعطيته في هذه الأيام، صفو الشرح لإيساغوجي، وقاطيغورياس، من تصنيف صديقنا بالري. قال الوزير ومن هو قلت أبو القاسم الكاتب، غلام أبي الحسن العامري وصحبه معي، وهو الآن لائذ بابن الخمار، وربما شاهد أبا سليمان المنطقي، وليس له فراغ، لكنه محب في هذا الوقت، للحسرة التي لحقته مما فاته من قبل. فقال: يا عجباً لرجل صحب ابن العميد، وأبي الفضل، ورأى ما عنده، وهذا حظه، قلت: قد كان هذا ولكنه كان مشغولاً بطلب الكيمياء، مع أبي الطيب الكيميائي الرازي، منهوك الهمة في طلبه، والحرص على إصابته، مفتوناً بكتب أبي زكريا، وجابر ابن حيان، ومع هذا، كان إليه خدمة صاحبه في خزانة كتبه، هذا مع تقطيع الوقت في الحاجات الضرورية والشهوية، والعمر قصير، والساعات طائرة، والحركات دائمة، والفرص بروق تأتلق، والأواطر في عرضها تجتمع وتفترق، والنفوس عن فوائتها تذوب وتحترق، ولقد قطن العامري الري خمس سنين، ودرس وأملى، وصنف وروى، فما أخذ عنه مسكوية كلمة واحدة، ولا وعي مسألة، حتى كأنه كان بينه وبينه سد، ولقد تجرع على هذا التواني الصاب والعلقم، ومضغى لقمة حنظل الندامة في نفسه، وسمع بأذنه، قوارع الملامة من أصدقائه، حينما ينفع ذلك كله، وبعد هذا، فهو ذكي، حسن الشعر، نقي اللفظ، وإن بقي فعساه أن يتوسط هذا الحديث، وما أرى ذلك مع كلفه بالكيمياء، وإنفاق زمانه، وكد بدنه وقلبه في خدمة الساطان، واحتراقه في البخل بالدانق والقيراط، والكسرة والخرقة، نعوذ بالله من مدح الجود باللسان، وإيثار الشح بالفعل، وتمجيد الكرم بالقول، ومفارقته بالعمل. قال أبو منصور الثعالبي: كان في

ذروة العليا من الفضل والأدب، والبلاغة والشعر، وكان في ريعان شبابه متصلاً بابن العميد، مختص به، وفيه يقول:

لا يعجبنك حسن القصر تنزله ... فضيلة الشمس ليست في منازلها

لو زيدت الشمس في أبراجها مائة ... ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها

ثم تنقلت به أحوال جليلة، في خدمة بني بوية، والاختصاص ببهاء الدولة، وعظم شأنه، وارتفاع مقداره، فترفع عن خدمة الصاحب، ولم يرى نفسه دونه، ولم يخل من نوائب الدهر، حتى قال ما هو متنازع بينه وبين نفر من الفضلاء:

من عذيري من حادثات الزمان ... وجفاء الأخوان والخلان.

قال: وله قصيدة في عميد الملك، تفنن فيها، وهنأه باتفاق الأضحى، والمرجان في يوم، وشكا سوء أثر الهرم، وبلوغه إلى أرذل العمر:

قل للعميد: عميد الملك والأدب ... أسعد بعيديك:عيد الفرس والعرب

هذا يشير بشرب الغمام ضحى ... وذا يشير عشيا بابنة العنب

خلائق خيرت في كل صالحة ... فلو دعاها لغي الخير لم تجب

أعدن شرخ شباب لست أذكره ... بعداً ووردت على العمر من كثب

فطاب لي هرمي والموت يلحظني ... لحظ المريب ولولا أنت لم يطب

فإن تمرس لي خصم تعصب لي ... وإن أساء إلى الدهر أحسن بي ومنها:

وقد بلغت إلى أقصى مدى عمري ... وكل غربي وأستأنست بالنوب

إذا تملأت من غيظ على زمني ... وجدتني نافخاً في جذوة اللهب

ومنها:

وإن تمنيت عيش الدهر أجمعه ... وإن تعاين ماولى من الحقب

فانظر إلى سير القوم الذين مضوا ... و الحظ كتابهم من باطن الكتب

تجد تفاوتهم فى الفضل مختلفاً ... وإن تقاربت الأحوال فى النسب

هذا: كتاج على رأس يعظمه ... وذاك كالبعر الجافي على الذنب

قال المؤلف:وكان مسكوية مجوسياً وأسلم، وكان عارفاً بعلوم الأوائل معرفة جيدة، وكتاب الفوز الأصغر. وصنف كتب تجارب الأمم في التاريخ، إبتداؤه من بعد الطوفان، وانتهاؤه إلى سنة تسع وستين وثلاثمائة. وله: كتاب أنس الفريد، وهو مجموع يتضمن أخباراً وأشعاراً، وحكماً وأمثالاً،غير مبوب، وكتاب ترتيب العادات، وكتاب المستوفي أشعار مختارة، وكتاب الجامع، وكتاب تجاوزان فرد، وكتاب السير أجاده، ذكر فيه ما يسير به الرجل نفسه من أمور دنياه، مزجه بالأثر والآية، والحكمة، والشعر وللبديع الهمذاني إلى أبي سلمى مسكوية، يعتذر من شيء بلغه عنه، بعد مودة كانت بينهما:

ويا عز: إن واشٍ وشى بى عند كم ... فلا تمهليه أن تقولي له: مهلاً

كما لو وشى واشٍ بعزة عندنا ... لقلنا: تزحزح لاقريباً ولاسهلاً

بلغني أطال الله بقاء الشيخ، أن قيضه كلبٍ وافته بأحاديث لم يعرها الحق نوره، ولا الصدق ظهوره، وأن الشيخ أذن لها على حجاب أذنه وفسح لها فناء ظنه، وعاذ الله أن أقولها، وأستجيز معقولها، بلى قد كان بيني وبينه عتاب لاينزع كنفه، ولايجدف أنفه، وحديث لايتعدى إلى النفس وضميرها ولا تعرفه الشفة وسميرها، وعربدة كعربدة أهل الفضل، لاتتجاوز والإدلال، ووحشة يكشفها عتاب لحظة كغناء جحظة، فسبحان من ربى هذا الأمر، حتى صار أمراً، وتأبط شراً، وأوحش حراً، وأوجب عذراً، بل سبحان من جعلني في حير العذر أشيم بارقته وأستقبل صاعقته، وأنا المساء إليه، والمجني عليه، ورمى من الحسدة بما رميت، ووقف من الوجد والوحدة حيث وقفت، واجتمع عليه من المكاره ما وصفت، أعتذر مظلوماً، وأحسن ملوماً، وضحك مشتوماً، ولو علم الشيخ عدد أبناء الحدد، وأولاد العدد، بهذا البلد، ممن ليس له همة إلا في شكاية، أو حكاية، أو سعاية أو نكاية لضن بعشرة غريب إذا بدر، وبعيد إذا حضر، ولصان مجلسه عمن لايصونه عما رقى إليه، فهبني قلت ماحكى له، أليس الشاتم من أسمع أليس الجاني من أبلغ فقد بلغ من كيد هؤلاء القوم، أنهم حين صادفوا من الأستاذ نفساً لاتستفز، وحبلاً لايهز، دسوا إليه حديثه بما حرشوا به نارهم، ورد على مماقالوه، فما لبثت أن قلت:

فإن يك حرب بين قومي وقومها ... فإني لها في كل نائبة سلم

فليعلم الشيخ الفاضل، أن في كبد الأعداء منى جمرة، وأن في أولاد الزنا عندنا كثرة، قصاراهم نار يشبونها، أو عقرب يدبيونها، أو مكيدة يطلبونها، ولولا أن العذر إفرار بما قيل، وأكره أن أستقيل، بسطت في الاعتذار شاذرواناً، ودخلت في الاستقالة ميداناً، لكنه أمر لم أضع أوله، فلا أتدارك آخره، وقد أبى الشيخ أبو محمد، إلا أن يوصل هذا النثر الفاتر بنظم مثله، فهاكه يلعن بعضه بعضاً:

مولاي إن عدت ولم ترض لي ... أن أشرب البارد لم أشرب

إمتط خدي وانتعل ناظري ... وصيد بكفي حمة العقرب

بالله ما أنطق عن كاذب ... فيك ولاأبرق عن خلب

فالصفو بعد الكدرالمفترى ... كالصحو بعد المطر الصيب

إن أجتن الغلظة من سيدي ... فالشوك عند الثمر الطيب

أو نفق الزور على ناقد ... فالخمر قد تعضب بالثيب

ولعل الشيخ أبا محمد يقوم من الاعتذار، بما قعد عنه القلم والبيان، فنعم رائد الفضل هو، والسلام. وجاء الجواب من أبي علي:

وإذا الواشي أتى يسعى لها ... نفع الواشي بما جاء يضر

فهمت خطاب الشيخ الفاضل، الأديب البارع، الذي لو قلت: إنه السحر الحلال، والعذب الزلال، لنقصته حظه، ولم أوفه حقه، أما البلاغات التي أومأ إليها، فو الله ما أذنت لها، ولا أذنت فيها، وما أذهبني عن هذه الطريقة، وأبعدني عنها، وقد نزه الله لسانه عن الفحشاء، وسمعي عن الإصغاء، وما يتخذ العدو بينهما مجالاً وأما الأبيات فقد تكلفت الجواب عنها، لامساجلة له، ولكن لأبلغ المجهود في قضاء حقه:

يا بارعاً في الأدب المجتنى ... منه ضروب الثمر الطيب
لوقلت: إن البحر مستغرق ... في بحرك الفياض لم أكذب
إذا تبوأت محلاً فما ... نزلت إلا منزل الكوكب
أحمدتني الشعر وأعتبتني ... فيه ولم أذمم ولم أعتب

والعذر يمحو ذنب فعاله ... فكيف يمحوه ولم يذيب
أنا الذي آتيك مستغفراً ... من زلة لم تك من مذهبي
وأنت لاتمنع مستوهباً ... مالاً فهب ذنباً لمستوهب

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين: فإن ابن العميد اتخذه خازناً لكتبه،وأراد أيضاً أن يقدح ابنه به، ولم يكن من الصنائع المقصودة، والمهمات اللازمة وكان يحتمل ذلك لبعض العزازة بظله، والتظاهر بجاهه.

نسخة وصية أبو على المسكاوية

" بسم الله الرحن الرحيم " : هذا ماعاهد عليه أحمد ابن محمد، وهو يومئذ آمن في سربه، معافى في جسمه عند قوت يومه،لا تدعه إلى هذه المعاهدة، ضرورة نفس ولا بدن، ولا يريد بها مراءاة مخلوق، ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرة منهم، عاهد على أن يجاهد نفسه، ويتفقد أمره، فيعف، ويشجع، ويحكم. وعلامة عفته: أن يقتصد في مآرب بدنه، حتى لا يحمله الشره على ما يضر جسمه، أو يهتك مروءته. وعلامة شجاعته: أن يحارب دواعي نفسه الذميمة، حتى لا تقهره شهوة قبيحة، ولا غضب في غير موضعه. وعلامة حكمته: أن يستبصر في اعتقاداته حتى لايفوته بقدر طاقته شيء من العلوم والمعارف الصالحة، ليصلح أولاد نفسه ويهذبها، ويحصل له من هذه المجاهدة ثمراتها، التي هي العدالة، وعلى أن يتمسك لهذه التذكرة، ويجتهد في القيام بها، والعمل بموجبها، وهى خمسة عشرة باباً: إيثار الحق على الباطل في الاعتقادات، والصدق على الكذب في الأقوال، والخير على الشر في الأفعال، وكثرة الجهاد الدائم، لأجل الحرب الدائم، بين المرء ونفسه، والتمسك بالشريعة، ولزوم طائفها، وحفظ المواعيد حتى ينجزها. وأول ذلك، ما بين وبين الله جل وعز. وقلة الثقة بالناس بترك الاسترسال. ومحبة الجميل لأنه جميل لا لغير ذلك. والصمت في أوقات حركات النفس للكلام، حتى يستشار فيه العقل. وحفظ الحال التي تحصل في شيء حتى تصير ملكة، ولا تفسد بالاسترسال. والاقدام على كل ما كان صواباً. والإشفاق على الزمان الذى هو العمر ليستعمل في المهم دون غيره. وترك الخوف من الموت والفقر لعمل ما ينبغي. وترك التواني. وترك الاكتراث لأقوال أهل الشر والحسد، لئلا يشتغل بمقاتلتهم. وترك الانفعال لهم. وحسن احتمال الغنى والفقر، والكرامة والهوان بجهة وجهة. وذكر المرض وقت الصحة، والهم وقت السرور، والرضا عند الغضب، ليقل الطغى والبغى. وقوة الأمل، وحسن الرجاء. والثقة بالله عز وجل، وصرف جميع البال إليه.

أحمد ابن محمد، الصخرى أبو الفضل

قتل في أواخر سنة ست وأربعمائة، هكذا ذكر أبو محمد، محمود ابن أرسلان، في تاريخ خوارزم، وقال:هو أحد مفاخر خوارزم، أديب كامل، وعالم ماهر، وكاتب بارع، وشاعر ساحر. قال أبو منصور الثعالبي في كتابه: له ظرف حجازى، وخط عراقي، وبلاغة جزلة سهلة، ومروءة ظاهرة، ومحاسن متظاهرة، وله شعر كثير، يجمع فيه بين الإسراع والإبداع، ويأخذ بطرفي الإتقان والإحسان، ثم هو في الارتجال، فرد الرجال بسرعة خاطره، وسلامة طبعه، وحصول أعنة القوافى فى يده، وكان في عنفوان شبابه، ألم بحضرة الصاحب إسماعيل بن عباد، فاقتبس من نورها، واغترف من بحرها، وانخرط في سلك أعيان أهل الفضل بها، وتزود من ثمارها، فحسن أثره وطاب خبره ورجع إلى أوطانه، وأقام بحضرة سلطانه، في أجلة الكتاب، ووجوه العمال، وهو الآن من أخص جلساء الأمير، وأقرب ندمائه،وأفضل كتابه، وأجل شعرائه، ولا يكاد يخلو منه مجالس أنسه، ولايتقشع عنه سحائب جوده، وما أكثر ما يقترح عليه الأشعار في المعاني البديعة، ويكمل لها ويفي، ويعلنها فى الوقت والساعة بين يديه، ويعرضها عليه.وعهدى بذلك المجلس العالي، ليلة من الليالى، وقد جرى فيه ذكر أبى الفضل الهمذاني بديع الزمان، وإعجاز لطائفه وخصائصه فى الارتجالات، وسرعة إتيانه وإثباته بالاقتراحات، وأنه كان يكتب الكتاب المقترح عليه، ويبتدئ بآخر سطرٍ،ثم هلم جرا إلى السطر الأول،حتى يخرجه مستوفي الألفاظ والمعاني، كأملح شئ وأحسنه، فانتدب الصخري لهذه النادرة، وضمن الأستقلال بهذه الغريبة الصعبة، فرسم له على لسان الشيخ أبي الحسين السهيلي، أن يكتب في معنى مؤلف الكتاب، كتاباً إلى الدهخداً أبي سعيد، محمد بن منصور الحوالى، يذكر فيه: أن أخبار فلان فى محاسن أدبه، وبديع تأليفاته، لم تزل تأتينا، ثم تشوقنا إلى مشاهدة الفضل، فأخذ القلم و القرطاس، وكان كتب أولاً السطر الذى يقع في آخره – إن شاء الله تعالى – ثم لم يزل يمضى قدماً في الكتاب، ويرتفع عن عجزه إلى صدره، ومن سفله إلى علوه، ويصل أواخره بأوائله، حتى أتم المعنى المقترح عليه، مع جودة الألفاظ وسهولتها، وحسن مطالعها. وفرغ من الكتاب فى زمن قصير المدة، وقد أخذ منه الشراب، وأثرات فيه الكاسات، فوقع ذلك أحسن موقع، وعد من محاسنه. وله كتاب رسائل مدونة، كتاب ديوان شعر مجلد. فمن منثور كلامه:الشيخ: أصدق لهجة، وأبين في الكرم محجة،من أن يخلف برق ضمانه، ولا يمطر سحاب إحسانه، فليت شعرى: ما الذى فعله فى أمر وليه،القاصر عليه أمله؟،وهل بلغ الكتاب أجله؟، وقد استهل الشهر الثامن استهلالاً ولاندى كالأفق، ولنرى لأفق مواعده هلالاً.آخر:طبع كرمه: أغلب من أن يحتاج إلى هز، وحسام فضله، أقطع من أن يهز لحز. آخر:أما إني لاأرضى من كرمه العد، أن تجر أولياؤه على شوك الرد، فبحق مجده المحض، الذى فاق به أهل الأرض، أن يرفع عن حاجتي قناع الخجل، و ولايعتبر أملي فيها قبل حلول الأجل وهذا قسم أرجو أن يصونه عن الحنث، وعهد أظن أنه لا يعرضه للنكث.آخر:لا أدرى: أهنئ الشيخ بعوده إلى مركزه، ومستقر عزه، سالماً في نفسه، التي سلامتها سلامة المعالي والمكارم، وهى أجسم المتاع وأنفس الغنائم؟، أم أهنئ الحضرة به، فقد عاد إليها ماؤها، ورجع برجوعه حسنها وبهاؤها، أم أهنى الملك – ثبت الله أركانه – ؟ كما نضر بمكانه منه زمانه، فقد آب إليه رونقه، وزال عن أمره رنقه، أم أهنئ الفضل، فقد كان ذوى عوده، ثم احضر وأورق، وهوى نجمه، ثم أنار وأشرق، أم أهنئ جماعة الأولياء والخدم، وكافة كتاب الإنشاء فقد عاشوا، وانتعشوا وارتاشوا، وارتفعت نواظرهم بعد الانخفاض،

وانشرحت صدورهم غب الانقباض. وأنا أعد نفسي من جملتهم، ولا أنحرف مع طول العهد عن قبلتهم.
وله: كتابي وقد عرتني علة منعتني من استغراق المعاني واستيعابها، وإشباع الكلم فى وجوهها وأبوابها، فاختصرت وقصرت، وعلى النبذ اليسيرة اقتصرت، وما أعرف هذه العلة، إلا من عوادي فراقه، ودواعي اشتياقه، وإن كانت النعمة بمكانه خارجة عن القياس، غير خافية من جميع الناس، إلا أنها ازدادات الآن ظهوراً، وإن لم يكن قدرها مستوراً، وقدر النعمة لايعرف إلا بعد الزوال، ولا يتحقق إلا مع الانتقال، – أهلنا الله لعودها – ، لنحسن جوارها، بشكرها وحمدها، وأصحبه السلامة حالاً ومرتحلاً، ومقيماً ومتنقلاً، إنه خير صاحب، يصحب كل غائب.

وله: وصل كتاب الشيخ فيما حلانى به، من صفاته التى هو بها حال، وأنا منها خال وقد كان أعارني منها عارية، وجدت نفسي منها عارية، ولكنه نظر إلى بعين رضاه، وشهد لي بقلب هواه. فلا ينظرن بعين الرضى، فنظرتها ربما تجنح، ولا يشهدن بقلب الهوى، فإنها شهادة تجرح وله: كل من ورد جناب الشيخ من أمثالي، إنما ورد بأمل منفسخ، ثم صدر بصدر منشرح، إذ ما امتدت إليه يد فارتدت عاطلاً ولا توجه تلقاءه رجاء فعاد باطلاً. وأنا أجله أن يفسخ من بينهم ذريعة رجائي، وينسخ شريعة ولائي، بل أظن إن لم يفضلني عليهم في المراتب، لم ينقصني عنهم فى الواجب، ثم ليس طمعي في ماله، فكفاني ما شملني من أفضاله، بل كفاه ما تكلفه فى هذا الوقت من كلفة المروة، التى تنوء بالعصبة أولى القوة، ولكن طمعي في جاهه، ومن ضن به ملوم. إذ البخل به لؤم. ومن أشعاره يمدح أبا العباس خوارزمشاه:وله: وصل كتاب الشيخ فيما حلانى به، من صفاته التى هو بها حال، وأنا منها خال وقد كان أعارني منها عارية، وجدت نفسي منها عارية، ولكنه نظر إلى بعين رضاه، وشهد لي بقلب هواه. فلا ينظرن بعين الرضى، فنظرتها ربما تجنح، ولا يشهدن بقلب الهوى، فإنها شهادة تجرح وله: كل من ورد جناب الشيخ من أمثالي، إنما ورد بأمل منفسخ، ثم صدر بصدر منشرح، إذ ما امتدت إليه يد فارتدت عاطلاً ولا توجه تلقاءه رجاء فعاد باطلاً. وأنا أجله أن يفسخ من بينهم ذريعة رجائي، وينسخ شريعة ولائي، بل أظن إن لم يفضلني عليهم في المراتب، لم ينقصني عنهم فى الواجب، ثم ليس طمعي في ماله، فكفاني ما شملني من أفضاله، بل كفاه ما تكلفه فى هذا الوقت من كلفة المروة، التى تنوء بالعصبة أولى القوة، ولكن طمعي في جاهه، ومن ضن به ملوم. إذ البخل به لؤم.
ومن أشعاره يمدح أبا العباس خوارزمشاه:

أشبه البدر في السنا والسناء ... وحوى رقة الهوى و الهواء
وأتى الشيب بعدها منفذاً لي ... عن يد الدهر بالبلى و البلاء
وإذا شاء بالندى الملك العا ... دل في المجد والعلى و العلاء
أبدل الشين منه سيناً وأوطا ... ني الثريا من الثرى و الثراء

ومن شعره أيضاً في الهجاء:

أياذا الفضائل و اللام حاء ... وياذا المكارم و الميم هاء
ويا أنجب الناس و الباء سين ... وياذا الصيانة و الصاد خاء

ويا أكتب الناس و التاء ذال ... ويا أعلم الناس و العين ظاء
تجود على الكل و الدال راء ... فأنت السخي ويتلوه فاء
ولقد صرت عيباً لداء البغاء ... ومن قبل كان يعاب البغاء
وله يستهدي ماء الورد:
يا من حكى الورد الطرئ بعرفه ... وبظرفه وبلطفه وبهائه
إن شئت و الإفضال منك سجية ... أهديت لي قارورة من مائه
وله قصيدة في أبي الفتح البستي:
نسب كريم فاضل أنسى به ... من كان معتمداً على أنسابه
قد كنت في نوب الزمان وصرفه ... إذ عضني صرف الزمان بنابه
فاليوم جابنت الحوادث جانبي ... إذا قد نسبت إلى كريم جنابه.
نفسمصدقة جميع عداتها ... يكن مكذبة ظنون عداتها
همماته حكمت على هاماتها ... إذا أصبحت للوحش من أقواتها
ومن قصيدة فى أبي الحسين السهيلي:
نفس مصدقة جميع عداتها ... إذ أصبحت للوحش من أقواتها
يا أحمد بن محمد يا خير من ... ولى الوزارة عند خير ولاتها
مادامت الأيام في الغفلات عن ... عرصات مجدك فاغتنم غفلاتها
وله من قصيدة:
لئن بخلت بإسعادى سعاد ... فإني بالفؤاد لها جواد
وإن نفذ اصطبارى في هواها ... فدمع العين ليس له نفاد
أرى ثلجاً بوجنتها وناراً ... لتلك النار في قلبي اتقاد
فهب من نارها كان احتراقي ... فلم بالثلج ما برد الفؤاد؟
لأجتهدن في طلب المعالي ... بسعي ما عليه مستزاد
فإن أدركت آمالى وإلا ... فليس على إلا الجتهاد
وله فى بعض الصدور:

جمعت إلى العلي شرف الأبوه ... وحزت إلى الندى فضل المروه
أتيتك خادماً فرفعت قدري ... إلى الصداقة والأخوه
فما شبهتني إلى بموسى ... رأى ناراً فشرف بالنبوة.
وله من قصيدة:
أسمعت يامولاى ده ... ري بعد بعدك ماصنع؟
أخني علي بصرفه ... فرأيت هول المطلع

أحمد بن محمدالخوارزمي

أبو الحسين السهلي الخوارزمي. قال محمود بن محمد الإسلامي في تاريخ خوارزم إنه مات بسر من رأى، في سنة ثمان عشرة واربعمائة، على ما يذكره. قال: وهو من أجلة خوارزم، وبيته بيت رياسة ووزارة، وكرم ومروءة، قال الثعالبي: وهو وزير ابن وزير:

ورث الوزارة كابراً عن كابر ... موصولة الاسناد بالاسناد

قال: وكان يجمع بين آلات الرياسة، وأدوات الوزارة،ويضرب فى العلوم والآداب بالسهام الفائزة، ويأخذ من الكرم وحسن الشيم بالحظوظ الوافرة: وله كتاب الروضة السهيلية في الأوصاف والتشبيهات، وبأمره والتماسه، صنف الحسن بن الحارث الحسوفي في المذهب كتاب الهيلى، يذكر فيه المذهبين: مذهب الشافعي، والحنفي وله شعر، فمن ذلك ولم يسبق الى معناه:

ألا سقنا الصهباء صرفاً فإنها ... أعز علينا من عتاق الترحل

وإني لأقلى النقل حباً لطعمها ... لئلا يزول الطعم عند التنقل

وله في النجوم:

فالشهب تلمع فى الظلام كأنها ... شرر تطاير من دخان النار

فكأنها فوق السماء بنادق ... الكافور فوق صلاية العطار

وله فى النجوم أشعار، منها فى شعاع القمر على الماء:

كأنما البدر فوق الماء مطلعاً ... يقدر فمد له جسر من الذهب

كأنما البدر فوق الماء مطلعاً ... ونحن بالشط في لهو وفي طرب

مللت وأنا فأهوى للعبور فلم ... يقدر فمد له جسر من الذهب

خرج السهيل من خوارزم، فى سنة اربع واربعمائة الى بغداد، وتوطنها، وترك وزارة خوارزم شاه، أبي العباس مأمون خوفاً من شره، ولما قدم بغداد، أكرمه فخر الملك أبو غالب، محمد بن خلفٍ، وهو والي العراق يومئذ، وتلقاه بالجميل، فلما مات فخر الملك، خرج من بغداد هارباً ايضاً، حتى لحق بغريب بن مقنٍ، خوفاً على ماله، وكان غريب صاحب البلاد العليا، تكريت،ودجيل، وما لاصقها، فأقام عنده الى ان مات، وخلف عشرين الف دينار، سلمها غريب إلى ورثته.

أحمد بن محمد، بن الحسن المرزوقي

أبو علي، من أهل أصبهان، كان غاية في الذكاء والفطنة، وحسن التصنيف، وإقامة الحجج، وحسن الاختيار وتصانيفه لا مزيد عليها فى الجودة مات فيما ذكره أبو زكريا، يحيى بن مندة في ذي الحجة، سنة إحدى وعشرين واربعمائة، قال: وكتب عنه سعيد البقال، وأخرجه في معجمه وجدت خطة على كتاب شرح الحماسة من تصنيفه، وقد قرئ عليه فى شعبان، سنة سبع عشرة واربعمائة، وكان قد قرأ كتاب سيبويه، على أبي على الفارسى، وتتلمذ له، بعد أن كان رأساً بنفسه وله من الكتب: كتاب شرح الحماسة،

أجاد فيه جدا، كتاب شرح المفضليات، كتاب شرح الفصيح، كتاب شرح أشعار هذيل، كتاب الأزمنة، كتاب شرح الموجز، كتاب شرح النحو قال الصاحب بن عباد: فاز بالعلم من أصبهان ثلاثة: حائك، وحلاج، وإسكاف، فالحائك هو المرزوقى والحلاج أبو منصور بن ماشدة، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب بالري، صاحب التصانيف في اللغة ووجدت في المجموع بخط بعض فضلاء العجم، نقلت من خط الأبيوردى: أبو على المرزوقي، صاحب شرح الحماسة، والهذليين: قرأ على أبى على، وهو يتفاصح في تصانيفه كابن جني، وكان معلم اولاد بنى بويه بأصبهان، ودخل إليه الصاحب فما قام له فلما أفضت الوزارة إلى الصاحب جفاه أحمد بن محمد، بن ابراهيم، أبو إسحاق الثعلبي المفسر، صاحب الكتاب المشهور بأيدى الناس المعروف بتفسير الثعلبي مات فيما ذكره عبد الغنى بن سعيد، الحافظ المصرى، ونقلته من حاشية كتاب الإكمال لابن ماكولة، فى محرم سنة سبع وعشرين واربعمائة فقال: أبو اسحاق الثعلبي المفسر، جليل خراسانى، وذكره عبد الغافر في السياق فقال: أحمد بن محمد، بن ابراهيم، أبو اسحاق الثعلبى، المقرئ المفسر، الواعظ الأديب، الثقة الحافظ، صاحب التصانيف الجليلة، من التفسير الحاوى أنواع الفرائد، من المعانى والإشارات، وكلمات أرباب الحقائق، ووجوه الإعراب والقراءات، ثم كتاب العرائس والقصص، وغير ذلك، مما لا يحتاج الى ذكره لشهرته، وهو صحيح النقل، موثوق به حدث عن أبي طاهر بن خزيمة، وأبي بكر بن مهران المقرئ، وابي بكر بن هانئ وابي بكر بن الطرازى، والمخلدى، والخفاف، وأبى محمد بن الرومي، وطبقتهم وهو كثير الحديث، كثير الشيوخ، وذكر وفاته كما تقدم قال: وسمع منه الواحدي التفسير، وأخذه عنه، وأثنى عليه وحدث عنه بإسناد رفعه إلى عاصم، قال: الرياسة بالحديث رياسة نذلة، إن أصح الشيخ وحفظ، وصدق فأحمى، قالوا هذا شيخ كيس، وإذا وهم قالوا شيخ كذاب وله كتاب ربيع المذكرين

أحمد بن محمد،بن دلويه

بن أحمد، بن محمود، بن دلويه أبو حامد الاستوائي، مات فيما ذكره الخطيب، فى سنة أربع وثلاثين واربعمائة، وقال: يعرف بالدلوي، واستوى التي نسب إليها: قرية من قرى نيسابور، قدم بغداد، فسمع من الدار قطني، واستوطنها إلى حين وفاته، وولى القضاء بعكبرا، من قبل القاضى أبي بكر بن الطيب الباقلاني، وكان ينتحل في الفقه مذهب الشافعي، وفي الأصول مذهب الأشعري، وله حظ في معرفة الأدب، والعربية، وحدث بشئ يسير قال الخطيب: وكتب عنه، وكان صدوقاً، ولما مات دفن بالشونيزية قال المؤلف: كان الدلوى أديباً، فاضلاً، وكثيراً ما توجد كتب الأدب بخطه، وكان صحيح النقل، جيد الضبط، معتبر الخط فى الغالب.

أحمد بن محمد،المهدوي

بن عمار، بن مهدى، بن ابراهيم المهدوي،ابو القاسم المقرئ، ذكره الحميدي فقال:أصله من المهدية، من بلاد القيروان، ودخل الأندلس فى حدود الثلاثين واربعمائة، او نحوها، وكان عالماً بالقراءات والأدب متقدماً، ذكره لى بعض أهل العلم بالقراءات، وأثنى عليه، وأنشدني له في ظاءات القرآن:

ظنت عظيمة ظلمنا من حظها ... فظلت اوقظها لتكظم غيظها

وظغنت أنظر فى الظلام وظله ... ظمآن أنتظر الظهور لوعظها

ظهرى وظفرى ثم عظمى فى لظى ... لأظاهرن لحظها ولحفظها

لفظي شواظ أو كشمس ظهيرة ... ظفر لدى غلظ القلوب وفظها

أحمد بن محمد، بن برد الأندلسى

ذكره الحميدى وقال: هو مولى أحمد بن عبد الملك، ابن عمر، بن محمد، بن شهيد، أبو حفص الكاتب، مليح الشعر، بليغ الكتابة، من أهل بيت أدب ورياسة، له رسالة فى السيف والقلم، والمفاخرة بينهما، وهو أول من سبق إلى القول في ذلك بالأندلس، وقد رأيته بالمرية، بعد الاربعين واربعمائة غير مرة، وله كتب في علم القرآن، منها كتاب التحصيل فى تفسير القرآن، كتاب التفصيل فى تفسيره ايضاً، وله غير ذلك وكان جده أحمد بن برد وزيرا فى الأيام العامرية، وكاتباً بليغاً ايضا مات سنة ثمان عشرة واربعمائة أعنى الوزير

ومن شعر أحمد بن محمد هذا:

تأمل فقد شهق البهار مغلساً ... كماميه عن نواره الخضل الندى

مداهن تبر فى أنامل فضة ... على أذرع مخروطة من زبرجد

ومن شعره ايضاً:

لما بدا في لازور ... دى الحرير وقد بهر

كبرت من فرط الجمال ... وقلت ما هذا بشر

فأجابني لا تنكرن ... ثوب السماء على القمر

ومن شعره أيضاً:

قلبى وقلبك لامحالة واحد ... شهدت بذلك بيننا ألحاظ

فتعال فلنعظ الحسود بوصلنا ... إن الحسود بمثل ذاك يغاظ

أحمد بن محمد، بن هارون النزلي

أبو الفتح النحوي أخذ عن أبي الحسن، علي بن عيسى الربعي، وهو من أقران أبى يعلى بن السراج

أحمد بن محمد العمودي

الهمذاني أبو عبد الله اللغوي ذكره شيرويه بن شهر دار، فقال: روي عن عبد الرحمن بن حمدان الجلاب، وابى الحسين محمد الحريرى، صاحب ابى شعيب الحرانى، وغيرهما روى عنه أبو عبد الله الإمام وغيره

أحمد بن محمد، الأصبهاني

بن أحمد بن شهر دار المعلم الأصبهاني كان أديباً فاضلاً، بارعاً في الأدب، فصيحاً، كثير السماع، حسن الخط صاحب اصول، مات في شوال سنة ست واربعين واربعمائة قال يحيى بن مندة: سمعت من الثقات، منهم أبو غالب بن هارون تلميذه، أنه كان رجلاً فاضلاً، إلا أنه كان لا يصلى الصلوات كما قيل.

أحمد بن محمد، ابن ابراهيم الميداني

أبو الفضل النيسابورى، والميدان محلة من محال نيسابور، كان يسكنها، فنسب اليها، ذكر ذلك عبد الغافر، وهو أديب فاضل، عالم نحوى لغوى مات فيما ذكره عبد الغافر بن اسماعيل الفارسى فى السياق، فى رمضان، سنة ثمان عشرة وخمسمائة، ليلة القدر، ودفن بمقبرة الميدان، قرأ على ابى الحسن، على بن أحمد الواحدى، وعلى يعقوب بن أحمد النيسابورى، وله من التصانيف: كتاب جامع الأمثال، جيد بالغ، كتاب السامي في الأسامي، كتاب النموذج في النحو، كتاب الهادى للشادى، كتاب النحو الميداني، كتاب نزهة الطرف في علم الصرف، كتاب شرح المفضليات، كتاب منية الراضى فى رسائل القاضي، وفي كتاب السامي في الأسامي يقول أسعد بن محمد المرساني

هذا الكتاب الذى سماه بالسامى ... درج من الدر بل كنز من السام

ماصنفت مثله فى فنه أبداً ... خواطر الناس من حام ومن سام

فيه قلائد ياقوت مفصلة ... لكل أوع ماضى العزم بسام

فكعب أحمد مولاي الإمام سما ... فوق السماكين من تصنيفه السامي

وسميت في المفاوضة ممن لا أحصى: أن الميداني لما صنف كتاب الجامع في الأمثال، وقف عليه أبو القاسم الزمخشري، فحسده على جودة تصنيفه، وأخذ القلم وزاد في لفظة الميداني نوناً، فصار النميداني، ومعناه بالفارسية: الذي لا يعرف شيئاً فلما وقف الميداني على ذلك، أخذ بعض تصانيف الزمخشرى، فصير ميم نسبته نوناً فصار الزنخشرى، معناه مشترى زوجته وذكر محمد بن أبي المعالي، بن الحسن الخواري في كتابه ضالة الأديب، من الصحاح والتهذيب، وقد ذكر الميداني فقال: وسمعت غير مرة من كتاب أصحابه يقولون: لو كان للذكاء، والشهامة، والفضل، صورة، لكان الميداني تلك الصورة، ومن تأمل كلامه، واقتفى اثره، علم صدق دعواه. وكان ممن قرأ عليه وتخرج به، الامام أبو جعفر أحمد ابن علي المقرئ البيهق، وابنه سعيد، وكان اماماً بعده. قال عبد الغافر ابن اسماعيل: ومن اشعاره:

تنفس صبح الشيب في ليل عارض ... فقلت عساه يكتفي بعذارى

فلما فشا عاتبته فأجابني ... ألا هل يرى صبح بغير نهار

وذكره أبو الحسن البيهقي في ككتاب وشاح الدمية فقال: الامام استاذنا صدر الأفاضل، أبو الفضل، أحمد ابن محمد ابن أحمد الميداني، صدر الادباء، وقدوة الفضلاء، قد صاحب الفضل في ايام نفذ زاده. وفني عتاده، وذهبت عدته، وبطلت اهبته، فقوم سناد العلوم، بعد ما غيرتها الايام بصروفها، ووضع انامل الافاضل، على خطوطها وحروفها، ولم يخلق الله تعالى فاضلا في عهده، إلا وهو في مائدة ادابه ضيف، وله بين بابه وداره شتاء وصيف، وما على من عام لجج البحر الخضم، واستنزف الدرر ظلم وحيف، وكان هذا الامام يأكل من كسب يده، وما انشدني رحمة الله لنفسه:

حننت اليهم والديار قريبة ... فكيف اذا سار المطي مراحلا

وقد كنت قبل البين لا كان بينهم ... اعاين للهجران فيهم دلائلا

وتحت سجوف الرقم اغيد ناعم ... ينيس كخوط الخيزرانة مائلاً

وينض علينا السيف من جفن مقلة ... تريق دم الابفال في الحب باطلاً

وتسكرنا لحظ ولفظ كأنما ... بفيه وعينيه سلافة بابلاً

وله أيضاً:

شفة لماها زاد في الامي ... في رشف ريقها شفاء سقام

قد ضمنا جنح الدجى وللثمنا ... صوت كهطك الرؤوس الأقلام

ثم ذكر البيتين اللذين أولهما:

تنفس صبح الشيب في ليل عارض ... وقد مر ذكرهما انفاً، ثم قال: وله:

ياكاذبا اصبح في كذبه ... اعجوبة اية اعجوبة

وناطق ينطق في لفظة ... واحدة سبعين اكذوبة

شبهك الناس بعرقوبهم ... لما رأوا اخلف اسلوب

فقلت: كلا، انه كاذب ... عرقوب لا يبلغ عرقوبه

ثم ذكر وفاته كما تقدم في رواية عبد الغافري، ثم ذكر ولده سعيد، وقد ذكرناه في بابه

أحمد بن محمد الصلحي، أبو الخطاب

كان أديباً، فاضلاً، كاتباً، حسن الخط، وله شعر رفيق سائر، ذكره أبو سعد في المذيل، وأورد له هذين البيتين وهما:

يا راقد العين عيني فيك ساهرة ... وفارغ القلب: قلبي فيك ملآت ما الآن

اني ارى منك عذب الثغر عذبني ... واسهر الجفن، جفن منك وسنان

أحمد بن محمد، الأخسكيثي

بن القاسم، بن أحمد، بن خديو الأخسكيثي أبو رشاد، الملقب بذى الفضائل. مات ليلة الاحد الثامن من جماد الاولى، سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وأخيكث مدينة من فرغانة، يقال بالثاء والتاء، وكان هو واخوه ذو المناقب محمد، اديبى مرو، غير مدافعين، يقر لهما بذلك كلهم، قدما مرو وسكناه الى ان ماتا. وكان ذو الفضل هذا شاعرا اديبا، مصنفا كاتبا، مترسلا في ديوان السلاطين وله تصانيف، منها: كتاب في التاريخ، كتاب في قولهم كذب عليك كذا، كتاب زوائد في شرح سقط الزند، وغير ذلك. قرأت في ديوان شعره بخطه، انشدت لابي العلاء:

هفت الحنيفة والنصارى ما اهتدت ... وموجس حارت واليهود مظللة

اثنان اهل الارض: ذو عقل بلا ... دينا، واخر دين لا عقل له فقلت له مجيبا له:

الدين اخذه وتاركه ... لم يخف رشدهما وغيهما

رجلان أهل الارض قلت فقل: ... يا شيخ سوء انت ايهما؟

ذكره السمعاني في مشيخته، فقال: كان اديبا، فاضلا، بارعا، له الباع الطويل في معرفة النحو واللغة، واليد الباسطة في النظم والنثر، وله ورود على جماعة من قدماء الفضلاء، ومشاعرات ومنافرات، مع الفحول والكبراء، وكان اكثر فضلاء خرسان، قرأوا الادب عليه، وتتلمذوا له، سمع بأخسيكث: أبي القاسم محمود ابن محمد الصوفي، وبمرو: جدي ابى المضفر السمعاني، سمعت كتاب الاداب والمواعظ، للقاضى أبي سعد الخليل ابن أحمد السجزى، بروايته عن محمود الصيرفي، عن أبي عبيد الكرواني، عن المصنف. كانت ولادته في حدود سنة ست وستين واربعمائة. وتوفى بمرو فجأة ليلة الاثنين، لاربع ليال بقين من جماد الاخرة، سنة ثمان وعشرين وخمسمائة.

أحمد ابن محمد الأبي، أبو العباس

كان من أهل أبة، من ناحية برقة، وسافر إلى اليمن تاجراً، واجتمع بأبي بكر السعدي بعدن وحدثني المولى المفضل، جمال الدين بقصته مع السعدي عنه، انه سمعها منه، ثم قدم الاسكندرية واقام بها، فجرى بينه وبين القاضي شرف الدين عبد الرحمن، ابن قاضى الاسكندرية ما احوجه الى قدومه الى القاهرة، وشكا منه إلى الصاحب صفى الدين شكر، فلم يشكه، فاقام بالقاهرة إلى ان مات، وكان شكواه من قطع رزقه، من مسجد كان يصلى فيه، او نحو ذلك، وكان قدومه إلى القاهرة، سنة ست وستين وخمسمائة ومات بعد ذلك في نحو سنة ثمان وتسعين وصنف كتاباً في النحو، رأيته بخطه، وهي مسائل منثورة حدثني المولى القاضي المفضل، جمال الدين قال: دخلت إلى الصاحب أبي بشر وهو في مجلسه، فجلست إلى جانبه فأنشدني متمثلاً:

إنك لاتشكو إلى مصمت ... فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

اشارة الى انه لم يشكه قال أبو زياد الكلابي: ومثل من أمثال العرب: إنك لاتشكو الى مصمت، والتصميت: أن تقول المرآة إذا بكى صبيها الرضيع، وهي مشغولة عنه لبعض صبيانها، أو لزوجها: صمت هذا الصبي، فيأتيه فيحضنه بيده حتى يسكت قال: وحدثني قال: دخلت إلى مجلس الشيخ الموفق أبي الحجاج يوسف، المعروف بابن الخلال، كاتب الإنشاء فى ايام المصريين، وكان الموفق قد عمل معمى في المرآة نثرا، فقال لمن

بحضرته: ماتقولون فى قولي: شيء شديد الباس، يغيره ضعيف الانفاس وذكر كلاما بعده، فاستدللت بهذه الفاتحة، على انه المرآة، لأن الشديد البأس، هو الحديد، ويغير صقالها النفس، فقلت له ذلك، فاستحسن حدة خاطري انشدني مولانا القاضي، الإمام جمال الدين، أبو الحجاج يوسف بن القاضي الأكرم، علم الدين، أبي طاهر اسماعيل بن عبد الجبار، بن ابى الحجاج، قال انشدنى أبو العباس، أحمد بن محمد الآبى، ممتدحاً لى، وكتبته أنا من خطه بيده:

ياخير من فاق الافاضل سوددا ... وامتاز خيماً في الفخار ومحتدا
وسما لاعلام المعالي فاحتوى ... فضلا به يهدي وفضلا يجتدا
واذا الرياسة لم تزن بمعارف ... وعوارف يسدى بها كانت سدا
لاتنس من لم ينس ذكرك أحمدا ... وافى جنابكم الكريم فأحمدا
يهدى الى الأسماع من أوصافكم ... ملحاً كزهر الروض باكره الندا
مستحسنات كلما كررتها ... لم تسأم الاسماع منها موردا
والفضل فيه لكم ومنكم إنما ... يعزى المضاعف في الجميل لمن بدا
كالزهر يسقى الزهر صيب أفقها ... فيعود منه نشره متصعدا
جاد الغمام على الكمام بمائه ... عذبا فنصر ما حوته ونضدا
وإذا امرؤ أسدى لحر نعمة ... بدءا تملكه بها واستبعدا
دعى المفضل إذ تسامى فضله ... شرفا على نظرائه واستجمد

أحمد بن محمد، الواسطى

بن مختار الواسطى أبو على النحوي العدل، بن أخي أبى الفتح، محمدابن محمدة، بن جعفر، بن مختار النحوى، الذى يأتى ذكره فيما بعد، إن شاء الله تعالى مات بعد سنة خمسمائة وله عقب بواسط، اخذ النحو عن ابى غالب بن بشران، وكان منزله مألفا لاهل العلم، وكان من الشهود المعدلين، وكان طحانا بمشرعة التنانيرين بواسط حدثنى أبو عبد الله محمد بن سعد، بن الحجاج الدبيثى، قال: حدثنى عبد الوهاب بن غالب، عن الشريف ابى العلاء ابن التقي قال: قدم إلى واسط في بعض الأعوام عسكر الأعاجم، فنبهوا قطعة من البلد، ونبوا دكان الشيخ أبي علي بن مختار، ونزلوا بداره قال الشريف: فدخلت معه إليهم، نستعطفهم أن يردوا عليه بعض ما اخذوا منه، فلم نر لذلك وجها وخرجنا وهو يقول:

تذكرت ما بين المذيب وبارق ... مجر عوالينا ومجرى السوابق

ثم التفت الى فقال: ما العامل في الظرف فى هذا البيت؟ فقلت له يا سيدى: ما اشغلك ما انت فيه عن النحو والنظر فيه! فقال: يا بني، وما يفيدني إذا حزنت؟ وحدث الحافظ أبو طاهر، أحمد بن محمد السلفي قال: أنشدني الشيخ أبو علي أحمد بن محمد، بن مختار المعدل بواسط لنفسه، وأفادنيه خميس بن علي الحافظ:

كم جاهل متواضع ... ستر التواضع جهله

ومميز فى علمه ... هدم التكبر فضله
فدع التكبير ما حييت ... ولا تصاحب أهله
فالكبر عيب للفتى ... أبدا يفبح فعله
وأنشد له:
ما هذه الدنيا بدار مسرة ... وتخونني مكرا لها وخداعا
بيننا الفتى فيها يسر بنفسه ... وبماله يستمتع استمتاعا
حتى سقته من المنية شربة ... وحمته منها بعد ذاك رضاعا
فغدا بما كسبت يداه رهينة ... لايستطيع لما عراه دفاعا
لوكان ينطق قال من تحت الثرى ... فليحسن العمل الفتى ما استطاعا

أحمد بن مروان، المؤدب أبو مسهر

من اهل الرملة، عالم باللغة، كان فى ايام المتوكل وهو القائل:
غيث وليث: فغيث حين تسأله ... عرفا، وليث: لدى الهيجاء ضرغام
يحيا الانام به في الجدب ان قحطوا ... جودا ويشقي به يوم الوغى الهام
حالان ضدان مجموعان فيه فما ... يفك بينهما بوسى وانعام
كالمزن يجتمع الضدان فيه معا ... ماء ونار وارهام واضرام

أحمد بن مطرف،القاضى

بن إسحاق القاضى أبو الفتح المصرى، كان فى الدولة المصرية فى أيام، الحكم، وله تآليف فى الأدب، منها: كتاب النوائح، كتاب كبير في اللغة، ورسالة فى الضاد و الظاء، كتب بها إلى الشريف أبي الحسن، محمد بن القاسم الحسيني، عامل تنيس

أحمد بن مطرف، أبم الفتح العسقلانى

كان يای القضاء بدمياط، ومات فى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، ومولده سنة نيف وعشرين وثلاثمائة، وكان أديباً، فاضلاً، وله كتب كثيرة مصنفة في الأدب، وفى اللغة، وغيرهما. وديوان شعره جمعه على نسختين: إحداهما معربة، والأخرى مجردة، يكون دون ألف ورقة، قال ذلك كله أبو عبد الله الصوري الحافظ.وحكى: أنه أنشده قطعة من شعره، وناوله بقيته، وأذن له في روايته عنه، ورواية سائر مصنفاته، قال: ومما أحفظ له من قطعة أنشد نيها لنفسه، أولها:
علمي بعاقبة الأيام يكفيني ... وما قضى الله لي: لا بد يأتيني يقول فيها:

ولاخلاف بأن الناس مذ خلقوا ... فيما يرومون معكوسو القوانين
إذ ينفق العمر فى الدنيا مجازفة ... و المال ينفق فيها بالموازين

أحمد بن موسى، بن أبى عمار الخناط

صاحب أبى عبيد القاسم بن سلام، مات فيما ذكره ابن بنت الغرياني في سنة إحدى وثمانين ومائتين

أحمد بن موسى،بن مجاهد المقرئ

بن العباس، بن مجاهد المقرئ، أبو بكر، قال الخطيب: كان شيخ القراء فى وقته، و المقدام منهم على أهل عصره، مات فيما ذكره الخطيب فى شعبان، سنة أربع وعشرين وثلاثمائة، ودفن فى مقبرة باب البستان، من الجانب الشرقى، في ربيع الآخر، سنة خمس وأربعين ومائتين، قال الخطيب: وحدث عن عبد الله بن أيوب المخزمى، ومحمد بن الجهم السمري،وخلق غيرهما. وحدث عنه الدار قطني، وأبو بكر الجعابي، وأبو بكر بن شاذان، وأبو حفص بن شاهين، وغيرهم.وكان ثقة مأموناً، يسكن بالجانب الغربي، نحو مربعة الخرسي.
حدث أبو بكر الخطيب قال: قال ثعلب النحوى:في سنة ست وثمانين ومائتين: ما بقى من عصرنا هذا، أعلم بكتاب الله، من أبى بكر بن مجاهد. وحدث أبو بكر النحوى قال: صليت خلف أبى بكر ابن مجاهد صلاة الغداة، فاستفتح بقراءة الحمد، ثم سكت، ثم استفتح ثانية، ثم سكت، ثم ابتدأ بالقراءة،فقلت أيها الشيخ، رأيت اليوم منك عجيباً. فقال لي: شهدت المكان؟ فقلت: نعم، فقال: أشهدتك الله أن لا حدثت به عنى، إلى أن أوارى تحت أطباق الثرى، ثم قال يابنى: ما هو إلا أن كبرت تكبيرة الإحرام، حتى كأنى بالحجب قد انكشفت ما بينى وبين رب العزة تعالى سرابسر، ثم استفتحت بقراءة الحمد، فاستجمع كل حمد لله في كتابه مابين عيني، فلم أدرى بأى الحمدلة أبتدئ؟. وحدث عيسى بن علي، بن عيسي، الوزير قال: أنشدنى أبو بكر بن مجاهد، وقد جئته عائداً، وأطال عنده قوم، كانوا قد حضروا لعيادته، فقال لى يا ابا القاسم، عيادة ثم ماذا؟ فصرف من حضر، ثم هممت بالانصراف معهم، فامرنى بالرجوع إليه، ثم انشدنى عن على بن الجهم السمرى:

لاتضجرن مريضا جئت عائده ... ان العيادة يوم اثر يومين
بل سله عن حاله وادع الاله له ... واقعد بقدر فواق بين حلبين
من زار غبا اخا دامت مودته ... وكان ذاك صلاحا للنحليلين.

وحدث الحسين بن محمد، بن خلف المقرئ، قال: سمعت ابا الفضل الزهرى يقول: انتبه أبى فى الليلة التى مات فيها أبو بكر بن مجاهد، فقال يابنى: ترى من مات الليلة؟ فانى قد رأيت في منامى، كأن قائلا يقول: قد مات الليلة مقوم وحى الله، منذ خمسين سنة، فلما اصبحنا إذا ابن مجاهد قد مات آخر مانقلناه من تاريخ الخطيب وذكره محمد بن إسحاق في كتابه، فقال: كان ابن مجاهد، مع ماعرف به من الفضل، واشتهر عنه من العلم والنبل، كثير المداعبة، طيب الخلق، وله من الكتب: كتاب القراءات الكبير، كتاب القراءات

الصغير، كتاب الياءات، كتاب الهاءات، كتاب قراءة ابى عمرو، كتاب قراءة ابن كثير، كتاب قراءة عاصم، كتاب قراءة نافع كتاب قراءة حمزة كتاب قراءة الكسائى كتاب قراءة ابن عامر، كتاب قراءة النبى صلى الله عليه وسلم، كتاب السبعة كتاب انفرادات القراء السبعة كتاب قراءة على بن ابى طالب رضى الله عنه نقلت من خط أبي سعد السمعاني واختياره لتاريخ يحيى بن مندة سمعت الامام ابا المظفر عبد الله بن شيث المقرئ يقول: سمعت أحمد بن منصور المذكر يقول: سمعت ابا الحسن بن سالم البصري الصوفى يقول: وهو صاحب سهل بن عبد الله التسترى قال: سمعت ابا بكر محمد بن مجاهد المقرئ يقول: رأيت رب العزة في المنام؟ فختمت عليه ختمتين، فلحنت فى موضعين، فاغتممت،فقال يابن مجاهد: الكمال لى، الكمال لى قرأت فى تاريخ خوارزم فى ترجمة ابى سعيد، أحمد بن محمد، ابن حمديج الحمد يحى قال: كنت اختلف إلى ابى بكر بن مجاهد، المقرئ البغدادى، فكان يكرمى لفقهى،فاشتهيت ات اقرأ عليه، لما رايت من ولوع الناس بالقراءة عليه، فقلت له: اني اريد أن اقرأ عليك القرآن، فقال: نعم، إن كنت تريد القراءة، فاجلس مجلس التلامذة، قال فتحولت من جنبه الى بين يديه، فلما افتتحت القراءة على رسم العامة، وقلت: " بسم الله الرحمن الرحيم " قال: أوكذا تقرأ؟ إذهب الى ذلك الفتى حتى يرشدك، ثم اقرأ علي، فخجلت من ذلك، وترك إكرامي، كما كان يكرمني قبل ذلك، لما عرف بضاعتي في القراءة وقال التنوحي: بلغني عن أبي بكر بن مجاهد أنه قال: الناس أربعة: مليح يتبغض لملاحته فيحتمل، وبغيض يتملح، فذاك الحمى، والداء الذي لا دواء له، وبغيض يبغض، فيعذر لأنه طبعه، ومليح يتملح، فتلك الحياة الطيبة ومن تاريخ ابن بشران: كان ابن مجاهد كثيرا ما ينشد:

إذا عقد القضاء عليك أمرا ... فليس يحله إلا القضاء

قال: وذكر عن ابن مجاهد: انه حضر وجماعة من اهل العلم في بستان، وداعب وقال: وقد لاحظه بعضهم التعاقل في البستان، كالتخالع في المسجد وروى عن ابى طالب الهاشمى صهر ابى بكر بن مجاهد قال: كنت عند ابن مجاهد وقد حضرته الوفاة، فقال لي: اخرج من ههنا من اهلنا، قال: ففعلت ذلك، ثم قال لى: وتباعد انت ايضا، فوقفت عنه بعيدا، فاستقبل القبلة، واقبل يتلو آيات من القرآن، ثم خفت صوته، فلم يزل يتشاهد الى ان طفا قال: وكان له جاه عريض عند السلطان، وسأله بعض اصحابه كتابا الى هلال بن بدر فى حاجة له، فكتب إليه كتابا وختمه، ولم يقف عليه، فلما صار الى هلال وسلم اليه الكتاب، قضى حوائجه، وبلغ له فوق ما اراد، فلما اراد ان ينصرف، قال له: تدرى ما في كتابك؟ قال: فاخرجه وفيه: " بسم الله الرحمن الرحيم " حامل كتابي إليك، حامل كتاب الله عني والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين.

أحمد النهر جوري

أبو أحمد الشاعر العروضي له في العروض تصانيف، وهو به عارف حاذق، يجرى مجرى أبي الحسن العروضي والعمرانى وغيرهما فيه، وهو مع ذلك شاعر متوسط الطبقة، وهو من أهل البصرة حدثني أبو الحسن، عن علي بن محمد بن نصر الكاتب، قال: اجتمعت به بالبصرة فى سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وانا فى جملة ابى

الحسن بن ماسرجيس،وسافرنا عنها الى ارجان مع بهاء الدولة، وخرج النهرجورى معنا، واقام فى مصاحبته، إلى ان تقلد أبو الفرج، محمد بن على الخازن البصرة في اواخر سنة اثنتين واربعمائة، فعاد معه اليها، ثم وردها فى ذى القعدة، سنة ثلاث واربعمائة، متصلا بخدمة " شاهنشاه " الاعظم جلال الدولة بن بهاء الدولة، وقد مات النهرجورى قبل ذلك بشهور، بعلة طريفة، لحقته من ظهور القمل في جسمه، عند حكه اياه، الى ان مات وكان شيخا قصيرا، شديد الأدمة، سخيف اللبسة، وسخ الجملة، سيء المذهب، متطاير بالالحاد، غير مكاتم له، ولم يتزوج قط، ولا اعقب، وكان اقوى الطبقة في الفلسفة، وعلوم الاوائل، ومتوسطا في علوم العربية وعلمه بها اكثر من شعره، وكان ثلابة للناس هجاء قليل الشكر لمن يحسن إليه، غير مراع لجميل يسدى إليه وانشدني اشياء كثيرة من شعره، ومنه:

من عاذري من رئيس ... يعد كسبي حسبي

لما انقطعت إليه ... وصلت منقطعا بي

فسمع ذلك أبو العباس بن ماسرجيس،فقال: هذا تليس منه، وانا المقصو بالهجو، وانما قال: من عذيرى من وزير، وقد راقبني في تعبيره، فلما توفي النهرجوري، حمل إلى ابى العباس مسوداته، فوجد فيها القطعة منسوبة اليه، فاخرجها ووقفني عليها، وعرفني صحة حدسه فيه ومن شعره في أبي الوفاء بن الصقيل:

ما استخرج المال بمثل العصا ... لطالبيه من أبي الغدر

اليس قد اخرج موسى بها ... لقومه الماء من الصخرة

وله ايضا:

صاح نديمي وشفه الطرب ... ياقومنا ان امرنا عجب

نار إذا الماء مسها زفرت ... كأنها لالتهابها حطب

وله يهجو طبيباً من أهل الابلة، يعرف بأبي غسان وكان قد أغرى بهجائه:

ياطبيبا داوى كساد ذوي الأكفان ... حتى أعادهم في نفاق

إن تكن قد وصلت رزقهم فيها ... فكم قد قطعت من أرزاق؟

وقع الله فى جبينك للأرزاق ... إن ودع وداع الفراق

وله فيه ايضا:

يا بن غسان أنت ناقضت عيسى ... فهو يحيي الموتى وأنت تميت

يشهد القلب أنه يقدم الغاسل ... أو إن دسته تابوت

وقال في أبي إسحاق الصابئ، يمدحه وهو بالبصرة بقصيدة أولها:

لا يذهبن عليك في العواد ... ضعف القوى وتفتت الأكباد

لا تسألي عني سواك فإنما ... ذكراك أنفاسي وحبك زادي

يا سمحة بدمي على تحريمه ... فيما يظن أصادق وأعادي

حاشاك أن ألقاك غير بخيلة ... أو أن أرى ما لا ترين رشادي

وله يهجو امرأة:

تموت من شهوة الضراط ولا ... يسعدها دبرها بتصويت
كأنما إليتاك خابية ... تظل ملقية لتزفيت

وله أيضاً:

لو كان يورث بالتشابه ميت ... لملكت بالأعضاء ما لا يملك
ثعل مخاتله تخبر أنه ... في الناس من نطف الجميع مشبك

قالوا: ولم يكن وسخه وقذارته عن فقر، فإن حاله كانت مستقيمة حسنة، بل كانت لعادة سيئة فيه، وكان الناس يتقون لسانه وكثرة هجائه، قال ابن نصر: ومدح أبو أحمد النهرجوري أبا الفرج منصور بن سهل المجوسي عامل البصرة، فأعطاه صلة حاضرة هنية، والتف به الحواشى، فطالبوه، فكتب رقعة ودفعها إلى بعض الداخلين إليه، وقال تسلم هذه إلى الأستاذ وكان فيها:

أجارني الأستاذ عن مدحتي ... جائرة كانت لأصحابه
ولم يكن حظي منها سوى ... جربذتي يوماً على بابه

فلما وصلت إليه الرقعة،خرج فى الحال من صرف الحواشى عنه، وصار معه حتى دخل منزله:

أحمد بن نصر، بن الحسين البازريار

أبو علي كان نديماً لسيف الدولة بن حمدان، وكان أبوه نصر بن الحسين من ناقلة سامرا، واتصل بالمعتضد وخدمه، وخف على قلبه، وأهله من خرسان،وكان يتعاطى لعب الجوارح فرد إليه المعتضد نوعاً من أنواع جوارحه، ومات أبو على بحلب، في حياة سيف الدولة، وله من الكتب كتاب تهذيب البلاغة ذكر ذلك كله محمد بن إسحاق النديم.قال ثابت بن سنان: مات أبو على أحمد بن نصر، بن البازيار بالشام، فى سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة، وحدث أبو جعفر طلحة بن عبد الله بن قناش، صاحب كتاب القظاة قال: كنا بحضرة سيف الدولة، وقد كان من ندمائه، قال: كان يحضر معنا مجلسه أبو نصر النبض، وكان رجلاً من أهل نيسابور، أقام ببغداد قطعة من أيام المقتدر، وبعدها إلى أيام الراضى، وكان مشهوراً بالطيبة و الخلاعة،وخفة الروح، وحسن المحاضرة، مع العفة و الستر، وتقلد الحكم فى عدة نواح بالشام، فقيل له يوماً بحضرة سيف الدولة: لم لقبت النبض؟ فقال: ما هذا لقب، وإنما هو اشتقاق من كنيتي، كما لو أردنا أن نشتق من أبى على مثل هذا " وأومأ إلى ابن البازيار " لقلنا: البعل. أو اشتققنا من أبى الحسن " وأومأ إلى سيف الدولة " لقلنا:البحس، فضحك سيف الدولة منه،ولم ينكر عليه، وقد استدللت بهذه الحكاية، على عظم قدر ابن البازيار عند سيف الدولة،إذ قرن اسمه باسمه. قال أبو على عبد الرحمن بن عيسي، بن الجراح فى تاريخه: لما ورد ناصر الدولة إلى بغداد، وقد رد إليه تدبير العساكر، وإمرة الأمراء، قلد الوزير أبو إسحاق محمد بن أحمد القراريطى، إبراهيم بن أخى أبى الحسن على بن عيسى، أصل ديوان المشرق، وزمام البر، وزمام المغرب، وزمام المنبع وديوان الفراتية، مدة من الزمان، ثم استشفع إلى الوزير، أحمد بن نصر البازيار، بابن مكرم كاتب ناصر الدولة، فقلده ديوان المشرق، وزمام البر، وزمام المغرب، وعوض أب نصر إبراهيم بن أخي أبى الحسن، مكان ماصرفه عنه، ديوان البر، وديوان ضياع ورثة موسى بن بغا الأصل. نقلت هذا من

خط إبراهيم ابن أخي أبي الحسن، علي بن عيسى، صاحب هذه القصة، فإن النسخة بالتاريخ كانت بخطه.
وذكر هلال أن أحمد ابن نصر البازيار، كان ابن أخت أبي القاسم، على بن محمد بن الحواري، وكان أبو العباس الصفري، شاعر سيف الدولة، قد حبس لمحاكمة كانت بينه وبين رجل من أهل حلب، فكتب إلى ابن البازيار فى محبسه

كذا الدهر بوس مرة ونعيم ... فلا ذا ولاهذا يكاد يدوم
وذو الصبر محمود على كل حالة ... وكل جزوع فى الأنام ملوم

يقول فيها:

أترضى الطماى قاض بحبسه ... إذا اختصمت يوماً إليه خصوم؟
وإن زماناً فيه يحبس مثله ... لمثلي، زمان ما علمت لئيم
يكاد فؤادي يستطير صبابة ... إذا هب من نحو الأمين نسيم
هل أنت ابن نصر ناصر بمقالة ... لها في دجى الخطب البهيم نجوم؟
ولائم قاض رد توقيع من به ... غدا قاضياً فالأمر فيه عظيم
ومتخذ عندي صنيعة ماجد ... كريم نماه فى الفخار كريم

أحمد بن هبة الله، بن العلاء

،

ابن منصور المخزومي أبو العباس،الأديب النحوى، المعروف بالصدر ابن الزاهد، مات فى الثالث عشر من رجب، سنة إحدى عشرة وستمائة، وقد نيف على الثمانين وكان له اختصاص عظيم بالشيخ أبي محمد بن الخشاب لا يفارقه، فحصل منه علماً جماً،وصارت له يد باسطة في العربية و اللغة، وكان قرأ قبله على أبي الفضل بن الأشتر، وكان كيساً مطبوعاً، خفيف الروح، حسن الفكاهة. وسمع من عبد الوهاب الأنماطي، وابن المانداني، وغيرهما. أنبأنا أبو عبد الله الدبيثي، قال: أنشدني أبو العباس، أحمد بن هبة الله الأديب لفظاً، قال: أنشدني الأمير أبو الفوارس سعد بن محمد الصيفي لنفسه:

أجنب أهل الأمر و النهى زورتي ... وأغشى امرأ في بيته وهو عاطل
إني لسمح بالسلام لأشعث ... وعند الهمام القيل بالرد باخل
وما ذاك من كبر ولكن سجية ... تعارض تيهاً عندهم وتساجل

ذكره العماد فقال: هو من فقهاء النظامية، ذو الخاطر الوقاد، و القريحة والانقاد وله يد في العربية و النحو، قرأ على شيخنا أبي محمد الخشاب، وأنشدني لنفسه:

ومهفهف يسيبك خط عذاره ... ويريك ضوء البدر فى أزراره
حاكت شمائله الشمول وهجنت ... لطف النسيم يهب في أسحاره

وله قصيدة كتبها إلى الملك الناصر يوسف بن أيوب، منها

إن الأكاسرة الأولى شادوا العلي ... بين الأنام فمضل أو منعم
يشكون أنك قد نسخت فعالهم ... حتى تنوسي ما تقدم منهم
وسننت في شرع الممالك ماعملوا ... عن بعضه وفهمت مالم يفهموا وله أيضاً
ماذا يقول لك الراجي وقد نفذت ... فيك المعاني وبحر القول قد نزفا؟
وما له حيلة إلا الدعاء فإن ... يسمع يظل عليه الدهر معتكفاً

أحمد بن الهيثم، بن فراس

،

بن محمد، ابن عطاء الشامي قال المرزباني: هو أحد الرواة المكثرين، روى عنه الحسن بن عليل العنزي، وأبو بكر وكيع، قلت: وكان أبوه الهيثم بن فراس، شاعراً مكثراً، وكان جده فراس من شيعة بني العباس، وقد أدرك دولة هشام بن عبد الملك، وله في أول الدولة أخبار، فحدث المرزباني بإسناد رفعه إلى الهيثم بن فراس قال: أنشدت عمار بن ثمامة:
ينادي الجار خادمة فتسعى ... مشمرة إذا حضر الطعام
وأدعو حين يحضرني طعامي ... فلا أمة تجيب ولاغلام
وحدث عن محمد، بن العباس عن المبرد قال: قال الهيثم بن فراس في المفضل بن مروان، وزير المعتصم:
تجبرت يافضل بن مروان فاعتبر ... فقبلك كان الفضل، والفضل و الفضل
ثلاثة أملاك مضوا لسبيلهم ... أبادهم الموت المشتت والقتل
يريد الفضل بن يحيى، و الفضل بن الربيع، و الفضل ابن سهل.
فإنك قد أصبحت في الناس ظالماً ... ستودى كما أودى الثلاثة من قبل

أحمد بن يحيى،البلاذري

بن جابر، بن داوود البلاذري أبو الحسن، وقيل أبو بكر، من أهل بغداد ذكره الصولي في ندماء المتوكل على الله، مات في أيام المعتمد على الله إلى أواخرها، وما أبعد أن يكون أدرك أول أيام المعتضد، وكان جده جابر يخدم الخصيب صاحب مصر، وذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، فقال. سمع بدمشق هشام بن عمار، وأبا حفص عمر ابن سعيد، وبحمص محمد بن مصفى، وبأنطاكية محمد ابن عبد الرحمن بن سهم، وأحمد بن مرد الأنطاكي، و بالعراق عفان بن مسلم، وعبد الأعلى بن حماد، وعلى ابن المديني، وعبد الله بن صالح العجلي، ومصعباً الزبيري، وأبا عبيد القاسم بن سلام، وعثمان بن أبي شيبة، وأبا الحسن على بن محمد المدائني، ومحمد بن سعد كاتب الواقدي، وذكر جماعة قال: وروى عنه يحيى بن النديم، وأحمد بن عبد الله بن عمار، وأبو يوسف، يعقوب بن نعيم قرقارة الأرزاني. قال محمد بن إسحاق النديم: كان جده جابر، يكتب للخصيب صاحب مصر، وكان شاعراً، وراويه، ووسوس آخر أيامه فشد بالمارستان، ومات فيه،

وكان سبب وسوسته، أنه شرب ثمر البلاذر على غير معرفة، فلحقه مالحقه. وقال الجهشياري في كتاب الوزراء: جابر بن داوود البلاذري، كان يكتب للخطيب بمصر، هكذا ذكر. ولا أدرى أيهما شرب البلاذر؟ أحمد بن يحيى، أو جابر بن داود؟ إلا أن ما ذكره الجهشياري، يدل على أن الذي شرب البلاذر هو جده، لأنه قال: جابر بن داود، ولعل ابن ابنه، لم يكن حينئذ موجوداً، والله أعلم. وكان أحمد بن يحيى بن جابر، عالماً فاضلاً، شاعراً، راوية نسابة، متقناً، وكان مع ذلك، كثير الهجاء، بذيء اللسان، أخذ الأعراض، وتناول وهب بن سليمان، بن وهب، لما ضرط فمزقه، فمن قوله فيه، وكانت الضرطة بحضرة عبد الله بن يحيى، بن خاقان:

أيا ضرطة حسبت رعده ... تنوق في سلها جهده
تقدم وهب بها سابقاً ... وصلى أخو صاعد بعده
لقد هتك الله ستريهما ... كذا كل من يطعم الفهده

وقال أحمد بن يحيى، بن جابر، يهجو عافية بن شيب:

من رآه فقد رأى ... عربياً مدلسا
ليس يدري جليسه ... أفسا أم تنفسا؟

وحدث علي بن هارون، بن النجم في أماليه عن عمه قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى البلاذري قال: لما أمر المتوكل إبراهيم بن العباس الصولي، أن يكتب فيما كان أمر به من تأخير الخراج، حتى يقع في الخامس من حزيران استفتاح الخراج فيه، كتب في ذلك كتابه المعروف، وأحسن فيه غاية الإحسان، فدخل عبيد الله بن يحيى على المتوكل، فعرفه حضور إبراهيم ابن العباس، وإحضاره الكتاب معه، فأمر بالإذن له فدخل، وأمره بقراءة الكتاب، فقرأه، واستحسنه عبيد الله بن يحيى، وكل من حضر، قال البلاذري: فدخلني حسد له، فقلت: فيه خطأ، قال: فقال المتوكل: في هذا الكتاب الذي قرأه على إبراهيم خطأ؟ قال: قلت: نعم، قال: يا عبيد الله وقفت على ذلك؟ قال: لا، و الله يا أمير المؤمنين، ما وقفت فيه على خطأ، قال: فأقبل إبراهيم بن العباس على الكتاب يتدبره، فلم ير فيه شيئاً، فقال يا أمير المؤمنين: الخطأ لا يعرى منه الناس، وتدبرت الكتاب، خوفاً من أكون قد أغفلت شيئاً وقف عليه أحمد بن يحيى، فلم أرما أنكره، فليعرفنا موضع الخطأ،قال: فقال المتوكل: قل لنا ما هو هذا الخطأ الذي وقفت عليه في هذا الكتاب؟ قال: فقلت هو شيء لا يعرفه إلا على بن يحيى المنجم، ومحمد بن موسى، وذلك أنه أرخ الشهر الرومي بالليالي، وأيام الروم قبل لياليها، فهي لا تؤرخ بالليالي، وإنما يؤرخ بالليالي الأشهر العربية، لأن لياليها قبل أيامها بسبب الأهلة، فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، هذا مالا علم لي به،ولا أدعي فيه ما يدعى، قال: فغير تاريخه. قال الجهشياري: وقال أحمد بن يحيى، البلاذري في عبيد الله بن يحيى وقد صار إلى بابه فحجبه:

قالوا: اصطبارك للحجاب مذلة ... عار عليك به الزمان و عاب
فأجبتهم: ولكل قول صادق أو كاذب عند المقال جواب
إني لأغتفر الحجاب لماجد ... أمست له منن على رغاب

قد يرفع المرء اللئيم حجابه ... صنعة ودون العرف منه حجاب

وحدث الجهشياري قال: حدثني ابن أبي العلاء الكاتب، قال: حدثني أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال:دخلت إلى أحمد بن صالح بن شيرزاد، فعرضت عليه رقعة لي فيها حاجة، فتشاغل عني فقلت:

تقدم وهب سابقاً بضراطه ... وصلى الفتى عبدون و الناس حضر

وإني أرى من بعد ذاك وقبله ... بطوناً لناس آخرين تقرقر

فقال ياأبا الحسن: بطن من؟ فقلت: بطن من لم يقض حاجتي، فأخذ الرقعة، ووقع فيها بما أردت. وقال أحمد بن يحيى: يهجو صاعداً وزير المعتمد:

أصاعد قد ملأت الأرض جوراً ... وقد سست الأمور بغير لب

وساميت الرجال وأنت وغد ... لئيم الجد ذوعي وعيب

أضل عن المكارم من دليل ... وأكذب من سليمان بن وهب

وقد خبرت أنك حارثي ... فرد مقالتي أولاد كعب

قلت: أما سليمان بن وهب فمعروف، وأما دليل: فهو دليل بن يعقوب النصراني، أحد وجوه الكتاب، كان يكتب لبغا التركي، ثم توكل للمتوكل على خاصته. وحدث أبو القاسم الشافعي، في تاريخ دمشق بإسناده قال: قال أحمد بن جابر البلاذري: قال لي محمود الوراق: قل من الشعر ما يبقى ذكره، ويزول عنك إثمه، فقلت

إستعدي يانفس للموت واسعي ... لنجاة فالحازم المستعد

قد تثبت أنه ليس للحي ... خلود ولامن الموت بد

إنما أنت مستعيرة ما سوف ... تردين والعواري ترد

أنت تسهين والحوادث لا تسهو، ... وتلهين والمنايا تجد

لاترجى البقاء في معدن الموت ... ودار حقوقها لك وردُ

أي ملك في الأرض أم أي حظ ... لأمرئ حظه من الأرض لحدُ

كيف يهوى أمرؤ لذاذة أياماً ... عليه الأنفاس فيها تعد

ومن شعر البلاذري، الذي رواه المرزباني في معجم الشعراء:

يا من روى أدباً ولم يعمل به ... فيكف عادية الهوى بأديب

ولقلما تجدي اصابة صائب ... أعماله أعمال غير مصيب

حتى يكون بما تعلم عاملاً ... من صالح فيكون غير معيب

قال ابن عساكر في كتابه: وبلغني أن البلاذري كان اديباً، راوية، له كتب جياداً، ومدح المأمون بمدائح، وجالس المتوكل، ومات في أيام المعتمد، ووسوس في آخر عمره. قال المؤلف: هذا الذى ذكره ابن عساكر، من كلام المرزباني في معجم الشعراء بعينه. وقال محمد ابن اسحاق النديم: وله من الكتب: كتاب البلدان الصغير، كتاب البلدان الكبير لم يتم، كتاب جمل نسب الأشراف، وهو كتابه المعروف المتهور، كتاب عهد

أردشير، ترجمه بشعر. قال: وكان أحد النقلة من الفارسي إلى العربي، كتاب الفتوح وحدث الصولي في كتاب الوزراء: حدثني أحمد ابن محمد الطالقي قال: لي أحمد ابن يحيى البلاذري: كان بيني وبين عبيد الله ابن يحيى، ابن خاقان حرمة، منذ أيام المتوكل،وماكنت أكلفه حاجة لإستغناء عنه، فنالتني في أيام المعتمد على الله إضافة،فدخلت إليه وهو جالس للمظالم، فشكوت تأخر رزقي وثقل ديني، وقلت: إن عيب على الوزير – أعزه الله – حاجة مثلي في أيامه، وغض طرفه عني، فوقع لي ببعض ما أردت، وقال: أين حياؤك المانع لك من الشكوى على الاستبطاء؟ فقلت: غرس البلوى، يثمر ثمر الشكوى، وانصرفت، وكتبت إليه:

لحاني الوزير المرتضى في شكايتي ... زماناً أحلت للجذوب محارمه

وقال: لقد جاهرتني بملامة ... ومن لي بدهر كنت فيه أكاتم

فقلت: حياء المرء ذو الدين والتقى ... يقل إذا قلت لديه دارهم

وحدث الصولى عن محمد ابن علي: أن البلاذري امتدح أبا الصقر، اسماعيل بن بلبل، وكتب إليه كتاباً حسناً، وسأله أن يطلق له شيئاً من ارزاقه ووعده فلم يفعل، فقال:

تجانف إسماعيل عني بوده ... ومل إخائي واللئيم ملول

وأن امرؤ يغشى أبا الصقر راغباً ... إليه ومغترا به لذليل

وقد علمت شيبان أن لست منهم ... فماذا الذي إن أنكروك تقول؟

ولو كانت الدعوى تثبت بالرشى ... لثبت دعواك الذين تنيل

ولكنهم قالوا مقالاً فكذبوا ... وجاؤوا بأمر ماعليه دليل

وله فيما أورده عبيد الله ابن ابى طاهر:

لما رأيتك زاهياً ... ورأيتني أجفى ببابك

عديت رأس مطيتي ... وحجبت نفسي عن حجابك

أحمد ابن يحيى، ابن يسار

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

أبو العباس ثعلب الشيباني، مولاهم النحوي اللغوي، إمام الكوفيين في النحو واللغة، والثقة، والديانة. ولد فيما ذكره المرزباني عن مشايخه، سنة مائتين، ومات لثلاث عشرة ليلة بقيت من جماد الأولى، سنة إحدى وتسعين ومائتين، في خلافة المكتفي ابن المعتضد، وقد بلغ تسعين سنة وأشهر وكان رأى أحد عشر خليفة، أولهم المأمون وأخرهم المكتفى وكان قد ثقل سمعه قبل موته، ودفن في مقابر باب الشام، في حجرة اشتريت له، وبنيت بعد ذلك، وقبره هناك معروف، ورد ماله على ابنته، وكان خلف إحدى وعشرين الف درهم، وألفي دينار، ودكاكين بباب الشام، قيمتها ثلاثة آلاف دينار، وضاع له قبل أحمد الصيرفي ألف دينار، وكان يتجر له بها، ذكر ذلك عبد الله ابن الحسين القطر بلى في تاريخه: حدث المرزباني عن أبي العباس، محمد ابن طاهر الطاهري، وكان أبو العباس ثعلب، يؤدب أباه طاهر ابن محمد، بن عبد الله، بن طاهر، قال: كان سبب وفاة أبي العباس ثعلب، أنه كان في يوم جمعة قد انصرف من الجامع بعد صلاة العصر، وكان يتبعه جماعة من اصحابه إلى منزله، أنا أحدهم، فتبعناه في تلك العشية، إلى أن صرنا إلى درب قد أسماه بناحية بابل باب الشام، وأتفق أن ابناً لإبراهيم ابن أحمد المادرائي، يسير من وراءنا على دابة، وخلفه خادم له على دابة، قد قلق واضطرب، وكان في تلك العشية بيده دفتراً ينظر فيه وقد شغله عما سواه،فلما سمعنا صوت حوافر الدواب خلفنا، تآخرنا عن جادة الطريق، ولم يسمع أبو العباس لصممه صوت الحوافر، فصدمته دابة الخادم، فسقط على رأسه في هوة من الطريق، أخذ ترابها، فلم يقدر على القيام، فحملناه إلى منزله، كالمختلط يتأوه من رأسه، وكان سبب وفاته – رحمه الله – . وحدث المرزباني عن أحمد بن محمد العروضي قال: إنما فضل أبو العباس أهل عصره، بالحفظ للعلوم التي يضيق عنها الصدور، وقد كان أبو سعيد السكري كثير الكتب جداً،فكتب بيده مالم يكتبه أحداً، فكان في الطرفان، لأن أبا سعيد، كان غير مفارق للكتاب عند ملاقاة الرجال. وابو العباس لايمس بيده كتابة إتكالاً على حفظه، وثقة بصفاء ذهنه. قال الخطيب: سمع يعني ثعلبة، محمد بن سلام الجمحي، ومحمد بن زياد الأعرابي، وعلي ابن المغيرة الأكثرم، وإبراهيم بن المنذر الحراني، وسلمة بن عاص، وعبيد الله بن العمر القواريري، والزبير بن بكار، وخلق كثيرة. وروى عنه محمد ابن العباس اليزيدي، وعلي ابن سليمان الأخفش، وإبراهيم بن محمد، بن عرفة نفطويه، وأبو بكر بن الأنباري، وأبو عمر الزاهد، وأبو الحسن بن المقسم، وأحمد ابن كامل القاضي وخلق كثر. وكان يقول: سمعت من القواريري مائة الف حديث. قرأت بخط أبي سالم الحسن ابن على: نقلت من خط الحسن بن على المقلة، قال أبو العباس أحمد بن يحيى ابتدأت النظر في العربية، والشعر واللغة، سنة ست عشرة، ومولد سنة مائتين، في السنة الثانية من خلافة المأمون. قال أبو العباس: ورأيت المأمون لما قدم من خرسان في سنة اربع ومائتين وقد خرج من باب الحديد، وهو يريد قصر الرصافة، والناس صفان في المصلى، قال: وكان أبي قد حملني على يده، فلما مر المأمون، رفعني وقال لي: هذا المأمون، وهذه سنة اربع، فحفظت ذلك إلى هذه الغاية وحذقت العربية، وحفظت كتب الفراء كلها، حتى لم يشذ عنى حرف منها،

ولي خمس وعشرون سنة، وكنت أعنى بالنحو، أكثر من عناية بغيره، فلما أتقنته، أكببت على الشعر، والمعاني، والغريب، ولزمت أبا عبد الله ابن الاعرابي، بضع عشرة سنة، وأذكر يوماً وقد صار إلى أحمد بن سعيد ابن سليم وأنا عنده وجماعة منهم السدرى، وابو العالية، فأقام وتذاكروا شعر الشماخ، وأخذوا في البحث عن معانيه، والمسألة عنه، فجعلت أجيب ولا أتوقف وابن الأعرابي يسمع، حتى أتينا على معظم شعره، فالتف إلى أحمد ابن سعيد يعجبه مني. قال أبة العباس: قلت لابن ماسويه في علة شكوتها إليه، ماتقول في الحمام: فقال لي: أن تهيأ لانسان بعد اربعين سنة، أن يكون قد قيم حمام فليفل، قال أبو العباس: الذي لاينسب إليهيه، لأنه لايتم إلا بصلة، والعرب لاتنسب إلا إلى اسم تام، والذي وما بعده حكاية، والحكاية لاينسب إليها، لئلا تتغير. قال أبو العباس: وسئل ابن قادم عنها، وأنا غائب بفارس، فقال: اللذوي فلما قدمت وسئلت، فقلت: لاينسب إليه وأتيت بهذه العلة، فبلغته، فلما اجتمعنا تجاذبنا، ثم

رجع الى قولي. وقال أبو العباس: كنت أصير إلى الرياشي لأسمع منه، وكان نقي العلم، فقال لي يوماً وقد قرئ عليه:ع الى قولي. وقال أبو العباس: كنت أصير إلى الرياشي لأسمع منه، وكان نقي العلم، فقال لي يوماً وقد قرئ عليه:

ماتنقم الحرب العوان مني ... بازل عامين حديث سني

لمثل هذا ولدتني أمي؟ كيف نقول؟ بازل أو بازل؟ فقلت: أتقول لى هذا بالعربية؟ إنما أقصدك لغير هذا يروى بازل وبازل، الرفع على الاستئناف، والخفض على الإتباع، والصب على الحال، فاستحيى وأمسكا. قال أبو العباس: ودخلت على محمد ابن عبد الله، بن طاهر، فإذا عنده المبرد وجماعة من أصحابه وكتابه، وكان محمد ابن عيسى وصفه له، فلم قعدت، قال لي محمد ابن عبد الله: ماتقول في قول امرئ القيس؟:

لها متنتان خظاتا كما ... أكب على ساعديه النمر

قال: قلت أما غريب البيت، فإنه يقال لحم خظا يخظى: إذا كان صلباً مكتنزا، ووصف فرساً، وقوله أكب على ساعديه النمر: أي في صلابة ساعد النمر، إذا اعتمد على يديه والمتن: الطريقة الممتدة من عن يمين الصلب وشماله، ومافيه من العربية أنه خظاتا، فلم تحركت التاء أعاد الألف من أجل الحركة والفتحة، قال: فأقبل بوجهه على محمد بن يزيد فقال له محمد: – أعز الله الأمير – إنما أراد خظاتا بالإضافة، أضاف خظاتا إلى ما قال فقلت: ما قال هذا لأحد. قال محمد بن يزيد: بلى سيبويه يقول، فقلت لمحمد بن عبد الله لا والله ما قال سيبويه وهذا كتابه فليحضر، ثم أقبلت على محمد بن عبد الله، وقلت: ما حاجتنا إلى كتاب سيبويه؟ أيقال مررت بالزيدين طريفي عمرو، فيضاف نعت الشيء إلى غيره؟؟ فقال محمد لصحة طبعه، لا والله مايقال هذا، ونظر إلى محمد بن يزيد فأمسك ولم يقل شيئاً فقمت ونهض المجلس. قال عبد الله الفقير إليه: لا أدري، لما لايجوز هذا؟ وما أظن أحداً أن ينكر قول القائل: رأيت الفرسين مر كوبى زيد، والا الغلامين عبدي عمرو، ولا الثوبين ذراعتي زيد، ومثله مررت بالزيدين طريفي عمر، فيكون مضاف الى عمرو، وهو صفة لزيد، وهذا ظاهر لكل متأمل. قال أبو العباس: لما شاهدني المازني وجاراني النحو، وخرج الى سر من رأى، كان يذكرني ويوجه: الى أخوك يقرئك السلام. قال أبو العباس: قال لي محمد ابن عيسى بحصرة محمد

ابن عبد الله: نحن نقدمك لتقدمه الأمير، فقلت له ياشيخ: إني لم أتعلم لتقدمني الأمراء، وإنما تعلمته لتقدمني العلماء. قال أحمد ابن يحيى: كان محمد ابن عبد الله، يكتب الف درهم واحدة، فإذا مر به ألف درهم واحد أصلحه واحدة، وكان كتابه ينكرون ذلك، ويغلظ عليه ويهابونه، فلا يبتدأونه فيه بشيء، فقال يوم: أتدري لما عمل القراء كتاب البهي؟ قلت لا، قال: لعبد الله أبي، بأمر طاهر الجدي، قلت له: إنه كان قدعمل له كتباً، منها: كتاب المذكروالمؤنث قال ومافيه؟ مثل الف درهم واحد، ولايجوز واحدة، ففتح عينيه وتنبه وأقلع. وقال أبو العباس:بعث الي عبدالله ابن اخت أبي الوزير، رقعة فيها خط المبرد: ضربته بلا سيف، قال: أيجوز هذا؟ فوجهت إليه، لا والله ماسمعت بهذا، قال أبو العباس: هذا خطأ البتة لأن لا التبرئة لايقع عليه خافض ولاغيره، لأنها أداة، وماتقع أداة على أداة. قال العجوزى: صرت إلى المبرد مع القاسم والحسن ابنى عبيد الله، بن سليمان، بن وهب، فقال لي القاسم سله عن شيء من الشعر فقلت ما تقول: – أعزك الله – في قول أوس؟:

وغيرها عن وصل الشيب أنه ... شفيع الي بيض الخدور مدرب

فقال بعد تمكث وتمهل وتمطق: يريد النساء أنس به، فصرنا لايسترنا منه، ثم صرنا إلى أبي العباس أحمد ابن يحيى، فلم غص المجلس، سألته عن البيت، فقال: قال لنا ابن الأعرابي: إن الهاء في " أنه للشباب " وإن لم يجر له ذكر لأنه علم، والنفت الى الحسن والقاسم فقلت: أين صاحبنا من صاحبكم؟. وقال حمزة: لما مات المازني، خلفه أبو العباس المبرد، وبقي ذكره ببغداد وسامراء، لايفض احد منه، الى أن ذكره ابن الأنباري في بعض مصنفاته وأراد أن يضع منه، ويرفع من صاحبه أبى العباس، أحمد ابن يحيى ثعلب، جاري على عادته في العصبية للكوفيين على البصريين، فقال: سمعت أبا العباس يعنى ثعلب: عزمت على المضي الى المازني لاناظره، فأنكر ذلك على أصحابنا وقالوا: مثلك لا يصلح أن يمضي إلى بصرى، فيقال غداً إنه تلميذه، فكرهت الخلافة عليه، فأراد ابن الانباري أن يرفع من ثعلب، فوضع منه، ولم يقتصر على ذلك التقصير بالمازني، حتى قصر بالخليل أيضاً، وزعم أن أبا العباس أحمد ابن يحيى، حكى له أن ابا جعفر الرؤاسي، عمل كتاباً في النحو وسماه الفيصل، فبعث الخليل إليه يستعيره، فوجه به إليه، فقال: والدليل على أن الخليل تعلم النحو من كتاب الرؤاسي مايوجد في كتاب سيبويه من ذكره، إذ يقول: قال الكوفي: وهذا متى سمع، علم أنه لايقوله إلا عصبي. قرأت في كتاب ابن أبى الأزهر، بخط عبد السلام البصري قال: كان بأزاءدار أبي العباس ثعلب، رجل قد غلب على عقله، فكان ربما خرج فجلس على باب بيته ينظر إلى الناس، فرأى يوماً غلام أبي العباس، وقد أدخل إلى داره خبز أسود فقال له يا أبا العباس: ألا تشتري لك خبز حواري؟ مامعنى هذا الضيق والشؤم؟ فقالله: هذا أصلح من الحاجة، وبد للوجه الى الناس فضحك فقال: عجبت لك من هذا الكلام، أما لك هذا، إلا من بذل الوجه والحاجة إلى الطلب منه، لاتقبل بر أحد إن كنت صادقاً فالتفت إلى وقال: قد قال قولاً، ثم أنشدني في الزهد:

زماننا صعب وإخواننا ... أيديهم جامدة البذل

وقدمضى الناس ولم يبقى فيه ... عصرك إلا محكم البخل

وما لنا بلغة أقواتنا ... مافيه للأسراف من فضل
غضم كفيك على ملكها ... وأطرش السمع عن العذل

فتعجبت من إنشاد هذا الشعر، بعقب ما خوطب به قال أحمد ابن فارس اللغوي: كان أبو العباس ثعلب، لايتكلف الأعراب في كلامه كان يدخل المجلس فتقوم له فيقول: أقعدوا أقعدوا بفتح الألف قال ابن كامل القاض: أنشدني أبو بكر ابن العلاف لنفسه لما مات المبرد:

ذهب المبرد وانقضت أيامه ... وليلحقنا مع المبرد ثعلب
بيت من الأداب أصبح نصفه ... خرباً وباق بيتها فسيخرب
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا ... للدهر أنفسكم على مايسلب
ذهب المبرد حيث لاترجونه ... أبداً ومن ترجونه فمغيب
فتزودوا من ثعلب فبكاس ما ... شرب المبرد عن قليل يشرب
واستحلبو ألفاظه فكأنكم ... بسريره وعليه جمع ينحب
وأرى لكم أن تكتبوا أنفاسه ... إن كانت الأنفاس مما يكتب
فليلحقن بمن مضى متخلف ... من بعده وليذهبن وتذهب

وقال أبو الطيب عبد الواحد اللغوي في كتابه المسمى مراتب النحويين، قال: كان ثعلب يعتمد على ابن الأعرابي في اللغة وعلى سلمة ابن عاصم في النحو، ويروى عن ابن نجدة كتب أبا زيد، وعن الأثرم كتب أبي عبيدة، وعن أبي نصر كتب الأصمعي، وعن عمرو ابن أبي عمرو كتب ابيه، وكان ثقة متقنة يستغني بشهرته عن نعته وقال: وكان ثعلب حجة، ديناً، ورعاً، مشهوراً باللحفظ والصدق وإكثار الرواية وحسن الدراية، كان ابن الاعرابي إذا شكى في شيء يقول له: ما عندك يا أبا العباس في هذا؟ ثقة بغزارة حفظه. ولد سنة مائتين، وطلب اللغة والعربية في سنة ست عشرة ومائتين، قال: وابتدأت بالنظر في حدود الفراء وسني ثماني عشرة سنة، وبلغت خمس وعشرين سنة، وما بقي على مسألة للقراء، إلا وأنا أحفظها، وأحفظ موضعها من الكتاب، ولم يبق شيء من كتب الفراء في هذا الوقت، إلا وقد حفظته. وحدث المزرباني: قال عبد الله بن حسين، بن سعد القطر بلى في تاريخه: كان أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، بن الحفظ، والعلم، وصدق اللهجة، والمعرفة بالغريب، رواية الشعر القديم، ومعرفة النحو على مذهب الكوفيين على ما ليس عليه أحد وكان يدرس كتب الفراء، والكسائي، درسا، وكان متبحرا في مذهب البصريين لا مستخرجا للقياس، ولا طالبا له، وكان يقول: قال الفراء: والكسائي: فإذا سأل عن الحجة والحقيقة في ذلك لم يعرف النظر وكان أبو على أحمد ابن جعفر النحوى ختنه، زوج ابنته، يخرج من منزله وهو جالس على باب داره، فيتخطى اصحابه، ويمضى ومعه دفتره ومحبرته، فيقرأ على أبي العباس المبرد كتاب سيبويه، فيعاتبه أحمد ابن يحيى على ذلك ويقو ل له: إذا رأك الناس تمضي الى هذا الرجل تقرأ عليه، يقول ماذا؟ ولم يكن يلتفت الى قومه قال: وكان ختنه هذا أبو علي يعرف بالدينوري، وكان حسن المعرفة، فسمعت إسحاق المصعبي يقول له: كيف صار محمد ابن يزيد، أعلم بكتاب سبيويه من أحمد ابن يحيى؟ قال: لأن محمد ابن يزيد، قرأه على

العلماء، وأحمد ابن يحيى، قرأه على نفسه. قال: ولم يزل ثعلب متقدم عند العلماء منذ أيام حداثته، وكان ضيق النفقة مقترا على نفسه. حدثني أخي، وكان صاحبه ووصيه قال: دخلت إليه يوما وقد احتجم، وبين يديه طبق فيه ثلاثة أرغفة، وخمس بيضات، وبقل وخل، وهو يأكل، فقلت له: يا أبا العباس، قد احتجمت، ولو أخذ لك رطل لحم وثمن التوابل، ومثله للعيال كان ما له معنى. قال: وسمعت أحمد ابن إسحاق المعروف بابي المدور يقول: كنت أرى عبد الله بن الأعرابي يشك في الشيء، فيقول لثعلب: ما عندك يا أبا العباس في هذا؟ ثقة بغزارة حفظه، ولم يكن مع ذلك موصوفا بالبلاغة، ولا رأيته إذا كتب كتاباً إلى بعض إخوانه من أصحاب السلطان، خرج عن طبع العامة، فإذا أخذته في الشعر والغريب، ومذهب الفراء والكسائي، رأيت من لا يفي به أحدا، ولايتهيأ له الطعن عليه، وكان هو ومحمد بن يزيد، عالمين، ختم بهما تاريخ الأدب، أو كان كما قال بعض المحدثين:

أيا طالب العلم لاتجهلن ... وعد بالمبرد أو ثعلب

تجد عند هذين علم ورى ... فلا تك كالجمل الأجرب

علوم الخلائق مقرونة ... بهذين في الشرق والمغرب

قال المرزباني: أخبرني الصولي أن عبد الله ابن الحسين بن سعد القطربلي: أنشده هذه الأبيات لنفسه. وحدث محمد ابن أحمد الكاتب قال: حدثنا أحمد بن يحيى النحوي قال: سألني ابن الأعرابي: كم لك من الولد؟ فقلت: ابنة وأنشدته:

لولا أميمة لم أجزع من العدم ... ولم أجب في الليالي حندس الظلم

تهوى حياتي، وأهوى موتها شفقاً ... والموت أكرم نزالا على الحرم

فأنشدني ابن الأعرابي في المعنى:

أميمة تهوى عمر شيخ يسره ... لها الموت قبل الليل لو أنها تدري

يخاف عليها جوفة الناس بعده ... ولا ختن يرجى أود من القبر

وحدث عن أبي عبد الله الحكيمي، عن يموت بن المزرع قال: وأراد أبو العباس ثعلب أن يرحل الى أبي حاتم السجستاني في البصرة، فبلغه أن أبا حاتم أنتشر ذكره يوما، لم رأى جماعة المرد يكتبون في مجلسه، فرأه غلام منهم فقال له: – أصلحك الله – أي لام هذه؟ قال: لام كي يابني، فلم يخرج أبو العباس إليه. وحدث الصولي قال: كنا عند أبي العباس أحمد ابن يحيى فقال له رجل: المجسد هذا المعروف، فما المصدر؟ قال: مصدره السجود، قال: فعرفني ما لايجوز منذا؟ فقال: لا يقال مسجد، وضحك، وقال: هذا يطول إن وصفنا ما لايجوز، وإنما يوصف الجائز، ليدل على أن غيره لايجوز. ومثل ذلك أن ماسيويه: وصف لانسان دواء ثم قال له: كل الفروج وشيئا من الفاكهة، وقال: أريد أن تخبرني بالذي لا أكل، فقال: لاتأكلن ولاحماري، ولاغلامي، واجمع كثير من القراطيص وبكر إلي فإن هذا يكثر إن وصفته لك وحدث عن الصولى قال: قال أبو العباس ثعلب: لم أسمع من جماعة كلهم قد رأيته، وتمكنت منه، ولو أردت ذلك، ما فاتني عنه جميع ما أطلب، منهم أبو عبيد القاسم ابن سلام وإسحاق الموصلي، وأبو التوبة والنظر ابن حديد،

وإني لا أذكر موت الفراء ذكر جيداً، وأنا في الكتاب. وحدث قال: وقال أبو العباس يوم لاخر: الهرم علة قائمة بنفسها، فاذا كان معه علة، فذاك امر عظيم، وأنشد:

أرى بصرى في كل يوم وليلة ... يكل وخطوى عن مداهن يقصر

ومن يصحب الأيام تسعين حجة ... يغيرنه والدهر لا يتغير

لعمري لأن أصبحت أمشي مقيدا ... لما كنت أمشي مطلق قبل أكثر

وحدث أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي قال: قال ثعلب: أقعدني محمد ابن عبد الله ابن طاهر، مع ابنه طاهر، وأفرد لي دار في داره، وأقام لنا وظيفة فكنت أقعد معه إلى أربع ساعات من النهار ثم أنصرف إذا أراد الغداء، فما ذلك الى أبيه، فكسى البهو والأروقة وأضعف ما كان يعد من الألوان، فلما حضر وقت الانصراف، انصرفت فما ذلك اليه، فقال للخادم الموكل بنا، قد نمى الى انصراف أحمد بن يحيى وقت الطعام، فظننت أنه يستقل ما يحضر، ولم يستطب الموضع فأمرنا بتضعيفه، ثم نمى إلى أنه انصرف، فقل له عن نفسك:أبيتك أبرد من بيتنا؟ أو طعامك أطيب من طعامنا؟ وتقول له عني: انصرافك الى بيتك وقت الغداء هجنة علينا، فلما عرفني الخادم ذلك، أقمت، فكنت علة هذه الحال، ثلاث عشرة سنة، وكان يقم لي مع ذلك في اليوم، سبعة وظائف من الخبز الخشكار، ووظيفة من الخبز السميد وسبعة ارطال من اللحم، ووعلوفة رأس وأجرى لي في الشهر الف درهم، ولقد جاءت سنة لفتنه، وعظم الأمر بالدقيق واللحم، فكتب اليه كاتبه على المطبخ، يعرفه ما هو فيه من عظم المؤنة، ويسأله احضار الجليدة، فيقتصر على ما لا بد منه،فأنفذها، فكان مشتملة على ثلاثة آلاف وستمائة انسان، فرأيت محمدا قد زاد فيها بخطه قوم اخرين، ووقع عليها: لست اقطع عن أحد ما عودته، ولاسيما من قال لى: أطعمنى الخبز، فاجرى الأمر على ما في الجريدة، واصبر على هذه المؤن فإما عشنا جميعاً وإما متنا جميعا. قال الزبيدي: وخلف كتب جليلة، فاوصى الى على ابن محمد الكوفي، أحد أعيان تلاميذه، وتقدم اليه في دفع كتبه الى أبي بكر أحمد بن إسحاق القطر بلى، فقال الزجاج للقاسم بن عبيد الله: هذه كتب جليلة، فلا تفوتنك، فاحضر خيران الوراقة، فقوم ما كان يساوى عشرة دنانير ثلاثة، فبلغت أقل من ثلاثمائة دينار، فأخذها القاسم بها. وقال أبو الطيب، عبد الواحد بن العلي اللغوي في كتاب مراتب النحويين: وانتهى علم الكوفيين الى ابن السكيت، وثعلب، وكان ثقتين امينين، ويعقوب أسن وأقدم موتا، وأحسن الرجلين تأليفاً، وكان ثعلب أعلهما بالنحو، وكان يعقوب يضعف فيه. قال ثعلب: كنت يوما عند ابن السكيب، فسألني عن شيء فصحته، وكان ثعلب شديد الحدة، قال: فقال لي لاتصح، فوالله ما سألت إلا مستفهماً وحدث أحمد ابن العسكري في كتاب التصحيف قال:وأخبرنا أبو بكربن الأنباري قال: حدثني أبي قال: قرأ القطر بلى على أبي العباس ثعلب بيت الأعشى:

فلو كنت في حب ثمانين قامة ... ورقيت اسباب السماء بسلم

فقال أبو العباس: خرب بيتك، هل رأيت حباً قط ثمانين قامة؟ إنما هو جب وحدث الخطيب قال: قال ثعلب: كنت أحب أن أرى ابن حنبل، فلما دخلت عليه قال لي: فيما تنظر؟ قلت: في النحو والعربية فأنشدني أبو عبد الله وهو لبعض بنى أسد:

إذا ما خلوت الدهر يوماًفلا تقل ... خلوت، ولكن قل علي رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ما يرى ... ولا أنما تخفي عليه يغيب
لهونا على الأثام حين تتابعت ... ذنوب على أثارهن ذنوب
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ... فيأذن في تواباتنا فتتوب

وحدث الخطيب قال: قال أبو محمد الزهري: كان لثعلب عزاء لبعض أهله فتأخرت عنه، لأن هفا علي، ثم قصدته معتذرا، فقال لى: يا أبا محمد، ما بك حاجة الى تكلف عذراً، فإن الصديق لايحاسب والعدو لايحتسب له وجدت بخط أبي الحسن، علي ابن عبيد الله، السميسمي اللغوي:حدثنا أبو محمد بن الحسن النوبختي، قال: حدثنا أبو الفتح، محمد ابن جعفر المراغي النحوي قال: حدثنا أبو بكر بن الخيار النحوي: كنت عند أبي العباس ثعلب في بعض الأيام، فسأله رجل وقد ساء سمعه، فقال له: يا أبا العباس، أعزك الله، ما الصوص؟ فقال له: الصوح اصل الجبل، فأعاد الرجل سؤاله، لعلمه بأن الشيخ ما فهم، فقال ثعلب: السوح جمع ساحة، فاعاد سؤال ثالثة،، فعلم ثعلب أنه ما فهم عن الرجل، قال: فقال له: أدن مني، فألقم أذني فاك وقل: ففعل ذلك، فلما فهم ثعلب سؤاله، قال: نعم، العرب تقول: رأيت صوصاً على أصوص، أي رجل نذل على ناقة الكلمة. حدث الزجاجي أبو القاسم، عن علي بن سليمان الأخفش قال: أخبرنا أحمد ابن يحيى ثعلب قال: قدم الرياشي بغداد، سنة ثلاثين ومائتين، فصرت إليه لأخذ عنه، فقال لي: أسألك عن مسألة؟ فقلت: نعم فقال: تجيز نعم الرجل يقوم؟ فقلت: نعم هي جائزة عند الجميع، أم الكسائي فيضمر، والتقدير عنده نعم الرجل رجل يقوم، لأن نعم عنده فعل، والفراء لايضمر، لأن نعم عند اسم، فيرفع الرجل بنعم، ويقوم الصلة للرجل. وأما صاحبك، يعني سيبويه: فإنه لايضمر شيئاً، ونعم عنده ايضا فعل، ولكن يجعل يقوم مترجماً وهو الذي يسمونه البدل، فسكت فقلت له: فأسألك عن مسألة؟ فقال: نعم فقلت: أيجوز يقوم نعم الرجل؟ فقال: جائز، فقلت: هذه خطأ عند الجميع، أما على مذهب الكسائي فانه لايولى الفعل فعل. فأما على مذهب الفراء: فان يقوم عنده صلة للرجل والصلة لاتتقدم على الموصول. وأما على مذهب سيبويه صاحبك: فأنه لايجوز، لأنه ترجمة، والترجمة إيضاح وتبين للجملة التي تتقدمها، ولايجوز تقديمها عليها. فقال: أنا تارك للعربية،فخذ فيما قصدت له، ففاتحته ايام الناس، والأخبار، والأشعار، ففتحت به سيح بحر. وحدث قال: أخبرنا على بن سليمان الأخفش قال: كنت يوما بحضرة ثعلب، فاسرعت القيام قبل انقضاء المجلس، فقال: الى أين؟ ما أراك تصبر عن مجلس الخلدي، يعني المبرد، فقلت له: لي حاجة،فقال لي: ان اراه يقدم البحتري على أبي تمام، فاذا اتيته،فقل له: ما معنى قول أبي تمام:

أألفته النحيب كما افتراق ... أظل فكان داعية اجتماع

قال أبو الحسن: فلما صرت إلى أبي العباس المبرد، سألته عنه، فقال: معنى هذا: أن المتحابين العاشقين قد يتصارمان ويتهاجران إذلالا، لا عزما على القطيعة، فاذا حان الرحيل وأحسا بالفراق، تراجعا إلى الود، وتلاقيا خوف الفراق، وأن يطول العهد بالالتقاء بعده، فيكون الفراق حينئذ سبباً للاجتماع، كما قال الآخر:

متعا باللقاء يوم الفراق ... مستجيرين بالبكا والعناق

كم أسرا هواهما حذر الناس ... وكم كاتما غليل اشتياق
فأظل الفراق فالتقيا فيه ... فراقا أتاهما باتفاق
كيف أدعو على الفراق بحتف ... وغداة الفراق كان التلاقي
قال: فلما عدت إلى ثعلب سألني عنه، فأعدت عليه الجواب والأبيات، فقال: ما أشد تمويهه!! ما صنع شيئاً، إنما معنى البيت، أن الانسان قد يفارق محبوبه، رجاء أن يغنم في سفره، فيعود الى محبوبه مستغنيا عن التصرف، فيطول اجتماعه معه، ألا تراه يقول في البيت الثاني:
وليست فرحة الأوبات إلا ... لموقوف على ترح الوداع
وهذا نظير قول الآخر، بل منه أخذ أبو تمام:

وأطلب بعد الدار لتقربوا ... وتسكب عيناي الدموع لتجمدا
هذا هو ذاك بعينه. وحكى ان ثعلباً خرج يوماً على أصحابه، وليس فيهم إلا كهل أو شيخ، فأنشد متمثلاً:
ألا ربما سؤت الغيور وبرحت ... بي الأعين النجل المراض الصحائح
فقد سادني أن الغيور يودني ... وأن نداماي الكهول الجحاجح
قلت أنا: إن هذا والله مليح جداً
وحدث جحظة في أماليه قال:كنت يوماً في مجلس ثعلب، فقال له رجل ياسيدي: ما البعجدة؟ قال: لا أعرفها في كلام العرب، فقال الرجل: فإني وجدتها في شعر عبد الصمد بن المعذل حيث يقول
أعاذلتي أقصري ... أبع جدتي بالمنن
فاغتاظ أبو العباس غيظاً عظيماً وقال: ياقوم، أجيدوا أذنيه عركاً، أو يحلف أنه لايرجع يحضر حلقتي، ففعلنا. قال أبو محمد عبد الرحمن ابن أحمد الزهري: كانت بيني وبين أبي العباس ثعلب مودة وكيدة، وكنت أستشيره في أموري، فجئته يوماً أشاوره في الانتقال من محلة الى محلة، لنأذي بالجيران. فقال: يا أبا محمد، العرب تقول: صبرك على أذى من تعرف، خير من استحداث ما لاتعرف. قال أبو عمر الزاهد: أنشدني أبو العباس ثعلب:
إذا ما شئت أن تبلو صديقاً ... فجرب وده عند الدراهم
فعند طلابها تبدو هنات ... وتعرف ثم أخلاق المكارم
وحدث الخطيب قال: كان بين المبرد وثعلب منافرات كثيرة، والناس مختلفون في تفضيل كل واحد منهما على صاحبه نقطة. قال: وجاء رجلا الى ثعلب فقال له: يا أبا العباس: قد هجاك المبرد، فقال بماذا؟ فأنشده:
أقسم بالمبتسم العذب ... ومشتكي الصبو الى الصب
لولا أخذ النحو عن الرب ... ما زاده إلا عمى القلب
فقال: أنشدني من أنشده أبو عمرو ابن العلاء:
يشتمني عبدو بمسمع ... فصنته عنه النفس والعرض
ولم أجبه لاحتقار له ... من ذا يعض الكلب إن عضى؟

وحدث أيضاً قال: قال: أبو العباس محمد بن عبيد الله ابن عبد الله، بن طاهر، قال لي ابي: حضرت مجلس أخي محمد ابن عبد الله، بن طاهر وحضره أبو العباس ثعلب، والمبرد، فقال لي أخي محمد، قد حضر هذان الشيخان فليتناظرا، قال: فتناظرا في شيء من علم النحو مما أعرفه، فكنت أشركهما فيه الى أن دققا، فلم أفهم، ثم عدت اليه، فلم أعرف ما المجلس؟ فسألني فقلت: إنهما تكلما فيما أعرف فشركهما ثم دققا، فلم أعرف ما قال، ولا والله ياسيدي ما يعرف أعلمهما إلا من هو أعلم منهما، ولست ذلك الرجل، فقال لي يا أخي: أحسنت والله، هذا أحسن، يعني اعترافه بذلك وقال لي أبو عمر الزاهد:سألت أبا بكر بن السراج فقلت: أي الرجلين أعلم؟ ثعلب أم المبرد فقال: ما أقول في رجلين، العالم بينهما؟ وحدث أبو عمر أيضاً قال: كنت في مجلس أبي العباس ثعلب فضجر، فقال له شيخ خضيب من الظاهرية: لو علمت مالك من الأجر في إفادة الناس، لصبرت على أذاهم، فقال لولا ذلك ما تعديت، ثم أنشد بعقب هذا:

يخللن بالقضبان كل مفلج ... به الظلم لايفلل لهن غروب

رضاب كطعم الشهد يجلو متونه ... من الظرو أو غضن الاراك قضيب

اولئك لولا هن ما سقت نضوة ... لحاج ولا استقبلت برد جنوب

وحدث أبو بكر بن مجاهد كنت عند أبي العباس ثعلب، فقال لي يا أبا بكر: اشتغل أصحاب القرآن بالقرآن ففازوا، واشتغل أهل الفقه بالفقه ففازوا، واشتغل أصحاب الحديث بالحديث ففازوا، واشتغلت أنا بزيد وعمرو، فليت شعري ما يكون حالف الآخرة؟فانصرفت من عنده، فرأيت تلك الليلة النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال لي:إقرأ أبا العبلس عني السلام وقل له: إنك صاحب العلم المستطيل. قال: الروض باري: أراد أن الكلام به يكمل، والخطاب به يجمل. وقال مرة أخرى: أراد أن جميع العلوم مفتقرة اليه.

وأنشد الخطيب قال: أنشد أبو العباس ثعلب:

بلغت من عمري ثمانين ... وكنت لا أمال خمسين

فالحمد لله وشكرا له ... إذا زاد في عمري ثلاثين

وأسأل الله بلوغا إلى ... مرضاته آمين أمين

ونقلت من كتاب محمد بن عبد الملك التاريخي في أخبار النحويين، فقال: أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد ابن ثعلب، الشيباني النحوي، فاروق النحويين، والمعاير على اللغويين، من الكوفيين والبصريين، أصدقهم لساناً وأعظمهم شأنا، وأبدعهم ذكراً، وأرفعهم قدراً، وأصحهم علماً، وأوسعهم حلماً وأتقنهم حفظاً، وأوفرهم حظاً من الدين والدنيا.

حدثني المفضل بن سلمة بن عاصم قال: رأس أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي، واختلف الناس إليه في سنة خمس وعشرين ومائتين، قال: وسمعت إبراهيم الحربي يقول: وقدتكلم الناس في الاسم والمسمى وقد كرهت لكم ولنفسي، ما كره أحمد بن يحيى ورضيت لكم ولنفسي، مارضي أحمد بن يحيى. قال: وكان أبو الصقر إسماعيل بن بلبل الشيباني قد ذكر أبا العباس ثعلبا للناصر لدين الله، الموفق بالله، وأخرج له رزقاً سنياً سلطانيا، فحسن موقع ذلك من أهل العلم والأدب وقال قائلهم لأبي الصقر، وأبي العباس في أبيات ذكرها:

فيا جبلي شيبان لا زلتما لها ... حليفي فخار في الورى وتفضل
فهذا اليوم الجود والسيف والقنا ... وأنت لبسط العلم غير مبخل
عليك أبا العباس كل معول ... لأنك بعد الله خير معول
فككت حدود النحو بعد انغلاقه ... وأوضحته شرحا وتبيان مشكل
فكم ساكن في ظل نعمتك التي ... على الدهر أبقى من ثبير ويذبل
فأصبحت للإخوان بالعلم ناعشا ... وأخصبت منه منزلاً بعد منزل

وذكر التاريخي وفاة الثعلب كما تقدم قال: وقال بعض أصحابنا يرثيه:

مات ابن يحيى فماتت دولة الأدب ... ومات أحمد أنحى العجم والعرب
فإن تولى أبو العباس مفتقدا ... فلم يمت ذكره في الناس والكتب

وللتاريخي في ثعلب شعر رثاه به، نذكره في بابه إن شاء الله تعالى قال التاريخي: وحدثني أبو الحصين البجلي قال: تقول أهل الكوفة:لنا ثلاثة فقهاء في نسق، فلم ير الناس مثلهم: أبو حنيفة، وأبو يوسف، ومحمد بن الحسن ولنا ثلاثة نحويين كذلك، وهم: أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي، وأبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، آخر مانقلناه من كتاب التاريخي وذكره محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست وقال: من الكتب: كتاب المصون في النحو جعله حدودا، كتاب اختلاف النحويين، كتاب معاني القرآن، كتاب مختصر في النحو سماه الموفقي، كتاب القراءات، كتاب معاني الشعر، كتاب التصغير، كتاب ما ينصرف وما لاينصرف، كتاب مايجرى وما لايجرى، كتاب الشواذ، كتاب الوقف والابتداء، كتاب الهجاء، كتاب استخراج الألفاظ من الأخبار، كتاب الأوسط، كتاب غريب القرآن لطيف، كتاب المسائل، كتاب حد النحو، كتاب تفسير كلام ابنة الخس كتاب الفصيح وذكر أن الفصيح تصنيف بن داود الرقي، وادعاه ثعلب وهذا له ترجمة قال: ولأبي العباس مجالسات وأمال أملاها على أصحابه في مجالسه، تحتوى على قطعة من النحو، واللغة، والأخبار، ومعاني القرآن، والشعر، رواها عنه جماعة وعمل أبو العباس قطعة من داووين العرب، وفسر غريبها كالأعشى والنابغتين وغيرهم. وسئل ثعلب عن معنى قولهم، لا أكلملك أصلاً فقال: معناه أقطع ذلك من أصله وأنشد:

بأهلي من لايقطع البخل رغبتي ... إليه وما لايزداد عن زغبتي بخلا
ومن قد لحاني الناس فيه فأكثر ... علي فكل الناس مغتظن ذحلا
وأمنحه صفو الهوى ولو أنه ... على البحر يسقي ما سقيت به سجلا
وما زلت تعتادين ود بالمنى ... وبالبخل حتى قد ذهبت به أصلا

قرأت في أمال أبي بكر ابن محمد، ابن القاسم الأنباري: أنشدنا أبو بكر لأحمد بن يحيى النحوي:

إذا كنت قوت النفس ثم هجرتها ... فلم تلبث النفس التي أن تقوتها؟
ستبقى بقاء الظب في الماء أو كما ... يعيش لدى ديمومة البيد حوتها

قال وزادنا أبو الحسن ابن البراء:

أغرك أن قد تصبرت جاهداً ... وفي النفس مني منك ماسيمتها
فلو كان مابي بالصخور لهدها ... وبالريح ماهبت وطال خفوقها

فصبرا لعل الله يجمع بينا ... فأشكو هموما منك كنت قد لقيتها

كذا كان في الكتاب، ولا أدري، أهذا الشعر لثعلب أم أنشأه لغيره؟ إلا أنه في هذا الكتاب لأحمد ابن يحيى كما ترى:

أحمد بن يحيى،، لمنجم

بن علي، بن يحيى، بن أبي منصورالمنجم أبو الحسن، قد ذكرنا آباءه في أبوابهم، وكان أبو الحسن هذا، أديبا، شاعرا، فاضلا، عالما، أحد رؤساء زمانه في علم الكلام، وعلوم الدين، والافتنان في الآداب مات في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، عن نيف وسبعين سنة، وله أخبار مع الراضي في منادمته إياه، ذكر ذلك كله المزرباني في المعجم قال ثابت: وفي ذي الحجة كانت وفاته، ومولده في سنة اثنتين وستين ومائتين، وكان يحيى بن علي أبوه، قد صنف كتاباً في أخبار الشعراء المخضرمين، فأتمه ابنه هذا وله من الكتب: كتاب أخبار أهله ونسبهم، كتاب الإجماع في الفقه، على مذهب ابن جرير الطبري، وكان يرى رأيه كتاب المدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه، كتاب الأوقات، وأبو الحسن هذا، هو القائل فيما رواه المزرباني:

ياسيدا قد راح فر ... دا ماله في الفضل توءم
عمرت أطول مدة ... تزداد تمكينا وتسلم
في صفو عيش لاتزا ... ل به العدى تقذي وترغم
مازلت في كل الأمر ... موفقا للخير ملهم
بك إن تذوكرت الأيا ... دي يبتدا فيها ويختم

أحمد بن يحيى،بن الوزير

،

بن سليمان، بن مهاجر مولى قيسبة بن كلثوم السوقي، سمع ابن الكلبي وعبد الله بن وهب، وكان فقيها من جلساء ابن وهب، وكان عالما بالشعر، والأدب، والأخبار، وأيام الناس، والأنساب يقال: كان مولده سنة إحدى وسبعين ومائة، وتوفى في حبس ابن المدبر، صاحب الخراج بمصر، لخراج كان عليه، ودفن يوم الأحد لاثنتين وعشرين ليلة خلت من شوال، سنة خمسين ومائتين، وكان من أهل مصر ذكر ابن يونس ذلك كله في تاريخ مصر.

أحمد ابن يحيى،السدي، الطائي

بن سهل بن السدي، الطائيأبو الحسن المنبجي، الشاهد، المقرئ، النحوي، الأطروش، ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق، وكان وكيلا في الجامع مات سنة خمس عشرة وأربعمائة روى عن أبي عبد الله بن مروان، وأبي العباس أحمد بن فارس، الأديب المنبجي، وأبي الحسن، نظيف بن عبد الله المقرئ، وغيرهم وكان يحفظ من أخبار أبي عبد الله بن خالويه النحوي، وكان ثقة، قال ابن عساكر: أنشدني ابن الأكفاني، عن ابن الأكفاني، عن أحمد بن يحيى، بن سهل المنبجي، أنشدني أبو العباس، أحمد بن فارس الأديب أنشدني ابن طباطبا لنفسه:

حسود مريض القلب يخفي أنينه ... ويضحى كئيب البال مني حزينة
يلوم على أن رحت للعلم طالبا ... أقلب من كل الرواة فنونه
وأختار أبكار الكلام وعونه ... وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لايجلب الغنى ... ويحسن بالجهل النميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمه كل الناس ما يحسنونه

أحمد بن يزيد، بن محمد المهلبي، أبو جعفر

أديب شاعر، راوية، له قصيدة مدح فيها الموفق، وهنأه بفتح مصر، منها:

قل للأمير هناك النصر والظفر ... وفيهما للإله الحمد والشكر
مافوق فتحك فتح في الزمان كما ... ما فوق فخرك يوم الفخر مفتخر

أحمد بن يعقوب، بن يوسف، أبوجعفر

النحوي، المعروف ببرزويه الأصبهاني، مات فيما ذكره الخطيب، سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، في ايام المطيع، فكان يعرف بغلام نفطويه أخذ عن أبي خليفة الفضل بن الحباب، ومحمد بن العباس اليزيدي، وغيرهما.

أحمد بن يعقوب، بن ناصح الأصبهاني

الأديب، أبو بكر النحوي، ذكره الحاكم فقال: هو نزيل نيسابور، وسمع بأصبهان محمد بن مندة الأصبهاني وأقرانه مات بنيسابور قبل الخمسين، وبعد الأربعين والثلاثمائة، وكتب عنه الحاكم، وأسند إليه في كتابه حديثين.

أحمد بن أبي يعقوب، إسحق بن جعفر

ابن وهب، بن واضح الأخباري العباسي، ذكره أبو عمر، محمد بن يوسف، بن يعقوب المصري الكندي المؤرخ في تاريخ له، ابتداه بسنة ثمانين ومائتين،قال إن أحمد بن إسحق بن واضح مولى بنى هاشم، توفي في

سنة أربع وثمانين ومائتين، وله تصانيف كثيرة، منها: كتاب التاريخ كبير، كتاب أسماء البلدان مجلد، وكتاب في أخبار الأمم السالفة صغير، كتاب مشاكلة الناس لزمانهم.

أحمد بن أبي يعقوب،يوسف بن إبراهيم

يعرف بابن الداية، كان أبوه ولد داية ابن المهدى، وأظن أن المعروف بابن الداية، هو يوسف، الراوي أخبار أبي يونس، والله أعلم وكان أبوه يوسف بن إبراهيم، يكنى أبا الحسن، وكان من جلة الكتاب بمصر، ولا أدري كيف كان انتقاله إليها عن بغداد وكان له مروءة تامة، وعصبية مشهورة.

قال أبو القاسم العساكري الحافظ: يوسف بن إبراهيم، أبو الحسن الكاتب، وأظنه بغدادياً: كان في خدمة ابراهيم بن المهدي، قدم دمشق سنة خمس وعشرين ومائتين، وحكى عن عيسى بن حكم الدمشقي، الطبيب النسطوري، وشكلة أم إبراهيم بن المهدي، وإسماعيل ابن أبي سهل، بن نوبخت، وأبي إسحق إبراهيم بن المهدي، وأحمد بن رشيد الكاتب،مولى سلام الأبرش، وجبرائيل بن بختيشوع الطبيب، وأيوب بن الحكم البصري، المعروف بالكسروي، وأحمد بن هارون الشرابي روى عنه ابنه أبو جعفرأحمد، ورضوان بن أحمد، بن جالينوس،وكان من ذوى المروءات، وصنف كتابا فيها أخبار المطيبين.

قال الحافظ: وبلغني عن أبي جعفر أحمد، بن يوسف قال: حبس أحمد بن طولون، يوسف بن إبراهيم والدي في بعض داره، وكان اعتقال الرجل في داره يؤيس من خلاصه، فكاد ستره أن ينتهك لخوف شمله عليه، وكان له جماعة من أبناء الستر تتحمل مئونة مقيمة لا تنقطع الى غيره، فاجتمعوا، وكانوا زهاء ثلاثين رجلا، وركبوا الى دار أحمد بن طولون، فوقفوا بباب له، يعرف بباب الخيل، وأستاذنوا عليه، فأذن لهم، فدخلوا إليه وعنده محمد بن عبد الله، بن عبد الحكم، وجماعة من أعلام مستورى مصر، فابتدءوا كلامه بأن قالوا: قد اتفق لنا – أيد الله الأمير – من حضور هذه الجماعة، وأشاروا الى ابن عبد الحكم والحاضرين مجلسه، ما رجونا أن يكون ذريعة الى ما نسأله، ونحن نرغب إلى الأمير في أن يسألهم عنا ليقف على أمرنا ومنازلنا، فسألهم عنهم، فقالوا: قد عرضت العدالة على أكثرهم، فامتنع منها، فأمرهم أحمد بن طولون بالجلوس، وسألهم تعريفه ماقصدوا له، فقالوا: ليس لنا أن نسال الأمير مخالفة ما يراه في يوسف بن إبراهيم، لأنه أهدى إلى الصواب فيه، ونحن نسأله أن يقدمنا إلى ما اعتزم عليه فيه، إن آثر قتله أن يقتلنا، إن آثر غير ذلك أن يبلغه، فهو في سعة وحل منه، فقال لهم: ولم ذلك؟ فقالوا: لنا ثلاثون سنة ما فكرنا في ابتياع شيء مما احتجنا إليه، ولا وقفنا بباب غيره، ونحن والله يا أمير، نرفض البقاء بعده، والسلامة إن شيء مكروه وقع به وعجبوا بالبكاء بين يديه، فقال أحمد بن طولون: – بارك الله عليكم – فقد كأفأتم إحسانه، وجازيتم إنعامه، ثم قال: أحضروا يوسف بن إبراهيم، فأحضر، فقال: خذوا بيد صاحبكم وانصرفوا، فخرجوا معه، وانصرف إلى منزله.

قال أبو جعفر أحمد بن يوسف بن إبراهيم: وبعث أحمد بن طولون في الساعة التي توفى فيها والدي، يوسف بن إبراهيم، بخدم فهجموا الدار، وطالبوا بكتبه، مقدرين أن يجدوا فيها كتابا من أحد ممن ببغداد، فحملوا صندوقين، وقبضوا علي وعلى أخي وصاروا بنا إلى داره، وأدخلنا إليه وهو جالس، وبين يديه رجل من

أشراف الطالبين، فأمر بفتح أحد الصندوقين، وأدخل خادم يده، فوقع يده على دفتر جراياته على الأشراف وغيرهم، فأخذ الدفتر بيده وتصفحه، وكان جيد الاستخراج، فوجد اسم الطالبي في الجراية، فقال له وأنا أسمع: كانت عليك جراية ليوسف بن إبراهيم؟ فقال له نعم: يأيها الأمير، دخلت هذه المدينة وأنا مملق فأجري علي في كل سنة مائتي دينار، أسوة بابن الأرقط، والعقيقي، وغيرهما ثم امتلأت يداي بطول الأمير، فاستعفيته منها، فقال لي:نشدتك الله أن لا قطعت سببا لي برسول الله صلى الله عليه وسلم، وتدمع الطالبي، فقال أحمد بن طولون: رحم الله يوسف بن إبراهيم، ثم قال: انصرفوا إلى منازلكم، فلا بأس عليكم، فانصرفنا فلحقنا جنازة والدنا، وحضر ذلك العلوى، وقضى حقنا، وقد أحسن مكافأة والدنا في خلفيه.

قال أبو جعفر: أحمد بن أبي يعقوب، يوسف بن إبراهيم، يعرف بابن الداية، من فضلاء أهل مصر ومعروفيهم، وممن له علوم كثيرة في الأدب، والطب والنجامة، والحساب، وغير ذلك وكان أبوه أبو يعقوب، كاتب إبراهيم بن المهدى ورضيعه، ألف كتابا في أخبار الطب، مات أحمد بن يوسف، في سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة، وأظنها سنة أربعين وثلاثمائة وله من التصانيف:سيرة أحمد بن طولون، كتاب سيراته إلى أبي الجيش خمارويه، كتاب سيرة هارون بن أبي الجيش، وأخبار غلمان بني طولون، كتاب المكافأة، كتاب حسن العقبى، كتاب أخبار الأطباء، كتاب مختصر المنطق، ألفه للوزير علي بن عيسى، كتاب ترجمته، كتاب الثمرة، كتاب أخبار المنجمين، كتاب أخبار إبراهيم بن المهدي، كتاب الطبيخ، وذكره ابن زولاق الحسن ابن ابراهيم، فقال: كان أبو جعفر رحمه الله في غاية الافتنان، أحد وجوه الكتاب الفصحاء، والحساب والمنجمين مجسطى أوقليدسي، حسن المجالسة، حسن الشعر، قد خرج من شعره أجزاء دخل يوما على أبي الحسن، على بن المظفر الكرخي، عامل خراج مصر، مسلما عليه، فقال له: كيف حالك يا أبا جعفر؟ فقال على البديهة:

يكفيك من سوء حالي إن سألت به ... أني إلى ثوب طمر في الكوانين

أحمد بن يوسف، بن القاسم، بن صبيح

الكاتب الكوفي أبو جعفر، من أهل الكوفة، كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون، وكان أخوه القاسم بن يوسف، يدعي أنه من بني عجل، ولم يدع أحمد ذلك، قال المرزباني: كان مولى لبني عجل، ومنازلهم بسواد الكوفة وزر أحمد للمأمون، بعد أحمد بن أبي خالد مات في قول الصولي في شهر رمضان، سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقال غيره: سنة اربع عشرة ومائتين، وكان أبوه يوسف يكنى أبا القاسم، وكان يكتب لعبد الله بن علي عم المنصور، وله شعر حسن وبلاغة، وكان أحمد وأخوه القاسم، شاعرين، أديبين، وأولادهما جميعا أهل أدب، يطلبون الشعر والبلاغة حكى عن المأمون وعبد الحميد بن يحيى الكاتب، وحكى عنه ابنه محمد بن أحمد، بن يوسف، وعلي بن سليمان الأخفش، وغيرهما قال الصولي: لما مات أحمد بن أبي خالد الأحول، شاور المأمون الحسن ابن سهل، فيمن يكتب له، ويقوم مقامه، فأشار عليه بأحمد بن يوسف، وبأبي عباد ثابت بن يحيى الرازي وقال: هما أعلم الناس بأخلاق أمير المؤمنين، وخدمته، وما يرضيه فقال له: إختر لي أحدهما،

فقال الحسن: إن صبر أحمد على الخدمة، وجفا لذاته قليلا، فهو أحبهما إلي، لأنه أعرق في الكتابة، وأحسنهما بلاغة، وأكثر علما، فاستكتبه المأمون، وكان يعرض الكتب ويوقع، ويخلفه أبو عباد إذا غاب عن دار المأمون، مترفعا عن الحال التي كان عليها أيام أحمد بن أبي خالد، وكان ديوان الرسائل، وديوان الخاتم والتوقيع، والأزمة، إلى عمرو بن مسعدة، وكان أمر المأمون يدور على هؤلاء الثلاثة حدث الصولي عن أبي الحارث النوفلي قال: كنت أبغض القاسم بن عبيد الله لمكروه نالني منه، وآلف أحمد بن يوسف الوزير، فلما مات أخوه الحسن، قلت على لسان ابن بسام:

قل لأبي القاسم المرجى ... قابللك الدهر بالعجائب
مات لك ابن وكان زينا ... وعاش ذو الشين والمعايب
حياة هذا كموت هذا ... فليس تخلو من المصائب

وانما أخذه من قول أحمد بن يوسف الكاتب، لبعض إخوانه من الكتاب، وقد مات له ببغا، وكان له أخ يضعف، فكتب إليه:

أنت تبقى ونحن طرا فداكا ... أحسن الله ذو الجلال عزاكا
فلقد جل خطب دهر أتانا ... بمقادير أتلفت ببغاكا
عجبا للمنون كيف أتتها ... وتخطت عبد الحميد أخاكا
كان عبد الحميد أصلح للمو ... ت من الببغا وأولى بذاكا
شملتنا المصيبتان جميعا ... فقدنا هذه ورؤية ذاكا

حدث أبو القاسم عبد الله بن محمد، بن باقيا الكاتب، في كتاب ملح الممالحة، قال: ولما خرج عبد الله بن طاهر من بغداد الى خراسان، قال لابنه محمد: إن عاشرت أحدا بمدينة السلام، فعليك بأحمد ابن يوسف الكاتب، فان له مروءة، فما عرج محمد حين انصرف من توديع أبيه على شيء، حتى هجم على أحمد، ابن يوسف في داره، فاطال عنده،ففطن له أحمد، فقال: يا جارية غدينا، فأحضرت طبقا وارغفة نقية، وقدمت الوانا يسيرة وحلاوة، وأعقب ذلك بأنواع من الأشربة في زجاج فاخر، وآلة حسنة، وقال: يتناول الأمير من أيها شاء، ثم قال له: إن رأى الأمير أن يشرف عبده ويجيئه في غد فانعم بذلك، فنهض وهو متعجب من وصف ابيه له، وأراد فضيحته، فلم يترك قائدا جليلا، ولا رجلا مذكورا من أصحابه، إلا عرفهم انه في دعوة أحمد بن يوسف، وأمرهم بالغدو معه، فلما أصبحوا قصدوا دار أحمد بن يوسف، وقد أخذ أهبته، وأظهر مروءته، فرآى محمد من النضائد والفرش والستور والغلمان والوصائف ما أدهشته، وكان قد نصب ثلاثمائة مائدة، وقد حفت بثلاثمائة وصيفة، ونقل الى كل مائدة ثلاثمائة لون في صحاف الذهب والفضة، ومثارد الصين، فلما رفعت الموائد، قال ابن طاهر: هل أكل من بالباب؟ فنظروا، فاذا جميع من بالباب قد نصبت لهم الموائد، فأكلوا، فقال: شتان بين يوميك يا أبا الحسن – كذا هذه الرواية، كناه بأبي الحسن – فقال أيها الأمير: ذاك قوتي وهذه مروءتي وحدث الصولي قال: كان من اول ما ارتفع به أحمد ابن يوسف، أن المخلوع لما قتل، أمر طاهر الكتاب أن يكتبوا إلى المأمون، فأطالوا، فقال طاهر، أريد أخصر من هذا،

فوصف له أحمد بن يوسف، فأحضره لذلك، فكتب أما بعد: فان المخلوع وإن كان قسيم أمير المؤمنين في النسب واللحمة، فقد فرق حكم الكتاب بينه وبينه في الولاية والحرمة، لمفارقته عصمة الدين، وخروجه عن اجماع المسلمين، قال الله عز وجل لنوح عليه السلام في ابنه: (يا نوح إنه ليس من أهلك، إنه عمل غير صالح) ولاصلة لأحد في معصية الله، ولاقطيعة ما كانت في ذات الله. وكتبت إلى أمير المؤمنين، وقد قتل الله المخلوع، وأحصد لأمير المؤمنين أمره، وأنجز له وعده، فالارض باكنافها أوطأ مهاد لطاعته، واتبع شيء لمشيئته، وقد وجهت الى أمير المؤمنين بالدنيا، وهي رأس المخلوع، وبالاخرة وهي البردة والقضيب،والحمد لله الأخذ لأمير المؤمنين بحقه، والكائد له من خان عهده، ونكث عقده، حتى رد الالفة، وأقام به الشريعة والسلام على أمير المؤمنين، ورحمة الله وبركاته، فرضى طاهر ذلك وأنفذه، ووصل أحمد بن يوسف وقدمه. وحدث محمد ابن عبدوس: انه لما حمل رأس المخلوع إليه وهو بمرو، أمر المأمون بانشاء كتاب عن طاهر ابن الحسين، ليقرأ على الناس، فكتبت عدة كتب لم يرضها المأمون، والفضل ابن سهل، فكتب أحمد بن يوسف هذا الكتاب، فلما عرضت النسخة على ذي الرياستين، رجع نظره فيها، ثم قال لأحمد ابن يوسف: ما أنصفناك، ودعا بقهر مانه، وأخذ القلم والقرطاس، وأقبل يكتب بما يفرغ له من المنازل، ويعد له فيها من الفرش والالات، والكسوة والكراع، وغير ذلك، ثم طرح الرقعة إلى أحمد ابن يوسف، وقال له: إذا كان في غد فاقعد في الديوان، وليقعد جميع الكتاب بين يديك، واكتب الى الآفاق. وحدث بما رفعه الى إبراهيم ابن إسماعيل قال: قال: كثر الطلاب للصلاة بباب المأمون، فكتب اليه أحمد بن يوسف: داعي نداك يا أمير المؤمنين، ومنادى جدواك، جمع الوفود ببابك، يرجون نائللك المعهود، فمن من يمت بحرمة، ومنهم من يدلى بخدمة، وقد أجحف بهم المقام، وطالت عليهم الايام، فإن رأى أمير المؤمنين أن ينعشه بسيبه، ويحقق حسن ظنهم بطوله، فعل، إن شاء الله تعالى، فوقع المأمون: الخير منبع، وأبواب الملوك مغان لطالب الحاجات، ومواطن لهم، ولذلك قال الشاعر:

يسقط الطير حيث يلتقط الحبب ... وتغشى منازل الكرماء

فاكتب اسماء من ببابنا منهم، وأحك مراتبهم، ليصل الى كل رجل قدر استحقاقه، ولاتكدر معروفنا عندهم بطول الحجاب، وتأخير الثواب، فقد قال الشاعر:

فإنك لن ترى طرد لحر ... كالصاق به طرف الهوان

حدث أحمد ابن أبي طاهر قال: كتب صديق لأحمد ابن يوسف الكاتب في يوم دجن اليه: يومنا ظريف النواحي، رقيق الحواشي، قد رعدت سماءه، وبرقت وحنت وارجحنت، وانت قطب السرور، ونظام الأمور، فلا تفردن منك فنقل، ولا تنفرد عنا فنذل، فان المرء بأخيه كثير، وبمساعدته جدير. قال: فصار أحمد بن يوسف الى الرجل، وحضرهم من أرادوا ثم تغيمت السماء، فقال أحمد بن يوسف:

أرى غيم تؤلفه جنوب ... وأحسب أن سياتينا بمطل

فعين الرأي أن تدعو برطل ... فتشربه وتدعو لي برطل

ونسقيه ندامانا جميعا ... فيغرقون منهم بغير عقل

فيوم الغيم يوم الغم إن لم ... تبادر بالمدامة كل شغل
ولاتكره محرمها عليها ... فإني لا أراه له بأهل

قال فغنى فيه عثعث اللحن المشهور: وأهدى أحمد بن يوسف هدية في يوم نوروز الى المأمون وكتب معها:

على المبدى حق فهو لا بد فاعله ... وإن عظم المولى وجلت فضائله
ألم ترنا نهدي الى الله ماله ... وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله
ولو كان يهدي للكريم بقدره ... لقصر فضل المال عنه ونائله
ولكننا نهدي الى من نعزه ... وإن لم يكن في وسعنا ما يعادله

وذكر الجهشاري قال:كان يكتب لعبد الله بن علي، يوسف بن صبيح، مولاى بني عجل، من ساكني سواد الكوفة، فذكر القاسم بن يوسف بن صبيح، أن أباه حدثه: أن عبد الله بن علي، لما استتر عند أخيه سليمان بالبصرة، علم أنه لاوزر له من أبي جعفر قال: فلما استتر، وقصدت اصحابنا الكتاب، فصرت في ديوان أبي جعفر، وأجرى لي في كل يوم عشرة دارهم، قال: فبكرت يوما الى الديوان قبل فتح بابه، ولم يحضر أحد من الكتاب، وإني لجالس عليه، إذا أنا بخادم لابي جعفر، قد جاء الى الباب فلم يد غيري، فقال لي: أجب أمير المؤمنين، فاسقط في يدي، وخشيت الموت، فقلت له: إن أمير المؤمنين لم يردني، فقال: وكيف؟ فقلت: لأني لست ممن يكتب بين يديه، فهم بالانصراف عني، ثم بدا له فأخذني وأدخلني، حتى اذا كنت دون الستر وكلا بي، ودخل ولم يلبث ان خرج، فقال لي: إدخل، فدخلت، فلما ضرب باب الايوان، قال لي الربيع:سلم على أمير المؤمنين، فشممت رائحة الحياة، فسلمت، فادناني وامرني بالجلوس، ثم رمى إلي بربع قرطاس وقال لي: اكتب وقارب بين الحروف، وفرج بين السطور، واجمع خطك ولاتسرف في القرطاس، وكانت معي دواة شامية، فنوقعت عن اخراجها، فقال لي يا يوسف: إنت تقول في نفسك، أنا بالأمس في ديوان الكوفة، اكتب لبني أمية، ثم مع عبد الله بن علي، وأخرج الساعة دواة شامية، إنك إنما كنت في الكوفة تحت يدي غيرك، وكنت مع عبد الله ابن علي، لي ومعي، والدوي الشامية أدب جميل، ومن أدوات الكتاب ونحن أحق بها. قال: فأخرجتها، وكتبت وهو يملي، فلما فرغت من الكتاب أمر به فأترب واصلح، وقال: دعه، وكل العناون الي، ثم قال لي: كم رزقك يايوسف في ديواننا؟ فقلت: عشرة دراهم، فقال: قد زادك أمير المؤمنين عشرة دراهم أخرى، رعاية لحرمتك بعبد الله ابن علي، ومثوبة لك على طاعتك، ونقاء ساحتك وأشهد أنك لو اختفيت باختفائه، لاخرجتك ولو كنت في حجرة النمل، ثم زايلت بين اعضائك، فدعوت له، وخرجت مسرورا بالسلامة. كان للمأمون جارية اسمها مؤنسة، وكانت تعني بأحمد ابن يوسف، وكان أحمد ابن يوسف يقوم بحوائجها، فأدلت على المأمون في بعض الأمور، فانكر عليها، وصار الى الشماسية ولم يحملها معه، فاستحضرت نصرة خاد أحمد بن يوسف، وحملته رسالة الى مولاه بخبرها، وسألته التلطف لاصلاح نية المأمون، فلم عرفه الخادم ذلك، دعا بدواته، وقصد الشماسية، فاستأذن على المأمون، فلما وصل اليه قال: أنا رسول، فاذن لي في تأدية الرسالة، فأنشده هذه الابيات:

قد كان عتبك مرة مكتوماً ... فاليوم أصبح ظاهرا معلوما

نال الأعادي سؤلهم، لاهنئوا، ... لما رأونا ظاعنا ومقيما
هبني أسأت فعادة لك أن ترى ... متجاوزا متفضلا مظلوما

قال: قد فهمت الرسالة، فكن الرسول بالرضى، ووجه بياسر الخادم فحملها، وكان موسى بن عبد الملك، في ناحية أحمد بن يوسف وهو خرجه، وقدمه، قال الحسن بن مخلد: حدثني، موسى ابن عبد الملك، وكان يرمي بابنة قال: وهب لي أحمد بن يوسف، وكان يعبث بموسى بن عبد الملك ويتعشقه، الف الف درهم في مرات، وكان عاتبه فيه محمد بن الجهم البرمكي، فكتب اليه أحمد بن يوسف:
لاتعذلني يا أبا جعفر ... لوم الاخلاء من اللوم
إن أسته مشربة حمرة ... كأنها وجنة مكلوم
فتقدم محمد الى البجلي، وكان في ناحيته، فأجابه:
لست بلا حيك على حبه ... ولست في ذاك بمذموم
لأنه في استه سخنة ... كأنها سخنة محموم
ذكر غرس النعمة في كتاب المفوات: حدثني محمد بن علي، بن طاهر، بن الحسين قال: كان أحمد بن يوسف يسقط السقطة بعد السقطة، فيتلف نفسه في بعض سقطاته، وذلك أنه حكى علي ابن يحيى، ابن أبي منصور: أن المأمون كان إذا تبخر طرح له العود والعنبر، فإذا تبخر أمر باخراج المجمرة، ووضعها تحت الرجل من جلسائه إكراما له وحضر أحمد بن يوسف يوما، وتبخر المأمون على عادته، ثم أمر بوضع المجمرة تحت أحمد بن يوسف، فقال: هاتوا ذا المردود، فقال المأمون: ألنا يقال هذا، ونحن نصل رجلا واحدا من خدمنا بستة آلاف دينار، إنما قصدن إكرامك، وأن أكون أنا وأنت، قد اقتسمنا بخورا واحدا ثم قال: يحضر عنبر، فأحضر منه شيء في الغاية من الجودة، في كل قطعة ثلاثة مثاقيل، وأمر أن تطرح قطعة في المجمر، ويبخر بها أحمد، ويدخل رأسه في زيقه حتى ينفد بخورها، وفعل به ذلك بقطعة ثانية، وثالثة، وهو يستغيث ويصيح، وانصرف الى منزله، وقد احترق دماغه واعتل، ومات سنة ثلاث عشرة ومائتين، وقيل: أربع عشرة ومائتين وكانت له جارية يقال لها نسيم، لها من قلبه مكان خطير، فقالت ترثيه:
ولو أن ميتا هابه الموت قبله ... لما جاءه المقدار وهو هيوب
ولو أن حيا جازه الردى ... إذا لم يكن للأرض فيه نصيب
وقالت أيضا ترثيه:
نفسي فداؤك لو بالناس كلهم ... مابي عليك تمنوا أنهم ماتوا
وللورى موتة في الدهر واحدة ... ولي من الهم والأحزان موتات
ومن شعر أحمد بن يوسف كتب به إلى صديق له:
تطاول باللقاء العهد منا ... وطول العهد يقدح في القلوب
أراك وإن نأيت بعين قلبي ... كأنك نصب عيني من قريب
فهل لك في الرواح إلى حبيب ... يقر بعينه قرب الحبيب

قال أحمد بن يوسف: وقد شتمه رجل بين يدي المأمون، للمأمون، قدو الله يا أمير المؤمنين، رأيته يستملي من عينيك ما يلقاني به.

وكتب الى إسحاق بن إبراهيم الموصلي، وقد أراده إبراهيم بن المهدي: من حق من أنا عبده، وحجتنا عليك، إعلامنا إياك، والسلام.

عندي من تبهج العيون به ... فإن تخلفت كنت مغبونا

وأهدى الى المأمون في يوم عيد هدية وكتب معها: هذا يوم جرت فيه العادة، بإهداء العبيد إلى السادة، وقد أهديت قليلا من كثير عندي، وقلت:

أهدي إلى سيده العبد ... ماناله الإمكان والوجد

وإنما أهدى له ماله ... يبدأ هذا ولذا رد

ومن شعره اللطيف:

إذا ما التقينا والعيون نواظر ... فألسننا حرب وأبصارنا سلم

وتحت استراق اللحظ منا مودة ... تطلع سرا حيث لايبلغ الوهم

وهو القائل في محمد بن سعيد، بن حماد الكاتب، وكان يميل إليه، وكان صبيا مليحا.

صد عني محمد بن سعيد ... أحسن العالمين ثاني جيد

صد عني لغير جرم إليه ... ليس إلا لحبه في الصدود

قال: وكان محمد بن سعيد يكتب بين يديه، فنظر إلى عارضه قد اختط في خده، فأخذ رقعة وكتب فيها:

لحاك الله من شعر وزادا ... كما ألبست عارضه الحدادا

أغرت على تورد وجنتيه ... فصيرت احمرارهما سوادا

ورمى بها إلى محمد بن سعيد، فكتب مجيبا: عظم الله أجرك فيي ياسيدي، وأحسن لك العوض مني.

ومن شعر أحمد بن يوسف:

كثير هموم النفس حتى كأنما ... عليه كلام العالمين حرام

إذا قيل ما أضناك أسبل دمعه ... يبوح بما يخفي وليس كلام

وعاش القاسم أخوه بعده، فقال يرثيه:

رماك الدهر بالحدث الجليل ... فعز النفس بالصبر الجميل

أترجو سلوة وأخوك ثاو ... ببطن الأرض تحت ثرى مهيل

ولمثل أخيك فلتبك البواكي ... لمعضلة من الخطب الجليل

زير الملك يرعى جانبيه ... بحسن تيقظ وصواب قيل

أخفاء

هولقب ولا أعرف اسمه، ولم أجد له ذكرا، إلا ما ذكره أبو بكر المبرمان، في الباب من كتابه في نكت كتاب سيبويه، في الفرق بين الكلم والكلام، فقال: وقال لي الملقب بأخثا: وكان أحد من رأينا من النحويين، الذين صحت لهم القراءة على أبي عثمان المازني، وكان موصوفا في اول نظره بالبراعة، مسلما له لاستغراقه الكتاب على أبي عثمان، ثم أدركته علة، فقال عن الحال الأولى كلاما أنا حاكيه، ورأيت أبا العباس ثعلبا يروم ذلك، وهو أن كل ما لفظ به ينقسم أقساما ثلاثة: قسم منه يكون للحدث، ولأسماء المدثين، ولأسماء الأمكنة والأزمنة، التي تقع فيها الأحداث، ولا اسم للجنس فيه، وذلك نحو الضرب، والقتل، والأخذ، والكلام، وما أشبه ذلك فإذا سئلت عن شيء من هذا، فقيل لك: ماهو؟ فجوابه أن تذكر الحدث المنقضى مع الزمان، وصنف منه يكون للأجناس، ولا اسم للأحداث فيه، ولا يكون حدثا، وهو كقولك: سفرجلة وسفرجل، فإذا سئلت عن ذلك، فجوابه أن تخبر عن صفة الشيء، فتقول: هو الذي لونه كذا، وجسمه كذا، ومركب من كذا، وصنف آخر يجمع الجنسين، وذلك نحو تمرة وتمر، فهذا من باب سفرجلة وسفرجل، ثم تقول: أتمر النخل يتمر إتمارا، فهذا إنما هو عبارة عن الحدث، فاذا سئلت ما التمر؟ فجوابه أن تقول: هو الجسم الذي من صفته كذا، ومن قده كذا، وفي داخله كذا، وإذا سئلت ما الاثمار؟ فجوابه أنه يمر الزمان بحره وبرده، وما فيه على البسر، فيتغير من حال إلى حال كذا، ثم يلين فيصير فيه الدبس وإنما تنبئ عن الأحداث التي تقع، وكذا كلمة وكلم في باب تمرة وتمر، فإذا قيل لك: ما الكلم؟ فالجواب هو الموضوع المتعارف بين الناس فاستعملوه، وهو الذي يسمونه: اسم، وفعل، وحرف، فإن قيل: فما الكلام؟ فجواب ذلك أن تقول: هو إجراء هذا الذي يسمونه كليما، وإخراجه بالصوت من الفم، فهو حدث، فالكلام حدث، والكلم موضوع الكلام الذي يستعمل، كزيد وضرب، وهل، وبل، فقد جمع الكلم أمرين، والكلام ليس كذلك، إنما هو لأمر واحد.

أسامة بن سفيان، السجزي النحوي

من نحاة سجستان وشعرائها، ذكره أبو الحسن البيهق في كتاب الوشاح، وأنشد له:

أبي النأى إلا أن يجدد لي ذكرى ... لمن ودعتني وهي لا تملك العبرا
وقالت: رعاك الله ماخلت أنني ... أراك تسلى أو تطيق لنا هجرا
وكانت ترى فرط العلاقة ساعة ... تغيبها عنا وإن قصرت شهرا
وتجزع من وشك الفراق فما لها ... على فرقة الأحباب أن نظهر الصبرا

ومنها في المديح:

وزير يرى المعروف يجمل ذكره ... فأرسل بين الناس معروفه غمرا
فم أقلعت يوما غمامة جوده ... ولاقطرت رشا ولا أخطأت قطرا
وما اختص يوما حاضرا دون غائب ... برفد ولا ذا فاقة دون من أثرى
وقد أمه الراجون من كل وجهة ... فأربى مرجاهم بواحدة عشرا

وقد كان يعطيهم وهم في ديارهم ... ولكن هوى أن يجمع الرفد والبشرا
رأى ماله مال العدى فأباده ... فلم يبق منه لا ولا منهم أثرا

أسامة بن مرشد، بن مقلد

ابن نصر، بن منقذ، بن محمد، بن منقذ، بن نصر، ابن هاشم، بن سوار، بن زياد، بن رغيب، بن مكحول، بن عمر، بن الحارث، بن عامر، بن مالك،ابن أبي مالك، بن عوف، بن كنانة، بن بكر، بن عذرة، ابن زيد اللات، بن رفيدة، بن ثور، بن كلب، بن وبرة، ابن ثعلب، بن حلوان، بن عمران، بن قضاعة، ابن مالك، بن حمير، بن مرة، بن زيد، بن مالك، بن حميد، بن سينا، بن يشجب، بن يعرب، بن قحطان، هكذا ذكر هو نسبه، وفيه اختلاف يسير، عند ابن الكلبي، ويكنى أبا أسامة، وأبا الظفر، ويلقب مؤيد الدولة، ومجد الدين، وفي بني منقذ جماعة أمراء شعراء، لكن أسامة أشعرهم وأشهرهم، وأنا أذكر لكل واحد من أهله وترجمته ما يليق، ولا أفرقهم.

ذكر عماد الدين أبو عبد الله، محمد بن محمد، بن حامد الأصفهاني في كتاب خريدة القصر، وفريدة العصر، وأثنى عليه كثيرا، فقال: ما زال بنو منقذ هؤلاء مالكي شيزر، وهي حصن قريب من حماة، معتصمين بحصانتها، ممتنعين بمناعتها، حتى جاءت الزلزله في سنة نيف وخمسين، فخربت حصنها، وأذهبت حسنها، وتملكها نور الدين، محمود بن زنكى عليهم، وأعاد بناءها، فتشعبوا شعبا، وتفرقوا أيدى سبا.

قال ابن عساكر: ذكر لي أسامة،أنه ولد سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وقدم دمشق، سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة ومات أسامة في الثالث والعشرين من رمضان، سنة أربع وثمانين وخمسمائة، ودفن بجبل قاسيون

قال العماد: وأسامة كاسمه، في قوة نثره ونظمه، يلوح من كلامه أمارة الإمارة، ويؤسس بيت قريضه عمارة العبارة، حلو المجالسة، حالى المساجلة، ندى الندى بماء الفكاهة، عالي النجم في سماء النباهة، معتدل التصاريف، مطبوع التصانيف، اسكنه عشق الغوطة، دمشق المغبوطة، ثم نبت به كما تنبو الدار بالكريم، فانتقل الى مصر، فبقى بها مؤمرا، مشارا إليه بالتعظيم الى أيام ابن رزيك، فعاد الى الشام، وسكن دمشق،مخصوصا بالاحترام، حتى أخذت شيزر من أهله، ورشقهم صرف الزمان بنبله ورماه الحدثان الى حصن كيفا، مقيما بها في ولده، مؤثرا لها على بلده، حتى أعاد الله دمشق الى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين، يوسف بن أيوب، سنة سبعين وخمسمائة، ولم يزل مشغوفا بذكره، مشتهرا باشاعة نظمه ونثره، والأمير العضد مرهف، ولد الأمير مؤيد الدولة، جليسة ونديمه وأنيسه.

قال مؤلف هذا الكتاب: وقد رأيت أنا العضد هذا بمصر، عند كونى بها، في سنتي إحدى عشرة واثنتي عشرة وستمائة، وأنشدني شيئا من شعره، وشعر والده قال: فاستدعاه الى دمشق، يعني: مؤيد الدولة، وهو شيخ قد جاوز الثمانين قال: وأنشدني العامرى من شعره بأصبهان، و كنت أتمنى لقياه، وأشيم على العبد حياه، حتى لقيته في صفر،سنة إحدى وسبعين بدمشق، وسألته عن مولده،فقال: ولدت فى السابع و العشرين من جمادى الآخر، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وأنشدنى لنفسه، البيتين اللذين سارا له فى قلع ضرسه:

وصاحب لاأمل الدهر صحبته ... يشقى لنفعى و يسعى سعى مجتهد
لم ألقه مذ تصاحبنا فحين بدا ... لناظرى افترقنا فرقة الأبد
وأنشدني لنفسه من قديم شعره:
قالوا نهته الأربعون عن الصبا ... وأخو المشيب يجور ثمت يهتدى
كم جار فى ليل الشباب فدله ... صبح المشيب على الطريق الأقصد
وإذا عددت سنى ثم نقصتها ... زمن الهموم فتلك ساعة مولدى
قلت أنا: هذا كلام نفيس، ومعنى لطيف، ولكنه أخذ معنى البيت الثانى، من قول ابن الرومى:
كفى بسراج الشيب فى الرأس هادياً ... إلى من أضلته المنايا لياليا
فكان كرامى الليل يرمى فلا يرى ... فلما أضاء الشيب شخصى رمانيا
وأخذ معنى البيت الأخير، من قول أبى فراس بن حمدان فى مزدوجته:
ما العمر ماطالت به الدهور ... العمر ماتم به السرور
أيام عزى ونفاذ أمرى ... هى التى أحسبها من عمرى
لو شئت مما قد قللن جدا ... عددت أيام السرور عدا
ولكن قول أسامة أبلغ في المعنى، وهذا ظاهر قال: وأنشدنى من قديم شعره:
لم يبق لي في هواكم أرب ... سلوتكم و القلوب تنقلب
أوضحتم لي سبل السلو وقد ... كانت لي الطرق عنه تنشعب

الإم دمعى من هجركم سرب ... قان وقلبى من غدركم يجب
إن كان هذا لأن تعبدني الحب ... فقد أعتقني الريب
أحببتكم فوق ما توهمه الناس ... وخنتم أضعاف ما حسبوا
وقوله أيضاً:
يادهر مالك لايصددك ... عن مساءتى العتاب
أمرضت من أهو ويأبى ... أن أمرضه الحجاب
لو كنت تنصف كانت الأم ... راض لي و له الثواب
أخذ هذا المعنى من قول الشاعر:
يا ليت علته لى غير أن له ... أجر المريض وأنى غير مأجور
قال العماد: وهذا الذى أوردته من شعره، نقلته من تاريخ السمعاني، فلم وردت إلى دمشق، وأجتمعت به، قلت له: هل لك معنى مبتكر فى الشيب؟ فأنشدني:
لو كان صد معاتبا ومغاضبا ... أرضيته وتركت خدي شائبا
لكن رأى تلك النضارة قد ذوت ... لما غدا ماء الشبيبة ناضبا
ورأى النهي بعد الغواية صاحبي ... فثنى العنان يريغ غيرى صاحبا

وأبيه ما ظلم المشيب وإنه ... أملي، فقلت عساه عني راغبا
أنا كالدجى لما تناهى عمره ... نشرت له أيدى الصباح ذوائبا
ومن شعره أيضا في محبوس:
حبسوك: والطير النواطق إنما ... حبست لميزتها على الأنداد
وتهيبوك وأنت مودع سحنهم ... وكذا السيوف تهاب في الأغماد
ما الحبس دار مهانة لذوى العلا ... لكنه كالغيل للآساد
ومنه قوله في الشمعة:
أنظر إلى حسن صبر الشمع يظهر ... للرائين نورا وفيه النار تستعر
كذا الكريم تراه ضاحكا جذلا ... وقلبه بدخيل الغم منفطر
وقوله أيضا:
نافقت دهري فوجهي ضاحك جذل ... طلق وقلبى كئيب مكمد باك
وراحة قلبي في الشكوى ولذتها ... لو أمكنت لا تساوى ذلة الشاكي
وقوله أيضا:
لئن غض دهر من جماحي أو ثنى ... عناني أو زلت بأخمصي النعل
تظاهر قوم بالشمات جهالة ... وكم إجنة في الصدر أبرزها الجهل
وهل أنا إلا السيف فلل حده ... قراع الأعادي ثم أرهفه الصقل
وقوله أيضا:
لا تحسدن على البقاء معمرا ... فالموت أيسر ما يئول إليه
وإذا دعوت بطول عمر لامرئ ... فاعلم بأنك قد دعوت عليه
قال العماد: وتناشدنا بيتا للوزير المغربي في وصف خفقان القلب، وتشبيهه بظل اللواء، الذى تخترقه الرياح وهو:
كان قلبى إذا عن ادكاركم ... ظل اللواء عليه الريح تخترق
فقال لى الأمير مؤيد الدولة أسامة: لقد شبهت القلب الخافق وبالغت في تشبيهه، وأربيت عليه فى قولى من أبيات وهي:
أحبابنا كيف اللقاء ودونكم ... عرض المهامه والفيافي الفيح
أبكيتم عينى دما لفراقكم ... فكأنما إنسانها مجروح
وكأن قلبى حين يخطر ذكركم ... لهب الضرام تعاورنه الريح
فقلت له: صدقت، فإن المغربى قصد تشبيهه خفقان القلب، وأنت شبهت القلب الواجب باللهيب، وخفقانه باضطرابه عند اضطرامه، لتعاور الريح، فقد أربيت عليه وأنشدني أيضا من قوله أيام شبابه، وهو معتقل فى الخيال.
ذكر الوفاء خيالك المنتاب ... فالم وهو بودنا مرتاب

نفسى فداؤك من حبيب زائر ... متعتب عندى له الأعتاب
ودى كعهدك والديار قريبة ... من قبل أن تتقطع الأسباب
ثبت فلا طول الزيارة ناقص ... منه وليس يزيده الإغباب
حظر الوفاء على هجرك طائعا ... وإذا اقتسرت فما علي عتاب
قال: وتذاكرنا قول أبي العلاء المعري:
لو حط رحلي فوق النجم رافعة ... ألفيت ثم خيالا منك منتظري
وأبلغ من هذا قول المعري في بعد المسافة:
وذكرت كم بين العقيق إلى الحمى ... فجزعت من أمد المدى المتطاول
وعذرت طيفك في الجفاء فإنه ... يسري فيصبح دوننا بمراحل
وأنشدني:
وأعجب ما لقيت من الليالي ... وأى فعالها بي لم يسؤنى؟

تقلب قلب من مثواه قلبي ... وجفوة من ضممت عليه جفني
قال: واجتمعنا عن الملك الناصر صلاح الدين، يوسف بن أيوب بدمشق، وكان يلعب بالشطرنج، فقال الأميرأسامة: ألا أنشدك البيتين اللذين قلتهما في الشطرنج؟ فقلت: هات، فأنشدنى لنفسه:
أنظر إلى لاعب الشطرنج يجمعها ... مغالبا ثم يعد الجمع يرميها
كالمرء يكدح للدنيا ويجمعها ... حتى إذا مات خلاها وما فيها
وأنشدني لنفسه في غرض له فى نور الدين محمود – رحمه الله – :
سلطاننا زاهد والناس زهدوا ... له فكل على الخيرات منكمش
أيامه مثل شهر الصوم خالية ... من المعاصي وفيها الجوع والعطش
قال: وأنشدني لنفسه:
أأحبابنا هلا سبقتم بوصلنا ... صروف الليالى قبل أن نتفرقا؟؟
تشاغلتم بالهجر والوصل ممكن ... وليس إلينا للحوادث مرتقى
كأنا أخذنا من صروف زماننا ... أمان ومن جور الحوادث موثقا
وقال ايضا:
قمر إذا عاينته شغفا به ... غرس الحياء بوجنتيه شقيقا
وتلهبت خجلا فلولا ماؤها ... مترقرق فيه لصار حريقا
وازور عنى مطرقا فأضلني ... أن أهتدى نحو السلو طريقا
فليلحنى من شاء فيه فصبوتى ... بهواه سكر لست منه مفيقا
وكتب إليه أبو الفوارس مرهف: من حض كيفا، كتابا على يد مسنمنح، فلم يمكن الوقت من بلوغ الغرض من البر، فكتب أسامة جوابه.

أبا الفوارس ما لاقيت من زمني ... أشد من قبضه كفي عن الجود
رأى سماحي بمنزور تجانف لي ... عنه وجودي به فاجتاح موجودي
فصرت إن هزني جان تعود أن ... يجبنى نداي رآني يابس العود
وقال أيضا:
سقوف الدور في خربت سود ... كستها النار أثواب الحداد
فلا تعجب إذا ارتفعت علينا ... فللحظ اعتناء بالسواد
بياض العين يكسوها جمالا ... وليس النور إلا في السواد
ونور الشيب مكروه وتهوى ... سواد الشعر أصناف العباد
وطرس الخط ليس يفيد علما ... وكل العلم فى وشى المداد
وله مدح صلاح الدين:
هو من عرفت فلو عصاه نهاره ... لرماه نقع جيوشه بالغيهب
وله في الهزل:
خلع الخليع عذاره في فسقه ... حتى تهتك فى بغا ولواط
يأتي ويؤتى ليس ينكى ذا ولا ... هذا كذلك إبرة الخياط
قال العماد: وكان قد سألني أن أنتجز له مطلوبا عند الملك الناصر، صلاح الدين، فكتب إلى يستحثنى:
عماد الدين مولانا جواد ... مواهبه كمنبل السحاب
يحكم في مكارمه الأمانى ... ولو كلفنه رد الشباب
وعذرك في قضا شغلى قضاء ... يصرفه فما عذر الجواب
ولمؤيد الدولة أسامة بن منقذ، تصانيف حسان، منها: كتاب القضاء، كتاب الشيب والشباب، ألفه لابيه، كتاب ذيل يتيمة الدهر للثعالبي، كتاب تاريخ أيامه، كتاب في أخبار أهله رأيته ومن شعر الأمير الأجل مؤيد الدولة، مجد الدين أسامة بن منقذ:
صديق لنا كالبحر قد أهلك الورى ... ولم تنههم أخطاره عن ركوبه
مودته تحكيه صفوا وخبرها ... كمشربه من حوبه وذنوبه
ومنه أيضا:
كنت بين الرجاء واليأس منه ... أقطع الدهر بين سلم وحرب
ألتقى عتبه بأكرم إعتاب ... ويلقى ذلى بتيه وعجب
فبدا للملول أنى لو رمت ... سلوا لما سلا عنه قلبي
فتجنى لي الذنوب ولا والله ... ما لي ذنب سوى فرط حبي
ومنه أيضا:
أنظر بعينك هل ... ترى أحد يدوم على المودة؟
فترى أخلاء الصفاء ... عدى إذا نابتك شده

ومنه أيضا

تنكرني الإخوان حتى ثقاتهم ... وحذرني منهم نذير التجارب
كأني إذا أودعت سري عندهم ... رفعت بنار فوق أعلى المراقب

قال العماد: وكتبها إلى دمشق بعد خروجه إلى مصر، في أيام بني الصوفي يشير إليهم:

ولوا فلما رجونا عدلهم ظلموا ... فليتهم حكموا فينا بما علموا
ما مر يوما بفكري ما يريبهم ... و لا سعت بي إلى ما ساءهم قدم
ولا أضعت لهم عهدا ولااطلعت ... على ودائعهم في صدري التهم
محاسني منذ ملوني بأعينهم ... قذى، وذكري في آذانهم صمم
وبعد لو قيل لي ما تحب وما ... تختار من زينة الدنيا لقلت هم
هم مجال الكرى من مقلتي ومن ... قلبي محل المنى جاروا أو احترموا
تبدلوا بي ولا أبغي بهم بدلا ... حسبي بهم أنصفوا في الحكم أم ظلموا
ياراكبا تقطع البيداء همته ... والعيس تعجز عما تدرك الهمم
بلغ أميري معين الدين مألكة ... من نازح الدار لكن وده أمم
هل في القضية يا من فضل دولته ... وعدل سيرته بين الورى علم
تضيع واجب حقي بعد ما شهدت ... به النصيحة والخلاص والخدم
إذا نهضت إلى مجد تؤثله ... تقاعدوا، وإذا شيدته هدموا
وإن عرتك من الأيام نائبة ... فكلهم للذي يبكك يبتسم
وكل من ملت عنه قربوه ومن ... ولاك فهو الذي يقي ويهتضم
أين الحمية والنفس الأبية إذ ... ساموك خطة خسف عارها يصم؟
هلا أنفت حياء أو محافظة ... من فعل ما أنكرته العرب والعجم
أسلمتنا وسيوف الهند مغمدة ... ولم يرو سنان السمهري دم
وكنت أحسب من والاك في حرم ... لايعتريه به شيب ولا هرم
وأن جارك جار للسموءل لا ... يخشى الأعادي ولاتغتاله النقم
هبنا جنينا ذنوبا لا يكفرها ... عذر فماذا جنى الأطفال والحرم

ومنها:

لكن رأيك أدناهم وأبعدني ... فليت أنا بقدر الحب نقتسم
ولا سخطت بعادي إذ رضيت به ... ولا لجرح إذا أرضاكم ألم
تعلقت بحبال منك يدي ... ثم انثنت وهي صفر ملؤها ندم
لكن فراقك آساني وأسقمني ... ففي الجوانح نار منه تضطرم
فاسلم فما عشت لي فالدهر طوع يدي ... وكل ما نالني من بؤسه نعم

ومن شعره أيضا:

إلق الخطوب إذا طرقن بقلب محتسب صبور

فسينقضي زمن الهموم ... كما انقضى زمن السرور

فمن المحال دوام حال ... في مدى العمر القصير

وتوفى بعد الثمانين والخمسمائة. ومنهم أخوه أبو الحسن على بن مرشد، بن على بن مقلد، بن منقذ، سيد بنى منقذ، ورد بغداد حاجا بعد العشرين والخمسمائة. وقد ذكره السمعاني في تاريخه، وأنشد له:

ودعت صبري ودمعي يوم فرقتكم ... وما علمت بأن الدمع يدخر

وضل قلبي عن صدري فعدت بلا ... قلب فياويح ما آتى وما أذر

ولو علمت ذخرت الصبر مبتغيا ... إطفاء نار بقلبي منك تستعر

قال الأمير علي بن مرشد: سمعت دربابا يصيح بدرب حبيب فقلت فيه:

ياطائرا لعبت أيدى الفراق به ... مثلى فأصبح ذا هم وذا حزن

داني الأسى، نازح الأوطان مغتربا ... عن الأحبة مصفودا عن الوطن

بلا نديم ولاجار يسر به ... ولاحميم ولا دار ولا سكن

لكن نطقت فزال الهم عنك ولى: ... هم يقلقل أحشائي ويخرسني

وكل من باح بالشكوى استراح ومن ... أخفى الجوى بث عنه شاهد البدن

أرقت عيني بنوح لست أفهمه ... مع مابقلبى من وجد يؤرقني

وما بكيت ولي دمع غواربه ... إذا ارتمت منه لم تنشق بالسفن

قال: وكتب إلى صديق له:

ما فهت مع متحدث متشاغلا ... إلا رأيتك خاطرا فى خاطرى

ولو استطعت لزرت أرضك ماشيا ... بسواد قلبى أو بأسود ناظرى

وكتب إلى أخيه مؤيد الدولة أسامة، وهو بالموصل:

ألا هل لمخزون تذكر إلفه ... فحن وأبدى وجده من يعنيه

وعيشا معنى بالرغم إذ نحن جبرة ... ترف على روض الوصال عصونه

لدي منزل كان السرور قرينكم ... به فتولى إذ تولى قرينه

فلو أعشبت من فيض دمعي محوله ... لما رضيت عن دمع عيني جفونه

قال: وأنشدنى له ابن أخيه، الأمير مرهف بن أسامي:

لأشكرن النوى والعيس إذ قصدت ... بى معدن الجود والإحسان والكرم

فسرت في وطني إذ سرت من وطنى ... فمن رأى صحة جاءت من السقم؟

وقد ندمت على عمر مضى أسفا ... إذ لم أكن لك جارا فيه في القدم

فاسلم ولا زلت محروس العلا أبدا ... ما لاحت الشهب في داج من الظلم

وقال أخوه أسامة بن مرشد: ونقلت من خط أخى عز الدولة، أبي الحسن، علي بن مرشد، من شعره، وكان استشهد رحمه الله على عزة فى شهر رمضان، سنة خمس وأربعين وخمسمائة، فى حرب الفرنج لعنهم الله قبل أن يكمل من شعره، وكان تقطر به فرسه على باب غزة، واستعلى الفرنج على أصحابه، فانكشفوا عنه، وبقى في المعركة فقتل، وأنشد له أشعارا، منها قوله فى مرض طال به:

ظننت، وظن الألمعى مصدق ... بأن سقام المرء سجن حمامه

فإن لم يكن موت صريح فإنه ... عذاب تمل النفس طول مقامه

وكم يلبث المسجون في قبضة الأذى ... يجرب فيه الموت غرب حسامه

وأنشد له قوله عند رحيله عن بغداد إلى الحجاز

ترحلت عن بغداد لا كارها لها ... وفى القلب منها لوعة وحريق

فسقيا لأيام تقضت بربعها ... إذ العيش غض والزمان أنيق

بإخوان صدق ليس فيهم مشاهق ... وكلهم حان على شفيق

وأنشد له أيضا:

ولما أعرتني النوى منك نظرة ... أحب إلي قلبي من البارد العذب

تعقبها البين المشت فليتنا ... بقينا على تأميلنا لذة القرب

وأنشد له:

ليت شعري علام صدك عنا ... بعد ما كنت تدعي الأشواقا؟

لاتجار الزمان سبقا إلى الهجر ... فما زال صرفة سباقا

أنت غر بغدره فلهذا ... قد تعجلت بالصدود الفراق

وأنشد له:

بنى أبى إن عدا دهر ففرقنا ... فهم نفسى بكم ما عشت مجتمع

هل تعلمون الذى فى النفس من أسف ... عليكم وحنين ليس ينقطع

ترحتم أدمعى حتى لقد محلت ... جفون عيني ومات اليأس والطمع

وإن دهرا رمى عن جيده درا ... أمثالكم لزمان عاطل ضرع

ومنهم جده سديد الملك، أبو الحسن، علي مقلد، بن منقذ، وكان من شرطه أن يقدم على بنيه قال: هو جد الجماعة، موفور الطاعة، أحكم آساس مجده وشادها، وفضل أمراء ديار بكر والشام وسادها.

قال أبو يعلى حمزة بن أسد: في سنة أربع وسبعين وأربعمائة فى رجب، ملك الأمير أبو الحسن، علي بن مقلد، بن منقذ، حصن شيزر، من الأسقف الذى كان فيه بمال بذله له، وأرغبه فيه إلى أن حصل فى يده، وشرع فى عمارته وتحصينه، والمصانعة عنه إلى أن تمكنت حاله فيه، وقويت نفسه فى حمايته، والمدافعة عنه والأمير سديد الملك، هو ممدوح فحول الشعراء، الذي امتدحه ابن حيوس بقصيدته التي أولها – وكتبها إليه من طرابلس وهو بحلب – :

أما الفراق فقد عاصيته فأبى ... وطالت الحرب إلا أنه غلبا

أرانى البين لما حم عن قدر ... وداعنا كل جد بعده لعبا

قال: وسألت ابن ابنه الأمير أسامة بن مرشد، ابن على عن وفاة جده، فقال: مات سنة خمس وسبعين وأربعمائة، قال: وأنشدني مجد العرب العامري بأصبهان قال: أنشدني الأمير أبو سلامة مرشد لأبيه الأمير، أبى الحسن علي بن مقلد فى غلام له ضربه، وقد أبدع في هذا المعنى وأعرب:

أسطو عليه وقلبى لو تمكن من ... كفى غلهما غيظا إلى عنقي

وأستعير إذا عاتبته حنقا ... وأين ذل الهوى من عزة الحنق

قال وأنشدني له أيضا:

ماذا النجيع بوجنتيك وليس من ... شدخ الأنوف على الخدود رعاف

ألحاظنا جرحتك حين تعرضت ... لك أم أديمك جوهر شفاف

وقرأت له في مجموع.

إذا ذكرت أياديك التى سلفت ... مع سوء فعلي وزلاتى ومجترمي

أكاد أفتل نفسى ثم يمنعني ... علمى بأنك مجبول على الكرم

وله أيضا:

من كان يرضى بذل فى ولايته ... من خوف عزل فإنى لست بالراضي

قالوا فنركب أحيانا فقلت لهم ... تحت الصليب ولا فى موضع القاضى

وله أيضا:

لاتعجلوا بالهجر إن النوى ... تحمل عنكم مؤنة الهجر

وظاهرونا بوفاء فقد ... أغناكم البين عن الهجر

وله أيضا:

ألقي المنية فى درعين قد نسجا ... من المنية لا من نسج داود

إن الذى صور الأشياء صورني ... نارا من البأس في بحر من الجود

وهذان البيتان يرويان لعبد المؤمن ملك الغرب، ولسديد الملك، من مجموع أسامة:

كيف السلو وحب من هو قاتلي ... أدنى إلي من الوريد الأقرب

إنى لأعمل فكرتى فى سلوة ... عنه فيظهر فى ذل المذنب

وله أيضا:

بكرت تنظر شيبي ... وثيابي يوم عيد

ثم قالت لى بهزء ... يا خليقا في جديد

لاتغالطني فما تص ... لح إلا للصدود

قال العماد: أنشدت هذه الأبيات والقطع جميعها، الأمير مؤيد الدولة أسامة، فى سنة اثنتين وسبعين، فأنكر أن يكون لجده سوى البيتين اللذين أولهما: لاتعجلوا بالهجر إن النوى وأنشدني لجده، وكان كتب بها إلى

القاضي جلال الملك، أبى الحسن علي بن عمارة، صاحب طرابلس:

أحبابنا لو لقيتم فى مقامكم ... من الصبابة ما لاقيت فى ظعنى

لأصبح البحر من أنفاسكم يبسا ... كالبر من أدمعي ينشق بالسفن

ومنهم الأمير أبو سلامة، مرشد بن علي، بن مقلد، ابن نصر، بن منقذ،وولد المقدم ذكره، له البيت القديم، والفضل العميم، من فروع الأملاك، الفارعى الأملاك.

قال السمعاني في تاريخه: رأيت مصحفا بخطه، كتبه بماء الذهب على الطاق الصورى، ما رأيت ولا أظن أن الرائين رأوا مثله، فقد جمع إلى فضائله حسن خطه، وتقدم بحسن تدبيره على رهطه وأسن وعمر، وله أولاد نجباء أمجاد، كرماء أجواد، وكان مولده سنة ستين وأربعمائة، ومات بشيزر، سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة، فيما حكاه ولده أسامة للسمعاني. وذكره مجد العرب أبو فراس العامري، وقال: كنت مقيماً مدة بشيزر في كنفهم، حاظيا برفدهم، ساميا بشرفهم وأثنى على خلفهم، وترحم على سلفهم، قال: وكان الأمير حينئذ بقلعة شيزر: السلطان أبو العساكر أخوه، وهو ممدوحي الذى حباني الإكرام والإحسان، وكان الأمير مرشد يقربني ويكرمني، وقال فى أبياتا منها

لئن نسى امرؤ عهدا فإني ... لعهد أبي الفوارس غير ناس

وما عاش الأمير أبو فراس ... فما مات الأمير أبو فراس

كنية العامري أبو فراس الآخر، وهو أبو فراس بن حمدان، وكان العامري ينبجح بالبيتين، وذكر السمعاني في تاريخه، أنشدني ولده أبو عبد الله محمد ابن مرشد، بن علي، بن مقلد بن منقذ، من حفظه عند القبة التى فيها قبر أيوب النبى صلى الله عليه وسلم، عند عقبة أفيق، بنواحى الأردن قال، وأنا قائم أكتب، وهو وغلمانه على الخيل قال: أنشدني والداى المرشد بن على لنفسه بشيزر:

ظلوم أبت فى العلم إلا التماديا ... وفى الصد والهجران إلا تناهيا

شكت هجرنا والذنب فى ذاك ذنبها ... فيا عجبا من ظالم جاء شاكيا

وطاوعت الواشين في وطالما ... عصيت عذولا فى هواها وواشيا

ومال بها تيه الجمال إلى العلا ... وهيهات أن أمسى لها الدهر قاليا

ولا ناسيا ما استودعت من عهودها ... وإن هي أبدت جفوة وتناسيا

ومنها فى العتاب:

وقلت: أخى يرعى بني وأسرتي ... ويحفظ فيهم عهدتي وذماميا

ويجزيهم ما لم أكلفه فعله ... لنفسي فعد أعددته من تراثيا

فأصبحت صفر الكف مما رجوته ... أرى اليأس قد غطى سبيل رجائيا

فما لك لما أن حنى الدهر صعدتي ... وثلم مني صارما كان ماضيا

تنكرت حتى صار برك قسوة ... وقربك منهم جفوة وتناسيا

على أننى ماحلت عما عهدته ... ولا غيرت هذي الشؤون ودياديا

فلا زعزعتك الحادثات فإنني ... أراك يميني والأنام شماليا

قال: وقرأت فى بعض الكتب كلمة نظمها الخطيب أب الفضل، يحيى بن سلام الحصكفي، فى جواب رسالة وصلته من الأمير على بن مرشد من شيزر، وهى:

حوى مرشد وابناه غر المناقب ... وحلوا من العلياء أعلى المراتب

ذوائب مجد ما علمت بأنهم ... من العلم أيضا فى الذرى و الذوائب

أنت من على روضة جاد روضها ... سحائب فضل لا كجود السحائب

بأبيات شعر أفحمت كل شاعر ... وآيات نثر أعجبت كل خاطب

وغر معان أعجزن كل عالم ... وأسطر خط أرعشت كل كاتب

وربع لورد واقد لمطالع ... ربيع لوفد وارد بمطالب

وخود رمت بالسحر عن قوس حاجب ... لها في العلا فخر على قوس حاجب

فلو قطبت بوما لما قطبت لها ... وجوه ولا غطت على حكم شارب

ومنهم حميد بن مالك، بن مغيث، بن نصر، بن منقذ، بن محمد، بن منقذ، بن نصر، بن هاشم، أبو الغنائم، الملقب بمكين الدولة، ولد بشيزر في تاسع جمادي الآخرة، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، ونشأ بها، وانتقل إلى دمشق، فسكنها مدة طويلة، وكتب فى العسكر، وكان يحفظ القرآن، وله شعر جيد، وفيه شجاعة وعفاف، ومات فى نصف شعبان، سنة أربع وستين وخمسمائة بحلب، ومن شعره:

ما بعد جلق للمرتاد منزلة ... ولا كسكانها فى الأرض سكان

فكلها لمجال الطرف منتزه ... وكلهم لصروف الدهر أقران

وهم وإن بعدوا عنى بنسبتهم ... إذا بلوتهم بالود إخوان

وقال في أخيه يحيى:

بالشام لي حدث وجدت بفقده ... وجدا يكاد القلب منه يذوب

فيه من البأس المهيب صواعق ... تخشى ومن ماء السماء قليب

فارقت حتى حسن صبرى بعده ... وهجرت حتى النوم وهو حبيب

قال الحافظ علي بن الحسن، بن هبة الله، وأنشدنا لنفسه:

يذكرني يحيى الرماح شوارعا ... وبيض المواضى جردت للوقائع

وأقسم ما رؤياه في العين بهجة ... بأحسن من أوصافه فى المسامع

قال: وأنشد لنفسه:

وسلافة أزرى احمرار شعاعها ... بالورد والوجنات والياقوت

جاءت مع الساقى تنير بكأسها ... فكأنها اللاهوت فى الناسوت

قال: وأنشدنا لنفسه فى صديق له يعاتبه:

أدنو بودى وحظى منك يبعدنى ... هذا: لعمرك عين الغبن والغبن

وإن توخيتني يوما بلائمة ... رجعت باللوم إبقاء على الزمن

وحسن ظنى موقوف عليك فهل ... غيرت بالظن بى عن رأيك الحسن

ومنهم الأمير شرف الدين، أبو الفضل، إسماعيل بن أبى العساكر، سلطان بن علي، بن منقذ، كان أبوه عم مؤيد الدولة، أسامة بن مرشد، أمير شيزر، وكان شابا فاضلا، سكن لما أخذت منهم شيزر بدمشق، ومات بها سنة إحدى وستين وخمسمائة، قال العماد: وسمعت من شعره:

ومهفهف كتب الجمال بخده ... سطرا يحير ناظر المتأمل

بالغت في استخراجه فوجدته ... لا رأى إلا رأى أهل الموصل

وذكره ابن عمه الأمير مرهف بن أسامة، وأثنى عليه، وأنشدنى له أشعاراً منها بيتان فى النحل والزنبور وهما:

ومغردين ترنما فى مجلس ... فنفاهما لأذاهما الأقوام

هذا يجود بما يجود بعكسه ... هذا فيحمد ذا وذاك يذام

يعنى العسل من النحل، وعكسه اللسع من الزنبور وأنشدنى أيضا له:

سقيت كأس الهوى علا على نهل ... فلا تزدني كأس اللوم والعذل

نأى الحبيب فبى من نأيه حرق ... لو لابست جبلا هدت قوى الجبل

ولو تطلبت سلوانا لزدت هوى ... وقد يزيد رسوبا نهضة الوحل

عفت رسومي فعج نحوى لتندبني ... فالصب غب زيال الحب كالطلل

صحوت من قهوة تنفى الهموم بها ... لكنني ثمل من طرفة الثمل

أصبر النفس عنه وهى قائلة ... مالى بعادية الأشواق من قبل

كم ميتة وحياة ذقت طعمهما ... مذ ذقت طعم النوى لليأس والأمل

والنفس إن خاطرت فى غمرة وألث ... منها وإن خاطرت فى الوجد لم تثل

لها دروع تقيها من سهام يد ... لهل دروع تقيها أسهم المقل

فانظر إليه تر الأقمار فى قمر ... وانظر إلى تر العشاق فى رجل

بأى أمر سأنجو من هوى رشا ... فى جفنه سحر هاروت وسيف على

إذا رمى طرفه باللحظ قال له ... قلبى أعد لا رماك الله بالشلل

أمن بني الروم ذا الرامي الذى فتكت ... سهامه بالورى أم من بني ثعل؟

إن خفت روعة هجران الحبيب فقد ... أمنت في حبه من روعة العذل

ومنهم الأمير أبو الفتح، يحيى بن سلطان، بن منقذ، لقبه فخر الدولة، ذكره الأمير مرهف بن أسامة، وذكر أنه قتل على بعلبك، فى سنة أربعين وخمسمائة وأنشدنى من شعره، ما كتبه إلى أبيه عز الدين، يطلب منه رمحا:

يا خير قوم لم يزل مجدهم ... فى صفحات الدهر مسطورا

عبدك يبغى أسمرا ذكره ... ما زال بين الناس مذكورا

مسدد والجور من شأنه ... إن نال، وترا صار موتورا

فإن تفضلت به عاد عن ... صدور أعدائك مكسورا

ومنهم الأمير عز الدولة أبو المرهف، نصر بن مقلد، بن نصر، بن منقذ، عم مؤيد الدولة أسامة، قال العماد: كنا حضرنا عند الملك الناصر ليلة بدمشق، سنة إحدى وسبعين، والأمير مؤيد الدولة حاضر، وتناشدنا ملح القصائد، ونشدنا ضالة الفوائد، وجرى حديث اقتضى إنشاد الأمير أسامة بيتين لبعضهم فى المشط الأبيض، وهما لأبى الحسن، أحمد بن محمد، بن الدريدة المغربي، كان فى زمن بنى صالح:

كنت أستعمل السواد من الأمشاط ... والشعر فى سواد الدياجي

أتلقى مثلا بمثل فلما ... صار عاجا سرحته بالعاج

ثم قال الأمير: وقد أخذ هذا المعنى، عمى نصر وعكسه، وقال:

كنت أستعمل البياض من الأمشاط ... عجبا بلمتى وشبابي

فاتخذت السواد فى حالة الشيب ... سلوا عن الصبا بالتصابي

وقال لى الأمير أسامة: كان عمى نصر قد أخرج حجة عن والدته، فرآها فى النوم كأنها تنشده، فأتيته والأبيات على حفظه، وهي:

جزيت من ولد بر بصالحة ... فقد كسبت ثوابا آخر الزمن

وقد حججت إلى البيت الحرام وقد ... أتيته زائرا يا خير محتضن

فلا تنلك يد الأيام ما طلعت ... شمس وما صدحت ورقاء فى فنن

وكان نصر هذا، صاحب قلعة شيزر بعد والده سديد الملك، وكان كريما ذا أريحية حدثنى الأمير مرهف بن أسامة بحضرة والده، قال: كتب القاضى أبو مسلم وادع المعرى، إلى الأمير نصر فى نكبة نالته:

يانصر يا ابن الأكرمين ومن ... شفع التلاد بطارف الفخر

هذا كتاب من أخى ثقة ... يشكو إليك نوائب الدهر

فأمنن بما عودت من حسن ... هذا أوان النفع والضر

فكتب إليه نصر إنه لم يحضرنى سوى ما هو عندك مودع، وهو ستة آلاف دينار، فاصرفها فى بعض مصالحك واعذر وذكر أن نصرا كان برا بوالده سديد الملك، فقال فيه سديد الملك:

جزى الله نصرا خير ما جزيت به ... رجال قضوا فرض العلاء ونفلوا

هو الولد البر العطوف وإن رمى ... به حادث فهو الحمام المعجل

يفديك يا نصر رجال محلهم ... من المجد والإحسان أن يتقولوا

سألنى بما أوليت بالموقف الذى ... تقر به الأقدام أو تتزلزل

وألقاك يوم الحشر أبيض ناصعا ... وأشكر عند الله ما كنت تفعل

وتوفى نصر بن على، فى جمادى الآخرة، سنة إحدى وتسعين وأربعمائة، بشيزر ومنهم الأمير عضد الدين أبو الفوارس مرهف بن أسامة، بن مرشد، بن على، ابن مقلد، بن نصر، بن منقذ قال مؤلف الكتاب: فارقته فى جمادى الأولى، سنة اثنى عشرة وستمائة، بالقاهرة يحيا، ولقيته بها وهو شيخ ظريف، واسع الخلق، شائع

الكرم، جماعة للكتب، وحضرت داره، واشترى مني كتبا، وحدثني أن عنده من الكتب ما لايعلم مقداره، إلا أنه ذكر لي، أنه باع منها أربعة آلاف مجلد في نكبة لحقته، فلم يؤثر فيها، وسألته عن مولده، فقال: ولدت سنة عشرين وخمسمائة،فيكون عمرع إلى وقتنا هذا، اثنتين وتسعين سنة،وكان قد أقعد لا يقدر على الحركة، إلا أنه صحيح العقل والذهن، والفطنة والبصر، يقرأ الخط الدقيق كقراءة الشبان، إلا أن سمعه فيه ثقل، وكان ذلك يمنعني من مكاثرته ومذاكرته وكان السلطان صلاح الدين رحمه الله قد أقطعه ضياعا بمصر، فهو يصرفها في مصالحه، واجراه الملك العادل، أخو صلاح الدين على ذلك، وكان الملك الكامل بن العادل يحترمه، ويعرف له حقه، وأنشدني شيئا من شعره وشعر أهله، لم يحضرني في هذا الوقت ما أورده: وذكر له العماد في كتاب الخريدة، ما ذكر أنه سمعه منه وهو:

سمحت بروحي في رضاك ولم يكن ... ليعجزني لولا رضاك المذاهب
وهانت لجراك العظائم كلها ... على وقد جلت لدى النوائب
فكان ثوابي عن ولائي لحبكم ... رمتني به منك الظنون الكواذب
فمهلا فلي في الأرض عن منزل العلا ... مسار إذا أخرجتني ومسارب
وإن كنت ترجو طاعتي بإهانتي ... وقسري فإن الرأي عنك لعازب

وأنشدني أيضاً لنفسه، قال وهو حاضر عند والده، وذكر أنه مما كتبه إلى والده:

رحلتم وقلبي بالولاء مشرق ... لديكم وجسمي للعناء مغرب
فهذا سعيد بالدنو منعم ... وهذا شقي بالبعاد معذب
وما أدعي شوقا فسحب مدامعي ... تترجم عن شوقي إليكم وتعرب
ووالله ما اخترت التأخر عنكم ... ولكن قضاء الله ما منه مهرب

ومات الأمير عضد الدين بن مرهف، في الثاني من صفر، سنة ثلاث عشرة وستمائة.

الجزء السادس

إسحاق بن إبراهيم الموصلي

كنيته أبو محمد وكان الرشيد إذا أراد أن يولع به، كناه أبا صفوان، وموضعه من العلم، ومكانه من الأدب والشعر، لو أردنا استيعابه، طال الكتاب وخرجنا عن غرضنا من الاختصار، ومن وقف على الأخبار، وتتبع الآثار، علم موضعه، وأما الغناء فكان أصغر علومه، وأدنى ما يوصف به، وإن كان الغالب عليه، لأنه كان له في سائر علومه نظراء، ولم يكن له في هذا نظير، لحق فيه من مضى، وسبق من بقي، فهو إمام هذه الصناعة، على أنه كان أكره الناس للغناء والتسمي به، ويقول: وددت أني أضرب، – كلما أراد مني من يندبني أن أغني، وكلما قال قائل: إسحاق الموصلي المغني، – عشر مقارع، ولا أطيق أكثر من هذا، وأعفي من الغناء والنسبة إليه وكان المأمون يقول: لولا ما سبق لإسحاق على ألسنة الناس، وشهر به من الغناء عندهم، لوليته القضاء بحضرتي، فإنه أولى به، وأحق وأعف، وأصدق تدينا وأمانة من هؤلاء القضاة قال:

بقيت زمانا من دهرى أغلس إلى هشيم، فأسمع منه الحديث، ثم أصبر إلى الكسائي، فأقرأ عليه جزءا من القرآن، وآتى الفراء، فأقرأ عليه جزءا، ثم آتى منصورا زلزل فيضاربني طريقين أو ثلاثة، ثم آتى عاتكة بنت شهدة، فآخذ منها صوتا أو صوتين، ثم آتى الأصمعى فأناشده، وآتى أبا عبيدة فأذاكره، ثم أسير إلى أبى فأعلمه ما صنعت، ومن لقيت، وما أخذت، وأتغذى معه، وإذا كان العشاء رحت إلى الرشيد وقال الأصمعى: خرجت مع الرشيد، فلقيت إسحاق الموصلى بها، فقلت له: هل حملت شيئا من كتبك؟ فقال: حملت ما خف فقلت: كم مقداره؟ فقال ثمانية عشر صندوقا، فعجبت وقلت: إذا كان هذا ما خف، فكم يكون ما ثقل؟ فقال: أضعاف ذلك وكان الأصمعى يعجب بقول إسحاق:

إذا كان الأحرار أصلى ومنصبي ... ودافع ضيمي خازم وابن خازم
عطست بأنف شامخ وتناولت ... يداي الثريا فاعدا غير قائم

وقال جعفر بن قدامة: حدثني علي بن يحيى المنجم قال: سأل إسحاق الموصلى المأمون أن يكون دخوله إليه، مع أهل العلم والأدب، والرواة، لامع المغنين، فإذا أراد الغناء غناه، فأجابه إلى ذلك، ثم سأله بعد ذلك بمدة، أن يكون دخوله مع الفقهاء، فأذن له فى ذلك، فكان يدخل ويده فى يد القضاة، حتى يجلس بين يدى المأمون وقال: ولا كل هذا يا إسحاق، وقد اشتريت منك هذه المسألة، بمائة ألف درهم، وأمر له بها.

وحدث المزربانى عن محمد بن عطية الشاعر قال: كنت عند يحيى بن أكثم فى مجلس له، يجتمع إليه فيه أهل العلم، وحضره إسحاق، فجعل يناظر أهل الكلام حتى انتصف منهم، ثم تكلم في الفقه فأحسن واحتج، ثم تكلم فى الشعر واللغة، ففاق من حضر، فأقبل على يحيى ابن أكثم وقال: – أعز الله القاضي – أفي شيء مما ناظرت فيه تقصير؟ قال: لا والله، قال: فما بالي أقوم بسائر العوم قيام أهلها، وأنسب إلى فن واحد قد اقتصر الناس عليه؟ قال العطوى: فالتفت إلى يحيى بن أكثم، وقال: جوابه فى هذا عليك، قال: وكان العطوى من أهل الجدل والكلام، فالتفت إلى إسحاق، وقلت: يا أبا محمد، أخبرنى إذا قيل: من أعلم الناس بالشعر واللغة؟ أيقولون إسحاق، أم الأصمعى وأبو عبيدة؟ فقال: بل الأصمعى وأبو عبيدة، قال فإن قيل من اعلم الناس بالنحو؟ أيقولون إسحاق، أم الخليل وسيبويه؟ قال بل الخليل وسيبويه: قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالأنساب؟ أيقولون إسحاق، أم ابن الكلبى؟ قال: بل ابن الكلبى قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالكلام؟ أيقولون إسحاق، أم أبو الهذيل والنظام؟ قال: بل أبو الهذيل، والنظام، قال: فإن قيل من أعلم الناس بالفقه؟ أيقولون إسحاق، أم أبو حنيفة، وأبو يوسف؟ فقال: بل أبو حنيفة وأبو يوسف، قال: فإن قيل: من أعلم الناس بالحديث؟ أيقولون إسحاق، أم على بن المديني، ويحيى بن معين؟ قال: بل على المديني، ويحيى بن معين. قال: فإذا قيل من أعلم الناس بالغناء؟ أيجوز أن يقول قائل: فلان أعلم من إسحاق؟ قال: لا، قلت: فمن ههنا نسبت إلى مانسبت إليه، لأنه لا نظير لك فيه، وأنت فى غيره لك نظراء فضحك وقام وانصرف فقال لى يحيى بن أكثم لقد وفيت الحجة، وفيها ظلم قليل لإسحاق، لأنه ربما ماثل أو زاد على من فضلته عليه، وإنه ليقل فى الزمان نظيره.

وكان إسحاق قد روى الحديث عن جماعة، منهم: أبو معاوية الضرير، وهشيم، وابن عينية، وغيرهم، وكان

مع كراهيته للغناء أحذق خلق الله به، ممن تقدم وتأخر، وأشد الناس بخلا به على كل أحد، حتى على جواريه وغلمانه، ومن يأخذ عنه منتسبا إليه، متعصباً له، فضلا عن غيره، وهو الذى صحح أجناس الغناء وطرائقه، وميزها تمييزا لم يقدر عليه أحد قبله، ولا تعلق به أحد بعده، ولم يكن قديما مميزا على هذا الجنس.
وكان إبراهيم بن المهدى يأكل المغنين أكلا، حتى يحضر إسحاق فيداريه إبراهيم، ويطلب مكافاته ومعارضته، ولا يدع إسحاق يكبته، وكان إسحاق آفته، كما أن لكل شيء آفة، وله معه عدة مشاهد، قال إسحاق: كنت يوما عند الرشيد، وعنده ندماؤه وخاصته، وفيهم إبراهيم بن المهدى، فقال لى الرشيد: يا إسحاق نغن:

شربت مدامة وشقيت أخرى ... وراح المننشون ومانتشب

فغنيته فاقبل على إبراهيم بن المهدى، فقال: ما أصبت يا إسحاق ولا أحسنت، فقلت له: ليس هذا مما تحسنه وتعرفه، وإن شئت فنه، فإن لم أجدك تخطئ فيه منذ ابتدائك إلى انتهائك، فدمى حلال ثم أقبلت على الرشيد فقلت: يا أمير المؤمنين: هذه صناعتي، وصناعة أبي، وهى إلى قربتنا منك، واستخدمتنا إليك، وأوطأتنا بساطك، فإذا نازعناها أحد بلا علم، لم نجد بدا من الإيضاح والذب، فقال: لا عزو، ولا لوم عليك، وقام الرشيد لببول، فأقبل على إبراهيم وقال: ويلك يا إسحاق، تجترى على وتقول ما قلت يا ابن الزانية، فداخلني ما لم أملك نفسي معه، فقلت له: أنت تشتمني ولا أقدر على إجابتك، وأنت ابن الخليفة وأخو الخليفة، ولولا ذلك لقد كنت أقول لك: يا ابن الزانية، كما قلت لي يا ابن الزانية، ولكن قولي في ذمك، ينصرف إلى خالك لأعلم، ولولاك لذكرت صناعته ومذهبه قال إسحاق: وكان يبطارا، وعلمت أن إبراهيم يشكونى إلى الرشيد، وأن الرشيد سيسأل من حضر عما جرى فيخبره، ثم قلت له: أنت تظن أن الخلافة تصير إليك، فلا تزال تهددني بذلك، وتعاديني كما تعادي سائر أولياء أخيك، حسدا له ولولده على الأمر، وأنت تضعف عنه وعنهم، وتستخف بأوليائهم تشيعا وأرجو ألا يخرجها الله تعالى عن يد الرشيد وولده، وأن يقتلك دونها، وإن صارت إليك والعياذ بالله، فحرام على العيش يومئذ، والموت أطيب من الحياة معك، فاصنع حينئذ مابدا لك.
فلما خرج الرشيد، وثب إبراهيم فجلس بين يديه، وقال يا أمير المؤمنين: شتمنى وذكر أمي، واستخف بي، فغضب الرشيد وقال: ما تقول ويلك؟ قلت: لا أعلم، سل من حضر، فأقبل على مسرور وحسين الخادم فسألهما عن القصة، فجعلا يخبرانه ووجهه يربد إلى أن انتهيا إلى ذكر الخلافة، فسرى عنه ورجع لونه، وقال لإبراهيم: ما له ذنب، شتمته فعرفك أنه لا يقدر على جوابك، ارجع إلى موضعك، وأمسك عن هذا، فلما انقضى المجلس وانصرف الناس، أمر ألا أبرح، وخرج كل من حضر، حتى لم يبق غيري، فساء ظني وهمتني نفسي، فأقبل على وقال لي: ويحك يا إسحاق، أتراني لا أعرف وقائعك؟ قد والله زانيته دفعات، ويحك لا تعد، ويحك حدثني عنك لو ضربك أخى إبراهيم، أكنت أقتص لك منه، فأضربه؟ وهو أخي يا جاهل؟ أتراه لو أمر غلمانه أن يقتلونك فقتلوك، أكنت أقتله بك؟ فقلت: قد والله قتلتني يا أمير المؤمنين بهذا الكلام، ولئن بلغه ليقتلني، وما أشك في أنه قد بلغه الآن، فصاح بمسرور الخادم وقال: على بإبراهيم الساعة، وقال

لي: قم فانصرف، فقلت لجماعة من الخدم، وكلهم كان لي محبا، وإلى مائلاً، أخبروني بما يجري، فأخبروني من غد: أنه لما دخل عليه وبخه وجهله، وقال له: لم تستخف بخادمي؟ وصنيعتي، ونديمي، وابن خادمي، وصنيعة أبي في مجلسي، وتقدم على وتصنع في مجلسي، وحضرتي، هاه هاه، نقدم على هذا وأمثاله، وأنت مالك والغناء، وما يدريك ماهو؟ ومن أخذ لحنه وطارحك إياه، حتى تظن أنك تبلغ منه مبلغ إسحاق، الذى غذى به، وهو صناعته، ثم تظن أنك تخطئه فيما لا تدريه، ويدعوك إلى إقامة الحجة عليك، فلا تثبت لذلك، وتعتصم بشتمه، أليس هذا مما يدل على السقوط، وضعف العقل، وسوء الأدب، من دخولك فيما لا يشبهك، ثم إظهارك إياه ولم تحكمه، أليس تعلم ويحك؟ أن هذا سوء رأى وأدب، وقلة معرفة ومبالاة بالخطأ، والتكذيب والرد القبيح، ثم قال له والله العظيم، وحق رسوله الكريم – وإلا فأنا نفى من أبي – لئن أصابه سوء أو سقط عليه حجر من السماء، أو سقط من دابته، أو سقط عليه سقف، أو مات فجأة، لأقتلنك به – والله والله وأنت أعلم – فلا تعرض له، قم الآن فاخرج، فخرج وقد كاد يموت، فلما كان بعد ذلك، دخلت عليه وإبراهيم عنده، فأعرضت عنه، فجعل الرشيد ينظر إلي مرة، وإلى إبراهيم أخرى، ويضحك، ثم قال له: إني لأعلم محبتك لإسحاق وميلك إليه والأخذ عنه وإن هذا لا تقدر عليه كما تريد، إلا أن يرضى، والرضا لا يكون بمكروه، ولكن أحسن إليه وأكرمه، وبره وصله، فإذا فعلت ذلك، ثم خالف ما تهواه، عاقبته بيد منبسطة، ولسان منطلق، ثم قال لي: قم إلى مولاك وابن مولاك، فقبل رأسه، فقمت إليه، وأصلح بيننا وحدث المبرد قال: حدثت عن الأصمعي قال: دخلت أنا وإسحاق بن إبراهيم يوما على الرشيد، فرأيته تقس النفس، فأنشده

وآمره بالبخل قلت لها اقصرى ... فذلك شيء ما إليه سبيل

أرى الناس خلان الكرام ولا أرى ... بخيلا له حتى الممات خليل
وإني رأيت البخل يزرى بأهله ... فأكرمت نفسى أن يقال بخيل
ومن خير أخلاق الفتى قد علمته ... إذا نال يوما أن يكون ينيل
فعالى: فعال الموسرين تكرما ... ومالى: كما قد تعلمين قليل
وكيف أخاف الفقر أو أحرم الغنى ... ورأى أمير المؤمنين جميل

قال: فقال الرشيد لأكيفيك إن شاء الله: ثم قال: لله در أبيات تأتينا بها، ما أشد أصولها، وأحسن فصولها، وأقل فضولها!!! وأمر له بخمسين ألف درهم، فقال له إسحاق: وصفك والله يا أمير المؤمنين لشعرى، أحسن منه، فعلام آخذ الجائزة، فضحك الرشيد وقال: أجعلوها لهذا القول مائة الف درهم. قال الأصمعى: فعلمت يومئذ أن إسحاق، أحذق بصيد الدراهم مني. وحدث إسحاق قال: قال لي الرشيد يوما: بأي شيء يتحدث الناس؟ قلت: يتحدثون أنك نقبض على البرامكة، وتولى الفضل بن الربيع الوزارة، فغضب وصاح، وقال: وما أنت وذاك؟ فأمسكت، فلما كان بعد أيام دعا بنا، فكان أول شيء غنيته:

إذا نحن صدقناك ... فضر عندك الصدق
طلبنا النفع بالباطل ... إذ لم ينفع الحق

فلو قدم صبا في ... هواه الصبر والرفق
لقدمت على الناس ... ولكن الهوى رزق
والشعر لأبى العتاهية. قال: فضحك الرشيد، وقال لى يا إسحاق: قد صرت حقوداً وحدثت شهوات جارية إسحاق، التى كان أهداها الواثق: أن محمدا الأمين، لما غنى إسحاق لحنه، الذى صنعه فى شعره:
يأيها القائم الأمير فدت ... نفسك نفسي بالأهل والولد
بسطت للناس إذا وليتهم ... يدا من الجود فوق كل يد
أمر له بألف ألف درهم، فرأيتها قد أدخلت إلى دارنا، يحملها مائة فراش وحدث إسحاق قال: أقام المأمون بعد قدومه عشرين شهرا، لم يسمع حرفا من الأغاني، ثم كان أول من تغنى بحضرته، أبو عيسى بن الرشيد، ثم واظب على السماع، متسترا متشبهاً في أول أمره بالرشيد، فأقام على ذلك أربع حجج ثم ظهر للندماء والمغنين، وكان حين أحب السماع سأل عني، فخرجت بحضرته، وقال الطاعن على: ما يقول أمير المؤمنين في رجل يتيه على الخلافة؟ فقال: ما بقى هذا شيئا من التيه إلا استعمله، فأمسك عن ذكري، وجفاني من كان يصلنى، لسوء رأيه الذى ظهر في، فأضر ذلك بى، حتى جاءني علوية يوما فقال لي: أتاذن لى في ذكرك، فإنا قد دعينا اليوم فقلت: لا، ولكن غنه بهذا الشعر، فإنه سيبعثه على أن يسألك، لمن هذا، فإذا سألك، انفتح لك ما تريد، فكان الجواب، أسهل عليك من الابتداء، وألقيت عليه لحنى فى شعرى:
يا مشرع الماء قد سدت موارده ... أما إليك طريق غير مسدود؟
لحائم حام حتى لا سبيل له ... محلا عن طريق الماء مطرود
قال: فلما استقر بعلوية المجلس، غناه الشعر الذى أمرنه، فما عدا المأمون أن سمع الغناء، حتى قال: ويحك يا علوية، لمن هذا الشعر؟ قلت: ياسيدى لعبدك الذى جفوله، وأطرحته لغير جرم. فقال: لإسحاق تعنى؟ قلت: نعم. فقال: يحضرنى الساعة، فجاءنى رسوله، فصرت إليه، فلما دخلت عليه، قال: ادن، فدنوت منه، فرفع يديه مددهما إلى، فأكببت عليه فاحتضنى بيديه، وأشار من يرى وإكرامى، ما لو أظهر صديق مؤانس بصديق لسره وقال إسحاق. غنيت المأمون يوما.
لأحسن من قرع المثانى ورجعها ... تواتر صوت الثغر يقرع بالثغر
وسكر الهوى أروى لعظمي ومفصلي ... من الشرب بالكلمات من عانق الخمر
فقال لى المأمون: ألا أخبرك بأطيب من ذلك وأحسن؟ الفراغ، والشباب، والجدة.

وحدث إسحاق قال: ذكر المعتصم وأنا بحضرته يوما بعض أصحابه، وقد غاب عنه، فقال: تعالوا حتى نقول ما يصنع فى هذا الوقت. فقال قوم: كذا، وقال آخرون: كذا، فبلغت الرنة إلى، فقال: قل يا إسحاق قلت: إذا أقول فأصيب. قال: أتعلم الغيب؟ قلت: ولكنى اقسم ما يصنع، وأندر على معرفته. قال: فإن لم تصب، قلت: وأن أصبت، قال: لك حكمك، وإن لم تصب، قلت لك دمى، قال: وجب، قلت: وجب، قال: فقل، قلت يتنفس، قال. وإن كان ميتا، قلت: تحفظ الساعة التى تكلمت فيها، فإن كان مات قبلها أو فيها، فقد قمرتنى، قال: قد أنصفت، قلت: فالحكم، قال: فاحتكم ما شئت، قلت: ما حكمي إلا رضاك يا أمير

المؤمنين. قال: فإن رضاي لك، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم، أترى مزيدا؟ فقلت: ما أولاك يا أمير المؤمنين بذاك، قال: فإنها مائتا ألف، أترى مزيدا؟ فقلت ما أحوجني إلى ذاك، قال فإنها ثلاثمائة ألف، أترى مزيدا؟ قلت، ما أولاك يا أمير المؤمنين بذاك، فقال: يا صفيق الوجه ما نزيد على هذا وحدث إسحاق قال: كنت جالسا بين يدى الواثق وهو ولى عهد، إذ خرجت وصيفة من القصر، كأنها خوط بان، أحسن من رأته عيني، يقدمها عدة وصائف بأيديهن المذاب والمناديل، ونحو ذلك، فنظرت إليها نظر دهش وهي ترمقني، فلما تبين إلحاح نظري إليها، قال لي: مالك يا أبا محمد، قد انقطع كلامك، وباتت الحيرة فيك؟ فلجلجت، فقال: رمتك والله هذه الوصيفة، فأصابت قلبك، فقلت: غير ملوم، فضحك وقال: أنشدني شيئا فى هذا المعنى، فأنشدني قول المرار:

ألكني إليها: عمرك الله يافتى ... بآية ما قالت: متى أنت رائح

وآية ما قالت: لهن عشية ... وفى الستر: حرات الوجوه ملائح

تخيرن أرماكن فارمين رمية ... أخا أسد إذ طوحته الطوائح

فأرسلت مسلاس الوشاح كأنها ... مهاة لها طفل برمان راشح

فقال الواثق: أحسنت وحياتي وظرفت، فاصنع فيه لحناً، فإن جاء كما أريد، فالوصيفة لك، فصنعت فيه لحنا وغنيته إياه، فانصرفت بالجارية. وحدث إسحاق قال: غنيت الواثق فى شعر قلته عنده بسر من رأى، وقد طال مقامى، واشتقت إلى أهلى، وهو:

يا حبذا ريح الجنوب إذا بدت ... فى الصبح وهى ضعيفة الأنفاس

قدحملت برد الندى وتحملت ... عبقا من الجنجاث والبسباس

فاستحسنه وقال: يا إسحاق، لو جعلت مكان الجنوب شمالا، ألم يكن أرق وأخاف، وأصح للأجساد، وأقل وخامة، وأطيب للأنفس فقلت: ما ذهب على ما قاله أمير المؤمنين، ولكن التفسير فيما بعد، وهو:

ماذا يهيج للصبابة والهوى ... للصب بعد ذهوله والياس

فقال الواثق: فإنما استطبت ما يجئ به الجنوب، لنسيم بغداد، لا للجنوب وإليهم اشتقت لا إليها، فقلت: أجل يا أمير المؤمنين، وقمت فقبلت يده، فضحك وقال: قد أذنت لك بعد ثلاثة أيام، فامض راشداً، فأمر لى بمائة ألف درهمٍ.

وحدث إسحاق قال: ما وصلنى أحد من الخلفاء، بمثل ما وصلني به الواثق، ولا كان أحد يكرمني إكرامه، ولقد غنيته:

لعلك إن طالت حياتك أن ترى ... بلادا بها مبدى لليلى ومحضر

فاستعاده منى جمعة لا يشرب على غيره، ثم وصلنى بثلاثمائة ألف درهم، ولقد استقدمني إليه، فلما قدمت عليه، قال لى: ويحك يا إسحاق، أما اشتقت إلى؟ فقلت: بلى والله يا سيدى، وقد قلت فى ذلك أبياتا، إن أمرتني أنشدتك إياها، قال: هات، فأنشدته:

أشكو إلى الله بعدى عن خليفته ... وما أعالج من سقم ومن كبر

لا أستطيع رحيلا إن هممت به ... يوما إليه ولا أقوى على السفر

أنوى الرحيل إليه ثم يمنعنى ... ما أحدث الدهر والأيام فى بصرى

وإنما قال: ما أحدث الدهر والأيام فى بصرى، لأن إسحاق لما كبر ضعف بصره، ثم أضر واستأذنته فى إنشاد قصيدة مدحته بها، فأذن لي فأنشدته:

لما أمرت بإشخاصي إليك هفا ... قلبى حنينا إلى أهلي وأولادى

ثم اعتزمت ولم أحفل ببينهم ... وطابت النفس عن فضل وحماد

فلو شكرت يادیكم وأنعمكم ... لما أحاط بها وصفى وتعدادى

فقال أحمد بن إبراهيم: لعلي بن يحيى، وقد أخبر بهذا الخبر، أخبرني: لو قال الخليفة أحضرني فضلا وحمادا، أليس كان إسحاق يفتضح من دمامة خلقتهما، وتجلف شاهدهما.

قال إسحاق: وانحدرت منه إلى النجف، فقلت له يا أمير المؤمنين: قد قلت فى النجف قصيدة قال هاتها: فأنشدته:

يا ركب العيسى لا تعجل بنا وقف ... نحي داراً ليسعدى ثم ننصرف

حتى انتهيت فيها إلى قولي

لم ينزل الناس فى سهل ولا جبل ... أصفى هواء ولا أغذى من النجف

حفت ببر وبحر فى جوانبها ... فالبر فى طرف و البحر فى طرف

ما يزال نسيم من يمانية ... يأتيك منها بريا روضة أنف

ثم مدحته فقلت:

لا يحسب الجود يفي ماله أبداً ... و لا يرى بال ما يحوى من السرف

ومضيت فيها حتى أتممتها، فطرب وقال: أحسنت و الله يا أبا محمد، وكناني يومئذ، وأمر لى بمائة ألف درهم، وانحدرت معه إلى الصالحية، التى يقول فيها أبو نواس:

فالصالحية من أطراف كلواذى ... فذكرت الصبيان و بغداد، فقلت:

أتبكى على بغداد وهى قريبة ... فكيف إذا ما ازددت منها غدا بعدا

لعمرك ما فارقت بغداد عن قلى ... لو أنا وجدنا من فراق لها بدا

إذا ذكرت بغداد نفسي تقطعت ... من الشوق أو كادت تهيم بها وجدا

كفى حزنا أن رحت لم أستطع لها ... وداعاً ولم أحدث بساحتها عهدا

فقال لى الموصلى: اشتقت إلي بغداد؟ فقلت: لا و الله يا أمير المؤمنين، ولكن من أجل الصبيان، وقد حضرني بيتان فأنشدته:

حننت إلى أصيبية صغار ... وشاقك منهم قرب المزار

وأبراج ما يكون الشوق يوماً ... إذا دنت الديار من الديار

فقال لى إسحاق: سر إلى بغداد، فأقم مع عيالك شهراً، ثم صر إلينا، وقد أمرت لك بمائة ألف درهم.

وحدث حماد بن إسحاق عن إسحاق قال: دخلت يوماً دارا الواثق بالله بغير إذن، إلى موضع أمر أن أدخله

إذا كان جالساً، فسمعت صوت عود من بيت وترنماً، لم أسمع أحسن منه قط، فأطلع خادم رأسه وصاح، فدخلت، وإذا الواثق، فقال لى أى شئ سمعت؟ فقلت: الطلاق كاملاً لازم لى، وكل مملوك لى حر، لقد سمعت ما لم أسمع مثله قط حسناً، فضحك وقال: ما هو الأفضل؟ أدب وعلم مدحه الأوائل، واشتهاه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، و التابعون بعدهم، وكثر فى حرم الله عز وجل،، ومهاجر رسوله صلى الله عليه وسلم، أتحب أن تسمعه؟ قلت: أى: و الذى شرفني بخطاب أمير المؤمنين، وجميل رأيه، وقال يا غلام: هات العود، وأعط إسحاق رطلاً، فدفع الرطل إلى، وضرب و غنى فى شعر لأبي العتاهية، بلحن صنعه فيه:

أضحت قبورهم من بعد عزتهم ... تسعى عليها الصبا و الحرجف الشمل

لا يدفعون هواماً عن وجوههم ... كأنهم خشب بالقاع منجدل

فشربت الرطل، ثم قمت ودعوت له، فأجلسنى و قال: أتشتهى أن تسمع ثانية؟ قلت: إى و الله، فغنانيه ثانية، وثالثة، وصاح ببعض خدمه، و قال: احمل إلى إسحاق الساعة، ثلاثمائة ألف درهم ثم قال يا إسحاق قد سمعت ثلاثة أصوات وشربت ثلاثة ارطال واخذت ثلاثمائة ألف درهم، فانصرف إلى أهلك مسروراً، وليسروا معك، فانصرفت بالمال. وحدث إسحاق بن إبراهيم قال: جاءني الزبير بن دحمان يوماً مسلماً، فقلت له: إلى أين؟ فقال: إن الفضل بن الربيع أمرني أن أبكر إليه لنصطبح، فقلت له: أنت تعرف أن صبوح الفضل غبوق غيره، فأقم عندى نشرب، قلت له:

أقم يا أبا العوام ويحك نشرب ... ونله مع اللاهين يوماً ونطرب

إذا ما رأيت اليوم قد بان خيره ... فخذه بشكر واترك الفضل يغضب

قال: فأقام عندى وسررنا يوماً، ثم صار إلى الفضل، فسأله عن سبب تأخره عنه، فحدثه الحديث، وأنشده الشعر، فعتب علي، وحول وجه عني، وأمر عوناُ حاجبه ألا يدخلني، ولايستأذن لي عليه، ولا يوصل لي رقعة إليه، فقلت: وكتبت بها إلى الفضل:

يقول أناس شامتون و قد رأوا ... مقامي وإغبابي الرواح إلى الفضل

لقد كان هذا خص بالفضل مرة ... فأصبح منه اليوم منصرم الحبل

ولو كان لي فى ذاك ذنب علمته ... لقطعت نفسى بالملامة والعذل

و توصلت حتى عرضت الأبيات عليه، فلما قرأها قال: أعجب من ذنبه وأشد، أنه لايرى من نفسه ذنباً بذلك الفعل، فقلت فى نفسى: لاأرى أمره يصلحه إلا حاجبه عون، فقلت لعون:

عون يا عون ليس مثلك عون ... أنت لي إذا كان كون

لك عندى والله رضى الفضل ... غلام يرضيك أو برذون

فقال: اكتب رقعة وقل شعراً لأعرضه لك عليه، فقلت:

حرام على الراح مادمت غضباتاً ... وما لم يعد عنى رضاك كما كانا

فأحسن فإنى قد أسأت ولم تزل ... تعودنى عند الإساءة إحسانا

قال: فأنى الفضل بالشعرين جميعاً، فقرأهما وضحك، وقال: ويحك، وإنما عرض بقوله: غلام يرضيك بالسوءة، فقال: قد وعدنى بما سمعت، فإن شئت أن تحرمنيه فأنت أعلم، فأمره أن يرسل إلي، فأتاني رسوله، فصرت إليه، فرضي عني، ووفيت لعون، وحدث إسحاق قال: عتب على جعفر بن يحيى و قال: إنى لا أراك ولا تغشانى، فقلت: إنى أتيتك كثيراً، فيحجبنى خادمك نافذ، فقال: إذا حجبك عني فنكه، فكتبت إليه بعد أيام:

جعلت فداءك من كل سوء ... إلى حسن رأيك أشكو أناسا

يحولون بينى وبين السلام ... فلست أسلم إلا اختلاسا

وأنفذت أمرك فى نافذ ... فما زاده ذاك إلا شماسا

قال: فأحضرنى ودعا نافذاً، وقرأ الأبيات عليه، وقال له: فعلتها ياعدو الله، فغضب نافذ حتى كاد يبكى، وجعفر يضحك ويصفق، ثم لم يعد بعدها إلى التعرض. وحدث على بن الصباح قال: كانت امرأة من بنى كلاب يقال لها زهراء، تحدث إسحاق وتناشده، وكانت تميل إليه. وتكنى عنه فى شعرها، إذا ذكرته بجمل قال: فحدثنى إسحاق أنها كتبت إليه، وقد غابت عنه:

وجدى بجمل على أنى أجمجمه ... وجد السقيم ببرء بعد إدناف

أو وجد ثكلى أصاب الموت واحدها ... أو وجد مغترب من بين ألاف

قال فأجبتها:

إقر السلام على زهراء إذ ظعنت ... وقل لها قد أذقت القلب ما خافا

أما رثيت لمن خلفت مكتئباً ... يذري مدامعه سحاً وتو كافا

فما وجدت على إلف فجمعت به ... وجدى عليك وقد فارقت ألافا

وحدث محمد بن عبد الله الخزاعى قال: أنشدنى إسحاق لنفسه:

سقى الله يوم الماوشان ومجلساً ... به كان أحلى عندنا من جنى النحل

غداة اجتنينا اللهو غضا ولم نبل ... حجاب أبى نصر ولا غضب الفضل

غدونا صحاحاً ثم رحنا كأننا ... أطاف بنا شر شديد من الخبل

فسألته أن يكتبنيها فغفل، فقلت: ما حديث يوم الماوشان؟ فقال: لو لم أكتبك الأبيات، ما سألت عما لا يعينك، ولم يخبرنى. قال: وكان ابن الأعرابى يصف إسحاق ويقرظه، ويثني عليه، ويذكر أدبه وحفظه، وعلمه وصدقه، ويستحسن قوله:

هل إلى أن تنام عينى سبيل ... إن عهدى بالنوم عهد طويل

غاب عني من لا أسمى فعيني ... كل يوم وجداً عليه تسيل

إن ما قل منك يكثر عندي ... وكثير ممن تحب القليل

وكان إسحاق إذا غنى هذه الأبيات، تفيض عيناه ويبكى أحر بكاء، فسئل عن بكائه، فقال: تعشقت جارية فقلت لها هذه الأبيات، ثم ملكتها، وكنت مشغوفاً بها، حتى كبرت و اعتلت عيى، فإذا غنيت هذا الصوت، ذكرت أيامه المتقدمه، وأنا أبكى على دهرى الذى كنت فيه. قال إسحاق وأنشدنى بعض الأعراب لنفسه:

إلا قاتل الله الحمامة غدوة ... على الغصن ماذا هيجت حين غنت
تغنت بصوت أعجمى فهيجت ... من الوجد ما كانت ضلوعى أجنت
فلو قطرت عين امرئ من صبابة ... دماً قطرت عينى دماً وأبلت
فما سكنت حتى أويت لصوتها ... وقلت أرى هذه الحمامة جنت
ولي زفرات لويد من قتلني ... بشوق إلى هاتي التي قد تولت
إذا قلت هذي زفرة اليوم قد مضت ... فمن لى بأخرى فى غد قد أظلت
فيا منشر الموتى أعنى على التى ... بها نهلت نفسى سقاماً وعلت

لقد بخلت حتى لو انى سألتها ... قذى العين من سافى التراب لضنت
فقلت ارحلا يا صاحبي فيلتني ... أرى كل نفس أعطيت ما تمنت !
حلفت لها بالله ما أم واحد ... إذا ذكرته آخر الليل أنت
ولا وجد أعرابية قذفت بها ... صروف النوى من حيث لم تك ظنت
إذا ذكرت ماء العذيب وطيبه ... وبرد حصاه آخر الليل حنت
بأكثر منى لوعة غير أنني ... أطامن أحشائي على ما أجنت
قال: وحدث حماد بن إسحاق، لما خرج أبى إلى البصرة وعاد، أنشدني لنفسه:
ما كنت أعرف ما فى البين من حزن ... حتى تنادوا بأن قد جئ بالسفن
لما افترقنا على كره لفرقتنا ... أيقنت أنى قتيل الهم و الحزن
قامت تودعني و الدموع يغلبها ... فجمجمت بعض ما قالت ولم تبن
مالت على تفدنيي وترشفني ... كما يميل نسيم الريح بالغصن
وأعرضت ثم قالت وهى باكبة ... يا ليت معرفتي إياك لم تكن
وحدث إسحاق قال: دخلت على الأصمعى، فأنشدنه أبياتاً قلتها ونسبتها إلى بعض الأعراب، وهى: " هل أن تنام عينى سبيل " الأبيات، وهى متقدمة. قال فجعل يعجب بها ويرددها، فقلت له إنها بنات ليلتها. فقال: لاجرم، إن أثر التوليد فيها بين. فقلت: ولاجرم أن أثر الحسد فيك ظاهر وكان إسحاق يقوم على ابن الأعرابى ويبره، فكان ابن الأعرابى يقول: إسحاق والله أحق بقول أبى تمام:
يرمى بأشباحنا إلى ملك ... نأخذ من ماله ومن أدبه
ممن قد قيل فيه وحدث إسحاق قال: بعث إلى طلحة بن طاهر، وقد انصرف من وقعة الشراة، وقد أصابته ضربة فى وجهه، فقال: غنى، فغنيته فى شعر بعض الأعراب:
إنى لأكنى بأجبال عن اجبلها ... وباسم أودية عن إسم واديها
عمدا ليحسبها الواشون غانية ... أخرى، وتحسب أنى لست أعنيها
ولايغير ودى أن أهاجرها ... ولا فراق نوى فى الدار أنوبها
وللقلوص ولى منها إذا بعدت ... بوارح الشوق تنضينى وأنضيها

فقال: أحسنت والله، أعده، فأعدت عليه وهو يشرب، حتة صلى العتمة وأنا أغنيه إياه، فأقبل على خادم له فقال له: كم عندك؟ فقال: مقدار سبعين الف درهم، فقال: تحمل معه، فلما خرجت من عنده، تبعنى جماعة من الغلمان يسألوننى، فوزعت المال بينهم، فرفع الخبر إليه فأغضبه، ولم يوجه إلى ثلاثاً، فكتبت إليه:

علمنى جودك السماح فما ... أبقيت شيئا لدى من صلتك

لم أبق شيئا مما سمحت به ... كأن لى قدرة كمقدرتك

تتلف فى اليوم بالهبات وفي السا ... عة ماتجتبيه فى ستتك

فلست أدرى من أين تنفق لو ... لا أن ربى يجزي علي هبتك

فلما كان فى اليوم الرابع، بعث إلى فصرت إليه، فدخلت فسلمت، ورفع بصره إلى، ثم قال: اسقوه رطلا فسقيته، فأمر لى بآخر، وآخر، فشربت ثلاثة، ثم قال: غننى " إنى لأكنى بأجبال عن أجبلها " فغنيته إياه، ثم أتبعته الأبيات التى قلتها. فقال لى: أذن فدنوت، فقال لى: أعد الصوت، فأعدته، فلما فهمه وعرف المعنى، قال الخادم له: أحضرني فلانا فأحضره، فقال له: كم قبلك من مال الضياع؟ قال: ثمانمائة ألف درهم، فقال: أحضرها الساعة، فجئ بثمانين بدرة فقال: جئنى بثمانين مملوما، فأحضروا، فقال: احملوا المال، ثم قال: يأبا محمد، خذ المال والمماليك حتى لا تحتاج إلى أحد تعطيه شيئا.

حدث على بن يحيى المنجم: أن إسحاق لما انحدر إلى البصرة، كتب إلى على بن هشام القائد، – جعلت فداك – بعث إلى أبو نصر مولاك بكتاب منك إلي، يرتفع عن قدري، ويقصر عنه شكري، فلولا ما أعرف من معانيه، لظننت أن الرسول غلط بي فيه، فلما لنا ولك يا أبا عبد الله، تدعنا حتى إذا نسينا الدنيا وأبغضناها، ورجونا السلامة من شرها، أفسدت قلوبنا وعلقت أنفسنا، فلا أنت تريدنا، ولا أنت تتركنا فأما ذكرته من شوقك إلى، فلولا أنك حلفت عليه، لقلت:

يا من شكا عبثا إاينا شوقه ... شكوى المحب وليس بالمشتاق

لو كنت مشتاقا إلى تريدنى ... ماطبت نفسا ساعة بفراقي

وحفظني حفظ الخليل خليله ... ووفيت لى بالعهد والميثاق

هيهات قد حدثت أمور بعدنا ... وشغلت باللذات عن إسحاق

قد تركت – جعلت فداك – ما كرهت من العتاب فى الشعر وغيره، وقلت أبياتا لا أزال أخرج بها إلى ظهر المربد وأستقبل الشمال، وأتنسم أرواحكم فيها، ثم يكون ما الله أعلم به، وإن كنت تكرهها، تركتها إن شاء الله:

ألا قد أرى أن الثواء قليل ... وأن ليس يبقى للخليل خليل

وأنى وإن مليت فى العيش حقبة ... كذى سفر قد حان منه رحيل

فهل لى إلى أن تنظر العين مرة ... إلى ابن هشام فى الحياة سبيل؟

فقد خفت أن ألقى المنايا بحسرة ... وفى النفس منه حاجة وغليل

وأما بعد، فإنى أعلم أنك وإن لم تسأل عن حالي، تحب أن تعلمها، وأن تأتيك عني سلامة، فأنا يوم كتبت

إليك سالم البدن، مريض القلب، وبعد فأنا – جعلت فداك – فى صنعة كتاب ظريف مليح، فيه تسمية القوم، ونسبهم وبلادهم، وأسبابهم وأزمنتهم، وما اختلفوا فيه من غنائهم، وبعض أحاديثهم، وأحاديث قيان الحجاز والكوفة، وقد بعثت إليك بنموذج، فإن كان كما قال القائل: قبح الله كل دن أوله دردي لم نتجشم إتمامه، وإن كان كما قال العربى: إن الجواد عينه فرارة، أعلمتنا، فأتممناه مسرورين بحسن رأيك فيه.

وكان إسحاق يألف علياً وأحمد بني هشام، وسائر أهلهم إلفاً شديداً، ثم وقعت بينهم نبوة ووحشة فى أمر لم يقع إلينا، فهجاهم هجاء كثيراً.

فحدث أبو أيوب المديني عن مصعب الزبيري قال: قال لي أحمد بن هشام: أما تستحي أنت وصباح بن خافان المنقري، وأنتما شيخان من مشايخ المروءة، والعلم والأدب، أن يذكركما إسحاق فى شعره، فيقول:

قد نهانا مصعب وصباح ... فعصينا مصعبا وصباحا

عذلا ما عذلا ثم ملا ... فاسترحنا منهما واستراحا

فقلت له: إن كان قد فعل، فما قال إلا خيراً، إنما ذكر أننا نهيناه عن خمر شربها، أو امرأة عشقها، وقد أشاد باسمك فى الشعر بأشد من هذا. قال بماذا؟ قلت: بقوله.

وصافية تعشى العيون رقيقة ... رهينة عام فى الدنان وعام

أدرنا بها الكأس الروية موهنا ... من الليل حتى انجاب كل ظلام

فما ذر قرن الشمس حتى كأننا ... من العى نحكى أحمد بن هشام

قال: أوقد فعل العاض بظر أمه؟ قلت: إى والله قد فعل.

ومن شعر إسحاق عند علو سنه:

سلام على سير القلاص مع الركب ... ووصل الغوانى والمدامة والشرب

سلام امرئ لم يبق منه بقية ... سوى نظر العينين أو شهوة القلب

لعمرى لئن حلئت عن منهل الصبا ... لقد كنت ورادا لمشرعه العذب

ليالى أغدو بين بردى لاهيا ... أميس كغصن البانة الناعم الرطب

وحدث أبو بكر الصولى، عن إبراهيم الشاهينى قال: كان إسحاق يسأل الله ألا يبتليه بالقولنج، لما رأى من صعوبته على أبيه، فأرى فى منامه، كأن قائلا يقول له: قد أجيبت دعوتك، ولست تموت بالقولنج، ولكن تموت بضده، فأصابه ذرب فمات منه فى شهر رمضان، سنة خمس وثلاثين ومائتين، فى خلافة المتوكل على الله، فبلغ المتوكل نعيه، نعمه وحزن عليه. وقال: ذهب صدر عظيم من جمال الملك، وبهائه وزينته، ثم نعى إليه بعده، أحمد بن عيسى، بن زيد، بن علي، بن الحسين، ابن علي الخارج عليه. فقال: تكافأت الحالان. ثم قال: قام الفرح بوفاة أحمد، – وما كنت آمن وثبته علي – ، مقام الفجيعة بإسحاق، والحمد لله على ذلك.

ورثاه أو داؤه وأصدقاؤه بأشعار كثيرة، منها قول إدريس بن أبى حفصة:

سقى الله يا ابن الموصلي بوابل ... من الغيث فبرا أنت فيه مقيم

ذهبت فأوحشت الكرام فما بنى ... بعبرته يبكى عليك كريم

إلى الله أشكو فقد إسحاق إننى ... وإن كنت شيخا بالعراق يتيم

وقال مصعب بن الزبير يرثى إسحاق:

أتدرى لمن تبكى العيون الذوارف ... وينهل منها مسبل ثم واكف

لفقد امرئ لم يبق فى الناس مثله ... مفيد لعلم أو صديق يلاطف

تجهز إسحاق إلى الله رائحا ... فلله ما ضمت عليه اللفائف

وما حمل النعش الولى عشية ... من الناس إلا دامع العين كالف

فلقيت فى يمنى يديك صحيفة ... إذا نشرت يوم الحساب الصحائف

تسرك يوم البعث عند قراتها ... ويفتر ضحكا كل من هو واقف

وحدث الصول قال: كان لإسحاق من الولد: حميد، وحماد، وأحمد، وحامد، وإبراهيم، وفضل، ولم يكن فى ولد إبراهيم من يغنى إلا إسحاق، وطياب أخوه، ومات إسحاق، وله من التصانيف التى تولى هو بنفسه تصنيفها: كتاب أغانيه التى غنى فيها، كتاب أخبار عزة الميلاء، كتاب أغانى معبد، كتاب أخبار حماد عجرد، كتاب أخبار حنين الحيرى، كتاب أخبار ذى الرمة، كتاب أخبار طويس، كتاب أخبار المغنين المكيين، كتاب أخبار سعيد بن مسجح، كتاب أخبار دلال، كتاب أخبار محمد بن عائشة، كتاب أخبار الأبجر، كتاب أخبار ابن صاحب الوضوء، كتاب الاختيار من الأغانى للواثق، كتاب اللحظ والاشارات، كتاب الشراب، يروى فيه عن العباس بن معن، وابن الجصاص، وحماد بن ميسرة، كتاب جواهر الكلام، وكتاب الرقص والزفن، كتاب النغم والإيقاع، كتاب أخبار الهذليين، كتاب الرسالة إلى على بن هشام، كتاب قيان الحجاز، كتاب القيان، كتاب النوادر المتخيرة، كتاب الأخبار والنوادر، كتاب أخبار حسان، كتاب أخبار الأحوص، كتاب أخبار جميل، كتاب أخبار كثير، كتاب أخبار نصيب، كتاب أخبار عقيل بن علفة، كتاب أخبار ابن هرمة وأما كتاب الأغانى الكبير، فقال محمد بن إسحاق النديم: قرأت بخط أبى الحسن على بن محمد، بن عبيد، ابن الزبير الكوفى الأسدى، حدثنى فضل بن محمد اليزيدى قال: كنت عند إسحاق بن إبراهيم الموصلى، فجاءه رجل فقال له يا أبا محمد: أعطنى كتاب الأغانى، فقال: أيما كتاب؟ الكتاب الذى صنفته، أو الكتاب الذى صنف لي، يعني بالذى صنفه كتاب أخبار المغنيين واحدا واحدا، ويعنى بالذى صنف له، كتاب الأغانى الكبير، الذى بأيدى الناس. قال محمد بن إسحاق: وحدثني أبو الفرج الأصبهاني قال: أخبرني أبو بكر محمد بن خلف وكيع قال: سمعت حماد بن إسحاق يقول: ما ألف أبى هذا الكتاب قط، يعنى كتاب الأغانى الكبير، ولا رآه، والدليل على ذلك، أن أكثر أشعاره المنسوبة، إنما جمعت لما ذكر معها من الأخبار، وما غنى فيها إلى وقتنا هذا، وأن أكثر نسبة المغنين خطأ، والذى ألفه أبى من دواوين غنائهم، يدل على بطلان هذا الكتاب، وإنما وضعه وراق كان لأبى بعد وفاته، سوى الرخصة التى هى أول الكتاب، فإن أبى ألفها، إلا أن أخباره كلها من روايتنا. وقال لى أبو الفرج: هذا سمعته من أبى بكر وكيع، واللفظ يزيد وينقص.

قال: وأخبرنى جحظة أنه يعرف الوراق الذى وضعه، وكان يسمى سندى بن على، وحانوته فى طاق الزبل، وكان يورق لإسحاق، فاتفق هو وشريك له على وضعه، وهذا الكتاب يعرف فى القديم بكتاب السراة، وهو أحد عشر جزءا، ولكل جزء أول يعرف به، فالجزء الأول من الكتاب: الرخصة، هو من تأليف

إسحاق، لاشك فيه ولاخلف.
قرأت فى كتاب ألف فى أخبار أبى زيد البلخي، أن أبا زيد قال: وذكر كتاب الأغاني لإسحاق، فقال: ما رأيت أعجب من الموصلى، جمع علم العرب والعجم فى كتاب، ثم أنشده بالاسم قال: وكان إسحاق أديبا فاضلا، متقدما فى كل شئ، بلغنى أنه دخل على إسحاق ابن إبراهيم، بن مصعب، يعزيه بعبد الله بن طاهر، فقال:
لم تصب أيها الأمير بعبد ... الله لكن به أصيب الأنام
فسيكفيكم البكاء عليه ... أعين المسلمين والإسلام
إسحاق بن إبراهيم البربري المحرر " ووالده إبراهيم " ويعرف بالنديم، كذا قال عبد الرحمن بن عيسى الوزير. قال محمد بن إسحاق بن النديم: هو إسحاق بن إبراهيم، بن عبد الله، بن الصباح، بن بشر، بن سويد، بن الأسود، التميمي ثم السعدى، وكان إبراهيم أبوه أحول، وكان محررا أيضا. وكان ول من تكلم على رسوم الخط وقوانينه، وجعله أنواعا رجل يعرف بالأحول المحرر، لا أدرى: هل هو إبراهيم أو غيره؟ وكان من صنائع البرامكة، وكان يحرر الكتب النافذة من السلطان إلى ملوك الأطراف فى الطوامير، وكان فى نهاية الحرفة والوسخ، ومع ذلك كان سمحا لا يليق على شئ، فلما رتب الأقلام، جعل أول الأقلام الثقال.

فمنها قلم الطومار وهو أجلها، يكتب فى طومارتام بسعفة، وربما كتب بقلم، وكانت تنفذ الكتب إلى الملوك به، ومن الأقلام: قلم الثلثين، قلم السجلات، قلم العهود، قلم المؤامرات، قلم الأمانات، قلم الديباج، قلم المدمج، قلم المرصع، قلم التشاجي. فلما أنشأ ذو الرياستين الفضل بن سهل، اخترع قلما وهو أحسن الأقلام، ويعرف بالرئاسي، ويتفرع إلى عدة أقلام، فمن ذلك: قلم الرئاسي الكبير، قلم النصف من الرئاسي، قلم الثلث، قلم صغير النصف، قلم خفيف الثلث، قلم المحقق، قلم المنثور، قلم الوشي، قلم الرقاع، قلم المكاتبات، قلم غبار الحلبة، قلم النرجس، قلم البياض.
فأما إسحاق هذا، فإنه كان يعلم المقتدر وأولاده، وهو أستاذ ابن مقلة. ولأبى على إليه رسالة ذكرتها فى أخبار أبى على. ويكنى بأبى الحسين، لم ير فى زمانه أحسن خطا منه، ولا أعرف بالكتابة.
ولإسحاق كتاب القلم، كتاب تحفة الوامق، رسالة فى الخط والكتابة، وأخوه أبو الحسن نظيره، ويسلك طريقته، وابنه أبو القاسم، إسماعيل، بن إبراهيم، وابنه أبو محمد القاسم بن إسماعيل، بن إسحاق، ومن ولده أيضا أبو العباس عبد الله بن إسحاق، وهؤلاء القوم فى نهاية حسن الخط، والمعرفة بالكتابة.

إسحاق بن إبراهيم الفارابي

خال إسماعيل بن حماد الجوهرى، صاحب كتاب الصحاح فى اللغة، وأبو إبراهيم هذا، هو صاحب كتاب ديوان الأدب، المشهور اسمه، الذائع ذكره كتب إلينا القاضى الأشرف يوسف بن إبراهيم، بن عبد الواحد الشيبانى القفطى من بلاد اليمن، وكان قد سافر إلى هناك وأقام، قال: مما أخبركم به، أن أبا إبراهيم إسحاق

الفارابى مصنف كتاب ديوان الأدب، ممن ترامى به الاغتراب، وطوح به الزمان المنتاب إلى أرض اليمن، وسكن زبيد، وبها صنف كتابة ديوان الأدب، ومات قبل أن يروى عنه، وكان أهل زبيد، قد عزموا على قراءته عليه، فحالت المنية دون ذلك. قال: وكانت وفاته فيما يقارب سنة خمسين وأربعمائة، والله أعلم.

ووضع كتابه على ستة كتب: الأول السالم، الثانى المضاعف، الثالث المثال، وهو ما كان فى أوله واو أو ياء، والرابع ذوات الثلاثة، وهو ما كان فى وسطه حرف من حروف العلة، والخامس كتاب ذوات الأربعة، وهو ما كان آخره حرف علة، والسادس كتاب الهمزة، وكل كتاب من هذه الستة أسماء وأفعال، يورد الأسماء اولا ثم الأفعال بعده. وله كتاب بيان الإعراب، كتاب شرح أدب الكاتب، كتاب ديوان الأدب. قرأت بخط الشيخ أبي نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري، الفارابي النسوي النيسابوري قال: قرأته على إبراهيم – رحمه الله – بفاراب، ثم على أبي السري محمد بن إبراهيم الأصبهاني بأصبهان، ثم عرضته على القاضي أبى سعيد السيرافي ببغداد. قال الحاكم: وكنت قرأت بعضه إلى موضع البلاغ، وهو آخر الأسماء على أبي يعقوب يوسف بن محمد، بن إبراهيم الفرعاني الزبرقاني قال: قرأته على أبي علي، الحسن بن علي، بن سعد الزاميني، وقرأه أبو علي على أبي إبراهيم. قال الحاكم: قول الجوهرى عرضته على القاضي أبى سعد السيرافي يريد أنه، فأنكره من كلمات علم عليها بخط الجوهري، وفى آخر الثلث الأخير من نسخة الحاكم: قرأ على أبو سعد عبد الرحمن بن محمد، بن محمد، بن عزيز، هذا الكتاب من أوله إلى أخره، وصححته له، وكتبه إسماعيل بن حماد الجوهري، وعلى النسخة أيضا فى موضع آخر سمعه مني، ولدي علي والحسن، من أوله إلى أخره بقراءتي إياه، إلا أوراقا قرأها الحسن بنفسه علي، وصح سماعهما، والله تعالى يبارك لهما فيه، ويوفقهما الأعمال.

وكتب أبوهما يعقوب بن أحمد، غرة المحرم سنة خمس وخمسين وأربعمائة، ثم قرأه على ولدي الحسن، قراءة بحث واستقصاء، من أوله إلى آخره، بما على حواشيه من الفوائد، وشرح الأبيات فى شهور، سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وعلى النسخة أيضا قبل ذلك ما صورته: سمعه مني بلفظي، وصححه عرضاً بنسختي، صاحبه أبو يوسف، يعقوب بن أحمد، وفرغ منه فى ذى العقدة، سنة تسع وعشرين وأربعمائة.

وكتب عبد الرحمن بن محمد بن دوست بخطه، قال مؤلف الكتاب: فهذا مه وضوحه، وكون هؤلاء المذكورين مشهورين، معروفين، ومعرفتى بالخطوط الموجودة على النسخة، كمعرفتى بما لا أشك فيه، يبطل ما كتب إلينا القاضي القفطي، من كون هذا الكتاب صنف بزبيد، وأنه لم يسمع على مصنفه.

إسحاق بن أحمد، بن شبيب

بن نصر، بن شبيب ابن الحكم، بن أقلذ، بن عقبة، بن يزيد، بن سلمة، بن رؤبة، بن خفاتة، بن وائل، بن هضيم، بن ذيبان الصفار، أبو نصر الأديب البخارى، من أهل بخارى، كان أحد أفراد الزمان فى علم العربية، والمعرفة بدقائقها الخفية، وكان فقيهاً وورد إلى بغداد، وروى بها، ومات بعد سنة خمس وأربعمائة، فإنه فى هذه السنة حدث ببغداد، ذكره السمعاني أبو سعد فى تاريخ مرو، والحاكم بن البيع، فى تاريخ نيسابور، والخطيب فى تاريخ بغداد. قال تاج الإسلام: ومن خطه نقلت: ورد أبو نصر الصفار خراسان ثم

خرج إلى العراق والحجاز، وسكن الطائف، وبها توفى، وقبره بها معروف، وله تصانيف فى اللغة، وكان حسن الشعر وهو جد الزاهد الصفار إبراهيم بن إسماعيل بن، إسحاق بن أحمد، الذى لقيناه بمرو. وسمع نصر بن أحمد بن إسماعيل الكنانى. وروى عنه أبو على الحسن بن على بن محمد، بن المذهب التميمي البغدادي. وقال الحاكم أبو نصر الفقيه، الأديب البخاري الصفار، بعد ما ذكر سنة كما تقدم: قدم علينا حاجا، وما كنت رأيت مثله ببخارى فى سنة، فى حفظ الأدب والفقه، وقد طلب الحديث فى أنواع من العلم، وأنشدني لنفسه من الشعر المتين ما يطول شرحه، ثم قال: أنشدني لنفسه:

ألعين من زهر الخضراء فى شغل ... والقلب من هيبة الرحمن فى وجل

لو لم تكن هيبة الرحمن تردعنى ... شرقت من قبلى فى صحن خد ولى

يا دمية خلقت كالشمس فى المثل ... حورى جسم ولكن صورة الرجل

لو كان صيد الدمى والمرد من عملى ... لكنت من طرب كالشارب الثمل

لكننى من وثاق العقل فى عقل ... وليس لي عن وفاق العقل من حول

الله يرقبني والعقل يحجبني ... فما لمثلى إذا في اللهو والغزل

كلفت نفسى عزا في صيانتها ... دين الورى لهم طرا وديني لي

وقال أبو بكر بن على الخطيب: إسحاق بن أحمد، ابن شيبب أبو نصر البخارى، ويعرف بالصدق، قدم بغداد فى سنة خمس وأربعمائة، وحدث بها عن نصر بن أحمد، بن إسماعيل الكناني، صاحب جبريل السمرقندي، حدثنى عنه الحسن بن على، بن محمد، بن المذهب، واثنى عليه خيراً. قال المؤلف: ورأيت أنا له كتابا فى النحو عجيبا، سماه كتاب المدخل إلى سيبويه، وذكر فيه المبنيات فقط، يكون نحواً من خمسمائة ورقة، ووقفت منع على كلام من تبحر في هذا الشأن، واشتمل على غوامضه إلى أقصى مكان، وله غير ذلك من التصانيف فى الأدب، وكتاب المدخل الصغير فى النحو، وكتاب الرد على حمزة فى حدوث التصحيف.

إسحاق بن بشر، بن محمد، ابن عبد الله

بن سالم أبو حذيفة البخارى، مولى بنى هاشم، ولد ببلخ، واستوطن بخارى، فنسب إليها، وهوة صاحب كتاب المبتدأ وغيره، مات ببخارى سنة ست ومائتين، حدث عن محمد بن إسحاق، بن يسار، وعبد الملك بن جريج، وسعيد بن أبي عروبة، وجويبر بن سعيد، ومقاتل بن سليمان، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وإدريس ابن سنان، وخلق من أئمة أهل العلم أحاديث باطلة، روى عنه جماعة من الخراسانين، و لم يرو عنه من البغداديين فيما أعلم، سوى إسماعيل بن عيسى العطار، فإنه سمع منه مصنافته، ورواها عنه، وروى الحسن بن علويه القطان: أن الرشيد بعث إلى أبي حذيفة، فأقدمه بغداد، و كان يحدث في المسجد المعروف بابن رعيان. و قال أحمد بن سيار، بن أيوب: كان ببخارى شيخ يقال له أبو حذيفة، إسحاق بن بشر القرشى، وكان صنف فى بدء الخلق كتاباً، وفيه أحاديث ليست لها أصول، وكان يتعرض فيروى عن قوم ليسوا ممن أدركهم مثله، فإذا سألوه عن آخرين دونهم يقول: من أين أدركت هؤلاء؟ وهو يروى عمن

فوقهم و كانت فيه غفلة، مع أنه كان يزن بحفظ، وسمعت إسحاق بن منصور يقول: قدم علينا ههنا، وكان يحدث عن ابن طاوس، ورجال كبار من التابعين، ممن ماتوا قبل حميد الطويل. قال: فقلت له: كتبت عن حميد الطويل؟ قال: ففزع وقال: جئتم تسخرون بي، حميد عن أنس جدى لم يلق حميداً. قال: فقلنا له أنت تروى عمن مات قبل حميد بكذا كذا سنة، قال: فعلمنا ضعفه، وأنه لا يعلم ما يقول. وقال أبو رجاء قتيبة بن سعيد: بلغنى أن أبا حذيفة البخارى قدم مكة، فجعل يقول: حدثنى ابن طاوس، فقيل لسفيان بن عيينة ذلك، فقال: سلوه عن مولده، فسألوه، فإذا ابن طاوس مات قبل مولده بسنين. فقال: وهو متروك الحديث، ساقط رمى بالكذب. قال المؤلف: كل ما تقدم من كتاب الخطيب. محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب كتاب المبدإ ثم كتاب الفتوح، كتاب الردة، كتاب الجمل، كتاب الألوية، كتاب صفين، كتاب حفر زمزم.

إسحاق بن مسلمة بن إسحاق القينى

أخبارى عالم أندلسى، له كتاب يشتمل على أجزاء كثيرة فى أخبار " رية " ناحية بالأندلس، وحصونها وولاتها، وحروبها، وفقهائها، ذكره أبو محمد بن حزم.

إسحاق بن عمار، يعرف بابن الجصاص

يكنى أبا يعقوب، من موالى اليمن، وكان صاحب عيسى بن موسى فى أول الدولة، ولم يزل معه. فكان الناس يقرءون عليه الشعر فى دار عيسى، قال المرزبانى: قال عيسى بن جعفر: إسحاق بن عمار من موالي اليمن، ويقال: هو عبد الله بن إسحاق، وإسحاق أبوه هو الجصاص، وقد اختلف فى ولائه أيضاً وقال الكسائي: إسحاق بن عمار الجصاص، أحد من أخذنا عنه الشعر، وكان عالما به، ومات فى آخر أيام المنصور. قال: وكان إذا إذا تكلم فى مجلس صمت الناس. وقال عبد الله بن جعفر: ذكر ابن الجصاص الكوفى الرواية، عند أحمد بن سعيد بن سالم، قال: ذكر عند أبى فاختلفوا فى ولائه، فقال أبي: حدثنى من رآه، وقد دخل إلى عيسى بن موسى، بعد أن خلع وسلم العهد إلى المهدى فقال: أيها الأمير، أنت و الله كما قال الأحوص:

فمن يك عنا سائلاً بشماتة ... لما مسنا أو شامتاً غير سائل

فما عجمت منا العواجم ماجداً ... صبوراً على عضات تلك التلاتل

إذا سر لم يبطر وليس لنكبة ... ألمت به بالخاشع المتضائل

وحدث المبرد عن عيد الله بن صالح المقرئ قال: كان ابن الجصاص، وجناد بن واصل قاعدين، فتذاكرا القبور، فقال ابن الجصاص متمثلاً:

فإن كنت لا تدرين ما الموت فانظرى ... إلى دير هند كيف خطت مقابره

فقال جناد:

ترى عجباً مما قضى الله فيهم ... رهائن حتف أوجبته مقادره

فرد عليه أعرابى فقال:

بيوت ترامى أهلها فوق أهلها ... ومستأذن لا يرحل الدهر زائره

وقال ابن الكلبي: ابن الجصاص الراوية، مولى لبشر ابن عبد الملك، بن بشر بن مروان.

إسحاق بن مرار

،

أبو عمرو الشيبانى الكوفى قال الأزهرى: كان يعرف بأبى عمرو الأحوص، ومرار بكسر الميم ورائين مهملتين مخففتين، وهو مولى وليس من بنى شيبان، وإنما كان مؤدبا لأولاد ناس من بنى شيبان، فنسب إليهم، كما نسب اليزيدي إلى يزيد ابن منصور، حين أدب ولده.

وقرأت فى أمالى أبى إسحاق النجيرمي: ذكر أن يوسف الأصبهانى قال: أبو عمرو الشيباني من الدهاقين وإنما قيل له الشيباني، لأنه كان يؤدب ولد هارون الرشيد، الذين كانوا فى حجر يزيد بن مزيد الشيباني، فنسب إليه قال عبد الله بن جعفر: وأبو عمرو راوية أهل بغداد، واسع العلم باللغة والشعر، ثقة فى الحديث، كثير السماع. وله كتب كثيرة فى اللغة جياد، مات فى أيام المأمون، سنة خمس ومائتين، أوست ومائتين، وقدبلغ مائة سنة وعشر سنين.

وقال ابن السكيت: مات أبو عمرو، وله ثمان عشرة ومائة سنة، وكان يكتب بيده إلى أن مات، وكان ربما استعار منى الكتب، وأنا إذ ذاك صبى آخذ عنه، وأكتب من كتبه. وقال ابن كامل: مات أبو العتاهية، وأبو عمرو الشيباني، وإبراهيم المغنى، والد إسحاق فى يوم واحد، سنة ثلاث عشرة ومائتين، ببغداد.

قال ابن درستويه: وله بنون وبنو بنين يروون عنه كتبه، وأصحاب علماء ثقات، وكان ممن يلزم مجلسه، ويكتب عنه الحديث: أحمد بن حنبل – رضي الله عنه – وحدث الحزنبل، عن عمرو بن أبى عمرو الشيباني قال: لما جمع أبى أشعار القبائل، كانت نيفا وثمانين قبيلة، فكان كلها عمل منها قبيلة وأخرجها إلى الناس، كتب مصحفا بخطه، وجعله فى مسجد الكوفة، حتى كتب نيفا وثمانين مصحفا. وكان يقول: تعلموا العلم، فإنه يوطئ الفقراء بسط الملوك. وروى عن أبى عمرو الشيباني أنه قال يوما لأصحابه: لايمنين أحد أمنية سوء، فإن البلاء موكل بالمنطق هذا المؤمل قال:

شف المؤمل يوم الحيرة النظر ... ليت المؤمل لم يخلق له بصر

فذهب بصره. وهذا مجنون بنى عامر قال:

فلو كنت أعمى أخبط الأرض بالعصا ... أصم ونادتني أجبت المناديا

فعمى وصم. وقال أبو شبل يهجو أبا عمرو الشيباني:

قد كنت أحجو أبا عمرو أخا ثقةً ... حتى ألمت بنا يوما ملمات

فقلت: والمرء قد تخطيه منيته ... أدنى عطيته إياى ميات

فكان ما جاد لي لا جاد عن سعة ... دراهم زائفات ضربجيات
ما الشعر ويح أبيه من صناعته ... لكن صناعته بخل وحالات
ودن خل ثقيل فوق عاتقه ... فيه رعيثاء مخلوط وصحناة
فلو رأيت أبا عمرو ومشيته ... كأنه جاحظ العينين نهات
نهات: أى نهاق وقال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب كتاب الختم، كتاب النوادر، كتاب أشعر القبائل، ختمه بابن هرمة، كتاب الخيل، كتاب غريب المصنف، كتاب اللغات، كتاب غريب الحديث، كتاب النوادر الكبير على ثلاث نسخ.
وقال أبو الطيب اللغوى فى كتاب مراتب النحويين: وأما كتاب الختم فلا رواية له، لأن أبا عمرو بخل به على الناس، فلم يقرأه أحد عليه، وذكره أبو بكر الخطيب فقال: هو كوفي نزل بغداد، وحدث بها عن ركين الشامي. روى عنه ابنه عمرو، وأحمد بن حنبل، وأبو عبيد القاسم بن سلام، وكان ثقة. قال ثعلب: وكان مع أبي عمرو الشيبانى من العلم والسماع، عشرة أضعاف ما كان مع أبى عبيدة، ولم يكن في أهل البصرة مثل أبي عبيدة، في السماع والعلم.
قال المؤلف: ولقد أسرف ثعلب فيما فضل به أبا عمرو، فإننى لا أقول: إن الله خلق رجلا كان أوسع رواية وعلما من أبى عبيدة فى زمانه. وحدث يونس بن حبيب قال: دخلت على أبي عمرو الشيباني، وبين يديه قمطر فيه أمناء من الكتب يسيرة، فقلت له أيها الشيخ: هذا علملك؟فتبسم إلى وقال: إنه من صدق كثير.

وقال الخطيب: كان أبو عمرو نبيلاً، وفاضلاً، عالما بكلام العرب، حافظا للغاتها، عمل كتاب شعراء مضر، وربيعة، ويمن، إلى ابن هرمة، وسمع من الحديث سماعا واسعا، وعمر عمرا طويلا، حتى أناف على التسعين، وهو عند الخاصة من أهل العلم، والرواية مشهور معروف والذي قصر به عند العامة من أهل العلم أنه كان مستهترا بالنبيذ والشرب له. قرأت بخط أبي منصور الأزهري، فى كتاب نظم الجمان للمنذري، حدثني أبو بكر محمد بن أحمد، بن النضر المثنى قال: حدثنى سعيد بن صبيح قال: حدثنى أبوك يعنى النضر، قال: كنت عشية الخميس عند إسماعيل بن حماد، بن أبي حنيفة، وجاء أبو عمرو الشيباني فقال لى: من هذا الشيخ؟ قلت، هذا أبو عمرو الشيباني، صاحب العربية والغريب، وكان قد أتى عليه نحو من خمس عشرة سنة ومائة، فالتفتت إليه أسائله عن أيامه وسنه، ثم قال: ما راح بك؟ الك حاجة؟ قلت: نعم بلغني أنك تقول: إن القرآن مخلوق، قال: نعم، قلت: فمتى خلقه؟ قبل أن يتكلم به أو بعد ما تكلم به، فأطرق طويلا ثم رفع رأسه، وقال: أنت شيخ جدل، هذا قولي، وقول أمير المؤمنين. قال سعيد: فغدوت يوم الجمعة على أبي عمرو، وكان مجلسه وكنت أقرب منه، فقلت يا أبا عمرو " وإيش " كنت تصنع عند إسماعيل بن حماد؟ قال: من أخبرك؟ فقال: أحمد بن أبي غالب، أله عن هذا، فإن هذا بي عارف، يعنى المأمون، دعوا هذا لا تتكلموا به.

إسحاق بن نصير الكاتب البغدادي

،

أبو يعقوب،كاتب الرسائل بديوان مصر، بعد محمد بن عبد الله، ابن عبد كان، قال ابن زولاق: مات سنة سبع وتسعين ومائتين، قال ابن زولاق: وكان أبو جعفر محمد بن عبد الله ابن عبد كان، على المكاتبات والرسائل، منذ أيام أحمد بن طولون، ومكاتباته وأجوبته موجودة، إلى أن قدم عليه أبو يعقوب، إسحاق بن نضير البغدادي من العراق، والتمس التصرف، فقال له ابن عبد كان، فيماذا تتصرف؟ فقال: فى المكاتبات والأجوبة والترسل، وكان بين يدى أبي جعفر كتب قد وردت، فقال له: خذ هذه وأجب عنها، فأخذها ومضى إلى ناحية من الدار، فأجاب عنها، فأجاب عنها، ثم وضع خفه تحت رأسه ونام، وقام أبو جعفر إلى الحجرة التى له، فاجتاز به والكتب بين يديه، فأخذها وقرأها، فلما تأملها جعل بروح إسحاق بن نضير حتى انتبه، فقال له: عمن أخذت الكتبة وأجرى عليه أربعين دينارا فى كل شهر، فلم يزل مع أبي جعفر إلى أن توفى أبو جعفر، وانفرد بالأمر على بن أحمد الماذرائي، فقال لإسحاق: الزم منزلك، فانصرف، فوردت كتب فأجاب عنها على بن أحمد، ودخل على أبي الجيش، خمارويه بن أحمد، بن طولون، فعرضها عليه، فقال له: ما هذه الألفاظ التى كانت تخرج منى وعنى فمضى على بن أحمد، وعاد إليه، فما أراد أبو الجيش الجواب ولا استجاده، فخرج على بن أحمد وقال: هاتوا إسحاق ابن نضير، فجئ به، فقال: أجب عن هذه، فأجاب، ودخل على بن أحمد على أبي الجيش، فقرأ الأجوبة، فقال: نعم هذا الذى أعرف " أيش الخبر " ؟ فقال له: كاتب كان مع أبي جعفر، فاعتزل، وأحضرته الساعة، فقال هاته، فأحضره فقال: كم رزقك؟ فقال: أربعون ديناراً، فقال لعلي بن أحمد: " اجعلها أربعمائة فى السنة " ، إجعلها له أربعمائة فى الشهر.

وقال لإسحاق بن نصير: لا تفارق حضرتى، فبلغ إسحاق حتى صار رزقه ألف دينار فى كل شهر، فكان يجود بذلك، ويفضل به على الناس، ولقد أرسل إلى بغداد إلى ثلاثة أنفس، إلى أبي العباس المبرد، وإلى أبي العباس ثعلب، وإلى وراق كان يجلس عنده دفعة واحدة ثلاثة آلاف دينار، لكل واحد منهم ألف دينار، وجرى ذلك على يدي أحمد بن الوليد التاجر، خال القاضي بمصر.

إسحاق بن يحيى، بن شريح الكاتب

أبو الحسين النصرانى، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان جيد المعرفة يامر الدواوين والخراج، ومناظرة العمال، وله معرفة تامة بالنجوم، ومولده فى شعبان سنة ثلاثمائة، قال وهو يحيا. قال المؤلف: وكان قوله هذا فى سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، قال: وله من الكتب: كتاب الخراج الكبير فى ألف ورقة، جزأين، وجعله ستة منازل كتاب الخراج الذى فى أيدى الناس مائتا ورقة، كتاب الخراج صغير نحو مائة ورقة، كتاب عمل المؤامرات بالحضرة، كتاب تحويل سني الوليد نحو مائة ورقة، كتاب جمل التاريخ.

إسحاق بن موهوب

بن أحمد، بن محمد بن الخضر الجواليقي يكنى أبا طاهر، وهو أخو إسماعيل، ومات فى الحادى عشر من رجب، سنة خمس وسبعين وخمسمائة، ودفن بباب حرب عند أبيه وأخيه. سمع أبا القاسم بن الحصين وأباه وغيرهما، وحدث بالقليل. سمع منه القاضي القرشي قال: وسألته عن مولده فقال: فى ربيع الأول، سنة سبع عشرة وخمسمائة.

أسعد بن عصمة، أبو البيداء الرياحي

أعرابي نزل البصرة، وكان يعلم الصبيان بالأجرة وأقام بها أيام عمره، يؤخذ عنه العلم، زوج أم أبي مالك عمرو بن كركرة، وكان شاعراً، ومن شعره:

قال فيها البليغ ما قال ذو العي ... وكل بوصفها منطيق
وكذاك العدو لم يعد أن قال ... جميلا كما يقول الصديق

أسعد بن علي، بن أحمد الزوزني

المعروف بالبارع، أبو القاسم الأديب الشاعر، الفاضل الكاتب المترسل، مات فيما ذكره عبد الغافر في السياق، يوم عيد الأضحى، سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة. قرأت بخط تاج الإسلام: البارع من أهل زوزن، سكن نيسابور، وورد العراق، وأكرم فضلاؤها مورده، وكان شاعر عصره، وأوحد دهره بخراسان والعراق، وقد شاع ذكره فى الآفاق، وكان على كبر سنه، يسمع الحديث، ويكتب إلى آخر عمره، سمع أبا عبد الرحمن ابن محمد الداودى، وأبا جعفر محمد بن إسحاق البحاثي، وروى لنا عنه أبو البركات الفرارى. وأبو منصور الشحامى وغيرهما.

وذكره الباخرزي فى الدمية وقال: الأديب أبو القاسم، أسعد بن على البارع الزوزني، هو البارع حقا، والوافر من البراعة حظا، وقد اكتسب الأدب بجده وكده، وانتهى من الفضل إلى أقصى حده، ولفتني إليه نسبة الآداب، ونظمتني وإياه صحبة الكتاب، وهلم جرا إلى الآن، وقد ارتدينا المشيب، وخلعانا برد الشباب ذاك القشيب، ولا أكاد أنسى وأنا فى الحضر، حظى منع فى السفر، وقد أخذنا بيننا بأطراف الأحاديث، ورضنا المطايا بأجنحة السير الحثيث، حتى سرنا معا إلى العراق، ونزل هو من فضلائه بمنزلة السواد من الأحداق وعنده توقيعاتهم بتبريزه على الأقران، وحيازته قصبات الرهان، وأنا على ذلك من الشاهدين، لا أكتم من شهادتى دقا ولا جلا، بل أعتقد بها صكا وعليها سجلا، ومن يكتمها فإنه آثم قلبه، وعازب لبه.

قال السمعانى: أنشدنى الشحامى، أنشدنا البارع لنفسه:

قد أقبل المعشوق فاستقبلته ... مستسقياً مستشفيا من ريقه
نشوان والإبريق فى يده ولى ... من ريقه ما ناب عن إبريقه
لو كنت أعلم أنه لى زائر ... لرششت من دمعى تراب طريقه

ولكنت أذكى جمر قلبى فى الدجى ... بطريقه كى يهتدى ببريقه
فزويت وجهى عن مدامة كأسه ... وشربت كأسا من مجاج عقيقه
وله أيضا:
كأن لون الهواء ماء ... أو سندس رق أو عمامه
كأن شكل الهلال قرط ... أو عطفة النون أو قلامه
وله أيضا:
ألا فاشكر لربك كل وقت ... على الآلاء والنعم الجسيمة
إذا كان الزمان زمان سوء ... فيوم صالح منه غنيمة
وله أيضا:
أبو بكر حبا فى الله مالا ... وكان لسانه يجرى بلالا
لقد واسى النبى بكل خير ... وأعطى من ذخائره بلالا
لو أن البحر ناقضه اعتقادا ... لما أعطى الإله له بلالا
ومما أورده الباخرزى فى كتابه البارع:
قمر سبى قلبى بعقرب صدغه ... لما تجلى عنه قلب العقرب
فأجبته ألديك قلبى قال لا ... لكن قلبك عند قلب العقرب
قرأت فى بعض الكتب قال: الفضلاء الملقبون بالبارع فى خراسان ثلاثة: أحدهم البارع الهروى، وهو صاحب كتاب طرائف الطرف، وهو دونهم في الفضل مرتبة، والثاني البارع البوشنجي، وهو أوسطهم، والثالث البارع الزوزني، وهو أفضلهم وأشهرهم، قال: وكان تلميذ القاضى أبى جعفر البحاثي، وهو الذى يقول فيه البحاثي:
عفجت على اليبس البويرع مرة ... فقال: لقد أوجعت سرمى فبله
فقلت: بزاقى لايفى بجميعه ... ومن أين لى أن أبزق الدرب كله
قلت أنا: ينبغي أن يكون قد استعمله بمنارة إسكندرية، إذ عفجه فى شئ كالدرب فأوجعه. وقال البحاثى فيه أيضا:

للبارع ابن العاهرة ... زوجة سوء فاجره
مؤاجر قد زوجوه ... كفؤه مؤاجرة
وقال البارع هذا، يخاطب أبا القاسم على بن أبى توار رئيس زوزون:
كف على عندها التبر ... هان وللمك بخا قدر
كأنما الخال على ظهرها ... عنبرة قد مجها البحر

أسعد بن مسعود، بن علي

،

بن محمد، ابن الحسن العتبي أبو إبراهيم، من ولد عتبة بن غزوان، وهو حفيد أبي النضر العتبى، كذا ذكر السمعاني فى المذيل، وأبو النضر: هو محمد بن عبد الجبار، وليس فى نسب هذا عبد الجبار كما ترى، ولا أدرى ما صوابه، إلا أن يكون ابن بنته. قال السمعاني: قرأت بخط والذي: أسعد بن مسعود العتبي، مولده سنة أربع وأربعمائة، ذكره أبو الحسن البيهقى فى وشاح الدمية، وقال: هو مصنف كتاب درة التاج، وكتاب تاج الرسائل، وكان كاتباً في الدواوين المحمودية، والسلجوقية، وعاش إلى آخر أيام نظام الملك وقال فى الامام على الفنجكردى:

يا أوحد البلغاء والأدباء ... ياسيد الفضلاء والعلماء

يامن كأن عطاردا فى قلبه ... يملى عليه حقائق الأشياء

وذكره أبو سعد، ونقلت من خطه، قال بعد ذكر نسبه: كان من أهل نيسابور، وكان يسكن مدرسة البيهقى، وهو من أولاد المنعمين، شاعر كاتب، تصرف فى الأعمال أيام شبابه، وخرج فى صحبة عميد خراسان إلى أسفار، وصحب الأكابر، وارتفعت به الأيام وانخفضت، حتى تأخر عن العمل، وتاب ولزم البيت، وقنع بالكفاف من العيش، واستراح من الأمور، وعقد له مجلس الإملاء فى الجامع المنيعى، فأملى مدة، وكان يحضر عنده المدثون والأئمة ودخل بغداد، وسمع بها من أبي منصور عبد الله بن سعيد، بن مهدي الكاتب الخوافي وسمع بنيسابور ومرو، وغير ذلك، وسمع جده أبا النضر العتبي، وروى لنا جماعة عنه.

قال: وقرأت بخط أبي جعفر، محمد بن على الحافظ الهمذاني: أسعد بن مسعود العتبي: شيخ عالم، ثقة دين، كان يثنى عليه أبو صالح المؤذن الحافظ، وذكره فى موضع آخر وقال: أسعد العتبى: تزهد وكان من الصالحين. قال السمعانى: أنبأنا أبو البركات الفراوى، عن ابن مسعود، عن عبد القاهر بن طاهر التميمى، حدثنى شيخ فاضل قال: دخلت المسجد الجامع بالبصرة، فرأيت شيخا بهيا قد قطع مسافة العمر، فسلمت عليه، وقلت: أتفرس أنك شاعر؟ فقال: أجل، فقلت: أنشدنى من مقولك، ما يكون لي تذكرة منك، فقال اكتب:

قالوا تغير شعره عن حاله ... والهم يشغلنى عن الأشعار

أما الهجاء فمنه شيء زاخر ... والمدح قل لقلة الأحرار

قال السمعاني: أنشدني أبو الحسين، أحمد بن محمد السمناني المصرى، أنشدنا أبو إبراهيم أسعد العتبى لنفسه:

قد كنت فيما مر من أزمانى ... متوانيا لتقاصر الإحسان

ورأيت خلانى وأهل مودتى ... متوفرين معا على الإخوان

فتغيروا لما رأونى تائبا ... وعن التصرف قد صرفت عنانى

دعهم وعادتهم فلم أر مثلهم ... إلا مجرد صورة الإنسان

واغسل يديك من الزمان وأهله ... بالطين والصابون والأشنان

أسعد بن المهذب، بن أبي المليح

مماتي أحد الرؤساء الأعيان الجلة، والكتاب الكبراء المنزلة، ومن تصرف بالأعمال، وولى رياسة الديوان، وله أدب بارع، وخاطر وقاد مسارع، وقد صنف في الأدب وعرف، ومات بمدينة حلب فى الثامن عشر من جمادى الأولى، سنة ست وستمائة، على ما نذكره إن شاء الله تعالى، وأصله من نصارى أسيوط، بليدة بصعيد مصر، قدموا مصر، وخدموا وتقدموا، وولوا الولايات، وهو مع ذلك، من أهل بيت فى الكتابة عريق، وهو كالمستولى على الديار المصرية، ليس على يده يد، والمسمون بالخلافة، محجوبون ليس لهم غير السكة والخطبة، وكان إلي مماتى كثير من الأعمال، فحدثني الصاحب الكبير، الوزير الجليل، جمال الدين الأكرم، أبو الحسن علي بن يوسف الشيباني القفطي، – حرس الله علاه – بمدينة حلب قال: بلغني أن بعض تجار الهند، قدم إلى مصر، ومعه سمكة مصنوعة من عنبر، قد تنوق فيها وأجيدت، وطيبت ورصعت بالجواهر، فعرضها على بدر الجمالي ليبيعها منه، فسامها من صاحبها، فقال: لا أنقصها عن ألف دينار شيئا، فأعيدت إليه، فخرج بها من دار بدر، فقال له أبو المليح: أرنى هذه السمكة، فاراه إياها، فقال له كم سمت فيها؟ فأخذ بيده، وقبض ألف دينار من ماله، وتركها عنده مدة، فاتفق أن شرب أبو مليح يوما وسكر، وقال لندمائه: قد اشتهيت سمكا، هاتم المقلى والنار، حتى نقليه بحضرتنا، فجاءه بمقلى حديد وفحم، وتركوه على النار، وجار بتلك السمكة العنبر، فتركها فى المقلى، فجعلت تتقلى وتفوح روائحها، حتى لم يبق بمصر دار، إلا ودخلتها تلك الرائحة، وكان بدر الجمالى جالسا، فشم تلك الرائحة وتزايدت، فاستدعى الخزان، وأمرهم بفتح خزائنه وتفتيشها، خوفا من حريق قد يكون وقع فيها، فوجدوا خزائنه سالمة، فقال. ويحكم، انظروا ما هذا، ففتشوا حتى وقعوا على حقيقة الخبر، فاستعظم الأمر وقال: هذا النصراني، الفاعل الصانع، قد أكل أموالي، واستبد بالدنيا دوني، حت أمكنه أن يفعل مثل هذا، وتركه إلى الغداة، فلما دخل إليه وهو مغضب، قال له ويحك: أستعظم أنا وأنا ملك مصر شرى سمكة من العنبر، فأتركها استكثارا لثمنها، فتشتريها أنت!! ثم لا يقنعك حتى تقليها، وتذهب فى ساعة ألف دينار مصرية، ما فعلت هذا، إلا وقد نقلت بيت أموالي إليك، وفعلت، فقال له: والله ما فعلت هذا إلا غيرة عليك، ومحبة لك، فإنك اليوم سلطان نصف الدنيا، وهذه السمكة لا يشتريها إلا ملك، فخفت أن يذهب بها إلى بعض الملوك، ويخبره بأنك استعظمتها ولم تشترها، فأردت أن أعكس الأمر، وأعلمه أنك ما تركتها إلا احتقارا لها، وأنها لم يكن لها عندك مقدار، وأن كاتبا نصرانيا من كتابك اشتراها، وأحرقها، فيشيع بذلك ذكرك، ويعظم عند الملوك قدرك، فاستحسن بدر ذلك منه، وأمر له بضعفى ثمنها، وزاد فى رزقه. وكان مماتي مع ذلك كريما ممدحا، قد مدحه الشعراء، فذكر أبو الصلت في كتاب الرسالة المصرية له، أن أبا طاهر إسماعيل بن محمد النشاع، المعروف بابن مكنسة، كان منقطعا إليه فلما مات مماتي، رثاه ابن مكنسة بقصيدة منها:

ماذا أرجى من حياتي ... بعد موت أبي المليح

ما كان بالنكس الدنيى ... من الرجال ولا الشحيح

كفر النصارى بعد ما ... غدروا به دين المسيح

كذا قال، ولعلهم اغتالوه أو قتلوه. ولما ولي الأفضل بن أمير الجيوش، بدر الجمالي بعد أبيه، دخل إليه ابن مكنسة مادحا، فقال له: ذهب رجاؤك بموت أبي المليح، فما الذي جاء بك إلينا، وحرمه ولم يقبل مديحه.

وأما المهذب والده، وكان يلقب بالخطير، فإنه كان كاتب ديوان الجيش بمصر، في اواخر أيام المصريين، وأول أيام بني أيوب مدة، فقصده الكتاب، وجعلوا له حديثا عند السلطان، فهم به صلاح الدين يوسف بن أيوب، أو أسد الدين شيركوه، وهو يومئذ المستولي على الديار المصرية، فخاف المهذب، فجمع أولاده ودخل على السلطان، وأسلموا على يده، فقبلهم وأحسن إليهم، وزاد فى ولاياتهم، وجب الإسلام لما قبله.

ووجدت على ظهر كتاب من تصانيف ابن مماتي مكتوبا: كان المهذب أبوه، المعروف بالخطير، مرتبا على ديوان الإقطاعات، وهو على دين النصرانية، فلما علم أسد الدين شيركوه، فى بدء أمره بمصر أنه نصراني، وأنه يتصرف في عمله بلا غبار، نهاه وأمره بغيار النصاري، ورفع الذؤابة وشد الزنار، وصرفه عن الديوان، فبادر هو وأولاده، فأسلموا على يده، فأقره على ديوانه مدة، ثم صرفه عنه، فقال فيه ابن النروى:

لم يسلم الشيخ الخطير ... لرغبة في دين أحمد
بل ظن أن محاله ... يبقى له الديوان سرمد
والآن قد صرفوه عنه فدينه فالعود أحمد قال: ووجدت بخط ابن مماتى:
صح التمثل فى قديم ... الدهر أن العود أحمد

ولما أمر شيركوه النصارى بلبس الغيار، وأن يعمموا بغير عذبة، قال عمارة اليمني:

يا أسد الدين ومن عدله ... يحفظ فينا سنة المصطفى
كفى غيارا شد أوساطنا ... فما الذى يوجب كشف القفا

وجرى معه حديث النحويين، وأن أحدهم ينفذ عمره فيه، ولا يتجاوز إلى شيء من الأدب – الذي يراد النحو لأجله – من البلاغة، وقول الشعر، ومعرفة الأخبار والآثار، وتصحيح اللغة، وضبط الأحاديث. فقال الأسعد: هؤلاء مثلهم مثل الذي يعمل الموازين، وليس عنده ما يزن فيه، فيأخذها غيرهم، فيزن فيها الدر النفيس، والجوهر الفاخر، والدنانير الحمر، والجواهر البيض، وهذا عندي من حسن التمثيل. أنشدنا سعيد بن أبى الكرم، بن هبة الله المصرى قال: أنشدني الخطير أبو سعيد بن مماتي لنفسه، فى أبى سعيد بن أبي اليمن النحال وزير العادل، وكان نصرانيا واسلم، وكان أملح الناس وجها، أعنى ابن النحال.

وشادن لما أتى مقبلا ... سبحت رب العرش باريه
ومذ رأيت النمل فى خده ... أيقنت أن الشهد في فيه

وأنشدنا سعيد بن أبى الكرم المذكور، قال: أنشدنى الخطير أبو سعيد بن مماتي، في ابن النحال أيضا، وكان يسكن ابن النحال فى أول الدرب، وكان فى آخر الدرب صبى مثله فى الحسن، يعرف بابن زنبور:

حوى درب نور الدين كل شمردل ... مشددة أوساطهم بالزنانير
بأوله للشهد والنحل منزل ... وآخره يا سادتى للزانير

ومن عجيب ما جرى للخطير: أنه كان يوما جالسا فى انه في حجرة موسومة بديوان الجيش، من قصر السلطان بمصر، وكانت حجرة حسنة مرخمة منمقة، فجاءه قوم وقالوا له: قم من ههنا، فقال لهم: ما الخبر؟ فقالوا: قد تقدم الملك العادل أبو بكر بن أيوب، بأخذ رخام هذه الحجرة، وأن يعمر به موضعا آخر، فخرج

منكسرا كاسفا، فقيل له في ذلك: فقال: قد استجيبت فينا دعوة، وما أظنني أجلس فى ديوان بعدها، أما سمعتم إذا بالغوا فى الدعاء علينا قالوا. خرب الله ديوانه، وما بعد الخراب إلا اليباب، ثم دخل منزله، أوحم فلم يخرج منه إلا ميتا، فلما مات خلفه ابنه الأسعد هذا، على ديوان الجيش، وتصدر فيه مدة طويلة، ثم أضيف إليه في الأيام الصلاحية والعزيزية ديوان المال، وهو أجل ديوان من دواوين مصر، وتصدر فيه، واختص بصحبة القاضي الفاضل، عبد الرحيم بن علي البيساني، ونفق عليه، وحظى عنده، وكرم لديه، فقام بأمره، وأشاع من ذكره، ونبه على فضله، وصنف له عدة تصانيف باسمه، ولم يزل على ذلك، إلى أن ملك الملك العادل، أبو بكر ابن أيوب الديار المصرية، وكان وزيره، والمدبر لدولته، الصفي عبيد الله بن علي بن شكر، وكان بينه وبين الأسعد ذحل قديم أيام رياسته عليه، ووقعت من الأسعد إهانة في حق ابن شكر، فحقدها عليه، إلى أن تمكن منه، فلما ورد مصر، أحضر الأسعد إليه، وأقبل بكليته عليه، وفوض إليه جميع الدواوين، التى كانت باسمه قديما، وبقي على ذلك سنة كاملة، ثم عمل له المؤامرات، ووضع عليه المحالات، وأكثر فيه التأويلات، ولم يلتفت إلى أعذاره ولا اعاره طرفا لاعتذاره، فنكبه نكبة قبيحة، ووجه عليه أموالا كثيرة، وطالبه بها، فلم يكن له وجه، لأنه كان عفيفا ذا مروءة، فأحال عليه الأجناد، فقصدوه وطالبوه، وأكثروا عليه، وآذوه، واشتكوه إلى ابن شكر، فحكمهم فيه.

فحدثني المؤيد إبراهيم بن يوسف الشيباني قال: سمعت الأسعد يقول: علقت فى المطالبة على باب دارى بمصر، على ظهر الطريق في يوم واحد، إحدى عشرة مرة، فلما قدم رأوا أننى لا وجه لي، قبل لي تحيل، ونجم هذا المال عليك فى نجوم، فقلت: أما المال فلا وجه له عندي، ولكن إن أطلقت وملكت نفسى، استجديت من الناس، وسألت من يخافني ويرجوني، فلعلي أحصل من هذا الوجه، فأما من وجه حاصل، فليس لى بعد ما أخذتموه مني درهم واحد، فنجم المال على، وأطلقت وبقيت مديدة إلى أن حل بعض نجوم المال على، فاختفيت واستترت، وقصدت القرافة، وأخفيت نفسى فى مقبرة الماذرائيين، وأقمت بها مدة عام كامل، وضاق الأمر على، فهربت قاصدا للشام على اجتهاد من الأستاذ، فلحقنى فى بعض الطريق فارس مجد، فسلم على، وسلم إلى مكتوبا ففضضته، وإذا هو من الصفى بن شكر، يذكر فيه: لاتحسب أن اختفاءك عنى، كان بحيث لا أدرى أين أنت؟ ولا أين مكانك؟ فاعلم أن أخبارك كانت تأتينى يوما يوما، وأنك كنت فى قبور الماذرائيين بالقرافة، منذ يوم كذا، وأننى اجتزت هناك، واطلعت فرأيتك بعينى، وأنك لما خرجت هاربا عرفت خبرك، ولو أردت ردك لفعلت، ولو علمت أنك قد بقى لك مال أو حال لما تركتك، ولم يكن ذنبك عندي مما يبلغ أن أتلف معه نفسك، وإنما كان مقصودي: أن أدعك تعيش خائفا فقيرا، غريا ممجحا فى البلاد، فلا تظن أنك هربت مني بمكيدة صحت لك علي، فاذهب إلى غير دعة الله، قال: وتركني القاصد وعاد، فبقيت مبهوتا إلى أن وصلت إلى حلب.

فحدثني الصاحب جمال الدين الأكرم – أدام الله علوه – لما ورد إلى حلب، نزل في داري فأقام عندي مدة، وذلك في سنة أربع وستمائة، وعرف الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين، بن أيوب – رحمه الله – خبره فأكرمه، وأجرى عليه فى كل يوم دينارا صوريا، وثلاثة دنانير أخرى أجرة دار، فكان يصل إليه في كل ثلاثة

أشهر ثلاثون دينارا، غير بر وألطاف، ما كان يخليه منها، وأقام عنده على قدم العطلة، إلى سنة ست وستمائة، كما ذكرنا، ومات فدفن بظاهر حلب، بمقام بقرب قبر أبي بكر الهروي. وله تصانيف كثيرة يقصد بها قصد التأدب، وفي معرض وقائع تجرى، ويعرضها على الأكابر، لم تكن مفيدة إفادة علمية، إنما كانت شبيهة بتصانيف الثعالبي وأضرابه، فمن ذلك كتاب تلقين التفنن في الفقه، كتاب سر الشعر، كتاب علم النثر، كتاب الشيء بالشيء يذكر، وعرضه على القاضى، فسماه سلاسل الذهب، لأخذ بعضه بشعب بعض، كتاب تهذيب الأفعال لابن ظريف، كتاب قرقرة الدجاج، في ألفاظ ابن الحجاج، كتاب الفاشوش فى أحكام " قراقوش " ، كتاب لطائف الذخيرة لابن بسام كتاب ملاذ الأفكار وملاذ الاعتبار، كتاب سيرة صلاح الدين يوسف بن أيوب، كتاب أخاير الذخائر، كتاب كرم النجار في حفظ الجار، عمله للملك الظاهر لما قدم عليه، كتاب ترجمان الجمان، كتب مذاهب المواهب. كتاب باعث الجلد عند حادث الولد، كتاب الحض على الرضى بالحظ، كتاب زواهر السدف وجواهر الصدف، كتاب قرص العتاب، كتاب درة التاج، كتاب ميسور النقد، كتاب المتحل، كتاب أعلام النصر، كتاب خصائص المعرفة فى المعميات، وكان علم الدين بن الحجاج، شريكه في ديوان الجيش، وكان بينهما ما يكون بين المتماثلين في العمل، فعمل فيه الكتاب المتقدم ذكره، وهجاه بعدة أشعر، منها:

حكى نهرين ما في الأرض ... من يحيهما أبدا

ففى أفعاله ثورى ... وفي ألفاظه بردى

وكان له نوادر حسنة حادة، منها ما حدثني به الصاحب القاضي الأكرم، قال: ركبنا وخرجنا يوما نسير بظاهر حلب، فكان خروجنا من أحد أبوابها، ودرنا سور البلد جميعه، ثم دخلنا من ذلك الباب، فقال: اليوم تسييرنا تدليك، قلت: كيف؟ قال من برا برا.

وكان السديد بن المنذر، وهو رجل فقيه، اتصل بالسلطان صلاح الدين، يوسف بن أيوب بعض الاتصال، فجعل لنفسه بذلك سوقا، واستجلب بما يمت به من ذلك، وإن كان باطلا رزقا، وكان أعور رديئا، قليل الدين بغيضا، ولما أحدث الملك الظاهر غازي، قناة الماء بحلب، وأجراها في شوارعها ودور الناس، فوض إلى ابن المنذر النظر في مصالحها، ورزق على ذلك رزقا حسنا، نحو ثلاثمائة درهم فى الشهر، فسأل عنه الأمير فارس الدين، ميمون القصري، والأسعد بن مماتي حاضر، فقال له مسرعا: هو اليوم مستخدم على قناة، فأعجب بحسن هذه النادرة الحاضرين.

وقيل للأسعد يوما: أى شيء يشبه ابن المنذر؟ فقال: يشبه الزب، فاستبردوا ذلك، وظنوا أنه إنما ذهب إلى عورة فقط، فقال: مالكم لا تسألوني كيف يشبهه؟ فقالوا: كيف؟ قال: هو أقرع أصلع أعور، يسمع بلا أذن، يدخل المداخل الرديئة بحدة واجتهاد، ويرجع منكسرا، فاستحسن ذلك. وله شعر، من ذلك قوله فى الثلج في رجب، سنة خمس وستمائة:

قد قلت لما رأيت الثلج منبسطا ... على الطريق إلى أن ضل سالكها

ما بيض الله وجه الأرض في حلب ... إلا لأن غياث الدين مالكها

وقال أيضا فيه:

لما رأت عينى الثلج ... ساقطا كالأقاحي

وصار ليل الثرى منه ... أبيضا كالصباح

حسبت ذلك من ذوب ... در عقد الوشاح

أو من حباب الحميا ... أو من ثغور الملاح

فما على داخل النار ... بعد ذا من جناح

وقال أيضا فيه:

بسيف غياث الدين غازي بن يوسف بن ... أيوب دام القتل واتصل الفتح

وشاهدته في الدست والثلج دونه ... فقلت: سليمان بن داود والصرح

وقال أيضا فيه:

مذ رأينا الصبح يزدان ... ويزداد انفراشا

وحسبنا نوره يطرد ... من خلف الفراشا

نثر الثلج علينا ... ياسمينا وفراشا

ورأى أن يرسل الأسهم ... بالبرد فراشا

فغدا الكافور في عنبرة ... الأرض فراشا

وقال أيضا فيه:

لما رأت عينى الثلج ... خلته الياسمينا

وقلت من عجب منه ... أصبح الآس مينا

وخلته من ثغور الملا ... ح للآثمينا

فما أرادوا من الدر ... قط إلا ثمينا

وقال أيضا فيه:

لما رأيت الثلج قد ... أضحت به الأرض سما

وأنسب الصبا الصبا ... وأذكرت جهنما

خفت فما فتحت من ... تعاظم الخوف فما

فإن نما صبرى وهو ... ناقص فإنما

وقال أيضا فيه:

لما رأيت الثلج قد ... غطى الوهاد والقنن

سألت يأهل حلب ... هل نمطر السما اللبن؟

نقل من خطه ومن شعره أيضا:

وحياء ذاك الوجه بل وحياته ... قسم يريك الحسن في قسماته

لأرابطن على الغرام بثغره ... لأفوز بالمرجو من حسناته

وأجاهدن عواذلي في حبه ... بالمرهفات على من لحظاته
قد صيغ من ذهب وقلد جوهرا ... فلذاك ليس يجوز أخذ زكاته
وله أيضا:
يعاهدني ألا يخون وينكث ... ويحلف لي ألا يصد ويحنث
ومن أعجب الأشياء أنك ساكن ... بقلبي وأني عن مكانك أبحث
وللحسن يا لله طرف مذكر ... يتيه به عجبا وطرف مؤنث
ومنه أيضا:
يا سالب الظبية لحظا وجيد ... أجر لمن تهجر أجر الشهيد
متى رأى طرفك قتل امرئ ... بأسهم اللحظ فقيد الفقيد
ولد دوبيت:
يا غصن، أراك حاملا عود أراك ... حاشاك إلى السواك يحتاج سواك
قل ي: أنهاك عن محييك نهاك ... لو تم وفاك بست خديك وفاك
كذا وجدت له في اشعارمجموعة، وأنشدني هذين " الدوبيت " بعض أهل الأدب، وذكر أنهما للعماد الأصبهاني الكاتب، وهما به أشبه، لأنهما في غاية الجودة، وابن مماتي، في طبقة شعره انحطاط جدا. ومن شعره أيضا:

قد نهانا عن الغرام نهانا ... إذ هوانا ألا تذوق هوانا
وهجرنا الحبيب خيفة أن يهجر ... بدءا فيستمر عنانا
وتركنا للورى فكأنا ... قد أدرناه بيننا دستكانا
وأنسنا من وحشة بفراق ... فافترقنا كما ترى برضانا
وسمعنا من العذول كلاما ... فأنفنا من ضحكه لبكانا
أى خير يكون في حب من فوق ... سهما من لحظة ورمانا
نحن لو لم نكن هجرناه من قبل ... لأبدى صدوده وجفانا
شيمة في الملاح قد أحسن الدهر ... بإعلامها بنا وأسانا
وصباح المشيب يظهر ما كان ... ظلام الشباب عنه ثنانا
ما مشينا إلى الصبابة إلا ... وخطانا معدودة من خطانا
فأدرها معسجدات كؤوسا ... مطلعات من الحباب جمانا

أسلم بن سهل، بن أسلم

،

بن زياد، ابن حبيب الرزاز، أبو الحسن المعروف بنحشل الواسطى، منسوب إلى محلة الرزازين، المحلة

للسلفي بواسط، ومسجده هناك وداره، وهو ثقة، إمام يصلح للتصحيح، وجده لأمه: أبو محمد وهب بن بقية، ويقال: وهبان. جمع نحشل تاريخ واسط، وضبط أسماء أهلها، ورتب طبقاتهم، وكان لا مزيد عليه في الحفظ والإتقان. مات في سنة ثمان وثمانين ومائتين، قبلها أو بعدها بقليل. حدث عنه بتاريخه أبو بكر، محمد بن عثمان، بن سمعان المعدل، وكان يضاهيه فى الحفظ والإتقان، وشركه في أكثر شيوخه، ومات قبل الثلاثين وثلاثمائة. ذكر ذلك كله السلفي الحافظ، في السؤالات التى سألها خميسا الحوزي.

إسماعيل بن أحمد، بن عبد الله

،

الحيري أبو عبد الله الضرير المفسر، المقرئ الواعظ، الفقيه المحدث الزاهد، أحد المسلمين، والحيرة محلة بنيسابور هى الآن خراب، مات فيما ذكره عبد الغافر بن إسماعيل بعد الثلاثين وأربعمائة، ومولده سنة إحدى عشرة وثلاثمائة. قال: وله التصانيف المشهورة فى علوم القرآن والقراءات، والحديث والوعظ، والتذكير. سمع صحيح البخارى من أبى الهيثم. سمع منه ببغداد، وقد روى عن زاهر السرخسي.

إسماعيل بن إسحق، بن إسماعيل

،

بن حماد، بن زيد، بن درهم،أبو إسحق الأزدى، مولى آل حرير بن حازم، من أهل البصرة. مات فيما ذكره الخطيب: سنة اثنتين وثمانين ومائتين، ومولده سنة مائتين، مات فجاءة. قال التنوخى: حدثنى بو الفرج الأصبهانى، أن القاضى إسماعيل، لبس سواده ليخرج إلى الجامع فيحكم، ولبس أحد خفيه، وأراد أن يلبس الآخر، فمات. وهو قاض على جانبى بغداد جميعا. سمع محمد بن عبد الله الأنصاري، ومسدد بن مسرهد، وعلي بن المديني، وغيرهم. روى عنه موسى بن هارون الحافظ، وكان فاضلا، عالما، متقنا، فقيها، على مذهب مالك ابن أنس، شرح مذهبه ولخصه، واحتج له، وصنف المسند، وكتبا عدة فى علوم القرآن، وجمع كتاب حديث مالك، وكتاب يحيى بن سعيد الأنصارى، وكتاب أيوب السختيانى، واستوطن بغداد قديما، وولى القضاء بها، ولم يزل يتقلده إلى حين وفاته قال الخطيب: قال طلحة بن محمد، بن جعفر الشاهد: إسماعيل بن إسحاق منشؤه البصرة، وأخذ الفقه على مذهب مالك، عن أحمد بن المعدل، وتقدم فى هذا المذهب، حتى صار علما فيه، ونشر من مذهب مالك وفضله، ما لم يكن بالعراق في وقت من الأوقات، وصنف من الاحتجاج لمذهب مالك والشرح له، ما صار لأهل هذا المذهب مثالا يحتذونه، وطريقا يسلكونه، وانضاف إلى ذلك علمه بالقرآن، فإنه صنف في القرآن كتبا تتجاوز كثيرا من الكتب المصنفة فيه. فمنها كتاب فى أحكام القرآن، وهو كتاب لم يسبقه أحد من أصحابه إلى مثله، وكتاب في القراءات، وهو كتاب جليل القدر، عظيم الخطر، وكتاب في معاني القرآن، وهذان الكتابات يشهدان بفضله فيهما، وأنه واحد زمانه، ومن انتهى إليه العلم في النحو واللغة في أوانه، وهو نظير المبرد.

ورأيت أبا بكر بن مجاهد يصف هذين الكتابين، وسمعته مرات لا أحصيها يقول: القاضي إسماعيل، أعلم مني بالتصريف، وبلغ من العمر ما صار به واحدا فى عصره، في علو الإسناد، فحمل الناس عنه من الحديث الحسن ما لم يحمل أحد عن كثير، وكان الناس يصيرون إليه، فيقتبس منه كل فريق علما لا يشاركه فيه الآخر، فمن قوم يحملون الحديث، ومن قومك يحملون علم القرآن، والقراءات، والفقه، إلى غير ذلك مما يطول شرحه. فأما سداده في القضاء، وحسن مذهبه فيه. وسهولة الأمر عليه، فيما كان يلتبس على غيره، فشئ شهرته تغنى عن ذكره، وكان في أكثر أوقاته، وبعد فراغه من الخصوم، متشاغلا بالعلم، لأنه اعتمد على مكاتبة أبي عمر، محمد بن يوسف، فكان يحمل عنهأكثر أمره من لقاء السلطان، وينظر فى كل أمره، وأقبل هو على الحديث والعلم.

قال أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم: كان إسماعيل ابن إسحاق نيفا وخمسين سنة على القضاء، ما عزل عنها إلا سنتين قال الخطيب: وهذ القول فيه تسامح، وذلك أن ولاية إسماعيل للقضاء، ما بين ابتدائها إلى حين وفاته، لم تبلغ خمسين سنة، وأول ما ولي في خلافة المتوكل، لما مات سوار بن عبد الله، بن سوار، بن عبد الله، وكان قاضى القضاة بسر من رأى: جعفر بن عبد الواحد الهاشمى، فأمره المتوكل، أن يولى إسماعيل، قضاء الجانب الشرقى من بغداد، سنة ست وأربعين ومائتين، لم يعزله أحد من الخلفاء غير المهتدي، فإنه نقم على أخيه حماد بن إسحاق شيئا، فضربه بالسياط، وعزل إسماعيل إلى أن قتل المهدي، وولي المعتمد، فأعاده إلى القضاء، فلم يزل على قضاء بغداد بالجانبين إلى أن مات، ولم يقلد قضاء القضاة، لأن القضاة، كان الحسن بن أبي الشوارب، وكان يكون حينئذ بسامرا وحدث الخطيب قال: قال المبرد لما توفيت والدة القاضي إسماعيل، رأيت من وجهه ما لم يقدر على ستره، وكان كل يعزيه، وقد كان لايسلو، فسلمت عليه ثم أنشدته:

لعمري لئن غال ريب الزمان ... فساء لقد غال نفسا حبيبه

ولكن علمى بما في الثواب ... عند المصيبة ينسي المصيبة

فتفهم كلامي واستحسنه، ودعا بدواة وكتبه، ثم انبسط، وزالت تلك الكآبة والجزع.

قال إبراهيم بن حماد: أنشدني عمي إسماعيل القاضي:

همم الموت عاليات فمن ثم ... تخطى إلى لباب اللباب

ولهذا قيل: الفراق أخو الموت ... لإقدامه على الأحباب

قال: ودخل إلى القاضي إسماعيل بن إسحاق، عبدون، ابن صاعد الوزير، وكان نصرانيا، فقام له ورحب به، فرأى إنكار الشهود ومن حضره، فلما خرج قال لهم: قد علمت إنكاركم، وقال الله تعالى: " لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين، ولم يخرجوكم من دياركم " وهذا الرجل يقضى حوائج المسلمين، وهو سفير بيننا وبين خليفتنا، وهذا من البر، فسكتت الجماعة.

قرأت بخط أبي سعيد بإسناد له، رفعه إلى أبى العباس ابن الهادي. قال: كنت عند إسماعيل بن إسحاق القاضي في منزله، فخرج يريد صلاة العصر، ويدي في يده، فمر ابن البرى، وكان غلاما جميلا، فنظر إليه: فقال وهو يمشى إلى المسجد:

لولا الحياء وأنني مشهور ... والعيب يعلق بالكبير كبير
لحللت منزلها التي تحتله ... ولكان منزلها هو المهجور
وانتهى إلى مسجد على باب داره فقال، الله أكبر، الله أكبر، ثم مر في أذانه، والشعر لإبراهيم بن المهدى.
وحكى أبو حيان هذه الحكاية كما مر، وزاد فيها، فقيل له: افتتحت الأذان بقول الشعر، فقال دعوني، فوالله لو نظر أمير المؤمنين إلى ما نظرت إليه، لشغله عن تدبير ملكه. قيل له: فهل قلت شيئا آخر فيه؟ قال: نعم، أبيات عبثت بي وأنا في المحراب، فما استتممت قراءة " الحمد " حتى فرغت منها، وهي:
ألحاظه ترجمان منطقه ... ووجهه نزهة لعاشقه
هذبه الظرف والكمال فما ... يمر عيب على طرائقه
قد كثرت قالة العباد فما ... تسمع إلا سبحان خالقه

ومن كتاب القضاة لابن سمكة قال: لما مات إسماعيل بن إسحاق، بقيت بغداد ثلاثة أشهر بغير قاض، حتى ضج الناس، ورفع إلى المعتضد، فاختار عبيد الله بن سليمان، ثلاثة قضاة، أبا حازم، وعلي بن أبي الشوارب، ويوسف، وهو ابن عم إسماعيل بن إسحاق، فولي أبا حازم الكرخ، وابن أبي الشوارب مدينة المنصور، ويوسف الجانب الشرقي.
قال: وأخبرني الثقة أن إسماعيل دخل على الموفق، فقال له: ما تقول في النبيذ؟ فقال أيها الأمير: إذا أصبح الإنسان وفي رأسه شيء منه، يقال له ماذا؟ فقال الموفق: يقال هو مخمور، قال فهو كاسمه.
وحدث المحسن قال: سمعت أبي يحكي عن أبي عمر القاضي قال: عرض القاضي إسماعيل على عبيد الله بن سليمان، وزير تامعتضد رقعة في حوائج الناس، ثم عرض أخرى وقال: إن أمكن الوزير أن يوقع، وقع وعرض أخرى، وقال شيئا من هذا الجنس، فقال عبيد الله: يا أبا إسحاق: كم تقول " إن أمكن، وإن جاز، وإن سهل " ؟ من قال لك: إنه يجلس هذا المجلس أحد، ثم يتعذر عليه شيء على وجه الأرض من الأمور، فقد كذبك، هات رقاعك كلها في موضع واحد، قال: فاخرجها إسماعيل من كمه، وطرحها بين يديه، فوقع فيها، فكانت مع ما وقع فيه قبل الكلام وبعده، نحو الستين رقعة – رحمه الله – فما أصدق ما كانت رغبته إلى الله عز وجل.

اسماعيل بن الحسن، بن على الغازى

البيهقيأبو القاسم، شمس الأئمة، ذكره البيهقي فى كتاب الوشاح، فقال: يعرف بالشمس البيهقي، كان جامعا لفنون الآداب، حائزا لمفاتيح الحكمة وفصل الخطاب، أقام وتوطن بمرو، وطريقه في الفقه مستقيم، واكثر مصنفاته من المناقص سليمات ومن منظومه:
كتاب حضرتنا دامت سلامتهم ... يهيئون من الألقاب أسبابا
وينصبون من الأطماع ألوية ... ويفتحون من الألقاب أبوابا
ويبخلون بما جاد الكريم به ... وينفقون على الأقوام ألقابا

تجشئوا في نواديهم بلا شبع ... كأنهم أكلوا الحلتيت والرابا

أخذه من قول الخوارزمي:

قل الدراهم في كيسى خليفتنا ... فصار ينفق في الأقوام ألقابا

قال: ومن تصانيفه: كتاب نقض الاصطلام، كتاب سمط الثريا، في معانى الغرائب للحديث، كتاب فى اللغة، كتاب فى الخلاف ظريف.

إسماعيل بن الحسين، بن محمد، بن الحسين

ابن أحمد، بن محمد ابن عزيز، بن الحسين، بن أبي جعفر، محمد الأطروش، بن علي، بن الحسين، بن علي، بن محمد الديباج، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، بن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي، بن أبى طالب – رضي الله عنهم – ، كنيته أبو طالب بن أبي محمد، بن أبي أحمد، بن أبي علي، بن أبي الحسين، بن أبي جعفر، بن أبي الفضل، بن أبي جعفر الأطروش، بن أبي الحسين بن أبي عبد الله، بن أبي الحسين، بن أبي جعفر، بن أبي عبد الله الصادق، بن أبي جعفر الباقر، بن أبي محمد العابدين، بن أبي عبد الله السبط، بن أبي الحسن أمير المؤمنين، المروزي العلوي، النسابة الحسيني، عزيز الدين حقاً، أول من انتقل من أجداده إلى مرو من قوم، أبو علي أحمد بن محمد، بن عزيز، وكان قد انتقل إلى بغداد من المدينة، علي بن محمد الديباجي، وكان على هذا يعرف بالحارص، وابنه الحسين انتقل إلى قوم، ثم أقاموا بمرو إلى هذا الأوان. وأخبرني – أحسن الله جزاه – أن مولده ليلة الأثنين، الثاني والعشرين من جمادى الآخرة، سنة اثنتين وسبعين وخمسمائة، ورد بغداد في سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة، صحبة الحجاج، ولم يحج. وقرأ الأدب على الإمام منتخب الدين، أبي فتح محمد ابن سعد، بن محمد، بن أبي الفضل الديباجي، والإمام برهان الدين أبي الفتح، ناصر بن أبي المكارم، عبد السيد بن على المطرزي الخوارزمي، وأخيه الإمام مجد الدين أبى الرضا طاهر، وقرأ الفقه على الإمام فخر الدين محمد ابن محمد، بن محمد، بن الحسين الطيان الماهروة الحنفى، وقاضي القضاة، منتخب الدين أبي الفتح محمد بن سليمان، ابن إسحاق الفقيهى قال: وما علمت أنه ولى القضاء بمرو أحسن سيرة منه – رحمه الله – وقرأ الحديث على الإمام فخر الدين، إسماعيل بن محمد، بن يوسف القاشانى، وأبى بكر بن محمد، بن عمر الصائغي السبخي، والإمام شرف الدين، محمد بن مسعود المسعودي، والإمام فخر الدين، أبي المظفر عبد الرحيم، ابن الإمام تاج الإسلام، عبد الكريم بن محمد، بن منصور السمعاني، وعبد الرشيد بن محمد، بن أبي بكر الزرقى المؤدب، وبنيسابور على القاضي ركن الدين إبراهيم بن على، بن حمد المعيني، والإمام مجد الدين، أبى سعد عبد الله بن عمر الصفار، والإمام نور الدين، فضل الله بن أحمد، بن محمد الجليل التوقاني، وعبد الرحيم بن عبد الرحمن الشعري، وبالري على مجد الدين، يحيى بن الربيع الواسطي، وببغداد عليه، وعلي عبد الوهاب بن علي، بن سكينة، وغيرهم، بشيراز، وهراة، وتستر، ويزد. وله من التصانيف: كتاب حظيرة القدس، نحو ستين مجلدا، ولعله يزيد فيما بعد، وكتاب بستان الشرف، وهو مختصر ذلك، يكون عشرين مجلدا، كتاب غنية الطالب، فى نسب آل أبى طالب مجلد، كتاب الموجز فى النسب، مجلد لطيف، كتاب الفخرى صنفه للفخر الرازي، كتاب زبدة الطالبية، مجلد لطيف، كتاب

خلاصة العترة النبوية، في أنساب الموسوية، كتاب المثلث فى النسب، شجر عدة كتب منها: كتاب أبي الغنائم الدمشقي، كتاب من اتصل عقبه بأبى الحسن، محمد بن القاسم التميمى الأصفهاني مشجر، وكتاب المعرف للسيد أبي طالب الزنجاني الموسوي، كتاب الطبقات للفقيه زكريا بن أحمد البزاز النيسابوري، كتاب نسب الشافعي خاصة، كتاب وفق الأعداد في النسب. وهذا السيد – أدام الله فضله – اجتمعت به في مرو، في سنة أربع عشرة وستمائة، فوجدته كما قيل:

قد زرته فوجدت الناس في رجل ... والدهر في ساعة والفضل فى دار

قد طبع من حسن الأخلاق، وسماحة الأعراق، وحسن البشر، وكرم الطبع، وحياء الوجه، وحب الغرباء على ما نراه، متفرقا في خلق كثير، وهو مع ذلك، أعلم الناس يقينا بالأنساب، والنحو، واللغة، والشعر، والأصول، والنجوم، وقد تفرد بهذا البلد، بالتصدر لإقراء العلوم على اختلافها، فى منزل ينتابه الناس على حسب أغراضهم، فمن قارئ للفقه، ومتعلم فى النحو، ومصحح للغة، وناظر في النجوم، ومباحث في الأصول، وغير ذلك من العلوم، وهو مع سعة علمه متواضع، حسن الأخلاق، لايرد غريب إلا عليه، ولايستفيد مستفيد إلا منه. وأنشدني – أدام علوه – لنفسه:

قولوا لمن لبى في حبه ... قد صار مغلوبا ومسلوبا

وفى صميم القلب مني أرى ... هواه والأيمان مكتوبا

وصحتي في عشقه صيرت ... جسمي معلولا ومعيوبا

ومدمعي منهمرا ماؤه ... منهملا في الخد مسكوبا

وأنشدني – أدام الله علوه – لنفسه:

والعين يحجبها لألاء وجنته ... من التأمل فى ذا المنظر الحسن

بل عبرتى منعت لو نظرتى عبرت ... إليه من مقلتى إلا على السفن

لولا تجسمه بالإبتسام وما ... أمده الله عند النطق باللسن

لما عرفت عقيقا شفه درر ... ولم يبن فوه نطقا وهو لم يبن

حدثنى عزيز الدين، – رحمه الله – ، قال: ورد الفخر الرازي إلى مرو، وكان من جلالة القدر، وعظم الذكر، وضخامة الهيبة، بحيث لا يراجع فى كلامه، ولا يتنفس أحد بين يديه لإعظامه، على ما هو مشهور متعارف، فدخلت إليه، وترددت للقراءة عليه، فقال لي يوما: أحب أن تصنف لي كتابا لطيفا في أنساب الطالبيين لأنظر فيه، فلا أحب أن أكون جاهلا به. فقلت له: أتريده مشجرا أم منثورا؟ فقال: المشجر لاينضبط بالحفظ، وأنا أريد شيئا أحفظه، فقلت: السمع والطاعة، ومضيت وصنفت له الكتاب، الذى سميته بالفخري، وحملته وجئته به، فلما وقف عليه، نزل عن طراحته، فأعظمت ذلك وخدمته، فانتهرني نهرة مزعجة، وزعق علي وقال: اجلس بحيث أقول لك، فتداخلني – علم الله – من هيبته ما لم أتمالك، غلا أن جلست حيث أمرنى، ثم أخذ يقرأ على ذلك الكتاب، وهو جالس بين يدي، ويستفهمني عما يستغلق عليه، إلى أن أنهاه قراءة، فلما فرغ منه قال: اجلس الآن حيث شئت، فإن هذا علم أنت أستاذي فيه، وأناأستفيد

منك، وأتتلمذ لك، وليس من الأدب أن يجلس التلميذ إلا بين يدى الأستاذ، فقمت من مقامى، وجلس هو في منصبه، ثم أخذت أقرأ عليه، وأنا جالس بحيث كان أولا، وهذا لعمري من حسن الأدب حسن، ولا سيما من مثل ذلك الرجل العظيم المرتبة.

إسماعيل الضرير النحوى، أبو علي

لا أعرف من أمره إلا ما ذكر: أن رجلا سأل إسماعيل الضرير النحوى، عن أبي القاسم، علي بن أحمد، ابن الفرج، بن الحسين، بن المسلمة، الملقب برئيس الرؤساء، وزير القائم، كيف ترى رئيس الرؤساء في النحو؟ فقال: يتكلم فيه بكلام أهل الصنعة، وسئل رئيس الرؤساء عن إسماعيل فقال: ما أرى مفتوح القلب فى النحو، إلا هذا المغمض العينين!

إسماعيل بن حماد الجوهري

،

أبو نصر الفارابي ابن أخت أبي إسحاق الفارابى، صاحب ديوان الأدب، وكان الجوهرى هذا من أعاجيب الزمان ذكاء وفطنة وعلما، وأصله من بلاد الترك من فاراب، وهو إمام في علم اللغة والأدب، وخطه يضرب به المثل في الجودة، لا يكاد يفرق بينه وبين خط أبي عبد الله بن مقلة، وهو مع ذلك من فرسان الكلام في الأصول، وكان يؤثر السفر على ساق. دخل العراق فقرأ علم العربية على شيخى زمانه، ونور عين أوانه، أبي علي الفارسي، وأبي سعيد السيرافي. وسافر إلى أرض الحجاز، وشافه باللغة العرب العاربة، وقد ذكر هو ذلك في مقدمة كتاب الصحاح من تصنيفه، وطوف بلاد ربيعة ومضر، وأجهد نفسه فى الطلب، ولما قضى وطره من الطواف، عاد راجعا إلى خراسان، وتطرق الدامغان، فأنزله أبو على الحسين بن على، وهو من أعيان الكتاب، وأفراد الفضلاء عنده، وأخذ عنه، وسمع منه، ثم سرحه إلى نيسابور، فلم يزل مقيما بها على التدريس، والتأليف، وتعليم الخط، وكتابة المصاحف، والدفاتر، حتى مضى لسبيله عن آثار جميلة وذكره أبو الحسين الباخرزي فقال: هو صاحب صحاح اللغة، لم يتأخر فيها عن شرط أقرانه، ولا انحدر عن درجة أبناء زمانه، أنشدنى الأديب، يعقوب بن أحمد قال: أنشدنى الشيخ أبو إسحاق صالح الوراق، تلميذ الجوهري – رحمه الله – له:

ياضائع العمر بالأماني ... أما ترى رونق الزمان
فقم بنا يا أخا الملاهي ... نخرج إلى نهر نشنقان
لعلنا نجتني سرورا ... حيث جنى الجنتين دان
كأننا والقصور فيها ... بحافتى كوثر الجنان
والطير فوق الغصون تحكى ... بحسن أصواتها الأغانى
وأرسل الورق عندليب ... كالزير واليم والمثاني

وبركة حولها أناخت ... عشر من الدلب واثنتان
فرصتك اليوم فاغتنمها ... فكل وقت سواه فان

وله من التصانيف: كتاب في العروض جيد بالغ، سماه عروض الورقة، كتاب الصحاح في اللغة، كتاب المقدمة فى النحو، وهذا الكتاب، هو الذى بأيدى الناس اليوم، وعليه اعتمادهم. أحسن تصنيفه، وجود تأليفه، وقرب متناوله، وآثر من ترتيبه على من تقدمه، يدل وضعه على قريحة سالمة، ونفس عالمة، فهو أحسن من الجمهرة، وأوقع من تهذيب اللغة، وأقرب متناولا من محمل اللغة، فيه يقول الشيخ أبو إسماعيل بن محمد، بن عبدوس النيسابوري.

هذا كتاب الصحاح أحسن ما ... صنف قبل الصحاح في الأدب
تشمل أبوابه وتجمع ما ... فرق فى غيره من الكتب

هذا مع تصحيف فيهه في مواضع عدة، أخذها المحققون، وتتبعها العالمون، ومن ما ساء قط، ومن له الحسنى فقط؟؟ فإنه – رحمه الله – غلط وأصاب، وأخطأ المرمى وأصاب، كسائر العلماء، الذين تقدموه وتأخروا عنه، فإني لا أعلم كتابا سلم إلى مؤلفه فيه، ولم يتبعه بالتتبع من يليه.

وذكر أبو الحسن، علي بن فضال المجاشعى في كتابه، الذى سماه شجرة الذهب، في معرفة أئمة الأدب فقال: كان الجوهري قد صنف كتاب الصحاح، للأستاذ أبى منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكى، وسمعه منه إلى باب الضاد المعجمة، واعترى الجوهرى وسوسة، فانتقل إلى الجامع القديم بنيسابور، فصعد إلى سطحه وقال: أيها الناس، إني عملت فى الدنيا شيئا لم أسبق إليه، وضم إلى جنبيه مصراعي باب، وتأبطهما بحبل، وصعد مكانا عاليا من الجامع، وزعم أنه يطير، فوقع فمات، وبقى الكتاب، مسودة غير منقحة، ولا مبيضة، فبيضه أبو إسحاق، إبراهيم بن صالح الوراق، تلميذ الجوهري بعد موته، فغلط فيه في عدة مواضع غلطا فاحشا.

وكان الجوهرى يجيد قول الشعر، فمن ذلك:

رأيت فتى أشقرا أزرقا ... قليل الدماغ كثير الفضول
يفضل من حمقه دائبا ... يزيد بن هند علي ابن البتول

قال المؤلف: وكنت بحلب في سنة إحدى عشرة وستمائة، في منزل القاضي الأكرم، والصاحب الأعظم، أبي الحسن علي بن يوسف، بن إبراهيم الشيباني، فتجارينا أمر الجوهري، وما وفق له من حسن التصنيف، ثم قلت له: ومن العجب أني بحثت عن مولده ووفاته، بحثا شافيا، ذلك، فقال لي: فقد بحثت قبلك عن ذلك، فلم أر مخبرا عنه. فلما كان من غد ذلك اليوم، جئته فقال لى: ألا أخبرك بطريفة؟ إننى رأيت في بارحتنا فى النوم قائلا يقول لي: مات إسماعيل بن حماد الجوهري، فى سنة ست وثمانين وثلاثمائة، ولعمري وإن كان المنام مما لايقطع به، ولا يعدل عليه، فهذا بلا شك زمانه، وفيه كان أوانه، لأن شيخيه أبا علي، وأبا سعيد، ماتا قبل هذه المدة بسنين يسرة، ثم وجدت نسخة بديوان الأدب، بخط الجوهري بتبريز، وقد كتبها في سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة. ثم وقفت على نسخة بالصحاح، بخط الجوهرى بدمشق، عند الملك العظيم بن العادل، بن أيوب صاحب دمشق، وقد كتبها في سنة ست وتسعين وثلاثمائة.

وقد ذكره أبو منصور عبد الملك، بن محمد الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر، وأنشد من شعره:

لو كان لي بد من الناس ... قطعت حبل الناس بالياس

العز في العزلة لكنه ... لابد للناس من الناس

وأنشد له:

وها أنا يونس في بطن حوت ... بنيسابور في ظل الغمام

فبيتي والفؤاد ويوم دجن ... ظلام في ظلام فى ظلام

وأنشد له:

زعم المدامة شاربوها أنها ... تنفي الهموم وتذهب الغما

صدقوا سرت بعقولهم فتوهموا ... أن السرور بها لهم تما

سلبتهم أدیانهم وعقولهم ... أرأيت عادم ذين مغتنما؟

ومن شعره:

يا صاحب الدعوة لاتجزعن ... فكلنا أزهد من كرز

فالماء كالعنبر في قومس ... من عزه يجعل في الحرز

فسقنا ماء بلا منة ... وأنت فى حل من الخبز

قال مؤلف الكتاب: وذكر محمود بن أبي المعالي الخواري، في كتاب ضالة الأديب من الصحاح والتهذيب، بعد أن ذكر قصة الجوهري، كما ذكرها الجاشعي، سواء من تصنيفه الكتاب للبيشكي، وقراءة الناس عليه، إلى باب الضاد، وشده مصراعي الباب وطيرانه، ثم قال: وسألت الإمام سعيد بن الإمام، أحمد ابن محمد الميدانى، عن الخلل الواقع فى هذا الكتاب، فقال مثل ما ذكرناه: إن هذا الكتاب قرئ عليه إلى باب الضاد فحسب، وبقي أكثر الكتاب على سواده، ولم يقدر له تنقيحه، ولاتهذيبه، فلهذا يقول في باب السين، قيس: أبو قبيلة من مضر، واسمه إلياس بنقطتين تحتها، ثم يقول في فصل النون من هذا الباب: الاناس بالنون اسم قيس عيلان، فالأول سهو والثاني صحيح، ثم قال: ومن زعم أنه سمع عن الجوهرى شيئا من الكتاب، زيادة على أول الكتاب إلى باب الضاد، فهو مكذوب عليه.

قال: ورأيت أنا نسخة السماع، وعليها خطه إلى باب الضاد، وهي الآن موجودة في بلادنا، والله أعلم بحقيقته. قال: والكتاب بخط مؤلفه عند أبي محمد إسماعيل بن محمد، بن عبدوس النيسابورى، وفيه يقول: وذكر البيتين المتقدمين قال: وقال الثعالبى فى أثناء كتابه، يعنى يتيمة الدهر: إن تلك النسخة بيعت بمائة دينار نيسابورية، وحملت إلى جرجان، والعلم عند الله في ذلك.

قال المؤلف: وأما البيشكى الذي صنف له الكتاب، فقد ذكره الغافر الفارسي في السياق، فقال: هو عبد الرحيم بن محمد البيشكي، الأستاذ الإمام أبو منصور، ابن أبي القاسم، الأديب الواعظ الأصولى، من أركان أصحاب أبي عبد الله، يعنى الحاكم بن عبد الله بن البيع. له المدرسة والأصحاب، والأوقاف والأسباب، والتدريس والمناظرة، والنثر والنظم. توفي في جمادى الأولى، سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة. ووجدت على

ظهر كتاب الصحاح، وكان مجلدة واحدة كاملة، بخط الحسن بن يعقوب بن أحمد النيسابوري، اللغوى الأديب ماصورته: قرأ على هذا الكتاب من أوله إلى آخره، بما عليه من حواشيه من الفوائد، معارضا بنسختى مصححا إياها: صاحبه الفقيه، الفاضل السديد، الحسين بن مسعود الصرام، – بارك الله فيه له –، وهو إجازة لي عن الأستاذ أبي منصور عبد الرحيم، ابن محمد البيشكي عن المصنف، وكتبه الحسن بن يعقوب ابن أحمد في شهر الله الأصم، سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، فهذا كما تراه مخالف لما تقدم، من أن الجوهري لم يعمل من الكتاب إلا أن باب الضاد. ومن كتابه الموسوم بالصحاح: النخيس: البكرة، يتسع ثقبها الذى يجري فيه المحور، مما يأكله المحور، فيعمدون إلى خشيبة فيثقبون وسطها، ثم يلقمونها ذلك الثقب المتسع، ويقال لتلك الخشيبة النخاس، وسألت أعرابيا بنجد من بني تميم وهو يستقي، وبكرته نخيس، فوضعت أصبعي على النخاس فقلت: ما هذا؟ وأردت أن أتعرف منه الخاء من الحاء، فقال نخاس بحاء معجمة، فقلت: أليس قال الشاعر: وبكرة نحاسها نحاس فقال: ما سمعنا بهذا في آبائنا الآولين. ومن كتابه في باب بقم، وقلت لأبي علي الفارسي أعربي هو؟فقال: معرب، وليس في كلامهم اسم على فعل، إلا خمسة خضم بن عمرو بن تميم، وبا لفعل سمى، وبقم لهذا الصبغ، وشلم موضع با لشام، وهما أعجميان، وبذر اسم ماء من با لفعل، فثبت أن فعل ليس من أن فعل ليس من أصول أسما ئهم، وإنما يختص بالفعل، فإذ سميت به رجلا لم ينصرف فى المعرفة، للتعريف ووزن الفعل، وينصرف في النكرة.

إسماعيل بن خلف

،

أبو طاهر الصقلى المقرئ صاحب على بن إبراهيم بن سعيد الحوفي من حوف مصر، وصنف كتاب إعراب القراءات في تسع مجلدات كبار، وصنف فى القراءات كتاب الإكتفاء، وكتاب العيون، وأرى أنه كان فيما بعد سنة عشرة وخمسمائة

إسماعيل بن عباد، بن العباس

،

ابن عباد الوزير الملقب بالصاحب، كافي الكفاة أبو القاسم، من أهل الطالقان، وهي ولاية بين قزوين وأبهر، وهي عدة قرى يقع عليها هذا الأسم، وبخراسان بلدة تسمى الطالقان غير هذه، خرج منها جماعة من أهل العلم، هكذا نسبه المحدثون، وقد قال الرستمي شاعره، يهنيء بن عباد قال:

يهنى ابن عباد بن عباس بن نجد ... والله تعمى بالكرامة تردف

وقال في السلامي يهجوه:

يا بن عباد بن عباس ... بن عبد الله حرها

تنكر الجبر وأخرجت ... إلى دنياك كرها

قال أبو حيان في أخلاق الوزيرين: كان عباد يلقب الأمين، وكان دينا خيرا، مقدما في صناعة الكتابة. فقال: وكتب الأمين في ركن الدولة، كما كتب العميد لصاحب خراسان، والامين كان ينصر مذهب الأشنانى تدينا، وطلبا للزلفى عند ربه، والعميد كان يعمل لعاجلته، وإن قلت: كان الأمين معلما بقرية من قرى طالقان الديلم، قيل: وكان والده العميد نخالا في سوق الحنطة بقم، والصاحب مع شهرته بالعلوم، وآخذه من كل فن منها بالنصيب الوافر، والحظ الزائد الظاهر، وما أوتيه من الفصاحة، ووفق لحسن السياسة والرجاحة، مستغن عن الوصف، مكتف عن الأخبار عنه والرصف، مولده في ذي القعدة، سنة ست ست وعشرين وثلاثمائة.

ووزر لمؤيد الدولة، أبي منصور بويه، بن ركن الدولة، أبي علي الحسن بن بويه، وأحبه فخر الدولة، ثماني عشرة سنة، وشهرا واحدا، ومات الصاحب فيما ذكره أبو نعيم الحافظ: في الرابع والعشرين من صفر، سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. وكان أبوه عباد يكنى بالحسن، وكان من أهل العلم والفضل ايضا، سمع أبا خليفة الفضل بن الحباب، وغيره من البغدادين، والأصفهانيين، والرازيين، وصنف كتابا في أحكام القرآن، نصر فيه الاعتزال وجود فيه. روى عنه ابنه الوزير أبو القاسم بن عباد، وابن مردويه الأصفهانى، ومات عباد في السنة التي مات فيها لأبنه، سنة خمس وثمانين وثلاثمائة. وكل ما ذكرناه من خبر عباد أبي الوزير، فهو منقول من كتاب المنتظم في التاريخ، من تصنيف أبي الفرج بن الجوزي. وبين عباد وبين الحسن بن عبد الرحمن، بن حماد القاضي مكاتبات ومراسلات، مذكورة مدونة.

وكان الصاحب في بدء أمره من صغار الكتاب، يخدم أبا الفضل بن العميد عليا خاصة، فترقت به الحال، إلى أن كتب لمؤيد الدولة، بن ركن الدولة، بن بويه، أخي عضد الدولة، بن ركن الدولة الديلمي. ومؤيد الدولة حينئذ أمير، وأحسن فى خدمته، وحصل له عنده بقدم الخدمة قدم، وأنس منه مؤيد الدولة كفاية وشهامة، وولى مؤيد الدولة بلاده بالرى وأصبهان، وتلك النواحى، خلع على أبى الفتح بن العميد وزير أبيه خلع الوزارة، وأجراه على ما كان فى أيام أبيه، إلى أن قتل كما ذكرناه في ترجمته، واستوزر الصاحب، واستولى على أموره، وحكمه في أمواله، ولم يزل على ذلك إلى أن آت مؤيد الدولة، وكان فخر الدولة أخو مؤيد الدولة، قد هرب من أخيه عضد الدولة، والتجأ بخراسان إلى السامانية، وهو وقابوس بن وشمكير، في أخبار يضيق كتابنا عنها، فنفذ الصاحب إليه وأحضره، وملكه البلاد، فأقر الصاحب على أمره، فأراد الصاحب اختباره، هل في نفسه عليه شئ، مما كان في أيام مؤيد الدولة؟ الذي أوجب هرب فخر الدولة، فاستعفاه من الخدمة والوزارة، فقال له فخر الدولة: لك في هذه الدولة من إرث الوزارة، كما لنا من إرث الإمارة، فسبيل كل واحد منا أن يحتفظ بحقه ولم يعفه، ولم يزل على أمره معه، إلى أن مات الصاحب، والأمور تصدر عن أمره، والملك يدبر برأيه، وكان إذا قال فخر الدولة قولا، وقال الصاحب قولا، امتثل قول الصاحب، وترك قول فخر الدولة.

وللصاحب أخبار حسان في مكارم الأخلاق، مع رقاعة كانت فيه، ووصفه الإمتاع فقال: كان الصاحب كثير المحفوظ، حاضر الجواب، فصيح اللسان قد نتف من كل أدب شيئا، وأخذ من كل فن طرفا، والغالب

عليه كلام المتكلمين المعتزلة، وكتابته مهجنة بطرائقهم، ومناظرهم مشوبة بعبارة الكتاب، وهو شديد التعصب على أهل الحكمة، والناظرين في أجزائها، كالهندسة، والطب، والتنجيم، والموسيقى، والمنطق، والعدد، وليس له من الجزء الإلاهى خبر والقوافى، ويقول الشعر، وليس بزال، وبديهته غزارة. وأما رويته فخوارة، وطالعه الجوزاء والشعرى، فقريته منه، ويتشيع بمذهب أبي حنيفة، ومقالة الزيدية، ولايرجع إلى التأله والرقة، والرأفة والرحمة، والناس كلهم يجمعون عنه لجراءته وسلاطته واقتداره وبطشته. شديد العقاب، طفيف الثواب، طويل العتاب، بذيء اللسان، يعطى كثيرا قليلا " يعطى الكثير القليل " مغلوب بحرارة الرأس، سريع الغضب، بعيد الفيئة قريب الطيرة، حسود حقود، وحسده وقف على أهل الفضل، وحقده سار إلى أهل الكفاية، أما الكتاب والمتصرفون فيخافون سطوته، وأما المنتجعون فيخافون جفوته. وقد قتل خلقا، وأهلك ناسا، ونفى أمة نخوة وبغيا، وتجبرا وزهوا ومع هذا يخدعه الصبي، ويخلبه الغبى. لأن المدخل عليه واسع، والمأتى إليه سهل، وذلك بأن يقال: " مولانا يتقدم بأن أعار شيئا من كلامه ورسائله، منظومة ومنثورة، فما جبت الارض إليه من فرغانة، ومصر، وتفليس، إلا لأستفيد كلامه، وأفصح به، وأتعلم به البلاغة: منه: لكأنما رسائل مولانا سور قرآن. وفقره آيات فرقان. واحتجاجه فى أثنائها برهان. فسبحان من جمع العالم في واحد.

وأبرز جميع قدرته في شخص، فيلين عند ذلك ويذوب، ويلهى عن كل مهم له، وينسى كل فريضة عليه، ويتقدم إلى الخازن، بأن يخرج إليه رسائله، مع الورق والورق، ويسهل الإذن عليه، والوصول إليه، والتمكن من مجلسه، فهذا هذا، ثم يعمل في أوقات كالعيد والفضل شعرا، ويدفعه إلى أبى عيسى بن المنجم، ويقول له: قد نحلتك هذه القصيدة، امدحني بها في جملة الشعراء، وكن الثالث من المنشدين، فيفعل ذلك أبو عيسى، وهو بغدادى محكك قد شاخ على الخدائع وتحنك، وينشد فيقول له عند سماعه شعره فى نفسه، ووصفه بلسانه، ومدحه من تجبيره، أعد يا أبا عيسى، فإنك والله مجيد زه يا أبا عيسى، قد صفا ذهنك، وجادت قريحتك وتنقحت قوافيك، ليس هذا من الطراز الاول حين أنشدتنا في العيد الماضي: المجالس تخرج الناس، وتهب لهم الذكاء، ويزيدهم الفطنة، وتحول الكودن عتيقا، والمحمر جوادا، ثم لايصرفه عن مجلسه إلا بجائزة سنية، وعطية هنية، ويغايظ الجماعة من الشعراء وغيرهم، لأنهم يعلمون أن أبا عيسى لايقرض مصراعا، ولايزن بيتا، ولايذوق عروضا.

قال يوما: من في الدار؟ فقيل له: أبو القاسم الكاتب وابن ثابت، فعمل في الحال بيتين، وقال لإنسان بين يديه: إذا أذنت لهذين، فادخل بعدهما بساعة، وقل قد قلت بيتين، فإن رسمت لي إنشادهما أنشدتهما، وازعم أنك بدهت بهما، ولاتجزع من تأففي بك، ولاتفزع من تكبرى عليك، ودفع البيتين إليه، وأمره بالخروج إلى صحن الدار، وأذن للرجلين حتى وصلا، فلما جلسا وأنسا، دخل الآخر على تفيئتهما ووقف للخدمة، وأخذ يتلمظ ير أنه يقرض شعرا، ثم قال يا مولانا: قد حضرنى بيتان، فإن أذنت أنشدت، قال له: أنت إنسان أخرق سخيف، لا تقول شيئا فيه خير، اكفني أمرك وشعرك، قال يا مولانا: هي بديهتي، وإن كسرتني ظلمتني، وعلى كل حال فاسمع، فإن كانا بارعين، وإلا فعاملني بما تحب، قال: أنت لحوح، هات، فأنشد:

يا أيها الصاحب تاج العلا ... لاتجعلني نزهة الشامت
بملحد يكنى أبا قاسم ... ومجبر يعزى إلى ثابت

فقال: قاتلك الله، لقد أحسنت وأنت مسيء قال لي أبو القاسم: وكدت أتفقا غيظا، لأني علمت أنها من فعلاته المعروفة، وكان ذلك الجاهل لا يقرض بيتا، ثم حدثني الخادم الحديث يقضه والذى غلطه في نفسه، وحمله على الإعجاب بفضله، والاستبداد برأيه، أنه لم يجبه قط بتخطئة، ولا قوبل بتسوئة، لأنه نشأ على أن يقال: أصاب سيدنا، وصدق مولانا، – والله دره – ما رأينا مثله، من ابن عبد كان مضافا إليه؟ ومن ابن ثوابة نقيسه عليه؟ ومن إبراهيم بن العباس الصولى؟ من صريع الغواني؟ من أشجع السلمي؟ إذا سلكا طريقهما، قد استدرك مولانا على الخليل في العروض، وعلي أبي عمرو بن العلاء في اللغة، وعلي أبي يوسف في القضاء، وعلي الإسكافي في الوازنة، وعلي ابن نوبخت في الآراء والديانات، وعلي ابن مجاهد في القراءات، وعلي ابن جرير فى التفسير، وعلي أرسطاليس في المنطق، وعلي الكندى في الجدل، وعلي ابن سيرين في العبارة، وعلي أبي العيناء في البديهة، وعلي ابن أبي خالد في الخط، وعلي الجاحظ في الحيوان، وعلي سهل بن هارون في الفقر، وعلي يوحنا في الطب، وعلي ابن يزيد فى الفردوس، وعلي عيسى بن كعب في الرواية، وعلي الواقدى في الحفظ، وعلي النجار فى البدل، وعلي بنى ثوابة في التقنية، وعلي السري السقطي في الخطرات والوساوس، وعلى مزيد في النوادر، وعلى أبى الحسن العروضي في استخراج المعمي، وعلى بنى برمك في الجود، وعلى ذي الرياستين في التدبير، وعلى سطيح في الكهانة، وعلى أبى المحياة خالد بن سنان في دعواه، هو والله أولى بقول أبي شريح، أوس بن حجر التميمى، في فضالة بن كلدة أبى دليجة:

الألمعى الذى يظن بك الظن كأن قد رأى وقد سمعا

فتراه عند هذا الهذر وأشباهه، بتلوى ويبتسم، ويطير فرحا به وينقسم، ويقول: ولا كذى ثمرة السبق لهم، وقصدنا أن نلحقهم، أو نقفوا أثرهم، وهو في ذلك يتشاجى ويتحايك، ويلوى شدقه، ويبتلع ريقه، ويرد كالآخذ، ويأخذ كالمتمنع، ويغضب في عرض الرضا، ويرضى في لبوس الغضب، ويتهالك ويتمالك، ويتفاتك ويتمايل، ويحاكي المومسات، ويخرج في أصحاب السماجات، وهو مع هذا، يظن أنه خاف على نقاد الأخلاق، وجهابذة الإخوان. وقد أفسده أيضا ثقة صاحبه به، وتعويله عليه، وقلة سماعه من الناصح فيه، " وهو في الأصل محدود لاجرم بقلة مكان، دلالا ونزقا وعجبا، واندراء على الناس، وازدراء للصغار والكبار، وجبها للصادر والوارد، وفى الجملة: آفاته كثيرة، وذنوبه جمة، ولكن الغنى رب غفور:

ذريني للغنى أسعى فإني ... رأيت الناس شرهم الفقير
وأبعدهم وأهونهم عليهم ... وإن أمسى له حسب وخير
ويقضيه الندى وتزدريه ... خليلته وينهره الصغير
وتلقى ذا الغنى وله جلال ... يكاد فؤاد صاحبه يطير
قليل ذنبه والذنب جم ... ولكن الغني رب غفور

قال: فكيف يتم له الأمور مع هذه الصفات؟ قلت: والله لو أن عجوزا بلهاء، أو أمة ورهاء، أقيمت مقامه، لكانت الأمور على هذا السياج، لأنه قد أمن أن يقال له: لم فعلت؟ ولم لم تفعل؟ وهذا باب لايتفق لأحد من خدم الملوك، إلا بجد سعيد، ولقد نصح صاحبه الهروي في أموال تاويه، وأمور من النظر جارية رفعت إليه، فقذف بالرقعة إليه، حتى عرف ما فيها، ثم قتل الرافع خنقا، هذا وهو يدين بالوعيد. وقال لي الثقة من أصحابه: ربما شرع في أمر يحكم فيه بالخطاء، فيقلبه جده صوابا، حتى كأنه عن وحي، وأسرار الله فى خلقه عند الارتفاع والانحطاط خفية، ولو جرت الأمور على موضوع الرأي، وقضية العقل، لكان معلما على مصطبة في شارع، أو في دار فإنه يحرج الإنسان بتفيهقه وتشادقه، واستحقاره واستكباره، وإعادته وإبدائه، وهذه أشكال تعجب الصبيان، ولا تنفرهم عن المعلمين، ويكون فرحهم به سببا للملازمة، والحرص على التعلم، والحفظ والرواية والدراسة.

هذا قول صاحب الإمتاع فيه، ومما وجدت في بعض الكتب من مكارم الأخلاق للصاحب: أنه استدعى يوما شرابا من شراب السكر، فجيء بقدم منه، فلما أراد شربه، قال له بعض خواصه: لا تشربه فإنه مسموم، فقال له: وما الشاهد على صحة ذلك؟ قال: بأن تجربه على من أعطاكه، قال: لا أستجيز ذلك ولا أستحله. قال: فجربه على دجاجة. قال: إن التمثيل بالحيوان لا يجوز، وأمر بصب ما في القدح، وقال للغلام: انصرف عنى، ولا تدخل دارى بعدها، وأقر رزقه عليه، وقال: لا تدفع اليقين بالشك. والعقوبة بقطع الرزق نذالة.

قال: ودخل إلى الصاحب رجل لا يعرفه، فقال له الصاحب: أبو من؟ فأنشد الرجل:

وتتفق الأسماء فى اللفظ والكنى ... كثيرا ولكن لا تلاقي الخلائق

فقال له: اجلس يأبا القاسم. وكان يقول لجلسائه: نحن بالنهار سلطان، وبالليل إخوان.

وحدث أبو الحسن النحوي قال: كان مكى المنشد، قديم الصحبة، فأساء إليه غير مرة: والصاحب يتجاوز له، فلما كثر ذلك منه، أمر الصاحب بحبسه، فحبس في دار الضرب، وكانت فى جواره، فاتفق أن الصاحب صعد يوما سطح داره، وأشرف على دار الضرب، فناداه مكى: " فاطلع فرآه فى سواء الجحيم " فضحك الصاحب وقال: " اخسئوا فيها ولاتكلمون " ثم أمر بإطلاقه.

ومن كتاب أخلاق الوزيرين لأبي حيان التوحيدى، قال المؤلف: أما خبر أبي حيان مع ابن عباد: فيذكر فى أخبار أبي حيان، وأما غيره: فإن أبا حيان، كان قصد ابن عباد إلى الري، فلم يرزق منه، فرجع عنه ذاما له، وكان أبو حيان مجبولا على الغرام بثلب الكرام، فاجتهد في الغض من ابن عباد، وكانت فضائل ابن عباد تأبى إلا أن تسوقه إلى المدح، وإيضاح مكارمه، فصار ذمه له مدحا، فمن ذلك أن قال، بعد أن فرغ من الاعتذار من التصدى لثلبه، قال: فأول ما أذكر من ذلك، ما أدل به على سعة كلامه، وفصاحة لسانه، وقوة جأشه، وشدة منته وإن كان فى فحواه ما يدل على رقاعته، وانتكاث مريرته، وضعف حوله، وركاكة عقله، وانحلال عقده، لما رجع من همذان سنة تسع وستين وثلاثمائة، بعد أن فارق حضرة عضد الدولة، استقبله من الري وما يليها، واجتمعوا بساوة، وكان قد أعد لكل واحد منهم كلاما يلقاه به عند رؤيته،

فأول من دنا منه، القاضي أبو الحسن الهمذاني، من قرية يقال لها أسداباذ فقال له: أيها القاضى، ما فارقتك شوقا إليك، ولا فارقتني وجدا علي، ولقد مرت لي بعدك مجالس تقتضيك، وتخطيك وترضيك، ولو شهدتني بين أهلها، وقد علوتهم بتبياني ولساني، وجدلي وبرهاني، لأنشدت قول حسان بن ثابت في ابن عباس وهو:

إذا ما ابن عباس بدا لك وجهه ... رأيت له في كل مجمعة فضلا

إذا قال لم يترك مقالا لقائل ... بملتقطات لاترى بينها فصلا

كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع ... لذي إربة في القول جدا ولا هزلا

سموت إلى العلياء من غير خفة ... فنلت ذراها لا دنيا ولا وغلا

ولذكرت أيضا أيها القاضي قول الآخروأنشدته فإنه قال فيمن وقف موقفي، وقرف مقرفي وتصرف تصرفي، وانصرف منصرفي، واغترف مغترفي

إذا قال لم يترك مقالا ولم يقف ... لعي ولم يثن اللسان على هجر

يصرف بالقول اللسان إذا انتحى ... وينظر في أعطافه نظر الصقر

ولقد أودعت صدر عضد الدولة، ما يطيل التفافه إلى، ويكثر حسرته على، ولقد رأى مني ما لم ير قبله مثله، ولايرى بعده شكله، والحمد لله أوفدني عليه على ما يسر الولي، وأصدرني عنه على ما يسوء العدو، أيها القاضى: كيف الحال والنفس؟ وكيف المجلس والدرس؟ وكيف العرض والحرس وكيف اللس والعس؟ وكيف الفرس والمرس، وكاد لا يخرج من هذا الهذيان لتهيجه واحتدامه، وشدة خباله وغلوائه، والهمذانى مثل الفأرة بين يدي السنور، وقد تضاءل وقمؤ لا يصعد له نفس إلا بنزع تذللا وتقللا، هذا على كبره فى نفسه.

ثم نظر إلى الزعفرانى رئيس أصحاب الرأى فقال: أيها الشيخ، سرنى بقاؤك، وساءنى عناؤك، ولقد بلغنى عدواؤك، وما خيله إليك خيلاؤك، وأرجو ألا أعيش حتى يرد عليك غلواؤك، ماكان عندى أنك تقدم على ما أقدمت عليه، وتنتهى في عدوانك لأهل العدل والتوحيد إلى ما انتهت إليه، ولى معك إن شاء الله نهار له ليل، وليل يتبعه ليل، وثبور يتصل به ويل، وقطر يدفع ومعه سيل. " وسيعلم الكفار لمن عقبى الدار " فقال له الزعفرانى: " حسبنا الله ونعم الوكيل " ، ثم أبصر أبا طاهر الحنفى، فقال: أيها الشيخ، ما أدرى، أشكوك، أم أشكو إليك، أما شكواى منك، فإنك لم تكاتبنى بحرف، كأنما لم نتلاحظ بطرف، ولم نتحافظ على إلف، ولم نتلاق على ظرف، وأما شكواى إليك، فإنى ذممت الناس بعدك، وذكرت لهم عهدك، وعرضت بينهم ودك، وقدحت عليهم زندك، ونشرت عليهم غرائب ما عندك، فاشتاقوا إليك بتشويقي، واستصفوك بترويقي، وأثنوا بتنميقي وتزويقي، وهكذا عمل الأحباب، إذا نأت بهم الركاب، والتوت دونهم الأعناق واظطربت في صدورهم نار الاشتياق، فالحمد لله الذى أعاد الشعب ملتئما، والشمل منتظما، والقلوب وادعة، والأهواء جامعة، حمدا بالمزيد، على عادة السادة مع العبيد، عند كل قريب وبعيد.

ثم التفت إلى ابن القطان القزويني الحنفي، وكان من ظرفاء العلماء، فقال: كذب أيها الشيخ: أحلم بك فى اليقظة، وأشتمل عليك دون الحفظة، لأنك قد ملكت مني غاية المكانة والحظة، والله ما أسغت بعدك ريقا إلا

على جرض ولا سلكت دونك طريقا إلا على مضض، ولا وجدت للظرف سوقا إلا بالعرض. سقى الله ربعا أنت أشدته بنزاهتك، وطبعا أنت أطبته ببراعتك، ومغرسا أنت أينعته بنباهتك.

وقال للعيساباذي: أيها القاضي، أيسرك أن أشتاقك وتسلو عني، وأن أسأل عنك وتنسل مني، وأن أكاتبك فتتغافل، وأطالبك بالجواب فتتكاسل، وهذا ما لا أحتمله من صاحب خراسان، ولا يطمع فى مثله مني ملك بني ساسان، متى كنت منديلا ليد، ومتى نزلت على هذا الحد لأحد، إن انكفأت على بالعذر انكفاء، وإلا اندرأت عليك بالعذل اندراء، ثم لا يكون لك فرار بحال، ولا يبقى لك بمكان استكبار، إلا على وبال وخيال، ثم طلع أبو طالب العلوي فقال: أيها الشريف، جعلت حسناتك عندي سيئات، ثم أضفت إليها هنات، ولم تفكر في ماض ولا آت، أضعت العهد، وأخلفت الوعد، وحققت النحس، وأبطلت السعد، وحلت سرابا للحيران، بعد ما كنت شرابا للحران، وظننت أنك قد شبعت مني واعتضت عني، هيهات وأنى بمثلي، أو من يعثر في ذبلي، أو له نهار كنهاري. أو ليل كليلي:

وهل عائض مني ... وإن جل عائض

أنا واحد هذا العالم، ... وأنت بما تسمع عالم، لا إله إلا الله، سبحان الله.

أيها الشريف، أين الحق الذي وكدناه أيام كادت الشمس تزول، والزمان علينا يصول، وأنا أقول، وأنت تقول والحال بيننا يحول، – سقى الله – ليلة تشبيعك وتوديعك، وأنت متنكر تنكرا يسوء الموالى، وأنا متفكر تفكرا يسوء العدو، ونحن متوجهون إلى ورامين، خوفا من ذلك الجاهل المهين، يعني بالجاهل المهين ذا الكفايتين، حين أخرجه من الري، بعد أن ألب عليه، وكاد أن يأتي على نفسه الخبيثة، وهو حديث له فرش، وما أنا بصدده، يمنع من اقتضائه، ولعله يأتى فيما بعد " .

ثم نظر إلى أبي محمد كاتب الشروط فقال: أيها الشيخ، الحمد لله الذى كفانا شرك، ووقانا عرك وضرك، وأنآنا فيحك وحرك، ديبت الضر إلينا، ومشيت الجمر علينا، ونحن نحيس لك الحيس، وأنت في خلال ذلك تقابلنا بالويح والويس، لو لا أنك قرحان، لسقط بك العشاء على سرحان.

وقال لابن أبي خراسان الفقيه الشافعي: أيها الشيخ، ألغيت ذكرنا عن لسانك، واستمررت على الخلوة بإنسانك، جاريا على نسيانك، مشتهرا بفتيانك وافتتانك، غير عاطف على أخدانك وإخوانك، لو لا أنني أرعى قديما قد أضعته، وأعطيك من رعايتي ما قد منعته، لكان لي ولك حديث، إما طيب وإما خبيث، خلفتك محتسبا، فخلفت مكتسبا، وتركتك آمرا بالمعروف، فلحقتك راكبا للمنكر، قد تفيل الرأى، وتخيب الظن، وتكذب الأمل. وقد قال الأول:

ألا رب من تغتشه لك ناصح ... ومؤتمن بالغيب وهو ظنين

ثم نظر إلى الشادباشى فقال: يا أبا على، كيف أنت؟ وكيف كنت؟ فقال يا مولانا:

لاكنت إن كنت أدري كيف كنت ولا ... لا كنت إن كنت أدري كيف لم أكن

فقال: أعرب يا ساقط، يا هابط، يا من تذهب إلى الحائط بالغائط، ليس هذا من تحت يدك، ولا هو مما نشأ من عندك، هذا لمحمد بن عبد الله بن طاهر، وأوله:

كتبت تسأل عني كيف كنت يوما ... لاقيت بعدك من هم ومن حزن
لا كنت إن كنت أدري كيف كنت ولا ... لا كنت إن كنت أدرى كيف لم أكن

وكان ينشد وهو يلوى رقبته وتجحظ حدمته، وينزى أطراف منكبيه، ويتشفا ويتمايل كأنه لدى يتخبطه الشيطان من المس ثم قال يا أبا علي: لا تعود على أبر فى سراويل، لا ابر إلا ابر تمضي تحت عقك فإنك إن عولت على ذلك شانك وخانك، وفضح حالك ومانك.

ثم نظر إلى غلام قد بقل وجهه، كان يتهم به على الوجه الأقبح، فالتوى وتقلقل، وقال: ادن منى يا بني، كيف كنت؟ ولم حملت نفسك على هذا العناء، وجهك هذا الحسن لايتبذل للشحوب، ولا يعرض للفحات الشمس بين الطلوع إلى الغروب. أنت تحب أن تكون بدلة بين حجلة وكلة. تراح بك العلة، وتغلى بك القلة وتشفى منك الغلة هذا آخر حديث الاستقبال.

قال أبو حيان: ودخل يوما دار الإمارة، الفيرزان المجوسي في شيء خاطبه به فقال له: إنما أنت محش مجش مخش، لا تمش ولا تبش ولا تمتش، فقال الفيرزان: أيها الصاحب، برئت من النارإن كنت أدرى ما تقول، فإن العرض لك. والنفس لك فداء، لست من الزنج ولا من البربر، كلمنا على العادة التي عليها العمل، والله ما هذا من لغة آبائك الفرس، ولا من أهل دينك من أهل السواد، وقد خالطنا الناس، وما سمعنا منهم هذا النمط فقام مغضبا.

قال: وكان ابن عباد يقول للإنسان إذا قدم عليه من أهل العلم: يا أخي تكلم واستأنس، واقترح وانبسط، ولاتدع واحسبني في جوف مربعة، ولا بروعك هذا الحشم والخدم، والغاشية وهذه المرتبة والمصطبة، وهذا الطاق والرواق، وهذه المجالس والطنافس، فإن سلطان العلم فوق سلطان الولاية، فليفرج روعك، ولينعم بالك، وقل ما شئت، وأبصر ما أردت، فلست تجد عندنا إلا الإنصاف والإسعاف، والإسعاف، والإتحاف والإطراف، والمواهبة والمقاربة، والمؤانسة والمقابسة، وقد كان يحفظ ما كان يهذي به في هذا وفي غيره، ويجري في هذا الميدان فيطيل، حتى إذا استوفى ما عند ذلك الإنسان بهذه الزخارف والحيل، وصار الرجل معه في حدوده على مذهب الثقة، فحاجه وضايقه وسابقه، ووضع يده على النكتة الفاصلة، والأمر القاط تنمر له، وتغير عليه، ثم قال يا غلام: خذ بيد هذا الكلب إلى الحبس، وضعه فيه، بعد أن تصب على كاهله وظهره وجنبيه، خمسمائة سوط وعصا، فإنه معاند ضد، يحتاج أن يشد بالقد ساقط هابط، كلب وقاح، أعجبه صبرى، وغره حلمى، ولقد أخلف ظنى، وعدت على نفسى باللائمة وبالتوبيخ، وما خلق الله العصا باطلا. فيقام ذلك البائس على هذه الحالة، وليس الخبر كالعيان، من لم يحضر ذلك المجلس، لم ير منظرا رفيعا، ورجلا رقيعا. قال: وكان أبو الفضل بن العميد إذا رآه قال: أحسب أن عينيه ركبتا من زئبق، وعنقه عمل بلولب، وصدق، فإنه كان ظريف التثني والتلوي، شديد التفكك والتفتل، كثير التعوج والتموج، في شكل المرأة المومسة، والفاجرة الماجنة.

قال وحدثني الجراباذى الكاتب أبو بكر، وكان كاتب داره، قال: يبلغ من سخنة عين صاحبنا، أنه لا يسكت عما لا يعرف، ولا يسالم نفسه فيما لا يفي به، وإن احتال وموه، جاز ذلك وخفى واستتر، ولا يعلم أن ذلك الإحتيال، طريق إلى الإغراء بمعرفة الحال، وصدق القائل: " كاد المريب يقول خذوني " .

قلت: وما الذي حداك على هذه المقدمة؟ قال: قال لي فى بعض هذه الأيام، أرفع حسابك، فقد أخرته وقصرت فيه، وانتهزت سكوتى وشغلى بأمر الملك، وسياسة الأولياء والجند، والرعايا والمدن، وما على من أعباء الدولة، وحفظ البيضة، ومشارفة الأطراف النائية والدانية، باللسان والعلم، والرأى والتدبير، والبسط والقبض، والتتبع والتقصى وما على قلبى من الفكر في الأموال الظاهرة والغامضة، وهذا باب لعمري مطمع، وإمساكى عنه مغر بالفساد مولع، فبادر – عافاك الله – إلى عمل حساب بتفصيل باب باب، يبين فيه أمر داري، وما دخل عليه أمر دخلي وخرجي. قلت له: هذا كله لسبب قوله: هات حسابك بما نراعيه؟ فقال: إى والله، ولقد كان أكثر من هذا، ولقد اختصرته.

قال أبو بكر: فنفردت أياما، وحررت الحساب على قاعدته وأصله، والرسم الذى هو معروف بين أهله، وحملته إليه، فأخذه من يدي، وأمر عينيه فيه، من غير تثبيت أو فحص، أو مسألة، فحذف به إلى وقال: أهذا حساب؟ أهذا كتاب؟ أهذا تحرير؟ أهذا تقرير؟ أهذا تفصيل؟ أهذا تحصيل؟ والله لولا أنى ربيتك فى دارى، وشغلت بتخريجك ليلى ونهارى، ولك حرمه الصبا، ويلزمنى رعاية الأبا، لأطعمتك هذا الطومار، وأحرقتك بالنفط والقار، وأدبت بك كل كاتب، وحاسب، وجعلتك مثله لكل شاهد وغائب، أمثلى يموه عليه؟ ويطمع فيما لديه؟ وأنا خلقت الحسابة والكتابة، والله ما أنام ليلة، إلا وأحصل فى نفسى ارتفاع العراق، ودخل الآفاق، أغرك منى أنى أجررت رسنك، وأخفيت قبيحك، وأبديت حسنك؟ غير الذى رفعت، واعرف قبل وبعد ما صنعت، واعلم أنك من الآجرة قد رجعت، فزد فى صلاتك وصدقتك، ولا تعول على قحتك وصلابة حدقتك، قال: فو الله ما هالنى كلامه، ولا أحاك في هذيانه، لأني كنت أعلم جهله في الحساب، ونقضه في هذا الباب، فذهبت وأفسدت، وأخرت وقدمت، وكابرت وتعمدت، ثم رددته غليه، فنظر فيه، وضحك في وجهي وقال: أحسنت – بارك الله عليك – ، هكذا أردت، وهذا بعينه ما طلبت، لو تغافلت عنك في أول الأمر، لما تيقظت في الثاني، فهذا كما ترى، فاعجب منه كيف شئت.

قال أبو حيان: ومن رقاعته أيضا، سمعته يقول: وقد جرى حديث الأبهري المتكلم، وكان يكنى أبا سعيد، فقال: – لعن الله – ذاك الملعون المأبون المأفون، جاءني بوجه مكلح، وأنف مفلطح، ورأس مسح، وسرم مفتح، ولسان مكبح، فكلمني في مسألة الأصلح، فقلت له: اعزب، عليك لعنة الله لقيت الأبرح، الذي يلزم ولا يبرح.

وشتم يوما رجلا فقال – لعن الله – هذا الأهوج الأعوج الأفلج الأفحج الذى إذا قام تخلج، وإذا مشى تدحرج، وإن عدا تفجفج قال أبو حيان: بالله يا أصحابنا حدثونى، أهذا عقل رئيس، أم بلاغة كاتب أم كلام متماسك، لم تجنون به، وتتهالكون عليه، وتغيظون أهل الفضل به؟؟؟ هل هناك إلا الجد الذى يرفع من هو أنذل منه، ويوقع من هو أرفع منه. ولقد حدثت هذا الحديث أبا السلم الشاعر، فأنشدني لشاعر:

سبحان من أنزل الدنيا منازلها ... وميز الناس مشنوءا وموموقا

فعاقل فطن أعيت مذاهبه ... وجاهل خرق تلقاه مرزوقا

كأنه من خليج البحر مغترف ... ولم يكن بارتزاق القوت محقوقا

هذا الذى ترك الألباب حائرة ... وصير العاقل النحرير زنديقا

قال: وكان كلفه بالسجع في الكلام والقول، عند الجد والهزل، يزيد على كلف كل من رأيناه في هذه البلاد. قلت لابن المسيبى: أين يبلغ ابن عباد في عشقه للسجع؟ قال: يبلغ به ذلك، لو أنه رأى سجعة ينحل بموقعها عروة الملك، ويضطرب بها حبل الدولة، ويحتاج من أجلها إلى غرام ثقيل، وكلفة صعبة، وتجشم أمور، وركوب أهوال، لما كان يخف عليه أن يفرج عنها ويخليها، بل يأتى بها ويستعملها، ولا يعبأ بجميع ما وصفت من عاقبتها.

قال: وقلت للخليلي، أما كان ابن العميد يسمع كلامه؟ قال: بلى، وكان يقول: سجعه يدل على الخلاعة والمجانة. وخطه يدل على الشلل والزمانة وصياحه يدل على أنه قد خلب بالقمار فى الحانة، وهو أحمق الطبع إلا أنه طيب قلت للخليلي: فهل عرفت طالعه؟ فقال: حدثني بعض أصحابنا منهم الهروي، أن طالعه الجوزراء والشعري اليمانية " كط " وكان زحل في الحادى عشر في الحمل " كز " والقمر فيه " يط " والشمس فى السنبلة " كد " والمريخ فى العقرب " ن " ومنهم السعادة فى القوس " يد " ومنهم الغيب قى الجدى " يز " والرأس فى الثالث من الأسد " يا " قال: وخفى على عطارد وذكر أنه ولد سنة ست وعشرين وثلاثمائة، من الهجرة لأربع عشرة ليلة من ذى العقدة، " رونسروش " من " ماه شهريور " قلت: وأين ولد؟ قال: كان عندنا أنه ولد بطالقان، وقال لنا يوما باصطخر: وقال غير الخليلى: كان عطارد فى السنبلة " ط ى " .

قال أبو حيان: كنت بالرى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة وابن عباد بها مع مؤيد الدولة، قد ورد فى مهمات وحوائج، وعقد لابن عباد مجلس جدل، وكنا نبيت عنده في داره، في باب شير، ومعنا الضرير أبو العباس القاضى، وأبو الجوزاء البرقي، وأبو عبد الله النحوي الزعفراني، وجماعة من الغرباء، فرأى ليلة في مجلسه وجها غريبا صاحب مرقعة، فأحب أن يعرفه ويعرف ما عنده، وكان الشاب من أهل سمرقند، يعرف بأبى واقد الكرابيسي، فقال له: يا أخ انبسط واستأنس، وتكلم فلك منا جانب وطئ وشرب مرئ، ولن ترى إلا البر، بم تعرف فقال: بدقاق، قال: تدق ماذا؟ قال: أدق الخصم إذا زاغ عن سبيل الحق، فلما سمع هذا تنكر وعجب، لأنه فجئ ببذيئة، فقال: دع هذا وتكلم، قال: أتكلم سائلا؟ ما بى والله حاجة إلى مسألة، أم أتكلم مسئولا؟ فو الله إنى لأكسل عن الجواب، أم أتكلم مقررا؟ فو الله إنى لأكره أن أبدد الدر في غير موضعه، وإني لكما قال الأول:

لقد عجمتنى العاجمات فلم تجد ... هلوعا ولا لين المجسة في العجم

وكاشفت أقواما فأبديت وصمهم ... وما للأعادي في قناتى من وصم

قال له يا هذا: ما مذهبك؟ قال: مذهبي ألا أقر على الضيم، ولا أنام على الهون، ولا أعطى صمتى لمن لم يكن ولى نعمتي، ولم تصل عصمته بعصمتي. قال: هذا مذهب حسن، ومن ذا الذى يأتى الضيم طائعا؟ ويركب الهون سامعا؟ ولكن ما نحلتك التى تنصرها؟ قال: أنادى عليها فى سوق، ولا أعرضها على شاك ولا أجادل فيها المؤمن، قال: فما تقول في القرآن؟ قال: ما أقول في كلام رب العالمين، الذى يعجز عنه الخلق،

إذا أرادوا الاطلاع على غيبته، وبحثوا عن خافي سره، وعجائب حكمته، فكيف إذا حاولوا مقابلته بمثله!! وليس له مثل مظنون، فضلا عن مثل متيقن، فقال له ابن عباد: صدقت، ولكن أمخلوق أم غير مخلوق؟ فقال: إن كان مخلوقا كما يزعم خصمك، فما يضرك، فقال يا هذا: أبهذا تناظر فى دين الله؟ وتقوم على عبادة الله؟ قال: إن كان كلام الله نفعنى إيماني به، وعملي بمحكمه، وتسليمي لمتشابهه، وإن كان كلام غيره وحاش لله من ذلك، ما ضرني فأمسك عنه ابن عباد وهو مغيظ، ثم قال: أنت لم تخرج من خراسان بعد، فمكث الرجل ساعة ثم نهض، فقال له ابن عباد: إلى أين يا هذا؟ قد تكسر الليل، بت ههنا، فقال: " أنا بعد لم أخرج من خراسان " كيف أبيت بالرى، وخرج فارتاب به ابن عباد، فقفاه بصاحب له، وأوصاه بأن يتبع خطاه، ويبلغ مداه، من حيث لا يفطن له ولا يراه، فما زاغ الرجل عن باب ركن الدولة، حتى وصل ودخل فى ذلك الوقت الفائت إليه، فقيل لابن عباد ذلك، فطار نومه وقال: أى شيطان هبط علينا، وأحصى ما كنا فيه بلسان سليط، وطبع مريد، وكان هذا الكرابيسي عينا لركن الدولة بخراسان، فلذلك كان قريبا، وكان أحد رجالاته.

ومما يدل على ولوع ابن عباد بالسجع، ومجاوزته الحد فيه بالإفراط، قوله يوما: " حدثنى أن ناش. وكان من سادة الناش " جعل السين شينا، ومر في هذا الحديث وقال: هذه لغة، وكذب وكان كذوبا.

وقال ابن عباد لشيخ من خراسان فى شئ جرى: والله لولا شئ لقطعتك تقطيعا، وبضعتك تبضيعا، ووزعتك توزيعا، ومزعتك تمزيعا، وجزعتك تجزيعا، وأدخلتك فى خزائنك، ثم وقف ساعة، ثم قال جميعا، قال: وملح هذه الحكاية ينبتر في الكتابة، وطربها ينقض في الرواية دون مشاهدة الحال، وسماع اللفظ، وملاحة الشكل، والتثني، والترنح والتهادي، ومد اليد، ولي العنق، وهز الرأس والأكتاف، واستعمال الأعضاء والمفاصل.

قال: وحدثنا ابن عباد يوما قال: ما أفظعني إلا شاب ورد علينا إلى أصبهان بغدادي، فقصدني فأذنت له، وكان عليه مرقعة وفي رجليه نعل طاق، فنظرت إلى حاجبي، فقال له وهو يصعد إلي: اخلع نعلك، فقال: ولم؟ ولعلي أحتاج إليها بعد ساعة، فغلبني الضحك، وقلت: أتراه يريد أن يصفعني؟.

قال أبو حيان: وقال لى علي بن الحسن الكاتب: هجرني في بعض الأيام هجرا أضر بي، وكشف مستور حالي وذهب على أمرى، ولم أهتد إلى وجه حيلة فى مصلحتي، وورد المهرجان، فدخلت عليه في غمار الناس، فلما أنشد نوبتين تقدمت فلم يهش لي، ولم ينظر إلى، وكنت ضمنت أبياتي بيتا له من قصيدة على روى قصيدتى، فلما مر به البيت، هب من كسله، ونظر إلى كالمنكر على، فطأطأت رأسى، وقلت بصوت خفيض، لا تلم ولا تزد فى القرحة، فما على محمل، وإنما سرقت هذا من قافيتك، لأزين به قافيتى، وأنت بحمد الله تجود بكل علق ثمين، وتهب كل در مكنون، أتراك تشاحني على هذا القدر، وتفضحني فى هذا المشهد، فرفع رأسه وصوته وقال: يابني أعد هذا البيت، فأعدته، فقال: أحسنت يا هذا، ارجع إلى أول قصيدتك، فقد سهونا عنك، وطار الفكر بنا إلى شأن آخر، والدنيا مشغلة، وصار ذلك ظلما بغير قصد منا ولا تعمد: قال: فأعدتها وأمررتها، وفغرت فمي بقوافيها، فلما بلغت آخرها قال: أحسنت، الزم هذا الفن،

فإنه حسن الديباجة، وكأن البحتري استخلفك، وأكثر بحضرتنا، وارتفع بخدمتنا، وابذل نفسك في طاعتنا، نكن من وراء مصالحك، بأداء حقك، والجذب بضبعك، والزيادة في قدرك على أقرانك.

قال: فلم أر بعد ذلك إلا الخير، حتى عراه نوك آخر، فوضعني في الحبس سنة، وجمع كتبي وأحرقها بالنار، وفيها كتب الفراء، والكسائي، ومصاحف القرآن، وأصول كثيرة في الفقه والكلام، فلم يميزها من كتب الأوائل، وأمر بطرح فيها من غير تثبيت، بل لفرط جهله، وشدة نزقه، فهلا طرح النار فى خزانته، وفيها كتب ابن الرواندى، وكلام ابن أبى العرجاء في معارضة القرآن بزعمه، وصالح بن عبد القدوس أبي سعيد الحصيري، وكتب أرسطاليس، وغير ذلك، ولكن من شاء حمق نفسه.

قال أبو حيان: وحدثني محمد بن المرزباني قال: كنا بين يديه ليلة فنعس، وأخذ إنسان يقرأ الصافات، فاتفق أن بعض هؤلاء الأجلاف من أهل ما وراء النهر، نعس أيضا، وضرط ضرطة منكرة، فانتبه وقال: يا أصحابنا، نمنا على والصافات، وانتهينا على والمراسلات، وهذا من نوادره وملحه.

وحدثنى أيضا قال: انفلتت ليلة أخرى ضرطة من بعض الحاضرين وهو في الجدل، فقال على حدته: كانت بيعة أبي بكر، خذوا فيما أنتم فيه، يعنى فلتة، لأنه قيل في بيعة أبي بكر: كانت فلتة.

قال: وقال قوم من أهل أصبهان لابن عباد، لو كان القرآن مخلوقا لجاز أن يموت، ولو مات القرآن فى آخر شعبان، بماذا كنا نصلي التراويح في رمضان؟ قال: لو مات القرآن، كان رمضان يموت أيضا، ويقول: لا حياة لي بعدك، ولانصلي التراويح ونستريح.

قال أبو حيان: واسمع ما هو أعجب من هذا، ناظر بالري اليهودي رأس الجالوت في إعجاز القرآن، فراجعه اليهودي فيه طويلا، وماتنه قليلا، وتنكر عليه حتى احتد، وكاد يتقد، فلما علم أنه قد سجر تنوره، وأسعط أنفه، احتال طلبا لمخادعته، ورفقا به في مخاتلته، فقال أيها الصاحب: فلم تتقد وتستشيط؟ وتلتهب وتخلط؟ كيف يكون القرآن عندى آية، ودلالة ومعجزة، من جهة نظمه وتأليفه؟ فإن كان النظم والتأليف بديعين، وكان البلغاء فيما تدعى عنه عاجزين، وله مذعنين، فهأنا أصدق عن نفسه، وأقول ما عندي: إن رسائلك وكلامك، وفقرك وماتؤلفه، وتباده به نظما ونثرا، هو فوق ذلك، أو مثل ذلك، وقريب منه، وعلى كل حال، فليس يظهر لى أنه دونه، وأن ذلك سيستعلى عليه بوجه من وجوه الكلام، أو بمرتبة من مراتب البلاغة، فلما سمع ابن عباد هذا فتر وخمد، وسكن عن حركته، وانحمص ورمه به، وقال: ولا هكذا ياشيخ: كلامنا حسن وبليغ، وقد أخذ من الجزالة حظا وافرا، ومن البيان نصيبا ظاهرا، ولكن القرآن له المزية التى لا تجهل، والشرف الذى لا يخمل، وأين ما خلقه الله على أتم حسن وبهاء، مما يخلقه العبد بطلب وتكلف، هذا كله يقوله، وقد خبا حميه، وتراجع مزاجه، وصارت ناره رمادا، مع إعجاب شديد قد شاع فى أعطافه، وفرح غالب قد دب فى أسارير وجهه، لأنه رأى كلامه شبيها بالقرآن، لدى اليهود وأهل الملل.

وقال بعض الشعراء فى ابن عباد يذم سجعه، وخطه وعقله:

متقلب كافى الكفاة وإنما ... هو في الحقيقة كافر الكفار

السجع سجع مهوس والخط خطط ... منقرس والعقل عقل حمار

وكان ذو الكفايتين ابن العميد يقول: خرج ابن عباد من عندنا من الرى، متوجها إلى أصفهان، ومنزله ورامين، وهى قرية كالمدينة، فجاوزها إلى قرية غامرة وماء ملح، لا لشيء إلا لكتب إلينا " كتابي هذا من النوبهار، يوم السبت نصف النهار " .

قال أبو حيان: وكان ابن عباد يروى لأبي الفضل بن العميد كلاما في رقعة إليه، حين استكتبه لمؤيد الدولة، وهو: " بسم الله الرحمن الرحيم " مولاي: وإن كان سيدا بهرتنا نفاسته، وابن صاحب تقدمت علينا رياسته. فإنه يعدنى سيدا ووالدا، كما أعده ولدا واحدا. ومن حق ذلك، أن يعضد رأيي برأيه، ليزداد استحكاما، ونتظاهر عقدا وإبراما.

وحضرت اليوم مجلس مولانا ركن الدين، ففاوضني ما جرى بينه وبين مولاى طويلا، ووصل به كلاما بسيطا، وأطلعنى على أن مولاى، لا يزيد بعد الاستقصاء والاستيفاء، على التقصي والاستعفاء، وألزم عبده أن أكره مولاي إكراها في المسألة، وأجبره إجبارا في الطلبة، علما بأنه إن دافع المجلس المعمور طلبا للتحرز، لم يرد وساطتي أخذا بالتطول، وأقول بعد أن أقدم مقدمة: مولاي غنى عن هذا العمل بنصونه، وتصلفه وعزوفه، وبهمته عن التكثر بالمال وتحصيله، لكن العمل فقير إلى كفايته، محتاج إلى كفالته، وما أقول: إن مرادي ما يعقد من حساب، وينشأ من كتاب، ويستظهر به من جمع، وبذر ومن عطاء ومنع، فكل ذلك وإن كان مقصودا، وفى آلات الوزارة معدودا، ففى كتاب مولاي من يفي به ويستوفيه، ويوفي عليه ما يسر مساعيه، ولكن ولي النعمة يريده لتهذيب ولده، ومن هو ولي عهده من بعده، والمأمول ليومه وغده، – أدام الله أيامه – وبلغه فيه مرامه، ولا بد وإن كان الجوهر كريما، والسنخ قديما. والمجد صميما، ومركب العقل سليما، من ينوب مناب من تعلم ما السياسة؟ وما الرياسة؟ وكيف تدبير العامة والخاصة؟ وبماذا تعقد المهابة؟ ومن أين تجلب الأصالة والإصابة؟ وكيف ترتب المراتب، ويعالج الخطب إذا ضاقت المذاهب؟ وتعصى الشهوة لتحرس الحشمة، وتهجر اللذة لتحفظ الإمرة، ولا بد من محتشم يقوم في وجه صاحبه، فيرده إذا بدر منه الرأى المنقلب. ويراجعه إذا جمع به اللجاج المرتكب. ويعاوده إذا ملكه الغضب الملتهب. فلم يكن السبب في أن أفسدت ممالك جمة، وبلدان عدة، إلا أن خفضت أقدار الوزارة، فانقبضت أطراف الإمارة، وليس يفسد على ما أرى بقية الأرض، إلا إذا استعين بأذناب على هذا الأمر، فلا يبخلن مولاي على ولى نعمته، بفضل معرفته، فمن هذه الدولة، جرى ما فضله، وفضل الشيخ الأمين من قبله، وإن كان مسموعا كلامي، وموثوقا باهتمامي، فلا يقعن انقباض عني، وإعراض عما سبق مني. ومولاي محكم الإجابة إلى العمل فيما يقترحه، وغير مراجع فيما يشترطه، وهذا خطى به، وهو على ولي النعمة، حجة لايبقى معها شبهة، وسأتبع هذه المخاطبة بالمشافهة، إما بحضورى لديه، أو بتجشمه إلى هذا العليل الذى قد ألح النقرس عليه. وكان ابن عباد يحفظ هذه النسخة، ويرويها ويفتخر بها.

قال أبو حيان: وقال لي أصحابنا بالري، منهم أبو غالب الكاتب الأعرج، إن هذه المخاطبة من كلام ابن عباد، افتعلها عن ابن العميد إلى نفسه، تشيعا بها، ونفاقا بذكرها.

قال: وكان ابن عباد ورد الري سنة ثمان وخمسين، مع مؤيد الدولة، وحضر مجلس ابن العميد، وجرى بينه وبين مسكويه كلام، ووقع تجاذب، فقال مسكويه: فدعني حتى أتكلم، ليس هذا نصفة إذا أردت ألا أتكلم،

فدع على فمي مخدة فقال الصاحب: بل أدع فمك على المخدة، وطارت النادرة ولصقت، وشاعت بين الناس وبقيت.

قال: ودخل الناس في مذهب ابن عباد، فقالوا بقوله، رغبة فيما لديه، واجتهد بالحسين المتكلم الكلابى، أن ينتقل إلى مذهبه، فقال الحسين: دعني أيها الصاحب أكن مستحدا لك، فما بقي غيري، فإن دخلت في المذهب، لم يبق بين يديك، من ينبو عليك قبيحه، ويبدو للناس عواره، فضحك وقال: قد أعفيناك يا أبا عبد الله. " وبعد " فما نبخل عليك بنارجهنم، أصل بها كيف شئت. قال لنا الحسين بعد ذلك: أترانى أصلى بنار جهنم، وعقيدتى وسريرتى معروفتان، ويتبوأ هو الجنة مع قتل النفس المحرمة، وركوب المحظورات العظيمة، وإن ظنه بنفسه لعجب، – لحي الله الوقاح – وقال يوما صدر قول الشاعر:

والمورد العذب كثير الزحام

فسكتت الجماعة، فقال ابن الداري:

يزدحم الناس على بابه

فأقبل عليه بغيظ وقال: ما عرفتك إلا متعجرفا جاهلا، أما كان لك بالجماعة أسوة.

قلت لأبى السلم نجبة بن علي القحطاني الشاعر: أين ابن عباد من ابن العميد؟ فقال: زرتهما منتجعا وزرتهما جميعا، فكان ابن العميد أعقل، وكان يدعي الكرم، وابن عباد أكرم، ويدعي العقل، وهما في دعواهما كاذبان، وعلى سجيتهما جاريان.

أنشدت يوما على باب ذاك قول الشاعر:

إذا لم يكن للمرء في ظل دولة ... جمال ولا مال تمنى انتقالها

وما ذاك من بغض لها غير أنه ... يؤمل أخرى فهو يرجو زوالها

فرفع إليه إنشادي، فأخذنى وأوعدني، وقال: انج بنفسك، فإنى إن رأيتك بعد هذا، أولغت الكلاب دمك، وكنت قاعدا على باب هذا منذ أيام، فأنشدت البيتين على سهو، فرفع الحديث إليه، فدعاني ووهب لى دريهمات وخريقات، وقال: لا تتمن انتقال دولتنا بعد هذا.

قال أبو السلم: هذا من أعذر الناس في الشعر، يحفظ الطم والرم، وقال الخليلي: الرجل مجنون " يعنى ابن عباد " في طباع المعلمين، سمعته يقول للتميمي الشاعر: كيف تقول الشعر؟ وإن قلت كيف تجيد؟ وإن أجدت فكيف تغرز؟ وإن غررت فكيف تروم غاية، وأنت لا تعرفما الزهزيق، وما الهبلع، وما العثلط، وما الجلعلع، وما القهقب، وما القهبلس، وما الخلبوس، وما الخزعبلة، وما القذعملة، وما العمروط، وما الجرفاس، وما اللئوس، وما النعشل، وما الطريال، وما الفرق بين العرم، والردم، والحدم، والحذم، والقضم، والخضم، والنضح، والرضح، والفصم، والقصم، والقصع، والفصع، وما العبقس، وما العلنكس، وما الوكال، والزومل، ومالخيعثور، واليستعور، وما الشنعوف، وما الخذروف، وما الحلزون، وما القفندد، وما الجمعليل: قال الشاعر:

جاءت بخف وحنين ورحل ... جاءت تمشى وهى قدام الإبل

مشى الجمعيلة بالخرق النقل قال: ورأيت بعض الجهال يصحف ويقول: وحنين وزجل، قلت للخليلى من عنى بهذا؟ قال ابن فارس: معلم ابن العميد أبي الفتح، قال الخليلى: فهذا الضرب من الكلام يجب أن يفتخر بمثله، ويترقق به، إنك يا أبا حيان، لو رأيته يمشى وهو يهذي بهذا وشبهه، ويتفيهق ويلوي شدقيه عليه، ويقذف بالبصاق على أهل المجلس، لحمدت الله على العافية مما يلي هذا الرجل به، " وبعد " فما بين الشاعر وهذا الضرب؟ الشاعر يطلب لفظا حرا، ومعنى بديعا، ونظما حلوا، وكلمة رشيقة، ومثلا سهلا، ووزنا مقبولا.

قال أبو حيان: عندما قارب الفراغ من كتابه في أخلاق الوزيرين، ولو لا هذين الرجلين أعنى ابن عباد، وابن العميد، كانا كبيرى زمانهما، وإليهما انتهت الأمور، وعليهما طلعت شمس الفضل، وبهما ازدانت الدنيا، وكانا بحيث ينشر الحسن منهما نشرا، والقبيح يؤثر عنهما أثرا، لكنت لا أتسكع فى حديثهما هذا التسكع، ولا أنحى عليهما بهذا الحد، ولكن النقص ممن يدعي التمام أشنع، والحرمان من السيد المأمول فاقرة، والجهل من العالم منكر، والكبيرة ممن يدعى العصمة جائحة والبخل ممن يتبرأ منه بدعواه عجيب. ولو أردت مع هذا كله، أن تجد لهما ثالثا في جميع من كتب للجبل والديلم، إلى وقتك هذا المؤرخ فى الكتاب لم تجد.

قال: وقال ابن عباد يوما: كان أبو الفضل " يعنى ابن العميد " سيدا، لم يشق غبارنا، ولا أدرك شوارنا، ولا مسح عذارنا، ولا عرف غرارنا، لا فى علم الدين، ولا فيما يرجع إلى نفع المسلمين. فأما ابنه: فقد عرفتم قدره في هذا وفي غيره، طياش قلاش، ليس عنده إلا قاش وقماش، مثل ابن عياش، والهروى الحواش، وولدت والشعرى في طالعي، ولو لا دقيقة لآدركت النبوة، وقد أدركت النبوة إذ قمت بالذب عنها، والنصرة لها، فمن ذا يجارينا أو يبارينا، ويغارينا، أو يمارينا، ويشارينا.

قال: وسمعته يقول لابن ثابت، جعلك الله ممن إذا خرئ سطر، وإذا بال قطر، وإذا فسا غبر، وإذا ضرط كبر، وإذا أعجف عبر.

قال: وهذا سخف لا يليق بأصحاب الفرصة، والذين اختلفوا إلى الخندق، ودارك ومنوقان، والزبيدية، والرمادة، والخلد.

قال وأنشد أبو دلف الخزرجي:

يا ابن عباد بن عباس ... بن عبد الله حرها

تنكر الجبر وقد أخرجت ... من دنياك كرها

قال علي ابن عطاء: إن عطاء ابن عباد: لا يزيد على مائة درهم، وثوب إلى خمسمائة، وما يبلغ إلى الألف نادر، وما يوفى على الألف بديع، بلى، قد نال بن ناس من عرض جاهه على السنين، ما يزيد قدره على هذا بأضعاف، وعدد هؤلاء قليل جدا، وذلك بابتذال النفس، وهتك الستر.

قال: ولقد بلغ من ركاكته، أنه كان عنده أبو طالب العلوي، فكان إذا سمع منه كلاما يسجع فيه، وخبرا ينمقه ويرويه، يبلق عينيه، وينشر منخريه، ويرى أنه قد لحقه غشى حتى يرش على وجهه ماء الورد، فإذا

أفاق قيل: ما أصابك؟ ما عراك؟ ما الذي نالك وتغشاك؟ فيقول: ما زال كلام مولاي يروقني ويؤنقني حتى فارقني لبي، وزايلني عقلي، وتراخت مفاصلي، وتخاذلت عرى قلبي، وذهل ذهني، وحيل بيني وبين رشدى، فيتهلل وجه ابن عباد عند ذلك، وينتفش ويضحك عجبا وجهلا، ثم يأمر له بالحباء والتكرمة، ويقدمه على جميع بنى أبيه وعمه، ومن ينخدع هكذا، فهو بالنساء الرعن أشبه، وبالصبيان الضعاف أمثل. وذكر الوزير أبو سعد، منصور بن الحسين الآبي في تاريخه، من جلالة قدر الصاحب، وعظم قدره في النفوس، وحشمته، مالم يذكر لوزير قبله، ولا بعده مثله، وأنا ذاكر ما ذكر على ما نسقه، قال: توفيت أم كافي الكفاة بأصبهان، وورد عليه الخبر، فجلس للتعزية يوم الخميس للنصف من محرم، سنة أربع وثمانين، وركب إليه سلطانه وولى نعمته، فخر الدولة، بن ركن الدولة معزيا، ونزل وجلس عنده طويلا يعزيه، ويسكن منه، وبسط الكلام معه بالعربية، وكان يفصح بها، فسمعته يقول حين أراد القيام: أيها الصاحب، هذا جرح لا يندمل، فأما سائر الأمراء والقواد، مثل منوجهر بن قابوس، ملك الجبل، وفولاذ بن ما نادر، أحد ملوك الديلم، وأبي العباس الفيروزان بن خالد، فخر الدولة وغيرهم، من الأكابر والأماثل، فإنهم كانوا يحضرون حفاة حسرا، وكان كل واحد منهم إذا وقعت عينه على الصاحب، قبل الأرض، ثم توالى بعد ذلك إلى ان يقرب منه، ويأمره بالجلوس فيجلس، وما كان يتحرك ولا يستوفز لأحد، بل كان جالسا على عادته فى غير أيام التعزية، فلما أراد القيام من المعزى بعد الثالث، كان أول من أمر أن يقدم إليه اللكاء منوجهر بن قابوس، فإنه قال: يحمل إلى أبي منصور ما يلبسه، فقدم إليه، ومنع من الخروج من الدار حافيا، ثم قدم بعد ذلك الحجاب والحاشية اللكاوات إلى الجماعة، فغضب فولاذ بن مانادر، والفولاذ دريدية عليه ذلك، وقالوا: ميز منوجهر من بين الجماعة، فاحتج الصاحب ببيته العظيم، ورياسته القديمة.

قال: وخطب كافي الكفاة ابنة أبى الفضل بن الداعي، لسبطه عباد بن الحسين، ووقع الإملاك فى داره يوم الخميس، لاربع خلون من شهر ربيع الأول، سنة أربع وثمانين، وكان يوما عظيما احتفل فيه كافي الكفاة، ونثر من الدنانير والدراهم شيئا كثيرا، لذلك أنفذ له فخر الدولة على يدى أحد حجابه الكبار، إلى هناك من النثار، ما زاد على مائة طبق عينا وورقا، وحضر الفولاذ دريدية بأسرهم، فإن الابنة المزوجة، كانت ابنة ديكونة بنت الحسن، بن الفيروزان، خالة فخر الدولة، وكان القوم أخوالها، وأضافهم الصاحب، ونصبت مائدة عظيمة في بيت طوله يزيد على خمسين ذراعا، وكانت بطول البيت، وأجلس عليه ستة أنفس، وكان فولاذ بن مانا وكبات بن بلقسم في الصدر، وبجنب فولاذ، أبو جعفر بن الثائر العلوي، وبجنبه الآخر، أبو القاسم بن القاضى العلوي، ودون أحد العلويين كاكي ابن يشكر زاد، ودون الآخر مرداويج الكلاري، ووقف أبو العباس الفيروزان، وعبد الملك بن ما كان للخدمة، ووقف كافي الكفاة أيضا ساعة، ووقف جميع أكابر الكتاب والحجاب، مثل الرئيس أبى العباس، أحمد بن إبراهيم الضبى، وأبى الحسين العارض، وأخيه أبى على، وابنه أبى الفضل، وأبى عمران الحاجب وغيرهم. إلى أن فرغ القوم من الأكل، ثم أكل هؤلاء مع الصاحب على مائدة منفردة، وأما قاضى القضاة، والأشراف والعدول، فإنهم أطعموا على مائدة أخرى فى بيت آخر.

قال: وكان نصر بن الحسين، بن الفيروزان، وهو خال فخر الدولة، مقداما شجاعا، قليل المبالاة، قد استعصى على فخر الدولة، واقتطع من بلاده، وتغلب عليها، واحتال على جماعة من عساكره، فقتلهم بأنواع القتل، ثم كسر له عدة عساكر، إلى أن تكاثرت عساكر فخر الدولة فكسرته، وشتتت جموعه، وهرب نحو خراسان، حتى صار إلى إسفرايين، ثم بدا له أن سلك طريق المفارة فيها، حتى ورد الى ليلة الجمعة، لست بقين من شوال، سنة أربع وثمانين، وقصد في الليل باب كافة الكفاة مستجيرا به، ومستعطفا له، فلم يرق له، ورد إلى دار بعض حجاب فخر الدولة، فحبس فيها.

قال الوزير أبو سعد: وكنت في هذه الليلة بحضرة كافي الكفاة، فأتاه الحاجب، وقد مضى هزيع من الليل، فأخبره بوقوف نصر بن الحسن، بن الفيروزان على الباب، خاشعا متضرعا، فرأيته قد تحير في الأمر ساعة، ثم راسله بأن السلطان الأعظم – يعني فخر الدولة – ساخط عليك، ولا يجوز لي أن آذن لك في دخول داري، إلا بعد تترضاه، وتستعطف قلبه، فإذا عفا عنك ورجع لك، فالدار بين يديك، وأنا معين لك. فعاد الحاجب إليه بذلك، ورجع فقال: إنه امتنع من العود وقال: إنما جئت إلى الصاحب لائذا به، ومنقطعا إليه، ولا أعرف غيره، وأنا أحتاج أن يدبر أمري، ويجبرني ويحامي على، ويذب عني، فرأيت الصاحب وقد مال رأيه بين إحدى خصلتين: إما أن يستمر على المنع ولا يأذن له، وإما أن يأذن له، ويجعل داره بما فيها من الخزائن له، وينتقل هو إلى دار كانت لحاجبه الراوندي، وكان قد أضافها بعد موت هذا الحاجب إلى داره. ثم تقرر رأيه على صرفه، واستمر نصر على الإلحاح فى الخضوع، والاجتهاد أن يأذن له في الدخول، وانتقل من الباب الكبير إلى باب الخاصة، سأل واجتهد إلى أن جاءه من قبل فخر الدولة، علوسة الحاجب وحبسه، وكان هذا الفعل من الصاحب مستهجنا، يعجب الناس منه، وتحدثوا به واستقبحوه، مع ما اظهره نصر من الاستكانة والاستجارة به. وأظن أنه لم يفعل ذلك، إلا لأنه جبن عن الاجتماع معه في دار واحدة، مع العداوة المتأكدة بينهما، والضغينة الراسخة في قلب كل واحد منهما.

ثم ذكر وفاة الصاحب، في الوقت الذى ذكره غيره، وكما ذكرناه آنفا. ثم قال: وتوفي فخر الدولة عشية يوم الثلاثاء، عاشر شعبان، وكان مبلغ عمره أربعا وأربعين سنة، وستة أشهر وأياما. ثم وصف أخلاقه وجيوشه، وقلاعه وأمواله، التي خلفها، ثم قال: فأما الوزارة في أيامه، فكانت أشهر من أن يحتاج إلى ذكرها، فإن اول وزرائه كان كافي الكفاة. وأسنة الأقلام، وعذبات الألسنة تكل دون أيسر أوصافه، وأدنى فضائله، ولو لا ما آل إليه أمر الوزارة في هذه الأيام، واعتقاد من لم يعلم حالها فى ذلك الزمان، بأن الأمر كان ولم يزل على ما نراه، أو قريبا منه وشبيها به، لأمسكنا عن ذكره، ولكنا نذكر يسيرا من أحواله، فإن هؤلاء الذين ذكرناهم من أبناء الملوك، والأمراء والقواد، وسائر من ساواهم من الزعماء والكبار، مثل أولاد مؤيد الدولة، وابن عز الدولة، ومنوجهر بن قابوس، بن وشمكير، وأبى الحجاج بن ظهير الدولة، وأسفهيد بن أسفار، وحسن بن وشمكير، وفولاذ بن مانادر، ونصر بن الحسن بن الفيروزان، وأبى العباس الفيروزان، ابن الحسن، بن الفيروزان، وكبات بن بلقسم، بن الفيروزان، وحيدر بن وهسوذان، وكيخسرو بن المرزبان، ابن السلار، وجستان بن نوح، بن وهسوذان، وشيرزيل ابن سلار، بن شيرزيل، وكان في يد كل واحد من هؤلاء من الأقطاع، ما يبلغ ارتفاعه خمسين ألف دينار، وما دونها إلى عشرين ألف دينار، ومن اكابر القواد

ما يطول تعدادهم، كانوا يحضرون باب داره، فيقفون على دوابهم مطرقين، لايتكلم واحد منهم هيبة وإعظاما لموضعه، إلى أن يخرج أحد خلفاء حجابه، فيأذن لبعض أكابرهم، ويصرفهم جملة، فكان من يؤذن له فى الدخول، يظن أنه قد بلغ الآمال، ونال الفوز بالدنيا والآخرة، فرحا ومسرة، وشرفا وتعظيما، فإذا حصل فى الدار، وأذن له فى الدخول إلى مجلسه، قبل الأرض عند وقوع بصره عليه، ثلاث مرات أو أربعا، إلى أن يقرب منه، فيجلس من كانت رتبته الجلوس، إلى أن يقضى كل واحد منهم وطره من خدمته، ثم ينصرف، بعد أن يقبل الأرض أيضا مرارا. ولم يكن يقوم لأحد من الناس ولا يشير إلى القيام، ولا يطمع منه أحد فى ذلك.

ونزل بالصيمرة عند عوده من الأهواز، فدخل عليه شيخ من زهاد المعتزلة، يعرف بعبد الله بن إسحاق، فقام له: فلما خرج النفت كافى الكفاة وقال: ما قمت لأحد مثل هذا القيام، منذ عشرين سنة، وإنما فعل ذلك به لزهده، فإنه كان أحد أبدال دهره، فأما العلم فقد كان يرى من هو أعلم منه، فلا يحفل به. وأما هيبته في الصدور، ومخافته في القلوب، وحشمته عند الصغير والكبير، والبعيد والقريب، فقد بلغت إلى أن كان صاحبه فخر الدولة، ينقبض عن كثير مما يريده بسببه، ويمسك عما تشره إليه نفسه لمكانه، وقد ظهر ذلك للناس بعد موته، وانبساط فخر الدولة فيما لم يكن من عادته، فعلم أنه كان يزم نفسه لحشمته، ثم كان يحله محل الوالد إكراما وإعظاما، ويخاطبه بالصاحب شفاها وكتابا، فأما أكابر الدولة، فكان الواحد إذا رأى أحد حجابه، بل أحد الأصاغر من حاشيته، فإن فرائضه كانت ترتعد، وجوانحه كانت تصطفق، إلى أن يعلم ما يريده منه، ويخاطبه به.

وتظلمت إليه امرأة من صاحب لفولاذ بن مانادر، وذكرت أنه ينازعها في حق لها، فما زاد على أن التفت إلى فولاذ، وكان في موكبه يسير خلفه، فبهت وتحير، وارتعد ووقف، ولم يبرح إلى أن سار كافى الكفاة، ثم أرسل مع المرآة من أرضاها، وأزال ظلامتها، ومثل هذا كثير يطول الكتاب ببعضه، فكيف يتسع لكله.

وأما أسبابه وحاشيته، وهيبته ورتبته، فإن من أيسرها أنه كان له عدة من الحجاب، منهم من على مربطه ثلاثمائة رأس من الدواب، أو ما يقاربها، وكانت أحوال بلكا الحاجب، تزيد على ذلك زيادة كثيرة، فإنه كان على مربط خليفة له يعرف بيزيدة، كثير من الخيل العتاق الموصوفة، وكان لا يستغني عنها، لأنه كان موقوفا على حفظ الطرق، وطلب الأكراد، وأهل العيث وصيانة السابلة، وكان ما يخرج لكافى الكفاة فى السنة، في وجوه البر والصدقات والمبرات، وصلات الأشراف وأهل العلم، والغرباء الزوار، ومن يجري مجرى ذلك، مما يتكلفه به صيت الدنيا، وأجر الآخرة، يزيد على مائة ألف دينار.

وانتقلت الوزارة عنه إلى أبى العباس، أحمد بن إبراهيم الضبي، وأبي علي الحسن، بن أحمد، بن حمولة، والسياسة التى قد سنها هو باقية، وحشمة الوزارة ثابتة، والأمور على ما عهد في أيامه جارية، وكان لهما من الحشم والحاشية، والتجمل والزينة، مثل ما كان له، بل كان فوقه فى الغنى والثروة، وإن لم يلحقاه في الفضل والمكرمة.

قال غرس النعمة: حدث أبو إسحاق إبراهيم بن عيسى النصيبي قال: كان أبو الفتح على بن أبى الفضل، بن

العميد، قد دبر على الصاحب بن عباد، حتى أزاله عن كتابة الأمير مؤيد الدولة، وأبعده عن حضرته بالري إلى أصفهان، وانفرد هو بتدبير الأمور لمؤيد الدولة، كما كان يدبرها لأبيه ركن الدولة، واستدعى يوما ندماءه، وعبأ لهم مجلسا عظيما، وأظهر من الزينة وآلات الفضة، والذهب والصيني وما شاكله، ما يفوت الحصر، وشرب واستفزه الطرب، وكان قد شرب يومه وليلته، فعمل شعرا غنى به، وهو:

دعوت المنى ودعوت العلا ... فلما أجابا دعوت القدح

وقلت لأيام شرخ الشباب ... ألا إن هذا أوان المرح

إذا بلغ المرء آماله ... فليس له بعدها مقترح

فلما غنى بالشعر استطابه، وشرب عليه إلى أن سكر، وقال لغلمانه: غطوا المجلس، ولاتسقطوا منه شيئا، لأصطبح في غد عليه، وقال لندمائه: باكروني، وقام إلى بيت منامه، وانصرف عنه الندماء، فدعاه مؤيد الدولة في السحر، فلم يشك أنه لمهم، فقبض عليه، وأنفذ إلى داره من استولى على جميع ما فيها وأعاد ابن عباد إلى وزارته، وطاولت بابن العميد النكبة، حتى مات فيها، كما ذكرناه فى ترجمته.

ثم وزر ابن عباد بعد مؤيد الدولة لأخيه فخر الدولة، فبقى فى الوزارة ثمانى عشرة سنة وشهورا، وفتح خمسين قلعة سلمها إلى فخر الدولة، لم يجتمع عشر منها لأبيه ولا أخيه، وسمع الصاحب الحديث وأملى.

فحدث أبو الحسن، على بن محمد الطبري الكيا قال: لما عزم الصاحب بن عباد، على الإملاء وهو وزير، خرج يوما متطلسا متحنكا بزى أهل العلم، فقال: قد علمتم قدمي في العلم، فأقروا له بذلك، فقال: وأنا متلبس بهذا الأمر، وجميع ما أنفقته من صغرى إلى وقتي هذا، من مال أبي وجدي، ومع هذا فلا أخلو من تبعات، أشهد الله وأشهدكم أنى تائب إلى الله، من ذنب أذنبته. واتخذلنفسه بيتا وسماه بيت التوبة، ولبث أسبوعا على ذلك، ثم أخذ خطوط الفقهاء بصحة توبته، ثم خرج فقعد للإملاء، وحضر الخلق الكثير، وكان المستملى الواحد ينضاف إليه ستة، كل يبلغ صاحبه، فكتب الناس حتى القاضي عبد الجبار، وأهدي إليه العميري كتبا، وكتب معها:

العميري عبد كافي الكفاة ... وإن اعتد في وجوه القضاة

خدم المجلس الرفيع بكتب ... مفعمات من حسنها مترعات

فوقع الصاحب تحتها:

قد قبلنا من الجميع كتابا ... ورددنا لوقتها الباقيات

لست أستغنم الكثير فطبعى ... قول خذ، ليس مذهبى قول هات

حدث أبو الرجاء الضرير، الشطرنجي العروضي، الشاعر الأهوازي بالأهواز، قال: قدم علينا الصاحب ابن عباد، في السنة التى جاء فيها فخر الدولة، ولقيه الناس ومدحه الشعراء، فمدحته بقصيدة قلت فيها:

إلى ابن عباد أبى القاسم الصاحب ... إسماعيل كافي الكفاة

فقال: قد كنت والله أشتهي بأن تجتمع كنيتي واسمي، ولقبى واسم أبي في بيت، فما انتهيت إلى قولي فيها: ويشرب الجيش هنيئا بها فقال يا أبا الرجاء: أمسك، فأمسكت، فقال:

ويشرب الجيش هنيئا بها ... من بعد ماء الري ماء الصراة

هكذا هو؟ قلت نعم، قال: أحسنت، قلت يا مولاي: أحسنت أنت، عملت أنا هذا في ليلة، وأنت عملته في لحظة.

قال عبد الله الفقير غليه: وممن ذكر نسب الممدوح كاملا، الحارث الدؤلي، في عاصم بن عمرو، بن عثمان، ابن عفان:

إليك ابن عثمان بن عفان عاصم بن ... عمرو سرت عيس فطال سراها

ومن مستحسن شعر الصاحب:

دعتنى عيناك نحو الصبا ... دعاء تكرر في كل ساعة

فلو لا " وحقك " عذر المشيب ... لقلت لعينيك سمعا وطاعة

وحدث البديع الهمذانى قال: كان بعض الفقهاء ويعرف بابن الحضيري، يحضر مجلس الصاحب بالليالى، فغلبته عينه ليلة فنام، وخرجت منه ريح لها صوت، فخجل وانقطع عن المجلس، فقال الصاحب أبلغوه عني:

يا بن الحضيرى لا تذهب على خجل ... لحادث كان مثل الناى والعود

فإنها الريح لا تسطيع تحبسها ... إذ لست أنت سليمان بن داوود

ولأبى بكر الخوارزمى في ابن عباد:

لاتحمدن ابن عباد وإن هطلت ... كفاه يوما ولاتذممه إن حرما

فإنها خطرات من وساوسه ... يعطي ويمنع لا بخلا ولا كرما

فلما مات الخوازمي، بلغ الصاحب وفاته فقال:

أقول لركب من خراسان رائح ... أمات خوارزميكم؟ قيل لي نعم:

فقلت: اكتبوا بالجص من فوق قبره ... " ألا لعن الرحمن من كفر النعم "

وحدث أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي، في كتاب مشارب التجارب، وذكر الصاحب فقال: أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن عباس، الوزير ابن الوزير، كما قال الرستمي فيه:

ورث الوزارة كابرا عن كابر ... موصولة الإسناد بالإسناد

يروي عن العباس عباد وزارته ... واسماعيل عن عباد

قال: مولده بكورة فارس، في ذي العقدة، سنة ست وعشرين وثلاثمائة، ومدحه خمسمائة شاعر من أرباب الدواوين، وممن كان ببابه: قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد الأسدأباذى، وكان قد فوض إليه قضاء همذان والجبال، واستقبل القاضي عبد الجبار الصاحب يوما، فلم يترجل له، فقال: أيها الصاحب، أريد أن أترجل للخدمة، ولكن العلم يأبى ذلك، وكان يكتب في عنوان كتابه: " إلى الصاحب: داعيه، عبد الجبار بن أحمد " ثم كتب " وليه عبد الجبار بن أحمد " ، ثم كتب " عبد الجبار بن أحمد " فقال الصاحب لندمائه: أظنه يؤول أمره إلى أن يكتب الجبار.

وأنشد الصاحب لنفسه يرثي:

يقولون لي أودى كثير بن حمد ... وذلك رزء ما علمت جليل

فقلت دعوني والعلا نبكه معا ... فمثل كثير في الرجال قليل

وذكر هلال بن المحسن، عن أبي طاهر بن الحمامي، عن الأنباري الكاتب، قال: ورد إلى الصاحب رجل من أهل الشام، فكان فيما استخبره عنه: رسائل من تقرأ عندكم؟ فقال: رسائل بن عبد كان. قال ومن؟ قال: رسائل الصابيء. وغمزه أحد جلسائه ليقول: رسائل الصاحب فلم يفطن، ورآه الصاحب فقال: تغمز حمارا لا يحس وكان صاحب خراسان، الملك نوح بن منصور السامانى، قد أرسل إلى الصاحب في السر يستدعيه إلى حضرته، ويرغبه في خدمته، وبذل البذول السنية، فكان من جملة اعتذاره أن قال: كيف يحسن لي مفارقة قوم بهم ارتفع قدرى، وشاع بين الأنام ذكرى، ثم كيف لي بحمل أموالي مع كثرة أثقالي؟ وعندي من كتب العلم خاصة، ما يحمل على أربعمائة جمل أو أكثر.

قال أبو الحسن البيهقي: وأنا أقول: بيت الكتب الذى بالرى، دليل على ذلك، بعدما أحرقه السلطان محمود ابن سبكتكين، فإني طالعت هذا البيت، فوجدت فهرست تلك الكتب عشر مجلدات، فإن السلطان محمودا لما ورد إلى الري، قيل له: إن هذه الكتب، كتب الروافض، وأهل البدع، فاستخرج منها كل ما كان فى علم الكلام، وأمر بحرقه. وللصاحب من التصانيف: كتاب المحيط باللغة عشرة مجلدات، كتاب ديوان رسائله عشرة مجلدات، كتاب الكافى رسائل، كتاب الزيدية، كتاب الأعياد وفضائل النوروز، كتاب في تفضيل على بن أبى طالب. وتصحيح إمامة من تقدمه، كتاب الوزراء لطيف، كتاب عنوان المعارف في التاريخ، كتاب الكشف عن مساوئ المتنبى، كتاب مختصر أسماء الله تعالى وصفاته، كتاب العروض الكافى، كتاب جوهرة الجمهرة، كتاب نهج السبيل فى الأصول، كتاب أخبار أبي العيناء، كتاب نقض العروض، كتاب تاريخ الملك واختلاف الدول، كتاب الزيدين، كتاب ديوان شعره.

وقال بعض ولد المنجم بعد وفاة الصاحب، وقد استوزر أبو العباس الضبى، ولقب بالرئيس، وضم إليه أبو علي، ولقب بالجليل:

والله و الله لا أفلحتم أبدا ... بعد الوزير ابن عباد بن عباس

إن جاء منكم جليل فاقطعوا أجلي ... أو جاء منكم رئيس فاقطعوا راسي

ومن شعر الصاحب:

وشادن جماله ... يقصر عنه صفتي

أهوى لتقبيل يدي ... فقلت: لا بل شفتي

وله:

قال لى إن رقيبى ... سيء الخلق فداره

قلت: دعنى وجهك ... الجنة حفت بالكاره

وله أيضا:

أقول وقد رأيت له سحابا ... من الهجران مقبلة إلينا

وقد سحت عزاليها بسكب ... حوالينا الصدود ولا علينا

حدث الوزير أبو العلاء بن حسولي قال: كان دينار المجوسي صدرا في ديوان الري، وكان مدنرا مدرهما

ممولا، فكتب رجل إلى الصاحب:

لم لا يفرق في ديوان عسكره ... كافي كفاة الورى دينار دينار

فإن أيسر ما في قطع شأفته ... تطهير ديوانه من عابدي النار

فقبض عليه وصادره، واستوفى منه مالا عظيما، والسبب فى ذلك البيتان.

وحدث ابن بابك قال: سمعت الصاحب يقول: مدحت والعلم عند الله، بمائة ألف قصيدة شعر، عربية وفارسية وقد أنفقت أموالي على الشعراء والأدباء، والزوار والقصاد، ما سررت بشعر، ولا سرني شاعر، كما سرني أبو سعيد الرستمي الأصفهاني بقوله:

ورث الوزارة كابرا عن كابر ... مرفوعة الإسناد بالإسناد

يروى عن العباس عباد وزارته ... وإسماعيل عن عباد

وقال أبو الحسن، علي بن الحسين الحسني، ختن الصاحب يرثيه:

ألا إنما يمنى المكارم شلت ... ونفس المعالي إثر فقدك سلت

حرام على الظلماء إن هي قوضت ... وحجر على شمس الضحى إن تجلت

لتبك على كافي الكفاة مآثر ... تباهي النجوم الزهر في حيث حلت

لقد فدحت فيه الرزايا وأوجعت ... كما عظمت فيه العطايا وجلت

ألا هل أتى الآفاق أية غمة ... أطلت، ونعمى أي دهر تولت

وهل تعلم الغبراء ماذا تضمنت ... وأعواد ذاك النعش ماذا أقلت؟

فلا أبصرت عينى تهلل بارق ... يحاكي ندى كفيك إلا استهلت

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

ولو قبلت أرواحنا عنك فدية ... لجدنا بها عند الفداء وقلت

قال أبو حيان: كان ابن عباد يأتى بالسجع فى أثر كلامه، مع روية طويلة، وأنفاس مديدة، وحشرجة صدر، وانتفاخ منخريه، والتواء شدقيه، وتعويج عنقه، واللعب بشاربه وعنفقته، فلو رأيته يقرر المسائل على هذه الأمثلة العجيبة، والبيان الشافي، لرأيت عجبا من العجائب، وضربا من الغرائب.

وقال لى يوما الشابي وقد خرجنا من مجلس الصاحب: كيف رأيت مولانا الصاحب اليوم مع هذا التغرير، وإظهاره البلاغة الحسنة بين الناس، فقلت: السكوت عن مثله إحدى الحسنيين، وأحرق الحاتين، ولكن نعوذ بالله ممن يوين له الشيطان عمله، ويزخرف له قوله. قال لي: كأنه لم يخلق هذا الرجل إلا غيظا لأكباد الأحرار، وشفاء لسقم الأنذال، – لحى الله دهرا آل بنا إليه – ، وأنزلنا عليه، وأحوجنا إلى مقاساته، وألجأنا إلى مجالسته، وأنشد يقول:

يا من تبرمت الدنيا بطلعته ... كما تبرمت الأجفان بالرمد

يمشي على الأرض مجتازا فأحسبه ... من بغض طلعته يمشي على كبدي

لو كان في الأرض جزء من سماجته ... لم يقدم الموت إشفاقا على أحد

قال أبو حيان: قال لي الشابي: أهدي ابن عباد إلى صاحبه وقت وردوهما إلى الأهواز دينارا من ضربه، وزنه ألف مثقال! وكتابته:

وأحمر يحكي الشمس شكلا وصورة ... فأسماؤه مشتقة من صفاته

فإن قيل دينار فقد صدق اسمه ... وإن قيل ألف كان بعض سماته

بديع فلم يطبع على الدهر مثله ... ولا ضربت أضرابه لسراته

وصار إلى شاهانشاه انتسابه ... على أنه مستصغر لعفاته

تفاءلت أن يبقى سنين كوزنه ... لتستمتع الدنيا بطول حياته

تأنق فيه عبده وابن عبده ... وغرس أياديه وكافي كفاته

فقال: أرأيت أكذب منه حيث قال؟. " فلم يطبع على الدهر مثله " ما كان في الدنيا من خدم ملكا بألف دينار، ثم قال: " وكافي كفاته " والله لو كتبت امرأة بمثله إلى زوجها، لكان سمجا قبيحا، فكيف إلى فخر الدولة!! ما أحسن ما كفاه أمر أبي العلاء النصراني حين هزمه بعدد قليل، بعد أن كان في جيش عرمرم ثقيل، ولكن الدنيا حمقاء خرقاء، لا تميل إلا إلى مثلها، لو كتب المطهر أو نصر بن هارون، أو أحد وزراء عضد الدولة إليه بشيء من ذلك، لأحرقه بالنار والنفط، ومن كتاب الروزنامجة: قال الصاحب: ما زال أحداث بغداد يذكروني بابن شمعون المتصوف، وكلامه على الناس في مكان الشبلي، فجمعت يوما في المدينة، وعلى طيلسان ومصمته، ووقعت عليه، وقد لبس فوطة قصب، وقعد على كرسي ساج، بوجه حسن، ولفظ عذب، فرأيته يقطع مسائله بهوس يطيله ويسهب فيه، فقلت: لا بد من أن أسأله عما أقطع به،

وابتدرت فقلت: يا شيخ، ما تقول في قد سيكونيات العلم، إذا وقعت قبل التوهم، فورد عليه ما لم يسمع به، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: لم أؤخر إجابتك عجزا عن مسألتك بل لأعطشك إلى الجواب، وأخذ في ضرب من الهذيان، فلما سكت قلت: هذا بعد التوهم، وإنما سألتك قبله إلى أن ضجر، فانصرفت عنه.

قرأت بمصر في نسخة باليتمية للثعالبي، عليها خط يعقوب بن أحمد، بن محمد بالقراءة عليه، يرويها عن مؤلفها الثعالبي، فوجدت فيها زوائد، لا أعرفها فى النسخ المشهورة بأيدي الناس، منها: حدثني عرف بن الحسين، الهمذاني التميمي قال: كنت يوما فى خزانة الخلع للصاحب، فرأيت في ثبت الحسبانات لكاتبها – وكان صديقي – مبلغ عمائم الخز، التي صارت فى تلك الشتوة، في خلع العلويين والفقهاء والشعراء، سوى ما صار فيها في خلع الخدم والحاشية، ثمانمائة وعشرين، قال: وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوما، إلى جميع ما فيها من الخدم والحاشية، عليهم الخزوز الملونة الفاخرة، فاعتزل ناحية وأخذ يكتب شيئا، فسأل الصاحب عنه فقيل له: إنه في مجلس كذا يكتب، فقال: علي به، فاستمهل الزعفراني ريثما يتم مكتوبه، فأعجله الصاحب، وأمر أن يؤخذا ما في يده من الدرج، فقام الزعفراني إليه، وقال: – أيد الله الصاحب – :

إسمعه ممن قال تزدد به ... عجبا فحسن الورد في أعضائه

فقال: هات يا أبا القاسم، فأنشده أبياتا منها:

سواك يعد الغني ما اقتنى ... ويأمره الحرص أن يخزنا

وأنت ابن عباد المرتجى ... تعد نوالك نيل المنى

وخيرك من باسط كفه ... وممن ثناها قريب الجنى

غمرت الورى بصنوف الندى ... فأصغر ما ملكوه الغنى

وغادرت أشعرهم مفحما ... وأشكرهم عاجزا ألكنا

أيا من عطاياه تهدى الغنى ... إلى راحتى من نأى أو دنا

كسوت المقيمين والزائرين ... كسا لم نخل مثلها ممكنا

وحاشية الدار يمشون في ... ضروب من الخز إلا أنا

فقال الصاحب: قرأت في أخبار معن بن زائدة: ان رجلا قال له احملني، فأمر له بفرس وبغلة وحمار وناقة وجارية، ثم قال: لو علمت أن الله خلق مركوبا غيرها لحملتك عليه، وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص، وسراويل وعمامة، ومنديل ومطرف، ورداء وجورب، ولو علمنا لباسا آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه، ثم أمر بإدخاله إلى الخزانة، وصيرت تلك الخلع عليه، وسلم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه.

قال: وحدثني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي قال: عهدي بأبي محمد ماثلا بين يدي الصاحب، ينشده قصيدة أولها:

هذا فؤادك نهى بين أهواء ... وذاك رأيك شورى بين آراء

هواك بين العيون النجل مقتسم ... داء لعمرك ما أبلاه من داء

لا تستقر بأرض أو تسير إلى ... أخرى بشخص قريب عزمه ناء
يوما بجزوى ويوما بالعقيق ويوما ... بالعذيب ويوما بالخليصاء
وتارة تنتحى نجداً وآونة ... شعب العقيق وطورا قصر تيماء

قال: فرأيت الصاحب متقبلا عليه بمجامعه، حسن الإصغاء إلى إنشاده، مستعيدا لأكثر أبياته، مظهرا من الإعجاب به والاهتزاز له، ما يعجب الحاضرين، فلما بلغ إلى قوله:

أدعى بأسماء نبزا في قبائلها ... كأن أسماء أضحت بعض أسمائي
أطلعت شعري فألقت شعرها طربا ... فألفا بين إصباح وإمساء

زحف عن دسته طربا له، فلما بلغ إلى قوله فى المدح:

لو أن سحبان باراه لأسحبه ... على خطابته أذيال فأفاء
أرى الأقاليم قد ألقت مقالدها ... إليه مستبقات أي إلقاء
فساس سبعتها منه بأربعة: ... أمر ونهي وتثبيت وإمضاء
كذاك توحيده ألوى بأربعة: ... كفر وجبر وتشبيه وإرجاء

فجعل يحرك رأسه ويقول: أحسنت أحسنت، فلما أنهى القصيدة، أمر له بجائزة وخلع.

قال الأمير أبو الفضل الميكالي: كتب عامل رقعة إإلى الصاحب في التماس شغل، وفي الرقعة: إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله فعل، فوقع الصاحب تحتها: من كتب لإشغالي لا يصلح لأشغالي.

وحدث هلال بن المحسن: ما رؤى أحد وفي من الإعظام والإكبار بعد موته، ما وفيه الصاحب، فإنه لما جهز ووضع في تابوته، وأخرج على أكتاف حامليه للصلاة عليه، قام الناس بأجمعهم، فقبلوا الأرض بين يديه، وخرقوا عند ذلك ثيابهم، ولطموا وجوههم، وبلغوا في البكاء والنحيب عليه جهدهم، وكان يلبس القباء في حياته تخففا بالوزارة، وانتسابا معها إلى الجندية وحدث عن أبي الفتح بن المقدر قال: كان أبو القاسم بن أبي العلاء الشاعر، من وجوه أهل أصبهان، وأعيانهم ورؤسائهم، فحدثني أنه رأى في منامه قائلا يقول له: لو كاثرت الصاحب أبا القاسم بن عباس، مع فضلك وكثرة علمك، وجودة شعرك، فقلت: أفحمتني كثرة محاسنه، فلم أدر بم أبدأ منها؟ وخفت أن أقصر، وقد ظن بي الاستيفاء لها، فقال: أجز ما أقوله، قلت قل: فقال: ثوى الجود والكافي معا في حفيرة فقلت: ليأنس كل منهما بأخيه فقال: هما اصطحبا حيين ثم تعانقا فقلت: ضجيعين في لحد بباب ذريه فقال: إذا ارتحل الثاوون عن مستقرهم فقلت: أقاما إلى يوم القيامة فيه " باب ذريه: المحلة التى فيها تربته، أو ما يستقبلك من أصفهان "

وحدث في كتاب الروزنامجة، وانتهيت إلى أبي سعيد السيرافي، وهو شيخ البلد، وفرد الأدب، حسن التصرف، ووافر الحظ من علوم الأوائل، فسلمت عليه، وقعدت إليه، وبعضهم يقرأ الجمهرة، فقرأ: ألمقت، فقلت: إنما هو لمقت، فدافعني الشيخ ساعة، ثم رجع إلى الأصل، فوجد حكايتي صحيحة، واستمر القارئ حتى أنشد وقد استشهد:

رسم دار وقفت فى طلله ... كدت أقضى الغداة من جلله

فقلت: أيها الشيخ، هذا لايجوز، والمصراعان على هذا النشيد، يخرجان من بحرين، لأن: " رسم دار وقفت فى طلله " فاعلاتن مفاعلن فعلن " كدت أقضي الغداة من جلله " مفتعلن مفعلات مفتعلن فذاك من الخفيف، وهذا من المنسرح. فقال: لم لا تقول: الجميع من المنسرح؟ والمصراع الأول مخزوم. فقلت: لا يدخل الخزم هذا البحر، لأنه أوله مستفعلن مفاعلن، هذه مزاحفة عنه، وإذا حذفنا متحركا، بقينا ساكنا، وليس فى كلام العرب ابتداء به، وإنما هو: كدت أقضى الغداة من جلله بخفيف الضاد فأمر بتغييره، ورفعني إلى جنبه، وابتدأ فقريء عليه من كتاب المقتضب، باب ما يجزي وما لايجزى، إلى أن ذكر وسحر، وأنه لا ينصرف إذا كان لسحر بعينه، لأنه معدول عن الأول، فقلت: ما علامة العدل فيه؟ فقال: إنا قلنا السحر، ثم قلنا: سحر، فهلمنا أن الثاني معدول عن الأول قلت: لو كان كذلك، لوجب أن تطرد العلة في عتمة، فضجر واحتد، وصاح واربد وادعيت أنه ناقص، والتمس الحاكم، فكتبت رسالة أخذت فيها خطوط أهل النظر، وقد أنفذت درج كتابى نسختها، وفيها خط أبى عبد الله بن رذامر عين مشايخهم، ورأيت الشيخ بعد ذلك عزيزا فاضلا، متوسعا عالما، فعلقت عليه، وأخذت عنه، وحصلت تفسيره لكتاب سيبويه، وقرأت صدرا منه، وهناك أبو بكر ابن مقسم، وما فى أصحاب ثعلب أكثر دراية، وما أصح رواية منه، وقد سمعت مجالسه، وفيها غرائب ونكت، ومحاسن وطرف، من بين كلمة نادرة، ومسألة غامضة، وتفسير بيت مشكل، وحل عقد معضل، وله قيام بنحو الكوفيين وقراءتهم، ورواياتهم ولغاتهم والقاضى أبو بكر ابن كامل، بقية الدنيا فى علوم شتى، يعرف الفقه والشروط والحديث، وما ليس من حديثنا، ويتوسع فى النحو توسعا مستحسنا، وله في حفظ الشعر بضاعة واسعة، وفي جودة التصنيف قوة تامة، ومن كبار رواة المبرد وثعلب، والبحتري وأبي العيناء، وغيرهم. وقد سمعت قدرا صالحا مما عنده، وكنت أحب أن أسمع كلام أهل النظر بالعراق، لما تتابع فى حذقهم من الأوصاف. وذكر أبا زكريا يحيى بن عدي وغيره، ومناظرات جرت هناك يطول شرحها.

وحدث عن أبي نصر بن خواشاذه أنه قال: ما غبطت أحدا على منزلة، كما غبطت الصاحب أبا القاسم بن عباد، فإنا كنا مقيمين بظاهر جرجان، مع مؤيد الدولة على حرب الخراسانية، فدخل الصاحب إلى داره في البلد، آخر نهار يوم لحضور المجلس الذي يعقده لأهل العلم، وتحته دابة رهواء، وقد أرسل عنانه، فرأيت وجوه الديلم وأكابرهم، من أولاد الأمراء يعدون بين يديه، كما تعدو الركابية، وكان عضد الدولة: يخاطب شيخا خطابا لا يشرك معه فيه أحدا، إلا أنه كان يقل مكاتبته، وكانت الكتب من عضد الدولة، إنما ترد على لسان كاتبه أبو القاسم، عبد العزيز بن يوسف.

ولما وجدت الشعراء لبضائعها عند ابن عباد نفاقا وسوقا. أهدوا نتائج أفكارهم إلى حضرته، وساقوها نحوه سوقا. فذكر الثعالبي قال: واحتف به من نجوم الأرض، وأفراد العصر، وابناء الفضل، وفرسان الشعر من يربى عددهم على شعراء الرشيد، ولا يقصرون عنهم فى الأخذ برقاب القوافي، وملك رق المعاني، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك، مثل ما اجتمع بباب الرشيد، من فحول الشعراء المذكورين، كأبي نواس، وأبى العتاهية، والعتابي، والنمري، ومسلم بن الوليد، وأبي الشيص، وابن أبي حفصة، ومحمد بن مناذر.

وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان، والري، وجرجان، مثل أبي الحسين السلامي، وأبي سعيد الرستمى، وأبى القاسم الزعفرانى، وأبى العباس الضبى، والقاضى الجرجانى وأبى القاسم بن أبي العلاء، وأبي محمد الخازن، وأبي هاشم العلوى، وأبي الحسن الجوهري، وبني المنجم، وابن بابك، وابن القاشاني، والبديع الهمذاني، وإسماعيل الشاشي، وأبى العلاء الأسدي، وأبي الحسن الغويري، وأبى دلف الخزرجي، وأبى حفص الشهرزوري، وأبي معمر الإسماعيلي، وأبى الفياض الطبري، وغيرهم ممن لم يبلغني ذكره، أو ذهب عني اسمه، ومدحه مكاتبة الرضي الموسوي، وأبو إسحاق الصابي، وابن الحجاج، وابن سكرة، وابن نباتة، وغيرهم ممن يطول ذكره.

وكتب أبو حفص الأصفهاني الوراق إلى الصاحب رقعة نسختها: لو لا أن الذكرى – أطال الله بقاء مولانا الصاحب الجليل – تنفع المؤمنين، وهزة الصمصام تعين المصلتين لما ذكرت ذاكرا، ولا هززت ماضيا، ولكن الحاجة تستعجل النجح، وتكد الجواد السمح، وحال عبد مولانا في الخطة متخلفة، وجرذان داره عنها منصرفة، فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله، فلم يشد رحله، فعل إن شاء الله تعالى، فوقع على رقعته، أحسنت يا أبا حفص قولا، وسنحسن فعلا، فبشر جرذان دارك بالخصب، وآمنها من الجدب، فالخطة تأتيك في الأسبوع، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع، إن شاء الله تعالى. قال: وحدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي قال: انتحل فلان يعنى بعض المتشاعرين بحضرة الصاحب شعرا له، وبلغه ذلك فقال: أبلغوه عني:

سرقت شعري وغيري ... يضام فيه ويجدع

فسوف أجزيك صفعا ... بكد رأس وأخدع

فسارق المال يقطع ... وسارق الشعر يصفع

قال: فاتخذ الليل جملا وهرب من الري.

وحدث عن عون بن الحسين الهمذانى قال: سمعت أبا عيسى بن المنجم يقول: سمعت الصاحب يقول: ما استأذنت على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس، إلا وانتقل إلى مجلس الحشمة فأذن لي فيه، وما أذكر أنه تبذل بين يدى، أو مازحنى قط إلا مرة واحدة، فإنه قال لي، بلغنى أنك تقول: إن المذهب مذهب الاعتزال، والنيك نيك الرجال، فأظهرت الكراهة لانبساطه، وقلت بنا من الجد، ما لانفرغ معه للهزل، ونهضت كالمغاضب، فما زال يعتذر إلى مراسلة حتى عاودت مجلسه، ولم يعد بعدها إلى ما يجري مجرى الهزل والمرح. ولما أتت الصاحب البشارة بسبطه عباد بن علي الحسني، " ولم يكن للصاحب ولد غيرها، وكان قد زوجها من أبي الحسن على بن الحسين الهمذاني، وكان شاعرا أديبا بليغا، وله شعر منه هذان البيتان في دار لبعض الملوك بناها:

دار علت دار الملوك بهمة ... كعلو صاحبها على الأملاك

فكأنها من حسنها وبهائها ... " بنيت قواعدها على الأفلاك "

أنشأ الصاحب يقول:

أحمد الله لبشرى ... أقبلت عند العشي

إذ حباني الله سبطا ... هو سبط للنبي
مرحبا ثمت أهلا ... بغلام هاشمي
نبوي علوي ... حسنى صاحبي
ثم قال:
الحمد لله حمدا دائما أبدا ... قد صار سبط رسول الله لي ولدا
وقد ذكرت ذلك الشعراء في أشعارهم، فمن ذلك قول أبي الحسن الجوهري في قصيدة منها:
وكان بعد رسوب الله كافله ... فصار جد بنيه بعد كافله
هلم للخبر المأثور مسنده ... في الطالقان فقرت عين ناقله
فذلك الكنز عباد وقد وضحت ... عنه الإمامة فى أولى مخايله
لما روت الشيعة أن بالطالقان كنزا من ولد فاطمة، يملأ الله به الأرض عدلا، كما ملئت جورا. والصاحب من الطالقان من قرى أصفهان، فلما رزق سبطا فاطميا، تأولوا له هذا الخبر، وأنا برئ من العهدة، هذ الذي ذكر الثعالبي، أن طالقان من قرى أصفهان، والصواب ما تقدم.
قال: وعرض على أبو الحسن الشقيقي البلخي، توقيع الصاحب إليه في رقعته: من نظر لدينه نظرنا لدنياه، فإن آثرت العدل والتوحيد، بسطنا لك الفضل والتمهيد، وإن أقمت على الجبر، فليس لكسرك من جبر، وهذه رسالة كتبها الصاحب إلى أبي على الحسين بن أحمد، في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد.

قال الثعالبي: وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله ابن أحمد الميكالى يسردها، فوادني جريها على لسانه، وصدورها عن فمه إعجابا بها، وهي: كتابي هذا يا سيدي صدر من " سحنة " ، وقد أرخى الليل سدوله، وسحب الظلام ذيوله، ونحن على الرحيل غدا إن شاء الله، إذا مد الصباح غرره، قبل أن يسبغ حجوله، ولو لا ذلك لأطلته، كوقوف الحجيج على المشاعر، ولم أقتصر منه على زاد المسافر، فإن المحتمل له، وسيع الحقوق لدى، حقيق أن أتعب له خاطري ويدي، وهو أبو عبد الله الحامدي، كان وافي مع ذلك الشيخ الشهيد، أبي سعيد الشيبي السعيد – رفع الله منازله – وقتل قاتله، يكت له فآنسنا بفضله، وأنسنا الخير من عقله، فلما فجع بتلك الصحبة، وبما كان فيها من القربة، لم يرض غير بابي بتلك مشرعاً، وغير جنابي مرتعا، وقطع إلى الطريق الشاق، مؤكدا حقا لا يشق غباره، ولا ينسي على الزمان ذماره، فكتب على جناح هذه النهضة التى بنا لم يستقر نواها، ولم تلق عصاها، فإخراج الحر المبتدئ الأمر، القريب العهد بوطأة الدهر، تحامل عليه بالمركب الوعر، فرددته إليك يا سيدي، لتسهل عليه حجابك، وتمهد له جنابك، ويترصد عملا خفيف النقل، ندى الظل، فإذا اتفق عرضته عليه، ثم فوضته إليه، وهو إلى أن يتسق ذلك ضيفي ذلك ضيفي، وعليك قراه، وعندك مربعه ومشتاه، ويريد اشتغالا بالعلم يزيده استقلاله. إلى أن يأتيه إن شاء الله خبرنا فى الاستقرار، ثم له الخيار، إن شاء أقام على ما وليته، وإن شاء التحق بنا ناشرا ما أوليته، وقد وقعت له إلى فلان بما يعنيه على بعض الانتظار، إلى أن يختار له كل الاختيار، فأوعز إليه بتعجيله، واكفني شغل القلب بهذا الحر، الذي أفردني بتأميله، إن شاء الله تعالى وحده.

وكتب إلى القاضي أبي بشر، الفضل بن محمد الجرجاني، عند وروده باب الري وافدا عليه:

تحدثت الركاب بسير أروي ... إلى بلد حططت به خيامي

فكدت أطير من شوق إليها ... بقادمة كقادمة الحمام

أفحق ما قيل من أمر القادم؟ أم ظن كأماني الحالم؟ لا والله، بل هو درك العيان، وإنه ونيل المنى سيان، فمرحبا أيها القاضي براحلتك ورحلتك، بل أهلا بك وبكافة أهلك، ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك، ووجدنا ريح يوسف من رياك فحث المطى تزل غلتى برؤياك، وتزح علتي بلقياك، ونص على يوم الوصول نجعله عيدا مشرفا، ونتخذه موسما ومعرفا، ورد الغلام أسرع من رجع الكلام، فقد أمرته أن يطير على جناح نسر، يترك الصبا في عقال وأسر:

سقى الله دارات مررت بأرضها ... فأذنتك نحوى يا زياد بن عامر

أصائل قرب أرتجي أن أنالها ... بلقياك قد زحزحن حر الهواجر

وقال بعض ندماء الصاحب له يوما: أرى مولانا قد أغار فى قوله:

لبسن برود الوشى لا لتجمل ... ولكن لصون الحسن بين برود

على المتنبيء في قوله:

لبسن الوشى لا متجملات ... ولكن كي يصن به الجمالا

فقال كما أغار هو في قوله:

ما بال هذي االنجوم حائرة ... كأنها العمى ما لها قائد

على العباس بن الأحنف في قوله:

والنجم فى كبد السماء كأنه ... أغمى تحير ما لديه قائد

وللصاحب أيضا:

يقولون لي كم عهد عينك بالكرى ... فقلت لهم مذ غاب بدر دجاها

ولو تلتقي عين على غير دمعة ... لصارمتها حتى يقال نفاها

من قول المهلبي الوزير:

تصارمت الأجفان منذ صرمتني ... فما تلتقي إلا على دمعة تجري

وللصاحب أيضا:

ومهفهف حسن الشمائل أهيف ... يروي النفوس بفترتي عينيه

ما زال يبعدني ويؤثر هجرتي ... فجذبت قلبي من إسار يديه

قالوا: تراجعه فقلت: بديهة ... قولا أقيم مع الروى عليه

والله لا راجعته ولو أنه ... كالبدر أو كالشمس أو كبويه

أخذه من قول ابن المعتز:

والله لا كلمتها ولو انها ... كالبدر أو كالشمس أو كالمكتفي

قال المؤلف: هكذا ذكر الثعالبي، ونسب هذا البيت إلى ابن المعتز، وهو لأبى بكر محمد بن السراج النحوي،

وله قصة ظريفة، وهي مذكورة في أخباره من هذا الكتاب.
ومما هجي به الصاحب، قول أبي العلاء الأسدي:

إذت رأيت مسجى في مرقعة ... يأوى المساجد حرا ضره بادي
فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت ... به الخطوب إلى لؤم ابن عباد
وقال السلامي:
يا ابن عباد بن عباس ... بن عبد الله حرها
تنكر الجبر وأخرجت ... إلى دنياك كرها
ومر أبو العباس بن الضبي، بباب الصاحب بعد موته، فقال:
أيها الباب لم علاك اكتئاب ... أين ذاك الحجاب والحجاب؟؟
أين من كان يفزع الدهر منه ... فهو الآن فى التراب تراب؟
ولأبي القاسم بن العلاء الأصفهاني، يرثي الصاحب من قصيدة:
ما مت وحدك لكن مات من ولدت ... حواء طرا بل الدنيا بل الدين
هذي نواعي العلا مذ مت نادبة ... من بعد ما ندبتك الخرد العين
تبكي عليك العطايا والصلات كما ... تبكي عليك الرعايا والسلاطين
قام السعاة وكان الخوف أقعدهم ... واستيقظوا بعد ما نان الملاعين
لايعجب الناس منهم إن هم انتشروا ... مضى سليمان وانحل الشياطين
وكتب الصاحب إلى أبي العلاء الأسدي من أجود أبياته:
يقر بعيني أن يلم رسولها ... ببابي ويهدي بالعشي سلامها
ورد يا شيخي – أطال الله بقاءك – رسولك بكتاب سبق الأفكار والظنون، وحسدت عليه القلوب العيون، وترك الواصفين بين قاصر ومقصر، ومثل لياليا بين اللوى فمحجر بكلام كالورق النضير، تتأوه منه الغصون، وكالنور المنير، أفنانه فنون فصاد فني حليفا للشوق أو رهينا، رحنيا على الحنين وساء قرينا، وكيف لا وقد ألفنا القرب حولا، حولنا رياض الأدب ترف، ودوننا رواحل الفضل تزف نملك رقاب المنطق، ونتنازع أطراف الكلام المنمق، ونقطع الليالى تناشدا وتذاكرا، وتحادثا وتسامرا، إلى أن يخلع الظلام ثيابه، ويحدر المصباح نقابه، هذا دأبنا كان، إلى أن جاوزنا الشباب مراحل. ووردنا من المشيب مناهل. ثم حان الفراق، فنحن حتى اليوم منه في جو كدر، ونجم منكدر يقبضنا عن الموارد العذاب.
ويعرضنا على لواعج العذاب، – والله نسأل – إعادة هاتيك الأحوال، وتلك الأيام الخضراء الظلال، و إن كان الله قد زادنا بعدك مناجح ومنائح وأيادي غوادي وروائح، حتى فتحنا الفتوح، وذللنا الصروح، ورنقنا الفتوق، ونسخنا القرون، وأثرنا الآثار، ووطأنا الرقاب، وطلبنا الثار، واصطنعنا الصنائع، وجعلنا ودائع النعم قطائع، وعقدنا في أعناق الأحرار مننا، أحسبها من سبل الإحسان سننا، إنا قد تحملنا مشاق، مالت على القوة بالضعف، وتحاملت على الأشر بالوهن، ودفعت إلى معالجة خطوب، تعجب الدهر من صبرنا

عليها فحار، وجبن الزمان عند شجاعتنا لها فحار، وها أنا أحرج ما كنت إلى أن أرفه، ولا أستكره، وقد رميت بسهم الأربعين، وأرميت على شرف الخمسين، مدفوع الأشغال والأثال، إلى متاعب ومصاعب، لو مني بها ابن ثلاثين قويا أزره، طريا جرضه، لقام عجزه، وقعدت به نفسه، وأظنني كنت قديما قلت:

وقائلة: لم عرتك الهموم ... وأمرك ممتثل في الأمم

فقلت: دعيني وما قد عرا ... فإن الهموم بقدر الهمم

وما أنا على الراحة آسف، بل على ألا أكون مشغولا بأخرى، أمهد لها وأكدح، وأدأب لنفسي وأنصح، – اللهم وفق وقدر –، ومهل ويسر، إنك على ما تشاء قدير. والرسالة طويلة كتبت مقدمتها

ذكر محمد ما فعله الصاحب مع القاضي عبد الجبار ابن أحمد، من حسن العناية والتولية والتمويل، فلما مات الصاحب كان يقول: أنا لا أترحم عليه، لأنه لم يظهر توبته، فطعن عليه في ذلك، ونسب إلى قلة الرعاية، فلا جرم أن فخر الدولة، قبض عليه بعد موت الصاحب، وصادره فيما قيل: على ثلاثة آلاف ألف درهم، وعزله عن قضاء الري، وولى مكانه القاضي أبا الحسن، علي بن عبد العزيز الجرجاني، العلامة، صاحب التصانيف والفضائل الجمة، وقد ذكرته أنا في بابه. فقيل: إن عبد الجبار باع ألف طيلسان مصري في مصادرته، وهو شيخ طائفتهم، يزعم أن المسلم يخلد في النار على ربع دينار، وجميع هذا المال من قضاء الظلمة، بل الكفرة عنده وعلى مذهبه، وإنما ذكرت هذا للاعتبار. وقرأت في كتاب هلال بن المحسن، بن إبراهيم الصابيء قال: وكان الصاحب أبو القاسم يراعي من ببغداد، والحرمين من أهل الشرف، وشيوخ الكتاب والشعراء، وأولاد الأدباء والزهاد والفقهاء، بما يحمله إليهم في كل سنة مع الحاج، على مقاديرهم ومنازلهم، وكان يحمل إلى أبي إسحاق إبراهيم بن هلال خمسمائة دينار، وإلى ألف درهم جبلية، مع جعفر بن شعيب، فأذكر وقد راسله بعد وفاة عضد الدولة، بالاستدعاء إلى حضرته بالرى، وبذل له النفقة الواسعة، والمعونة الشاسعة عند شخوصه، والإرغاب والإكثار عند حضوره. فكانت عقله بالذيل الطويل، والظهر الثقيل، تمنعه من ترك موضعه، ومفارقة موطنه، فيما كتبه إليه بالاعتذار عن التأخير:

نكصت على أعقابهن مطالبى ... وتقاعست عن شأوهن مآربي

وتبلدت مني القريحة بعد ما ... كانت نفاذا كالشهاب الثاقب

وبكيت شرخ شبيبتي فدفنتها ... دفن الأعزة في العذار الشائب

ومنها:

فلو أن لى ذاك الجناح لطار بي ... حتى أقبل ظهر كف الصاحب

وأعيش في سقيا سحائبه التي ... ضمنت سعادة كل جد خائب

وأراجع العادات حول قبابه ... حتى السواد من الشباب الذاهب

وأعد من جلساء حضرته التي ... شحنت بكل مسائل ومجارب

فيقول: من ذا سائل عنى له ... متثبت فيقول هذا كاتبي؟

أترى أروم بهمتي ما فوق ذا ... أنى وخدمته أجل مراتبي

ومنها يعتذر

كثرت عوائقي التى تعتاقني ... من غيث راحته الملث الساكب

ولد لهم ولد وبطن ثالث ... هو رابعي وعشيرتي وأقاربي

والسن تسع بعدها خمسون قد ... شامت بوارق يومها المتقارب

فالجسم يضعفعن تجشم راجل ... والحال يقصر عن ترفه راكب

وعلى للسلطان طاعة مالك ... كانت على المملوك ضربة لازب

وتعطلي مع شهرتي كتصرفي ... كل سواء في الحساب الحاسب

وهي طويلة. فلما كانت سنة أربع وثمانين، التي توفي فيها جدي، أحسن بانقضاء مدته، وحضورمنيته، فكتب إلى الصاحب كتابا يسأله فيه، إقرار هذا الرسم المذكور على ولده، وإجراءه لهم من بعده، وقرن الكتاب بقصيدة أولها:

نحذر منك النائبات فتحذر ... وتذكر للخطب الجسيم فيصغر

وتكسي بك الدنيا ثياب جمالها ... فيرجوك معروف ويخشاك منكر

يقول فيها:

أسيدنا إن المنية أعذرت ... إلي بآيات تروع وتذعر

لها نذر قد آذنتني بهجمة ... على مورد ما عته للمرء مصدر

وإني لأستحلي مرارة طعمه ... إذا كنت بالتقديم لي تتأخر

وحق لنفس كان منك معاشها ... إذا غمضت عينا وعينك تنظر

ومن ورث الأولاد بعد وفاته ... حضانك طابت نفسه حين يقبر

تمرد منك الجود حتى تمردت ... مطالبنا والماجد الحر يصبر

أأطلب منك الرفد عمرى كله ... وأطلبه والجنب مني معفر؟

وليست بأولى بدعة لك في الندى ... لها موقف فيه لك الحمد ينشر

وهي طويلة. قال هلال بن المحسن: وأمرني بأن أنفذ ذلك، فأنفذته، وكتبت عن نفسي كتابا في معناه، ووصل ونفذ من يحمل الرسم على العادة، ثم اتفق أن توفي الصاحب في اول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة، فوقف، وكانت بين وفاتهما شهور.

قال هلال: وسمعت محدثا يحدث أبا إسحاق، أنه سمع الصاحب يقول: ما بقي من أوطاري وأغراضي، إلا أن أملك العراق، وأتصدر ببغداد، وأستكتب أبا اسحاق الصابيء، ويكتب عني وأغير عليه، فقال جدي: ويغير على وإن أصبت.

قال: وحدثني أبو إسحاق جدي قال: حضر الصاحب أبو القاسم بن عباد دار الوزير المهلبي، عند وروده إلى بغداد، مع مؤيد الدولة، فحجب عنه لشغل كان فيه، وجلس طويلا، فلما تأخر الإذن، كتب إلى رقعة لطيفة فيها:

وأترك محجوبا على الباب كالخصي ... ويدخل غيري كالأيور ويخرج

فأقرأها الوزير المهلبي، فأمر بإدخاله.

قال: وكان الصاحب عند دخوله إلى بغداد، قصد القاضي أبا السائب، عتبة بن عبيد لقضاء حقه، فتثاقل في القيام له، وتحفز تحفزا أراه به ضعف حركته، وقصور نهضته، فأخذ الصاحب بضبعه وأقامه، وقال: نعين القاضي على قضاء حقوق إخوانه، فخجل أبو السائب واعتذر إليه.

وذكر القاضي أبو علي التوخي في كتاب نشوار المحاضرة: حدثني أبو منصور عبد العزيز بن محمد بن عثمان، المعروف بابن عمرو الشرابي، حاجب أمير المؤمنين المطيع لله، قال: دخلت في حداثتي يوما على أبي السائب القاضي، فتثاقل في القيام لي، وأظهر لي ضعفا عنه للسن، والعلل المتصلة به، قال: فتطول فجذبت يده بيدي، حتى أقمته القيام التام، وقلت له: أعين قاضي القضاة، – أيده الله – على اكمال البر، وتوفية الإخوان حقوقهم؟ قال: وقد كنت عاتبا عليه في اشياء عاملني بها، وإنما جئته للخصومة، فبدأت لأخذ الكلام، فحين رأى الشر في وجهي قال: تتفضل لاستماع كلمتين؟ ثم تقول ما شئت، فقلت له، فقال: روينا عن ابن عباس، – رضي الله عنه – ، في قوله تعالى: " فاصفح الصفح الجميل " قال: عفو بلا تقريع، فأنت رأيت أن تفعل ذلك، فافعل، فاستحييت من الاستقصاء عليه، وانصرفت.

قال المؤلف: والذي عندي، أن الخبر إنما جرى بين هذا والقاضي، وبلغ أمره الصاحب، فانتحله لنفسه، وحكاه في مجلس أنسه، فشاع عنه، وكان الصاحب – رحمه الله – ممن يحب الفخر، وانتحال الفضائل، التي ربما قصر عنها. ومن أشعار الصاحب:

يا خاطرا يخطر في تيهه ... ذكرك موقوف على خاطري

إن لم تكن آثر من ناظري ... عندى فلا متعت بالناظر

وكتب إلى أبي الحسن الطيب:

إنا رجوناك على انبساط ... والجوع قد أثر فى الأخلاط

فإن عسى ملت إلى التباطي ... صفعت بالنعل قفا بقراط

وله:

بعدت فطعم العيش بعدك علقم ... ووجه حياتي مذ تغيبت أرقم

فمالك قد أدغمت في النوى ... وودك في غير الندار مرخم

وقال لما حضرته الوفاة:

وكم شامت بي عند موتي جهالة ... بظلم يسل السيف بعد وفاتي

ولو علم المسكين ماذا يناله ... من الذل بعدي مات قبل مماتي

وله أيضا:

بدا لنا كالبدر في شروقه ... يشكو غزالا لج في عقوقه

يا عجبي والدهر في طروقه ... من عاشق أحسن من معشوقه

قال أبو بكر الخوارزمي: أنشدنا الصاحب هذه القوافي ليلة وقال: هل تعرفون نظيرا لمعناها فى شعر المحدثين؟

فقلت: لا أعرف إلا قول البحتري:

ومن عجب الدهر أن الأمير ... أصبح أكتب من كاتبه

قال: فقال جودت وأحسنت، هكذا فليكن الحفظ وله ويروق لغيره:

رشأ غدا وجدي عليه كردفه ... وغدا اصطباري في هواه كخصره

وكأن يوم وصاله من وجهه ... وكأن ليلة هجره من شعره

إن ذقت خمرا خلتها من ريقه ... أو رمت مسكا نلته من نشره

وإذا تكبر واستطال بحسنة ... فعذار عارضه يقوم بعذره

وله أيضا:

دب العذار على ميدان وجنته ... حتى إذا كاد أن يسعى به وقفا

كأنه كاتب عز المداد له ... أراد يكتب لاما فابتدا ألفا

وله أيضا:

وخط كأن الله قال لحسنه ... تشبه بمن قد خطك اليوم فائتمر

وهيهات أين الخط من حسن وجهه ... وأين ظلام الليل من صفحة القمر؟؟

وله ايضا:

وشادن قلت له ما اسمكما ... فقال لي بالغنج عباث

فصرت من لثغته ألثغا ... فقلت أين الكاث والطاث

وله يصف الثلج:

هات المدامة يا غلام مصيرا ... نقلي عليها قبلة أو عضة

أو ما ترى كانون ينثر وروده؟ ... وكأنما الدنيا سبائك فضة

وله أيضا:

وصفراء أو حمراء فهي مخيلة ... لرقتها إلا على المتوهم

يشككنا في الكرم أن انتماءه ... إلى الخمر أم هاتا إلى الكرم تنتمي

لك الوصف دون القصف مني فخيمي ... بغير يدي وارضي بما قاله فمى

وكتب إلى أبي الفضل بن شعيب:

يا أبا الفضل لم تأخرت عنا ... فأسأنا بحسن عهدك ظنا؟

كم تمنت نفسي صديقا صدوقا ... فإذا أنت ذلك المتمني

فبعض الشباب لما تثنى ... وبعهد الصبا وإن بان منا

كن جوابي إذا قرأت كتابي ... لاتقل للرسول كان وكنا

وله أيضا:

يا بن يعقوب يا نقيب البدور ... كن شفيعي إلى فتى مسرور

قل له إن الجمال زكاة ... فتصدق بها على المهجور

وله يمدح عضد الدولة:

سعود يحار المشترى في طريقها ... ولا تتأتى في حساب المنجم

وكم عالم أحييت من بعد عالم ... على حين صاروا كالهشيم المحطم

فوالله لو لا الله قال لك الورى ... مقال النصارى في المسيح بن مريم

فحامد لو فضت فغاضت على الورى ... لما أبصرت عيناك وجه مذمم

وكلا ولكن لو حظوا بزكاتها ... لما سمعت أذناك ذكر ملوم

ولو قلت إن الله لم يخلق الورى ... لغيرك لم أحرج ولم أتاثم

وله يهجو:

سبط متوى رقيع سفله ... أبدا يبذل فينا أسفله

إعتز لنا نيكه فى دبره ... فلهذا تلعن المعتزلة

وله في رجل كثير الشرب بطيء السكر: يقال:

لماذا ليس يسكر بعدما ... توالت عليه من نداماه قرقف؟

فقلت:

سبيل الخمر أن تنقص الحجى ... فإن لم تجد شيئا فماذا تحيف

وله أيضا:

شرط الشروطي فتى أير ... وما سواه غير مشروط

أبغى من الإبرة لكنه ... يوهم قوما أنه لوطي

وله أيضا:

تصد أميمة لما رأت ... مشيبا على كارضي قد فرش

فقلت لها: الشيب نقش الشباب ... فقالت: ألا ليته ما نقش

وله أيضا:

ولما تناءت بالأحبة دارهم ... وصرنا جميعا من عيان إلى وهم

تمكن مني الشوق غير مسامح ... كمعتر لي قد تمكن من خصم.

الجزء السابع

إسماعيل بن عبد الله بن محمد، بن ميكال

أبو العباس المكيالي، وقد ذكر هذا النسب في عدة مواضع، مات ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر، سنة اثنتين وستين وثلاثمائة بنيسابور، وهو ابن اثنتين وتسعين سنة، ودفن بمقبرة باب باب معمر، وكان شيخ خراسان، ووجهها وعينها في عصره، سمع بنيسابور أبا بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، وأبا العباس محمد بن

إسحاق السراج، وأبا العباس أحمد بن محمد الماسرجسي، وبكور الأهواز، عبد ابن أحمد بن موسى الجواليقي الحافظ والحسن بن بهار، سمع منه الحفاظ: مثل أبن علي النيسابوري، وأبي الحسين محمد بن الحجاحجي، وأبي عبد الله، ابن البيع الحافظ، وذكره في التاريخ وقال: ولد أبو العباس بنيسابور، فلما قلد أمير المؤمنين المقتدر بالله، أباه عبد الله بن محمد، للأعمال بكور الأهواز، حمل إلى حضرة أبيه، فاستدعى أبا بكر محمد بن الحسن، ابن دريج لتأديبه، فأجيب إليه إيجاباً له، وبعث بأبي بكر الدريدي إليه، فهو كان مؤدبه وكان واحد عصره، وفي عبد الله بن محمد، بن ميكال، وابنه أبي العباس، قال الدريدي قصيدته المشهورة في الدنيا، التي مدحهم بها.

ثم قال الحاكم: سمعت أبا العباس، وقد سئل عن مقصورة الدريدي يقول: أنشدنيها مؤدبي أبو بكر الدريدي، ثم قرأتها عليه مراراً، فسألناه أن ينشدها فقال: أنشدنا أبو بكر بن دريد إما ترى رأسي حاكي لونه إلى أن بلغ إلى الأبيات، التي مدحهم الدريدي فيها، فقال: هذه الأبيات قد ذكرنا فيها، فلو أنشدها بعضكم؟ فقرأها عليه أبو منصور الفقيه، وأقر بها وهي:

إن العراق لم أفارق أهله ... عن شنآن صدني ولا قلى

إلى أن بلغ قوله:

لا زال شكري لها مواصلاً ... دهري أو يعتاقني صرف الفنا

إلى هنا قرئ عليه ثم أنشدنا لفظاً إلى آخرها، وذلك في شهر رمضان، سنة ست وأربعين وثلاثمائة.

قال الحاكم: سمعت أبا بكر بن محمد ب إبراهيم الجوري الأديب، وهو يحدثنا عن أبي بكر بن دريد، قلت له: أين كتبت عنه؟ ولم تدخل العراق؟ قال: كتبت عنه بفارس لما قدم على عبد الله بن محمد، بن ميكال، لتأديب ولده أبي العباس، فقلت له: أبو العباس إذ ذاك صبي، فقال: لا والله إلا رجل، إمام في الأدب والفروسية، بحيث يشار إليه.

قال: وسمعت أبا عبد الله محمد بن الحسين الوضاحي يقول: سمعت أبا العباس بن ميكال، يذكر صلة الدريدي في إنشائه المقصورة فيهم. قال الوضاحي فقلت له: وإيش الذي وصل إليه من خاصة الشيخ؟ فقال: لم تصل يدي إذ ذاك، إلا إلى ثلاثمائة دينار، صببها في طبق كاغد، ووضعتها بين يديه.

وروى عنه أبو علي الحافظ في مصنفاته، وأبو الحسين الحجاجي ومشايخنا رضي ا لله عنه.

قال الحاكم: سمعت أبا محمد عبد الله بن إسماعيل يقول: لما توفي أبي عبد الله بن ميكال، أمر أمير المؤمنين، أن أقلد الأعمال التي كان يتقلدها أبي، فأمر لي باللواء والخلعة، وأخرج في ذلك خادماً من خواص الخدم، وكوتبت فيه، فبكيت واستعفيت، والناس يتعجبون من ذلك، وقلت: لي بخراسان معاش أرجع إليه، فلما انصرفت إلى نيسابور، جاءني أبو نصر بن أبي حية غداة جمعة، فقالك ينبغي أن تتأهب للركوب إلى الرئيس أبي عمرو الخفاف، فإن هذا رسم مشايخ البلد معه، ركبت معه إليه فلم يتحرك لي، فخرجت من عنده وأنا أبكي فقال لي أبو نصر: ما الذي أبكاك؟ فقلت: سبحان الله، رددت على المقتدر لواء الولاية بفارس، وخوزستان، وانصرفت إلى نيسابور، حتى أزور أبا عمرو الخفاف، فلم يتحرك لي، فقال لي: لا تغتم بهذا،

واعمل إلى الخروج إلى هراة، فإن والي خراسان، أحمد بن إسماعيل بها، وإذا رآك وضربك بالصولجان وعلم محلك، أجلسك على رقاب كل من بنيسابور. فتأهبت وأصلحت هدية له وخرت إلى هراة، فوصلت إلى خدمة لاسلطان، ورضي خدمتي، ودعاني إلى الصولجان، ورضي مقامي، فلما استأذنت للانصراف، عرض على أعمالاً جليلة، فامتنعت عنها، فزودني بجهاز وخلع وكان الأمر على ما ذكره أبو نصر بن أبي حية.

قال: وسمعت أبا عبد الله بن أبي ذهل يقول: قال لي الوزير ابو جعفر، أحمد بن الحسين العتبي، لما أجلسني الأمير الرشيد هذا المجلس، نظرت إلى جميع اهل خراسان، ممن يؤهل للجولس معي في مجلس السلطان، أيده الله، فلم أجد فيهم أجل من أبي العباس بن ميكال، فسألت السلطان استحضاره، فلما حضر امتنع منتقلد العمل: فقلت له: ديوان الرسائل هو مثل قضاء القضاة، أمر منوط بالعلم والعلماء، فتقلد ديوان الرسائل صار جليس في مجلس السلطان، وكان على كره من أبي العباس.

قال: وسمعت أبا يحيى حماد بن الحمادى يقول: لما قلد أبو العباس بن ميكال الديوان، أمر أن يغير زيه من التعمم تحت الحنك والرداء وغير ذلك، فلم يفعل، وراجع السلطان فيه حتى أذن فيه، فكان يجلس في الديوا متطلساً متعمماً تحت الحنكة. قال: وسمعت قاضي اقضاة أبا الحسن محمد بن صالح الهاشمي يذكر آثار الميكالية ببغداد، ويصف إنشاء ابن ميكال، فوصف له بعض أحوالهم بخراسان، فقال: آثارهم عندنا بالعراق أكثر منها بخراسان، لأنهم نقالة م عندنا إلى خراسان.

إسماعيل بن ابي ذؤيب السدي الأعور

عبد الرحمن، ابن أبي ذؤيب السدي الأعور وقيل: عبد الرحمن بن أبي كريمة، مولى زينب بنت قيس، بن مخزمة، من بني عبد مناف، حجازي الأصل، سكن الكوفة، مات سنة سبع وعشرين ومائة، في أيام بني أمية، في ولاية مروان بن محمد. روى عن أنس ابن مالك، وعبد خير، وأبي صالح، ورأى ابن عمر، وهو السدي الكبير، وكان ثقة مأموناً، روى عنه الثوري وشعبة، وزائدة، وسماك بن حرب، وإسماعيل بن أبي خزيمة، وسليمان التيمي.

وكان ابن أبي خالد إسماعيل يقول: السدي أعلم بالقرآن من الشعبي، وقال أبو بكر بن مردويه: الحافظ إسماعيل بن عبد الرحمن السدي، يكنى أبا محمد، صاحب التفسير، إنما سمي السدي، لأنه نزل بالسدة، كان أبوه من كبار أهل أصبهان، أدرك جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، منهم سعد بن أبي وقاص، وأبو سعيد الخدري، وابن عمر، وأبو هريرة، وابن عباس.

وقال غيره: نسب السدي إلى بيع الخمر – يعني المقانع – في سدة الجامع – يعني باب الجامع – وقال الفلكي: إنما سمي السدي، لأنه كان يجلس بالمدينة في موضع يقال له السد. قال يحيى بن سعيد: ما سمعت أحداً يذكر السدي إلا بخير. ومحمد بن مروان بن عبد الله، ابن إسماعيل، بن عبد الرحمن السدي، من أهل الكوفة يروى عن الكلبي صاحب التفسير، وداود بن أبي هند، وهشام بن عروة. روى عنه ابنه علي، ويوسف بن عدي، والعلاء بن عمرو، وأبو إبراهيم الترجماني، وغيرهم. وهو السدي الصغير. وكان يحيى بن

معين يقول، السدي الصغير، محمد بن مروان صاحب التفسير، ليس بثقة. وقال البخاري: محمد بن مروان الكوفي، صاحب الكلبي، لا يكتب حديثه ألبتة. وسئل أبو علي صالح جهرة عنه فقال: كان ضعيفاً، وكان يضع الحديث، وكل ضعفه.

وذكر الحافظ أبو نعيم في تاريخ أصبهان، من تصنيفه قال: إسماعيل بن عبد الرحمن الأعور، يعرف بالسدي، صاحب التفسير، كان أبوه عبد الرحنم يكنى أبا كريمة، من عظماء أهل أصبهان، توفي في ولاية مروان، وذكر كما تقدم، وكان عريض اللحية، إذا جلس غطت لحيته صدره قيل: إنه رأى سعد بن أبي وقاص.

وقال أبو نعيم بإسناده: إن السدي قال: هذا التفسير أخذته عن ابن عباس، إن كان صواباً فهو قد قاله: وإن كان خطأً فهو قاله. قال أبو نعيم فيما رفعه إلى السدي: إنه قال: رأيت نفراً من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، منهم أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة، وابن عمر. كانوا يرون أنه ليس أحد منهم، على الحال التي فارق عليها محمداً، إلا عبد الله بن عمر.

إسماعيل بن عبد الرحمن، بن أحمد

ابن إسماعيل، بن إبراهيم، بن عامر، بن عابد، أبو عثمان الصابوي، مات في ثالث محرم سنة تسع وأربعين وأربعمائة قال عبد الغافر: هو الأستاذ الإمام شيخ الإسلام، أبو عثمان الصابوني الخطيب، المفسر المحدث الواعظ، أوحد وقته في طريقته، وكان أكثر أهل العصر من المشايخ سماعاً وحفظاً، ونشراً لمسموعاته وتصنيفاته، وجمعاً وتحريضاً على السماع، وإقامة لمجالس الحديث.

سمع الحديث بنيسابور، من أبي العباس التابوتي، وأبي سعيد اللسمسار، وبهراة من أبي بكر بكر أحمد بن إبراهيم الفرات، وأبي معاذ شاه بن عبد الرحمن، وسمع بالشام والحجاز، ودخل معرة النعمان، فلقي بها أبا العلاء أحمد ابن سليمان، وسمع بالجبال وغيرها من البلاد، وحدث بنيسابور، وخراسان إلى غزنة، وبلاد الهند وجرجان، وآمل وطبرستان، وبالشام، وبيت المقدس، والحجاز.

روى عنه أبو عبد الله القارئ، وأبو صالح المؤذن.

ومن تاريخ دمشق: أن الصابوني وعظ للناس سبعين سنة.

قال: وله شعر منه:

مالي أرى الدهر لا يسخو بذي كرم ... ولا يجود بمعوان ومفضال

ولا أرى أحداً في الناس مشترياً ... حسن الثناء بإنعام وإفضال

صاروا سواسية في لؤمهم شرعاً ... كأنما نسجوا فيه بمنوال

وذكر من فضله كثيراً ثم قال: ومولده ببوشنج للنصف من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة، وذكر وفاته كما تقدم.

إسماعيل بن بنان الخطيبي

علي، بن إسماعيل بن يحيى، ابن بنان الخطيبي أبو محمد، سمع الحارث بن أبي أسامة، والكريمي، وعبد الله بن أحمد، وغيرهم. وروى عنه الدار قطني، وابن شاهين، وابن زقويه. وكان ثقة فاضلاً نبيلاً، فهما عارفاً بأيام الناس، وأخبار الخلفاء. وصنف تاريخاً كبيراً على ترتيب السنين، وكان عالماً بالأدب، ركيناً عاقلاً، ذا راي يتحرى الصدق. ولد الخطيبي في محرم سنة تسع وتسعين ومائتين، ومات في جمادى الآخرة، سنة خمسين وثلاثمائة، في خلافة المطيع لله.

حدث الخطيب قال: سمعت الأزهري يقول: جاء أبو بكر بن مجاهد، وإسماعيل الخطيبي إلى منزل أبي عبد الصمد الهاشمي، فقدم إسماعيل أبا بكر، فتأخر أبو بكر وقدم إسماعيل، لما استأذن إسماعيل أذن له، فقال له: أدخل ومن أنا معه؟.
وحدث عن الحسن بن رزقويه، عن إسماعيل الخطيبي قال: وجه إلى الراضي بالله ليلة عيد فطر، فحملت إليه راكباً بغلة، فدخلت عليه وهو جالس في الشموع، فقال لي يا إسماعيل: إني عزمات في غدٍ على الصلاة بالناس في المصلى، فما أقول إذا انتهيت في الخطبة إلى الدعاء لنفسي؟ قال: فأطرقت ثم قلت يقول أمير المؤمنين: (رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي، وأن أعمل صالحاً ترضاه، وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين)؟ فقال حسبك، ثم أمرني بالانصراف، وأتبعني بخادم، فدفع إلى خريطة فيها أربعمائة دينار، وكانت الدنانير خمسمائة، فأخذ الخادم منها لنفسه مائة أو كما قال.

إسماعيل بن علي الخضيري

من أعمال دجيل، ثم من ناحية نهر تاب، كان فاضلاً متميزاً لسناً، ذا بلاغة وبراعة، وله في ذلك تصانيف معروفة متدولة، إلا أن الخول كان عليه غالباً، قدم بغداد، وقرأ الأدب على أبي محمد إسماعيل ابن أبي منصور، موهوب بن الخضر الجواليقي، وعلى أبي البركات عبد الرحمن، الأنباري، وعلى علي بن عبد الرحيم السلمي بن العصار، وأدرك ابن الخشاب أبا محمد، وأخذ عنه علماً جماً، وقرأ على أبي الغنائم بن حبشي، وكان ورعاً زاهداً تقياً، رحل إلى الموصل، وأقام بها في دار الحديث عدة سنين، ثم اشتاق إلى وطنه، فرجع إلى بغداد، فمات بها في صفر سنة ثلاث وستمائة، وله تصانيف ورسائل مدونة وخطب، وديوان شعر، وكتاب جيد في علم القراءات رأيته.
ومن شعره:
لا عالم يبقى ولا جاهل ... ولا نبيه لا ولا خامل
على سبيل مهيع لاحب ... يودي أخو اليقظة والغافل

إسماعيل بن عيسى، بن العطار أبو إسحاق

من أهل السير، بغدادي، روى عنه الحسن بن علويه، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب المبتدإ.

إسماعيل بن القاسم، بن عيذون، بن هارون

ابن عيسى بن محمد، بن سليمان، المعروف بالقالي، أبو علي البغدادي، مولى عبد الملك بن مروان، ولد بمنازجرد من ديار بكر، ودخل بغداد سنة ثلاث وثلاثمائة، وأقام بها إلى سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، مات بقرطبة في ربيع الآخر، سنة ست وخمسين وثلاثمائة، ومولده في سنة ثمانين ومائتين، وفي أيام الحكم المستنصر كانت وفاته، وسمع من أبي القاسم عبد الله بن محمد، بن عبد العزيز البغوي، وأبي سعيد لاحسين بن علي، بن زكريا بن يحيى، بن صالح، بن عاصم، بن زفر العدوي، وأبي بكر بن دريد، وابي بكر بن السراج، وأبي عبد الله نفطويه، وأبي إسحاق الزجاج، وأبي الحسن علي بن سليمان الأخفش، وقرأ كتاب سيبويه على ابن درستويه، وسأله عنه حرفاً حرفاً، وأما نسبته: فهو نسوب إلى قالي قلا، بلد من أعملا أرمينية. قال القالي: لما دخلت بغداد، انتسبت إلى قالي قلا، رجا ء أن أنتفع بذلك، لأنها ثغر من ثغور المسلمين، لا يزال بها المرابطون، فلما تأدب ببغداد، ورأى أنه لاحظ له بالعراق، قصد بلاد الغرب، فوافاها في أيام المتلقب بالحكم، المستنصر بالله عبد الرحمن، بن الحكم، بن هشام بن عبد الرحمن، بن معاوية، بن هشام، بن عبد الملك، بن مروان، بن الحكم، بن أبي العاص، بن أمية، ين عبد شمس، ابن عبد مناف. قالوا: وهذا أول من دعي من هؤلاء بالغرب أمير المؤمنين، إنما كان المتولون قبله يدعو ببني الخلائف. فوفد القالي إلى الغرب، في سنة ثلاثي وثلاثمائة، فأكرمه صاحب الغرب، وأفضل عليه إفضالاً عمه، واقطع هناك بقية عمره، وهناك أملى كتبه أكثرها عن ظهر قلب، منها كتاب الأمالي، معروف بيد الناس، كثير الفوائد، غاية في معناه.

قال أبو محمد بن حزم: كتاب نوادر أبي علي، مبار لكتاب الكامل، الذي جمعه المبرد، ولئن كان كتاب أبي العباس أكثر نحواً وخبراً، فإن كتاب أبي علي أكثر لغة وشعراً، وكتاب الممدود والمقصور، رتبه على التفعيل، ومخارج الحروف من الحلق، مستقى في بابه، لا يشذ منه شيء في معناه، لم يوضع مثله، كتاب مقاتل الفرسان، كتاب تفسير السبع الطوال، كتاب البارع في اللغة على حرف المعجم، جمع فيه كتب اللغة، يشتمل على ثلاثة آلاف ورقة. قال الزبيدي: ولا نعلم أحداً من المتقدمين ألف مثله.

قرأت بخط أبي بكر محمد بن طرخان، بن الحكم: قال الشيخ الإمام أبومحمد العربي: كتاب البارع لأبي علي القالي، يحتوي على مائة مجلد، لم يصنف مثله في الإحاطة والاستيعاب، إلى كتب كثيرة ارتجلها وأملاها عن ظهر قلب كلها.

قال الحميدي: وممن روى عن القالي أبو بكر محمد ابن الحسين الزبيدي النحوي، صاحب كتاب مختصر العين، وأخبار النحويين، وكان حينئذ إماماً في الأدب، ولكن عرف فضل أبي علي فمال إليه، واختص به استفاد منه، وأقر له.

قال الحميدي: وكان أقام ببغداد خمساً وعشرين سنة، ثم خرج منها قاصداً إلى المغرب، سنة ثمان وعشري وثلاثمائة، ووصل إلى الأندلس، في سنة ثلاثين وثلاثمائة، في أيام عبد الرحمن الناص، وكان ابنه الأمير أبو العاس، الحكم ابن عبد الرحمن، من أحب ملوك الأندلس للعلم، وأكثرهم اشتغالاً به، وحرصاً عليه، فتلقاه بالجميل، وحظي عنده، وقرب منه، وبالغ في إكرامه، ويقال: إنه هو الذي كتب إليه، ورغبه في الوفود

عليه، واستوطن قرطبة، ونشر علمه بها.
قال: وكان إماماً في علم العربية، متقدماً فيها، متقناً لها، فاستفاد الناس منه، وعولوا عليه، واتخذوه حجة فيما نقله، وكانت كتبه على غاية التقييد، والضبط والإتقان، وقد ألف في علمه الذي اختص به تآليف مشهورة، تدل على سعة علمه وروايته، وحدث عنه جماعة، منهم أبو محمد عبد الله بن الربيع، بن عبد الله التميمي، ولعله آخر من حدث عنه، وأحمد بن أبان، بن سيد الزبيدي، كما ذكرنا آنفاً. قال: وكان أعلم الناس بنحو البصريين، وأرواهم للشعر مع اللغة.
قال الزبيد: وسألته لم قيل له القالي؟ فقال: لما انحدرنا إلى بغداد، كنا في رفقة فيها أهل قالي قلا، وهي قرية من قرى منازجرد، وكانوا يكرمون لمكانهم من الثغر، فلما دخلت بغداد، نسبت إليهم لكوني معهم، وثبت ذلك علي.
قال الحميدي: وكان الحكم المستنثر قبل ولايته الأمور، وبعد أن صارت إليه، يبعثه على التأليف، وينشطه بواسع العطاء، ويشرح صدره بالإجزال في الإكرام، وكانوا يسمونه بالبغدادي، لكثرة مقامه، ووصوله إليهم منها.
قال السلفي بإسناد له: أخبرنا أبو الحكم، منذر بن سعيد البولطي قال: كتبت إلى أبي علي البغدادي القالي، أستعير منه كتاباً من الغريب وقلت:

بحق رئم مفهف ... وصدغه المتلطف
ابعث إلى بجزء ... من الغريب المصنف
قال: فأجابني وقضى حاجتي،
وحق در تألف ... بفيك أي تألف
ولو بعثت بنفسي ... إليك ما كنت أسرف

ابن صالح، بن إسماعيل

ابن صالح، بن عبد الرحمن، الصفار، أبو علي، علامة بالنحو باللغة، مذكور بالثقة والأمانة، صحب المبرد صحبة اشتهر بها وروى عنه، وسمع الكثير، وروى الكبير، أدركه الدار قطني، وقال: هو ثقة، صام أربعة وثمانين رمضان، وكان متعصباً للسنة، مات فيما ذكره الخطيب، سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة، ومولده سنة تسع وأربعين ومائتين، ودفن بقرب قبر معروف الكرخي، بينهما عرض الطريق، دون قبر أبي بكر الآدمي، وأبي عمر الزاهد.
قال أبو عبيد، محمد بن عمران المرزباني: أنشدني الصفار لنفسه:

إذا ظرتكم لاقيت أهلاً ومرحباً ... وإن غبت حولاً لا أرى منكم رسلاً
وإن جئت لم أعدم ألا قد جفوتنا ... وقد كنت زواراً فما بالنا نقلى
أفي الحق أن أرضى بذلك منكم ... بل الضيم أن أرضى بذا منكم فعلا
ولكنني أعطي صفاء مودتي ... لمن لا يرى يوماً على له فضلاً

وأستعمل الإنصاف في الناس كلهم ... فلا أصل الجافي ولا أقطع الحبلا
وأخضع لله الذي هو خالقي ... ولن أعطي المخلوق من نفسي الذلا

إسماعيل بن محمد، بن أحمد الوثابي

أبو طاهر، من أهل أصبهان، له معرفة تامة بالأدب، وطبع جواد بالشعر، مات في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة. قال السمعاني: ومن خطه نقلت: ما رأيت بأصفهان في صنعة الشعر والترسل، أفضل منه، أضر في آخر عمره، وافتقر وظهر الخلل في أحواله، حتى كاد أن يختلط، دخلت عليه داره بأصبهان، وما رأيت أسرع بديهة منه في النظم والنثر. افترحت عليه رسالة فقال لي: خذ القلم واكتب، وأملى علي في الحال بلا ترو ولا تفكر، كأحسن ما يكون، إلا أني سمعت الناس يقولون: إنه يخل بالصلوات المفروضة، والله أعلم بحاله.

وأنشد عنه السمعاني أشعاراً له منها:

أشاعوا فقالوا وقفة ووداع ... وزمت مطايا للرحيل سراع
فقلت: وداع لا أطيق عيانه ... كفاني من البين المشتت سماع
ولم يملك الكتمان قلب ملكته ... وعند النوى سر الكتوم مذاع

وأنشد عنه له:

فو الله لا أنسى مدى الدهر قولها ... ونحن على حد الوداع وقوف
وللنار من تحت الضلوع تلهب ... وللماء من فوق الخدود وكيف
ألا قاتل الله الصورف فإنما ... تفرق بين للصاحبين صروف

وأنشد له عنه أيضاً:

طابت لعمري على الهجرا ذكراها ... كأن نفسي ترى الحرمان ذكراها
تحيا ببأس وتفنيها طماعية ... هل مهجة برد يأس الوصل أحياها؟
قامت لها دون دعوى الحب بينة ... بشاهدين أبانا صدق دعواها
إرسال شكوى وإجراء الدموع معاً ... وإن تحقبت مجراها ومرساها

وأنشد عنه له م قصيدة.

فعج صاح بالعوج الطلاح إلى الحمى ... وزر أثلات القاع طال بها العهد
تعوض عيناُ بعد عين أوانساً ... وأوحش أحشاء تضمنها الوجد
وما ساءني وجد ولا ضرني هوى ... كما ساءني هج تعقبه صد
تبصر خليلي من ثنية بارق ... بريقاً كسقط النار عالجه الزند
يدق وأحياناً يرق ويرتقي ... ويخفى كرأي الغمر إمضاؤه رد
فيقضى بها من ذكر حزوى ليانة ... ويطفى بها م نار وجد بها وقد

وإن كان عهد لاوصل أضحى نسيئة ... فهاك أليل البرق إذ عهده نقد
وشم لي نسيم الريح من أفق الحمى ... فقد عبق الوادي وفاح بهالارند

إسماعيل بن محمد، بن عبدوس الدهان

أبو محمد النيسابوري، أنفق ماله على الأدب، وتقدم فيه، وبرع في علم اللغة، والنحو والعروف، وأخذ عن إسماعيل بن حماد الجوهري، فاستكثر منه، وحصل كتابه كتاب الصحاح في اللغة بخطه واتص باالأمير أبي الفضل الميكالي بشعر كثير، ثم أوتي الزهد والإعراض عن الأعراض الدنيا.
وقال لما أزمع الحج والزيارة:
أتيتك راجلاً ووددت أني ... ملكت سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أسير على الماقي ... إلى قبر رسول الله فيه
وله أيضاً:
أيا خير مبعوث إلى خير أمة ... نصحت وبلغت الرسالة ولاوحيا
فلو كان في الإمكان سعى بمقلتي ... إليك رسول الله أفنيتها سعيا
وله أيضاً:
عبد عصى ربه ولكن ... ليس سوى واحد يقول
إن لم يكن فعله جميلاً ... فإنما ظنه جميل
وقال لصديق له:
نصحتك يا أبا إسحاق فاقبل ... فإني ناصح لك ذو صداقه
تعلم ما بدا لك من علوم ... فما الإدبار إلا في الوراقه
قال: وسألني أن أردد شيئاً من أشعاره في الغزل والمديح في كتابي هذا، فانتهيت في ذلك إلى رواية...

إسماعيل بن محمد القمي النحوي

ذكره ابن النديم فقال: له من التصانيف، كتاب الهمز. كتاب العلل.

إسماعيل بن محمد، بن عامر، بن حبيب

أبو الوليد الكاتب بإشبيلية فيقال: له ولأبيه قدم في الأدب، وله شعر كثير تقوله بفضل أدبه. وله كتاب في فضل الربيع. مات أبو الوليد ب محمد بن عامر، قريباً من سنة أربعين وأربعمائة بإشبيلية، ومن شعره في الربيع:
أبشر فقد سفر الثرى عن بشره ... وأتاك ينشر ما طوى من نشره

متحصناً من حسنه في معقل ... عقل العيون على رعاية زهره
من بعد ما سحب السحاب ذيوله ... فيه ودر عليه أنفس دره
شهر كأن الحاجب بن محمد ... ألقى عليه مسحة من بشره

إسماعيل بن مجمع الأخباري

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو أحد أصحاب السير والأخبار، ومعروف بصحبة الواقدي المختص به، مات سنة سبع وعشرين ومائتين. له من التصنيف: كتاب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، ومغازيه، وسراياه.

إسماعيل بن موهوب، بن أحمد، بن محمد

ابن الخضر، بن الجواليق، يكنى أبا محمد، كان إمام أهل الأدب، بعد أبيه أبي منصور بالعراق، واختص بتأديب ولد الخلفاء، مات في شوال سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وكان مليح الخط، جيد الضبط، يشبه خطه خط والده، وكانت له معرفة حسنة باللغة والأدب، وكانت له حلقة بجامع القصر، يقرئ فيها الأدب كل جمعة. سمع منه ابن الأخضر، وابن حمدون الحسن تاج الدين، وغيرهما. ومولده في شعبان، سنة اثنتي عشرة وخمسمائة. وكان بينه وبين أخيه إسحاق في المولد سنة ونصف، وفي الوفاة ثلاثة أشهر.
حدثت أن أبا الحسن، جعفر بن محمد، بن فطيرا، ناظر واسط والبصرة، وما بينهما من تلك النواحي، دخل يوماً إلى بعض الوزراء في أيام المستضيئ بالله – سقى الله عهوده صوب الرضوان، – فرأى في مجلسه الذي كان بجلسه، رجلاً لم يعرفه، فهابه وجلس بين يدي الوزير، وكان بان فطير معروفاً بالمزاح والنادرة، فتقدم حتى قال للوزير مساراً: يا مولانا، من هذا الذي قد جلس في مجلسي؟ فقال: هذا لاشيخ الأمام أبو محمد بن الجواليقي. فقال: وأي أرباب المناصب هو؟ قال: ليس هو من أرباب المناصب، هذا هو الإمام الذي يصلي بأمير المؤمنين، صلوات الله عليه وسلامه.
قال: فقام مبادراً وأخذ بيده، وأزاحه عن موضعه، وجلس في منصبه، وقال له: أيها الشيخ، أن ينبغي أن تتشامخ على إمام الوزير ومن دونه، فتجلس فوقهم، لأنك أعلى منهم منزلة، فأما على أنا، وأنا ناظر واسط والبصرة وما بينهما، فلا. قال: فما تمالك أهل المجلس من الضحك أن يمسكوه.

إسماعيل بن المبارك اليزيدي

بن أبي محمد يحيى، بن المبارك اليزيدي نذكر نسبه وولادته في ترجمة أبيه يحيى، إن شاء الله تعالى وحده، وكان إسماعيل أحد الأدباء الرواة، الفضلاء من ولج أبيه، وكان شاعراً مصنفاً، صنف كتاب طبقات الشعراء، فنقلت من خط عمر بن محمد، بن سيف الكاتب: أنشدنا اليزيدي أبو عبد الله، يعني محمد بن العباس، بن محمد، بن أبي محمد، بعد فراغه من كتاب الوحوش لعم أبيه، إسماعيل بن أبي محمد اليزيدي:

كلما رابني من الدهر ريب ... فاتكالي عليك يا رب فيه
إن من كان ليس يدري أفي المح ... بوب صنع له أوالمكروه
لحرى بأن يفوض ما يع ... جز عنه إلى الذي يكفيه
الإله البر الذي هو في الرأ ... فة أحنى من أمه وأبيه
قعدت بي الذنوب أستغفر الل ... ه لها مخلصاً وأستعفيه
كم يوالي لنا الكرامة والنع ... مة من فضله وكم نعصيه؟؟
ومن شعره عن المرزباني:
أتت ثمانون فاستمرت ... بالنقص من قوتي وعزمي
فرق جلدي ودق عظمي ... واختل بعد التمام جسمي
ياليت أني صحبت دهري ... صحبة ذي همة وحزم
من لم يكن عاملاً بعلم ... رواه لم ينتفع بعلم
وقال يرثي علي بن يحيى المنجم، ومات على في سينة خمس وسبعين وثلاثمائة.
مات السماح ومات الجود والكرم ... إذ ضم شخص علي في الثرى رجم
سقيت من مجدث فابتل ساكنه ... غيثاً ملثا توالي صوبه الديم
عادت لنا بعدك الأيام مظلمة ... وكنت ضوءاً لها تجلى به الظلم
كان لازان فنيا مشرفاً نضراً ... فاليوم أخلقه من بعدك الهرم
قد كنت للخلق في حاجاتهم علماً ... يفرج الهم عنهم ذلك العلم

الأغر أبو الحسن

ذكره أبو بكر الزبيدي في نحاة مصر، وقال: أخذ عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، ولقيه قوم من أهل الأندلس، وحملوا عنه في سنة سبع وعشرين ومائتين

أمان بن الصمصامة، ابن الطرماح، بن الحكيم

ابن الحكم، بن نفرن بن قيس، بن جحدر، بن ثعلبة، بن رضا ب مالك، بن أمان، ب عمرو، ابن ربيعت، بن جرول، بن ثعل، بن عمرو، بن الغوث، أبي طئ. والطرماح الشاعر المشهور، ويكنى أمان هذا، أبا مالك. واطرحه با لأغلب، إذ صار إليه الأمر لهجاء جده الطرماح بني تميم. قال أبو الوليد المهدي: أبطأت على أبي مالك وكان مريضاً فكتب إلي:
أبلغ المهدي عن مألكا ... أن دائي قد أصار المخ ريرا
كنت في المرضى مريضاً مطلقاً ... ولقد أصبحت في المرضى أسيراً

فإذا ما مت فانعم سالماً ... وتمل العيش في الدنياكثيرا
وأخذ عنهالمهدي جزءاً من النحو، واللغة، والشعر.

أمية بن عبد العزيز، بن أبي الصلت

من أهل الأندلس، كان أديباً فاضلاً، حكيماً منجماً، مات في سنة تسع وعشري وخمسمائة، في المحرم بالمهدية من بلاد القيروان، وهو صاحب فصاحة بارعة، وعلم بالنحو، والطب. وكان قد ورد إلى مصر في أيام المسمى بالآمر، من ملوك مصر، واتصل بوزيره ومدير دولته، الأفضل شاهنشاه، بن أمير الجيوش بدر، واشتمل عليه رجل من خواص الأفضل، يعرف بمختار، ويلقب بتاج المعالي، وكانت منزلته عند الأفضل عالية، ومكانته بالسعد حالية، فتحسنت حال أمية عنده، وقرب من قلبه، وخدمه بصناعي الطب والنجوم، وأنس تاج المعالي منه بالفضل، الذي لا يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فوصفه بحضرة الأفضل، وأثنى عليه، وذكر ما سمعه من أعيان أهل العلم، وإجماعهم على تقدمه في الفضل وتميزه عن كتاب وقته. وكان كاتب حضرة الأفضل يومئذ، رجل قد حمى هذا الباب، ومنع من أن يمر بمجلسه ذكر أحد م أهل العلم بالأدب، إلا أنه لم يتمكن من معارضة قول تاج المعالي، فأغضى على قذى، وأضمر لأبي الصلت المكروه، وتتابعت من تاج المعالي السقطات، وأفضت إلى تغير الأفضل، والقبض عليه والاعتقال، فوجد حينئذ السبيل إلى أبي الصلت، بما اختلق له من المحال، فحبسه الأفضل في سجن المعونة بمصر، مدة ثلاث سنين وشهر واحد، على ما أخبرني به الثقة عنه، ثم أطلق، فقصد المرتضي أبا طاهر يحيى بن تميم، بن المعز، بن باديس، صاحب القيروان، فحظى عنده، وحسن حاله معه. وقد ذكر ذلك في رسالة لم يذم فيها مصر، ويصف حاله، ويثني على بان باديس، واستشهد فيها بهذه الأبيات في وصف ابن باديس:

فلم أستسغ إلا نداه ولم يكن ... ليعدل عندي ذا الجناب جناب
فما كل إنعام يخف احتماله ... وإن هطلت منه على سحاب
ولكن أجل اصنع ماجل ربه ... ولم يأت باب دونه موحجاب
وما شئت إلا أن أدل عواذلي ... على أن رأيي في هواك صواب
وأعلم قوماً خالفوني وشرقوا ... وغربت أني قد ظفرت وخابوا

ومن شعره أيضاً:

لا غرو إن لحقت لهاك مدائحي ... فتدقت نعماك ملء إنائها
يكسى القضيب ولم يحن إبانه ... وتطوق الورقاء قبل غنائها

ومنه يرثي:

قد كنت جارك والأيام ترهبني ... ولست أرهب غير الله من أحد
فنافستني الليالي فيك ظالمة ... وما حسبت الليالي من ذوي الحسد

ولأبي الصلت من التصانيف: كتاب الأدوية المفردة، كتاب تقويم الذهن في المنطق، كتاب الرسالة المصرية، كتاب ديوان شعره كبير، كتاب رسالة عمر في الأسطرلاب، كتاب الديباجة في مفاخر صنهاجة؟ كتاب

ديوان رسائل، كتاب الحديقة ف يمختار من أشعار المحدثين، ومن شعر أمية منقولاً من كتاب سر السرور:

حسبي فقد بعدت في الغي أشواطي ... وطال في اللهو إيغالي وإفراطي

أنفقت في اللهو عمري غير متعظ ... وجدت فيه بوفري غيرمحتاط

فكيف أخلص من بحر الذنوب وقد ... غرقت فيه على بعد من الشاطئ

يا رب مالي ما أرجو رضاك به ... إلا اعترافي بأني المذنب الخاطي

ومنه أيضاً:

لله يومي ببركة الحبش ... والصبح بين الضياء والغبش

والنيل تحت الرياح مضطرب ... كطائر في يمي مرتعش

ونحن في روضة مفوة ... دبج بالنور عطفها ووشي

قد نسجتها يد الربيع لنا ... فنحن من نسجها على فرش

وأثقل الناس كلهم رجل ... دعاه داعي الهوى فلم يطش

فعاطني الراح إن تاركها ... من سورة الهم غير منتعش

وأسقني بالكبار مترعة ... فهن أشفى لشدة العطش

قال محمد بن محمود: حدثني طلحة أن أبا الصلت، اجتمع في بعض متنزهات مصر، مع وجوه أفاضلها، فمال لصبي صبيح الوجه، عديم الشبه، قد نقط نون صدغه على صفحة خده، فاستو صفوه إياه، فقال:

منفرد بالحس والظرف ... بحت لديه بالذي أخفى

لهفي شكوت وهومن تيهه ... في غفلة عني وعن لهفي

قد عوقبت أجفانه بالضنى ... لأنها أضنت وما تشفى

قد أزهر الورد على خده ... لكنه ممتنع القطف

كأنما الخال به نقطة ... قد قطرت من كحل الطرف

قال: وحدثني أبو عبد الله الشامي، وكان قد درس عليه، واقتبس ما لديه، أن الإفضل كان قد تغير عليه وحبسه بالإسكندرية في دار الكتب الحكيم أرسطاطاليس، قال: وكنت أختلف إليه إذ ذاك، فدخلت إليه يوماً، فصادفته مطرقاً، فلم يرفع رأسه إلى على العادة، فسألته فل يرد الجواب، ثم قال بعد ساعة: اكتب، وأنشدني:

قد كان لي سبب قد كنت أحسب أن ... أحضى به فإذا دائي من السبب

فما مقلم أظفاري سوى قلمي ... ولا كتائب أعدائي سوى كتبي

فكتبت وسألته ع ذلك، فقال: إن فلاناً تلميذي، قد طعن في عند الأمير الأفضل، ثم رفع رأسه إلى السماء، واغرورقت عيناه دمعاً، ودعا عليه، فلم يحل الحول حتى استجيب له.

وأنشدني الشيخ سليمان بن الفياض الإسكندراني – وكان ممن درس عليه، واختلف إليه – في صفة فرس:

صفراء إلا حجول مؤخرها ... فهي مدام ورسغها زيد

تعطيك مجهودها فراهتها ... في الحضر والحضر عندها وخد

وأنشدني له يهجو، وما هو من صناعته:

صاف ومولاته وسيده ... حدود شكل القياس مجموعة

فالشيخ فو الاثنين مرتفع ... والست تحت الاثنين موضوعة

والشيخ محمول ذي وحامل ذا ... بحشمة في الجميع مصنوعة

شكل قياس كانت نتيجته ... غريبة في دمشق مطبوعة

وقرأت في الرسالة المصرية، زيادة على البيتين المتقدم ذكرهما قبل:

وكم تمنيت أن ألقى بها أحداً ... يسلى من الهم أو يعدى على النوب

فما وجدت سوى قوم إذا صدقوا ... كانت مواعيدهم كالآل في الكذب

باب الباء

برزخ بن محمد، أبو محمد العروضي

مولى بجيلة، وقال الصولى: أظنه من موالي كندة، وقال ابن درستويه: ومن علماء الكوفة: برزخ بن محمد العروضي، وهو الذي صنف كتاباً في العروض، نقض فيه العروض – في زعمه – على الخليل، وأبطل الدوائر والألقاب، والعلل التي وضعتها، ونسبها إلى قبائل العرب، وكان كذاباً.

وحدث الصولى: حدث جبلة بن محمد قال: سمعت أبي يقول: كان الناس قد البوا على أبي محمد برزخ ابن محمد العروضي، لكثرة حفظه، فساء ذلك حماداً وجناداً، فدسا إليه من يسقطه، فإذا هو يحدث بالحديث عن رجل فعل شيئاً، ثم يحدث به عن رجل آخر بعد ذلك، ثم يحدث به عن آخر، فتركه الناس حتى كان يجلس وحده. وحدث صعود قال: سمعت سلمة يقول: كاني ونس النحوي يقول: إن لم يكن برزخ أروى الناس، فهو أكذب الناس. قال سلمة: وصدق يونس يقول: إن كان ما أتي به حقاً وإلا فقد كذب، لأنه حدث عن أقوام لا يعرفهم الناس.

وحدث ابن قادم قال: سئل الفراء عن برزخ، فأنشد قول زهير:

أضاعت فلم يغفر لها غفلاتها ... فلاقت بياناً عند آخر معهد

يريد أن الناس اجتنبوه، لشيء استبانوه منه.

وحدث المازني قال: روى برزخ شعراً لامرئ القيس فقال له جناد: عمن رويت هذا؟ قال عني: وحسبك بي، فقال له جناد: من هذا أتيت يا غافل.

وحدث الصولي عن أبي عبد الله، أحمد بن الحسن السكوني قال: كنا نروى لبرزخ أشعاراً منها:

ليس بيني وبين قومي إلا ... أنني فاضل لهم في الذكاء

حسدوني فزخرفوا في قولاً ... تتلقاه ألسن البغضاء

كنت أرجو العلاء فيهم بعلمي ... فأتاني من الرجاء يلائي
شدة قد أفدتها من رخاء ... وانتقاص جنيته من وفاء
وحدث الحارث بن أبي أسامة قال: أنشدني عثمان ابن محمد لأبي حنش، واسمه حضير بن قيس شعراُ، يقوله في برزخ:
أبرزخ قد فقدتك من ثقيل ... فظلك حين يوزن وزن فيل
فماتفك إنساناً تماري ... جليسك منك في هم طويل
وبالأشعار علمك حين يقضى ... علينا بالسماع المستطيل
يكون كلطم سنور إذا ما ... أثاروه بأكل الزنجبيل
ولبرزخ من التصانيف: كتاب العروض، كتاب بناء الكلام. قال محمد بان إسحاق النديم: رأيته في جلود. وكتاب معاني العروض على حروف المعجم، كتاب النقض على الخليل وتغليظه في العروض، كتاب الأوس في العروض، كتاب تفسير الغريب.

بشر بن يحيى، بن علي القيني النصيبي

أبو ضياء من أهل نصيبين، شاعر قليل الشعر، وأديب كثير الأدب، وله من الكتب فيما ذكره محمد ابن إسحاق: كتاب سرقات البحتري م أبي تمام، كتاب الجواهر، كتاب الآداب، كتاب السرقات الكبير لم يتم.

بقي بن مخلد الأندلسي، أبو عبد الرحمن

ذكره الحميدي وقال:مات بالأندلس، سنة ست وسبعين ومائتين، في قول أبي سعيد بن يونس. وقال الدار قطني: مات سنة ثلاث وسبعي، والأول أصح. قال الحميدي: وبقي من حفاظ المحدثين، وأئمة الدين، والزهاد الصالحين، رحل إلى المشرق، فروى عن الأئمة، وأعلام السنة، منهم الإمام أبو عبد الله، أحمد بن محمد، بن حنبل، وأبو بكر ابن عبد الله، بن محمد، بن أبي شيبة، وأحمد بن إبراهيم الدورقي، وخليفة بن خياط، وجماعات أعلام، يزيدون على المائتين، وكتب المصنفات الكبار، والمشور الكثير، وبالغ في الجمع والرواية، ورجع إلى الأندلس، فملأها علماً جماً، وألف كتباً حساناً، تدل على احتفاله واستكثاره.
قال لنا أبو محمد علي بن أحمد: فمن مصنفات بقي ابن مخلد، كتاب تفسير القرآن، وهو الكتاب الذي أقطع قطعاً لا أستثني فيه، أنه لم يؤلف في الإسلام مثله، ولا تصنيف محمد بن جرير الطبري ولا غيره. ومنها في الحديث: كتاب مصنفه الكبير، الذي رتبه على أسماء الصحابة، فروى فيه عن ألف وثلاثمائة صاحب ونيف، ثم رتب حديث كل صاحب على أسماء الفقه، وأبواب الأحكام، فهو مصنف ومسند، وماأعلم هذه الرتبة لأحد قبله، مع ثقته وضبطه، وإتقانه واحتفاله في الحديث، وجودة شيوخه. فإنه روى ع مئاة رجل وأربعة وثمانين رجلاً، ليس فيه عشر ضعفاء، وسائرهم أعلام مشاهير، ومنها كتاب في فتاوى الصحابة والتابعين ومن دونهم، الذي أربى فيه على مصنف أبي بكر، بن أبي شيبة وغيره، فصارت تصانيفه قواعد الإسلام، لا

نظير لها، وكان بحراً لا يقلد أحداً، وكان خاصاً بأحمد بن حنبل، وجارياً في مضمار البخاري ومسلم. كل هذا من كتاب الحميدي، وإما ذكرته لتصنيفه كتاباً في تفسير القرآن.

وذكر له ترجمة أخرى فقال فيها: ولد بقي بن مخلد الأندلسي في رمضان، سنة إحدى وثمانين، وتوفى ليلة الثلاثاء، لتسع وعشرين لية مضت من جمادى الآخرة، سنة ست وسبعين ومائتين، ودفن في المقبرة المنسوبة إلى بني العباس، وكانت له رحلتان، أقام في إحداهما نحو العشرين عاماً، وفي الثانية نحو الأربعة عشر عاماً، فأخبرني أبي أنه كان يطوف في الأمصار على أهل الحديث، فإذا أتي وقت الحج، أتي إلى مكة فحج، هذا كان فعله كل عام في رحلتيه جميعاً، وكان يلتزم صيام الدهر، فإذا أتي يوم جمعةٍ أفطر وكانت له عبادات كثيرة، من قراءة القرآن، وغيرها من الصلوات، ونشر العلم.

قال: أما مشايخه الذين سمع منهم، فكانوا مائتي رجل، وأربعة وثمانين رجلاً، هكذا ذكر في هذه الترجمة، فما أدري أيهما الصحيح؟ أخبرني أسم بن عبد العزيز، أخبرني أبو عبد الرحمن بقي بن مخلد قال: لما وضعت مسندي، أتاني عبيد الله بن يحيى، ومعه أخوه إسحاق، فقالا لي: بلغنا أنك وضعت مسنداً، قدمت فيه أبا مصعب وابن بكير، وأخرت أبانا، فقال بقي: أما تقديمي لأبي مصعب، فإني قدمته لقول رسول الله عليه وسلم: (فقدموا قيش ولا تقدموها). وأما ابن بكير، فإني قدمته لسنه وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (كبر كبر)، مع أنه سمع الموطأ من مالك سبع عشرة مرة، ولم يسمعه أبوكما إلا مرة واحدة قال بقي: فخرجا عني، ولم يعودا إلى بعد ذلك، وخرجاإلى حد المداوة.

حدثنا قالسم بن أصبغ قال: خرجت من الأندلس ولم أرو عن بقي شيئاً، فلما دخلتالعراق وغيره من البلدان، سمعت من فضائله وتعظيمه، ما اندمني على ترك الرواية عنه، وقلت: إذا رجعت لزمته حتى أروي جميع ما عنده، فأتانا نعيه ونحن بإطرابلس.

وحدثنا قاسم بن أصبغ قال: سمعت أحمد بن أبي خيثمة يقول: وذكر بقي بن مخلد فقال: ما كنا نسميه إلا المكنسة، وهل احتاج بلد بقي أن يأتي إلى ههنا منه أحد؟ فقلنا له: ولا أنت تحدثنا عن رجال ابن أبي شيبة؟ فقال: ولا أنا.

وذكر بقي أنه أدرك جماعةً من أصحاب سفيان الثوري، فلم يرو عنهم، وروى عن رجلين: عن سفيان الثوري قال: وحدثت عن بقي أنهقال يوماً لطلبته، أنتم تطلبون العم؟ وهكذا يطلب العلم؟ إنما أحدكم إذا لم يكن عليه شغل يقول: أمضى أسمع العلم، إني لأعرف لاجلاً تمضي عليه الأيام في وقت طلبه للعلم، لا يكون له عيش ألام ورق الكرنب الذي يلقيه الناس، وإني لأعرف رجلاً باع سراويله غير مرة في شرى كاغد حتى يسوق الله عليه من حيث يخلفها.

قال الحميدي: أخبرنا أبو القاسم، عبد الكريم ابن هزازن القشيري، في أجازة وصلت إليه، وذكر إسناداً وقال: جاءت امرأة إلى بقي بن مخلد فقالت: إن ابني قد أسره الروم، ولا أقدر على مال أكثر من دويرة ولا أقدر على بيعها، فلو أشرت إلى من يفديه بشيء، فإنه ليس لي ليل ولا نهار، ولا نوم ولا قرار، فقال: أنصرفي حتى أنظر في أمره إن شاء الله، وأطرق الشيخ وحرك شفيته قال: ولبثنا مدة، فجاءت المرأة ومعها

ابنها، فأخذت تدعو له وتقول: قد رجع سالماً، وله حديث يحدثك به، فقال الشاب: كنت في يدي بعض ملوك الروم، مع جماعة من الأساري، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم، يخرجنا إلى الصحراء للخدمة، ثم يردنا وعلينا قيودنا، فبينا نحن نجئ من العمل مع صاحبه، الذي كا يحفظنا، إذ انفتح القيد من رجلي، ووقع على الأرض، ووصف اليوم والساعة، فوافق الوقت الذي جاءت المرأة، ودعاء الشيخ. قال: فنهض إلى الذي كان يحفظني، وصاح علي: كسرت القيد؟ فقلت: لا، إلا أنه سقط من رجلي. قال فتحيروا في أمري، ودعوا رهبانهم فقالوا لي: ألك والدة؟ قلت لهم نعم. فقالوا: وافق داؤها الإجابة، وقالوا: أطلقك الله، ولا يمكننا تقييدك، فزودوني وأصحبوني إلى ناحية المسليمين.

بكر بن حبيب السهمي، والد عبد الله

ابن بكر، المحدث، ذكره الزبيدي وغيره في النحويين.
أخذ عن ابن أبي إسحاق، وقال ابن أبي إسحاق لبكر بن حبيب: ما ألحن في شيء، قال نفعل؟ فقال له: فخذ على كلمة، قال: هذه واحدة، قل كلمة، وقربت منه سنورة، فقال: لها اخسي، فقال له: أخطأت، إنما هو اخسئ.
وحدث أبو أحمد، الحسين بن عبد الله العسكري في كتاب التصحيف، له عن أبيه، عن عسل بن ذكوان عن الرياشي قال: توفى ابن لبعض المهالبة، فأتاه شيب ابن شيبة المنقري يعزيه، وعنده بكر بن حبيب السهمي فقال شبيب: بلغنا أن الطفل لا يزال محبنطئاً، على باب الجنة يشفع لأبويه. فقال بكر بن حبيب: إنما هو محبنطياً غير مهموز. فقال له شيب: أتقول لي هذا؟ وما بين لابتيها أفصح مني. فقال بكر: وهذا خطأ ثان، ما للبصرة وللوب، لعلك غرك قولهم: ما بين لابتي المدينة، يريدنون الحرة.
قال أبو أحمد: والحرة أرض تركبها حجارة سود وهي اللابة، وجمعها لابات، فإذا كسرت فهي اللوب واللاب، وللمدينة لابتان من جانبيها، وليس للبصرة لابة ولا حرة.
قال أبو عبيدة: المحبنطي بغير همزة: هو المنتصب المستبطئ للشيء، والمحبنطئ بالهمز: العظيم البطن المنتفخ.

وقال أبو عبد الله المرزباني في كتاب المعجم: بكر بن حبيب السهمي من بالهلة، أحد مشايخ المحدثين قال النه عبد الله بن بكر، كان أبي يقول البيتين والثلاثة، وهو القائل:
سير النواعج في بلاج مضلة ... يمسي الدليل بها على ملمال
خير من الطمع الدنئ ومجلس ... بفناء لا طلق ولا مفضال
فاقصد لحاجتك المليك فإنه ... يغنيك عن مترفع مختال
وحدث التاريخي عن أبي خالد، يزيد بن محمد المهلبي، عن البجلي، عن قتب بن بشر قال: كنت مع بكر بن حبيب السهمي بموضع، يقال له قصر زربي، ونحن مشرفون على المربد، إذ مر بنا يونس بن حبيب النحوي، فقال: أمر بكم الأمير؟ قال بكر: نعم، مر بنا عاصباً فوه، فرمى يونس بعنانه على عنق حماره، ثم قال: أف أف. فقال له بكر: انظر حسناً، ثم قال نعم.

وإنما ظن يونس بن حبيب النحوي، أنه قد لحن، وأنه كان يجب أ يوقل عاصباً فاه، فلما تبين أنه أراد عصب الفم صوبه.
قال: ومر بكر بن حبيب بدار فسمع جلبة فقال: ما هذه الجلبة؟ أعرس أم خرس؟ أم إعذار أم توكير؟ فقال له قوم: قد عرفنا العرس، فأخبرنا ما سوى ذاك، قال: الخرس: الطعام على الولادة، و الإعذار: الختان، و التوكير: أن يبني الرجل القبة، ويحدث القدر الجماع، فيقال: وكر لنا طعاماً. قال: والقدر: الجماع الكبيرة.
وقال ثعلب: الوكيرة: مأخوذ من الوكر، وهي الوليمة، التي يصنعها الرجل عند بناء المنزل.

أبو بكر بن عياش،الخياط

بن سالم، الكوفي الخياط مولى واصل بن حيان الأسدي الأحدب، واختلف في اسمه، فقيل: اسمه قتيبة، وقيل شعبة، وقيل عبد الله، وقيل محمد، وقيل مطرف، وقيل سالم، وقيل عنترة، وقيل أحمد، وقيل عتيق، وقيل رؤبة، وقيل حماد، وقيل حسين، وقيل قاسم، وقيل لا يعرف له اسم، وأظهر ذلك شعبة ومطرف، قال الهيثم بن عدي: اسم أبي بكر مطرف بن النهشلي ومات ابن عياش في سنة ثلاث وتسعين ومائة، في السنة التي مات فيها الرشيد بن المهدي قبله بشهر، وفيها مات غندر، وعبد الله بن إدريس.
وروى أن اب عياش مات في سنة اثنتين وتسعين، والأول أظهر.
ومولده سنة سبع وتسعين، في أيام سليمان بن عبد الملك، وروى سنة أربع وتسعين، وروى سنة خمس وتسعين، وكان ابن عياش يقول: أنا نصف الإسلام.
وقال الحسين بن فهم: وقد ذكر جماعة لا تعرف أسماؤهم، منهم أبو بكر بن أبي مريم، وأبو بكر ابن أبي سبرة، وأبو بكر بن محمد، بن عمرو، بن حزم، وأبو بكر بن عبد الرحمن،وأبو بكر بن عياش، وأبو بكر بن أبي العرامس. وقال أبو الحسن الأهوازي المقرئ في كتابه: وإنما وقع هذا الاختلاف في اسم أبي بكر،لأنه كان رجلاً مهيباً، فكانوا يهابونه أن يسألوه، فروى كل واحد على ما وقع له قلت: وقد روى المرز باني في كتابه: أن جماعة من أهل العلم، سألوه عن اسمه، واختلفت أقوالهم على ما تقدم، ولولا كراهة الإطالة لذكرته. وكان ابن عياش معظماً عند العلماء وقد لقي الفرزدق، وذا الرمة، وروى عنهما شيئاً من شعرهما.
حدث المرز باني: حدثنا أحمد بن عيسى، عن أحمد بن أبي خيثمة، حدثنا محمد بن يزيد قال: سمعت أبا بكر بن عياش يقول: كان أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن. قال عزوجل: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم)، إلى قوله: (أولئك هم الصادقون)، فهؤلاء سموه خليفة رسول الله، وهؤلاء لا يكذبون.
وحدث المرزباني بإسناده إلى زكريا بن يحيى الطائي قال:سمعت أبا بكر بن عياش يقول: إني أريد أن أتكلم اليوم بكلام، لا يخالفني فيه أحد إلا هجرته ثلاثاً. قالوا: قل يا أبا بكر. قال: ما ولد لآدم عليه السلام، مولود بعد النبيين و المرسلين، أفضل من أبي بكر الصديق. قالوا: صدقت يا أبا بكر، ولا يوشع بن نون وصي موسى عليه السلام؟ قال: ولا يوشع بن نون، إلا أن يكون نبياً. ثم فسره فقال: قال الله تعالى: (كنتم خير أمة أخرجت للناس). وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (خير هذه الأمة أبو بكر).

قال زكريا بن يحيى: وسمعت ابن عياش يقول: لو أتاني أبو بكر وعمر وعلي – رضي الله عنهم – في حاجة، لبدأ بحاجة علي قبل حاجة أبي بكر وعمر، لقرابته من رسول الله، ولأن أخر من السماء إلى الأرض، أحب إلي من أن أقدمه عليهما. وكان يقدم علياً على عثمان، ولا يغلو ولا يقول إلا خيراً. وحدث المرزباني بإسناده عن أبي بكر بن عياش، عن ذر، عن عبد الله قال: إن الله عز وجل نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وسلم خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلبه، فوجد قلوب أصحابه، خير القلوب، بعد قلبه فجعلهم وزراء نبيه صلى الله عليه وسلم، يقاتلون عن دينه، فما رأى المسلمون حسناً، فهو عند الله حسن، وما رآه المسلمون سيئاً، فهو عند الله سيئ قال أبو بكر ابن عياش: وأنا أقول: إنهم رأوا أن يولوا أبا بكر بعد النبي صلى الله عليه وسلم.

وحدث المرزباني، حدثنا أبو محمد بن مخلد، حدثنا أبو عمر العطاري قال: بعث أبو بكر بن عياش، إلى أبي يوسف الأعشى، فمضيت مع أبي يوسف، ومع عبد الوهاب ابن عمر، والعباس بن عمير، فدخلنا إليه وهو في علية له فقال لأبي يوسف: قد قرأت علي القرآن مرتين. وقد نقلت عني القرآن، فاقرأ علي آخر الأنفال، واقرأ علي من رأس المائة من براءة، واقرأ علي كذا، واقرأ كذا فقال له أبو يوسف: يا أبا بكر، هذا القرآن، والحديث، والفقه، وأكثر الأشياء أفدتها بعد ما كبرت، أو لم تزل فيه مذ كنت؟ ففكر هنيهة ثم قال: بلغت وأنا ابن ست عشرة سنة، فكنت فيما يكون فيه الشبان مما يعرف وينكر سنتي، ثم وعظت فسي وزجرتها، وأقبلت على الخير وقراءة القرآن، فكنت أختلف إلى عاصم في كل يوم، وربما مطرنا ليلاً، فأنزع سراويلي وأخوض الماء إلى حقوي، فقال له أبو يوسف: ومن أين هذا الماء كله؟ قال: كنا إذا مطرنا، جاء ماء الحيرة إلينا، حتى يدخل الكوفة.

وكنت إذا قرأت على عاصم، أتيت الكلبي فسألته عن تفسيره، وأخبرني أبو بكر أن عاصماً أخبره أنه كان يأتي زر بن حبيش، فيقرئه خمس آيات لا يزيد عليها شيئاً، ثم يأتي أبا عبد الرحمن السلمي، فيعرضها عليه، فكانت توافق قراءة زر، قراءة أبي عبد الرحمن، وكان أبو عبد الرحمن، قرأ على علي عليه السلام، وكان زر بن حبيش الشكري العاطردي قرأ على عبد الله بن مسعود القرآن كله، في كل يوم آية واحدة، لا يزيده عليها شيئاً، فإذا كانت آية قصيرة استقلها زر من عبد الله، فيقول عبد الله: خذها، فوالذي نفسي بيده، لهي خير من الدنيا وما فيها، ثم يقول أبو بكر، وصدق والله، ونحن نقول كما قال أبو بكر بن عياش، إذ حدثنا عن عاصم عن زر، عن عبد الله قال: هذا والله الذي لا إله إلا هو حق، كما أنكم عندي جلوس، والله ما كذبت، والله ما كذب عاصم بن أبي النجود، والله ما كذب زر، والله ما كذب عبد الله بن مسعود، وإن هذا لحق كما أنكم عندي جلوس.

وحدث عمن أسنده إلى أحمد بن عبد الله بن يونس قال: ذكر النبيذ عند العباس بن موسى، فقال: إن ابن إدريس يحرمه، فقال أبو بكر بن عياش: إن كان النبيذ حراماً، فالناس كلهم أهل ردة.

وحدث المرزباني قال: قال عبد الله بن عياش: كنت أنا وسفيان الثوري وشريك، نتماشى بين الحيرة والكوفة، فرأينا شيخاً أبيض الرأس واللحية، حسن السمت والهيئة، فظننا أن عنده شيئاً من الحديث، وأنه قد أدرك الناس، وكان سفيان أطلبنا للحديث، وأشدنا بحثاً عنه، فتقدم إليه وقال: يا هذا، عندك شيء من

الحديث؟ فقال: أما حديث فلا، ولكن عندي عتيق ستتين، فنظرنا فإذا هو حمار. وحدث أبو بكر بن عياش قال: الفرزدق بالكوفة ينعي عمر بن عبد العزيز، – رضي الله عنه – ، فقال:

كم من شريعة عدل قد سننت لهم ... كانت أميتت وأخرى منك تنتظر

يا لهف نفسي ولهف اللاهفين معي ... على العدول التي تغتالها الحفر

وحدث بإسناده عن ابن كناسة قال: حدثني أبو بكر ابن عياش قال: كنت إذ أنا شاب إذا أصابتني مصيبة، تصبرت ورددت البكاء، فكان ذلك يوجعني ويزيدني ألماً، حتى رأيت بالكناسة أعرابياً واقفاً، وقد اجتمع الناس حوله فأنشد:

خليلي عوجا من صدور الرواحل ... بجهور حزوى وابكيا في المنازل

لعل انحدار الدمع يعقب راحة ... من الوجد أو يشفي نجي البلابل

فسألت عنه، فقيل: ذو الرمة. قال: فأصابتني بعد ذلك مصائب، فكنت أبيك فأجد راحة، فقلت في نفسي: – قاتل الله – الأعرابي، ما كان أبصره وأعلمه!!.

وحدث المرزباني، عن الحسن النحوي، عن محمد بن عثمان، بن أبي شيبة قال: سمعت عمي القاسم بن محمد يقول: حدثني يحيى بن آدم قال: لما قدم هارون الرشيد الكوفة، نزل الحيرة، ثم بعث إلى أبي بكر ابن عياش، فحملناه إليه، وكنت أنا أقتاده بعد ذهاب بصره، فلما انتهينا إلى باب الخليفة، ذهب الحجاب يأخذون أبا بكر مني، فأمسك أبو بكر بيدي وقال: هذا قائدي لا يفارقني، فقالوا: ادخل أنت وقائدك يا أبا بكر، قال يحيى: فدخلت به، وإذا هارون جالس وحده، فلما دنا منه أنذرته، فسلم عليه بالخلافة، فأحسن هارون الرد، فأجلسته حيث أمرت، ثم خرجت فقعدت في مكان أراهما وأسمع كلامهما، قال: فجعلت أنظر إلى هارون يتلمح أبا بكر قال: وكان أبو بكر رجلاً قد كبر، وضعفت رقبته، فاتكأ ذقنه على صدره، فسكت هارون عنه ساعة، ثم قال له: يا أبا بكر، فقال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: إني سائلك عن أمر فأسألك بالله لما صدقتني عنه، قال: إن كان علمه عندي، قال: إنك قد أدركت أمر بني أمية وأمرنا، فأسألك بالله، أيهما كان أقرب إلى الحق؟ قال يحيى: فقلت في نفسي: اللهم وفقه وثبته، قال: فأطال أبو بكر في الجواب، ثم قال له: يا أمير المؤمنين، أما بنو أمية فكانوا أنفع للناس منكم، وأنتم أقوم بالصلاة منهم. قال: فجعل هارون يشير بيده ويقول: إن في الصلاة، إن في الصلاة.

قال: ثم خرج فتبعه الفضل بن الربيع، فقال: يا أبا بكر: إن أمير المؤمنين قد أمر لك بثلاثين ألفاً، فقال أبو بكر: فما لقائدي؟ فضحك الفضل وقال: لقائدك خمسة آلاف. قال يحيى: فأخذت الخمسة آلاف قبل أن يأخذ أبو بكر الثلاثين.

وحدث بإسناد رفعه إلى أبي بكر بن عياش، قال: دخلت على هارو أمير المؤمنين، فسلمت وجلست، فدخل فتىً من أحسن الناس وجهاً، فسلم وجلس. فقال لي هارون: يا أبا بكر: أتعرف هذا؟ قلت: لا، قال: هذا ابني محمد، ادع الله له، فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الله فاتح عليكم مشارق الأرض ومغاربها، وإن عمال ذلك الزمان في النار إلا من

اتقى، وأدى الأمانة). فانتفض وتغير، وقال يا مسرور: اكتب، ثم سكت ساعة، وقال: يا أبا بكر، ألا تحدثني، فقلت: يا أمير المؤمنين، حدثنا هشام بن حسان عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدري ما قال عمر بن الخطاب للهرمزان؟ قال: وما قال له؟ قلت: قال له ما يمنعك من حب المال؟ وأنت كافر القلب، طويل الأمل، قال: لأني قد علمت أن الذي لي سوف يأتيني، والذي أخلفه بعدي يكون وباله علي. ثم قال يا مسرور: اكتب ويحك. ثم قال: ألك حاجة يا أبا بكر؟ قلت: تردني كما جئت بي، قال: ليست هذه حاجة، سل غيرها، قلت: يا أمير المؤمنين: لي بنات أخت ضعاف، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأمر لهن بشيء، قال: قدر لهن، قلت: يقول غيري، قال: لا يقول غيرك، قلت: عشرى آلاف، قال: لهن عشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، وعشرة آلاف، يا فضل اكتب بها إلى الكوفة، وألا تحبس عليه. ثم قال: اصنرف ولا تنسنا من دعائك.

وحدث بإسناده عن العباس بن بنان قال: كنا عند أبي بكر بن عياش، يقرأ علينا كتاب مغيرة، فغمض عينيه فحركه جهور، وقال له: تنام يا أبا بكر؟ فقال لا، ولك مر ثقيل فغمضت عيني. وحدث أبو هاشم الدلال قال: رأيت أبا بكر بن عياش مهموماً، فقلت له: مالي أراك مهموماً؟ قال: سيف كسرى لا أدري إلى من صار. وقال محمد بن كناسة: يذكر أصحاب أبي بكر بن عياش:

لله مشيخة فجعت بهم ... كانت تزيغ إلى أبي بكر

سرج لقوم يهتدون بها ... وفضائل تنمى ولا تجري

وحدث المدائني قال: كان أبو بكر بن عياش أبرص، وكان رجل من قريش يرمى بشرب الخمر، فقال له أبو بكر ابن عياش يداعبه، زعموا أن نبياً قد بعث بحل الخمر. فقال له القرشي، إذاً لا أومن حتى يبرئ الأكمه والأبرص.

أنشد أبو بكر بن عياش اتلمحدث، ويقال إنهما له:

إن الكريم الذي تبقى مودته ... ويكتم السر إن صافى وإن صرما

ليس الكريم الذي إن زل صاحبه ... أفشى، وقال عليه كل ما علما

بكر بن محمد، بن بقية المازني

أبو عثمان النحوي، وقيل: هو بكر بن محمد، بن عدي، بن حبيب، أحد بني مازن بن شيبان، بن ذهل، ابن ثعلبة، بن عكاية، بن صعب، بن علي، بن بكر، ابن وائل. قال الزبيدي: قال الخشني: المازي مولى بني سدوس، نزل في بني مازن ب شيبان، فنسب إليهم، وهو من أهل البصرة، وهو أستاذ المبرد. روى عن أبي عبيدة والأصمعي، وأبي زيد الأصاري. وروى عنه الفضل ب محمد اليزيدي، والمبرد، وعبد الله بن سعد الوراق، وكان إمامياً يرى رأي ابن ميثم، ويقول بالإرجاء، وكان لا يناظره أحد إلا قطعه، لقدرته على الكلام، وكان المبرد يقول: لم يكن بعد سيبويه أعلم من أبي عثمان بالنحو، وقد ناظر الأخفش في أشياء كثيرة فقطعه، وهو أخذ عن الأخفش.

وقال حمزة: لم يقرأ على الأخفش، إنما قرأ على الجرمي، ثم اختلف إلى الأخفش وقد برع، وكان يناظره

ويقدم الأخفش وهو حي، وكان أبو عبيدة يسميه بالمتدرج، والنقار. مات أبو عثمان فيما ذكره الخطيب، في سنة تسع وأربعين ومائتي، أو ثمان وأربعين ومائتين، وذكر ابن واضح: أنه مات سنة ثلاثين ومائتين.
حدث المبرد عن المازني قال: كنت عند أبي عبيدة، فسأله رجل فقال له: كيف تقول عنيت بالأمر؟ قال: كما قلت عنيت بالأمر، قال: فكيف آمر منه؟ قال فغلط، وقال: اعنُ بالأمر، فأومأت إلى الرجل، ليس كما قال: فرآني أبو عبيدة، فأمهلني قليلاً، فقال: ما تصنع عندي؟ قلت: ما يصنع غيري، قال: لست كغيرك، لا تجلس إلي، قلت ولم؟ قال: لأني رأيتك مع إنسان خوزي سرق مني قطيفة، قال: فانصرفت وتحملت عليه بإخواه، فلما جئته قال لي: أدب نفسك أولاً، ثم تعلم الأدب. قال المبرد: الأمر من هذا باللام، لا يجوز غيره، لأنك تأمر غير من بحضرتك، كأنه ليفعل هذا. وقال حماد يهجو المازني:

كادني المازني عند أبي العب ... باس والفضل ما علمت كريم
يا شبيه النساء في كل فن ... إن كيد النساء كيد عظيم
جمع المازني خمس خصال ... ليس يقوى بحملهن حليم
هو بالشعر والعروض وبالنح ... و وغمز الأيور طب عليم
ليس ذنبي إليك يا بكر إلا ... أن أيرى عليك ليس يقوم
وكفاني ما قال يوسف في ذا ... إن ربي بكيدكن عليم

وحدث المبرد قال: عزى المازني بعض الهاشميين، ونحن معه فقال:

إني أعزيك لا أني على ثقة ... من الحياة ولكن سنة الدين
ليس المعزى بباق بعد ميته ... ولا المعزى وإن عاشا إلى حين

وقد روي عن المبرد: أن يهودياً بذل للمازي مائة دينار، ليقرئه كتاب سيبويه، فامتنع من ذلك، فقيل له: لم امتنعت مع حاجتك وعيلتك؟ فقال: إن في كتاب سيبويه كذا كذا آية من كتاب الله، فكرهت أن أقرئ كتاب الله للذمة، فلم يمض على ذلك مديدة، حتى أرسل الواثق في طلبه، وأخلف الله عليه أضعاف ما تركه لله. كما حدث أبو الفرج، علي بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني، بإسناد رفعه إلى أبي عثمان المازني قال: كان سبب طلب الواثق لي، أن مخارقاً غناه في شعر الحارث بن خالد المخزومي:

أظليم إن مصابكم رجلاً ... أهدى السلام تحية ظلم

فلحنه قوم، وصوبه آخرون فسأل الواثق عمن بقي من رؤساء النحويين، فذكرت له، فأمر بحملي وإزاحة عللي. فلما وصلت إليه، قال لي: ممن الرجل؟ قلت: من بني مازن. قال: من مازن تميم؟ أم مازن قيس؟ أم مازن ربيعة؟ أم مازن اليمن. قلت: من مازن ربيعة، قال لي با اسمك؟ يريد ما اسمك، وهي لغة كثيرة في قومنا، فقلت على القياس: اسمي مكر، وفي رواية فقلت: اسمي بكر. فضحك وأعجبه ذلك، وفطن لما قصدت، فإنني لم أجرؤ أن أواجهه بالمكر، فضحك وقال: اجلس فاطبئن، أي فاطمئ، فجلست فسألني عن البيت، فقلت: صوابه إن مصابكم رجلاً، قال: فأين خبر إن؟ قلت: ظلم، وهو الحرف في آخر البيت، والبيت كله متعلق به، لا معنى له حتى يتم بقوله: ظلم، ألا ترى أنه لو قال: أظليم إن مصابكم رجلاً،

أهدى السلام تحية، فكأنه لم يفد شيئاً، حتى يقول ظلم، ولو قال أظليم إن مصابكم رجل، أهدى السلام تحية، لما احتاج إلى ظلم ولا كان له معني إلا أن تجعل التحية بالسلام ظلماً، وذلك محال. ويجب حينئذ: أظليم إن مصابكم رجل، أهدى السلام تحية ظلماً، ولا معنى لذلك، ولا هو لو كان له وجه مراد الشاعر.

فقال: صدقت، ألك ولد؟ قلت: بنية لا غير قال: فما قالت لك حين ودعتها. قلت: أنشدتني قول الأعشى:

تقول ابنتي حي جد الرحيل ... أرانا سواء ومن قد يتم

أبانا فلا رمت من عندنا ... فإنا بخير إذا لم ترم

أرانا إذا أضمرتك البلاد ... نجفى ويقطع منا الرحم

فقال الواثق: كأني بك، وقد قلت لها قول الأعشى أيضاً:

تقول بنتي وقد قربت مرتحلاً ... يا رب جنب أبي الأوصاب والوجعا

عليك مثل الذي صليت فاعتصمي ... يوماً فإن لجنب المرء مضطجعا

فقلت: صدق أمير المؤمنين. قلت لها ذلك، وزدتها قول جرير:

ثقي بالله ليس له شريك ... ومن عند الخليفة بالنجاح

فقال: ثق بالنجاح إن شاء الله تعالى، إن ههنا قوماً يختلفون إلى أولادنا فامتحهم، فمن كان عالماً ينتفع به، ألزمناهم إياه، ومن كان بغير هذه الصفة، قطعناهم عنه قال: فامتحنتهم، فما وجدت فيهم طائلاً، وحذروا ناحيتي. فقلت: لابأس على أحد منكم، فلما رجعت إليه قال: كيف رأيتهم؟ فقلت يفضل بعضهم بعضاً في علوم، ويفضل الباقو في غيرها. وكل يحتاج إليه. فقال الواثق: إني خاطبت منهم رجلاً، فكان في نهاية الجهل في خطابه وظره. فقلت: يا أمير المؤمنين، أكثر من تقدم فهم بهذه الصفة، وقد أنشدت فيهم:

إن المعلم لايزال مضعفاً ... ولو ابتنى فوق السماء سماء

من علم الصبيان أضنوا عقله ... مما يلاقي بكرة وعشاء

قال: فقال لي: لله درك، كيف لي بك؟ فقلت يا أمير المؤمنين: إن الغنم لفي قربك، والنظر إليك، والأمن والفوز لديك، ولكي ألفت الوحدة، وأنست بالافراد، ولي أهل يوحشني البعد عنهم، ويضر بهم ذلك، ومطالبة العادة أشد من مطالبة الطباع. فقال لي: فلا تقطعنا وإن لم نطلبك. فقلت: السمع والطاعة، وأمر لي بألف دينار، وفي رواية بخمسمائة دينار وأجرى علي في كل شهر مائة دينار. وزاد الزبيدي قال وكنت بحضرته يوماً، فقلت لابن قادم، أو ابن سعدان، وقد كابرني، كيف تقول نفقتك ديناراً أصلح من درهم؟ فقال: دينار بالرفع. قلت: فكيف تقول: ضربك زيداً يخر لك، فتنصب زيداً، فطالبته بالفرق بينهما فانقطع. وكان ابن السكيت حاضراً فقال الواثق: سله عن مسألة. فقلت له: ما وز نكتل من الفعل فقال: نفعل. فقال الواثق: غلطت. ثم قال لي: فسره، فقلت: ونكتل تقديره نفتعل، وأصله نكتيل، فانقلبت الياء ألفاً لفتحة ما قبلها، فصار لفظها نكتال، فأسكنت اللام للجزم، لأنه جواب الأمر، فحذفت الألف لالتقاء الساكنين. فقال الواثق: هذا الجواب، لا جوابك يا يعقوب. فلما خرجنا قال لي يعقوب: ما حملك على هذا وبيني وبينك المودة الخاصلة؟ فقلت: والله ما قصدت تخطئتك، ولم أظن أنه يعزب عنك ذلك. ولهذا البيت قصة أخرى في أخبار ابن السكيت.

قال المبرد: سألت المازني عن قول الأعشى:

هذا النهار بدا لها من همها ... ما بالها بالليل زال زوالها

فقال: نصب النهار على تقدير، هذا الصدود بدا لها النهار، واليوم والليلة. والعرب تقول: زال وأزال: بمعنى، فتقول: زال زوالها.

وحدث الزبيدي قال: قال المازني: وحضرت يوماً عند الواثق وعنده نحاة الكوفة، فقال لي الواثق: يا مازني: هات مسألة، فقلت: ما تقولون في قوله تعالى: (وما كانت أمك بغياً). لم لم يقل بغية، وهي صفة لمؤنث فأجابوا بجوابات غير مرضية. فقال الواثق: هات ما عندك. فقلت: لو كان بغي على تقدير فعيل بمعنى فاعلة، لحقتها الهاء، مثل كريمة وظريفة، وإنما تحذف الهاء إذا كانت في معنى مفعولة، نحو: المرأة قتيل وكف خضيب، وبغي ههنا ليس بفعيل، إنما هو فعول، وفعول لا تلحقه الهاء في وصف التأنيث، نحو: امرأة شكور، وبئر شطون، إذا كانت بعيدة الرشاء، وتقدير بغي بغوي، قلبت الواو ياء، ثم أدغمت في الياء، فصارت ياء ثقيلة: نحو سيد وميت. فاستحسن الجواب.

قال المازني: ثم انصرفت إلى البصرة، فكان الوالي يجري علي المائة دينار في كل شهر، حتى مات الواثق، فقطعت عني. ثم ذكرت للمتوكل فأشخصني، فلما دخلت إليه، رأيت من العدد والسلاح، والأتراك ما راعني، والفتح بن خاقان بين يديه، وخشيت إن سئلت عن مسألة ألا أجيب فيها. فلما مثلت بين يديه وسلمت، قلت: يا أمير المؤمنين، أقول كما قال الأعرابي؟:

لا تقلواها وادلواها دلوا ... إن مع اليوم أخاه غدوا

قال أبو عثمان: فلم يفهم عني ما أردت، واستبردت فأخرجت. والقلو: رفع السير، والدلو: إدناؤه.

ثم دعاني بعد ذلك فقال: أنشدني أحسن مرثية قالت العرب. فأنشدته قول أبي ذؤيب:

أمن المنون وريبها تتوجع؟

وقصيدة متمم بن نويرة:

لعمري وما دهري بتأبين هالك

وقول كعب الغنوي:

تقول سليمى ما لجسمك شاحباً

وقصيدة محمد بن مناذر:

كل حي لاقى الحمام فمودي

فكان كلما أنشدته قصيدة يقول: ليست بشيء. ثم قال: من شاعركم اليوم بالبصرة؟ قلت: عبد الصمد ابن المعذل، قال: فأنشدني له، فأنشدته أبياتاً قالها في قاضينا ابن رباح:

أيا قاضية البص ... رة قومي فارقصي قطره

ومري بروشنك ... فماذا البرد والفتره

أراك قد تثيرين ... عجاج القصف يا حره

بتجذيفك خديك ... وتجعيدك للطره

قال: فاستحسنها واستطار لها، وأمر لي بجائزة. قال: فجعلت أتعمل له أن أحفظ أمثالها، فأنشده إذا وصلت إليه، فيصلني.

وكان المازني يفضل الواثق. وللمازني شعر قليل، ذكر منه المرزباني:

شيئان يعجز ذو الرياضة عنهما ... رأي النساء وإمرة الصبيان

أما النساء فإنهن عواهر ... وأخو الصبا يجري بكل عنان

ولما مات المازني، اجتازت جنازته على أبي الفضل الرياشي فقال متمثلاً:

لا يبعد الله أقواماً رزئتهم ... أفناهم حدثان الدهر والأبد

نمدهم كل يوم من بقيتنا ... ولا يئوب إلينا منهم أحد

قال محمد بن إسحاق: وللمازني من الكتب: كتاب في القرآن كبير، كتاب علل النحو صغير، كتاب تفاسير كتاب سيبويه، كتاب ما يلحن فيه العامة، كتاب الألف واللام، كتاب التصريف، كتاب العروض، كتاب القوافي، كتاب الديباج في جوامع كتاب سيبويه، قرأت بخط الأزهري منصور، في كتاب نظم الجمان، تصنيف الميداني قال: سئل المازني عن أهل العلم، فقال: أصحاب القرآن فيهم تخليط وضعف، وأهل الحديث فيهم حشو ورقاعة، والشعراء فيهم هوج، وأصحاب النحو فيهم ثقل، وفي رواية الأخبار الظرف كله، والعلم هو الفقه. وتصانيف المازني كلها لطاف، فإنه كان يقول: من أراد أن يصنف كتاباً كبيراً في النحو، بعد كتاب سيبويه فليستح، ويحوي كتاب سيبويه في كنهه عدة كتب.

حدث محمد بن رستم الطبري قال: أنبأنا أبو عثمان المازني قال: كنت عند سعيد بن مسعدة الأخفش، أنا وأبو الفضل الرياشي، فقال الأخفش: إن منذ إذا رفع بها، فهي اسم مبتدأ وما بعدها خبرها، كقولك: ما رأيته منذ يومان، فإذا خفض بها، كقولك: ما رأيته منذ اليوم فحرف معنى ليس باسم. فقال له الرياشي: فلم لا يكون في الموضعي اسماً؟ فقد نرى الأسماء تخفض وتنصب، كقولك هذا ضارب زيداً غداً، وضارب زيد أمس، فلم لا تكون بهذه المنزلة؟ فلم يأت الأخفش بمقنع. قال أبو عثمان: فقلت له: لا يشبه منذ ما ذكرت، لأنا لم نر الأسماء هكذا تلزم موضعاً، إلا إذا ضارعت حروف المعاني، نحو أين، وكيف، فكذلك منذ هي مضارعة لحروف المعاني، فلزمت موضعاً. واحداً.

قال الطبري: فقال ابن أبي زرعة للمازي: أفرأيت حروف المعاني، تعمل عملين مختلفين متضادين؟ قال نعم، كقولك قام القوم حاشا زيد وحاشا زيداً، وعلى زيد ثوب، وعلا زيد الفرس، فتكون مرة حرفاً، ومرة فعلاً بلفظ واحد.

وحدث المبرد قال: سمعت المازني يقول: معنى قولهم: إذا لم تستح فاصنع ما شئت. أي إذا صنعت ما لا يستحى من مثله، فاصنع منه ما شئت، وليس على ما يذهب العوام إليه. قلت: وهذا تأويل حسن جداً.

قال أبو القاسم الزجاجي: أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن رستم الطبري قال: حضرت مجلس أبي عثمان المازني وقد قيل له: لم قلت روايتك عن الأصمعي؟ قال: رميت عنده بالقدر، والميل إلى مذاهب أهل

الاعتزال، فجئته يوماً وهو في مجلسه، فقال لي: ما تقول في قول الله عز وجل: (إنا كل شيء خلقناه بقدر). قلت: سيبويه يذهب إلى أن الرفع فيه أقوى من النصب في العربية، لاستعمال الفعل المضمر، وأنه ليس ههنا شيء هو بالفعل أولى، ولكن أبت عامة القراء إلا النصب، ونحن نقرؤها كذلك اتباعاً، لأن القراءة سنة.

فقال لي: فما الفرق بين الفع والنصب في المعنى؟ فعلمت مراده، فخشيت أن تغرى بي العامة فقلت: الرفع بالابتداء، والنصب بإضمار فعل، وتعاميت عليه.

فقال: حدثني جماعة من أصحابنا أن الفرزدق قال يوماً لأصحابه: قوموا بنا إلى مجلس الحسن لابصري، فإني أريد أن أطلق النوار، وأشهده على نفسي. فقالوا له: لا تفعل، فلعل نفسك تتبعها وتندم. فقال: لابد من ذلك، فمضوا معه، فلما وقف على الحس قال له: يا أبا سعيد، تعلمنم أن النوار طالث ثلاثاً، قال: قد سمعت، فتتبعتها نفسه بعد ذلك، وندم وأنشأ يقول:

ندمت ندامة الكسعي لما ... غدت مني مطلقة نوار

وكانت جنتي فخرجت منها ... كآدم حين أخرجه الضرار

ولو أني ملكت يدي ونفسي ... لكان علي للقدر الخيار

ثم قال: والعرب تقول: لو خيرت لاخترت، تحيل على القدر، وينشدون:

هي المقادير فلمني أو فذر ... إن كنت أخطأت فلم يخط القدر

ثم أطبق نعليه وقال: نعم القناع للقدري، فأقللت غشيانه بعد ذلك.

قال المبرد: حدثني المازني قال: مررت ببي عقيل، فإذا رجل أسود قصير، أعور أبرص أكشف، قائم على تل سماد وهو يملأ جواليق معه من ذلك المساد، وهو يغني بأعلى صوته:

فإن تصرمي حبلي وتستكرهي وصلي ... فمثلك موجود ولن تجدي مثلي

فقلت: صدقت والله، ومتى تجد ويحك مثلك؟ فقال: – بارك الله عليك – واسمع خيراً، ثم اندفع لينشد:

يا ربة المطرف والخلخال ... ما أنت من همي ولا أشغالي

مثلك موجود ومثلي غالي

بندار بن عبد الحميد الكرخي الأصبهاني

يعرف بابن لرة، ذكره محمد بن إسحاق في الفهرست فقال: أخذ عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وأخذ عنه ابن كيسان.

وقال ابن الأنباري عن ابنه القاسم: كان بندار يحفظ سبعمائة قصيدة، أول كل قصيدة بانت سعاد.

قال المؤلف: وبلغني عن لاشيخ الإمام أبي محمد الخشاب أنه قال: أمعنت التفتيش والتنقير فلم أقع على أكثر من ستي قصيدة، أولها بانت سعاد. وفي كتاب أصبهان: كان بندار بن لرة، متقدماً في علم اللغة ورواية الشعر، وكان مم استوط الكرخ، ثم خرج منها إلى العراق، فظهر هناك فضله، وكان الطوسي صاحب ابن الأعرابي، يوصي أصحابه بالأخذ عن بندار، ويقول: هو أعلم مني ومن غيري، فخذوا عنه.

قال: وحدث أبو بكر بن الأنباري في أماليه ببغداد قال: سمعت أبا العباس الأموي يقول: كان بندار بن لرة الأصبهاني، أحفظ أهل زمانه للشعر، وأعلمهم به. أنشدني عن حفظه ثمانين قصيدة، أول كل قصيدة بانت سعاد.

قال حمزة: وحدثني النوشجان بن عبد المسيح قال: سمعت المبرد يقول: كان سبب غناي بندار بن لرة الأصبهاني، وذلك أني حين فارقت البصرة، وأصعدت إلى سامراً، وردها في أيام المتوكل، فآخيت بها بندار بن لرة، وكان واحد زمانه في رواية دواوين شعر العرب، حتى كان لا يشذ عن حفظه، من شعر شعراء الجاهلية والإسلام إلا القليل، وأصح الناس معرفة باللغة، وكان له كل أسبوع دخلة على المتوكل، فجمع بيني وبين النحويين في داره في مجالس، ومرت ليلة، فرفع حديثي إلى الفتح بن خاقان، ثم توصل إلى أن وصفني للمتوكل، فأمر بإحضاري مجلسه.

وكان المتوكل يعجبه الأخبار والأنساب، ويروي صدراً منها، يمتح من يراه بما يقع فيها من غريب اللغة، فلما دنوت من طرف بساطه، استدناني حتى صرت إلى جانب بندار، فأقبل علينا وقال: يا بن لرة، ويا بن يزيد، ما معى هذه الأحرف التي جاءت في هذا الخبر؟ ركبت الدجوجى، وأمامي قيلة، فنزلت ثم شربت الصباح، فمررت وليس أمامي إلا نجيم، فركضت أمامي النحوص والمسحل والعمردن فقنصت ثم عطفت ورائي إلى قلوب فلم أزل به حتى أذقته الحمام، ثم رجعت ورائي، فلم أزل أمارس الأغضف في قتله، فحمل علي، وحملت عليه حتى خر صريعاً. قال المبرد: فبقيت متحيراً، فبدر بندار وقال: يا أمير المؤمنين، في هذا نظر وروية، فقال: قد أجلتكما بياض يومي، فانصرفا وباكراني غداً، فخرجنا من عنده، فأقبل بندار علي وقال: إن ساعدك الجد ظفرت بهذا الخبر، فاطلب فإني طالبه، فانقلبت إلى منزلي، وقلبت الدفاتر ظهراً لبطن، حتى وقفت على هذا الخبر، في أثناء أخبار الأعراب، فتحفظته، وباكرت بندارا فأنضهته معي وصحبناه، وبدأت فرويت الخبر، ثم فسرت ألفاظه، فالتفت إلى بندار وقال: ابن يزيد فوق ما وصفتم. ثم قال للغلام: علي بالخازن، فحضر فقال له: اخرج إلى ابن يزيد، وقل للحاجب: يسهل إذنه علي، فصار ذلك أصل مالي. وكان بندار – رحمه الله – أصله وسببه.

قرأت بخط عبد السلام البصري، في كتاب عقلاء المجانين، لأبي بكر بن محمد الأزهري: حدثنا محمد ابن أبي الأزهر قال: كنت يوماً في مجلس بندار بن لرة الكرخي، بحضرة منزله، في درب عبد الرحيم الرزامي بدكان الأبناء، وعنده جماعة من أصحابه، إذ هجم علينا المسجد بردعة الموسوس، ومعه مخلاة فيها دفاتر، وجزازات، وقد تبعه الصبيان، فجلس إلى جانب بندار، وكأن بندارا فرق منه، فقال له: اطرد ويلك هؤلاء الصبيان عني، فقال لهم: اطردوهم عنه، فوثبت أنا من بين أهل المجلس، فصحت عليهم وطردتهم فجلس ساعة، ثم وثب فنظر هل يرى منهم أحداً، فلما لم يرهم، رجع فجلس ساعة ثم قال: اكتبوا: حدثني محمد ابن عسكر، عن عبد الرزاق، عن معمر قال: سئل الشعبي ما اسم امرأة إبليس؟ فقال: هذا عرس لم أشهد إملاكه. ثم أقبل على بندار، فقال: يا شيخ، ما معنى قول الشاعر؟:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سفورها

فقال لا بندار: أجيبوه. فقال: يا مجنون، أسألك ويجيب غيرك! فقال بندار: يقول إنه لما رآها فعلت ما فعلته

من سفورها، ولم يكن يعهد منها، علم أنها قد حذرته من بحضرتها، ليحجم عن كلامها، وانبساطه إليها، فضحك ومسح يده على رأس بندار وقال: أحسنت يا كيس، وكان بندار قد قارب في ذلك الوقت تسعين سنة.

بهزاد بن يعقوب، بن خرزاد

أبي يعقوب، يوسف بن يعقوب، بن خرزاد النجيرمي، راوية نحوي في طبقة أبيه، مات قبل أبيه بما يقارب الثلاثة شهور بمصر، وذلك لسبع خلون من شوال، سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، قال السمعاني في كتاب الأنساب: نجيرم، محلة بالبصرة، إليها ينسب النجيرميون.

باب التاء

تمام بن غالب بن عمرو، يعرف بابن التيان

أبو غالب المرسي الأندلسي. بخط بن يحلم، قال سعد الخير: مرسية بلدة حسنة من بلاد الأندلس، كثيرة التين، يجلب منها إلى سائر البلدان، فلعله نسب إليه لبيع التي.

ذكره الحميدي فقال: كا إماماً في اللغة، وثقة في إيرادها، مذكوراً بالديانة والورع، مات بالمرية في جمادى، سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وله كتاب تلقيح العين في اللغة، لم يؤلف مثله اختصاراً وإكثاراً، وله فيه قصة تدل على فضله، وذلك أن الأمير أبا الجيش، مجاهد بن عبد الله العامري، وهو أحد المتغلبين على تلك النواحي، وجه إلى أبي غالب هذا – أيام غلبته على مرسية وأبو غالب ساكن بها – ألف دينار أندلسية، على أن يزيد في ترجمة هذا الكتاب مما ألفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد. فرد الدنانير ولم يفعل، وقال: والله لو بذل لي ملء الدنيا ما فعلت، ولا استجزت الكذب، فإني لم أجمعه له خاصة، لكن لكل طالب عامة.
قال الحميدي: فاعجب لهمة هذا الرئيس وعلوها واعجب لنفس هذا العالم وزاهتها: وقال أبو القاسم، خلف بن عبد الملك، بن بشكوال الأنصاري الأندلس: في كتاب الصلة من تصنيفه، وهو كتاب وصل به كتاب ابن الفرضي في تاريخ الأندلسيين، قال ابن حبان: وله كتاب جامع في اللغة، سماه تلقيح العين، جم الإفادة، وكان بقية شيوخ اللغة الضابطين لحروفها، الحاذقين بمقاييسها وكان ثقة صدوقاً عفيفاً، وذكر وفاته كما تقدم.

توفيق بن محمد، بن الحسين، بن عبيد الله

ابن محمد، بن زريق، أبو محمد الإطرابلسي النحوي، كان جده محمد بن زريق، يتولى أمر الثغور من قبل الطائع لله، وانتقل ابنه عبيد الله إلى الشام، وولد توفيق بإطرابلس، وسكن دمشق، وكان أديباً فاضلاً، شاعراً، وكان يتهم بقلة الدين، والميل إلى مذاهب الأوائل، ومن شعره:

وجلنار كأعراف الديوك على ... خصر يميس كأذناب الطواويس
مثل العروس تجلت يوم زينتها ... حمراء تجلى على خضر الملاييس
في مجلس لعبت أيدي السرور به ... لدى عريش يحاكي عرش بلقيس
سقى الحيا أربعاً تحيا النفوس بها ... ما بين مقري إلى باب الفراديس
مات في صفر، سنة عشرة وخمسمائة، ودفن بمقبرة باب الفراديس.

باب الثاء

ثابت بن الحسين، بن شراعة

أبو طالب التميمي الأديب، ذكره شيرويه فقال: روى عن ابن سلمة، وابن عيسى وأبي الفضل، محمد ابن عبد الله الرشيدي، ومنصور بن رامش، والريحاني وغيرهم. سمعت منه، وكان صدوقاً. توفي في العشر الأخير من صفر، سنة تسع وستين وأربعمائة.

ثابت بن أبي ثابت، علي بن عبد الله الكوفي

قال الزبيدي: كان من أمثل أصحاب أبي عبيد القاسم بن سلام، وقيل: اسم أبي ثابت سعيد.
وقال النديم: قال السكري: اسم أبي ثابت محمد، لغوي، لقي فصحاء الأعراب، وأخذ عنهم، وهو من كبار الكوفيين. قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب خلق الإنسان، كتاب الفرق: كتاب الزجر والدعاء، كتاب خلق الفرس، كتاب الوحوش، كتاب مختصر العربية، كتاب العروض.

ثابت بن أبي ثابت، عبد العزيز اللغوي

الذي له كتاب خلق الإنسان، من علماء اللغة. يروي عن أبي عبيد القاسم بن سلام، وأبي الحسن علي ابن المغيرة الأثرم، واللحياني، وأبي نصر أحمد بن حاتم، وسلمة بن عاصم التميمي، وأبي عبد الله محمد بن زياد وآخرين، روى عنه أبو الفوارس داود بن محمد، ابن صالح المروزي النحوي، المعروف بصاحب ابن السكيت، وابنه عبد العزيز بن ثابت. واسم أبي ثابت أبيه، عبد العزيز، من أهل العراق، جليل القدر، موثوق به، مقبول القول في اللغة، يعرف بوراق أبي عبيد.

ثابت بن سنان،الصابئ

،

بن ثابت، بن قرة، بن مروان الصابئ،أبو الحسن، الطبيب المؤرخ، مات فيما ذكره هلال ابن المحسن، لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، سنة خمس وستين وثلاثمائة، وكان قد ذكر في تاريخه إلى آخر سنة

ستين، ووصل هلال بن المحسن من أول سنة إحدى وستين وثلاثمائة، وكان أبو الحسن طبيباً حاذقاً، وأديباً بارعاً، وله كتاب التاريخ، الذي ابتدأ به من أول أيام المقتدر، وله كتاب مفرد في أخبار الشام ومصر، مجلد واحد. وقال أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ، يرثي خاله أبا الحس، ثابت بن سنان، ابن ثابت، بن قرة:

أسامع أنت يا من ضمه الجدف ... نشيج باك حزين دمعه يكف
وزفرة من صميم القلب مبعثها ... يكاد منها حجاب الصدر ينكشف

أثابت بن سنان دعوة شهدت ... لربها أنه ذو غلة أسف
ما بال طبك ما يشفي وكنت به ... تشفي العليل إذا ما شفه الدنف
غالتك غول المنايا فاستكنت لها ... وكنت ذائدها والروح تختطف
فارقتني كفراق الكف صاحبها ... أطنها ضارب من زندها نطف
فتت في عضدي يا من غنيت به ... أفت في عضد الباغي وانتصف
ثوى بمغناك في لحد سكنت به ... الدين والعقل والعلياء والشرف
لهفي عليك كريماً في عشيرته ... ممهداً جسمه من عمة ترف
قد أسلموه إلى غبراء يشمله ... فيها التراب فمنها الفرش واللحف

ثابت بن محمد الجرجاني

أبو الفتوح، ذكره الحميدي في كتاب الأندلسيين فقال: دخل إلى الأندلس وجال في أقطارها، وبلغ إلى ثغورها، واجتمع بملوكها، وكان إماماً في العربية، متمكناً في علم العرب.

قال ابن بشكوال: قتل في محرم سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، قتله باديس بن حيوس، أمير صنهاجة، لتهمة لحقته عنده، في القيام عليه مع اب عمه بيدر بن جباسة. ومولده سنة خمسين وثلاثمائة. وكان مع تحققه بالأدب. قيماً بعلم المنطق، ودخل بغداد وأقام بها طالباً، وأملى بالأندلس كتاب شرح الجمل للزجاج. روى ببغداد عن اب جني، وعلي بن عيسى الربعي، وعبد السلام بن الحسين البصري، وروى كثيراً من علم الأدب.

وحدث الحميدي عن أبي محمد علي بن أحمد، عن البراء ابن عبد الملك الباجي قال: لما ورد أبو الفتوح الجرجاني الأندلس، كان أول من لقي من ملوكها، الأمير الموفق أبا الجيش مجاهداً العامري، فأكرمه وبالغ في إكرامه، فسأله عن رفيقه، من هذا معك؟ فقال:

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا ... وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

قال أبو محمد: ثم لقيت بعد ذلك أبا الفتوح، فأخبري عن بعض شيوخه: أن ابن الأعرابي رأى في مجلسه رجلي يتحادثان، فقال لأحدهما: من أين أنت؟ فقال: من إسبيجاب، وقال للآخر: من أين أنت؟ فقال: من الأندلس، فعجب ابن الأعرابي، فأنشد البيت المقدم، ثم أنشدني تمامها:

نزلت على قيسية يمنية ... لها نسب في الصالحي هجان

فقالت وأرخت حانب الستر دوننا ... لأية أرض أم من الرجلان؟
فقلتُ لها: أما رفيقي فومه ... تميم وأما أسرتي فيماني
رفيقان شتى ألف الدهر بيننا ... وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

أبو ثروان العكلي

أحد بني عكل، وعكل: اسم امرأة حضنت ولد عوف بن وائل، بن قيس، بن عوف، بن عبد مناف، ابن أد، بن طابخة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان. وهي أمة لهم، وأمهم بنت ذي اللحية ابن حمير، وكان ثطاً فسمي بضد صفته، وبنو عوف ابن وائل: الحارث، وجشم، وسعد، وعلي، وقيس درج ولا عقب له، فكل من ولده واحد من هؤلاء، كان عكلياً. وكان أبو ثروا أعرابياً بدوياً، تعلم في البادية لدى، ذكره يعقوب بن السكيت، ووجد بخطه، وكان فصيحاً. قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب خلق الفرس، كتاب معاني الشعر.

باب الجيم

جبر بن علي، بن عيسى

،
ابن الفرج، بن صالح، أبو البركات الربعي الزهيري، ووالده أبو الحسن علي بن عيسى، هو النحوي المشهور، صاحب أبي علي الفارسي، وكان أبو البركات هذا، أحد الأدباء البلغاء الفصحاء.
قال محمد بن عبد الملك الهمذاني، كان ينوب عن الوزراء ببغداد، وله اليد الطولى في الكتابة، وجن في شبيبته، فكان يتعمم بجبل البئر، وادعى النبوة في ذلك الوقت، وعولج حتى برأ. وللبصروي وغيره فيه مدائح. ومات في سنة تسع وأربعي وأربعمائة.

جعفر بن أحمد المروزي

أبو العباس، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو أحد جماعي ومؤلفي الكتب، في أنواع من العلم، وكتبه كثيرة جداً، وهو أول من ألف كتاباً في المسالك والممالك، ولم يتم. مات بأهواز وحملت كتبه إلى بغداد، وبيعت في طاق الحراني سنة أربع وسبعين ومائتين. فمن كتبه: كتاب المسالك والممالك، كتاب الآداب الكبير، كتاب الآداب الصغير، كتاب الناجم، كتاب تاريخ القرآن لتأييد كتب السلطان، كتاب البلاغة والخطابة.

جعفر بن أحمد، بن عبد الملك، بن مروان

اللغوي، أبو مروان الإشبيلي، يعرف بابن الغاسلة، روى عن القاضي أبي بكر بن زرب، وأبي عو ابنه، والمعيطي، والزبيدي، وكان بارعاً في الأدب واللغة، ومعاني الشعر والخبر، ذا حظ من علم السنة. توفي سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة، ومولده سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

جعفر بن أحمد،السراج

بن الحسين، بن أحمد، بن جعفر السراج أبو محمد القارئ البغدادي، سمع أبا علي بن شاذان، وأبا القاسم بن شاهين، وأبا محمد الخلال، وأبا الفتح بن شيطا، وأبا الحسي التوزي، وأبا القاسم التنوخي.
قال ابن عساكر: قرأت بخط غيث بن علي الصوري: جعفر بن أحمد بن الحسين، ذو طريقة جميلة، ومحبة للعلم والأدب، وله شعر لابأس به، وخرج له شيخنا الخطيب فوائد، وتكلم عليها في خمسة أجزاء، وكان يسافر إلى مصر وغيرها، وتردد إلى صور عدة دفعات، ثم قطن بها زماناً، وعاد إلى بغداد، وأقام بها إلى أن توفي. كتب عنه ولم يكن به بأس. وله تصانيف: منها مصارع العشاق، كتاب زهد السودان. ونظم أشعاراً كثيرة في الزهد، والفقه، وغير ذلك.
قال الصوري: قال لي: ولدت سنة تسع عشرة وأربعمائة، وسمعت الحديث، ولي خمس سنين. وقرأت بخط أبي المعمر الأنصاري: توفي جعفر السراج، في حادي عشر من صفر، سنة خمسمائة، ودفن بمقبرة باب أبرز، وكان ثقة. وقال السمعاني: مولده سنة سبع عشرة، أو ست عشرة. ومن شعره:

أفلح عبد عصى هواه ... وفاق في دينه وكاسا
ولم يرح مدمناً لخمر ... ينهل طاساً ويعل كاسا

ومن شعره:

يا من إذا ما رضيته حكماً ... جار عليا في حكمه وسطا
قد مدح الله أمة جعلت ... في محكم الذكر أمة وسطا

وقال جعفر بن أحمد السراج نقلاً من كتاب الخريدة:

قضت وطراً من أرض نجد وأمت ... عقيق الحمى مرخىً لها في الأزمة
وخبرها الرواد أن لحاجر ... حياً نورت منه الرياض فحنت
ولاح لها برق من الغور موهناً ... كشعلة نار للطوارق شبت
فميلن بالأعناق عند وميضه ... تراقص في أرسانها واستمرت
وغنى لها الحادي فأذكرها الحمى ... وأيامها فيه وساعات وجرة
وقد شركتني في الحنين ركائبي ... وزدن علينا رة بعد رنة
أقول لركب مجهشين تطوحوا ... وعز بهم ماء ردوا ماء عبرتي
ألا ليت شعري هل تعود رواجعاً ... ليالي لاصبا من بعد ما قد تولت

قرأت بخط الحسن بن جعفر، بن عبد الصمد، بن المتوكل في كتابه: حدثني الشيخ أبو الفضائل بن الخاضبة قال: دخل الشيخ أبو سعد بن أبي عمامة الواعظ، إلى المسجد المعلق، مقابل دار الخلافة، وكان فيه الشيخ

أبو محمد بن السراج ليسلم عليه، فالتقاه الشيخ أبو بكر بالرحب والسعة، وتعانقا، وجلسا يتذاكران، فجاء الشيخ أبو نصر الأصبهاني، فصعد إليهما، وقد كان في الحمام، فكشف رأسه، وقعد يستريح من كرب الحمام، فقال له الشيخ أبو محمد: غط رأسك لا ينالك الهوى، فتتأذى، فقال الشيخ أبو سعد: لعله يجد فيه راحة.

أنبأنا أبو محمد عبد العزيز بن الأخضر شيخنا – رحمه الله – قال: سمعت أبا الكرم المبارك بن الحسن، ابن الشهرزوري المقرئ يقول: كنت أقرأ على أبي محمد جعفر، بن محمد السراج، وأسمع منه، فضاق صدري منه لحاله، فانقطعت عنه، ثم ندمت وقلت: يفوتني منه بانقطاعي عنه فوائد كثيرة، فقصيدته في مسجده المعلق، الحاذي لباب النوبي، فلما وقع نظره علي، رحب بي وأنشدني لنفسه:

وعدت بأن تزوري بعد شهر ... فزوري قد تقضى الشهر زوري

وموعد بيننا نهر المعلى ... إلى البلد المسمى شهر زور

فأشهر صدك المختوم حق ... ولكن شهر وصلك شهر زور

ومن شعره:

دع الدمع بالوكف ينكى الخدودا ... فإن الأحبة أضحوا خمودا

دعا بهم هاتف الحادثات ... فبدلهم بالقصور اللحودا

دنت منهم نوب للردى ... فأفنت ضعيفهم والشديدا

دموع يكفكفهن الأسى ... عليهم غزار تروى الصعيدا

دجاهم وصبحهم واحد ... وقد مزق الدود منهم جلودا

وجعل كتاب مصارع العشاق أجزاء، وكتب على كل جزء أبياتاً من قوله، فكان على الجزء الأول:

هذا كتاب مصارع العشاق ... صرعتهم أيدي نوى وفراق

تصنيف من لدغ الفراق فؤاده ... وتطلب الراقي فعز الراقي

وأنشد له السمعاني في المزيد:

حبذا طيف سليمى إذ طوى ... حذر الواشي السري من ذي طوى

وأتى الحي طروقاً وهم ... بين أجزاع زرود فاللوى

بت أشكو ما ألاقيه إلى ... طيفها الطارق من مس الجوى

أشكر الأحلام لما جمعت ... بيننا وهناً على رغم النوى

أيها العاذل دعني والهوى ... ليس مشغول وخال بالسوى

وأنشد له:

حبذا نجد بلاداً لم نجد ... راحة للقلب في أرض سواها

فإذا ما لاح منها بارق ... هاج أشواقي أو هبت صباها

لست أنسى إذ سليمى جارة ... تبذل الود وتصفينا هواها

ثم لما شطت الدار بها ... ورماها البين من حيث رماها
أرسلت طيف كرىً لكنه ... زارنا والعين قد زال كراها
ومن شعره أيضاً:
وقفنا وقد شطت بأحبابنا النوى ... على الدار نبكيها سقي ربعها المز
وزادت دموع الواكفين برسمها ... فلو أرسلت سفن بها جرت السف
ولم يبق صبر يستعان على النوى ... به بعد توديع الخليط ولا جفن
سألنا الصبا لما رأينا غرامنا ... يزيد بسكان الحمى والهوى يدنو
أفيك لحمل الشوق يا ريح موضع ... فقد ضعفت عن حمل أشواقنا البدنُ

جعفر بن إسماعيل، بن القاسم القالي

هو ولد أبي علي القالي الذي تقدم ذكره، وأبو علي والده. هو صاحب الأمالي وغيرها من التصانيف المشهورة، وكان جعفر هذا أيضاً، أديباً فاضلاً أريباً، وهو القائل في المنصور محمد بن أبي عامر، أمير الأندلس يمدحه:
وكتيبة للشيب جاءت تبتغي ... قتل الشباب ففر كالمذعور
فكأن هذا جيش كل مثلث ... وكأن تلك كتيبة المنصور

جعفر بن الفضل، بن جعفر

،

بن محمد، بن موسى ابن الحسن، بن الفرات، أبو الفضل المعروف بابن حنزابة، وحنزابة اسم أمهم، كانت جارية، وكانت حنزابة حماة المحسن بن الفرات بمصر، وكان وزيراً فاضلاً بارعاً كاملاً، وزر بمصر لأنوجور بن أبي بكر الأخسيد، ثم لأخيه أبي الحسن علي، ثم لكافور إلى أن انقضت دولة الأخشيدية، وإليه رحل أبو الحسن الدارقطني، حتى صنف له ما صنف في مصر. مات في سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة، ومولده سنة ثمان وثلاثمائة.
وفي تاريخ أبي محمد أحمد بن الحسين، بن أحمد، ابن أحمد، بن محمد، بن عبد الرحمن الروذباري: أن ابن حنزابة، مات في ثالث عشر من صفر، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة، في أيام الحاكم، وفي سنة تسع وتسعين، قتل الحاكم ابنه أبا الحسين بن جعفر، بن الفضل، بن الفرات، وكان يلقب بسيدوك. وفي سنة خمس وأربعمائة، ولي وزارة الحاكم أبو العباس، الفضل ابن جعفر بن الفضل، بن الفرات ابنه الآخر، وضمن ما لم يعرفه، فقتل بعد خمسة أيام من ولايته.
ويروى لأبي الفضل جعفر هذان البيتان، ولا يعرف له شعر غيره:

من أجل النفس أحياها وروحها ... ولم يبت طاوياً منها على ضجر
إن الرياح إذا اشتدت عواصفها ... فليس ترمي سوى العالي من الشجر

قال يحيى بن مندة: قدم أبو الفضل بن حنزابة أصفهان، وسمع من عبد الله بن محمد، بن عبد الكريم، ومحمد بن حمزة بن عمارة، والحسن بن محمد الداركي، وسمع ببغداد، من محمد بن هارون الحصري، ومن في طبقته. وهو أحد الحفاظ حسن العقل، كثير السماع، مائل إلى أهل العلم والفضل، نزل مصر، وتقلد الوزارة لأميرها كافور، وكان أبوه وزير المقتدر بالله. وبلغني أنه كان يذكر أنه سمع من عبد الله بن محمد البغوي مجلساً، ولم يك عنده. وكان يقول: من جاءني به أغنيته، وكان عالي الحديث بمصر، وإليه خرج أبو الحسن الدارقطني إلى هناك، لأنه يريد أن يصنف مسنداً، فخرج الدارقطني إليه، وأقام عنده مدة فصنف له المسند، وحصل له من جهته مال كثير.
وروى عنه الدارقطني في كتاب المذبح، قال ابن مندة: سمعت أبا القاسم، إسماعيل بن مسعدة الجرجاني قال: قال حمزة بن يوسف السهمي: سألت أبا الحسن علي ب عمر الحافظ الدارقطي، عن محمد بن محمد، بن سليمان الباغندي، فحكى عن الوزير أبي الفضل بن الفرات، المعروف بابن حنزابة حكاية، قال الشيخ حمزة: ثم دخلت مصر، وسألت الوزير أبا الفضل جعفر بن الفضل عن الباغندي، وحكيت له ما كنت سمعته من الدارقطني، فقال لي الوزير: لحقت الباغندي محمد بن محمد بن سليمان، وأنا ابن خمس سنين، ولم أكن سمعت منه شيئاً، وكان للوزير الماضي – رحمه الله – حجرتان، إحداهما للباغندي، يجيئه يوماً ويقرأ له، والأخرى لليزيدي.
قال أبو الفضل: سمعت أبي – رحمه الله – يقول: كنت يوماً مع الباغندي في الحجرة، يقرأ لي كتب أبي بكر بن أبي شيبة، فقام الباغندي إلى الطهارة، فمددت يدي إلى جزء معه من حديث أبي بكر، فإذا على ظهره مكتوب مربع ولا باقي محكوك، فرجع الباغندي فرأى الجزء في يدي فتغير وجهه. وسألته وقلت: إيش هذا؟ مربع؟ فتغير إذ ذاك ولم أفطن له، لأني أول من كنت دخلت في كتبة الحديث، ثم سألت عنه، فإذا الكتاب لمحمد بن إبراهيم، بن مربع، سمعه من أبي بكر بن أبي شيبة.
قرأت في تاريخ لابن زولاق الحسن بن إبراهيم، في أخبار سيبويه الموسوس قال: ورأى سيبويه جعفر ابن الفضل ب الفرات بعد موت كافور، وقد ركب في موكب عظيم. فقال: ما بال أبي الفضل قد جمع كتابه، ولفق أصحابه، وحشد بين يديه حجابه، وشمم أنفه، وساق العساكر خلفه، أبلغه أن الإسلام طرق؟ أو أن ركن الكعبة سرق؟ فقال له رجل: هو اليوم صاحب الأمر، ومدبر الدولة. فقال: يا عجباً، أليس بالأمس نهب الأتراك داره؟ ود كد كوا آثاره، وأظهروا عواره، وهم اليوم يدعونه وزيراً، ثم قد صيروه أميراً. ما عجبي منهم كيف نصبوه، بل عجبي كيف تولى أمر عدوهم ورضوه.
قال الحافظ أبو القاسم: ذكر بعض أهل العلم، وأظنه محمد بن أبي نصر الحميدي: أن الوزير أبا الفضل بن حنزابة حدث بمصر، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، مجالس إملاء خرجها الدارقطني، وعبد الغني ابن سعيد، وكانا كاتبيه ومخرجيه، وكان كثير الحديث، جم السماع، مكرماً لأهل العلم، مطعماً لأهل الحديث،

استجلب الدارقطني من بغداد وبر إليه، وخرج له المسند، وقد رأيت عند أبي إسحاق الجباني من الأجزاء التي خرجت له جملة كثيرة جداً، وفي بعضها الموفى ألفاً من مسند كذا، والموفى خمسمائة من مسند كذا، وهكذا هي سائر المسندات. وقد أعطى الدارقطني مالاً كثيراً، وأنفق عليه نفقة واسعة، ولم يزل في أيام عمره يصنع شيئاً من المعروف عظيماً، ويفق نفقات كثيرة على أهل الحرمين، من أصناف الأشراف وغيرهم، إلى أن تم له أن اشترى بالمدينة داراً إلى جانب المسجد، من أقرب الدور إلى القبر، ليس بينها وبين القبر إلا حائط وطريق في المسجد، وأوصى أن يدفن فيها، وقرر عند الأشراف ذلك، فسمحوا له بذلك، وأجابوه إليه. فلما مات حمل تابوته من مصر إلى الحرمين، فخرجت الأشراف من مكة والمدينة لتلقيه والنيابة في حمله، إلى أن حجوا به، وطافوا ووقفوا بعرفة، ثم ردوه إلى المدينة، ودفنوه في الدار التي أعدها لذلك.

قرأت بخط الشريف النسابة، محمد بن أسعد بن علي الجواني المعروف بابن النحوي، كان الوزير جعفر بن الفضل بن الفرات، المعروف بابن حنزابة، يهوى النظر إلى الحشرات من الأفاعي، والحيات والعقارب، وأم أربعة وأربعين، وما يجري هذا المجرى وكان في داره التي تقابل دار الشنتكاني ومسجد ورشٍ. – وكانت للماذرائي قبل ذلك – قاعة لطيفة مرخمة، فيها سلل الحيات، ولها قيم فراش حاو من الحواة، ومعه مستخدمون برسم الخدمة، ونقل السلل وحطها، وكان كل حاو في مصر وأعمالها يصيد له ما يقدر عليه من الحيات، ويتباهون في ذوات العجب من أجناسها، وفي الكبار وفي الغريبة المنظر، وكان الوزير يثيبهم في ذلك أوفى الثواب، ويبذل لهم الجزيل حتى يجتهدوا في تحصيلها، وكان له وقت يجلس فيه على دكة مرتفعة، ويدخل المستخدمون والحواة، فيخرجون ما في السلل ويطرحونه في ذلك الرخام، ويحرشون بين الهوام، وهو يتعجب من ذلك ويستحسنه.

فلما كان ذات يوم، أنفذ رقعة إلى الشيخ الجليل ابن المدبر الكاتب، وكان من أعيان كتاب آبائه ودولته، وكان عزيزاً عنده، وكان يسكن في جوار دار ابن الفرات، يقول له فيها: نشعر الشيخ الجليل، – أدام الله سلامته –، أنه لما كان البارحة، وعرض علينا الحواة الحشرات، الجاري بها العادات، انساب إلى داره منها الحية البتراء، وذات القرنين الكبرى، والعقربان الكبير وأبو صوفة، وما حصلوا لنا إلا بعد عناء ومشقة، وبجملة بذلناها للحواة، ونحن نأمر الشيخ – وفقه الله تعالى – بالتوقيع إلى حاشيته وصبيته، بصو ما وجد منها، إلى أن ننفذ الحواة لأخذها وردها إلى سللها، فلما وقف ابن المدبر على الرقعة قلبها وكتب في ذيلها: أتاني أمر سيدنا الوزير – أدام الله نعمته وحرس مدته – بما أشار إليه في أمر الحشرات، والذي يعتمد عليه في ذلك، أن الطلاق يلزمه ثلاثاً إن بات هو أو واحد من أولاده في الدار، والسلام.

أنشدني أبو بكر بن عبد البر القيرواني التميمي، لصالح بن مؤنس المصري، يمدح بعض آل الفرات:

قد مر عيد وعيد ... ما اخضر لي فيه عود

وكيف يخضر عود ... والماء منه بعيد

يا من له عدد المج ... د كلها والعديد

آل الفرات نداهم ... على الفرات يزيد

وأنت فضلك فيهم ... عليك منه شهود
وكل يوم لغيري ... من راحتيك مديد
هل لي إلى الرزق ذنب ... فكان منه صدود
ما الناس إلا شقي ... في دهرنا وسعيد

قال ابن الأكفاني: أنبأنا أبو محمد عبد الله بن الحسين بن النحاس، حدثنا أبو محمد عبد الله بن يوسف ابن نصر من لفظه قال: حضرت عند أبي الحسين المهلبي في داره بالقاهرة فقال لي: كنت منذ أيام حاضراً دار الوزير، يعني أبا الفرج بن كلس، فدخل عليه أبو العباس، الفضل بن أبي الفضل، الوزير ابن حنزابة، وكان قد زوجه ابنته، وأكرمه وأجله، فقال له: يا أبا العباس يا سيدي، ما أنا بأرجل من أبيك، ولا بأعلم ولا بأفضل، وزاد في وصفه وإكرامه، ثم قال: أتدري ما أقعد أباك خلف الباب؟ شيل أنفه، وأخرج يده فعلا بها رأسه، وشال أنفه إلى فوق وقال له: بالله يا أبا العباس لا تشل أنفك، تدري ما الإقبال؟ نشاط وتواضع، تدري ما الإدبار؟ كسل وترافع.

قرأت فيما جمعه أبو علي صالح بن رشد قال: كان أبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير، قد خرج إلى بستانه بالمقس فكتب إليه أبو صر بن كشاجم على تفاحة بماء الذهب وأنفذها إليه:

إذا الوزير تخلى ... للنيل في الأوقات
فقد أتاه سمي ... اه جعفر بن الفرات

قال محمد بن طاهر المقدسي: سمعت أبا إسحاق الحبال يقول: لما قصد هؤلاء مصر وزولا قريباً منها، لم يبق أحد من الدولة العباسية، إلا خرج للاستقبال والخدمة، غير الوزير أبي الفضل بن حنزابة فإنه لم يخرج، فلما كان في الليلة التي صبيحتها الدخول، اجتمع إليه مشايخ البلد، وعاتبوه في فعله. وقيل له: إنك تغري بدماء أهل السنة، ويجعلو تأخرك عنهم سبباً للانتقام. قال: الآن أخرج فخرج للسلام، فلما دخل عليه أكرمه وبجله، وأجلسه وفي قلبه شيء، وكان إلى جنبه ابنه وولي عهده، وغفل الوزير عن التسليم عليه، فأراد أن يمتحنه بسبب يكون إلى الوقيعة به. فقال له: حج الشيخ؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال: وزرت الشيخين؟ فقال: شغلت بالنبي صلى الله عليه وسلم عنهما، كما شغلت بأمير المؤمنين عن ولي عهده، السلام عليك يا ولي عهد المسلمين ورحمة الله وبركاته. فأعجب من فطنته، وتداركه ما أغفله، وعرض عليه الوزارة فامتنع. فقال: إذا لم تل لنا شغلاً فيجب ألا تخرج عن بلادنا، فإنا لا نستغني أن يكون في دولتنا مثلك، فأقام بها ولم يرجع إلى بغداد.

قال: وسمعت أبا إسحاق الحبال يقول: كان يعمل للوزير أبي الفضل الكاغد بسمرقند، ويحمل إليه إلى مصر في كل سنة، وكان في خزانته عدة من الوراقين، فاستعفى بعضهم، فأمر بأن يحاسب ويصرف، فكمل عليه مائة دينار، فعاد إلى الوراقة، وترك ما كان عزم عليه من الاستعفاء..

قال: وسمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال يقول: خرج أبو صر السجزي الحافظ على أكثر من مائة شيخ، لم يبق منهم غيري، وكان قد خرج له عشرين جزءاً في وقت الطلب، وكتبها في كاغد عتيق فسألت

الحبال عن الكاغد، فقال: هذا من الكاغد الذي كان يحمل للوزير من سمرقند، وقعت إلي من كتبه قطعة، فكنت إذا رأيت فيها ورقة بيضاء قطعتها إلى أن اجتمع هذا، فكتبت فيه هذه الفوائد.

جعفر بن قدامة، بن زياد الكاتب

أبو القاسم، ذكره الخطيب فقال: هو أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم، وكان وافر الأدب، حس المعرفة. وله مصنفات في صنعة الكتابة وغيرها، حدث عن أبي العيناء الضرير، وحماد بن إسحاق الموصلي، والمبرد، ومحمد ابن عبد الله بن مالك الخزاعي، ونحوهم. روى عنه أبو الفرج الأصفهاني.

ونقلت من خط أبي سعيد مع بن خلف البستي، مستوفي بيت الزرد والفرش السلطاني الملكشاهي، بتولية نظام الملك قال: قال جعفر بن قدامة الكاتب:

استمع بالله يا ابن ال ... ملك والنجدة مني

يومنا في الحسن والبه ... جة قد جاز التمي

فأزري نفسك الح ... رة أولا فاستزرني

ومن خطه قال: نقلت من خط عبد الرحمن بن عيسى الوزير لجعفر بن قدامة:

كيف يخفى وإن أتاني نهاراً ... كسف الشمس بالجمال البهي

فكلا حالتيه يفضح سري ... وينادي بكل أمر خفي

بأبي أحسن الأنام جميعاً ... تاه عقلي به وحق النبي

وقال أبو محمد عبيد الله بن أبي القاسم، عبد المجيد ابن بشران الأهوازي في تاريخه: مات أبو القاسم جعفر ابن قدامة، بن زياد يوم الثلاثاء، لثمان بقين من جمادى الآخرة، سنة تسع عشرة وثلاثمائة. قال ابن بشران: وفي سنة عشرة وثلاثمائة، أخرج علي بن عيسى الوزير إلى اليمن منفياً، فقال أبو القاسم، جعفر بن قدامة الكاتب في ذلك:

أصبح الملك واهي الأرجاء ... وأمور الورى بغير استواء

منذ نادت نوى علي بن عيسى ... واستمرت به إلى صنعاء

فوحق الذي يميت ويحيي ... وهو الله مالك الأشياء

لقد اختل بعده كل أمر ... واستبانت كآبة الأعداء

ثم صاروا بعد العداوة والل ... ه جميعاً في صورة الأولياء

يتألون كلهم في علي ... إنه قد خلا من النظراء

ومن شعره أيضاً:

تسمع مت قبلك بعض قولي ... ولا تتسلل مني لواذا

إذا أسقمت بالهجران جسمي ... ومت بغصتي فيكون ماذا؟

ومن كتاب الوزراء لهلال ب المحسن: ولجعفر بن قدامة يمدح ابن الفرات:

يا ابن الفرات ويا كري ... م الخيم محمود الفعال
ضيعت بعدك واطرح ... ت وبان للناس اختلالي

وتغيرت مذ غيرت ... أحوالك الأيام حالي
لهفاً أبا حس على ... أيامك الغر الخوالي
لهفاً عليها إنها ... بليت بأحوال بوالي

قرأت في كتاب المحاضرات لأبي حيان قال: وقلت للعروضي: أراك منخرطاً في سلك ابن قدامة، ومنصباً إليه، ومتوفراً عليه، وكيف يتفق بينكما، وكيف تأتلفان ولا تختلفان. فقال: إعلم أن الزمان وقت الاعتدال، والرجل كما تعرف على غاية البرد والغثاثة، وخساسة الطبع، وأنا كما تعرفني وتثبتني، فاعتدلنا إلى أن يتغير الزمان، ثم نفترق ونختلف ولا نتفق. وأنشأ يقول:

وصاحب أصبح من برده ... كالماء في كانون أو في شباط
ندمائه من ضيق أخلاقه ... كطأنهم في مثل سم الخياط
نادمته يوماً فألفيته ... متصل الصمت قليل النشاط
حتى لقد أوهمني أنه ... بعض التماثيل التي في البساط

جعفر بن محمد، بن أحمد، بن حذار

الكاتب أبو القاسم، ذكره الصولي في كتاب أخبار شعراء مصر قال: لم يك بمصر مثله في وقته، كثير الشعر حسن البلاغة عالم، له ديوان شعر، ومكاتبات كثيرة حسنة.

قال: وكان العباس بن أحمد بن طولو، قد خرج على أبيه في نواحي برقة، عند غيبة أبيه بالشام، وتابعه أكثر الناس، ثم غدر به قوم، وخرج عليه آخرون من نواحي القيروان، فظفر به أبوه، وكان جعفر بن حذار وزير العباس وصاحب أمره. قال ابن زولاق مؤرخ مصر: قبض على العباس بنواحي الإسكندرية، وأدخل إلى الفسطاط على قتب على بغل مقيداً، في سنة سبع وستين ومائتين، ونصب لكتابه ومن خرج بهم إلى ما خرج إليه دكة عظيمة رفيعة السمك، في يوم الأربعاء، لا أعرف موقعه من الشهر، وجلس أحمد بن طولو في علو يوازيها، وشرع من ذلك العلو إليها طريقاً، وكان العباس قائماً بين يدي أبيه في خفخاف ملحم وعمامة وخف، وبيده سيف مشهور، فضرب ابن حذار ثلاثمائة سوط، وتقدم إليه البعاس فقطع يديه ورجليه من خلاف، وألقي من الدكة إلى الأرض، وفعل مثل ذلك بالمتوف وبأبي معشر، واقتصر بغيرهم على ضرب السوط. فلم تمض أيام حتى ماتوا.

وقال لاصولي: مثل أحمد بن طولون بابن حذار لما قتله. يروى أنه تولى قطع يديه ورجليه بيده. ومن شعر ابن حذار إلى صديق له من أبيات:

يا كسروياً في القدي ... م وهاشمياً في الولاء
يا ابن المقفع في البيا ... ن ويا إياساً في الذكاء

يا ناظراً في المشكلا ... ت المعضلات ويا ضيائي
إيهاً، جعلت فداك في ... م طويتني طي الرداء
وتركتني بين الحجا ... ب أعوم في بحر الجفاء
ورغبت عما كنت تر ... غب فيه من لطف الإخاء
من بعد أني كنت عن ... دك وابن أمك بالسواء
فوحق كفك إنها ... كف كأخلاف السماء
لأخلينك والهوى ... ولأصبرن عن اللقاء
ولأشكونك ما استطع ... ت إلى حفاظك والوفاء
ولأصبر على رق ... يك في ذرى درج العلاء
فهناك أجني ما غرس ... ت إليك من ثمر الرجاء

ومن شعره أيضاً:

جاءت بوجه كأنه قمر ... على قوام كأ،ه غصن
ترنو بعين إذا تعاينها ... حسبت أن في جفونها وسن
حتى إذا ما استوت بمجلسها ... وصار فيه من حسنها وثن
غنت فلم يبق في جارحة ... إلا تمنيت أها أذن

ومن شعره أيضاً:

زارني زور ثكلتهم ... وأصيبوا حيثما سلكوا
أكلوا حتى إذا شبعوا ... حملوا الفضل الذي تركوا

جعفر بن محمد،الأخباري

بن الأزهر، ابن عيسى الأخباري أحد أصحاب السير، ومن عني بجمع الأخبار والتواريخ. مات سنة تسع وسبعين ومائتين. ومولده سنة مائتين، سمع من ابن الأعرابي وطبقته، وله من الكتب: كتاب التاريخ على السنين، وهو من جيد الكتب، ذكر ذلك محمد بن إسحاق.

جعفر بن محمد، بن خالد، بن ثوابة

أبو الحسين الكاتب، أحد البلغاء الفصحاء، قال أبو علي: حدثني أبو الحسين بن قيراط قال: حدثني أبو الحسن الإيادي الكاتب، صديق الكرخيين، قال أبو محمد عبد الوهاب، بن الحسن، بن عبيد الله، بن سليمان ابن وهب، وعبيد الله بن سليمان، هما الوزيران قال: كان إلى والدي الحسن بن عبيد الله ديوان الرسائل، وديوان المعاون وجملة الدواوين التي كانت إليه في أيام وزارة أبيه للمعتضد فأمر عبيد الله ابنه، أن يستخلف أبا الحسين ابن ثوابة على ديوان الرسائل، وديوان المعاون، فصار كالمتقلد له من قبل الوزير، لكثرة

استخدامه له فيه، ثم مات أبي، فأقره جدي الوزير عبد الله على الديوان رياسة، وبقي عليهم يتوارثونه، مرة رياسة ومرة خلافة، إلى أن تسلمه الصابئ أبو إسحاق من ابن ابنه أحمد.

وكتب جعفر بن محمد هذا، رقعة إلى عبيد الله بن سليمان الوزير في نسختها: قد فتحت للمظلوم بابك، ورفعت عنه حجابك، فأا أحاكم الأيام إلى عدلك، وأشكو صرفها إلى عطفك، وأستجير من لؤم غلبتها بكرم قدرتك، فإنها توخرني إذا قدمت، وتحرمني إذا قسمت، فإن أعطت أعطت يسيراً، وإن ارتجعت ارتجعت كثيراً، ولم أشكها إلى أحد قبلك، ولا أعددت لإنصافها إلا فضلك، ودفع زمام المسألة وحق الظلامة حق التأميل، وقدم صدق الموالاة والمحبة، والذي يملأ يدي من النصفة، ويسبغ العدل علي، حتى تكون إلي محسناً، وأكون بك للأيام معدياً، أن تخلطني بخواص خدمك، الذين نقلتهم من حال الفراغ إلى الشغل ومن الخمول إلى النباهة والذكر، فإن رأيت أن تعديني فقد استعديت، وتجبرني فقد عذت بك، وتوسع علي كنفك، فقد أويت إليه، وتشملني بإحسانك، فقد عولت عليه، وتستعمل بدني ولساني فيما يصلحان لخدمتك فيه، فقد درست كتب أسلافك، وهم الأئمة في البيان، واستضأت برأيهم، واقتفيت آثارهم اقتفاء جعلني بين وحشي كلام وأنيسه، ووقفني منه على جادة متوسطة، يرجع غليها الغالي، ويسمو نحوها المقصر، فعلت إن شاء الله تعالى، فكانت هذه الرقعة سبب استخلافه لأبي.

جعفر بن محمد، بن حمدان الموصلي

،

أبو القاسم لافقيه الشافعي، ذكره محمد بن إسحاق فقال: هو حسن التأليف، عجيب التصنيف، شاعر أديب فاضل، ناقد للشعر، كثير لارواية، مات سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة أربعين ومائتين. له عدة كتب في الفقه على مذهب الشافعي. فأما كتبه في الأدب فهي: كتاب الباهر في أشعار المحدثين، عارض به الروضة للمبرد، كتاب الشعر والشعراء لم يتم، ولو تم لكان غاية في معناه، كتاب السرقات لم يتم أيضاً، وهو كتاب جيد في معناه، كتاب محاس أشعار المحدثين لطيف.

قال أبو عبد الله الخالع: كان أبو القاسم، جعفر بن محمد، بن حمدان الموصلي، ممن عمر طويلاً، وكانت بينه وبين البحتري مراسلة، ورثاه بعد وفاته. ومدح القاسم ابن عبيد الله، وأدرك أبا العباس النامي، وتكاتبا بالشعر.

وقال أبو علي بن أبي الزمزام: كان ابن حمدان كبير المحل من أهل الرياسات بالموصل، ولم يكن بها في وقته من ينظر إليه، ويفضل في العلوم سواه، متقدماً في الفقه، معروفاً به، قوياً في النحو فيما يكتبه، عارفاً بالكلام والجدل مبرزاً فيه، حافظاً لكتب اللغة، راوية للأخبار، بصيراً بالنجوم، عالماً مطلعاً على علوم الأوائل، عالي الطبقة فيها، وكان صديقاً لكل وزراء عصره، مداحاً لهم، آنساً بالمبرد وثعلب وأمثالهما، من علماء الوقت، مفضلاً عندهم، وكانت له ببلده دار علم قد جعل فيها خزانة كتب من جميع العلوم، وقفاً على كل طالب للعلم، لا يمنع أحد من دخولها إذا جاءها غريب يطلب الأدب، وإن كان معسراً أعطاه ورقاً وورقاً. تفتح في كل يوم، ويجلس فيها إذا عاد من ركوبه، ويجتمع إليه الناس فيملي عليهم من شعره وشعر غيره

ومصنفاته، مثل الباهر وغيره من مصنفاته الحسان، ثم يملي من حفظه من الحكايات المستطابة، وشيئاً من النوادر المؤلفة، وطرفاً من الفقه وما يتعلق به.

وكان جماعة من أهل الموصل حسدوه على محله وجاهه عند الخلفاء والوزراء والعلماء، وكان قد جحد بعض أولاده وزعم أ،ه ليس منه، فعاندوه بسببه، وزعموا أنه نفاه ظلماً، واجتهدوا أن يلحقوه به، فما تم لهم، فاجتمعوا وكتبوا فيه محضراً، وشهدوا عليه فيه بكل قبيح عظيم، ونفوه عن الموصل، فانحدر هارباً منهم إلى مدينة السلام، ومدح المعتضد بقصيدة يشكو فيها ما اله منهم، ويصف ما يحسنه من العلوم، ويستشهد بثعلب والمبرد وغيرهما. أولها:

أجدك ما يفك طيفك سارياً ... مع الليل مجتاباً إليا الفيافيا
يذكرنا عهد الحمى وزماننا ... بنعمان والأيام تعطي الأمانيا
ليالي مغنى آل ليلى على الحمى ... ونعمان غاد بالأوانس غانيا
وعهد الصبي منهن فينان مورق ... ظليل الضحى من حائط اللهو دانيا
قريب المدى نائي الجوى داني الهوى ... على ما يشاء المستهام مؤاتيا
حلفت بأخياف المخيم من منى ... ومن حل جمعاً والرعان المتاليا
وبالركب يأتمون بطحاء مكة ... على أركب تحكى القسى حوافيا
طواهن طي البيد في غلس الدجى ... ونشر الفيافي والفيافي كما هيا
ولو أني أبشت ما بي من الجوى ... شماريخ رضوى أو شمام رثى ليا
وإن أطو ما تطوي الجوانح من هوى ... عن الناس تخبرهم بحالي حاليا
أأدخل تحت الضيم والبيد والسرى ... وأيدي المطايا الناعجات عتاديا؟
سأخرج من جلباب كل ملمة ... خروج المعلى والمنيح ورائيا
إذا أنا قابلت الإمام مناجياً ... له بالذي من ريب دهري عنانيا
رميت بآمالي إلى الملك الذي ... أذلت ماسعيه الأسود الضواريا
وما هي إلا روحة وادلاجة ... تنيل الأماني أو تقيم البواكيا
ولي في أمير المؤمنين مدائح ... ملأت بها الآفاق حسن ثنائيا
وأمت بي الآمال لا طالباً جدىً ... ولا شاكياً إنفاض حالي ومالياً
ولكنني أشكو عدواً مسلطاً ... على عداني بغيه عن مجاليا
أيا ابن الولاة الوارثين محمدا ... خلافته دون الموالي مواليا
إذا ما اعتزمت الأمر أبرمت فتله ... ولم تك عن إمضائك العزم وانيا
فلا تك للمظلوم ناداك في الدجى ... لغربته والدفع للظلم ناسيا

وهي مائة وخمسون بيتاً، فيها بعد المدح: ما يحسنه من العلوم الدينية والأدبية، ويتبجح بمعرفته إقليدس وأشكاله، وزيادات زادها في أعماله، وله في صفة الليل:

رب ليل كالبحر هولاً وكالده ... ر امتداداً وكالمداد سوادا
خضته والنجوم توقدن حتى ... أطفأ الفجر ذلك الإيقاد
قال ابن عبد الرحيم: ونقلت من خط جعفر بن محمد الموصلي، من قصيدة في أبي سليمان داود ب حمدان:
أعيجي بنا قبل انبتات حبالك ... جمالك إن الشوق شوق جمالك
قفي وقفة تتلو عليك أوامها ... جوانح لا تروى بغير نوالك
فقد طلعت شمس الضحى بأوارها ... على مستظلات بفيئ ظلالك
ومنها:
بأبناء حمدان الذين كأنهم ... مصابيح لاحت في ليال حوالك
لهم نعم لا أستقل بشكرها ... وإن كنت قد سيرته في المسالك
وخلفت فيه من قريض بدائعاً ... ترى خلفاً من كل باق وهالك
وله من قصيدة في القاسم بن عبيد الله:
ما شأن دارك يا ليلى نناجيها ... فما تجيب ولا ترعى لداعيها
إنا عشية عجنا بالمطي بها ... كنا نحييك فيها لا نحييها
لا ترسلي الطيف إن الطرف في شغل ... عن الكرى بدموع بات يجريها
لأضربن بآمالي إلى ملك ... يقل في قدره الدنيا بما فيها
يا بن الوزارة والمأمول بعد لها ... في سائر الأرض دانيها وقاصيها

ما بال ما اجتاب عرض الأرض من مدحي ... إليك يسري مع الركبان ساريها
لم يأتني نبأ عنها ولا خبر ... واليوم كالحول لي مما أراعيها
وله أيضاً:
وما الموت قبل الموت غير أنني ... أرى ضرعاً بالعسر يوماً لذي اليسر
فدع قولهم ليس الثراء من العلا ... فما الفخر إلا أن يقال هو المثري
إذا أنت لم تبل الصديق فلا تكن ... له آمناً فيما يجن من الأمر
فإن سترت حال امرئ لؤم أصله ... أبي اللؤم إلا أن يبين مع الستر
وله أيضاً:
على الخيف من أكناف برقة أطلال ... دوارس عفتها ببرقة أحوال
ومبني خيام من فريق تفرقوا ... أيادي سبا والبين للشمل مغتال
وهن نجوم للنجوم ضرائر ... وهن لأكدار الحنادس إقبال
ألا إن تجوال الظباء سوانحاً ... لمن عالج الوجد المبرح آجال
إلى ابن أبي العباس جاذبنا المنى ... ومن دونه بيد يخب بها الآل
ومازالت الأيام تضحك عنهم ... وتشرق عنهم بالمكارم أفعال

أولئك أرباب العلى وبنو الندى ... وقوال فصل يوم مجد وفعال
هم ورثوه الجود والبذل والندى ... فزاد على ما ورثوه ولم يال
وله يرثي البحتري:
تعولت البدائع والقصيد ... وأودي الشعر مذ أودي الوليد
وأظلم جانب الدنيا وعادت ... وجوه المكرمات وهن سود
فقل للدهر يجهد في الرزايا ... فليس وراء فجعته مزيد
وله من قصيدة:
تمكن حب علوة من فؤادي ... وملك أمر غيي والرشاد
فوالي بين دمعي والمآقي ... وعادى بين جفني والرقاد
وقد طلب السلامة في سليمى ... زماناً والسعادة في سعاد
فلا هاتيك أحمدها وصالاً ... ولا هذي ارتضاها في الوداد
وله أيضاً:
أيها القرم الذي أع ... وزنا فيه النديد
وأعانته على المج ... د مساع وجدود
عجل النجح فإن ال ... مطل بالوعد وعيد
قال عبيد الله الفقير إليه مؤلف هذا الكتاب: هذا معنى عن لي من قبل أن أقف على هذه الأبيات، وكنت أعجب كيف فات الأوائل لاشتماله على مطابقة التجنيس وحسن المعنى مدة، حتى وقفت على ما ههنا، فعلمت أن أكثر ما ينسب إلى الشعراء من السرقات، إنما هو توارد الخواطر، ووقوع حافر على حافر. وأما أبياتي فهي:
يا سيداً بذ من يمشي على قدم ... علماً وحلماً وآباء وأجدادا
ماذا دعاك إلى وعد تصيره ... بالخلف والمطل والتسويف إيعادا
لا تعجلن بوعد ثم تخلفه ... فيثمر المطل بعد الود أحقادا
فالوعد بزر ولطف القول منبته ... وليس يجدي إذا لم يلق حصادا

جعفر بن موسى، يعرف بابن الحداد

أبو الفضل النحوي، كتب الناس عنه شيئاً من اللغة وغريب الحديث، وما كان من كتب أبي عبيدة مما سمعه من أحمد بن يوسف التغلبي، وغير ذلك من ثقات المسلمين وأحبارهم. مات لثلاث خلون من شعبان، سنة تسع وثمانين ومائتين، ودفن بقرب منزله ظهر قنطرة البردان.

جعفر بن هارون، بن النحوي، الدينوري

أبو محمد. روى عنه ابن شاذان، في شوال سنة أربع وأربعي وثلاثمائة.

جلد بن جمل الراوية

ما رأيت أحداً من أهل التصنيف، والرواية والتأليف، ذكره في كتاب ترجمة، إلا أن الإسناد إليه كثير، والرواية عنه ظاهرة شهيرة، وكان فيما تدل عليه الأخبار التي يرويها، علامة بأخبار العرب وأشعارها عارفاً بأيامها وأنسابها.

جناد بن واصل الكوفي

أبو محمد، ويقال: أبو واصل، مولى بني عاضدة، من رواة الأخبار والأشعار، لا علم له بالعربية، وكان يصحف ويكسر الشعر، ولا يميز بين الأعاريض المختلفة، فيخلط بعضها ببعض. وهو من علماء الكوفيين القدماء، وكان كثير الحفظ في قياس حماد الراوية.

وحدث المرزباني قال: قال عبد الله بن جعفر: أخبرنا أبو عمرو أحمد بن علي الطوسي عن أبيه قال: ما كانوا يشكون بالكوفة في شعر، ولا يغرب عنهم اسم شاعر، إلا سألوا عنه جناداً، فوجدوه لذلك حافظاً، وبه عارفاً على لحن كان فيه، وكان كثير اللحن جداً، فوق لحن حماد، وربما قال من الشعر البيت والبيتين.
وقال الثوري: اتكل أهل الكوفة على حماد وجناد، ففسدت رواياتهم من رجلين، كانا يرويان لا يدريان، كثرت رواياتهما وقل علمهما. وحدث عبد الله بن جعفر عن جبلة بن محمد الكوفي، عن أبيه قال: مررت بجناد مولى العاضديين وهو ينشد:
إعلم بأن الحق مركبه ... إلا على أهل التقى مستصعب
فاقدر بذرعك في الأمور فإنما ... رزق السلامة من لها يتسبب
فقلت: أبرقت يا جناد؟ قال: وأني ذلك؟ قلت: في هذين البيتين. قال: فلم يستبن ذلك، فتركته وانصرفت.
قال عبد الله: وإنما أنكر عليه أن البيت الأول ينقص من عروضه وتد، والثاني تام فكسره ولم يعلم. والعرب لا تغلط بمثل هذا، وإنما يغلطون بأن يدخلوا عروضين في ضرب واحد من الشعر لتشابههما.. فأما هذا: فالصواب فيه أن يقول:
إعلم بأن الحق مركب ظهره ... إلا على أهل التقى مستصعب
ومعنى قوله أبرقت: خلطت بيتاً مكسوراً ببيت صحيح، فصار كالحبل الأبرق على لونين. والبرقاء من الأرض والحجارة: ذات لونين: سواد وبياض.

جنادة بن محمد بن الحسين الهروي

،

أبو أسامة اللغوي النحوي، عظيم القدر، شائع الذكر، عارف باللغة، أخذ عن أبي منصور الأزهري، وروى عن أبي أحمد العسكري وروى عنه كتبه، ثم قدم مصر فأقام بها، إلى أن قتله الحاكم من الملوك المصرية، المنتسبة إلى العلويين، في سنة تسع وتسعين وثلاثمائة. ذكر ذلك أبو محمد أحمد بن الحسين، بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الروذباري في تاريخه، الذي ألفه في حوادث مصر. وأخذ عنه بمصر أبو سهل الهروي وغيره من أهل مصر وغيرهم، وكان مجلسه بمصر في جامع المقياس، وهو الذي فيه العمود، الذي يعتبرون به زيادة النيل من نقصه.

واتفق في بعض السنين، أن النيل لم يزد زيادة تامة، فقيل للحاكم حينئذ: إن جنادة رجل مشئوم، يقعد في المقياس ويلقي النحو، ويعزم على النيل فلذلك لم يزد. وكان من حدة الحاكم وتهوره، وما عرف من سوء سيرته، لا يتثبت فيما يفعله، ولا يبحث عن صحة ما يبلغه، فأمر من ساعته بقتله، فقتله – رحمه الله – سمعت هذا الحديث في مصر مفاوهة، حكوه عن الأثير بن البيساني، أخي القاضي الفاضل وغيره، واللفظ يزيد ينقص، والله أعلم.

جهم بن خلف المازني الأعرابي

،

من مازن تميم، له اتصال في النسب بأبي عمرو بن العلاء المازني المقرئ، وكان جهم راوية، علامة بالغريب والشعر، وكان في عصر خلف الأحمر، والأصمعي، وكانوا ثلاثتهم متقاربين في معرفة الشعر. ولجهم شعر مشهور في الحشرات والجوارح من الطير. وقيل: إن ابن مناذر قال يمدح جهماً:

سميتم آل العلاء لأنكم ... أهل العلاء ومعدن العلم

ولقد بنى آل العلاء لمازن ... بيتاً أحلوه مع النجم

وجههم القائل في رواية المازني يصف الحمامة:

مطوقة كساها الل ... ه طوقاً لم يكن ذهباً

جمود العين مبكاها ... يزيد أخا الهوى نصبا

مفجعة بكت شجواً ... فبت بشجوها وصبا

على غص تميل به ... جنوب مرة وصبا

ترن عليه إما ما ... ل من شوق أو انتصاب

وما فغرت فماً وبكت ... بلا دمع لها انسكبا

قال: لوه يخاطب المفضل الضبي لما قدم البصرة:

أنت كوفي ولا يح ... فظ كوفي صديقا

لم يكن وجهك يا كو ... في للخير خليقا

جودي بن عثمان

مولىً لآل يزيد بن طلحة العنبسيين، من أهل مورور من بلاد الغرب، ذكره الحميدي والزبيدي، رحل إلى المشرق، فلقي الكسائي والفراء وغيرهما. وهو أول من أدخل كتاب الكسائي إلى الغرب، وسكن قرطبة بعد قدومه من المشرق، وفي حلقته أنكر على عباس بن ناصح قوله:

يشهد بالإخلاص يؤتيها ... لله فيها وهو نصراني

فلحن حيث لم يشدد ياء النسب. وكان بالحضرة رجل من أصحاب عباس بن ناصح، فساءه ذلك، فقصد عباساً وكان مسكنه بالجزيرة، فلما طلع على عباس قال له: ما أقدمك – أعزك الله – في هذا الأوان؟ قال: أقدمني لحنك. قال له عباس: وأي لحن؟ فأعلمه. فقال له: ألا أنشدهم قول عمران ابن حطان:

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمن ... وإن لقيت معدياً فعدناني

فلما سمع البيت كر راجعاً. فقال له عباس: لو نزلت فأقمت عندنا. فقال: ما بي إلى ذلك من حاجة، ثم قدم قرطبة، واجتمع بجودي وأصحابه، فأعلمهم ما قال ووافقوه.

باب الحاء

حبشي بن محمد، بن شعيب الشيباني

أبو الغنائم النحوي الضرير، من أهل واسط، من ناحية تعرف بالأفشولية. مات في ذي القعدة، سنة خمس وستين وخمسمائة. وكان قد ورد واسط، وقرأ بها القرآن وشيئاً من النحو، ثم قدم بغداد وأقام بها، وقرأ على ابن الشجري العلوي، واللغة على الشيخ أبي منصور الجواليقي، وسمع منهما ومن قاضي المارستان. وكان عارفاً بالنحو واللغة والعربية، تخرج به جماعة من أهل الأدب، كمصدق بن شبيب، وكان يحسن الثناء عليه ويقول: به تخرجت، لأن الشيخ ابن الخشاب، كان مشغولاً عنا، ويض علينا بعلمه، فكان انعكافنا على حبشي. وكان مع هذا العلم، إذا خرج إلى الطريق بغير قائد لا يهتدي كما يهتدي العميا، حتى سوق الكتب الذي كان يأتيه في كل ليلة عشرين سنة، ولم يكن بعيداً عن منزله.

حبيش بن عبد الرحمن أبو قلابة

وقيل: حبيش بن منقذ. كان أحد الرواة الفهمة. وكان بينه وبين الأصمعي مماظة لأجل المذهب، لأن الأصمعي – رحمه الله – كان سنياً حسن الاعتقاد، وكان أبو قلابة شيعياً رافضياً، ولما بلغته وفاة الأصمعي شمت به وقال:

أقول لما جاءني نعيه ... بعداً وسحقاً لك من هالك

يا شر ميت خرجت نفسه ... وشر مدفوع إلى مالك.

وله أيضاً فيه:

لعن الله أعظماً حملوها ... نحو دار البلى على خشبات

أعظماً تبغض النبي وأهل البي ... ت والطيبين والطيبات

وكان أبو قلابة صديقاً لعبد الصمد بن المعذل، وبينهما مجالسة وممازحة، وله معه أخبار.

حدث المرزباني قال: قال أنشدت أبا قلابة قولي فيه:

يا رب إن كان أبو قلابة ... يشتم في خلوته الصحابهْ

فابعث عليه عقرباً دبابهْ ... تلسعه في طرف السبابهْ

واقرن إليه حية منسابهْ ... وابعث على جوخانه سنجابهْ

قال: وابو قلابة ساكت. فلما قلت: وابعث على جوخانه سنجابه، قال: الله الله، ليس مع ذهاب الخير عمل. حدث المبرد في الروضة، حدثني عبد الصمد ابن المعذل قال: جئت أبا قلابة الجرمي، وهو أحد الرواة الفهمة، ومعه الأرجوزة التي نسبت إلى الأصمعي، وهي:

تمزأ مني أخت آل طيسلهْ ... قالت أراه كاللقي لا شيء لهْ

قال: فسألته أن يدفعها إلي، فأبى. فعملت أرجوزتي التي أولها:

تمزأ مني وهي رود طلهْ ... أن رأت الأحناء مقفعلهْ

قالت أرى شيب العذار احتلهْ ... والورد من ماء اليرنا حلهْ

قال: ودفعتها إليه على أنها لبعض الأعراب، وأخذت منه تلك، ثم مضى أبو قلابة إلى الأصمعي يسأله عن غريبها. فقال له: لمن هذه؟ قال: لبعض الأعراب. فقال له: ويحك، هذه لبعض الدجالين دلسها عليك، أما ترى فيها كيت وكيت وكيت؟ قال: فخزي أبو قلابة واستحي.

حبيش بن موسى الضبي

صاحب كتاب الأغاني الذي ألفه للمتوكل، وذكر في هذا الكتاب أشياء لم يذكرها غسحاق، ولا عمرو بن نانة، وذكر من أسماء المغنيين والمغنيات في الجاهلية والإسلام كل طريف غريب. وله: كتاب الأغاني على حروف المعجم، وكتاب مجيدات المغنيات.

حسان بن مالك،اللغوي الأندلسي

بن أبي عبيدة، اللغوي الأندلسي كنيته أبو عبدة الوزير، من أئمة اللغة والأدب، وأهل بيت جلالة ووزارة. مات عن سن عالية. قيل: سنة عشرين وثلاثمائة. له كتاب على مثال كتاب أبي السري سهل بن أبي غالب، الذي ألفه في أيام الرشيد، وسماه كتاب ربيعة وعقيل، وهو من أحسن ما ألف في هذا المعنى، وفيه من أشعاره ثلاثمائة بيت. وذاك أنه دخل على المنصور بن أبي عامر، وبين يديه كتاب السري، وهو معجب به، فخرج من عنده وعمل هذا الكتاب، وفرغ منه تأليفاً ونسخاً، وجاء به في مثل ذلك اليوم من الجمعة

الأخرى، وأراه إياه، فسر به ووصله عليه. وكتب أبو عبدة للمستظهر عبد الرحمن ابن هشام، بن عبد الجبار، بن عبد الرحمن التاجر، المسمى بالخلافة أيام الفتنة، وكان استوزره:

إذا غبت لم أحضر وإن جئت لم أسل ... فسيان مني مشهد ومغيب

فأصبحت تيمياً وما كنت قبلها ... لتيم ولكن الشبيه نسيب

أشار في هذا لابيت إلى قول الشاعر:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم ... ولا يستأذنون وهم شهود

قال ابن خاقان: وكان لأبي عبدة أيام الفتنة حين أدجت الفتنة ليلها، وأزجت إبلها وخيلها. اغتراب كاغتراب الحارث بن مضاض، واضطراب بين الموالي والمواض، كالحية النضناض، ثم اشتهر بعد، وافتر له السعد، وفي تلك المدة يقول يتشوق إلى أهله:

سقى بلداً أهلي به وأقاربي ... غواد بأثقال الحيا وروائح

وهبت عليهم بالعشي وبالضحى ... نواسم من برد الظلال فوائح

تذكرتهم، والنأي قد حال دونهم ... ولم أنس لكن أوقد القلب لافح

ومما شجاني هاتف فوق أيكة ... ينوح ولم يعلم بما هو نائح

فقلت: اتئد يكفيك أني نازح ... وأن الذي أهواه عني نازح

ولي صبية مثل الفراخ بقفرة ... مضى حاضناها فاطحتها الطوائح

إذا عصفت ريح أقامت رؤوسها ... فلم تلقها إلا طيور بوارح

الحسن بن إبراهيم بن زولاق

أبو محمد، هو الحسن بن إبراهيم، بن الحسين، بن الحسن ابن علي، ب خلف، بن راشد، بن عبد الله، بن سليمان، ابن زولاق المصري الليثي، من أعيان علماء أهل مصر، ووجوه أهل العلم فيهم. وله عدة تصانيف في تواريخ المصرية. مات يوم الأربعاء لخمس بقين من ذي القعدة، سنة ست وثمانين وثلاثمائة، في أيام المتلقب بالعزيز بالله. وقيل: إنه مات في ذي القعدة، سنة سبع وثمانين وثلاثمائة، في أيام الحاكم، والأول أظهر. وكان لمحبته للتواريخ، والحرص على جمعها وكتبها، كثيراً ما ينشد:

مازلت تكتب في التاريخ مجتهداً ... حتى رأيتك في التاريخ مكتوبا

وله من الكتب: كتاب سيرة محمد بن طغج الأخشيد، كتاب سيرة جوهر، كتاب سيرة الماذرائيين، كتاب التاريخ الكبير على السنين، كتاب فضائل مصر، كتاب سيرة كافور، كتاب سيرة المعز، كتاب سيرة العزيز، وغير ذلك. وكان قد سمع الحديث ورواه، فسمع منه عبد الله بن وهبان، بن أيوب، بن صدقة وغيره وحدث ابن زولاق في كتاب سيرة العزيز المغلب على مصر، المتسب إلى العلويين من تصنيفه، حاكياً عن نفسه قال: لما خلع على الوزير يعقوب بن كلس، وكان يهودياً فأسلم، وكان مكيناً من العزيز، فلما أسلم قلده وزارته، وخلع عليه. قال ابن زولاق: وكنت حاضراً مجلسه، فقلت: أيها الوزير، روى الأعمش عن

زيد ابن وهب، عن عبد الله بن مسعود أنه قال: حدثني الصادق رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن الشقي من شقي في بطن أمه، والسعيد من سعد في بطن أمه). وهذا علو سماوي. فقال الوزير: ليس الأمر كذلك، وإنما أفعالي وتوفيراتي وكفايتي، ونيابتي ونيتي وحرصي، الذي كان يهجى ويعاب. وقد مات قوم ممن كان، وبقي قوم، وكان هذا القول بحضرة القوم الذين حضروا قراءة السجل، الذي خرج من العزيز في ذكر تشريفه. قال ابن زولاق: فأمسكت وقلت: – وفق الله الوزير – ، إنما رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً صحيحاً، وقمت وخرجت وهو ينظر إلي، وانصرف الوزير إلى داره بما حباه العزيز به.
قال: فحدثني أبو عبد الله الحسين بن إبراهيم الحسيني الزينبي قال: عاتبت الوزير على ما تكلم به وقلت: إنما روى حديثاً صحيحاً بجميع طرقه، وما أراد إلا الخير. فقال لي: خفي عنك، إنما هذا مثل قول المتنبئ:
ولله سر في علاك وإنما ... كلام العدى ضرب من الهذيان
وأجمع الاس على أن ذلك هجو في كافور، لأنه أعلمه أنه تقدم بغير سبب. وابن زولاق هجاني على لسان صاحب الشريعة صلى الله عليه وسلم، فما أمكني السكوت. وكان في نفسي شيء، فجعلت كلامه سبباً.
قال أبو عبد الله الزينبي: فأشهد أن الوزير لم ينقض يومه، حتى تكلم بمثل كلامي، الذي أوردته عن النبي صلى الله عليه وسلم. وذلك أن رجلاً عرض عليه رقعة فقال: كم رقاع، كم حرص هو ذا الرجل، يطوف البلدان، ويتقلب في الدول ويسافر فلا ينجح وآخر يأتيه أمله عفواً، قد فرغ الله من الأرزاق والآجال، والمراتب، ومن الشقاوة والسعادة، ثم التفت إلي وضحك، وقطع كلامه. قال ابن زولاق: وكنت هنأت ابن رشيق بهذه التهنئة، في مجلس عظيم حفل، حي جاءته الخلع من بغداد والتقليد وألبسوه. ورويت له هذا الخبر، فبكى وشكر، وحسدني على ذلك أكثر الحاضرين، وكافأني عليه أحسن مكافأة.

الحسن بن أحمدبابن الحائك الهمداني

،

بن يعقوب، يعرف بابن الحائك الهمداني ومن مفاخرها. له: كتاب الإكليل في مفاخر قحطان، وذكر اليمن. وله قصيدة سماها الدامغة في فضل قحطان، أولها:
ألا يا دار لولا تنطقيا ... فإنا سائلوك فخبرينا
وله كتاب جزيرة العرب وأسماء بلادها، وأوديتها ومن يسكنها. وقرأت بخط الأمير عبد الكريم بن علي البيساني، أخي الفاضل عبد الرحيم في فهرست كتبه، وذكر خبراً من كتاب الإكليل في أنساب حمير وأخبارها، تصيف الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، وكان في سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة.

الحسن بن أحمد،الفارسي

بن عبد الغفار، ابن سليمان الفارسي،أبو علي الفارسي لامشهور في العالم اسمه، المعروف تصنيفه ورسمه، أوحد زمانه في علم العربية. كان كثير من تلامذته يقول: هو فوق المبرد. قال أبو الحسن علي ابن عيسى

الربعي: هو أبو علي الحسن، بن أحمد، بن عبد الغفار، بن محمد، بن سليمان، بن أبان الفارسي، وأمه سدوسية من سدوس، شيبان من ربيعة الفرس. مات ببغداد، سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، في أيام الطائع لله، عن نيف وتسعين سنة. أخذ النحو عن جماعة من أعيان أهل هذا الشأن، كأبي إسحاق الزجاج، وأبي بكر بن السراج، وأبي بكر مبرمان، وأبي بكر الخياط. وطوف كثيراً في بلاد الشام، ومضى إلى طرابلس، فأقام بحلب مدة، وخدم سيف الدولة بن حمدان، ثم رجع إلى بغداد، فأقام بها إلى أن مات. حدث الخطيب قال: قال التنوخي: ولد أبو علي الفارسي بفسا، وقدم قغداد واستوطها، وعلت منزلته في النحو حتى قال قوم من تلامذته: هو فوق المبرد وأعلم منه. وصنف كتباً عجيبة حسنة لم يسبق إلى مثلها، واشتهر ذكره في الآفاق، وبرع له غلمان حذاق، مثل عثما بن جني، وعلي بن عيسى الربعي وخدم الملوك ونفق عليهم، وتقدم عند عضد الدولة فكان عضد الدولة يقول: أنا غلام أبي علي النحوي في النحو، وغلام أبي الحسين الرازي الصوفي في النجوم. وكان متهماً بالاعتزال.

وذكر أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ النحوي، في كتاب شرح الجمل للزجاجي، في باب التصريف منه: يحكى عن أبي علي الفارسي: أنه حضر يوماً مجلس أبي بكر الخياط، فأقبل أصحابه على أبي بكر يكثرو عليه المسائل، وهو يجيبهم ويقيم عليها الدلائل. فلما أنفدوا أقبل على أكبرهم سناً، وأكبرهم عقلاً، وأوسعهم علماً عند نفسه. فقال له: كيف تبني من سفرجل مثل عنكبوت؟ فأجابه مسرعاً سفرروت. فحي سمعها قام من مجلسه وصفق بيديه، وخرج وهو يقول: سفرروت. فأقبل أبو بكر على أصحابه، وقال: – لا بارك الله فيكم، ولا أحسن جزاءكم – ، خجلاً مما جرى، واستحياء من أبي علي.

ومما يشهد بصفاء ذهنه وخلوص فهمه: أنه سئل – قبل أن ينظر في العروض – عن خرم متفاعلن، فتفكر وانتزع الجواب فيه من النحو فقال: لا يجوز، لأن متفاعلن ينقل إلى مستفعلن إذا أضمر، فلو خرم لتعرض للابتداء بالساكن. إذا الخرم: حذف الحرف الأول من البيت. والإضمار تسكين ثانية. ولما خرج عضد الدولة لقتال ابن عمه عز الدولة، بختيار بن معز الدولة، دخل عليه أبو علي الفارسي فقال له: ما رأيك في صحبتنا؟ فقال له: أنا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء، – فخار الله للملك في عزيمته، وأنجح قصده في نهضته، وجعل العافية زاده، والظفر تجاهه، والملائكة أنصاره – . ثم أنشده:

ودعته حيث لا تودعه ... نفسي ولكنها تسير معه

ثم تولى وفي الفراد له ... ضيق محل وفي الدموع سعهْ

فقال له عضد الدولة: – بارك الله فيك – فإني واثق بطاعتك، وأتيقن صفاء طويتك، وقد أنشدنا بعض أشياخنا بفارس:

قالوا له إذ سار أحبابه ... فبدلوه البعد بالقرب

والله ما شطت نوى ظاعن ... سار من العين إلى القلب

فدعا له أبو علي، وقال: أيأذن مولانا في نقل هذين البيتين؟ فأذن فاستملاهما منه. وكان مع عضد الدولة يوماً في الميدان فسأله: بماذا ينتصب الاسم المستثنى، في نحو قام القوم إلا زيداً؟ فقال أبو علي: ينتصب

بتقدير أستثني زيداً. فقال له عضد الدولة: لم قدرت أستثني زيداً. فقال له عضد الدولة: لم قدرت أستثني زيداً فنصبت؟ هلا قدرت امتنع زيد. فرفعت، فقال أبو علي: هذا الذي ذكرته جواب ميداني، فإذا رجعت قلت لك الجواب الصحيح. وقد ذكر أبو علي في كتاب الإيضاح: أنه انتصب بالفعل المتقدم بتقوية إلا.

قالوا: ولما صنف أبو علي كتاب الإيضاح، وحمله إلى عضد الدولة، استقصره عضد الدولة، وقال له: ما زدت على ما أعرف شيئاً، وإنما يصلح هذا للصبيان. فمضى أبو علي، وصنف التكملة، وحملها إليه. فلما وقف عليها عضد الدولة قال: غضب الشيخ، وجاء بما لا نفهمه نحن ولا هو. وحكى ابن جني عن أبي علي أنه كان يقول: أخطئ في مائة مسألة لغوية، ولا أخطئ في واحدة قياسية. قال أبو الفتح بن جني: قال لي أبو علي الفارسي: قرأ علي علي بن عيسى الرماني كتاب الجمل وكتاب الموجز لابن السراج في حياة ابن السراج. وكان أبو طالب العبدي يقول: لم يكن بين أبي علي وبين سيبويه، أحد أبصر بالنحو من أبي علي.

قرأت بخط سلامة بن عياض النحوي ما صورته: وقفت على نسخة من كتاب الحجة لأبي علي الفارسي، في صفر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة بالري، في دار كتبها التي وقفها الصاحب ابن عباد – رحمه الله – وعلى ظهرها بخط أبي علي ما حكايته هذه: – أطال الله بقاء سيدنا الصاحب الجليل، أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه – ، كتابي في قراء الأمصار، الذين بينت قراءتهم في كتاب أبي بكر أحمد بن موسى، المعروف بكتاب السبعة، فما تضمن من أثر وقراءة ولغة، فهو عن المشايخ الذين أخذت ذلك عنهم، وأسندته إليهم، فمتى أثر سيدنا الصاحب الجليل – أدام الله عزه ونصره وتأييده وتمكينه – حكاية شيء منه عنهم، أو عني لهذه المكاتبة فعل. وكتب الحسن بن أحمد الفارسي بخطه: ولأبي علي من التصانيف: كتاب الحجة، كتاب التذكرة، قد ذكرت حاله في ترجمة محمد ابن طوس القصري، كتاب أبيات الإعراب، كتاب الإيضاح الشعري، كتاب الإيضاح النحوي، كتاب مختصر عوامل الإعراب، كتاب المسائل الحلبية، كتاب المسائل البغدادية، كتاب المسائل الشيرازية، كتاب المسائل القصرية، كتاب الأغفال، وهو مسائل أصلحها على الزجاج، كتاب المقصور والممدود، كتاب نقض الهاذور كتاب الترجمة، كتاب المسائل المنثورة، كتاب المسائل الدمشقية، كتاب أبيات المعاني، كتاب التتبع لكلام أبي علي الجبائي في التفسير، نحو مائة ورقة، كتاب تفسير قوله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة)، كتاب المسائل البصرية، كتاب المسائل العسكرية، كتاب المسائل المصلحة من كتاب ابن السراج، كتاب المسائل المشكلة، كتاب المسائل الكرمانية، ذكر المعري في رسالة الغفران: أن أبا علي الفارسي كان يذكر أن أبا بكر بن السراج، عمل من الموجز النصف الأول لرجل بزاز، ثم تقدم إلى أبي علي الفارسي بإتمامه. قال: وهذا لا يقال إنه من إنشاء أبي علي، لأن الموضوع في الموجز، هو منقول من كلام ابن السراج في الأصول وفي الجمل، فكأن أبا علي جاء به على سبيل النسخ، لا أنه ابتدع شيئاً من عنده نقلت من خط الشيخ أبي سعيد مع ب خلف البستي، مستوفي بيتي الزرد والفرس الملكشاهي بتوليته من نظام الملك، من كتاب ألفه بخطه، وكان عالماً فاضلاً حاسباً.

قال الأستاذ أبو العلاء الحسين بن محمد، بن مهرويه في كتابه الذي سماه أجناس الجواهر: كنت بمدينة السلام أختلف إلى أبي علي الفارسي النحوي – رحمه الله – وكان السلطان رسمل له أن ينتصب لي كل أسبوع يومين، لتصحيح كتاب التذكرة، لخزانة كافي الكفاة، فكنا إذا قرأنا أوراقاص منه تجارينا في فنون الآداب، واجتنينا من فوائده ثمار الألباب ورتعنا في رياض ألفاظه ومعانيه، والتقطنا الدر المنثور من سقاط فيه، فأجرى يوماً بعض الحاضرين ذكر الأصمعي، وأسرف في الثناء عليه، وفضله على أعيان العلماء في أيامه، فرأيته – رحمه الله – كالمنكر لما كان يورده، وكان فيما ذكر من محاسنه، ونشر من فضائله أن قال: من ذا الذي يجسر أن يخطئ الفحول من الشعراء غيره؟ فقال أبو علي: وما الذي رد عليهم؟ فقال الرجل: أنكر على ذي الرمة مع إحاطته بلغة العرب ومعانيها، وفضل معرفته بأغراضها ومراميها، وأنه سلك نهج الأوائل في وصف المفاوز، إذا لعب السراب فيها، ورقص الآل في نواحيها، ونعت الجريال وقد سبح على جدله، والظليم وكيف ينفر من ظله؟. وذكر الركب وقد مالت طلاهم من غلبة المنام، حتى كأنهم صرعتهم كؤوس المدام، فطبق مفصل الإصابة في كل باب، وساوى الصدر الأول من أرباب الفصاحة، وجارى القروم البزل من أصحاب البلاغة، فقال له الشيخ أبو علي: وما الذي أنكر على ذي الرمة؟ فقال قوله: وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم لأنه كان يجب أن ينونه، فقال: أما هذا فالأصمعي مخطئ فيه، وذو الرمة مصيب، والعجب أن يعقوب ب السكيت قد وقع عليه هذا السهو في عبض ما أنشده. فقلت: إن رأى الشيخ أن يصدع لنا بجلية هذا الخطإ تفضل به، فأملى علينا: أنشد ابن السكيت لأعرابي من بني أسد:

وقائلة أسيت فقلت جير ... أسى إنني من ذاك إنه

أصابهم الحمى وهم عواف ... وكن عليهم نحساً لعنه

فجئت قبورهم بدءاً ولما ... فناديت القبور فلم يجبنه

وكيف يجيب أصداء وهام ... وأبدان بدرن وما نخرنه

قال يعقوب: قوله جير أي حقاً، وهي مخفوضة غير منوة، فاحتاج إلى التوين: قال أبو علي: هذا سهو منه، لأن هذا يجري منه مجرى الأصوات، وباب الأصوات كلها، والمبنيات بأسرها لا ينون، إلا ما خص منها لعلة الفرقان فيها، بين نكرتها ومعرفتها، فما كان منها معرفة جاء بغير تنوين، فإذا نكرته نونته، ويكون من ذلك أنك تقول في الأمر: صه ومه، تريد السكوت يا فتى، فإذا نكرت قلت: صه ومه، تريد سكوتاً. وكذلك قول الغراب: غاق أي الصوت المعروف من صوته، وقول الغراب غاق، أي صوتاً، وكذلك إيه يا رجل، تريد الحديث، وإيه تريد حديثاً.

وزعم الأصمعي: أن ذا الرمة أخطأ في قوله: وقفنا فقلنا إيه عن أم سالم. وكان يجب أن ينونه ويقول إيه منونة، وهذا من أوابد الأصمعي، فاحتاج إلى التنوين. قال أبو لعي: هذا سهو من غير علم. فقوله جير بغير تنوين، في موضع قوله الحق، وتجعله نكرة في موضع آخر فتنونه، فيكون معناه: قلت حقاً. ولا مدخل للضرورة في ذلك، إنما التنوين للمعنى المذكور، وبالله التوفيق. وتنوين هذا الشاعر على هذا التقدير.

قال يعقوب: قوله: أصابهم الحمى: يريد الحمام. وقوله بدرن: أي طعن في بوادرهم بالموت. والبادرة: النحر. وقوله: فجئت قبورهم بدءاً: أي سيداً، وبدء القوم: سيدهم. وبدء الجزور: خير أنصبائها. وقوله: ولما أي

ولم أك سيداً إلا حين ماتوا فإني سدت بعدهم.

قرأت في معجم الشعراء للسلفي: أنشدني أبو جعفر، أحمد بن محمد بن كوثر، المحاربي الغرناطي بديار مصر، قال: أنشدنا أبو الحسن علي أحمد بن خلف النحوي لنفسه بالأندلس، في كتاب الإيضاح لأبي علي الفارسي النحوي:

أضع الكرى لتحفظ الإيضاح ... وصل الغدو لفهمه برواح
هو بغية المتعلمين ومن بغى ... حمل الكتاب يلجه بالمفتاح
لأبي علي في الكتاب إمامة ... شهد الرواة لها بفوز قداح
يفضي إلى أسراره بنوافذ ... من علمه بهرت قوى الأمداح
فيخاطب المتعلمين بلفظه ... ويحل مشكله بومضة واحي
مضت العصور فكل نحو ظلمة ... وأتى فكان النحو ضوء صباح

أوصى ذوي الإعراب أن يتذاكروا ... بحروفه في الصحف والألواح
فإذا هم سمعوا النصيحة أنجحوا ... إن النصيحة غبها لنجاح

وكتب الصاحب إلى أبي علي في الحال المقدم ذكرها: كتابي – أطال الله بقاء الشيخ، وأدام جمال العلم والأدب بحراسة مهجته، وتنفيس مهلته – ، وأنا سالم ولله حامد، وإليه في الصلاة على النبي وآله راغب، ولبر الشيخ – أيده الله – بكتابه الوارد شاكر.

فأما أخونا أبو الحسين قريبه – أعزه الله – فقد ألزمي بإخراجه إلى أعظم منة، وأتحفني من قربه بعلق مضنة، لولا أنه قلل المقام، واختصر الأيام. ومن هذا الذي لا يشتاق ذلك المجلس؟ وأنا أحوج من كل حاضريه إليه، وأحق منهم بالمثابرة عليه، ولكن الأمور مقدرة، وبحسب المصالح ميسرة، غير أا ننتسب إليه على البعد وقتبس فوائده عن قرب، وسيشرح هذا الأخ هذه الجملة حق الشرح بإذن الله. والشيخ – أدام الله عزه – يبرد غليل شوقي إلى مشاهدته، بعمارة ما افتتح من البر بمكاتبته، ويقتصر على الخطاب الوسط دون الخروج في إعطاء الرتب إلى الشطط، كما يخاطب الشيخ المستفاد منه التلميذ الآخذ عنه، ويبسط في حاجاته، فإني أظنني أجدر إخوانه بقضاء مهماته، إن شاء الله تعالى. قد اعتمدت على صاحبي أبي العلاء – أيده الله – لاستسماخ التذكرة، وللشيخ – أدام الله عزه – رأيه الموفق في التمكين، من الأصل والإذن بعد النسخ في العرض – بإذن الله تعالى – .

قال حدثني علم الدين، أبو محمد القاسم بن أحمد الأندلسي – أيده الله تعالى – قال: وجدت في مسائل نحوية، ننسب إلى ابن جني قال: لم أسمع لأبي علي شعراً قط، إلى أن دخل إليه في بعض الأيام رجل من الشعراء، فجرى ذكر الشعر، فقال أبو لعي: إني لأغبطكم على قول هذا الشعر، فإن خاطري لا يواتيني على قوله، مع تحققي للعلوم التي هي من موارده. فقال له ذلك الرجل: فما قلت قط شيئاً منه ألبته؟ فقال: ما أعهد لي شعراً إلا ثلاثة أبيات قلتها في الشيب، وهي قولي:

خضبت الشيب لما كان عيباً ... وخضب الشيب أولى أن يعابا

ولم أخضب مخافة هجر خل ... ولا عيباً خشيت ولا عتابا
ولكن المشيب بدا ذميماً ... فصيرت الخضاب له عقابا

فاستحسناها وكتبناها عنه، أو كما قال. لأني كتبتها عن المفاوهة، ولم أنقل ألفاظها. أخبر أبو الحسن علي بن عمر الفراء، عن أبي الحسين، نصر بن أحمد، بن نوح المقرئ، قال: أنبأا أبو الحسن علي بن عبيد الله السمسمي اللغوي ببغداد، أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد، بن عبد الغفار الفارسي النحوي، قال: جئت إلى أبي بكر السراج لأسمع منه الكتاب. وحملت إليه ما حملت، فلما انتصف الكتاب عسر علي في تمامه، فانقطعت عنه لتمكني من الكتاب، فقلت لنفسي بعد مدة: إن سرت إلى فارس، وسئلت عن تمامه، فإن قلت نعم، كذبت، وإن قلت لا، سقطت الرواية والرحلة. ودعتني الضرورة، فحملت إليه رزمة، فلما ابصرني من بعيد أنشد:

وكم تجرعت من غيظ ومن حزن ... إذا تجدد حزن هو الماضي
وكم غضبت فما باليتم غضبي ... حتى رجعت بقلب ساخط راضي

قرأت بخط الشيخ أبي محمد ب الخشاب: كان شيخنا، يعني أبا منصور موهوب بن الخضر الجواليقي قلما ينبل عنده ممارس للصناعة النحوية، ولو طال فيها باعه، ما لم يتمكن من علم الرواية، وما تشتمل عليه من ضروبها، ولا سيما رواية الأشعار العربية، وما يتعلق بمعرفتها من لغة وقصة، ولهذا كان مقدماً لأبي سعيد السيرافي، على أبي علي الفارسي – رحمهما الله – . وأبو علي أبو علي في نحوه. وطريقة أبي سعيد في النحو معلومة. ويقول: أبو سعيد أروى من أبي علي، وأكثر تحققاً بالرواية، وأثرى منه فيها: وقد قال لي غير مرة: لعل أبا علي لم يكن يرى ما يراه أبو سعيد، من معرفة هذه الأخباريات والأنساب، وما جرى في هذا الأسلوب – كبير أمر – .

قال الشيخ أبو محمد: ولعمري إنه قد حكي عنه، أعني أبا علي أنه كان يقول: لأ أخطئ في خمسين مسألة مما بابه الرواية، أحب إلي من أن أخطئ في مسألة واحدة قياسية. هذا كلامه أو معناه، على أنه كان يقول: قد سمعت الكثير في أول الأمر، وكنت أستحي أن أقول: أثبتوا اسمي. قال الشيخ أبو محمد وكثيراً ما تحصي السقطات على الحذاق من أهل الصناعة النحوية، لتقصيرهم في هذا الباب، فمنه يذهبون، ونم جهته يؤتو. تمام هذا الكلام في أخبار ابن الخشاب.

وقرأت في تاريخ أبي غالب بن مهذب المعري، قال: حدثني الشيخ أبو العلاء، أن أبا علي مضى إلى العراق، وصار له جاه عظيم عند الملك فناخسرو. فوقعت لبعض أهل المعرة حاجة في العراق، احتاج فيها إلى كتاب من القاضي أبي الحسن سليمان، إلى أبي علي. فلما وقف على الكتاب قال: إني قد نسيت الشام وأهله، ولم يعره طرفه.

وذكر شيخنا أبو علي: أن بعض إخوانه سأله بفارس إملاء شيء من ذلك، فأملى عليه صدراً كثيراً، وتقصى القول فيه، وأنه هلك في جملة ما فقده، وأصيب به من كتبه. قال عثمان بن جي – رحمه الله – : وإن وجدت نسخة وأمكن الوقت، عملت بإذن الله كتاباً أذكر فيه جميع المعتلات في كلام العرب، وأميز ذوات

الهمزة من ذوات الواو والياء، وأعطي كل جزء منهما حظه من القول، مستقصى – إن شاء الله تعالى – .
وحدثني أيضاً أنه وقع حريق بمدينة السلام، فذهب به جميع علم البصريين قال: وكنت قد كتبت ذلك كله بخطي، وقرأنه على أصحابنا، فلم أجد من الصندوق الذي احترق شيئاً ألبتة، إلا نصف كتاب الطلاق عن محمد ابن الحسن. وسألته عن سلوته وعزائه، فنظر إلي عاجباً ثم قال: بقيت شهرين لا أكلم أحداً حزناً وهماً، وانحدرت إلى البصرة لغلبة الفكر علي، وأقمت مدة ذاهلاً متحيراً انقضى كلامه في هذا الفصل.
قرأت في المسائل الحلبية، نسخة كتاب كتبه أبو علي إلى سيف الدولة جواباً عن كتاب ورد عليه منه، يرد فيه على ابن خالويه في أشياء أبلغها سيف الدولة عن أبي علي نسخته: قرأ – أطال الله بقاء سيدنا الأمير سيف الدولة – عبد سيدنا الرقعة النافذة من حضرة سيدنا، فوجد كثيراً منها شيئاً لم تجر عادة عبده به، ولاسيما مع صاحب الرقعة، إلا أنه يذكر من ذلك ما يدل على قلة تحفظ هذا الرجل فيما يقوله، وهو قوله: ولو بقي عمر نوح ما صلح أن يقرأ على السيرافي، مع علمه بأن ابن هزاذ السيرافي يقرأ عليه الصبيان ومعلموهم، أفلا أصلح أن أقرأ على من يقرأ عليه الصبيان؟ هذا ما لاخفاء به. كيف وهو قد خلط فيما حكاه عني؟ وأني قلت: إن السيرافي قد قرأ علي ولم أقل هذا. إنما قلت: تعلم مني أو أخذ عني هو وغيره ممن ينظر اليوم في شيء من هذا العل. وليس قول القائل: تعلم مني مثل قرأ علي، لأنه قد يقرأ عليه من لا يتعلم منه وقد يتعلم منه من لا يقرأ عليه. وتعلم ابن بهزاذ مني في أيام محمد بن السري وبعده، لا يخفى على من كان يعرفني ويعرفه، كعلي بن عيسى الوراق، ومحمد بن أحمد اب يونس. ومن كان يطلب هذا الشأن من بي الأزرق الكتاب وغيرهم. وكذلك كثير من الفرس الذين كانوا يرونه يغشاني في صف شويز، كعبد الله بن جعفر بن درستويه النحوي، لأنه كان جاري بيت بيت قبل أن يموت الحسن بن جعفر أخوه، فينتقل إلى داره التي ورثها عنه في درب الزعفراني.
وأما قوله إني قلت: إن ابن الخياط كان لا يعرف شيئاً، فغلط في الحكاية، كيف أستجيز هذا وقد كلمت ابن الخياط في مجالس كثيرة؟. ولكني قلت: إنه لا لقاء له، لأنه دخل إلى بغداد بعد موت محمد بن يزيد، وصادف أحمد بن يحيى وقد صم صمماً شديداً، لا يخرق الكلام معه سمعه، فلم يمكن تعلم النحو منه، وإنما كان يعول فيما كان يؤخذ عنه، على ما يمله دون ما كان يقرأ عليه، وهذا الأمر لا ينكره أهل هذا الشأن ومن يعرفهم. وأما قوله: قد أخطأ البارحة في أكثر ما قاله. فاعتراف بما إن استغفر الله منه كان حسناً، والرقعة طويلة فيها جواب عن مسائل أخذت عليه. كانت النسخة غير مرضية، فتركتها إلى أن يقع ما أرتضيه. وأكثر النسخ بالحلبيات لا توجد هذه الرقعة فيها.

قرأت بخط أبي الفتح عثمان بن جني الذي لا أرتاب به قال: وسألته – يعني أبا علي – قلت: أقرأت أنت على أبي بكر؟ فقال: نعم قرأته عليه، وقرأه أبو بكر على أبي سعيد يعني السكري. قال: وكان أبو بكر قد كتب من كتب أبي سعيد كثيراً، وكتب أبي زيد. قال: وذاكرته بكتب أبي بكر وقلت: لو عاش لظهر من جهته علم كثير، وكلاماً هذا نحوه فقال: نعم، إلا أنه كان يطول كتبه. وضرب لذلك مثلاً قد ذهب عني، أظنه – بارك الله لأبي يحيى في كتبه – أو شيئاً نحو ذلك.

قال: وفارقت أبا بكر قبل وفاته وهو يشغل بالعلة التي توفي فيها، ورجعت إلى بلاد فارس، ثم عدت وقد توفي. ورأيت في آخر كتابه في معاني الشعر خطي الذي كان يمله علي لأكتبه فيه، فعلمت أنه لم يزد فيه شيئاً. قال: وكان الأصمعي يتهم في تلك الأخبار التي يرويها. فقلت له: كيف هذا؟ وفيه من التورع ما دعاه إلى ترك تفسير القرآن ونحو ذلك. فقال: كان يفعل ذلك رياء وعناداً لأبي عبيدة، لأنه سبقه إلى عمل كتاب في القرآن، فجنح الأصمعي إلى ذلك.

الحسن بن أحمد، أبو محمد الأعرابي

المعروف بالأسود الغندجاني اللغوي النسابة. وغندجان: بلد قليل الماء، لا يخرج منه إلا أديب أو حامل سلاح. وكان الأسود صاحب دنيا وثروة، وكان علامة نسابة عارفاً بأيام العرب وأشعارها، قيماً بمعرفة أحوالها، وكان مستنده فيما يرويه عن محمد بن أحمد أبا الندى، وهذا رجل مجهول لا معرفة لنا به.
وكان أبو يعلى بن الهبارية الشاعر يعيره بذلك ويقول: ليست شعري، من هذا الأسود الذي قد نصب نفسه للرد على العلماء؟ وتصدى للأخذ على الأئمة القدماء، بماذا نصحح قوله؟ ونبطل قول الأوائل ولا تعويل له فيما يرويه إلا على أبي الندى، ومن أبو الندى في العالم؟ لا شيخ مشهور، ولا ذو علم مذكور. قال المؤلف: ولعمري إن الأمر لكما قال أبو يعلى: هذا رجل يقول: أخطأ ابن الأعرابي في أن هذا الشعر لفلان، إنما هو لفلان بغير حجة واضحة، ولا أدلة لائحة، أكثر من أن يكون ابن الأعرابي قد ذكر من القصيدة أبياتاً يسيرة فينشد هو تمامها، وهذا ما لا يقوم به حجة على أن يكون أعلم من ابن الأعرابي الذي كان يقاوم الأصمعي، وقد أدرك صدراً من العرب الذين عنهم أخذ هذا العلم، ومنهم استمد أولو الفهم. وكان الأسود لا يقنعه أن يرد على أئمة العلم رداً جميلاً، حتى يجعله من باب السخرية والتهكم، وضرب الأمثال والطير. والحكاية عنه مستفاضة في أنه كان يتعاطى تسويد لونه، وأنه كان يدهن بالقطرا، ويقعد في الشمس ليحقق لنفسه التلقيب بالأعرابي، وكان قد رزق في أيامه سعادة، وذاك أنه كان في كنف الوزير العادل أبي منصور بهرام ابن مافنة، وزير الملك أبي كاليجار بن سلطان الدولة، بن بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه صاحب شيراز، وقد خطب له ببغداد بالسلطنة. فكان الأسود إذا صنف كتاباً جعله باسمه، فكان يفضل عليه إفضالاً جماً، فأثرى من جهته. ومات أبو منصور الوزير في سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.
وقرأت في بعض تصانيفه: أنه صنف في شهور سنة اثنتي عشرة وأربعمائة. وقرئ عليه في سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. وللأسود من التصانيف: كتاب السل والسرقة، كتاب فرجة الأديب في الرد على يوسف ب أبي سعيد السيرافي في شرح أبيات سيبويه، كتاب ضالة الأديب في الرد على ابن الأعرابي في النوادر التي رواها ثعلب، كتاب قيد الأوابد في الرد على ابن السيرافي أيضاً في شرح أبيات إصلاح المنطق، كتاب الرد على النمري في شرح مشكل أبيات الحماسة، كتاب نزهة الأديب في الرد على أبي علي في التذكرة، كتاب الخليل مرتب على حروف المعجم، كتاب في أسماء الأماكن:

الحسن بن أحمد، بن عبد الله، بن البناء

أبو علي المقرئ، المحدث الحنبلي. ولد سنة ستوتسعين وثلاثمائة. وقرأ القرآن على أبي الحسن الحمامي وغيره. وسمع الحديث من ابن بشران وغيرهما، وتفقه على القاضي أبي يعلى ب الفراء. ومات في خامس رجب سنة إحدى وسبعين وأربعمائة. وصنف في كل فن حتى بلغت تصانيفه مائة وخمسين مصنفاً. منها: كتاب شرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في النحو، رأيته وكان له حلقة بجامع القصر، يفتي فيها ويقرأ الحديث وحلقة بجامع المنصور.

وحدث السمعاني قال: سمعت أبا القاسم بن السمرقندي يقول: كان واحد من أصحاب الحديث اسمه الحسن بن أحمد بن عبد الله النيسابوري، وكان سمع الكثير، وكان ابن البناء يكشط من التسميع بوري ويمد السين، وقد صار الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا قال: كذا قيل إنه كان يفعل. قال أبو الفرج: وهذا القول بعيد من الصحة، فإنه قال: كذا قيل ولم يحك عن علمه بذلك، فلا يثبت هذا. والثاني أن الرجل مكثر لا يحتاج إلى الاستزادة لما يسمع، ومتدين ولا يحسن أن يظن بالمتدين الكذب. والثالث أنه قد اشتهرت كثرة رواية أبي علي بن البنا، فأين هذا الرجل الذي يقال له: الحسن بن أحمد بن عبد الله النيسابوري؟ ومن ذكره ومن يعرفه؟ ومعلوم أن من اشتهر سماعه لا يخفى. وقال السمعاني ونقلته من خطه: الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البنا المقرئ الحافظ أبو علي، أحد الأعيان، والمشار إليهم في الزما، له في علوم القرآ والحديث والفقه والأصول والفروع عدة مصنفات. حكى بعض أصحاب الحديث عنه أنه قال: صنفت خمسمائة مصنف، وكان حلو العبارة.

قال السمعاني: وقرأت بخط الإمام والدي: سمعت أبا جعفر محمد بن أبي علي الهمذاني بها يقول: سمعت أبا علي ابن البنا ببغداد. وقال: ذكرني أبو بكر الخطيب في التاريخ بالصدق أو بالكذب؟ فقالوا: ما ذكرك في التاريخ أصلاً فقال: ليته ذكرني ولو في الكذابين.

قال السمعاني: أنبأنا أبو عثمان العصائدي، أنبأنا أبو علي بن البنا قال: كتب إلي بعض إخواني من أهل الأدب كتاباً وضمنه قول الخليل بن أ؛مد:

إن كنت لست معي فالقلب منك معي ... يراك قلبي وإن غيبت عن بصري

العين تبصر ما تهوى وتفقده ... وباطن القلب لا يخلو من النظر

فكتب إليه أبو علي لنفسه:

إذا غيبت أشباحنا كان بيننا ... رسائل صدق في الضمير تراسل

وأرواحنا في كل شرق ومغرب ... تلاقي بإخلاص الوداد تواصل

وثم أمور لو تحققت بعضها ... لكنت لنا بالعذر فيها تقابل

وكم غائب والصدر منه مسلم ... وكم زائر في القلب منه بلابل

فلا تجزعن يوماً إذا غاب صاحب ... أمين فما غاب الصديق المجامل

الحسن بن أحمد الأستراباذي

أبو علي النحوي اللغوي، الأديب الفاضل، حسنة طبرستان، وأوحد ذلك الزمان، وله من التصانيف: كتاب شرح الفصيح. كتاب شرح الحماسة.

الحسن بن أحمد، بن الحسن، بن أحمد

ابن محمد، بن سهل، بن سلمة، بن عثكل، بن حنبل، بن إسحاق العطار الحافظ أبو العلاء الهمذاني، المقرئ من أهل همذان. مات في تاسع عشر جمادى الأولى سنة تسع وستين وخمسمائة. وذكره بعض الثقات من أهل العلم، فذكر له مناقب كثيرة، وذكر نسبه وولادته فقال: هو أبو العلاء الحسن بن أحمد بن الحسن، بن أحمد، ابن محمد، بن سهل، بن سلمة، بن عثكل، بن إسحاق العطار الهمذاني. وكان عثكل من العرب. وأما ولادته: فإنها كانت يوم السبت قبل طلوع الشمس الرابع عشر من ذي الحجة، سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.
بهمذان وذكر من مناقبه قال: سمعته – رحمه الله – يقول: سلمت في صغري إلى رجل معلم. قال: سماه ونسيت اسمه قال: وكنت أحفظ عليه القرآن، فحفظت عليه إلى سورة يوسف، ثم أجرى الله لساني بحفظ الباقي من القرآن دفعة واحدة، من غير تحفظ وتكرار، فضلاً منه جل جلاله. قال: وسار في ليلة واحدة في طلب الحديث من جرباذقان إلى أصفها.
وسمعته يقول: لما حججت كنت أمشي في البادية راجلاً قدام القافلة، أحياناً مع الدليل، وأحياناً أخلف الدليل، حتى عرفني الدليل واستأنس بي ومال إلي، وهو يسير على ناقة له تكاد ترد الريح، وكنت أرى الدليل يتعجب من قوتي على السير، وكان أحياناً يضرب ناقته ويمعن في السير، وكت لا أخلي الناقة تسبقي. فقال لي الدليل يوماً: تقدر أن تسابق ناقتي هذه؟ فقلت: نعم. فضربها وعدوت معها فسبقتها.
قال: وكان كثير الحفظ للعلوم، كثير المجاهدة في تحصيلها، فسمعته يقول – رحمه الله – : حفظت كتاب الجمل في النحو لعبد القاهر الجرجاني، في يوم واحد من الغداة إلى وقت العصر.

قال: وسمعت الشيخ أبا حفص عمر بن الحسين الوشاء المقرئ يقول: سمعت الإمام الحافظ – رحمه الله – يقول: حفظت يوماً ثلاثين ورقة من القراءة. قال: وسمعت الإمام الحافظ أبا بكر محمد بن شيخ الإسلام الحافظ أبي العلاء قال: سمعت الشيخ الصالح إبراهيم المرجي قال: سمعت الشيخ – رحمه الله – يقول: ولو أن أحداً أتاني بحديث واحد من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبلغني لملأت فاه ذهباً. قال: وكان الشيخ – رحمه الله – حفظ الجمهرة لأبي بكر بن دريد، وكتاب المجمل لابن فارس، وكتاب النسب للزبير بن بكار.
قال: وبلغني عن الثقة أن الحافظ أبا جعفر – رحمه الله – كان يقول: لو أن الله تعالى يقول لي يوم القيامة: ماذا أتيتني به؟ أقول ربي وسيدي، أتيتك بأبي العلاء العطار. قال: وكان الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد ابن الفضل الجوزي – رحمه الله – ، يملي يوماً في الجامع بأصفهان وعنده جماعة من المحدثين، إذ دخل الشيخ

الحافظ أبو العلاء – رحمه الله – من باب الجامع، فلما نظر الحافظ أبو القاسم إليه أمسك عن الإملاء، ونظر إلى أصحابه وقال: أيها القوم: إن الله عز وجل يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها، وهذا الرجل المقبل من جملتهم، قوموا نسلم عليه، فقاموا واستقبلوه، وسلموا عليه واعتنقوه. قال: وكان يقرأ على الشيخ أبي العز المقرئ القلانسي الواسطي – رحمه الله – ، وكان يفضله على أصحابه، فشق ذلك عليهم، فاجتمع بعضهم يوماً وفيهم الشيخ أبو العلاء – رحمه الله – ، فسألهم الشيخ أبو العز عن اختلاف القراء. في قوله تعالى: (كوكب دري يوقد) وأقاويل الأئمة فيها، فسقط في أيديهم، وتاهوا في شرحها، وما أجابوا بطائل. ثم أقبل الشيخ أبو العز على الشيخ – رحمه الله – وقال: تكلم أنت فيها يا أبا العلاء، فشرع فيها الشيخ وعد فيها بضعة عشر قولاً، وأدى فيها حقاً بأحسن إشارة، وأبلغ عبارة. فلما فرغ، نظر الشيخ أبو العز إلى أصحابه الحاضرين وقال: بهذا أفضله عليكم، لو أمهلتكم مدة لما قدرتم على الذي ذكر هو بديهة من غير عزيمة سابقة، وروية سالفة.

قال: وكان محترماً عند الخلفاء والسلاطين. كتب إليه المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين كتاباً من جملته: وبعد، فإن الأب القديس النفيس، خامس أولي العزم، وسابع السبعة على الحزم، وارث علم الأنبياء، حافظ شرع المصطفى أبا العلاء، ثم ذكر كلاماً واستدعى منه الدعاء. قال: وسمعت ولده أبا محمد عبد الغني ابن الشيخ الحافظ أبي العلاء – رحمه الله – يقول: لما دخل أبي على أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله – رضي الله عنه – بعد استدعاء أمير المؤمنين إياه، كان يأمره خواص الخليفة بتقبيل الأرض في المواضع، وكان يأبى ذلك، فلما أكثروا عليه قال: دعوني، إنما السجود لله تعالى، فكفوا عنه حتى وصل إليه، وسلم بالخلافة عليه، فقام له أمير المؤمنين وأجلسه، ثم كلمه ساعة وسأل نمه الدعاء، فدعا وأذ له في الرجوع فرجع، وكانوا قد أحضروا الخلعة والصلة فاستعفى من ذلك فأعفي، وخرج من بغداد حذراً من فتنة الدنيا وآفاتها.

وحدثني غير واحد، أن السلطان محمداً لما دخل عليه داره، نصحه كثيراً ووعظه، وكان السلطان جالساً بين يديه، مقبلاً عليه بوجهه، مصغياً إلى كلامه فلما قام ليخرج، أمره بتقدمة رجله اليمنى، وأخذه الطريق من الجانب الأيمن.

وسمعت الإمام أبا بشر – رحمه الله – يقول: سمعت عبد الغني بن سرور المقدسي يقول: كنت يوماً في خدمة الحافظ أبي طاهر السلفي بثغر الإسكندرية، تقرأ الحديث، فجرى ذكر الحفاظ إلى أن انتهى الكلام إلى ذكر الحافظ أبي العلاء – رحمه الله – ، فأطرق الحافظ أبو طاهر عند ذكره ساعة، ثم رفع رأسه وقال: قدمه دينه، قدمه دينه.

قال: وسمعت أبا بشر محمد بن محمد، بن محمد ابن منصور المقرئ الخطيب بشيراز، يذكر الحافظ أبا العلاء – رضي الله عنه – ويثني عليه، ثم أنشد يقول:

فسار مسير الشمس في كل موطن ... وهب هبوب الريح في الشرق والغرب

قال: وسمعت الإمام أبا نصر أحمد بن الإمام الحافظ أبي الفرج بن عبد الملك بن الشعار يقول: سمعت الإمام أبا الحسن الحراني يقول: كنت أطوف بالكعبة، فرأيت شيخاً في الطواف، فلما نظرت إليه تفرست فيه الخير

والصلاح، فانتظرته حتى قضى طوافه، فدنوت منه، وسلمت عليه فرد علي السلام، فسألته عن الوطن، فسمى لي موطناً بعيداً، ذكره أبو الحسن، ونسيه أبو نصر. قال أبو الحسن: فقلت: أي شيء المقصد بعد بلوغك بيت ربك؟ فقال: مقصدى الحافظ أبو العلاء، فتعجبت في نفسي وقلت: ستظفر إن شاء الله بمقصودك، وتنال مطلوبك، وبكيت حتى غلبني البكاء. فقال لي: ومم بكاؤك؟ فقلت: إن الحافظ أبا العلاء الذي تقصده وتأمل بلوغه، قد كنت مستفيداً منه كذا وكذا سنة، قرأت عليه القرآن ختماً، وسمعت منه الحديث الكثير، فتعجب من قولي وقام إلي، وقبل بين عيني، وهو يفديني بأبيه وأمه، وغاب عني.

قال: وسمعت أبا بشر يقول: لما دخلت على الإمام أبي المبارك المقرئ بشيراز، جعل يذكر شيخ الإسلام الحافظ أبا العلاء الهمذاني – رحمه الله – ويثني عليه. ثم أنشد متمثلاً:

فسار مسير الشمس في كل موطن ... وهب هبوب الريح في الشرق والغرب

قال: رحل إليه رجل من أقصى المغرب، وكان له حظ في كل علم، ومدحه بقصيدة هي من غرر القصائد، وذكر أحواله في سفرته، وما أصابه من التعرب والمشاق. ومن شعره فيه أيضاً:

سعى إليك على قرب ومن بعد ... من كان ذا رغبة في العلم والسند

حتى أناخ بمغناك الكريم وقد ... كلت ركائبه في العنف والسند

لذاك أثرى وما أوعت أنامله ... لكن وعى قلبه ما شاء من مدد

وما أناخ بمغنى غيركم أحد ... إلا ونودي، ما بالربع من أحد

وقد قصدتك من أقصى المغارب لا ... أبغي سواك لوحى الواحد الصمد

وما امتطيت سوى رجلي راحلة ... وقد غنيت عن العيرانة الأجد

وهذه رحلة بكر كشفت لها ... عن ساق ذي عزمات غير متئد

عناية لم تكن قبلي لذي طلب ... وحظوة لم تكن في غابر الأبد

هل كان قبلك حبر أمه رجل؟ ... وسار مدة حول سير مجتهد

أبا العلاء الكل إنك في ... أقصى العراق مقيم منه في بلد

وقد فشا لك ذكر في البلاد كما ... فاحت أزاهر روض للغمام ندى

قال: وسمعت الشيخ – رحمه الله – يقول يوماً لمن حضره: إن خلف أبو العلاء ديناراً أو درهماً بعد موته، فلا تصلوا عليه. وقد كان – رحمه الله – لا يبقى على الذهب والفضة، وكل ما آتاه الله منها يصرفه في اليوم، وينفقه في قضاء الديون ومراعاة الناس، فمات ولم يخلف ديناراً ولا درهماً، حتى بيعت داره وقضى منه دينه.

قال: وكان – رحمه الله – شديد التمسك بسن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان لا يسمع باطلاً أو يرى منكراً إلا غضب لله، ولم يصبر على ذلك ولم يداهن فيه. قال: سمعت أبا رشيد راشد بن إسماعيل المعدل يقول: كنت عند الشيخ يوماً فدخل عليه أبو الحسين العبادي الواعظ زائراً، وجلس عنده زماناً وجعل يكلم الشيخ إلى أن جرى في كلامه، وقد عزمت غير مرة على الإتيان إلى الخدمة، لكن منعني كون الكوكب الفلاني في البرج الفلاني، فزجره الشيخ وقال: السنة أولى أن تتبع، فقام العبادي خجلاً وخرج.

وكان من ورعه في رواية الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: أنه ما كان يترجم الحديث للعامة رعاية منه للصدق، واستدعى منه بهمذان أن يفسر للناس حديثاً واحداً فأجاب، وقعد لذلك، فلما شرع في الكلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في الدولة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستغفر ثم رجع وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستدعى منه ثانياً بالكرخ كذلك، فروى حديثاً في فضائل الأعمال وفي بعض ألفاظه (حتى يدخل الجنة)، ففسر لفظة الجنة قبل أن يفسر لفظة (حتى يدخل) كأنه قدم لفظة (الجنة) على لفظة (حتى يدخل) في ترجمته، فاستغفر ورجع، وأتى بها على الوجه المنطوق به في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان – رحمه الله – يتحرج عن القصص والكلام فيه والتنمق والتكلف حذراً من الزيادة والنقصان. ولما قصد السلطان محمد بغداد، وحاصرها وخالف الإمام المقتفي لأمر الله أمير المؤمنين رضي الله عنه. كان الشيخ – رحمه الله – يقرأ صحيح البخاري بهمذان على الشيخ عبد الأول – رحمه الله – على أسلوب. يحضره لسماع الكتاب عامة أهل البلد، من الأمراء والفقهاء والعلماء، والصوفية والعوام، فصرح بالقول قائماً على المنبر، بأن السلطان ومن معه من جنوده خارجة مارقة. ثم قال: لو أن رجلاً من عسكر أمير المؤمنين رمى رجلاً من أصحاب السلطان بسهم، وجاءه آخر من غير الفريقي، فنزع السهم من جراحه، يكون هو أيضاً خارجياً باغياً، وكرر القول في ذلك مراراً.

قال: وسئل الشيخ – رحمه الله – عن سبب أكثر اشتغاله بعلم الكتاب والسنة فقال: إني نظرت في ابتداء أمري فرأيت أكثر الناس عن تحصيل هذين العلمين معرضين، وعن دراستهما لاهين، فاشتغلت بهما، وأنفقت عمري في تحصيلها حسبة قال: ورأى – رحمه الله – قلة رغبة الخلق في تحصيل العلم، والرحلة ولقاء الشيوخ، فاتخذ مهداً وعزم على المضي إلى بغداد وأصفهان للرواية، ورفع مناور العلم وإحياء السنة حسبة، فمنعه الضعف والكبر، وأدركته المنية وهو على هذه النية. قال: سمعت الثقة يقول: سمعت الشيخ – رحمه الله – يقول: كنت واقفاً يوماً على باب دار الشيخ أبي العز القلانسي – رحمه الله – في حر شديد أنتظر الإذن، فمر بي إنسان فرآني على تلك الحال واقفاً فقال لي: أيها الرجل، لو أنك تصير إماماً يقرأ عليك، ويقتدى بك، أهكذا كنت تفعل أنت بطلبة العلم ومن يأتيك من الغرباء؟ فذرفت عيناي فقلت: لا إن شاء الله، وأشهدت الله تعالى في نفسي في تلك الحال، على أني لا آخذ على التعليم والإقراء والتحديث أجراً، ولا أبخل بعلمي على أحد، وأبذله حسبة، فكان كما قال، ويقعد لطلبة العلم من أول النهار إلى آخره.

قال: وكان الشيخ – رحمه الله – لا يرى طول هاره إلا كاتباً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو مطالعاً له، أو مشتغلاً به، أو مصغياً إلى قراءة القرآن وطلبة العلم. هكذا كان دأبه بالنهار، ويجعل ليلته ثلاثة أثلاث، يكتب في ثلث، ويتفكر في ثلث، وينام في ثلث، وكان كثيراً ما يقول عند انتباهه من النوم: يا كريم يا كريم أكرمنا وكان من كرامته على الاس وإقبال الخلق عليه، وتبركهم به، أنه كان يصعب عليه المرور يوم الجمعة في مضيه ورجوعه، لازدحام الخلق عليه. وكان جماعة من الشبا يتحلقون حواليه، يدفعو عنه زحمة الناس وهو يمر في وسطهم مطرقاً، لا يشتغل بأحد وهو يقول: يا من أظهر الجيمل وستر على القبيح.

قال: سمعت العدل عمر بن محمد يقول: دخلنا على الإمام الحافظ أبي العلاء – رضي الله عنه – وهو يكتب، فقعدنا عنده ساعة، فوضع ما في يده، وقام ليتوضأ فنظرا فيما كتب، فإذا هو قد بيض كل موضع

فيه اسم من أسماء الله تعالى، أو ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فتعجبنا من ذلك، فلما رجع سألناه عن ذلك فقال: إني لما كنت أكتب ذلك شككت في الوضوء، فما جوزت أن أكتب بيدي أسماء الله تعالى، أو ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وأنا شاك في الوضوء.

وكان الشيخ – رحمه الله – إذا نزل بالناس شدة أو بلاء، يجيء إليه الناس ويسألونه الدعاء فيقول: اللهم إني أخاف على نفسي أكثر مما يخافون على أنفسهم. وكان كثيراً ما يقول: ليتني كنت بقالاً أو حلاجاً، ليتني نجوت من هذا الأمر رأساً برأس، لا علي ولا ليا. قال: وسمعت والدي يحكي عن الإمام عبد الهادي بن علي – رحمة الله عليه – أنه قال: كنت أمشي يوماً مع الشيخ الإمام الحافظ – رحمه الله – في الشتاء في وحل شديد في رجليه مداس خفيف، يكاد يدخل فيها الطي، فقلت له يا أخي: لو لبست مداساً غير هذا يصلح للشتاء فقال: إذا لبست غيرها لهت عيني عن النظر إليها، فربما نظرت إلى منكر أو فاحشة، وفي دوام نظري إليها وحفظي لها عن الوحل، شغل عن ذلك وحفظ للبصر. قال: وكراماته مشهورة بين الناس، منها ما كتب به إلى الشيخ أبو عبد الله محمد بن إبراهيم المقرئ قال: سمعت الأستاذ بهلة الطحا يقول: حملت أحمال الحنطة من دار الشيخ – رضي الله عنه – لأطحنها لأهله، فلما طحنتها ووضعت بعضها على بعض، قصد بعض من في الطاحونة من المستحقين أن يأخذ شيئاً من ذلك الدقيق، ليخبز منه رغيفاً، فصحت عليه ومنعته من الأخذ، فلما رددت الأحمال إلى دار الشيخ من الغد، تبسم الشيخ في وجهي وقال: ويلك يا بهلة، لم منعت الرجل أن يأخذ قبضات من الدقيق؟ فتحيرت من قوله: وقبلت في الحال رجليه، وتبت على يديه، واستغفرت الله عز وجل عما سلف مني من الذنوب، وصرت معتقداً في كرامات أولياء الله تعالى.

قال: سمعت أبا محمد عبد الله بن عمر يقول: كنت يوماً في خدمة الشيخ – رضي الله عنه – نأكل الغداء، فدق الباب داق، فقمت وفتحت له الباب. فإذا بالشيخ الصالح مسعود النعال، فاستأذنت له، فدخل وقعد عند الشيخ إلى الطعام. فلما كان بعد ساعة نظر إلى مسعود وقال يا مسعود: لو أن النطفة التي قدر الله عز وجل في سابق علمه، أن يخلق منها خلقاً صبت على الأرض، لظهر من ذلك الخلق. فلما سمع مسعود النعال هذا الكلام انزعج وبكى وصاح. فتعجبنا من تلك الحالة فلما سكن، سألته عن سبب انزعاجه وتواجده من كلام الشيخ. فقال لي: اعلم أني تزوجت امرأة منذ سنين كثيرة، وما رزقت منها ولداً، وأني جئت اليوم لأسأل منه الدعاء، حتى يرزقني الله عز وجل ولداً صالحاً. فقبل سؤالي إياه حدثني بما في قلبي، وأظهر لي سري، وأسمعني ما سمعتم، قال: ثم دعاه الشيخ – رضي الله عنه – ودعا له، وسأل الله عز وجل له الولد، وناوله شيئاً من بقية طعامه وقال: أطعمها أهلك. قال: ثم رأيته بعد ذلك بمدة، فقال لي: قد رزقني الله عز وجل، والحمد لله ابناً وبنتاً ببركة دعاء الشيخ وهمته.

قال: وسمعت الشيخ أبا بكر عبد الغفار. بن محمد بن عبد الغفار، وكان خال ولد الشيخ – رضي الله عنه – يقول لي: هل علمت سبب وفاة أختي، يعني التي كانت حليلة الشيخ – رحمة الله عليهما – قلت: لا.

قال: قالت أختي: كان للشيخ في الدار بيت مخص به لا يدخله غيره، وكا يأذن لي في بعض الليالي بدخولي فيه، وفي أكثر الأوقات وأغلب الليالي، يغلق الباب على نفسه ويخلو فيه بنفسه، وأبيت أنا في الدار وحدي،

فاشتد ذلك علي، حتى أفلق نهاري، وأسهر ليلي. فبينا أنا متفكرة في بعض تلك الليالي، إذ قلت في نفسي: لم لا أقوم فأرتقي الرواق، وأنظر إليه من كوة البيت لأقف على حاله؟ فقمت وارتقيت الرواق، فقبل بلوغي الكوة رأيت نوراص عظيماً، وضياء ساطعاً من البيت أضاء منه كل شيء، فتقدمت ونظرت في البيت، فرأيت الشيخ جالساً في مكانه، وحوله جماعة يقرءون عليه، وكنت أرى سوادهم، وأسمع حسهم، غير أني لا أرى صورهم. فهالني ذلك، ووقعت مغشياً علي لا أشعر شيئاً، إلا أني رأيت الشيخ واقفاً على رأسي، فأقامني وتلطف بي، وقال لي: ماذا دهاك؟ فقصصت عليه قصتي. فقال لي: كفي عن هذا، ولا تخبري بما رأيت أحداً من الناس، إن كنت تريدين رضاي. فقبلت منه ذلك، وكتمت سره حتى أمرضني، وحملت مريضة إلى دار أبي.

قال الإمام أبو عبد الله: وقال لي الشيخ أبو بكر، واشتد عندا مرضها، وكنا نسألها عن سبب مرضها، وكانت تعلل بأشياء إلى أ وقعت في هول الموت، وسياق النزع فنظرت إلينا وبكت، ثم قالت: أوصيكم بزوجي أبي العلاء واسترضائه، والآن بدا لي أن أخبركم بسبب موتي، ثم قصت علينا هذه القصة، وفارقت الدنيا – رحمها الله – .

قال: وسمعت الشيخ أبا العلاء أحمد بن الحسن الحداد العارف يقول: سمعت الشيخ عمر بن سعد بن عبد الله بن حذيفة، من نسل حذيفة بن اليمان – رضي الله عنه – يقول: كنت مع الحافظ جزءاً من مسموعه وقرأه عليه، ثم سلمنا عليه وارتحلنا من عنده، فوصلنا إلى نهر عظيم، فلما عبرنا النهر، وقع ذلك الجزء منا وضاع، وضاق قلب الحافظ لذلك ضيقاً شديداً. فلما كان بعد ذلك بأيام، استقبلنا رجل حسن الوجه، حسن الشارة، وسلم علينا، ثم أقبل على الحافظ وقال: ما الذي أصابك؟ وما سبب حزنك؟ فقص عليه الحافظ قصة الجزء وكيفية ضياعه، فقال: خذ القلم واكتب عني جميع ما ضاع عنك في ذلك الجزء، وأخذ الحافظ القلم متعجباً ينظر إليه، وهو يملي والحافظ يكتب إلى أن فرغ، فلما فرغ الحافظ أخذ بعض ثيابه فقال: أنشدك الله من أنت؟ فقال: أنا أخوك الخضر، وبعثت إليك لهذا الأمر. ثم غاب عنا فلم نره.

سمعت الشيخ الصالح سنقر بن عبد الله غلام شيخنا أبي طاهر محمد بن الحسن، بن أحمد العطار – رحمه الله – ابن الشيخ – رضي الله عنه – يقول: إني خدمت الشيخ – رضي الله عنه – سنين كثيرة، فرأيت العجائب الكثيرة في خلواته. منها. أنه قام ليلة ليتوضأ، فقال لي استق الماء من البئر فجئت وأرسلت الدلو فيها، فلما بلغ الدلو إلى رأس البئر نظرت فيها، فإذا الدلو مملوء ذهباً أحمر، أضاء الدار حمرته، فصحت صيحة عظيمة. فقال لي أيها الشيخ: ماذا أصابك؟ فأريته الدلو، فاسترجع ثم استغفر، وقال لي: اقلب الدلو في البئر، فإا نطلب الماء لا الذهب. قال: فقلبتها ثم أخذ الدلو من يدي واستقى الماء وقال لي: يا سنقر، إياك إياك أن تخبر بما رأيت أحداً من الناس ما دمت حياً.

قال: رأيت بخط الثقة ذكر أنه نقل من خط الشيخ أبي الفتح محمد بن الحسين بن وهب: سمعت الشيخ أبا عبد الله الحسين بن إبراهيم، بن الحسين بن جعفر الجوزقاني يقول: كنت نائماً ذات ليلة، فرأيت فيما يرى النائم، كأن الناس يهرعون إلى رباط أبي الفرج، أحمد بن علي المقرئ – رحمة الله عليه – قال: فسألت ما

لهؤلاء؟ فقالوا: إن أنس بن مالك – رضي الله عنه – ، نزل في رباط المقرئ، ففرحت وأسرعت، وقصدت الإمام الحافظ أبا العلاء وأخبرته بذلك، فلما سمع مني فرح ونشط، وقام وأخذ جزءاً واحداً من أحاديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – وجاء معي حتى دخلنا الرباط، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في الرباط، ورأينا أنس بن مالك عن يساره، فقدمنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلمنا عليه، وجلسنا بين يديه، فاستأذنه أبو العلاء في قراءة ذلك الجزء عليه، فأذن له فابتدأ أبو العلاء بالقراءة، وقرأ ذلك الجزء قراءة حسنة مبينة صحيحة، ورأيته صلى الله عليه وسلم يتبسم من الفرح مرة إلى وجهه، ومرة إلى وجهي فلما قرأ الجزء انتبهت من النوم، فقمت وتوضأت وصليت الصلاة شكراً لله تعالى على ما رأيت في المنام.

قال: وسمعت الشيخ عمر بن أبي رشيد بن طاهر الزاهد يقول: رآني يوماً الشيخ علي الشاذاني صاحب الكرامات الظاهرة. فقال لي يا عمر: اذهب إلى الحافظ أبي العلاء وقبل جبنينه عني، فإني رأيت الليلة في المنام أن من قبل جبهته موقناً محتسباً – غفر الله له – .

قال: وسمعت الشيخ الزاهد وكان من الأبدال، إن شاء الله يقول: سمعت الشيخ سعيداً المتقي وكان من الصالحين يقول: رأيت جنات عدن مفتوحة أبوابها، وإذا الناس كلهم وقوف ينظرون دخول شخص، فلما قرب من الباب وكاد يدخل جنة عدن، سألت من هذا الشخص الذي يدخل جنة عدن قبل دخول الخلائق؟ فقالوا: الحافظ أبو العلاء ومن كان يحبه في الله عز وجل، فتضرعت وبكيت وقلت: وأنا أيضاً ممن يحبه في الله عز وجل، دعوني أدخل. فقال شخص: صدق: دعوه يدخل، فدخلت مع القوم وهم يقولون: (أدخلوها بسلام آمنين).

قال المصنف: وحكى لي الشيخ الإمام أبو عبد الله زبير بن محمد بن زبير المشكاني – رحمه الله – فقال: رأيت ليلة من الليالي في المنام كأن الإمام أبا العلاء – رضي الله عنه – يمشي إلى الحج، وهو جالس في المهد مربع، والمهد يمشي في الهواء بين السماء والأرض، فعدوت خلفه، فنزل المهد من السماء إلى الأرض وشيء مثل الوتد، وخرج من ذلك المهد فتعلقت به، فقام المهد يمشي في الهواء وأنا متعلق به حتى وصلنا الفرات، فأخذني العطش فقلت للحافظ: إني عطشان أريد أن أشرب، فقال لي: تعال حتى تشرب من زمزم، فمشيا حتى وصلنا مكة فدخلت الحرم، وشربت من ماء زمزم، ورأيت في الحرم خلقاً كثيراً، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الحافظ أبي العلاء، جالساً على تل في الحرم أعلى من سطح الحرم، وما معهما أحد غيرهما، وهما يستقبلان الكعبة، وينظران إلى فوق، ورأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتكلم مع أحد نحو فوق الكعبة، وإذا أراد أن يتكلم قام إليه، ورأيت شيخنا الحافظ أبا العلاء شاخصاً ببصره إلى الذي يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فوق الكعبة، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً، فقلت في نفسي: أذهب فأبصر من الذي يتكلم النبي صلى الله عليه وسلم معه؟ ويظر إليه الحافظ أبو العلاء، فتقدمت وظرت إلى فوق الكعبة، فرأيت عرش الرحمن – جل جلاله – واقفاً فوق الكعبة، ورأيت الرحمن – جل جلاله – عليه، فأشار إلي النبي صلى الله عليه وسلم أن اسأل الله تبارك وتعالى، فسألت الله تعالى أربع حاجات، فسمعته يقول بالفارسية كردم وسألت رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجة ففعل، فنويت الرجوع، فقال لي رسول الله

صلى الله عليه وسلم بالفارسية: شكرانه كو. فوقفت وقرأت (قل هو الله أحد) خمسمائة مرة. فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حسن، فرجعت وتركت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً مع الحافظ أبي العلاء على ذلك التل، وينظران إلى الله عز وجل.

وقد مدحه أفاضل عصره بأشعار كثيرة، منهم أبو عبد الله محمد بن عبد الله المغربي، وقد خرج الشيخ فحجبت الشمس غيماً فقال في ذلك:

ظهرت فأخفت وجهها الشمس هيبة ... وشوقاً إلى مرآك أسبلت الدمعا
ولما رأت مسعاك كفت شؤونها ... لئلا ترى شيئاً يصدك عن مسعى
وقد كان ذاك القطر أيضاً دلالة ... على أن مولى الجمع قد رحم الجمعا
ولا شك أن الله يرحم أمة ... حللت بها قطعاً أقول بذا قطعا

وقد مدحه أبو عبد الله المغربي هذا بقصائد حسان، وقد أفردها الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن محمود، بن أبراهيم، بن الفرج، مؤلف هذه المناقب، – رحمه الله – والأصل يشتمل على ستة أجزاء بخطه كلها – رحمه الله – وقد ذكر فيه بعد ذكر القصائد التي ذكرتها: سمعت أبا بشر محمد بن محمد، بن محمد بن هبة الله، بن عبد الله بان سهل – رحمه الله – يقول: كان أبو عبد الله المغربي بأصفهان في مدرسة النظام وهو يقرأ القرآن، فلما بلغ قوله – عز وجل – (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) قام وصرخ، وترك أمتعته وكتبه، وأقبل إلى الصحراء هائماً، وما ربي بعد ذلك، ولا سمع له خيرلا ولا أثر.

وأنشد موفق بن أحمد المكي الخطيب الحافظ في مدحه:

حفظ الإمام أبي العلاء الحافظ ... بالرجل ينكت هام حفظ الجاحظ
عمرو بن بحر بحره من جدول ... متشعب من بحر بحر الحافظ
ما إن رأينا قبل بحرك من له ... بحر طفوح كالأتي اللافظ
أحييت ما قد غاض من سنن العلا ... والعلم قبلك باليراع الغائظ
بهظ البرايا عبء أدنى علمه ... أعظم به من عبء علم باهظ
كم واعظ، لي أن أجاوز هجره ... لو كان ينجع في وعظ الواعظ
غاظ الأعادي جاهه لعلومه ... فرددت غيظهم بهذا القائظ

وأنشد أيضاً في مدحه:

وليس اعتراف الحاسدين بفضله ... لشيء سوى أن ليس يمكنهم جحد
بدا كعمود الفجر ما فيه شبهة ... فهل لهم من أن يقروا به، بد؟

وأنشد الإمام العلامة أفضل الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الملك، بن عبيد الله بن أحمد بن سعيد الدمانجير الكرخي، – رحمة الله عليه – في مدحه:

صبراً فأيام الهموم تزول ... والدهر يعطيك المنى وينيل
ويثوب من فلك السعادة ثاقباً ... قمر الآماي والحوس أفول

لا تيأسن إذا ألم ملمة ... إن الشدائد تعتري وتحول
والفضل لا يزرى به عدم الغنى ... أوليس يحسن في الرماح ذبول
ما إن يضر الغضب بعد مضائه ... يوم القراع إذا عرته فلول
لا تشتغل بالعسر واطو مشمراً ... بسط الفيافي والشباب مقيل
والبس سواد الليل مرتدياً به ... إن التجلد للرجال جميل
حتى تنيخ العيس في كنف العلا ... حيث التحرم بالنجي كفيل
كنف الإمام القرم قطب الدين من ... جوب الفلا إلا إليه فضول
صدر الزمان أبي العلاء سميدع ... غر المعالي في ذراه تقيل
وهي طويلة.
ولموفق الدين مكي خطيب خوارزم أشعار كثيرة في مدحه. منها:
بقيت بقاء الدهر في الناس خالداً ... أيا خير من في الأرض خالاً ووالدا
لتروي أحاديث النبي محمد ... وتحيي مسانيداً وتزوي معاندا
فهذا دعائي بالحجون وبالصفا ... وهذا مرامي حيثما كنت ساجدا
قال: وسمعت الثقة يقول: سمعت الشيخ – رضي الله عنه – يقول: لما مات فلان أحد أصدقائه ذكر اسمه ونسيه: شق علي موته، وأثر في وفاته، فكنت بعد ذلك أكتب كل سنة كتاب الوصية، وأنا سمعت منه حينئذ صغيراً وهو يقول: غداً من شهر رجب شهر الله الأصم، وأنا أريد أن أجدد مع ربي عهداً، وهذا كتاب وصيته: " بسم الله الرحمن الرحيم " أخبرنا عبد القادر اليوسفي، وهبة الله بن أحمد الشيباني قالا: أخبرنا أبو علي الحسن بن علي التميمي، أخبرنا أحمد بن جعفر القطيعي، حدثا عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل – رضي الله عنهما – ، حدثنا محمد بن عبيد، حدثنا عبد الله بن عمر، عن نافع، عن ابن عمر – رضي الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما حق امرئ مسلم يبيت ليلتين وله شيء يوصي فيه، إلا ووصيته مكتوبة عنده). وأخبرنا الشيخ أبو القاسم، زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد بن محمد الحافظ، أخبرنا أبو عثمان سعد بن محمد النجيرمي، أخبرنا أبو الخير الحنبلي، وأبو بكر محمد ابن أحمد بن عقيل قالا: أخبرنا أبو بكر محمد بن حفص بن جعفر، حدثنا إسحاق بن إبراهيم العصبي، حدثنا خالد بن يزيد الأنصاري، حدثي محمد بن أبي ذئب، عن نافع عن ابن عمر – رضي الله عنهما – ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من لا يحسن الوصية عند الموت، كان نقصاً في مروءته وعقله). قيل: وكيف يوصي؟ قال: يقول: (اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، الرحمن الرحيم، إني أعهد إليك في دار الدنيا، إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبدك ورسولك، وأن الجنة حق، وأن النار حق، وأن البعث حق، والحساب والقدر حق، والميزان حق، وأن الدين كما وصفت، وأن الإسلام كما شرعت، وأن القول كما حدثت، وأن القرآن كما أنزلت، جزى الله محمداً صلى الله عليه وسلم عنا خير الجزاء، وحيا محمداً منا بالسلام. اللهم يا عدتي عند كربتي، ويا صاحبي عند شدتي، ويا ولي

نعمي إلهي وإله آبائي، لا تكلني إلى نفسي طرفة عين، فإنك إن تكلني إلى نفسي أقرب من الشر، وأتباعد من الخير، فآنسني في قبري من وحشتي، واجعل لي عهداً يوم ألقاك).

ثم يوصي بحاجته. وتصديق هذه الوصية في القرآن: (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً). فهذا عهد الميت. وهذه وصيته سنة إحدى وعشري وخمسمائة. وقلتها من خطه: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به الحسن بن أحمد بن الحسن، بن أحمد بن محمد العطار، طوعاً في صحة عقله وبدنه، وجواز أمره، أوصى وهو يشهد (أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولداً، ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل، وخلق كل شيء فقدره تقديراً، ألا له الخلق والأمر، تبارك الله رب العالمين). ويشهد أن محمداً عبده ورسوله (أرسله بالهدى ودين الحق، ليظهره على الدين كله، ولو كره المشركون). صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً، ويشهد أن الجنة حق، والنار حق، والبعث حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور. وأنه جل وعز جامع الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم في صعيد واحد، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، ويشهد أن صلاته ونسكه، ومحياه ومماته لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمر وهو من المسلمين، وأنه رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً، وبالقرآن إماماً، وبالمؤمنين إخواناً، وأنه يدين لله عز وجل بمذهب أصحاب الحديث، ويتضرع إلى الله عز وجل، ويتوسل إليه بجميع كتبه المنزلة، وأسمائه الحسنى، وكلماته التامات، وجميع ملائكته المقربين، وأنبيائه المرسلين أن يحييه على ذلك حيا، ويميته على ذلك إذا توفاه، وأن يبعثه عليه يوم الدي، وأوصى نفسه وخاصته وقرابته، ومن سمع وصيته بتقوى الله، وأن يعبدوه في العابدين، ويحمدوه في الحامدين، ويذكروه في الذاكرين، ولا يموتن إلا وهم مسلمون، وأوصى إلى الشيخ أبي مسعود إسماعيل بن أبي القاسم الخاز في جميع تركته، وما يخلفه بعده، وفي قضاء ديونه، واقتضاء ديونه وإنفاذ وصاياه، وذكره في ذلك بتقوى الله وإيثار طاعته، وحذره أن يبدل شيئاً من ذلك أو يغيره، وقد قال الله تعالى: (فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلوه، إن الله سميع عليم).
وكتب هذه الوصية موصيها الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد بن محمد بن العطار، في يوم الثلاثاء السابع من ذي الحجة، سنة إحدى وعشري وخمسمائة.
قال: وحدثني من شهد قبض روح الشيخ – رضي الله عنه – قال: كنا قعوداً في ذلك الوقت، وكنا نحب أن نلقنه كلمة الشهادة رعاية للسنة، ومع هذا كنا نخشى من هيبته، ونحذر سوء الأدب، فبقينا متحيرين حتى قلنا للرجل من أصحاب الشيخ: اقرأ أنت سورة يس. فرفع الرجل صوته يقرأ السورة، وكنا ننظر إليه ونراقب حاله، فدهش القارئ وأخطأ في القراءة، ففتح الشيخ عينه ورد عليه، فسررنا لذلك وحمدا الله عز وجل، ثم جئ إليه بقدح فيه شيء من الدواء، ووضع القدح على شفته، فولى وجهه ورد القدح بفيه، وفتح عينه وقال: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، رافعاً بها صوته وفاضت نفسه – رحمه الله، ورضي عنه وأرضاه، وجعل أعلى الجنان مأواه – . وكان ذلك قبيل العشاء الآخرة ليلة الخميس، التاسع عشر من جمادى الأولى، عام تسع وتسعين وخمسمائة، ودفن يوم الخميس في مسجده، وصلى عليه ابنه الإمام ركن الدين شيخ

الإسلام أبو عبد الله أحمد، القائم مقامه، وخليفته على أولاده، وأصحابه وأتباعه. – رحمه الله – .
والكتاب الذي يشتمل على مناقبه، كتاب ضخم جليل. وإنما كتبت هذه النبذة ليستدل لها على فضله ومرتبته – رحمة الله عليه – ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين.

الحسن بن أبي عباد، اليمني النحوي

من وجوه اليمن، كان يصحب الفقيه يحيى بن أبي الخير، وعمه إبراهيم بن أبي عباد نحوي أيضاً يذكر في موضعه. وصنف الحسن هذا مختصراً في النحو مشهوراً بالمن، يقرؤه المبتدئون وهو قريب العهد، تقارب وفاته سنة تسعين وخمسمائة. وهو القائل:

لعمرك ما اللحن من شيمتي ... ولا أنا من خطأ ألحن
ولكنني قد عرفت الأنا ... م فخاطبت كلاً بما يحسن

الحسن بن أسد بن الحسن الفارقي

أبو نصر، شاعر رقيق الحواشي، مليح النظم، متمكن من القافية، كثير التجنيس، قلما يخلو له بيت من تصنيع وإحسان وبديع. كان في أيام نظام الملك والسلطان ملكشاه، وشمله منهما الجاه، فخلصه الكامل الطبيب في أيام نظام الملك، بعد أن قبض عليه وأساء إليه، فإنه كان مستولياً على آمد وأعمالها، مستبداً باستيفاء أموالها. وكان نحوياً رأساً. وإماماً في اللغة يقتدى به. وصنف في الآداب تصانيف تقوم له مقام شاهدي عدل بفضله، وعظم قدره. منها: كتاب شرح اللمع كبير كتاب الإفصاح في شرح أبيات مشكلة.
حدثني الشيخ الإمام موفق الدين أبو لابقاء يعيش ابن لعي بن يعيش النحوي قال: حدثي قاضي عسكر نور الدين محمود بن زنكي قال: قدم على ابن مروان صاحب ديار بكر شاعر من العجم يعرف بالغساني. وكان من عادة ابن مروان إذا قدم عليه شاعر يكرمه وينزله، ولا يجتمع به إلى ثلاثة أيام ليستريح من سفره، ويصلح شعره، ثم يستدعيه. واتفق أن الغساني لم يكن أعد شيئاً في سفره، ثقة بقريحته، فأقام ثلاثة أيام فلم يفتح عليه بعمل بيت واحد وعلم أنه يستدعى ولا يليق أن يلقى الأمير بغير مديح، فأخذ قصيدة من شعر ابن أسد لم يغير فيها إلا اسمه. وعلم ابن مروان بذلك، فغضب من ذلك وقال: يجئ هذا العجمي فيسخر منا؟ ثم أمر بمكاتبة ابن أسد، وأمر أن يكتب القصيدة بخطه ويرسلها إليه، فخرج بعض الحاضرين، فأنهى القضية إلى الغساني وكان هذا بآمد. وكان له غلام جلد فكتب من ساعته إلى ابن أسد كتاباً يقول فيه: إني قدمت على الأمير، فأرتج علي قول الشعر مع قدرتي عليه، فادعيت قصيدة من شعرك استحساناً لها وعجباً بها، ومدحت بها الأمير. ولا أبعد أن تسأل عن ذلك، فإن سئلت فرأيك الموفق في الجواب فوصل غلام الغساني قبل كتاب ابن مروان. فجحد ابن أسد أن يكون عرف هذه القصيدة، أو وقف على قائلها قبل هذا. فلما ورد الجواب على ابن مروان، عجب من ذلك واساء إلى الساعي وشتمه وقال: إنما قصدكم فضيحتي بين الملوك، وإنما يحملكم على هذا الفعل الحسد منكم لمن أحسن إليه؟ ثم زاد في الإحسان إلى

الغساني، وانصرف إلى بلاده، فلم يمض على ذلك إلا مديدة حتى اجتمع أهل ميافارقين إلى ابن أسد، ردعوه إلى أن يؤمروه لعيهم، ويساعدوه على العصيان، وإقامة الخطبة للسلطان ملكشاه وحده، وإسقاط اسم ابن مروان من الخطبة، فأجابهم إلى ذلك، وبلغ ذلك ابن مروان، فحشد له وزل على ميافارقين محاصراً فأعجزه أمرها، فأفذ إلى نظام الملك والسلطان يستمدهما فأنفذا إليه جيشاً ومدداً مع الغساني الشاعر المذكور آنفاً، وكان قد تقدم عند نظام الملك والسلطان، وصار من أعيان الدولة، وصدقوا في الزحف على المدينة حتى أخذوها عنوة، وقبض على ابن أسد، وجئ به إلى ابن مروان فأمر بقتله فقام الغساني وشدد العناية في الشفاعة فيه، فامتنع ابن مروان امتناعاً شديداً من قبول شفاعته وقال: إن ذنبه وما اعتمده من شق العصا، يوجب أن يعاقب عقوبة من عصى، وليس عقوبة غير القتل. فقال: بيني وبين هذا الرجل ما يوجب قبول شفاعتي فيه، وأنا أتكفل به ألا يجري منه بعد شيء يكره. فاستحيى منه وأطلقه له، فاجتمع به الغساني وقال له: أتعرفني؟ قال: لا والله، ولكنني أعرف أنك ملك من السماء، من الله بك علي لبقاء مهجتي. فقال له: أنا الذي ادعيت قصيدتك وسترت علي، وما جزاء الإحسان إلا الإحسان. فقال ابن أسد: ما رأيت ولا سمعت بقصيدة جحدت فنفعت صاحبها أكثر من نفعها إذا ادعاها غير هذه. – فجزاك الله عن مروءتك خيراً – ، وانصرف الغساني من حيث جاء.

وأقام اب أسد مدة ساءت حاله، وجفاه إخوانه، وعاداه أعوانه، ولم يقدم أحد على مقاربته ولا مرافدته، حتى أضر به العيش، فعمل قصيدة مدح بها ابن مروان، وتوصل حتى وصلت إليه. فلما وقف ابن مروان عليها غضب وقال: ما يكفيه أن يخلص منا رأساً برأس، حتى يريد منا الرفد والمعيشة، لقد أذكرني بنفسه، فاذهبوا به فاصلبوه، فذهبوا به فصلبوه، – رحمه الله – .

ومن شعر الحسن بن أسد الفارقي – رحمه الله – :

بنتم فما كحل الكرى ... لي بعد وشك البين عينا
ولقد غدا كلفي بكم ... أذناً علي لكم وعينا
فأسلت بعد فراقكم ... من ناظري بالدمع عينا
فحكت مدامعها الغزا ... ر من الغيوم الغر عينا

جادت على أثر شفى ... عيناً لهم لم تلق عينا
من كل واضحة الترا ... ئب سهلة الخدين عينا
غراء تحسب وجهها ... للشمس حين تراه عينا
أمسيت في حبي لها ... عبداً أضام وكنت عيا
لا قر ركب بالركا ... ئب إذ يهن سرين عينا
غاظ الحسود لنا الوصا ... ل فلا رعاه الله عينا
فذممت حرفاً عاينت ... عيناي في أولاه عينا
كانت تناصفنا بصا ... في الود لا ورقاً وعينا

لهفي وقد أبصرت في ... ميزان ذاك الوصل عينا
كم من أخ فينا وعى ... ما لم نكن فيه وعينا
ومصاحب صفت في ... غدراته للعين عينا
وقال في الشمعة:
ونديمة لي في الظلام وحيدة ... مثل مجاهدة. كمثل جهادي
فاللون لوني، والدموع كأدمعي ... والقلب قلبي، والسهاد سهادي
لا فرق فيما بيننا لو لم يكن ... لهبي خفياً وهو منها بادي
وله أيضاً:
أريقاً من رضابك أم رحيقا ... رشفت فلست من سكري مفيقا
وللصهباء أسماء ولك ... جهلت بأن في الأسماء ريقا
حمتني عن حميا الكأس نفس ... إلى غير المعالي لن تتوقا
وما تركي لها شح ولكن ... طلبت فما وجدت لها صديقا
وله أيضاً:
وإخوان بواطنهم قباح ... وإن كانت ظواهرهم ملاحا
حسبت مياه ودهم عذاباً ... فلما ذقتها كانت ملاحا
وله أيضاً:
ووقت غنمناه من الدهر مسعد ... معار، وأوقات السرور عواري
معانيه مما نبتغيه جميعها ... كواس ومما لا نريد عواري
أدار علينا الكاس فيه ابن أربع ... وعشر له بالكاس أي مدار!
تناولتها منه بكف كأنما ... أناملها تحت الزجاج مداري
وله أيضاً:
تيم قلبي شادن أغيد ... ملك فالناس له أعبد
لو جاز أن يعبد في حسنه ... وظرفه كنت له أعبد
وله أيضاً:
هويت بديع الحسن للغصن قده ... وللظبي عيناه وخداه للورد
غزال من الغزلان لكن أخافه ... وإن كنت مقداماً على الأسد الورد
وله أيضاً:
ولرب دان منك يكره قربه ... وتراه وهو عناء عينك والقذى
فاعرف وخل مجرباً هذا الورى ... واترك لقائك ذا كفافاً والق ذا
وله أيضاً:
أيا ليلة زار فيها الحبيب ... أعيدي لنا منك وصلاً وعودي

فإني شهدتك مستمتعاً ... به بين رنة ناي وعود
وطيب حديث كزهر الرياض ... تضوع ما بين مسك وعود
سقتك الرواعد من ليلة ... بها اخضر يابس عيشي وعودي
وفي لي بوعد ولا تخلف ... يه إخلاف دهر به في وعودي
فلما تقضيت أمرضتني ... فزوري مريضك يوماً وعودي

وله أيضاً:

يا من حكى ثغره الدر النظيم ومن ... تخال أصداغه السود العناقيدا
إعطف على مستهام ضم من أسف ... على هواك وفي حبل العناقيدا

وله أيضاً:

بنتم فما لحظ الطرف الولوع بكم ... شيئاً يسر به قلبي ولا لحا
فلو محا فيض دمع من تكاثره ... إنسان عين إذاً إنسانه لحا

وله أيضاً:

أياكم أعاني الوجد في كل صاحب ... ولست أراه لي كوجدي واجدا
إذا كنت ذا عدم فحرب مجانب ... وتلقاه لي سلماً إذا كنت واجداً
أحاول في دهري خليلاً مصافياً ... وهيهات خلا صافياً لست واجدا

وله أيضاً:

بعدت فأما الطرف مني فساهد ... لشوقي وأما الطرف منك فراقد
فسل عن سهادي أنجم الليل إنها ... ستشهد لي يوماً بذاك الفراقد
قطعتك إذ أنت القريب لشقوتي ... وواصلني قوم إلى أباعد

فيأهل ودي إن أبي وعد قربنا ... زمان، فأنتم لي به إن أبي عدوا

وله أيضاً:

لا يصرف الهم إلا شدو محسنة ... أو منظر حسن تهواه أو قدح
والراح للهم أنفاها فخذ طرفاً ... منها ودع أمة فس شربها قدحوا
بكر تخال إذا ما المزج خالطها ... سقاتها أنهم زنداً بها قدحوا

وله أيضاً:

بعدت فقد اضرمت ما بين أضلعي ... ببعدك ناراً شجو قلبي وقودها
وكلفت نفسي قطع بيداء لوعة ... تكل بها هوج المهاري وقودها

وله أيضاً:

تجلد على الدهر واصبر لكل ما ... عليك الإله من الرزق أجرى
ولا يسخطنك صرف القضاء ... فتعدم إذ ذاك حظاً وأجرا

فما زال رزق امرئ طالب ... بعيداً إليه دجى الليل يسرى
توقع إذا ضاق أمر علي ... ك خيراً فإن مع العسر يسرا
وله أيضاً:
قد كان قلبي صحيحاً كالحمى زمناً ... فمذ أباح الهوى منه الحمى مرضا
فكم سخطت على من كان شيمته ... وقد أبحت له فيك الحمام رضا
يا من إذا فوقت سهماً لواحظه ... أضحى لها كل قلب قلب غرضا
أنا الذي إن يمت حباً يمت أسفاً ... وما قضى فيك من أغراضه غرضا
ألبست ثوب سقام فيه صار له ... جسمي لرقته من سقمه حرضا
وصرت وقفاً على هم يجاذبني ... أيدي الصبابة فيه كلما عرضا
ما إن قضى الله شيئاً في خليقته ... أشد من زفرات الحب حين قضى
فلا قضى كلف نحباً فأوجعني ... أن قيل إن الحب المستهام قضى
وله أيضاً:
نراك يا متلف جسمي ويا ... مكثر إعلالي وأمراضي
من بعد ما أضنيتني ساخطاً ... علي في حبك أم راضي؟

الحسن بن بش بن الآمدي، النحوي الكاتب

أبو القاسم صاحب كتاب الموازنة بي الطائيي. كان حسن الفهم، جيد الدراية ولارواية، سريع الإدراك. رأيت سماعه على كتاب القوافي لأبي العباس المبرد، وقد سمعه على نفطويه سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، ثم وجدت خطه على كتاب تبيين قدامة بن جعفر وفي نقد الشعر، وقد ألفه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقد قرأه عليه، وكتب خطه في سنة خمس وستين وثلاثمائة. وقال ابن النديم في الفهرست الذي ألفه في سة سبع وسبعين وثلاثمائة. هو من أهل البصرة، قريب العهد، وأحسبه يحيا إلى الآن، ثم وجدت كتاب القوافي للمبرد بخط أبي منصور الجواليقي ذكر في إسناده: أن عبد الصمد بن حنيش النحوي قرأه على أبي القاسم الآمدي في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة. وفي تاريخ هلال بن المحسن في هذه السنة يعني في سنة سبعين: مات الحسن ابن بشر الآمدي بالبصرة.
وقال أبو القاسم المحسن التنوخي: حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي، كاتب القضاء من بني عبد الواحد بالبصرة، وله شعر حسن، واتساع تام في الأدب، ودراية وحفظ، وكتب مصنفة قال: حدثني أبو إسحاق الزجاج قال: كنا ليلة بحضرة القاسم بن عبيد الله نشرب وهو وزير، فغنت بدعة جارية عريب:
أدل فأكرم به من مدل ... ومن ظالم لدمى مستحل
إذا ما تعزز قابلته ... بذل وذلك جهد المقل
وأسلمت خدي له خاضعاً ... ولولا ملاحته لم أذل

فأدت فيه صنعة حسنة جداً، فطرب القاسم عليه طرباً شديداً، واستحسن الصنعة جداً والشعر فأفرط. فقالت بدعة يا مولاي: إن لهذا الشعر خبراً حسناً أحسن منه، قال: وما هو؟ قالت هو لأبي حازم القاضي. قال: فعجبنا من ذلك مع شدة تقشف القاضي أبي حازم وورعه وتقبضه. فقال الوزير: بالله يا أبا إسحاق، اركب إلى أبي حازم واسأله عن هذا الشعر وسببه. فباكرته وجلست حتى خلا وجهه ولم يبق إلا رجل بزي القضاة عليه قلنسوة، فقلت: بيننا شيء أقوله على خلوة؟ فقال: ليس هذا ممن أكتمه شيئاً. فقصصت عليه الخبر، وسألت عن الشعر والخبر، فتبسم ثم قال: هذا شيء كان في الحداثة قلته في والدة هذا، وأومأ إلى القاضي الجالس، وإذا هو ابنه وكنت إليها مائلاً، وكانت لي مملوكة، ولقلبي مالكة، فأما الآن، فلا عهد لي بمثله منذ سنين، ولا عملت شعراً منذ دهر طويل، وأنا أستغفر الله مما مضى. قال: فوجم الفتى حتى ارفض عرقاً، وعدت إلى القاسم فأخبرته، فضحك من خجل الإبن وقال: لو سلم من العشق أحد لكان أبا حازم مع تقبضه، وكنا نتعاود ذلك زماناً.

قال المؤلف: كان هذا الخبر بترجمة إسحاق الزجاج أحرى، إلا أن في أوله من إيضاح حال الآمدي ما ساق باقي الحديث.

قال أبو علي: كان قد ولي القضاء بالبصرة – في سنة نيف وخمسين وثلاثمائة – رجل لم يكن عندهم بمزلة من صرف به، لأنه ولي صارفاً لأبي الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمي، فقال فيه أبو القاسم الحسن ابن بشر الآمدي، كاتب القاضيين أبي القاسم جعفر، وأبي الحسن محمد بن عبد الواحد:

رأيت قلنسوة تستغي ... ث من فوق رأس تنادي خذوني
وقد قلعت وهي طوراً تمي ... ل من عن يسار ومن عن يمين
فطوراً تراها فويق القفا ... وطوراً تراها فويق الجبين
فقلت لها أي شيء دهاك؟ ... فردت بقول كئيب حزين
دهاني أن لست في قالبي ... وأخشى من الناس أن يبصروني
وأن يعبثوا بمزاح معي ... وإ فعلوا ذاك بي قطعوني
فقلت لها مر من تعرفين ... من المنكرين لهذي الشؤون
ومن كان يصفع في الدين لا ... يملء ويشتد في غير لين
ويلمح ملئك كيل التما ... م إما على صحة أو جنون
ففارقها ذلك الإنزعاج ... وعادت إلى حالها في السكون

وحدث ابن نصر قال: حدثت يوماً أبا الفرج الببغا الشاعر: أن أبا الفرج منصور بن بشر النصراني الكاتب، كان منقطعاً إلى أبي العباس بن ماسرجس، فأنفذه مرة إلى أبي عمر إسماعيل بن أحمد عامل البصرة في بعض حاجاته، فعاد من عنده مغضباً لأنه لم يستوف له القيام عند دخوله، وأراد أبو العباس إنفاذه بعد أيام، فأبى وقال: لو أعطيتني زورق ابن الخواستيني مملوءاً كيميا، كل مثقال منه إذا وضع على ألف مثقال صفراً صار ذهباً إبريزاً ما مضيت إليه، فأمسك عنه مغيظاً. وهذا زورق معروف بالبصرة، وحمله ثلاثمائة ألف رطل، وقد رأيت دواتي أبي العباس سهل بن بشر. وقد حكى له أن ابن علان قاضي القضاة بالأهواز، ذكر أنه

رأى قبجة وزنها عشرة أرطال فقال: هذا محال. فقيل له: ترد قول ابن علان؟ قال: فإن قال ابن علان: إن على شاطئ جيحون نخلاً يحمل غضاراً صينياً مجزعاً بسواد أقبل منه؟ وقلت لأبي الفرج: وللناس عادات في المبالغات، وهذا من أعجبها. فقال لي: كان الآمدي النحوي صاحب كتاب الموازنة، يدعي هذه المبالغات على أبي تمام، ويجعلها استطراداً لعيبه إذا ضاق عليه المجال في ذمه، وأورد في كتابه قوله من قصيدته التي أولها: من سجايا الطلول ألا تجيبا

خضبت خدها إلى لؤلؤ العق ... د دماً أن رأت شواتي خضيبا

كل داء يرجى الدواء له إل ... لا القطيعين ميتة ومشيبا

ثم قال: هذه من مبالغاته المسرفة. ثم قال أبو الفرج: هذه والله المبالغة التي يبلغ بها السماء. وله من الكتب: كتاب المختلف والمؤتلف في أسماء الشعراء، كتاب نثر المنظوم، كتاب الموازنة بين أبي تمام والبحتري، كتاب في أن الشاعرين لا يتفق خواطرهما، كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبا من الخطإ، كتاب فرق ما بين الخاص والمشترك من معاني الشعر، كتاب تفضيل شعر امرئ القيس على الجاهليين، كتاب في شدة حاجة الإنسان إلى أن يعرف نفسه، كتاب تبيين غلط قدامة بن جعفر في كتاب نقد الشعر، كتاب معاني شعر البحتري، كتاب الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام، كتاب فعلت وأفعلت غاية لم يصنف مثله، كتاب الحروف من الأصول في الأضداد رأيته بخطه في نحو مائة ورقة، كتاب ديوا شعره نحو مائة ورقة. وقرأت في كتاب ألفه أحد بني عبد الرحيم الوزراء الذي مدحهم مهيار وغيره ولم يذكر اسمه قال: أخبرني القاضي أبو القاسم التنوخي عن أبيه أبي علي المحسن: أن مولد أبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي بالبصرة، وأنه قدم بغداد يحمل عن الأخفش، والحامض، والزجاج، وابن دريد، وبان السراج وغيرهم اللغة والنحو. وروى الأخبار في آخر عمره بالبصرة. وكان يكتب بمدينة لاسلام لأبي جعفر هارون بن محمد الضبي خليفة أحمد بن هلال صاحب عمان، بحضرة المقتدر بالله ووزارته، ولغيره من بعده. وكتب بالبصرة لأبي الحسن أحمد، وأبي أحمد طلحة بن الحسن بن المثنى، وبعدهما لقاضي البلد أبي جعفر بن عبد الواحد الهاشمي على الوقوف التي تليها القضاة ويحضر به في مجلس حكمه، ثم لأخيه أبي الحسن محمد بن عبد الواحد لما ولي قضاء البصرة، ثم لزم بيته إلى أن مات. وكان كثير الشعر، حس الطبع، جيد الصنعة، مشتهراً بالتشبيهات. ولأبي القاسم تصانيف كثيرة جيدة مرغوب فيها. منها: كتاب الموازنة بين البحتري وأبي تمام في عشرة أجزاء، وهو كتاب حسن وإ كان قد عيب عليه في مواضع منه، ونسب إلى الميل مع البحتري فيما أورده، والتعصب على أبي تمام فيما ذكره. والناس بعد فيه على فريقين: فرقة قالت برأيه حسب رأيهم في البحتري وغلبة حبهم لشعره. وطائفة أسرفت في التقبيح لتعصبه، فإنه جد واجتهد في طمس محاسن أبي تمام، وتزيين مرذول البحتري. ولعمري إن الأمر كذلك، وحسبك أنه بلغ في كتابه إلى قول أبي تمام: أصم بك الناعي وإن كان أسمعا وشرع في إقامة البراهين على تزييف هذا الجوهر الثمين فتارة يقول: هو مسروق، وتارة يقول: هو مرذول، ولا يحتاج المتعصب إلى أكثر من ذلك إلى غير ذلك من تعصباته، ولو أنصف وقال في كل واحد بقدر فضائله، لكان في محاسن البحتري كفاية عن التعصب بالوضع من أبي تمام. وله أيضاً: كتاب

الخاص والمشترك، تكلم فيه على الفرق بين الألفاظ والمعاني التي تشترك العرب فيها، ولا ينسب مستعملها إلى السرقة وإن كان قد سبق إليها، وبين الخاص الذي ابتدعه الشعراء وتفردوا به ومن اتبعهم، وما قصر في إيضاح ذلك وتحقيقه إلى غير ذلك من تصانيفه التي ذكرنا منها ما قدرنا عليه فيما تقدم. ومن شعره:

يا واحداً كان في الزمان ... لا من يجاريه أو يداني؟
دعني من نائل جزيل ... يعجز عن شكره لساني
فلست والله مستميحاً ... ولا أخا مطمع تراني
وهب إذا كنت لي وهوباً ... من بعض أخلاقك الحسان

وقال في أبي محمد المافروخي وكان عالماً فاضلاً لا يجارى، لكنه كان تمتاماً:

لا تنظرن إلى تتعتعه إذا ... رام الكلام ولفظه المعتاص
وانظر إلى المحكم التي يأتي بها ... تشفيك عند تطلق وخلاص
فالدر ليس يناله غواصه ... حتى تقطع أنفس الغواص

وفي النشوار: حدثني أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي قال: قال أبو أحمد: طلحة بن الحسين بن المثنى، وقد تجارينا على خلوة للحديث عما كان بينه وبين أبي القاسم البريدي، وتدبير كل واحد منهما لصاحبه في القبض عليه، وأشرت عليه بأ يهرب من البصرة ولا يقيم، وأنه يجب أن يغير زيه فقال: لست أفكر في هذا الرجل لأمور كثيرة، منها: رؤيا رأيتها منذ ليال كثيرة. فقلت: ما هي؟ فقال: رأيت ثعباناً عظيماً قد خرج من هذا الحائط، وأوأ بيده إلى حائط في ملجسه وهو يريدني فطلبته فأتيته في الحائط. فتأولت ذلك أن الثعبا البريدي وأني أغلبه. قال: فحين قال: فأتيته في الحائط، سبق إلى قلبي أن البريدي هو الثابت، وأن الحائط حياطة له دون أبي أحمد. فأردت أن أقول له: إن الخبر مستفيض لما كان عبد الملك رأى في منامه، كأنه وابن الزبير اصطرعا في صعيد من الأرض، فطرح ابن الزبير عبد الملك تحته على الأرض، وأوتده بأربعة أوتاد فيها، وأنه أنفذ راكباً إلى البصرة، حتى لقي ابن سيرين، فقص عليه الرؤيا كأنها له، وكتم ابن الزبير. فقال له ابن سيرين: هذه الرؤيا ليست رؤياك، فلا أفسرها لك، فألح عليه فقال له: هذه للرؤيا يجب أن تكون لعبد الملك، فإن صدقني فسرتها لك، فقال: هو كما وقع لك. فقال: قل له: إن صحت رؤياك هذه فستغلب ابن الزبير على الأرض، ويملك الأرض من صلبك أربعة ملوك. فمضى الرجل إلى عبد الملك فأخبره، فعجب من فطنة ابن سيرين فقال: ارجع إليه فقل له: من أين قلت ذلك؟ فرجع الرجل إليه، فقال له: إن الغالب في النوم هو المغلوب، وتمكنه على الأرض غلبه عليها، والأوتاد الأربعة التي أوتدها في الأرض: هم ملوك يتمكنو من الأرض كما تمكنت الأوتاد.

قال أبو القاسم الآمدي: فأردت أن أقول لأبي أحمد هذا، وما وقع لي من القياس عليه في تفسير رؤياه، فكرهت ذلك لأنه كان يكون سوء أدب وقباحة عشرة، وعياً لنفسه، فما مضت الأيام حتى قبض البريدي عليه، وكان من أمره ما كان.

أبو الحسن البوراني

معتزلي نحوي، ذكره المقدر عند ذكره لجماعة من المعتزلة النحويين فقال: وأبو الحسن البوراني، ناهيك تدقيقاً في مسائل الكتاب، وكان في أيام أبي علي الفارسي وطبقته.

الحسن بن الحسين بن عبيد الله

ابن عبد الرحمن، ابن العلاء بن أبي صفرة، المعروف بالسكري، أبو سعيد النحوي اللغوي، الراوية الثقة المكثر. مات في سنة خمس وسبعين ومائتين، ومولده في سنة اثنتي عشرة ومائتي. سمع يحيى بن معين، وأبا حاتم السجستاني، والعباس بن الفرج الرياشي، ومحمد بن حبيب، والحارث اب أبي أسامة، وأحمد بن الحارث الخزاز وخلقاً سواهم. وأخذ عنه محمد بن عبد الملك التاريخي وكان ثقة صادقاً يقرئ القرآن، وانتشر عنه من كتب الأدب ما لم ينتشر عن أحد من نظرائه. وكان إذا جمع جمعاً فهو الغاية في الاستيعاب والكثرة.
حدث أبو الكرم خميس بن علي الحوزي النحوي الحافظ الواسطي في أماليه، – وله في هذا الكتاب باب – قال: قدم أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري بغداد، فحضر مجلس أبي زكريا الفراء وهو يومئذ شيخ الناس بها، فأملى الفراء باباً في التصغير قال فيه: العرب تقول: هو الهن وتصغيره الهنى وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجر الهنيين، وأنشد عليه قول القتال الكلابي:
يا قاتل الله صلعاناً تجئ بهم ... أم الهنيين من زند لها وارى
فأمسك أبو سعيد حتى إذا انقضى المجلس، ولم يبق فيه أحد سوى الفراء، تقدم أبو سعيد حتى جلس بين يديه وقال له: – أكرمك الله – أنا رجل غريب وقد مر شيء، أتأذن لي في ذكره؟ فقال اذكره. فقال: إنك قلت هو الهن، وتثنيته في الرفع الهنيان، وفي النصب والجر الهنيين، وهذا جميعه كما قلت، ثم أنشدت قول الكلابي:
يا قاتل الله صلعاناً تجئ بهم ... أم الهنيين من زد لها وارى
وليس هكذا أنشدناه أشياخنا. قال الفراء: ومن أشياخك؟ قال: أبو عبيدة، وأبو زيد، والأصمعي. قال الفراء: وكيف أنشده أشياخك؟ فقال: زعموا أن الهنبر بوزن الخنصر: ولد الضبع. وأن القتال قال:
يا قاتل الله صلعاناً تجئ بهم ... أم الهنيبر من زد لها وارى
على التصغير. ففكر الفراء ساعة وقال: – أحسن الله عن الإفادة بحسن الأدب جزاءك – .

قال المؤلف ياقوت بن عبد الله: هكذا وجدت هذا الخبر في أمالي اجوزي، وهو ما علمت من الحفاظ، إلا أنه غلط فيه من وجوه، وذلك أن السكري لم يلق الأصمعي ولا أبا عبيدة، ولا أبا زيد، وإنما روى عمن روى عنهم: كابن حبيب، وابن أبي أسامة، والخزاز وطبقتهم. ثم إن السكري ولد في سنة اثنتي عشرة ومائتين. وأبو عبيدة مات سنة تسع عشرة ومائتين وأبو زيد مات سنة خمس عشرة ومائتين. والأصمعي مات في سنة ثلاث عشرة ومائتين، أو خمس عشرة ومائتين، فمتى قرأ عليهم؟ وهذه الجماعة المذكورة هم في طبقة الفراء، لأن الفراء مات في سنة سبع ومائتين، ولعل هذه الحكاية عن غير السكري، وأوردها خميس عنه سهواً، وأوردتها أنا كما وجدتها.
وللسكري من الكتب على ما ذكره محمد بن إسحاق النديم: كتاب أشعار هذيل، كتاب النقائض، كتاب

النبات، كتاب الوحوش جود في تصنيفه، كتاب المناهل والقرى، كتاب الأبيات السائرة. وعمل أشعار جماعة من الشعراء، منهم: امرؤ القيس، النابغة الذبياني، النابغة الجعدي، زهير، الحطيئة، لبيد، تميم بن مقبل، دريد بن الصمة، الأعشى، مهلهل، متمم بن نويرة، أعشى باهلة، الزبرقان بن بدر، بشر بن أبي حازم، المتلمس، الراعي، الشماخ، الكميت، ذو الرمة، الفرزدق. ولم يعمل شعر جرير، وعمل شعر أبي نواس، وتكلم على معانيه وغريبه في نحو ألف ورقة ولم يتم، وإنما عمل مقدار ثلثيه.

قال محمد بن إسحاق النديم: ورأيته بخط الحلواني، وكان الحلواني قريب أبي سعيد السكري. وعمل شعر قيس بن الخطيم، وهدبة بن خشرم، وابن أحمر العقيلي، والأخطل، وغير هؤلاء.

وأما أشعار القبائل فإنه عمل منهم: أشعار بني هذيل، أشعار بني شيبان، وبني ربيعة، أشعار بني يربوع، أشعار بني طيء، أشعار بني كنانة، أشعار بني ضبة، أشعار بجيلة، أشعار بني العين، أشعار بني يشكر، أشعار بني حنيفة، أشعار بني محارب، أشعار الأزد، أشعار بني نهشل، أشعار بني عدي، أشعار بني أشجع، أشعار بني نمير، أشعار بني عبد ود، أشعار بني مخزوم، أشعار بني سعد، أشعار بني الحارث، أشعار الضباب، أشعار فهم وعدوان، أشعار مزينة.

وحدث الصولي قال: كنت عند أحمد بن يحيى ثعلب فنعي إليه السكري فتمثل:

المرء يخلق وحده ... ويموت يوم يموت وحده

والناس بعد هالك ... هل من رأيت الناس بعده

الحسن بن الخطير

أبو علي الفارسي المعروف بالظهير، كان فقيهاً لغوياً نحوياً، مات بالقاهرة من الديار المصرية في شهور سنة ثمان وتسعين وخمسمائة. حدثني بجميع ما أورده عنه ههنا من خبره ووفاته، تلميذه الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي، الحسني الصعيدي بالقاهرة في سنة إثنتي عشرة وستمائة قال: كا الظهير يكتب على كتبه في فتاويه – الحسن النعماني – ، فسألته ع هذه النسبة فقال: أنا نعماني، أنا من ولد النعمان بن المنذر، ومولدي بقرية تعرف بالنعمانية، ومنها ارتحلت إلى شيراز، فتفقهت بها فقيل لي الفارسي، وأنتحل مذهب النعمان وأنتصر له فيما وافق اجتهادي. وكان عالماً بفنون من العلم، كان قارئاً بالعشر والشواذ، عالماً بتفسير القرآن وناسخه ومنسوخه، والفقه والخلاف، والكلام والمنطق، والحساب والهيئة والطب، مبرزاً في اللغة والنحو، والعروض والقوافي، ورواية أشعار العرب وأيامها وأخبار الملوك من العرب والعجم. وكان يحفظ في كل فن من هذه العلوم كتاباً، فكان يحفظ في علم التفسير كتاب لباب التفسير لتاج القراء، وفي الفقه كتاب الوجيز للغزالي، وفي فقه أبي حنيفة كتاب الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيباني نظم النسفي، وفي الكلام كتاب نهاية الإقدام للشهرستاني، وفي اللغة كتاب الجمهرة لابن دريد، كان يسردها كما يسرد القارئ الفاتحة.

وقال لي: كنت أكتب ألواحاً وأدرسها كما أدرس القرآن، فحفظتها في مدة أربع عشرة سنة، وكان يحفظ في النحو كتاب الإيضاح لأبي علي وعروض الصاحب بن عباد، وكان يحفظ في المنطق أرجوزة أبي علي بن

سينا، وكان قيماً بمعرفة قانو الطب له، وكان عارفاً باللغة العبرانية، ويناظر أهلها بها، حتى لقد سمعت بعض رؤساء اليهود يقول له: لو حلفت أن سيدنا كان حبراً من أحبار اليهود لحلفت، فإنه لا يعرف هذه النصوص بالعبرانية إلا من تدرب بهذه اللغة.

وكان الغالب عليه علم الأدب، حتى لقد رأيت الشيخ أبا الفتح عثمان بن عيسى النحوي البلطي، وهو شيخ الناس يومئذ بالديار المصرية، يسأله سؤال المستفيد عن حروف من حوشي اللغة، وسأله يوماً بمحضري عما وقع في ألفاظ العرب على مثال شقحطب، فقال: هذا يسمى في كلام العرب المنحوت، ومعناه: أن الكلمة منحوتة من كلمتين، كما ينحت النجار خشبتين، ويجعلهما واحداً فشقحطب منحوت من شق وحطب. فسأله البلطي أن يثبت له ما وقع من هذا المثال ليعول في معرفتها عليه، فأملاها عليه في نحو عشرين ورقة من حفظه، وسماها كتاب تنبيه البارعي على المنحوت من كلام العرب.
قال: ورأيت السعيد أبا القاسم هبة الله بن الرشيد جعفر بن سناء الملك، يسأله عن وجه الامتحان عن كلمات من غريب كلام العرب، وهو يجيب عنها بشواهدها وكان القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني قد وضعه على ذلك.
قال: وحدثني عن نفسه قال: لما دخلت خوزستان لقيت بها المجير البغدادي تلميذ الشهرستاني، وكان مبرزاً في علوم النظر فأحب صاحب خوزستان أن يجمع بيننا للمناظرة في مجلسه، وبلغني ذلك، فأشفقت من الانقطاع لمعرفتي بوفور بضاعة المجير من علم الكلام، وعرفت أن بضاعته من اللغة نزرة، فلما جلسنا للمناظرة والمجلس غاص بالعلماء، فقلت له: نعرض الكلام إذاً أفرأيت الطلة إلى قرينها فارهاً في وبصان، أو الجساد إذا تأشب بأبي المغبث؟ فاحتاج إلى أن يستفسر ما قلت، فشنعت عليه وقلت: انظر إلى المدعي رتبة الإمامة يجهل لغة العرب، التي بها نزل كلام رب العالمين، وجاء حديث سيد المرسلي، والمناظرة: إنما اشتقت من النظير، وليس هذا بنظيري لجهله بأحد العلوم التي يلزم المجتهد القيام بها، وكثر لغط أهل المجلس، وانقسموا فريقين فرقة لي، وفرقة علي، وانفض المجلس على ذلك، وشاع في الناس أني قطعته. وكان الظهير قد أقام بالقدس مدة، فاجتاز به الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين يوسف، فرآه عند الصخرة يدرس، فسأل عنه فعرف منزلته من العلم، فأحضره عنده، ورغبه في المصير معه، ليقمع به شهاب الدين أبا الفتح الطوسي لشيء نقمه عليه، فورد معه إلى القاهرة، وأجرى عليه كل شهر ستين ديناراً، ومائة رطل خبزاً وخروفاً وشمعة كل يوم، ومال إليه الناس من الجند وغيرهم من العلماء، وصار له سوق قائم، إلى أن قرر العزيز المناظرة بينه وبين الطوسي في غد عيد، وعزم الظهير أن يسلك مع الطوسي وقت المناظرة طريق المجير من المغالطة، لأن الطوسي كان قليل المحفوظ، إلا أنه كان جريئاً مقداماً شديد المعارضة، واتفق أن ركب العزيز يوم العيد، وركب معه الظهير والطوسي، فقال الظهير للعزيز في أثناء الكلام: أنت يا مولانا من أهل الجنة، فوجد الطوسي السبيل فوجد الطوسي السبيل إلى مقتله فقال: وما يدريك أنه من أهل الجنة؟ وكيف تزكي على الله تعالى؟ فقال له الظهير: قد زكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه فقال: أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة. فقال: أبيت يا مسكين إلا جهلاً، ما تفرق بين التزكية عن الله، والتكية على الله؟

وأنت من أخبرك أن هذا من أهل الجنة؟ ما أنت إلا كما زعموا: أن فأرة وقعت في دن خمر، فشربت فسكرت، فقالت أين القطاط؟ فلاح لها هر، فقالت: لا تؤاخذ السكارى بما يقولو. وأنت شربت من خمر دن نعمة هذا الملك فسكرت فصرت تقول خالياً: أين العلماء؟ فأبلس ولم يجد جواباً وانصرف، وقد انكسرت حرمته عند العزيز، وشاعت هذه الحكاية بين العوام، وصارت تحكى في الأسواق والمحافل. فكان مآل أمره أن انضوى إلى المدرسة التي أنشأها الأمير تركون الأسدي، يدرس بها مذهب أبي حنيفة إلى أن مات. وكان قد أملى كتاباً في تفسير القرآن، وصل منه بعد سنين إلى تفسير قوله تعالى: (تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض) في نحو مائتي ورقة، ومات ولم يختم تفسير سورة البقرة. وله: كتاب في شرح الصحيحين على ترتيب الحميدي سماه كتاب الحجة، اختصره من كتاب الإفصاح في تفسير الصحاح للوزير ابن هبيرة، وزاد عليه أشياء وقع اختياره عليها، وكتاب في اختلاف الصحابة والتابعين وفقهاء الأنصار ولم يتم. وله خطب وفصول وعظية مشحونة بغريب اللغة وحوشيها.

الحسن بن داود الرقي

أبو علي، لا أعرف من أمره إلا ما وجدته بخط أبي الحسن علي بن عبيد الله الشمسي اللغوي. حدثنا النيسابوري قال: حدثنا أبو الحسن محمد بن يوسف الناقط قال: حدثنا الناقط قال: حدثنا القاضي أبو بكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة قال: قال لي أبو أحمد محمد بن موسى البردي: سمعت من الحسن بن داود أبي علي الرقي بسر من رأى، سنة ثمان وثلاثين ومائتين كتابه الذي يسميه كتاب الحلي، وكان وقت كتبنا عنه قد جاز الثمانين، وأخرج إلى أبو أحمد الكتاب، فإذا هو الكتاب الذي سماه أ؛مد بن يحيى فصيح الكلام. قال أبو الحسن الناقط: قال ابن كامل: وكان الحسن بن داود مؤدب عبيد الله ابن سليمان بن وهب وزير المعتضد.

الحسن بن داود بن الحسن القرشي

المعروف بالبقار المقرئ، يكنى أبا علي، أموي كوفي، قرأ على أبي محمد القاسم بن أحمد، المعروف بالخياط التميمي، المعروف بابن القملي أيضاً – عن أبي جعفر محمد ابن حبيب الشموني الكوفي، عن أبي يوسف يعقوب بن خليفة الأعشى، عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم – قراءة عاصم. ومات بالكوفة سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. وصنف كتباً منها: كتاب قراءة الأعشى، كتاب اللغة في مخارج الحروف وأصول النحو، ذكر الحافظ أبو العلاء الهمذاني في كتاب القراءات العشر له في نسب البقار: الحسن بن داود بن الحسن بن عون بن منذر بن صبيح القرشي النحوي، وكان موصوفاً بحسن القراءة وطيب النغم جداً.

وقال ابن النجار في تاريخ الكوفة: ومن خيار رجال عاصم محمد بن غالب الصيرفي، وبينه وبين القملي اختلافات في حروف يسيرة، وقرأ عليه جماعة من أهل الكوفة منهم: أبو علي الحسن بن داود البقار، وكان

حاذقاً بالنحو، لفاظاً بالقرآن، صاحب ألحان، وكان يصلي بالناس التراويح بالجامع بالكوفة، وصلى فيه ثلاثاً وأربعين سنة، وكان أ؛د المجودين.

الحسن بن رشيق القيرواني

مولى الأزد، كان شاعراً أديباً، نحوياً لغوياً حاذقاً عروضياً، كثير التصنيف، حسن التأليف، وكان بينه وبين ابن شرف الأديب مناقضات ومحاقدات، وصنف في الرد عليه عدة تصانيف. كان أبوه رشيق رومياً، ذكر ذلك هو في الرد على ابن شرف، بعد ذكره نسب ابن شرف: هو اسم امرأة نائحة ثم قال: وأما أنا – فنضر الله وجه هذا الشيخ في، وأتم به النعمة علي – ، فما أبغي به أبا، ولا أرضى بمذهبه مذهباً، رضيت به رومياً، لا دعياً، ولا بدعياً.

تأدب ابن رشيق على أبي عبد الله بن جعفر القزاز، القيرواني النحوي اللغوي، وغيره من أهل القيروان.

ومات بالقيروان سنة ست وخمسين وأربعمائة: عن ست وستين سنة، ذكر ابن رشيق هذا نفسه في كتابه الذي صنفه في شعراء عصره، ووسمه بالنموذج فقال في آخره: صاحب الكتاب هو حسن بن رشيق، مولى من موالي الأزد، ولد بالمحمدية سنة تسعين وثلاثمائة، وتأدب بها يسيراً. وقدم إلى الحضرة سنة ست وأربعمائة، وامتدح سيدنا – خلد الله دولته – .

قال المؤلف يعني المعز بن باديس بن المنصور سنة عشر بقصيدة أولها:

ذمت لعينك أعين الغزلان ... قمر أقر لحسنه القمران

ومشت ولا والله ما حقف النقا ... مما أرتك ولا قضيب البان

وثن الملاحة غير أن ديانتي ... تأبى علي عبادة الأوثان

منها:

يا بن الأعزة من أكابر حمير ... وسلالة الأملاك من قحطان

من كل أبلج واضح بلسانه ... يضع السيوف مواضع التيجان

قال: ومن مدحه القصيدة التي دخل بها في جملته، ونسب إلى خدمته، فلزم الديوان وأخذ الصلة والحملان:

لدن الرماح لما يسقي أسنتها ... من مهجة القيل أو من ثغرة البطل

لو أثمرت من دم الأعداء سمرقناً ... لأورقت عنده سمر القنا الذبل

إذا توجه في أولى كتائبه ... لم تفرق العين بي السهل والجبل

فالجيش ينفض حوليه أسنته ... نفض العقاب جناحيه من البلل

يأتي الأمور على رفق وفي دعة ... عجلان كالفلك الدوار في مهشل

قال: ومن رثائه:

أما لئن صح ما جاء البريد به ... ليكثرن من الباكي أشياعي

مازلت أفزع من يأس ومن طمع ... حتى ترفع يأسي فوق أطماعي

فاليوم أنفق كنز العمر أجمعه ... لما مضى واحد الدنيا بإجماع

قال: ومن هجائه:

قالوا رأينا فراتاً لي سوجعه ... ما يوجع الناس من هجو إذا قذفا

وله من كتاب سر السرور:

معتقة يعلو الحباب متونها ... فتحسبه فيها نثير جمان

رأت من لجين راحة لمديرها ... فطافت له من عسجد ببنان

ومن غير كتابه له:

ومن حسنات الدهر عندي ليلة ... من العمر لم تترك لأيامها ذنبا

خلونا بها ننفي القذا عن عيوننا ... بلؤلؤة مملوءة ذهباً سكبا

وملنا لتقبيل الثغور ولثمها ... كميل جناح الطير يلتقط الحبا

قال الأبيوردي: هذا أحس من قول ابن المعتز:

كم من عناق لنا ومن قبل ... مختلسات حذار مرتقب

نقر العصافير وهي خائفةمن النواطير يانع الرطب

وله أيضاً:

قد حنكت مني التجا ... رب كل شيء غير جودي

أبداً أقول لئن كسب ... ت لأقبضن بيدي شديد

حتى إذا أثريت عد ... ت إلى السماحة من جديد

إن المقام بمثل حا ... لي لا يتم مع القعود

لا بد لي من رحلة ... تدي من الأمل البعيد

وله أيضاً:

في الناس من لا يرتجى نفعه ... إلا إذا مس بإضرار

كالعود لا يطمع في طيبه ... إن أنت لم تمسسه بالنار

ومما أورده ابن رشيق لنفسه في النموذج:

أقول كالمأسور في ليلة ... ألقت على الآفاق كلكالها

يا ليلة الهجر التي ليتها ... قطع سيف الهجر أوصالها

ما أحسنت جمل ولا أجملت ... هذا وليس الحسن إلا لها

وأنشد لنفسه أيضاً:

أحب أخي وإ أعرضت عنه ... وقل على مسامعه كلامي

ولي في وجهه تقطيب راض ... كما قطبت في وجه المدام

ورب تجهم من غير بغض ... وضغن كامن تحت ابتسام

وله أيضاً:

من جفاني فإنني غير جاف ... صلة أو قطيعة في عفاف
ربما هاجر الفتى من يصافي ... ه ولاقى بالبشر من لا يصافي
وأنشد لنفسه في كتاب فسح اللمح:
المرء في فسحة كما علموا ... حتى يرى شعره وتأليفه
فواحد منهما صفحت له ... عنه وجازت له زخاريفه
وآخر نحن منه في غرر ... إن لم يوافق رضاك تثقيفه
وقد بعثنا كيسي ملؤهما ... نقد امرئ حاذق وترييفه
فانظر وما زلت أهل معرفة ... يا من لنا علمه ومعروفه
ثم قال في ورقة أخرى تمام الأبيات العينية، وما وجدتها أعني الأبيات التي هذه تمامها:
ولو غيرك الموسوم عندي بريبة ... لأعطيت فيه مدعي القوم ما ادعى
فلا تتخالجك الظنون فإنها ... مآثم واترك للصنائع موضعا
فوالله ما طولت باللوم فيكم ... لساناً ولا عرضت للذم مسمعا
ولا ملت عنكم بالوداد ولا انطوت ... حبالي ولا ولى ثنائي مودعا
بلى ربما أكرمت نفسي فلم تهن ... وأجللتها عن أن تذل وتخضعا
فباينت لا أن العداوة باينت ... وقاطعت لا أن الوفاء تقطعا
وختم كتاب العمدة بهذه الأبيات:
إن الذي صاغت يدي وفمي ... وجرى لساني فيه أو قلمي
مما عنيت بسبك خالصه ... واخترته من جوهر الكلم
لم اهده إلا لتكسوه ... ذكراً يجدده على القدم
لسنا نزيدك فضل معرفة ... لكنهن مصايد الكرم
فاقبل هدية من أشدت به ... ونسخت عنه آية العدم
لا تحسن الدنيا أبا حسن ... تأتي بمثلك فائق الهمم

الحسن بن أبي الحسن صافي

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

أبو نزار النحوي، وكان أبوه صافي مولى الحسين الأرموي التاجر، وكان لا يذكر اسم أبيه إلا بكنيته، لئلا يعرف أنه مولى، وهو المعروف بملك النحاة. قال أبو القاسم علي بن عساكر الحافظ: ذكر لي أنه ولد ببغداد سنة تسع وثمانين وأربعمائة، في الجانب الغربي بشارع دار الرقيق، ثم انتقل إلى الجانب الشرقي إلى جوار حرم الخلافة، وهناك قرأ العلم وتخرج. وسمع الحديث من الشريف أبي طالب الزينبي، وقرأ الفقه على أحمد، وأصول الفقه على أبي الفتح بن برهان، والخلاف على أسعد الميهني، والنحو على أبي الحس علي بن أبي زيد الأستراباذي الفصيحي وفتح له الجامع ودرس، ثم سافر إلى بلاد خراسان وكرمان وغزنة، ودخل إلى الشام وقدم دمشق، ثم خرج منها وعاد إليها واستوطنها إلى أن مات بها، في تاسع شوال سنة ثمان وستين وخمسمائة، ودفن بمقبرة الباب الصغير، وكان قد ناهز الثمانين، وكان صحيح الاعتقاد كريم النفس، ذكر لي أسماء مصنفاته: كتاب الحادي في النحو مجلدتان، كتاب العمد في النحو مجلدة وهو كتاب نفيس، كتاب المقتصد في التصريف مجلدة ضخمة، كتاب أسلوب الحق في تعليل القراءات العشر، وشيء من الشواذ مجلدتان، كتاب التذكرة السفرية انتهت إلى أربعمائة كراسة، كتاب العروض مختصر محرر، كتاب في الفقه على مذهب الشافعي سماه الحاكم مجلدتان، كتاب مختصر في أصول الفقه، كتاب مختصر في أصول الدين، كتاب ديوان شعره، كتاب المقامات حذا حذو الحريري. ومن شعره يمدح النبي صلى الله عليه وسلم:

يا قاصداً يثرب الفيحاء مرتجياً ... أن يستجير بعليا خاتم الرسل
خذ عن أخيك مقالاً إن صدعت به ... مدحت في آخر الأعصار والأول
قل يا من الفخر موقوف عليه فإن ... تذوكر الفخر لم يصدف ولم يمل
صيت إذا طلبت غاياته خرقت ... سبعاً طباقاً فبذت كل ذي أمل
علوت وازددت حتى عاد منتزحاً ... جبريل عما له قد كان لم يطل
وعدت والكبر قد نافى علاك فما ... عدوت شيمة سبط الخلق مبتهل
أتتك غر قوافي المدح خاضعة ... لديك فاقبل ثناء غير منتحل
ثناء من لم يجد وجناء تحمله ... إليك أو صد بالإقتار عن جمل

ومن شعره أيضاً:

حنانيك إن جاءتك يوماً خصائصي ... وهالك أصناف الكلام المسخر
فسل منصفاً عن حالتي غير جائر ... يخبرك أن الفضل للمتأخر

وقال أحمد بن منير يهجو ملك النحاة، وكان قد كتب أبو نزار إلى بعض القضاة العاصوي:

أيا ملك النحو والحاء من ... تهجيهمن تحت قد أعجموها
أانا قياسك هذا الذي ... يعجم أشياء قد أعربوها
ولما تصنعت في العاصوي ... غدا وجه جهلك فيه وجوها

وقالوا قفا الشيخ إن الملو ... ك إذا دخلوا قرية أفسدوها

فبلغت أبياته ملك النحاة فأجابه بأبيات منها:

أيا بن منير حسبت الهجا ... ء رتبة فخر فبالغت فيها

جمعت القوافي من ذا وذا ... وأفسدت أشياء قد أصلحوها

وفي آخرها:

فقالوا قفا الشيخ إن الملو ... ك إذا أخطأت سوقة أدبوها

قال البلطي: كان ملك النحاة قدم إلى الشام، فهجاه ثلاثة من الشعراء، ابن منير والقيسواني والشريف الواسطي. واستخف به ابن الصوفي ولم يوفه قدر مدحه، فعاد إلى الموصل ومدح جمال الدي وجماعة من رؤسائها وقضاتها. فلما نبت به الموصل، قيل له: لو رجعت إلى الشام، فقال: لا أرجع إلى الشام إلا أن يموت ابن الصوفي، وابن منير، والقيسراني، والشريف الواسطي، فقتل الشريف الواسطي، ومات ابن منير والقيسراني في مدة سنة، ومات الصوفي بعدهم بأشهر.

وحدثني شيخنا أبو البقاء. يعيش بن علي ابن يعيش النحوي قال: بلغني أنه كان لملك النحاة غلام وكان سيء العشرة، قليل المبالاة بمولاه ملك النحاة، فأرسله يوماً في شغل ليتعجله في إنجازه، فأبطأ فيه غاية الإبطاء، ثم جاء بعذر غير جميل، وكان يحضر ملك النحاة جماعة من أصدقائه والتلامذة، فغضب ملك النحاة وخرج عن حد الوقار الذي كان يلتزمه ويتوخاه وقال له: ويلك أخبري، ما سبب قلة مبالاتك بي، واطراحك لقبول أوامري؟ أنكتك قط؟ فبادر الغلام وقال: لا والله يا مولاي، معاذ الله أن تفعل ذلك بي، فإنك أجل من ذلك. قال: ويلك، فنكتني قط؟ فحرك الغلام رأسه متعجباً من كلامه وسكت. فقال له: ويلك أدركني بالجواب، هذا موضع السكوت؟ – لا رعاك الله – يا ابن الفاعلة، عجل، قل ما عندك قل، فقال: لا والله. قال: فما السبب في أك لا تقبل قولي، ولا تسرع في حاجتي؟ فقال له إن كان سبب الانبساط لا يكون إلا هذين، فأعدك ألا أعود إلى ما تكره إن شاء الله.

قال العماد: أقام ملك النحاة بالشام في رعاية نور الدين محمود بن زنكي، وكان مطبوعاً متناسب الأحوال والأفعال، يحكم على أهل التميز بحكم ملك فيقيل ولا يستقال، وكان يقول: هل سيبويه إلا من رعيتي؟ ولو عاش ابن جني لم يسع إلا حمل غاشيتي، مر الشكيمة، حلو الشيمة، يضم يده على المائة والمائتين ويمشي وهو منها صفر اليدين، مولع باستعمال الحلاوات السكرية، وإهدائها إلى جيرانه وإخوانه، مغرى بإحساه إلى خلصانه وخلانه. قال العماد: أذكره وقد وصلت إليه خلعة مصرية، وجائزة سنية، فأخرج القميص الدبيقي إلى السوق، فبلغ دو عشرة دنانير، فقال: قولوا: هذا قميص ملك كبير، أهداه إلى ملك كبير، ليعرف الناس قدره، فيحلبوا عليه البدر على البدار، وليجلوا قدره في الأقدار، ثم قال: أنا أحق إذا جهلوا حقه، وتنكبوا فيه سبل الواجب وطرقه.

ومن ظريف ما يحكى عن ملك النحاة: أن نور الدين محموداً خلع عليه خلعة سنية، ونزل ليمضي إلى منزله. فرأى حلقة عظيمة فمال إليها لينظر ما هي؟ فوجد رجلاً قد علم تيساً له استخراج الخبايا وتعريفه ما يقول

له من غير إشارة، فلما وقف عليه ملك النحاة، قال الرجل لذلك التيس: في حلقتي رجل عظيم القدر، شائع الذكر ملك في زي سوقة، أعلم الاس، وأكرم الناس، وأجمل الناس، فأرني إياه، فشق ذلك التيس الحلقة، وخرج حتى وضع يده على ملك النحاة، فلم يتمالك ملك النحاة أن خلع تلك الخلعة، ووهبها لصاحب التيس، فبلغ ذلك نور الدين فعاتبه وقال: استخففت بخلعتنا حتى وهبتها من طرقي؟ فقال يا مولانا: عذري في ذلك واضح، لأن في هذه المدينة زيادة على مائة ألف تيس، ما فيهم من عرف قدري إلا هذا التيس، فجازيته على ذلك. فضحك منه نور الدين وسكت.

وحكي عنه أنه كان يستخف بالعلماء، فكان إذا ذكر واحد منهم يقول: كلب من الكلاب. فقال رجل يوماً: فلست إذا ملك النحاة، إنما أنت ملك الكلاب، فاستشاط غضباً وقال: أخرجوا عني هذا الفضولي.

وقال السمعاني: دخل أبو نزار بلاد غزنة وكرمان، ولقي الأكابر، وتلقى مورده بالإكرام، ولم يدخل بلاد خراسان وانصرف إلى كرمان، وخرج منها إلى الشام. قال: وقرأت فيما كتبته بواسط، ولا أدري عمن سمعته لأبي نزار النحوي:

أراجع لي عيشي الفارط ... أم هو عني نازح شاحط؟؟
ألا وهل تسعفني أوبة ... يسمو بها نجم المنى الهابط؟
أرفل في مرط ارتياح وهل ... يطرق سمعي هذه واسط؟
يا زمني عد لي فقد رعتني ... حتى عراني شيبي الواخط
كم أقطع البيداء في ليلة ... يقبض ظلي خوفها الباسط؟
أأرقب الراحة أم لا وهل ... يعدل يوماً دهري القاسط؟؟
أيا ذوي ودي أما اشتقتم ... إلى إمام جأشه رابط؟
وهل عهودي عندكم غضة ... أم أنا في ظني إذاً غالط؟
ليهنكم ما عشتم واسط ... إني لكم يا سادتي غابط

وأنشد له:

الجيش والبرم الكثير ... منظوم ذلك والنثير
ودخان عود الهند والش ... مع المكفر والعبير
ورشاش ماء الورد قد ... عرفت به تلك النحور
ومثالث العيدان يس ... عد جسها بم وزير

وتخافق النايات يخ ... فق بينها الطبل القصير
والشرب بالقدح الصغ ... ير يحثه القدح الكبير
أحظى لدي من الأبا ... غر والحداة بها تسير
للعبد أ يلتذ في ... دنياه والله الغفور

ومن شعره أيضاً:

يا بن الذين ترفعوا في مجدهم ... وعلت أخامصهم فروع شمام
أنا عالم ملك بكسر اللام ف ... يما أدعيه لا بفتح اللام
أنشدني عفيف الدين أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل أحمد بن عبد الوهاب بن الزاكي بن أبي الفوارس، السلمي الحراني المعروف باب الصيفي الدمشقي قال: أنشدني فتيان بن علي بن فتيان الأسدي النحوي في ملك النحاة، وكانت قد عضت يد ملك النحاة سنور فربطها بمنديل عظيم:
عتبت على قط ملك النحاة ... وقلت: أتيت بغير الصواب
عضضت يداً خلقت للدى ... وبث العلوم وضرب الرقاب
فأعرض عني وقال اتئد ... ألي القطاط أعادي الكلاب؟
قال: فبلغته الأبيات فغضب منها، إلا أنه لم يدر من قائلها؟ ثم بلغه أنني قلتها وبلغني ذلك فانقطعت عنه حياء مدة، فكتبت إليه شعراً أعتذر إليه، فكتب إلي:
يا خليلي نلتما النعماء ... وتسنمتما العلا والعلاء
ألما بالشاغور والمسجد المعم ... ور واستمطرا به الأنواء
وامنحا صاحبي الذي كان فيه ... كل يوم تحية وثناء
ثم قولا له اعتبرنا الذي فه ... ت به مادحاً وكان هجاء
وقبلنا فيه اعتذارك عما ... قاله الجاهلون عنك افتراء
الشاغور محلة بدمشق بالباب الصغير. وقال فتيان ابن المعلم الدمشقي: رأيت أبا نزار في النوم بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أنشدته قصيدة ما في الجنة مثلها، فتعلق بحفظي منها أبيات وهي:
يا هذه أقصري عن العذل ... فليس في الحق ويك من قبل
يا رب ها قد أتيت معترفاً ... بما جنته يداي من زلل
ملآن كف بكل مأثمة ... صفر يد من محاسن العمل
فكيف أخشى ناراً مسعرة ... وأنت يا رب في القيامة لي
قال: فوالله منذ فرغت من إنشادها ما سمعت حسيس الأرض.

الحسن بن عبد الله،الأصبهاني

المعروف بلغدة ولكذة، أيضاً الأصبهاني أبو علي، قدم بغداد، وكان جيد المعرفة بفنو الأدب، حسن القيام بالقياس، موفقاً في كلامه، وكان إماماً في النحو واللغة، وكان في طبقة أبي حنيفة الديوري، مشياخهما سواء، وكان بينهما مناقضات قال حمزة بن حسن الأصبهاني في كتاب أصبهان: وقدم على اب رستم الديميري من سامراً: إبراهيم بن غيث البغدادي وكان أصبهانياً، فخرج في صغره إلى العراق، فبرع في علم النحو واللغة، وهو جد عبد الله بن يعقوب الفقيه. وروى عن أبي عبيدة، وأبي زيد، وقدم الخصيب بن أسلم الباهلي صاحب الأصمعي وروى عن أبي إسحاق إبراهيم بن غيث، وأبي عمر الخرقي، وهو أول من قدم أصبهان من أهل الأدب واللغة، وعن الباهلي صاحب الأصمعي، وعن الكرماني صاحب الأخفش: أخذ أبو

علي لغدة علم اللغة. وكان أبو علي يحضر مجلس أبي إسحاق ويكتب عنه، ثم خالفه وقعد عنه، وجعل ينقض عليه ما يمليه.

قال حمزة: وقد تقدم من أهل اللغة في أصبهان، – وصار فيها رئيساً يؤخذ عنه – جماعة: منهم أبو علي لغدة، وكان رأساً في اللغة والعلم والشعر والنحو. حفظ في صغره كتب أبي زيد، وأبي عبيدة، والأصمعي، ثم تتبع ما فيها، فامتحن بها الأعراب الوافدين أصبهان، وكانوا يفدون على محمد بن يحيى بن أبان، فيضربون خيمهم بفناء داره، في باغ سلم بن عود، ويقصدهم أبو علي كل يوم، فيلقي عليهم مسائل شكوكه من كتب اللغة، وثبت تلك الأوصاف عن ألفاظهم في الكتاب الذي سماه كتاب النوادر. ثم لم يك له في آخر أيامه ظير بالعراق. قال: وكتاب النوادر هذا كتاب كبير، يقوم بإزاء كل ما خرج إلى الناس من كتب أبي زيد في النوادر، وله من الكتب الصغار: كتاب الصفات، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، وكتب أخر كثيرة من صغار الكتب، وله ردود على علماء اللغة، وعلى رواة الشعر والشعراء، قد جمعناها نحن في كتاب وأنفذناه إلى أبي إسحاق الزجاج – رحمه الله

قال محمد بن إسحاق النديم: وله من التصانيف: كتاب الرد على الشعراء قضه عليه أبو حنيفة الدينوري، كتاب الطق، كتاب الرد لعى أبي عبيد في غريب الحديث، كتاب علل النحو، كتاب مختصر في النحو، كتاب الهشاشة والبشاشة، كتاب التسمية، كتاب شرح معاي الباهلي، كتاب نقض علل النحو، كتاب الرد على ابن قتيبة في غريب الحديث.

وأفرد حمزة الأصبهاني في كتاب أصبهان أشعاراً للغدة منها:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم ... بعضاً ليستر معور عن معور
ما أقرب الأشياء حي يسوقها ... قدر وأبعدها إذا لم تقدر
الجد أنهض بالفتى من كده ... فانهض بجد في الحوادث أو ذر
وإذا تعسرت الأمور فأرجها ... وعليك بالأمر الذي لم يعسر

ومن شعره أيضاً:

خير إخواك المشارك في المر ... ر وأين الشريك في المر أيا؟؟
الذي إن شهدت سرك في الق ... وم وإن غبت كان أذناً وعينا
مثل تبر العقيا إن مسه الا ... ر جلاه الجلاء فازداد زينا
وأخو السوء إن يغب عك يسبع ... ك وإن يحضر يكن ذاك شيئاً
جيبه غير ناصح ومناه ... أن يعيب الخليل إفكا ومينا
فاصرمنه ولا تلهف عليه ... إن صرماً له كنقدك دينا

ومن شعره أيضاً:

بذلت لك الصفاء بكل جهدي ... وكنت كما هويت فرصت وخزا

جرحت بمدية فحززت أنفي ... وحبل مودتي بيديك حزا
فلم تترك إلى صحل مجازاً ... ولا فيه لمطلبه مهزا
ستمكث نادماً في العيش مني ... وتعلم أن رأيك كان عجزا
وتذكرني إذا جربت غيري ... وتعلم أنني لك كنت كنزا

الحسن بن عبد الله المرزباني السيرافي

أبو سعيد النحوي القاضي، وسيراف بليد على ساحل البحر من أرض فارس، رأيته أنا وبه أثر عمارة قديمة، وجامع حسن، إلا أنه الآن الغالب عليه الخراب، وقد كان ولي القضاء على بعض الأرباع ببغداد، ومات – رحمه الله – يوم الاثنين ثاني رجب، سنة ثمان وستين وثلاثمائة، في خلافة الطائع ودفن في مقابر الخيزران.
وكان أبوه مجوسياً اسمه بهزاد، فسماه أبو سعيد عبد الله، وكان أبو سعيد يدرس ببغداد القرآن والقراءات، وعلوم القرآن، والنحو، واللغة، والفقه والفرائض. وكان قد قرأ على أبي بكر بن مجاهد القرآن، وعلى أبي بكر بن دريد اللغة، ودرسا جميعاً عليه النحو، وقرأ على أبي بكر بن السراج، وأبي بكر المبرمان النحو، وقرأ أحدهما عليه القرآن، ودرس الآخر عليه الحساب.
قال الخطيب: وكان – رحمه الله – زاهداً ورعاً، لم يأخذ على الحكم أجراً، إنما كان يأكل من كتب يمينه، فكان لا يخرج إلى مجلس الحكم ولا إلى مجلس التدريس، حتى ينسخ عشر ورقات يأخذ أجرتها عشرة دراهم، تكون بدق رمئونته، ثم يخرج إلى مجلسه. وصنف كتباً منها: شرح كتاب سيبويه.
قال أبو حيان التوحيدي: رأيت أصحاب أبي علي الفارسي يكثرون الطلب لكتاب شرح سيبويه ويجتهدون في تحصيله. فقلت لهم: إنكم لا تزالون تقعون فيه، وتزرون على مؤلف، فما لكم وله؟ قالوا: نريد أن نرد عليه، ونعرفه خطأه فيه.
قال أبو حيان: فحصلوه واستفادوا منه، ولم يرد عليه أحد منهم أو كما قال أبو حيان، فإني لم أنقل ألفاظ الخبر لعدم الأصل الذي قرأته منه، وكان أبو علي وأصحابه كثيري الحسد لأبي سعيد، وكانوا يفضلو عليه الرماني، فحكى ابن جني عن أبي علي: أن أبا سعيد قرأ على اب السراج خمسين ورقة من أول الكتاب ثم انقطع، قال أبو علي: فلقيته بعد ذلك فعاتبته على انقطاعه. فقال لي: يجب على الإنسان أن يقدم ما هو أهم. وهو علم الوقت من اللغة والشعر، والسماع من الشيوخ، فكان يلزم ابن دريد ومن جرى مجراه من أهل السماع.
وقال أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني يهجو أبا سعيد السيرافي:
لست صدراً ولا قرأت على صد ... ر ولا علمك البكي بكاف
لعن الله كل شعر ونحو ... وعروض يجيء من سيراف
وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال:

قال لي أبو أحمد: ولد أبو سعيد بسيراف، وفيها ابتدأ بطلب العلم، وخرج عنها قبل العشرين، ومضى إلى عمان فتفقه بها، ثم عاد إلى سيراف، ومضى إلى العسكر فأقام بها مدة. قال المؤلف: وبها قرأ فيما أحسب على المبرمان. قال: كان فقيهاً على مذهب العراقيين، وورد إلى بغداد، فخلف أبا محمد بن معروف قاضي القضاة على قضاء الجانب الشرقي، وكان أستاذه في النحو، ثم استخلفه على الجانبي. ومولده قبل التسعين ومائتين. وله من الكتب: كتاب شرح سيبويه، ألفات القطع والوصل، كتاب أخبار النحويين البصريين، كتاب شرح مقصورة ابن دريد، كتاب الإقناع في النحو لم يتم، فنممه ابنه يوسف، وكان يقول: وضع أبي النحو في المزابل بالإقناع، يريد أه سهله حتى لا يحتاج إلى مفسر، كتاب شواهد كتاب سيبويه، كتاب الوقف والابتداء، كتاب صنعة الشعر والبلاغة، كتاب المدخل إلى كتاب سيبويه، كتاب جزيرة العرب.

قرأت بخط أبي حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في تقريظ عمرو بن بحر، وقد ذكر جماعة من الأئمة، كانوا يقدمون الجاحظ ويفضلونه فقال: ومنهم أبو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ، وإمام الأئمة معرفة بالنحو والفقه، واللغة والشعر، والعروض والقوافي، والقرآن والفرائض، والحديث والكلام، والحساب والهندسة. أفتى في جامع الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة، فما وجد له خطأ، ولا عثر منه على زلة. وقضى ببغداد، وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني، فما جاراه فيه أحد، ولا سبقه إلى تمامه إنسان. هذا مع الثقة والديانة، والأمانة والرواية. صام أربعين سنة، وأكثر الدهل كله.

قال لنا الأندلسي: فارقت بلدي في أقصى الغرب طلباً للعلم، وابتغاء مشاهدة العلماء، فكنت إلى أن دخلت بغداد وتلقيت أبا سعيد، وقرأت عليه كتاب سيبويه نادماً سادماً في اغترابي عن أهلي ووطني، من غير جدوى في علم أو حظ من الدنيا، فلما سعدت برؤية هذا، علمت أن سعيي قرن بسعدي، وغربتي اتصلت ببغيتي، وأن عنائي لم يذهب هدراً، وأن رجائي لم ينقطع يأساً. قرأت بخط أبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ: قرأنا على أبي سعيد الحسن بن عبد الله في كتاب ما يلحن فيه العامة لأبي حاتم: هو الشمع مفتوح الشين والميم. فسألناه عما يحكى عن أبي بكر بن دريد أنه قال: شمع بكسر الشين. فقال: لا يعاج عليه. قلنا له: فهو صحيح عن ابن دريد؟ فقال: نعم هو عنه بخطي في كتاب الجمهرة.

قال: وكان أبو الفتح بن النحوي، وأبو الحس الدريدي سألاني عن ذلك، فاستعفيت من الإجابة، لئلا أنسب إلى ابي بكر حرفاً أجمع الناس على خلافه.

وقال أبو حيان في كتاب محاضرات العلماء قثال: وحضرت مجلس شيخ الدهر، وقريع العصر، العديم المثل، المفقود الشكل، أبي سعيد السيرافي، وقد أقبل على الحسين بن مردويه الفارسي، يشرح له ترجمة المدخل إلى كتاب سيبويه من تصنيفه. فقال له: علق عليه، واصرف همتك إليه، فإنك لا تدركه إلا بتعب الحواس، ولا تتصوره إلا بالاعتزال عن الناس. فقال: – أيد الله القاضي – ، أنا مؤثر لذلك، ولك اختلال الأمر وقصور الحال يحول بيني وبين ما أريده. فقال له: ألك عيال؟ قال لا. قال: عليك ديون؟ قال: دريهمات. قال: فأنت ريح القلب، حسن الحال، ناعم البال، اشتغل بالدرس والمذاكرة، والسؤال والمناظرة، واحمد الله تعالى على خفة الحاذ، وحسن الحال. وأنشده:

إذا لم يكن للمرء مال ولم يكن ... له طرق يسعى به الولائد

وكان له خبز وملح ففيهما ... له بلغة حتى تجيء الموائد
وهل هي إلا جوعة إن سددتها ... فكل طعام بين جنبيك واحد
قال: وكان يقرأ على أبي سعيد السيرافي الكامل للمبرد، فجاءه أبو أحمد بن مردك وكان هذا من ساوة، واستوطن بغداد وولد بها، وكان له قرب ومنزلة من أبي سعيد يوجب حقه ويرعاه له. فقال: ايها الشيخ عندي ابنة بلغت حد التزويج، وجماعة من الغرباء والبغداديين يخطبونها، فما ترى ومم أزوجها؟ فقال: فمن يخاف الله تعالى، وأكثرهم تقية وخشية منه، فإن من يخاف الله إن أحبها بالغ في إكرامها، وإن لم يحبها تحرج من ظلمها، فاستحسنا ذلك وأثبتناه ثم قال: لا تنسبوا هذا إلي، إنما هذا قول الحسن.

قال: وشبيه هذه الحكاية: أن رجلاً وقف على الحسن فقال: علمني ما يقربني إلى الله تعالى وإلى الناس، قال: أما ما يقربك إلى الله فمسألته. وأما ما يقربك إلى الناس فترك مسألتهم. وقال: وتأخر بعض أصحابه عن مجلسه في يوم السبت، وكان يرعى حق أبيه فيه، لأنه كان وجيهاً شريفاً، فلما كان يوم الأحد قال له: ما الذي أخرك؟ فأشار إلى شرب الدواء، ولأجله تأخر عن المجلس، فأنشدنا:
لنعم اليوم يوم السبت حقاً ... لصيد إن أردت بلا افتراء
وفي الأحد البناء فإن فيه ... تبدى الله في خلق السماء
وفي الإثنين إن سافرت حقاً ... يكون الأوب فيه بالنماء
وإن ترم الحجامة فالثلاثا ... ففي ساعاته درك الشفاء
وإن شرب امرء يوماً دواء ... فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج ... ففيه الله آذن بالقضاء
ويوم الجمعة التزويج فيه ... ولذات الرجال مع النساء
قال: ولما قبل ابن معروف شهادته، عاتبه على ذلك بعض المختصين به وقال: أيها الشيخ، إنك إمام الوقت وعين الزمان، والمنظور إليه والصدر، وإذا حضرت محفلاً كنت البدر، قد اشتهر ذكرك في الأقطار والبلاد، وانتشر علمك في كل محفل وناد، والألسنة مقرة بفضلك، فما الذي حملك على الانقياد لاب معروف واختلافك إلى مجلسه، وصرت تابعاً بعد أن كنت متبوعاً، ومؤتمراً بعد أن كنت آمراً، وضعت من قدرك، وضيعت كثيراً من حرمتك، وأنزلت نفسك منزلة غيرك، وما فكرت في عاقبة أمرك، ولا شاورت أحداً من صحبك. فقال: اعلموا أن هذا القاضي سبب اكتساب ذكر جميل، وصيت حسن، ومباهاة ومنافسة لأقرانه وإخوانه، ومع ذلك له من السلطان منزلة. وبلغني أنه يستضيء برأيه، ويعده من جملة ثقاته وأوليائه، وعرض بي، وصرح في الأمر مرة بعد أخرى، وثانية عقب أولى، فلم أجب إليه، ولم أسلس قيادي له، فخفت مع كثرة الخلاف اعتمادي بما أستضر به وينتفع به غيري. وإذا اتفق أمران، فاتباع ما هو أسلم جانباً وأقل غائلة أولى. وقد كان الآن ما كان، والكلام فيه ضرب من الهذيان. فلما كان بعد هذا بأيام، ورد عليه من آمد صاحب لأبي العباس بن ماهان بكتاب يهنئه فيه بما تلبس به من العدالة، وكان الكتاب يشتمل على كلمات وجيزة، وألفاظ حسنة، ومعان منتقاة. وكان أبو العباس هذا من أصحاب أبي سعيد، ومم لازمه

سنين عدة، وعلق عنه على ما ذكره الشاشي، زهاء عشرة آلاف ورقة من شرحه لكتاب سيبويه وغيره، درساً ومذاكرة. وكانت له أيضاً بضاعة قوية في علم الهيئة، وبصر تام بمذهب الكوفيين في النحو، حتى ما كان يطاق وكان من أصدر الكتاب على يده رجلاً كردياً، عليه جبة ثقيلة فوقها صناعة عظيمة، قد أضرت به شمس الهواجر، ومقاساة السفر، وقطع المهامه والمفاوز. وكان الشيخ يبين لبعض أصحابه الفرق في قوله تعالى: (مثل ما أنكم تنطقون). والاحتجاج عمن نصبه ورفعه، والكردي ما يفهم منه القليل ولا الكثير، ثم التفت إلى أبي سعيد وقال: يا شيخ، في أي شيء أنت؟ وفي ماذا تتكلم؟ فقال: أتكلم في شيء لا يعرفه كل أحد، ولا يتصوره كثير من الناس. قال: ففسره لي لعلي أفهمه. قال: لا يكو ذلك أبداً. قال: أنت عالم، ومن اقتبس منك علماً لزمك الجواب. فقال له: عليك بمجلس يجري فيه حديث الفرض والنفل والسنن وظواهر أمر الشريعة لتستفيد منه، وتنتفع به. فأخذ الكردي في المطاولة، وإيراد الهذيان وما لا محصول له. وسكت عنه أبو سعيد، وصمت هو أيضاً. وجعل أبو سعيد على عادته، يبين ويوضح ويتكلم، وينثر الدر ولا يهدأ ولا يفتر لسانه، ولا يجف ريقه. والكردي ملازمه، وكأنه كالمتبرم به، والمستثقل لجلوسه، وملازمته إياه إلى أن قام ومضى.

ثم قال أبو سعيد: ما ظننت أن ثقيلاً تمكن من أحد تمكن هذا منا اليوم، وإن ألم ثقله خلص إلى الروح والبدن كما خلص إلي، لقد هممت تارة بضربه فقلت: ربما ضربني أيضاً، ثم هممت بالقيام فقلت: ضرب من الخرق، ثم كدت أصيح فقلت: نوع من الجنون، ثم بقيت أدعو سراً، وأرغب إلى الله تعالى في صرفه، فتفضل الله الكريم علي بذلك، ومع هذه الحالة، لم تزل أبيات محمد بن المرزبان تتردد بين لهاتي ولساني. فقلنا له: وما الأبيات؟ فقال:

يا شقيق الرصاص والجبل ... وقريع الأيام في الثل
أرح حياتي فقد هجمت على ... نفسي وأشرفت بي على أجلي
والله لو كنت والداً حدباً ... وكنت تحيي الأموات في المثل
وتمزج الثلج في العساس لدى ال ... قيظ وعند الشتاء بالعسل
رحلت عن ذاك عند آخره ... واخترت ألا أراك في الرحل
فخذ طريفي وتالدي فإذا ... لم يبق شيء فخذ إذاً سملي
وارحل إلى الظلمة التي ذكرت ... من خلف قاف يا شر مرتحل

قال: وكان قد ظهر بالعراق رجل من الجراد، فأضرت بالزروع والأثمار، وغلت الأشعار، وأثر في أحوال الاس. فحضرنا مجلس أبي سعيد السيرافي، وكل منا شكا حاله، وذكر خلته، وكان فينا رجل مزارع، ذكر أنه زرع بنواحي النهروان أربعة آلاف جريب ملكاً وضماناً وإجارة رجاء الفائدة، وقد أتى عليها الجراد، وهلك ذلك الرجل لأجله.

ثم قال أبو سعيد: لا يهولنك أمرها، فإنها جند من جنود الله مأمور. بلغنا أن جرادة سقطت بين يدي عبد الله بن عباس، فأخذها ونشر جناحها وقال: أتعلمو ما هو مكتوب عليها؟ قالوا لا، قال: مكتوب عليها: أنا

مغلي الأسعار، مع تدفق الأنهار. وأورد في ذكر الجراد ما حير الناظري، ثم قال: ومن أحسن ما وصف به الجراد، قول بعض الخطباء حيث يقول: إن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً وسماها جراداً، وألبسها أجلاداً، وجندها أجناداً، وأدمجها إدماجاً، وكساها من الوشي ديباجاً، وجعل لها ذرية وأزواجاً، إذا أقبلت خلتها سحاباً أو عجاجاً، وإذا أدبرت حسبتها قوافل وحجاجاً، مزخرفة المقاديم، مزبرجة المآخير، مزقة الأطراف، منقطعة الأخفاف، منمنمة الحواشي، منمقة الغواشي، ذات أردية مزعفرة، وأكسية معصفرة، وأخفية مخططة. معتدلة قامتها، مؤتلفة خلقتها، مختلفة حليتها، موصولة المفاصل، مدرجة الحواصل، تسعى وتحتال، وتميس وتختال، وتطوف وتجتال، فتبارك خالقها، وتعالى رازقها، من غير حاجة منه إليها، رحمة منه عليها، أوسعها رزقاً، وأتقنها خلقاً، وفتق منها رتقاً. ووشج أعراقها، وألجم أعناقها، وطوقها أطواقها، وقسم معايشها وأرزاقها، تنظر شزراً من ورائها، وترقب النازل من سمائها، وتحرس الدائر من حولها. سلاحها عتيد، وبأسها شديد، ومضرتها تعديد تدب على ست وتطير، فسبحان من خلقها خلقاً عجيباً، وجعل لها من كل ثمر وشجر نصيباً، وجعل لها إدباراً وإقبالاً، وطلباً واحتيالاً، حتى دبت ودرجت، وخرجت ودخلت، ونزلت وعرجت، مع المنظر الأنيق، والعصب الدقيق، والبدن الرقيق (هذا خلق الله، فأروني ماذا خلق الذين من دونه).

ثم قال: وماذا تقولون في طير؟ إذا طار بسط، وإذا دنا من الأرض لطع، رجلاه كالمنشار، وعيناه كالزجاج. عينه في جنبه، ورجله أطول من قامته، ألا وهي الجرادة. ثم قال: وأحسن منه: جيدها كجيد البقر، ورأسها كرأس الفرس، وقرنها كقرن الوعل، ورجلها كرجل الحمل، وبطنها كبطن الحية، تطير بأربعة أجنحة، وتأكل بلسانها، فتبارك الله ما أحسنها! وأحس ما فيها: أنها طعام طاهر حياً وميتاً، ونقل تجدب أقواماً وتخصب آخرين. فقلنا له: ما معنى قولك تجدب أقواماً وتخصب آخرين؟ قال: إنها إذا حلت البوادي والفيافي ومواضع الرمال، فهي خصب لهم وميرة، وإذا حلت بمأوى الزرع والأشجار فهي تجدب، لأنها تأتي على الشوك والشجر، والرطب واليابس، فلا تبقي ولا تذر.

قال: وقال أيضاً في تضاعيف كلامه: خادم الملك لا يتقدم في رضاه خطوة، إلا استفاد بها قدمة وحظوة.

قال: وما رأيت أحداً من المشايخ كان أذكر لحال الشباب، وأكثر تأسفاً على ذهابه منه، فإنه إذا رأى أحداً من أقرانه قد عالجه الشيب تسلى به، ولم يزل يسأله عن حاله، كانت في أيام الشباب وزمن الصبا. وإذا ذكر بين يديه ما يتعلق بالشيب والشباب، بكى وجداً وحن، وشكا وأن، وتذكر عهد الشباب. وكان كثيراً ما ينشد مقطعات محمود الوراق في الشيب ويبكي عليها. وأنشد يوماً:

فإن يكن المشيب طرا علينا ... وولى بالبشاشة والشباب

فإني لا أعاقبه بشيء ... يكون على أهون من خضاب

رأيت بأن ذاك وذا عذاب ... فينتقم العذاب من العذاب

قال: وأنشدنا لمحمود الوراق في الشيب وعيناه تدمعان:

ولو أن دار الشيب قرت بصاحب ... على ضيقها لم نبغ داراً بداره
ولكن هذا الشيب للموت رائد ... يخبرنا عنه بقرب مزاره
قال أبو حيان: وكان أبو سعيد يفتي على مذهب أبي حنيفة وينصره، فجرى حديث تحليل اتلنبيذ عنده، فقال له بعض الخراسانيين: أيها الشيخ، دعنا من حديث أبي حنيفة وقول الشافعي. ما ترى أنت في شرب النبيذ والقدر الذي لا يسكر ويسكر؟ فقال: أما المذهب فمعروف لا عدول عنه، وأما الذي يقتضيه الرأي ويجبه العقل، ويلزم من حيث الاحتياط، والأخذ بالأحسن والأولى، فتركه والعدول عنه.
فقال له: بين لنا – عافاك الله – . فقال: العم أنه لو كان المسكر حلالاً في كتاب الله تعالى، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لكان يجب على العاقل رفضه وتركه، بحجة العقل والاستحسان. فإن شاربه محمول على كل معصية، مدفوع إلى كل بلية، مذموم عند كل ذي عقل ومروءة، يحيله عن مراتب العقلاء والفضلاء والأدباء، ويجعله من جملة السفهاء، ومع ذلك فيضر بالدماغ والعقل، والكبد والذهن، ويولد القروح في الجوف، ويسلب شاربه ثوب الصلاح والمروءة والمهابة، حتى يصير بمنزلة المخبط المخريق والمئبئج، يقول بغير فهم، ويأمر بغير علم، ويضحك من غير عجب، ويبكي من غير سبب، ويخضع لعدوه، ويصول على وليه، ويعطي من لا يستحق العطية، ويمنع من يستوجب الصلة، ويبذر في الموضع الذي يحتاج فيه أن يمسك، ويمسك في الموضع الذي يحتاج فيه أن يبذر، يصير حامده ذاماً، وأفعاله ملاماً، عبده لا يوقره، وأهله لا تقربه، وولده يهرب منه، وأخوه يفزع عنه، يتمرغ في قيئه، ويتقلب في سلحه، ويبول في ثيابه، وربما قتل قريبه، وشتم نسيبه، وطلق امرأته وكسر آلة البيت، ولفظ بالخنى، وقال كل غليظة وفحش، يدعو عليه جاره، ويزرى به أصحابه، عند الله ملوم، وعند الاس مذموم، وربما يستولي عليه في حال سكره مخايل الهموم، فيبكي دماً، ويشق جيبه حزناً، وينسى القريب، ويتذكر البعيد، والصبيان يضحكون منه، والنسوان يفتعلن النوادر عليه. ومع ذلك فبعيد من الله، قريب من الشيطان، قد خالف الرحمن في طاعة الشيطان، وتمكن من ناصيته، وزي في عينه إتيان الكبائر، وركوب الفواحش، واستحلال الحرام، وإضاعة الصلاة، والحنث في الأيمان، سوى ما حل به عند الإفاقة من الندامة، ويستوجب من عذاب الله يوم القيامة.
فقال الرجل: والله إن قولك ووصفك له أعلق بالقلب من كل واضح وبرهان لائح، وحجة وأثر، وقول وخبر. فقال له: لولا ذهاب الوقت لا عوض له، لاستدللت لكل خصلة ذكرتها، ولفظة أوردتها بآية من كتاب الله، أو خبر مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قلت: إن الألفاظ مشتقة من ذاك مستنبطة منه، ولك الأمر في هذا أظهر وأشهر من أن يبين ويوضح. ولأبي حنيفة مسائل لا أرتضيها له، وقد خالفه فيها أعيان أصحابه، والناقلة لمذهبه، ولكن لكل أريب هفوة، ولكل جواد كبوة، والكلام إذا كثر لا يخلو من الخطإ، والقول إذا تتابع لا يعرى من التناقض، – والله المعين على أمر الدنيا والدين – قال أبو حيان: قال أبو سعيد: دخلت مسجداً بباب الشام يوماً أنظر أبا المنصور العمري فرأيت عربياً قد استلقى ومخلاته تحت رأسه، وهو يترنم بهذه الأبيات بحلق أطيب ما يكون، وصوت أندى ما يسمع:
سماء الحب تمطل بالصدود ... ونار الحب تحرق من بعيد

وعين الحب تأتي بالمنايا ... فتغرسه على قلب عميد
وأول من عشقت عشقت ظبياً ... له في الصدر قلب من حديد
فقلت له: أعد الأبيات. فقال لي: دخلت علي وشغلتني عما كنت عليه، خلوت بنفسي في هذا المسجد أتمنى أماني دونها خرط القتاد، فأفسدتها علي. فحفظت الأبيات من قوله، وانصرفت وتركته. قال أبو حيان: وأنشدنا أبو سعيد السيرافي:
فكرت في شيب الفتى وشبابه ... فأيقنت أن الحق للشيب واجب
يصاحبن شرخ الشباب فيقضي ... وشيبي إلى حين الممات مصاحب
ثم قال: ما رأيت أحداً كان أحفظ لجوامع الزهد نظماً ونثراً، وما ورد في الشيب ولاشباب، من شيخنا أبي سعيد. وذاك أنه كان ديناً، ورعاً تقياً، زاهداً عابداً خاشعاً، له دأب بالنهار من القراءة والخشوع، وورد بالليل من القيام والخضوع، صام أربعين سنة الدهر كله. قال: وقال لي أبو إسحاق المدائني.

ما قرأت عليه خبراً ولا شيئاً قط فيه ذكر الموت والقبر، والبعث والنشور، والحساب والجنة والنار، والوعد والوعيد والعقاب، والمجازاة والثواب، والإنذار، والإعذار، وذم الدنيا وتقلبها بأهلها، وتغيرها على أبنائها، إلا وبكى منها، وجزع عندها، وربما نغص عليه يومه وليلته، وامتنع من عاداته في الأكل والشرب. وكان ينشدنا ويورد علينا من أمثاله، ما كنا نستعين به ونستفيد منه، وما نجعله حظ يومنا. ورأيته يوماً ينشد ويبكي:
حتى الدهر من بعد استقامته ظهري ... وأفضى إلى تنغيص عيشته عمري
ودب البلى في كل عضو ومفصل ... ومن ذا الذي يقى سليماً على الدهر؟
قال: ووصى يوماً بعض أصحابه وكان يقرأ عليه شرح الفصيح لابن درستويه: كن كما قال الخليل بن أحمد: اجعل ما في كتبك رأس مالك، وما في صدرك للتفقه. قال: وأنشدنا:
وذي حيلة للشيب ظل يحوطه ... يقرضه حيناً وحينا يتف
وما لطفت للشيب حيلة عالم ... من الناس إلا حيلة الشيب ألطف
قال أبو حيان: شكا أبو الفتح القواس إليه طول عطلته، وكساد سوقه، ووقوف أمره، وذهاب ماله، ورقة حاله، وكثرة ديونه وعياله، وتجلف صبيانه، وسوء عشرة أهله معه، وقلة رضاهم به، ومطالبتهم له بما لا يقوم به، وأنه يقع ويقوم، ويدخل كل مدخل، حتى يحصل لنفسه وعياله بعض كفايتهم. فقال له: ثق بالله خالقك، وكل أمرك إلى رازقك وأقلل من شنبك وأجمل في طلبك، واعلم أنك بمرأى من الله ومسمع، قد تكفل برزقك، فيأتيك من حيث لا تحتسبه، وضمن لك ولعيالك قوتهم، فيدر عليك منم حيث لا ترتقبه، وعلى حسب الثقة بالله يكون حسن المعونة، وبمقدار عدولك عن الله إلى خلقه يكون كل المئونة. وأنشد وذكر أنه لبعض المحدثين:
يا طالب الرزق إن الرزق في طلبك ... والرزق يأتي وإن أقللت من تعبك
لا يملكنك لا حرص ولا تعب ... فيسلمك ولا تدري إلى عطبك

إن تخف أسباب هذا الرزق عنك فكم ... للرزق من سبب يغنيك عن سببك
بل إن تكن في أعز العز ذا أرب ... فلا يكن زاد من لم تبل من أربك
لا تعرضن لزاد لست تملكه ... واقنع بزادك أو فاصبر على سغبك
ولست تحمد أن تعزى إلى نشب ... إذا عزيت إلى بخل على نشبك
هب جاهل القوم غرته جهالته ... ألست ذا أدب فاعمل على أدبك؟
لا تكلب على عرض الكرام تعش ... والكلب أحسن حالاً منك في كلبك
ولا تعب عرض من في عرضه جرب ... إلا وأنت نقي العرض من جربك
وإنما الناس في الدنيا ذوو رتب ... فانهض إلى الرتبة العلياء من رتبك

قال أبو حيان: وكان يختلف إلى مجلس أبي سعيد علي ابن المستير، وكان هذا اب بنت قطرب، وكان أبو سعيد يعرف له تقدمه على كثير من أصحابه، وكان يرجع إلى وطأة خلق وحسن عشرة، وحلاوة كلام وفقر مدقع، وضر ظاهر وحالة سيئة، وأمر مختل ومعيشة ضيقة، وكثرة عيال ومئونة مع نشاط القلب، وثبات النفس وطلاقة الوجه، وكثرة المرح والطرب والارتياح.

وقرأ يوماً على أبي سعيد ديوان المرقش وأخذ خطه بذلك، وعجل الانصراف من عنده. فقال له أبو سعيد: أين عزمت؟ قال: أذهب لأصلح أمر العيال، وأتمحل وأحتال، فدعا له بالرزق والسعة والمعونة والكفاية، وهو مع ذلك ضاحك السن، قرير العين، فلما انصرف. قلنا له: هذا الرجل مع ما فيه، لا يعرف الحزن في وجهه، ولا يشتد همه، ويقدر على دفعه. فالتفت بعضهم فقال: أيها الشيخ: وراءه حال يخفيها عنا، ويطويها منا؟ قال: ما أظن الأمر على ذلك، لكن الرجل عاقل، والعاقل يعلو على همه وحزنه، فيقهرهما بعقله وعلمه، والجاهل يشتد همه وحزنه، ويرى ذلك في وجهه، ولا يقدر على دفعه لجهله. فاستحسنا ذلك وأثبتناه.

قال في كتاب الإمتاع: فقال لي الوزير: أين أبو سعيد من أبي علي؟ وأين علي بن عيسى منهما؟ وأين ابن المارغي أيضاً من الجماعة؟ وكذلك المرزباني وابن شاذا، وابن الوراق واب حيويه. فكان من الجواب: أبو سعيد أجمع لشمل العلم، وأنظم لمذاهب العرب وأدخل في كل باب، وأخرج من كل طريق، وألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق، وأروى للحديث، وأقضى في الأحكام، وأفقه في الفتوى، وأحضر بركة على المختلفين، وأظهر أثراً في المقتبسة. ولقد كتب إليه نوح بن نصر وكان من أدباء ملوك آل سامان، سنة أربعين وثلاثمائة كتاباً خاطبه فيه بالإمام، وسأله عن مسائل تزيد على أربعمائة مسألة الغالب عليها الحرا وما أشبه الحران. وباقي ذلك أمثال مصنوعة على العرب شك فيها فسأله عنها. وكان هذا الكتاب مقروناً بكتاب الوزير البلعمي خاطبه فيه بإمام المسلمين، ضمنه مسائل القرآن وأمثالاً للعرب مشكلة.

وكتب إليه المرزبان بن محمد ملك الديلم من أذربيجان كتاباً خاطبه فيه بشيخ الإسلام، سأل عن مائة وعشرين مسألة أكثرها في القرآ، وباقي ذلك في الروايات عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة.

وكتب إليه ابن حنزابة من مصر كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الجليل، وسأله فيه عن ثلاثمائة كلمة من فنون

الحديث المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن السلف. وقال لي الدارقطني سنة سبعين: أنا جمعت ذلك لابن حنزابة على طريق المعونة.

وكتب إليه أبو جعفر ملك سجستان على يد شيخنا أبي سليمان كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الفرد. سأل عن سبعين مسألة في القرآن. ومائة كلمة في العربية، وثلاثمائة بيت من الشعر، هكذا حدثني به أبو سليمان، وأربعين مسألة في الأحكام، وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين.

قال الوزير: وهذه المسائل والجوابات عندك؟ قلت نعم: قال: في كم تقع؟ قلت لعلها تقع في ألف وخمسمائة ورقة، لأ أكثرها في الظهور. قال: ما أحوجنا إلى النظر إليها، والاستمتاع بها، والاستفادة منها، وأين الفراغ وأين السكو؟؟ ونحن في كل يوم ندفع إلى طامة تنسى ما سلف، وتوعد بالداهية ثم قال: صل حديثك. قلت: وأما أبو علي: فأشد تفرداً بالكتاب وأكثر إكباباً عليه، وأبعد من كل ما عداه مما هو علم الكوفيين، وما تجاوز في اللغة كتب أبي زيد وأطرافاً لغيره، وهو متقد بالغيظ على أبي سعيد وبالحسد له. كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله إلى آخره؟ بغريبه وأمثاله، وشواهده وأبياته. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، لأن هذا شيء ما تم للمبرد ولا للزجاج، ولا لابن السراج ولا لابن درستويه، مع سعة علمهم، وقبض بنانهم.

ولأبي علي أطراف من الكلام في مسائل أجاد فيها ولم يأتل، ولكنه قعد عن الكتاب على النظم المعروف. وحدثني أصحابنا: أن أبا علي اشتري شرح أبي سعيد بالأهواز – في توجهه إلى بغداد سنة ثمان وستين، لاحقاً بالخدمة الموسومة به والندامة الموقوفة عليه – بألفي درهم، وهذا حديث مشهور وإن كان أصحابه يأبون الإقرار به، إلا من يزعم أنه أراد النقض عليه وإظهار الخطإ.

وقد كان الملك السعيد هم بالجمع بينهما فلم يقض له. ذلك، لأن أبا سعيد مات في رجب سنة ثمان وستين وثلاثمائة. وأبو علي يشرب ويخالع، وما هذي سجية أهل العلم وطريقة الديانين. وأبو سعيد يصوم الدهر كله، ولا يصلي إلا في الجماعة، ويفتي على مذهب أبي حنيفة، ويلي القضاء سنين، ويتأله ويتحرج، وغيره بمعزل عن هذا، ولولا الإبقاء لأهل العلم لكان القلم يجري بما هو خاف، ويخبر بما هو مجمجم ولكن الأخذ بحكم المروءة أولى، والإعراض عما يوجب اللائمة أحرى، وكان أبو سعيد حسن الخط، ولقد أراده الصيمري أبو جعفر على الإنشاء والتحرير فاستعفى وقال: هذا يحتاج فيه إلى دربة وأنا عار منها، وسياسة وأنا غريب فيها. ومن العناء رياضة الهرم.

وحدثنا النصري أبو عبد الله وكان يكتب النوبة للمهلبي قال: كنت أخط بين يدي الصيمري أبي جعفر محمد بن أحمد بن محمد، فالتمسني يوماً لأ أجيب ابن العميد أبا الفضل عن كتاب فلم يجدني، وكان أبو سعيد السيرافي بحضرته، فظن أنه لفضل العلم أقوم بالجواب من غيره، فتقدم إليه أن يكتب ويجيب، فأطال في عمل نسخة كثر فيها الضرب والإصلاح، ثم أخذ يحرر والصيمري يقرأ ما يكتبه، فوجده مخلفاً لجاري العادة لفظاً، مبايناً لمأثوره ترتيباً. قال: ودخلت في تلك الحال فتمثل الصيمري بقول الشاعر:

يا باري القوس بريّاً ليس يصلحه ... لا تظلم القوس أعط القوس باريها

ثم قال لأبي سعيد: خفف عنك أيها الشيخ، وادفع الكتاب إلى أبي عبد الله تلميذك ليجيب عنه، فخجل من هذا القول. فلما ابتدأت الجواب من غير نسخة تحير مني أبو سعيد.

ثم قال للصيمري أيها الأستاذ: ليس بمستنكر ما كان مني، ولا بمستكبر ما كان منه، إن مال الغني لا يصح في بيت المال إلا بين مستخرج وجهبذ، والكتاب جهابذة الكلام، والعلماء مستخرجوه. فتبسم الصيمري وأعجبه ما سمع وقال: على كل حال ما أخليتنا من فائدة.

وكان أبو سعيد بعيد القرين، لأنه كان يقرأ عليه القرآن والتفسير، والفقه والفرائض، والشروط والنحو، واللغة والعروض، والقوافي والحساب، والهندسة والشعر، والحديث والأخبار، وهو في كل هذا، إما في الغاية وإما في الوسط.

وأما علي بن عيسى: فعلي الرتب في النحو واللغة، والكلام والمطق، ولا عيب به إلا أنه لم يسلك طريق واضع المنطق، بل أفرد له صناعة وأظهر براعة، وقد عمل في القرآن كتاباً نفيساً، هذا مع الدين الثخين، والعقل الرزين.

وأما ابن المراغي: فلا يلحق بهؤلاء مع براعة اللفظ، وسعة الحفظ وقوة النفس، وغزارة النفث، وكثرة الرواية، ومن نظر له في كتاب البهجة عرف ما أقول، واعتقد فوق ما وصفت.

وأما المرزباني وابن شاذان، والقرميسيني وابن الخلال، وابن حيويه: فلهم رواية وجمع، ليس لهم في شيء من ذلك نقط ولا إعجام، ولا إسراج ولا إلجام.

وحدثني الشيخ الإمام علم الدين لاقاسم بن أحمد الأندلسي شيخنا قال: حدثن تاج الدين أبو اليمن زيد ابن الحسن الكدي شيخنا قال: بلغني أن أبا سعيد دخل على ابن دريد وهو يقول: أول من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله:

تغيرت البلاد ومن عليها ... فوجه الأرض مغبر قبيح

تغير كل ذي طعم ولون ... وقل بشاشة الوجه المليح

فقال أبو سعيد: يمكن إنشاده على وجه لا يكون فيه إقواء. فقال: وكيف ذلك؟ قال: بأن تنصب بشاشة على التمييز، وترفع الوجه المليح بقل، ويكون قد حذف التنوين لالتقاء الساكنين كما حذف في قوله:

فألفيته غير مستعتب ... ولا ذاكر الله إلا قليلاً

وقال أبو حيان: جرى ليلة ذكر أبي سعيد السيرافي في مجلس ابن عباد، وكان ابن عباد يتعصب له ويقدمه على أهل زمانه، ويزعم أنه حضر مجلسه وأبان عن نفسه، وصادف من أبي سعيد بحر علم وطود حلم.

فقال أبو موسى الخشكي: إلا أنه لم يعمل في كتاب شرح سيبويه شيئاً، فنظر إليه ابن عباد متنمراً ولم يقل حرفاً، فعجبت من ذلك. ثم إني توصلت ببعض أصحابه، حتى سأل عن حلمه عن أبي موسى مع ذبه عن أبي سعيد فقال: والله لقد ملكي الغيظ عن ذلك الجاهل حتى عزب عي رأيي، ولم أجد في الحال شيئاً يشفي غيظي وغلتي منه، فصار ذلك سبباً لسكوتي عنه، فشابهت الحال الحلم وما كان ذلك حلماً، ولكن طلباً لنوع من الاستخفاف لائق به. فوالله ما يدري ذلك الكلب ولا أحد ممن خرج من قريته ورقة من ذلك

الكتاب. وهل سبق أحد إلى مثله من أول الكتاب إلى آخره، مع كثرة فنونه، وخوافي أسراره؟ وكان أبو موسى هذا من طبرستان، فعد هذا التعصب من مناقب ابن عباد، وحجب أبا موسى بعد ذلك.

ومن عجيب ما مر بي: ما قرأته في كتاب الانتصار المنبي عن فضائل المتنبي، لأبي الحسين بن محمد بن أحمد بن محمد المغربي راوية المتنبي، وكان قد رد فيه على بعض من زعم أن شعر المتنبي مسروق من أبي تمام والبحتري. وله قصيدة عارض بها بعض قصائد المتنبي، وأخذ المغربي يرد عليه فقال: ورأيته قود استشهد بأبي سعيد السيرافي مؤدب الأمير أبي إسحاق بن معز الدولة أبي الحس بن بويه، وذكر أنه أعطاه خطه بأن قصيدته خير من قصيدة أبي الطيب. قال: ومن جعل الحكم في هذا إلى أبي سعيد؟ إنما يحكم في الشعر الشعراء لا المؤدبة. وبمثل هذا جزت سنة العرب في القديم، كانت تضرب للنابغة خيمة من أدم بسوق عكاظ، وتأتي الشعراء من سائر الآفاق فتعرض أشعارها عليه، فيحكم لمن أجاد، وخبره مع حسان وغيره معروف. ولو كان أعلم الناس بالنحو أشعرهم، لكان أبو علي الفسوي أشعر الناس. وما عرف له من ظم بيت ولا أبيات ولا سمع ذلك منه.

وأما إعطاء أبي سعيد خطه، فيوشك أن يكون من جنب ما حدثني به المعروف بابن الخزاز الوراق ببغداد، وأبو بكر القنطري، وأبو الحسين بن الخراساني، وهما وراقان أيضاً من جلة أهل هذه الصنعة: أن أبا سعيد إذا أراد بيع كتاب – استكتبه بعض تلامذته – حرصاً على النفع منه، ونظراً في رق المعيشة. كتب في آخره وإن لم ينظر في حرف منه.

قال الحسن بن عبد الله: قد قرئ هذا الكتاب علي وصح، ليشترى بأكثر من ثمن مثله. قلت: وهذا ضد ما وصفه به الخطيب من متانة الدين، وتأبيه من أخذ رزق على القضاء، وقناعته بما يحصل من نسخه هذه، والله أعلم بما كان.

مناظرة جرت بين متى بن يونس القنائي الفيلسوف وبين أبي سعيد السيرافي –

رحمة الله عليه –

قال أبو حيان: ذكرت للوزير مناظرة جرت في مجلس الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات، بين أبي سعيد السيرافي وأبي بشر متى. واختصرتها فقال لي: اكتب هذه المناظرة على التمام، فإن شيئاً يجري في ذلك المجلس النبيه، وبين هذين الشخصين بحضرة أولئك الأعلام، ينبغي أن يغتنم سماعه، وتوعى فوائده، ولا يتهاون بشيء منه. فكتبت: حدثني أبو سعيد بلمع من هذه القصة، فأما علي ابن عيسى النحوي الشيخ الصالح، فإنه رواها مشروحة قال: لما انعقد المجلس سنة عشرين وثلاثمائة، قال الوزير ابن الفرات للجماعة وفيهم الخالدي، وابن الإخشيد، والكندي، وابن أبي بشر، وابن رباح، وابن كعب، وأبو عمرو قدامة بن جعفر، والزهري، وعلي بن عيسى ابن الجراح، وأبو فراس، وابن رشيد، وابن عبد العزيز الهاشمي، وابن يحيى العلوي، ورسول بن طنج من مصر، والمرزباني صاحب بني سامان: أريد أن ينتدب منكم إنسان لمناظرة متى في حديث المنطق فإنه يقول: لا سبيل إلى معرفة الحق من الباطل، والصدق من الكذب، والخير من

الشر، والحجة من الشبهة، والشك من اليقين، إلا بما حويناه من المنطق، وملكناه من القيام عليه، واستفدناه من مواضعه على مراتبه وحدوده، واطلعنا عليه من جهة اسمه على حقائقه، فأحجم القوم وأطرقوا فقال ابن الفرات: والله إن فيكم لمن يفي بكلامه ومناظرته، وكسر ما يذهب إليه، وإني لأعدكم في العلم بحاراً، وللدي وأهله أنصاراً، وللحق وطلابه مناراً، فما هذا التغامز والتلامز اللذان تجلون عنهما؟. فرفع أبو سعيد السيرافي رأسه وقال: اعذر أيها الوزير، فإن العلم المصو في الصدور، غير العلم المعروض في هذا المجلس على الأسماع المصيغة، والعيون المحدقة، والعقول الجامدة، والألباب الناقدة، لأن هذا يستصحب الهيبة والهيبة مكسرة، ويجتلب الحياء، والحياء مغلبة، وليس البراز في معركة غاصة، كالصراع في بقعة خاصة.

فقال ابن الفرات: أنت لها يا أبا سعيد، فاعتذارك عن غيرك، يوجب عليك الانتصار لنفسك، والانتصار لنفسك راجع على الجماعة بفضلك. فقال أبو سعيد: مخالفة الوزير فيما يأمر به هجنة، والاحتجان عن رأيه إخلاد إلى التقصير، – ونعوذ بالله من زلة القدم، وإياه نسأل حسن التوفيق والمعونة في الحرب والسلم – .

ثم واجه متى فقال: حدثني عن المنطق ما تعنى به؟ فإنا إذا فهمنا مرادك فيه، كان كلامنا معك في قبول صوابه، ورد خطئه على سنن مرضي، وعلى طريقة معروفة. قال متى: أعني به أنه آلة من الآلات، يعرف به صحيح الكلام من سقيمه، وفاسد المعنى من صالحه كالميزان، فإني أعرف به لارجحان من النقصان، والشائل من الجانح.

فقال أبو سعيد: أخطأت، لأن صحيح الكلام من سقيمه يعرف بالعقل إن كنا نبحث بالعقل. هبك عرفت الراجح من الناقص من طريق الوزن، من لك بمعرفة الموزون؟ أهو حديد أم ذهب، أم شبه أم رصاص؟ وأراك بعد معرفة الوزن فقيراً إلى معرفة جوهر الموزو وإلى معرفة قيمته، وسائر صفاته التي يطول عدها. فعلى هذا لم ينفعك الوز الذي كان عليه اعتمادك، وفي تحقيقه كان اجتهادك إلا نفعاً يسيراً من وجه واحد، وبقيت عليك وجوه، فأنت كما قال الأول: حفظت شيئاً وضاعت منك أشياء وبعد: فقد ذهب عليك شيء ههنا، ليس كل ما في الدنيا يوزن، بل فيها ما يكال، وفيها ما يوزن، وما يذرع، وفيها ما يسمح، وفيها ما يحزر.

وهذا، وإن كان هكذا في الأجسام المرئية، فإنه أيضاً على ذلك في المعقولات المقروءة، والأجسام ظلال العقول، وهي تحكيها بالتبعيد والتقريب مع الشبه المخفوظ، والمماثلة الظاهرة، ودع هذا إذا كان المنطق وضعه رجل من يونان على لغة أهلها واصطلاحهم عليها، وما يتعارفونه بما من رسومها وصفاتها، من أين يلزم الترك، والهند، والفرس، والعرب أن ينظروا فيه، ويتخذوه حكماً لهم وعليهم، وقاضياً بينهم، ما شهد له قبلوه، وما أنكره رفضوه؟ قال متى: إنما لزم ذلك، لأن المنطق بحق عن الأغراض المعقولة، والمعاني المدركة، وتصفح للخواطر السانحة، والسوانح الهاجسة، والناس في المعقولات سواء.

ألا ترى أن أربعة وأربعة ثمانية عند جميع الأمم، وكذلك ما أشبهه.

قال أبو سعيد: لو كانت المطبوعات بالعقل، والمذكورات باللفظ ترجع مع شعبها المختلفة، وطرائقها المتباينة إلى هذه المرتبة البينة، في أربعة وأربعة أنهما ثمانية، زال الاختلاف وحضر الاتفاق، ولكن ليس الأمر هكذا.

ولقد موهت بهذا المثال، ولكم عادة في مثل هذا التمويه، ولكن ندع هذا أيضاً إذا كانت الأغراض المعقولة والمعاني المدركة، لا يوصل إليها إلا باللغة الجامعة للأسماء والأفعال والحروف، أفليس قد لزمت الحاجة إلى معرفة اللغة؟ قال نعم. قال: أخطأت، قل في هذا الموضع بلى. قال متى: بلى، أنا أقلدك في مثل هذا.
قال أبو سعيد: فأنت إذاً لست تدعونا إلى علم المنطق، بل إلى تعلم اللغة اليونانية، وأنت لا تعرف لغة يونان، فكيف صرت تدعونا إلى لغة لا تفي بها، وقد عفت منذ زمان طويل وباد أهلها، وانقرض القوم الذين كانوا يتفاوضون بها، ويتفاهمون أغراضهم بتصرفها، على أنك تنقل من السريانية، فما تقول في معان متحولة بالنقل من لغة يونان إلى لغة أخرى سريانية، ثم من هذه إلى لغة أخرى عربية؟ قال متى: يونان وإن بادت مع لغتها، فإ الترجمة قد حفظت الأغراض وأدت المعاني، وأخلصت الحقائق.
قال أبو سعيد: إذا سلمنا لك أن الترجمة صدقت وما كذبت، وقومت وما حرفت، ووزنت وما جزفت، وأنها ما لاتاثت ولا حافت، ولا نقصت ولا زادت، ولا قدمت ولا أخرت، ولا أخلت بمعنى الخاص والعام، ولا بأخص الخاص، ولا بأعم العام، وإن كان هذا لا يكون، وليس في طبائع اللغات ولا مقادير المعاني، فكأنك تقول بعد هذا: لا حجة إلا عقول يونان، ولا برهان إلا ما وضعوه، ولا حقيقة إلا ما أبرزوه. قال متى: لا، ولكنهم من بين الأمم أصحاب عناية بالحكمة، والبحث عن ظاهر هذا العالم وباطنه، وعن كل ما يتصل به وينفصل عنه، وبفضل عنايتهم ظهر ما ظهر، وانتشر ما انتشر، وفشا ما فشا، ونشأ ما نشأ من أنواع العلم، وأصناف الصناعة، ولم نجد هذا لغيرهم.
قال أبو سعيد: أخطأت وتعصبت، وملت مع الهوى، فإن العلم مبثوث في العالم، ولهذا قال القائل:
ألعلم في العالم مبثوث ... ونحوه العاقل محثوث

وكذلك الصناعات مفضوضة على جميع من على جديد الأرض، ولهذا غلب علم في مكان دون مكان، وكثرت صناعة في بقعة دون صناعة. وهذا واضح والزيادة عليه مشغلة، ومع هذا فإنما كان يصح قولك وتسلم دعواك، لو كانت يونان معروفة بين جميع الأمم بالعصمة الغالبة، والفطرة الظاهرة، والبنية لامخالفة، وأنهم لو أرادوا أن يخطئوا ما قدروا، ولو قصدوا أن يكذبوا ما استطاعوا وأن السكينة نزلت عليهم، والحق تكفل بهم، والخطأ تبرأ منهم، والفضائل لصقت بأصولهم وفروعهم، والرذائل بعدت عن جواهرهم وعروقهم، وهذا جهل ممن يظنه بهم، وعناد ممن يدعيه عليهم، بل كانوا كغيرهم من الأمم، يصيبون في أشياء ويخطئو في أشياء، ويصدقون في أمور ويكذبون في أمور، ويحسنون في أحوال ويسيئون في أحوال. وليس واضع المنطق يونان بأسرها، إنما هو رجل منهم، وقد أخذ عم قبله، كما أخذ عنه من بعده، وليس هو حجة على هذا الخلق الكثير والجم الغفير. وله مخالفون منهم ومن غيرهم، ومع هذا: فالاختلاف في الراي والنظر، والبحث والمسألة والجواب سنخ وطبيعة، فكيف يجوز أن يأتي رجل بشيء يرفع به هذا الخلاف أو يحلحله أو يؤثر فيه، هيهات هذا محال. ولقد بقي العالم بعد منطقه على ما كان قبل منطقه، فامسح وجهك بالسلوة عن شيء لا يستطاع، لأنه مفتقد بالفطرة والطباع، وأنت فلو فرغت بالك، وصرفت عنايتك إلى معرفة هذه اللغة التي تحاورنا بها، وتجارينا فيها، وتدرس أصحابك بمفهوم أهلها، وتشرح كتب يونان بعادة

أصحابها، لعلمت أنك غني عن معاني يوان، كما أنك غني عن لغة يونان وههنا مسألة: أتقول إن الناس عقولهم مختلفة وأنصباؤهم منها متفاوتة؟ قال متى: نعم. قال: وهذا التفاوت والاختلاف بالطبيعة أو الاكتساب؟ قال: بالطبيعة. قال: فكيف يجوز أن يكون ههنا شيء يرتفع به الاختلاف الطبيعي، والتفاوت الأصلي؟ قال متى: هذا قد مر في جملة كلامك آنفاً.

قال أبو سعيد: فهل وصلته بجواب قاطع، وبيان ناصع؟ ودع هذا، أسألك عن حرف واحد هو دائر في كلام العرب، ومعانيه متميزة عند أهل العقل، فاستخرج أنت معانيه من ناحية منطق أرسطاطاليس الذي تدل به، وتباهي بتفخيمه، وهو الواو، وما أحكامه؟ وكيف مواقعه؟ وهل هو على وجه واحد أو وجوه؟

فبهت متى وقال: هذا نحو، والنحو لم أنظر فيه، لأنه لا حاجة بالمنطقي إلى النحو، وبالنحوي حاجة إلى المنطق، لأن المنطق يبحث عن المعنى، والنحو يبحث عن اللفظ، فإن مر المنطقي باللفظ فبالعرض، وإن عبر النحوي بالمعنى فبالعرض، والمعنى أشرف من اللفظ، واللفظ أوضع من المعنى.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأن المنطق والنحو، واللفظ والإفصاح، والإعراب والبناء، والحديث والإخبار والاستخبار، والعرض والتمني، والحض والدعاء، والنداء والطلب، كلها من واد واحد بالمشاكلة والمماثلة. ألا ترى أن رجلاً لو قال: نطق زيد بالحق ولكن ما تكلم بالحق، وتكلم بالفحش ولكن ما قال الفحش، وأعرب عن نفسه ولكن ما أفصح، وأبان المراد ولكن ما أوضح أو فاه بحاجته ولكن ما لفظ، أو أخبر ولكن ما أنبأ، لكان في جميع هذا مخرفاً ومناقضاً، وواضعاً للكلام في غير حقه، ومستعملاً للفظ على غير شهادة من عقله وعقل غيره، والنحو منطق ولكنه مسلوخ من العربية، والمنطق نحو ولكنه مفهوم باللغة، وإنما الخلاف بين اللفظ والمعنى، أن اللفظ طبيعي والمعنى عقلي، ولهذا كان اللفظ بائداً على الزمان، يقفو أثر الطبيعة بأثر آخر من الطبيعة، ولهذا كان المعنى ثابتاً على الزمان، لأ مستملي المعنى عقل، والعقل إلهي، ومادة اللفظ طينية، وكل طيبي متهافت، وقد بقيت أنت بلا اسم لصناعتك التي تنتحلها، وآلتك التي ترهى بها، إلا أن تستعير من العربية لها اسماً فتعار، ويسلم لك بمقدار، وإن لم يكن لك بد من قليل هذه اللغة من أجل الترجمة، واجتلاب الثقة، والتوقي من الخلة اللاحقة لك. قال متى: يكفيني من لغتكم هذه: الاسم والفعل والحرف، فإني أتبلغ بهذا القدر إلى أغراض قد هذبتها لي يونان.

قال أبو سعيد أخطأت: لأنك في هذا الاسم والفعل والحرف فقير إلى وضعها وبنائها، على الترتيب الواقع في غرائز أهلها، وكذلك أنت محتاج بعد هذا، إلى حركات هذه الأسماء والأفعال والحروف، فإن الخطأ والتحريف في الحركات، كالخطإ والفساد في المتحركات. وهذا باب أنت وأصحابك ورهطك عنه في غفلة، على أن ههنا سراً ما علق بك، ولا أسفر لعقلك، وهو: أن تعلم أن لغة من اللغات لا تطابق لغة أخرى من جميع جهاتها، بحدود صفاتها في أسمائها وأفعالها، وحروفها وتأليفها، وتقديمها وتأخيرها، واستعارتها وتحقيقها، وتشديدها وتخفيفها، وسعتها وضيقها، ونظمها ونثرها، وسجعها ووزنها وميلها، وغير ذلك مما يطول ذكره، وما أظن أحداً يدفع هذا الحكم أو يسأل في صوابه ممن يرجع إلى مسكة من عقل، أو نصيب من إنصاف، فمن أين يجب أن نثق بشيء ترجم لك على هذا الوصف، بل أنت إلى أن تعرف اللغة العربية أحوج منك

إلى أن تعرف المعاني اليونانية، على أن المعاني لا تكون يونانية ولا هندية، كما أن الأغراض لا تكون فارسية ولا عربية ولا تركية. ومع هذا، فإنك تزعم أن المعاني حاصلة بالعقل والفحص والفكر، فلم يبق إلا أحكام اللغة، فلم تزرى على العربية؟ وأنت تشرح كتب أرسطاطاليس بها مع جهلك بحقيقتها.

وحدثني عن قائل قال لك: حالي في معرفة الحقائق والتصفح لها والبحث عنها، حال قوم كانوا قبل واضع المنطق، أنظر كما نظروا، وأتدبر كما تدبروا، لأن اللغة قد عرفتها بالمنشأ والوراثة، والمعاني نقرت عنها بالنظر والرأي، والاعتقاب والاجتهاد، ما تقول له؟ لا يصح له هذا الحكم، ولا يستتب هذا الأمر، لأنه لم يعرف هذه الموجودات من الطريقة التي عرفتها أنت، ولعلك تفرح بتقليدك وإن كان على باطل، أكثر مما يفرح باستبداده وإ كان على حق، وهذا هو الجهل المبين، والحكم غير المستبين، ومع هذا فحدثني عن الواو ما حكمه؟ فإني أريد أن أبين أن تفخيمك للمنطق لا يغني عنك شيئاً، وأن تجهل حرفاً واحداً من اللغة التي تدعو بها إلى الحكمة اليونانية، ومن جهل حرفاً واحداً أمكن أن يجهل آخر أو اللغة بكمالها، وإن كان لا يجهلها كلها وإنما يجهل بعضها، فلعله يجهل ما يحتاج إليه ولا ينفعه فيه علم بما لا يحتاج. وهذه رتبة العامة، أو هي رتبة من هو فوق العامة بقدر يسير؟ فلم يتأبى على هذا وينكر؟ ويتوهم أنه من الخاصة وخاصة الخاصة، وأنه يعرف سر الكلام وغامض الحكمة، وخفي القياس وصحيح البرهان. وإنما سألتك عن معاني حرف واحد. فكيف لو نثرت عليك الحروف كلها وطالبتك بمعانيها ومواضعها التي لها بالحق، والتي لها بالتجوز؟ وسمعتكم تقولون في لا يعلم النحويون مواقعها، وإنما يقولون: هي للوعاء، كما يقولون: إن الباء للإلصاق. وإن في تقال على وجوه، يقال: الشيء في الوعاء، والإناء في المكان، والسائس في السياسة، والسياسة في السائس. ألا ترى هذا التشقيق هو من عقول يونان، ومن ناحية لغتها، ولا يجوز أن يعقل هذا بعقول الهند، والترك، والعرب، فهذا جهل من كل من يدعيه، وخطل من القول الذي أفاض النحوي إذا قال: في للوعاء فقد أفصح في الجملة عن المعنى الصحيح، وكنى مع ذلك عن الوجوه التي تظهر بالتفصيل، ومثل هذا كثير، وهو كاف في موضع السكيت.

فقال ابن الفرات: أيها اشيخ الموفق، أجبه بالبيان عن مواقع الواو، حتى تكو أشد في إفحامه، وحقق عند الجماعة ما هو عاجز عنه، ومع ذلك فهو متشيع له.

فقال أبو سعيد: للواو وجوه ومواقع: منها معنى العطف في قولك: أكرمت زيداً وعمرواً. ومنها القسم في قولك: والله لقد كان كذا وكذا. ومنها الإستئناف كقولك: خرجت وزيد قائم، لأ الكلام بعده ابتداء وخبر، ومنها معنى رب التي هي للتقليل، نحو قوله: وقاتم الأعماق خاوي المخترق. ومنها: أن تكون أصلية في الاسم كقولك: واقد، واصل، وافد. وفي الفعل كقولك: وجل يوجل. ومنها أن تكون مقحمة نحو قول الله تعالى: (فلما أسلما وتله للجبين وناديناه)، أي ناديناه. ومثله قول الشاعر:

فلما أجزنا ساحة الحي وانتحى ... بنا بطن خبت ذي حقاف عقنقل

المعنى انتحى بها. ومنها معنى الحال في قوله عز وجل: (ويكلم الناس في المهد وكهلاً)، أي يكلم الناس حال صغره بكلام الكهل في حال كهولته. ومنها أن تكون بمعنى حرف الجر كقولك: استوى الماء والخشبة، أي مع الخشبة.

فقال ابن الفرات لمتى. يأبا بشر، أكان هذا في نحوك؟ ثم قال أبو سعيد: دع هذا، ههنا مسألة علاقتها بالمعنى العقلي أكثر من علاقتها بالشكل اللفظي، ما تقول في قول القائل: زيد أفضل الإخوة؟ قال صحيح. قال: فما تقول إن قال زيد أفضل إخوته؟ قال صحيح. قال: فما الفرق بينهما مع الصحة؟ فبلح وجنح وعصب ريقه.

فقال أبو سعيد: أفتيت على غير بصيرة ولا استبانة. المسألة الأولى: جوابك عنها صحيح، وإن كنت غافلاً عن وجه صحتها. والمسألة الثانية: جوابك عنها غير صحيح، وإن كنت أيضاً ذاهلاً عن وجه بطلانها. قال متى: بين، ما هذا التهجين؟ قال أبو سعيد: إذا حضرت المختلفة استفدت، ليس هذا مكان التدريس، بل هو مجلس إزالة التلبيس، مع من عادته التمويه والتشبيه. والجماعة تعلم أنك أخطأت، فلم تدعى أن النحوي إنما ينظر في اللفظ لا في المعني؟ والمنطقي ينظر في المعنى لا في اللفظ. هذا كان يصح لو كان المنطقي يسكت ويجيل فكره في المعاني، ويرتب ما يريد في الوهم السياح، والخاطر العارضي، والحدس الطارئ.

وأما وهو يريغ أن يبرز ما صح له بالاعتبار والتصفح إلى المتعلم والمناظر، فلابد له من اللفظ الذي يشتمل على مراده، ويكون طباقاً لغرضه، وموافقاً لقصده.

قال ابن الفرات: يا أبا سعيد، تمم لنا كلامك في شرح المسألة، حتى تكون الفائدة ظاهرة لأهل المجلس، والتبكيت عاملاً في نفس أبي بشر. فقال: ما أكره من إيضاح الجواب عن هذه المسألة إلا ملل الوزير، فإن الكلام إذا طال مل.

قال ابن الفرات: ما رغبت في سماع كلامك، وبيني وبين الملل علاقة، فأما الجماعة فحرصها على ذلك ظاهر. فقال أبو سعيد: إذا قلت: زيد أفضل إخوته لم يجز، وإذا قلت: زيد أفضل الإخوة جاز، والفصل بينهما: أن إخوة زيد هم غير زيد، وزيد خارج من جملتهم، دليل ذلك، أنه لو سأل سائل فقال: من إخوة زيد؟ لم يجز أن تقول: زيد وعمرو وبكر وخالد، وإنما تقول: بكر وعمرو وخالد، ولا يدخل زيد في جملتهم فإذا كان زيد خارجاً عن إخوته صار غيرهم، فلم يجز أن يكون أفضل إخوته، كما لم يجز أن يكون حمارك أفضل البغال، لأن الحمار غير البغال. كما أن زيداً غير إخوته. فإذ قلت: زيد أفضل الإخوة جاز. لأنه أحد الإخوة، والاسم يقع عليه وعلى غيره، فهو بعض الإخوة. ألا ترى أنه لو قيل من الإخوة؟ عددته فيهم، فقلت زيد وعمرو وبكر وخالد، فيكون بمنزلة قولك: حمارك أفره الحمير. فلما كان على ما وصفنا، جاز أن يضاف إلى واحد منكور يدل على الجنس فتقول: زيد أفضل رجل، وحمارك أفره حمار، فيدل رجل على الجنس كما دل الرجال، وكما في عشرين درهماً ومائة درهم.

فقال ابن الفرات: ما بعد هذا البيان مزيد، ولقد جل علم النحو عندي بهذا الاعتبار وهذا الانقياد.

فقال أبو سعيد: معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته، وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير، وتوخي الصواب في ذلك، وتجنب الخطإ في ذلك وإن زاغ شيء عن النعت، فإنه لا يخلو من أن يكون سائغاً بالاستعمال النادر والتأويل البعيد، أو مردوداً لخروجه عن عادة القوم الجارية على فطرتهم. فأما ما يتعلق باختلاف لغات القبائل، فذلك شيء مسلم لهم ومأخوذ عليهم، وكل ذلك محصور بالتتبع والرواية والسماع، والقياس المطرد على الأصل المعروف من غير تحريف،

وإنما دخل العجب على المنطقيين لظنهم أن المعاني لا تعرف ولا تستوضح إلا بطريقهم ونظرهم وتكلفهم. فترجموا لغة هم فيها ضعفاء ناقصون، بترجمة أخرى هم فيها ضعفاء ناقصون وجعلوا تلك الترجمة صناعة، وادعوا على النحويين أنهم مع اللفظ لا مع المعنى.

ثم أقبل أبو سعيد على متى فقال: ألا تعلم يا أبا بشر أن الكلام اسم واقع على أشياء قد ائتلفت بمراتب؟ مثال ذلك أنك تقول: هذا ثوب، والثوب يقع على أشياء بها صار ثوباً، ثم به نسج بعد أن غزل، فسداته لا تكفي دون لحمته، ولحمته لا تكفي دون سداته، ثم تأليفه كنسجه، وبلاغته كقصارته، ودقة سلكه كرقة لفظه، وغلظ غزله ككثافة حروفه، ومجموع هذا كله ثوب، ولكن بعد تقدمة كل ما يحتاج إليه فيه.

قال ابن الفرات: سله يا أبا سعيد عن مسألة أخرى، فإن هذا كلما توالى عليه بان انقطاعه، وانخفض ارتفاعه في المنطق الذي ينصره، والحق الذي لا ينصره. قال أبو سعيد: ما تقول في رجل قال: لهذا علي درهم غير قيراط؟ قال متى: مالي علم بهذا النمط. قال: لست ازعاً عنك حتى يصح عند الحاضرين أنك صاحب مخرقة وزرق، ههنا ما هو أخف من هذا.

قال رجل لصاحبه: بكم الثوبان المصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغان؟ وقال آخر: بكم ثوبان مصبوغين؟ بين هذه المعاني التي تضمنها لفظاً لفظاً. قال متى: لو نثرت أنا أيضاً عليك من مسائل المنطق شيئاً لكان حالك كحالي.

قال أبو سعيد: أخطأت، لأنك إذا سألتني عن شيء أنظر فيه، فإن كان له علاقة بالمعنى وصح لفظه على العادة الجارية أجبت، ثم لا أبالي أن يكون موافقاً أو مخالفاً، وإن كان غير متعلق بالمعنى رددته عليك، وإن كان متصلاً باللفظ ولكن على موضع لكم في الفساد على ما حشوتم به كتبكم رددته أيضاً، لأنه لا سبيل إلى إحداث لغة مقررة بين أهلها، ما وجدنا لكم إلا ما استعرتم من لغة العرب، كالسبب والآلة، والموضوع والمحمول، والكون والفساد، والعموم والخصوص، وأمثلة لا تنفع ولا تجدي، وهي إلى العي أقرب، وفي الفهاهة أذهب. ثم أنتم هؤلاء في منطقكم على نقص ظاهر، لأنكم لا تفون بالكتب ولا هي مشروحة، وتدعون الشعر ولا تعرفونه، وتدعو الخطابة وأنتم عنها في منقطع التراب، وقد سمعت قائلكم يقول: الحاجة ماسة إلى كتاب البرهان، فإن كان كما قال، فلم قطع الزمان بما قبله من الكتب؟، وإن كانت الحاجة قد مست إلى ما قبل البرهان، فهي أيضاً ماسة إلى ما بعد البرهان، وإلا فلم صنف ما لا يحتاج إليه ويستغنى عنه؟ هذا كله تخليط وزرق، وتمويل ورعد وبرق. وإنما بودكم أن تشغلوا جاهلاً، وتستذلوا عزيزاً.

وغايتكم أن تمولوا بالجنس والنوع، والخاصة والفصل، والعرض والشخص، وتقولوا: الهلية والأيية، والماهية والكيفية والكمية، والذاتية والعرضية، والجوهرية والهيولية، والصورية والإنسية، والكسبية والنفسية ثم تنمطون وتقولو: جئنا بالسحر في قولنا: لا شيء من باء وواو وجيم، في بعض باء وفاء في بعض جيم، وإلا في كل ب و ج في كل ب، فا، إذاً لا في كل ج، وهذا بطريق الخلف، وهذا بطريق الاختصاص، وهذه كلها جزافات وترهات، ومغالق، وشبكات، ومن جاد عقله وحسن تمييزه، ولطف نظره، وثقب رأيه، وأنارت نفسه، استغنى عن هذا كله، بعون الله وفضله. وجودة العقل وحسن التمييز، ولطف النظر وثقوب

الرأي، وإنارة النفس من منائح الله الهنية، ومواهبه السنية، يختص بها من يشاء من عباده. وما أعرف لاستطالتكم بالمنطق وجهاً، وهذا الناشئ أبو العباس قد نقض عليكم، وتتبع طريقكم، وبين خطأكم، وأبرز ضعفكم، ولم تقدروا إلى اليوم أ تردوا عليه كلمة واحدة مما قال، وما زدتم على قولكم: لم يعرف أغراضنا، ولا وقف على مرادنا، وإنما تكلم على وهم، وهذا منكم لجاجة ونكول، ورضىً بالعجز والكلول، وكل ما ذكرتم في الموجودات فعليكم فيه اعتراض. هذا قولكم في فعل وينفعل، ولم تستوضحوا فيهما مراتبهما ومواقعهما، ولم تقفوا على مقاسمهما، لأنكم قنعتم فيهما بوقوع الفعل من يفعل، وقبول الفعل من ينفعل، ومن وراء ذلك غايات خفيت عليكم، ومعارف ذهبت عنكم، وهذا حالكم في الإضافة.

فأما البدل ووجوهه، والمعرفة وأقسامها، والنكرة ومراتبها، وغير ذلك مما يطول ذكره، فليس لكم فيه قال ولا مجال، وأنت إذا قلت لإنسان: كن منطقياً فإنما تريد: كن عقلياً أو عاقلاً، أو اعقل ما تقول، لأن أصحابك يزعمون أن المنطق هو العقل، وهذا قول مدخول، لأن المنطق على وجوه أنتم منها في سهو. وإذا قال لك آخر: كن نحوياً لغوياً فصيحاً، فإنما يريد: افهم عن نفسك ما تقول، ثم رم أن يفهم عنك غيرك، وقدر اللفظ على المعنى فلا ينقص عنه. هذا إذا كنت في تحقيق شيء على ما هو به، فأما إذا حاولت فرش المعنى وبسط المراد، فاجل اللفظ بالروادف الموضحة، والأشباه المقربة، والاستعارات الممتعة، وسدد المعاني بالبلاغة، أعني لوح منها شيئاً حتى لا تصاب إلا بالبحث عنها والشوق إليها، لأن المطلوب إذا ظفر به على هذا الوجه، عز وجل، وكرم وعلا، واشرح منها شيئاً حتى لا يمكن أن يمترى فيه، أو يتعب في فهمه، أو ينزح عنه لاغتماضه، فبهذا المعنى يكون جامعاً لحقائق الأشياء ولأشباه الحقائق، وهذا باب إن استقصيته خرج عن نمط ما نحن عليه في هذا المجلس، على أني لا أدري، أيؤثر ما أقول أم لا؟ ثم قال: حدثنا، هل فصلتم قط بالمنطق بين مختلفين، أم رفعتم الخلاف بين اثنين؟؟ أتراك بقوة المنطق وبرهانه اعتقدت أن الله ثالث ثلاثة، وأن الواحد أكثر من واحد، وأن الذي هو أكثر من واحد هو واحد، وأن الشرع ما تذهب إليه، والحق ما تقوله؟ هيهات، ههنا أمور ترفع عن دعوى أصحابك وهذياهم، وتدق عن عقولهم وأذهانهم، ودع هذا. ههنا مسألة قد أوقعت خلافاً، فارفع ذلك الخلاف بمنطقك. قال قائل: لفلان من الحائط إلى الحائط. ما الحكم فيه وما قدر المشهود به لفلان؟ فقد قال ناس: له الحائطان معاً وما بينهما. وقال آخرون: له النصف من كل منهما. وقال آخرو: له أحدهما. هات الآن آيتك الباهرة، ومعجزتك القاهرة، وأني لك بهما؟ وهذا قد بان بغير نظرك ونظر أصحابك. ودع هذا أيضاً. قال قائل: من الكلام ما هو مستقيم حسن، ومنه ما هو مستقيم كذب، ومنه ما هو خطأ، فسر هذه الجملة. واعترض عليه عالم آخر فاحكم أنت بين القائل والمعترض، وأرنا قوة صناعتك التي تميز بها بين الخطأ والصواب، وبين الحق والباطل. فإن قلت: كيف أحكم بين اثنين أحدهما قد سمعت مقالته، والآخر لم أحصل على اعتراضه؟. قيل لك: استخرج بنظرك الاعتراض إن كان ما قاله محتملاً له، ثم أوضح الحق منهما، لأ الأصل مسموع لك حاصل عندك. وما يصح به أو يطرد عليه يجب أن يظهر منك، فلا تتعاسر علينا، فإن هذا لا يخفى على أحد من الجماعة، فقد بان الآن أن مركب اللفظ لا يجوز مبسوط العقل. والمعاني معقولة ولها اتصال شديد وبساطة تامة، وليس في قوة

اللفظ من أي لغة كان، أن يملك ذلك المبسوط ويحيط به وينصب عليه سوراً، ولا يدع شيئاً من داخله أن يخرج، ولا شيئاص من خارجه أن يدخل، خوفاً من الاختلاط الجالب للفساد، أعني أن ذلك يخلط الحق بالباطل، ويشبه الباطل بالحق، وهذا الذي وقع الصحيح منه في الأول قبل وضع المنطق، وقد عاد ذلك الصحيح في الثاني بهذا المنطق، وأنت لو عرفت العلماء والفقهاء ومسائلهم، ووقفت على غورهم في فكرهم، وغوصهم في استنباطهم، وحسن تأويلهم لما يرد عليهم، وسعة تشقيقهم للوجوه المحتملة، والكنايات المفيدة، والجهات القريبة والبعيدة، لحقرت نفسك، وازدريت أصحابك، ولكان ما ذهبوا إليه وتتابعوا عليه، أقل في عينك من السها عند القمر، ومن الحصا عند الجبل. أليس الكندي وهو علم من أصحابكم، يقول في جواب مسألة: هذا من باب عدة. فعد الوجوه بحسب الاستطاعة على طريق الإمكان من ناحية الوهم بلا ترتيب، حتى وضعوا له مسائل من هذا، وغالطوه بها، وأروه من الفلسفة الداخلة، فذهب عليه ذلك الوضع، فاعتقد أنه مريض العقل، فاسد المزاج، حائل الغريزة، مشوش اللب، قالوا له: أخبرنا عن اصطكاك الأجرام وتضاغط الأركان، هل يدخل في باب وجوب الإمكان، أو يخرج من باب الفقدان إلى ما يخفى عن الأذهان؟.

وقالوا له أيضاً: ما تشبيه الحركات الطبيعية إلى الصور الهيولانية؟ وهل هي ملابسة للكيان في حدود النظر والبيان، أو مزايلة له على غاية الإحكام؟ ما تأثير فقدان الوجدان في عدم الإمكان، عند امتناع الواجب من وجوبه، في ظاهر ما لا وجوب له لاستحالته في إمكان أصله. وعلى هذا، فقد حفظ جوابه عن جميع هذا على غاية الركاكة، والضعف والفساد، والفسالة والسخف، ولولا التوقي من التطويل، لسردت ذلك كله. ولقد مر بي في خطة: التفاوت في تلاشي الأشياء غير محاط به، لأنه يلاقي الاختلاف في الأصول، والاتفاق في الفروع. وكل ما يكون على هذا النهج، فالنكرة تزاحم عليه المعرفة، والمعرفة تناقض النكرة، على أن النكرة والمعرفة من باب الألسنة العارية من ملابس الأسرار الإلهية، لا من باب الإلهية العارضة في أحوال السرية. ولقد حدثني أصحابنا الصابئون عنه بما يضحك الثكلى، ويشمت العدو، ويغم الصديق، وما ورث هذا كله إلا من بركات اليونان وفوائد الفلسفة والمنطق. ونسأل الله عصمة وتوفيقاً نهتدي بهما إلى القول الراجع إلى التحصيل، والفعل الجاري على التعديل – إنه سميع مجيب – .

قال أبو حيان: هذا آخر ما كتبت عن علي بن عيسي اشيخ الصالح بإملائه، وكان أبو سعيد روى لمعاً من هذه القصة، وكان يقول: لم أحفظ على نفسي كل ما قلت، ولكن كتب ذلك القوم الذي حضروا في ألواح كانت معهم ومحابر أيضاً، وقد اختل كثير منه.

قال علي بن عيسى: وتقوض المجلس، وأهله يتعجبون من جأش أبي سعيد ولسانه المتصرف، ووجهه المتهلل، وفوائده المتتابعة. وقال له الوزير ابن الفرات: عين الله عليك أيها الشيخ، فقد نديت أكباداً، وأقررت عيوناً، وبيضت وجوهاً، وحكت طرازاً لا تبليه الأزمان، ولا يتطرقه الحدثان.

قال: قلت لعلي بن عيسى: وكم كان سن أبي سعيد يومئذ؟ قال: مولده سنة ثمانين ومائتين، وكان له يوم المناظرة أربعون سنة، وقد عبث الشيب بلهازمه، هذا مع السمت والوقار، والدين والجد، وهذا شعار أهل

الفضل والتقدم، وقل من تظاهر وتحلى بحليته إلا جل في العيون، وعظم في الصدور والنفوس، وأحبته القلوب، وجرت بمدحه الألسنة. وقلت لعلي بن عيسى، أكان أبو علي الفسوي حاضراً في المجلس؟ قال: لا، كان غائباً وحدث بما كان. وكان الحمد لأبي سعيد على ما فاز به من هذا الخبر المشهور، والثناء المذكور.

قال أبو حيان: وقال لي الوزير عند منقطع هذا الحديث: ذكرتني شيئاً كان في نفسي، وأحببت أن أسألك عنه وأقف عليه، أين أبو سعيد من أبي علي؟ وأين علي بن عيسى منهما؟ وأين المراغي أيضاً من الجماعة؟ وكذلك المرزباني وابن شاذان؟ وابن الوراق وابن حيويه؟ فكان من الجواب ما تقدم ذكره.

ونظير خبر أبي سعيد مع متى، خبره أيضاً مع أبي الحسن العامري الفيلسوف النيسابوري، ذكره أبو حيان أيضاً قال: لما ورد أبو الفتح بن العميد إلى بغداد، وأكرم العلماء استحضرهم إلى مجلسه، ووصل أبا سعيد السيرافي، وأبا الحسن علي بن عيسى الرماني بمال، كما ذكرنا في باب أبي الفتح علي بن محمد ابن العميد. قال أبو حيان: انعقد المجلس في جمادى الأولى سنة أربع وستين وثلاثمائة، وغص بأهله، فرأيت العامري وقد انتدب فسأل أبا سعيد السيرافي فقال: ما طبيعة الباء من بسم الله؟ فعجب الناس من هذه المطالبة، ونزل بأبي سعيد ما كاد به يشك فيه، فأنطقه الله بالسحر الحلال، وذلك أنه قال: ما أحسن ما أدبنا به بعض الموفقين المتقدمي!. فقال:

وإذا خطبت على الرجال فلا تكن ... خطل الكلام تقوله مختالا

واعلم بأن مع السكوت لبابة ... ومن التكلم ما يكون خبالا

والله يا شيخ، لعينك أكبر من فرارك، ولمرآك أوفى من دخلتك، ولمشورك أبين من منظومك، فما هذا الذي طوعت له نفسك، وسدد عليه رأيك؟ إني أظن أن السلامة بالسكوت تعافك، والغنيمة بالقول ترغب عنك، والله المستعان. فقال ابن العميد، وقد أعجب بما قال أبو سعيد:

فتى كان يعلو مفرق الحق قوله ... إذا الخطباء الصيد عضل قيلها

جهير وممتد العنان مناقد ... بصير بعورات الكلام خبيرها

وقوله:

القائل القول الرفيع الذي ... يمرع منمه البلد الماحل

والتفت إلى العامري فقال:

وإن لساناً لم يعنه لبابه ... كحاطب ليل يجمع الرذل حاطبه

وذي خطل بالقول يحسب أنه ... مصيب فما يلمم به فهو قائله

وفي الصمت ستر للغبي وإنما ... صحيفة لب المرء أن يتكلما

وفي الصمت ستر وهو أولى بذي الحجى ... إذا لم يكن للنطق وجه ومذهب

ثم أقبل على ابن فارس معلمه فقال: لسنا من كلام أصحابك في الفريضة.

قال أبو حيان: فلما خرجنا قلت لأبي سعيد: أرأيت أيها الشيخ ما كان من هذا الرجل الخطير عندنا؟ الكبير

في أنفسنا، قال: ما دهيت قط بمثل ما دهيت به اليوم، لقد جرى بيني وبين أبي بشر صاحب شرح كتاب المنطق سنة عشرين وثلاثمائة، في مجلس أبي جعفر ابن الفرات مناظرة، كانت هذه أشوس وأشرس منها.

الحسن بن عبد الله بن سعيد

،

ابن زيد بن حكيم العسكري، أبو أحمد اللغوي العلامة. مولده يوم الخميس لست عشرة ليلة خلت من شوال، سنة ثلاث وتسعين ومائتين، ومات سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة. قال السلفي الحافظ: على ما سمعت أبا عامر غالب بن علي بن غالب الفقيه الأستراباذي بقصر روناش يقول: رأيت بخط أبي حكيم أحمد بن إسماعيل بن فضلان اللغوي العسكري مكتوباً: توفي أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري يوم الجمعة، لسبع خلون من ذي الحجة، سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة.

قال مؤلف الكتاب: وطال تطوافي وكثر تسآلي عن العسكريين، أبي أحمد وأبي هلال، فلم ألق من يخبرني عنهما بجلية خبر، حتى وردت دمشق في سنة اثنتي عشرة وستمائة في جمادى الآخرة، ففاوضت الحافظ تقي الدين إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن بن الأنماطي، النضاري المصري، – أسعده الله بطاعته فيهما – فذكر لي أن الحافظ أبا طاهر أحمد بن محمد بن أحمد ابن إبراهيم السلفي الأصبهاني لما ورد إلى دمشق، سئل عنهما فأجاب فيهما بجواب لا يقوم به إلا مثله من أئمة العلم، وأولي الفضل والفهم، فسألته أن يفيدني في ذلك ففعل متفضلاً، فكتبته على صورة ما أورده السلفي غير المولد والوفاة، فإنه كان في آخر أخبار أبي أحمد، فقدمته على عادتي. وأخبرني بذلك عن السلفي جماعة: منهم الأسعد محمد بن الحسن بن محمد بن عبد الله العامري المقدسي، والنبيه أبو طاهر إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الأنصاعري، وغيرهما إجازة: قال أبو طاهر السلفي: دخل إلى الشيخ الأمين أبو محمد هبة الله بن أحمد بن الأكفاني بدمشق، سنة عشرة وخمسمائة، وجرى ذكر أبي أحمد العسكري، فذكرت فيه ما يحتمل الوقت، وبعد خروجه كتبت إليه بعد البسملة: أما بعد حمد الله العي، والصلاة على المصطفى النبي، فقد جرى اليوم ذكر الشيخ المرضي، أبي أحمد العسكري، وأنشدت للصاحب الكافي لله شعراً، خاله سيدي سحراً، ورام – حرس الله نمته، وكبت بالذل عندته – إثباته بتمامه، فاشتغلت به بعد نهوضه وقيامه، وأضفت إليه وإلى ذكر الشيخ أبي أحمد زيادة تعريف ليقف على جلية حاله، كأنه ينظر إليه نم وراء ستر لطيف. فليعلم – أطال الله لكافة الأنام بقاءه، ولا سلبهم ظله وبهاءه – : أن الشيخ أبا أحمد هذا، كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع الفنون، والتبحر في فنو الفهوم، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف. ومن جملته: كتاب صناعة الشعر رأيته، كتاب الحكم والأمثال، كتاب راحة الأرواح، كتاب الزواجر والمواعظ، كتاب تصحيح الوجوه والنظائر. وكان قد سمع ببغداد والبصرة وأصبهان وغيرها من شيخته، وفي عدادهم أبو القاسم البغوي، وابن أبي داود السجستاني، وأكثر عنهم وبالغ في الكتابة، وبقي حتى علا به السن، واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان، وانتهت إليه رياسة التحديث، والإملاء للآداب والتدريس، بقطر خوزستان. ورحل الأجلاء إليه للأخذ عنه، والقراءة عليه. وكان يملي بالعسكر، وتستر ومدن ناحيته: ما يختاره من عالي

روايته عن متقدمي شيوخه. ومنهم أبو محمد عبدان الأهوازي، وأبو بكر بن دريد، ونفطويه، وأبو جعفر ابن زهير ونظراؤهم.

ومن متأخري أصحابه الذين رووا عنه الحديث ومتقدميهم أيضاً فإني ذكرتهم على غير رتبهم كما جاء لا كما يجب: أبو عباد الصائغ التستري، وذو النون بن محمد، والحسين بن أحمد الجهرمي، وابن العطار الشروطي الأصبهاني، وأبو بكر أحمد بن محمد بن جعفر الأصبهاني المعروف باليزدي، وأبو الحسين علي بن أحمد بن الحسن البصري المعروف بالنعيمي الفقيه الحافظ، وأبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقرئ الأهوازي نزيل دمشق، إلا أنه قد انقلب عليه اسمه فيقول في تصانيفه: أخبرنا أبو أحمد عبد الله بن الحسن بن سعيد النحوي بعسكر مكرم قال: أخبرنا محمد بن جرير الطبري ونميره، وهو الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري لا عبد الله بن الحسن: وقد روى عنه أبو سعد أحمد بن محمد بن عبد الله بن الخليل الماليني، وأبو الحسين محمد ابن الحسن بن أحمد الأهوازي شيخاً أبي بكر الخطيب الحافظ البغدادي، وخلق سواهم لا يحصون كثرة، لم أثبت اسماءهم احترازاً من وهم ما، واحتياطاً لبعد العهد بروايات تلك الديار. والنعيمي والأهوازي روى عنهما الخطيب أيضاً، وكذلك روى عن أبي نعيم الأصفهاني الحافظ. وقد روى أبو نعيم عن أبي أحمد كثيراً.

وممن روى عن أبي أحمد من أقران أبي نعيم: أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الوادعي، وعبد الواحد بن أحمد ابن محمد الباطرقاني، وأبو الحسن أحمد بن محمد بن زنجويه الأصفهانيون، وأبو عبد الله محمد بن منصور بن جيكان التستري، والقاضي أبو الحسن علي بن عمر بن موسى الأيذجي، وأبو سعيد الحسن بن علي بن بحر السقطي التستري.

وروى عنه ممن هو أكبر من هؤلاء سناً وأقدم موتاً: أبو محمد خلف بن محمد بن علي الواسطي، وأبو حاتم محمد بن عبد الواحد الرازي المعروف باللبان، وهما من حفاظ الحديث.

وقد روى عنه الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي الصوفي بخراسان بالأجازة، وكذلك القاضي أبو بكر بن الباقلاني المتكلم بالعراق، وقد وقع حديثه لي عالياً من طرق عدة. فمن ذلك حكاية رأيتها الآن معي في جزء من تخريجي بخطي وهي: أخبرنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار ابن أحمد الصيرفي ببغداد، حدثنا الحسن بن علي بن أحمد التستري من لفظه بالبصرة، حدثنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري إملاء بتستر، حدثنا العباس ابن الوليد بن شجاع بأصبهان، حدثنا محمد بن يحيى النيسابوري حدثنا محمد بن عمرو بن مكرم، حدثني عتبة بن حميد قال: قال بشر بن الحارث لما ماتت أخته: إذا قصر العبد في طاعة ربه سلبه أنيسه. قال أبو أحمد العسكري في كتاب شرح التصحيف من تصنيفه، وقد ذكر ما يشكل ويصحف من أسماء الشعراء فقال: وهذا باب صعب لا يكاد يضبطه إلا كثير الرواية، غزير الدراية.

وقال أبو الحسن علي بن عبدوس الأرجاني – رحمه الله – وكان فاضلاً متقدماً وقد نظر في كتابي هذا، فلما بلغ إلى هذا الباب قال لي: كم عدة أسماء الشعراء الذين ذكرتهم. قلت: مائة ونيف. فقال: إني لأعجب كيف استتب لك هذا؟! فقد كنا ببغداد والعلماء بها متوفرون. وذكر أبا إسحاق الزجاج، وأبا موسى

الحامض، وأبا بكر الأنباري، واليزيدي، وغيرهم. فاختلفنا في اسم شاعر واحد وهو حريث بن محفض، وكتبنا أربع رقاع إلى أربعة من العلماء، فأجاب كل واحد منهم بما يخالف الآخر. فقال بعضهم: محفض بالحاء والضاد المعجمتين. وقال بعضهم: محفص بالحاء والصاد غير معجمتين، وقال آخر: ابن محفض. فقلنا: ليس لهذا إلا أبو بكر بن دريد، فقصدناه في منزله وعرفناه ما جرى.

فقال ابن دريد: أين يذهب بكم؟ هذا مشهور، هو حريث بن محفض بالحاء غير معجمة مفتوحة والفاء مشددة والضاد منقوطة، هو من بني تميم، ثم من بني مازن بن عمرو بن تميم وهو القائل:

ألم تر قومي إن دعوا لملمة ... أجابوا، وإن أغضب على القوم يغضبوا

هم حفظوا غيبي كما كنت حافظاً ... لقومي أخرى مثلها إن تغيبوا

بنو الحرب لم تقعد بهم أمهاتهم ... وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

وتمثل الحجاج بهذه الأبيات على منتزه فقال: أنتم يأهل الشاعم كما قال حريث بن محفض – وذكر هذه الأبيات – فقام حريث بن محفض فقال: أنا والله حريث ابن محفض. قال: فما حملك أن سابقتني؟ قال: لم أتمالك إذ تمثل الأمير بشعري حتى أعلمته مكاني.

ثم قال أبو الحسن بن عبدوس: فلم يفرج عنا غيره. قال أبو أحمد: واجتمع يوماً في منزلي بالبصرة أبو رياش وأبو الحسين بن لنكك – رحمهما الله – فتقاولا، فكان فيما قال أبو رياش لأبي الحسين: أنت كيف تحكم على الشعر والشعراء وليس تفرق بين الزفيان والرقبان؟ فأجاب أبو الحسين ولم يقنع ذاك أبا رياش، وقاما على شغب وجدال.

قال أبو أحمد: فأما الرقبان بالراء والقاف وتحت الباء نقطة: فشاعر جاهلي قديم يقال له أشعر الرقبان وأما الزفيان بالزاي والفاء وتحت الياء نقطتان: فهو من بني تميم من بني سعد بن زيد مناة بن تميم يعرف بالزفيان السعدي، راجز كثير الشعر، وكان على عهد جعفر بن سليمان، وهو الزفيان بن مالك بن عوافة القائل:

وصاحبي ذات هباب دمشق ... كأنها بعد الكلال زورق

قال: وذكر أبو حاتم آخر يقال له الزفيان، وأنه كان مع خالد بن الوليد حين أقبل من البحرين، فقال:

تهدى إذا خوت النجوم صدورها ... ببنات نعش أو بضوء الفرقد

فقد أخبرنا به أبو الحسين بن الطيوري ببغداد قال: حدثنا أبو سعيد السقطي بالبصرة قال: أخبرنا أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن إسماعيل بن زيد بن حكيم العسكري إملاء سنة ثمانين وثلاثمائة بتستر، فذكر مجالس من أماليه هي عندي، وقرأت على أبي علي أحمد بن الفضل بن شهريار بأصبها عن السقطي: هذه فوائد عن أبي أحمد وغيره. وأما الأبيات المقصودة فعندي في أجزاء أذربيجان على نسق لا أذكر موضعها، إلا أن فيها قصة معناها: أن الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس الوزير، كان يتمنى لقاء أبي أحمد العسكري، ويكاتبه على ممر الأوقات، ويستميل قلبه فيعتل عليه بالشيخوخة والكبر، إذ عرف أنه يعرض بالقصد إليه والوفود عليه. فلما يئس منه احتال في جذب السلطان إلى ذلك الصوب وكتب إليه حين قرب من عسكر مكرم كتاباً يتضمن علوماً نظماً ونثراً، ومما ضمنه من المنظوم قوله:

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم ... ضعفنا فما نقوى على الوخدان
أتيناكم من بعد أرض نزوركم ... وكم منزل بكر لنا وعوان
نسائلكم هل من قرىً لنزيلكم؟ ... بملء جفون لا بملء جفان

فلما قرأ أبو أحمد الكتاب، أقعد تلميذاً له فأملى عليه الجواب عن النثر نثراً، وعن النظم نظماً، وبعث به إليه في الحال، وكان في آخر جواب أبياته التي ذكر على الحال: وقد حيل بين العير والنزوان وهو تضمين، إلا أن الصاحب استحسنه ووقع ذلك منه موقعاً عظيماً وقال: لو عرفت أن هذا المصراع يقع في هذه القافية لم أتعرض لها، وكنت قد ذهلت عنه وذهب علي. ثم إن أبا أحمد قصده وقت حلوله بعسكر مكرم بلده ومعه أعيان أصحابه وتلامذته في ساعة لا يمكن الوصول إليه إلا لمثله، وأقبل عليه بالكلية بعد أن أقعده في أرفع موضع من مجلسه، وتفاوضا في مسائل فزادت منزلته عنده، وأخذ أبو أحمد منه بالحظ الأوفر، وأدر على المتصلين به إدراراً كانوا يأخذونه إلى أن توفي. – وبعد وفاته أيضاً فيما أظن –، ولما نعي إليه أنشد فيه:

قالوا مضى الشيخ أبو أحمد ... وقد رثوه بضروب الندب
فقلت: ما من فقد شيخ مضى ... لكنه فقد فنون الأدب

ثم ذكر السلفي وفاته كما تقدم، هذا آخر ما ذكره من خبر أبي أحمد، هذا كله من كتاب السلفي، ثم وجدت ما أنبأني به أبو الفرج بن الجوزي عن ابن ناصر ع أبي زكريا التبريزي، وعن أبي عبد الله بن الحسن الحلواني، عن أبي الحسن علي بن المظفر البندنيجي قال: كنت أقرأ بالبصرة على الشيوخ، فلما دخلت سنة تسع وسبعين وثلاثمائة إلى الأهواز، بلغني حال أبي أحمد العسكري، فقصدته وقرأت عليه، فوصل فخر الدولة والصاحب بن عباد، فبينا نحن جلوس نقرأ عليه وصل إليه ركابي ومعه رقعة ففضها وقرأها وكتب على ظهرها جوابها، فقلت أيها الشيخ: ما هذه الرقعة؟ فقال: رقعة الصاحب كتب إلي:

ولما أبيتم أن تزوروا وقلتم ... ضعفنا فما نقوى على الوخدان

الأبيات الثلاثة المتقدمة. قلت: فما كتبت إليه في الجواب؟ قال قلت:

أروم نهوضاً ثم يثني عزيمتي ... تعوذ أعضائي من الرجفان
فضمنت بيت ابن الشريد كأنما ... تعمد تشبيهي به وعناني

أهم بأمر الحزم لو أستطيعه ... وقد حيل بين العير والنزوان

قال: ثم نهض وقال: لابد من الحمل على النفس، فإن الصاحب لا يقنعه هذا، وركب بغلة وقصده، فلم يتمكن من الوصول إلى الصاحب لاستيلاء الحشم، فصعد تلعة ورفع صوته بقول أبي تمام.

مالي أرى القبة الفيحاء مقفلة ... دوني وقد طال ما استفتحت مقفلها
كأنها جنة الفردوس معرضة ... وليس لي عمل زاك فأدخلها

قال: فناداه الصاحب: ادخلها يا أبا أحمد فلك السابقة الأولى، فتبادر إليه أصحابه فحملوه حتى جلس بين يديه، فسأله عن مسألة فقال أبو أحمد: الخبير صادفت، فقال الصاحب يا أبا أحمد: تغرب في كل شيء حتى في المثل السائر؟ فقال: تفاءلت عن السقوط بحضرة مولانا وإنما كلام العرب سقطت، ووجدت بعد ذلك

أنه توفي في سنة سبع وثمانين وثلاثمائة.

وحدث ابن نصر قال: حدثني أبو أحمد العسكري بالبصرة، قال: كان أبو جعفر المجوسي عامل البصرة رجلاً واسع النفس، وكان يتعاهد الشعراء ويراعيهم، مثل العصفري والنهرجوري وغيرهم وهم يهجونه، وكان هذا – وهذان خصوصاً – من أوضاعهم، وقد رأيت النهرجوري قال: فلما مات أبو الفرج رثاه النهرجوري بقوله:

يا ليت شعري وليت ربما ... صحت فكانت لنا من العبر

هل أرين شوثناً وأمته ... رابكة حوله على البقر

يقدمهم أربعون لبسهم ... مع حلية الحرب حلة النمر

وأنت فيهم قد ابترزت لنا ... كالشمس في نروها أو القمر

قد نكحوا الأمهات واتكلوا ... على عقيق الأبوال في الطهر

وشارفوا والنساء قد ولدت ... غسل مضاريطها من الوضر

وأصبحوا أشبه البرية بالظ ... ظرف وأولى بكل مفتخر

شوثن عند المجوس، يجري مجرى المهدي، ويزعمون أنه يخرج وقدامه أربعون نفساً، على كل منهم جلد النمر، فيعيدون دين النور. قال: فقلت يا أبا أحمد، هذه بالهجاء أشبه منها بالمرثية بكثير. قال: هكذا قصد النهرجوري – لا بارك الله فيه – وقد عاتبته وقلت له: ما استحق أبو جعفر هذا منك. فقال: ما تعديت مذهبه الذي يعترف به.

ووجدت في تاريخ أصفهان من تأليف الحافظ أبي نعيم قال: الحسن بن عبد الله بن سعيد بن الحسين، ابو أحمد العسكري الأديب أخو أبي علي قدم أصبهان قديماً، وسمع من الفضل بن الخصيب وسمع عنه أبي وابن زهير وغيرهما، تأخر موته توفي في صفر سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة.

الحسن بن عبد الله بن سهل

ابن سعيد بن يحيى، بن مهران، أبو هلال اللغوي العسكري. قال أبو طاهر السلفي: وكان لأبي أحمد تلميذ وافق اسمه اسمه، واسم أبيه اسم أبيه، وهو عسكري أيضاً، فربما اشتبه ذكره بذكره إذا قيل الحسن بن عبد الله العسكري الأديب، فهو أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران اللغوي العسكري، سألت الرئيس أبا المظفر محمد بن أبي العباس الأبيوردي – رحمه الله – بهمذان عنه، فأثنى عليه ووصفه بالعلم والفقه معاً وقال: كان يبرز احترازاً من الطمع والدناءة والتبذل، وذلك فيه فضلاً هو في سؤالاتي عنه، وكان الغالب عليه الأدب والشعر. وله في اللغة: كتاب سماه بالتلخيص وهو كتاب مفيد، وكتاب صناعتي النظم والنثر وهو أيضاً كتاب مفيد جداً، ومن جملة من روى عنه أبو سعد السمان الحافظ بالري، وأبو الغنائم بن حماد المقرئ إملاء.

وأنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري لنفسه:

قد تخطاك شباب ... وتغشاك مشيب

فأتى ما ليس يمضي ... ومضى ما لا يئوب
فتأهب لسقام ... ليس يشفيه طبيب
لا توهمه بعيداً ... إنما الآتي قريب

ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الموحد بن محمد بن عبد الواحد الحنفي بتستر قال: أنشدنا ابو حكيم أحمد ابن إسماعيل العسكري قال: أنشدناه أبو هلال الحسن ابن عبد الله بن سهل اللغوي لنفسه بالعسكر:

إذا كان مالي مال من يلقط العجم ... وحالي فيكم حال من حاك أو حجم
فأين انتفاعي بالأصالة والحجى ... وما ربحت كفي من العلم والحكم؟
ومن ذا الذي في الناس يبصر حالتي ... فلا يلعن القرطاس والحبر والقلم

ومما أنشدنا القاضي أبو أحمد الحنفي بتستر قال: أنشدنا أبو حكيم اللغوي قال: أنشدنا أبو هلال العسكري لنفسه:

جلوسي في سوق أبيع وأشتري ... دليل على أن الأنام قرود
ولا خير في قوم تذل كرامهم ... ويعظم فيهم نذلهم ويسود
ويهجوهم عني رثاثة كسوتي ... هجاء قبيحاً ما عليه مزيد

ومما أنشدناه أبو غالب الحسين بن أحمد بن الحسين القاضي بالسوس قال: أنشدنا المظفر بن طاهر بن الجراح الأسترابادي قال: أنشدني أبو هلال الحسن بن عبد الله ابن سهل اللغوي العسكري لنفسه:

يا هلالاً من القصور تدلى ... صام وجهي لقلتيه وصلى
لست أدري أطال ليلي أم لا ... كيف يدري بذاك من يتقلى؟؟
لو تفرغت لاستطالة ليلى ... ولرعي النجوم كنت مخلاً

هذا آخر ما ذكره السلفي من حال أبي هلال. قال مؤلف الكتاب: وهذه الأبيات الأخيرة التي منها:

لست أدري أطال ليلي أم لا

والبيت الذي بعده رأيته في بعض الكتب منسوباً إلى خالد الكاتب والله أعلم. هذا عن السلفي. وذكر غيره: أن أبا هلال كان ابن أخت أبي أحمد، وله من الكتب بعد ما ذكره السلفي: كتاب جمهرة الأمثال، كتاب معاني الأدب، كتاب من احتكم من الخلفاء إلى القضاة، كتاب التبصرة وهو كتاب مفيد، كتاب شرح الحماسة، كتاب الدرهم والدينار، كتاب المحاسن في تفسير القرآن خمس مجلدات، كتاب العمدة، كتاب فضل العطاء على العسر، كتاب ما تحلن فيه الخاصة، كتاب أعلام المعاني في معاني الشعر، كتاب الأوائل، كتاب ديوان شعره، كتاب الفرق بين المعاني، كتاب نوادر الواحد والجمع. قال المؤلف: وأما وفاته فلم يبلغني فيها شيء، غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه: وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشر خلت من شعبان سنة خمس وتسعين وثلاثمائة. ولبعضهم:

وأحسن ما قرأت على كتاب ... بخط العسكري أبي هلال
فلو أني جعلت أمير جيش ... لما قاتلت إلا بالسؤال

فإن الناس ينهزمون منه ... وقد ثبتوا لأطراف العوالي

وقال أبو هلال العسكري في تفضيل الشتاء على غيره من الأزمة:

فترت صبوتي وأقصر شجوي ... وأتاني السرور من كل نحو

إن روح الشتاء خلص روحي ... من حرور تشوي الوجوه وتكوي

برد الماء والهوا وكأن قد ... سرق البرد من جوانح خلو

ريحه تلمس الصدور فتشفي ... وغماماته تصوب فتروي

لست أنسى منه دماثة دجن ... ثم من بعده نضارة صحو

وجنوباً يبشر الأرض بالقط ... ر كما بشر العليل ببرو

وغيوماً مطرزات الحواشي ... بوميض من البروق وخفو

كلما أرخت السماء عراها ... جمع القطر بين سفل وعلو

وهي تعطيك حين هبت شمالاً ... برد ماء فيها ورقة جو

وترى الأرض في ملاءة ثلج ... مثل ريط لبسته فوق فرو

فاستعار العرار منها لباساً ... سوف يمنى من الرياح بنضو

فكأن الكافور موضع ترب ... وكأن الجمان موضع فرو

وليال أطلن مدة درسي ... مثلما قد مددن في عمر لهوي

مر لي بعضها بفقه وبعض ... بين شعر أخذت فيه ونحو

وحديث كأنه عقد ريا ... بت أرويه للرجال وتروى

في حديث الرجال روضة أنس ... بات يرعى بأهل نبل وسرو

الحسن بن عبد الله العثماني

أبو علي النيسابوري. ذكره عبد الغافر في كتاب السياق وقال: إنه مات في شهور سنة نيف وسبعين وأربعمائة. ووصفه فقال: هو الإمام الكامل البارع في فنه، المعجز في نكته، له التصانيف المشهورة في التذكير والخطب وطرف الأشعار والرسائل والموشحات الغريبة، والصناعات البديعة، والترصيعات الرشيقة في النظم والنثر، بحيث يستفيد منها الأكابر والأماثل، ويستضيء بنورها البلغاء في المحافل. تفقه على الجويني، ثم انتقل إلى ناحية بشت وسكنها، ووافى بها قيولاً بالغاً، فصار مشاراً إليه في عصره تحترمه الصدور. قال: وافيت الناحية فرأيت ازدحاماً على قبره في الموسم وتناحراً عليه، وكان أكثر ميله إلى مقولاته في تصانيفه ومجموعاته نظماً ونثراً دون المنقول.

الجزء التاسع

الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد الرامهرمزي

أبو محمد القاضي. ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: هو حسن التصنيف مليح التأليف، سلك طريقة الجاحظ وكان شاعراً، وقد سمع الحديث ورواه.

مات في حدود سنة ستين وثلاثمائةٍ. قال: وله من الكتب: كتاب ربيع المتيم في أخبار العشاق. كتاب الفلك في مختار الأخبار والأشعار. كتاب أمثال النبي صلى الله عليه وسلم. كتاب الريحانتين الحسن والحسين. كتاب إمام التنزيل في علم القرآن. كتاب النوادر والشوارد. كتاب أدب الناطق. كتاب المرائي والتعازي. كتاب رسالة السفر. كتاب مباسطة الوزراء. كتاب المناهل والأعطان والحنين إلى الأوطان. كتاب الفاصل بين الراوي والواعي.

وكان القاضي الخلادي من أقران القاضي التنوخي، وقد مدح عضد الدولة أبا شجاعٍ بمدائح، وبينه وبين الوزير المهلبي وأبي الفضل بن العميد مكاتبات ومجاوبات، منها ما نقلته من مزيد التاريخ لأبي الحسن محمد بن سليمان بن محمدٍ، الذي زاده على تاريخ السلامي في ولاة خراسان.

قال: حدثني عبد الله بن إبراهيم قال: لما استوزر أبو محمد المهلبي كتب إليه أبو محمد الخلادي في التهنئة: " بسم الله الرحمن الرحيم " الحمد لله مانح الجزيل، ومعود الجميل، ذي المن العظيم، والبلاء الجسيم:

الآن حين تعاطى القوس باريها ... وأبصر السمت في ظلماء ساريها

الآن عاد إلى الدنيا مهلبها ... سيف الخلافة بل مصباح داجيها

أضحى الوزراة تزهى في مواكبها ... زهو الرياض إذا جاءت غواديها

تاهت علينا بميمون نقيبته ... قلت لمقداره الدنيا وما فيها

موفق الرأي مقرون بغرته ... نجم السعادة يرعاها ويحميها

معز دولتها هنئتها فلقد ... أيدتها بوثيق من رواسيها

تهنئة مثلي من أولياء الوزير – أطال الله بقاءه – الدعاء أفضله ما صدر عن نيةٍ لا يرتاب بها ولا يخشى مذقها، وكان غيب صاحبه أفضل من مشهده، فهنأ الله الوزير كرامته، وأحلى له ثمرة ما منحه، وأحمد بدأه وعاقبته، ومفتتحه وخاتمته، حتى تتصل المواهب عنده اتصالاً في مستقبله ومستأنفه يوفى على متقدمه بمنه.

وكتابي هذا – أيد الله الوزير – من المنزل برامهرمز، وأنا عقيب علةٍ ومنحةٍ، ولولا ذلك لم أتأخر عن حضرته – أجلها الله – مهنئاً ومسلماً، فإن رأى الوزير شرفني بجواب هذا الكتاب. فكتب إليه المهلبي جوابه: بسم الله الرحمن الرحيم، وصل كتابك يا أخي – أطال الله بقاءك، وأدام عزك وتأييدك ونعماك – المتضمن نفيس الجواهر من بحار الخواطر، الحاوي ثمار الصفاء من منبت الوفاء وفهمته، ووقع ما أهديته من نظمٍ ونثرٍ وخطابٍ وشعرٍ، موقع الري من ذي الغلة، والشفاء من ذي العلة، والفوز من ذي الخيبة، والأدب من ذي الغيبة، وما ضاءت حال إلا وأنت الأولى بسرورها، والأغبط بحبورها، إذ كنت شريك النفس في السراء وماسيها في الضراء، وتكلفت الإجابة عما نظمت على كثرة من الشغل ألا عنك، وزهدٍ في المطاولة إلا فيك. والعذر في تقصيرها عن الغاية واضح، ودليل العجلة فيها لائح، وأنت بمواصلتي بكتبك وأخبارك وأوطارك مسؤول، والجرى على عادتك المأثورة وسيرتك المشكورة مأمول، وأنا والله على أفضل عهدك، وأحسن ظنك، وأوكد ثقتك، ومشتاق إليك:

مواهب الله عندي لا يوازيها ... سعي ومجهود وسعى لا يدانيها
لكن أقصى المدى شكري لأنعمه ... وتلك أفضل قربى عند مؤتيها

والله أسأل توفيقاً لطاعته ... حتى يوافق فعلى أمره فيها
وقد أتتني أبيات مهذبة ... ظريفة جزلة وقت حواشيها
ضمنتها حسن أوصافٍ وتهنئةٍ ... أنت المهنى بباديها وتاليها
ودعوة صدرت عن نيةٍ خلصت ... لا شك فيها أجاب الله داعيها
وأنت أوثق موثوقٍ بنيته ... وأقرب الناس من حالٍ نرجيها
فثق بنيل المنى في كل منزلةٍ ... أصبحت تعمرها عندي وتبنيها

وكتب أبو الفضل محمد بن الحسين بن العميد إلى القاضي أبي محمد الخلادي: بسم الله الرحمن الرحيم: أيها القاضي الفاضل – أطال الله بقاك، وأدام عزك ونعماك – . من أسر داءه وستر ظماءه، بعد عليه أن يبل من غلته، وقد غمرني منذ قرأت كتابك إلى الشريف – أيده الله – شوق استجذب نفسي واستفزها، ومد جوانحي وهزها، ولا شفاء إلا قربك ومجالستك، ولا دواء إلا طلعتك ومؤانستك، ولا وصول إلى ذلك إلا بزيارتك أو استزارتك، فإن رأيت أن تؤثر أخفهما عليك، وتعلمني آثرهما لديك، وتقوم ما ألبسته في ذلك فعلت، فإني أراعيه أشد المراعاة، وأتطلعه في كل الأوقات، وأعد على الفوز به الساعات. فأجابه الخلادي: " بسم الله الرحمن الرحيم " : قرأت التوقيع – أطال الله الأستاذ الرئيس – فشحذ القطنة وآنس الوحدة، وألبس العزة وأفاد البهجة، وقلت كما قال رؤبة، لما استزاره أبو مسلمٍ صاحب الدعوة:
لبيك إذا دعوتني لبيكا ... أحمد ربي سابقاً إليكا
فأما الإجابة عن أفصح بيانٍ خط بأكرم بنانٍ، وأوضح للزهر المؤنق لمالك رقاب المنطق، فما أنا منها بقريب وهيهات وأنى لي التناوش من مكانٍ بعيدٍ لكني على الأثر، ولا أتأخر عن الوقت المنتظر، إن شاء الله تعالى.
قال: وكان أبو محمدٍ الخلادي ملازماً لمنزله، قليل البروز لحاجته. وقيل له في ذلك: فروى عن أبي الدرداء: نعم صومعة الرجل بيته، يكف فيه سمعه وبصره. وروى عن ابن سيرين أنه قال: العزلة عبادة. وقال: خلاؤك أقنى لحياتك. وقال: عز الرجل في استغنائه عن الناس، والوحدة خير من جليس لبسوء. وأنشد لابن قيس الرقيات:
اهرب بنفسك واستأنس بوحدتها ... تلق السعود إذا ما كنت منفردا
ليت السباعلنا كانت معاشرةً ... وإننا لا نرى ممن نرى أحدا
إن السباع لتهدا في مرابضها ... والناس ليس بهادٍ شرهم أبدا

ثم صار الخلادي إلى أبي الفضل بن العميد، فلما فتشه شاهد منه علماً غزيراً، وقبس أدباً كثيراً. وقال الخلادي: إن أعجب الأستاذ معرفتي صحبته، وتعلقت به وأقمت عنده وبين يديه. وكتب الخلادي إلى منزله برامهرمز: " بسم الله الرحمن الرحيم " : قد وردت من الأستاذ الرئيس على ضياء باهرٍ، وربيع زاهرٍ، ومجلس قد استغرق جميع المحاسن، وحف بالأشراف والأكارم، وجلساء أقرانٍ أعداد عامٍ، كأنهم نجوم

السماء، ومن طالبٍ أرج المعاطف، وصلب المكاسر، جامعٍ إلى شرف الحسب ديناً وظرفاً، وإلى كرم المحتد رحمةً وفضلاً، وكاتبٍ حصيفٍ، وشاعرٍ مفلقٍ، وسميرٍ آنق وفقيهٍ جدلٍ، وشجاعٍ بطلٍ:

كرام المساعي لا يخاف جليسهم ... إذا نطق العوراء غرب لسان

إذا حدثوا لم تخش سوء استماعهم ... وإن حدثوا أدوا بحسن بيان

ووضعنا الزيارة حيث لا يزرى بنا كرم المزور ولا يعاب الزور. يجد الأستاذ عندي كل يومٍ مكرمةً وميرةً تطويان مسافة الرجاء، وتتجاوزان غايات الشكر والثناء، والبشر والدعاء، فزاد الله في تبصيره حقوق زواره، وتيسيري لشكري مباره.

قال الثعالبي: ومن ملح ما قيل في ابن خلادٍ قوله:

قل لابن خلادٍ إذا جئته ... مستنداً في المسجد الجامع

ها زمان ليس يحظى به ... حدثنا الأعمش عن نافع

ومن ملحه قوله وقد طولب بالخراج:

يا أيها المكثر فينا الزمجرة ... ناموسه دفتره والمحبره

قد أبطل الديوان كتب الشجره ... والجامعين كتاب الجمهره

هيهات لن يعبر تلم القنطره ... نحو الكسائي وشعر عنتره

ودغفل وابن لسان الحمره ... ليس سوى المنقوشة المدوره

ذكر السمعاني في كتاب النسب، قال القاضي أبو محمدٍ الحسن بن عبد الرحمن بن خلادٍ الرامهرمزي: كان فاضلاً مكثراً من الحديث، ولي القضاء ببلاد الخوز ورحل قبل التسعي ومائتين، وكتب عن جماعةٍ من أهل شيراز، ذكره أو عبد الله محمدبن عبد العزيز الشيرازي القصار في تاريخ فارس وقال: بلغني أنه عاش برامهرمز إلى قرب الستين وثلاثمائةٍ.

الحسن بن عثمان بن حماد

بن حسان بن عبد الرحمن ابن يزيد، أبو حسان الزيادي البغدادي القاضي، من أعيان أصحاب الواقدي، وروى عن الهيثم بن عدي، وهشيم بن بشير وغيرهما، وكان أديباً فاضلاً نسابةً، أخبارياً جواداً كريماً سمحاً. مات سنة اثنتين وأربعين ومائتين، أو ثلاثٍ وأربعين ومائتين عن تسعٍ وثمانين سنةً، مات هو والحسن بن علي بن الجعد في وقتٍ واحدٍ، وكان الزيادي حينئذٍ على قضائه مدينة المنصور، وكان الزيادي يصنف الكتب ويصنف له، وكانت له خزانة كتبٍ حسنةٍ كثيرةٍ، وله من الكتب على ما ذكر محمد بن إسحاق: كتاب عروة بن الزبير. كتاب طبقات الشعراء. كتاب الآباء والأمهات. وقال الحافظ أبو القاسم: سمع بدمشق الوليد بن مسلمٍ، وشعيب بن إسحاق، وعمر بن عبد الواحد، وعمر بم سعيدٍ، والوليد بن محمدٍ الموقري، ومعروف بن عبد الله الخياط، وهارون بن عمر الدمشقي، ومحمد بن إسحاق بن بلال بن أبي الدرداء، وسعيد بن عيينة، وشعيب بن صفوان، وابن عيينة، ومعتمر بن سليمان، وجرير بن عبد الحميد، وحماد بن

زيدٍ، ووكيع بن الجراح، وأبا داود الطيالسي. روى عنه أبو العباس الكديمي، وإسحق بن الحسن الحربي، ومحمد بن محمدٍ الباغندي، وأبو بكر بن أبي الدنيا، وذكر الجهشياري في كتاب الوزراء: أن رجلاً من أهل خراسان أودع أبا حسان الريادي القاضي عشرة آلاف درهمٍ، وأنها صادفت منه خلةً فأنفقها، وقدّر أن يأتي ما يرد على الخراساني مكانها إلى أن ينصرف الخراساني من الحج، فحدث للخراساني أمر قطعه عن الحج وعزم على الانصراف إلى بلده، فصار إلى أبي حسان يلتمس ماله، فتعلل عليه ودافعه وتحير، وضاقت الحيلة عليه، وعاد الخراساني مراراً فدافعه، ثم وعده في يومٍ بعينه، واشتد غمه وقلقه، وأجنع على بذل وجهه إلى بعض إخوانه، فلما كان في ليلة اليوم الذي وعد الرجل فيه، امتنع عليه النوم من شدة قلقه، فقام في بعض الليل فقصد دينار بن عبد الله، فلما صار في بعض الطريق تلقاه رسول لدينارٍ يسأل عن أبي حسان، فلما سمع ذكره سأله عن سببه، وتعرف إليه فقال له: أبو عليٍ دينار يقرأ عليك السلام ويقول لك: قسمت شيئاً على عيالنا، وذكرت من في منزلك منهم، فوجهت إليهم بعشرة آلاف درهمٍ، فقبلها وحمد الله وصار إلى منزله فسلمها إلى الخراساني، وصار إلى دينار بن عبد الله شاكراً له وعرفه خبره. فقال له دينار: فأرانا إنما وجهنا بمال الخراساني، فعلى ماذا يعتمد العيال؟ وأمر له بعشرة آلاف درهم أخرى.

وفي سنة ثمان عشرة ومائتين: كتب المأمون من الثغر إلى إسحاق بن ابراهيم المصعبي وإلى بغداد، في امتحان القضاة والشهود والمحدثين بالقرآن، فمن أقر أنه خلوق محدث خلى سبيله، ومن أبى عليه أعلمه به ليأمر فيه برأيه، فأحضر إسحاق أبا حسانً الزيادي، وبشر بن الوليد الكندي، وعلي بن أبي مقاتلٍ، والفضل بن غانمٍ، والذيال بن هيثمٍ وسجادة، والقواريري، وأحمد بن حنبلٍ، وقتيبة، وسعدويه الواسطي، وعلي بن الجعد، وسعد بن أبي إسرائيل، وابن الهرش، وابن علية الأكبر، ويحيى بن عبد الرحمن الرياشي، وشيخاً آخر من ولد عمر بن الخطاب كان قاضي الرقة، وأبا نصير التمار وأبا معمرٍ القطيعي، ومحمد بن حاتم بن ميمونٍ ومحمد بن نوحٍ المضروب، وابن فرحان وجماعةً، ومنهم النضر ابن شميلٍ، وأبو عليٍ عاصم، وأبو العوام البزاز، وابن شجاعٍ، وعبد الرحمن بن إسحاق، فأدخلوا على إسحاق فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه، ثم كلم رجلاً رجلاً منهم، فيجيب بما يغالط به أو يصرح، حتى قال لأبي حسانٍ الزيادي: ما عندك؟ وقرأ عليه كتاب المأمون فأقر بما فيه ثم قال: من لم يقل هذا القول فهو كافر.

فقال له إسحاق: القرآن مخلوق هو؟ قال: القرآن كلام الله، والله خالق كل شيءٍ، وأمير المؤمنين إمامنا، وبسببه سمعنا عامة العلم، وقد سمع ما لم نسمع، وعلم ما لم نعلم، وقد قلده الله أمرنا، فصار يقيم حجنا وصلاتنا، ونؤدي إليه زكوات أموالنا، ونجاهد معه، ونرى إمامته، فإن أمرنا ائتمرنا، وإن نهانا انتهينا. قال: القرآن مخلوق؟ فأعاد مقالته. قال إسحاق: فإن هذه مقالة أمير المؤمنين. قال: قد تكون مقالته ولا يأمر بها الناس، وإن أخبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أقول: قلت ما أمرتني به، فإنك الثقة فيما أبلغتني عنه. قال: ما أمرني أن أبلغك شيئاً. قال أبو حسان: وما عندي إلا السمع والطاعة، فأمرني آتمر. قال: ما أمرني أن آمركم، وإنما أمرني أن أمتحنكم، فتركه والتفت إلى أحمد بن حنبل فسأله. قال الحافظ أبو القاسم: وليس

كما يظنه الناس من ولد زياد بن أبيه، وإنما تزوج أجداده أم ولدٍ لزيادٍ، فقيل له الزيادي، قال ذلك أحمد بن أبي طاهرٍ صاحب كتاب بغداد.

الحسن بن علي بن الحرمازي

أبو عليٍ، هو مولى لبني هاشمٍ، ثم مولى آل سليمان بن علي بن عبد الله بن عباسٍ، وإنما نزل بالبصرة في بني حرمازٍ فنسب إليهم، والحرماز لقب واسمه الحارث بن مالك بن عمرو بن تميم بن مرٍ بالبادية، نأ ثم قدم البصرة فأقام بها.

وحدث المبرد قال: كان التوزي والحرمازي والحرمي يأخذون عن أبي عبيدة وأبي زيدٍ سعيد بن أوسٍ الأنصاري والأصمعي، وكان هؤلاء الثلاثة أكبر أصحابه، وكان من هؤلاء في السن: إبراهيم الزيادي والمازني والرياشي. قال أبو الطيب اللغوي صاحب كتاب مراتب النحويين: كان الحرمازي في ناحية همرو بن مسعدة، فخرج عمرو إلى الشام فقال الحرمازي:

أقام بأرض الشام فاختل جانبي ... ومطلبه بالشام غير قريب

ولا سيما من مفلسٍ حلف نقرسٍ ... أما نقر في مفلسٍ بعجيب

وحدث أبو العيناء قال: اعتل الحرمازي وكان له صديق من الهاشميين، فمل يعده فكتب إليه:

متى تشفيك واجبة الحقوق ... إذا كان اللقاء على الطريق؟

إذا ما لم يكن إلا سلام ... فما يرجو الصديق من الصديق؟

مرضت ولم تعدني عمر شهرٍ ... وليس ذاك فعل أخٍ شقيق

وقال الحرمازي وكتب بها إلى محمد بن عبيد الله العتبي:

بنفسي أنت قد جاء ... ك ما عندي من كتبك

فلا تبعد من الإفضا ... ل ما نرجوه من قربك

فما زلت أخا جودٍ ... وإفضالٍ على صحبك

وسل قلبك عما ل ... ك في قلبي من حبك

فقد أخبرني القلب ... بما قد حل في قلبك

فها إني لك الراضي ... وها إني لراضٍ بك

وكان بعض الهاشميين قد وعد الحرمازي وعداً فأخره، فكتب إليه:

رأيت الناس قد صدقوا ومانوا ... ووعدك كله خلف ومين

وعدت فما وفيت لنا بوعدٍ ... وموعود الكريم عليه دين

ألا يا ليتني استبقيت وجهي ... فإن بقاء وجه الحر زين

الحسن بن علي المدائني النحوي

قال أبو إسحاق بن إبراهيم بن سعيدٍ الحبال: مات لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى سنة تسعٍ وسبعين وثلاثمائةٍ. وكان إماماً فاضلاً تخرج به جماعة وافرة في العدد.

الحسن بن علي بن عمر ويقال عمار

المعروف بابن المصحح، أبو محمدٍ التيمي النحوي، سمع أبا بكرٍ عبد الله الجناني، وأبا بكر بن أبي الحديد. وأبا نصرٍ حديد بن جعفر الرماني. روى عنه عبد العزيز الكتاني، ونجاء بن أحمد، وأبو القاسم النسيب، وسئل عنه فقال: ثقة. ومات لسبعٍ بقين من رجبٍ سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائةٍ. ذكر ذلك كله أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر في تاريخ دمشق.

الحسن بن علي بن مقلة

بن الحسن بن عبد الله بن مقلة أبو عبد الله، ومقلة اسم أمٍ لهم كان أبوها يرقصها. فيقول يا مقلة أبيها فغلب عليها، وأبو عبد الله هو أخو الوزير أبي عليٍ محمد بن عليٍ، وهو المعروف بجودة الخط الذي يضرب به المثل. كان الوزير أوحد الدنيا في كتبه فلم الرقاع والتوقيعات، لا ينازعه في ذلك منازع، ولا يسمو إلى مساماته ذو فضلٍ بارعٍ، وكان أبو عبد الله هذا أكتب من أخيه في قلم الدفاتر والنسخ، مسلماً له فضلته غير مفاضلٍ في كتبته. ومولد أبي عبد الله في سلخ رمضان سنة ثمان وسبعين ومائتين، ومات في شهر ربيعٍ الآخر سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ. ومات أبوه أبو العباس علي بن الحسن في ذي الحجة سنة تسعٍ وثلاثمائةٍ. وله يوم مات سبع وستون سنةً وأشهر. وصلى عليه ابنه أبو عليٍ.
ولأخيه أبي علي ترجمة في بابه مفردة، لما اشترطنا في ذكر أرباب الخطوط المنسوبة وكان أبوهما الملقب بمقلة أيضاً كاتباً مليح الخط. وقد كتب في زمانهما وبعدهما، جماعة من أهلهما وولدهما ولم يقاربوهما وإنما يندر الواحد منهم الحرف بعد الحرف، والكلمة بعد الكلمة، وإنما كان الكمال لأبي عليٍ وأبي عبد الله أخيه.
فممن كتب من أولادهما: أبو محمدٍ عبد الله، وأبو الحسن ابنا أبي عليٍ، وأبو أحمد سليمان بن أبي الحسن، وأبو الحسين علي بن أبو عليٍ، وأبو الفرج العباس بن علي بن مقلة. ومات أبو الحسن علي بالفالج والسكتة، في سنة ستٍ وأربعين وثلاثمائةٍ، ومولده سنة خمسٍ وثلاثمائةٍ.
حدث ابن نصرٍ قال: وجدت بخط أبي عبد الله بن مقلة على ظهر جزءٍ، وغنتني ابنة الحفار:
إلى سامع الأصوات من أبعد المسرى ... شكوت الذي ألقاه من ألم الذكرى
فيا ليت شعري والأماني ضلة ... أيشعر بي من بت أرعى له الشعرى؟
قال ابن نصرٍ: فقلت كفى ابنة الحفار هذا الصوت أن يذكرها ويكتبها أبو عبد الله بن مقلة بخطه. وحدث أبو نصرٍ قال: حدثني أبو القاسم بن الرقي منج سيف الدولة قال: كنت في صحبة سيف الدولة في غداة المصيبة المعروفة، وكان سيف الدولة قد انكسر يومئذٍ كسرةً قبيحةً، ونجا بحشاشته بعد أن قتلت عساكره قال: فسمعت سيف الدولة يقول وقد عاد إلى حلب: هلك مني من عرض ما كان في صحبتي خمسة آلاف

ورقةٍ بخط أبي علي بن مقلة. قال: فاستعظمت ذلك وسألت بعض شيوخ خدمه الخاصة عن ذلك. فقال لي: كان أبو عبد الله منقطعاً إلى بني حمدان سنين كثيرةً يقومون بأمره أحسن القيام، وكان ينزل في دارٍ قوراء حسنةٍ، وفيها فرش تشاكلها ومجلس دست، وله شيء للنسخ وحوض فيه محابر وأقلام، فيقوم ويتمشى في الدار إذا ضاق صدره، ثم يعود فيجلس في بعض تلك المجالس وينسخ ما يخف عليه، ثم ينهض ويطوف على جوانب البستان، ثم يجلس في مجلسٍ آخر وينسخ أوراقاً أخر على هذا، فاجتمع في خزائنهم من خطه ما لا يحصى.

وجدت بعض أهل الفضل عن بعضهم قال: حضرت مجلس أبي عليٍ محمد بن علي بن مقلة في أيام وزارته وقد عرضت عليه رقاع، وتوقيعات وتسبيبات قد رد عليها بخطه أخوه أبو عبد الله، ثم رفعت إلى أبي عليٍ فكان ينظر فيها ويمضيها وقد عرف صورتها. وكان أبو عبد الله حاضراً، فلما فرغ منها التفت إليه فقال: يا أبا عبد الله قد خففت عنا حتى أثقلت، وخشينا أن نثقل عليك، فأرح نفسك من هذا التعب. فضحك أبو عبد الله وقال: السمع والطاعة.

وقال ثابت بن سنانٍ: لما ولي أبو علي بن مقلة الوزارة للمقتدر في سنة ست عشرة وثلاثمائة، قلد أخاه أبا عبد الله الحسن بن عليٍ ديوان الضياع الخاصة، وديوان الضياع المستحدثة، وديوان الدار الصغيرة. وصودر أبو عبد الله في أيام القاهر على خمسين ألف دينارٍ بعد أن حلف أنه لا يملك إلا بساتين وما ورثه من زوجته، وقيمة الجميع نحو مائة ألف درهمٍ.

الحسنبن يزداد بن هرمز

ابن شاهوه، أبو عليٍ الأهوازي المقرئ، صاحب التصانيف المشهورة. قال ابن عساكر: قدم دمشق في ذي الحجة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائةٍ وسكنها، وقرأ القرآن بروايات كثيرةٍ وأقرأه، وصنف كتاباً في القرآن، وحدث عن خلقٍ كثيرٍ، منهم نصر بن أحمد المرجي، وأبو حفصٍ الكتاني، والمعافا بن زكريا بن طرارٍ، وروى عنه الخطيب أبو بكرٍ ثابت وغيره.

قال ابن عساكر: أنبأنا أبو طاهر بن الحنائي، أنبأنا أبو عليٍ الأهوازي، حدثنا أبو زرعة أحمد بن محمد بن عبد الله بن سعيدٍ القشيري، حدثني جدي لأمي الحسن بن سعيدٍ، حدثنا أبو عليٍ الحسين بن إسحاق الدقيقي، حدثنا أبو زيدٍ حماد بن دليلٍ عن سفيان الثوري، عن قيس بن مسلمٍ، عن عبد الرحمن بن سابطٍ، عن أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إذا كانت عشية عرفة هبط الله عز وجل إلى السماء الدنيا فيطلع إلى أهل الموقف فيقول: مرحباً بزواري الوافدين إلى بيتي، وعزتي لأنزلن إليكم، ولأساوي منزلكم بنفسي، فينزل إلى عرفة فيعممه بمغفرته، ويعطيهم ما يسألون إلا المظالم ويقول: يا ملائكتي، لنشهدكم أني قد غفرت لهم، ولا يزال كذلك إلى أن تغيب الشمس، ويكون أمامهم إلى المزدلفة، ولا يعرج إلى السماء تلك الليلة، فإذا أسفر الصبح ووقفوا عند المشعر الحرام غفر لهم حتى المظالم، ثم يعرج إلى السماء إلى منى " . هذا حديث منكر، وفي إسناده غير واحدٍ من المجهولين. وللأهوازي أمثاله في كتابٍ

جمعه في الصفات سماه كتاب البيان، في شرح عقود أهل الإيمان، أودعه أحاديث منكرة، كحديث: " إن الله تعالى لما أراد أن يخلق نفسه خلق الخيل فأجراها حتى عرقت، ثم خلق نفسه من ذلك العرق " مما لا يجوز أن يروى ولا يحل أن يعتقد، وكان مذهبه مذهب السالمية، يقول بالظاهر، ويتمسك بالأحاديث الضعيفة التي تقوي له رأيه، وحديث إجراء الخيل موضوع، وضعه بعض الزنادقة ليشنع بهعلى أصحاب الحديث في رواياتهم المستحيلة، فيقبله بعض من لا عقل له ويراه، وهو مما يقطع ببطلانه شرعاً وعقلاً. قال الأهوازي: ولدت في سابع عشر من المحرم سنة اثنتين وستين وثلاثمائةٍ. ومات في رابع ذي الحجة سنة ستٍ وأربعين وأربعمائةٍ.

قال ابن عساكر: وسمعت أبا الحسن علي بن أحمد بن منصور يحكي عن أبيه قال: لما ظهر من الأهوازي الإكثار من الروايات في القراءات اتهم في ذلك، فسار رشاء بن نظيف، وأبو القاسم بن الفرات، وابن القماح إلى العراق لكشف ما وقع في نفوسهم منه، ووصلوا إلى بغداد وقرؤوا على بعض الشيوخ الذين روى عنهم الأهوازي، وجاءوا بالإجازات عنهم وبخطوطهم، فمضى الهوازي إليهم وسألهم أن يروه تلك الخطوط التي معهم، ففعلوا ودفعوها إليه، فأخذها وغير أسماء من سمى ليستر دعواه فعادت عليه بركة القرآن فلم يفتضح. وبلغني أنهم سالوا عنه بعض المقرئين الذي ذكر أنه قرأ عليهم وحكوه له، فقال: هذا الذي تذكرونه قد قرأ علي جزءاً أو نحوه. قال: وقال حدثني أبي قال: عاتبت أو عوتب أبو طاهرٍ الواسطي المقرئ في القراءة على الأهوازي فقال: أقرأ عليه العلم ولا أصدقه في حرفٍ واحدٍ. قال وحدثني أبو طاهرٍ محمد بن الحسن بن علي بن المليحي قال: كنت عند رشاء بن نظيف في داره على باب الجامع، – وله طاقة إلى الطريق – فاطلع فيها وقال: قد عبر رجل كذاب، فاطلعت فوجدت الأهوازي. قال: وقال ابن الأكفاني قال لنا الكتاني: كان الأهوازي مكثراً من الحديث، وصنف الكثير في القراءات، وكان حسن التصنيف، وجمع في ذلك شيئاً كثيراً، وفي أسانيد القراءات غرائب كان يذكر في مصنفاته أنه أخذها روايةً وتلاوةً، وأن سيوخه أخذوها روايةً وتلاوةً. ولما توفي كانت له جنازة عظيمة.

الحسن بن علي بن بركة بن عيدة

أبو محمدٍ المقرئ النحوي الفرضي، من ساكني الكرخ بدرب رباحٍ، مات في ثامن عشر شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسمائةٍ. وكان فاضلاً قارئاً نحوياً لغوياً فرضياً. قرأ القرآن بالروايات على الشيخ أبي محمد بن بنت الشيخ، وبالكوفة على عمر بن ابراهيم العلوي، وقرأ النحو على أبي السعادات بن الشجري، ولازمه حتى برع في فنه، وتصدر مدةً طويلةً لإقراء القرآن والنحو واللغة والفرائض، وأنشد له العماد في الخريدة شعراً قاله في المستضيء بأمر الله أمير المؤمنين، وهو:

يا خير مستخلفٍ عمت نوافله ... وطبق الأرض بعد المحل نائله
أحيت لنا سيرة المهدي سيرته ... عدلاً وبذلاً فما تحصى فواضله
إمام حقٍ بعهد الله محتفظ ... وكل شيءٍ حواه فهو باذله
خير الخلائق أضحى لا ينازعه ... منهم إمام وإن جلت أوائله

فالمصطفى جاء بعد الأنبياء وما ... فيهم على فضلهم خلق يعادله

وله في المستضيء أيضاً:

هذه دولة تخيرها الل ... ه فدامت لنا سجيس الليالي

دونة روضة رباها وجادت ... من لهاها بوابلٍ متوالي

واستعادت صعب المقادة بالعد ... ل ودانت لها قلوب الرجال

وأضاءت بالمستضيء بأمر الل ... ه لا زال ملكه في اتصال

ملك عم بره كل برٍ ... وأباح الآمال في الأحوال

وأغاث الأنام منه سجال ... بعد إمحالهم عقيب سجال

طبق الأرض منهم فضل عدلٍ ... وكفاها بوائق الزلزال

جعل الله ودكم يا نبي العب ... باس فرضاً من أشرف الأعمال

وعليكم صلاتنافي التحيا ... ت توالى لأنكم خير آل

يا بني عم أحمد طاب محيا ... كم ومن قبل طبتم في الظلال

الحسن بن عليٍ الجويني الكاتب

أبو علي صاحب الخط المنسوب، كان مقيماً ببغداد، ولا أدري أولد بها أم انتقل إليها، لأنه لما انتقل إلى مصر كان يعرف بها بالبغدادي، وكان يلقب فخر الكتّاب. مات بمصر لعشرٍ خلون من صفرٍ سنة ستٍ وثمانين وخمسمائةٍ.

سمعت جماعةً من أهل الكتابة المتحققين بها يقولون: لم يكتب أحد بعد أبي الحسن علي بن هلال بن البواب أجود من الجويني، وكان أستاذه في الكتابة، يعقوب الغزنوي، كتب عليه ببغداد إلا أنه أبرّ عليه، وزاد حتى لا تناسب بين خطيهما، وكان من شيمة الجويني أنه ما كتب شيئاً قط بخطه كثر أو قل، دق أو جل، إلا ويكتب في آخره: " كتبه علي بن الحسن الجويني " وكتب عليه جماعة من الكتاب وافتخروا بأستاذينه، كابن القيسراني وغيره، وكان ينتقل في البلاد حتى حط بركه بالديار المصرية، ونفق بها سوقه، وعلا على أبناء جنسه قدره، وعظم شأنه، وارتفع مكانه، وكان مع ذلك لا يترك هيئته وسمته، فإنه كان يتزيا زي أهل التصوف، وبلغ من علو قدره بالديار المصرية إلى أن ولي ولده عز الدين إبراهيم ولاية القاهرة، بعد ما ولي ولاية الإسكندرية مدةً، وكان محمود السيرة رأيت أهل مصر ممن شاهد ولايته يحسن الثناء عليه، وكان ملوكي الهمة، شريف النفس – أعني ولده عز الدين إبراهيم – وكان فخر الكتاب يقول الشعر ويتعاناه، إلا أنه لم يكن فيه بذاك. ومن شعره يمدح القاضي الفاضل وهو من أجود شعره:

لولا انقطاع الوحي كان منزلاً ... في الفاضل بن عليٍ البيساني

نثني عليه بمثل ما تثني على ... أفعاله المرضية الملكان

ومن شعره في الزهد:

كم كادت الأوطان تشغلنا ... بزخارف الدنيا عن الله

حتى تغربنافكم غيرٍ ... يقطعن عقل الغافل اللاهي

الحسن بن علي بن إبراهيم بن الزبير

أبو محمدٍ المصري، أخو الرشيد أحمد بن عليٍ وقد تقدم ذكره، وكان من أهل أسوان من غسان، وكان الحسن هذا يلقب القاضي المهذب. مات في ربيعٍ الآخر سنة إحدى وستين وخمسمائةٍ بمصر، وكان كاتباً مليح الخط فصيحاً جيد العبارة، وكان أشعر من أخيه الرشيد، وكان قد اختص بالصالح بن رزيك وزير المصريين، وقيل: إن أكثر الشعر الذي في ديوان الصالح إنما هو عمل المهذب بن الزبير، وحصل له من الصالح مال جم، ولم ينفق عنده أحد مثله وكان القاضي عبد العزيز بن الحباب المعروف بالجليس هو الذي قرظه عند الصالح حتى قدمه، فلما مات الجليس شمت به ابن الزبير ولبس في جنازته ثياباً مذهبةً، فنقص بهذا السبب واستقبحوا فعله، ولم يعش بعد الجليس إلا شهر واحداً. وصنف المهذب كتاب الأنساب، وهو كتاب كبير أكثر من عشرين مجلداً، كل مجلد عشرون كراساً، رأيت بعضه فوجدته مع تحققي هذا العلم وبحثي عن كتبه غايةً في معناه لا مزيد عليه، يدل على جودة قريحة مؤلفه، وكثرة اطلاعه، إلا أنه حذا فيه حذو أحمد بن يحيى بن جابرٍ البلاذري، وأوجز في بعض أخباره عن البلاذري، إلا أنه إذا ذكر رجلاً ممن يقتضي الكتاب ذكره، لا يتركه حتى يعرفه بجهده من إيرادشيءٍ من شعره وخبره. وكان المهذب قد مضى إلى بلاد اليمن في رسالةٍ من بعض ملوك مصر، واجتهد هناك في تحصيل كتب النسب، وجمع منها ما لم يجتمع عند أحدٍ، حتى صح له تأليف هذا الكتاب.

وكان أخوه الرشيد لما مضى إلى اليمن وادعى الخلافة كما ذكرناه في ترجمته نمي خبره إلى المعروف بالداعي، فقبض عليه قبضاً لا نعلم كيفيته وهم بقتله، فكتب المهذب هذا إلى الداعي بقصيدته المشهورة يمدحه ويستعطفه حتى أطلقه. والقصيدة:

يا ربع أين ترى الأحبة يمموا ... هل أنجدوا من بعدنا أم اتهموا؟
رحلوا وقد لاح الصباح وإنما ... يسري إذا جن الظلام الأنجم
وتعوضت بالأنس روحي وحشةً ... لا أوحش الله النازل منهم
لولاهم ما قمت بين ديارهم ... حيران أستاف الديار وألثم
أمنازل الأحباب أين هم وأي ... ن الصبر من بعد التفرق عنهم؟
يا ساكني البلد الحرام وإنما ... في الصدر مع شحط المزار سكنتم
يا ليتني في النازلين عشيةً ... بمنىً وقد جمع الرفاق الموسم
فأفوز إن غفل الرقيب بنظرةٍ ... منكم إذ لبى الحجيج وأحرموا
لإني لأذكركم إذا ما أشرقت ... شمس الضحى من نحوكم فأسلم
لا تبعثوا لي في النسيم تحيةً ... إني أغار من النسيم عليكم
إني امرؤ قد بعت حظي راضياً ... من هذه الدنيا بحظي منكم
فسلوت إلا عنكم وقنعت إل ... ا منكم وزهدت إلا فيكم
ورأيت كل العالمين بمقلةٍ ... لو ينظر الحساد ما نظرت عموا

ما كان بعد أخي الذي فارقته ... ليبوح إلا بالشكاية لي فم
هو ذاك لم يملك علاه مالك ... كلا ولا وجدي عليه متيم
أقوت مغانيه وعطل ربعه ... ولربما هجر العرين الضيغم
ورمت به الأهوال همة ماجدٍ ... كالسيف يمضي عزمه ويصمم
يا راحلاً بالمجد عنا والعلا ... أترى يمون لكم إلينا مقدم؟
يفديك قوم كنت واسط عقدهم ... ما إن لهم مذ غبت شمل ينظم
لك في رقابهم وإن هم أنكروا ... منن كأطواق الحمام وأنعم
جهلوا فظنوا أن بعدك مغنم ... لما رحلت وإنما هو مغرم
فلقد أقر العين أن عداك قد ... هلكوا ببغيهم وأنت مسلم
لم يعصم الله ابن معصومٍ من ال ... آفات واخترم اللعين الأخرم
واعتضت بعدهم بأكرم معشرٍ ... بدؤوا لك الفعل الجميل وتمموا
فلعمر مجدك إن كرمت عليهم ... إن الكريم على الكرام مكرم
أقيال بأسٍ خير من حملوا القنا ... وملوك قحطان الذين هم هم
متواضعون ولو ترى ناديهم ... ما اسطعت من إجلالهم تتكلم

وكفاهم شرفاً ومجداً أنهم ... قد أصبح الداعي المتوج منهم
هو بدر تمٍ في سماء علاهم ... وبنو أبيه بنو رويعٍ أنجم
ملك حماه جنة لعفاته ... لكنه للحاسدين جهنم
أثني عليك بما منت وأنت من ... أوصاف مجدك يا مليكاً أعظم
فاغفر لي التقصير فيه وعده ... مع ما تجود به علي وتنعم
مع أنني سيرت فيك شوارداً ... كالدر بل أبهى لدى من يفهم
تغدو وهوج الذاريات رواكد ... وتبيت تسري والكواكب نوم
وإذا المآثر عددت في مشهدٍ ... فبذكرها يبدا المقال ويختم
وإذ تلا الراوون محكم آيها ... صلى عليك السامعون وسلموا
وكفى برأي إمام عصرك ناقضاً ... ما أحكم الأعداء فيك وأبرموا

وأنشدني أبو طاهرٍ إسماعيل بن عبد الرحمن الأنصاري المصري بمصر في سنة اثنتي عشرة وستمائةٍ، قال:
أنشدني أبو محمدٍ الحسن بن علي بن الزبير مطلع قصيدةٍ:
أعلمت حين تجاور الحيان ... أن القلوب مواقد النيران
وعلمت أن صدورنا قد أصبحت ... في القوم وهي مرابض الغزلان
وعيوننا عوض العيون أمدها ... ما غادروا فيها من الغدران
ما الوجد هز قناتهم بل هزها ... قلبي لما فيه من الخفقان

وتراه يكره أن يرى أظعانهم ... فكأنما أصبحت في الأظعان

وكان لما جرى لأخيه الرشيد ما جرى من اتصاله بالملك صلاح الدين يوسف بن أيوب عند كونه محاصراً للإسكندرية كما ذكرنا في بابه، قبض شاور على المهذب وحبسه، فكتب إلى شاور شعراً كثيراً ليستعطفه فلم ينجع حتى التجأ إلى ولده الكامل أبي الفوارس شجاع بن شاورٍ مدحه بأشعارٍ كثيرةٍ وهو في الحبس حتى قام بأمره واستخرجه من حبسه، وضمه إليه واصطنعه فمن ذلك قوله من قصيدة:

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا ... نسيم الصبا يرسل إلى كبدي نفحا

فإن تحبساني في النجوم تجبراً ... فلن تحبس مني له الشكر والمدحا

وكتب إليه:

وما كنت أخشى قبل سجنكما على ... دموعي أن يقطرن خوف المقاطر

وما لي من أشكو إليه أذاكما ... سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

ومما قاله فيه وهو لعمري من رائق الشعر وجيده:

إذا أحرقت في القلب موضع سكناها ... فمن ذا الذي من بعد يكرم مثواها؟

وإن نزفت ماء العيون بهجرها ... فمن أي عينٍ تأمل العيس سقياها؟

وما الدمع يوم البين إلا لآلئ ... على الرسم في رسم الديار نثرناها

وما أطلع الزهر الربيع وإنما ... رأى الدمع أجياد الغصون فحلاها

ولما أبان البين سر صدورنا ... وأمكن فيها العين النجل مرماها

عددنا دموع العين لما تحدرت ... دروعاً من الصبر الجميل نزعناها

ولما وقفنا للوداع وترجمت ... لعيني عما في الضمائر عيناها

بدت صورة في هيكلٍ فلو أننا ... ندين بأديان النصارى عبدناها

وما طرباً صغنا القريض وإنما ... جلا اليوم مرآة القرائح مرآها

وليالي كانت في ظلام شبيبتي ... سراي وفي ليل الذوائب مسراها

تأرج أرواح الصبا كلما سرى ... بأنفاس ريا آخر الليل رياها

ومهما أدرنا الكأس باتت جفونه ... من الراح تسقينا الذي قد سقيناها

ومنها:

ولو لم يجد يوم الندى في يمينه ... لسائله غير الشبيبة أعطها

فيا ملك الدنيا وسائس أهلها ... سياسة من قاس الأمور وقاساها

ومن كلف الأيام ضد طباعها ... فعاين أهوال الخطوب فعاناها

عسى نظرة تجلو بقلبي وناظري ... صداه فإني دائماً أتصداها

وحدثني الشريف أبو جعفر محمد بن عبد العزيز الإدريسي أن السبب في حبسه كان: أنه كاتب شيركوه الملقب بأسد الدين وهو نازل على بلبيس بعساكره في محاربة شاور، فلما رحل أسد الدين عن بلبيس، ومن

شعره:

يجور على العشاق والعدل دأبه ... ويقطعني ظلماً وصنعته الوصل

ومن شعره أيضاً:

ولئن ترقرق دمعه يوم النوى ... في الطرف منه وما تناثر عقده

فالسيف أقطع ما يكون إذا غدا ... متحيراً في صفحتيه فرنده

ومنه أيضاً:

لقد طال هذا الليل بعد فراقه ... وعهدي به قبل الفراق قصير

فكيف أرجي الصبح بعدهم وقد ... تولت شموس بعدهم وبدور

ومنه أيضاً:

يعنفني من لو تحقق ما الهوى ... لكان إلى من قد هويت رسولي

بنفسي بدر لو رآه عواذلي ... على الحب فيه فاد كل عذول

ومنه أيضاً:

أقصر فديتك عن لومي وعن عذلي ... أو لا فخذ لي أماناً من ظبا المقل

من كل طرفٍ مريض الجفن ينشدني ... يا رب رامٍ بنجدٍ من بني ثعل

إن كان فيه لنا وهو السقيم شفا ... فربما صحت الأجسام بالعلل

وقال يرثي صديقاً له وقد وقع المطر يوم موته:

بنفسي من أبكى السموات فقده ... بغيثٍ ظننا نواله يمينه

فما استعبرت إلا أسىً وتأسفاً ... وإلا فماذا القطر في غير حينه

وله أيضاً:

لا ترج ذا نقصٍ ولو أصبحت ... من دونه في الرتبة الشمس

كيوان أعلى كوكبٍ موضعاً ... وهو إذا أنصفته نحس

وله أيضاً:

فدع التمدحبالقديم فكم عفا ... في هذه الآكام قصردائر

لإيوان كسرى اليوم عند خرابه ... خير لعمرك منه قصر عامر

الحسن بن علي بن أبي مسلم

المعمر بن عبد الملك بن ناهوج الإسكافي الأصل، البغدادي المولد والدار، أبو البدر بن أبي منصورٍ، من أهل باب الأزج، أحد الكتاب المتصرفين في خدمة الديوان الإمامي هو وأبوه، وكان فيه فضل وأدب بارع، وعربية وتصرف في فنونها، ويكتب خطاً على طريقة أبي علي بن مقلة قل نظيره فيه، وله خصائص، ولقي المشايخ، وصنف عدة تصانيف في الأدب حسنةً، وتنقل في الولايات إلى أن رتب مشرفاً بالديوان العزيز في سادس شهر رمضان سنة ستٍ وثمانين وخمسمائةٍ، فكان على ذلك إلى أن عزل في سابع ذي الحجة سنة ثمانٍ

وثمانين وخمسمائةٍ، وكان صحب أبا محمد بن الخشاب النحوي وقرأ عليه وبحث معه، وعلق عنه تعاليق وقفت على بعضها فوجدتها منبئةً عن يدٍ باسطةٍ في هذا الفن من العلم، ورأيت بخطه في حلب تعاليق وكتباً واختيارات ونظماً ونثراً تدل على قريحةٍ سالمةٍ، ونفسٍ عالمةٍ، تقلل النظير، وتؤذن بالعلم الغزير. ومما بلغني من شعره:

وعلى الكثيب مخمر من تيهه ... كالبدر من حسنٍ وليس بآفل
حجبوه بالبيض الفواصل ما دروا ... من حسنه وسيوفهم كالقاصل
رشأ كأن لحاظه مطرورة ... قذفت بها غرضاً حنية نابل
وكأن سحر بلاغةٍ في لفظه ... أخذ يعقدها نوافث بابل

وكان خرج من بغداد حاجاً سنة تسعٍ وثمانين وخمسمائةٍ أو نحوها فجاور بمكة، ثم صار منها إلى الشام وأقام بحلب مدةً، ثم انتقل إلى مصر فسكنها إلى أن مات بها في ثامن عشر رمضان سنة ستٍ وتسعين وخمسمائةٍ، عن سبعٍ وستين سنةً، ودفن بالقرافة، وحدث بذلك ابنه أبو منصورٍ علي.

وقرأت بخط ابن أبي سالمٍ الذي لا أرتاب به ما صورته: نسخة كتابٍ كتبته إلى القاضي الفاضل عند قدومي من الحجاز إلى مصر في جمادى الآخرة، سنة اثنتين وتسعين وخمسمائةٍ: لو كانت المودات – أطال الله بقاء المجلس السامي – في نعمةٍ خصيبة المرتع، وعيشةٍ عذبة المنبع – وأدام علاه في سعادةٍ لا تتطرق إلى صافي بردها السابغ حوادث الأقدار – و لا يتطرق صافي وردها السائغ بحوادث الأكدار، وحرسموا هبه لديه ما لزم السكون أول المشددين، ولا زالت ثاويةً بجنابه حتى يلتقي المخففان من كلمتن، ولا فتئت منح التوفيق مصاحبةً له ما اشتبه الذاتي بالعرض اللازم، وذم المفرط في أمره وأحمد الحازم، لا تقرع أبوابها، ولا تتدرع زينة لبوسها وأثوابها إلا عن معرفةٍ في المشاهد سابقةٍ، أو ماتةٍ قائدةٍ، أو ذريعةٍ سائقةٍ والتعاضد والتضافر سابق للصفة، وإنما للنفوس سرائر أهواءٍ تحن إلى التداني إن تباعدت الشعوب وتنازحت الديار، كما لتباينها أسباب تتنافر من أجلها وإن تقاربت الأنساب، وتنازحت المقار، والفضائل الفاضلية القريرة، والمناقب الشهيرة التي قد سار ذكرها في الآفاق سير القمر، وعطلت مزيتها مروي السير، وتليت محاسنها كما تتلى السور، وصار الفوز بمناسمة رياها من أفضل ما أسفر عنه سفر، ولو عاينها الصدر الأول لمدح في دراستها السهر، وما جدب السمر، فلا غرو أن تحن النفوس إلى محل كمالها، ومأوى تضافر أضدادها التي انفرد بجمالها ومثوى مواهبها التي هبطت إليه من المحل الأرفع لما سمي لها وسما لها، ومن هو أمينها المصدق لظنونها، ويمينها إذا كان غيره يمينها وشمالها، وقد زادها إفراط حسن التبيان، فلله در ذلك البيان، فلكم استفادت حجته إلى أمر الله من اطوائف والفرق، وكم قص كتابه من كتائب الضلال وفرق.

ثم ذكر وصف بلاغته بما أطال فيه، ووصف البحر ركبه حتى خلص إلى مصر، ثم قال: وقد أرسل هذه الخدمة مستخرجة للإذن في الحضور والتشرف بميمون اللقاء، وإن زاحم به أوقات الطاعات ومواقيت الأذكار. وشغل على اختصاره عن شيء من المهام والأوطار. وللمتوكل لنفسه أن يدعي أن في ذلك ضرباً من ضروب البر، فإنه قد أصبح ولله الحمد في هذا الطرف لقاطنيه وطارقيته كالأب البر. والمنشود من

الأريحية الكريمة إكرام مثوى خدمته، وتلقيها بما يزيل عنها انقباض الغريب ووحشته، وحيرة القادم ودهشته، فعنده حياء طبيعي لعلةٍ متجاوزةٍ للقدر المحمود غذيت به طفلاً،فإن رمت غيره عصاني وأعرتني به ألفة المهد. وكتب إليه بعد الحضور عنده رقعةً منها: وحضر الشيخ النفيس وصحبته ما قابل كريم الاهتمام الذي صدر عنه من الأدعية والأثنية بما لا يزال يواليه ويرفعه ويهديه، ولق أخجله أن يرى نفسه في صورة مثقلٍ، أو يرى بعين غير موحدٍ في دين هواه متنقلٍ. ومقترحه أن يخص من حسن الرأي العالي بشعار يبهج ولا ينهج، ويشرع له سبيلاً في الفخر وينهج، وأن يشير بأسطرٍ بالخط الكريم يفوق المال، ويبقى الجمال، فأبقى السمات ما خطته يمينه، وأثبت الصفات ما دل عليه تزيينه، وأزكى الشهادات ما تطوع به كرمه، وأعطر رياض الحمد ما أنبتته ديمه. وقد حصل الخادم بين نزاع يحضه على حضور الخدمة وينشطه، وخوف إبرامٍ يقبضه ويثبطه. وقد ترجم عن حاله هذه بأبيات الشاعر أبي عبد الله وهي:

حالة قد حصلت للخوف منها ... حول دار الأستاذ في عشواء
لإن تأخرت أو تقدمت فيها ... ساء ظني في الموضعين برائي
لست أدري من الضلال أقدا ... مي خير في ذاك أم من ورائي؟
أوثر الخدمة التي تؤثر اسمي ... عندكم في جريدة الأولياء
ثم أخشى أني أعد إذاجئ ... ت من المبرمين والثقلاء
قد تحيرت فاجعلوا أنتم اسمي ... حيث شئتم من هذه الأسماء

ومن خطه: ومن عبث الخاطر وهوسه أبيات تشوفت فيها الحجاز بعد مجاورتي بالحم الشريف بمكة – قدسها الله – سنة اثنتين أو ثلاثٍ وسبعين وهي:

خليلي هل يشفي من الوجد وقفة ... بخيف منىً والسامرون هجوع؟
وهل لليبلات المحصب عودة ... وعيشٍ مضى بالمأزمين رجوع؟
وهل سرحة بالسفح من أيمن الصفا ... رعت من عهودي ما أضاع مضيع؟

وهل قوضت خيم على أبرق الحما ... وما ذاك من غدر الزمان بديع؟
وهل تردن ماءً بشعب ابن عامرٍ ... حوائم لو يقضى لهن شروع؟
وما ذاك إلا عارض من طماعةٍ ... له بقلوب العاشقين ولوع
وإني متى أعص التجلد والأسى ... فللشوق مني والغرام مطيع
فيا جيرتي إذ للزمان نضارة ... وعودي نضار والخيام جميع
بنعمان والأيام فينا حميدة ... ووادي الهوى للنازلين مريع
وما أزمع الحي اليمانون نيةً ... ولا ريع بالبين المشت مروع
كفى حزناً أني أبيت وبيننا ... من البيد معدو الفجاج وسيع
أعالج نفساً قد تولى بها الأسى ... وطرفاً يجف المزن وهو هموع

ومن خطه أيضاً بيتان صدرت بهما كتاباً في هذه الرقعة إلى بعض الخوان بمكة – حرسها الله تعالى – :

ألا قل لجيران الصفا ليت داعي الت ... فرق أعمي يوم راح مناديا
لعمري لقد ودعت يوم وداعكم ... بشعب المنقى شعبةً من فؤاديا

ومن خطه رسالة كتبها إلى الفاضل أيضاً يسأله شيئاً من رسائله، قال في آخرها: فصار العوارف التي اقتصر في ذكرها على الإيماء وقوفاً مع محتد سيدنا – أطال الله بقاءه – مبسوط اليد في عباد الله بالفرض، مقرضاً له عناء همه فيهم أحسن القرض، منجزاً لهم ما وعد. " وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض " عند الخادم. ومثله كالبيت من القريض قبل القافية، والمريض الذي مطلته الأيام بالعافية، فلا يكمل ذاك ولا يتطرب به المشوق، ولا يترنم به الكئيب، ولا يتسلى به الغريب دون تمامه، وتكافؤ أجزاء نظامه، وعبقه بمسك ختامه، ولا يحس هذا بلذةٍ على الحقيقة – وإن شرفت – حتى يجد روحه روح الشفاء فيدرك مزيتها بطرق الصحة، ومروءتها بحلسة سمعها، وتساعفه الأقدار بتكميلها لك وجمعها.

وما أسفي إلا عليها فإنني ... بقرطاسها لا بالدنانير أكلف
فجد لي بما أهواه منها فإنني ... سأحف في استيهابها وأكلف
وما هذه الأهواء إلا غرائز ... قبيح لدى نقادها المتكلف

وإن كان الخادم عن حال من شرف بهذا من أفناء الناس، ولم يكمل بعدته الإستئناس، فليس له أن يكون معترضاً، ولا أن يتلقى ذلك بغير التسليم والرضا، فإن الخدمة السامية هي التي تبين لديها الأقدار، وبأفعالها تترتب المنازل وتتفات الأخطار.

وكنت عند كوني بمرو عرض علي شيخنا فخر الدين أبو المظفر عبد الرحيم بن تاج الإسلام أبي سعدٍ السمعاني – تغمده الله برحمته – جزءاً يشتمل على رسائل للحسن القطان إلى الرشيد الوطواط محشوة بالسب له والثلب تصريحاً لا تعريضاً، ويلزمه الحجة في أنه نهب كتبه وسلبه نتيجة عمره، ويستحسب الله عليه. وضاق نطاق الزمان من تحصيلها وكتبها، وقلت:

وكم منيةٍ خلفت خلفي وبغية ... ومن حاج نفسٍ حال من دونها الترك
إذا ذكرتها تانفس حنت وأرزمت ... وودت لفرط الوجد أدركها الفتك
سلام على تلك الديار وقدست ... نفوس بمثواها ثوى العلم والنسك

وبقيت نفسي إليها متطلعةٍ، وإلى مكنونها متلفتةً، فظفرت برسائل الرشيد محمد بن محمد بن عبد الجليل العمري البلخي المعروف بالوطواط، متضمنة لأجوبة يدل آخرها على إضراب القطان عن تهمته، والإذعان بإبراء ساحته: نسخة الرسالة الأولى:

" بسم الله الرحمن الرحيم " قرع سمعي من أفواه الواردين وألسنة الطارئين على خوارزم أن سيدنا – أدام الله فضله – كلما تفرغ من مهمات نفسه، ووظائف درسه أقبل بمجامعه على أكل لحمي، والإطناب في سبي وشتمي، وينسبني إلى الإغارة على كتبه، ويبالغ في هتك أستار الكرم وحجبه. أهذا يليق بالفضل والمروءة؟ أو يجمل بالكرم والفتوة أن يفتري على أخيه الميلم بمثل هذا الكذب المقلق، والبهتان المؤلم، والله إذا نفخ في الصور يوم النشور، وبعثت هذه الرمم البالية، من الأجداث متدرعةٍ ملابس الحياة الثانية،

وجمعت عباد الله في مواقف العرصات، وتطايرت صحائف الأعمال إلى أربابها، وسئلت كل نفسٍ عما كسبت، فمن مسيءٍ يسحب على وجهه إلى النار، ومن محسن يحمل على أعطاف الملائكة إلى الجنة، لم يتعلق في ذلك المقام الهائل أحد بذيلي طالباً مني ملكاً غصبته، ولا مالاً نهبته، أو دماً سفكته، أو ستراً هتكته، أو شخصاً قتلته، أو حقاً أبطلته، وهاأنذا قد آتاني الله من الوجه الحلال قريباً من ألف مجلدٍ من الكتب النفيسة، والدفاتر الفائقة، والنسخ الشريفة، ووقفت كلها على خزائن الكتب المبنة في بلاد الإسلام – عمرها الله – لينتفع المسلمون بها، ومن كانت عقيدته هكذا كيف يستجيز من نفسه أن يغير على كتب إمامٍ من شيوخ العلم، أنفق جميع عمره حتى حصل أوراقاً يسيرة، لو بيعت في الأسواق لما أحضر بثمنها مائدة لئيمٍ، الله الله، لا يفترين سيدنا – أدام الله فضله – ، فافتراء الكذب على مثلي ذنب يتعثر في أذياله يوم القيامة، وليخافن الله الذي لا إله إلا هو، وليتذكرن يوماً يثاب الصادق فيه على صدقه، ويعاقب الكاذب على كذبه، والسلام. فورد على الرشيد جواب عن هذه الرسالة يكون في نحو كراستين يغلظ له في القول، ويصرح فيه بالسب والتهمة، فكتب الرشيد:

" بسم الله الرحمن الرحيم " ورد كتاب سيدنا – أطال الله بقاءه في دولة مفترة المباسم، ونعمةٍ متجددة المراسيم – مشتملاً من الإيذاء والإيحاش، والإبذاء والإفحاش على كلماتٍ، بل على ظلماتٍ، لو أطفأ – أدام الله علوه – بعض لهبه، وسكن نائرة غضبه، ثم عاد إليه متصفحاً لألفاظه ومبانيه، لما ارتضى ذلك من دينه وعقله، ولكا استحسنه من كرمه وفضله، إلا أني أعذره فيما قال، قصر كلامه أو طال، لعلمي أنه – أدام الله علوه – مسلوب مغلوب، جريح أسنة القهر، طريح صدمات الدهر، عضته أنياب النوائب، وخدشته أظفار المصائب، نهبت كتبه وأمواله، وغصبت رحاله وأثقاله، وطالب الثأر يقصد كل راجلٍ وفارسٍ، وصاحب الضالة يتهم كل قائمٍ وجالسٍ، ولقد علم سيدنا – أدام الله علوه – أن وقعة مرو عمرها الله كانت واقعةً عامةً، شملت كل جبهةٍ وحافرٍ، وطبقت كل صائحٍ وصافرٍ، وكان قد لحقت في ذلك الوقت بعسكر خوارزمشاه من طبقات الناس أوزاع وأخياف، ومن حشرات الأرض أنواع وأصناف، قصارى همهم القتل والإغارة، ومنتهى أربهم الإحراق والإبارة وأوباش مرو أيضاً كانوا يخرجون من مكامنهم في الليالي، ويتعرضون لبيوت السادات والموالي، فليسس بمستبعدٍ أن يكون قد ظفر بكتبه من أولئك الأقوام أحد لا يعرف شأنه، ولا يعلم مكانه، أما أنا فالله تعالى يعلم – وقد خاب من استشهده باطلاً – أني ما فتحت للإغارة بابه، ولا نهبت كتابة، بل ذهبت يوماً على مقتضى إشارته الكريمة لأحمل كتبه إلى المعسكر، فلما دخلت داره الرفيعة، ورأيت كتباً كثيرةً فوق ما يحيط به عد، أو يشتمل عليه حد، فقلت: تقل هذه أمر مشكل، وحمل هذه خطب معضل، فتركتها بحالها في أماكنها، وخليتها برمتها في معادنها، وخرجت كما دخلت خالي الحقائب، فارغ الزكائب، فإن كنت غصبت يوم وقعة مرو أو قبلها أو بعدها من كتبه – أدام الله علوه – كتاباً أو جزءاً أو دفتراً أو من سائر أمواله شيئاً صغر أو جل، كثر أو قل، أو رضيت أن يغصبه أحد من أتباعي والمنتمين إلي، أو عرفت غاصباً غصبه، أو ناهباً نهبه، فأخفيت ذلك عنه، أو كتمته منه، فأنا بريء من الله وهو بريء مني، وإن كنت فعلت بنفسي شيئاً مما ذكرت، أو رضيت أن يفعله أحد من

المتعلقين بي، أو عرفت فاعلاً فعله، فعلي لله أن أحج بيته المعظم المكرم راجلاً راجلاً حافياً، وعلى عاتقي الزاد والمزادة عشر مراتٍ، وإن كنت فعلت شيئاً من ذلك، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي، أو عرفت فاعلاً فعله، فكل مالٍ ملكته يميني فهو في سبيل الله على مساكين الحرمين، وإن كنت فعلت شيئاً من ذلك، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي أو عرفت فاعلاً فعله، فكل عبدٍ ملكته أو أملكه فهو حر، وإن كنت فعلت شيئاً من ذلك، أو رضيت أن يفعله أحد من المتعلقين بي أو عرفت فاعلاً فعله، فكل امرأة تزوجتها أو أتزوجها فهي طالق مني ثلاث طلقاتٍ، هذه الأيمان والنذور كتبتها ببناني، وأجريتها على لساني، لا خوفاً من غوائله، ولا هرباً من حبائله، فإن الصلح آمن أهله، والإسلام جب ما قبله، ولكن إظهاراً لخلو راحتي، وبراءة ساحتي، وشفقةً عليه – أدام الله علوه – وصيانةً لفاضلٍ مثله لا مثيل له في أقطار الشرق والغرب، وأقاصي البر والبحر، أن يسلك طريقةً غير مستصوبةٍ ويختار شريعةً غير مستعذبةٍ. – عصمنا الله وإياه – مما يورث ذماً، ويعقب إثما.

وقد بعث في قران هذه الخدمة خدمةً أخرى مفرطةً في الطول، مجررةً للذيول، منسوجةً على منوال آخر، كالكي للداء إذا استحكمت شدته، وتطاولت مدته، وعجز الأساة عن معالجته، والأطباء عن مداواته، وهديته – أدام الله علوه – فيها النجدين، وأريته الطريقين، ودفعت عنان الإختيار إليه، ووضعت زمام الإسار في يديه، ليسلك منهما ما يشاء، إما ما يسر به وإما ما يساء. – وفقه الله للصواب والأصلح، وأسعدة بالأرشد والأنجح، وجعله من الصالحين المصلحين، والفائزين المعليمن – إن شاء الله تعالى والسلام. وكتب إليه مع الكتاب المتقدم ذكره:

" بسم الله الرحمن الرحيم " : صادفني – أطال الله بقاك في دولةٍ مشرقة الكواكب، ونعمةٍ هاطلة السحائب، وسلامةٍ طيبة المشارع والمشارب – خطابه الكريم وكتابه الشريف بخوارزم، وأنا ناعم البال منتظم الحال، ومنة النفس في دعةٍ، ومن العيش في سعةٍ، والحمد لله على ذلك، وبه الثقة والحول، وله المنة والطول، وحين تنسمت من يد حامله رياه، وثبت من مكاني مستقبلاً إياه، ومدت إليه يميني مد معزٍ مكرمٍ. وأخذته بطرف كمي أخذ مجلٍ معظمٍ، وقلت في نفسي: كرامة ساقها الله تعالى إلي، وسعادة ألقت أنوارها علي، وأرسلت في الحال قاصداً ذروات الأشراف، وسروات الأطراف، وبعثت في الساعة مرعاً إلى رجالات الأخبية والأبنية، وساكنة الأباطح والأودية، ودعوت من كل حلةٍ رئيسها وزعيمها، ومن كل خطةٍ كبيرها وعظيمها، حتى اجتمع عندي البدوي والحضري، واحتشد في ربعي الربعي والمضري، ثم عرضت عليهم كتاباً شريفاً بختمه، وحنيت ظهري لتقبيله ولثمه، وطلبت خطيباً مصقعاً من بلغاء بني معدٍّ صحيح اللسان، فصيح البيان، ووضعت له في منزلي منبراً من الساج، مغشى بالدرر والديباج، ليصعد به ذرا الأعواد، ويقرأه على رؤوس الأشهاد، فرفع الكل أصواتهم يمنةً ويسرةً، وسألوني خفيةً وجهرةً، ما هذا الذي تظهره لنا وتعرضه؟ وتوجب علينا سماعه وتفرضه؟ فقلت: كتاب إمامٍ لم تلمح عين الزمان لمثله، ولم تسمح يد الليالي بشكله، كتاب إمامٍ هو في العلم صاحب آياتٍ، وفي الفضل سابق غاياتٍ، إمام تطلع نجوم الجو دون قدره، وتحسد رياض الخلد أطايب صدره، كتاب إمامٍ تم به حساب العلماء، كما تم برسول الله صلى الله عليه وسلم

حساب الأنبياء، صحيفة فخرٍ حررتها يد بيضاء، وقلادة مجدٍ رصعتها همة روعاء، ونشرت من معالي سيدنا – أدام الله علوه ومفاخره – وذكرت من مناقبه ومآثره، ما امتلأ بنشره النادي، وسال من ذكره الوادي، فسكنوا وسكتوا، وأصغوا وأنصتوا، فلما فضضت ختامه، وحدرت لثامه، وشاهدت في أثنائه من الفزع الأكبر، وعاينت في أدراجه من أهوال يوم المحشر، ما أطال السهاد، وأطار الرقاد، وشق جلباب الصبر ومريطاء الجلد، وجرح سواد العين وسويداء الخلد، حسبته حلةً خسروانيةً، فوجدته حربةً هندوانيةً، كتاب لا بل كتائب تفل كل جيشٍ، وخطاب لا بل خطوب تكدر كل عيشٍ، وكلام لا بل في الأضالع كلام، وفصول لا بل في الجوانح نصول، وأسجاع مؤنقة لا بل أوجاع موبقة، كله كأنه نازلة الدهر، وقاصمة الظهر، كأنما ألفاظه أنياب الأراقم، ومعانيه أظفار الضراغم، وهو – أدام الله علوه – دفاع الأمراض بطبه، فلم أمرضني بفضائح سبه؟ ونطاسي الجراح بعلمه، فلم جرحني بقبائح ظلمه؟

وممن أرجى شفاء السقام ... ومسقمتي جفوات الطبيب

ما هذا الإنذار والإيعاد؟ وما هذا الإبراق والإرعاد؟ كأنه صاحب دلدل وفارس يليلٍ، أو كأنه من أقيال اليمن، وأبطال الزمن، أو كأنه ثعبان الحرب، وشيطان الطعن والضرب، وذكر البول، أولى به من ذكر الهول. وحديث البراز أولى به من حديث البراز:

إن للهجر رجالاً ... ورجالاً للوصال

قال – أدام الله علوه – : مصصت دمي من عرقي، أوليس يدري أن امتصاص الدماء من خصائص بضاعته، والتصرف في اللحوم والعظام من لوازم صناعته؟ – رحم الله – امرأً عرف قدره، ولم يتعد طوره، وشر ما في بني آدم من الخصال الذميمة، والأفعال اللئيمة، إيذاء الصغار والكبار، وإيحاش العبيد والأحرار. وهذا له: – أدام الله فضله – جبلة فطر عليها، وطبيعة استرسل معها، وسجية شهر بين العامة والخاصة بها، يشتم كل يوم في منزله ومكانه، وعلى سدة داره وطرف دكانه، خلقاً كثيراً، وجماً غفيراً، من الرافعين قصصاً إليه، والعارضين عللهم عليه، فيرجعون وجفونهم تتصوب عبراتها، وقلوبهم تتصعد زفراتها، لما يلاقون من سوء خلقه، ويقاسون من خشونة نطقه، ويقفلون وألم ذلك التهجم والإعراض، والوقيعة في الأحشاب والأعراض، أشد عليهم من ألم الأسقام والأمراض ولهذا جعل شخصه وصير نفسه، – مع أنه أفضل زمانه، وأعلم أولاد قرانه – ضحكة الأداني والأقاصي، وسخرةً للأذناب والنواصي، حتى صار بحيث إذا مشى في الأسواق تعادى صبيان البلد حوله فيسخرون منه، ويضحكون عليه، وينعرون في قفاه، ولا أقول فيه – أدام الله علوه – إلا ما قال الخليل بن أحمد الفراهيدي في ابن المقفع حين رأى كمال فضله، ونقصان عقله: علم وافر، وعقل قاصر. ومن قصور عقل ابن المقفع: أنه مر ببيت النار وكان من أولاد كسرى، فتنفس الصعداء، وتمثل ببيت الأحوص بن محمدٍ الأنصاري:

يا بيت عاتكة الذي أتعزل ... حذر العدى وبه الفؤاد موكل

فاتهم بالمجوسية، فألقى في تنورٍ مسجورٍ فأحرق، وما أصدق من قال: قيراط عقلٍ، خير من قنطار فضلٍ ومثقال حلمٍ، أنفع من مكيال علمٍ. أنكر – أدام الله علوه – رشاد مذهبي وإنكاره ضلال، وجحد سداد

سيرتي وجحوده باطل محال، فيا طير الله جمجمة فرخت فيها الأضاليل وباضت، ويا أسكت الله شقشقةً دفعت منها الأباطيل وفاضت، ولا أعني بهذه الجمجمة إلا جمجمته التي لا عقل فيها، ولا أريد بهذه الشقشقة إلا شقشقته التي يباينها الصدق وينافيها. حتى متى يتهمني بظنه؟ وإلى كم يجرعني دردي دنه؟ أيحسب – أدام الله علوه – أن ظنه الباطل، وخياله الفاسد، ووهمه الكاذب، وحي من السماء إلهي، أو إلهام في الحقيقة رباني، أو آية نفث بها روح القدس في روعه، لا بل هو واحد من أبناء زماننا، وهذا شر الأزمنة، عجم الشيطان عوده فاستلانه، فصير خزانة خياله مكانه، فهذه الخطرات التي تختلج في جنانه وتدور حول حسبانه من تلك الخيالات الشيطانية، لا من الإلهامات الربانية. ولقد بلغني من أفواه الرواة وألسنة الثقات، أنه: – أدام الله علوه – أخذ بعين هذه التهمة الكاذبة قبل هذا واحداً من أعيان جلدته، وسكان بلدته، وهو مسعود بن المنتخب، – رحمه الله – فأغار على أهله وبيته، وتعرض لحيه وميته، وخرب دوره ورباعه، وغصب أثاثه وباعه، من غير حجةٍ صححها، ولا بينةٍ أوضحها، – اللهم اصرع الظالم على الهامة، وخذ منه للمظلوم حتى يرضى عنه يوم القيامة – ومما أقضى منه العجب أن عهدي به – أدام الله عزه – قد كان يخرب الأبدان، فها هو الآن يخرب الأوطان، وما أسرع الدهر إلى تغير البشر، وما أقدره على تبديل الصور والسير.

قرأت في بعض الكتب أن خليفةً من الخلفاء رأى في منامه أن واحداً من ندمائه وثب عليه ليقتله، فلما أصبح استدعى النديم وأمر بقتله، فقال له النديم: ماذا فعلت من الذنب حتى استوجبت هذه العقوبة؟ قال الخليفة: ما فعلت شيئاً، ولكني رأيت في المنام أنك تقتلني، فقال له النديم: إن يوسف بن يعقوب – صلوات الله وسلامه عليهما – مع كونه صديقاً نبياً احتاجت رؤياه إلى تعبيره، وافتقرت أحاديثه إلى تأويلٍ وتفسيرٍ. أفتستغني رؤياك عن مثل ذلك؟ فضحك الخليفة وخلاه. وأنا أقول: هكذا ظنون جميع ذوي الألباب، معرضة للخطأ والصواب، كأنه – أدام الله علوه – تفرد بينهم بذاته، وتوحد بعظمة صفاته، فتنزهت ظنونه عن السهو، وتقدست أحاديثه عن اللغو، عصمنا الله من الكبر البائن والعجب الشائن، أما حان أن ينتبه – أدام الله علوه – من غفلته ويستيقظ من رقدته، وقد بلغ غاية شيبه، وأخذ الموت بلحيته وجيبه، يقرع كل ساعةٍ منادى الفناء في أذنه الصماء، أن أترك أوطانك، واهجر أهلك وجيرانك، وارحل إلى جهنم بخيلك ورجلك، فإنها قد أوقدت نيرانها لأجلك، وما حرص جهنم على شيء كحرصها على إحراق شيخٍ غويٍ، وهمٍ غبيٍ، سيئ الخليقة، مذموم الطريقة، يتظاهر بالإثم والعدوان، ويتبع خطوات الشيطان، وهو – أدام الله علوه – بلغ ساحل الحياة، ووقف على ثنية الوداع، وهم بحر عمره بالنضوب ومال نجم بقائه للغروب، فما ظنه؟ هل في الحياة طمع وقد بليت جدته وفنيت مدته، وتراجع أمره، وأربى على الثمانين عمره؟:

أيرجو الفتى عوداً إلى طيباته ... وقد جاوزت رأس الثمانين سنه

كتبت هذه الأحرف على سبيل النموذج والجواب بعد في الجراب، والسيف لم يسل من القراب فإن انزجر – أدام الله علوه – واتعظ، وترك الفظاظة والغلظ، وعاد إلى كرم العهد، وصفاء الود فأنا خادم مخلص، وعبد مطيع، وتلميذ معتقد:

وإلا فعندي للعدو وقائع ... تريه المنايا لا ينادي وليدها

الحسن بن محمدٍ المهلبي أبو محمدٍ

قد سقطت من نسختنا أوائل الترجمة قصيدة يخاطب فيها أبا جعفرٍ الصيمري، ويذكر المهلبي –وكان في صحبته –:

ماذا لقينا من القاطول لا هطلت ... فيه السحاب ولا سقته هتانا

فقد سددناه وارتدت غواديه ... حسرى ولم نأل إحكاماً وإتقاناً

وقد دعمنا له سكراً سما وطما ... حتى توهمه راوه ثهلانا

واستفرغ الوسع حتى طم خادمك ال ... مهلبي وقاسى فيه أشجانا

نجاه منه بآراءٍ مثقفة ... تخالها في ظلام الليل نيرانا

رميت بحراً بطودٍ فاستكانله ... كرهاً وأيقظت فيما بات يقظانا

وما تقابل بالإقبال ممتنعاً ... إلا تبدل بالعصيان إذعانا

ثم خرج معز الدولة والصيمري إلى الموصل لقتال ناصر الدولة، فاستخلف الصيمري المهلبي وأبا الحسن طازاد بن عيسى على الأمور بمدينة السلام إلى أن عاد، ثم خرج الصيمري إلى البطيحة لطلب عمران بن شاهين، واستناب بحضرة معز الدولة أبا محمدٍ وحد في سنة ثمانٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ، فخدم أبو محمدٍ معز الدولة خدمة خفف بها عنه وخف على قلبه، فقبله ومال إليه، وبلغ أبا جعفرٍ ذلك فثقل عليه، فتطلب لأبي محمدٍ الذنوب وتحمل ما أنكره عليه، وأطلق فيه لسانه بالوقيعة والتهدد، وبلغ أبا محمدٍ ذلك، فقلق واستشعر النكبة والهلكة، لأنه لم طمع من معز الدولة في نصرته عليه، وعصمته منه، فما راعه إلا ورود كتاب الطائر بوفاة الصيمري، فجلس له في العزاء، وأظهر له الحزن الشديد ولزم منزله، واستدعاه معز الدولة وأمره بالحضور وتمشية الأمور، إلى أن يقلد من يرى تقليده الوزارة وترشح للوزارة جماعة، منهم أبو عليٍ الحسن بن هارون بن نصرٍ، وأبو عليٍ الحسن بن محمد الطبري، وأبو الحسن محمد بن أحمد المافروخي، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الخوميني وبذلوا البذول، وضمنوا الأموال، ووسط أبو عليٍ الطبري في أمره والدة معز الدولة، وبذل مائتي ألف درهمٍ عاجلةً على سبيل الهدية بمطالبه معز الدولة، فحمل منه مائةً وثمانين ألف درهمٍ وقال: قد بقي بقية يسيرة إذا ظهر أمري حملتها، فقال معز الدولة: لا أفعل إلا بعد استيفاء المال، فعلم الطبري أنه خدع، وندم على ما حمله. ثم حضر الجماعة المترشحون الخاطبون وكل منه يعتقد أنه المختار المقلد، وجلسوا في خركاةٍ ينتظرون الإذن، ثم وصل القوم ووقفوا على مراتبهم، ودخل أبو محمدٍ بعدهم وقام في أخرياتهم، فلما تكامل الناس أسر معز الدولة إلى أبي عليٍ الحسن بن إبراهيم الخازن قولاً لم يسمع، فمشى إلى أبي محمدٍ المهلبي وقبل يده، وخاطبه بالأستاذية على ما كان أبو جعفرٍ يخاطب به، وحمله إلى الخزانة فخلع عليه القباء والسيف والمنطقة.

قال هلال: قال جدي: فوالله يا بني لقد رأيت الناس على طباقاتهم ممن أسميناه ومن يتلوهم من الجند وغيرهم، والسعيد من وصل إلى يده فقبلها. وعاد أبو محمدٍ إلى حضرة معز الدولة فخاطبه بالتعويل عليه ف

تقلد وزارته وتدبير دولته، وشكره أبو محمدٍ شكراً أطال فيه، وخرج منصرفاً إلى داره، فقدم له شهري بمركبٍ ذهبٍ، وسار أبو محمدٍ سبكتكين الحاجب بين يديه والقواد والناس في موكبه، وذلك لثلاثٍ بقين من جمادى الأولى سنة تسعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ، ثم جددت له الخلع من دار الخلافة بالسواد والسيف والمنطقة، فأثقلته هذه الخلع – وكان ذا جثة و الزمان صيف – وقد مشى في تلك الصحون الكثيرة، فسقط عند دخوله إلى حضرة المطيع لله ووقع على ظهره فأقيم، وظن أنه يحصر لما جرى، فقال: يا أمير المؤمنين: خرسنوه وما درى ما خراسا ... ن بلبس القباء والمزجين

ثم أكثر الشكر وأطال فيه، فاستحسنت منه هذه البديهة على تلك الصورة، وركب إلى داره وجميع الجيش معه وحجاب الخلافة ومعز الدولة بين يديه، فلما كانت سنة إحدى وخمسين وثلاثمائةٍ، لهج معز الدولة بذكر عمان، وحدث نفسه بأخذها، وأغراه بذلك المعروف بكرك أحد النقباء الأصاغر، فأمر المهلبي بالخروج بالخروج إليها فدافعه ووضع عليه من يزهده فيها فلم يزدد إلا لجاجاً، وكان أبو محمدٍ يؤذي حاشية معز الدولة فإنه ألزمهم تقسيطاً في نفقة البناء الذي استحدثه من غير أن يخرج بأحدٍ منهم إلى عسفٍ، فأحفظهم فعله، فبعثوا معز الدولة على إخراجه، فما ألح عليه ضمن له أن يستخرج من هؤلاء جملةً كبيرةً يستعين بها في هذا الوجه، فمكنه من ذلك بعد أن شرط عليه أخذ العفوة تجنب الإجحاف، فقبض على جماعةٍ وأخذ منهم ألفي درهمٍ، منها خمسمائة ألف درهمٍ من أبي عليٍ الحسن بن إبراهيم النصراني الخازن، ومعز الدولة على غاية العناية بأمره والثقة بأنه لا مال له، وأظهر أبو عليٍ الفقر وسوء الحال، وأنه اقترض المال الذي أداه من الناس، فشق ذلك على معز الدولة وظنه حقاً، واعتل أبو عليٍ عقيب ذلك ومات، فاعتقد معز الدولة أن أبا محمدٍ قتله لما عامله به، وأقبل عليه يلومه ويحلف له أنه يقيده به،، فلم يلتفت أبو محمدٍ إلى ذلك، وبادر إلى دار أبي عليٍ وقبض على خادمٍ له صغيرٍ كان يختصه ويثق به، ومناه ووعده، فدله على دفينٍ كان لأبي عليٍ في الدار فاستخرج منه عدة قماقم فيها نيف وتسعون ألف دينارٍ، وحملها إلى معز الدولة وقال له: هذا قدر أمانة خازنك الذي ظننت أني قد قتلته باليسير الذي أخذته لك منه، وما فيه درهم من مالك، وإنما اقترضه من أولادك وحرمك وغلمانك وشنع عليك. ثم تتبع أسبابه وأخذ منهم تمام مائتي ألف دينار، وقدر أبو محمدٍ أن معز الدولة يمكنه من الحاشية الباقين ويعفيه من الخروج فلم يفعل، وجد به جداً شديداً في الإنحدار، فانحدر في جمادى الآخرة من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائةٍ، وتمادت أيامه بالبصرة للتأهب والاستعداد، وامتنع العسكر المجرد من ركوب البحر، فبلغ معز الدولة ذلك، فاتهمه بأنه بعث العسكر على الشغب، فكاتبه بالجد والإنكار عليه في توقفه وإلزام المسير، ووجد أعداؤه طريقاً للطعن عليه، واغتنموا تنكر معز الدولة عليه، وأقاموا في نفسه أنه انحدر من مدينة السلام وهو لا يعتقد العود إليها، وأنه سيغلب على البصرة كما تغلب البريديون، وأن العسكر الذي معه والعشائر هناك على طاعةٍ له، وعظموا عنده أحواله، فتدوخ معز الدولة بأقاويلهم، وعرف أبو محمدٍ ذلك فأطلق لسانه فيهم، وخرق الستر بينه وبينهم، وتطابقت الجماعة في المشورة على معز الدولة بالقبض عليه والإعتياض بأمواله عما يقدر حصوله من عمان، وجعلوه على ثقةٍ من أنهم يسدون مسده، فمال إلى قولهم وكتب إلى أبي محمدٍ يعفيه من الإتمام إلى عمان،

ويرسم له الإنكفاء إلى مدينة السلام، وعلم أبو محمدٍ بالحال، ووطن نفسه على الصبر وركوب أصعب المراكب فيه، وأن يدخل فيما دخل فيه القوم، ويتولى هو مصادرة نفسه وأصحابه وخصومه وأعدائه، وكان ملياً بذلك، فهجمت عليه علته التي مات منها، وتردد بين إفاقةٍ ونكسةٍ إلى أن وردت الكتب باليأس منه، فأنفذ معز الدولة حينئذٍ أحد ثقاته على ظاهر العيادة له، وباطب الاستظهار على ماله وحاشيته، فألقاه في طريقه محمولاً في محفةٍ كبيرةٍ مملوءةٍ بالفرش الوثيرة، ومعه فيها من يخدمه ويعلله، ويتناوب في حملها جماعة من الحمالين، فلما انتهى إلى زواطا قضى نحبه ومضى لسبيله، وسقط الطائر بمدينة السلام بذلك، فقبض على أسبابه وحرمه وولده، فصودرت الجماعة، ووقع السرف في الاستقصاء عليهم، فلم يظهر لأبي محمدٍ مال صامت ولا ذخيرة باطنة، وبانت لمعز الدولة نصيحته، وبطلان النكير عليه، وقد كان يصل إليه من حقوق الرقاب في ضياعه وما يأخذه من إقطاعه، ويستثني به على عماله مال كثير يستوفيه جهراً من غير أن توقع فيه أمانة، وبصرف جميعه في مئونته ونفقاته وصلاته وهباته، وإلى هدايا جليلةٍ كان يتكلفها لمعز الدولة في أيام النواريز والمهاريج.

وعطف معز لدولة على الجماعة يطالبهم بالضمانات التي ضمنوها فاحتجوا بوفاته، ووعدوا بالبحث عن ودائعه، وتدافعت الأيام واندرج الأمر، فكان الذي صح من مال أبي محمدٍ ومال حرمه وأولاده وأسبابه خمسة آلاف درهمٍ، فيها الصامت والناطق والباطن، وأثمان الغلات وارتفاق الأملاك والأموال، وأموال جماعةٍ من التجار أخذت بالتأويلات، وكانت وفاته سبباً لصيانته عن عاجل ابتذالهم له، وصيانتهم عن آجل بلواهم به، وكانت مدة وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهرٍ، ووفاته في يوم السبت لثلاث ليالٍ بقين من سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائةٍ. ولأبي محمدٍ:

قضيت نحبي فسر قوم ... حمقى لهم غفلة ونوم

كأن يومي على حتم ... وليس للشامتين يوم

قال هلال: وحدثني أبو إسحاق جدي قال: صاغ أبو محمدٍ دواة ومرفعاً وحلاهما حليةً كثيرةً مشرقةً وكانت ذراعاً وكسراً في عرض شبر، وكذلك كانت آلاته عظاماً، حتى إن آلة دسته مثل مخاده مساند الدسوت إلى ما يجري هذا المجرى من آلات الاستعمال، وقلمت الدواة بين يديه في مرفعها وأبو أحمد الفضل بن عبد الرحمن الشيرازي وأنا إلى جانبه، فتذاكرنا سراً حسن الدواة وجلالتها وعظمتها، ثم قال لي: ما كان أحوجني إليها لأبيعها وأتسع بثمنها، فقلت: وأي شيء يعمل الوزير؟ قال: يدخل في حر أمه وسمع أبو محمدٍ ما جرى بيننا بالإصغاء منه إلينا، وذهب ذاك علينا، فاجتمعت مع أبي أحمد من غدٍ فقال لي: عرفت خبر الدواة؟ قلت: لا. قال: جاءني البارحة رسول الوزير ومعه الدواة ومرفعها، ومنديل فيه عشر قطع ثياباً حساناً وخمسة آلاف درهمٍ وقال: الوزير يقول لك: أنا عارف بأمرك في قصور المواد عنك، وتضاعف المؤن عليك، وأنت تعرف شغلي وانقطاعي به عن كل حقٍ يلزمني، وقد آثرتك بهذه الدواة لما ظننته من استحسانك إياها اليوم عند مشاهدتك، وحملت معها ما تجدد به كسوتك وتصرفه في بعض نفقتك، وانصرف الرسول، وبقيت متحيراً متعجباً من اتفاق ما تجارينا به أمس زحدوث هذا على أثره، وتقدم أبو محمدٍ بصياغة دواةٍ

أخرى على شكلها ومرفعٍ مثل مرفعها، فصيغت في أقرب مدةٍ، ودخلنا إلى مجلسه وقد فرغ منها وتركت بين يديه وهو يوقع منها.

ونظر أبو محمدٍ إلى وإلى أبي أحمد ونحن نلحظها فقال: هيه من منكما يريدها بشرط الإعفاء من الدخول فخجلنا وعلمنا أنه كان قد سمع قولنا. وقلنا: بل يمتع الله مولانا وسيدنا الوزير بها، ويبقيه حتى يهب ألفاً مثلها، اللهم أنت جدد الرحمة والرضوان عليه في كل ساعةٍ، بل لحظةٍ بل لحةٍ، وعلى كل نفسٍ شريفةٍ وهمةٍ عاليةٍ، إنك العلي تحب معالي الأمور وأشرافها، وتبغض سفسافها.

قال: وحدث إبراهيم بن هلالٍ قال: كان أبو محمدٍ المهلبي يناصف العشرة أوقات خلوته، ويبسطنا في المزح إلى أبعد غايةٍ، فإذا جلس للعمل كان امرأ وقوراً، ومهيباً ومحذوراً، آخذاً في الجد الذي لا يتخونه نقص، ولا يتداخله ضعف، فاتفق أن صعد يوماً من طيارةٍ إلى داره – وقد حقنه البول وما كان يعتريه من سلسه – فقصد بعض الأخلية فوجده مقفلاً – وكذاك كانت عادته جاريةً في أخلية داره حفاظاً لها عن الابتذال – فأبى أن يدعو الفراش ويحضر، فقال لي متبادراً على نفسه:

فهبك طعامك استوثقت منه ... فما بال الكنيف عليه قفل؟

فقلت: لعمري إنه موضع عجب، وإذا وقع الاجتياط في الأصل فقد استغنى عنه في الفرع، فضحك وقال: أوسعتنا هجاءً. فقلت: وجدت مقالاً. فقال: اسكت يا فاعل يا صانع.

قال أبو إسحق: وأجلسني معز الدولة لأكتب بين يديه وأبو محمدٍ المهلبي قائم فحجبني عن الشمس، فقال: كيف ترى هذا الظل؟ فقلت: ثخين. فقال: واعجباً! أحسن وتسئ. وضحك! ومن شعر المهلبي:

يا هلالاً يبدوا لتهتاج نفسي ... وهزاراً يشدو فيزداد عشقي

زعم الناس أن رقك ملكي ... كذب الناس أنت مالك رقي

وحدث أبو محمدٍ المهلبي قال: كنت أيام حداثتي وقصر حالي، وصغر تصرفي أسكن داراً لطيفةً – ونفسي مع ذلك تنازع في الأمور العظيمة، إلا أن الجد قاعد، والمقدور غير مساعدٍ – فأصبحت يوماً وقد جاء المطر وازدادت الحجرة إظلاماً، وصدري بها ضيقاً، فقلت:

أنا في حجرةٍ تجل عن الوص ... اف ويعمى البصير فيها نهارا

هي في الصبح كالظلام وفي اللي ... ل يولي الأنام عنها فرارا

أنا منها كأنني جوف بئرٍ ... أتقي عقرباً وأحذر فارا

وإذا ما الرياح هبت رخاءً ... خلت حيطانها تميد انهيارا

ورب عجل خرابها وأرحني ... من حذاري فقد مللت الحذارا

تحدث أبو الحسين هلال بن المحسن قال: حدث القاضي أبو بكر بن عند الرحمن بن خزيمة قال: كنت مع الوزير المهلبي بالأهواز، فاتفق أن حضرت عنده في يومٍ من شهر رمضان، والزمان صائف والحر شديد، ونحن في خيشٍ باردٍ، فسمع صوت رجلٍ ينادي على الناطف فقال: أما تسمع أيها القاضي صوت هذا البائس في مثل هذا الوقت؟ والشمس على رأسه، وحرها تحت قدميه، ونحن نقاسي في مكاننا هذا البارد ما

يقاسيه من الحر؟ وأمر بإحضاره فأحضر، فرآه شيخاً ضعيفاً عليه قميص رث وهو بغير سراويل وفي رجله تاسومة مخلقة، وعلى رأسه مئزر، ومعه نبيخة فيها ناطف لا تساوي خمسة دراهم، فقال له: ألم يكن لك أيها الشيخ في طرفي النهار مندوحة عن مثل هذا الوقت؟ فتنفس الرجل وقال: ما أهون على الراقد سهر الساهد! وقال:

ما كنت بائع ناطفٍ فيما مضى ... لكن قضت لي ذاك أسباب القضا

وإذا المعيل تعذرت طلباته ... رام المعاش ولو على جمر الغضا

فقال له الوزير: أراك متأدباً، فمن أين لك ذلك؟ فقال: إني أيها الوزير من أهل بيتٍ لم يكن فيهم من صناعته ما ترى – وأسر إليه أنه من ولد معن بن زائدة – فأعطاه مائة دينارٍ وخمسة أثوابٍ، وجعل ذلك رسماً له في كل سنةٍ.

وحدث القاضي أبو عليٍ التنوخي قال: شاهدت أبا محمدٍ المهلبي قد ابتيع له في ثلاثة أيامٍ ورد بألف دينارٍ فرش به مجالس وطرحه في بركةٍ عظيمةٍ كانت في داره، ولها فوارات عجيبة يطرح الورد في مائها وينفضه، وبعد شرابه عليه وبلوغه ما أراده منه أنهبه، ولأبي عبيد الله الحسين بن أحمد بن الحجاج يرثي أبا محمدٍ:

يا معشر الالشعراء دعوة موجعٍ ... لا يرتجى فرح السلو لديه

عزوا القوافي بالوزير فإنها ... تبكي دماً بعد الدموع عليه

مات الذي أمسى الثناء وراءه ... وجميل عفو الله بين يديه

هدم الزمان بموته الحصن الذي ... كنا نفر من الزمان إليه

وتضاءلت همم المكارم والعلا ... وانبت حبل المجد من طرفيه

عمري لئن قادته أسباب الردى ... مثل الجواد يقاد في شطنيه

فليعلمن بنو بويهٍ أنما ... فجعت به أيام آل بويه

ولأبي محمدٍ المهلبي:

أمثلي يا أخي وقسيم نفسي ... يفارق عهده عند الفراق؟

ويسلو سلوةً من بعد بعدٍ ... وينسبه الشقيق إلى الشقاق

فأقسم بالعناق وتلك أشفى ... واوفى من يميني بالعتاق

لقد ألصقت بي طلباً قبيحاً ... تجافى جانباه عن التصاق

وحدث أبو النجيب شداد بن إبراهيم الجزري الشاعر الملقب بالظاهر قال: كنت كثير الملازمة للوزير محمدٍ المهلبي، فاتفق أني غسلت ثيابي وأنفذ إلي يدعوني، فاعتذرت بعذرٍ فلم يقبله وألح في استدعائي، فكتبت إليه:

عبدك تحت الحبل عريان ... كأنه لا كان شيطان

يغسل أثواباً كأن البلى ... فيها خليط وهي أوطان

أرق من ديني إن كان لي ... دين كما للناس أديان

كأنها حالي من قبل أن ... يصبح عندي لك إحسان

يقول من يبصرني معرضاً ... فيها وللأقوال برهان

هذا الذي قد نسجت فوقه ... عناكب الحيطان إنسان؟

فأنفذ لي جبةً وقميصاً وعمامةً وسراويل وكيساً فيه خمسمائة درهمٍ وقال: قد أنفذت لك ما تلبسه وتدفعه إلى الخياط ليصلح لك الثياب على ما تريده، فإن كنت غسلت التكة واللالكة فعرفني لأنفذ لك عوضها.

ولأبي محمدٍ المهلبي:

ويومٍ كأن الشمس والغيم دونها ... حجاب به صينت فما يتهتك

عروس بدت في زرقة من ثيابها ... تجللها فيها رداء ممسك

قرأت بخط المحسن بن إبراهيم الصابئ: أنشدني والدي قال: أنشدني الوزير أبو محمدٍ المهلبي لنفسه:

إذا تكامل لي ما قد ظفرت به ... من طيب مسمعةٍ وصوت رنان

وقهوةٍ لو تراها خلت رقتها ... ديني ومن حاجزٍ إن شئت أغناني

فما أبالي بما لاقى الخليفة من ... بغي الخصي وعصيان ابن حمدان

وقال الصاحب بن عبادٍ: أنشدني الأستاذ أبو محمدٍ المهلبي لنفسه:

قال لي من أحب والبين قد جد ... د وفي مهجتي لهيب الحريق

ما الذي في الطريق تصنع بعدي ... قلت أبكي عليك طول الطريق؟

حدث أبو عليٍ التنوخي قال: كان أبو محمدٍ المهلبي يكثر الحديث على طعامه وكان طيب الحديث، وأكثره مذاكرة بالأدب وضروب الحديث على المائدة لكثرة من يجمعهم عليها من العلماء والكتاب والندماء، وكنت كثيراً ما أحضر، فقدم إليه في بعض الأيام حجل فقال لي: أذكرني هذا حديثاً طريفاً، وهو ما أخبرني به بعض من كان يعاشر الراسبي الأمير قال: كنت آكل معه يوماً وعلى المائدة خلق عظيم فيهم رجل من رؤساء الأكراد المجاورين لعمله، وكان ممن يقطع الطريق، ثم استأمن إليه فآمنه واختصه، وطالت أيامه معه وكان في ذلك اليوم على مائدته إذ قدم حجل فألقى الراسبي منه واحدةً إلى الكردي كما تلاطف الرؤساء مؤاكليهم، فأخذها الكردي فجعل يضحك، فتعجب الراسبي من ذلك وقال: ما سبب هذا الضحك وما جرى ما يوجبه؟ فقال: خبر كان لي، فقال: أخبرني به، فقال: شيء ظريف ذكرته لما رأيت هذه. قال: فما هو؟ قال: كنت أيام قطع الطريق قد اجتزت في المحجة الفلانية في الجبل الفلاني وأنا وحدي في طلب من آخذ ثيابه، فاستقبلني رجل وحده، فاعترضته وصحن عليه فاستسلم إلي ووقف، فأخذت ما كان معه وطالبته أن يتعرى ففعل ومضى لينصرف، فخفت أن يلقاه في الطريق من يستفزه علي فأطلب وأنا وحدي فأوخذ، فقبضت عليه وعلوته بالسيف لأقتله، فقال: يا هذا أي شيءٍ بيني وبينك؟ أخذت ثيابي ولا فائدة لك في قتلي، فكتفته ولم ألتفت إلى قوله، وأقبلت أقنعه بالسيف، فالتفت كأنه يطلب شيئاً فرأى حجلةً قائمةً على الجبل فصاح: يا حجلة اشهدي لي عند الله تعالى أني أقتل مظلوماً، فما زلت أضربه حتى قتلته، وسرت فما ذطرت هذا الحديث حتى رأيت هذه الحجلة، فذكرت حماقة هذا الرجل فضحكت، فانقلب عليه الراسبي في رأسه حرد وقال: لا جرم والله إن شهادة الحجلة عليك لا تضيع اليوم في الدنيا قبل الآخرة، وما آمنتك إلا على ما كان منك من إفساد السبيل، فاما الدماء فمعاذ الله أن أسقطها عنك يابن الفاعلة

بالأمان، وقد أجرى الله على لسانك الإقرار عندي. يا غلمان اضربوا عنقه، قال: فبادر الغلمان إليه بسيوفهم يخبطونه حتى تدحرج رأسه بين أيديهم على المائدة وجرت جثته، ومضى الراسبي حتى أتم غداءه.
قال قال أبو عليٍ: حضرت أبا محمدٍ في وزارته، وقد دفع إليه شاعر رقعة صغيرة فقرأها وضحك وأمر له بألف درهمٍ، وطرح الرقعة فقرأتها وإذا فيها:
يا من إليه النفع والضر ... قد مس حال عبيدك الضر
لا تتركن الدهر يظلمني ... ما دام يقبل قولك الدهر

قال إبراهيم بن هلالٍ الصابئ: كان أبو محمدٍ يخاطب بالأستاذية. قال أبو عليٍ: كنت في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائةٍ ببغداد، فحضر أول يومٍ من شهر رمضان، فاصطحبت أنا وأبو الفتح عبد الواحد بن أبي عليٍ الحسين بن هارون الكاتب في دار أبي الغنائم الفضل بن الوزير أبي محمدٍ المهلبي لنهنئه بالشهر عند نوجه أبيه إلى عمان، وبلغ أبو محمدٍ إلى موضعٍ من أنهار البصرة يعرف بعلياباذ، ففترت نيته عن الخروج إلى عمان، واستوحش معز الدولة منه وفسد رأيه فيه، واعتل المهلبي هناك، ثم أمره معز الدولة بالرجوع من علياباذ، وألا يتجاوزه، وقد اشتدت علته والناس بين مرجفٍ بأنه يقبض عليه إذا حصل بواسط أو عند دخوله إلى بغداد، وقوم يرجفون بوفاته، وخليفته إذ ذاك على الوزارة ببغداد: أبو الفضل العباس بن الحسين بن عبد الله، وأبو الفرج محمد بن العباس بن الحسين، فجئنا إلى أبي الغنائم، ودخلنا إليه وهو جالس في عرضي داره التي كانت لأبيه على دحلة على الصراة عند شبك على دجلة، وهو في دست كبيرٍ عالٍ جالس وبين يديه الناس على طبقاتهم، فهنأناه بالشهر وجلسنا، وهو إذا ذاك صبي غير بالغ إلا أنه محصل، فلم يلبث أن جاءه أبو الفضل وأبو الفرج فدخلا إليه وهنآه بالشهر، فأجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره على طرف دسته في الموضع الذي فيه فضلة المخاد إلى الدست، ما تحرك لأحدهما ولا انزعج ولا شاركاه في الدست، وأخذا معه في الحديث، وزادت مطاولتهما، وأبو الفضل يستدعي خادم الحرم فيساره فيمضي ويعود ويخاطبه سراً، إلى أن جاءه بعد ساعةٍ فساره فنهض، فقال له أبو الفرج: إلى أين يا سيدي؟ فقال: أهنئ من يجب تهنئته واعود إليك، فكن مكانك، وكان أبو الفضل زوج زينة ابنة أخت أبي الغنائم من أبيه وأمه تجني، فحين دخل واطمأن قليلاً وقع الصراخ وتبادر الخدم والغلمان، ودعي الصبي وكان يتوقع أن يرد عليه خبر موت أبيه، لأنه كان عالماً بشدة علته، فقام فأمسكه أبو الفرج وقال: اجلس – وقبض عليه – وخرج أبو الفضل وقد قبض على تجني أم الصبي ووكل بها خدماً وختم الأبواب، ثم قال للصبي: قم يا أبا الغنائم إلى مولانا – يعني معز الدولة – فقد طلبك، وقد مات أبوك، فبكى الصبي وسعى إليه وعلق بدراعته وقال: يا عم الله الله في – يكررها – فضمه أبو الفضل إليه واستعبره وقال: ليس عليك بأس ولا خوف، وانحدروا إلى زبازبهم، فجلس أبو الفرج في زبزبه، وجلس أبو أبو الفرج في زبزبه وأجلس الغلام بين يديه، وأصعدت الزبازب تريد معز الدولة بباب الشماسية.
فقال أبو الفتح بن الحسين بن هارون: ما رأيت مثل هذا قط ولا سمعت، لعن الله الدنيا، أليس الساعة كان هذا الغلام في الصدر معظماً وخليفتا أبيه بين يديه، وما افترقا حتى صار بين أيديهما ذليلاً حقيراً، ثم جرى

من المصادرات على أهله وحاشيته ما لم يجر على أحدٍ.
قال أبو عليٍ محمد بن وشاحٍ الكاتب: قال لي أبو الحسن محمد بن عبيد الله بن سكرة الهاشمي من ولد المهدي:خرجت إلى الأهواز قاصداً للوزير أبي محمدٍ الحسن بن محمدٍ المهلبي مادحاً له، فلما وصلت إليه أنشدته:

قفي حيث انتهيت من الصدود ... ولا تتعمدي قتل العميد
فقد وهواك أجل حلفي ... حميت نظيرتيك من الهجود
هجرت مقيمةً وظعنت غضبي ... فخربت الحديد على الحديد
فراق ظعينةٍ وفراق رأيٍ ... يكرههما علي فراق جود
ثلاث ما اجتمعن على ابن حبٍ ... صدود في صدودٍ في صدود

قال وانصرفت، فلما كان من الغد استدعاني وقال: اسمع وأنشدني لنفسه:

أتاني في قميص اللاذ يمشي ... عدو لي يلقب بالحبيب
فقلت له فديتك كيف هذا ... بلاواشٍ أتيت ولا رقيب؟
فقال الشمس أهدت لي قميصاً ... رقيق الجسم من شفق الغروب
فثوبي والمدام ولون خدي ... قريب من قريبٍ من قريب

الحسن بن محمدبن أبي الشخباء

بن عبد الصمد بن أبي الشخباء أبو عليٍ العسقلاني صاحب الرسائل، مات فيما ذكره علي بن بسامٍ في كتاب الذخيرة في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائةٍ معتقلاً بمصر في خزانة البنود.

وكان يلقب بالمجيد ذي الفضيلتين، أحد البلغاء الفصحاء الشعراء، له رسائل مدونة مشهورة، قيل: إن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن البيساني منها استمد، وبها اعتد، وأظنه كتب في ديوان الرسائل للمستنصر صاحب مصر، لأن في رسائله جواباتٍ إلى الفساسيري، إلا أن أكثر رسائله أخوانيات، وما كتبه عن نفسه إلى أصدقائه ووزراء أمراء زمانه، وها انا أكطتب منها ما سنح لتعرف قدر بضاعته، ومغزى صناعته نظماً ونثراً. قال من قصيدة:

أخذت لحاظي من جنا خديك ... أرش الذي لاقيت من عينيك
هيهات، إني وزنت بمهجتي ... نظري إليك فقد ربحت عليك
غضي جفونك وانظري تأثير ما ... صنعت لحاظك في بنان يديك
وهو ويك نضح دمي وعز علي أن ... ألقاك في عرض الخطاب بويك
فسلكت في فيض الدموع مسالكاً ... قصرت بها يد عامرٍ وسليك
صانوك بالسمر اللدان وصنتهم ... بنواظرٍ فحميتهم وحموك
لو يشهرون سيوف لحظك في الوغى ... لاستقرؤوا فيها قنا أبويك

وقد كتب إلى صديقٍ له: لما حديت ركاب مولاي أخذ صبري معه، وصحبه فلبي وتبعه:

فعجبت من جسمٍ مقيمٍ سائرٍ ... كمسير بيت الشعر وهو مقيد

وبقيت أقاسي أموراً تخف الحليم، وترعي الهشيم، إن رجوت منها غفلةً اقتحمت، وإن رمت منها فرجةً تضايقت والتحمت، وأما الوحشة فقد اصطحبت منها كأساً مترعةً، وتجرعت من صابها أم جرعةً، ورأيت فؤادي إذا مر ذكر مولاي، يكاد يخرج من خدره، ويرغب في مفارقة صدره، حنيناً يجدده السماع، وصدوداً ينتفض منه الأضلاع وزفرةً يدمي في غرارها، ويطلع في الترائب شرارها:

أداري شجاها كي تخلي مكانها ... وهيهات ألقت رحلها واطمأنت

وأما ما أعاني بعد مسيره فأشياء: منها عيث الألم مرةً، وزوال الاستمتاع بما يعرفه من تلك المسرة، ومنها اضطراري إلى كثرة مكابرة من أعلم دخل سرائره، واختلاف باطنه وظاهره، وتكلف اللقاء له بصفحةٍ مستبشرةٍ، وأخلاقٍ غير متوعرةٍ، والله يعلم نفور طباعي ممن رآه أهل الأدب من الأدب غفلاً، ومن ذخائره مقفلاً، لكن السياسة تقتضي اعتماد ما ذكرت وتوجب قصد ما شرحت، وإن كان مورداً غير عذبٍ، وثقيلاً على العين والقلب:

ولربما ابتسم الفتى وفؤاده ... شرق الضلوع برنةٍ وعويل

ومنها انعكاس كثيرٍ من الآمال، وارتشاف الصبابة الباقية من الحال، بجوائح مصريةٍ وشاميةٍ، وفوادح أرضيةٍ وسماويةٍ، ولا أشكو بل أسلم له مذعناً، وأرى فعله كيف تصرفت الأحوال جميلاً حسناً:

ومن لم يسلم للنوائبأصبحت ... خلائقه طراً عليه نوائبا

والله تعالى المسؤول أن يهب لي من قرب مولاي ما يأسو هذه الكلوم، ويجددمن المسرة عافي الرسوم، فجميع الحوادث، وسائر النوائب الكوارث، إذا قربت الخطوة، واستجيبت هذه الدعوة، تمسي غير مذكورةٍ، وبجناح التجاوز مكفورةً.

وكتب إلى أبي الفرج الموفقي جواباً عن رقعةٍ: وصلت رقعة مولاي والصبح قد سل على الأفق مقضبه، وأزال بأنوار الغزالة غيهبه، فكانت بشهادة الله صبح الآداب ونهارها، وثمار البلاغة وأزهارها، قد توشحت بضروبٍ من الفضل تقصر قاصية المدى، ويجري به في مضمار الأدب مفرداً:

فكان روض الحسن تنثره الصبا ... فأطلت من قرطاسها أتصفح

فأما ما تضمنته من وصفي، فقد صارت حضرته السامية تتسمح في الشهادة بذلك مع مناقشتها في هذه الطريقة، وانها لا توقع ألفاظها إلا مواقع الحقيقة. فإن كنت قد بهرجت عليها فلتراجع نقدها تجدني لا أستحق من ذلك الإسهاب فصلاً، ولا أعد لكلمةٍ واحدةٍ منه أهلاً، وبالجملة فالله ينهضني بشكر هذا الإنعام الذي يقف عنده الثنا، ويضلع، ويحصر دونه الخطيب المصقع:

هيهات تعيي الشمس كل مرامقٍ ... ويعوق دون منالها العيوق

واما الفضل الذي أودعه الرقعة الكريمة من قوله: " فأما فلان فيحل في قومه، ويفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد، قدوره عمارية، وعطسات جواريه أسدية، ويهوين لو خلق الرجال خلق الضباب، يتضوعن

النشر العبقسي، ويرضعن مراضع ثعالة المجاشعي " وما أمرت حضرته السامية من ذكر ما عندي فيه فقد تأملته طويلاً، وعثر الخادم فيه بما أنا ذاكره، رغباً في الرضا بما بلغت إليه المقدرة، وتجليل ذلك بسجوف الصفح.

أما قوله: " يفرح بالضيوف فرح حنيفة بابن الوليد " فيقع لي أنه أراد خالد بن الوليد المخزومي، وذلك أن مسيلمة الحنفي كان قد تنبأ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم – وحديثه المشهور – فبعث إليه أبو بكرٍ – رضي الله عنه – خالد بن الوليد المقدم ذكره في جيشٍ كثيفٍ من المسلمين، ففتح اليمامة وقتل مسيلمة وأباد جماعةً كثيرةً من بني حنيفة. وأما قوله " قدوره عمارية " فإن هذا الفصل اما كان مبنياً على الذم وجب أن يتطلب لهذا السبب معنىً يجب حمله عليه، ولم نجد ما ينسب إليه إلا قول الفرزدق:

لو أن قدراً بكت من طول ما حبست ... عن الحقوق بكت قدر ابن عمار

ما مسها دسم مذ فض معدنها ... ولا رأت بعد نار اليقين من نار

وأما قوله: " عطسات جواريه أسدية " فيقوى وهمي أنه أراد قول الأول في هجائه:

إذا أسدية عطست فنكها ... فإن عطاسها طرق الوداق

واما قوله: " يهوين لو خلق الرجل خلق الضباب فإن الجاحظ ذكر في كتاب الحيوان، أن للضب أيرين وللضبة حرين، وحكى أن أير الضب أصله واحد، وإنما تفرق فيصير أعلاه اثنين، واستشهد على ذلك بقول الفرزدق:

رعين الدبا والبقل حتى كأنما ... كساهن سلطان ثياب مراجل

سبحل له نزكان كانا فضيلةً ... على كل حافٍ في البلاد وناعلٍ

والنزك: اسم أير الضب. وأنشد الأصمعي لابن دزماء فيما رواه أبو خالدٍ النميري:

تفرقتم لا زلتم قرن واحدٍ ... تفرق أير الضب والصل واحد

ومن هنا قالت حبى المدنية لما عذلها أبوها في تزوجها ابن أم كلابٍ:

وددت بأنه ضب وأني ... ضبيبة كديةٍ وجدت خلاء

وأما قوله " يتضوعن النشر " فمن أمثال العرب: هو أخسر صفقة من شيخ مهوٍ، وهو بطن من عبد القيس بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن نزار بن معد بن عدنان، وكان من خبره أن إياداً كانت أفسى العرب، فوفد وافدهم إلى الموسم بسوق عكاظ ومعه حلة نفيسة فقال: يا معشر العرب، من يشتري مني مثلبة قومٍ لا تضره بحلتي هذه؟ فقال الشيخ المهوي: أنا أشتريها. فقال الإيادي: أشهدكم يا معشر العرب أني قد بعت فساء إيادٍ لوافد عبد القيس بحلتي هذه، وتصافحا متراضين وقد شهد عليهما أهل الموسم، فصارت عبد القيس أفسى العرب. وقيل لابن مناذرٍ: كيف الطريق إلى عبد القيس؟ فقال شم ومر:

فإن عبد القيس من لؤمها ... تفسو فساءً ريحه تعبق

من كان لا يدري لها منزلاً ... فقل له يمشي ويستنشق

وأما قوله: أعطش من ثعالة المجاشعي، فمن أمثال العرب فيما ذكره الكلبي قال: هما رجلان من بني مجاشع عطشا فالتقم كل واحدٍ منهما أير صاحبه يشرب بوله، فلم يغن عنهما شيئاً، وماتا عطشاً ووجدا على تلك

الحال. قال جرير يهجو بني دارمٍ:
رضعتم ثم بال على لحاكم ... ثعالة حين لم يجدا الشرابا
هذا ما وقع لي في هذا الفصل، وأرجو أن أكون قد ذهبت إلى ما قصده قائله.
ومن كلامه يهنئ بكسر أتسز بن أوقٍ الغزي، وكان ذلك لثمان ساعاتٍ مضين من يوم الاثنين في العشر الأخيرة من جمادى الآخرة، سنة تسعٍ وستين وأربعمائةٍ:

" الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. فانقلبوا بنعمةٍ من الله وفضلٍ لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضلٍ عظيمٍ " قد ارتفع الخلاف بين الكافة أن الله ذخر للدولة الفاطمية – ثبت الله أركانها، من الحضرة العلية المنصورة الجيوشية – خلد الله سلطانها، من حمى سوادها، ونصر أعلامها، وضم نشرها، وحفظ سريرها ومنبرها، بعد أن كان العداء الذين ارتضعوا در أنعامها، وتوسموا بشرف أيامها، فطردت يد الاصطناع إملاقهم، وأثقلت قلائد الإحسان أعناقهم، فخفروا ذمم الولاء، وكفروا سوابغ الآلاء، ففجأتهم الحوادث من كل طريقٍ، زنعب بهم غراب الشتات والتفريق، واستباحتهم يد الشدائد " واتى الله بنيانهم من القواعد " ، ولم تزل النفوس منذ طرق أتسز اللعين هذه البلاد، وأنجم فيها الفساد، وتعدى حدود الله وكلماته، وتعرض لمساخطته ونقماته. عالمةً بأن إملاء الحضرة العلية – مد الله ظلها على الكافة – لم يكن عن استعمال رخصةٍ في هذه الحال، ولا سكونٍ إلى عوارض من الإغفال والإهمال، بل هو أمر ركب فيه متن التدبير، وجرت بمثله المقادير، واتبع فيه قوله تعالى: " فأمليت للذين كفروا، ثم أخذتهم فكيف كان نكير " وحين خدعته المطامع المردية إلى الأعمال القاهرة مؤملاً انفصام عروة الله المتينة، وأفول ما توقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ، سكنت النفوس إلى أن الحضرة العلية – ثبت الله مجدها – ستجرد له من عزماتها الماضية ما يعجل دماره، وتنتضي له من آرائها الكاملة ما يعفي آثاره، وحين اصطدمت الرجال، وتوالت الأنباء بانكسار اللعين، وما منحته الحضرة من النصر المبين، حتى نهبت الأموال وتحكمت السيوف بحكم القاد الغالب. وأكلتهم الحرب أكل الغرثان الساغب، وأنشبت فيهم أظفارها المنية، وكسيت الأرض من دمائهم حلةً عسجديةً، وولى المخذول على أدباره، ونكص على أعقابه بويبل أوزاره، يخاف من نجوم الليل أن ترجمه، ومن شمس النهار أن تصطلمه، وترك ما معه يقسم يميناً وشمالاً، ومن حشده يقتل ركباناً ورجالاً، علم أن لله تعالى عنايةً بالدولة الزاهرة، وتحقق أن له سبحانه رعايةً بالملة الطاهرة، تحوط أقطارها، وتضاعف أنوارها، ولطفاً خفياً بهذه الرعية، ومشيئةً نافذةً في هذه البرية، التي لولا مقام الحضرة العلية لمزق أديمها، واستبيح حريمها، والله المحمود على ما منح من هذه النعمة، والمسؤول أن يشد ببقاء الحضرة العلية قواعد الإسلام والأقلام، ويسم بمحامدها أغفال الأيام، ويستخدم لها السيوف والأقلام، حتى لا يبقى على وجه الأرض مفحص قطاةٍ إلا وقد دوخها سنابك خيولها، ولا مسقط نواة إلا وقد ركزت فيه صدور رماحها ونصولها، فقد دفعت – أدام الله جمال الدنيا ببقائها، وأعز كمال الدين ببأسها وأصالة رأيها – خطباً جسيماً، واستلقحت من السياسة أمراً عقيماً، وأعادت شمل الأمة ملموماً نظيماً " ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وكان فضل الله عليك عظيماً " فأما

العبد المملوك فقد تلاعبت به أيدي الأقدار، وقذفته العطلة في هوةٍ بعيدة الأقطار، وهو يعد نفسه ويوقيها، ويسوفها ويمنيها، أن مراحم، الحضرة نصر الله أعلامها، تعيد كساد بضاعته نفاقاً، واضطرب حاله انتظاماً واتساقاً، وسكون ريحه خفوقاً، وغروب حظه شروقاً، إن شاء الله تعالى.

زكتب إلى بعض إخوانه: أغب كتاب مولاي حتى أضرم ناراً في الفؤاد، وحالف بين جفني والسهاد:

ثم وافى بلفظه الرائق العذ ... ب وأغنى عن الزلال البرود

وقوله أيضاً:

وقرأته متنزهاً ... في روضه وغديره

جمع البلاغة كلها ... تختال بين سطوره

فالدر في منظومه ... والسحر في منثوره

وعرفت ذكر الشوق الذي هيج أحزاناً، ونكأ قرحاً لا يندمل زماناً، وإن عندي بشهادة الله ما يضرم ناره، ويشب أواره، والله تعالى، يسهل من ألطافه الخفية ما يجمع الشمل، ويصل الحبل، ويقرب الدار، ويدني المزار، بمحمدٍ وآله والأئمة الأطهار.

وأما حالي بعده، وارتياحي إلى ما عنده، وتأسفي على الفائت من أخلاقه التي هي من الحسن أدق، ومن الماء أصفى وأرق: فحال صب أخذ ما في فؤاده، وحولف بين طرفه وسهلاده، فحرم لذلك لذيذ رقاده، وأما عتبه علي لتأخر كتبي عنه، وبعدها منه: فهو يعلم – حرس الله مدته – أنني إذا واصلت أو أغببت أنه سمير لخاطري، وإن غاب عن ناظري، وهو نازل بضمائري، وإن بان من بين مخالطي ومعاشري:

يا غائباً عن ناظري ... وحاضراً في خاطري

لا تخش مني جفوةً ... فباطني كالظاهر

والله يعلم أني لم أغفل كتابه صرماً وهجراً، ولا أهملت مجاوبته نقضاً لمودته الكريمة ولا غدراً، فإنه من العين بمكان من السواد، ومن الصدر بموضع الفؤاد، وبسبب هذا الاعتقاد وما ذكرت من محض الوداد، أبثه أشجاناً، وأطلعه على أسراري إسراراً وإعلاناً، ثقةً بوده، وتمسكاً بوثيق عهده وعقده، لو رآني فسح الله مدته، وضاعف علي مودته، لرأى صباً قلبه خفيق، ودمعه طليق:

قلق الضمير بظبيةٍ وهنانةٍ ... فلها بقلبي هزة وعلوق

الوجه طلق والوشاح مهفهف ... والردف دعص والقوام رشيق

وتبسمت عن واضحٍ فضحت به ... سطع البروق ونم منه رحيق

هذه الأبيات تغني عما أردت أن أشرحه، وتنبيء عن مكنون ما سبيلي أن أثبته واوضحه، والله المسؤول أن يقضي مأربي بسعادة جده، ويزيل عني ما أخشاه بتمام إقباله ومجده، وكتابه هو فسحة للصدر، ومنية ما يطلب من الدهر، ولرأيه علوه في إمضائه إلي ووفوده علي.

وكتب إلى ابن المغربي يهنئه بالفتوح، – أدام الله بقاء سيدنا الوزير الأجل، وما سطع الصبح بعموده، وهمهم السحاب برعوده، وطلعت في الأفق أنجم سعوده – :

نعتده ذخر العلا وعتادها ... ونراه من كرم الزمان وجوده
الدهر يضحك من بشاشة بشره ... والعيش يطرب من نضارة عوده
فقد ألبس الله الدهر من مناقب الحضرة السامية ما أخرس الأئمة، وأفاض على الكلفة من آلائها ما تملك به رق المآثر، ويعجز عنه كل ناظمٍ وناثرٍ، يقصر عنه لسان البليغ ويفضل عن مقلة الناظر، فما ينفك – خلد الله أيامه – يذود عن الدولة برأيٍ صائبٍ، وحسامٍ قاضبٍ يتحاسد عليه الدرع والدراعة، ويتنافس فيه الصمصامة واليراعة، والملك بين هذين متين العماد، مستبحر الثماد:
ما زال قائد كتيبةٍ وكتيبةٍ ... بأصيل رأيي منصلٍ وفؤاد
شبهان من قلمٍ ومن صمصامةٍ ... شهراً ليوم ندىً ويوم جلاد
وما وقفت في هذا المقام موقفاً وحشياً، ولا وقع عندها موقعاً أجنبياً، بل اقتفت آثار أسلافٍ خفقت عليهم ألوية المعالي وبنودها، ووسمت بأسمائهم جباه الممالك وخدودها، وتحيف الكرم أموالهم وهي أثيثة الجناح، وذللت عزامهم النوب وهي شديدة الجماح:
كتاب ملكٍ يستقيم برأيهم ... أود الخلافة أو أسود الصباح
بصدور أقلام ترد إليهم ... سرف الرياسة أو صدور رماح
كان العبد خدم المجلس السامي بخدمةٍ قصدها التهنئة بما فتح الله تعالى من الظفر بالعدو الذي أطاع شيطانه، ومد في مضمار الغي أشطانه، واتبع ما أسخط الله وكره رضوانه، وجرى الله على جميل عادته في زلزلة أطواده، واستئصال أحزابه وأجناده، الذين غدت الرماح تستقي مياه نحورهم، والسيوف تنتهب ودائع صدورهم، والحمام يجول عليهم كل مجالٍ، ويستدنى إليهم نوازح الآجال:
ما طال بغي قط إلا غادرت ... فعلاته الأعمار غير طوال
فتح أضاء به الزمان وفتحت ... فيه الأسنة زهرة الآمال
وأرجو أن يكون التوفيق قضى بوصولها، وأذن في قبولها، فيمتد ظل، ويثري مقل، ويصوب عارض مستهل.
أيعجز فضلك عن خادمٍ ... وأنت بأمر الورى مستقل؟
وبحكم ما العبد عليه من تطلع الأمل القوي، وتوقع الإنعام الكسروي، عززها بهذه المناجاة، وإن كان على ثقةٍ أن رشاه قد ألقي في الغدير القريب، ورائده قد خيم بالمرتع الخصيب:
لو رأينا التوكيد خطة عجزٍ ... ما شفعنا الأذان بالتثويب
ولع – أدام الله عزه – الرأي العالي فيه، إن شاء الله تعالى.

وكتب إلى صارم الدولة بن معروفٍ: – أدام الله بقاء الحضرة الصارمية – يجري القدر على حسب أهويتها، ويعقد الظفر بعزائم ألويتها، ويحلى بذكرها ترائب الأيام العاطلة، وينجز بكرمها عدات الحظوظ المماطلة، ما أصحب الجامح، وأضاء السماك الرامح، وعافت الماء الإبل الطوامح.
وما سحبت في مفرق الأرض ذيلها ... خوافق ريحٍ للسحاب لواقح
إذا رفض الناس المديح وطلقوا ... بنات العلا زفت إليه المدائح

أيام الناس شهود مختلفة في الأقوال، وصنوف متباينة الأحوال، فيوم تؤرخ السير بسوددده وسنائه، وينطق بمحامد قومٍ ألسنة أبنائه، ويوم يخبو في موقف الجد شهابه، ويعبق بمسك المدام إهابه، فالحمد لله الذي جعل الحضرة سامية عقال الخطوب العوارم، ونظام المحاسن والمكارم، يعتدها الزمن نسيم أصائله، وزهر خمائله، وشموس مشارقه، وتيجان مفارقه، فيجب على كل من ضم اليراعة بنانه، وأطلق في ميدان البراعة عنانه، ألا يخلي مجلسه من مدحٍ معروضةٍ، وخدمٍ مفروضةٍ، يسهب فيها الواصف ويوجبها الإنعام المتراصف:

عسى منة تقوى على شكر منه ... وهيهات أعيا البحر من هو راشف
ولو كنت لا تولي يداً مستجدةً ... إلى أن توفى شكر ما هو سالف
حميت حريم المال من سطوة الندى ... وغاضت وحاشاها لديك العوارف
وكم عزمةٍ في الشكر كانت قويةً ... فأضعفها إحسانك المتضاعف
رعى الله من عم البرية عدله ... فأنصف مظلوم وأومن خائف
له منن في حرب خطب عواطف ... دماث وفي صدر الخطوب عواصف

فكم أهلٍ هدته نصر الله عزائمها بعد الضلال، وحرٍ استنقذته من حبائل الإقلال، ومرهقٍ خففت عنه وطأة الزمن المتثاقل، وطريدٍ بوأته من حرمها أمنع المعاقل:

منازل عزٍ لو يحل ابن مزنةٍ ... بها لسلا عما له من منازل
فيا صارماً يعطي وينسى عطاءه ... ولم نر سيفاً ذا وفاء ونائل
يكاد يفيض البرق من وجناته ... إذا ما أتاه سائل بوسائل
إذا هو عرى سيفه من عموده ... وأفضي بفضفاضٍ من السرد ذابل
وقد صبغ النقع النهاربصيغةٍ ... ترى ناصلاً منها بياض المناصل
رأيت متون الخيل تحمل ضيغماً ... مرير مذاق الكيد حلو الشمائل
يلذ له طعم الكماة كأنما ... جرى الشنب المعسول فوق العواسل
وكم أخرست أطرافها من غماغمٍ ... لأقرابه واستنطقت من ثواكل
من القوم تترك لهم عند كاشحٍ ... طوال ردينياتهم من طوائل
إذا ما سروا خلف العدو وهجروا ... تظلل من أرماحهم في ظلائل
وما ذبلت يوماً خميلة عزةٍ ... إذا زرعت فيها كعوب الذوابل
أوائل مجدٍ لم يزل فاخراً بها ... تميم بن مرٍ أو كليب بن وائل

ثم جاءته مناقب الحضرة العلية، فتم بها مناقب تميمٍ، وحكم لآل القعقاع أمر حكيم، ونصر لواء بني نصرٍ، وأبدرت أهلة بني بدرٍ، ونبه منبه هوازن، وظهرت مزينة ومازن، وضحك لعبسٍ عابس الدهر، وراحت الكملة كاملة الفخر، وزادت مغايظ الأزد، وقشرت قشيراً عن بلوغ المجد، وأغمدت سيوف بني غامدٍ، وصارت همدان كالجمر الهامد، ومذحج كالعنس مذللةً، وحمير بالراية الحمراء متظللةً، وطوت طيئ عملها استخذاءً، وغصت جفنة جفونها استحياءً – فحرس الله محاسن الحضرة السامية – التي جباه الأنام بها موسومة، وتمم نعمها التي هي بينها وبين الناس مقسومة، ولا زالت الدولة الفاطمية تحمد عزائمها التي

شهدت لها بمداومة الكفاءة وأنشرت من النصائح كل رميمٍ رفاتٍ:

كأنك حين ضل الناس عنها ... هديت إلى رضا هادي الرعاة

مزيل المال من ملك الأعادي ... وناظم شمله بعد الشتات

سيبنطق بالثناء على عليٍ ... وعترته المنابر صامتات

فقاد له إلى بغداد قوداً ... تجلى لحمها جنب الفرات

عليها كل داني الحلم ثبتٍ ... سفيه السيف من بعد الثبات

كأنهم إذا التحموا المنايا ... يقيدون الحياة من الممات

يسابقون إلى العدو الأعنة، فتطعن عزائمهم قبل الأسنة، ويقتدون بالحضرة السامية في خوض الرهج، وإرخاص المهج، وتحكل الأعباء، في موالاة أصحاب العباء – ولا سلب الله هذا الثغر وأهله – : ما وهب لهم من إنعامه الذي يتهافت إليهم متناسقاً، ويعيد غصن مجدهم ناصراً باسقاً:

إذا ما فلي الناس السماح عشقته ... وأحسن ما تسدى المكارم عاشقا

حمى الله من كيد الزمان خلائقاً ... وسعت بها يا بن الكرام خلائقا

إذا ظلموا كانت شموساً طوالعاً ... وإن أجدبوا كانت غيوثاً دوافقا

وقد زاد شهر الصوم ربعك صابحاً ... له بأفاويق السعود وغابقا

تنور بالقرآن أسداف ليله ... فيبيض منها كل ما كان غاسقا

تأرج من تقواك فيه لطائم ... يظل لها عرنين عاملك ناشقا

فعش أبداً ما شوهد الأفق أورقا ... وراح قضيب الأيك أخضر أورقا

إذا عد قوم للمعالي أخامصاً ... عددناك تيجاناً لها ومفارقا

الحسن بن محمدبن حمدون

بن الحسن بن محمد بن حمدون أبو سعد بن أبي المعالي بن أبي سعدٍ الكاتب. قد تقدم ذكر أبيه صاحب الديوان بهاء الدين أبي المعالي، وذكر عمه أبي نصرٍ محمد بن الحسن كاتب الإنشاء، وكان أبو سعدٍ هذا في حادي عشر المحرم سنة ثمانٍ وستمائةٍ كما نذكره فيما بعد. ومولدهفي صفرٍ سنة سبعٍ وأربعين وخمسمائةٍ. وكان – رحمه الله – من الأدباء العلماء الذين شاهدناهم، زكي النفس، طاهر الأخلاق، عالي الهمة، حسن الصورة، مليح الشيبة، ضخم الجثة، كث اللحية طويلها، طويل القامة، نظيف اللبسة، ظريف الشكل، وهو ممن صحبته فحمدت صحبته، وشكرت أخلاقه، وكان قد ولي عدة ولاياتٍ عاينت منها النظر في البيمارستان العضدي، وكانت هيبته فيه ومكانته منه أعظم من مكانة أرباب الولايات الكبار، لأن الناس يرونه بعين العلم والبيت القديم في الرياسة، ثم ولي عند الضرورة كتابة السكة بالديوان العزيز ببغداد، يرزق عشرة دنانير في الشهر، وسألته: فقلت حمدون الذي تنسبون إليه، أهو حمدون نديم المتوكل ومن بعده من الخلفاء؟ فقال: لا، نحن من آل سيف الدولة بن حمدان بن حمدون من بين تغلب، هذا صورة لفظه.

وكان من المحبين للكتب واقتنائها، والمبالغين في تحصيلها وشرائها، وحصل له من أصولها المتقنة وأمهاتها المعينة، ما لم يحصل أحد للكثير، ثم تقاعد به الدهر وبطل عن العمل، فرأيته يخرجها ويبيعها وعيناه تذرفان بالدموع كالمفارق لأهله العزاء، والمفجوع بأحبابه الأوداء. فقلت له: هون عليك – أدام الله أيامك – فإن الدهر ذو دولٍ، وقد يسعف الزمان ويساعد وترجع دولة العز وتعاود، فتستخلف ماهو أحسن منها وأجود. فقال: حسبك يا بني: هذه نتيجة خمسين سنةً من العمر أنفقتها في تحصيلها، وهب أن المال يتيسر. والأجل يتأخر –وهيهات – فحينئذٍ لا أحصل من جمعها بعد ذلك إلا على الفراق، الذي ليس بعده تلاقٍ، وأنشد بلسان الحال:

هب الدهر أرضاني وأعتب صرفه ... وأعقب بالحسنى وفك من الأسر

فمن لي بأيام الشباب التي مضت ... ومن قبل بما قد مر في البؤس من عمري؟؟

ثم أدركته منيته ولم ينل أمنيته، وكان حرصاً على العلم، فجمع من أخبار العلماء، وصنف من أخبار الشعراء وألف كتباً كان لا يجسر على إظهارها خوفاً مما طرق أباه مع شدة احترازٍ، وبالجملة: فعاش في زمن سوءٍ وخليفةٍ غشومٍ جائرٍ، كان إذا تنفس خاف أن يكون على نفسه رقيب يؤدي به إلى العطب، وهو كان آخر من بقي من هذا البيت القديم، والركن الدعيم، ولم يخلف إلا ابنةً مزوجةً من ابن الدوامي، وما أظنها معقبةً أيضاً، وكان مع اغتباطه بالكتب ومنافسته ومناقشته فيها جواداً بإعارتها، ولقد قال لي يوماً – وقد عجبت من مسارعته إلى إعارتها للطلبة – : ما بخلت بإعارة كتابٍ قط ولاأخذت عليه رهناً. ولا أعلم أنه مع ذلك فقد كتاباً في عاريةٍ قط. فقلت: الأعمال بالنيات، وخلوص نيتك في إعارتها لله حفظها عليك.

وكتب بخطه الرائق طرائف الكتب الكثيرة الكبار والصغار المروية، وقابلها وصححها وسمعها على المشايخ. فكان ممن لقي من المشايخ: أبو بكرٍ محمد بن عبيد الله الزاغوني، والنقيب أبو جعفرٍ أحمد بن محمد بن عبدٍ العباسي المكي، وأبو حامدٍ محمد بن الربيع الغرناطي مغربي قدم عليهم، وأبو المعالي محمد بن محمد بن النحاس العطار، ووالده أبو المعالي بن حمدون، وأبو الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان المعروف بابن البطي، وجماعة بعدهم كثيرة كابن كليب الحراني، وابن بوشٍ وغيرهم.

وروى شيئاً من مسموعاته يسيراً، وكان مؤيد الدين محمد بن محمدٍ القمئ نائب الوزارة ببغداد: قد خرج إلى ناحية خوزستان حيث عصى سنجر مملوك الخليفة بها حتى قبض عليه وعاد به وفي صحبته عز الدين نجاح الشرابي، فخرج الناس لتلقيه عند عوده في المحرم سنة ثمانٍ وستمائةٍ، وكان تاج الدين فيمن يخرج خرج لتلقيه عند عوده في المحرم سنة ثمانٍ وستمائةٍ، وكان عبلاً ترفاً معتاداً للدعة والراحة، ملازماً لعقر داره، وكان الحر شديداً والوقت صائفاً، فلما انتهى إلى المدائن اشتد عليه الحر وتكاثف، حتى أفضى به إلى التلف، فمات – رحمه الله – في الوقت المقدم ذكره بالمدائن، بينه وبين بغداد سبعة فراسخ، فحمل إلى بغداد ودفن بمقبرة موسى بن جعفرٍ بباب التين ت رحمه الله، ورضي عنه.

الحسن بن محمدٍ الصغاني النحوي

ويقال صاغان – من بلاد ما وراء النهر – قدم العراق وحج، ثم دخل اليمن ونفق له بها سوق، وكان

ورووده إلى عدن سنة عشرٍ وستمائةٍ، وله تصانيف في الأدب، منها: تكملة العزيزي، وكتاب في التصريف ومناسك الحج ختمه بأبياتٍ قالها وهي:

شوقي إلى الكعبة الغراء قد زادا ... فاستحمل القلص الوخادة الزادا

أراقك الحنظل العامي منتجعاً ... وغيرك انتجع السعدان وارتادا

أتعبت سرحك حتى آض عن كثبٍ ... نياقها رزحاً والصعب منقادا

فاقطع علائق ما ترجوه من نشب ... استودع الله أموالاً وأولادا

وكان يقرأ عليه بعدن معالم السنن للخطابي، وكان معجباً بهذا الكتاب وبكلام مصنفه ويقول: إن الخطابي جمع لهذا الكتاب جراميزه، وقال لأصحابه: احفظوا غريب أبي عبيدٍ القاسم بن سلامٍ، فمن حفظه ملك ألف دينارٍ، فإني حفظته فملكتها، وأشرت على بعض أصحابي بحفظه وملكها. وفي سنة ثلاث عشرة وستمائةٍ كان بمكة، وقد رجع من اليمن وهو آخرالعهد به.

الحسن بن المظفر النيسابوري

أبو عليٍ، أديب نبيل، شاعر مصنف، ذكره أبو أحمد بن أرسلان في تاريخ خوارزم فقال: مات أبو عليٍ الحسن بن المظفر الأديب الضرير النيسابوري ثم الخوارزمي في الرابع من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وأربعمائةٍ، وأثنى عليه ثناءً طويلاً زعم فيه أنه كان مؤدب أهل خوارزم في عصره، ومخرجهم وشاعرهم ومقدمهم والمشارإليه منهم، وهو شيخ أبي القاسم الزمخشري قبل أبي مضر، وله نظم ونثر. وذكر أن له ولداً اسمه عمر وكنيته أبو حفصٍ، أديب فقيه فاضل، وله شعر منه:

سبحان من ليس في السماء ولا ... في الأرض ند له وأشباه

أحاط بالعالمين مقتدراً ... أشهد أن لا إله إلا هو

وخاتم المرسلين سيدنا ... أحمد رب السماء سماه

أشرقت الأرض بعد بعثته ... وحصحص الحق من محياه

ومات أبو حفصٍ هذا في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائةٍ ووجدت للحسن بن المظفر من التصانيف: كتاب تهذيب ديوان الأدب، وكتاب تهذيب إصلاح المنطق، وكتاب ذيله على تتمة اليتيمة لم أقف على اسمه، كتاب ديوان شعره مجلدتان، كتاب ديوان رسائله، كتاب محاسن من اسمه الحسن، كتاب زيادات أخبار خوارزم. نقلت من الكتاب الذي وصل به تتمة اليتيمة، وذكر فيه أشياء من شعره ورسائله ختم بها كتابه، وهو أنه قال: الحسن بن المظفر النيسابوري مؤلف الكتاب: نيسابوري المحتد، خوارزمي المولد، وممن كان عارفاً بنفسه، غير مفتونٍ بنظمه ونثره، فإنه سلك طريق أبي منصور الثعالبي – رحمه الله – فيما أورده من شعره في آخر كتاب تتمة اليتيمة، فأورد نبذاً مما يستحسن من كلامه، ويستبدع مننظامه، فمن نثره الساذج رقعة له:

عرف الله الشيخ الرئيس بركة شهر رمضان، ووفقه من طاعته لما يكتسب به من العفو، ولولا العذر الواقع من الوصول لقصدت مجلسه – أعلاه الله – بالتهنئة والتسليم وقضاء حقه العظيم، هذا – أدام الله تمكينه – وعهدي به يعدني من جملة عياله، ويخصني كل وقتٍ بأفضاله، فليت شعري لم عدل إلى الفطام من ذلك الإنعام؟ فإن كان نسيان فقد جاءه ذكرى، وإن كان هجران فحاشاه من هجري. وله من أخرى: الشيخ يسترق الأحرار بعوائد فضله وبواديه، حتى لا حر بواديه. ومن نظمه:

أهلاً بعيشٍ كان جد موات ... أحيا من اللذات كل موات
أيام سرب الأنس غير منفرٍ ... والشمل غير مروعٍ بشتات
عيش تحسر ظله عنا فما ... أبقى لنا شيئاً سوى الحسرات
ولقد سقاني الدهر ماء حياته ... والآن يسقيني دم الحيات
لهفي لأحرارٍ منيت ببعدهم ... كانوا على غير الزمان ثقاتي
قد زالت البركات غنى كلها ... بزيال سيدنا أبي البركات
ركن العلا والمجد والكرم الذي ... قد فات في الحلبات أي فوات
فارقت طلعته المنيرة مكرهاً ... فبقيت كالمحصور في الظلمات
أضحي وأمسي صاعداً زفراتي ... لفراقه متحدراً عبراتي

وأنشد فيه لنفسه:

جبينك الشمس في الأضواء والقمر ... يمينك البحر في الإرواء والمطر
وظلك الحرم المحفوظ ساكنه ... وبابك الركن للقصاد والحجر
وسيبك الرزق مضمون لكل فمٍ ... وسيفك الأجل الجاري به القدر
أنت الهمام بل البدر التمام بل الس ... يف الحسام بل الصارم الذكر
وأنت غيث الأنام المستغاث به ... إذا أغارت على أبنائها الغير

وأنشد انفسه:

أريا شمالٍ أم نسيم من الصبا ... أتانا طروقاً أم خيال لزينبا؟
أم الطالع المسعود طالع أرضنا ... فأطلع فيها للسعادة كوكباً؟

قال أبو عليٍ الضرير: رأيت ابن هودار في المنام بعد موته فقلت له: لقد تحولت من دارٍ إلى دارٍ، فهل رأيت قراراً يا بن هودار؟ قال: فأجابني:

لا بل وجدت عذاباً لا انقطاع له ... مدى الليل وروباً غير غفار
ومنزلاً مظلماً في قعر هاويةٍ ... قرنت فيها بكفارٍ وفجار
فقل لأهلي موتوا مسلمين فما ... للكافرين لدي الباري سوى النار

الحسن بن ميمونٍ النصري

أحد بني نصر بن قعين بن طريف بن أسد بن خزيمة. روى عنه محمد بن النطاح، وكان أخيارياً عارفاً، ذكره محمد بن إسحاق وقال: له من الكتب كتاب الدولة، كتاب المآثر.

الحسن بن أبي المعالي

ابن مسعود بن الحسين أبو عليٍ الحلي المعروف بابن الباقلاني النحوي. ولد سنة ثمانٍ وستين وخمسمائةٍ، وهو أحد أئمة العربية في العصر، سمع من أبي الفرج بن كليبٍ وغيره، وقرأ العربية على أبي البقاء العكبري، واللغة على أبي محمد بن المأمون، وقرأ الكلام والحكمة على الإمام نصير الدين الطوسي، وانتهت إليه الرياسة في هذه الفنون وفي علم النحو، وأخذ فقه الحنفية عن أبي المحاسن بن إسماعيل الدانغاني الحنفي، ثم انتقل إلى مذهب الإمام الشافعي، وكان ذا فهمٍ ثاقبٍ وذكاءٍ وحرصٍ على العلم، وكان كثير المحفوظ – وكتب الكثير بخطه – ذا وقارٍ مع التواضع ولين الجانب، لقيته ببغداد سنة سبعٍ وثلاثين وستمائةٍ، وكان آخر العهد به.

أبو الحسن البوراني النحوي

ذكره محمد بن إسحاق في نحاة المعتزلة ووصفه بالتدقيق في مسائل الكتاب لسيبويه، وكان من طبقة أبي عليٍ الفارسي.

الحسين بن أحمد بن بطويه

أبو عبد الله النحوي لا أعلم من أمره شيئاً، ومن شعره:

وماذا عليهم لو أقاموا فسلموا ... وقد علموا أني مشوق متيم
سروا ونجوم الليل زهر طوالع ... على أنهم في الليل للناس أنجمد
وأخفوا على تلك المطايا مسرهم ... فنم عليهم في الظلاء التبسم

وقال:

وإذا الدر زان حسن وجوهٍ ... كان للدر حسن وجهك زينا

وتزيدين أطيب الطيب طيباً ... إن تمسيه أين مثلك أينا؟

الحسين بن أحمد بن خالويه

ابن حمدان أبو عبد الله اللغوي النحوي من كبار أهل اللغة والعربية أصله من همذان، ودخل بغداد طالباً للعلم سنة أربع عشرة وثلاثمائةٍ، فلقي فيها أكابر العلماء وأخذ عنهم، فقرأ القرآن على الإمام ابن مجاهدٍ، والنحو والأدب على أبي بكر بن دريدٍ وأبي بكر بن الأنباري ونفطويه، وأخذ اللغة عن أبي عمر الزاهد، وسمع من محمدٍ بن مخلدٍ العطار وغيره.

وقرأ على أبي سعيدٍ السيرافي، وأخذ عنه المعافا بن زكريا النهرواني وآخرون، وانتقل إلى الشام ثم إلى حلب فاستوطنها، وتقدم في العلوم حتى كان أحد أفراد عصره، وكانت الرحلة إليه من الآفاق، واختص بسيف

الدولة بن حمدان وبنيه، وقرأ عليه آل حمدان، وكانوا يجلونه ويكرمونه، فانتشر علمه وذاع صيته وله مع أبي الطيب المتنبي مناظرات. ودخل يوماً على سيف الدولة فلما مثل بين يديه قال له: اقعد ولم يقل اجلس. قال ابن خالويه: فعلمت بذلك اعتلاقه بأهداب الأدب، واطلاعه على أسرار كلام العرب. قلت " قال ابن خالويه ذلك هذا، " لأنه يقال للقائم اقعد، وللنائم والساجد اجلس " .

وقال أبو عمرٍو الداني في طبقات القراء: كان ابن خالويه عالماً بالعربية، حافظاً للغة، بصيراً بالقراءة ثقةً مشهوراً، روى عنه غير واحدٍ من شيوخنا عند المنعم بن غلبون، والحسن بن سليمان وغيرهما. وروى أن رجلاً جاء إلى ابن خالويه وقال له: أريد أن أتعلم من العربية ما أقيم به لساني، فقال: أنا منذ خمسين سنة أتعلم النحو فما تعلمت ما أقيم به لساني.

وذكر ابن خالويه في أماليه: أن سيف الدولة سأل جماعةً من العلماء بحضرته ذات ليلةٍ: عل هل تعرفون اسماً ممدوداً وجمعه مقصور؟ فقالوا: لا، فقال لي: ما تقول أنت؟ قلت: أنا أعرف اسمين، قال: ما هما؟ قلت: لا أقول لك إلا بألف درهمٍ لئلا تؤخذ بلا شكرٍ، وهما الصحراء وصحارى، وعذراء وعذارى. قال: سمعت ابن الأنباري يقول: اللئيم الراضع الذي يتخلل ويأكل خلالته.

وقال: حدثنا نفطويه عن أبي الجهم عن الفراء أنه سمع أعرابياً يقول: قضت علينا السلطان. قلت: السلطان يذكر ويؤنث والتذكير أعلى، ومن أنثه ذهب به إلى الحجة، وحكي عن أبي عمر الزاهد أنه قال في معنى قوله صلى الله عليه وسلم: " إذا أكلتم فرازموا " أي افصلوا بين اللقمة والطعام باسم الله تعالى.

وحكى عنه أبو بكرٍ الخوارزمي وهو من تلامذته أنه قال: كل عطرٍ مائعٍ فهو الملاب، وكل عطر يابسٍ فهو الكباء، وكل عطرٍ يدق فهو الألنجوج. ولابن خالويه من التصانيف: كتاب أسماء الأسد ذكر له فيه خمسمائة اسمٍ، وإعراب ثلاثين سورةً، والبديع في القراءات، وكتاب اشتقاق خالويه، وكتاب " ليسن " وهو كتاب نفيس، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الحمل في النحو، وكتاب المقصود والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، وشرح مقصورة ابن دريدٍ، وكتاب الألفات، وكتاب الآل، ذكر في أوله أن الآل ينقسم إلى خمسةٍ وعشرين قسماً، وذكر فيه الأئمة الاثني عشر ومواليدهم ووفياتهم وغير ذلك. مات ابن خالويه في حلب سنة سبعين وثلاثمائةٍ. ومن شعره:

أجود طبعي وليس لي مال ... فكيف يبذل من القرض يحتال؟
فهاك حظي فخذه اليوم تذكرةً ... إلى اتساعي فلي في الغيب آمال

وقال:

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً ... فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائلٍ مالي رأيتك راجلاً ... فقلت له من أجل أنك فارس

وقال:

أيا سائلي عن قد محبوبتي الذي ... كلفت به وجداً وهجت غراما
أبى قصر الأغصان ثم رأى القنا ... طوالاً فأضحى بين ذاك قواما

الحسين بن أحمد بن محمد

ابن جعفر بن محمدٍ المعروف بابن الحجاج الكاتب الشاعر أبو عبد الله شاعر مفلق قالوا إنه في درجة امرئ القيس، لم يكن بينهما مثلهما وإن كان جل شعره مجون وسخف، وقد أجمع أهل الأدب على أنه مخترع طريقته في الخلاعة والمجون لم يسبقه إليها أحد، ولم يلحق شأوه فيها لاحق، قدير على ما يريده من المعاني الغاية في المجون مع عذوبة الألفاظ وسلاستها، وله مع ذلك في الجد أشياء حسنة لكنها قليلة، ويدخل شعره في عشر مجلداتٍ أكثره هزل مشوب بألفاظ المكدين والخلديين والشطار ولكنه يسمعه أهل الأدب على علاته، ويتفكهون بشمراته، ويستملحون بنات صدره المتهتكات، ولا يستثقلون حركاتهن لخفتها وإن بلغت في الخفة غاية الغايات.

وإني لأقول كما قال أبو منصورٍ: لولا قول إبراهيم بن المهدي: إن جد الأدب جد وهزله هزل، لصنت كتابي هذا عن مثل هذا المجون. وحديثٍ كله ذو شجونٍ.

ولقد مدح الملوك والمراء والوزراء والرؤساء، فلم يخل شعره فيهم من هيبة المقام من هزلٍ وخلاعةٍ. فلم يعدوه مع ذلك من الشناعة، وكان عندهم مقبولاً مسموعاً غالي المهر والسعر، وكان يتحكم على الأكابر والرؤساء بخلاعته، ولا يحجب عن المراء والوزراء مع سخافته، يستقبلونه بالبشاشة والإكرام، ويقابلون إساءته بالإحسان والإنعام، وناهيك برجلٍ يصف نفسه بمثل قوله:

رجل يدعي النبوة في السخ ... ف ومن ذا يشك في الأنباء
جاء بالمعجزات يدعو إليها ... فأجيبوا يا معشر السخفاء
حدث السن لم يزل يتلقى ... علمه بالمشايخ الكبراء
خاطر يصفع الفرزدق في الشع ... ر ونحو ينيك أم الكسائي
غير أني أصبحت أضيع في القو ... م من البدر في ليالي الشتاء

وقوله في وصف شعره:

بالله يا أحمد بن عمروٍ ... تعرف للناس مثل شعري؟
شعر يفيض الكنيف منه ... من جانبي خاطري وفطري
فلفظه منتن المعاني ... كأنه فلتة بجحر
لو جد شعري رأيت فيه ... كواكب الليل كيف تنسري
وإنما هزله مجون ... يمشي به في المعاش أمري

وقال:

فإن شعري ظريف ... من بابة الظرفاء
ألذ معنىً وأشهى ... من أسماع الغناء

وقال:

إن عاب ثعلب شعري ... أو عاب خفة روحي

خرئت في باب أفعل ... ت من كتاب الفصيح
وقال في الأمير عز الدولة بختيار:
فديت وجه الأمير من قمرٍ ... يجلو القذى نوره عن البصر
فديت من وجهه يشككني ... في أنه من سلالة البشر
إن زليخا لو أبصرتك لما ... ملت إلى الحشر لذة النظر
ولم تقس يوسفاً إليك كما ... نجم السهى لا يقاس بالقمر
وكان يا سيدي قميصك إن ... هربت منها ينقد من دبر
بل وحياتي لوكنت يوسفها ... لم تك من تهمة العزيز بري
لأنني عالم بأنك لو ... شممت ريا نسيمها العطر
سنقتها وانزلقت تتبعها ... ما بين تلك الييوت و الحجر
وقد علمنا بأن سيدناال ... أمير ممن يقول بالبظر
ولم تكن تلك تشتكي أبداً ... ما كان من يوسفٍ من الحذر
طبعك كالماء في سهولته ... لكن أبو الزبرقان من حجر
إن الملوك الشباب ما خلقوا ... إلا صلاب الفياش والكمر
وقال يشكو سوء وابعث بها إلى ابن العميد:
فداؤك نفس عبدٍ أنت مولىً ... له يرجوك يا خير الموالي
حديثي منذ عهدك بي طويل ... فهل لك في الأحاديث الطوال؟
فإني بين قومٍ ليس فيهم ... فتىً ينهي إلى الملك اختلالي
فلحمي ليس تطبخه قدوري ... وحوتي ليس تقليه المقالي
وماءئ قد خلت منه جبابي ... وخبزي قد خلت منه سلالي
وكيسي الفارغ المطروح خلفي ... بعيد العهد بالقطع الحلال
أفكر في مقامي وهو صعب ... وأصعب منه عن وطني ارتحالي

فبي مرضان مختلفان حالي ال ... عليلة منهما تمسي بحال
إذا عالجت هذا جف كبدي ... وإن عالجت ذلك ربا طحالي
وقال في مثل ذلك أيضاً:
يا سيد عشت في نعمٍ ... تأوي إليها موابذ العجم
بديهتي في الخصام حاضرة ... أشهر في الخافقين من علم
والخط خطي كما تراه ولا ال ... زهرة بين القرطاس والقلم
هذا وخبزي حافٍ بلا مرقٍ ... فكيف لو ذقت لذة الدسم؟
مالي وللحم إن شهوته ... قد تركتني لحماً على وضم

وما لحلقي والخبز يجرحه ... بالملح يشكو مرارة اللقم

وقال في مثل ذلك:

خليلي قد اتسعت محنتي ... علي وضاقت بها حيلتي

عذرت عذاري في شيبه ... وما لمت إذ شمطت لمتي

إلى كم يخاسسني دائماً ... زماني المقبح في عشرتي

تحيفني ظالماً غاشماً ... وكدر بعد الصفا عيشتي

وكنت تماسكت فيما مضى ... فقد خانني الدهر في مسكتي

إلى منزلٍ لا يوارى إذا ... تربعت فيه سوى سوءتي

مقيماً أروح إلى حجرةٍ ... كقبري وما حضرت ميتتي

إذا ما لم ألم صديقي به ... على رغبةٍ منه في زورتي

فرشت لع فيه بسط الحدي ... ث من باب بيتي إلى صفتي

ومعدته في خلال الكلا ... م تشكو خواها إلى معدتي

وقد فت في عضدي ما به ... ولكن به غلبت علتي

وأغدو غدواً خليقاً بأن ... يزيد به الله في شقوتي

فأية دارٍ تيممتها ... تيمم بوابها حجتي

وإن أنا زاحمت حتى أموت ... دخلت وقد زهقت مهجتي

فيرفعني الناس عند الوصول ... إليهم وقد سقطت عمتي

وإن نهضوا بعد للإنصرا ... ف أسرعت في إثرهم نهضتي

وإن قدموا خيلهم للركوب ... خرجت فقدمت لي ركبتي

وفي جمل الناس غلمانهم ... وليس سوائي في جملتي

ولا لي غلام فأدعو به ... سوى من أبوه أخو عمتي

وكنت مليحاً أروق العيو ... ن قبلاً فقد قبحت خلقتي

وقوسني الهم حتوى انطويت ... فصرت كأني أبو جدتي

وكان المزين فيما مضى ... تكسر أمشاطه طرتي

وكنت برأسٍ كلون الغداف ... فقد صرت أصلع من فيشتي

ويا رب بيضاء رود الشبا ... ب كانت تحن إلى وصلتي

فصارت تصد إذا أبصرت ... مشيبي وتغضبت من صلعتي

على أنني قلت يوماً لها ... وقد أمضت العزم في هجرتي

دعي عنك ما فوقه عمتي ... فإن جمالي ورا تكتي

هناك سيء يسر العيو ... ن طويل عريض على دقتي

وقال:

ويحكم يا كهول أو يا شيوخ ال ... فسق أو يا معشر الفتيان
إشربوها حمراء مما اقتناها ... آل دير العاقول للقربان
بكؤوسٍ كأنها ورق النس ... رين فيها شقائق النعمان
إشربوها وكل إثمٍ عليكم ... إن شربتم بالرطل في ميزاني
في ليالٍ لو أنها دفعتني ... وسط ظهري وقعت في رمضان
وقال يستهدي أبا تغلب بن حمدان فرساً:
اسمع المدح الذي لو قيل في ... أحدٍ غيرك قالوا سرقا
جاء يهديك مهراً أدهماً ... يركب الفارس منه غسقا
كالدجى تبصر من غرته ... فوق أطباق دجاه فلقا
جل أن يلحق مطلوباً ومن ... طلب الريح عليه لحقا
فتراه واقفاً في سرجه ... يتلظى من ذكاه قلقا
فإذا طاب به المشي مضى ... وهو كالريح يشق الطرقا
كالسحاب الجون إلا أنه ... ليس يسفي الأرض إلا عرقا
جمع الأمرين يعدو المرطي ... في مدى السبق ويمشي العنقا
واستدعاه الوزير للخروج معه إلى القتال فقال من قصيدةٍ:

يا سائلي عن بكاي حين أرى ... دموع عيني تسابق المطرا
ساعة قيل الوزير منحدر ... أسرع دمعي وفاض منحدرا
وقلت يا نفس تصبرين وهل ... يعيش بعد الفراق من صبرا؟
شاورته والهوى يفتته ... والرأي رأي الصواب قد حضرا
أهوى انحداري والحزم يكرهه ... وتارك الحزم يركب الغررا
لأنني عاقل ويعجبني ... لزوم بيتي وأكره السفرا
الخيش نصف النهار يعجبني ... والماء بالثلج بارداً خصرا
والشرب في روشني أقول به ... كيما أرى منه والقمرا
ولا أقود الخيل العتاق بلى ... أسوق بين الأزقة البقرا
من كل جاموسةٍ لعنبلها ... رأس بقرنيه يفلق الحجرا
قد نفخ الشحم جوفها فغدا ... كأنه بطن ناقةٍ عشرا
تركض مثل الحصان نافرةً ... ومن يرد الحصان إن نفرا؟
أحسن في الحرب من صفوفكم ... غداً قعودي أصفف الطررا
هيهات أن أحضر القتال وأن ... ترى بعينيك فيه لي أثرا
بل الذي لا يزال يعجبني ال ... دبيب بالليل خاءفاً حذرا

الدف عند الصباح دبدبتي ... وبوقي الناي كلما زمرا
هذا اعتقادي وهكذا أبداً ... أرى لنفسي وأنت كيف ترى؟

ومن مقطعاته:

ملك لو لم يكن من ملكه ... غير دارٍ وشحت بالنعم
لو رمى شداد فيها طرفه ... زهدته بعدها في إرم

وقال:

صنعت في دارك فوارةً ... أغرقتفي الأرض بها الأنجما
فاض على نجم السهى ماؤها ... فأصبحت أرضك تسقي السما

وقال:

واستوفعمر الدهر في نعمةٍ ... دون مداها موقف الحشر
مصيبة الحاسد في مكثها ... مصيبة الخنساء في صخر

وقال:

هذا حديثي تنمي عجائبه ... بكثرة القال فيه والقيل
أعجزني دفنه فشاع كما ... أعجز قاييل دفن هابيل

وقال:

قد رفع الصلح على غلتي ... واقتسموها كارةً كارةً
لا يفلس البقال إلا إذا ... تصالح السنور والفارة

وقال:

عجبت من الزمان وأي شيءٍ ... عجيبٍ لا أراه من الزمان
يصادر قوت جرذانٍ عجافٍ ... فيجعله لأوعالٍ سمان

وقال:

يا رائحاً في داره غادياً ... بغير معنىً وبلا فائده
قد جن أضيافك من جوعهم ... فاقرأ عليهم سورة المائده

وقال:

فديت من لقبني مثل ما ... لقبته والحق لا يغضب
إن قلت يا عرقوب خادعتني ... يقول لم نفسك يا أشعب

وقال:

قد قلت لما غدا مدحي فما شكروا ... وراح ذمي فما بالوا ولا شعروا
علي نحت القوافي من معادنها ... وما علي إذ لم تفهم البقر

وقال:

الصبح مثل البصير نوراً ... والليل في صورة الضرير

فليت شعري بأي رأيٍ ... يختارأعمى على بصير؟

وقال:

إن بني برمك لو شاهدوا ... فعلك بالغائب والشاهد

ما اعترف الفضل بيحيى أباً ... ولا انتمى يحيى إلى خالد

وقال:

مولاي يا من كل شيءٍ سوى ... نظيره في الحسن موجود

إن كنت أذنبت بجهلي فقد ... أذنب واستغفر داود

ولطائف ابن الحجاج كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية. توفي يوم سابع عشر جمادى الآخرة، سنة إحدى وتسعين وثلاثمائةٍ، ودفن في بغداد عند مشهد موسى الكاظم بن جعفرٍ الصادق – رضي الله عنهما – وكان أوصى أن يدفن عند رجليه ويكتب على قبره: " وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد " . وكان من كبار شعراء الشيعة وقد رآه بعض أصحابه في المنام بعد موته فقال له: ما حالك فأنشد:

أفسد سوء مذهبي ... في الشعر حسن مذهبي

لم يرض مولاي على ... سبي لأصحاب النبي

ورثاه الشريف الرضي الموسوي بقصيدةٍ ارتجلها حين أتاه نعيه فقال:

نعوه على ضن قلبي به ... فلله ماذا نعى الناعيان

رضيع صفاء له شعبة ... من القلب مثل رصيع اللبان

بكيتك للشرد السائرا ... ت تعبث ألفاظها بالمعاني

مواسم ينهل منها الحيا ... بأشهر من مطلع الزبرقان

جوائف تبقى أخاديدها ... عماقاً وتعفو ندوب الطعان

تبض إلى اليوم آثارها ... بأحمر من عائد الطعن قاني

قعاقعهن تشن الحتوف ... إذا هن أوعدن لا بالشنان

وما كنت أحسب أن المنون ... تفل مضارب ذاك اللسان

لسان هو الأزرق القعضبي ... تمضمض في ريقه الأفعواني

له شفتا مبرد الهالكي ... أنحى بجانبه غير واني

إذا لز بالعرض مبراته ... تصدع صدع الرداء اليماني

يرى الموت أن قد طوى مضغةً ... ولم يطو إلا غرار السنان

فأين تسرعه للنضال ... وهباته للطزال اللدان

يشل الجوائح شل السياط ... ويلوي الجوانح لي العنان

فإن شاء كان حران الجماح ... وإن شاء كان جماح الحران

يهاب الشجاع غدامير ... على البعد منه مهاب الجبان

وتعنو الملوك له خيفةً ... إذا راع قبل اللظى بالدخان
وكم صاحب كمناط الفؤاد ... عناني من يومه ما عناني
قد انتزعت يدي من المنون ... ولم يغن ضمي عليه بناني
فزال زيال الشباب الرطيب ... وخانك يوم لقاء الغواني
ليبك الزمان طويلاً عليك ... فقد كنت خفة روح الزمان

الحسين بن الحسن بن واسان

ابن محمدٍ أبو القاسم الواساني الدمشقي توفي سنة أربعٍ وتسعين وثلاثمائةٍ، شاعر مجيد برع وبرز في الهجاء، له فيه نفس طويل، فهو في عصره كابن الرومي في زمانه، وله أهاجٍ كثيرة في ابن القزاز لعداوةٍ تأصلت بينهما، وكان هجاؤه له سبباً لعزل الواساني عن عمله، ومن أجود شعره قصيدته النونية التي وصف بها دعوةً عملها في خمرايا من قرى دمشق قال:

من لعينٍ تجود بالهملان ... ولقلبٍ مدلهٍ حيران؟
يا خليلي أقصرا عن ملامي ... وارثيا لي في نكبتي وارحماني
ومتى ما ذكرت دعوة أبنا ... ء البغايا والعاهرات الزواني
فانتفا لحيتي وجزا سبالي ... وبنعلي الكثيف فاستقبلاني
ما الذي ساقني لحيني إلى حت ... في وما غالني وماذا دهاني؟
من عذيري من دعوةٍ أوهنت عظ ... مي وهدت بوقعها أركاني؟
كنت في منظرٍ ومستمعٍ من ... ها ومن ذا ينجو من الحدثان؟
فترت فطنتي وهجت على نف ... سي بلاءً ما كان في حسباني
كان عيشي صافٍ فكدره أه ... ل صفائي بنو أبي صفوان
فارثوا لي معاشر الناس من ض ... ري ومن طول محنتي وامتحاني
ضرب البوق في دمشق ونادوا ... لشقائي في سائر البلدان
النفير النفير بالخيل والرج ... ل إلى قفر ذا الفتى الواساني
جمعوا لي الجموع من جيل جيل ... ن وفرغانةٍ ومن ديلمان
ومن الروم والصقالب والتر ... ك وبعض البلغار واليونان
ومن الهند والأعاجم والبر ... بر والكيلجوج والبلقان
لم يحاشوا ممن عددت من الآ ... فاق من مسلمٍ ولا نصراني
والبوادي من الحجاز إلى نج ... دٍ معديها مع القحطاني
كل شكلٍ ما بين حدبٍ وحولٍ ... وأصمٍ والعمى والعوران
وشيوخٍ قب البطون وشبا ... نٍ رحاب الأشداق والمصران

كل ذي معدةٍ تقعقع جوعاً ... وهو شاكي السلاح بالأسنان
كل ذي اسمٍ مستغرب أعجميٍ ... منعت صرف إسمه علتان

كمرندٍ وطغتكين وطرخا ... ن وكسرى وخرمٍ وطغاني
وخمارٍ وزيركٍ وخوندٍ ... ومميشٍ وطشلمٍ وجوان
وطرادٍ وجهبلٍ وزيادٍ ... وشهابٍ وعامرٍ وسنان
غمر جمعوا بغير عقولٍ ... وازعاتٍ عني ولا أديان
هل سمعتم بمعشرٍ جمعوا الخي ... يل وساروا بالرجل والفرسان
رحلوا من يبوتهم ليلة المر ... فع من أجل أكلةٍ مجان
شره بارد وحرص على ال ... كل فويلي من معشرٍ مجان
لست أنسى مصيبتي يوم جاؤو ... ني وقد ضاق عنهم الواديان
وردوا ليلة الخميس علينا ... في خميسٍ ملء الربا والمغاني
متوالٍ كالسيل لا يلتقي من ... ه لفرط انتشاره الطرفان
أشرفوا بي على زروعٍ وأحطا ... بٍ وبيتٍ بخيره ملآن
لبنٍ فارسٍ وخبزٍ طريٍ ... وقدورٍ تغلي على الداركان
وشواءٍ من الجراء ومعل ... ف دجاجٍ وفائق الحملان
وشرابٍ ألذ من زورة المع ... شوق بعد الصدود والهجران
يخجل الورد في الروائح والطع ... م ويحكي شقائق النعمان
أذكرتني جيوشهم يوم جاؤو ... ني بيوم الكلاب والرحرحان
يقدم القوم أرحبي هريت الش ... شدق رحب المعي طويل اللسان
هو نمس الدجاج والبط والوز ... ز وذئب النعاج والخرفان
بسوادٍ من عظمه طبق الأر ... ض وخيلٍ يهوين كالظلمان
وأبو القاسم الكبير على طر ... فٍ كميتٍ أقب كالسرحان
وأخوه الصغير يعترض الخي ... ل على قارحٍ عريض اللبان
وهما يهويان بالساق والرج ... ل إلى ما يسوؤني مسرعان
والسري الذي سرى في جيوشٍ ... أضعفتني وقصرت من عناني
بفمٍ واسعٍ وشدقٍ رحيبٍ ... وبكفٍ تجول كالصولجان
وأخوه الفضل الذي بان للعا ... لم من فضله شفا النقصان
والشمولي حلقه حلق حما ... ل عريض الأكتاف عبل الجران
لست أنساه جاثياً جاحظ ال ... عين عبوساً في صورة الغضبان
كالعقاب الغرثان يقتنص اللح ... م ويهوى إلى طيور الخوان

والأديب الذي به كنت أعت ... د غزاني في الحين فيمن غزاني
وكذا الكاتب الذي كان جاري ... وصديقي ومشتكى أحزاني
وصديق الأشراف أخنى على خم ... ري وأفنى بالكرع ما في دناني
كلما شقق الفراريج شقق ... ت لغيظي من فعله قمصاني
وهو من أمره مجر رخى الب ... ال لم يعنه الذي قد عناني
مجرهد كالسوس في الصوف في الص ... يف بقلبٍ خالٍ من الإيمان
قلت قل لي يابن المبشر ما شأ ... نك من بين من غزاني وشأني؟
ليس هذا من شهوة الأكل هذا ... من طريق البغضاء والشنآن
قلت للفيلسوف لما غدا في ال ... أكل أعني فتى أبي عدنان
وأستحث الكؤوس صرفاً بلا مز ... جٍ ولاءً كالهائم الظمآن
ليت شعري أذاك من طب بقرا ... ط تعلمته وسمع الكيان؟
وبهذا تزداد بالعالم الجس ... مي علماً والعالم الروحاني
ثم لا تنس ما لقيت وما سم ... ت هواناً من عسكر الفرغان
أعجمي اللسان أفصح من ق ... سٍ إذا ما انتشى ومن سحبان
قال: قم فأتنا بخبزٍ ولحمٍ ... ونبيذٍ معتقٍ في الدنان
وغلامٍ مهفهفٍ حسن الوج ... ه يحاكي جماله غصن بان
لم توكل فرغان إلا بتفري ... غ دناني وصبها في القناني

إن من أعظم المصائب ياق ... م بلائي بذلك الطرمذان
رجل كالغنيق فدم بلا ل ... بٍ طويل في صورة الشيطان
بقفاً كالحديد يصمد للصف ... ع ورأسٍ أصم كالسندان
واسع الحلق ناقص الخلق والدي ... ن غليظ القذال كالفلتان
يبلع المطجنات بلعاً بلا مض ... غٍ ويحتو النبيذ كالعطشان
وأتوني بزامرٍ زمره يح ... كي ضراط العبيد والرعيان
ومغنٍ عناؤه يحشيء النف ... س ويأتي بالقيء والغثيان
قصدت هذه الطوائف خمرا ... يا ابتلاءً ونكبةً لامتحاني
قلت ما شأنكم فقالوا أغثنا ... ما طعمنا الطعام منذ ثمان
وأناخوا بنا فيالك من يو ... مٍ عصيبٍ من حادثات الزمان
نزلوا ساحتي وأطلقت الخي ... ل بزرع الحقول والبستان
أفقروني وغادروني بلا دا ... رٍ ولا ضيعةٍ ولا صيوان
أدهشوني وحيروني وقد صر ... ت ذهولاً أهيم كالسكران

أسمع اللفظ كالطنين فهم أل ... فاظهم ما لها لدى معاني
تركوني يا قوم أجرد من فر ... خٍ وأعرى ظهراً من الأفعوان
أكلوا لي من الجرادق ألفي ... ن بدبسٍ يسيل كالقطران
أكلوا لي ما حولها ثم مالوا ... كذئاب إلى سميد الفران
أكلوا لي من الجداء ثلاثي ... ن وسبعاً بالخل والزعفران
أكلوا ضعفها شواءً وضعفي ... ها طبيخاً من سائر الألوان
أكلوا لي تبالةً تبلت عق ... لي بعشرٍ من الدجاج سمان
أكلوا لي مضيرةً ضاعفت ضر ... ري بروس الجداء والحملان
أكلوا لي كشكيةً كشكت قل ... بي وهاجت بفقدها أشجاني
أكلوا لي سبعين حوتاً من النع ... ر طرياً من أعظم الحيتان
أكلوا لي عدلاً من المالح المق ... لو ملقىً في الخل والأذنان
أكلوا لي من القريشاء والبر ... ني والمعقلي والصرفان
ألف عدلٍ سوى المصغر والبر ... دي واللؤلؤي والصيخاني
أكلوا لي من الكزامخ والجو ... ز معاً والخلاط والأجبان
ومن البيض والمخلل ما تع ... جز عن جمعه قرى حوران
فنتوا لي من السفرجل والتف ... اح والرازقي والرمان
والرياحين ما رهنت عليه ... جبتي عند أحمد الفاكهاني
أذبلوا لي من البنفسج والنر ... جس ما ليس مثله في الجنان
ذبحوا لي بالرغم يا معشر النا ... س ثمانين رأس معزٍ وضان
ما كفاه تذبيحهم غنم الر ... ية حتى أتوا على الثيران
أكلوا كل ما حوته يميني ... وشمالي وما حوى جيراني
ثم قالوا هلم شيئاً فنادي ... ت غلامي قم ويك فاخبأ حصاني
لم تدع لي بطونكم يا بني البظ ... ر سواه وذا شطوبٍ يماني
فتمالوا علي شتماً ولعناً ... واستباحوا عرضي بكل لساني
ثم جاء المعقبون من السا ... سة والشاكري والعبدان
فرأيت الصراع والدفع واللط ... م وخرم النوف والآذان
ثم لما أتوا على كل شيء ... ختموا محنتي بكسر الأواني
ثم قاموا مثل البزاة إلى العص ... فور والعصفري والزربطان
فرأيت الطيور بعضاً على بع ... ضٍ وبعضاً ملقىً على الأغصان
أكلوا ما ذكرت ثم أراقوا ... يا صحابي كرا من الأشنان

ومن المحلب المطيب بالبا ... ن وماء الكافور سبع براني
شربوا لي عشرين ظرفاً من الرا ... ح لذيذ المذاق أحمر قاني

فأقاموا سواسهم والمكارو ... ن إلى أن سمعت صوت الأذان
يجمعون الأحطاب من حيث وافو ... ها فللظهر ضاع لي غيضتان
ومنها:
قطعوا اللوز والسفرجل أحطا ... باً ومالوا بها على غلماني
والنواطير مددوا وعلوهم ... حنقاً بالعصي والقضبان
طالبوني " بالشيء " في آخر اللي، ... ل وجمع النساء والمردان
قم فأسرع فبعضنا يطلب المر ... د وبعض مستهتر بالغواني
فتوهمته مزاحاً فجدوا ... قلت هذا ضرب من الهذيان
ليس يبقى على أرامل خمرا ... يا سوى بذلهن للضيفان
لو سمعتم يا قوم في غسق اللي ... ل بكاء النسوان والولدان
يتنادون بالعويل وبالوي ... ل وراء الأبواب والجدران
ومنها:
ثم راحوا بعد العشاء إلى دا ... ري فلم يتركوا سوى الحيطان
كان لي مفرش وكل مليحٍ ... فوقه مطرح من الميساني
وبساط من أحسن البسط مذخو ... ر لعرسٍ أو دعوةٍ أو ختان
غرقوه بالبصق والقيء والبو ... ل فأضحى وقدره بعرتان
أوقدوا زيتنا جزافاً بلا كي ... لٍ يكيلونه ولا ميزان
خلت داري يا إخوتي المسجد الجا ... مع ليلاً للنصف من شعبان
ثم لما انتهت بهم شدة الكظ ... ظة خروا صرعى إلى الأذقان
هوموا ساعةً كتهويمة الخا ... ئف في غير أرضه الفزعان
ثم قاموا ليلاً وقد جنح النس ... ر ومال السماك والفرقدان
يصرخون الصبوح يا صاحب البي ... ت فأبكوا عيني وراعوا جناني
سحبوني من عقر داري على وج ... هي كأني أدعى إلى السلطان
ومنها:
هل سمعتم فيما سمعتم بإنسا ... نٍ عراه في دعوةٍ ما عراني
أسعدوني يا إخوتي وثقاتي ... بدموعٍ يجري في الأجفان
إخوتي من لواكف الدمع محزو ... نٍ كئيبٍ مولهٍ حيران؟
هائم العقل ساهر الليل باكي ال ... عين واهي القوى ضعيف الجنان

لم يكن ذا القران إلا على شؤ ... مي فويلي من نحس ذاك القران

والقصيدة كلها غرر ولطائف، أجاد وأحسن فيها كل الإحسان، وأبان عن مقاصده بها أحسن بيانٍ. ومن شعر أبي القاسم أيضاً قوله:

لا تصغ للوم إن اللوم تضليل ... واشرب ففي الشرب للأحزان تحويل

فقد مضى القيظ واحتث رواحله ... وطابت الراح لما آل أيلول

وليس في الأرض نبت يشتكي رمداً ... إلا وناظره بالطل مكحول

وقال:

ولما نضا وجه الربيع نقابه ... وفاحت بأطراف الرياض النسائم

فطارت عقول الطير لما رأينه ... وقد بهتت من بينهن الحمائم

وهمن جنوناً بالرياض وحسنها ... صدحن وفي أعناقهن التمائم

وقال:

أنلني بالذي استقرضت خطاً ... وأشهد معشراً قد شاهدوه

فإن الله خلاق البرايا ... عنت لجلال هيبته الوجوه

يقول: إذا تداينتم بدينٍ ... إلى أجلٍ مسمى فاكتبوه

وقال:

إذا دنت السحب الثقال وحثها ... من الرعد حادٍ ليس يبصر أكمه

أحاديثه مستهولات وصوته ... إذا انخفضت أصواتهن مقهقه

إذا صاح في آثارهن حسبته ... يجاوبه من خلفه صاحب له

وقال يهجو منشا بن إبراهيم القزاز:

إن منشا قد زاد في التيه ... وزاد في شامنا تعديه

فلا ابن هندٍ ولا ابن ذي يزنٍ ... ولا ابن ماء السما يدانيه

وهو مغيظ على الوصي ومن ... يعزى إليه ومن يواليه

يذكر أيام خيبرٍ بهم ... فهم قذىً جال في أماقيه

وقد حكى أن فاه أطيب من ... سرمي وأني ممن يعاديه

ومن يقول القبيح فيه ومن ... أصبح بالمعضرت يرميه

فسوكوه بكل طيبة الر ... ريح تعفى على مساويه

ومضمضوه بالخل واجتهدوا ... معاً بكل اجتهادكم فيه

وأطعموه من الجوارش ما ... يعمل بالمسك والأفاويه

وأهلوه من خمرٍ معتقةٍ ... قد صانها القس في خوابيه

واستفقحوني واستنكهوه تروا ... أن لسرمي فضلاً على فيه

وأحملوا الكلب والحمار على ... عياله واصفعوا محبيه

وقال يهجو أبا الفضل يوسف بن عليٍ، ويعرض فيها أيضاً بمنشا بن إبراهيم القزاز، وكانت هذه القصيدة سبب عزله عن عمله:

يا أهل جيرون هل أسامركم ... إذا استقلت كواكب الحمل؟

بمالحٍ كالرياض باكرها ... نوء الثريا بعارضٍ هطل

أو مثل نظم الجمان ينظم في ال ... عقد ووشي البرود والحلل

يلذ للسامع الغناء بها ... على خفيف الثقيل والرمل

كنت على باب منزلي سحراً ... أنتظر الشاكري يسرج لي

وطال ليلي لحاجةٍ عرضت ... باكرتها والنجوم لم تزل

فمر بي في الظلام أسود كال ... أقيل عريض الأكتاف والعضل

أشغى له منخر ككوة ... تنورٍ وعين كمقلة الجمل

ومشفر مسبل كخر رحى ... على نيوبٍ مثل المدى عضل

مشقق الكعب أفدع اليد والر ... رجل طويل الساقين كالسبل

فأهدت الريح منه لي أرجاً ... مثل جني الروض في ندىً خضل

مسكاً وقفصيةً معتقةً ... شيبا ببانٍ وعنبرٍ شمل

فقلت ما هكذا يكون إذا انفض ... ض الندامى روائح السفل

أسود غادٍ من الأتون له ... عرف أميرٍ نشوان ذي ثمل

هذا ورب السماء أعجب من ... حمار وحشٍ في البر منتعل

أردده يا نصر كي أسائله ... فشأنه عضلة من العضل

فقال يخشى فوات حاجتنا ... وليس هذا من أكبر الشغل

فقلت ترك الفضول نصر وإن ... أنجاك عين الخمول والكسل

بادره من قلب أن يفوتك في ... مسيره بين هذه السبل

فصد عني تغافلاً ومضى ... يعجب من عقله ومن خللي

وصاح من خلفه رويلك يا ... أسود مالي بالعدو من قبل

إرجع إلى ذلك الرقيع وإن ... أطال في هذره فلا تطل

أجب إذا ما سئلت مقتصداً ... في القول واسكت إن أنت لم تسل

وهو بترك الفضولأجدر لو ... سلم من خفةً ومن خطل

فكر نحوي عجلان يعثر في ... مرطٍ كسيه مبرغثٍ قمل

وقد مذى والمذى يقطر من ... غرموله في الذيول كالوشل

وظن أني صيد فأبرز لي ... فيشلةً مثل ركبة الجمل

وقال لج داركم لأولجها ... فيك وإن كنت لم تبل فبل

ومنها:

قلت له لا علمت برك قد ... بذلت ما لم يكن بمبتذل
لكنني والذي يمد لك ال ... عمر ويعطيك غاية الأمل
ما شق دبري مذ كنت فيشلة ... ولا انتخاب الأيور من عملي
ولا لهذا دعيت فابغ لمي ... لوخك من يستلذه بدلي
وهات قل لي من أين جئت ومن ... أين أقبلت يا أبا جعل؟
فقال لي: بت عند عاملكم ... هذا أبي الفضل يوسف بن علي
فصاك بي طيبه وصكت به ... مني صناناً في حدة البصل
تركته في النهار أخفش لا ... ينظر في خدمةٍ ولا عمل
قلت تطاولت وافتريت على ... شيخٍ نيلٍ ينمى إلى نبل

أبوه قسطاً وجده صمع ... يدعى حنيناً وعمه الصملي
لعل ذا غيره فصفه فما ... يخدع مثلي بهذه الحيل
فإن تكن صادقاً نجوت وأنحي ... ت عليه باللوم والعذل
وإن تكن كاذباً صفعتك بالن ... عل فإن كنت قائلاً فقل
فقال يا سيدي عجلت بمك ... روهي وكان الإنسان من عجل
هذا الذي بت عنده نصف ... دون عجوزٍ وفوق مكتهل
في فيه نتن وتحت عصعصه ... عين تمج الصديد في دغل
أنتن من كل ما يقال إذا ... بالغ في الوصف ضارب المثل
وهو على ذاك مولع أبداً ... لشؤم بختي بالعض والقبل
له إذا ما علوته نفس ... أمضى من السيف في يدي بطل

والقصيدة طويلة نحو مائةٍ وأربعين بيتاً، وفيها من الفحش ما لا يجمل بالأديب ذكره، وفيما أوردناه كفاية، ومن شعره:

ومهفهفٍ يزهو علي بجيده ... وبخصره وبردفه وبساقه
وافى إلي وقلبه متخوف ... كتخوف المعشوق من عشاقه
حتى إذا مددته وحللت عن ... كفلٍ مباح الحل بعد وثاقه
فاحت على أصنة من ردفه ... بخلاف ما قد فاحمن أطواقه
فسألته ماذا فقال بحرقةٍ ... ودموعه تنهل من آماقه
هذا ابن بسطامٍ أتانيطارقاً ... بلطيف حيلته وحسن نفاقه
وعلا على ظهري ويلقم مثقبي ... بريالة المنهل من أشداقه

فبقي صنان رضابه في فقحتي ... زمناً لحاه الله بعد فراقه
فالله يحرمه معيشته كما ... قد سد مكسب مثقبي ببصاقه

الحسين بن سعد بن الحسين بن محمد

أبو عليٍ الآمدي اللغوي الشاعر الأديب، توفى ليلة الخميس خامس ربيعٍ الآخر سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائةٍ. ولد بآمد ونشأ بها، ثم قدم بغداد فأخذ بها عن أبي يعلى الفراء، وأبي طالب بن غيلان، وأخذ بالشام عن جماعةٍ. ودخل أصبهان فاستوطنها ومات ودفن بها، وله مؤلفات. ومن شعره:

وأهيف مهزوز القوام إذا انثنى ... وهبت لعذري فيه ذنب اللوائم
بثغرٍ كما يبدو لك الصبح باسمٍ ... وشعرٍ كما يبدو لك الليل فاحم
مليح الرضا والسخط تلقاه عاتباً ... بألفاظ مظلومٍ وألحاظ ظالم
ومما شجاني أنني يوم بينه ... شكوت الذي ألقى إلى غير راحم
وحملت أثقال الهوى غير حاملٍ ... وأودعت أسرار غير كاتم
وأبرح ما لاقيته أن متلفي ... بما حل بي في حبه غير عالم
ولو أنني فيه سهرت لساهرٍ ... لهان ولكني سهرت لنائم

وقال:

أتنسب لي ذنباً ولم أك مذنباً ... وحماتنيفي الحب مالا أطيقه
وما طلبي للوصل حرص على البقا ... ولكنه أجر إليك أسوقه

وقال:

نوهم واشينا بليلٍ مزاره ... فهم ليسعى بيننا بالتباعد
فعانقته حتى اتحدنا تعانقاً ... فلما أتانا ما رأى غير واحد

وقال:

بنفسي وروحي ذلك العارض الذي ... غدا مسكه تحت السوالف سائلا
درى خده أني أجن من الهوى ... فهيأ لي قبل الجنون سلاسلا

وقال:

تصدر للتدريس كل مهوسٍ ... بليدٍ تسمى بالفقيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيتٍ قديمٍ شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاها وحتى سامها كل مفلس

الجزء العاشر

الحسين بن الضحاك

ابن ياسرٍ البصري المعروف بالخليع أبو عليٍ، أصله من خراسان، وهو مولىً لولد سلمان بن ربيعة الباهلي الصحابي، فهو مولىً لا باهلي النسب كما زعم ابن الجراح، بصري المولد والمنشأ، وهو شاعر ماجن، ولذلك لقب بالخليع، وعداده في الطبقة الأولى من شعراء الدولة العباسية المجيدين، ولد سنة اثنتين وستين ومائةٍ، وتوفي في بغداد سنة خمسين ومائتين، وقد ناهز المائة، وكان شاعراً مطبوعاً حسن التصرف في الشعر، وكان أبو نواسٍ يغير على معانيه في الخمر، فإذا قال شيئاً فيها نسبه الناس إلى أبو نواسٍ، وله غزل كثير أجاد فيه، وهو أحد الشعراء المطبوعين الذين أغناهم عفو قرائحهم عن التكلف، وقد اتصل الحسين بن الضحاك بالخلفاء من بني العباس ونادمهم، وأول من جالس منهم: محمد الأمين بن هارون الرشيد، وكان اتصاله به سنة ثمانٍ وتسعين ومائةٍ، وهي السنة التي قتل فيها الأمين، وتنقل بعده في مجالس الخلفاء ونادمهم إلى الحين الذي مات فيه في زمن المستعين، وقيل في زمن المنتصر.

حدث الصولي عن عبد الله بن محمدٍ الفارسي عن ثمامة بن أشرس قال: لما قدم المأمون من خراسان وصار إلى بغداد، وأمر بأن يسمى له قوم من أهل الأدب ليجالسوه ويسامروه، فذكر له جماعة فيهم الحسين بن الضحاك، فقرأ أسماءهم حتى بلغ إلى اسم الحسين فقال: أليس هو الذي يقول في الأمين يعني أخاه:

هلا بقيت لسد فاقتنا ... أبداً وكان لغيرك التلف

فلقد خلفت خلائفاً سلفوا ... ولسوف يعوز بعدك الخلف

لا حاجة لي فيه، والله لا يراني أبداً إلا في الطريق، ولم يعاقب الحسين على ما كان من هجائه له وتعريضه به.

قال: وانحدر إلى البصرة فاقام بها طول أيام المأمون، واستقدمه المعتصم من البصرة حين ولي الخلافة بعد موت المأمون، فلما دخل عليه استأذن في الإنشاد فأذن له، فأنشده يمدحه:

هلا سألت تلدد المشتاق ... ومنيت قبل فراقه بتلاق

إن الرقيب ليستريب تنفس الص ... صعدا إليك وظاهر الإقلاق

ولئن أربت لقد نظرت بمقلةٍ ... عبري عليك سخينة الآماق

نفسي الفداء لخائفٍ مترقبٍ ... جعل الوداع إشارة بعناق

إذ لا جواب لمفحمٍ متحيرٍ ... إلا الدموع تصان بالإطراق

ومنها:

خير الوفود مبشر بخلافةٍ ... خصت ببهجتها أبا إسحاق

وافته في الشهر الحرام سليمةً ... من كل مشكلةٍ وكل شقاق

أعطته صفقتها الضمائر طاعةً ... قبل الأكف بأوكد الميثاق

سكن الأنام إلى إمامٍ سلامةٍ ... عف الضمير مهذب الأخلاق

فحمي رعيته ودافع دونها ... وأجار مملقها من الإملاق

قل للألى صرفوا الوجوه عن الهدى ... متعسفين تعسف المراق

إني أحذركم بوادر ضيغمٍ ... درب بخطم موائل الأعناق
متأهبٍ لا يستفز جنانه ... زجل الرعود ولامع الإبراق
لم يبق من متعزمين توثبوا ... بالشام غير جماجمٍ أفلاق
من بين منجدلٍ تمج عروقه ... علق الأخادع أو أسير وثاق
وثنى الخيول إلى معاقل قيصرٍ ... تختال بين أجرةٍ ودفاق
يحملن كل مشمرٍ متغشمٍ ... ليثٍ هزبرٍ أهرت الأشداق
حتى إذا أم الحصون منازلاً ... والموت بين ترائبٍ وتراق
هرت بطارقها هرير ثعالب ... بدهت بزأر قساورٍ طراق
ثم استكانت للحصار ملوكهم ... ذلاً ونيط حلوقهم بخناق
هربت وأسلمت البلاد عشيةً ... لم تبق غير حشاشة الأرماق

فلما أتمها قال له المعتصم، ادن مني، فدنا منه فملأفمه جوهراً من جوهرٍ كان بين يديه، ثم أمره بأن يخرجه من فيه،فأخرجه فأمر بأن ينظم ويدفع إليه ويخرج إلى الناس وهو في يده ليعلما موقعه منه ويعرفوا له فضله.

وحدث الصولي عن عون بن محمدٍ الكندي قال: لما ولي المنتصر الخلافة دخل عليه الحسين بن الضحاك فهنأه بالخلافة وأنشده:

تجددت الدنيا بملك محمدٍ ... فأهلاً وسهلاً بالزمان المجدد
هي الدولة الغراء راحت وبكرت ... مشمرةً بالرشد في كل مشهدٍ
لعمري لقد شدت عرى الدين بيعة ... أعز بها الرحمن كل موحد
هنتك أمير المؤمنين خلافة ... جمعت بها أهواء أمة أحمد

فأظهر إكرامه والسرور به وقال له: إن في بقائك بهاءً للملك، وقد ضعفت عن الحركة، فكاتبني بحاجتك ولا تحمل على نفسك بكثرة الحركة، ووصله بثلاثة آلاف دينارٍ ليقضي بها ديناً بلغه أنه عليه، وقال في المنتصر أيضاً وهو آخر شعرٍ قاله:

ألا ليت شعري أبدر بدا ... نهاراً أم الملك المنتصر؟؟
إمام تضمن أثوابه ... على سرجه قمراً من بشر
حمى الله دولة سلطانه ... بجند القضاء وجند القدر
فلا زال ما بقيت مدة ... يروح بها الدهر أو يبتكر

واصطبح عند عبد الله بن العباس بن الفضل وخادم له قائم بين يديه يسقيه، فقال عبد الله: يا أبا عليٍ قد استحسنت سقي هذا الخادم، فإن حضرك شيء في هذا فقل، فقال:

أحيت صبوحي فكاهة اللاهي ... وطاب يومي بقرب أشباهي
فآثر اللهو في مكامنه ... من قبل يومٍ منغصٍ ناهي
بابنةٍ كرمٍ من كف منتطقٍ ... مؤتزرٍ بالمجون تياه

يسقيك من طرفه ومن يده ... سقي لطيفٍ مجربٍ داهي
كأساً وكأساً كأن شاربها ... حيران بين الذكور والساهي
وذكر الصولي في نوادره قال: حدثني علي بن محمد بن نصرٍ قال: حدثني خالي أحمد بن حمدون قال: قال الحسين بن الضحاك من أبياتٍ وقد عمر:
أما في ثمانين وفيتها ... عذير وإن أنا لم أعتذر
وقد رفع الله أقلامه ... عن ابن ثمانين دون البشر
وإني لمن أسراء الإله ... في الأرض نصب حروب القدر
فإن يقض لي عملاً صالحاً ... أثاب وإن يقض شراً غفر
وقال:
أصبحت من أسراء الله محتسباً ... في الأرض نحو قضاء الله والقدر
إن الثمانين إذ وفيت عدتها ... لن تبق باقيةً مني ولم تذر
قلت: والأصل في قول الحسين بن الضحاك هذا، الحديث الذي رواه ابن قتيبة في غريب الحديث. قال: حدثنا أبو سفيان الغنوي، حدثنا معقل بن مالكٍ عن عبد الرحمن بن سليمان، عن عبيد الله بن أنسٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا بلغ العبد ثمانين سنةً فإنه أسير الله في الأرض، تكتب له الحسنات وتمحى عنه السيئات). وقال:
وصف البدر حسن وجهك حتى ... خلت أني وما أراك أراكا
وإذا ما تنفس النرجس الغض ... ض توهمته نسيم شذاكا
خدع للمنى تعللني في ... ك بإشراق ذا وبهجة ذاكا
وقال:
لا وحييك لا أصا ... فح بالدمع مدمعا
من بكى شجوه استرا ... ح وإن كان موجعا
كبدي في هواك أس ... قم من أن تقطعا
لم تدع صورة الضنى ... في للسقم موضعا
وقال:
ألا إنما الدنيا وصال حبيب ... وأخذك من مشمولةٍ بنصيب
ولم أر في الدنيا كخلوة عاشقٍ ... وبذلة معشوقٍ ونوم رقيب
وقال يمدح الوزير الحسن بن سهلٍ:
أرى الآمال غير معرجاتٍ ... على أحدٍ سوى الحسن بن سهل
يباري يومه غده سماحاً ... كلا اليومين بان بكل فضل
أرى حسناً تقدم مستبداً ... ببعدٍ من رياسته وقبل
فإن حضرتك مشكلة بشكٍ ... شفاك بحكمةٍ وخطاب فصل

سليل مرازبٍ ترعوا حلوماً ... وراح صغيرهم بسداد كهل
ملوك إن جريت بهم أبروا ... وعزوا أن توازيهم بعدل
ليهنك أن ما أرجيرشد ... وما أمضيت من قولٍ وفعل
وأنك مؤثر للحق فيما ... أراك الله في قطعٍ ووصل
وأنك للجميع حيا ربيعٍ ... يصوب على قرارة كل محل
وقال يمدح الواثق لما ولي الخلافة:

أكتم وجدي فما ينكتم ... بمن لو شكوت إليه رحم
وإني على حسن ظني به ... لأحذر إن بحت أن يحتشم
ولي عند لحظته روعة ... تحقق ما ظنه المتهم
وقد علم الناس أني له ... محب وأحسبه قد علم
وإني لمغضٍ على لوعةٍ ... من الشوق في كبدي تضطرم
وعشية ودعت عن مدمعٍ ... سفوحٍ وزفرة قلب سدم
فما كان عند النوى مسعد ... سوى الدمع يغسل طرفاً كلم
سيذكر من بان أوطانه ... ويبكي المقيمين من لم يقم
ومنها في المديح:
إلى خازن الله في خلقه ... سراج النهار وبدر الظلم
ركبنا غرايب زفافةٍ ... بدجلة في موجها الملتطم
إذا ما قصدنا لقاطولها ... ودهم قراقيرها تصطدم
وصرنا إلى خير مسكونةٍ ... تيممها راغب أو ملم
مباركةٍ شاد بنيانها ... بخير المواطن خير المم
كأن بها نشر كافورةٍ ... لبرد نداها وطيب النسم
كظهر الأديم إذا ما السحا ... ب صاب على متنها وانسجم
مبرأةٍ من وحول الشتاء ... إذا ما طمى وحله وارتكم
فما إن يزال بها راجل ... يمر الهوينا ولا يلتطم
ويمشي على رسله آمناً ... سليم الشراك نقي القدم
وللنون والضب في بطنها ... مراتع مسكونة والنعم
ومنهم:
يضيق الفضاء به إن عدا ... بطودي أعاريه والعجم
ترى النصر يقدم راياته ... إذا ما خفقن أمام العلم
وفي الله دوخ أعداءه ... وجرد فهم سيوف النقم

وفي الله يكظم من غيظه ... وفي الله يصفح عمن ظلم
رأى شيم الجود محمودةً ... وما شيم الجود إلا قسم
فراح على نعمٍ واغتدى ... كأن ليس يحسن إلا نعم
وقال:
أتاني منك ما ليس ... على مكروهه صبر
فأغضيت على عمدٍ ... وقد يغضي الفتى الحر
وأدبتك بالهجر ... فما أدبك الهجر
ولا ردك عما كا ... ن منك النصح والزجر
فلما اضطرني المكر ... ه واشتد بي الأمر
تناولتك من ضري ... بما ليس له قدر
فحركت جناح الذل ... ل لما مسك الضر
إذا لم يصلح الخير ام ... رأً أصلحه الشر
وغضب عليه المعتصم لشيءٍ جرى منه على النبيذ، فكتب إليه يسترضيه:
غضب الإمام أشد من أدبه ... وقد استجرت وعذت من غضبه
أصبحت معتصماً بمعتصمٍ ... أثنى الإله عليه في كتبه
لا والذي لم يق لي سباً ... أرجو النجاة به سوى سببه
مالي شفيع غير حرمته ... ولكل من أشفى على عطبه

الحسين بن عبد اله بن يوسف

ابن أحمد بن شبلٍ أبو عليٍ البغدادي. ولد في بغداد وبها نشأ، وبها توفي سنة أربعٍ وسبعين وأربعمائةٍ. كان متميزاً بالحكمة والفلسفة، خبيراً بصناعة الطب، أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً، أخذ عن أبي نصرٍ يحيى بن جريرٍ التكريتي وغيره. وهو صاحب القصيدة الرائية التي نسبت للشيخ الرئيس ابن سينا وليست له، وقد دلت هذه القصيدة على علو كعبه في الحكمة والاطلاع على مكنوناتها، وقد سارت بها الركبان وتداولها الرواة، وهي:
بربك أيها القلك المدار ... أقص ذا المسير أم اضطرار؟؟
مدارك قل لنا في أي شيءٍ ... ففي أفهامنا منك انبهار؟
وفيك نرى الفضاء وهل فضاء ... سوى هذا الفضاء به تدار؟
وعندك ترفع الأرواح أم هل ... مع الأجساد يدركها البوار؟
وموج ذي المجرة أم فرند ... على لجج النراع لها مدار
وفيك الشمس رافعةً شعاعاً ... بأجنحةٍ قوادمها قصار
وطوق النجوم إذا تبدى ... هلالك أم يد فيها سوار

وأفلاذ نجومك أم حباب ... تؤلف بينه لجج غزار
وتنشر في الفضا ليلاً وتطوى ... نهاراً مثلماً يطوى الإزار
فكم بصقالها صدئ البرايا ... وما يصدأ لها أبداً غرار
تبادي ثم تخنس راجعاتٍ ... وتكنس مثلما كنس الصوار
فبينا الشرق يقدمها صعوداً ... تلقاها من الغرب انحدار
على ذا قد مضى وعليه يمضي ... طوال منىً وآجال قصار
وأيام تعرفنا مداها ... لها أنفاسنا أبداً شفار
ودهر ينثر الأعمار نثراً ... كما للورد في الروض انتثار
ودنيا كلما وضعت جنيناً ... غذته من نوائبها ظؤار
هي العشواء ما خبطت هشيم ... هي العجماء ما جرحت جبار
فمن يومٍ بلا أمسٍ ويومٍ ... بغير غدٍ إليه بنا يسار
ومن نفسين في أخذٍ وردٍ ... لروح المرء في الجسم انتشار
وكم من بعد ما كانت نفوسٍ ... إلى أجسامها طارت وطاروا
ألم تك بالجوارح آنساتٍ ... فأعقب ذلك الأنس النفار
فإن يك آدم أشقى بنيه ... بذنبٍ ماله منه اعتذار
ولم ينفعه بالأسماء علم ... وما نفع السجود ولا الجوار
فأخرج ثم أهبط ثم أودى ... فترب الساقيات له شعار
فأدركه بعلم الله فيه ... من الكلمات للذنب اغتفار
ولكن بعد غفرانٍ وعفوٍ ... يعير ما تلا ليلاً نهار
لقد بلغ العدو بنا مناه ... وحل بآدمٍ وبنا الصغار
وكنا ضائعين كقوم موسى ... ولا عجل أضل ولا خوار
فيا لك أكلة لا زال منها ... علينا نقمة وعليه عار
نعاقب في الظهور وما ولدنا ... ويذبح في حشا الأم الحوار
وتنتظر البلايا والرزايا ... وبعد فللوعيد لنا انتظار
ونخرج كارهين كما دخلنا ... خروج الضب أخرجه الوجار
فماذا الإمتنان على وجودٍ ... لغير الموجدين به الخيار
وكان وجودنا خيراً لو أنا ... نخير قبله أو نستشار
أهذا الداء ليس له دواء ... وهذا الكسر ليس له انجبار؟
تحير فيه كل دقيقٍ فهمٍ ... وليس لعمق جرحهم انسبار
إذا التكوير غال الشمس عنا ... وغال كواكب الأفق انتثار
وبدلنا بهذي الأرض أرضاً ... وطوح بالسموات انفطار

وأذهلت المراضع عن بنيها ... لدهشتها وعطلت العشار
وغشي البدر من فرقٍ وذعرٍ ... خسوف ليس يجلى أو سرار
وسيرت الجبال فكن كثباً ... مهيلاتٍ وسجرت البحار
فأين ثبات ذي الألباب منا ... وأين مع الرجوم لنا اصطبار
وأين عقول ذي الأفهام مما ... يراد بنا وأين الإعتبار؟
وأين يغيب لب كان فينا ... ضياؤك من سناه مستعار؟
ولا أرض عصته ولا سماء ... ففيما يغول أنجمها انكدار
وقد وافته طائعةً وكانت ... دخاناً ما لقاتره شرار
قضاها سبعةً والأرض مهداً ... دحاها فهي للأموات دار
فما لسمو ما أعلى انتهاء ... وما لعلو ما أرسى فرار
ولكن ذا التهويل فيه ... لمن يخشى اتعاظ وازدجار
وقال:
بنا إلى الدير كوثاً صبابات ... فلا تلمني فما تغني الملامات
لا تبعدن وإن طال الزمان بها ... أيام لهوٍ عهدناها وليلات
فكم قضينا لبانات الشباب بها ... غنماً وكم بقيت عندي لبانات
ما مكنت دولة الأيام مقبلةً ... فانعم ولذ فإن العيش تارات
قبل ارتجاع الليالي فهي عارية ... فإنما منح الدنيا غرامات

قم فاجل في فلك البستان شمس ضحىً ... بروجها الزهر والجامات دارات
لعله إن دعا داعي الحمام بنا ... نقضي وأنفسنا منها رويات
بم التعلل لولا الراح في زمنٍ ... أحياؤه في سبات الهم أموات؟
بدت تحيي فقابلنا تحيتها ... وقد عراها لخوف المزج روعات
مدت أشعة برقٍ من أبارقها ... على مقابلها منها شعاعات
فلاح في ساق ساقيها خلاخل من ... تبرٍ وفي أوجه الندمان شارات
قد وقع الصفو سطراً من فواقعها ... لا فارقت شارب الراح المسرات
خذ ما تعجل واترك ما وعدت به ... وكن لبيباً فللتأخير آفات
وللسعادة أوقات مقدرة ... فيها السرور وللأحزان أوقات
وقال:
أيا جبلي نعمان بالله خليا ... نسيم الصبا يخلص إلى نسيمها
أجد بردها أو تشف مني حرارةً ... على كبدٍ لم يبق إلا صميمها
فإن الصبا ريح إذا ما تنفست ... على كبدٍ حراء قلت همومها

وقال:

ليكفكم ما فيكم من جوىً نلقى ... فمهلاً بنا مهلاً ورفقاً بنا رفقا
وحرمة وجدي لا سلوت هواكم ... ولا رمت منه لا فكاكاً ولا عتقا
سأزجر قلباً رام في الحب سلوةً ... وأهجره إن لم يمت بكم عشقا
صحبت الهوى يا صاح حتى ألفته ... فأضناه لي أشفى وأفناه أي لأبقى
فلا الصبر موجود ولا الشوق بارح ... ولا أدمعي تطفي لهيبي ولا ترقا
أخاف إذا ما الليل أخى سدوله ... على كبدي حرقاً ومن مقلتي غرقا
أيجمل أن أجزي من الوصل بالجفا ... فينعم طرفي والفؤاد بكم يشقي؟
أحظي هذا أم كذا كل عاشقٍ ... يموت ولا يحيا ويظمي فلا يسقي
سل الدهر عل الدهر يجمع شملنا ... فلم أر ذا حالٍ على حاله يبقى

وقال:

إذا كان دوني من بليت بجهله ... أبيت لنفسي أن أقابل بالجهل
وإن كنت أدنى منه في الحلم والحجا ... عرفت له حق التقدم والفضل
وإن كان مثلي في الفطانة والحجا ... أردت لنفسي أن أجل عن المثل

وقال:

وفي اليأس إحدى الراحتين لذي الهوى ... على أن إحدى الراحتين عذاب
أعف وبي وجد وأسلو وبي جوىً ... ولو ذاب مني أعظم وإهاب
وآنف أن تصطاد قلبي كاعب ... بلحظٍ وأن يروي صداي رضاب
فلا تنكروا عن الكريم على الأذى ... فحين تجوع الضاريات تهاب

وقال:

وكأنما الإنسان منا غيره ... متكون والحس منه معار
متصرف وله القضاء مصرف ... ومسير وكأنه مختار
طراً تصوبه الحظوظ وتارةً ... خطأ تحيل صوابه الأقدار
تعمى بصيرته ويبصر بعدما ... لا يسترد الفائت استبصار
وتراه يؤخذ قلبه من صدره ... ويرد فيه وقد جرى المقدار
فيظل يوسع بالملامة نفسه ... ندماً إذا عبثت به الأفكار
لا يعرف الإفراط في إيراده ... حتى يبينه له الإصدار

وقال:

تلق بالصبر ضيف الهم حيث أتى ... إن الهموم ضيوف أكلها المهج
فالخطب إن زاد يوماً فهو منتقص ... والأمر إن ضاق يوماً فهو منفرج
فروح النفس بالتعليل ترض به ... واعلم إلى ساعةٍ من ساعةٍ فرج

وقال:

إحفظ لسانك لا تبح بثلاثةٍ ... سرٍ ومالٍ ما استطعت ومذهب

فعلى الثلاثة تبتلى بثلاثةٍ ... بمعكرٍ وبحاسدٍ ومكذب

وقال:

وعلى قدر عقله فاعتب المر ... ء وحاذر براً يصير عقوقا

كم صديقٍ بالعتب صار عدواً ... وعدوٍ بالحلم صار صديقا

وقال:

ثقلت زجاجات أتتنا فرغاً ... حتى إذا مثلت بصرف الراح

خفت فكادت أن تطير بما حوت ... وكذا الجسوم تخف بالأرواح

وقال:

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

تسل عن كل شيءٍ بالحياة فقد ... يهون بعد بقاء الجوهر العرض
يعوض الله مالاً أنت متلفه ... وما عن النفس إن أتلفتها عوض
وقال:
قالوا اقناعة عز والكفاف غنىً ... والذل والعار حرص المرء والطمع
صدقتم من رضاه سد جوعته ... إن لم يصبه فماذا منه يقتنع؟
وقال:
إن لم تكن تجزع من دم ... عي إذا فاض فصنه
أو تكن مجدت يوماً ... سيداً يعفو فكنه
أنا لا أصبر عمن ... لا يجوز الصبر عنه
كل ذنبٍ في الهوى يغ ... فر لي ما لم أخنه
وقال يرثي أخاه أحمد بن عبد الله بن يوسف:
غاية الحزن والسرور انقضاء ... ما لحيٍ من بعد ميتٍ بقاء
لا لبيد بأربدٍ مات حزناً ... وسلت صخراً الفتى الخنساء
مثل ما في التراب يبلى الفتى فال ... حزن يبلي من بعده والبكاء
غير أن الأموات زالوا وأبقوا ... غصصاً لا يسيغها الأحياء
إنما نحن بين ظفرٍ وناب ... من خطوبٍ أسودهن ضراء
وتتمنى وفي المنى قصر العم ... ر فنغدو بما نسر نساء
صحة المرء للسقام طريق ... وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي تغتذي نموت ونحيا ... أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دبيا فلا كا ... نت ولا كان أخذها والعطاء
راجع جودها عليها فمهما ... يهب الصبح يسترد المساء
ليت شعري حلماً تمر بنا الأي ... يام أم ليس تعقل الأشياء
من فسادٍ يجنيه للعالم الكو ... ن فما للنفوس منه اتقاء
قبح الله لذةً لشقانا ... نالها الأمهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفق ... ر فإيجادنا علينا بلاء
وقليلاً ما تصحب المهجة الجس ... م ففيم الأسى وفيم العناء؟
ولقد أيد الإله عقولاً ... حجة العود عندها الإبداء
غير دعوى قومٍ على الميت شيئاً ... أنكرته الجلود والأعضاء

وإذا كان في العيان خلاف ... كيف في الغيب يستبين الخفاء؟
ما دهانا من يوم أحمد إلا ... ظلمات وما استبان ضياء
يا أخي عاد بعدك الماء سماً ... وسموماً ذاك النسيم الرخاء
واللموع الغزار عادت من الأن ... فاس ناراً تثيرها الصعداء
وأعد الحياة غدراً ولو كا ... نت حياةً يرضى بها الأعداء
أين تلك الخلال والحزم أين ال ... عزم أين السناء أين البهاء؟
كيف أودى النعيم من ذلك الظل ... ل وشيكاً وزال ذاك الغناء؟
أين ما كنت تنتضي من لسانٍ ... في مقامٍ ما للمواضي انتضاء؟
كيف أرجو شفاء ما بي؟ وما بي ... دون سكناي في ثراك شفاء
أين ذاك الرواء والمنطق الجز ... ل وأين الحياء أين الإباء؟
إن محا حسنك التراب فما للد ... دمع يوماً من صحن خدي انمحاء
أو تبن لم يبن قديم ودادي ... أو تمت لم يمت عليك الثناء
شطر نفسي دفنت والشطر باقٍ ... يتمنى ومن مناه الفناء
إن تكن قدمته أيدي المنايا ... فإلى السابقين تمضي البطاء
يدرك الموت كل حيٍ ولو أخ ... فته عنه في برجها الجوزاء
ليت شعري وللبلا كل مخلو ... قٍ بماذا تميز الأنبياء؟
موت ذي الحكمة المفضل بالنط ... ق وذي العجمة البهيم سواء
لا غوى لفقده تبسم الأر ... ض ولا للتقي تبكي السماء
كم مصابيح أوجهٍ أطفأتها ... تحت أطباق تربها البيداء

كم بدورٍ وشموسٍ وكم أط ... واد مجدٍ أمست عليها العفاء
كم محا عزة الكواكب غيم ... ثم أخفت ضياءها الأنواء
إنما الناس قادم إثر ماضٍ ... بدء قومٍ للآخرين انتهاء
وقال:
قالوا وقد مات محبوب فجعت به ... وفي الصبا وأرادوا عنه سلواني
ثانيه في الحسن موجود فقلت لهم ... من أين لي في الهوى الثاني صباً ثاني
وقال:
ولو أنني أعطيت من دهري المنى ... وما كل من يعطي المنى بمسدد
لقلت لأيامٍ مضين ألا ارجعي ... وقلت لأيامٍ أتين ألا ابعدي

الحسين بع عبد الله بن رواحة

ابن إبراهيم بن عبد الله بن رواحة أبو عليٍ الأنصاري الحموي، الأديب الفقيه الشاعر المجيد، ولد بحماة ونشأ بها، ورحل إلى دمشق فأقام بها مدةً واشتغل بالفقه، وسمع الحديث من الحافظ أبي القاسم بن عساكر ومن عمه وآخرين.

ورحل إلى مصر فسمع بها وبالإسكندرية. ثم عاد إلى دمشق فشهد واقعة مرج عكا فقتل فيها شهيداً يوم الأربعاء من شعبان سنة خمسٍ وثمانين وخمسمائةٍ. وله من قصيدةٍ مهنئاً بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب بعيد النحر سنة اثنتين وسبعين وخمسمائةٍ، وكان السلطان مخيماً بمرج فاقوس:

لقد خبر التجارب منه حزم ... وقلب دهره ظهراً لبطن
فساق إلى الفرنج الخيل براً ... وأدركهم على بحرٍ بسفن
وقد جلب الجواري بالجواري ... يمدن بكل قدٍ مرجحن
يزيدهم اجتماع الشمل بؤساً ... فمرنان ينوح على مرن
زهت إسكندرية يوم سيقوا ... ودمياط إلى المينا بغبن
يرون خياله كالطيف يسري ... فلو هجعوا أتاهم بعد وهن
أبادهم تخوفه فأمسى ... مناهم لو يبيتهم بأمن
تملك جيشاً شرقاً وغرباً ... فصاروا بين مملوكٍ ورهن
أقام بآل أيوبٍ رباطاً ... رأت منه الفرنجة ضيق سجن
رجا أقصى الملوك السلم منهم ... ولم ير جهده في الحرب يغني
فألقى السلم بعد الحرب كرهاً ... ولم ير من مناه سوى التمني

وقال يرثي الحافظ أبا القاسم بن عساكر، وأنشدها بجامع دمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائةٍ:

ذرا السعي في نيل العلا والفضائل ... مضى من إليه كان شد الرواحل
فقولا لساري البرق إني معينه ... بنار أسىً أو سحب دمعٍ هواطل
وتمزيق جلباب العزاء لفقده ... بزفرة باكٍ أو بحسرة ثاكل
فأعلن به للركب واستوقف السرى ... لقصاده من قبل طي المراحل
وقل غاب بدر التم عن أنجم الدجى ... وأشرق منهم بعده كل آفل
وما كان إلا البحر غار ومن يرد ... سواحله لم يلق غير الجداول
وهبكم رويتم علمه من رواته ... فليس عوالي صحبه بنوازل
فقد فاتكم نور الهدى بوفاته ... ونور التقى منه ونجح الوسائل
وما حظ من قد غره نصل صارمٍ ... رجا نصره من غمده والحمائل
ليبك عليه من رآه ومن حوى ... هداه بأيامٍ لديه قلائل
ويقض أسىً من فاته الفضل عاجلاً ... برؤيته والفوز في كل عاجل
أسفت لإرجائي قدوم أعزةٍ ... عليه وتسويفٍ إلى عام قابل
ولو أنهم فازوا بإدراك مثله ... لأزروا على سن الصبا بالأمائل

فيا لمصائبٍ عم سنة أحمدٍ ... وأحرم منها كل راوٍ وناقل
خلا الشام من خيرٍ خلت كل بلدةٍ ... بها من نظيرٍ للإمام مماثل
وأصبح بعد الحافظ العلم شاغراً ... بلا حافظٍ يهذي به كل باقل
وكم من نبيهٍ ضل مذ مات جاهه ... وقدم لما أن مضى كل خامل
خلت سنة المختار من ذب ناصرٍ ... فأيسر ما لاقته بدعة جاهل

نمى للإمام الشافعي مقالةً ... فأصبح يثني عنه كل مجادل
وأيد قول الأشعري بسنةٍ ... فكانت عليه من أدل الدلائل
وكم قد أبان الحق في كل محفلٍ ... فأورى بما يروي ظماء المحافل
وسد من التجسيم باب ضلالةٍ ... ورد من التشبيه شبهة باطل
وإن يك قد أودى فكم من أسنةٍ ... مركبةٍ من قوله في عوامل
وإن مال قوم واستمالوا رعاعهم ... بإضلالهم عنه فلست بماثل
أرى الأجر في نوحي عليه ولا أرى ... سوى الإثم في نوح البواكي الثواكل
وليس الذي يبكي إماماً لدينه ... كباكٍ لدنياه على فقد راحل
فيا قلب واصله بأعظم رحمةٍ ... ويا عين فاسقيه بأغزر وابل
وحيي ثراه الدهر أهنى تحيةٍ ... مكررةٍ عند الضحى والأصائل
أعني على نوحي عليه فإنه ... قريب ثواءٍ في الثرى والجنادل
ولو لم يكن بالدمع سيل لحبه ... لضن على لحدٍ به كل باخل
مضى من حديث المصطفى كان شاغلاً ... له باجتهادٍ فيه عن كل شاغل
لقد شمل الإسلام فيه رزية ... وكان له بالنصح أفضل شامل
وفضل بين السالفين اطلاعه ... عليهم فذب النقص عن كل فاضل
وأصبح في نقد الرجال مميزاً ... بغير نظيرٍ في الورى ومساجل
وأكمل تاريخاً لجلق جامعاً ... لمن جلها من كل شهمٍ وكامل
فأزرى بتاريخ الخطيب وقد عدا ... بخطيته في الكتب أخطب قائل
ومنها:
طوى الموت منه العلم والزهد والنهي ... وكسب المعالي واجتناب الرذائل
وأفجع فيه العالمين بمقدمٍ ... صبورٍ على حرب الضلال حلاحل
وكان غيوراً ذب عن دين أحمدٍ ... وأدفع عنه من شجاعٍ مقاتل
وأحرم منه الدين أشرف صائنٍ ... له ولدفع الزيغ أعظم صائل
ولم أر نقص الأرض يوماً كنقصها ... بموت إمامٍ عالمٍ ذي فضائل
أبا القاسم الأيام قسمة حاكمٍ ... قضى بالفنا فينا قضية عادل

بماذا أعزي المسلمين ولا أرى ... عزاءً سوى من قد مضى من أفاضل
عليك سلام الله ما انتفع الورى ... بعلمك واستعلى على المتطاول

وقال:

إن كان يحلو لديك قتلي ... فزد من الهجر في عذابي
عسى يطيل الوقوف بيني ... وبينك الله في الحساب

وقال:

لاموا عليك وما دروا ... أن الهوى سبب السعادة
إن كان وصل فالمنى ... أو كان هجر فالشهادة

وعكسه فقال:

يا قلب دع عنك الهوى قسراً ... ما أنت منه حامد أمرا
أضعت دنياك بهجرانه ... إن نلت وصلاً ضاعت الأخرى

وقال:

وللزنبور والبازي جميعاً ... لدى الطيران أجنحة وخفق
ولكن بين ما يصطاد بازٍ ... وما يصطاده الزنبور فرق

الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد

الأستاذ مؤيد الدين أبو إسماعيل الأصبهاني المعروف بالطغرائي نسبته إلى من يكتب الطغراء، وهي الطرة التي تكتب ف أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الجلي تتضمن اسم الملك وألقابه، وهي كلمة أعجمية محرفة من الطرة، كان آيةً في الكتابة والشعر، خبيراً بصناعة الكيمياء، له فيها تصانيف أضاع الناس بمزاولتها أموالاً لا تحصى، وخدم السلطان ملك شاه بن ألب أرسلان، وكان منشيء السلطام محمدٍ مدة ملكه متولي ديوان الطغراء، وصاحب ديوان الإنشاء. تشرفت به الدولة السلجوقية، وتشوقت إليه المملكة الأيوبية، وتنقل في المناصب والمراتب، وتولى الاستيفاء وترشح للوزارة، ولم يكن في الدولتين السلجوقية والإمامية من يماثله في الإنشاء سوى أمين الملك أبي نصرٍ العتبي. وله في العربية والعلوم قدر راسخ، وله البلاغة والمعجزة في النظم والنثر.

قال الإمام محمد بن الهيثم الأصفهاني: كشف الأستاذ أبو إسماعيل بذكائه سر الكيمياء، وفك رموزها واستخرج كنوزها، وله فيها تصانيف منها: جامع الأسرار وكتاب تراكيب الأنوار، وكتاب حقائق الاستشهادات وكتاب ذات الفوائد، وكتاب الرد على ابن سينا في إبطال الكيمياء، ومصابيح الحكمة، وكتاب مفاتيح الرحمة. وله ديوان شعرٍ وغير ذلك. ولد سنة ثلاثٍ وخمسين وأربعمائةٍ، وقتل في الوقعة التي كانت بين السلطان مسعود بن محمودٍ وأخيه السلطان محمودٍ سنة خمس عشرة وخمسمائةٍ، وقد جاوز الستين، وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغرائي أمر به أن يشد إلى شجرة وأن يقف تجاهه

جماعة بالسهام، وأن يقف إنسان خلف الشجرة يكتب ما يقول. وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير إليكم، فوقفوا والسهام مفوقة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحالة:

وقد أقول لمن يسدد سهمه ... نحوي وأطراف المنية شرع
والموت في لحظات أحور طرفه ... دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل يرى ... فيه لغير هوى الأحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيه ... عهد الحبيب وسره المستودع

فرق له وأمر بإطلاقه، ثم إن الوزير أغراه بقتله بعد حينٍ فقتله. ومن شعر مؤيد الدين الطغرائي قصيدته التي تداولها الرواة وتناقلتها الألسن المعروفة بلامية العجم، وقد رأيت أن أوردها بتمامها إعجاباً بها قال:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني لدى العطل
مجدي أخيراً ومجدي أولاً شرع ... والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيم الإقامة بالزوراء لا سكني ... بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
ناءٍ عن الأهل صفر الكف منفرد ... كالسيف عري متناه عن الخلل
فلا صديق إليه مشتكى حزني ... ولا أنيس إليه منتهى جذلي
طال اغترابي حتى حن راحلتي ... ورحلها وقرا العسالة الذبل
وضج من لغبٍ نضوى وعج لما ... يلقى ركابي ولج الركب في عذلي
أريد بسطة كفٍ أستعين بها ... على قضاء حقوقٍ للعلا قبلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعني ... من الغنيمة بعد الجد بالقفل
وذي شطاطٍ كصدر الرمح معتقلٍ ... لمثله غير هيابٍ ولا وكل
حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت ... بشدة البأس منه رقة الغزل
طردت سرح الكرى عن ورد مقلته ... والليل أغرى سوام النوم بالمقل
والركب ميل على الأكوار من طربٍ ... صاحٍ وآخر من خمر الهوى ثمل
فقلت أدعوك للجلى لتنصرني ... وأنت تخذلني في الحادث الجلل
تنام عيني وعين النجم ساهرة ... وتستحيل وصبغ الليل لم تحل
فهل تعين على غيٍ هممت به ... والغي يزجر أحياناً عن الفشل
إني أريد طروق الحي من إضيمٍ ... وقد حماه رماة من بني ثعل
يحمون بالبيض والسمر اللدان به ... سود الغدائر حمر الحلي والحلل
فسر بنا في ذمام الليل معتسفاً ... فنفحة الطيب تهدينا إلى الحلل
فالحب حيث العدا والأسد رابضة ... حول الكناس لها غاب من الأسل
نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت ... نصالها بمياه الغنج والكحل
قد زاد طيب أحاديث الكرام بها ... ما بالكرائم من جبنٍ ومن بخل
تبيت نار الهوى منهن في كبدٍ ... حرى ونار القرى منهم على القلل

يقتلن أنضاء حبٍ لا حراك به ... ويحتوين كرام الخيل والإبل
يشفى لديغ العوالي في بيوتهم ... بنهلةٍ من غدير الخمر والعسل
لعل إلمامةً بالجزع ثانيةً ... يدب منها نسيم البرء في عللي
لا أكره الطعنة النجلاء قد شفعت ... برشقةٍ من نبال الأعين النجل

ولا أهاب الصفاح البيض تسعدني ... باللمح من خلل الأستار والكلل
ولا أخل بغزلانٍ تغازلني ... ولو دهتني أسود الغيل بالغيل
حب السلامة يثني هم صاحبه ... عن المعالي ويغري المرء بالكسل
فإن جنحت إليه فاتخذ نفقاً ... في الأرض أو سلماً في الجو فاعتزل
ودع غمار العلا للمقدمين على ... ركوبها واقتنع منهن بالبلل
يرضى الذليل بخفض العيش مسكنةً ... والعز تحت رسيم الأينق الذلل
فادرأ بها في نحور البيد جافلةً ... معارضاتٍ مثاني اللجم بالجدل
إن العلا حدثتني وهي صادقة ... فيما تحدث أن العز في التنقل
لو أن في شرف المأوى بلوغ منىً ... لم تبرح الشمس يوماً دارة الحمل
أهبت بالحظ لو ناديت مستمعاً ... والحظ عني بالجهال في شغل
لعله إن بدا فضلي ونقصه ... لعينه نام عنهم أو تنبه لي
أعلل النفس بالآمال أرقبها ... ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل
لم أرض بالعيش والأيام مقبلة ... فكيف أرضى وقد ولت على عجل؟
غالى بنفسي عرفاني بقيمتها ... فصنتها عن رخيص القدر مبتذلي
وعادة النصل أن يزهى بجوهره ... وليس يعمل إلا في يدي بطل
ما كنت أؤثر أن يمتد بي زمني ... حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
تقدمتني أناس كان شوطهم ... وراء خطوي إذ أمشي على مهل
هذا جزاء امرئٍ لأقرانه درجوا ... من قبله فتمنى فسحة الأجل
وإن علاني من دوني فلا عجب ... لي أسوة بانحطاط الشمس عن زحل
فاصبرلها غير محتال ولا ضجرٍ ... في حادث الدهر ما يغني عن الحيل
أعدى عدوك أدنى من وثقت به ... فحاذر الناس واصحبهم على دخل
وإنما رجل الدنيا وواحدها ... من لا يعول في الدنيا على رجل
وحسن ظنك بالأيام معجزة ... فظن شراً وكن منها على وجل
غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت ... مسافة الخلف بين القول والعمل
وشان صدقك عند الناس كذبهم ... وهل يطابق معوج بمعتدل
إن كان ينجع شيءٍ في ثباتهم ... على العهود فسبق السيف للعذل

يا وارداً سؤر عيشٍ كله كدر ... أنفقت صفوك في أيامك الأول
فيم اقتحامك لج البحر تركبه ... وأنت يكفيك منه مصة الوشل؟
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا ... يحتاج فيه إلى الأنصار والخول
ترجو البقاء بدارٍ لا ثبات لها ... فهل سمعت بظلٍ غير منتقل؟
ويا خبيراً على الأسرار مطلعاً ... اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل
قد رشحوك لأمرٍ لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل
وقال يسلي معين الملك فضل الله في نكبته ويحضه على الصبر:
تصدى وللحي المنيع ... غزال أحم المقلتين كحيل
تصدى وأمر البين قد جد جده ... وزمت جمال واستقل حمول
وفي الصدر من نار الصبابة جاحم ... وفي الخد من ماء الجفون مسيل
غزال له مرعى من القلب مخصب ... وظل صفيق الجانبين ظليل
تناصف فيه الحسن أما قوامه ... فشطب وأما خصره فنحيل
قريب من الرائين يطمع قربه ... وليس إليه للمحب سبيل
إذا سار لحظ المرء في وجناته ... تضاءل عند الطرف وهو كليل
ولما استقل الحي وانصدعت به ... نوىً عن وداع الظاعنين عجول

تراءى لنا وجه من الخد نير ... وضاءت علينا نضرة وقبول
فصبراً معين الملك إن عن حادث ... فعاقبة الصبر الجميل جميل
ولا تيأسن من صنع ربك إنه ... ضمين بأن الله سوف يديل
فإن الليالي إذ يزول نعيمها ... تبشر أن النائبات تزول
ألم تر أن الشمس بعد كسوفها ... لها منظر يغشي العيون صقيل
وأن الهلال النضو يغمر بعدما ... بدا وهو شخت الجانبين ضئيل
ولا تحسبن السيف يقصر كلما ... تعاوده بعد المضاء كلول
ولا تحسبن الدوح يقلع كلما ... يمر به نفح الصبا فيميل
فقد يعطف الدهر الأبي عنانه ... فيشفي عليل أو يبل غليل
ويرتاش مقصوص الجناحين بعدما ... تساقط ريش واستطار نسيل
ويستأنف الغصن السليب نضارةً ... فيورق ما لم يعتوره ذبول
وللنجم من بعد الرجوع استقامة ... وللحظ من بعد الذهاب قفول
وبعض الرزايا يوجب الشكر وقعها ... عليك وأحداث الزمان شكول
ولا غرو إن أخنت عليك فإنما ... يصادم بالخطب الجليل جليل
وأي قناةٍ لم ترنح كعوبها ... وأي حسامٍ لم يصبه فلول؟

أسأت إلى الأيام حتى وترتها ... فعندك أضغان بها وذحول
وصارفتها فيما أرادت صروفها ... ولولاك كانت تنتحي وتصول
وما أنت السيف يسكن غمده ... ليردى به يوم النزال قتيل
أمالك بالصديق يوسف أسوة ... فتحمل وطء الدهر وهو ثقيل؟
وما غض منك الحبس والذكر سائر ... طليق له في الخافقين زميل
فلا تذعنن للخطب آدك ثقله ... فمثلك للأمر العظيم حمول
ولا تجزعن للكبل مسك وقعه ... فإن خلاخيل الرجال كبول
وصنع الليالي ما عدتك سهامها ... وإن أجحفت بالعالمين جميل
وإن امرأً تعدو الحوادث عرضه ... ويأسى لما يأخذنه لبخيل
وقال:
أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي ... منها فما أحتاج أن أتعلما
وعرفت أسرار الخليقة كلها ... علماً أنار لي البهيم المظلما
وورثت هرمس سرحكمته الذي ... ما زال ظناً ف الغيوب مرجما
وملكت مفتاح الكنوز بحكمةٍ ... كشفت لي السر الخفي المبهما
لولا التقية كنت أظهر معجزاً ... من حكمتي تشفي القلوب من العمى
أهوى التكرم والتظاهر بالذي ... علمته والعقل ينهي عنهما
وأريد لا ألقى غبياً موسراً ... في العالمين ولا لبيباً معدما
والناس إما جاهل أو ظالم ... فمتى أطيق تكرما وتكلما؟
وقال:
أيكية صدحت شجواً على فننٍ ... فأشعلت ما خبا من نار أشجاني
ناحت وما فقدت إنساً ولا فجعت ... فذكرتني أوطاري وأوطاني
طليقة من إسار الهم ناعمة ... أضحت تجدد وجد الموثق العاني
تشبهت بي في وجدٍ وفي طربٍ ... هيهات ما نحن في الحالين سيان
ما في حشاها ولا في جفنها أثر ... من نار قلبي ولا من ماء أجفاني
يا ربة البانة الغناء تحضنها ... خضراء تلتف أغصاناً بأغصان
إن كان نوحك إسعاداً لمغترب ... ناءٍ عن الهل ممنٍ بهجران
فقارضيني إذا ما اعتادني طرب ... وجداً بوجدٍ وسلواناً بسلوان
ما أنت مني ولا يعنيك ما أخذت ... مني الليالي ولا تدرين ما شاني
كلي إلى السحب إسعادي فإن لها ... دمعاً كدمعي وإرناناً كإرناني
وقال:
أقول لنضوي وهي من شجني خلو ... حنانيك قد أدميت كلمي يا نضو

تعالى أقاسمك الهموم لتعلمي ... بأنك مما تشتكي كبدي خلو
تريدين مرعى الريف والبدو أبتغي ... وما يستوي الريف العراقي والبدو
هناك هبوب الريح مثلك لاعب ... ومثلي ماء المزن مورده صفو
ومحجوبةٍ لو هبت الريح أرقلت ... إليها المهارى بالعوالي ولم يلووا
صوت إليها وهي ممنوعة الحمى ... فحتام؟ أصبو نحو من لا له نحو
هوىً ليس يسلى القرب عنه ولا النوى ... وشجو قديم ليس يشبهه شجو
فأسر ولا فك ووجد ولا أسىً ... وسقم ولا برء وسكر ولا صحو
عناء معن وهو عندي راحة ... وسم زعاف طعمه في فمي حلو
ولولا الهوى ما شاقني لمع بارقٍ ... ولا هدني شجو ولا هزني شدو

وقال:

خبروها أني مرضت فقالت ... أضنىً طارفاً شكا أم تليدا؟
وأشاروا بأن تعود وسادي ... فأبت وهي تشتهي أن تعودا
وأتتني في خفيةٍ وهي تشكو ... رقبة الحي والمزار البعيدا
ورأتني كذا فلم تتمالك ... أن أمالت علي عطفاً وجيداً
ثم قالت لتربها وهي تبكي ... ويح هذا الشباب غضا جديدا
زورة ما شفت عليلاً ولكن ... زيدت جمرة الفؤاد وقودا
وتولت بحسرة البين تخفي ... زفراتٍ أبين إلا صعودا

وقال:

أنظر ترى الجنة في وجهه ... لا ريب في ذاك ولا شك
أما ترى فيه الرحيق الذي ... ختامه من خاله مسك

الحسين بن علي بن الحسن

ابن محمد بن يوسف بن بحر بن بهرام بن المرزبان بن ماهان بن باذام بن ساسان بن الحرون من ولد بهرام جور ملك فارس، أبو القاسم المعروف بالوزير المغربي الأديب اللغوي الكاتب الشاعر، ولد فجر يوم الأحد ثالث عشر ذي الحجة، سنة سبعين وثلاثمائةٍ. وحفظ القرآن وعدة كتبٍ في النحو واللغة وكثيراً من الشعر، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة، ولم يبلغ العمر أربعة عشر ربيعاً، وكان حسن الخط سريع البديهة في النظم والنثر. ولما قتل الحاكم العبيدي أباه وعمه وأخويه هرب من مصر، فلما بلغ الرملة استجار بصاحبها حسان بن الحسن بن مفرج بن دغفل بن الجراح الطائي ومدحه فأجاره، وسكن جأشه وأزال خوفه ووحشته، فأقام عنده مدةً في خلالها نيته على الحاكم صاحب مصر، ثم رحل عنه متوجهاً إلى الحجاز مجتازاً بالبلقاء من أعمال دمشق، فلما وصل إلى مكة أطمع صاحبها بالحاكم ومملكة الديار المصرية، وجد في ذلك حتى أقلق الحاكم وخاف على ملكه، فاضطر إلى إرضاء ابن الجراح صاحب الرملة واستمالته ببذل الأموال، حيث

بايع صاحب مكة أبا الفتوح الحسن بن جعفرٍ بالخلافة، فلما استمال الحاكم ابن الجراح هرب أبو الفتوح إلى مكة، وهرب الوزير أبو القاسم إلى العراق، وقصد فخر الملك أبا غالب بن خلفٍ الوزير فأقام عنده بواسط مكرماً بعد أن رفع عنه طلب القادر بالله له، حيث اتهم أنه ورد لإفساد الدولة العباسية، فلما توفي فخر الملك مقتولاً عاد الوزير المغربي إلى بغداد، ثم شخص إلى الموصل فاتفق وفاة أبي الحسن كاتب قرواش بن هانئ بني عقيلٍ، فتولى الكتابة مكانه ووزر لقرواشٍ، ثم وزر بعد حينٍ لمشرف الدولة بن بويه مكان مؤيد المكل أبي عليٍ، ثم فارق مشرف الدولة وعاد إلى خدمة مخدومه الأول قرواشٍ، ثم تجدد للقادر سوء رأيٍ فيه، ففارق قرواشاً متوجهاً إلى ديار بكرٍ، فوزر فيها لسلطانها أحمد بن مروان، وأقام عنده إلى أن توفي في ثالث عشر من شهر رمضان سنة ثماني عشرة وأربعامائةٍ، وكانت وفاته بميافارقين، وحمل بوصيةٍ منه إلى الكوفة ودفن بها في تربةٍ مجاورةٍ لمشهد عليٍ – رضي الله عنه – واوصى أن يكتب على قبره:

كنت في سفرة الغواية والجه ... ل مقيماً فخان مني قدوم
تبت من كل مأتم فعسى يم ... حى بهذا الحديث ذاك القديم
بعد خمسٍ وأربعين لقد ما ... طلت إلا أن الغريم كريم

وللوزير أبي القاسم رواية عن الوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل بن الفرات المعروف بابن حنزابة، حكى عنه بسنده إلى المدائني أنه قال: كان رجل بالمدينة من بني سليمٍ يقال له جعدة، كان يتحدث إليه النساء بظهر المدينة فيأخذ المرأة فيعقلها إلى الحيطان ويثبت العقال، فإذا أرادت أن تثب سقطت وتكشفت، فبلغ ذلك قوماً في بعض المغازي فكتب رجل منهم إلى عمر – رضي الله عنه – بهذه الأبيات:

ألا أبلغ أبا حفصٍ رسولاً ... فداً لك من أخي ثقةٍ إزاري
قلائصنا هداك الله إناشغلنا عنكم زمن الحصار
لئن قلص تركن معقلاتٍ ... قفا سلعٍ بمختلف البحار
يعقلهن جعدة من سليمٍ ... وبئس معقل الذود الطوار
يعقلهن لأيض شيظمي ... معر يبتغي بسط العرار

فلما قرأ عمر الأبيات قال: علي بجعدة من سليمٍ فأتوه به، فكان سعيد يقول: إني لفي الأغيلمة إذا جروا جعدة إلى عمر، فلما رآه قال: أشهد أنك شيظمي كما وصفت، فضربه مائةً ونفاه إلى عمان. ومن شعر الوزير المغربي:

خف الله واستدفع سطاه وسخطه ... وسائله فيما تسأل الله تعطه
فما تقبض الأيلم في نيل حاجةٍ ... بنان فتىً أبدى إلى الله بسطه
زكن بالذي قد خط باللوح راضياً ... فلا مهرب مما قضاه وخطه
وإن مع الرزق اشتراط التماسه ... وقد يتعدى إن تعديت شرطه
ولو شاء ألقى في فم الطير قوته ... ولكنه أوحى إلى الطير لقطه
إذ ما احتملت العبء فانظر قبيل أن ... تنوء به ألا تروم محطه

وأفضل أخلاق الفتى العلم والحجا ... إذا ما صروف الدهر أخلقن مرطه
فما رفع الدهر امرأً عن محله ... بغير التقى والعلم إلا وحطه
وقال:
حلقوا شعره ليكسوه قبحاً ... غيرةً منهم عليه وشحا
كان صبحاً عليه ليل بهيم ... فنحرا ليله وأبقوه صبحا
وقال:
لي كلما ابتسم النهار تعلة ... بمحدثٍ ما شاء قلبي شأنه
فإذا الدجى وافى وأقبل جنحه ... فهناك يدري الهم أين مكانه؟
وقال:
إذا ما الأمور اضطربن اعتلى ... سفيه يضام العلا باعتلائه
كذا الماء إن حركته يد ... طفا عكر راسب في إنائه
وقال:
أرى الناس في الدنيا كراعٍ تنكرت ... مراعيه حتى ليس فيهن مرتع
فماء بلا مرعىً ومرعً بغير ماء ... وحيث ترى ماءً ومرعىً فمسبع
وقال:
سأعرض كل منزلةٍ ... تعرض دونها العطب
فإن أسلم رجعت وقد ... ظفرت وأنجح الطلب
وإن أعطب فلا عجب ... لكل منيةٍ سبب
وقال:
لو كنت أعرف فوق الشكر منزلةً ... أعلى من الشكر عند الله في الثمن
إذاً منحتكما مني مهذبةً ... حذواً على حذو ما واليت من حسن
وقال:
أقول لها والعيس تحدج للسرى ... عدي لفقدي ما استطعت من الصبر
سأنفق ريعان الشبيبة آنفاً ... على طلب العلياء أو طلب الأجر
أليس من الخسران أن ليالياً ... تمر بلا نفعٍ وتحسب من عمري
وقال:
الدهر سهل وصعب ... والعيش مر وعذب
فاكسب بمالك حمداً ... فليس كالحمد كسب
وما يدوم سرور ... فاغنم وقلبك رطب
وقال:
من بعد ملكي ومتم أن تغدروا ... ما بعد فرقة ما ملكت تخير

ردوا الفؤاد كما عهدتم للحشا ... ولطرفي الساهي الكرى ثم اهجروا

وقال:

لا تشاور من ليس يصفيك وداً ... إنه غير سالكٍ بك قصداً

واستشر في الأمور كل لبيبٍ ... ليس يأتوك في النصيحة جهدا

وقال:

تأمل من أهواه صفرة خاتمي ... فقال بلطفٍ لم تجنبت أحمره؟

فقلت: لعمري كان أحمر لونه ... ولكن سقامي حل فيه فغيره

وقال:

إني أبثك من حديث ... ي و الحديث له شجون

فارقت موضع مرقدي ... ليلاً ففارقني السكون

قل لي فأول ليلةٍ ... في القبر كيف ترى أكون؟

الحسين بن عبد الله بن أحمد

ابن عبد الجبار الأمير أبو الفتح المعروف بابن أبي حصينة المعري، الأديب الشاعر، توفي بسروج في منتصف شعبان سنة سبعٍ وخمسين وأربعمائةٍ وكان سبب تقدمه ونواله الإمارة: أن الأمير تاج الدولة بن مرداسٍ إلى حضرة المستنصر العبيدي رسولاً سنة سبعٍ وثلاثين وأربعمائةٍ، فمدح المستنصر بقصيدةٍ قال فيها:

ظهر الهدى وتجمل الإسلام ... وابن الرسول خليفة وإمام

مستنصر بالله ليس يفوته ... طلب ولا يعتاص عنه مرام

حاط العباد وبات يسهر عينه ... وعيون سكان البلاد نيام

قصر الإمام أبي تميمٍ كعبة ... ويمينه ركن لها ومقام

لولا بنو الزهراء ما عرف التقى ... فينا ولا تبع الهدى الأقوام

يا آل أحمد ثبتت أقدامكم ... وتزلزلت بعداكم الأقدام

لستم وغيركم سواءً، أنتم ... للذين أرواح وهم أجسام

يا آل طه حبكم وولاؤكم ... فرض وإن عذل اللحاة ولاموا

وهي طويلة. ثم مدحه سنة خمسين وأربعمائةٍ، فوعده بالإمارة، وأنجز له وعده سنة إحدى وخمسين، فتسلم سجل الإمارة من بين يدي الخليفة في ربيعٍ الآخر من السنة، فمدحه بقصيدةٍ منها:

أما الإمام فقد وفى بمقالةٍ ... صلى الإله على الإمام وآله

لذنا بجانبه فعم بفضله ... وببذله وبصفوه وجماله

لا خلق أكرم من معدٍ شيمةً ... محمودة في قوله وفعاله

فاقصد أمير المؤمنين فما ترى ... بؤساً وأنت مظلل بظلاله

زاد الإمام على البحور بفضله ... وعلى البدور بحسنه وجماله
وعلا سرير الملك من آل الهدى ... من لاتمر الفاحشات بباله
النصر والتأييد في أعلامه ... ومكارم الأخلاقفي سرباله
مستنصر بالله ضاق زمانه ... عن شبهه ونظيره ومثاله

وكان الذي سعى في تأميره وكتب له سجل الإمارة أبو عليٍ صدقة بن إسماعيل بن فهدٍ الكاتب، فمدحه الأمير أبو الفتح بقصيدةٍ منها:

قد كان صبري عيل في طلب العلا ... حتى استندت إلى ابن إسماعيلا
فظفرت بالخطر الجليل ولم يزل ... يحوي الجليل من استعان جليلا
لولا الوزير أبو عليٍ لم أجد ... أبداً إلى الشرف العلي سبيلا
إن كان ريب الدهر قبح ما مضى ... عندي فقد صار القبيح جميلا
وأجل ما فعل الرجال صلاتهم ... للراغبين العز والتبجيلا
اليوم أدركت الذي أنا طالب ... والأمس كان طلابه تعليلا

وقال يمدح أسد الدولة عطية بن صالح بن مرداسٍ:

سرى الطيف هندٍ والمطي بنا تسري ... فأخفى دجى ليلٍ وأبدى سنا فجر
خليلي فكاني من الهم واركبا ... فجاج البوادي الغبر في النوب الغمر
إلى ملكٍ من عامرٍ لو تمثلت ... مناقبه أغنت عن الأنجم الزهر
إذا نحن أثنينا عليه تلفتت ... إلينا المطايا مصغياتٍ إلى الشكر
وفوق سرير الملك من آل صالحٍ ... فتىً ولدته أمه ليلة القدر
فتىً وجهه أبهى من البدر منظراً ... وأخلاقه أشهى من الماء والخمر
أبا صالحٍ أشكو إليك نوائباً ... عدتني كما يشكو النبات إلى القطر
لتنظر نحوي نظرةً إن نظرتها ... إلى الصخر فجرت العيون من الصخر
وفي الدار خلفي صبية قد تركتهم ... يطلون إطلال الفراخ من الوكر
جنيت على روحي بروحي جنايةً ... فأثقلت ظهري بالذي خف من ظهري

فهب هبةً يبقى عليك ثناؤها ... بقاء النجوم الطالعات التي تسري

قال المير أسامة بن منقذٍ: فلما فرغ من إنشاده أحضر الأمير أسد الدولة القاضي والشهود، وأشهد على نفسه بتمليك الأمير أبي الفتح بن أبي حصينة ضيعةً من ضياعه لها ارتفاق كبير، وأجازه فأحسن جائزته فأثرى وتمول، ولما ملك محمود بن نصر بن صالح بن مرداسٍ حلب سنة اثنتين وخمسين وأربعمائةٍ، مدحه بقصيدة منها:

كفي ملامك فالتبريح يكفيني ... أو جربي بعض ما ألقى ولوميني
برمل يبرين أصبتم فهل علمت ... رمال يبرين أن الشوق يبريني

أهوى الحسان وخوف الله يردعني ... عن الهوى والعيون النجل تغويني
ما بال أسماء تلويني مواعدها ... أكل ذات جمالٍ ذات تلوين؟
كان الشباب إلى هندٍ يقربني ... وشاب رأسي فصار اليوم يقصيني
يا هند إن سواد الرأس يصلح للد ... دنيا وإن بياض الرأس للدين
لست امرءاً غيبة الأحرار من شيمي ... ولا النميمة من طبعي ولا ديني
دعني وحيداً أعاني العيش منفرداً ... فبعض معرفتي بالناس تكفيني
ما ضرني ودفاع الله يعصمني ... من بات يهدمني فالله يبنيني
وما أبالي وصرف الدهر يسخطني ... وسيب نعماك يا ابن الصيد يرضيني
أبا سلامة عش واسلم حليف علاً ... وسؤددٍ بشعاع الشمس مقرون
أشنا عداكم وأهوى أن أدين لكم ... فللعدى دينهم فيكم ولي ديني

فلما أتم إنشادها قال له تمنَّ، قال: أتمنى أن أكون أميراً، فجعله أميراً يجلس مع الأمير، ويخاطب بالأمير وقربه، وقد تقدم أن الإمارة وجهت إليه سنة إحدى وخمسين من ديوان المستنصر بمصر، ولا منافاة بين الروايتين، إذ يمون توجيه الإمارة إليه من الأمير محمود بن نصرٍ تالياً لتوجيهها إليه من جانب المستنصر ومؤكداً مؤيداً له، ووهبه صاحب حلب محمود أيضاً مكاناً بحلب تجاه حمام الواساني فجعله داراً وزخرفها، فلما تم بناؤها نقش على دائرة النرابزين فيها:

دار بنيناها وعشنا بها ... في دعةٍ من آل مرداس
قوم محوا بؤسي ولم يتركوا ... علي في الأيام من باس
قل لبني الدنيا ألا هكذا ... فليحسن الناس إلى الناس

ولما تكامل البناء عمل دعوةً حضرها الأمير محمود بن نصرٍ، فلما رأى حسن الدار وقرأ الأبيات المتقدمة قال: يا أبا الفتح كم صرفت على بناء الدار؟ قال: يا مولاي هذا الرجل تولى عمارتها. ولا أدري كم صرف عليها؟ فسأل المعمار فقال: غرم عليها ألفا دينارٍ مصريةٍ، فأمر بإحضار ألفي دينارٍ وثوبٍ أطلسٍ وعمامةٍ مذهبةٍ وحصانٍ بطوقٍ مذهبٍ وسرفسارٍ ذهبٍ فسلمها إلى ابن أبي حصينة وقال له:

قل لبني الدنيا ألا هكذا ... فليحسن الناس إلى الناس

وحضر بعد أيامٍ رجل من أهل المعرة يقال له الزقوم من رعاع الناس وأسافلهم، فطلب رزق جنديٍ فأعطى ذلك وجعل من أجناد المعرة، فقال أحمد بن محمدٍ المعروف بابن الزويدة المعري في ذلك:

أهل المعرة تحت أقبح خطةٍ ... وبهم أناخ الخطب وهو جسيم
لم يكفهم تأمير ابن حصينةٍ ... حتى تجند بعده الزقوم
يا قوم قد سئمت لذاك نفوسنا ... يا قوم أين الترك أين الروم؟

فشاعت الأبيات وسمعها الأمير أبو الفتح، فذهب إلى بيت ابن الزويدة فلما دخل عليه قال له ابن الزويدة: الآن والله كان عندي الزقوم وقال لي: والله ما بي من الهجو ما بي من أنك قرنتني بابن أبي حصينة، فقال له ابن حصينة: قبحك الله وهذا وهذا هجو ثانٍ وقال يمدح قريش بن بدران بن المقلد بن المسيب صاحب

نصيبين:

أبت عبراته إلا انهمالاً ... عشية أزمع الحي ارتحالا
أجدك كلما هموا بنأيٍ ... ترقرق ماء عينك ثم سالا
تقاضينا مواعد أم عمروٍ ... فضنت أن تنيل وأن تنالا
وسار خيالها الساري إلينا ... فلو علمت لعاقبت الخيالا

ومنها:

إذا بلغت ركائبنا قريشاً ... فقد بلغت بنا الماء الزلالا

فتىً لو مد نحو الجو باعاً ... وهم بأن ينال الشهب نالا
إذا انتسب ابن بدرانٍ وجدنا ... مناسبه المليّة لا تعالى
تتيه بها إذا ذكرت معد ... وتكسب كل قيسيٍ جمالا
أيا علن الهدى نجوى محبٍ ... يحبكم اعتقاداُ لا انتحالا
مننت فلم تجشمني عناءً ... وجدت فلم تكلفني سؤالا
إذا عدم الزمان مسيباً ... أتاح الله للدنيا وبالا

وهي طويلة اكتفينا منها بما ذكرناه.

وقال يرثي زعيم الدولة أبا كاملٍ بركة بن المقلد بن المسيب. وتوفي بتكريت سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائةٍ:

من عظيم البلاء موت العظيم ... ليتني مت قبل موت الزعيم
يا جفوني سحي دماً أو فحمي ... صحن خدي بعبرةٍ كالحميم
بعد خرقٍ من الملوك كريمٍ ... ما زمان أودى به بكريم
جعفري النصاب من صفوة الصف ... وة في الفخر والصميم الصميم
يا أبا كاملٍ برغمي أن يشقي ... ك سكنى التراب بعد النعيم
أو تبيت القصور خاليةً من ... ك ومن وجهك الوضيء الوسيم
وانقراض الكرام من شيم الله ... ر ومن عادة الزمان اللئيم
قد بكت حسرةً عليه المذاكي ... وشكت فقده بنات الرسيم

وهي قصيدة طويلة، وقال يرثي أبا العلاء المعري:

العلم بعد أبي العلاء مضيع ... والأرض خالية الجوانب بلقع
أودى وقد ملأ البلاد غرائباً ... تسري كما تسري النجوم الطلع
ما كنت أعلم وهو يودع في الثرى ... أن الثرى فيه الكواكب تودع
جبل ظننت وقد تزعزع ركنه ... أن الجبال الراسيات تزعزع
وعجبت أن تسع المعرة قبره ... ويضيق بطن الأرض عنه الأوسع
لو فاضت المهجات يوم وفاته ... ما استكثرت فيه فكيف الأدمع؟

تتصرم الدنيا ويأتي بعده ... أمم وأنت بمثله لا تسمع
لا تجمع المال العتيد وجد به ... من قبل تركك كل شيءٍ تجمع
وإن استطعت فسر بسيرة أحمدٍ ... تأمن خديعة من يضر ويخدع
رفض الحياة ومات قبل مماته ... متطوعاً بأبز ما يتطوع
عين تسهد للعفافوللتقى ... أبداً وقلب للمهيمن يخشع
شيم تجمله فهن لمجده ... تاج ولكن بالثناء يرصع
جادت ثراك أبا العلاء غمامة ... كندى يديك ومزنة لا تقلع
ما ضيع الباكي عليك دموعه ... إن البكاء على سواك مضيع
قصدتك طلاب العلوم ولا أرى ... للعلم باباً بعد بابك يقرع
مات النهى وتعطلت أسبابه ... وقضى العلا والعلم بعدك أجمع

وقال يرثي أبا يعلى حمزة بن الحسين بن العباس الحسيني الدمشقي، وكان يوم وفاته بدمشق:

هوى الشرف العالي بموت أبي يعلى ... ولا غرو أن جلت رزية من جلى
سيصلى بنار الحزن من كان آمناً ... به أنه في الحشر بالنار لا يصلى
تحلت به الدنيا فحل به الردى ... فعطلها من ذلك الحلي من حلى
فقدناه فقد الغيث أقلع وبله ... عن الأرض لما أنفدت ذلك الوبلا
لقد فل منه الدهر حد مهندٍ ... تركنا به كل حدٍ له فلا
فلست أبالي بعده أي عابرٍ ... من الناس أملى الله مدته أم لا
تقل دموعي والهموم كثيرة ... كذاك دخان النار إن كثرت قلا
وآنف أن أبكي عليك بعبرةٍ ... إذا لم يكن غرباً من الدمع أو سجلا

وقال يرثي معتمد الدولة قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي صاحب الموصل، توفى مسجوناً بقلعة الجراحية. وقيل: قتله ابن أخيه قريش في مستهل رجبٍ سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائةٍ، ودفن بتل توبة من مدينة نينوى:

أمثل قرواشٍ يذوق الردى ... يا صاح ما أوقح وجه الحمام
حاشا لذاك الوجه أن يعرف ال ... بؤس وأن يخشى عليه الرغام
وللجبين الصلت أن يسلب ال ... بهجة أو يعدم حسن الوسام
يا أسف الناس على ماجدٍ ... مات فقال الناس مات الكرام
غير بعيدٍ يا بعيد الندى ... ولا ذميم يا وفي الذمام
زلت فلا القصر بهي ولا ... بابك معمور كثير الزحام
ولا الخيام البيض منصوبة ... بوركت يا ناصب تلك الخيام
قبحاً لدنيا حطمت أهلها ... وآخذتهم باكتساب الحطام

تأخذ ما تعطي فما بالنا ... نكثر فيما لا يدوم الخصام
يا قبر قرواشٍ سقيت اليا ... ولا تعدتك غوادي الغمام
قضى ولم أقض على إثره ... إني لمن ترك الوفا ذو احتشام
أنظم شعراً والجوى شاغلي ... يا عجباً كيق استقام الكلام

ولما وصل أرمانوس ملك الروم إلى حلب سنة إحدى وعشرين وأربعمائةٍ، ومعه ملك الروس وملك البلغار والألمان و البلجيكوالخزر والأرمن في ستمائة ألفس من الفرنج، قاتلهم شبل الدولة نصربن صالحٍ صاحب حلب. فهزمهم وتبعهم إلى عزازٍ وأسر جماعةً من أولاد ملوكهم، وغنم المسلمون منهم غنائم عظيمةً، فقال ابن أبي حصينة في ذلك وأنشدها شبل الدولة بظاهر قنسرين:

ديار الحي مقفرة يباب ... كأن رسوم دمنتها كتاب
نأت عنها الرباب وبات يهمي ... عليها بعد ساكنها الرباب
تعاتبني أمامة في التصابي ... وكيف به وقد فات الشباب؟
نضا مني الصبا ونضوت منه ... كما ينضو من الكف الخضاب

زمنها:

إلى نصرٍ وأي فتىً كنصرٍ ... إذا حلت بمغناه الركاب
أمنتهك الفرنج غداة ظلت ... حطاماً فيهم السمر الصلاب؟
جنودك لا يحيط بهن وصف ... وجودك لا يحصله حساب
وذكرك كله ذكر جميل ... وفعلك كله فعل عجاب
وأرمانوس كان أشد بأساً ... وحل به على يدك العذاب
أتاك يجر بحراً من حديدٍ ... له في كل ناحيةٍ عتاب
إذا سارت كتائبه بأرضٍ ... تزلزلت الأباطح والهضاب
فعاد وقد سلبت الملك عنه ... كما سلبت عن الميت الثياب
فما أدناه من خيرٍ مجيء ... ولا أقصاه عن شرٍ ذهاب
فلا تسمع لطنطنة الأعادي ... فإنهم إذا طنوا ذباب
ولا ترفع لمن عاداك رأساً ... فإن الليث تنبحه الكلاب

وقال:

أشد من فاقة الزمان ... مقام حرٍ على هوان
فاسترزق الله واستعنه ... فإنه خير مستعان
وإن نبا منزل بحرٍ ... فمن مكانٍ إلى مكان

وقال:

بكت على غداة البين حين رأت ... دمعي يفيض وحالي حال مبهوت
فدمعي ذوب ياقوتٍ على ذهبٍ ... ودمعها ذوب درٍ فوق ياقوت

وقال:

لا تخدعنك بعد طول تجاربٍ ... دنيا تغر بوصلها وستقطع

أحلام نومٍ أو كظلٍ زائلٍ ... إن اللبيب بمثلها لا يخدع

وقال يمدح ثابت بن شمال بن صالح بن مرداسٍ:

لو أن داراً أخبرت عن ناسها ... لسألترامة عن ظباء كناسها

بل كيف تخبر دمنة ما عندها ... علم بوحشتها ولا إيناسها؟

ممحوة العرصات يشملها البلى ... عن ساحبات المرط فوق دهاسها

ومنها:

وزمان لهوٍ بالمعرة مونقٍ ... بشياتها وبجانبي هرماسها

أيام قلت لذي المودة اسقني ... من خندريس حناكها أو حاسها

حمراء تغنينا بساطع لونها ... في الليلة الظلماء عن نبراسها

وكأنما حبب المزاج إذا طفا ... در ترصع في جوانب طاسها

رقت فما أدرى زجاجها ... في جسمها أم جسمها في كأسها؟؟

وكأنما زرجونة جاءت بها ... سقيت مذاب التبر عند غراسها

فأتت مشعشعةً كجذوة قابسٍ ... راعت أكف القوم عند مساسها

لله أيام الصبا ونعيمها ... وزمان جدتها ولين مراسها

مالي تعيب البيض بيض مفارقي ... وسبيلها تصبو إلى أجناسها

نور الصباح إذا الدجنة أظلمت ... أبهى وأحسن من دجى أغلاسها

إن الهوى دنس النفوس فليتني ... طهرت هذي النفس من أدناسها

ومطامع الدنيا ولا أرى ... شيئاً أعز لمهجةٍ من ياسها

من عف لم يذمم ومن تبع الخنا ... لم تخله التبعات من أوكاسها

زين خصالك بالسماح ولا ترد ... دنيا تراك وأنت بعض خساسها

ومتى رأيت يد امرئٍ ممدودةً ... تبغي مؤاساة الكريم فواسها

خير الأكف السابقات بجودها ... كف تجود عليك في إفلاسها

ومنها في المدح:

أما نزار فكلها لكريمة ... لكن أكرمها بنو مرداسها

وقال:

إذا المرء لم يرض ما أمكنه ... ولم يأت من أمره أحسنه

فدعه فقد ساء تدبيره ... سيضحك يوماً ويبكي سنه

وقال:

الدهر خداعة خلوب ... وصفوه بالقذى مشوب
فلا تغرنك الليالي ... فبرقها خلب كذوب
وأكثر الناس فاعتزلهم ... قوالب مالها قلوب

الحسين بن عبد الرحيم بن الوليد

ابن عثمان بن جعفرٍ، أبو عبد الله الكلابي المعروف بابن الزلازل من بني جعفر بن كلابٍ اللغوي الأديب الكاتب الشاعر. أخذ عن أبي القاسم الزجاجي وأبي بكرٍ الخرائطي وغيرهما. توفي سنة أربعٍ وخمسين وثلاثمائةٍ.
وله مصنفات منها: كتاب أنواع الأسجاع، ابتدأ بتأليفه في دمشق سنة ثلاثٍ وأربعين وثلاثمائةٍ، وروى فيه عن شيوخه وغيرهم، وهو كتاب ممتع أجاد وضعه وتأليفه.
ومن شعر ابن أبي الزلازل:
لقد عرفتك الحادثات نفوسها ... وقد أدبت إن كان ينفعك الأدب
ولو طلب الإنسان من صرف دهره ... دوام الذي يخشى لأعياه ما طلب
وقال:
فتىً لرغيفه قرط وشنف ... وإكليلان من خزرٍ وشزر
إذا كسر الرغيف بكى عليه ... بكا الخنساء إذ فجعت بصخر
وقال مهنئاً بعض الأمراء بالعيد:
عيد يمنٍ مؤكد بأمان ... من تصاريف طارق الحدثان
جعل الله عيد عامك هذا ... خير عيدٍ وذاك خير التهاني
ثم لا زلت من زمانك في صف ... وٍ ومن شرب صرفه في أمان
آخذاً ذمةً من الدهر لا تخ ... فر معقودةً بأوفى ضمان
نافذ الأمر عالي القدر محمو ... د المساعي مؤيد السلطان
وقال:
ثمانية قام الوجود بها فهل ... ترى من محيصٍ للورى عن ثمانيه؟
سرور وحزن واجتماع وفرقة ... وعسر ويسر ثم سقم وعافيه
بهن انقضت أعمار أولاد آدمٍ ... فهل من رأى أحوالهم متساويه؟

الحسين بن عبد السلام

أبو عبد الله المصري المعروف بالجمل، الشاعر المشهور، كان شاعراً مفلقاً مدح الخلفاء والأمراء. توفي في ربيع الآخر سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين. قدم دمشق وافداً على أحمد بن المدبر، وكان أحمد يقصده الشعراء،

فمن مدحه بشعرٍ جيدٍ أجزل صلته، ومن مدحه بشعرٍ رديءٍ وجه به مع خادمٍ له إلى الجامع فلا يفارقه حتى يصلي مائة ركعةٍ ثم يصرفه. فدخل عليه الجمل وأنشده:

أردنا في أبي حسنٍ مديحاً ... كما بالمدح تنتجع الولاة

فقالوا أكرم الثقلين طراً ... ومن جدواه دجلة والفرات

وقالوا يقبل الشعراء لكن ... أجل صلات مادحه الصلاة

فقلت لهم وما يغني عيالي ... صلاتي؟ إنما الشأن الزكاة

فيأمر لي بكسر الصاد منها ... فتصبح لي الصلاة هي الصلات

وروى الجمل عن بشر بن بكرٍ عن الأوزاعي أنه قال: كان قوم كسالى ينامون تحت شجرة كمثرى يقولون: إن سقط في أفواهنا شيء أكلنا وإلا فلا، فسقطت كمثراة إلى جانب أحدهم، فقال له الذي يليه: ضعها في فمي. قال: لو استطعت أن أضعها في فمك وضعتها في فمي. قال ابن يونس في تاريخ مصر: كان الجمل شرهاً في الطعام دنئ النفس وسخ الثوب هجاءً، ولد قبل سنة سبعين ومائةٍ، وعلت سنه، ومدح المأمون بمصر لما ورد إليها لجوب البيمارستان، ومدح الأمراء مثل عبد الله بن طاهرٍ وغيرهم، وتوفي في ربيعٍ الآخر سنة ثمانٍ وخمسين ومائتين، ومن شعر الجمل أيضاً:

إذا أظمأتك أكف اللئام ... كفتك القناعة شبعاً وريا

فكن رجلاً رجله في الثرى ... وهامة همته في الثريا

أبيا لنائل ذي ثروةٍ ... تراه بما في يديه أبيا

فإن إراقة ماء الحيا ... ة دون إراقة ماء المحيا

الحسين بن عقيل بن محمد

ابن عبد المنعمبن هاشمٍ البزار الواسطي القرشي. كان أديباً شاعراً وله عناية بالحديث، روى عنه الخطيب البغدادي، والحافظ أبو القاسم بن عساكر. توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائةٍ، ومن شعره:

لقد كمل الرحمن شخصك في الورى ... فلا شاب شيئاً من كمالك بالنقص

ومن جمع الآفاق في العين قادر ... على جمع أشتات الفضائل في شخص

وقال:

ولما حدا البين المشت بشملنا ... ولم يبق إلا أن تثار الأيانق

ولم نستطع عند الوداع تصبراً ... وقد غالنا دمع عن الوجد ناطق

وقفنا لوديعٍ فكادت نفوسنا ... لأجسادنا قبل الوداع تفارق

فباكٍ لما يلقاه من فقد إلفه ... وشاكٍ له قلب به الوجد عالق

وقال:

أقلي النهار إذا أضاء صباحه ... وأظل أنتظر الظلام الدامسا

فالصبح يشمت بي فيقبل ضاحكاً ... والليل يرثي لي فيدبر عابسا

وقال:

على لام العذار رأيت خالاً ... كنقطة عنبرٍ بالمسك أفرط

فقلت لصاحبي هذا عجيب ... متى قالوا بأن اللام تنقط؟

الحسين بن علي بن أحمد

ابن عبد الواحد بن بكر بن شيبٍ النصيبي النديم، نديم المستنجد بالله، ولد سنة خمسمائةٍ، وتوفي سنة ثمانين وخمسمائةٍ، كان أديباً كاتباً شاعراً له اليد الطولى في حل الألغاز العويصة، تفاوض أبو منصورٍ محمد بن سليمان بن قتلمش وأبو غالب بن الحصين في سرعة خاطر ابن شيبٍ وتقدمه في حل الألغاز، فعمل ابن قتلمش أبياتاً على صورة الألغاز، ولم يلغز فيها بشيءٍ وأسلاها إلى ابن شيبٍ يمتحنانه بها وهي:

وما شيءٍ له في الرأس رجل ... وموضع وجهه منه قفاه؟

إذا أغمضت عينك أبصرته ... وإن فتحت عينك لا تراه

ونظم أيضاً:

وجارٍ وهو تيار ... ضعيف العقل خوار

بلا لحمٍ ولا ريشٍ ... وهو في الرمز طيار

بطبعٍ باردٍ جداً ... ولكن كله نار

فكتب ابن شيبٍ على الأول: هو طيف الخيال، وكتب على الثاني: هو الزئبق. فجاء أبو غالبٍ وأبو منصورٍ إليه وقالا: هب اللغز الأول طيف الخيال، والبيت الثاني يساعدك على ما قلت، فكيف تعمل بالبيت الأول؟ فقال: لأن المنام يفسر بالعكس، لأن من بكى يفسر بكاؤه بالضحك والسرور، ومن مات يفسر موته بطول العمر.

وأما اللغز الثاني: فغن أصحاب صناعة الكيمياء يرمزون للزئبق بالطيار والفرار والآبق وما أشبه ذلك، لأنه يناسب صفته، وأما برده فظاهر، ولإفراط برده ثقل جسمه وجرمه، وكله نار لسرعة حركته وتشكله في افتراقه والتئامه، وعلى كل حالٍ ففي ذلك تسامح يجوز في مثل هذه الصور الباطلة إذا طبقت على الحقيقة.

ودخل ابن شبيبٍ يوماً على الخليفة المستنجد بالله فقال الخليفة: أإبن شيبٍ؟ فقال: عبدك يا أمير المؤمنين، فأعجبه هذا التصحيف منه. ومن شعر ابن شبيبٍ في المستنجد:

أنت الإمام الذي يحكي بسيرته ... من ناب بعد رسول الله أو خلفا

أصبحت لب بني العباس كلهم ... إن عددت بحروف الجمل الخلفا

فإن جمل حروف لب اثنان وثلاثون، والمستنجد هو الثاني والثلاثون من الخلفاء. ومن شعره أيضاً:

ومحترسٍ من نفسه خوف زلةٍ ... تكون عليه حجةً هي ما هيا

يصون عن الفحشاء نفساً كريمةً ... أبت شرفاً إلا العلا والمعاليا

صبور على ريب الزمان وصرفه ... كتوم لأسرار الفؤاد مداريا
له همة تعلو على كل همةٍ ... كما قد علا البدر النجوم الدراريا
وقال:
أغصان وردٍ زينت درر الندى ... أجيادها بمخانقٍ وعقود
فتوهجت كمسارجٍ وتأرجت ... كنوافجٍ وتدبجت كبرود
وتبلجت ككواكبٍ وتبرجت ... ككواعبٍ وتضرجت كخدود
وقال:
تبوح بسرك ضيقاً به ... وتبغي لسرك من يكتم
وكتمانك السر ممن تخاف ... ومن لاتخاف هو الأحزم
وإن ذاع سرك من صاحبٍ ... فأنت وإن لمته ألوم

الحسين بن علي بن محمد

ابن مموية أبو عبد الله المعروف بابن قمٍ الزبيدي اليمني، ولد سنة ثلاثين وخمسمائةٍ، وتوفي سنة إحدى وثمانين وخمسمائةٍ، كان أديباً كاتباً شاعراً من أفاضل اليمن المبرزين في النظم والنثر والكتابة، ومن شعره:
أأحبابنا من بالقطيعة أغراكم ... وعن مستهام في المحبة ألهاكم
صددتم وأنتم تعلمون بأننا ... لغير التجني والصدود وددناكم
كشفت لكم سري على ثقةٍ بكم ... فصرت بذاك السر من بعض أسراكم
جعلناكم للنائبات ذخيرة ... فحين طلبناكم لها ما وجدناكم
قطعتم وصلناكم نسيتم ذكرناكم ... عققتم برراناكم أضعتم حفظناكم
وفي النفس سر لا تبوح بذكره ... ولو تلفت وجداً إلى يوم لقياكم
فإن تجمع الأيام بيني وبينكم ... غفرت خطاياكم لحرمة رؤياكم
وقال:
خير ما ورث الرجال بنيهم ... أدب صالح وحسن ثناه
ذاك خير من الدنانير والأو ... راق في يوم شدةٍ ورخاء
تلك تفنى والدين والأدب الص ... صالح لا يفنيان حتى اللقاء
ولابن قمٍ رسالة كتب بها إلى أبي حمير سبأ بن أبي السعود أحمد بن المظفر بن عليٍ الصليحي اليماني بعد انفصاله عن اليمن، ورواها الحافظ أبو طاهرٍ السلفي سنة ثمانٍ وستين وخمسمائةٍ وهي:

كتب عبد حضرة السلطان الأجل مولاي ربيع المجدبين، وقريع المتأدبين، جلوة الملتبس، وجذوة المقتبس، شهاب المجد الثاقب، ونقيب ذوي الرشد والمناقب، – أطال الله بقاءه، وأدام علوه و ارتقاءه، ما قلمت العارية للمستعير، ولزمت الياء للتصغير، – وجعل رتبته في الأولية عالية المقام كحرف الاستفهام، وكالمبتدأ

إن تأخر في البنية فإنه مقدم في النية، ولا زالت حضرته من الحادثات حمىً، وللوفود مزدحماً وملتزماً، حتى يكون في العلا بمنزلة حرف الاستعلا وهو من حروف اللين في حصونٍ، وما جاورها من الإمالة مصون، ولا زال عدوه كالألف حالها يختلف، تسقط في صلة الكلام ولاسيما مع اللام، فإنه – أدام الله علوه – أحسن من إلى ابتداءً، ونشر علي من فضله رداءً، أراد أن يخفى وكيف يخفى؟ لأن من شرف الإحسان، سقوط ذكره عن اللسان، كالمفعول رفع رفع الفاعل الكامل، لما حذف من الكلام ذكر الفاعل، يهدي إليه سلاماً ما الروض ضاحكه النوض، غرس وحرس وسقي ووقي وغيب وصيب، فأخذ من كل نوء بنصيبٍ، زهاه الزهر، وسقاه النهر، جاور الأضا، فحسن وأضا، رتع فيه الشحرور ومرح العصفور، فنظر إلى أقاحيه تفتر في نواحيه وإلى البهار، يضاحك شمس النهار، فجعل فجعل يلثم من ورده خدوداً، ويضم من أغصانه قدوداً، ويقتبس النار من الجلنار ويلتمس العقيق من الشقيق، فتثنى ثملاً، وغنى خفيفاً ورملاً، بأطيب من نفحته المسكية، وأعطر من رائحته الذكية، وإني وإن أهديته في كل أوانٍ، من أداء ما يجب غير وانٍ، أعد نفسي السكيت في السبق لتقصيري لما علي من الحق، أثرت فعثرت، وجهدت فما سعدت، فأنا بحمد الله بخنوعٍ وقنوعٍ، وجنابٍ عن غين العين ممنوعٍ، فارقت المثول ولا أزال، ولزمت الخمول والاعتزال، سعيي سعي الجاهد، وعيشي عيش الزاهد، ببلدٍ الأديب فيه غريب، والأريب مريب، إن تكلم استثقل، وإن سكت استقلل، منزله كبيوت العناكب، ومعيشته كعجالة الراكب، فهو كما قال أبو تمامٍ:

أرض الفلاحة لو أتاها جرول ... أعني الحطيئة لاغتدى حراثا

ما جئتها من أي بابٍ جئتها ... إلا حسبت بيوتها أجداثا

تصدا بها الأفهام بعد صقالها ... وترد ذكران العقول إناثا

أرض خلعت اللهو خلعي خاتمي ... فيها وطلقت السرور ثلاثا

وأما حال عبده بعد فراقه في الجلد. فما حال أم تسعةٍ من الولد ذكورٍ، كأنهم عقبان وصقور، كنوا في وكور، اخترم منهم ثمانية، وهي على التاسع حانية، نادى النذير: العربان في البادية للعادية يا للعادية، فلما سمعت الداعي، ورأت الخيل وهي سراع، جعلت تنادي ولدها الأناة الأناة، وهو ينادي العياة العياة:

بطل كأن ثيابه في سرحةٍ ... يحذى نعال السبت ليس بتوأم

فحين رأته يختال في غصون الزرد المصون. أنشأت تقول:

نشدت أضبطاً يميل ... بين طرفاء وغيل

لباسه من نسج دا ... ود كضحضاح يسيل

فعرض له في البادية أسد هصور. كأن ذرعه مسد مضفور:

فتطاعنا وتواقعت خيلاهما ... وكلاهما بطل اللقاء مقنع

فلما سمعت صياح الرعيل، برزت من الخدر بصبرٍ قد عيل. فسألت عن الواحد. فقيل لها لحده اللاحد.

فكرت تبتغيه فصادفته ... على دمه ومصرعه السباعا

عبثن به فلم يتركن إلا ... أديماً قد تمزق أو كراعا

بأشد من عبدك تأسفاً. ولا أعظم كمداً ولا تلهفاً، وإنه ليعنف نفسه دائماً، ويقول لها لائماً، لو فطنت

لقطنت. ولو عقلت لما انتقلت. ولو قنعت لرجعت وما هجعت.
يقيم الرجال الموسرون بأرضهم ... وترمي النوى بالمقترين المراميا
وما تركوا أوطانهم عن ملالةٍ ... ولكن حذاراً من شملتي الأعاديا
أيها السيد: أمن العدل والإنصاف. ومحاسن الشيم والأوصاف. إكرام المهان. وإذلال جواد الرهان يشبع في ساجوره كلب الزبل ويسغب في خيسه أبو الشبل:
إذا حل ذو نقصٍ مكانة فاضلٍ ... وأصبح رب الجاه غير وجيه
فإن حياة الحر غير شهيةٍ ... إليه وطعم الموت غير كريه

أقول لنفسي الدنية هبي طال نومك، واستيقظي لا عز قومك، أرضيت بالعطاء المنزور؟ وقنعت بالمواعيد الزور، يقظةً فإن الجد قد هجع، ونجعةً فمن أجدب انتجع. أعجزت في الأدباء عن خلق الحرباء؟ ولي لسان كالرشاء. تنسم أعلى السماء. ناط همته بالشمس، مع نعدها عن اللمس، أنف من ضيق الوجار، ففرخ في الأشجار، فهو كالخطيب على الغصن الرطيب.
وإن صريح الرأي والحزم لمرئٍ ... إذا بلغته الشمس أن يتحولا
وقد أصحب عبده هذه الأسطر شعراً يقصر فيه عن واجب الحمد، وإن بنيت قافيته على المد، وما يعد نفسه إلا كمهدي جلد السبتي الأسمر إلى الديباج الأحمر. أين ذو الحباب من ثغور الأحباب؟. وأين السراب من الشراب؟. والركي البكي من الواد ذي المواد. أتطلب الفصاحة من الغنم؟ والصباحة من المغتم؟ غلط من رأى الآل في القي فشبهه بهلهال الدبيقي. هيهات مناسج الرياط. تسبق تنيس ودمياط. ولا أقول كما قال القائل:
من يساجلني يساجل ماجداً ... يملأ الدلو إلى عقد الكرب
بل أضع نفسي في أقل المواضع، وأقول لمولاي قول الخاضع:
فأسبل عليها ستر معروفك الذي ... سترت به قدماً مخازي عوراتي
وها هي هذه:
فيك برحت بالعذول إباء ... وعصيت اللوام والنصحاء
فانثنى العاذلون أخيب مني ... يوم أزمعتم الرحيل رخاء
من مجيري من فاتر اللحظ ألمي ... جمع النار خده والماء؟
فيه لليل والنهار صفات ... فلهذا سر القلوب وساء
لازم شيمة الخلاف فإن لذ ... ت قسا أو دنوت منه تناءى
يا غريب الصفات حق لمن كا ... ن غريباً أن يرحم الغرباء
من صدودٍ ولوعتي وتجني ... ه وإشماته بي الأعداء
وإذا ما كتمت ما بي من وج ... دٍ أذاعته مقلتاي بكاء
كعطايا سبأ بن أحمد يخفي ... ها فترداد شهرةً ونماء

نرتجيه بهذه المدح الجو ... د وإن لم نمدحه جاد ابتداء
ألمعي يكاد ينبيك عما ... كان في الغيب فطنةً وذكاء
وإذا أخلف السماء بأرضٍ ... أخلفت راحتاه ذاك السماء
بندىً يخجل الغيوث انهمالاً ... وجدىً ينهل الرماح الظماء
ما أبالي إذ أحسن الدهر فيه ... أحسن الدهر للورى أم أساء
أيها المجدب الضريك انتجعه ... فعطاياه تسبق الأنواء
تلق منه المهذب الماجد الند ... ب الكريم السميذع الأباء
راحة في الندى تنيل نضاراً ... وحسام في الروع يهمي دماء
يا أبا حميرٍ دعوتك للده ... ر فكنت امرأً يجيب الدعاء
فأبى البخل أن يكون أماماً ... وأبى الجود أن يكون وراء
أنا أشكو إليك جور زمانٍ ... دأبه أن يعاند الأدباء
أهملتني صروفه وكأني ... ألف الوصل ألغيت إلغاء
إن سطا أرهب الضراغم في الآ ... جام أو جاد بخل الكرماء
شيم من أبيه أحمد لا ين ... فك عنها تتبعاً واقتفاء
قد تعاطى في المجد شأوك قوم ... عجزوا واحتملت فيه العناء
شرفاً شامخاً ومجداً منيفاً ... حميرياً وغيرةً قعساء
مال عني بما أؤمل فيه ... كلما قلت سوف يأسو أساء
رهن بيتٍ لو استقر به البر ... بوع لم يرضه له نافقاء
نفضتني نفض المرجم حتى ... خلتني في فم الزمان نداء
منعتني من التصرف منع ال ... تعلل التسع صرفها الأسماء
يا أبا حميرٍ وحرمة إحسا ... نك عندي ما كان حبي رياء
ما ظننت الزمان يبعدني عن ... ،ك إلى أن أفارق الأحياء
غير أني فدتك نفسي من السو ... ء وإن قلت أن تكون فداء

ضاع سعيي وخبت خابت أعا ... ديك ومن يبتغي لك الأسواء
واحتملت الزمان والنقص وال ... إبعاد والذل والعنا والجفاء
وتجملت واضطربت فما أب ... قى على عودي الزمان لحاء
أعلى هذه المصيبة صبر ... لا ولو كنت صخرةً صماء؟
ولو أني لم أعتمد دون غيري ... لتأسيت أن أموت وفاء
غير أن التصريح ليس بخافٍ ... عند من كان يفهم الإيماء
غير أني متنٍ عليك وما لم ... ت على ما لقيت إلا القضاء

وسيأتيك في البعاد وفي القر ... ب مديح يستوقف الشعراء
فبشكرٍ رحلت عنك وألقا ... ك به إن قضى الإله لقاء
ليس يبقى في الدهر غير ثناءٍ ... فاكتسب ما استطعت ذاك الثناء
وقال:
تشكي المحبون الصبابة ليتني ... تحملت ما يلقون من بينهم وحدي
فكانت لنفسي لذة الحب كلها ... فلم يدرها قبلي محب ولا بعدي
وقال:
هدايا الناس بعضهم لبعضٍ ... تولد في قلوبهم الموده
وتزرع في النفوس هوىً وحباً ... لصرف الدهر والحدثان عده
وتصطاد القلوب بلا شراكٍ ... وتسعد حظ صاحبها وجده

الحسين بن محمد بن عبد الوهاب

ابن محمد نب الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله ابن الوزير سليمان بن وهبٍ الحارثي البكري الدباس المعروف بالبارع البغدادي، كان لغوياً نحوياً مقرئاً قرأ القرآن على أبي علي بن البناء وغيره، وأقرأ خلقاً كثيراً. وسمع القاضي أبي يعلى الموصلي وغيره وروى عنه الحافظ أبو القاسم بن عساكر، وكان حسن المعرفة بصنوف الآداب فاضلاً، وله مصنفات حسان في القراءات وغيرها، وله ديوان شعرٍ جيدٍ. وهو من بيت الوزارة، فإن جده القاسم بن عبيد الله كان وزير المعتضد والمكتفي بعده، وعبيد الله بن القاسم كان وزير المعتضد أيضاً قبل ابنه القاسم. وكان بين البارع وابن الهبارية الأديب الشاعر مداعبات، فإنهما كانا رفيقين منذ نشأا، وأضر البارع في آخر حياته، وسمع منه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي، وأبو عبد الله الحسيني بن علي بن مهجلٍ الضرير الباقدرائي، وقرأ عليه بالروايات أبو جعفرٍ عبد الله بن أحمد بن جعفرٍ الواسطي المقرئ الضرير وغيره. وكان مولده سنة ثلاثٍ وأربعين وأربعمائةٍ ببغداد، وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الآخرة سنة أربعٍ وعشرين وخمسمائةٍ، ومن شعره:
لم لا أهيم إلى الرياض وحسنها ... وأظل منها تحت ظلٍ ضافي؟
والزهر حيايي بثغرٍ باسمٍ ... والباء وافاني بقلبٍ صافي
وقال:
يوم من الزمهرير مقرور ... عليه ثوب الضباب مزرور
كأنما حشو جوه إبر ... وأرضه فرشها قوارير
وشمسه حرة مخدرة ... ليس لها من ضبابه نور
وحج البارع بن الدباس، فلما رجع من الحج ذهب إليه الشريف أبو يعلى بن الهبارية مرةً فلم يجده، فكتب إليه بقصيدةٍ طويلةٍ يعاتبه بها مطلعها:
يابن ودي وأين مني ابن ودي ... غيرت طبعه الرياسة بعدي؟

وفيها مداعبة بلغت حد السخف، فأجابه البارع بقصيدةٍ طويلةٍ أيضاً مطلعها:

وصلت وقعة الشريف أبي يع ... لى فحلت محل لقياه عندي
فتلقيتها بأهلاً وسهلاً ... ثم ألصقتها بعيني وخدي
وفضضت الختام عنها فما ظن ... نك بالصاب إذ يشاب بشهد
بين حلوٍ من العتاب ومرٍ ... هو أولى به وهزلٍ وجد
وتجنى علي من غير جرمٍ ... بملامٍ يكاد يحرق جلدي
يدعي أنني احتجبت وقد زا ... ر مراراً حاشاه من قبح رد
دعك من ذمك الرياسة والحج ... ج وقل لي بغير حلٍ وعقد
فبماذا علمت بالله أني ... قد تنكرت أو تغير عهدي؟
من تراني أعامل أم وزير ... لأميرٍ أم قائد جيش جند؟

أنا ذاك الخل الخليع الذي تع ... رف أرضي ولو بخبزٍ ودردي
وإذا صح لي نديم فذاك ال ... يوم عيدي وصاحب الدست عبدي
أتراني لو كنت في النار مع ها ... مان أنساك أو بجنة خلد؟
أو لو أتى عصبت بالتاج أسلو ... ك ولو كنت غائباً عن رشدي
أنا أضعاف ما عهدت على العه ... د وإن كنت لا تكافي بود

وفي القصيدة أبيات تتضمن سخفاً فاحشاً ضربنا عن ذكرها صفحاً. ومنها:

أم لأني قنعت من سائر النا ... س بفردٍ بين الأكارم فرد
صان وجهي عن اللئام وأولا ... ني جميلاً منه إلى غير حد
أم لأني قنعت حتى لقد صر ... ت بقنعي نسيج دهري ووحدي
أم لأني أنفت مع ذا من الكد ... ية أين الكرام قل لي لأكدي؟

وقال:

إذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ... ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي ... دعته إليه من حلاوة عاجل

وقال أيضاً:

أفنيت ماء الوجه من طول ما ... أسأل من لا ماء في وجهه
أنهي إليه حالي الذي ... يا ليتني مت ولم أنهه
فلم ينلني أبداً رفده ... ولم أكد أسلم من جبهه
والدهر إذ مات مماريده ... قد مد أيديه إلى بلهه

وقال:

تنازعني النفس أعلى مقامٍ ... ولست من العجز لا أنشط
ولكن بقدر علو المكان ... يكون هبوط الذي يسقط

الحسين بن محمد

بن جعفر
ابن محمد بن الحسين الرافقي المعروف بالخالع، أحد كبار النحاة، كان إماماً في النحو واللغة والأدب، وله شعر. توفي سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائةٍ، أخذ عن أبي عليٍ الفارسي وأبي الحسن السيرافي وغيرهما. ويقال إنه من ذرية معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه – وله من التصانيف: كتاب الأودية والجبال والرمال، وكتاب الأمثال، وكتاب تخيلات العرب، وشرح شعر أبي تمامٍ، وكتاب صناعة الشعر وغير ذلك. ومن شعره:
رأيت العقل لم يكن انتهاباً ... ولم يقسم على قدر السنينا
فلو أن السنين تقسمته ... خوى الآباء أنصبة البنينا
وقال:
خطرت فقلت لها مقالة مغرمٍ ... ماذا عليك من السلا؟ فسلمي
قالت بمن تعنى؟ فحبك بين ... من سقم جسمك قلت بالمتكلم
فتبسمت فبكيت قالت لا ترع ... فلعل مثل هواك بالمتبسم
قلت اتفقنا في الهوى فزيارةً ... أو موعداً قبل الزيارة قدمي
فتضاحكت عجباً وقالت يا فتىً ... لو لم أدعك تنام بي لم تحلم
وقال:
أما لظلام ليلي من صباحٍ ... أما للنجم فيه من براح
كأن الأفق سد فليس يرجى ... به نهج إلى كل النواحي
كأن الشمس قد مسخت نجوماً ... تسير مسير روادٍ طلاح
كأن الصبح مهجور طريد ... كأن الليل مات صريع راح
كأن بنات نعشٍ متن حزناً ... كأن النسر مكسور الجناح
وقال:
لا تعبسن بوجه عافٍ سائلٍ ... خير المواهب أن ترى مسؤولاً
لا تجبهن بالرد وجه مؤملٍ ... فبقاء عزك أن ترى مأمولا
يلقى الكريم فيستدل ببشره ... ويرى العبوس على اللئيم دليلا
واعلم بأنك لا محالة صائر ... خبراً فكن خبراً يروق جميلا
الحسين بن محمد

ابن الحسين بن حيٍ التجيبي القرطبي. كان أديباً فاضلاً عالماً بالهندسة والهيئة، كلفاً بصناعة التعديل، أخذ علم العدد والهندسة والهيئة عن أبي عبد الله محمد بن عمر بن محمدٍ المعروف بابن برغوثٍ الرياضي الفلكي المتوفى سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائةٍ. ولحق بمصر بعد أن ناله بالأندلس وفي طريقه بالبحر محن شديدة، ثم رحل من القاهرة إلى اليمن واتصل بأميرها الصليحي القائم بالدعوة للمنتصر بالله معد بن الظاهر عليٍ، فحظي عنده وبعثه رسولاً إلى أمير المؤمنين القائم بأمر الله الخليفة العباسي في هيئةٍ فخمةٍ، فنال إقبالاً ودنيا عريضةً. وتوفي باليمن بعد انصرافه من بغداد إليها سنة ستٍ وخمسين وأربعمائةٍ. وله من التصانيف: زيج مختصر على طريقة السند هند وغير ذلك. ومن شعره:

تأمل. صورة العدد ... فمن ينظر إليه هدى
كما الأعداد راجعة ... وإن كثرت إلى الأحد
كذاك الخلق مرجعهم ... لربٍ واحدٍ صمد

وقال:

تحفظ من لسانك فهو عضو ... أشد عليك من وقع السنان
فلا والله ما في الخلق خلق ... أحق بطول سجنٍ من لسان

وقال:

ورأيت السماء كالبحر إلا ... أن ما سطه من الدر طافي
فيه ما يملأ العيون كبير ... وصغير ما بين ذلك صافي

وقال:

ودعته حيث لا تودعه ... وحي ولكنها تسير معه
ثم تولى وفي العيون له ... ضيق مجالٍ وفي القلوب سعه

وقال:

إذا ما كثرت عى صاحب ... وقد كان يدنيك من نفسه
فلا بد من مللٍ واقعٍ ... يغير ما كان من أنسه

الحسين بن محمد

أبو عليٍ السهواجي أديب شاعر لبيب مشهوروسهواجمن قرى مصر، صنف كتاب القوافي، وتوفي بمصر سنة أربعمائةٍ – رحمه الله تعالى – ، ومن شعره:

وقد كنت أخشى الحب لو كان نافعي ... من الحب أن أخشاه قبل وقوعه
كما حذر الإنسان من نوم عينيه ... ونام ولم يشعر أوان هجوعه

وقال:

كرام المساعي في اكتساب محامدٍ ... وأهدى إلى طرق المعالي من القطا
وأبوابهم معمورة بعفاتهم ... وأيديهم لا تستريح من العطا

ومن شعره أيضاً:

وهتوفٍ أيكيةٍ ذات شجوٍ ... سجعت ثم رجعت ترجيعا

ذكرت إلفها فحنت إليه ... فبكينا من الفراق جميعا

ومنه أيضاً:

قوم كرام إذا سلوا سيوفهم ... في الروع لم يغمدوها في سوى المهج

إذا دجا الخطب أو ضاقت مذاهبه ... وجدت عندهم ما شئت من فرج

وقال:

شخوص الفتى عن منزل الضيم واجب ... وإن كان فيه أهله والأقارب

وللحر أهل إن نأى عنه أهله ... وجانب عزٍ إن نأى عنه جانب

ومن يرض دار الضيم داراً لنفسه ... فذلك في دعوى التوكل كاذب

وقال:

توخ من الطرق أوساطها ... وعد عن الجانب المشتبه

وسمعك صن عن سماع القبيح ... كصون اللسان عن النطق به

فإنك عند سماع القبيح ... شريك لقائله فانتبه

الحسين بن محمدٍ أبو الفرج

النجوي المعروف بالمستور، كان نحوياً لغوياً أديباً شاعراً. توفي سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائةٍ، ومن شعره:

أمسى يحن لوجهه قمر الدجا ... وغدا يلين للحنه الجلمود

فإذا بداف كأنما هو يوسف ... وإذا شدا فكأنه داود

وقال:

فكأنما الشمس المنيرة إذ بدت ... والبدر يجنح للغروب وما غرب

متحاربان لذا مجن صاغه ... من فضةٍ ولذا مجن ممن ذهب

وله مزدوجة أنشدها بعض الدمشقيين سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائةٍ:

الحب بحر زاخر ... راكبه مخاطر

جنوده المحاجر ... والحدق السواحر

ركبته على غرر ... وخطرٍ على خطر

في واضحٍ يحكي القمر ... وكان حتفي في النظر

حلفته لما بدا ... كغصنٍ غب ندى

ريان بالحسن ارتدى ... وبالبها تفردا

بحق بيت المقدس ... والبلد المقدس

وبالتي لم تدنس ... لا تك منك مؤيسي

بحق قدس مريم ... وبطرس المعظم
بعادلٍ لم يظلم ... رق لصبٍ مغرم
بالدير بالرهبان ... بحرمة القربان
ببولصٍ ذي الشان ... كن حسن الإحسان
بالطور بالزبور ... بساكن القبور
بشاهدٍ مشهور ... إعطف على المهجور
بحرمة المسيح ... وبالفتى الذبيح
بالفصح بالتسبيح ... أبق علي روحي
بليلة الميلاد ... وحرمة الأعياد
ولابسي السواد ... إجعل رضاك زادي

وهي طويلة اكتفينا منها بهذا المقدار. ومن شعره أيضاً:

كانت بلهنية الشبيبة سكرة ... فصحوت واستبدلت سيرة مجمل
وقعدت أنتظر الفناء كراكبٍ ... عرف المجل فيات دون المنزل

الحسين بن مطير بن مكمل

الأسدي مولى بني أسد بن خزيمة، وكان جده مكمل عبداً فعتق وقيل كوتب. وابن مطيرٍ من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، فصيح متقدم في الرجز والقصيد يعد من فحول المحدثين، يشبه كلامه كلام الأعراب وأهل البادية، وفد على الأمير معن بن زائدة الشيباني لما ولي اليمن، فلما دخل عليه أنشده:

أتيتك إذ لم يبق غيرك جابر ... ولا واهب يعطي اللها والرغائبا

فقال له: يا أخا بني ليس أسدٍ هذا بمدحٍ، إنما المدح قول نهار بن توسعة في مسمع بن مالكٍ:

قلدته عرى الأمور نزار ... قبل أن يهلك السراة البحور

فغدا إليه بأرجوزةٍ يمدحه بها فاستحسنها وأجزل صلته. وحدث جعفر بن منصورٍ قال: حدثني أبي قال: حج المهدي فنزل زبالة فدخل الحسين بن مطيرٍ الأسدي عليه فقال:

أضحت يمينك من جودٍ مصورةً ... لا بل يمينك منها صورة الجود
من حسن وجهك تضحي الأرض مشرقةً ... ومن بنانك يجري الماء في العود

فقال المهدي كذبت، قال ولم يا امير المؤمنين؟ قال: هل تركت في شعرك موضعاً لأحدٍ بعد قولك في معنٍ بن زائدة:

ألما على معنٍ وقولا لقبره ... سقتك الغوادي مربعاً ثم مربعا
فيا قبر معنٍ أنت أول حفرةٍ ... من الأرض خطت للمكارم وضجعا
ويا قبر معنٍ كيف واريت جوده ... وقد كان من البر والبحر مترعا؟

بلى قد وسعت الجود والجود ميت ... ولو كان حياً ضقت حتى تصدعا
ولما مضى معن مضى الجود وانقضى ... وأصبح عرنين المكارم أجدعا
وما كان إلا الجود صورة وجهه ... فعاش ربيعاً ثم ولى وودعا
وكنت لدار الجود يا معن عامراً ... وقد أصبحت قفراً من الجود بلقعا
فتى عيش في معروفه بعد موته ... كما كان بعد السيل مجراه مرتعا
تمنى أناس شأوه من ضلالهم ... فأضحوا على الأذقان صرعى وظلما
تعز أبا العباس عنه ولا يكن ... جزاؤك من معنٍ بأن تتضعضعا
أبى ذكر معنٍ أن يميت فعاله ... وإن كان قد لاقى حماماً ومصرعها
فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي ... له مثل ما أبقى أبوك وما سعى

فقال: يا أمير المؤمنين إنما معن حسنة من حسناتك، وفعلة من فعلاتك، فأمر لع بألف دينارٍ ثم قال: سل حاجتك فقال:

بيضاء تسحب من قيامٍ فرعها ... وتغيب فيه وهو جعد أسحم
فكأنها منه نهار مشرق ... وكأنه ليل عليها مظلم

قال: خذ بيدها لجاريةٍ كانت على رأسه فأولدها مطير بن الحسين بن مطيرٍ.

وقال الرياشي: حدثني أبو العالية عن أبي عمران المخرومي قال: أتيت مع أبي والياً كان بالمدينة من قريشٍ، وعنده ابن مطيرٍ، وإذا بمطرٍ جودٍ، فقال له الوالي: صف لي هذا المطر، قال: دعني أشرف عليه، فأشرف عليه ثم نزل فقال:

كثرت لكثرة قطره أطباؤه ... فإذا تحلب فاضت الأطباء
وله رباب هيدب لدفيفه ... قبل التبعق ديمة وطفاء

وكأن ريقه ولما يحتفل ... ودق السماء عجاجة كدراء
وكأن بارقه حريق تلتقي ... ريح عليه عرفج وألاء
مستضحك بلوامعٍ مستبصر ... بمدامعٍ لم تمرها الأقذاء
فله بلا حزنٍ ولا بمسرةٍ ... ضحك يؤلف بيته وبكاء
حيران متبع صباه تقوده ... وجنوبه كنف له ووعاء
غدق ينتج في الأباطح فرقاً ... تلد السيول وما لها أسلاء
غر محجلة دوالج ضمنت ... حمل اللقاح وكلها عذراء
سحم فهن إذا كظمن سواجم ... سود وهن إذا ضحكن وضاء
لو كان من لجج السواحل ماؤه ... لم يبق في لجج السواحل ماء

وقال ابن دريدٍ: أنشدنا أبو حاتمٍ السجستاني، وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمه للحسين بن مطيرٍ الأسدي، وقال عبد الرحمن قال عمي: لو كان شعر العرب هكذا ما أثم منشده:

ألا حبذا البيت الذي أنت هاجره ... وأنت بتلماحٍ من الطرف ناظره
لإنك من بيتٍ لعيني معجبٍ ... وأملح في عيني من البيت عامره
أصد حياء أن يلم بي الهوى ... وفيك المنى لولا عدو أحذره
وفيك حبيب النفس لو تستطيعه ... لمات الهوى والشوق حين تجاوره
فإن آته لم أنج إلا بظنةٍ ... وإن يأته غيري تنط بي جزائره
وكان حبيب النفس للقلب واتراً ... وكيف يحب القلب من هو واتره
فإن يكن الأعداء أهموا كلامه ... علينا فلن يحمى علينا مناظره
أحبك يا سلمى على غير ريبةٍ ... ولا بأس في حبٍ تعف سرائره
ويا عاذلي لولا نفاسة حبها ... عليك لما باليت أنك خائره
بنفسي من لا بد أني هاجره ... وما أنا في الميسور والعسر ذاكره
ومن قد لحاه الناس حتى اتقاهم ... ببغضي إلا ما تجن ضمائره
أحبك حباً لن أعنف بعده ... محباً ولكني إذا ليم عاذره
لقد مات قبلي أول الحب فانقضى ... ولو مت أضحى الحب قد مات آخره
كلامك يا سلمى وإن قل نافعي ... فلا تحسبي أني وإن قل حاقره
ألا ل أبالي أي حيٍ تحملوا ... إذا أثمد البرقاء لم يخل حاضره
وحدث المرزباني عن الأخفش قال: أنشدنا أبو العباس ثعلب عن ابن الأعرابي لحسين بن مطيرٍ الأسدي:
لقد كنت جلداً قبل أن توقد النوى ... على كبدي ناراً بطيئاً خمودها
ولو ترتكت نار الهوى لتصرمت ... ولكن شوقاً كل يومٍ وقودها
وقد كنت أرجو أن تموت صبابتي ... إذا قدمت أيامها وعهودها
فقد جعلت في حبة القلب والحشا ... عهاد تولاها بشوقٍ يعيدها
بمرتجة الأرداف هيف خصورها ... عذاب ثناياها عجاف قيودها
وصفر تراقيها وحمر أكفها ... وسود نواصيها وبيض خدودها
مخصرة الأوساط زانت عقودها ... بأحسن مما زينتها عقودها
يمنينا حتى ترف قلوبنا ... رفيف الخزامى بات طل يجودها
وفيهن مقلاق الوشاح كأنها ... مهاة بتزبانٍ طويل عقودها
وكنت أذود العين أن ترد البكا ... فقد وردت ما كنت عنه أذودها
هل الله عافٍ عن ذنوبٍ تسلفت ... أم الله إن لم يعف عنها معيدها؟
وقال:
رأت رجلاً أودى بوافر لحمه ... طلاب المعالي واكتساب المكارم
خفيف الحشا ضرباً كأن ثيابه ... على قاطعٍ من جوهر الهند صارم
فقلت لها لا تعجبن فإنني ... أرى سمن الفتيان إحدى المشائم

وأنشد له ابن قتيبة:

يضعفني حلمي وكثرة جهلهم ... علي وأني لا أصول بجاهل

دفعتكم عني وما دفع راحةٍ ... بشيءٍ إذا لم تستعن بالأنامل

وأنشد له المبرد:

ولي كبد مقروحة من يبيعني ... بها كبداً ليست بذات قروح؟

أباها على الناس لا يشترونها ... ومن يشتري ذا علةٍ بصحيح؟

الحسين بن هبة الله ضياء الدين

أبو علي بن زاهرٍ الموصلي الملقب بدهن الخصا، أحد نحاة العصر، تصدر لإقراء العربية في بلده، وتقدم عند صاحب الموصل، ثم تغير عليه فرحل إلى الملك الناصر صلاح الدين، ثم وفد على ابنه في حلب فقربه ورتب لع معلوماً على إقراء العربية، وكان أديباً شاعراً متفنناً لقيته بحلب وبها مات سنة ثمانٍ وستمائةٍ. ومن شعره:

مرضت ولي جيرة كلهم ... عن الرشد في صحبتي حائد

فأصبحت في القص مثل الذي ... ولا صلة لي ولا عائد

وقال:

يبتهج الناس بأعيادهم ... لأجل ذبحٍ أو لإفطار

وإنما عظم سروري بها ... للثم من أهوى بلا عار

أرقبها حولاً إلى قابلٍ ... لأنها غاية أوطاري

وقال:

وإني وإن أخرت عنكم زيارتي ... لعذرٍ فإني في المودة أول

فما الود تكيري الزيارة دائماً ... ولكن على ما في القلوب المعول

الحسين بن هداب بن محمد

ابن ثابت الديري الأصل، نسبة إلى الدير، قرية من قرى النعمانية، ويعرف بالنوري، والنورية قرية من قرى الحلة السيفية من سيف الفرات، نزل بها أبو عبد الله الضرير. توفي يوم الأربعاء ثاني عشر رجب سنة اثنتين وستين وخمسمائةٍ، كان نحوياً لغوياً مقرأ فقيهاً شاعراً متفنناً، قرأ بالروايات على أبي العز محمد بن الحسين بن بندارٍ الواسطي، وأبي بكرٍ محمد بن الحسين بن عليٍ المزرفي. سكن بغداد منعكفاً على نشر العلم والإقراء، فكان يقرئ النحو واللغة والقراءات، وكان يحفظ عدة دواوين من شعر العرب، وكان كثير الإفادة والعبادة، عفيفاً ديناً، وله شعر جيد منه:

فيك يا أغلوطة الفكر ... تاه عقلي وانقضى عمري

سافرت فيك العقول فما ... ربحت إلا عنا السفر

رجعت حسرى وما وقفت ... لا على عينٍ ولا أثر

وقال:

بأبي رئم تبلج لي ... عن رضىً في طيه غضب

وأراني صبح طلعته ... بظلام الصدغ ينتقب

وسقى بالكأس مترعةً ... صهباء مثل الشمس تلتهب

فهي شمس في يدي قمرٍ ... وكلا عقديهما الشهب

ولها من ذاتها طرب ... ولهذا يرقص الحبب

وقال:

قال لي من رأى صباح مشيبي ... عن شمال من لمتي ويمين؟

أي شيءٍ هذا فقلت عجيباً ... ليل شكٍ محاه صبح يقين

الحسين بن الوليد بن نصر

أبو القاسم المعروف بابن العريف، النحوي الأديب الشاعر، له شرح كتاب الجمل في النحو للزجاج، وكتاب الرد على أبي جعفرٍ النحاس في كتابه الكافي، وغير ذلك، وكان مقدماً في العربية إماماً فيها، عارفاً بصنوف الآداب، أخذ العربية عن ابن القوطية وغيره، ورحل إلى المشرق فأقام بمصر مدةً طويلةً، وسمع فيها من الحافظ بن رشيقٍ وأبي طاهرٍ الذهلي وغيرهما، ثم عاد إلى الأندلس فاختاره المنصور محمد بن أبي عامرٍ صاحب الأندلس مؤدباً لأولاده، وكان يحضر مجالسه، ومناظرته مع أبي العلاء صاعدٍ اللغوي البغدادي مشهورة، فمن ذلك أن المنصور جلس يوماً وعنده أعيان مملكته من أهل العلم، كالزبيدي صاحب الطبقات، والعاصمي وابن العريف صاحب الترجمة وغيرهم فقال لهم المنصور: هذا الرجل الوافد علينا يزعم أنه متقدم في هذه العلوم، وأحب أن يمتحن، فوجه إليه، فلما مثل بين يديه والمجلس قد غص بالعلماء والأشراف، خجل صاعد واحتشم، فأدناه المنصور ورفع محله، وأقبل عليه وسأله عن أبي سعيدٍ السيرافي، فزعم أنه لقيه وقرأ عليه كتاب سيبويه، فبادره العاصمي بالسؤال عن مسألة من الكتاب فلم يحضره جوابها، واعتذر بأن النحو ليس جل بضاعته، فقال له الزبيدي: فما تحسن أيها الشيخ؟ فقال: حفظ الغريب. قال: فما وزن أولق؟ فضحك صاعد وقال: أمثلي يسأل عن هذا، إنما يسأل عنه صبيان المكتب. قال الزبيدي: قد سألناك ولا نشك أنك تجهله، فتغير لونه فقال: وزنه أفعل. فقال الزبيدي: صاحبكم ممخرق فقال له صاعد: إخال الشيخ صناعته الأبنية، فقال له: أجل، فقال صاعد: وبضاعتي أنا حفظ الأشعار ورواية الأخبار وفك المعمى وعلم الموسيقى. قال فناظره ابن العريف – صاحب الترجمة – فظهر عليه صاعد وجعل لا يجري في المجلس كلمة إلا أنشد عليها شعراً شاهداً وأتى بحكايةٍ تناسبها، فأعجب المنصور فقربه وقدمه، وكان يوماً بمجلس المنصور أيضاً فأحضرت إليه وردةً في غير أوانها لم يكمل فتح وراقها، فقال فيها صاعد مرتجلاً:

أتتك أبا عامرٍ وردة ... يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها رأسها
فسر بذلك المنصور، وكان ابن العريف حاضراً فحسده وجرى إلى مناقضته، وقال للمنصور هذاالبيتان لغيره، وقد أنشدنيهما بعض البغداديين لنفسه بمصر وهما عندي على ظهر كتابٍ بخطه، فقال له المنصور: أرنيه، فخرج ابن العريف وركب وحرك دابته حتى أتى مجلس ابن بدرٍ، وكان أحسن أهل زمانه بديهةً فوصف له ما جرى، فقال ابن بدرٍ هذهالأبيات ودس فيها يبتي صاعدٍ:
غدوت إلى قصر عباسةٍ ... وقد جدل النوم حراسها
فألفيتها وهي في خدرها ... وقد صدع السكر أناسها
فقالت أسرت على هجعةٍ ... فقلت بلى فرمت كاسها
ومدت يديها إلى وردةٍ ... يحاكي لك الطيب أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر ... فغطت بأكمامها رأسها
وقالت خف الله لا تفضح ... ن في ابنة عمك عباسها
فوليت عنها على خجلةٍ ... وما خنت ناسي ولا ناسها
فطار ابن العريف بها وعلقها على ظهر كتابٍ بخطٍ مصريٍ ومدادٍ أشقر ودخل بها على المنصور، فلما رآها اشتد غيظه وقال للحاضرين غداً أمتحنه،فإن فضحه الامتحان أخرجته من البلاد ولم يبق في موضعٍ لي عليه سلطان. فلما أصبح أرسل إليه فأحضر وحضر جميع الندماء والجلساء فدخل بهم إلى مجلسٍ قد أعد فيه طبقاً عظيماً فيه سقائف مصنوعة من جميع النواوير ووضع على السقائف لعب من ياسمينٍ في شكل الجواري وتحت السقائف بركة ماءٍ قد ألقى فيها اللآلئ مثل الحصباء وفي البركة حية تسبح، فلما دخل صاعد ورأى الطبق قال له المنصور: إن هذا يوم إما أن تسعد فيه معنا وإما أن تشقى، لأنه قد زعم هؤلاء القوم أن كل ما تأتي به دعوى، وهذا طبق ما توهمت أنه حضر بين يدي ملكٍ قبلي شكله، فصفه بجميع ما فيه، فقال له صاعد على البديهة:
أبا عامرٍ هل غير جدوك واكف ... وهل غير من عاداك في الأرض خائف
يسوق إليك الدهر كل غريبةٍ ... وأعجب ما يلقها عندك واصف
وشائع نورٍ صاغها هامر الحي ... على حافتيها عبقر ورفارف

ولما تناهى الحسن فيها تقابلت ... عليها بأنواع الملاهي وصائف
كمثل الظباء المستكنة كنساً ... تظللها بالياسمين السقائف
وأعجب منها أنهن نواظر ... إلى بركةٍ ضمت إليها الطرائف
حصاها اللآلئ سابح في عبابها ... من الرقش مسموم الثعابين زواحف
ترى ما تراه العين في جنباتها ... من الوحش حتى بينهن السلاحف
فاستغربوا له تلك البديهة في مثل ذلك الموضع، وكتبها المنصور بخطه، وكان إلى ناحيته نت تلك السقائف

سفينة فيها جارية من النوار تجذف بمجاذيف من ذهبٍ لم يرها صاعد، فقال له المنصور: أحسنت إلا أنك أغفلت ذكر السفينة والجارية، فقال للوقت:

وأعجب منها غادة في سفينةٍ ... مكللة تصبو إليها الهواتف

إذا راعها موج من الماء تتقي ... بسكانها ما هيجته العواصف

متى كانت الحسناء ربان مركبٍ ... تصرف في يمنى يديه المجاذف

ولم تر عيني في البلاد حديقةً ... تنقلها في الراحتن الوصائف

ولا غرو أن أنشت معاليك روضةً ... وشتها أزاهير الربا والزخارف

فأنت امرؤ لو رمت نقل متالعٍ ... ورضوى ذرتها من سطاك نواسف

إذا قلت قولاً أو بدهت بديهةً ... فكلني له لمجدك واصف

فأمر له المنصور بألف دينارٍ ومائة ثوبٍ، ورتب له في كل شهرٍ ثلاثين ديناراً وألحقه بندمائه. توفي أبو القاسم ابن العريف بطليطلة في رجبٍ سنة تسعين وثلاثمائةٍ.

حرملة بن المنذر بن معد يكرب

ابن حنظلة بن النعمان بن حبة بن سعنة بن الحارث بن ربيعة، ويتصل نسبه بيعرب بن قحطان أبو زبيدٍ الطائي شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة، وعداده في المخضرمين، أدرك الإسلام ولم يسلم ومات نصرانياً.

وكان أبو زبيدٍ طزالاً من الرجال ينتهي إلى ثلاثة عشر شبراً، وكان حسن الصورة فكان إذا دخل مكة دخلها متنكراً لجماله. وكان أبو زبيدٍ يزور الملوك وملوك العجم خاصةً، وكان عالماً بسيرهم، ووفد على الحارث بن أبي شمر الغساني والنعمان بن المنذر. حدثعمارة بن قابوس قال: لقيت أبو زبيدٍ الطائي فقلت له: يا أبا زبيدٍ هل أتيت النعمان بن المنذر؟ قال: إي والله لقد لقد أتيته وجالسته. قلت: فصفه لي فقال: كان أحمر أزرق أبرش قصيراً. فقلت له: أيسرك أنه سمع مقالتك هذه وأن لك حمر النعم؟ قال: لا والله ولا سودها، فقد رأيت ملوك حمير في ملكها، ورأيت ملوك غسان في ملكها، فما رأيت أشد عزاً منه. كان ظهر الكوفة منبت الشقائق فحمى ذلك المكان فنسب إليه، فقيل سقائق النعمان. فجلس ذات يومٍ هناك وجلسنا بين يديه كأن على رؤوسنا الطير، فقام رجل من الناس فقال له: أبيت اللعن، أعطني فإني محتاج، فتأمله طويلاً ثم أمر به فأدني حتى قعد بين يديه، ثم دعا بكنانةٍ فاستخرج منها مشاقص فجعل يجأبها وجهه حتى سمعنا قرع العظام وخضب بالدم، ثم أمر به فنحي. ومكثنا ملياً فنهض رجل آخر فقال له: أبيتاللعن، أعطني فتامله ساعةً ثم قال: أعطوه ألف درهمٍ فأخذها وانصرف، ثم التفت النعمان عن يمينه ويساره وخلفه فقال: ما قولكم في رجلٍ أزرق أحمر يذبح على هذه الأكمة؟ أترون دمه سائلاً حتى يجري في هذا الوادي؟ فقلنا له: أنت – أبيت اللعن – أعلى برأيك فدعا برجلٍ على هذه الصفة فأمر به فذبح ثم قال: ألا تسألوني عما صنعت؟ فقلنا: ومن يسألك عن أمرك وما تصنع؟ فقال: أما الأول فإني خرجت مع أبي نتصيد فمررنا به وهو بفناء بابه وبين يديه عس من لبنٍ فتناولته لأشرب منه، فثار إلي فهراق الإناء فملأ وجهي وصدري

فأعطيت الله عهداً لئن أمكنني من لأخضبن لحينه وصدره من دم وجهه. وأما الآخر فكانت له عندي يد فكافأته بها. وأما الذي ذبحته فإن عيناً لي بالشام كيب علي: أن جبلة بن الأيهم بعث إليك برجلٍ صفته كذا وكذا ليقتلك، فطلبته فلم أقدر عليه حتى كان اليوم فرأيته بين القوم فأخذته. وكان عثمان بن عفان – رضي الله عنه – يقرب أبا زبيدٍ ويدني مجلسه لمعرفته بسير من أدركهم من ملوك العرب والعجم، فدخل عليه يوماً وعنده المهاجرون والنصار، فتذاكروا مآثر العرب وأخبارها وأشعارها، فالتفت إليه عثمان وقال له: يا أخا تبع المسيح أسمعنا بعض قولك، فقد أنبئت أنك تجيد الشعر، فأنشده قصيدته التي أولها:

من مبلغ قومنا النائين إذ شحطوا ... أن الفؤاد إليهم شيق ولع

ووصف فيها الأسد فقال له عثمان: تالله تفتأ تذكر الأسد ما حييت، والله إني لأحسبك جباناً هداناً. قال: كلا يا أمير المؤمنين، ولكني رأيت منه منظراً وشهدت مشهداً لا يبرح يتجدد في قلبي، ومعذور أنا بذلك يا أمير المؤمنين غير ملومٍ. فقال له عثمان: وأين كان ذلك وأنى؟ فقال: خرجت في صيابةٍ من أشراف العرب وفتيانهم ذوي هيبةٍ وشارةٍ حسنةٍ ترمي بنا المهري بأكسائها والقيروانات على قنو البغال تسوقها العبدان، ونحن نريد الحارث بن أبي شمر الغساني ملك الشام، فاخروط بنا السير في حمارة القيظ، حتى إذا عصبت الأفواه وذبلت الشفاه وشالت المياه، وذكت الجوناء والمعزاء، وذاب الصيهب وصر الجندب، وضاف العصفور الضب في وجره وجاوره في جحره. قال قائل: أيها الركب تغوروا بنا في ضوج هذا الوادي، وإذا وادٍ قد بدا لنا كثير الدغل، دائم الغلل، صحراؤه مغنة، وأطياره مرنة، فحططنا رحالنا بأصول دوحات كنهبلاتٍ، وأصبنا من فضلات المزاود وأتبعناها الماء البارد. فلما انتصف حر يومنا ذلك، وبينما نحن كذلك إذ صر أقصى الخيل أذنيه، وفحص الأرض بيديه، فوالله ما لبث أن حال، ثم حمحم فبال، ثم فعل فعله الذي يليه واحداً فواحداً، فتضعضعت الخيل، وتكعكعت الإبل، وتقهقرت البغال، فمن نافرٍ بشكاله، وشاردٍ بعقاله، فعلمنا أنه السبع، ففزع كل منا إلى سيفه فسله من قرابه، ثم وقفنا رزدقاً فأقبل أبو الحارث من أجمته يتظالع في مشيته كأنه مجنون، أو في وجار مسجون، لطرفه وميض ولصدره شحيط، ولبلعومه غطيط، ولأرساغه قضيض كأنما يخبط هشيماً، أو يطأ رميماً، له هامة كالمجن، وخد كالمسن، وعينان سجروان كأنهما سراجان يتقدان، وقصرة ربلة، ولهزمة رهلة، وكتد معبط، وزند مفرط، وساعد مجدول، وعضد مفتول، وكف شثنة البراثن، إلى مخالب كالمحاجن، فضرب بيديه فأرهج، وكشر فأفرج عن أنيابٍ كالمعاول مصقولةٍ غير مفلولةٍ، وفمٍ أشدق كالغار الأخرق، ثم تمطى بيديه وحفز بوركيه حتى صار ظله مثيله، ثم أقعى فاقشعر، ثم أقبل فاكفهر، ثم تجهم فازبأر، فلا وذو بيته في السماء، ما اتقيناه إلا بأخٍ لنا من فزارة، كان ضخم الجزارة، فوقصه فوقصه ثم نفضه نفضةً فقضقض متنيه وجعل يلغ في دمه فذمرت أصحابي، فبعد لأيٍ ما استقدموا فجهجهنا به، فكر مقشعراً بزبرته كأن به نهماً حولياً فاختلج رجلاً أعجر ذا حوايا، فنفضه نفضة تزايلت بها مفاصله، ثم همهم ففرفر وزفر فبربر، ثم زأر فجرجر، ثم لحظ فأشزر، فوالله لخلت البرق يتطاير من تحت جفونه من شماله ومن يمينه، فأرعشت الأيدي واصطكلت الأرجل وأطت الأضلاع، وارتجت الأسماع وشخصت العيون، وساءت الظنون، فظنت المنون فقال له عثمان: اسكت قطع الله لسانك، فقد

أرعبت قلوب المسلمين. وقال يصف الأسد:

فباتوا يدلجون وبات يسري ... بصير بالدجى هادٍ هموس
إلى أن عرسوا وأغب عنهم ... قريباً ما يحس له حسيس
خلا أن العتاق من المطايا ... حسين به فهن إليه شوس
فلما أن رآهم قد تدانوا ... أتاهم بين رحلهم يريس
فثار الزاجرون فزاد قرباً ... إليهم ثم واجهه ضييس
بنصل السيف ليس له مجن ... فصد ولم يصادفه جسيس
فيضرب بالشمال إلى حشاه ... وقد نادى وأخلفه النيس
يشتر كالمحملق في عيونٍ ... تقيه الأرض الريس
فخر السيف واختلجت يداه ... وكان بنفسه وقيت نفوس
وطار القوم شتىً والمطايا ... وغودر في مكرهم الرسيس
وجال كأنه فرس صنيع ... يجر جلاله ذيل شموس
كأن بنحره و بساعديه ... عبيراً بات تعبؤه عروس
فذلك إن تلاقوه تفادوا ... ويحدث عنكم أمر شكيس

وقال ابن الأعرابي: كان لأبي زبيدٍ كلب يقال له الأكدر، وكان له سلاح يلبسه إياه فكان لا يقوم له الأسد، فخرج ليلةً ولم يلبسه سلاحه فلقيه الأسد فقتله، فقال أبو زبيدٍ:

أجال أكدر مشياً لا كعادته ... حتى إذا كان بين البئر والطعن
لاقى لدى ثلل الأطواء داهيةً ... سرت وأكدر تحت الليل في قرن

حفت به شيمة ورهاء تطرده ... حتى تناهى إلى الجولان في سنن
إلى مقابل فتل الساعدين له ... فوق السراة كذفرى الفالج القمن
ريبال غابٍ فلا قحم ولا ضرع ... كالفيل يختطم الفحلين في شطن

وهي قصيدة طويلة، فلامه قومه على كثرة وصفه للأسد وقالوا: قد خفنا أن تسبنا العرب بوصفك له. فقال: لو رأيتم منه ما رأيت، أو لقيتم منه ما لقي أكدر لما لمتموني، ثم أمسك عن وصفه حتى مات. وقال ابن الأعرابي: مان أبو زبيدٍ يقيم أكثر أيامه في أخواله بني تغلب، وكان له غلام يرعى إبله فغزت بهراء وهم من قضاعة بني تغلب، فمروا بغلامه فدفع إليهم إبل أبي زبيدٍ وانطلق معهم يدلهم على عورة القوم ويقاتل معهم، فهزمت تغلب بهراء وقتل الغلام. فقال أبو زبيدٍ في ذلك:

هل كنت في منظرٍ ومستمعٍ ... في نصر بهراء غير ذي فرس
تسعى إلى فتية الأراقم واس ... تعجلت قبل الجمان والقبس
في عارضٍ من جبال بهرائها ال ... ألى مرين الحرون عن درس
فبهرة إذ لقوا حسبتهم ... أحلى وأشهى من بارد الدبس

لا ترة عندهم فتطلبها ... ولا هم نهزة لمختلس
جود كرام إذا هم ندبوا ... غير لئام ضجرٍ ولا خسس
صمت عظام الحلوم إن سكتوا ... من غير عيٍ بهم ولا خرس
تقود أفراسهم نساؤهم ... يزجون أجمالهم مع الغلس
صادقت لما خرجت منطلقاً ... جهم المحيا كباسلٍ شرس
تخال في كفه مثقفةً ... تلمع فيها كشعلة القبس
بكف حران ثائرٍ بدمٍ ... طلاب وترٍ في الموت منغمس
إما تقاذفبك الرماح فلا ... أبكيك إلا للدلو والمرس
حمدت أمري ولمت إذ ... أمسك جلز السنان بالنفس
وقد تصليت حر نارهم ... كما تتصلى المقرور من قرس
تذب عنه كف بها رمق ... طيراً عكوفاً كزور العرس
عما قليلٍ علون جثته ... فهن من والغٍ ومنتهس

فلما بلغ شعره بني تغلب بعثوا إليه بدية غلامه وما نهب من إبله. فقال في ذلك:

ألا بلغ بني عمرو رسولاً ... فإني في مودتكم نفيس
فما أنا بالضعيف فتظلموني ... ولا حقي اللفاء ولا خسيس
أفي حقٍ مواساتي أخاكم ... بمالي ثم يظلمني السريس

وحدث ابن الأعرابي قال: كان أبو زبيدٍ الطائي نديماً للوليد بن عقبة والي الكوفة من قبل عثمان، فلما شهدوا عليه بشرب الخمر وعزل عن عمله وخرجمن الكوفة قال أبو زبيدٍ:

من يرى العير لابن أروى على ظه ... ر المورى حداتهن عجال
مصعداتٍ والبيت بيت أبو وه ... ب خلاء تحن فيه الشمال
يغرف الجاهل المضلل أن الد ... دهر فيه النكراء والزلزال
ليت شعري كذاكم العهد أم كا ... نوا أناساً ممن يزول فزالوا؟
بعد ما تعلمين يا أم زيدٍ ... كان فيهم عز لنا وجمال
ووجوه بودنا مشرقات ... ونوال إذا أريد النوال
أصبح البيت قد تبدل بالحي ... ي وجوهاً كأنها الأقتال
كل شيءٍ يختال فيه الرجال ... غير أن ليس للمنايا احتيال
ولعمر الإله لو كان للسي ... ف مصال أو للسان مقال
ما تناسيتك الصفاء ولا الود ... د ولا حال دونك الأشغال
ولحرمت لحمك المتصي ... ضلةً ضل حلمهم ما اقتالوا
قولهم شربك الحرام وقد كا ... ن شراباً سوى الحرام حلال
وأبى الظاهر العداوة إلا ... شنآناً وقول ما لا يقال

من رجالٍ تقارضوا منكراتٍ ... لينالوا الذي أرادوا فنالوا
غير ما طالبين ذحلا ولكن ... مال دهر على أناسٍ فمالوا

من يخنك الصفاء أو يتبدل ... أو يزل مثل ما تزول الظلال
فاعلمن أنني أخوك أخو الد ... د حياتي حتى تزول الجبال
ليس بخل عليك عندي بمالٍ ... أبداً ما أقل نعلاً قبال
ولك النصر باللسان وبالكف ... ف إذا كان لليدين مصال

ولأبي زبيدٍ في مدح الوليد بن عقبة شعر كثير تركناه خوف الإطالة، ومن جيد شعره:

إن نيل الحياة غير سعود ... وضلال تأميل نيل الخلود
علل المرء بالأماني ويضحي ... غرضاً للمنون نصباً لعود
كل يومٍ ترميه منها برشقٍ ... فمصيب أوصال غير بعيد
كل ميتٍ قد اغتفرت فلا وا ... جع من والدٍ ومن مولود
غير أن الجلاح هذا جناحي ... يوم فارقته بأعلى الصعيد

وكان أبو زبيدٍ يحمل في كل أحدٍ إلى البيع مع النصارى، فبينا هو يوم أحدٍ يشرب والنصارى حوله رفع بصره إلى السماء فنظر نظراً طويلاً، ثم رمى الكأس من يده فقال:

إذا جعل المرء الذي كان حازماً ... يحل به حل الحوار ويحمل
فليس له في العيش خير يريده ... وتكفينه ميتاً أعف وأجمل
أتاني رسول الموت يا مرحباً به ... وإني لآتيه أما سوف أفعل

ثم مات فجأةً ودفن هناك.

حفص الأموي مولاهم

شاعر من شعراء الدولة الأموية، عاش حتى ادرك دولة بني العباس، ولحق بعبد الله بن عليٍ فاستأمنه، فهو من مخضرمي الدولتين، وكان يختلف إلى كثير بن عبد الرحمن المعروف بكثير عزة الشاعر يروي عنه شعره، وكان حجاءً لبني هاشمٍ، فطلبه عبد الله بن عليٍ فلم يقدر عليه، ثم جاءه حفص مستأمناً فقال: أنا عائد بالأمير، فقال له: ومن أنت؟ قال: حفص الأموي، فقال: أنت الهجاء لبني هاشمٍ؟ فقال: أنا الذي أقول – أعز الله الأمير – :

وكانت أمية في ملكها ... تجور وتكثر عدوانها
فلما رأى الله أن قد طغت ... ولم يحمل الناس طغيانها
زماها بسفاح آل الرسول ... فجذ بكفيه أعيانها
ولو آمنت قبل وقع العذاب ... لقد يقبل الله إيمانها

فلما أتم الإنشاد، قال له عبد الله بن عليٍ: اجلس، فجلس فتغدى بين يديه، ثم دعا عبد الله خادماً له فساره

بشيء ففزع حفص وقال: أيها الأمير، قد تحرمت بك وبطعامك وفي أقل من هذا كانت العرب تهب الدماء. فقال له عبد الله: ليس شيء مما ظننت، فجاء الخادم بخمسمائة دينارٍ فقال: خذها ولا تقطعنا، وأصلح ما شعثت منا. وروى ابن السائب الكلبي أن هشام بن عبد الملك قال يوماً لقوامه على خيله: كم أكثر ما ضمت حلبة من الخيل في الجاهلية والإسلام؟ قالوا: ألف فرسٍ وقيل ألفان، فأمر أن يؤذن بالناس بحلبةٍ تضم أربعة آلاف فرسٍ، فقيل له: يا أمير المؤمنين يحطم بعضها بعضاً فلا يتسع لها طريق، فقال: نطلقها ونتوكل على الله، والله الصانع. فجعل الغاية خمسين ومائتي غلوةٍ، والقصب مائةً، والمقوس ستة أسهمٍ، وقاد إليه الناس من كل أوبٍ، ثم برز هشام إلى دهناء الرصافة قبيل الحلبة بأيامٍ فأصلح طريقاً واسعاً لا يضيق بها، فأرسلت يوم الحلبة بين يديه وهو ينظر إليها تدور حتى ترجع، وجعل الناس يتراؤونها حتى أقبل الزابد كأنه ريح لا يتعلق به شيء حتى دخل سابقاً وأخذ القصبة، ثم جاءت الخيل بعد ذلك أفذاذاً وأفواجاً، ووثب الرجاز يرتجزون، منهم المادح للزابد، ومنهم المادح لفرسه، ومنهم المادح لخيل قومه، فوثب حفص الأموي مولاهم وقام مرتجزاً يقول:

إن الجواد السابق الإمام ... خليفة الله الرضي الهمام
أنجبه السوابق الكرام ... من منجباتٍ ما لهن ذام
كرائم يجلى بها الظلام ... أم هشامٍ جدها القمقام
وعائش يسمو بها الأقوام ... خلائف من نجلها أعلام
إن هشاماً جده هشام ... مقابل مدابر هضام
جرى به الأخوان والأعمام ... فحل كفحل كلهم قدام
سنوا له السبق وما استقاموا ... حتى استقام حيث استقاموا

وأحرز المجد الذي أقاموا ... أطلق وهو يفع غلام
في حلبةٍ تم لها التمام ... من آل فهرٍ وهم السنام
فبذها سبقاً وما ألاموا ... كذلك الزابد يوم قاموا
أتى يبدء الخيل ما يرام ... مجلياً كأنه حسام
سباق غايات لها ضرام ... لا يقبل العفو ولا يضام
ويل الجياد منهماذا راموا ... سهم تفر دونه السهام

فأعطاه هشام يومئذٍ ثلاثة آلاف درهمٍ، خلع عليه ثلاث حللٍ من جيد وشي اليمن، وحمله على فرسٍ من خيله السوابق، وانصرف معه ينشده الرجز حتى قعد في مجلسه، وأمره بملازمته. فكان أثيراً عنده، وقال حفص أيضاً:

لا خير في الشيخ إذا ما اجلخا ... وسال غرب دمعه فلخا
وكان أكلاً كله وشخاً ... تحت رواق البيت يخشى الدخا

حفص بن سليمان بن المغيرة

أبو عمر بن أبي داود الأسدي الكوفي الفاخري البزاز نسبته لبيع البر، وهو الإمام القارئ راوي عاصم بن أبي النجود، كان ربيب عاصم – ابن زوجته – فأخذ عنه القراءة عرضاً وتلقينا. قال حفص: قال لي عاصم: القراءة التي أقرأتك بها فهي التي قرأتها عرضاً على أبي عبد الرحمن السلمي عن عليس، والتي أقرأتها أبا بكرٍ بن عياشٍ فهي التي كنت أعرضها على زر بن حبيشٍ عن ابن مسعودٍ. ولد حفص سنة تسعين، ونزل بغداد فأقرأ بها وأخذ عنه الناس قراءة عاصمٍ تلاوةً، وجاور بمكة فأقرأ بها أيضاً. قال يحيى بن معينٍ: الرواية الصحيحة من قراءة عاصمٍ رواية حفصٍ، وكان أعلمهم بقراءة عاصمٍ، وكان مرجحاً على شعبة بضبط القراءة، وتوفي حفص بن سليمان سنة ثمانين ومائةٍ.

حفص بن عمر بن عبد العزيز

ابن صهبان بن عيسى بن صهبان، ويقال صهيب أبو عمر الدوري الأزدي البغداي المقرئ النحوي الضرير نزيل سامراً، راوي الإمامين أبي عمرو والكسائي، إمام القراء وشيخ العراق في زمانه، ثقة ثبت كبير ضابط، رحل في طلب القراءات، وقرأ بالحروف السبعة و بالشواذ وسمع من ذلك شيئاً كثيراً، وقرأ على أبي عمرو بن العلاء والكسائي وروى عنهما، وقرأ العربية على أبي محمدٍ يحيى بن المبارك اليزيدي. قال أبو داود: رأيت أحمد بن حنبلٍ يكتب عن عمر الدوري. وصنف كتاب: ما اتفقت ألفاظه ومعانيه من القرآن، وكتاب أجزاء القرآن وغير ذلك. والدوري نسبته إلى أبو عمر الدوري سنة ستٍ وأربعين ومائتين.

أبو حفصٍ الزكرمي العروضي

الأديب الشاعر، قال الحافظ أبو طاهرٍ السلفي في معجم الشعراء: أنشدني أبو القاسم ذربان ابن عتيق بن تميمٍ الكاتب قال: أنشدني أبو حفصٍ الزكرمي بإفريقية مما له بالأندلس وقد طولب بمكسٍ يتولاه يهودي:

يأهل دانيةٍ لقد خالفتم ... حكم الشريعة والمروءة فينا
مالي أراكم تأمرون بضد ما ... أمرت ترى نسخ الإله الدينا
كنا نطالب لليهود بجزيةٍ ... وأرى اليهود بجزيةٍ طلبونا
ما إن سمعنا مالكاً أفتى بذا ... كلا ولا من بعده سحنونا
لا هؤلاء ولا الأئمة كلهم ... حاشاهم بالمكس قد أمرونا
أيجوز مثلي أن يمكس عدله ... لو كان يعدل وزنه قاعونا
ولقد رجونا أن ننال بعدلكم ... رفداً يكون على الزمان معينا
فالآن تقنع بالسلامة منكم ... لا تأخذوا منا ولا تعطونا

حفصة بنت الحاج الركوني

شاعرة أديبة من أهل غرناطة، مشهورة بالحسب والأدب والجمال والمال. جيدة البديهة رقيقة الشعر أستاذة. وليت تعليم النساء في دار المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن عليٍ، وسألها يوماً أن تنشده فقالت

ارتجالاً:

يا سيد الناس يا من ... يؤمل الناس رفده
أمننن على بطرسٍ ... يكون للدهر عده
تخط يمناك فيه ... الحمد لله وحده

أشارت بذلك إلى العلامة السلطانية، فإن السلطان كان يكتب بيده في رأس المنشور بخطٍ غليظٍ (الحمد لله وحده) فمن عليها وكتب لها بيده ما طلبت، وتولع بها أمير المؤمنين عبد المؤمن المذكور، وتغير بسببها على أبي جعفرٍ أحمد بن عبد الملك بن سعيدٍ العنسي، وكان عاشقاً لها متصلاً بها يتبادلان رسائل الغرام، ويتجاوبان تجاو بالحمام، وقد أدى ولع عبد المؤمن بها إلى قتل أبي جعفرٍ. ومما كتبته حفصة إلى أبي جعفرٍ:

رأست فما زال العداة بظلمهم ... وحقدهم النامي يقولون لم رأس؟
ومل منكر أن ساد أهل زمانه ... جموح إلى العليا نقي من الدنس؟

وبات معها أبو جعفرٍ في بستانٍ بحوزٍ مؤملٍ، فلما حان وقت الفراق قال:

رعى الله ليلاً لم يرع بمذممٍ ... عشية وارانا بحوز مؤمل
وقد خفقت من نحو نجدٍ أريجة ... إذا نفحت جاءت بريا القرنفل
وغرد قمري على الدوح وانثنى ... قضيب من الريحان من فوق جدول
يرى الروض مسروراً بما قد بدا له ... عناقٍ وضمٍ وارتشاف مقبل

فقالت:

لعمرك ما سر الرياض بوصلنا ... ولكنه أبدى لنا الغل والحسد
ولا صفق النهر ارتياحاً لقربنا ... ولا غرد القمري إلا لما وجد
فلا تحسن الظن الذي أنت أهله ... فما هو في كل المواطن بالرشد
فما خلت هذا الأفق أبدى نجومه ... لأمرٍ سوى كيما يكون لنا رصد

وقالت:

سلوا البرق الخفاق والليل ساكن ... أظل بأحبابي يذكرني وهنا
لعمري لقد أهدى لقلبي خفوقه ... وأمطر كالمنهل من مزنه الجفنا

وبلغها أن أبا جعفر بن سعيدٍ علق بجاريةٍ سوداء فأقام معها أياماً فكتبت إليه:

يا أظرف الناس قبل حالٍ ... أوقعه وسطه القدر
عشقت سوداء مثل ليلٍ ... بدائع الحسن قد ستر
لا يظهر البشر في دجاها ... كلا ولا يبصر الخفر
بالله قل لي وأنت أدرى ... بكل من هام في الصور
من الذي حب قبل روضاً ... لا نور فيه ولا زهر؟

فكتب إليها معتذراً:

لا حكم إلا لأمر ناهٍ ... له من الذنب يعتذر
له محيا به حياتي ... أعيذ مجلاه بالسور
كضحوة العيد في ابتهاجٍ ... وطلعة الشمس والقمر
بسعده لم أمل إليه ... إلا طريفاً له خبر
عدمت صبحي فاسود عشقي ... وانعكس الفكر والنظر
إن لم تلح يا نعيم روحي ... فكيف لا تفسد الفكر؟
وكتبت إلى بعض أصحابها:
أزورك أم تزور فإن قلبي ... إلى ما تشتهي أبداً يميل
فثغري مورد عذب زلال ... وفرع ذؤابتي ظل ظليل
وهل تخشى بأن تظما وتضحى ... إذا وافى إليك بي المقيل
فعجل بالجواب فما جميل ... إباؤك عن بثينة يا جميل
وكان أبو حعفر بن سعيدٍ يوماً في منزله، وقد خلا ببعض أصحابه وجلسائه، فضرب الباب فخرجت جاريته تنظر من بالباب؟ فوجدت امرأةً فقالت لها: ما تريدين؟ فقالت: ادفعي لسيدك هذه البطاقة، فإذا فيها:
زائر قد أتى بجيد غزالٍ ... طامع من محبه بالوصال
بلحاظٍ من سحر بابل صيغت ... ورضابٍ يفوق بنت الدوالي
يفضح الورد ما حوى منه خد ... وكذا الثغر فاضح للآلئ
أتراكم بإذنكم مسعفيه ... أم لكم شاغل من الأشغال
فلما قرأ الرقعة قال: ورب الكعبة ما صاحب هذه الرقعة إلا حفصة، فبادر إلى الباب فلم يجدها فكتب إليها:
أي شغلٍ عن الحب يعوق ... يا صاحباً قد آن منه الشروق؟
صل وواصل فأنت أشهى إلينا ... من لذيذ المنى فكم ذا نشوق؟
لا وحييك لا يطيب صبوح ... غبت عنه ولا يطيب غبوق
لا وذل الجفا وعز التلاقي ... واجتماعٍ إليه عز الطريق
وقالت:
أغار عليك من عيني وقلبي ... ومنك ومن زمانك والمكان

ولو أني جعلتك في عيوني ... إلى يوم القيامة ما كفاني
ماتت حفصة بمراكش سنة ستٍ وثمانين وخمسمائةٍ.

الحكم بن عبدل بن جبلة

ابن عمرو بن ثعلب بن عقال بن بلال بن سعد بن حبال بن نصر بن غاضرة، وينتهي نسبه إلى خزيمة بن مدركة، الأسدي الفاخري الكوفي، شاعر مجيد هجاء من شعراء الدولة اللأموية، كان ممن نفاه ابن الزبير من العراق كما نفى منها عمال بني أمية، فقدم دمشق ونال من عبد الملك بن مروان حظوةً فكان يدخل عليه ويسمر عنده، فقال ليلةً لعبد الملك:

يا ليت شعري وليت ربما نفعت ... هل أبصرن بني العوام قد شملوا

بالذل والأسر والتشريد إنهم ... على البرية حتف حيثما نزلوا

أم هل أراك بأكناف العراق وقد ... ذلت لعزك أقوام وقد نكلوا؟

فقال عبد الملك:

إن يمكن الله من قيسٍ ومن جدسٍ ... ومن جذامٍ ويقتل صاحب الحرم

نضرب جماجم أقوامٍ على حنقٍ ... ضرباً ينكل عنا غابر الأمم

ودخل يوماً على عبد الملك فقعد بين السماطينوقال: – أصلح الله الأمير – ، رؤيا رأيتها بالمنام أقصها عليك؟ فقال: هات، فأنشا يقول:

طلعت الشمس بعد غضارةٍ ... في نومةٍ ما كنت قبل أنامها

فرأيت أنك جدت لي بوليدةٍ ... مغنوجةٍ حسنٍ علي قيامها

وببدرةٍ حملت إلي وبغلةٍ ... شهباء ناجيةٍ يصل لجامها

فسألت ربي أن يثيبك جنةً ... يلقاك فيها روحها وسلامها

فقال: كل ما رأيت عندنا إلا البغلة فإنها دهماء فارهة فقال: امرأته طالق إن كان رآها إلا دهماء، ولكنه نسي فأمر عبد الملك أن يحمل إليه كل ما ذكر في شعره. ودخل ابن عبدلٍ على محمدٍ بن حسان بن سعدٍ وكان على خراج الكوفة، فكلمه في رجلٍ من العرب أن يضع عنه ثلاثين درهماً من خراجه، فقال محمد بن حسانٍ: أماتني الله إن كنت أقدر أن أضع من خراج أمير المؤمنين شيئاً، فانصرف ابن عبدلٍ وهو يقول:

دع الثلاثين لا تعرض لصاحبها ... لا بارك الله في تلك الثلاثينا

لما علا صوته في الدار مبتكراً ... كإشتفانٍ يرى قوماً يدوسونا

أحسن فإنك قد أعطيت مملكةً ... إمارةً صرت فيها اليوم مفتونا

لا يعطك الله خيراً مثلها أبداً ... أقسمت بالله إلا قلت آمينا

ولما لم يضع من خراج الرجل شيئاً، قال ابن عبدلٍ فيه:

رأيت محمداً شرهاً ظلوماً ... وكنت أراه ذا ورعٍ وقصد

يقول أماتني ربي خداعاً ... أمات الله حسان بن سعد

ركبت إليه في رجلٍ أتاني ... كريمٍ يبتغي المعروف عندي

فقلت له وبعض القول نصح ... ومنه ما أسر له وأبدي

توق كرائم البكري إني ... أخاف عليك عاقبة التعدي

فما صادفت في قحطان مثلي ... ولا صادفت مثلك في معد

أقل براعةً وأشد بخلاً ... وألأم عند مسألةٍ وحمد
فقدت محمداً ودخان فيه ... كريح الجعر فوق عطين جلد
فأقسم غير مستنٍ يميناً ... أبا بخرٍ لتتخمن ردى
فلو كنت المهذب من تميمٍ ... لخفت ملامتي ورجوت حمدي
نكهت علي نكهة أخدريٍ ... شتيمٍ أعصل الأنياب ورد
فما يدنو إلى فمه ذئاب ... ولو طليت مشافره بتند
فإن أهديت لي من فيك حتفاً ... فإني كالذي أهديت مهدي
ولولا ما وليت لكنت فسلاً ... لئيم الكسب شأنك شأن عبد

وخطب محمد بن حسانٍ هذا بنتاً لطلبة بن قيس بن عاصمٍ المنقري فقال ابن عبدلٍ:

لعمري ما زوجتها لكفاءةٍ ... ولكنما زوجتها للدراهم
وما كان حسان بن سعدٍ ولا ابنه ... أبو البخر من أكفاء قيس بن عاصم
ولكنه رد الزمان على استه ... وضيع أمر المحصنات الكرائم
له ريقة بخراء تصرع من دنا ... وتنتن خيشوم الضجيع الملازم

خذي ديةً منه تكوني غنيةً ... وروحي إلى باب الأمير فخاصمي

وكان بالكوفة امرأة موسرة لها على الناس ديون كثيرة بالسواد، فأتت الحكم بن عبدلٍ وعرضت له بأنها تتزوجه إذا اقتضى لها ديونها، فقام ابن عبدلٍ بدينها حتى اقتضاه ثم طالبها بالوفاء فكتبت إليه:

سيخيطك الذي حاولت مني ... تقطع حبل وصلك من حبالي
كما أخطأك معروف ابن بشرٍ ... وكنت تعد ذلك رأس مال

وكان ابن عبدلٍ يأتي ابن بشرٍ بن مروان بالكوفة فيسأله فيقول له: أخمسمائةٍ أحب إليك العام أم ألف في قابلٍ؟ فيقول ألف في قابلٍ، فإذا أتاه من قابلٍ قال له: ألف إليك العام أم ألفان في قابلٍ؟ فيقول ألفان، فلم يزل كذلك حتى مات ابن بشرٍ ولم يعطه شيئاً. فدخل ابن عبدلٍ على عبد الملك بن مروان بعد ما جرى من المرأة، فقال له عبد الملك: ما أحدثت بعدي، قال: خطبت امرأةً من قومي فردت علي ببيتي شعرٍ، قال: وما هما؟ قال: قالت:

سيخيطك الذي حاولت مني

البيتان، فضحك عبد الملك وقال له: – لحاك الله – أذكرت بنفسك، وأمر له بألفي درهمٍ. وعن ابن الكلبي قال: كان الحكم بن عبدلٍ منقطعاً إلى بشر بن مروان وكان يأنس به ويقربه، وأخرجه معه إلى البصرة لما وليها، فرأى منه الحكم جفاءً لشغلٍ عرض عرض له فانقطع عنه شهراً ثم أتاه، فلما دخل عليه قال له بشر: يابن عبدلٍ ما لك انقطعت عنا وقد كنت لنا زواراً، فقال ابن عبدلٍ:

كنت أثني عليك خيراً فلما ... أضمر القلب من نوالك ياسا
كنت ذا منصبٍ قنيت حيائي ... لم أقل غير أن هجرتك باسا

لم أطق ما أردت بي يابن مروا ... ن ستلقى إذا أردت أناسا
يقبلون الخسيس منك ويشو ... ن ثناء مدخمساً دخماسا
فقال له: لا نسومك الخسي ولا نريد منك ثناءً مدخمساً ووصله وكساه، ولما مات بشر جزع ابن عبدلٍ فقال يرثيه:
أصبحت جم البلابل الصدر ... متعجباً لتصرف الدهر
ما زلت أطلب في البلاد فتىً ... ليكون لي ذخراً من الذخر
ويظل يسعدني وأسعده ... في كل نائبةٍ من الأمر
حتى إذا ظفرت يداي به ... جاء القضاء بحينه جري
إني لفي همٍ يباكرني ... منه وهمٍ طارقٍ يسري
فلأصبرن وما رأيت دوا ... للهم غير عزيمة الصبر
والله ما استعظمت فرقته ... حتى أحاط بفضله خبري
وعن النضر بن شميلٍ قال: دخلت على أمير المؤمنين المأمون بمرو فقال: أنشدني أقنع بيتٍ للعرب، فأنشدته قول الحكم بن عبدلٍ:
إني امرؤ لم أزل وذاك من ال ... له أديباً علم الأدبا
أقيم بالدار ما اطمأنت بي الد ... دار وإن كنت نازعاً طربا
لا أحتوي خلة الصديق ولا ... أتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا
أطلب ما يطلب الكريم من الر ... رزق بنفسي وأجمل الطلبا
وأحلب الثرة الصفي ولا ... أجهد أخلاف غيرها حلبا
إني رأيت الفتى الكريم إذا ... رغبته في صنيعةٍ رغبا
والعبد لا يحسن العطاء ولا ... يعطيك شيئاً إلا إذا ذهبا
مثل الحمار الموقع السوء لا ... يحسن مشياً إلا إذا ضربا
ولم أجد عزة الخلائق إل ... لا الدين لما اعتبرت والحسبا
قد يرزق الخافض المقيم وما ... شد بعنسٍ رحلاً ولا قتبا
ويحرم الرزق ذو المطية والر ... رحل ومن لا يزال مغتربا
وكان الحكم بن عبدلٍ أعرج، فدخل على عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب وهو أعرج أيضاً وكان صاحب شرطته أعرج كذلك فقال:
ألق العصا ودع التعارج والتمس ... عملاً فهذي دولة العرجان
لأميرنا وأمير شرطتنا معاً ... لكليهما يا قومنا رجلان
فإذا يكون أميرنا ووزيرنا ... وأنا فجئ بالرابع الشيطان
وقال في بشر بن مروان:

ولو شاء بشر كان من دون بابه ... طماطم سود أو صقالبة حمر
ولكن بشراً سهل الباب للتي ... يكون لبشرٍ بعدها الحمد والأجر
بعيد مراد العين ما رد طرفه ... حذار الغواشي باب دارٍ ولا ستر

الحكم بن معمر بن قنبر

ابن جحاش بن سلمة بن ثعلبة بن مالك بن طريف بن محارب الخضري شاعر إسلامي، وكان مع تقدمه في الشعر سجاعاً كثير السجع، وكان هجاءً خبيث اللسان، وكان بينه وبين الرماح بن أبرد المعروف بابن ميادة مهاجاة ومواقف كان الغلب في أكثرها على الرماح فتهاجيا زماناً طويلاً، ثم كف ابن ميادة وسلأأله الصلح، فصالحه الحكم. وكان أول ما بدأ الهجاء بينهما أن ابن ميادة مر بالحكم وهو ينشد في مصلى النبي صلى الله عليه وسلم في جماعةٍ من الناس قوله:

لمن الديار كأنها لم تعمر ... بين الكناس وبين برق محجر؟

حتى انتهى إلى قوله:

يا صاحبي ألم تشما بارقاً ... نضح الصراد به فهضب المنحر
قد بت أرقبه وبات مصعداً ... نهض المقيد في الدهاس الموقر

فقال له ابن ميادة: ارفع إلى رأسك أيها المنشد، فرفع الحكم رأسه فقال له: من أنت؟ قال: أنا الحكم ابن معمرٍ الخضري، قال:: فوالله ما أنت في بيت حسبٍ ولا في أرومة الشعر، فقال له الحكم: وماذا عبت في شعري؟ قال: عبت أنك أدهست وأوقرت. قال له الحكم: ومن أنت؟ قال: أنا ابن ميادة. قال: ويحك فلم رغبت عن أبيك وانتسب إلى أمك راعية الضأن، وأما إدهاسي وإيقاري، فإني لم آت خيبر لا ممتاراً ولا متحاملاً وما عدوت أن حكيت حالك وحال قومك، فلو سكت عن هذا كان خيراً لك وأبقى عليك، فلم يفترقا إلا عن هجاء.

وقال الحكم يهجو أم جحدرٍ بنت حسانٍ المرية وكانت فضلت ابن ميادة عليه:

ألا عوقبت في قبرها أم جحدرٍ ... ولا لقيت إلا الكلاليب والجمرا
كما حادثت عبداً لئيماً وخلته ... من الزاد إلا حشو رياطته صفرا
فيا ليت شعري هل رأت أم جحدرٍ ... أكنك أو ذاقت مغابنك الشقرا؟
وهل أبصرت أرساغ أبرد أو رأت ... قفا أم رماحٍ إذا ما استقت دفرا
وبالغمر قد صرت لقاحاً وحادثت ... عبيداً فسل عن ذاك نيان والغمرا

ومما قاله الحكم في ابن ميادة:

خليلي عوجا حييا الدار بالجفر ... وقولا لها سقياً لعصرك من عصر
وماذا تحيي من رسومٍ تلاعبت ... بها حرجف تذري بأذيالها الكدر
إذا يبست عيدان قومٍ وجدتنا ... وعيداننا تغشى على الورق الخضر
إذا الناس جاؤوا بالقروم أتيتهم ... بقرمٍ يساوي رأسه غرة البدر

لنا الغور والأنجاد والخيل والقنا ... عليكم وأيام المكارم والفخر
فيامر قد أخزاك في كل موطنٍ ... من اللؤم خلات يزدن على العشر
فمنهن أن العبد حامي ذماركم ... وبئس المحامي العبد عن حوزة الثغر
ومنهن أن لم تمسحوا وجه سابقٍ ... جوادٍ ولم تأتوا حصاناً على طهر
ومنهن أن الميت يدفن منكم ... فيقسو على دفانه وهو في القبر
ومنهن أن الجار يسكن وسطكم ... بريئاً فيرمى بالخيانة والغدر
ومنهن أن عذتم بأرقط كودنٍ ... وبئس المحامي أنت يا ضرط الجفر
ومنهن أن الشيخ يوجد منكم ... يدب إلى الجارت محدودب الظهر
يبيت ضباب الضغن يخشى احتراشها ... وإن هي أمست دونها ساحل البحر

أبو الحكم بن غلندو الإشبيلي

ولد بإشبيلية وبها نشأ، وكان أديباً شاعراً جيد الشعر متفنناً بصناعة الطب، خدم بها المنصور أمير المؤمنين عبد المؤمن بن سعيدٍ فحظي عنده وقدم، وكان أبوه أيضاً في خدمة أبي يعقوب والد المنصور، وكان أبو الحكم حسن الحظ يكتب الخطين الأندلسي والمشرقي، وتوفي بمراكش سنة سبعٍ وثمانين وخمسمائةٍ. ومن شعره:

ماست فأزرت بالغصون الميس ... وأتتك تخطر في غلالة سندس
وتبرجت جنح الظلام كأنها ... شمس تجلت في دياجي الحندس

تختال بين لداتها فتخالها ... بدراً بدا بين الجواري الكنس
أرجت برياها الصبا فتضوعت ... أنفاسها والصبح لم يتنفس
وسرت إلينا في ملاءة سندسٍ بترفلٍ وتدللٍ وتبهنس
وتزلفت والليل مسبل جنحه ... والجو داجٍ من ظلام الحندس

وله:

لئن غبت عن عيني وشط بك النوى ... فأنت بقلبي حاضر وقريب
خيالك في وهمي وذكرك في فمي ... ومثواك في قلبي فأين تغيب؟

حكيم بن عياشٍ المعروف بالأعور الكلبي

شاعر مجيد كان منقطعاً إلى بني أمية بدمشق وسكن المزة بها ثم انتقل إلى الكوفة، وكان بينه وبين الكميت بن زيدٍ مفاخرة. وقدم أسامة خال الأعور على معاوية فقال له: اختر لك منزلاً فاختار المزة واقتطع فيها هة وعترته، فقال الأعور:

إذا ذكرت أرض لقومٍ بنعمةٍ ... فبلدة قومي تزدهي وتطيب
بها الدين والإفضال والخير والندى ... فمن ينتجعها للرشاد يصيب

ومن يتجع أرضاً سواها فإنه ... سيندم يوماً بعدها ويخيب
تأتي بها خالي أسامة منزلاً ... وكان لخير العالمين حبيب
حبيب رسول الله وابن رديفه ... له ألفة معروفة ونصيب
فأسكنها كلباً فأضحت بليدة ... بها منزل رحب الجناب خصيب
فنصف على برٍ فسيحٍ رحابه ... ونصف على بحرٍ أغر يطيب
وكان الأعور يتعصب لليمن على مضر فقال:
ما سرني أن أمي من بني أسدٍ ... وأن ربي نجاني من النار
وأنهم زوجوني من بناتهم ... وأن لي كل يومٍ ألف دينار
وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفرٍ فقال له: يابن رسول الله هذا حكيم الكلبي ينشد الناس هجاءكم بالكوفة فقال: هل حفظت منه شيئاً؟ قال: نعم وأنشده:
صلبنا لكم زيداً على جذعِ نخلةٍ ... ولم نر مهدياً على الجذع يصلب
وقستم بعثمانٍ علياً سفاهةً ... وعثمان خير من عليٍ وأطيب
فرفع عبد الله يديه إلى السماء وهما ينتفضان رعدةً فقال: اللهم إن كان كاذباً فسلط عليه كلباً، فخرج حكيم من الكوفة فأدلج فافترسه الأسد فأكله، وأتى البشير عبد الله وهو في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخر لله تعالى ساجداً وقال: الحمد لله الذي صدقنا وعده.

حماد بن عمر بن يونس بن كليب

الكوفي المعروف بحماد عجردٍ مولى بني سوءة بن عامر بن صعصعة، شاعر مجيد من طبقة بشارٍ، وكان بينهما مهاجاة، وهو أحد الحمادين الثلاثة، قال إبراهيم العامري: كان بالكوفة ثلاثة نفرٍ يقال لهم الحمادون: حماد عجردٍ، وحماد الراوية، وحماد بن الزبرقان، يتنادمون ويتعاشرون معاشرةً جميلةً ويتناشدون الأشعار، وكانوا كأنهم نفس واحدة، وكان يرمون بالزندقة جميعاً، وحماد عجردٍ من مخضرمي الدولتين، نادم الوليد بن يزيد ولم يشتهر إلا في الدولة العباسية، قدم بغداد في أيام المهدي هو ومطيع بن إياسٍ ويحيى بن زيادٍ فاشتهروا بها، وكان حماد ماجناً ظريفاً متهماً في دينه، وكان أحد الأئمة ينتقصه فلما بلغه ذلك كتب إليه:
إن كان نسكك لا يتم بغير شتمي وانتقاصي
فاقعد وقم بي حيث شئت لدى الأداني والأقاصي
فلطالما زكيتني وأنا المقيم على المعاصي
أيام تأخذها وتعطى في أباريق الرصاص
وسبب تسميته بعجردٍ أن إعرابياً مر به وهو غلام يلعب مع الصبيان في يومٍ شديد البرد وهو عريان فقال له الأعرابي: تعجردت يا غلام فسمي عجرداً، والمتعجرد: المتعري. وكتب لأبو النضير الجمحي الشاعر إلى حمادٍ يسأله عن حاله في الشراب ومن يعاشر عليه، فكتب إليه حماد:

أبا النضير اسمع كلامي ولا ... تجعل سوى الإنصاف في بالكا
سألت ما حالي وما حال من ... لم يلق إلا عابداً ناسكا؟
يظهر نسكاً ومتى يفترص ... يكن علي عادياً فاتكا
ومرض حماد فعاده أصدقاؤه جميعاً إلا مطيع بن إياسٍ، فكتب إليه حماد:
كفاك عيادتي من كان يرجو ... ثواب الله في صلة المريض
فإن تحدث لك الأيام سقماً ... يحول جريضه دون القريض

يكن طول التأوه منك عندي ... بمنزلة الطنين من البعوض
ومن شعر حماد عجردٍ:
إني أحبك فاعلمي ... إن لم تكوني تعلمينا
حباً أقل قليله ... كجميع حب العالمينا
وقال:
فأقسمت لو أصبحت في قبضة الهوى ... لأقصرت عن لومي وأطنبت في عذري
ولكن بلائي منك أنك ناصح ... وأنك لا تدري بأنك لا تدري
وقال في أبي العباس الطوسي:
أرجوك بعد أبي العباس إذ بانا ... يا أكرم الناس أعزاقاً وعيدانا
فأنت أكرم من يمشي على قدمٍ ... وأنضر الناس عند المحل أغصانا
لو مج عود على قومٍ عصارته ... لمج عودك فينا المسك والبانا
وكان بين حمادٍ وبشار بن بردٍ ومطيع بن إياسٍ أهاجٍ كثيرة أعرضنا عن ذكرها لما فيها من السخف والمجون
وتوفي حماد عجردٍ بالبصرة سنة إحدى وستين ومائةٍ في أصح الروايات.

حماد بن سلمة بن دينار

الإمام أبو سلمة البصري، شيخ أهل البصرة في الحديث والعربية والفقه، أخذ عنه يونس بن حبيبٍ النحوي، وسئل أيما أسن أنت أم حماد؟ فقال: حماد أسن مني، ومنه تعلمت العربية. وكان سيبويه يستملي على حمادٍ فقال حماد: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من أحدٍ من أصحابي إلا من لو شئت لأخذت عنه علماً ليس أبا الدرداء). فقال سيبويه: ليس أبو الدرداء. فقال له حماد: لحنت يا سيبويه، ليس أبا الدرداء. فقال: لا جرم لأطلبن علماً لا تلحنني فيه أبداً، فطلب النحو ولزم الخليل بن أحمد، وكان أبو عمرو الجرمي يقول: ما رأيت فقيهاً قط أفصح من عبد الوارث إلا حماد بن سلمة. وكان حماد يقول: من لحن في حديثي فقد كذب علي. وكان يمر بالحسن البصري في الجامع فيدعه ويذهب إلى أصحاب العربية يتعلم منهم.
وكان مع تقدمه في العربية إماماً في الحديث ثقةً، ثبتاً حتى قالوا: إذا رأيت الرجل يقع في حمادٍ فاتهمه على

الإسلام.

روى حماد عن ثابتٍ وأبي عمران الجوني وعبد الله بن كثير وابن مليكٍ وخلقٍ. وروى عنه مالك وسفيان وشعبة وابن مهدي وعفان وأمم. وقال عمرو بن سلمة: كتبت عند حماد بن سلمة بضعة عشر ألف حديثٍ. وقال ابن المديني: كان عند يحيى بن الضرير عن حماد عشرة آلاف حديثٍ. وقال يحيى بن معينٍ: هو أعلم الناس بثابتٍ. وقال أحمد بن حنبل: حماد أعلم الناس بحديث خاله حميدٍ الطويل وأثبتهم فيه. وقال أحمد ويحيى: هو ثقة الناس. وقال رجل لعفان: أحدثك عن حمادٍ؟ قال: من حماد ويلك؟ قال: ابن سلمة، قال: هلا هلا قلت أمير المؤمنين. وقال ابن عديٍ: حماد إمام جليل، وهو مفتي أهل البصرة مع سعيد بن أبي عروبة. وقال إسحاق بن الطباع: قال لي سفيان بن عيينة: العلماء ثلاثة: عالم بالله وبالعلم، وعالم بالله ليس بعالمٍ بالعلم، وعالم بالعلم ليس بعالمٍ بالله. قال ابن الطباع: الأول كحماد بن سلمة، والثاني مثل أبي الحجاج والثلث كأبي يوسف.

وقال ابن المديني: من سمعتموه يتكلم في حمادٍ فاتهموه. واحتج مسلم بحماد بن سلمة في أحاديث عدةٍ في الأصول من حديثه عن ثابتٍ، وأخرج له الأربعة إلا البخاري، فنكت ابن حيان على البخاري، ولم يسمه، حيث احتج بابن دينارٍ وابن عياشٍ وابن أخي الزهري وترك حماداً فقال: لم ينصف من جانب حديث حمادٍ، واحتج بأبي بكر بن عياش وعبد الرحمن بن دينارٍ وابن أخي الزهري. وقالحماد بن زيدٍ: ما كنا نرى أحداً يتعلم بنيةٍ غير حمادٍ، وما نرى اليوم من يعلم بنيةٍ غيره. وقال وهيب: كان حماد بن سلمة سيدنا وأعلمنا، وكان إماماً في العربية فصيحاً مفوهاً، مقرئاً فقيهاً، شديداً على المبتدعة، وله تآليف، ولم يكن له كتاب غير كتاب قيس بن سعدٍ، يعني كان يحفظ علمه. مات حماد في ذي الحجة سنة سبعٍ وستين ومائةٍ، وقيل سنة تسع وستين في خلافة المهدي، ورثاه اليزيدي بأبياتٍ أولها:

يا طالب النحو ألا فابكه ... بعد أبي عمرو وحماد

يعني حماد بن سلمة وأبا عمرو بن العلاء.

حماد بن ميسرة بن المبارك

ابن عبيدٍ الديلمي، مولى بني بكر بن وائلٍ، وقيل مولى مكنف بن زيد الخيل، الكوفي المعروف بالرواية. قال المدائني: كان من أعلم الناس بأيام العرب وأخبارها وأشعارها وأنسابها ولغاتها، وكانت ملوك بني أمية تقدمه وتؤثره وتستزيره، فيفد عليهم ويسألونه عن أيام العرب وعلومها، ويجزلون صلته وعن الهيثم بن عديٍ صاحبه وروايته قال: قال الوليد بن يزيد لحمادٍ الراوية: بم استحققت هذا اللقب فقيل لك الراوية؟ فقال: بأني أروي لكل شاعرٍ تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به، ثم أروي لأكثر منهم ممن أعرف أنك لم تعرفه ولم تسمع به، ثم لا أنشد شعراً لقديمٍ ولا محدث إلا ميزت القديم منه من المحدث. فقال: إن هذا لعلم وأبيك كبير، فكم مقدار ما تحفظ من الشعر؟ قال: كثيراً، ولكني أنشدك على كل حرفٍ من حروف المعجم مائة قصيدةٍ كبيرةٍ، سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الإسلام. قال: سأمتحنك في هذا وأمره بالإنشاد، فأنشد حتى ضجر الوليد، ثم وكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفي عليه، فأنشده ألفين

وتسعمائة قصيدة للجاهلين وأخبر الوليد بذلك، فأمر له بمائة ألف درهمٍ.
وروى عن حمادٍ الراوية أنه قال: كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك، وكان أخوه هشام يجفوني لذلك دون سائر أهله من بني أمية، فلما مات يزيد وأفضت الخلافة إليه إلى هشامٍ خفته، فمكثت في بيتي سنة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخواني سراً، فلما لم أسمع أحد يذكرني أمنت فخرجت وصليت الجمعة في الرصافة، ثم جلست عند باب الفيل، فإذا شرطيان قد وقفا علي فقالا: يا حماد أجب الأمير يوسف بن عمر، فقلت في نفسي: هذا الذي كنت أحذره، ثم قلت لهما: هل لكما أن تدعاني حتى آتي أهلي فأودعهم وداع من لا ينصرف إليهم أبداً ثم أصير معكما إلى الأمير؟ فقالا: ما إلى ذلك سبيل، فاستسلمت إليهما وصرت إلى يوسف بن عمر وهو في الإيوان الأحمر فسلمت عليه، فرمى إلي كتاباً فيه: " بسم الله الرحمن الرحيم " من عبد الله هشامٍ أمير المؤمنين إلى يوسف بن عمر، أما بعد: فإذا قرأت كتابي هذا فابعث إلى حمادٍ الراوية من يأتيك به غير مروعٍ ولا متعتعٍ وادفع إليه خمسمائة دينارٍ وجملاً مهرياً يسير عليه اثني عشرة ليلةً إلى دمشق، فأخذت الدنانير ونظرت فإذا جمل مرحول، فركبته وسرت اثنتي عشرة ليلةً حتى وافيت باب هشامٍ، فاستأذنت فأذن لي فدخلت عليه في دارٍ قوراء مفروشةٍ بالرخام. وهو في مجلسٍ مفروشٍ بالرخام بين كل رخامتين قضيب ذهبٍ، وهشام جالس على طنفسةٍ حمراء، وعليه ثياب خزٍ حمر وقد تضمخ بالمسك والعنبر، وبين يديه مسك مفتوت في أواني ذهبٍ يقلبه بيده فيفوح، فسلمت عليه بالخلافة فرد علي السلام واستدناني فدنوت منه حتى قبلت رجله، فإذا جاريتان لم أر مثلهما قط وفي أذني كل واحدةٍ منهما حلقتان فيهما لؤلؤتان تتقدان، فقال لي: كيف أنت يا حماد وكيف حالك؟ فقلت: بخيرٍ يا أمير المؤمنين. قال: أتدري فيم بعثت إليك؟ قلت: لا، قال: بعثت إليك بسبب بيتٍ خطر ببالي لا أعرف قائله. قلت: وما هو؟ قال:

ودعوا بالصبوح يوماً ... قينة في يمينها إبريق

فقلت: هذا يقوله عدي بن زيدٍ المبادي في قصيدةٍ له، قال: فأنشدنيها فأنشدته:

بكر العاذلون في وضح الب ... ح يقولون لي ألا تستفيق؟
ويلومون فيك يا ابنة عبد الل ... ه و القلب عندكم موهوق
لست أدري إذ أكثروا العذل فيها ... أعدو يلومني أم صديق؟
زانها حسنها وفرع عميم ... وأثيث صلت الجبين أنيق
وثنايا مفلجات عذاب ... لا قصار ترى ولا هن روق
ودعوا بالصبوح يوماً فجاءت ... قينة في يمينها إبريق
قدمته على عقارٍ كعين الد ... ديك صفى سلافها الراووق
مرة قبل مزجها فإذا ما ... مزجت لذ طعمها من يذوق
وطفا فوقها فقاقيع كالد ... در صغار يثيرها التصفيق
ثم كان المزاج ماء سحابٍ ... لا صرىً آجن و لا مطروق

قال: فطرب هشام ثم قال: أحسنت يا حماد. يا جارية اسقيه، فسقتني شربةً ذهبت بثلث عقلي وقال: أعد فأعدت فاستخفه الطرب حتى نزل عن فرشه، ثم قال للجارية الأخرى: اسقيه، فسقتني شربةً ذهبت بثلث عقلي الثاني، فقلت: إن سقتني الثالثة افتضحت، فقال لي هشام: سل حاجتك، قلت: كائنةً ما كانت؟ قال: نعم، قلت: إحدى الجاريتين، فقال: هما جميعاً لك بما عليهما وما لهما، ثم قال للأولى: اسقيه، فسقتني شربةً لم أعقل بعدها حتى أصبحت، فإذا بالجاريتين عند رأسي وعدةٍ من الخدم مع كل واحد منهم بدرة، فقال لي أحدهم: أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ويقول لك: خذ هذه فأصلح بها شأنك، فأخذتها والجاريتين وانصرفت إلى أهلي. قال الهيثم بن عديٍ: ما رأيت رجلاً أعلم بكلام العرب من حمادٍ، وقال الأصمعي: كان حماد أعلم الناس إذا نصح يعني إذا لم يزد وينقص في الأشعار والأخبار، فإنه كان متهماً بأنه يقول الشعر وينحله شعراء العرب، وقال المفضل الضبي: قد سلط على الشعر من حمادٍ الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً، فقيل له: وكيف ذلك؟ أيخطئ في روايةٍ أم يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجلٍ، ويدخله في شعره ويحمل ذلك عنه في الآفاق فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالمٍ ناقدٍ وأين ذلك؟. وذكر أبو جعفرٍ أحمد بم محمدٍ النحاس أن حماداً هو الذي جمع السبع الطوال ولم يثبت ما ذكره الناس من أنها كانت معلقةً على الكعبة.

ولحمادٍ أخبار طوال اقتصرنا على ما ذكرناه منها، وكانت ولادته في سنة خمسٍ وتسعين، وتوفي سنة خمسٍ وخمسين ومائةٍ. رثاه ابن كناسة الشاعر بقوله:

لو كان ينجي من الردى حذر ... نجاك مما أصابك الحذر

يرحمك الله من أخي ثقةٍ ... لم يك فس صفو وده كدر

فهكذا يفسد الالزمان ويف ... نى فيه ويدرس الأثر

حماس بن ثاملٍ مولى عثمان بن عفان

شاعر إسلامي من مخضرمي الدولتين أدرك أيام السفاح، وكان يوماً في مجلسه فذكر إسماعيل بن عبد الله القسري بني أمية فذمهم وسبهم، فقال حماس للسفاح: يا أمير المؤمنين، أيسب هذا بني عمك وعمالهم وهو رجل اجتمع والخريت في نسبٍ؟ إن بني أمية لحمك ودمك فكلهم ولا تأكلهم، فقال له: صدقت، وأمسك إسماعيل فلم يحر جواباً. ومن شعر حماسٍ:

الله نجى قلوصي بعد ما علقت ... من الأمير ومن عمرو بن سيار

بحلفةٍ من يمينٍ غير صادقةٍ ... حلفتها ثم لم تلحقن بالنار

إحلف يميناً ما خفت مضلعةً ... وتب إلى غافرٍ للذنب غفار

حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب

الخطابي، من ولد زيدٍ بن الخطاب أبو سليمان البستي، نسبة إلى مدينة بست في بلاد كابل، كان محدثاً فقيهاً أديباً شاعراً لغوياً، أخذ اللغة والأدب عن أبي عمر الراهد، وأبي عليٍ إسماعيل الصفار، وأبي جعفرٍ الزاز

وغيرهم من علماء العراق، وتفقه بالقفال الشاشي، وروى عنه الحافظ أبو عبد الله بن البيع المعروف بالحاكم النيسابوري، والحافظ المؤرخ عبد الغفار بن محمدٍ الفارسي صاحب السياق لتاريخ نيسابور، وأبو القاسم عبد الوهاب الخطابي وخلق.

قال الحافظ أبو المظفر السمعاني: كان حجةً صدوقاً رحل إلى العراق والحجاز، وجال في خراسان وخرج إلى ما وراء النهر. وقال الثعالبي: كان يشبه في عصرنا بأبي عبيدٍ القاسم في عصره علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً، إلا أنه كان يقول شعراً حسناً. وكان أبو عبيدٍ مفحماً. ولأبي سليمان كتب من تآليفه أشهرها وأسيرها: كتاب غريب الحديث، و وهو غاية الحسن والبلاغة، وله أعلام السنن في شرح صحيح البخاري، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود، وكتاب إصلاح غلط المحدثين، وكتاب العزلة، وكتاب شأن الدعاء، وكتاب الشجاج وغير ذلك. ولد في رجبٍ سنة تسع عشرة وثلاثمائةٍ، وتوفي ببلده بست سنة ثمانٍ وثمانين وثلاثمائةٍ، وقيل سنة ستٍ وثمانين، والأول أصح. ومن شعره:

إذا خلوت صفا ذهني وعارضني ... خواطر كطراز البرق في الظلم
وإن توالى صياح الناعقين على ... أذني عرتني منه لكنة العجم

وقال:

لعمرك ما الحياة وإن حرصنا ... عليها غير ريحٍ مستعاره
وما للريح دائمةً هبوب ... ولكن تارةً تجري وتاره

وقال:

وما غمة الإنسان من شقة النوى ... ولكنها والله من عدم الشكل
وإني غريب بين بست وأهلها ... وإن كان فيها أسرتي وبها أهلي

وقال:

تسامح ولا تستوف حقك كله ... وأبق فلم يستقص قط كريم
ولا تغل في شيءٍ من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

وقال:

قد أولع الناس بالتلاقي ... والمرء صب إلى هواه
وإنما منهم صديقي ... من لا يراني ولا أراه

وقال:

شر السباع الضواري دونه وزر ... والناس شرهم ما دونه وزر
كم معشرٍ سلموا لم يؤذهم سبع ... وما ترى بشراً لم يؤذه بشر

وقال:

ما دمت حياً فدار الناس كلهم ... فإنما أنت في دار المداراة
من يدر داري ومن لم يدر سوف يرى ... عما قليلٍ نديماً للندامات

حمدان بن عبد الرحيم الأثاربي

كان طبيباً أديباً شاعراً دائباً في طلب العلم، يحضر مجالس العلماء وأهل الأدب ويصحب من لقيه منهم ويلازمه. مات بعد سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائةٍ. ومن شعره:

لا جلق رقن لي معالمها ... ولا أطبتني أنهار بطنان

ولا ازدهتني بمنبجٍ فرص ... راقت لغيري من آل حمدان

لكن زماني بالجزر ذكرني ... طيب زماني وفيه أبكاني

يا حبذا الجزر كم نعمت به ... بين جنانٍ ذوات أفنان

واجتاز بحمدان في بعض السنين الأمير مهند الدولة ابن الخشيني فأنزله في الأثارب وأقام عنده أشهراً، فلما وافى هلال رمضان قال الأمير:

لله من قمرٍ رآني معرضاً ... عنه وإعراضي حذار وشاته

طلع الهلال فقلت أعمل حيلةً ... في قبلةٍ أجني جنى وجناته

فمضى وقال تصدين قمر الهوى ... لترى الهلال رقي إلى درجاته

فأنا وحق هواك أبعد مرتقىً ... منه وتأثيري كتأثيراته

أنا كامل أبداً وذلك ناقص ... فاجهد بوصفي ممعناً وصفاته

حمدة ويقال حمدونة

بنت زياد بن تقيٍ من قرية بادي من أعمال وادي آشٍ، كان أبوها زياد مؤدباً وكانت أديبةً نبيلةً شاعرةً ذات جمالٍ ومالٍ مع العفاف والصون، إلا أن حب الأدب كان يحملها على مخالظة أهله مع نزاهة موثوقٍ بها، وكانت تلقب بخنساء المغرب وشاعرة الأندلس. وروى عنها أبو القاسم بن البراق قال: أنشدتنا حمدة العوفية لنفسها وقد خرجت متنزهةً بالرملة من نواحي وادي آشٍ، فرأت ذات وجهٍ وسيمٍ أعجبها فقالت:

أباح الدمع أسراري بوادي ... له في الحسن آثار بوادي

فمن نهرٍ يطوف بكل روضٍ ... ومن روضٍ يرف بكل وادي

ومن بين الظباء مهاة إنسٍ ... سبت لبيً وقد ملكت فؤادي

لها لحظ ترقده لأمر ... وذاك الأمر يمنعني رقادي

إذا سدلت ذوائبها عليها ... رأيت البدر في أفق السواد

كأن الصبح مات له شقيق ... فمن حزن تسربل بالسواد

وقد نسب إليها أهل المغرب الأبيات الشهيرة المنسوبة للمنازي الشاعر وهي:

وقانا لفحة الرمضاء وادٍ ... سقاه مضاعف الغيث العميم

حللنا دوحه فحنا علينا ... حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفنا على ظمإٍ زلالاً ... ألذ من المدامة للنديم

يصد الشمس أنى واجهتنا ... فيحجبها ويأذن للنسيم
يروع حصاه حاليةً العذارى ... فنلمس جانب العقد النظيم

أجمع أدباء المشرق على نسبة هذه الأبيات للمنازي وهو أحمد بن يوسف المنازي المتوفي سنة سبعٍ وثلاثين وأربعمائةٍ، وأنه عرضها على أبي العلاء المعري فجعل المنازي كلما أنشده المصراع الأول من كل بيتٍ سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني كما نظمه المنازي، ونسبها أدباء الأندلس ومؤرخوها إلى حمدة وجزم بذلك طائفة منهم، وفيهم من رواها لها قبل أن يخلق المنازي والله تعالى أعلم. ومن شعر حمدة أيضاً:

ولما أبى الواشون إلا فراقنا ... وما لهم عندي وعندك من ثار
وشنوا على أسماعنا كل غارةٍ ... وقل حماتي عند ذاك وأنصاري
غزوتهم من مقلتيك وأدمعي ... ومن نفسي بالسيف والسيل والنار

حمزة بن أسد بن علي بن محمد

أبو يعلى المعروف بابن القلانسي التميمي الأديب الشاعر المؤرخ، كان من أعيان دمشق ومن أفاضلها المبرزين ولي رياسة ديوانها مرتين، وبها توفي سنة خمسٍ وخمسين وخمسمائةٍ. وله تاريخ للحوادث ابتدأ به من سنة إحدى وأربعين وأربعمائةٍ إلى حين وفاته، وكانت له عناية بالحديث، وله كتب عليها سماعه، ومن شعره:

إياك تقنط عند كل شديدةٍ ... فشدائد الأيام سوف تهون
وانظر أوائل كل أمرٍ حادثٍ ... أبداً فما هو كائن سيكون

وقال أيضاً:

يا من تملك قلبي طرفه فغدا ... معذباً بين أشواقٍ وأشجان
أمنن بوصلٍ لعلي أستجير به ... من سطوة النين في صدٍ وهجران
مالي منيت بممنوعٍ يعذبني ... ولا يزيد فؤادي غير أحزاني
لا برد الله قلبي من تحرقه ... إن شبت حبي له يوماً بسلوان
إذا ترنم قمري على فننٍ ... في ليلةٍ زاد في حزني وأشجاني
وكم أسر غرامي ثم أعلنه ... وليس يخفى بكم سري وإعلاني
لا برد الله شوقي إن نويت لكم ... تغيراً ما بأشكال وألوان

وقال:

يا نفس لا تجزعي من شدةٍ عظمت ... وأيقني من إله الخلق بالفرج
كم شدةٍ عرضت ثم انجلت ومضت ... من بعد تأثيرها في المال والمهج

حمزة بن بيضٍ الحنفي الكوفي

أحد بني بكر بن وائلٍ، شاعر مقدم مجيد من شهراء الدولة الأموية، كان منقطعاً إلى المهلب وولده، ثم اقطع

إلى الأمير بلال بن أبي بردة، ووفد على سليمان بن عبد الملك وامتدحه قبل الخلافة فقال:

أتينا سليمان الأمير نزوره ... وكان أمرأً يحبى ويكرم زائره

إذا كنت بالنجوى به متفرداً ... فلا الجود مخليه ولا البخل حاضره

كفى سائليه سؤلهم من ضميره ... عن البخل ناهيه وبالجود آمره؟

ودخل عليه وعنده يزيد بن المهلب فقال:

حاز الخلافة والداك كلاهما ... ما بين سخطة ساخطٍ أو طائع

أبواك ثم أخوك أصبح ثالثاً ... وعلى جبينك نورملكٍ رابع

سريت خوف بني المهلب بعدما ... نظروا السبيل بسم موتٍ ناقع

ليس الذي أولاك ربك منهم ... عند الأله وعندهم بالضائع

فأمر له بخمسين ألف درهمٍ، وقال في سليمان أيضاً:

لم تدر ما لا فلست قائلها ... عمرك ما عشت آخر الأبد

ولم تؤامر بتلك ممترياً ... فيها وفي أختها ولم تكد

وهي على أنها الخفيفة أث ... قل حملاً عليك من أحد

لما تعودت من نعم فنعم ... ألذ في فيك من جني الشهد

إلا يكن عاجل تعجله ... لنا لئلا تقول لا فعد

وما تعد في غدٍ يكن غدك ال ... وافد للسائلين خير غد

ودخل على يزيد بن المهلب يوم جمعةٍ وهو يتأهب للمضي إلى المسجد وجاريته تعممه فضحك، فقال له يزيد: مم تضحك؟ قال: من رؤيا رأيتها، إن أذن الأمير قصصتها، قال قل: فأنشأ يقول:

رأيتك في المنام سننت خزاً ... على بنفسجاً وقضيت ديني

فصدق يا هديت اليوم رؤيا ... رأتها في المنام كذا عيني

قال: كم دينك؟ قال: ثلاثون ألفاً، قال: قد أمرنا لك بها ومثلها، ثم قال: يا غلمان فتشوا الخزائن فجيئوه بكل جبة خزٍ بنفسجٍ تجدونها فجاؤوا بثلاثين جبةً، فنظر إليه يلاحظ الجارية فقال: يا جارية عاوني عمك على قبض الجباب، فإذا وصلت إلى منزله فأنت له، فأخذها والجباب وانصرف، وقال في يزيد بن المهلب أيضاً:

ومتى يؤامر نفسه مستخلياً ... في أن تجود لدى السؤال تقول جد؟

أة أن يعود لنا بنفحة نائلٍ ... بعد الكرامة والحباء تقول عد

أو في الزيادة بعد جزل عطائه ... للمستزيد من العفاة تقول زد

أو في الوفود على فقيرٍ موبقٍ ... بخلت أقاربه عليه تقول فد

أو في ورود شريعةٍ محفوفةٍ ... بالمشرفية والرماح تقول رد

ونعم بفيه ألذ حين يقولها ... طعماً من العسل المدوف بماء ورد

ولما خرج زيد بن عليٍ على هشامٍ منع أهل مكة والمدينة أعطياتهم سنةً، فقال حمزة بن بيضٍ في ذلك:

وصلت سماء الضر بالضر بعد ما ... زعمت سماء الضر عنا ستقلع

فليت هشاماً كان حياً يسوسنا ... وكنا كما كنا نرجى ونطمع

ولما ولي أبو لبيدٍ البجلي – ابن أخت خالدٍ القسري – أصبهان، وكان رجلاً متنسكاً خرج حمزة بن بيضٍ في صحبته فقيل له: إن مثل حمزة لا يصحب مثلك، لأنه صاحب كلابٍ ولهوٍ، فبعث إليه ثلاثة آلاف درهمٍ وأمره بالانصراف فقال:

يابن الوليد المرتجى سيبه ... ومن يجلي الحندس الحالكا

سبيل معروفك مني على ... بالٍ فما بالي على بالكا؟

حشو قميصي شاعر مفلق ... والجود أمسى حشو سربالكا

يلومك الناس على صحبتي ... والمسك قد يستصحب الرامكا

إن كنت لا تصحب إلا فتىً ... مثلك لن تؤتى بأمثالكا

إني امرؤ حيث يريد الهوى ... فعد عن جهلي بإسلامكا

قال له أبو لبيدٍ: صدقت وقرب منزلته. وقال النضربن شميلٍ دخلت على المأمون بمرو فقال: يا نضر أنشدني أخلب بيتٍ للعرب، قلت هو قول ابن بيضٍ في الحكم بن مروان:

تقول لي والعيون هاجعة ... أقم علينا يوماً فلم أقم

أي الوجوه انتجعت؟ قلت لها ... وأي وجهٍ إلا إلأى الحكم؟

متى يقل حاجباً سرادقه ... هذا ابن بيضٍ بالباب يبتسم

قد كنت أسلمت قبل مقتبلاً ... والآن إذ حل فاعطني سلمي

فقال المأمون: لله درك! فكأنما شق لك عن قلبي. وأودع حمزة عند ناسكٍ ثلاثين ألفاً، ومثلها عند نباذٍ، فأما الناسك فبنى بها داراً وزوج بناته فانفقها وجحدها، وأما النباذ فأدى إليه ماله، فقال في ذلك:

ألا لا يغرك ذو سجدةٍ ... يظل بها دائماً يخدع

كأن بجبهته حبةً ... تسبح طوراً وتسترجع

وما للتقى لزمت وجهه ... ولكن ليغتر مستودع؟

ولا تنفرن من أهل النبيذ ... وإن قيل يشرب لا يقلع

فعندك علم بما قد خبر ... ت إن كان علمي بها ينفع

ثلاثون ألفاً حواها السجود ... فليست إلى أهلها ترجع

بنى الدار من غير أمواله ... فأصبح في بيته يرتع

مهائر من مالهم قد حرم ... ن ظلماً فهم سغب جوع

وأدى أخو الكأس ما عنده ... وما كنت في رده أطمع

ونزل بقومٍ فأساؤوا لبغلته وطرحوا لبغلته تبناً رديئاً فعافته، فأشرف عليها فشححت حين رأته فقال:

إحسبيها ليلةً أدلجتها ... فكلي إن شئت تبناً أو ذري

قد أتى مولاك خبز يابس ... فتغدى فتغدي واصبري

ولحمزة بن بيضٍ أخبار حسان مع عبد الملك بن مروان وابنه وآل المهلب يطول ذكرها. توفي سنة ست عشرة ومائةٍ، وقيل عشرين ومائةٍ، والأول أصح.

حمزة بن حبيب بن عمارة

ابن إسماعيل الإمام أبو عمارة التيمي تيم الله ولاءً وقيل نسباً، الكوفي المعروف بالزيات، وقيل له الزيات لأنه كان يجلب الزيت من الكوفة إلى حلوان، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة: وهو الإمام الحبر شيخ القراء وأحد السبعة الأئمة، ولد سنة ثمانين وأدرك الصحابة بالسن، فيحتمل أن يكون رأى بعضهم. أخذ القراءة عرضاً عن الأعمش والإمام جعفر بن محمدٍ الصادق وابن أبي ليلى، وحمران بن أعين. وروى عن الحكم وعدي ابن ثابت وحبيب بن أبي ثابتٍ وطلحة بن مطرفٍ. وأخذ القراءة عنه إبراهيم بن أدهم، وسفيان الثوري، وشريك بن عبد الله، وعلي بن حمزة الكسائي وغيرهم. وروى عنه يحيى ابن آدم، وحسين الجعفي وخلق، وإليه المنتهى في الصدق والورع والتقوى، وإليه صارت الإمامة في القراءة بعد عاصمٍ والأعمش، وكان إماماً حجةً ثقةً ثبتاً رضياً قيماً بكتاب الله، بصيراً بالفرائض، خبيراً بالعربية، حافظاً للحديث، عابداً زاهداً خاشعاً قانتاً لله ورعاً عديم النظير. قال الأعمش يوماً وقد رأى حمزة مقبلاً: (وبشر المحسنين) وقال ابن فضيلٍ: ما أحسب أن الله يدفع البلاء عن أهل الكوفة إلا بحمزة. وعن شعيب بن حربٍ أنه قال: ألا تسألوني عن الدر يعني قراءة حمزة؟ وكان شيخه إذا رآه مقبلاً يقول: هذا حبر القرآن. وقال سفيان الثوري: غلب حمزة الناس على القرآن والفرائض. وقال له أبو حنيفة: شيئان غلبتنا عليهما لسنا ننازعك فيهما: القرآن والفرائض. وقد وثقه يحيى بن معينٍ وقال: حسن الحديث عن ابن إسحاق يعني ابن أبي ليلى، ووثقه آخرون. وقال النسائي: ليس به بأس. وأما ما ذكر عن أحمد بن حنبلٍ وأبي بكر بن عياشٍ ويزيد بن هارون وعبد الرحمن بن مهديٍ وعبد الله بن إدريس وحماد بن زيدٍ من كراهتهم لقراءة حمزة لما فيها من المد المفرط والسكت واعتبار الهمزة في الوقف والإمالة ونحو ذلك من التكلف، فإن حمزة أيضاً كان يكره ذلك وينهى عنه، وروي أنه كان يقول لمن يفرط في المد والهمز لا تفعل، أما علمت أن ما فوق البياض فهو برص، وما فوق الجعودة فهو قطط، وما فوق القراءة فهو ليس بقراءةٍ. وبعدٍ: فقد انعقد الإجماع على تلقي قراءة حمزة بالقبول والإنكار على من تكلم فيها. توفي حمزة بحلوان مدينته في آخر سأواد العراق سنة ستٍ وخمسين ومائةٍ، وقيل سنة ثمانٍ وخمسين ومائةٍ، وله ست وسبعون سنة.

الجزء الحادي عشر

حمزة بن علي أبو يعلى

ابن العين زربي نسبةً إلى عين زربي، الأديب الشاعر. قتل في الوقعة التي كسر فيها أتسز بن أوق سنة ستٍ وخمسين وخمسمائةٍ، ومن شعره هذه القصيدة وهي من بحر السلسلة قال:

هل تأمنُ يبقى لك الخليط إذا بان ... للهم فؤاداً وللمدامع أجفان؟
أتطمع في سلوة وجسمك حالٍ ... بالسقم ومن حبهم فؤاده ملآن؟
تبغي أملاً دونهُ حشاشة نفسٍ ... وفي الحشى مني هوى تضاعف أشجان
اعتل لأجفاني القريحة أجفان ... إذ بان ركابٌ من العقيق إلى البان
فالدمع إذا ما استمر فاض نجيعاً ... والحب إذا ما استمر ضاعف أشجان
لله وجوه بدت لنا كبدور ... حسناً وقدودٌ غدت تميس كأغصان
إذا عزموا عزمة الفراق أعاروا ... للقلب هموماً تحل فهي وأحزان
سقياً لزمانٍ مضى ففرق شملاً ... أيام حلا لي العيش والوصال بحلوان
يا ساكنة في الحشا ملكت فؤاداً ... أضحت حرق الوجد فهي تضرم نيران
حتام تمنى الفؤاد منك بوعدٍ؟ ... هل ينقع لمع السراب غلة عطشان؟
حتام أرى راجياً وصال حبيب ... قد أسرف في هجره وأصبح خوان

وقال:

تناسيتم عهد الوفا بعد تذكار ... فأجرى حديثي فيكم دمعي الجاري
وأنكرتموني بعد عرفان صبوني ... فهيجتم وجدي وأضرمتم ناري
وهل دام في الأيام وصلٌ لهاجرٍ ... وود لخوانٍ وعهد لغدار؟
ألا حاكم لي في الغرام يقيلني ... ألا آخذ لي بعد سفك دمي ثاري؟؟
وإني لصبار على ما ينويني ... ولكن على هجرانكم غير صبار

وقال:

يا راكباً عرض الفلاة ألا ... بلغ أحباي الذي تسمع
وقل لهم ما جف لي مدمع ... ولم يطب لي بعد كم مضجع
ولا لقيت الطيف مذ غبتم ... وإنما يلقاه من يهجع

وقال:

ألمال يرفع ما لا يرفع الحسب ... والود يعطف ما لا يعطف النسب
والحلم آفته الجهل المضر به ... والعقل آفته الإعجاب والغضب

حميد بن ثور بن عبد الله

وقيل ابن حزن بن عامر بن أبي ربيعه بن نهيك بي هلال الهلالي، ويتصل نسبه بنزار بن معد أبو المثني أحد المخضرمين من الشعراء، أدرك الجاهلية والإسلام، وقيل إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم. قال ابن مندة لما أسلم حميد أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأنشده:

أصبح قلبي من سليمى مقصداً ... إن خطأ منها وإن تعمدا

فحمل الهم كنازاً جلعدا ... ترى العليفي عليه موكدا
وبين نسعيه خدباً ملبداً ... إذا السراب بالفلاة اطردا
ونجد الماء الذي توردا ... تورد السيد أراد المرصدا
حتى أراد ربنا محمدا

وقيل إن حميداً قال الشعر في أيام عمر رضي الله عنه. حدث محمد بن فضالة النحوي قال: عمر بن الخطاب إلى الشعراء ألا يشبب أحد بامرأةٍ، فقال حميد بن ثورٍ:

أبي الله إلا أن سرحة مالكٍ ... على كل أفنان العضاة تروق
فقد ذهبت عرضاً وما فوق طولها ... من السرح إلا عشة وسحوق
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ... ولا الفيء من بعد العشي تذوق
فهل أنا إن عللت نفس بسرحةٍ ... من السرح مسدود علي طريق؟

كنى عن المرأة التي أرادها بالسرحة، والعرب تكنى عن النساء بها. وقال:

لقد أمرت بالبخل أم محمدٍ ... فقلت لها حتى على البخل أجمدا
فإني امرؤ عودت نفسي عادةً ... وكل امرئٍ جارٍ على ما تعودا
أحين بدا في الرأس شيب وأقبلت ... إلى بنو عيلان مثنى وموحدا
رجوت سقاطي واعتلالي ونبوتي ... وراءك عني طالقاً وارحلي غدا

وقال:

فلا يبعد الله الشباب وقولنا ... إذا ما صبونا صبوةً سنتوب
ليالي سمع الغانيات وطرفها ... إلى وإذ ريحي لهن جنوب

وقال:

لو لم يوكل بالفتى ... إلا السلامة والنعم
وتناوباه لأوشكا ... أن يسلماه إلى الهرم

وقال:

وما هاج هذا الشوق إلا حمامة ... دعت ساق حرٍ مغرمٍ فترنما
بكت مثل ثكلى قد أصيب حميمها ... مخافة بين يترك الحبل أجذما
فلم أر مثلي شاقه صوت مثلها ... ولا عربياً شافه صوت أعجما

وقال أيضاً لما حظر عمر على الشعراء ذكر النساء:

تجرم أهلوها لأن كنت مشعراً ... جنوناً بها يا طول هذا التجرم
ومالي من ذنب إليهم علمته ... سوى أنني قد قلت يا سرحة اسملي
بلى فاسلمي ثمت اسملي ... ثلاث تحياتٍ وإن لم تكلمي

وقال لزوجته:

فاقسم لولا أن حدباً تتابعتْ ... على ولم أبرح بدينٍ مطردا

لزاحمت مكسالاً كأن ثيابها ... تجن غزالاً بالخميلة أغيدا
إذا أنت باكرت المنيئة باكرت ... مداكاً لها من زعفرانٍ وإثمدا
مات حميد بن ثورٍ في خلافة عثمان – رضي الله عنه – .
حميد بن مالكٍ الأرقط
ولقب بالأرقط لآثار كانت بوجهه، وهو شاعر إسلامي مجيد وكان بخيلاً. قال أبو عبيدة: بخلاء العرب أربعة: الحطيئة، وحميد الأرقط، وأبو الأسود الدؤلي، وخالد بن صفوان. ومن شعر حميد:
وقد اغتدى والصبح محمر الطرر ... والليل يحدوه تباشير السحر
وفي تواليه نجوم كالشرر ... بسحق الميعة ميال العذر
كأنه يوم الرهان المحتضر ... وقد بدا أول شخص ينتظر
دون أثابي من الخيل زمر ... ضارٍ غدا ينفض صيبان المطر
عن زف ملحاح بعيد المنكدر ... أقنى تظل طيره على حذر

يلذن منه تحت أفنان الشجر ... من صادق الودق طروحٍ بالبصر
بعيد توهيم الوقاع والنظر ... كأنما عيناه في حرفي حجر
بين مآقٍ لم تخرق بالإبر
وقال في وصف أفعى:
منهرت الشدق رقود الضحى ... سارٍ طمور بالدجنات
وتارة تحسبه ميتاً ... من طول إطراق وإخبات
يسبته الصبح وطوراً له ... نفخ وقب في المغارات

حميد بن مالك بن مغيث

ابن نصر بن منقذ بن محمد بن منقذٍ مكين الدولة أبو الغنائم الكناني. ولد بشيزر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة وبها نشأ، ثم انتقل إلى دمشق وسكنها وكتب في الجيش وكان يحفظ القرآن، وكان أديباً شاعراً. توفي بحلب في شعبان سنة أربع وسنين وخمسمائة.
ومن شعره:
أدنو بودي وحظي منك يبعدني ... هذا لعمرك عين الغبن والغبن
وإن توخيتني يوماً بلائمةٍ ... رجعت باللوم إبقاءً على الزمن
وحسن ظني موقوف عليك فهل ... عدلت في الظن بي عن رأيك الحسن؟
وقال:
وقهوةٍ كدموع الصب صافيةٍ ... تكاد في الكأس عند الشرب تلتهب
يطفو الحباب عليها وهي راسبة ... كأنه فضة من تحتها ذهب

وقال:

وسلامة أزرى احمرار شعاعها ... بالورد والوجنات والياقوت

جاءت مع الساقي تنير بكأسها ... فكأنها اللاهوت في الناسوت

وقال:

ما بعد جلق للمرتاد منزلة ... ولا كسكانها في الأرض سكان

فكلها لمجال الطرف منتزه ... وكلهم لصروف الدهر أقران

وهم وإن بعدوا مني بنسبتهم ... إذا بلوتهم بالود إخوان

وقال:

وبلدةٍ جمعت من كل مبهجة ... فما يقوت لمرتادٍ بها وطر

بكل مشترفٍ من ربعها أفق ... وكل مشترف من أفقها قمر

حميدة بنت النعمان بن بشيرٍ الأنصاري

شاعرة ابنة شاعرٍ، كانت تحت خالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد، تزوج بها بدمشق لما قدم علي عبد الملك ابن مروان فقالت فيه:

نكحت المديني إذ جاءني ... فيا لك من نكحةٍ غاليهْ

كهولُ دمشق وشبانها ... أحب إلينا من الجالية

صنان لهم كصنان التيو ... س أعي على المسك والغاليه

فقال يجيبها:

أسنا ضوء نار ضمرة بالقف ... رة أبصرت أم سنا ضوء برق؟!

قاطنات الحجون أشهى إلى قل ... بي من ساكنات دور دمشق

يتضوعن لو تضمخن بالمس ... ك صناناً كأنه ريح مرق

ثم طلقها فخلفه عليها روح بن زنباعٍ فنظر إليها يوماً تنظر إلى قومه جذامٍ وقد اجتمعوا عنده فلامها فقالت: وهل أرى إلا جذاماً، فو الله ما أحب الحلال منهم فكيف بالحرام؟ وقالت تهجوه:

بكي الخز من روحٍ وأنكر جلده ... وعجت عجيجاً من جذام المطارف

وقال العبا قد كنت حيناً لباسهم ... وأكسية كردية وقطائف

فقال روح يجيبها:

فإن تبك منا تبك ممن يصونها ... وما صانها إلا اللئام المقارف

وقال لها:

أثني علي بما علمت فإنني ... مثنٍ عليك لبئس حشو المنطق

فقالت:

أثني عليك بأن باعك ضيق ... وبأن أصلك في جذامٍ ملصق

فقال روحٌ:
أثني علي بما علمت فإنني ... مئنٍ عليك بنتن ريح الجورب

باب الخاء

خالد الزبيدي اليمني

شاعر إسلامي مقل. قال أبو عبيدة معمر بن المثني: قدم خالد الزبيدي في جماعة معه من زبيد إلى سنجار ومعه ابنا عمٍ له يقال لأحدهما ضابيء وللآخر عويد، فشربوا يوماً من شراب سنجار فحنوا إلى بلادهم فقال خالد:

أيا جبلي سنجار ما كنتما لنا ... مصيفاً ولا مشتى ولا متربعاً
ويا جبلي سنجار هلا بكيتما ... لداعي الهوى منا شتيتين أدمعا
فلو جبلا عوجٍ شكونا إليهما ... جرت عبرات منهما أو تصدعا
بكي يوم تل المحلبية ضابيء ... وألهي عويداً بثه فتقنعا

فانبرى له رجل من النمر بن قاسط يقال له دثار أحد بني حبي فقال:

أيا جبلي سنجار هلا دققتما ... بركيكما أنف الزبيدي أجمعا
لعمرك ما جاءت زبيد لهجرةٍ ... ولكنها كانت أرامل جوعا
تبكي علي أرض الحجاز وقد رأت ... جرائب خمساً في جدال فأربعا

فأجابه خالد يقول:

وسنجار تبكي سوقها كلما رأت ... بها نمرياً ذا كساوين أيفما
إذا نمري طالب الوتر غره ... من الوتر أن يبقى طعاماً فيشبعا
إذا نمري ضاق بيتك فاقره ... مع الكلب زاد الكلب واجرهما معا
أمن أجل مدٍ من شعيرٍ قريته ... بكيت وناحت أمك الحول أجمعا؟
بكى نمري أرغم الله أنفه ... بسنجار حتى تنفذ العين أدمعا

خالد بن صفوان بن عبد الله

ابن عمرو بن الأهتم أبو صفوان التميمي المنقري، أحد فصحاء العرب وخطبائهم، كان رواية للأخبار خطيباً مفوهاً بليغاً، وكان يجالس هشام بن عبد الملك وخالداً القسري.

حدث العتبي قال: قال هشام بن عبد الملك لسبه ابن عقال وعنده الفرزدق وجرير والأخطل وهو يومئذٍ أمير: ألا تخبرني عن هؤلاء الذين قد مزقوا أعراضهم، وهتكوا أستارهم، وأغروا بين عشائرهم في غير خير ولا برٍ ولا نفعٍ أيهم أشعر؟ فقال سبة: أما جرير فيغرف من بحرٍ، وأما الفرزدق فينحت من صخرٍ، وأما

الأخطل فيجيد المدح والفخر. فقال هشام: ما فسرت لنا شيئاً نحصله. فقال: ما عندي يغر ما قلت. فقال لخالد لن صفوان: صفهم لنا يا بن الأهتم، فقال: أما أعظمهم فخراً وأبعدهم ذكراً وأحسنهم عذراً وأشدهم ميلاً وأقلهم غزلاً وأحلامهم عللاً، الطامي إذا زخر، والحامي إذا زأر، والسامي إذا خطر، الذي إن هدر قال، وإن خطر صال، الفصيح اللسان، الطويل العنان، فالفرزدق، وأما أحسنهم نعتاً وأمدحهم بيتاً وأقلهم فوتاً، الذي إن هجا وضع، وإن مدح رفع، فالأخطل، وأما أغزرهم بحراً وأرقهم شعراً وأهتكهم لعدوه ستراً، الأغر الأبلق الذي إن طلب لم يسبق، وإن طلب لم يلحق، فجرير، وكلهم ذكي الفؤاد، رفيع العماء، وارى الزناد. فقال له مسلمة بن عبد الملك: ما سمعنا بمثلك يا خالد في الأولين، ولا رأينا في الآخرين. وأشهد أنك أحسنهم وصفاً، وألينهم عطفاً، وأعفهم مقالاً، وأكرمهم فعالاً. فقال خالد: – أتم الله عليكم نعمه وأجزل لديكم قسمه وآنس بكم الغربة وفرج بكم الكربة – ، وأنت والله ما علمت أيها الأمر كريم الغراس، عالم بالناس، جواد في المحل، بسام عند البذل، حليم عند الطيش، في ذروة قريشٍ، ولباب عبد شمس، ويومك خير من أمس. فضحك هشام وقال: ما رأيت كتخلصك يا بن صفوان في مدح هؤلاء ووصفهم حتى أرضيتهم جميعاً.

وعن عمر بن شبه قال: مر خالد بن صفوان بابي نخيلة الشاعر الراجز وقد بني داراً فقال له أبو نخيلة: يا أبا صفوان، كيف ترى داري؟ قال رأيتك سألت فيها إلحافاً، وأنفقت ما جمعت لها إسرافاً، جعلت إحدى يديك سطحاً وملآت الأخرى سلاحاً. فقلت: من وضع في سطحي وإلا ملأته بسلحي، ثم ولي وتركه فقيل له: ألا تهجوه؟ فقال: إذن والله يركب بغلته ويطوف في مجالس البصرة ويصف ابنتي بما يعيبها.

عن يونس بن حبيب النحوي قال: قال رجل لخالد بن صفوان: كان عبدة بن الطبيب لا يحسن أن يهجو فقال: لا تقل ذاك، فو الله ما أبي عن عيٍ ولكنه كان يترفع عن الجاء ويراه ضعةً كما يرى تركه مروةً وشرفاً، ثم قال:

وأجرأ من رأيت بظهر غيب ... على عيب الرجال أولو العيوب

حدث شيبب بن شيب عن خالد بن صفوان قال: أوفدني يوسف بن عمر الثقفي إلى هشام بن عبد الملك في وفد العراق فقدمت عليه وقد خرج متبدياً بأهله وقرابته وحشمه وجلسائه وغاشيته، فنزل في أرضٍ قاعٍ صحصح تنائف أفيح في عام قد بكر وسميه، وتتابع وليه، وأخذت الأرض فيه زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيعٍ مونقٍ، فهو في أحسن منظر ومخبرٍ وأحسن مستمطر، بصعيدٍ كأن ترابه قطع الكافور، حتى لو أن قطعةً ألقيت فيه لم تترب، وقد ضرب له سرادق من حبر كان صنعه له يوسف بن عمر باليمن، في فسطاط فيه أربعة أفرشةٍ من خزٍ أحمر مثلها مرافقها وعليه دراعه من خزٍ مثلها عمامتها، وقد أخذ الناس مجالسهم فأخرجت رأسي من ناحية السماط فنظر إلى مثل المستطق لي، فقلت – أتم الله عليك يا أمير المؤمنين نعمه، وسوغكها بشكره، وجعل ما قلدك من هذا الأمر رشداً، وعاقبة ما تئول إليه حمداً، وأخلصه لك بالتقى، وكثره لك بالنما، ولا كدر عليك منه ما صفا، ولا خلط سروره بالردى – ، فلقد أصبحت للمسلمين ثقةً ومستراحاً، إليك يفزعون في مظالمهم، وإياك يقصدون في أمورهم، وما أجد يا أمير المؤمنين –

جعلني الله فداءك – شيئاً هو أبلغ في قضا حقك وتوقير مجلسك، وما من الله به علي من مجالستك والنظر إلى وجهك، من أن أذكرك نعمة الله عليك فأنبهك على شكرها. وما أجد في ذلك شيئاً هو أبلغ من حديثٍ من سلف قبلك من الملوك، فإن أذن لي أمير المؤمنين أخبرته. وكان متكئاً فاستوى قاعداً وقال: هات يا بن الأهتم، فقلت يا أمير المؤمنين: إن ملكاً من الملوك قبلك خرج في عامٍ مثل عامنا هذا إلى الخورنق والسدير في عامٍ قد بكر وسميه وتتابع وليه، وأخذت الأرض زينتها من اختلاف ألوان نبتها من نور ربيعٍ مونق في أحسن منظر وأحسن مخبر، بصعيد كأن ترابه قطع الكافور، وقد كان أعطى فتاء السن مع الكثيرة والغلبة والقهر، فنظر فأبعد النظر، فقال لمن حوله: هل رأيتم مثل ما أنا فيه؟ وهل أعطى أحد مثل ما أعطيت؟ فكان عنده رجل من بقايا حملة الحجة والمضي على أدب الحق ومناهجه، ولم تخل الأرض من قائم لله بالحجة في عباده، فقال: أيها الملك، إنك سألت عن أمرٍ، أفتأذن لي في الجواب عنه؟ قال نعم: قال: أرأيت هذا الذي أنت فيه؟ أشيءٌ لم تنزل فهي أم شيءٌ صار إليك ميراثاً؟ وهو زائل عنك، وصائر إلى غيرك كما صار إليك ميراثاً من لدن غيرك؟ قال: كذلك هو. قال: فلا أراك إلا أعجبت بشيء يسيرٍ تكون فيه قليلاً، وتغيب عنه طويلاً وتكون غداً بحسابه مرتهناً. قال: ويحك، فأين المهرب وأين المطلب؟؟ قال: فإما أن تقيم في ملكك وتعمل فيه بطاعة ربك على ما سانك وسرك ومضك وأرمضك، وإما أن تضع تاجك وتخلع أطمارك وتلبس مسوحك وتعبد ربك في جبل حتى يأتيك أجلك. قال: فإذا كان السحر فاقرع علي بابي، فإني مختار أحد الرأيين، فإن اخترت ما أنا فيه كنت وزيراً لا يعصى، وإن اخترت خلوات الأرض وقفر البلاد كنت رفقاً لا يخالف. فلما كان السحر قرع عليه بابه، فإذا قد وضع تاجه وخلع أطماره ولبس المسوح وتهيأ للسياحة، فلزما والله الجبل حتى أتاهما أجلهما، فذلك حيث يقول أخو بني تميمٍ عدي بن زيدٍ العبادي:

أيها الشامت الميعر بالده ... رأأنت المبرأ الموفور؟
أم لديك العهد الوثيق من الأي ... ام بل أنت جاهل مغرور؟
من رأيت المنون خلدن أم من ... ذا عليه من أن يضام خفير؟
أين كسرى كسرى الملوك أنوشروان أم أين قبله سابور؟
وبنو الأصفر الكرام ملوك ال ... روم لم يبق منهم مذكور
وأخو الخضر إذ نباه وإذ دج ... له تجبى إليه والخابور
شاده مرمراً وجلله كل ... ساً فللطير في ذراه وكور
لم يهبه ريب المنون فباد ال ... ملك عنه فبابه مهجور
وتذكر رب الخورنق إذ أش ... رف يوماً وللهدى تفكير
سره ماله وكثرة ما يم ... لك وابحر معرضاً والسدير
فارعوى قلبه وقال وما غب ... طه حيٍ إلى الممات يصير
ثم بعد الفلاح والملك والنع ... مة وارثهم هناك قبور
ثم صاروا كأنهم ورق ج ... ف فألوت به الصبا والدبور

قال: فبكى هشام حتى اخضلت لحيته وبلت عمامته، وأمر بنزع أبنيته ونقل قرابته وأهله وحشمه وجلسائه وغاشيته ولزم قصره. فأقبلت الموالي والحشم على خالد بن صفوان فقالوا: ما أردت بأمير المؤمنين؟ نغصت عليه لذاته وأفسدت مأدبته. فقال لهم: إليكم عني فإني عاهدت الله عز وجل ألا أخلو بملك إلا ذكرته الله عز وجل.

وتقدم في ترجمة حميدٍ الأرقط من كلام أبي عبيدة أن خالد بن صفوان مع فضله وجلالته أحد بخلاء العرب الأربعة. وروى أنه أكل يوماً خبزاً وجبناً فرآه أعرابي فسلم عليه، فقال له خالد: هلم إلى الخبز والجبن فانه حمض العرب، وهو يسيغ اللقمة، ويفتق الشهوة، وتطيب عليه الشربة، فانحط الأعرابي فلم يبق شيئاً منهما. فقال خالد: يا جارية زيدينا خبزاً وجبناً، فقالت: ما بقي عندنا منه شيء. فقال خالد: الحمد لله الذي صرف عنا معرته وكفانا مئونته، والله إنه لم علمته ليقدح في السن، ويخشن الحلق، ويربو في المعدة، ويعسر في المخرج، فقال الأعرابي: والله ما رأت قط قرب مدحٍ من ذمٍ أقرب من هذا.

ومن حكم خالد بن صفوان: إن جعلك الأمر أخاً فاجعله سيداً، ولا يحدثن لك الاستئناس به غفلة عنه ولا تهاوناً. وقال: ابذل لصديقك مالك، ولمعرفتك بشرك وتحيتك. وللعامة رفدك وحسن محضرك، ولعدوك عدلك، واصنن بدينك وعرضك عن كل أحدٍ. وقال: إن أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة وأنقص الناس عقلاً من ظلم من هو دونه. وقال لا تطلبوا الحوائج في غير حينها، ولا تطلبوها إلى غير أهلها، ولا تطلبوا ما لستم له بأهل فتكونوا للمنع أهلاً. توفي خالد بن صفوان سنة خمس وثلاثين ومائة.

خالد بن يزيد بن معاوية

ابن أبي سفيان. الأمير أبو هاشم الأموي: كان من رجالات قريش المتميزين بالفصاحة والسماحة وقوة المارضة، علامة خبيراً بالطب والكيمياء شاعراً. قال الزبير بن مصعب: كان خالد بن يزيد بن معاوية موصوفاً بالعلم حكيماً شاعراً. وقال ابن أبي حاتم: كان خالد من الطبقة الثانية من تابعي أهل الشام. وقيل عنه: قد علم علم العرب والعجم. روى خالد الحديث عن أبيه وعن دحية بن خليفة الكلبي – رضي الله عنه – وروى عنه الزهري وغيره. وأخرج البيهقي والخطيب البغدادي والعسكري والحافظ بن عساكر عنه عدة أحاديث. وكان إذا لم يجد أحداً يحدثه حدث جواريه، وكان من صالحي القوم، وكان يصوم الجمعة والسبت والأحد. وكان يقول: كنت معنياً بالكتب، وما أنا من العلماء ولا من الجمال. وكان خالد جواداً ممدحاً جاءه رجل فقال له: إني قد قلت فيك بيتين ولست أنشدهما إلا بحكمي، فقال له قل، فقال:

سألت الندى والجود حران أنتما؟ ... فقالا بلى عبدان بين عبيد

فقلت ومن مولاكما فتطاولا علي وقالا خالد بن يزيد

فقال له تحكم. فقال: مائة ألف درهم، فأمر له بها. وكان خالد شجاعاً جريئاً وكان بينه وبين عبد الملك ابن مروان مناظرات، تهدده عبد الملك مرةً بالسطوة والحرمان فقال له: أتهددني ويد الله فوقك مانعة، وعطاؤه دونك مبذول؟ وأجرى أخوه عبد الله بن يزيد الخيل مع الوليد بن عبد الملك فسبقه عبد الله، فدخل الوليد

على خيل عبد الله فنقرها ولعب بها فجاء عبد الله إلى أخيه خالدٍ فقال: لقد هممت اليوم بقتل الوليد بن عبد الملك، فقال له خالد: بئس ما هممت به في ابن أمير المؤمنين وولى عهد المسلمين، قال: إنه لقى خيلي فنفرها وتلاعب بها، فقال له خالد: أنا أكفيكه فدخل خالد على عبد الملك وعنده الوليد وقال له أمير المؤمنين: إن الوليد بن أمير المؤمنين لقي خيل ابن عمه عبد الله فنرها وتلاعب بها فشق ذلك على عبد الله. فقال عبد الملك: إن الملوك إذا دخلوا قريةً أفسدوا وجعلوا أعزة أهلها أذلةً، وكذلك يفعلون. فقال له خالد: وإذا أردنا أن نهلك قريةً أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً. فقال له عبد الملك: أما والله لنعم المرء عبد الله على لحن فيه. فقال له خالد: أفعلى الوليد تعول مع اللحن. فقال عبد الملك إن يكن الوليد لحاناً فأخوه سليمان. قال خالد: وإن يكن عبد الله لحاناً فأخوه خالد. فقال عبد الملك: مدحت والله نفسك يا خالد. قال: وقبلي والله مدحت نفسك يا أمير المؤمنين، قال: ومتى؟ قال: حين قلت أنا قاتل عمرو بن سعيدٍ، حق والله لمن قتل عمراً أن يفخر بقتله، قال: أما والله لمروان كان أطولنا باعاً، قال: أما إني أرى ثأري في مروان صباح مساء، ولو أشاء أن أديله لأدلته؟ قال ما أجرأك علي يا خالد خلني عنك. قال لا والله، قال الشاعر:

ويجر اللسان من أسلات ال ... حرب ما لا يجر منها البنان

فقال عبد الملك: يا وليد أكرم ابن عمك، فقد رأيت أباه يكرم أباك، وجده يكرم جدك. وقيل لخالد: ما أقرب شيء؟ قال: الأجل. قيل: فما أرجى شيءٍ؟ قال: العمل. قيل فما أوحش شيء؟ قال الميت. قيل فما آنس شيء؟ قال الصاحب المؤاتي. وقيل له: ما الدنيا؟ قال ميراث. قيل: فالأيام؟ قال دول.

قيل: فالدهر؟ قال أطباق والموت يكمل سبيله، فليحذر العزيز الذل، والغنى الفقر، فكم عزيزٍ قد ذل، وكم من غنى قد افتقر. وقال: إذا كان الرجل مماريا لجوجاً معجباً برأيه فقد تمت خسارته. ولما لزم بيته قيل له: كيف تركت الناس ولزمت بيتك؟ فقال: هل بقي إلا حاسد نعمةٍ أو شامت بنكبة؟ ومن شعرخالد بن يزيد:

أتعجب أن كنت ذا نعمةٍ ... وأنك فيها شريف مهيب؟

فكم ورد الموت من ناعمٍ ... وحب الحياة إليه عجيب

سقته ذنوباً من أنفاسها ... ويذخر للحى منها ذنوب

وقال في رملة بنت الزبير بن العوام:

أليس يزيد السير في كل ليلة ... وفي كل يومٍ من أحبتنا قربا

أحن إلى بنت الزبير وقد عدت ... بنا العيس خرقاً من تهامة أو نقبا

إذا نزلت أرضاً نجب أهلها ... إلينا وإن كانت منازلها حربا

وإن نزلت ماء وإن كان قبلها ... مليحاً وجدنا ماءه بارداً عذبا

تجول خلاخيل الناء ولا أرى ... لرملة خلخالاً يجول ولا قلبا

أقلوا علي اللوم فيها فإنني ... تخيرتها منهم زبيرية قلبا

أحب بني العوام طرا لحبها ... ومن حبها أحببت أخوالها كلبا

وقال:

إن سرك الشرف العظيم مع الغنى ... وتكون يوم أشد خوفٍ وائلا
يوم الحساب إذا النفوس تفاضلت ... في الوزن إذ غبط الأخف الأثقلا
فاعمل لما بعد الممات ولا تكن ... عن حظ نفسك في حياتك غافلا

ومما نسبوا إليه من التصانيف في الكيمياء. السر البديع في فك الرمز المنيع، وكتاب الفردوس ورسائل أخرى. توفي خالد بن يزيد سنة تسعين، وقيل سنة خمسٍ وثمانين، وشهده الوليد بن عبد الملك وقال: لتلق بنو أمية الأردية على خالدٍ فلن يتحسروا على مثله أبداً.

خالد بن يزيد

مولى بني المهلب، ويقال له خالويه المكدي، كان أديباً ظريفاً بلغ في البخل والتكدية وكثرة المال المبلغ الذي لم يبلغه أحد، وكان متكلماً بليغاً قاصاً داهياً، وكان أبو سليمان الأعور وأبو سعيدٍ المدائني القاصان من غلمانه، وله أخبار حسان، ومن لطائفه وصيته لابنه عند موته، وفيها لطائف وغرائب قال فيها: إني قد تركت لك ما تأكله إن حفظته، وما لا تأكله إن ضيعته، ولما أورثتك من العرف الصالح وأشهدتك من صواب التدبير، وعودتك من عيش المقتصدين خير لك من هذا المال، وقد دفعت إليك آلةً لحفظ المال عليك بكل حيلةٍ، ثم إن لم يكن لك معين من نفسك فما انتفعت بشيء من ذلك، بل يعود ذلك النهي كله اعتزالاً لك، وذلك المنع تهجيناً لطاعتك، وقد بلغت في البر منقطع العمران، وفي البحر أقصى مبلغ السفن، فلا عليك إذ رأيتني ألا ترى ذا القرنين، ودع عنك مذاهب ابن شرية فإنه لا يعرف إلا ظاهر الخبر، ولو رآني تميم الداري لأخذ عني صفة الروم، ولأنا أهدى من القطا، ومن دعميص ومن رافعٍ المخش، إني قد بت في القفر مع الغول، وتزوجت السعلاة، وجاوبت الهاتف، ورغت عن الجن إلى الجن، واصطدت الشق وجاورت النسناس، وصحبني الرئي وعرفت خدع الكاهن وتدسيس العراف، وإلى م يذهب الخطاط والعياف، وما يقول أصحاب الأكناف، وعرفت التنجيم والزجر، والطرق والفكر. إن هذا المال لم أجمعه إلا من القص والتكدية ومن احتيال النهار ومكابدة الليل، ولا يجمع مثله أبداً إلا من معاناة ركوب البحر، ومن عمل السلطان أو من كيمياء الذهب والفضة، قد عرفت الأس حق معرفته، وفهمت سر الإكسير على حقيقته، ولولا علمي بضيق صدرك، ولولا أن أكون سبباً لتلف نفسك لعلمتك الساعة الشيء الذي بلغ به قارون ما بلغ، وبه تبنكت خاتون، والله ما يتسع صدرك عندي لسر صديقٍ فكيف ما لا يحتمله عزم ولا يتسع له صدر، وخزن سر الحديث وحبس كنوز الجواهر أهون من خزن العلم، ولو كنت عندي مأموناً على نفسك لأجريت الأرواح في الأجساد، وأنت تبصر ما كنت لا تفهمه بالوصف ولا تحقه بالذكر، ولكني سألقي عليك علم الإدراك وسبك الرخام وصنعة الفسيفساء وأسرار السيوف القلعية وعقاقير السيوف اليمانية وعمل الفرعوني وصنعة التلطيف على وجهه إن أقامني الله من صرعتي هذه، ولست أرضاك وإن كنت فوق البنين ولا أثق بك وإن كنت لاحقاً بالآباء لأني لم أبالغ في محبتك، إني قد لابست السلاطين والمساكين، وخدمت الخلفاء والمكدين، وخالطت النساك والفتاك، وعمرت السجون كما عمرت مجالس الذكر، وحلبت الدهر أشطره، وصادفت دهراً كثير الأعاجيب، فلولا أني دخلت من كل بابٍ

وجريت مع كل ريحٍ في السراء والضراء حتى مثلت لي التجارب عواقب الأمور، وقربتني من غوامض التدبير، لما أمكنني جمع ما أخلفه لك، ولا حفظ ما حبسته عليك، ولم أحمد نفسي على جمعه كما حمدتها على حفظه، لأن بعض هذا المال لم أنله بالحزم والكيس وإنما حفظته لك من فتنة الأبناء ومن فتنة النساء ومن فتنة الثناء ومن فتنة الرياء ومن أيدي الوكلاء فإنهم الداء العياء. والوصية كلها على هذا النمط وفيها غرائب وهي طويلة تقع في كراسةٍ.

خالد بن زيد الكاتب

أبو الهيثم من أهل بغداد، وأصله من خراسان، شاعر مشهور رقيق الشعر. كان من كتاب الجيش ثم ولاه الوزير محمد بن عبد الملك الزيات عملاً ببعض الثغور، فخرج فسمع في طريقه مغنيةً تغني:

من كان ذا شجنٍ بالشام يطلبه ... ففي سوى الشام أمسى الأهل والشجن

فبكى حتى سقط على وجهه مغشياً عليه فأفاق مختلطاً ووسوس. وقال قوم: كان يهوى جاريةً لبعض الوجوه ببغداد فلم يقدر عليها فاختلط، وقيل إن السوداء غلبت عليه، وقيل كان خالد مغرماً بالغلمان ينفق عليهم كل ما يستفيد، فهوى غلاماً يقال له عبد الله، وكان أبو تمامٍ الطائي الشاعر يهواه. فقال فيه خالد:

قضيب بانٍ جناه ورد ... تحمله وجنة وخد

لم أثن طرفي إليه إلا ... مات عزاء وعاش وجد

ملك طوع النفوس حتى ... علمه الزهو حين يبدو

واجتمع الصد فيه حتى ... ليس لخلقٍ سواه صد

فبلغ ذلك أبا تمامٍ فقال فيه أبياتاً منها:

شعرك هذا كله مفرط ... في برده يا خالد البارد

فعلمها الصبيان فما زالوا يصيحون به يا خالد البارد حتى وسوس:

وهجا أبا تمامٍ في هذه القصة فقال:

يا معشر المرد إني ناصح لكم ... والمرء في القول بين الصدق والكذب

لا ينكحن حبيباً منك كم أحد ... فإن وجعاه أعدى من الجرب

لا تأمنوا أن تعودوا بعد ثالثةٍ ... فتركبوا عمداً ليست من الخشب

وحدث ابنأبي سلالة الشاعر قال: دخلت بغداد في بعض السنين فينا أنا مار في طريقٍ إذا أنا برجلٍ عليه مبطنه وعلى رأسه قلنسوة سوداء وهو راكب على قصبةٍ والصبيان خلفه يصيحون: يا خالد البارد، فإذا آذوه حمل عليهم بالقصبة، فلم أزل أطردهم عنه حتى تفرقوا وأدخلته بستاناً هناك فجلس واستراح، واشتريت له رطباً فأكل واستنشدته فأنشدني:

قد حاز قلبي فصار يملكه ... فكيف أسلو وكيف أتركه؟؟

رطيب جسمٍ كالماء تحسبه ... يخطر في القلب منه مسكله

يكاد يجري من القميص من الن ... نعمة لولا القميص يمسكه

ومن شعر خالدٍ أيضاً:

كبد شفها غليل التصابي ... بين عتبٍ وجفوةٍ وعذاب

كل يوم تدمي بجرح من الشو ... ق ونوعٍ مجددٍ من عتاب

يا سقيم الجفون أسقمت جسمي ... فاشفني كيف شئت لابك ما بي

إن أكن مذنباً فكن حسن العف ... و أو اجعل سوى للصدود عتابي

وقال:

يا تارك الجسم بلا قلب ... إن كنت أهواك فما ذنبي؟

يا مفرداً بالحسن أفردتني ... منك بطول الشوق والحب

إن تك عيني أبصرت فتنةً ... فهل على قلبي من عتب؟

فحسبك الله لما بي كما ... أنك في فعلك بي حسبي

توفي خالد الكاتب ستة تسعٍ وستين ومائتين ببغداد.

خداش بن بشر بن خالد

ابن الحارث أبو زيد التيميمي المعروف بالبعيث البصري، وكان خطيباً شاعراً مجيداً، وكان بينه وبين جريرٍ مهاجاة، فلج الهجاء بينهما نحواً من أربعين سنةً ولم يتغلب واحد منها على صاحبه، ولم يتهاج شاعران في العرب في جاهلية ولا إسلام بمثل ما تهاجيا به، وكان الفرزدق يعين البعيث، والبعيث، يعين ابن أم غسان على جريرٍ. فمما قاله البعيث لجرير:

إذا طلع العيوق أول كوكبٍ ... كفى اللؤم عند النازحين جرير

ألست كليباً ثم أمك كلبة ... لها بين أطناب البيوت هرير

ولو عند غسان السليطي عرست ... رغا قرن منها وكاس عقير

أتنسى نساءً باليمامة منكم ... نكحن عبيداً ما لهن مهور؟

وقال له أيضاً:

كليب لئام الناس قد يعلمونها ... وأنت إذا عدت كليب لئيمها

أترجو كليب أن يجيء حديثها ... بخير وقد أعيا كلياً قديمها

وقال له أيضاً:

أأن أمرعت معزى عطية وارتعت ... تلاعاً من المروت أحوى جميعها

تعرضت لي حتى صككتك صكةً ... على الوجه يكبو للدين أميمها

أليست كلب ألأم الناس كلهم ... وأنت إذا عدت كليب لئيمها؟

وقال له أيضاً:

أشاركتني في ثعلبٍ قد أكلته ... قلم يبق إلا رأسه وأكارعه

فدونك خصييه وما ضمت استه ... فإنك رمام خييث مراتعه

وقال جرير له:

ألم تر أني قد رميت ابن فرتني ... بصماء لا يرجو الحياة أميمها

له أم سوء بئس ما قدمت له ... إذا فرط الأحساب عد قديمها

وأهاجيهما ونقائضهما كثيرة اكتفينا بما أوردناه منها. توفي البعيث سنة أربعٍ وثلاثين ومائةٍ بالبصرة في خلافة الوليد بن عبد الملك.

خرقة بن نباتة

ابن الزيد، عمرو بن عبد مناة الكلبي. شاعر إسلامي، قدم على حرب بن خالد بن يزيد بن معاوية في دمشق، فجفاه حرب ولم يصله شيء، فهجاه فقال:

كأني ونضوى عند حرب بن خالدٍ ... من الجوع ذئبا قفرةٍ علزان

وباتت علينا جفوة ما نحبها ... وبتنا نقاسي ليلةً كثمان

وقال:

أجيري يا جميل دمي وهزي ... سناناً تطعنين به ونابا

لتعلم عامر الأجواد أنا ... إذا غضبت نبيت لها غضاباً

وقال:

وأرهبنا الخليفة واستمرت ... وجوه الأرض تغتصب اغتصابا

وقتلنا القبائل من عليمٍ ... وبيحنا قنافة والربابا

وقال:

كسع الشتاء بسبعةٍ غبر ... أيام شهلتنا من الشهر

فإذا انقضت أيام شهلته ... صن وصنير مع الوبر

ويأمر وأخيه مؤتمرٍ ... ومعللٍ وبمطفيء الجمر

ذهب الشتاء موليا عجلاً ... وأتتك واقدة من الحر

وقال:

إلى الله أشكو عبرةً قد أطلت ... ونفساً إذا ما عزها الشوق ذلت

تحن إلى أرض العراق ودونها ... تنائف لو تسري بها الريح ضلت

وقال:

يا عارم بن عقيلٍ كيف كفر كم ... كعباً ومنكم إليه ينتهي الشرف؟

أفنيتم الحر من سعدٍ ببارقةٍ ... يوم الغرابة ما في برقها خلف

مات سنة خمس عشرة ومائةٍ.

الخضر بن مروان

ابن أحمد بن أبي عبد الله الثعلبي أبو العباس الضرير التوماثي، بضم التاء المثناة وسكون الواو بعدها ميم وألف ثم ثاء مثلثة: بلد من بلاد الجزيرة، التارقي الجزري. ولد بالجزيرة ونشأ بميافارقين، وأصله من توماثا. وكان عالماً بالنحو مقرئاً فاضلاً أديباً عارفاً حسن الشعر كثير المحفوظ، قرأ اللغة على ابن الجواليقي والنحو على ابن الشجري، والفقه على أبي الحسن الأبنوسي، وكان ببغداد، وله محفوظات كثيرة منها: المجمل، وشعر الهذليين، وشعر رؤبة وذي الرمة. لقيته بمرو وسرخس وينسابور في سنة أربعٍ وأربعين وخمسمائةٍ، وسألته عن مولده فقال سنة خمسٍ وخمسمائةٍ، وأنشدني لنفسه:

كتبت وقد أودى بمقلتي البكا ... وقد ذاب من شوقٍ إليك سوادها
فما وردت لي نحوكم من رسالةٍ ... وحقكم إلا وذاك سوداها

وقال أيضاً:

أنت في غمرة النعيم تعون ... لست تدري بأن ذا لا يدوم
كم رأينا من الملوك قديماً ... همدوا فالعظام منهم رميم؟
ما رأينا الزمان أبقى على شخ ... صٍ شقاءً فهل يدوم النعيم؟
والغني عند أهله مستعار ... فحميد به ومنهم ذميم

وقال:

مواعظ الدهر أدبتي ... وإنما يوعظ الأديب
لم يمض بؤس ولا نعيم ... إلا ولى فيهما نصيب

بلغتنا وفاته ببخارى سنة ثمانين وخمسمائة.

الخضر بن هبة الله الطائي

ابن أبي الهمام الطائي الشاعر البغدادي، دخل مصر وحضر بين يدي أمير المؤمنين الراشد بالله ابن المسترشد بالله، فأنشده على البديهة:

ولما شأوت الحاسدين إلى مدىً ... رفيعٍ تزل العصم دون مرامه
ورفعت الأستار لي دون سيدٍ ... شفى غلتي من بشره وسلامه
سطوت على صرف الزمان ببأسه ... وصلت على كيد العدا بانتقامه

ودخل علي الأمير علي بن صدقة فقال على البديهة أيضاً:

سأسكر ما أوليتني من منائحٍ ... زماني وإن كنت العيي المقصرا
نمتك قروم في الملاحم والندى ... إذا انتسبت كانت أسوداً وأبحرا
فكل كريمٍ غادرته مبخلاً ... وكل قديمٍ غادرته مؤخرا

وقدم الطائي إلى دمشق وامتدح بها واليها محمد بن بورى بن طغتكين، ومدح أبا الفتح نصر الله بن صالحٍ

الهاشمي، ودخل عليه يوماً وقد افتصد فقال بديهةً:

لما مددت إليه راحة راحةٍ ... من شأنها الإعطاء والإعدام
وحسرت ردن ملاءةٍ عن ساعدٍ ... لا ساعدت أعداءه الأيام
أكبرت ما فعل الطبيب وهالني ... من فعله التغرير والإقدام
وعجبت كيف جرى الحديد بمفصلٍ ... في مدحه تتفاخر الأوهام
لكن أمرت ولو أشرت بنقمةٍ ... يوماً لذاب بغمده الصمام
يا من له في كل قلبٍ هيبة ... وله بكل رواجبٍ إنعام
أغنيت زين الدين طلاب الندى ... وتباشرت بقدومك الأيتام
مض العراق فراق ظلك عنهم ... وتهنأت بك جلق والشام
فبنو المكارم في البرية كلها ... صنف وأنت مقدم وإمام

ولد الخضر البغدادي سنة تسعٍ وتسعين وأربعمائةٍ ومات سنة أربعٍ وستين وخمسمائةٍ.

خلف بن أحمد

القيرواني الشاعر. قال ابن رشيقٍ في النموذج: شاعر مطبوع بأدب إفريقية ودخل مصر وله شعر معروف جيد. مات بزويله المهدية سنة أربع عشرة وأربعمائةٍ ومن شعره.

هل الدهر يوماً بليلي يجود ... وأيامنا باللوى هل تعود؟
عهود تقضت وعيش مضى ... بنفسي ولله تلك العهود
ألا قل لسكان وادي الحمى ... هنيئاً لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضاً ... فنحن عطاش وأنتم ورود

خلف بن حيان

أبو محرزٍ البصري المعروف بالأحمر، مولى أبي بردة بلا لبن أبي موسى الأشعري أعنق بلال أبوية وكانا فرغانيين. قال أبو عبيدة معمر بن المثني: خلف الأحمر معلم الأصمعي ومعلم أهل البصرة. وقال الأخفش: لم أدرك أحداً أعلم با لشعر من خلفٍ الأحمروالأصمعي.

وقال ابن سلامٍ: أجمع أصحابنا أن الأحمر كان أفرس الناس ببيت شعرٍ وأصدق لساناً وكنا لا نبالي إذا أخذنا عنه خبراً أو أنشدنا شعراً ألا نسمعه من صاحبه. وقال شمر: خلف الأحمر أول من أحدث السماع بالبصرة، وذلك أنه جاء إلى حمادٍ الراوية فسمع منه وكان ضنيناً بأدبه. وقال أبو الطيب عبد الواحد اللغوي: كان خلف يضع الشعر وينسبه إلى العرب فلا يعرف، ثم نسك، وكان يختم القرآن كل ليلةٍ، وبذل له بعض الملوك مالاً عظيماً على أن يتكلم في بيت شعرٍ شكوا فيه فأبى. ولخلفٍ ديوان شعر حمله عنه أبو نواسٍ وكتاب جبال العرب. توفي في حدود الثمانين ومائةٍ.

حدث الأصمعي قال: حضرنا مأدبةً ومعنا أبو محرز خلف الأحمر وحضرها ابن مناذرٍ الشاعر فقال لخلفٍ الأحمر: يا أبا محرز، إن يكن النابغة وامر القيس وزهير قد ماتوا فهذه أشعارهم مخلدة، فقس شعري إلى شعرهم، واحكم فيها بالحق، فغضب خلف ثم أخذ صحفةً مملوءةً مرقاً فرمى بها عليه، فقام ابن مناذر مغضباً وأظنه هجاه بعد ذلك.

وحدث ابن سلامٍ قال: قال لي خلف الأحمر: كنت أسمع ببشار بن بردٍ أن أراه، فذكروه لي يوماً وذكروا بيانه وسرعة جوابه وجودة شعره، فاستنشدتهم شيئاً من شعره فأنشدوني شيئاً لم أحمده فقلت: والله لآتينه ولأطأطئن منه، فأتيته وهو جالس على بابه فرأيته أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة. فقلت: – لعن الله – من يبالي بهذا، فوقفت أتأمله طويلاً فبينا أنا كذلك إذ جاءه رجل فقال: إن فلاناً سبك عند الأمير محمد بن سليمان ووضع منك. فقال: أو قد فعل؟ قال: نعم. فأطرق وجلس الرجل عنده وجلست، وجاء قوم فسلموا عليه فلم يردد عليهم، فجعلوا ينظرون إليه وقد درت أوداجه، فلم يلبث إلا ساعةً حتى أنشدنا بأعلى صوته وأفجمه فقال:

نبئت نائك أمه يغتابني ... عند الأمر وهل علي أمير؟

ناري محرقة وبيتي واسع ... للمعتفين ومجلسي معمور

ولي المهابة في الأحبة والعدا ... وكأنني أسد له تامور

غرثت حليلته وأخطأ صيده ... فله على لقم الطريق زئير

قال: فارتعدت والله فرائصي، واقشعر جلدي، وعظم في عيني جداً حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعدني من شرك. وكان بين خلفي الأحمر وبينأبي محمدٍ اليزيدي مهاجاة، فقال أبو محمدٍ فيه:

زعم الأحمر المقيت لدينا ... والذي أمه تقر بمقته

أنه علم الكسائي نحواً ... فلئن كان ذا كذاك فباسته

وهجا خلف أبا محمدٍ اليزيدي بقصيدة فائيةٍ تداولها الأفواه والأسماع، نسبه فيها إلى اللواطة مطلعها:

إني ومن وسج المطي له ... حدب الذري إرقالها رجف

والمحرمين لصوتهم زجل ... بفناء كعبته إذا هتفوا

مني إليه غير ذي كذبٍ ... ما إن رأى قوم ولا عرفوا

في غابر الناس الذين بقوا ... والفرط الماضين من سلفوا

أحداً كيحى في الطعان اذا اف ... ترش القنا وتضعضع الحجف

في معركٍ يلقى الكمى به ... للوجه منبطحاً وينحرف

وإذا أكب القرن يتبعه ... طعناً دوين صلاه ينخسف

وهي طويلة نحو أربعين بيتاً اكتفينا بهذا المقدار منها؟

الخليل بن أحمد

ابن عمر بن تميمٍ أبو عبد الرحمن الفراهيدي، ويقال: الفرهودي نسبة إلى فراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله ابن مالك بن مضر الأزدي البصري، سيد الأدباء في علمه وزهده.

قال السيرافي: كان الغاية في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليله. أخذ عن أبي عمرو بن العلا وروى عن أيوب وعاصمٍ الأحول وغيرهما، وأخذ عنه الأصمعي، وسيبويه، والنضر بن شميلٍ، وأبو فيد مؤرج السدوسي، وعلي بن نصرٍ الجهضمي وغيرهم، وهو أول من استخرج العروض وضبط اللغة وحصر أشعار العرب، يقال إنه دعا بمكة أن يرزقه الله تعالى علماً لم يسبق به، فرجع وفتح عليه بالعروض وكانت معرفته بالإيقاع هو الذي أحدث له علم العروض، وكان يقول الشعر فينظم البيتين والثلاثة ونحوها.

وكان سفيان النوري يقول: من أحب أن ينظر إلى رجلٍ خلق من الذهب والمسك فلينظر إلى الخليل بن أحمد، ويروي عن النضر بن شميلٍ أنه قال: كنا نمثل بين ابن عونٍ والخليل بن أحمد أيهما نقدم في الزهد والعبادة، فلا ندري أيهما نقدم؟ وكان يقول: ما رأيت رجلاً أعلم بالسنة بعد ابن عونٍ من الخليل بن أحمد.

وكان يقول: أكلت الدنيا بعلم الخليل وكتبه وهو في خصٍ لا يشعر به، وكان يحج سنةً ويغزو سنةً، وكان من الزهاد المنقطعين إلى الله تعالى، وكان يقول: إن لم تكن هذه الطائفة أولياء الله تعالى فليس لله ولي.

وللخليل من التصانيف: كتاب الإيقاع، وكتاب الجمل، وكتاب الشواهد، وكتاب العروض، وكتاب العين في اللغة، ويقال: إنه لليث بن نصر بن سيارٍ عمل الخليل منه قطعةً وأكمله الليث. وله كتاب فائت العين، وكتاب النغم، وكتاب النقط والشكل وغير ذلك. وروى أنه كان يقطع بيتاً من الشعر فدخل عليه ولده في تلك الحالة فخرج إلى الناس وقال: إنأبي قد جن فدخل الناس عليه وهو يقطع البيت فأخبروه بما قال ابنه فقال له:

لو كنت تعلم ما أقول عذرتني ... أو كنت تعلم ما تقول عذلتكا

لكن جهلت مقالتي فعذلتني ... وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

ووجه إليه سليمان بن علي وإلى الأهواز لتأديب ولده، فأخرج الخليل لرسوله سليمان خبزاً يابساً وقال: ما دمت أجده فلا حاجة بي إلى سليمان، فقال الرسول: فما أبلغه عنك؟ فقال:

أبلغ سليمان أني عنه في سعةٍ ... وفي غنىً غير أني لست ذا مال

سخى بنفسي أني لا أرى أحداً ... يموت هزلاً ولا يبقى على حال

والفقر في النفس لا في المال نعرفه ... ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال

فالرزق عن قدرٍ لا العجز ينقصه ... ولا يزيدك فيه حول محتال

ومن شعره أيضاً:

وقبلك داوى الطبيب المريض ... فعاش المريض ومات الطبيب

فكن مستعداً لدار الفناء ... فإن الذي هو آتٍ قريب

توفي سنة ستين ومائةٍ وقيل سبعين ومائةٍ، وله أربع وسبعون سنةً.

الخليل بن أحمد بن محمد

ابن الخليل بن موسى السجزي. كان فقيهاً شاعراً محدثاً رحل في طلب الحديث إلى نيسابور ودمشق. قال الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور: كان الخليل شيخ أهل الرأي في عصره، وكان من أحسن الناس كلاماً في الوعظ والذكر مع تقدمه في الفقه والأدب، وكان ورد نيسابور قديماً مع محمد بن إسحق بن خزيمة وأقرانه، وسمع بالري والعراق والحجاز، وورد نيسابور محدثاً ومفيداً سنة تسعٍ وخمسين وثلاثمائةٍ، وسكن سجستان ثم انتقل إلى بلخٍ وسكنها، ومن شعره في مدحأبي حنيفة النعمان بن ثابتٍ وصاحبيه والأئمة القراء:

سأجعل لي النعمان في الفقه قدوةً ... وسفيان في نقل الأحاديث سيداً
وفي ترك ما لم يعنني من عقيدةٍ ... سأتبع يعقوب العلا ومحمدا
وأجعل حزبي من قراءة عاصمٍ ... وحمزة بالتحقيق درساً مؤكدا
وأجعل في النحو الكسائي عمدتي ... ومن بعده الفراء ما عشت سرمدا
وإن عدت للحج المبارك مرةً ... جعلت لنفسي كوفة الخير مشهدا
فهذا اعتقادي وهو ديني ومذهبي ... فمن شاء فليبرز ليلقى موحدا
ويلقي لساناً مثل سيفٍ مهندٍ ... يفل إذا لاقي الحسام المهندا

وقال:

إذا ضاق باب الرزق عنك ببلدةٍ ... فثم بلاد رزقها غير ضيق
وإياك والسكني بدار مذلةٍ ... فتسقي بكأس الذلة المتدفق
فما ضاقت الدنيا عليك برحبها ... ولا باب رزق الله عنك بمغلق

وقال:

ليس التطاول رافعاً من جاهلٍ ... وكذا التواضع لا يضر بعاقل
لكن يزاد إذا تواضع رفعةً ... ثم التطاول ماله من حاصل

وقال:

رضيت من الدنيا بقوتٍ يقيمني ... ولا أبتغي من بعده أبداً فضلا
ولست أروم القوت إلا لأنه ... يعين على علمٍ أرد به جهلا
فما هذه الدنيا يكون نعيمها ... لأصغر ما في العلم من نكتةٍ عدلا

وقال:

ألله يجمع بيننا في غبطةٍ ... ويزيل وحشتنا بوشك تلاقٍ
ما طاب لي عيش فديتك بعدما ... ناحت علي حمامة بفراق
إن الإله لقد قضى في خلقه ... ألا يطيب العيش للمشتاق

توفي القاضي السجزي بسمرقند وهو قاضٍ بها سنة ثمانٍ وسبعين وثلاثمائةٍ، وقال أبو بكرٍ الخوارزمي يرثيه:

ولما رأينا الناس حيرى لهدةٍ ... بدت بأساس الدين بعد تأطد
أفضنا دموعاً بالدماء مشوبةً ... وقلنا: لقد مات الخليل بن أحمد

خميس بن علي

ابن أحمد بن علي بن إبراهيم بن الحسن أبو الكرم الواسطي الحوزي الحافظ النحوي الأديب الشاعر المحدث، حدث عن أبي القاسم عبد العزيز بن علي الأنماطي، وأبي منصورٍ محمدٍ النديم العكبري، وأبي القاسم علي بن أحمد البشري وغيرهم من البغداديين والواسطيين، قال الحافظ أبو طاهرٍ السلفي: كان خميس من حفاظ الحديث المحققين بمعرفة رجاله، ومن أهل الأدب البارع، وله شعر غاية في الجودة، وفي شيوخه كثرة، وقد عقلت عنه فوائد وسألته عن رجالٍ من الرواة فأجاب بما أثبته في جزء ضخم وهو عندي وقد أملي علي نسبه وهو: خميس بن علي ابن أحمد بن علي بن إبراهيم بن الحسن بن سلاموبه الحوزي، ومولده سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائة، وكان إتقانه مما يعول عليه. وفي كتاب ابن نقطة مولده سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في شعبان، ومات في شعبان أيضاً بواسط سنة عشرس وخمسمائةٍ. ومن شعره:

تركت مقالات الكلام جميعها ... لمبتدعٍ يدعو بهن إلى الردى

ولازمت أصحاب الحديث لأنهم ... دعاة إلى سبل المكارم والهدى

وهل ترك الإنسان في الدين غايةً ... إذا قال قلدت النبيمحمدا؟

وقال:

من كان يرجو أن يرى ... من ساقطٍ أمراً سنيا

فلقد رجا أن يجتنى ... من عوسجٍ رطباً جنيا

خويلد بن خالد

ابن محرز بن زبيد بن أسد بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن غنم بن سعد بن هذيلٍ الهذلي أو ذؤيبٍ شاعر مجيد مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام، قدم المدينة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه. روى عنه أنه قال: قدمت المدينة ولأهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج أهلوا بالإحرام فقلت: مه؟ فقالوا توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي روايةٍ أنه قال: بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل وقع ذلك إلينا عن رجلٍ من الحي قدم معتماً فأوجس أهل الحي خيفةً وأشعرنا حزناً، فبت بليلةٍ باتت النجوم بها طويلة الأناة لا ينجاب ديجورها، ولا يطلع نورها، فظللت أقاسي طولها وأقارع غولها حتى إذ كان دوين السمر وقرب السحر، خفت فهتف هاتف وهو يقول:

خطب أجل أناخ بالإسلام ... بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبي محمد فعيوننا ... تذري الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيبٍ: فوثبت من نومي فزعاً فنظرت إلى السماء فلم أر إلا سعداً الذابح، فتفاءلت به ذبحاً يقع في العرب، وعلمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد قبض، أو أنه ميت فركبت ناقتي فسرت، فلما أصبحت طلبت شيئاً أزجره فعن لي القنفذ قد قبض على صلٍ – يعني حيةً – فهي تلتوي عليه والقنفذ يقضمه حتى

أكله، فزجرت ذلك وقلت تلوي الصل انفتال الناس عن الحق على القائم بعد رسول الله، ثم أولت أكل القنفذ له غلبة القائم على الأمر. والحديث طويل ذكر فيه حضوره في سقيفة بني ساعدة، ومبايعة أبي بكرٍ – رضي الله عنه – وروى ابن سلامٍ عن أبي عمرو بن العلاء أنه قال: سئل حسان بن ثابتٍ من أشعر الناس؟ قال: أحيا؟ قالوا: حياً، قال: أشعر الناس حياً هذيل، غير مدافعٍ أبو ذؤيبٍ. وقال ابن شبة: تقدم أبو ذؤيبٍ جميع شعراء هذيل بقصيدته العينية التي يرثي فيها بنية، ومطلعها:

أمن المنون وريبه تتوجع ... والدهر ليس بمعتبٍ من يجزع

قالت أميمة ما لجسمك شاحباً ... منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع؟

أم ما لجسمك لا يلائم مضجعاً ... إلا أقض عليك ذاك المضجع

فأجبتها أما لجسمي إنه ... أودي بني من البلاد فودعوا

أودي نبي فأعقبوني حسرةً ... بعد السرور وعبرةً ما تقلع

ومنها:

ولقد حرصت بأن أدافع عنهم ... وإذا المنية أقبلت لا تدفع

وإذا المنية أنشبت أظفارها ... ألفيت كل تميمةٍ لا تنفع

وتجلدي للشامتين أريهم ... أني لريب الدهر لا أتضعضع

لابد من تلفٍ مقيمٍ فانتظر ... أبأرض قومك أم بأخرى المضجع؟

ومنها:

والنفس راغبة إذا رغبتها ... وإذا ترد إلى قليلٍ تقنع

كم من جميعي الشمل ملتئمي الهوى ... كانوا بعيشٍ ناعمٍ فتصدعوا

وهي نحو سبعين بيتاً أورد ابن رشيقٍ أبياتاً منها في العمدة، وعدها في المطبوع من شعر العرب. ومن شعره ما أنشده له ثعلب:

وعيرها الواشون أني أحبها ... وتلك شكاة ظاهر عنك عارها

فإن أعتذر منها فإني مكذب ... وإن تعتذر يردد علي اعتذارها

وشعرأبي ذؤيب كله على نمطٍ في الجودة وحسن السبك، وتوفي في غزوة إفريقية مع ابن الزبير، وقال وهو يجود بنفسه مخاطباً ابن أخيه أبا عبيدٍ:

أبا عبيدٍ وقع الكتاب ... واقترب الوعيد والحساب

وعند رحلي جملٌ منجاب ... أحمر في حاركه انصباب

ثم قضى نحبه ودلاه ابن الزبير في حفرته.

خيار بن أوفى النهدي

شاعر إسلامي دخل على معاوية فقال له: ما صنع بك الدهر؟ فقال يا أمير المؤمنين. صدع قناتي، وشيب سوادي، وأفنى لذاتي، وجرأ علي أعدائي، ولقد بقيت زماناً آنس بالأصحاب. وأسبل الثياب. وآلف

الأحباب. فبادوا عني، ودنا الموت مني. فقال له أنشدني ما قلت في الخمر والنهي عنها، فقال:

أهد بن زيدٍ ليس في الخمر رفعة ... فلا تقربوها إنني غير فاعل

فأني وجدت الخمر شيئاً ولم يزل ... أخو الخمر حلالاً شرار المنازل

فكم قد رأينا من فتى ذي جهالةٍ ... صحا بعد أزمان وطول تجاهل

ومن سيدٍ قد قنعته مذلة ... فعاش ذليلاً ضحكةً في المحافل

فلله أقوام تمادوا بشربها ... فأضحوا وهم أحدوثة في القوافل

فقال معاوية: صدقت والله لكم من سيدٍ أدمنها فتركته ضحكةً وأحدوثةً، ومن ذي رغبةٍ فيها قد صحا عنها فصار سيد قومه، والله ما وضع شيء الرجل كما وضعه الشراب، والله لهي الداء العياء. مات خيار النهدي في خلافة يزيد بن معاوية.

باب الدال

داود بن القاضي

أحمدبن أبي داود. كان أديباً شاعراً فاضلاً، وكان صديقاً لمحمد بن بشيرٍ الرياضي الشاعر المشهور، وكان ابن بشيرٍ كثير التردد عليه، ففقد ابن بشيرٍ يوماً أهلوه، وطلبوه فلم يجدوه، وكان مع أصحاب له خرج معهم للنزهة فجاءوا إلى القاضي داود بن أحمد يسألونه عنه، فقال لهم اطلبوه في منزل حسنٍ المغنية، فإن وجدتموه وإلا فهو في حبسأبي شجاعٍ صاحب شرطة خمار التركي. فلما كان بعد أيامٍ جاء ابن بشيرٍ إليه فقال له: إيهٍ أيها القاضي، كيف دللت على أهلي؟ قال: كما بلغك، وقد قلت في ذلك أبياتاً، قال: أو فعلت ذلك أيضاً؟ زدني من برك، هات، أي شيء قلت؟ فأنشده:

ومرسلةٍ توجه كل يومٍ ... إلى وما دعا للصبح داعٍ

تسائلني وقد فقدوه حتى ... أرادوا بعده قسم المتاع

إذا لم تلقه في بيت حسنٍ ... مقيماً للشراب وللسماع

ولم ير في طريق بني سدوسٍ ... يخط الأرض منه بالكراع

يدف حزونها بالوجه طوراً ... وطوراً باليدين وبالذراع

فقد أعياك مطلبه وأمسى ... بلا شكٍ بحبسأبي شجاع

فجعل ابن بشيرٍ يضحك ويقول: أيها القاضي لو غيرك يقول لي هذا لعرف مصيره، ثم يبرح حتى أعطاه داود مائتي درهمٍ وخلع عليه.

داود بن أحمد بن يحيى

ابن الخضر أبو سليماني الداوودي الضرير الملهمي البغدادي المقريء الأديب. قرأ القرآن بالروايات على أبي الحسن علي بن عساكر البطائحي، وأبي الفضل أحمد بن محمد بن شفيفٍ، وبرع في الأدب وكان مولعاً

بشعرأبي العلاء المعري يحفظ منه جملةً صالحةً، ولذلك كان الناس يرمونه بسوء العقيدة، توفي أبو سليمان ببغداد سنة خمس عشرة وستمائة، ومن شعره:

أعلل القلب بذكراكم ... والقلب يأبى غير لقياكم

حللتم قلبي وبتتم فما ... أدناكم كم مني وأقصاكم؟

يا حبذا ريح الصبا إنها ... تروح القلب برياكم

وقال:

إلى الرحمن أشكو ما ألاقى ... غداة غدٍ على هوج النياق

نشدتكم بمن زم المطايا ... أمر بكم أمر من الفراق؟

وهل داء أمر من التنائي ... وهل عيش ألذ من التلاقي؟

داود بن سلم

مولى بني تميم بن مرة شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، كان يسكن المدينة، وكان يقال له: الآدم لشدة سواده، وكان من أقبح الناس وجهاً وأشدهم بخلاً، طرقه قوم بالعقيق فصاحوا به العشاء والقرى يا بن سلمٍ، فقال لهم: لا عشاء لكم عندي ولا قرىً، قالوا: فأين قولك إذ تقول؟

يا دار هندٍ ألا حييت من دار ... لم أقض منك لباناتي وأوطاري

عودت فيها إذا ما الضيف نبهني ... عقر العشار على يسر وإعسار

قال: لستم من أولئك الذين عنيت.

وقدم داود دمشق فنزل على حرب بن خالد بن يزيد ابن معاوية، فلما دخل داره قام غلمانه إلى متاعه فأدخلوه وحطوا عن راحلته، ثم دخل على حربٍ فأنشده:

فلما دفعت لأبوابهم ... ولاقيت حرباً لقيت النجاحا

وجدناه يحمده المجتدو ... ن، ويابي على العسر إلا سماحا

يغشون حتى ترى كلبهم ... يهاب الهرير وينسى النياحا

فأنزله وأكرمه وأجازه بجائزة عظيمةٍ، ثم استأذنه للخروج فأذن له وأعطاه ألف دينار وقال له: لا إذن لك علي متى جئت، فوده وخرج من عنده وغلمانه جلوس فلم يقم إليه منهم أحد، فظن أن حرباً ساخط فرجع فقال له: إنك على موجدةٍ؟ قال: لا وما ذاك؟ فأخبره أن غلمانه لم يعينوه على رحله، فقال له: ارجع إليهم فسلهم، فرجع إليهم فقالوا له: إنا ننزل من جاءنا ولا نخرج من خرج من عندنا. وكان داود منقطعاً إلى قثم بن العباس وفيه يقول:

نجوت من حلٍ ومن رحلةٍ ... يا ناق إن قربتني من قثم

إنك إن بلغتنيه غداً ... حالفني اليسر ومات العدم

لم يدر ما لا وبلى قد درى ... فعافها واعتاض منها نعم

أصم عن قيل الخنا سمعه ... وما عن الخير به من صمم

توفي داود بن سلمٍ في حدود سنة عشرين ومائةٍ.

داود بن الهيثم

ابن إسحاق بن البهلول بن حسان بن حسان بن سنانٍ أبو سعدٍ التنوخي الأنباري. قال الخطيب البغدادي في تاريخ مدينة السلام: كان نحوياً لغوياً حسن المعرفة بالعروض واستخراج المعمى، فصيحاً كثير الحفظ للنحو واللغة والأدب والأشعار، وله شعر جيد، أخذ عن ابن السكيت وثعلب، وسمع من جده إسحق وابن شبة، وأخذ عنه ابن الأزرق وجماعة، وله كتاب في النحو على مذهب ابن الأزرق وجماعة، وله كتاب في النحو على مذهب الكوفيين، وكتاب خلق الإنسان في اللغة وغير ذلك. مات بالأنبار سنة ست عشرة وثلاثمائة، وله ثمان وثمانون سنةً. ومن شعره:

بساتيها للمسك فيها روائح ... وأشجارها للريح فيها ملاعب

كأن هزيز الريح بين غصونها ... ضرائر أضحى بينهن تعاتب

كأن القباب الغر فيها مواكب ... تضيء كما أمست تضيء الكواكب

كأن فتيت المسك بين ترابها ... إذا ما تهادته الصبا والجنائب

ومن تحتها الأنهار تجري مياهها ... ففائضة منها ومنها سواكب

كأن مجاريها سبائك فضةٍ ... تذاب وأسياف تهز قواضب

دعبل بن علي

ابن رزين بن سليمان بن تميم بن نهشل بن خداش بن خالد بن عبد بن دعبل بن أنس بن أنس بن خزيمة. كذا قال أبو الفرج، وقال آخرون: دعبل بن علي بن رزين بن عثمان ابن عبد الله بن بديل بن ورقاء يتصل نسبه بمضر، أبو عليٍ الخزاعي، وعلى هذا الأكثر. شاعر مطبوع مفلق يقال: إن أصله من الكوفة وقيل من قرقيسيا وكان أكثر مقامه ببغداد، وسافر إلى غيرها من البلاد فدخل دمشق ومصر، وكان هجاءً خبيث اللسان لم يسلم منه أحد من الخلفاء ولا من الوزراء ولا من أولادهم، ولا ذو نباهةٍ أحسن إليه أو لم يحسن، وكان بينه وبين الكميت بن زيدٍ وأبي سعدٍ المخزومي مناقضات، وكان من مشاهير الشيعة، وقصيدته التائية في أهل البيت من أحسن الشعر، وأسنى المدائح قصد بها أبا علي بن موسى الرضا بخراسان، فأعطاه عشرةً آلاف درهمٍ وخلع عليه بردةً من ثيابه، فأعطاه بها أهل قمٍ ثلاثين ألف درهم فلم يبعها، فقطعوا عليه الطريق ليأخذوها فقال لهم: إنها تراد لله عز وجل وهي محرمة عليكم، فدفعوا له ثلاثين ألف درهمٍ فحلف كما واحداً فكان في أكفانه، ويقال: إنه كتب القصيدة في ثوبٍ وأحرم فيه وأوصى بأن يكون في أكفانه، ونسخ هذه القصيدة مختلفة، في بعضها زيادات يظن أنها مصنوعة ألحقها بها أناس من الشيعة، وإنا موردون هنا ما صح منها، قال:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ ... ومنزل وحي مقفر العرصات
لآل رسول الله بالخيف من منىً ... وبالركن والتعريف والجمرات
ديار عليٍ والحسين وجعفرٍ ... وحمزة والسجاد ذي الثفنات
ديار عفاها كل جونٍ مباكر ... ولم تعف للأيام والسنوات
قفا نسأل الدار التي خف أهلها ... متى عهدها بالصوم والصلوات؟
وأين الأولى شطت بهم غربة النوى ... أفانين في الآفاق مفترقات
هم أهل ميراث النبيإذا اعتزوا ... وهم خر قاداتٍ وخير حماة
وما الناس إلا حاسد ومكذب ... ومضطغن ذو إحنةٍ وترات
إذا ذكروا قتلى ببدرٍ وخيبرٍ ... ويوم حنين أسبلوا العبرات
قبور بكوفاتٍ وأخرى بطيبةٍ ... وأخرى بفخٍ نالها صلواتي
وقبر ببغداد لنفسٍ زكيةٍ ... تضمنها الرحمن في الغرفات
فأما المصمات التي لست بالغاً ... مبالغها مني بكنه صفات
إلى الحشر حتى يبعث الله قائماً ... يفرج منها الهم والكربات
نفوس لدى النهرين من أرض كربلا ... معرسهم فيها بشط فرات
تقسمهم ريب الزمان كما ترى ... لهم عمرة مغشية الحجرات
سوى أن منهم بالمدينة عصبةً ... مدى الدهر أنضاء من الأزمات
قليلة زوارٍ سوى بعض زور ... من الضبع والعقبان والرخماتٍ

لهم كل حينٍ نومة بمضاجعٍ ... لهم في نواحي الأرض مختلفات
وقد كان منهم بالحجاز وأهلها ... مغاوير يختارون في السروات
تنكب لاواء السنين جوارهم ... فلا تصطليهم جمرة الجمرات
إذا وردوا خيلاً تشمس بالقنا ... مساعر جمر الموت والغمرات
وإن فخروا يوماً أتوا بمحمدٍ ... وجبريل والفرقان ذي السورات
ملامك في أهل النبيفإنهم ... أحباي ما عاشوا وأهل ثقاتي
تخيرتهم رشداً لأمري فإنهم ... على كل حالٍ خيرة الخيرات
فيا رب زدني من يقيني بصيرةً ... وزد حبهم يا رب في حسناتي
بنفسي أنتم من كهولٍ وفتيةٍ ... لفك عناةٍ أو لحمل ديات
أحب قصي الرحم من أجل حبكم ... وأهجر فيكم أسرتي وبناتي
وأكتم حبيكم مخافة كاشحٍ ... عنيدٍ لأهل الحق غير موات
لقد حفت الأيام حولي بشرها ... وإني لأرجو الأمن بعد وفاتي
ألم تر أني من ثلاثين حجةً ... أروح وأغدو دائم الحسرات

أرى فيئهم في غيرهم متقسماً ... وأيديهم من فيئهم صفرات
فآل رسول الله نحف جسومهم ... وآل زيادٍ حفل القصرات
بنات زياد في القصور مصونة ... وآل رسول الله في الفلوات
إذا وتروا مدوا إلى أهل وترهم ... أكفاً عن الأوتار منقبضات
فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ ... لقطع قلبي إثرهم حسراتي
خروج لا محالة خارج ... يقوم علي اسم الله والبركات
يميز فينا كل حقٍ وباطلٍ ... ويجزي على النعماء والنقمات
سأقصر نفسي جاهداً عن جدالهم ... كفاني ما ألقى من العبرات
فيا نفسس طيبي ثم يا نفس أبشري ... فغير بعيدٍ كل ما هو آت
فإن قرب الرحمن من تلك مدتي ... وأخر من عمري لطول حياتي
شفيت ولم أترك لنفسي رزيةً ... ورويت منهم منصلي وقناتي
أحاول نقل الشمس من مستقرها ... وأسمع أحجاراً من الصلدات
فمن عارفٍ لم ينتفع ومعاندٍ ... يميل مع الأهواء والشبهات
قصارای منهم أن أموت بغصةٍ ... تردد بين الصدر واللهوات
كأنك بالأضلاع قد ضاق رحبها ... لما ضمنت من شدة الزفرات

ومما يختار من شعر دعبلٍ قصيدته العينية التي رثي بها الحسين عليه السلام قال.

رأس ابن بنت محمدٍ ووصيه ... يا للرجال على قناةٍ ترفع
والمسلمون بمنظرٍ وبمسمعٍ ... لا جازع من ذا ولا متخشع
أيقظت أجفاناً وكنت لها كرى ... وأنمت عيناً لم تكن بك تهجع
كحلت بمنظرك العيون عمايةً ... وأصم نعيك كل أذنٍ تسمع
ما روضة إلا تمنت أنها ... لك مضجع ولحظ قبرك موضع

ومن مختاراته أيضاً قوله:

خليلي ماذا أرتجي من غد امريءٍ ... طوى الكشح عني اليوم وهو مكين
وإن أمرأ قد ضن منه بمنطقٍ ... يسد به فقر امرئٍ لضنين

ومن مختار شعره قوله:

أين الشباب وأيةً سلكا؟ ... لا أين يطلب ضل بل هلكا؟؟
لا تعجبي يا سلم من رجلٍ ... ضحك المشيب برأسه فبكى
لا تأخذوا بظلامتي أحداً ... قلبي وطرفي في دمي اشتركا

ولد عبل كتاب طبقات الشعراء. وديوان شعرٍ. مات سنة ستٍ وأربعين ومائتين.

دعوان بن علي

ابن حماد بن صدقة الجبائي أبو محمدٍ الضرير المقرىء، كان من أعيان القراء ببغداد متميزاً بالقراءة، بصيراً بالعربية، حسن الطريقة والسمت. قرأ القرآن بالروايات على أبي طاهرٍ أحمد بن علي بن سوارٍ، وأبي الخطاب علي ابن عبد الرحمن، وأبي القاسم يحيى بن أحمد السبي، وسمع عن الحسين بن أحمد بن محمد بن طلحة النعالي، والحسين بن علي بن أحمد بن البسري، وأبي المعالي ثابت بن بندارٍ. وقرأ عليه القرآن خلق كثير، وروى عن عبد الرزاق بن عبد القادر الجيلي، توفي سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة.

دكين بن رجاءٍ الفقيمي

راجز مشهور، وفد على الوليد بن عبد الملك وكان الوليد متأهباً لسباق الخيل فقاد دكين فرسه للسباق، فلما رآه الوليد وكان الفرد دميماً قال: أخرجوه من الحلبة، قبح الله هذا، فقال دكين يا أمير المؤمنين: والله مالي مال غيره، فإن لم يسبق خيلك فهو حبيس في سبيل الله. فضحك الوليد وأمر بختمه وأرسلت الخيل فجاء سابقاً فقال دكين:

قد أغتدي والطير في أكنات ... يخدوني الشمأل في الفلاة
والليل لم يحسر عن القناة ... وللندى لم على لماتي
بذي شنيبٍ سابغ الصلعات ... ناتي المعد مشرف القطاة
من قارحٍ وأمنٍ وآت ... ومن رباعٍ ورباعيات
ومن ثنيٍ ومثنيات ... وجذعٍ عبلٍ ومجذعات
بتن على الجبل مسطرات ... حتى إذا انشقت دجى الظلمات
ووضع الخيل على اللبات ... وفرق الغلمان بالوصاة
من كل ذي قرطٍ مقزعات ... أرسلن يعبطن ذرى الصعدات
يسرى دوين الشمس ملخصات ... من قسطلان القاع مسحلات
حتى إذا كن بمهويات ... بالنصف بين الخط والغايات
عضبن أبيه على الشبات ... وسط سنا ضنطٍ ملحمات
مثل السراحين مصليات ... جاء أمام سبق الغايات
منهن من عرض للذمات

وقال يمدح مصعب بن الزبير:

يا ناق خبي بالقيود خببا ... حتى تزوري بالعراق مصعبا
قد علم الأنام إذ ينتخبا ... بيانه ورأيه المجربا
وفي الأمور عقله المؤدبا ... يامرسل الريح الجنوب والصبا
وآذاناً للفلك تجري خببا ... وخالق الاء وشيجاً نسبا
يعيد خلقاً بعد خلقٍ عجبا ... عظماً ولحماً ودماً وعصبا
خالاً وعما وابن عمٍ وأبا ... أعط الميأر مصعباً ما احتسبا
واجعل له من سلسبيلٍ مشربا ... فرعاً يزين المنبر المنصبا

قلباً دهياً ولساناً قصعبا ... هذا وإن قيل له هب وهبا
جواريا وفضةً وذهبا ... والخيل يعلكن الحديد المنشبا
فوراً تلجلجن أبازيم الشبا ... قد جعل الناس إليه سببا
مات دكين بن رجاء سنة خمسٍ ومائةٍ.
دكين بن سعيدٍ الدارمي
التميمي الراجز، وهو غير دكين بن رجا المتقدم واشتبها على ابن قتيبة في طبقات الشعراء فجعلهما واحداً، ودكين بن سعيد هذا هو الذي كان منقطعاً إلى عمر بن عبد العزيز حين كان والياً بالمدينة يسامزه معأبي عونٍ وسالم بن عبد الله، فلما ولى عمر بن عبد العزيز الخلافة قصده، فلما استأذن عليه قال له الحاجب: إنه في شغل برد المظالم، فترقب خروج عمر للصلاة فلما خرج ناداة فقال:
يا عمر الخيرات والمكارم ... وعمر الدسائع العظائم
إني امرؤ من قطن بن دارم ... أسد حق المسلم المسالم
بيع يمينٍ بالإخاء الدائم ... إذ تنتحى والله غير نائمٍ
ونحن في ظلمة ليلٍ عاتم ... عندأبي عونٍ وعند سالمٍ
فدخل عمر على أمهات أولاده فما زال يجمع من عندهن العشرة والعشرين حتى جمع له ثلاثمائة فأعطاه إياها. مات دكين هذا سنة تسعٍ ومائةٍ.

باب الذال

ذو القرنين بن ناصر الدولة

أبي محمدٍ الحسن بن عبد الله، أبو المطاع بن حمدان التغلبي المعروف بوجيه الدولة. كان أديباً فاضلاً شاعراً ولى إمرة دمشق سنة اثنتي عشرة وأربعمائةٍ. ثم عزل ثم وليها سنة خمس عشرة وأربعمائةٍ، وبقى إلى سنة تسع عشرة وأربعمائةٍ. ومن شعره:
لو كنت ساعة بيننا ما بيننا ... وشهدت حين نكرر التوديعا
أيقنت أن من الدموع محدثا ... وعلمت أن من الحديث دموعا
وقال:
يا غانياً عن خلتى ... أنا عنك إن فكرت أغنى
إن التقاطع والعقو ... ق هما أزالا الملك عنا
وأظن أن لن يتركا ... في الأرض مؤتلفين منا
يفنى الذي وقع التنا ... زع بيننا فيه ونفنى
وقال:
بأبي من هويته فافترقنا ... وقضى الله بعد ذاك اجتماعا

فافترقنا حولاص فلما التقينا ... كان تسليمه علي وداعا

وقال:

أفدي الذي زرته بالسيف مشتملاً ... ولحظ عينيه أمضى من مضاربه

فما خلعت نجادى للعناق له ... حتى لبست نجاداً من ذوائبه

فإن أسعدنا في نيل بغيته ... من كان في الحب أشقانا بصاحبه

وقال:

من كان يرضى بذلٍ في ولايته ... خوف الزوال فإني لست بالراضى

قالوا فتركب أحياناً فقلت لهم ... تحت الصليب ولا في موكب القاضي

توفي أبو المطاع بمصر في صفرٍ سنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائة.

باب الراء

راشد بن إسحاق بن راشد

أبو حليمة الكاتب، كان أديباً كاتباً شاعراً، ذكره ابن المرزبان في طبقات الشعراء وقال: كان أكثر شعره في رثاء متاعه، وإنما كان يقول ذلك لتهمة لحقته من الأمير عبد الله بن طاهرٍ – أيام كتابته له – في خادمٍ لعبد الله، واتصل راشد بالوزير محمد بن عبد الله الزيات، وله معه أخبار حسان.

حدث يحيى بن عبادٍ قال: حج محمد بن عبد الملك في آخر أيام المأمون، فلما قدم من الحج كتب إليه راشد الكاتب يقول:

لا تنسى عهدي ولا مودتيه ... واشتق إلى طلعتي ورؤيتيه

فإن تجاوزت ما أقول إلى ال ... عصب فذاك المأمول منك ليه

فأجابه محمد بن عبد الملك.

إنك مني بحيث يطرد الن ... اظر من تحت ماء دمعتيه

ولا ومن زادني تودده ... على صحابي بفضل غيبتيه

ما أحسن الترك والخلاف لما ... تريد مني وماتقول ليه!

يابأبي أنت ما نسيتك في ... يوم دعائي ولا هديتيه

ناجيت بالذكر والدعاء لك الل ... ه لك الله رافعاً يديه

حتى إذا ما ظننت بالملك ال ... قادر أن قد أجاب دعوتيه

قمت إلى وضع النعال وقد ... أقمت عشرين صاحباً معيه

وقلت لي صاحب أريد له ... نعلاً ولو من جلود راحتيه

فانقطع القول عند واحدةٍ ... قال الذي اختارها بشارتيه

فقلت عندي البشارة والش ... شكر وقلا في جنب حاجتيه

ثم تخيرت بعد ذاك من ال ... عصب اليماني بفضل خبرتيه
موشيةً لم أزل ببائعها ... أرغب حتى زها علي بيه
يرفع في سومه وأرغبه ... حتى التقي زهده ورغبتيه
وقد أتاك الذي امرت به ... فاعذر بكثر الإنعام قلتيه

وقال راشد الكاتب وهو يجود بنفسه في مرضه الذي مات فيه بطريق مكة. ولم أقف له على شعرٍ خالٍ من الفحش والمجون غيرها:

أطبقت للنوم جفناً ليس ينطبق ... وبت والدمع في خدي يستبق
لم يسترح من له عين مؤرقة ... وكيف يعرف طعم الراحة الأرق؟
وددت لو تم لي حجي ففزت به ... ما كل ما تشتهيه النفس يتفق

ربيعة بن عامر

ابن أنيف بن شريح بن عمرو بن زيد بن عبد الله ابن عدس بن دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميمٍ، الملقب بمسكينٍ، قال أبو عمرٍ الشيباني: وإنما لقب مسكيناً لقوله:

أنا مسكين لمن أنكرنى ... ولمن يعرفني جد نطق
لا أبيع الناس عرضي إننى ... لو أبيع النسا عرضي لنفق

وقال ابن قتيبة: وسمي المسكين لقوله:

وسميت مسكيناً وكانت لجاجةً ... وإني لمسكين إلى الله راغب

وكان مسكين شاعراً مجيداً سيداً شريفاً، وكان بينه وبين الفرزدق مهاجاةٌ، فدخل بينهما شيوخ بني عبد الله وبني مجاشعس فتكافا، واتقاه الفرزدق خشية أن يستعين عليه بجرير، واتقى مسكين الفرزدق خوفاً من أن يعينه عليه عبد الرحمن بن حسانٍ.

وقال الفرزدق: نجوت من ثلاثة أشياء لا أخاف بعدها شيئاً: نجوت من زيادٍ حين طلبنى، ونجوت من ابني رميلة وقد نذرا دمى، وما فاتهما أحد طلباه، ونجوت من مهاجاة مسكينٍ الدارمى، لأنه لو هجاني اضطرني أن أهدم شطر حسبى، لأنه من بحبوحة نسبي وأشراف عشيرتى، فكان جرير حينئذٍ ينتصف مني بيدي ولسانى.

ومن مختارات شعر مسكينٍ الدارمي قوله:

ولست إذا ما سرني الدهر ضاحكاً ... ولا خاشعاً ما عشت من حادث الدهر
ولا جاعلاً عضي لمالي وقايةً ... ولكن أقي عرضي فيحرزه وفرى
أعف لدي عسري وأبدى تجملاً ... ولا خر في من لا يعف لدى العسر
وإني لأستحي إذا كنت معسراً ... صديقي وإخواني بأن يعلموا فقرى
وأقطع إخواني وما حال عهدهم ... حياءً وإعراضاً وما بي من كبر

ومن يفتقر يعلم مكان صديقه ... ومن يجبى لا يعدم بلاء من الدهر

ومن مستحسن شعره:

إتق الأحمق أن تصحبه ... إنما الأحمق كالثوب الخلق

كلما رقعت منه جانباً ... حركته الريح وهناً فانخرق

أو كصدعٍ في زجاج بينٍ ... أو كفتقٍ وهو يعيى من رتق

وإذا جالسته في مجلسٍ ... أفسد المجلس منه بالخرق

وإذا نهنهته كي يرعوى ... زاد جهلاً وتمادى في الحمق

وإذا الفاحش لاقى فاحشاً ... فهنا كم وافق الشن الطبق

إنما الفحش ومن يعتاده ... كغراب السوء ما شاء نعق

أو حمار السوء إن اشبعته ... رمح الناس وإن جاع نهق

أو كعبد السوء إن جوعته ... سرق الجار وإن يشبع فسق

أو كغيرى رفعت من ذيلها ... ثم أرخته ضراراً فانخرق

أيها السائل عما قد مضى ... هل جديد مثل ملبوسٍ خلق

وقدم على معاوية فسأله أن يفرض له فأبى، فخرج من عنده وهو يقول.

أخاك أخاك إن من لا أخا له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاحِ

وإن ابن عم المر فاعلم جناحه ... وهل ينهض البازي بغير جناح؟

وقال:

ناري ونار الجار واحدة ... وإليه قبلي تنزل القدر

ماضر جاراً لي أجاوره ... ألا يكون لبيته ستر

أغضى إذا ما جارتي برزت ... حتى يواري جارتي الخدر

ويصم عما كان بينهما ... سمعي وما بي غيره وقر

ربيعة بن يجبى

ابن معاوية بن جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن تغلب المعروف بأعشى بني تغلب، شاعر من شعراء الدولة الأموية، كان نصرانياً وعلى النصرانية مات سنة اثنتين وتسعين، وكان يتردد بين البداوة والحضارة، فإذا حضر سكن الشام، وإذا بدا نزل بنواحي الموصل ودار ربيعة حيث منازل قومه. ومن شعره قوله يمدح بني عبد المدان الحارثيين:

فكعبة نجران حتم علي ... ك حتى تناخى بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيح ... وقيساً همو خير أربابها

يبادرنا الورد والياسم ... ين والمسمعات بأقصابها

وبربطنا دائم معمل ... فأي الثلاثة أزرى بها؟

ولما التقينا على آلةٍ ... ومدت إلى بأسبابها
إذا الخير آتٍ فلوت بهم ... وجروا أسافل هدابها
وقال:
ما روضة من رياض الحزن معشبة ... خضراء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الشمس فيها كوكب شرق ... موزر بعميم النبت مشتمل

يوماً بأطيب منها نشر رائحةٍ ... ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

ربيعة بن ثابت

ابن لجإ بن العيزار بن لجإٍ الأسدي أبو ثابتٍ الرقي الشاعر، استقدمه أمير المؤمنين المهدي فمدحه بعدة قصائد مشهورةٍ فأجازه وأجزل صلته، وهو الذي قال في يزيد بن حاتمٍ المهلبي ويزيد بن أسيدٍ السلمي:
لشتان ما ين اليزيدين في الندى ... يزيد سليمٍ والأغر ابن حاتم
يزيد سليمٍ سالم المال والغنى ... أخو الأزد للأموال غير مسالم
فهم الفتى الأزدي إتلاف ماله ... وهم الفتى القيسي جمع الدراهم
وهو الذي يقول في العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس قصيدته المشهورة التي لم يسبق إليها إجادةً ومنها:
لو قيل للعباس يا بن محمدٍقل لا وأنت مخلد ما قالها
ما إن أعد من المكارم خصلةً ... إلا وجدتك عمها أو خالها
وإذا الملوك تسايروا في بلدةٍ ... كانوا كواكبها وكنت هلالها
إن المكارم لم تزل معقولةً ... حتى حللت براحتيك عقالها
فبعث إليه العباس بدينارين فقال:
مدحتك مدحة السيف المحلى ... لتجري في الكرام كما جريت
فهبها مدحةً ذهبت ضياعاً ... كذبت عليك فيها وافتريت
فأنت المرء ليس له وفاء ... كأني إذ مدحتك قد رثيت
فلما بلغت العباس غضب وتوجه إلى الرشيد فقال: إن ربيعة الرقي قد هجاني فأحضره وهم بقتله: فقال يا أمير المؤمنين: مره بإحضار القصيدة فأحضرها، فلما سمعها استحسنها وقال: والله ما قال أحد في الخلفاء مثلها فكم أثابك؟ قال: دينارين، فغضب الرشيد بن العباس وقال: يا غلام أعط ربيعة ثلاثين ألف درهمٍ وخلعةً واحمله على بغلةٍ. وقال له: بحياتي لا تذكره في شعرك لا تعريضاً ولا تصريحاً. وكان الرشيد قد هم بأن يزوج العباس ابنته ففتر عنه لذلك. توفي ربيعة الرقي سنة ثمانٍ وتسعين ومائةٍ.

رزق الله بن عبد الوهاب

التميمي البغدادي. أديب شاعر مجيد لا أعرف من أمره غير هذا، توفي ببغداد سنة ثمانٍ وثمانين وأربعمائةٍ.

ومن شعره:

بأبي حبيب زارني متنكراً ... فبدا الوشاة له فولي معرضا

فكأنني وكأنه وكأنهم ... أمل ونيل حال بينهما القضا

وقال:

شارع دار الرقيق أرقني ... فليت دار الرقيق لم تكن

به فتاة للقلب فاتنة ... أنا فداء لوجهها الحسن

رزين العروضي الشاعر

أخذ عن عبد الله بن هارون بن السميدع البصري العروضي مؤدب آل سليمان، وكان عبد الله بن هارون يقول أوزاناً غريبةً من العروض، فنحا رزين نحوه في ذلك، فأتى فيه ببدائع جمةٍ، وكان رزين من أصحاب دعبلٍ الخزاعي الشاعر. حدث دعبل أنه نزل هو ورزين بقومٍ من بني مخزومٍ فلم يقروهما ولا أحسنوا ضيافتهما، قال دعبل فقلت فيهم:

عصابة من بني مخزوم بت بهم ... بحيث لا تطمع المسحاة في الطين

ثم قلت لرزين أجز، فقال:

في مضغ أعراضهم من خبزهن عوض ... بني النفاق وأبناء الملاعين

ومن شعر رزينٍ أيضاً:

كأن بلاد الله وهي عريضة ... على الخائف المطلوب كفة حابل

تؤدي إليه أن كل ثنيةٍ ... تيممها ترمي غليه بقاتل

وقال:

خير الصديق هو الصدوق مقالةً ... وكذاك شرهم المنون الأكذب

فإذا غدوت له تريد نجازه ... بالوعد راغ كما يروغ الثعلب

توفي رزين العروضي سنة سبعٍ وأربعين ومائتين

رسته بن أبي الأيض الأصبهاني

الضرير الشاعر. ذكره حمزة بن الحسن الأصبهاني في تاريخ أصبهان فقال: كان مليح الشعر أشبه الناس شعراً ببشار بن برد، حمل من أصبهان إلى بغداد وأدخل على زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد وكان دميماً فلما رأته قالت: تسمع بالمعدي خير من أن تراه. فقال رشته: أيتها السيدة، إنما المرء بأصغريه، ثم أنشدها وأخذ جائزتها. وله شعر كثير ومنه قوله:

أيها الإخوة الذين لساني ... من قديم الزمان عنهم كليل
جئتكم للسلام حتى إذا ما ... صحت شهراً كما يصيح الدليل

قيل قد أدخل الخوان عليهم ... قلت مالي إذا إليهم سبيل
وقال:
قد مات كل نبيلٍ ... ومات كل نبيه
وما كل أديبٍ ... وفاضلٍ وفقيه
لا يوحشنك طريق ... كل الخلائق فيه
مات رستة سنة خمس وسبعين ومائةٍ

رمضان بن رستم

ابن محمد بن عليبن رستم بن هردوز، فخر الدين ابن الساعاتي الخراساني الأصل الدمشقي، وهو أخو بهاء الدين أبي الحسن علي بن رستم بن الساعاتي الشاعر المشهور، وكان فخر الدين هذا طبيباً فاضلاً أديباً شاعراً. وله معرفة تامة بالمنطق والعلوم الحكمية، وكان يكتب خطا منسوباً في غاية الجودة، وتلقى صناعة الطب عن رضي الدين أبي الحجاج يوسف بن حيدرٍ الرحبي الموجود الآن في دمشق، ولازمه زماناً طويلاً، والعلوم الأدبية عن تاج الدين زيدٍ الكندي، وكان خبيراً بعلم الموسيقى ويحسن الضرب بالعود، لقيته بدمشق وحضرت مجالسه غير مرةٍ، وبلغتنا وفاته سنة ثماني عشرة وستمائةٍ. وله من التصانيف: حواش على القانون لابن سينا، وتكملة كتاب القولنج له، والمختار من الأشعار، وغير ذلك، ومن شعره:
وروضةٍ زاد بالأترج بهجتها ... في صفرة اللون يحكي لون مسكين
عجبت منه فما أدرى أصفرته ... من فرقة الغصن أم من خوف سكين؟؟
وقال:
يحسدني قومي على صنعتي ... لأنني بينهم فارس
سهرت في ليلى واستنعسوا ... لن يستوي الدارس والناعس
وقال:
حسب المحب تلذذ بغرامه ... من كل ما يهوي وما يتحبب
راح المحبة لا تريح بروحها ... من كان في شئ سواها يرغب

الرماح بن أبرد

أبن ثوبان بن سراقة بن قيس بن سلمى بن ظالم بن جذيمة بن يربوعٍ أو شرحبيل المري المعروف بابن ميادة وهي أمه وكانت صقلبيةً، وكان يزعم أنها فارسية. وهو شاعر مجيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. مات في خلافة المنصور سنة تسعٍ وأربعين ومائةٍ، ومن شعره يفخر بنسب أبيه في العرب ونسب أمه في

العجم:

أليس غلام بين كسرى وظالمٍ ... بأكرم من نيطت عليه التمائم؟

لو أن جميع الناس كانوا بتلعةٍ ... وجئت بجدي ظالمٍ وابن ظالم

لظلت رقاب الناس خاضعةً لنا ... سجوداً على أقدامنا بالجماجم

ومن مختار شعره قصيدته البائية التي مدح بها الوليد ابن يزيد ومطلعها:

هل تعرف الدار بالعلياء غيرها ... سافي الرياح ومستن له طنب

دار لبيضاء مسود مسائحها ... كأنها ظبية ترعى وتنتصب

تحنو لأكحل ألقته بمضيعةٍ ... فقلبها شفقاً من حوله يجب

يا أطيب الناس ريقاً بعد هجعتها ... وأملح الناس عيناً حين تنتقب

ليست تجود بنيلٍ حين أسألها ... ولست عند خلاء اللهو أغتصب

في مرفقيها إذا ما عولجت حجم ... على الضجيج وفي أنيابها شنب

وليلةٍ ذات أهوالٍ كواكبها ... مثل القناديل فيها الزيت واللهب

قد جبتها جوب ذي المقراض ممطرةٍ ... إذا استوى مغفلات البيد والحدب

بعنتريسٍ كأن الدبر يلسعها ... إذا ترنم حادٍ خلفها طرب

إلى الوليد أبي العباس قد عجلت ... ودونه المعط من لبنان والكتب

أعطيتني مائةً صفراً مدامعها ... كالمخل زين أعلى نبته الشرب

يسوقها يافع جعد مفارقه ... مثل الغراب غزاه الصر والحلب

وذا سيبٍ صهيبياً له عرف ... وهامة ذات فرقٍ نابها صخب

لما أتيتك من نجد وساكنه ... نفحت لي نفحةً طارت بها العرب

إني امرؤ أعتفي الحاجات أطلبها ... كما اعتفي سنق يلقي له العشب

ولا ألح على الخلان أسألهم ... كما يلح بعظم القارب القتب

ولا أخادع ندماني لأخدعه ... عن ماله حين يسترخي به لبب

وأنت وابناك لم يوجد لكم مثل ... ثلاثة كلهم بالتاج معتصب

ألطيبون إذا طابت نفوسهم ... شوس الحواجب والأبصار إن غضبوا

قسني إلى شعراء الناس كلهم ... وادع الرواة إذا ما غب ما اجتلبوا

إني وإن قال أقوام مديحهم ... فأحسنوه وما مانوا وما كذبوا

أجري أمامهم جري امرئٍ فلجٍ ... عنانه حين يجري ليس يضطرب

وقال أيضاً:

لقد سبقتك اليوم عيناك سبقةً ... وأبكاك من عهد الشباب ملاعبه

وتذكار عيشٍ قد مضى ليس راجعاً ... لنا أبداً أو يرجع الدر حالبه

كأن فؤادي في يدٍ خبثت به ... محاذرةً أن يقضب الحبل قاضبه
وأشفق من وشك الفراق وإنني ... أظن لمحمول عليه فراكبه
فو الله ما أدرى أيغلبني الهوى ... إذا جد جد البين أم أنا غالبه
فإن أستطيع أغلب وإن يغلب الهوى ... فمثل الذي لاقيت يغلب صاحبه
وشعر ابن ميادة كثير اكتفينا بما ذكرناه منه

رؤبة بن العجاج

واسم العجاج عبد الله بن رؤبة بن أسد بن صخر بن كنيف بن عميرة يتصل نسبة بزيد بن مناة، الراجز المشهور من مخضرمي الدولتين ومن أعراب البصرة. سمع من أبي هريرة – رضي الله عنه – والنسابة البكري، وعداده في التابعين. وروى عنه أبو عبيدة معمر بن المثنى، والنضر بن شميلٍ وخلف الأحمر وغيرهم.
وله رجز مشهور مات في زمن المصور سنة خمسٍ وأربعين ومائةٍ. ومن رجزه:
إذا العجوز غضبت فطلق ... ولا ترضاها ولا تملق
واعمد لأخرى ذات دلٍ مونق ... لينة المس كمس الخرنق
إذا مضت مثل السياط المشق
ومنه وهو مشهور:
من يك ذا بتٍ فهذا بتى ... مقيظ مصيف مشتى
أخذته من نعجات ست
وله شعر قليل منه:
أيها الشامت المعير الشي ... ب أقلن بالشباب افتخارا
قد لبست الشباب غضا طريفاً ... فوجدت الشباب ثوباً معارا

باب الزاء

زاكي بن كامل بن علي

أبو الفضائل المعروف بالمهذب الهبتي القطيفي الملقب بأسير الهوى. كان أديباً فاضلاً شاعراً رقيق الشعر. مات سنة ستٍ وأربعين وخمسمائةٍ. ومن شعره:
عيناك لحظهما أمضى من القدر ... ومهجتي منهما أضحت على خطر
يا أحسن الناس لولا أنت أبخلهم ... ماذا يضرك لو متعت بالنظر؟
جد بالخيال وإن ضنت يداك به ... فقد حذرت وما وقيت من حذر
يا من تمكن في قلبي الغرام به ... لا تبتلي مقلتي بالدمع والسهر

زود بتوديعةٍ أو وقفةٍ فعسى ... تحيى بها نضو أشواقٍ على سفر

وقال:

أفعال ألحاظه المرضى الصحاح بنا ... أضعاف ما يفعل الصمصامة الذكر

عجبت من جفنة بالضعف منتصراً ... على القلوب ويقوى وهو منكسر

ومن لهيب خدودٍ كلما سقيت ... ماء الشباب بنار الحسن تستعر

إن مج في الشرق من فيه الرضاب ترى ... من عرف رياه أهل الغرب قد سكروا

شهود صدق غرامي فيك أربعة ... الوجد والدمع والأسقام والسهر

وقال:

سيدي ما عنك لي عوض ... طال بي في حبك المرض

كم بلا ذنبٍ تهددني ... فجفوني ليس تغتمض

أبغير الهجر تقتلني؟ ... لا أبالي، هجرك الغرض

ورضائي في رضاك فقل ... ما تشاء لست أعترض

أنت لي داء أموت به ... كم أداويه وينتقض

زائدة بن نعمة بن نعيم

أبو نعمة التتري المعروف بالمخفحف، كان شاعراً جيد الشعر نقي الألفاظ مختارها، رقيق المعاني، يمدح السادات وأهل البيوتات، لقيته بحلب سنة ثمانين وخمسمائةٍ، وتوفي سنة ست وثمانين وخمسمائة، ومن شعره:

أصبح الربع من سمية خالي ... غير هين وناشط وغوال

وثلاث كأنهن حمام ... في رمال وأشعث الرأس بال

هللته الرياح مما توالى ... نسجها بالغدو والآصال

من قبول ومن دبورٍ سنوجٍ ... وجنوبٍ ومن صباً وشمال

يجلب الغيث غير سيب حياه ... برسوم الديار والأطلال

كل نبتٍ من الربيع وزهرٍ ... مثل جيدٍ من العرائس حالي

وكذاك الذي عهدنا لديه ... في ظلال الخيام أو في الحجال

كل براقة الثنايا تراها ... برقيق الغروب عذبٍ زلال

وكأن الغمام من بعد وهنٍ ... مازجته بقرقفٍ جريال

كنت في عينها كمرود كحلٍ ... صرت في عينها كشوك السبال

حيث صار السواد مني بياضاً ... وتبدلت أرذل الإبدال

زبان بن العلاء

ابن عمار بن العريان بن عبد الله بن الحصين بن الحارث ابن جلهمة بن حجر بن خزاعة بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر بن معد بن عدنان، الإمام أبو عمرو بن العلاء التميمي المازني البصري أحد القراء السبعة. واختلف في اسمه على أحدٍ وعشرين قولاً، والصحيح أنه زبان لما روي أن الفرزدق جاء معتذراً إليه من أجل هجوٍ بلغه عنه، فقال له أبو عمروٍ:

هجوت زبان ثم جئت معتذراً ... من هجو زبان لم تهجو ولم تدع

ولد أبو عمروٍ بمكة سنة ثمانٍ أو خمسٍ وستين، ومات بالكوفة سنة أربعٍ وخمسين ومائةٍ، أخذ بمكة: والمدينة والكوفة والبصرة عن شيوخٍ كثيرةٍ منهم أنس بن مالكٍ، والحسن البصري، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد. وأخذ النحو عن نصر بن عاصمٍ الليثي، وأخذ عنه القراءة عرضاً وسماعاً جماعة كثيرون منهم: عبد الله ابن المبارك واليزيدي، وأخذ عنه النحو الخليل بن أحمد، ويونس بن حبيبٍ البصري، وأبو محمد اليزيدي، وأخذ عنه الأدب وغيره طائفة منهم: أبو عبيدة معمر ابن المثنى، والأصمعي، ومعاذ بن مسلمٍ النحوي وغيرهم. وروى عنه الحروف سيبويه، وكان أعلم الناس بالعربية والقرآن، وأيام العرب والشعر. وكان يونس بن حبيبٍ يقول: لو كان أحد ينبغي أن يؤخذ بقوله في كل شئ كان ينبغي أن يؤخذ بقول أبي عمرو بن العلاء، وقال أبو عبيدة: أبو عمروٍ أعلم الناس بالقراءات العربية وأيام العرب والشعر، وكانت دفاتره ملء بيته إلى السقف ثم تنسك فأحرقها، وأما حاله في أهل الحديث فقد وثقه يحيى بن معينٍ وغيره وقالوا: صدوق حدة في القراءة وله أخبار حسان، وروى عنه فوائد كثيرة يطول ذكرها.

الزبير بن كبار بن عبد الله

ابن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام، أبو عبد الله القرشي لأسدي، كان علامةً نسابةً أخبارياً وعلى كتابه في أنساب قريش الاعتماد في معرفة نساب القرشيين، أخذ عن سفيان بن عيينة وغيره، وروى عنه ابن ماجة وابن أبي الدنيا وغيرهما. وكان ثقةً من أوعية العلم ولا يلتفت لقول أحمد بن علي السلماني فيه: إنه منكر الحديث حدث موسى بن هارون قال: كنت بحضرة الأمير محمد بن عبد الله بن طاهر فاستأذن عليه الزبير بن بكارٍ، فلما دخل عليه أكرمه وعظمه وقال له: إن باعدت بيننا الأنساب فقد قربت بيننا الآداب، وإن أمير المؤمنين أمرني أن أدعوك وأقللك القضاء، فقال له الزبير بن بكارٍ: أبعد ما بلغت هذا السن ورويت أن من ولى القضاء فقد ذبح بغير سكينٍ أتولى القضاء؟ فقال له: فتلحق بأمير المؤمنين بسر من رأى فقال له: أفعل، فأرم له بعشرة آلاف درهمٍ وعشرة تخوت ثيابٍ وظهرٍ حمله ويحمل ثقله إلى حضرة سر من رأى، فلما أراد الانصراف قال له: إن رأيت يا أبا عبد الله أن تفيدنا شياً نرويه عنك ونذكرك به، قال نعم. انصرفت من عمرة المحرم فبينا أنا بأثاية العرج إذ أنا بجماعةٍ مجتمعةٍ فأقبلت إليهم، وإذا برجلٍ كان يقنص الظباء وقد وقع ظبي في حبالته، فذبحه فانتقض في يده فضرب بقرته صدره فنشب القرن فيه فمات، وإذا بفتاةٍ أقبلت كأنها الملهاة. فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت:

يا خشن لو بطل لكنه أجل ... على الأثاية ما أودى به البطل
يا خشن جمع أحشائي وأقلقها ... وذاك يا خشن لولا غيره جلل
أضحت فتاة بني نهدٍ علانيةً ... وبعلها في أكف القوم محتمل

وكنت راغبةً فيه أضن به ... فحال من دون ظبي الريمة الأجل

ثم شهقت فماتت، فما رأيت أعجب به من الثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل جريح ميت، والفتاة ميتة. فلما خرج قال الأمير محمد بن عبد الله: أي شيء أفدنا من الشيخ؟ قالوا: الأمير أعلم، قال: قوله:
أضحت فتاة بني نهدٍ علانية
أي ظاهرةً وهذا حرف لم أسمعه في كلام العرب قبل اليوم. ثم ولى الزبير بن بكارٍ قضاء مكة، ومات بها وهو قاض عليها ليلة الأحد لسبع بقين من ذي القعدة سنة ستٍ وخمسين ومائتين، وللزبير بن بكار من التصانيف: كتاب أنساب قريشٍ وأخبارها. وكتاب أخبار العرب وأيامها. وكتاب نوادر أخبار النسب. وكتاب الموفقيات في الأخبار، ألفه للموفق بالله، وكتاب مزاح النبي صلى الله عليه وسلم. وكتاب وفود النعمان على كسرى: وكتاب الأوس والخزرج. وكتاب النخل. قال ابن النديم: رأيته بخط ابن السكري، وكتاب نوادر المدنيين: وكتاب الاختلاف. وكتاب العقيق وأخباره. وكتاب إغارة كثير على الشعراء. وأخبار ابن ميادة. وأخبار ابن الدمينة. وأخبار ابن قيس الرقيات. وأخبار أبي دعبلٍ الجمحي. وأخبار أبي السائب. وأخبار الأشعث. وأخبار الأحوص. وأخبار ابن هرمة. وأخبار توبة بن الحمير وليلى الأخيلية وأخبار أمية بن أبي الصلت. وأخبار حاتمٍ. وأخبار حسانٍ، وأخبار جميل، وأخبار عبد الرحمن بن حسان وأخبار العرجي، وأخبار عمر بن أبي ربيعة، وأخبار كثيرٍ، وأخبار المجنون، وأخبار نصيبٍ، وأخبار هدبة ابن الخشرم، وأخبار زيادٍ وغير ذلك.

زند بن الجون

المعروف بأبي دلامة الكوفي، أسود، من موالي بني أسدٍ، أدرك آخر أيام بني أمية، ونبغ في أيام بني العباس، وانقطع إلى السفاح والمنصور والمهدي، ومات في خلافة المهدي سنة إحدى وستين ومائتين. وله مع الخلفاء والأمراء أخبار كثيرة ونوادر جمة، فمن ذلك أنا أبا جعفر المنصور أمر أصحابه بلبس السواد وقلانس طوال، ودراريع كتب عليها: (فسيكفيكم الله وهو السميع العليم). وأن يعلقوا السيوف في المناطق، فدخل عليه أبو دلامة في هذا الزي، فقال له المنصور: كيف أصبحت يا أبا دلامة؟ قال: بشر حالٍ يا أمير المؤمنين، قال: كيف ذلك ويلك؟ قال: وما ظنك يا أمير المؤمنين بمن أصبح وجهه في وسطه، وسيفه على استه، ونبذ كتاب الله وراء ظهره، وصبغ بالسواد ثيابه، فضحك المنصور ووصله، وأمر بتغيير ذلك الزي، وفي ذلك يقول أبو دلامة:
وكنا نرجى من إمامٍ زيادةً ... فجاد بطولٍ زاده في القلانس
نراها على هام الرجال كأنها ... دنان يهودٍ جللت بالبرانس

وخرج أبو دلامة مع روح بن حاتمٍ المهلبي في بعث لقتال الشراة، فلما نشبت الحرب أمره روح بمبارزة فارس من الشراة يدعو إلى البراز، فقال أبو دلامة:

أني أعوذ بروحٍ أن يقدمني ... إلى البراز فتخزي بي بنو أسد

إن البراز إلى الأقران أعلمه ... مما يفرق بين الروح والجسد

قد خالفتك المنايا إن صمدت لها ... وإنها لجميع الخلق بالرصد

إن المهلب حب الموت أورثكم ... وما ورثت اختيار الموت عن أحد

لو أن لي مهجةً أخرى لجدت بها ... لكنها خلقت فرداً فلم أجد

فضحك منه روح وأعفاه. ولأبي دلامة شعر كثير كله جيد وفيما أوردناه منه كفاية.

زياد بن سلمى

أبن عبد القيس، أبو أمامة العبدي، المعروف بزيادٍ الأعجم، مولى عبد القيس، قيل له الأعجم للكنةٍ كانت فيه. أدرك أبا موسى الأشعري وعثمان بن أبي العاص، وشهد معهما فتح إصطخر. عده ابن سلامٍ في الطبقة السادسة من شعراء الإسلام، وهم الفرزدق بهجاء عبد القيس، فأرسل إليه زياد: لا تعجل حتى أهدي إليك هديةً، فبعث إليه:

فما ترك الهاجون لي إن هجوته ... مصحاً أراه في أديم الفرزدق

وما تركوا عظماً يرى تحت لحمه ... لكاسره أبقوه للمتعرق

سأكسر ما أبقوه لي من عظامه ... وأنكت مخ الساق منه وأنتفى

وإنا وما تهدي لنا إن هجوتنا ... لكالبحر مهما يلق في البحر يغرق

فلما بلغ الفرزدق الشعر قال: ما إلى هجاء هؤلاء من سبيلٍ ما عاش هذا العبد.

ودخل زياد على عبد الله بن جعفر فسأله في خمس دياتٍ فأعطاه، ثم عاد فسأله في خمس دياتٍ أخر فأعطاه، ثم عاد فسأله في عشر دياتٍ فأعطاه، فأنشأ يقول:

سألناه الجزيل فما تلكا ... وأعطى فوق منيتنا وزادا

وأحسن ثم أحسن ثم عدنا ... فأحسن ثم عدت له فعادا

مراراً لا أعود إليه إلا ... تبسم ضاحكاً وثنى الوسادا

وقال يرثي المغيرة بن المهلب:

إن السماحة والمروءة ضمنا ... قبراً بمرو على الطريق الواضح

مات المغيرة بعد طول تعرضٍ ... للموت بين أسنةٍ وصفائح

فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الهجان وكل طرفٍ سابح

وانضح جوانب قبره بدمائها ... فلقد يكون أخا دمٍ وذبائح

وهي من أحسن المراثي. توفي زياد في حدود المائة.

زيد بن الحسن

ابن زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن بن سعيد بن عصمة بن حمير بن الحارث ذي رعينٍ، تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي ثم الدمشقي النحوي، اللغوي المقرئ المحدث. ولد ببغداد سنة عشرين وخمسمائةٍ. وتوفي بدمشق سنة سبع وتسعين وخمسمائة. قرأ النحو على أبي محمدٍ سبط أبي منصورٍ الخياط، وعلى أبي السعادات هبة الله بن الشجري وابن الخشاب، واللغة على أبي منصورٍ موهوبٍ الجواليقي، ومع الحديث من ابن عبد الباقي وآخرين. قدم دمشق فتقدم فيها وتصدر وازدحم عليه الطلاب، وانتقل من مذهب الحنابلة إلى مذهب الحنفية، فنوغل فيه وأفتى واستوزره فروخ شاه، ثم اتصل بأخيه صاحب حماة. واختص به وقرأ عليه الملك المعظم عيسى العربية، فأقرأه كتاب سيبويه والإيضاح لأبي علي الفارسي، وشرح سيبويه لابن درستويه. وقرأ عليه جماعة القراءة والنحو واللغة. وكتب الخط المنسوب وكانت له خزانة كتب جليلة في جامع بني أمية. وله تعليقات على ديوان المتنبي وأخرى على خطب ابن نباتة وكتاب نتف اللحية من ابن دحية رد فيه على ابن دحية الكلبي في كتابه الذي سماه الصارم الهندي في الرد على الكندي، وكتاب في الفرق بين قول القائل طلقتك إن دخلت الدار وبين إن دخلت الدار طلقتك، ألفه جواباً لسؤالٍ ورد عليه، وله غير ذلك: ومن شعره:

لامني في اختصار كتبي حبيب ... فرقت بينه الليالي وبيني
ليتني قد أطلت لكن عذرى ... فيه أن المداد إنسان عيني

زيد بن الحسن

الأحاظي التميمي، أديب شاعر كان بعد الخمسمائة، ومن شعره قوله في سلطان شاحط من بلاد اليمن:

قالوا لنا السلطان في شاحطٍ ... يأتي الزما من موضع الغائط
قلت هل السلطان من فوقه ... قالوا بل السلطان من هابط؟

زيد بن علي

ابن عبد الله أبو القاسم الفارسي الفسوي، كان علامةً فاضلاً نحوياً لغوياً مشاركاً في عدة علومٍ، أخذ النحو عن أبي الحسين ابن أخت أبي عليٍ الفارسي، وروى عنه الإيضاح لخاله، وقرأ على الشريف أبي البركات عمر بن إبراهيم الكوفي، وأخذ الحديث عن أبي ذرٍ الهروي وغيره، وأقرأ العربية بحلب ودمشق، وله شرح الإيضاح في النحو لأبي عليٍ الفارسي، وشرح الحماسة لأبي تمامٍ وغير ذلك. مات بطرابلس في ذي الحجة سنة سبعٍ وستين وأربعمائة.

باب السين

سالم بن أحمد

ابن سالمٍ شيخنا أبو المرجي بن أبي الصقر التميمي الحاجب المعروف بالمنتخب، النحوي العروضي البغدادي، كان أديباً فاضلاً نحوياً منفرداً بالعروض، سمع صحيح مسلمٍ من المؤيد الطوسي، وكان محبوباً حسن الأخلاق. قرأت عليه العربية والعروض ببغداد، وله أرجوزة في النحو، وكتاب في العروض، وكتاب في القوافي، وكتاب في صناعة الشعر وغير ذلك. مات ببغداد يوم الأحد خامس ذي القعدة سنة إحدى عشرة وستمائةٍ.

السائب بن فروخ

أبو العباس الضرير المكي الشاعر، مولى بني جذيمة ابن عدي بن الديل. سمع عبد الله بن عمرو بن العاص، وروى عنه عطاء وحبيب بن أبي ثابتٍ وعمرو بن دينار ووثقه أحمد، وروى له البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة، وكان منحرفاً عن آل أبي طالبٍ مائلاً إلى بني أمية مادحاً لهم، وهو القائل لأبي الطفيل عامر بن واثلة وكان شيعياً:

لعمرك إنني وأبا طفيل ... لمختلفان والله الشهيد

لقد ضلوا بحب أبي تراب ... كما ضلت عن الحق اليهود

وهو القال رثى بني أميةً عند انقضاء دولتهم:

أمست نساء بني أمية أيماً ... وبناتهم بمضيعةٍ أيتام

نامت جدودهم وأسقط نجمهم ... والنجم يسقط والجدود تنام

خلت المنابر والأسرة منهم ... فعليهم حتى الممات سلام

توفي أبو العباس الأعمى بعد سنة ستٍ وثلاثين ومائةٍ.

سحيم بن حفص

أبو اليقظان الأخباري النسابة. توفي سنة تسعين ومائةٍ، ذكره ابن النديم وذكر له من المصنفات: كتاب أخبار تميمٍ، كتاب حلق تميمٍ بعضها بعضاً، كتاب نسب خندفٍ وأخبارها، كتاب النسب الكثير كتاب النوادر.

سراج بن عبد الملك بن سراج

أبو الحسين بن أبي مروان النحوي اللغوي الأخباري الأديب الشاعر، كان عالم الأندلس في وقته، كان يجتمع

إليه مهرة النحاة كابن الأبرش وابن البادش ومن في طبقتهما يتلقون عنه لوقوفه على دقائق النحو ولغات العرب وأشعارها وأخبارها، روى عنه القاضي عياض وابن خيرة وغيرهما. ومن شعره:

بث الصنائع لا تحفل بموقعها ... في آملٍ شكر المعروف أو كفرا

كالغيث ليس يبالي حينما انكسبت ... منها الغمائم تراباً كان أو حجرا

مات ابن أبي مروان سنة ثمانٍ وخمسمائة.

السري بن أحمد بن السري

أبو الحسن الكندي المعروف بالسري الرفاء الموصلي الشاعر المشهور. أسلمه أبوه صبياً للرفائين بالوصل فكان يرفو ويطرز، وكان مع ذلك ينظم الشعر ويجيد فيه. كتب إليه في ذلك الحال صديق له يسأل عن خبره وحاله في حرفته فكتب إليه:

يكفيك من جملة أخباري ... يسري من الحب وإعساري

في سوقةٍ أفضلهم مرتدٍ ... نقصاً ففضلي بينهم عاري

وكانت الإبرة فيما مضى ... صائنةً وجهي وأشعاري

فأصبح الرزق بها ضيقاً ... كأنه من ثقبها جاري

فلما جاد شعره انتقل من حرفة الرفو إلى حرفة الأدب، واشتغل بالوراقة فكان ينسخ ديوان شعر كشاجم وكان مغري به، وكان يدس فيما يكتبه منه أحسن شعر الخالديين ليزيد في حجم ما ينسخه وينفق سوقه، ويشنع بذلك على الخالديين لعداوةٍ كانت بينه وبينهما فكان يدعى عليهما سرقة شعره وشعر غره، فكان فيما يدسه من شعرهما في ديوان كشاجم، يتوخى اثبات مدعاة، ولم يزل السرى في ضنكٍ من العيش إلى أن خرج إلى حلب واتصل بسيف الدولة ومدحه وأقام بحضرته فاشتهر وبعد صيته، ونفق سوق شعره عند أمراء بني حمدان ورؤساء الشام والعراق، ولما مات سيف الدولة انتقل السري إلى بغداد ومدح الوزير المهلبي وغيره من الأعيان والصدور فارتفق وارتزق، وحسنت حاله وسار شعره في الآفاق، وللسري تصانيف منها: كتاب الديرة، وكتاب المحب والمحبوب. والمشموم والمشروب وديوان شعرٍ يدخل في مجلدين. وكانت وفاته ببغداد سنة اثنتين وستين وثلاثمائةٍ. ومن مدائحه لسيف الدولة قوله:

أعزمتك الشهاب أم النهار ... وراحتك السحاب أم البحار؟؟

خلقت منيةً ومنىً وتضحى ... تمور بك البسيطة أو تمار

تحلى الدين أو تحمى حماه ... فأنت عليه سور أو سوار

ومنها:

حضرنا والملوك له قيام ... تغض نواظراً فيها انكسار

وزرنا منه ليث الغاب طلقاً ... ولم نر قبله ليثاً يزار

فعشت مخيراً لك في الأماني ... وكان على العدو لك الخيار

وضيفك للحيا المنهل ضف ... وجارك للربيع الطلق جار

ومن غرر شعره في الغزل قوله.

بلاني الحب فيك بما بلاني ... فشأني أن تفيض غروب شاني

أبيت الليل مرتقباً أناجي ... بصدق الوجد كاذبة ذ

فتشهد لي على الأرق الثريا ... ويعلم ما أجن الفرقدان

إذا دنت الخيام به فأهلاً ... بذاك الخيم والخيم الدواني

فبين سجوفها أقمار تمٍ ... وبين عمادها أغصان بان

ومذهبة الخدود بجلنارٍ ... مفضضة الثغور بأقحوان

سقانا الله من ريك ريا ... وحيانا بأوجهك الحسان

ستصرف طاعتي عمن نهاني ... دموع فيك تلحى من لحاني

ولم أجهل نصيحته ولكن ... جنون الحب أحلى في جناني

فيا ولع العواذل خل عني ... ويا كف الغرام خذي عناني

وقال في الورد:

لو رحبت كأس بذي زورةٍ ... لرحبت بالورد إذ زارها

جاء فخلناها خدوداً بدت ... مضرمةً من خجل نارها

وعطر الدنيا فطابت به ... لا عدمت دنياه عطارها

وقال:

وروضةٍ بات طل الغيث ينسجها ... حتى إذا نسجت أضحى يديجها

إذا تنفس فيه ريح نرجسها ... ناغى جنى خزاماها بنفسجها

أقول فيها لساقينا وفي يده ... كأس كشعلة نارٍ إذ يؤججها

لا تمزجنها بغير الريق منك وإن ... تبخل بذاك فدمعي سوف يمزجها

أقل ما بي من حييك أن يدي ... إذا دنت من فؤادي كان ينضجها

سعدان بن المبارك

أبو عثمان الضرير النحوي الراوية مولى عاتكة مولاة المهدي امرأة المعلى بن طريفٍ الذي ينسب إليه نهر المعلى ببغداد. كان من رواة العلم والأدب كوفي المذهب. روى عن أبي عبيدة معمر بن المثنى، وروى عنه محمد بن الحسن بن دينارٍ الهاشمي. وله من المصنفات: كتاب النقائض، وكتاب الأمثال. مات سنة عشرين ومائتين.

سعد بن أحمد بن مكي

النيلي المؤدب الشيعي. كان نحوياً فاضلاً عالماً بالأدب مغالياً في التشيع، له شعر جيد أكثره في مديح أهل البيت، وله غزل رقيق. مات سنة خمسٍ وستين وخمسمائةٍ وقد ناهز المائة. ومن شعره:

قمر أقام قيامتي بقوامه ... لم لا يجود لمهجتي بذمامه؟

ملكته كبدي فأتلف مهجتي ... بجمال بهجته وحسن كلامه

وبمبسمٍ عذبٍ كأن رضابة ... شهد مذاب في عبير مدامه

وبناظرٍ غنجٍ وطرفٍ أحورٍ ... صمى القلوب إذا رمى بسهامه

وكأن خط عذاره في خده ... شمس تجلت وهي تحت لثامه

فالصبح يسفر من ضياء جبينه ... والليل يقبل من أثيث ظلامه

والظبي ليس لحاظه كلحاظه ... والغصن ليس قوامه كقوامه

قمر كأن الحسن يعشق بعضه ... بعضاً فساعده على قسامه

فالحسن من تلقائه وورائه ... ويمينه وشماله وأمامه

ويكاد من ترفٍ لرقة خصره ... ينقد بالأرداف عند قيامه

سعد بن الحسن بن سليمان

أبو محمد النوراني الحراني النحوي الأديب الشاعر، كان تاجراً يسافر إلى الشام والعراق ومصر وخراسان، وسكن بغداد مرةً وأخذ فيها عن أبي منصورٍ موهوبٍ الجواليقي وغيره، وكان عارفاً بالنحو جيد النظم والنثر. مات سنة ثمانين وخمسمائةٍ ومن شعره.

ولست كمن أخنى عليه زمانه ... فظل على أحداثه يتعتب

تلذ له الشكوى وإن لم يجد بها ... شفاءً كما يلتذ بالحك أجرب

وقال:

جاءت تسائل عن ليلى فقلت لها ... وصورة الهم تمحو صورة الجذل

ليلى بكفك بأغنى عن سؤالك لي ... إن بنت طال وإن واصلت لم يطل

سعد بن الحسن بن شداد

أبو عثمان المعروف بالناجم، كان أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً، وكان بينه وبين ابن الرومي صحبة ومودة ومخاطبات توفي سنة أربع عشرة وثلاثمائةٍ ومن شعره:

شدو ألد من ابتدا ... ء العين في إغفائها

أحلى وأشهى من منى ... نفسٍ ونيل رجائها

وقال:

علمي بأنك جاهل ... هو جنة لك من غيابي

والصمت عنك وصرم حب ... لى منك أبلغ من عتابي

وجواب مثلك أن يقا ... بل بالسكوت عن الجواب

ما زلت أعلم عن كلا ... ب الناس فعل أخي اجتناب

وأبيحهم صفح الذنوب ... فكيف عن كلب الكلاب؟

وقال:

لئن كان عن عيني أحمد غائباً ... فما هو عن عين الضمير بغائب

له صورة في القلب لم يقصها النوى ... ولم تتخطفها أكف النوائب

إذا ساءني منه نزوح دياره ... وضاقت علي في نواه مذاهبي

عطفت على شخصٍ له غير نازحٍ ... محلته بين الحشا والترائب

وقال:

قالوا اشتكت وجننتا وجهه ... قلت لهم أحسن ما كان

حمرة ورد الخد أعدتهما ... والصبغ قد ينفذ أحيانا

سعد بن علي بن القاسم

ابن علي بن القاسم، أبو المعالي الأنصاري الحظيري ثم البغدادي المعروف بالوراق دلال الكتب، كان أديباً فاضلاً شاعراً رقيق الشعر، وله مصنفات منها: زينة الدهر وعصرة أهل العصر في ذكر لطائف شعراء العصر، ذيل به دمية القصر للباخرزي الذي جعله ذيلاً على يتيمة الدهر للثعالبي، وله كتاب لمح الملح، وديوان الشعر توفي ببغداد يوم الاثنين خامس عشر من صفرٍ سنة ثمانٍ وستين وخمسمائةٍ، ومن شعره:

اشرب على طرب من كف ذي طربٍ ... قد قام في طربٍ يسعى إلى طرب

من خندريسٍ كعين الديك صافيةٍ ... و ما تخيرها كسرى من العنب

فالراح من ذهبٍ والكأس من ذهبٍ ... يا من رأى ذهباً يسقي على ذهب!

وقال:

ومعذرٍ في خده ... ورد وفي فمه مدام

ما لان لي حتى تغ ... شى صبح طلعته ظلام

كالمهر يجمح تحت را ... كبه ويعطفه اللجام

وقال:

وددت من الشوق المبرح أنني ... أعار جناحي طائرٍ فأطير

فما لنعيمٍ لست به لذاذة ... ولا لسرورٍ لست فيه سرور

وقال.

قل لمن عاب شامةً لحبيبي ... دون فيه دع الملامة فيه

إنما الشامة التي قلت عنها ... فص فيروزجٍ بخاتم فيه

سعد بن محمد بن علي

ابن الحسن بن سعيد بن مطر بن مالك بن الحارث ابن سنان الأزدي أبو طالبٍ المعروف بالوحيد البغدادي، كان عالماً بالنحو واللغة والعروض بارعاً في الأدب، أخذ عنه أبو غالب بن بشران النجوى وغيره، وله شرح ديوان المتنبي. مات سنة خمسٍ وثمانين وثلاثمائةٍ. ومن شعره:

ليس الأديب أخا الروا ... ية للنوادر والغريب

ولشعر شيخ المحدثي ... ن أبي نواسٍ أو حبيب

بل ذو التفضل والمرو ... ءة والعفاف هو الأديب

وقال:

لو تجلى لي الزمان للاقى ... مسمعيه مني عتاب طويل

إنما نكثر الملامة للده ... ر لأن الكرام فيه قليل

سعد بن محمد بن سعد

ابن الصيفي التميمي، شهاب الدين أبو الفوارس، المعروف بحيص بيص، الفقيه الأديب الشاعر، كان من أعلم الناس بأخبارالعرب ولغاتهم وأشعارهم، أخذ عنه الحافظ أبو سعدٍ السمعاني وقرأ عليه ديوان شعره وديوان رسائله، وذكره في ذيل مدينة السلام وأثنى عليه، وأخذ الناس عنه علماً وأدباً كثيراً، وكان لا يخاطب أحداً إلا بكلام مغربٍ، وإنما قيل له حيص بيص، لأنه رأى الناس يوماً في أمر شديدٍ، فقال: ما للناس في حيص بيص، فبقي عليه هذا اللقب.

مات ليلة الأربعاء سادس شعبان سنة أربعٍ وسبعين وخمسمائةٍ ببغداد، ومن تقعر الحيص بيص في كتابته: ما حدث به بعض أصحابه أنه نقه من مرضٍ فوصف له صاحبه هبة الله البغدادي الطبيب أكل الدراج فمضى غلامه واشترى دراجاً واجتازعلي باب أميرٍ وغلمانه بالعيون، فخطف أحدهم الدراج فأتى الغلام الحيص بيص وأخبره الخبر فقال له: ائتني بدواةٍ وقرطاسٍ فأتاه بهما فكتب إلى ذلك الأمير: لو كان مبتر دراجةٍ فتخاءٍ كاسرٍ وقف بها السغب بين التدويم والتمطر فهي تعقى وتسف وكان بحيث تنقل أخفاف الإبل لوجب الإغذاذ إلى نصرته، فكيف وهو يحبوحة كرمك والسلام. ثم قال لغلامه: امض بها وأحسن السفارة بإيصالها للأمير، فمضى بها ودفعها للحاجب فدعا الأمير بكاتبه وناوله الرقعة فقرأها ثم فكر ليعبر له عن المعنى فقال له الأمير: ما هو؟ فقال: مضمون الكلام أن غلاماً من غلمان الأمر أخذ دراجاً من غلامه. فقال: اشتر له قفصاً مملوءاً دراجاً واحمله إليه ففعل.

وكتب إلى أمين الدولة ابن التلميذ يطلب منه شياف أبارٍ. أزكنك أيها الطب اللب الآسى النطاسي النفيس النقريس، أرجنت عندك أم خنورٍ، وسكعت عنك أم هوبرٍ، أني مستأخذ أشعر في حنادري رطباً ليس كلب شبوةٍ ولا كنخر المنصحة ولا كنكر الحضب بل كسفع الزخيخ، فأنا من التباشير إلى الغباشير، لا أعرف ابن سميرٍ من ابن جميرٍ، ولا أحس صفوان من همام، بل آونةً أرجحن شاصباً وفينةً أحنبطي مقلولياً وتارةً أعرنزم، وطوراً أسلنقي، كل ذلك مع أخٍ وأخٍ، وتهم قرونتي أن أرفع عقيرتي بعاط عاطٍ إلى هياطٍ، ومياطٍ وهالى أول وأهون، وجبار ودبار ومؤنس وعروبة وشيار، ولا أحيص ولا أليص، ولا أغر ندي ولا أسرندي، فبادرني بشياف الأبار، النافع لعلتي النافع لغلتي.

فلما قرأ أمين الدولة رقعته نهض لوقته وأخذ حفنة شياف أبارٍ، وقال لبعض أصحابه: أوصلها إليه عاجلاً ولا تتكلف قراءة ورقةٍ ثانيةٍ.

ومن شعره يمدح المقتفي لأمر الله:

ماذا أقول إذا الرواة ترنموا ... بفصيح شعري في الإمام العادل

واستحسن الفصحاء شأن قصيدةٍ ... لأجل ممدوحٍ وأفصح قائل

وترنحت أعطافهم فكأنما ... في كل قافيةٍ سلافة بابل

ثم انثنوا غب القريض وصنعه ... يتساءلون عن الندى والنائل

هب يا أمير المؤمنين بأنني ... فس الفصاحة ما جواب السائل؟

ودخل ابن القطان يوماً على الوزير الزينبي وعنده الحيص بيص فقال: قد عملت بيتين هما نسيج وحده، وأنشد:

زار الخيال بخيلاً مثل مرسله ... فما شفاني منه الضم والقبل

ما زارني قط إلا كي يوافيني ... على الرقاد فينفيه ويرتحل

فقال الوزير للحيص بيص ما: تقول في دعواه؟ هذه فقال: إن أنشدهما ثانيةً سمع لهما ثالثاً، فأنشدهما فقال الحيص بيص:

وما درى أن نومي حيلة نصبت ... لطيفه حين أعيا اليقظة الحيل؟

وحدث نصر الله بن مجلي قال: رأيت في المنام علي ابن أبي طالبٍ – رضي الله عنه – فقلت له يا أمير المؤمنين: تفتحون مكة فتقولون: من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف ماتم؟ فقال: أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا؟ قلت لا، فقال اسمعا منه. فلما استيقظت بادرت إلى دار الحيص بيص، فخرج إلى فذكرت له الرؤيا فأجهش بالبكاء وحلف بالله أنه ما سمعها منه أحد وأنه نظمها في ليلته هذه ثم أنشدني:

ملكنا فكان العفو منا سجيةً ... فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتم قتل الأسارى وطالما ... غدونا عن الأسرى نعف وتصفح

فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

ومن شعره أيضاً:

ألعين تبدي الذي في قلب صاحبها ... من الشناءة أو حبٍ إذا كانا
إن البغيض له عين تكشفه ... لا تستطيع لما في القلب كتمانا
فالعين تنطق والأفواه صامتة ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

سعد بن هاشم بن سعيد

وينتهي نسبه إلى عبد القيس، أبو عثمان الخالدي البصري، كان وأخوه أبو بكرٍ أديبي البصرة وشاعريها في وقتهما، وكان بينهما وبين السري الرفاء الموصلي ما يكون بين المتعاصرين من التغاير والتضاغن، فكان يدعي عليهما سرقة شعره وشعر غيره ويدس شعرهما في ديوان كشاجم ليثبت مدعاه كما بينا ذلك في ترجمة السري. وقال ابن النديم: قال لي الخالدي وقد تعجبت من كثرة حفظه: أنا أحفظ ألف سفرٍ كل سفرٍ مائة ورقةٍ، وكان هو وأخوه مع ذلك إذا استحسنا شيئاً غصباه صاحبه حياً كان أو ميتاً لا عجزاً منهما عن قول الشعر، ولكن كذا كان طبعهما، وكلام ابن النديم هذا فيه موافقة للسري الرفاء أو مجاراة له والله أعلم. ثم قال ابن النديم: وقد عمل أبو عثمان شعره وشعر أخيه قبل موته، وله تصانيف: منها حماسة شعر المحدثين وغير ذلك. توفي أبو عثمان سنة إحدى وسبعين وثلاثمائةٍ، ومن شعره:

يا قضيباً يميس تحت هلالٍ ... وهلالاً يرنو يعيني غزال
منك يا شمسنا تعلمت الشم ... س دنو السنا وبعد المنال

وقال:

هتف الصبح بالدجى فاسقنيها ... فهوةً تترك الحليم سفيها

لست تدري لرقةٍ وصفاءٍ ... هي في كأسها أم الكأس فيها؟

وقال:

بغداد قد صار خيرها شراً ... صيرها الله مثل سامرا
أطلب وفتش واحرص فلست ترى ... في أهلها حرةً ولا حرا

وقال:

فهاتها كالعروس قانية ال ... خدين في معجزٍ من الحبب
كادت تكون الهواء في أرج ال ... عنبر لو لم تكن من العنب
فلو ترى الكاس حين تمزجها ... رأيت شيئاً من أعجب العجب
نار حواها الزجاج يلهبها ال ... ماء ودر يدور في لهب

وقال:

يا راقداً عارياً من ثوب أسقامي ... هب الرقاد لعينٍ جفنها دامي
لا خلص الله قلبي من يدي رشأٍ ... رؤيا رجائي له أضغاث أحلام

وقال:

أما ترى الغيم يا من قلبه قاسى ... كأنه أنا مقياساً بمقياس
قطر كدمعي وبرق مثل نار جوىً ... في القلب مني وريح مثل أنفاسي

سعيد بن الحكم

أبو عبد الله بن أبي مريم النسابة: ذكره ابن النديم وقال: له من التصانيف كتاب المآثر. وكتاب النسب. وكتاب نواقل العرب.

سعيد بن أوس بن ثابت

ابن بشير بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج أبو زيدٍ الأنصاري الخزرجي البصري النحوي اللغوي الإمام الأديب، وإنما غلبت عليه اللغة والغريب والنوادر فانفرد بذلك. أخذ عن أبي عمرو بن العلاء، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلامٍ وعمرو بن عبيدٍ وأبو العيناء، وأبو حاتمٍ السجستاني وعمر ابن شبة، ورؤبة بن العجاج وغيرهم، وروى الحديث عن ابن عونٍ وجماعةٍ، وكان ثقةً ثبتاً، قرأ عليه خلف البزار وكان يرمي بالقدر، ولكن دفع ذلك عنه أبو حاتمٍ وقال: هو صدوق، وروى الحسين بن الحسن الرازي عن ابن معين أنه صدوق، ووثقه خزرة وغيره. ولينه ابن حيان لأنه وهم في سند حديث (أسفروا بالفجر)، وروى له أبو داود في سننه والترمذي في جامعه.
وكان سفيان الثوري يقول: قال لي ابن مناذر: أصف لك أصحابك؟ أما الأصمعي فأحفظ الناس، وأما أبو عبيدة فأجمعهم، وأما أبو زيدٍ الأنصاري فأوثقهم، وقال صالح بن محمدٍ: أبو زيدٍ النحوي ثقة.
ويروى عن أبي عبيدة والأصمعي أنهما سئلا عن أبي زيدٍ الأنصاري فقالاً: ما شئت من عفاف وتقوى وإسلامٍ، وكان سيبويه إذا قال سمعت الثقة يريد به أبا زيدٍ الأنصاري، وقال المبرد: كان أبو زيدٍ عالماً بالنحو ولم يكن مثل الخليل وسيبويه، وكان يونس من باب أبي زيدٍ في العلم واللغات، وكان أعلم من أبي زيدٍ بالنحو، وأبو زيد أعلم من الأصمعي وأبي عبيدة بالنحو.
وقال أبو عثمان المازني: كنا عند أبي زيدٍ فجاء الأصمعي وأكب على رأسه يقبلها وجلس وقال: هذا عالمنا ومعلمنا منذ عشرين سنة. توفي أبو زيد بالبصرة سنة خمس عشرة ومائتين في خلافة المأمون وقد جاوز التسعين. وله من التصانيف: كتاب الإبل والشاء، وكتاب إيمان عثمان، وكتاب بيوتات العرب، وكتاب تخفيف الهمزة، وكتاب الجمع والتثنية، وكتاب حيلة ومحالةٍ، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الجود والبخل، وكتاب الأمثال، وكتاب الحلبة، وكتاب التضارب، وكتاب التثليث، وكتاب الغرائز، وكتاب غريب الأسماء، وكتاب الفرق، وكتاب فعلت وأفعلت، وكتاب قراءة أبي عمرٍ، وكتاب القوس والترس، وكتاب اللامات، وكتاب اللغات، وكتاب اللبن، وكتاب المطر، وكتاب المياه، وكتاب المقتضب وكتاب المصادر، وكتاب المكتوم، وكتاب المنطق، وكتاب النبات والشجر، وكتاب النوادر، وكتاب الهمزة، وكتاب الوحوش وغير ذلك.

سعيد بن سعيد

الفارقي أبو القاسم النحوي. أخذ عن الربعي وابن خالويه، وكان بارعاً في العربية أديباً فاضلاً، له تصانيف منها: كتاب تقسيمات العوامل وعللها، وكتاب تفسير المسائل المشكلة في أول المقتضب للمبرد وغير ذلك. مات مقتولاً بالقاهرة عند بستان الخندق يوم الجمعة لسبع بقين من جمادى الأولى سنة إحدى وتسعين وثلاثمائةٍ. ومن شعره:

من آنسته البلاد لم يرم ... منها ومن أوحشته لم يقم

ومن يبث والهموم قادحة ... في صدره بالزناد لم ينم

سعيد بن عبد العزيز

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

ابن عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عبد المؤمن بن طيفور أبو سهلٍ النيلي. كان أديباً شاعراً نحوياً فقيهاً طبيباً عالماً بصناعة الطب. وله من التصانيف: اختصار كتاب المسائل لحنينٍ، وتلخيص شرح فصول بقراط لجالينوس مع نكتٍ من شرح أبي بكر الرازي وغير ذلك. مات سنة عشرين وأربعمائةٍ ومن شعره:

يا مفدي العذار والجد والقد ... بنفسي وما أراها كثيرا
ومعيري من سقم عينيه سقماً ... دمت مضنىً به ودمت معيرا
اسقني الراح تشف لوعة قلبٍ ... بات مذ بنت للهموم سميرا
هي في الكأس خمرة فإذا ما ... أفرغت في الحشا استحالت سرورا

سعيد بن الفرج

أبو عثمان الرشاشي مولى بني أمية، كان أديباً فاضلاً عالماً باللغة والشعر، وكان يحفظ أربعة آلاف أرجوزة للعرب، ويضرب المثل بفصاحته، إلا أنه كان كثير التقعر في كلامه، رحل إلى المشرق ودخل بغداد ومصر فأقام بها مدةً. توفي سنة اثنتين وسبعين ومائتين.

سعيد بن المبارك

ابن علي بن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر ابن عاصم بن عباد بن عاصمٍ، وينتهي نسبه إلى كعب ابن عمروٍ الأنصاري أبو محمدٍ المعروف بابن الدهان النحوي، كان من أعيان النحاة وأفاضل اللغويين، أخذ عن الرماني اللغة والعربية، وسمع الحديث من أبي غالبٍ أحمد بن البناء، وأبي القاسم هبة الله بن محمد بن الحصين وغيرهما، وأخذ عنه الخطيب التبريزي وجماعته، ولد سنة أربعٍ وتسعين وأربعمائةٍ، بنهر طابقٍ، وتوفي بالموصل ليلة عيد الفطر سنة تسعٍ وستين وخمسمائةٍ، وله تصانيف منها: تفسير القرآن أربع مجلداتٍ، وشرح الإيضاح لأبي علي الفارسي في أربعين مجلدةً، وشرح اللمع في العربية لابن جني سماه الغرة، وكتاب الأضداد وإزالة المراء في الغين والراء، وكتاب الدروس في النحو، وكتاب الدروس في العروض، وكتاب الرياضة، وكتاب الضاد والظاء وسماه الغنية، وكتاب المعقود في المقصور والممدود، وتفسير الفاتحة، وتفسير سورة الإخلاص، والفصول في النحو، والمختصر في القوافي، وشرح بيتٍ من شعر الملك الصالح بن رزيك في عشرين كراسةٍ، والنكت والإشارات على ألسنة الحيوانات، وديوان شعرٍ، وديوان رسائل.

وكان مع سعة علمه سقيم الحظ كبير الغلط، وهذا عجيب منه، وخرج من بغداد إلى دمشق فاجتازعلى الموصل وبها وزيرها الجواد المشهور فارتبطه وصدره وغرقت كتبه في بغداد وهو غائب فحملت إليه فبخرها باللادن ليقطع الرائحة الرديئة عنها إلى أن بخرها بنحو ثلاثين رطلاً، فطلع ذلك إلى رأسه وعينه فأحدث له

العمى. ومن شعره:

لا تحسبن أن بالكت ... ب مثلنا ستصير

فللدجاجة ريش ... لكنها لا تطير

وقال:

وأخٍ رخصت عليه حتى ملني ... والشيء مملول إذا ما يرخص

ما في زمانك من يعز وجوده ... إن رمته إلا صديق مخلص

سعيد بن محمد بن جريج

أبو عقالٍ القيرواني الكاتب الأديب. كاتب القاضي سليمان بن عمران قاضي إفريقية. مات سنة تسعٍ وسبعين ومائتين، ومن شعره أبيات رثي بها القاضي سليمان المذكور قال:

عجباً لموضع لحده في قبره ... للعلم والعرفان كيف توسعا؟

رجع الخصوم وخلفوا علم الهدى ... في باب سلمٍ لا يزال ممنعا

أتت المنية من تلبب قاضياً ... خمسين عاماً واثنتين وأربعا

سعيد بن مسعدة

أبو الحسن المعروف بالأخفش الأوسط البصري مولى بني مجاشع ابن دارمٍ بطن من تميمٍ. أحد أئمة النحاة من البصريين، أخذ عن سيبويه وهو أعلم من أخذ عنه وكان أخذ عمن أخذ عن سيبويه لأنه أسن منه، ثم أخذ عن سيبويه أيضاً وهو الطريق إلى كتاب سيبوية، فإنه لم يقرأ الكتاب على سيبويه أحد ولم يقرأه سيبويه على أحدٍ، وإنما قرئ على الأخفش بعد موت سيبويه. وكان ممن قرأه عليه أبو عمر الجرمي وأبو عثمان المازني، وكان الأخفش يستحسن كتاب سيبويه كل الاستحسان، فتوهم الجرمي والمازني أن الأخفش قد هم أن يدعي الكتاب لنفسه، فتشاوروا في منع الأخفش من ادعائه فقالا نقرؤه عليه، فإذ قرأناه عليه أظهرناه وأشعنا أنه لسيبويه فلا يمكنه أن يدعيه، فأرغبا الأخفش، وبذلا له شيئاً من المال على أن يقرأاه عليه فأجاب وشرعا في القراءة، وأخذا الكتاب عنه وأظهراه للناس. وكان الأخفش يقول: ما وضع سيبويه في كتابه شيئاً إلا وعرضه علي، وكان يرى أنه أعلم به مني وأنا اليوم أعلم به منه. وحكى ثعلب أن الفراء دخل على سعيد بن سالم فقال: قد جاءكم سيد أهل اللغة وسيد أهل العربية، فقال الفراء: أما ما دام الأخفش يعيش فلا. وحكى الأخفش قال: لما ناظر سيبويه الكسائي ورجع وجه إلى فعرف خبره معه ومضى إلى الأهواز، فوردت بغداد فرأيت مسجد الكسائي فصليت خلفه الغداة، فلما انفتل من صلاته وقعد وبين يديه الفراء والأحمر وابن سعدان، سلمت وسألته عن مائة مسألة فأجاب بجوابات خطأته في جميعها، فأراد أصحابه الوثوب علي فمنعهم ولم يقطعني ما رأيتهم عليه عما كنت فيه، فلما فرغت قال لي: بالله أما أنت أبو الحسن

سعيد بن مسعدة؟ قلت نعم، فقام إلي وعانقني وأجلسني إلى جنبه ثم قال: لي أولاد أحب أن يتأدبوا بك، ويتخرجوا عليك، وتكون معي غير مفارقٍ لي فأجبته إلى ذلك، فلما اتصلت الأيام بالاجتماع سألني أن أؤلف له كتاباً في معاني القرآن فألفته، فجعله إمامه وعمل عليه كتاباً في المعاني. وقرأ علي كتاب سيبويه سراً ووهب لي سبعين ديناراً. وكان أبو العباس ثعلب يفضل الأخفش ويقول: هو أوسع الناس علماً.
وقال المبرد: احفظ من أخذ عن سيبويه الأخفش ثم الناشئ ثم قطرب، كان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل. توفي سنة خمس عشرة ومائتين، وقيل سنة إحدى وعشرين. وله من التصانيف: كتاب الأربعة، كتاب الاشتقاق، كتاب الأصوات، كتاب الأوسط في النحو، كتاب تفسير معاني القرآن، كتاب صفات الغنم وألوانها وعلاجها وأسبابها، كتاب العروض، كتاب القوافي، كتاب المسائل الكبير، كتاب المسائل الصغير، كتاب معنى الشعر، كتاب المقاييس، كتاب الملوك، كتاب وقف التمام.

سعيد بن هارن

أبو عثمان الاشناندانى، كان نحوياً لغوياً من أئمة اللغة، أخذ عن أبي محمدٍ التوزي، وأخذ عنه أبو بكر ابن دريد.
قال ابن دريدٍ: سألت أبا حاتم السجستاني عن اشتقاق ثادقٍ اسم فرسٍ، فقال لا أدري: وسألت الرياشي فقال: يا معشر الصبيان إنكم تتعمقون بالعلم وقال: سألت أبا عثمان الأشناندانى فقال: هو من ثدق المطر بالسحاب: إذا خرج خروجاً سريعاً نحو الودق.
وحكى ابن دريدٍ أيضاً قال: سألت أبا حاتمٍ السجستاني عن قول الشاعر:
وجفر الفحل فأضحى قد هجف ... واصفر ما اخضر من البقل وجف
فقلت ما هجف؟ فقال لا أدرى، فسألت الاشناندانى فقال: هجف: إذا التحقت خاصرتاه من التعب وغيره.
وله من التصانيف: كتاب معاني الشعر يرويه عنه ابن دريدٍ. وكتاب الأبيات وغير ذلك. مات سنة ثمانٍ وثمانين ومائتين. والأشناندانى نسبة إلى أشنان محلة ببغداد وزادوا الدال فيها كما زادوا الهاء في الأشنهي نسبةً إلى أشنا.

سلامة بن عبد الباقي بن سلامة

أبو الخير الأنباري المقرئ النحوي الضرير، كان عالماً بالقراءات والعربية وفنون الأدب. قرأ علي ابن طاوسٍ المقرئ، وحدث عنه بجزء هلال الحفار عن طرادٍ الزينبي عن هلالٍ. ثم رحل إلى مصر وسكن بها وتصدر بجامع عمرو بن العاص يقرأ القرآن والنحو، وله مصنفات منها: شرح علي مقامات الحريري. ولد سنة ثلاث وخمسمائةٍ، ومات بمصر في ذي الحجة سنة تسعين وخمسمائة.

سلامة بن غياض بن أحمد

أبو الخير الكفرطابي النحوي، ذكره صاحبنا ابن النجار في تاريخه فقال: قدم بغداد سنة ستٍ وعشرين وخمسمائةٍ، وكتب عنه أبو محمد بن الخشاب، وقرأ الأدب بمصر على أبي القاسم علي بن جعفر بن القطاع السعدي. وله مصنفات في النحو منها: التذكرة عشر مجلداتٍ، وكتاب ما تلحن فيه العامة في زمانه، ورسالة في الحض على تعليم العربية، مات سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائةٍ، ومن شعره:

إقنع لنفسك فالقناعة ملبس ... لا يطمع الأشرار في تخريقه

فلرب مغرورٍ غدا تغريقه ... في حرصه سبباً إلى تغريقه

سلمان بن عبد الله بن محمد

أبو عبد الله بن أبي طالبٍ الحلواني النهرواني، قال صاحبنا ابن النجار: قدم بغداد وقرأ بها النحو على الثمانيني واللغة على ابن الدهان وغيره، وبرع في النحو وكان إماماً فيه وفي اللغة، وسمع الحديث من القاضي أبي الطيب الطبري وغيره، وجال في العراق ونشر بها النحو واستوطن أصبهان، وروى عنه السلفي وصنف تفسير القرآن، وكتاباً في القراءات، والقانون في اللغة عشر مجلدات لم يصنف مثله، وشرح الإيضاح لأبي عليٍ الفارسي، وشرح ديوان المتنبي، والآمالي وغير ذلك. مات في ثاني عشر من صفرٍ سنة ثلاثٍ وتسعين وأربعمائةٍ. وقيل سنة أربعٍ وتسعين وأربعمائةٍ. ومن شعره:

إن خانك الدهر فكن عائداً ... بالبيض والإدلاج والعيس

ولا تكن عبد المنى إنها ... رؤوس أموال المفاليس

وقال:

تقول بنيتي أبتي تقنع ... ولا تطمح إلى الأطماع تعتد

ورض باليأس نفسك فهو أحرى ... وأزين في الورى وعليك أعود

فلو كنت الخليل وسيبويه ... أو الفراء أو كنت المبرد

لما ساويت في حيٍ رغيفاً ... ولا تبتاع بالماء المبرد

سلم بن عمرو بن حماد

مولى بني تيم بن مرة، شاعر مطبوع من شعراء الدولة العباسية، كان منقطعاً إلى البرامكة وكان يلقب بالخاسر، لأن أباه خلف له مالاً فأنفقه على الأدب فقال: له بعض أهله: إنك الخاسر الصفقة فلقب بذلك. ثم مدح الرشيد فأمر له بمائة ألف درهمٍ وقال له: كذب بهذا المال من لقبك بالخاسر، فجاءهم بها وقال: هذا ما أنفقته على الأدب ثم ربحت الأدب، فأنا سلم الرابح لا سلم الخاسر. وقيل في تلقيبه بهذا غير ما ذكر. وكان سلم تلميذاً لبشار بن بردٍ وصديقاً لأبي العتاهية، فلما قال بشار قصيدته التي يقول فيها:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته ... وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

قال سلم أبياتاً أدخل فيها معنى هذا البيت:

من راقب الناس مات غماً ... وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشاراً فغضب وقال: سار والله بيت سلمٍ وحمل بيتنا، وكان الأمر كذلك. لهج الناس ببيت سلمٍ ولم ينشد بيت بشارٍ أحد فكان لذلك سبباً للنفور بينهما، فكان سلم بعد ذلك يقدم أبا العتاهية ويقول: هو أشعر الجن والإنس إلى أن قال أبو العتاهية يخاطب سلماً:

تعالى الله يا سلم بن عمروٍ ... أذل الحرص أعناق الرجال

هب الدنيا تصير إليك عفواً ... أليس مصير ذلك للزوال؟

فلما بلغ ذلك سلماً غضب على أبي العتاهية وقال: ويلي على الجرار ابن الفاعلة الزنديق، زعم أني حريص وقد كنز البدر وهو لا يزال يطلب وأنا في ثوبي هذين لا أملك غيرهما ثم كتب إليه:

ما أقبح التزهيد من واعظٍ ... يزهد الناس ولا يزهد

لو كان في تزهيده صادقاً ... أضحى وأمسى بيته المسجد

ورفض الدنيا ولم يلقها ... ولم يكن يسعى ويسترفد

فخاف أن تنفد أرزاقه ... والرزق عند الله لا ينفد

الرزق مقسوم على من ترى ... يناله الأبيض والأسود

كل يوفي رزقه كاملاً ... من كف عن جهدٍ ومن يجهد

وذكر من اقتدار سلمٍ الخاسر على الشعر أنه اخترع شعراً على حرفٍ واحدٍ ولم يسبق إلى مثل ذلك، لأن أقل شعر العرب على حرفين نحو قول دريد بن الصمة:

يا ليتني فيها جذع ... أخب فيها وأقع

فقال سلم الخاسر لأمير المؤمنين موسى الهادي شعراً على ضربٍ واحدٍ منه:

موسى المطر غيث بكر ... ثم انهمر لما اغتفر

ثم غفر لما قدر ... ثم اقتصر عدل السير

باقي الأثر خير البشر ... قرع مضر بدر بدر

لمن نظر هو الوزر ... لمن حضر والمفتخر

ولما بويع الهادي بالخلافة وهو بجرجان دخل عليه سلم الخاسر وأنشده:

لما أتت خير بني هاشمٍ ... خلافة الله بجرجان

شمر للحزم سرابيله ... برأي لا غمرٍ ولا وان

لم يدخل الشورى على رأيه ... والحزم لا يمضيه رأيان

وقال لهارون الرشيد حين ولي الخلافة:

ياهارون قر الملك في مستقره ... وأشرقت الدنيا وأينع نورها

وليس لأيام المكارم غاية ... تتم بها إلا وأنت أميرها

وقال في يحيى بن خالد بن برمك:

وفتىً خلا من ماله ... ومن المروءة غير خال

وإذا وأى لك موعداً ... كان الفعال مع المقال

لله درك من فتىً ... كافيك من كرم الخلال

أعطاك قبل سؤاله ... فكفاك مكروه السؤال

سلمة بن عاصم

أبو محمدٍ النحوي، أخذ عن أبي زكريا يحيى الفراء وروى عنه كتبه، وأخذ عن خلفٍ الأحمر وسمع منه كتاب العدد، وأخذ عن سلمة أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب وكان يقول: كان سلمة حافظاً لتأدية ما في الكتب والطوال حاذقاً بالعربية، وابن قادمٍ حسن النظر في العلل. ولسلمة من التصانيف: كتاب معاني القرآن، وكتاب المسلوك في العربية، وكتاب غريب الحديث وغير ذلك.

سليمان بن أيوب بن محمد

أبو أيوب المديني. من أهل المدينة المنورة، كان أديباً أخبارياً فاضلاً ذكره ابن النديم وقال: له من المصنفات. أخبار عزة الميلاء، طبقات المغنين، كتاب النغم والإيقاع، كتاب المنادمين، كتاب الاتفاق، كتاب قيان الحجاز، كتاب قيان مكة، أخبار ظرفاء المدينة، أخبار بن عائشة، أخبار حنينٍ الحيرى.

سليمان بن بنين

ابن خلف بن عوضٍ، تقي الدين الدقيقي المصري النحوي الأديب الفرضي العروضي العلامة، اجتمعت به في عدة مجالس بحضرة القاضي الأكرم وأجازني برواية مصنفاته، وهي: الأحكام الشوافي في أحكام القوافي، أخلاق الكرام وأخلاق اللئام، أعذب العمل في شرح أبيات الجمل، الأفلاك السوائر في انفكاك الدوائر، الأقوال العربية في الأمثال النبوية، آلات الجهاد وأدوات الصافنات الجياد، تحبير الأفكار في تحرير الأشعار، الإعجاز والإيجاز في المعاني والألغاز، البسط في أحكام الخط، بذل الاستطاعة في الكرم والشجاعة، أنوار الأزهار في معاني الأشعار، استنجاز المحامد في إنجاز المواعد، اتفاق المباني وافتراق المعاني، التنبيه على الفرق والتشبيه، الحل الكافي في خلل القوافي، الدرة الأدبية في نصرة العربية، الديم الوابلية في الشيم العادلية، الدرر الفردية في الغرر الطردية، دلائل الأفكار في فضائل الأشعار، الروض الأريض في أوزان القريض، سلوان الجلد عند فقدان الولد، الشامل في فضائل الكامل، فرائد الآداب وقواعد الإعراب، فضائل البذل

مع العشر ورذائل البخل مع اليسر، عنوان السلوان، كمال المزية في احتمال الرزية، الكواكب الدرية في المناقب الصدرية، لباب الألباب في شرح الكتاب " كتاب سيبويه " ، منتهى الأدب في منتهى كلام العرب، محض النصائح وفحص القرائح، معادن التبر في محاسن الشعر، مكارم الأخلاق وطيب الأعراق، الوافي في علم القوافي، الوضاح في شرح أبيات الإيضاح.
توفي تقي الدين الدقيقي بالقاهرة سنة ثلاث عشرة وستمائة:

سليمان بن خلف

ابن سعد بن أيوب بن وارث القاضي، أبو الوليد الباجي الفقيه المتكلم المحدث المفسر الأدب الشاعر، أصل آبائه من بطليوس انتقلوا إلى باجة الأندلس. وثم باجة أخرى بإفريقية وأرى بأصبهان، ولد أبو الوليد سنة ثلاثٍ وأربعمائةٍ، وأخذ بالأندلس عن أبي الأصبغ ومحمد بن إسماعيل وأبي محمدٍ مكي بن حموش وأبي شاكر وغيرهم. ورحل سنة ستٍ وعشرين وأربعمائة إلى المشرق فأقام في الحجاز مجاوراً ثلاثة أعوامٍ ملازماً للحافظ أبي ذرٍ المحدث يخدمه ويسمع منه، وحج أربع حججٍ، وسمع هناك من ابن سحنويه وابن محرزٍ والمطوعي، ورحل إلى بغداد فأخذ فيها عن أبي الطب الطبري وأبي إسحاق الشيرازي والدامغاني وابن عمروسٍ، وأخذ عن الخطيب البغدادي، وأخذ الخطيب عنه، ورحل إلى الشام فأخذ فيها عن السمسار ودخل الموصل فأخذ بها علم الكلام عن السمناني ثم رجع إلى الأندلس فخاز الرياسة فيها وسمع منه خلق كثير منهم الحافظان الصدفي والجياني والمعافري والسبتي والمرسي وغيرهم، وولى القضاء بمواضع من الأندلس، وله مصنفات منها: الاستيفاء شرح الموطإ، والمنتقي مختصر الاستيفاء، والإيماء مختصر المنتقى، والسراج في ترتيب الحجاج، والتعديل والتجريح لمن خرج عنه البخاري في الصحيح، وإحكام الفصول في أحكام الأصول، والتسديد إلى معرفة التوحيد، والمعاني في شرح الموطإ عشرون مجلداً، وكتاب اختلاف الموطآتِ، وتفسير القرآن، والمقتبس في علم مالك بن أنسٍ، والمهذب في اختصار المدونة، وكتاب مسائل الخلاف، والحدود في الأصول، والإشارة في الأصول، وكتاب فرق الفقهاء، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب السنن في الدقائق والزهد، وكتاب النصيحة لولده وغير ذلك. مات بالمرية سنة أربعٍ وتسعين وأربعمائة. ومن شعره:

ما طال عهدي بالديار وإنما ... أنسى معاهدها أسىً وتبلد
لو كنت أنبأت الديار صبابتي ... رق الصفا بفنائها والجلمد

وله في المعتضد بالله عبادٍ:

عباد استعبد البرايا ... بأنعم فاقت النعائم
مديحه ضمن كل قلب ... حتى تغنت به الحمائم

وقال:

إذا كنت أعلم علم اليقين ... بأن جميع حياتي كساعة
فلم لا أكن ضنيناً بها ... فأجعلها في صلاحٍ وطاعة؟

وقال:

ليس عندي شخص النوى لا بعظيم ... فيه غم وفيه كشف غموم
إن فيه اعتناقةً لوداعٍ ... وانتظار اعتناقةٍ لقدوم
وقال رثى ولديه وقد ماتا مقبربين:
رعى الله قبرين استكانا ببلدةٍ ... هما أسكناها في السواد من القلب
لئن غيبا عن ناظري وتبوءا ... فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
يقر بعيني أن أزور ثراهما ... وألصق مكنون الترائب بالترب
وأبكي وأبكي ساكنيها لعلني ... سأنجد من صحبٍ وأسعد من سحب
ولا استعذبت عيناي بعدهما كرى ... ولا ظمئت نفسي إلى البارد العذب
أحن ويثني اليأس نفسي عن الأسى ... كما اضطر محمول على المركب الصعب

سليمان بن عبد الله

أبو عبيد الله بن القتى، النحوي اللغوي الأديب، نشأ بالري، وحصل ونبغ في المدرسة النظامية ببغداد حين دخلها سنة ثلاثٍ وأربعمائةٍ، فأخذ بها العلوم الأدبية والعربية عن الثمانيني وغيره، ثم رحل إلى أصبهان فاستوطن بها إلى أن مات سنة خمسٍ وسبعين وأربعمائة: ومن شعره:
تذلل لمن إن تذلل له ... رأى ذاك للفضل لا للبله
وجانب صداقة من لم يزل ... على الأصدقاء يرى الفضل له
وقال:
لم أقل للشباب في دعة الل ... ه ولا حفظه غداة استقلا
زائر زارنا أقام قليلاً ... سود الصحف بالذنوب وولى

سليمان بن محمد بن أحمد

أبو موسى المعروف بالحامض البغدادي أحد أئمة النحاة الكوفيين، أخذ عن أبي العباس ثعلبٍ وخلفه في مقامه وتصدر بعده، وروى عنه أبو عمر الزاهد المعروف بغلام ثعلبٍ، وأبو جعفرٍ الأصبهاني برزويه، وقرأ عليه أبو عليٍ النقار كتاب الإدغام للفراء، فقال له أبو عليٍ: أراك يا أبا موسى تلخص البيان تلخيصاً لا أجده في الكتب، فقال: هذا ثمرة صحبة أبي العباس ثعلبٍ أربعين سنةً. وقال أبو الحسن بن هارون: أبو موسى أوحد الناس في البيان والمعرفة بالعربية واللغة والشعر وكان جامعاً بين المذهبين: الكوفي والبصري، وكان يتعصب للكوفيين، وكان شرس الأخلاق ولذا قيل له الحامض، مات في خلافة المقتدر لسبعٍ وقيل لستٍ بقين من ذي الحجة سنة خمسٍ وثلاثمائةٍ، وله من التصانيف: كتاب خلق الإنسان، كتاب السبق والنضال، كتاب المختصر في النحو، كتاب النبات، كتاب الوحوش وغير ذلك.

سليمان بن مسلم بن الوليد

الشاعر الضرير، وهو ابن مسلم بن الوليد المعروف بصريع الغواني الشاعر المشهور، كان كأبيه شاعراً مجيداً وكان ملازماً لبشار بن بردٍ يأخذ عنه، ولذا كان متهماً دينه: مات سنة تسعٍ وسبعين ومائةٍ، ومن شعره:

إن في ذا الجسم معتبراً ... لمريد العلم ملتمسه

هيكل للروح ينطقه ... عرقه والصوت من نفسه

رب مغروسٍ يعاش به ... عدمته كف مغترسه

وكذاك الدهر مأتمه ... أقرب الأشياء من عرسه

وقال:

جلدي عميرة فيه العار والحوب ... والعجز مطرح والفحش مسبوب

وبالعراق نساء كالمها خطف ... بأرخص السوم جذلات مناجيب

وما عميرة من ثدياء حالبةٍ؟ ... كالعاج صفرها الأكتان والطيب

وله:

تبارك الله ما أسخى بنو مطرٍ ... هم كما قيل في بعض الأقاويل

بيض المطابخ لا تشكو ولائدهم ... غسل القدور ولا غسل المناديل

وله شعر غير هذا اكتفينا بهذا المقدار منه.

سليمان بن معبد

أبو داود السنجي المروى المحدث الحافظ النحوي، دخل بغداد فأخذ عن الأصمعي والنضر بن شميلٍ وغيرهما، ورحل إلى مصر والحجاز واليمن. وخرج له مسلم بن الحجاج في صحيحه، وكان ثقة ثبتاً، له معرفة تامة بالعربية واللغة مات في ذي الحجة سنة سبع وخمسين ومائتين: وقيل ثمانٍ وخمسين ومائتين.

سليمان بن موسى

برهان الدين أبو الفضل بن شرف الدين المعروف بالشريف الكحال، المصري، كان أديباً فاضلاً بارعاً في العربية وفنون الأدب، عارفاً بصناعة الكحل، خدم بها الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب، وتقدم عنده وحظي لديه ونال عنده منزلةً عاليةً وقبولاً تاماً. وكان بينه وبين القاضي الفاضل عبد الرحيم بن عليٍ البيساني وبين شرف الدين محمد بن نصرٍ المعروف بابن عنين الشاعر المشهور صحبة ومودة ومزاح ومداعبة، فأهدى الشريف الكحال إلى ابن عنين خروفاً وكان مهزولاً، فكتب إليه ابن عنين يداعبه:

أبو الفضل وابن الفضل أنت وأهله ... فغير عجيب أن يكون لك الفضل

آتتني أياديك التي لا أعدها ... لكثرتها لا كفر نعمى ولا جهل

ولكنني أنبيك عنها بطرفةٍ ... تروقك ما وافى لها قبلها مثل

أتاني خروف ما شككت بأنه ... حليف هوىً قد شفه الهجر والعذل
إذا قام في شمس الظهيرة خلته ... خيالاً سرى في ظلمةٍ ما له ظل
فناشدته ما تشتهي؟ قال فتة ... وقاسمته ما شفه؟ قال لي الأكل
فأحضرتها خضراء مجاجة الثرى ... مسلمةً ما حص أوراقها الفتل
فظل يراعيها بعينٍ ضعيفةٍ ... وينشدها والدمع في العين منهل
أنت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصلٍ حين لا ينفع الوصل

وكتب إليه القاضي الفاضل يداعبه وكان قد كحله:

رجل توكل بي وكحلني ... فدهيت في عيني وفي عيني
وخشيت تنقل نقط كحلته ... عيني من عينٍ إلى غين

ومن شعر الشريف الكحال:

ومذ رمدت أجفانه لا منى العدا ... على حبه يا ليت عيني لها رقداً

فقلت لهم كفوا فإن لحاظه ... سيوف وشرط السيف أن يحمل الصدا

وقال:

كأن لحظ حبيبي في تناعسه ... وقد رماني بسقمٍ في الهوى وكمد
من المجوس تراه كلما قدحت ... نيران وجنته أومي لها وسجد

توفي الشريف الكحال سنة تسعين وخمسمائةٍ.

سنان بن ثابت بن قرة

أبو سعيدٍ، كان أديباً فاضلاً مؤرخاً عارفاً بعلم الهيئة ماهراً بصناعة الطب، كان في خدمة المقتدر ثم القاهر والراضي. قال ابن النديم: إن القاهر بالله أراد سنان ابن ثابت بن قرة على الإسلام فهرب ثم أسلم وخاف القاهر فمضى إلى خراسان ثم عاد، وتوفي ببغداد مسلماً صبيحة يوم الجمعة مستهل ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة، وله من التصانيف: التاجي في أخبار آل بويه ومفاخر الديلم وأنسابهم ألفه لعضد الدولة بن بويه، رسالة في أخبار آبائه وأجداده وسلفه، إصلاح كتاب إقليدس في الأصول الهندسية. وكتاب تاريخ ملوك الريان، الرسائل السلطانيات والإخوانيات، رسالة في شرح مذهب الصابئة، رسالة في الأشكال ذوات الخطوط المستقيمة التي تقع في الدائرة صنفها لعضد الدولة، إصلاح كتب أبي سهل القوهي، رسالة في الفرق بين المترسل والشاعر، رسالة في الاستواء، رسالة في النجوم رسالة في سهيلٍ، رسالة في قسمة أيام الجمعة على الكواكب السبعة ألفها لأبي إسحاق الصابي وغير ذلك.

سهل بن محمد بن عثمان بن القاسم

أبو حاتم السجستاني البصري، كان إماماً في غريب القرآن واللغة والشعر، أخذ عن أبي زيدٍ الأنصاري الأصمعي وأبي عبيدة وعمر بن كركرة وروح بن عبادة، وقرأ كتاب سيبويه مرتين على الأخفش أبي الحسن سعيد بن مسعدة، وأخذ عنه المبرد وابن دريدٍ وغيرهما. وتوفي على ما حققه ابن دريدٍ سنة خمسٍ وخمسين ومائتين. وله من المصنفات: إعراب القرآن، وكتاب الإدغام، وكتاب القراءات، وكتاب ما تلحن فيه العامة، وكتاب الفصاحة، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب الطير، وكتاب الوحوش، وكتاب الهجاء، وكتاب النخلة، وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك.

سهل بن هارون بن راهبون

أبو محمدٍ الفارسي الأصل الدستميساني، دخل البصرة واتصل بالمأمون فولاه خزانة الحكمة. وكان أديباً كاتباً شاعراً حكيماً شعوبياً، يتعصب للعجم على العرب شديداً في ذلك، وكان مشهوراً بالبخل، وله في ذلك أخبار كثيرة، وله رسالة في مدح البخل أرسلها إلى بني عمه من آل راهبون، وأرسل نسخةً منها إلى الوزير الحسن بن سهلٍ فوقع عليها الوزير: لقد مدحت ما لام الله وحسنت ما قبح، وما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك، وقد جعلنا ثواب عملك سماع قولك، فما نعطيك شيئاً. وقد أورد هذه الرسالة الجاحظ في كتاب البخلاء، وقد تجنبنا الإطالة بذكرها.
توفي سهل بن هارون سنة خمس عشرة ومائتين، وله من التصانيف: كتاب ثعلة وعفراء، كتاب الهبلية والمخزومي، كتاب النمر والثعلب، كتاب الوامق والعذار، كتاب ندودٍ وودودٍ ولدودٍ، كتاب الضربين، كتاب أسباسيوس في اتحاد الإخوان، كتاب الغزالين، كتاب أدب أسل بن أسلٍ وغير ذلك.

سهم بن إبراهيم الوراق

من شعراء القرن الثاني ومن أدباء القيروان، قال في حصار أبي يزيد مخلدٍ الخارجي لسوسة:
إن الخوارج صدها عن سوسةٍ ... منا طعان السمر والإقدام
وجلاد أسيافٍ تطاير دونها ... في النقع دون الحصنات الهام

باب الشين

شبيب بن شبة

الأخباري الأديب الشاعر صاحب خالد بن صفوان الذي تقدمت ترجمته في حرف الخاء، ولهما أخبار ومواقف مشهورة عند الخلفاء والأمراء، وكان بين شبيبٍ وأبي نخيلة الراجز الشاعر صحبة ومودة. حدث الأصمعي قال: رأى أبو نخيلة على شبيبٍ حلةً فأعجبته فسأله إياها فوعده فقال فيه:
يا قوم لا تسودوا شبيباً ... ألخائن ابن الخائن الكذوبا

هل تلد الذئبة إلا ذيبا؟

فلما بلغ ذلك شبيباً بعث إليه بالحلة وكتب إليه:

إذا غدت سعد على شبيبها ... على فتاها وعلى خطيبها

من مطلع الشمس إلى مغيبها ... عجبت من كثرتها وطيبها

مات شبيب بعد المائتين.

شبيب بن يزيد

ابن جمرة بن عوف بن أبي حارثة المعروف بابن البرصاء المرى، والبرصاء أمه واسمها قرصافة بنت الحارث وهو ابن خالة عقيل بن علفة الآتية ترجمته في حرف العين، وهو شاعر مجيد من شعراء الدولة الأموية، وكان بينه وبين أبن خالته عقيلٍ منافرة ومهاجاة، وكان من سادات قومه وأشرافهم، وله أخبار وأشعار كثيرة ذكرها أبو الفرج في كتابه منها:

وإني لسهل الوجه يعرف مجلسي ... إذا أحزن القاذورة المتعيس

يضيء سناجودي لمن يبتغي القرى ... وقد حال دون النار ظلماء حندس

ألين لذي القربي مراراً وتلتوي ... بأعناق أعدائي حبال فنمرس

شداد بن إبراهيم بن حسن

أبو النحيب الملقب بالطاهر الجزري، شاعر من شعراء عضد الدولة بن بويه، ومدح الوزير المهلبي. كان دقيق الشعر لطيف الأسلوب، مات سنة إحدى وأربعمائة ومن شعره:

إذا المرء لم يرض ما أمكنه ... ولم يأت من أمره أحسنه

فدعه فقد ساء تدبيره ... سيضحك يوماً ويبكي سنة

ومنه:

أيا جيل الصوف شر جيل ... لقد جئتم بأمرٍ مستحيل

أفي القرآن قال لكم إلهي ... كلوا مثل البهائم وارقصوا لي

وقال:

قلت للقلب ما دهاك أبن لي ... قال لي بائع الفراني فراني

ناظراه فيما جنت ناظراه ... أودعاني أمت بما أودعاني

وقال:

بلاد الله واسعة فضاها ... ورزق الله في الدنيا فسيح

فقل للقاعدين على هوانٍ ... إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا

وقال:

أفسدتم نظري علي فما أرى ... مذ غبتم حسناً إلى أن تقدموا

فدعوا غرامي ليس يمكن أن ترى ... عين الرضا والسخط أحسن منك

شفهفيروز بن شعيب بن عبد السيد

أبو الهيجاء الأصبهاني، كان أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً في النظم والنثر، له مقامات أنشأها سنة تسعين وأربعمائةٍ، وأخذ عن أبي جعفرٍ محمد بن أحمد بن مسلمة وغيره، مات سنة ثلاثين وخمسمائة. ومن شعره:

لا أستلذ العيش لم أدأب له ... طلباً وسعياً في الهواجر والغلس

وأرى حراماً أن يواتيني الغنى ... حتى يحاول بالعناء ويلتمس

فاحبس نوالك عن أخيك موفراً ... فالليث ليس يسيغ إلا ما افترس

وقال:

وسارق بت أشرب من يديه ... مشعشعة بلونٍ كالنجيع

فحمرتها وحمرة وجنتيه ... ونور الكأس في نور الشموع

ضياء حارت الأبصار فيه ... بديع في بديعٍ في بديع

شمر بن حدويه

أبو عمرٍ الهروي، كان عالماً فاضلاً ثقة نحوياً لغوياً راويةً للأخبار والأشعار، رحل في شبيبته إلى العراق وأخذ عن ابن الأعرابي والأصمعي وسلمة بن عاصم والفراء وأبي حات السجستاني وأبي زيدٍ الأنصاري وأبي عبيدة والرياشي وغيرهم، ثم رجع إلى خراسان وأخذ عن أصحاب النضر بن شميلٍ والليث، وصنف كتاباً كبيراً رتبه على العجم ابتدأ فيه بحرف الجيم لم يسبق إلى مثله، أودعه تفسير القرآن وغريب الحديث، وكان ضنيناً به فلم ينسخه أحد وخزنه بعد وفاته بعض أقاربه فلم ينتفع به. وقيل: اتصل أبو عمروٍ بيعقوب ابن الليث الأمير فخرج معه إلى نواحي فارس وحمل معه كتاب الجيم فطغى الماء من النهروان على معسكر يعقوب فما غرق من المتاع، ولأبي عمروٍ من التصانيف غير كتاب الجيم: كتاب غريب الحديث كبير جداً، وكتاب السلاح وكتاب الجبال والأودية وغير ذلك. مات سنة خمسٍ وخمسين ومائتين:

شبيان بن عبد الرحمن

أبو معاوية التيمي مولى بني تميمٍ، كان من أكابر القراء والمحدثين والنحاة، كان مقيماً بالكوفة فانتقل عنها إلى بغداد، وأخذ عن الحسن البصري وحدث عنه وعن ابن أبي كثير وحدث عن شبيان الحافظ الثقة عبد الرحمن بن مهديٍ وغيره. سئل ابن عين عن شبيان فوثقه وقال ثقة في كل شئ، وسئل عنه أحمد بن حنبلٍ وعن الدستوائي وحرب بن شداد فقال: شيبان أرفع عندي شيبان صاحب كتاب صحيح، وقال ابن عمارٍ:

أبو معاوية شيبان النحوي ثقة ثبت. توفي شيبان ببغداد سنة أربعٍ وستين ومائةٍ، وقيل سنة سبعين ومائة، ودفن في مقابر قريشٍ بباب التنين قاله ابن سعدٍ كاتب الواقدي في طبقاته.

شيث بن إبراهيم بن محمد

ابن حيدرة ضياء الدين المعروف بابن الحاج القناوي القفطي النحوي اللغوي العروضي أبو الحسن، أحد أكابر الأدباء المعاصرين، برع في العربية واللغة وفنون الأدب وتقدم فيها وسمع من الحافظ أبي طاهر السلفي وغيره، وحدث ودرس وكان ذا هيبةٍ ووقارٍ، وله مقامات معروفة ومواقف بين يدي السلاطين والأمراء، وكانوا يحترمونه ويوقرونه، ومن تصانيفه: كتاب الإشارة في تسهيل العبارة، والمعتصر من المختصر، وتهذيب ذهن الواعي في إصلاح الرعية والراعي صنفه للملك الناصر صلاح الدين يوسف، وحز الغلاصم وإفحام المخاصيم، وتعاليق في الفقه على مذهب الإمام مالكٍ، واللؤلؤة المكنونة واليتيمة المصونة وهي قصيدة في الأسماء المذكرة، أبياتها سبعون بيتاً منها:

وصغت الشعر من يفهم ... يخبرني بما يعلم
يخبرني بألفاظ ... من الإعراب ما الدهثم
وما الإقليد والتقلي ... د والتهنيد والأهثم
وما النهاد والأهدا ... م والأسمال والعيهم
وما الألغاد والإخرا ... د والأقراد والأكدم
وما الدقراس والمردا ... س والفداس والأعلم
وما الأوخاص والأدرا ... ص والقراص والأثرم
وما اليعضيد واليعق ... يد والتدمين والأرقم
وما الأنكار والأنكا ... ث والأعلا والقضم
وما الأوغال والأوغا ... د والأوغاب والأقضم

ومضى على هذا النمط إلى أن قال:

ألا فاسمع لألفاظ ... جرت علماً لمن يعلم
فقد أنبأت في شعري ... بألفاظي لمن يفحم
وعارضت السجس ... تاني في قولي ولم أعلم
فضعفت قوافيه ... على المثل الذي نظم
فهذا الشعر لا يدر ... يه إلا عالم همهم

توفي أبو الحسن بن الحاج سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائةٍ وقيل سنة تسع وتسعين وخمسمائةٍ، ومن شعره:

إجهد لنفسك إن الحرص متعبة ... للقلب والجسم والإيمان يمنعه
فإن رزقك مقسوم سترزقه ... وكل خلقٍ تراه ليس يدفعه
فإن شككت بأن الله يقسمه ... فإن ذلك باب الكفر تقرعه

باب الصاد

صاعد بن الحسن بن عيسى

الربعي، الموصلي الأصل البغدادي اللغوي الأديب أبو العلاء، أخذ عن السيرافي وأبي علي الفارسي والخطابي وغيرهم، وكان عارفاً باللغة وفنون الأدب والأخبار، سريع الجواب حسن الشعر طيب المعاشرة ممتع المجالسة، دخل الأندلس واتصل بالمنصور بن أبي عامر فأكرمه وأفرط في الإحسان إليه والإقبال عليه، ثم استوزره وألف للمنصور كتباً منها: كتاب سماه الفصوص على نحو كتاب النوادر لأبي عليٍ القالي. واتفق لهذا الكتاب حادثة غريبة وهي: أن أبا العلاء لما أتمه دفعه لغلامٍ له يحمله بين يديه وعبر نهر قرطبة فزلت قدم الغلام فسقط في النهر هو والكتاب، فقال في ذلك ابن العريف وكان بينه وبين أبي العلاء شحناء ومناظراتك:

قد غاص في البحر كتاب الفصوص ... وهكذا كل ثقيلٍ يغوص

فضحك المنصور والحاضرون فلم يرع ذلك صاعداً وقال على البديهة مجيباً لابن العريف:

عاد إلى معدنه إنما ... توجد في قعر البحار الفصوص

وصنف له أيضاً كتاب الجواس بن قعطل المذحجي مع ابنة عمه عفراء، وهو كتاب لطيف ممتع جداً، انخزم في الفتن التي كانت بالأندلس فسقطت منه أوراق لم توجد بعد، وكان المنصور كثير الشغف بهذا الكتاب حتى رتب له من يقرؤه بحضرته كل ليلةٍ، وصنف له أيضاً كتاب الهجفجف بن غيدفان بن يثربيٍ مع الخنوت بنت محرمة بن أنيفٍ وهو على طراز كتاب أبي السري سهل ابن أبي غالب الخزرجي، ولم يحضر صاعد بعد موت المنصور مجلس أحدٍ ممن ولي الأمر بعده، وإلى ذلك يشير في قصيدته التي قالها للمظفر بن المنصور الذي ولي بعد أبيه وأولها:

إليك حدت ناجية الركاب ... محملةً أماني كالهضاب

وبعث ملوك أهل الشرق طرا ... بواحدها وسيدها اللباب

ومنها يشير إلى مرض لحق بساقه فمنعه من حضور جالسه، وهو وجع ادعاه فقال:

إلى الله الشكية من شكاةٍ ... رمت ساقي فجل بها مصابي

وأقصتني عن الملك المرجى ... وكنت أرم حالي باقترابي

ومنها:

حسبت المنعمين على البرايا ... فألفيت اسمه صدر الحساب

وما قدمته إلا كأني ... أقدم تالياً أم الكتاب

وأنشد هذه القصيدة بين يدي المظفر في عيد الفطر سنة ستٍ وتسعين وثلاثمائة، ولصاعدٍ مع المنصور أخبار ولطائف يطول ذكرها، توفي بصقلية سنة سبع عشرة وأربعمائةٍ.

الجزء الثاني عشر

صالح بن إسحاق

أبو عمر الجرمي، فهو مولى لجرم بن زبان، وجرم من قبائل اليمن وقيل هو مولىً لبجيلة بن أنمارٍ، كان عالماً بالعربية واللغة، فقيهاً ورعاً وهو بصري قدم بغداد فأخذ عن يونس بن حبيب العربية، وعن أبي الحسن سعيد بن مسعدة الأخفش، وقرأ عليه كتاب سيبويه وأخذ اللغة عن أبي زيد الأنصاري وأبي عبيدة والأصمعي ومن في طبقتهم، وكان رقيقاً لأبي عثمان المازني، وأخذ منه المبرد والمازني وغيرهما، وناظر الفراء، وانتهى إليه علم العربية في وقته، وصنف كتباً كثيرةً منها: مختصره في النحو، كان كما صنف منه باباً صلى ركعتين بالمقام ودعا بأن ينتفع به. وله كتاب التنبيه، وكتاب السير، وكتاب الأبنية، وكتاب العروض وغير ذلك: توفي سنة خمسٍ وعشرين ومائتين في خلافة المعتصم.

صالح بن عبد القدوس

ابن عبد الله، كان حكيماً أديباً فاضلاً شاعراً مجيداً كان يجلس للوعظ في مسجد البصرة ويقص عليهم، وله أخبار يطول ذكرها، اتهم بالزندقة فقتله المهدي بيده، ضربه بالسيف فشطره شطرين، وعلق بضعة أيام للناس ثم دفن، وأشهر شعره قصيدته البائية التي مطلعها:

صرمت حبالك بعد وصلك زينب ... والدهر فيه تصرم وتقلب

وكذاك ذكر الغانيات فإنه ... آل ببلقعةٍ وبرق خلب

فدع الصبا فلقد عداك زمانه ... واجهد فعمرك مر منه الأطيب

ومنها:

واحذر معاشرة الدنى فإنها ... تعدي كما يعدي الصحيح الأجرب

يلقاك يحلف إنه بك واثق ... وإذا توارى عنك فهو العقرب

ومن شعره أيضاً:

ليس من مات فاستراح بميتٍ ... إنما الميت ميت الأحياء

إنما الميت من يعيش كئيباً ... كاسفاً باله قليل الرجاء

وقال:

إذا قلت قدر أن قولك عرضة ... لبادرةٍ أو حجة لمخاصم

وإن امرء لم يخش قبل كلامه ال ... جواب فينهي نفسه غير حازم

وقال:

لا أخون الخليل في السر حتى ... ينقل البحر في الغرابيل نقلا

أو تمور الجبال مور سحابٍ ... مثقلاتٍ وعت من الماء حملا

صفوان بن إدريس

ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عيسى النجيبي أبو بحرٍ، كان أديباً كاتباً شاعراً سريع الخاطر، أخذ عن أبيه والقاضي ابن إدريس وابن غليون وأبي الوليد، وهو أحد أفاضل الأدباء المعاصرين بالأندلس. وله سنة ستين وخمسمائةٍ، وتوفي بمرسية سنة ثمانٍ وتسعين وخمسمائةٍ ولم يبلغ الأربعين وله تصانيف منها: كتاب زاد المسافر وراحلته، وكتاب العجالة مجلدان يتضمنان طرفاً من نثره ونظمه، وديوان شعرٍ، ومن شعره:

قد كان لي قلباً فلما فارقوا ... سوى جناحاً للغرام وطارا
وجرت سحاب للدموع فأوقدت ... بين الجوانح لوعةً وأوارا

ومن العجائب أن فيض مدامعي ... ماء يمر وفي ضلوعي نارا

وقال في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

تحية الله وطيب السلام ... على رسول الله خير الأنام
على الذي فتح باب الهدى ... وقال للناس ادخلوها بسلام
بدر الهدى سحب الندى والجدا ... وما عسى أن يتنامى الكلام
تحية تهزأ أنفاسها ... بالمسك لا أرضى بمسك الختام
تخصه مني ولا تنثني ... عن آله الصيد السراة الكرام
وقدرهم أرفع لكنني ... لم ألف أعلى لفظةً من كرام

وقال:

أحمي الهوى قلبه وأوقد ... فهو على أن يموت أوقد
وقال عنه العذول سالٍ ... قلده الله ما تقلد
وباللوى شادن عليه ... جيد غزال ووجه فرقد
أسكره ريقه بخمرٍ ... حتى انثني قده وعربد
لا تعجبوا لانهزام صبري ... فجيش أجفانه مؤيد
أنا له كالذي تمنى ... عبد نعم عبده وأزيد
له على امتثال أمرٍ ... ولي عليه الجفاء والصد
إن سلمت عينه لقتلي ... صلى فؤادي على محمد

وقال:

يا قمراً مطلعه أضلعي ... له سواد القلب فيها غسق
وربما استوقد نار الهوى ... فناب فيها لونها عن شفق
ملكتني بدولةٍ من صباً ... وصدتني بشركٍ من حدق
عندي من حبك ما لو سرت ... في البحر منه شعلة لاحترق

وقال:

يقولون لي لما ركبت بطالتي ... ركوب فتى جم الغواية معتدي
أعندك ما ترجو الخلاص به غداً ... فقلت نعم عندي شفاعة أحمد؟

باب الضاد

الضحاك بن سليمان

ابن سالم بن دهاية أبو الأزهر المرئي الأوسي منسوب إلى امرئ القيس بن مالكٍ، نزل بغداد وله معرفة بالنحو واللغة، وله شعر جيد. مات سنة سبعٍ وأربعين وخمسمائةٍ. ومن شعره.

ما أنعم الله على عبده ... بنعمةٍ أوفى من المافيه
وكل من عوفي في جسمه ... فإنه في عيشةٍ راضيه
والمال حلو حسن جيد ... على الفتى لكنه عاريه
وأسعد العالم بالمال من ... أعطاه للآخرة الباقية
ما أحسن الدنيا ولكنها ... مع حسنها غدارة فانيه

الضحاك بن مخلد

ابن مسلم أبو عاصمٍ النبيل لشيباني البصري الحافظ الثبت النحوي اللغوي، كان إماماً في الحديث، سمع من جعفرٍ الصادق وابن جريجٍ والأوزاعي وابن أبي عروبةً. وأخرج له البخاري في صحيحه وأجمعوا على توثيقه. قيل له يحيى بن سعيد يتكلم فيك، فقال: لست بحيٍ ولا ميتٍ إذا لم أذكر، مات أبو عاصم سنة اثنتي عشرة ومائتين.

الضحاك بن مزاحم

أبو القاسم البلخي المفسر المحدث النحوي. كان يؤدب الأطفال فيقال: كان في مكتبه ثلاثة آلاف صبيٍ وكان يطوف عليهم على حمارٍ. لقى الضحاك ابن عباس وأبا هريرة، وأخذ عن سعيد بن جبيرٍ التفسير، وكان عبد الملك بن ميسرة يقول: لم يلق الضحاك ابن عباس وإنما لقي سعيد بن جبيرٍ بالري فأخذ عنه التفسير. وقال شعبة: قلت لمشاشٍ هل سمع الضحاك من ابن عباس؟ قال: ما رآه قط. ووثقه أحمد بن حنبلٍ وابن معينٍ وأبو زرعة، وضعفه يحيى بن سعيدٍ، مات الضحاك سنة خمسٍ ومائةٍ وقيل ستٍ ومائةٍ.

باب الطاء

طالب بن عثمان بن محمد

ابو أحمد بن أبي غالب الأزدي النحوي البصري. أخذ عن أبي بكر بن الأنباري، وكان بارعاً في العربية عارفاً باللغة وكف بصره في آخر عمره، ولد سنة تسع عشرة وثلاثمائةٍ. توفي في خلافة القادر بالله سنة ستٍ وتسعين وثلاثمائةٍ.

طالب بن محمد بن قشيط

أبو أحمد المعروف بابن السراج النحوي. كان عارفاً بالعربية قيماً بها، أخذ عن أبي بكر بن الأنباري. وله مختصر في النحو وكتاب عيون الأخبار وفنون الأشعار. مات سنة إحدى وأربعمائةٍ.

طاهر بن أحمد

ابن بابشاذ بن داود بن سليمان بن إبراهيم أبو الحسن المصري المعروف بابن بابشاذ النحوي اللغوي. ولى متاملاً في ديوان الانشاء بالقاهرة، يتأمل ما يصدر منه من السجلات والرسائل فيصلح ما فيها من خطأ. تزهد في آخر عمره ولزم منارة الجامع بمصر، فخرج في بعض الليالي والنوم في عينيه فسقط من المنارة إلى سطح الجامع فمات، وذلك صبيحة اليوم الرابع من رجبٍ، سنة تسعٍ وستين وأربعمائةٍ، وله من التصانيف، شرح الجمل للزجاجي، وشح النخبة، والتعليق في النحو خمسة عشر مجلداً سماه تلامذته من بعده تعلق الغرفة، والمحتسب في النحو وغير ذلك.

طراد بن علي بن عبد العزيز

أبو فراس السلمي الدمشقي المعروف بالبديع. كان نحوياً كاتباً أديباً بارعاً في النظم والنثر. ومن شعره:

قيل لي لم جلست في آخر القو ... م وأنت البديع رب القوافي؟

قلت آثرته لأن المنادي ... ل يرى طرزها على الأطراف

وقال:

يا صاح آنسني دهري وأوحشني ... منهم وأضحكني دهري وأبكاني

قد قلت: أرض بأرضٍ بعد فرقتهم ... فلا تقل لي: جبران بجبرانٍ

وقال:

يا نسيماً هب مسكاً عبقاً ... هذه أنفاس ريا جلقا

كف عني والهوى ما زادني ... برد أنفاسك إلا حرقا

ليت شعري نقضوا أحبابنا ... يا حبيب النفس ذاك الموثقا

يا رياح الشوق سوقي نحوهم ... عارضاً من سحب دمعي غدقا

وانثري عقد دموع طالما ... كان منظوماً بأيام اللقا

وقال:

هكذا في حبكم أستوجب؟ ... كبداً حرى وقلباً يجب
وجزا من سهرت أجفانه ... حجة تمضي وأخرى تعقب؟
زفرات في الحشا محرقة ... وجفون دمعها ينسكب
قاتل الله عذولي مادرى ... أن في الأعين أسداً تثب
لا أرى لي عن حبيبي سلوةً ... فدعوني وغرامي واذهبوا
وقال:
لئن كنت عني في العيان مغيباً ... فما أنت عن سمعي وقلبي بغائب
إذا اشتاقت العينان منك بنظرةٍ ... تمثلت لي في القلب من كل جانب
مات البديع الدمشقي سنة أربع وعشرين وخمسمائةٍ.

طريح بن إسماعيل

ابن عبيد بن أسيد بن علاج بن أبي سلمة بن عبد العزي النقفي، وأمه خزاعية بنت عبد الله بن سباعٍ أبو الصلت الشاعر المشهور، نشأ في دولة بني أمية واستنفذ شعره في الوليد بن يزيد، وأدرك دولة بني العباس، ومات في أيام المهدي سنة خمسٍ وستين ومائةٍ، ومن مختار شعره قوله:
ألم تر المرء نصباً للحوادث ما ... تنفك فيه سهام الدهر تنتضل
إن يعجل الموت يحمله على وضحٍ ... لجبٍ موارده مسلوكة ذلل
وإن تمادت به الأيام في عمرٍ ... يخلق كما رث بعد الجدة الحلل
ويستمر إلى أن يستقل به ... ريب المنون ولو طالت به الطيل
والدهر ليس بناجٍ من داوئره ... حي جبان ولا مستاسد بطل
ولا دفين غيابا تٍ له نفق ... تحت التراب ولا حوت ولا وعل
بل كل شئ سيبلي الدهر جدته ... حتى يبيد ويبقى الله والعمل
وقال:
وترى المشيب بدا وأقبل زائراً ... بعد الشباب فنازل ومودع
والشيب للحكماء من سفه الصبا ... بدل تنال به الفضيلة مقنع
والشيب زين بني المروءة والحجا ... فيه لهم شرف ومجد يرفع
والبر تصحبه المروءة والتقى ... تبدو بأشيب جسمه متضعضع
أشهى إلي من الشباب مع المنى ... والغي يتبعه القوي المهرع
إن الشباب عمىً لأكثر أهله ... وتعرض لمهالكٍ تتوقع
وقال:
حل المشيب ففرق الرأس مشتعل ... وبان بالكره منا اللهو والغزل
فحل هذا مقيماً لا يريد لنا ... تركاً وهذا الذي نهواه مرتحل

هذا له عندنا نور ورائحة ... كنشر روضٍ سقاه عارض هطل
وجدة وقبول لا يزال له ... من كل خلقٍ هوى أو خلةٍ نفل

والشيب يطوي الفتى حتى معارفه ... نكر ومن كان يهواه به ملل
يبلي بلي البرد فيه بعد قوته ... وهن وبعد تناهى خطوه رمل

طلحة بن محمد

وقل أحمد بن طلحة أبو محمد العماني، كان فاضلاً عارفاً باللغة والأدب والشعر، ورد بغداد وخراسان وكاتبه الحرير يصاحب المقامات، وكان كثير الحفظ جيد الشعر سريع البديهة. مات سنة عشرين وخمسمائةٍ، ومن شعره:
إذا نالك الدهر بالحادثات ... فكن رابط الجأش صعب الشكيمه
ولا تهن النفس عند الخطوب ... إذا كان عندك للنفس قيمه
فوالله ما لقى الشامتون ... بأحسن من صبر نفسٍ كريمه

باب الظاء

ظافر بن القاسم

ابن منصور بن عبد الله بن خلفٍ الجذامي الإسكندري المعروف بالحداد الشاعر الأديب، روى عنه الحافظ السلفي وطائفة من الأعيان، وتوفي بمصر في المحرم سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائة ومن شعره:
حكم العيون على القلوب يجوز ... ودواؤها من دائهن عزيز
كم نظرةٍ نالت بطرفٍ ذابلٍ ... ما لا ينال الذابل المهزوز
فحذار من تلك اللواحظ غيرةً ... فالسحر بين جفونها مكنوز
وكتب إلى أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الأندلسي بعد أن توجه من مصر إلى المهدية يتشوق إليه:
ألا هل لدائي من فراقك إفراق ... هم السم لكن لي لقاؤك درياق
فيا شمس فضلٍ غربت ولضوئها ... على كل قطرٍ بالمشارق إشراق
سقى العهد منك عمر عهده ... بقلبي عهداً لا يضيع وميثاق
يجدده ذكر يطيب كما شدت ... وريقاء كنتها من الأيك أوراق
لك الخلق الجذل الرفيع طرازه ... وأكثر أخلاق الخليقة أخلاق
لقد ضاءلتني يا أبا الصلت مذ نأت ... ديارك عن داري هموم وأشواق
إذا عزني إطفاؤها بمدامعي ... جرت ولها ما بين جفني إحراق

سحائب يحدوها زفير جره ... خلال التراقي والترائب تشهاق
وقد كان لي كنز من الصبر واسع ... ولي منه في صعب النوائب إنفاق
وسيف إذا جردت بعض غراره ... لجيش خطوبٍ صدها منه إرهاق
إلى أن أبان البين أن غراره ... غرور وأن الكنز فقر وإملاق
أخي سيدي مولاي دعوة من صفا ... وليس له من رق ودك إعناق
لئن بعدت ما بيننا شقة النوى ... ومطرد طامي الغوارب خفاق
وبيد إذا كلفتها العيس قصرت ... طلائح أنضاها زميل وإعناق
فعندي لك الود الملازم مثل ما ... يلازم أعناق الحمائم أطواق

وهي طويلة نحو ثلاثين بيتاً، ومن لطائفه وغرر قصائده أيضاً قوله:

لو كان بالصبر الجميل ملاذه ... ماسح وابل دمعه ورذاذه
ما زال جيش الحب يغزو قلبه ... حتى وهى وتقطعت أفلاذه
لم بق فيه مع الغرام بقية ... إلا رسيس يحتويه جذاذه
من كان يرغب في السلامة فليكن ... أبداً من الحدق المراض عياذه
لا تخدعنك بالفتور فإنه ... نظر يضر بقلبك استلذاذه
يأيها الرشأ الذي من طرفه ... سهم إلى حب القلوب نفاذه
در يلوح بفيك من نظامه ... خمر به قد جال، من نباذه؟؟
وقناة ذاك القد، كيف تقومت ... وسنان ذاك اللحظ، ما فولاذه؟
هاروت يعجز عن مواقع سحره ... وهو الإمام فمن ترى أستاذه؟
تالله ما علقت محاسنك امرأ ... إلا وعز على الورى استنفاذه
أغريت حبك بالقلوب فأذعنت ... طوعاً وقد أودى به استحواذه

وهي نحو عشرين بيتاً كلها غرر، ومن مقطعاته قوله في الأقحوان:

أنظر فقد أبدى الأقاحي مبسماً ... يفتر ضحكاً فوق قدٍ أملد
كفصوص درٍ لطفت أجرامه ... وتنظمت من حول شمسة عسجد

وقال في كرسي النسخ و يكتب عليه.

أنظر بعينك في بديع صنائعي ... وعجيب تراكيبي وحكمة صانعي
فكأني كفا محبٍ شبكت ... يوم الفراق أصابعاً بأصابعي

ظالم بن عمرو

ابن سفيان بن جندل بن يعمر بن حلس بن نفاثةً ابن عدي بن الدئل بن بكر بن كنانة الدؤلي أبو الأسود، وفي اسمه ونسبه خلاف، أحد سادات التابعين والمحدثين والفقهاء والشعراء والفرسان والأمراء والأشراف

والدهاة والحاضري الجواب والصلع الأشراف والبخر الأشراف، ومن مشاهير البخلاء. والأكثر على أنه أول من وضع العربية ونقط المصحف، روى عن عر وعليٍ وأبي ذرٍ وابن عباس وغيرهم. وعنه أمية ويحيى بن يعمر، وصحبه علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وشهد معه صفين، ومات بالطاعون الجارف سنة سبعٍ وستين على الأصح. روى عاصم قال: جاء أبو الأسود الدؤلي إلى زياد بن أبيه وكان يعلم أولاده وقال: إني أرى العرب قد خالطت هذه الأعاجم وفسدت ألسنتها، أفتأذن لي أن أضع للعرب ما يعرفون به كلامهم؟ فقال له زياد: لا تفعل. قال: فجاء رجل إلى زيادٍ فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا وترك بنون، فقال زياد: توفي أبانا وترك بنون! ادعوا لي أبا الأسود، فلما جاءه قال له: ضع للعناس ما كنت نهيتك عنه ففعل. وروى في وضع العربية غير ذلك، ولأبي الأسود أخبار كثيرة مع الخلفاء والأمراء، ولطائف في البخل والإمساك، وقد استقصى أخباره أبو الفرج في كتابه، ومن شعره يعاتب ابنه أبا حربٍ وقد انقطع عن العمل وطلب الرزق:

وما طلب المعيشة بالتمنى ... ولكن ألق دلوك في الدلاء
تجئك بملئها يوماً يوماً ... تجئ بحمأةٍ وقليل ماء
ولا تقعد على كسل التمني ... تحيل على المقادر والقضاء
فإن مقادر الرحمن تجري ... بأرزاق الرجال من السماء
مقدرةً بقبضٍ أو ببسطٍ ... وعجز المرء أسباب البلاء

وقال:

ألعلم زين وتشريف لصاحبهفاطلب هديت فنون العلم والأدبا
كم سيدٍ بطلٍ آباؤه نجب ... كانوا رؤوساً فأضحى بعدهم ذنبا
ومقرف خامل الآباء ذي أدبٍ ... نال المعالي بالآداب والرتبا
ألعل ذخر وكنز لا نفاد له ... نعم القرين ونعم الخدن إن صحبا
قد يجمع المال شخص ثم يحرمه ... عما قليلٍ فيلقى الذل والحربا
وجامع العلم مغبوط به أبداً ... فلا يحاذر فيه الفوت والسلبا
يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه ... لا تعدلن به دراً ولا ذهبا

وقال:

فلا تشعرن النفس يأساً فإنما ... يعيش بجدٍ حازم وبليد
ولا تطمعن في مال جارٍ لقربه ... فكل قريبٍ لا ينال بعيد

وقال:

تعودت مس الضر حتى ألفته ... وأسلمني طول البلاء إلى الصبر
ووسع صدري للأذى كثرة الأذى ... وكان قديماً قد يضيق به صدري
إذا أنا لم أقبل من الدهر كل ما ... ألاقيه منه طال عتبي على الدهر

وقال:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم ... والمنكرون لكل أمرٍ منكر
وبقيت في خلفٍ يزكى بعضهم ... بعضاً ليدفع معور عن معود
فطنٍ لكل مصيبةٍ في ماله ... وإذا أصيب بعرضه لم يشعر

باب العين

عالي بن عثمان بن جنى

أبو سعدٍ البغدادي. كان نحوياً أديباً حسن الخط، أخذ عن أبي الفتح بن جنيٍ والوزير عيسى بن علي، وأخذ عنه الأمير أبو نصر بن ماكولا وغيره. مات سنة سبعٍ أو ثمانٍ وخمسين وأربعمائةٍ.

عامر بن عمران بن زياد

أبو عكرمة الضبي السرمدي من أهل سر من رأى، كان نحوياً لغوياً أخبارياً، أخذ عن ابن الأعرابي، وعنه القاسم بن محمد بن بشارٍ الأنباري، وكان أعلم الناس بأشعار العرب وأرواهم لها، وكان في أخلاقه شراسة، وصنف كتاب الخيل، وكتاب الإبل والغنم، مات سنة خمسين ومائتين.

العباس بن الأحنف

ابن الأسود بن طلح، أبو الفضل الحنفي اليمامي، شاعر مجيد رقيق الشعر من شعراء الدولة العباسية، إلا أن كل شعره غزل لا مديح فيه ولا هجاء ولا شيئاً من ضروب الشعر. توفي سنة اثنتين وتسعين ومائةٍ ببغداد، ومن شعره:
لابد للعاشق من وقفةٍ ... تكون بين الصد والصرم
حتى إذا الهجر تمادى به ... راجع من يهوى على رغمٍ
وقال:
قلبي إلى ما ضرني داعي ... يكثر أشجاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا ... كان عدوي بين أضلاعي
وقال:
وإني ليرضيني قليل نوالكم ... وإن كنت لا أرضى لكم بقليل
بحرمة ما قد كان بيني وبينكم ... من الود إلا عدتم بجميل
وقال:

يا فوز يا منية عباس ... قلبي يفدى قلبك القاسي
أسأت إذ أحسنت ظني بكم ... والحزم سوء الظن بالناس
يقلقني الشوق فآتيكم ... والقلب مملوء من اليأس
وقال:
أبكى الذين أذاقوني مودتهم ... حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا
واستنهضوا فلما قمت منتصباً ... بنقل ما حملوني منهم قعدوا
وشعره كله غاية في الجودة والانسجام والرقة، وله ديوان لطيف يتداوله الناس وفي بعض نسخه اختلاف.

العباس بن الفرج

أبو الفضل الرياشي مولى محمد بن سليمان الهاشمي وإنما قيل له الرياشي: لأن أباه كان عند رجلٍ يقال له رياش فبقي عليه نسبه. وكان من كبار النحاة وأهل اللغة، راويةً للشعر أخذ عن الأصمعي، وكان يحفظ كتبه وكتب أبي زيدٍ. وقرأ عليه المازني النحو، وقرأ عليه المازني اللغة. قال المبرد: سمعت المازني يقول: قرأ الرياشي علي كتاب سيبويه فاستفدت منه أكثر مما استفاد مني، يعني أنه أفادني لغته وشعره وأفاده هو النحو. وأخذ عنه أبو العباس المبرد وأبو بكرٍ محمد بن دريدٍ. وكان الرياشي ثقةً فيما يرويه. وله تصانيف منها: كتاب الخيل، وكتاب الإبل، وكتاب ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب وغير ذلك. مات مقتولاً في واقعةٍ الزنج بالبصرة في خلافة المعتمد سنة سبعٍ وخمسين ومائتين.

عبد الله بن إبراهيم

ابن عبد الله بن حكيمٍ أبو حكيمٍ الحبري، بفتح المعجمة وسكون الموحدة. قال القاضي الأكرم – أبقى الله مهجته – في أخبار النحاة: كان متمكناً من علمٍ العربية، ويكتب الخط الحسن. نفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وبرع في الفرائض والحساب، وصنف فيهما، وشرح الحاسة وديوان الحماسة وديوان البحتري وعدةً دواوين، وسمع الحديث من أبي محمدٍ الجوهري وجماعةٍ، وحدث باليسير. وكان مرضى الطريقة ديناً صدوقاً، روى عنه سبطه أبو الفضل بن ناصرٍ أنه كان يكتب يوماً وهو مستند فوضع القلم من يده وقال: إن هذا موت مهنا طيب ثم مات. وكان ذلك يوم الثلاثاء ثاني عشرين ذي الحجة سنة ست وسبعين وأربعمائة.

عبد الله بن أحمد

ابن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر أبو محمد ابن الخشاب. قال القاضي الأكرم أيضاً: كان أعلم أهل زمانه بالنحو، حتى يقال: إنه كان في درجة أبي عليٍ الفارسي. وكانت له معرفة بالحديث والتفسير واللغة والنطق والفلسفة والحساب والهندسة، وما من علم من العلوم إلا وكانت له فيه يد حسنة. وقرأ الأدب

على أبي منصورٍ موهوبٍ الجواليقي وغيره، والحساب والهندسة على أبي بكر بن عبد الباقي الأنصاري، والفرائض على أبي بكرٍ المرزوقي، وسمع الحديث من أبي الغنائم النرسي وأبي القاسم بن الحصين وأبي العز ابن كادش وجماعةٍ، ولم يزل يقرأ حتى علا على أقرانه، وقرأ العالي والنازل، وكان يكتب خطاً مليحاً، وجمع كتباً كثيرة جداً، وقرأ عليه الناس وانتفعوا به وتخرج به جماعة، وروى كثيراً من الحديث.

سمع منه الحافظ أبو سعد السمعاني وأبو أحمد بن سكينة وأبو محمد بن الأخضر وكان ثقة في الحديث صدوقاً نبيلاً حجة إلا أنه لم يكن في دينه بذاك، وكان بخيلاً متبذلاً في ملبسه وعيشه قليل المبالاة يحفظ ناموس العلم، يلعب بالشطرنج مع العوام على قارعة الطريق، ويقف في الشوارع على حلق المشعبذين واللاعبين بالقرود والدباب، كثير المزاح واللعب طيب الأخلاق، سأله شخص وعنده جماعة من الحنابلة: أعندك كتاب الجبال؟ فقال له: يا أبله أما تراهم حولي، وسأله آخر عن القفا يمد أو يقصر؟ فقال له: يمد ثم يقصر. وقرأ عليه بعض المعلمين قول العجاج:

أطرباً وأنت قنسرى ... وإنا يأتي الصبا الصبي

فقال: وإنما يأتي الصبي الصبي، فقال له ابن الخشاب هذا عندك في المكتب، وأما عندنا فلا، فخجل المعلم وقام. وكان يتعمم بالعمامة فتبقى مدةً على حالها حتى تسود مما يلي رأسه وتتقطع من الوسخ. وترمى عليها الطيور ذرقها. ولم يتزوج قط ولا تسرى، وكان إذا حضر سوق الكتب وأراد شراء كتاب غافل الناس وقطع منه ورقةً وقال: إنه مقطوع ليأخذه بثمن بخسٍ، وإذا استعار من أحدٍ كتاباً وطالبه به قال: دخل بين الكتب فلا أقدر عليه. وصنف شرح الجمل للزجاجي. وشرح اللمع لابن جنيٍ لم يتم. والرد على ابن بابشاذ في شرح الجمل، والرد على الخطيب التبريزي في تهذيب إصلاح المنطق: وشرح مقدمة الوزير ابن هبيرة في النحو. يقال: إنه وصله عليها بألف دينارٍ، والرد على الحريري في مقاماته: توفي عشية يوم الجمعة ثالث رمضان سنة سبعٍ وستين وخمسمائة، ووقف كتبه على أهل العلم. ورأى بعد موته بمدة في النوم على هيئةٍ حسنةٍ فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي، قيل: ودخلت الجنة؟ قال: نعم إلا أن الله أعرض عني. قيل: أعرض عنك؟ قال: نعم وعن كثير من العلاء ممن لا يعمل بعلمه. ومن شعره:

لذ بخمولي وحلا مره ... إذ ضانني عن كل مخلوق

نفسي معشوقي ولى غيرة ... تمتعني من بذل معشوقي

وقال ملغزاً في كتابٍ:

وذي أوجهٍ لكنه غير بائحٍ ... بسرٍ وذو الوجهين للسر مظهر

تناجيك بالأسرار أسرار وجهه ... فتفهمها ما دمت بالعين تنظر

وله في شمعةٍ:

صفراء لا من سقم مسها ... كيف وكانت أمها الشافيه

عريانة باطنها مكتس ... فاعجب لها كاسيةً عاريه

وقال:

إذا عن أمر فاستشر فيه صاحباً ... وإن كنت ذا رأيٍ يشير على الصحب
فإني رأيت العين تجهل نفسها ... وتدرك ما قد حل في موضع الشهب

عبد الله بن أحمد

ابن حرب بن خالد أبو هفان المهزمي اللغوي الشاعر، أخذ عن الأصمعي وروى عنه يموت بن المزرع، وكان متهتكاً مقتراً ضيق الحال شراباً للنبيذ، وله كتاب أخبار الشعراء، وكتاب صناعة الشعر. مات سنة خمسٍ وتسعين ومائةٍ، ومن شعره في وصف سيفٍ:
فإذا ما سللته بهر الشم ... س ضياء فلم تكد تستبين
وكأن الفرند والرونق السا ... ئل في صفحتيه ماء معين
ما يبالي من انتضاه لحربٍ ... أشمال سطت به أم يمين؟؟
وقال:
أيا رب قد ركب الأرذلو ... ن ورجلي من رحلتي داميه
فإن كنت حاملنا مثلهم ... وإلا فأرحلني الثانيه

عبد الله بن بري بن عبد الجبار

أبو محمد المصري، عرف بابن بريٍ النحوي اللغوي الأديب. قال القاضي الأكرم في أخبار النحاة: شاع ذكره واشتهر ولم يكن في الديار المصرية مثله، قرأ كتاب سيبويه على محمد بن عبد الملك الشنتريني، وتصدر للإقراء بجامع عمرو بن العاص، وكان مع علمه وغزارة فهفمه ذا غفلةٍ، يحكي عنه حكايات عجيبة منها: أنه جعل في كمه عنباً فجعل يعبث به ويحدث شخصاً معه حتى نقط على رجليه فقال:

عبيد الله بن محمد بن أبي بردة

أبو محمد القصري، من قصر الزيت بالبصرة، قاضي فارس، نحوي لغوي معتزلي، ذكره أبو الفتح منصور ابن المقدر النحوي المعتزلي، محتجاً به وبأمثاله على أبي بكر الباقلاني لأنه قال: إن الكلابية تقول: إن النظر إذا قرن بإلى لم يحتمل إلا الرؤية، وإن المعتزلة تبطل ذلك بقول الشاعر:
إني إليك لما وعدت لناظر ... نظر الفقير إلى الغني الموسر

قال: هذا اعتراض باطل، لأن الشاعر قال إليك، والله قال إلى ربها، وأحدهما غير الآخر، لأن أحدهما بالياء والآخر بالألف، قال: من يخاصم المعتزلة الذين هم ذوو اللسن والفصاحة بهذا الكلام لا يكون غبياً بل أنقص حالة من الأغبياء، وقد كان يحضر منهم في زمن أمراء المؤمنين المطيع والطائع والقادر نحو من مائةٍ المجالس، كل منهم أو جمهورهم قد قرأ كتاب سيبويه وإليه انتهى، كعلي ابن عيسى الرماني وأبي سعيد

السيرافي، وذكر جماعةً ثم قال: وأبو محمد عبد الله ابن محمد بن أبي بردة القصري من قصر الزيت بالبصرة قاضي فارس، وله الانتصار لسيبويه على أبي العباس في كتاب الغلط، وله مسائل سألها الشيخ أبا عبد الله البصري في إعجاز القرى، وغير ذلك.

عبيد الله بن محم بن أبي محم اليزيدي

واسم أبي محمد بن المبارك بن المغيرة، وكنية عبيد الله أبو القاسم، يعرف بابن اليزيدي، ذكره الخطيب فقال: مات في سنة أربعٍ وثمانين ومائتين، قال: وسمع محمد بن منصورٍ الطوسي وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي، روى عن عمه إبراهيم بن يحيى وأخيه أحمد بن محمد عن جده أبي محمد اليزيدي عن أبي عمرو ابن العلاء حروفه في القرآن. حدث عنه ابن أخيه محمد بن العباس وأحد بن عثمان الآدمي، وكان ثقةً. حدث عبيد الله عن عمه إبراهيم قال: حدثني أبي قال: كنت مع أبي عمرو بن العلاء في مجلس إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، فسأل عن رجلٍ من أصحابه فقده، فقال لبعض من حضره: اذهب فسل عنه، فرجع فقال: تركته يريد أن يموت، قال: فضحك منه بعض القوم وقال: في الدنيا إنسان يريد أن يموت؟ فقال إبراهيم: لقد ضحكتم منها عربيةً، إن يريد في معنى يكاد، قال الله تعالى: (جداراً يريد أن ينقض)، أي يكاد، قال: فقال أبو عمروٍ: ولا نزال بخيرٍ ما كان فينا مثلك. قال أبو القاسم الزجاجي: أنشدني أبو عبد الله اليزيدي لعمه عبيد الله بن محمدٍ:

قد ضقت ذرعاً بك مستصلحاً ... وأنت مزور عن الواجب
من لي بأن تعقل؟ حتى ترى ... كم لك في العالم من عائب؟

عبيد الله بن محمدالأزدي

بن جعفرابن محمد بن عبد الله الأزدي أبو القاسم النحوي. ذكره الخطيب فقال: مات في سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائةٍ في أيام المطيع قال: وحدث عن محمد بن الجهم السمري بكتاب المعاني للفراء عن مسلم بن عيسى الصفار وأبي بكر بن أبي الدنيا، وابن قتيبة. روى عنه المعافي بن زكرياء الحريري، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري وغيرهما. حدثنا عنه ابن رزقويه قال: وسألت أبا يعلى محمد بن الحسن السراج المقرئ عن الأزدي فقال: ضعيف، وقال غير الخطيب: له كتاب الاختلاف، وكتاب النطق.

عبيد الله بن محمد بن جروٍ الأسدي

أبو القاسم النحوي العروضي المعتزلي. ذكره ابن المقدر في المعتزلة من أهل الموصل. قدم بغداد وقرأ على شيوخها، فأخذ علم الأدب عن أبي عليٍ الفارسي وأبي سعيد السيرافي وغيرهما، وكان ذكياً حاذقاً جيد الخط صحيح الضبط صنف كتباً ومات فيما ذكره هلال بن المحسن في يوم الثلاثاء لأربعٍ بقين من رجبٍ سنة سبعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ، وكان يقول الشعر فوجدت له في بعض الكتب:

قطعت من السنين مدىً طويلاً ... ولم تعرف عدوك من صديقك

فسرت على الغرور ولست تدرى ... أماء أم سراب في طريقك؟
قرأت في كتاب الموضح في العروض من تصنيف ابن جروٍ أخباراً أوردها عن نفسه فيه ومناظراتٍ جرت له مع الشيوخ في العروض منها: قرأت على شيخنا أبي سعيدٍ – رحمه الله – كتاب الوقف والابتداء عن القراء روايته عن أبي بكر بن مجاهد عن ابن الجهم عنه، فمضى فيه بيت أنشده القراء:
بأبي امرؤ والشام بيني وبينه ... أتتني ببشرى برده ورسائله
فقلت: هذا البيت لا يستقيم، فقال أبو سعيد: كذا أنشده ابن مجاهدٍ عن القراء وهو كما قال: أنشدناه غيره من شيوخنا عن أبي بكر وعن ابن بكيرٍ عن ابن الجه و عن ابن الأنباري عن أحمد بن يحيى عن سلمة عن القراء هكذا.

فقال أبو سعيد: ما عندك فيه؟ فقلت: رأيت هذا البيت بخط أبي سهلٍ النحوي في هذا الكتاب بأبوي امرؤ وقال: رد الأب إلى أصله، لأنه في الأصل عند الكوفيين أبوعلي فعلٍ مثل نحوٍ وغزوٍ، فقال له أبو سعيد: لا ينبغي أن تلتفت إلى هذا، لأن الرواة والنافلين أجمعوا على أنه مكتوب بأبي، وكذلك لفظوا به، ولكن إصلاحه أن يكون بأبي امرؤ، فيكون بأبي، فعولن وسكن كسرة الباء من أبي لأنه قدره تقدير فخذ، وهذا لعمري تشبيه حسن لأنهم قد أجروا هذا في المنفصل مجرى المتصل فقالوا: اشتر لنا. جعل ترل بمنزلة فخذٍ، وأشد من هذا قراءة حمزة ومكر السيء ولاً جعل سيئاً بمنزلة فخذٍ ثم اسكن كما يقال: فخذ والحركة في السيء حركة إعرابٍ، ففي هذا ضربان من التجوز: جعله المنفصل بمنزلة المتصل، وتشبيهه حركة الإعراب بحركة البناء. وله من التصانيف: كتاب الموضح في العروض: جود في تصنيفه، وكتاب المفصح في القوافي، وكتاب الأمد في علوم القرآن لا أدري هل تم أم لا؟ لأنه قال في كتاب الموضح في العروض: وقد شرعنا في كتاب الأمد في علوم القرآن ثم وجدت في فوائد نقلت عن أبي القاسم المغربي أن كتابه في تفسير القرآن لم يتم، وأنه ذكر في " بسم الله الرحمن الرحيم " مائةً وعشرين وجهاً. قال: ومات قبل الأربعمائة. ذكر الشيخ أبو محمد بن الخشاب في بعض كتبه في معرض كلامٍ: وحكى بعض الأشياخ من أهل صناعة النحو أن عضد الدولة الديلمي التمس من أبي عليٍ الفارسي إماماً صلى به واقترح عليه أن يكون جامعاً إلى العلم بالقراءة العلم بالعربية، فقال: ما أعرف من قد اجتمعت فيه مطلوبات الملك إلا ابن جرو أحد أصحاب أبي عليٍ، وهو أبو القاسم عبيد الله بن جروٍ الأسدي، فقال: ابعثه إلينا، فجاء به وصلى بعضد الدولة. فلما كان الغد وأتى أبو عليٍ وسألك الملك عنه فقال: هو كما وصفت إلا أنه لا يقيم الراء أي يجعلها غيناً كعادة.
البغداديين في الأغلب، فقال البغداديين في الأغلب، فقال أبو علي لابن جروٍ ورآه كما قال عضد الدولة: لم لا تقيم الراء؟ فقال: هي عادة للساني لا أستطيع تغييرها، فقال له أبو عليٍ: ضع ذبابة القلم تحت لسانك لترفعه به وأكثر مع ذلك ترديد اللفظ بالراء، ففعل واستقام له إخراج الراء من مخرجها.
قال: هذا معنى الحكاية التي حكيت لي في هذا. فقلت للشيخ الحاكي لي – رحمه الله – وأنا إذ ذاك حدث: ما أحسن ما تلطف أبو عليٍ في طبه هذا، فما الذي دله على هذه المعالجة؟ ومن أين استنبط هذه المداواة؟ وكيف احتال لهذا البرء؟ فقال: هذا الذي حكى لنا فما عندك فيه، فأجبت بما استحسنه الشيخ وحاضروه

فقلت: لا شبهة بأن الغين حرف حلقي لا عمل للسان فيه، والراء حرف من حروف اللسان وله فيه عملن فمن نطق بالغين مكان الراء لم يكن للسان فيه عمل بل هو قار في فجوته، والحرف الحلقي منطوق به مع سكون اللسان واستقراره، فإذا رفعه بطرف القلم أو غيره مما يقوم مقامه في رفعه ولفظ بالحرف جعل له عملاً في الحرف، فبطل أن يكون حلقياً أي غيناً، لأن حروف الحلق لا عمل للسان فيها، وإذا بطل أن يكون غيناً كان راءً وهو الحرف الذي تلفظ بالغين بدلاً منه، فافهمه وداوبه ما جرى هذا المجرى من الحروف، فلو كان واصل بن عطاء الغزال حاذقاً حذق أبي عليٍ – رحمه الله – فداوى رأرأته ولثغته بهذا الدواء لأراحه من تكلفه إخراج الراء من كلامه حتى شاع عنه من إبدال بعض الكلم ما شاع. قال: وقد حكى أن الزجاج أبا إسحاق كان بهذه الصفة أعنى رأراء وذلك فيما قرأته بخط ابن برهانٍ النحوي.

عبيد الله أبو بكر الخياط الأصبهاني

ذكره حمزة فقال. هو واحد زمانه في علم النحو ورواية الشعر، أتقن كتاب سيبويه صغيراً، ثم كتاب مسائل الأخفش، ثم كتاب حدود الفراء، وهو في الأخبار والأيام وسائر الآداب متقدم على كل من تفرد بفن منها، وله كتابان في النحو أحدهما بسيط والآخر لطيف لم يصنف مثلهما في الزمان، ولما مات أبو بكرٍ الخياط وثته الشعراء، فمن ذلك قول أبي مسلم بن حجا الكوفاني:

سآتي باكياً شط الفرات ... لعيني أستمد مدى حياتي
فأبكي ثم أبكي ثم أبكي ... على من قد توسد جندلات
على قمر الزمان وزين علمٍ ... عبيد الله كنز الفائدات

وله يرثيه:

ودعت بعد أبي بكرٍ ودنياه ... ديوان شعرٍ ونحواً ملك يمناه
طوى الثرى معه كل العلوم فلا ... نشر يرجى له من بعد مثواه
من لي بمثل عبيد الله يوم ثوى ... رهن الحمام وهل في الناس شرواه

ومن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن: حدثني أبو سريٍ الأصبهاني ابن أخت أبي بكر الخياط الأصبهاني قال: كان أبو بكر خالي يحفظ دواوين العرب، ويقوم عليها قياماً تاماً، ويتصرف في كتاب سيبويه ومسائل الأخفش تصرفاً قوياً، فحدثني أن أبا الفضل بن العميد كان يقرأ عليه كتاب الطبائع لأبي عثمان الجاحظ، فانفق أن كان في بعض الأيام عنده وقد نزع نعله فأخذه كلب زئنى في الدار وأبعده عن موضعه وأراد أبو بكرٍ الطهارة، فقام ولم يره، وطلبه فلم يجده، فتقدم أبو الفضل أن يقدم إليه نعل نفسه فاستسرف ذلك من فعله استسرافاً بلغه فقال: ألام على تعظيم رجل ما قرأت عليه شيئاً من الطبائع إلا عرف ديوان قائله وقرأ القصيدة من أولها حتى ينتهي إليه؟ ولقد كنت وغيري نتهم أبا عثمان الجاحظ فيما يستشهد به من غريب الشعر حتى دلنا على مواضعه، وأنشد القصيدة حتى انتزع منها فمن حفظه، أفما يستحق من هذه الصفة صفته هذه الكرامة اليسيرة في جنب هذه الفضيلة الكبيرة؟ وذكر ابن العميد يوماً أبا بكر الخياط النحوي

فقال: أفادني في نقد الشعر ما لم يكن عندي، وذاك أنه جاءني يوماً باختياراتٍ له فكنت أرى المقطوعة بعد المقطوعة لا ندخل في مرتضى الشعر، فأعجب من إيراده لها واختياره إياها، فسألته عنها فقال: لم يقل في معناها غيرها فاخترتها لانفرادها في بابها.

عبيد الله بن محمد بن علي بن شاهمردان

أبو محمد، لا أعرف من حاله شيئاً إلا أنني وجدت له كتاباً في اللغة في مجلد سماه حدائق الآداب.

عبيد بن سرية،ابن سارية

ويقال ابن سارية، ويقال ابن شرية الجرهمي ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق وقال: وفد على معاوية وقيل: إنه لم يفد عليه، وأنه لقيه بالحيرة لما توجه معاوية إلى العراق، ثم حدث بإسناد رفعه إلى أبي حاتمٍ السجستاني قال: وعاش عبيد بن سارية الجرهمي ثلاثمائة سنةٍ، وقال بعضهم: مائتين وعشرين سنة إلا أننا نظن أنه عاشها في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم، وقدم على معاوية بن أبي سفيان فبلغنا أن معاوية قال له: كم أتى عليك؟ قال: مائتان وعشرون سنة، قال: ومن أين علمت ذاك؟ قال: من كتاب الله، قال ومن أي كتاب الله؟ قال: من قول سبحانه: (وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرةً لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب). فقال له معاوية: وما أدركت؟ قال أدركت يوماً في إثر يومٍ، وليلةً في إثر ليلةٍ متشابهاً كتشابه الحذف يحدوان بقوم في ديار قومٍ، يكدحون فيما يبيد عنهم، ولا يعتبرون بما بمضى منهم، حيهم يتلف ومولودهم يخلف، في دهرٍ يصرف، أيامه تقلب بأهلها كتقلبها بدهرها، بينا أخوها في الرخاء إذ صار في البلاء، وبينا هو في الزيادة إذ أدركه النقصان وبينا هو حر إذ أصبح قناً لا يدوم على حالٍ، بين مسرورٍ بمولودٍ، ومحزونٍ بمفقودٍ، فلولا أن الحي يتلف لم يسعهم بلد، ولولا أن المولود يخلف لم يبق أحد. قال معاوية: أخبرني عن المال أيه أحسن في عينيك؟ قال: أحسن المال في عيني وأنفعه غناء وأقله عناء، وأجداده على العامة عين خرارة في أرضٍ خوارةٍ إذا استودعت أدت، وإذا استحليتها درت وأفعمت، تعول ولا تعال. قال معاوية: ثم ماذا؟ قال: فرس في بطنها فرس تتبعها فرس، قد ارتبطت منها فرساً: قال معاوية: وأي النعم أحب إليك؟ قال: النعم لغيرك يا أمير المؤمنين. قال لمن؟ قال: لمن فلاها بيده وباشرها بنفسه، قال معاوية: حدثني عن الذهب والفضة، قال: حجران إن أخرجتها نفدا، وإن خزنهما لم يزيدا. قال معاوية: فأخبرني عن قيامك وقعودك، وأكلك وشربك، ونومك وشهوتك للباه. قال: أما قيامي: فإن قمت فالسماء تبعد، وإن قعدت فالأرض تقرب، وأما أكلي وشربي: فإن جعت كلبت، وإن شبعت بهرت، وأما نومي: فإن حضرت مجلساً حالفني، وإن خلوت أطلبه فارقني، وأنا الباه: فإن بذل لي عجزت، وإن منعته غضبت، قال معاوية: فأخبرني عن أعجب شيء رأيته. قال: إني نزلت بحيٍ من قضاعة، فخرجوا بجنازة رجلٍ من عذرة يقال له حريث بن جبلة، فخرجت معهم حتى إذا واروه انتبذت جانباً عن القوم وعيناي تدمعان، ثم تمثلت بأبيات شعر كنت رويتها قبل ذلك:

يا قلب إنك من أسماء مغرور ... فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير؟
قد بحت بالحب ما تخفيه من أحدٍ ... حتى جرت بك أطلاقاً محاضير
تبغي أموراً فما تدري أعالجها ... خير لنفسك أم ما فيه تأخير؟؟
فاستقدر الله خيراً وارضين به ... فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبطاً ... إذ صار في الرمس تعفوه الأعاصير
حتى كان لم يكن إلا تذكره ... والدهر أيتما حالٍ دهارير
يبكي الغريب عليه ليس يعرفه ... وذو قرابته في الحي مسرور
وذاك آخر عهدٍ من أخيك إذا ... ما المرء ضمنه اللحد الخناشير

الواحد خنشير، والجمع الخناشير، ويقال: الخناشرة وهم الذين يتبعون الجنازة. فقال رجل إلى جانبي يسمع ما أقول: يا عبد الله من قائل هذه الأبيات؟ قلت: والذي أحلف به ما أدرى، إلا أني قد رويتها منذ زمان. قال: قائلها الذي دفناه آنفاً، وإن هذا ذا قرابته أسر الناس بموته، وإنك للغريب الذي وصف تبكي عليه. قال: فعجبت لما ذكر في شعره، والذي صار إليه من قوله كأنه كان ينظر إلى موضع قبره. فقلت: إن البلاء موكل بالمنطق. قال المؤلف: وذكر محمد بن إسحاق النديم في كتاب الفهرست فقال: عبيد بن شرية الجرهمي أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً، ووفد على معاوية بن أبي سفيان فسأله عن الأخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم، وسبب تبلبل الألسنة، وأمر افتراق الناس في البلاد، وكان استحضره من صنعاء اليمن، فأجابه بما أمر به معاوية أن يدون وينسب إلى عبيد بن شرية، ثم عاش عبيد إلى أيام عبد الملك ابن مروان. وله من الكتب: كتاب الأمثال، كتاب الملوك وأخبار الماضين. وقال غير النديم: كان عبيد بن شرية يروى عن الكيس النمري وابنه يزيد بن الكيس، وعن الكسير الجرهي وعبد ودٍ الجرهمي.

عبيد بن مسعدة

يعرف بابن أبي الجليد. قال المرزباني: أبو الجليد الفزاري المنظوري الذي اسمه مسعدة، وابنه ابن أبي الجليد نحوي أهل المدينة اسمه عبيد بن مسعدة، وكان أبو الجليد أعرابياً بدوياً علامةً، وكان الضحاك بن عثمان يروى عنه. وأبو الجليد هو القائل ورأى جاريةً سوداء غليظة الجسم:
إن لم يصبني أجلي فاخترم ... أشتر من مالي صناعاً كالصنم
عريضة المعطس خشناء القدم ... تكون أم ولدٍ وتختدم
إذا أبنها جاء بشرٍ لم يلم ... يقتل الناس ولا يوفى الذمم

عناب بن ورقاء لشيباني

نقلت من خط أبي سعدٍ السمعاني: أنبأنا إبراهيم بن نبهان الغنوي: حدثنا أبو عبد الله الحميدي: عن أبي العباس أحمد بن عمر العذري بالمغرب، عن أبي البركات محمد بن عبد الواحد الزبيري بالأندلس، عن أبي

سعيدٍ السيرافي عن أبي إسحاق الزجاج بالأندلس، عن أبي سعيدٍ السيرافي عن أبي إسحاق الزجاج عن المبرد قال: لما وصل المأمون إلى بغداد وقر بها قال ليحيى بن أكثم: وددت لو أني وجدت رجلاً مثل الأصمعي ممن عرف أخبار العرب وأيامها وأشعارها فيصحبني كما صحب الأصمعي الرشيد. فقال له يحيى: ههنا شيخ يعرف هذه الأخبار يقال له عتاب بن ورقاء من بني شيبان. قال: فابعث لنا فيه مخضر فقال له يحيى: إن أمير المؤمنين يرغب في حضورك مجلسه وفي محادثته. فقال: أنا شيخ كبير ولا طاقة لي، لأنه ذهب مني الأطيبان. فقال له المأمون: لابد من ذلك. فقال الشيخ: فاسمع ما حضرني، فقال اقتضاباً

أبعد ستين أصبو ... والشيب للمرء حرب
شيب وسن وإثم ... أمر لعمرك صعب
يا بن الإمام فهلا ... أيام عودي رطب
وإذ مشيبي قليل ... ومنهل العيش عذب
فالآن لما رأى بي ... عواذلي ما أحبوا
آليت أشرب راحاً ... ما حج لله ركب

فقال المأمون: ينبغي أن تكتب بالذهب وأعفى لشيخ وأمر له بجائزةٍ.

عثمان بن جنيٍ أبو الفتح النحوي

وكان جني أبوه مملوكاً رومياً لسليمان بن فهد الأزدي الموصلي، من أحذق أهل الأدب وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصنف في ذلك كتباً أبر بها على المتقدمين، وأعجز المتأخرين، ولم يكن في شيءٍ من علومه أكمل منه في التصريف، ولم يتكلم أحد في التصريف أدق كلاماً منه، ومات لليلتين بقيتا من صفرٍ سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة في خلافة القادر، ومولده قبل الثلاثين وثلاثمائةٍ وهو القائل:

فإن أصبح بلا نسب ... فعلمي في الورى نسبي
على أني أقول إلى ... قرومٍ سادةٍ نجب
قياصرة إذا نطقوا ... ارم الدهر في الخطب
أولاك دعا النبي لهم ... كفى شرفاً دعاء نبي

وحدث غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن قال: حدثني أبي قال: كان من كتاب الإنشاء في أيام عضد الدولة وبعدها في أيام صمصام الدولة ابنه كاتب يعرف بأبي الحسين القمي قال: وشاهدته في ديوان الإنشاء يكتب بين يدبي جدي أبي إسحاق لما ولاه صمصام الدولة، فاتفق أنه حضر يوماً عند جدي أبي إسحاق أبو الفتح عثمان بن جنيٍ النحوي في الديوان وجلس يتحدث مع جدي تارةً ومعي إذا اشتغل جدي أخرى، وكانت له عادة في حديثه بأن يميل بشفته ويشير بيده، فبقي أبو الحسين القمي شاخصاً ببصره تعجب منه، فقال له ابن جنيٍ: ما بك يا أبا الحسين تحدق إلى النظر، وتكثر من التعجب؟ قال: شيء ظريف، قال: ما هو؟ قال: شبهت مولاي الشيخ وهو يتحدث ويقول ببوزه كذا وبيده كذا بقرد رأيته اليوم عند صعودي إلى دار المملكة وهو على شاطئ دجلة يفعل مثل ما يفعل مولاي الشيخ، فامتعض أبو الفتح وقال:

ما هذا القول يا أبا الحسين – فأعزك الله – ومتى رأيتني أمزح فتمزح معي أو أمجن فتمجن بي، فلما رآه أبو الحسين قد حرد واستشاط وغضب قال: المعذرة أيها الشيخ وإلى الله تعالى عن أن أشبهك بالقرد، وإنما شبهت القرد بك، فضحك أبو الفتح وقال: ما أحسن ما اعتذرت، وعلم أبو الفتح أنها نادرة تشيع، فكان يتحدث بها هو دائماً.

قال: واجتاز أبو الفتح يوماً وأبو الحسين في الديوان وبين يديه كانون فيه نار والبرد شديد. فقال له أبو الحسين: تعال أيها الشيخ إلى النير، فقال: أعوذ بالله، النير: هو صماد البقر.

وذكره أبو الحسن علي بن الحسن الباخرزي في دمية القصر فقال: ليس لأحد من أئمة الأدب في فتح المقفلات وشرح المشكلات ماله، فقد وقع عليها من ثمرات الإعراب ولاسيما في علم الإعراب، ومن تأمل مصنفاته وقف على بعض صفاته، فوربي إنه كشف الغطاء عن شعره وما كنت أعلم أنه ينظم القريض أو يسيغ ذلك الجريض حتى قرأت مرثيةً في المتنبي أولها:

غاض القريض وأذوت نضرة الأدب ... وصوحت بعد ري دوحة الكتب
سلبت ثوب بهاء كنت تلبسه ... كما تخطف بالخطية السلبُ
ما زلت تصحب في الجلي إذا انشعبت ... قلباً جميعاً وعزماً غير منشعب
وقد حلبت لعمري الدهر أشطره ... تمطو بهمة لاوانٍ ولا نصب
من للهواجل يحبي ميت أرسمها ... بكل جائلة التصدير والحقب
قباء خوصاء محمودٍ علالتها ... تنبو عريكتها بالحلس والقتب
أم من البيض الظبا توكافهن دم ... أم من لسمر القنا والزغف واليلب
أم للجحافل يذكى جمر جاحمها ... حتى يقربها من جاحم اللهب
أم للمحافل إذ تبدو لتعمرها ... بالنظم والنثر والأمثال والخطب
أم للصواهل محمرا سرابلها ... من بعد ما غربت معروقة الشهب
أم للمناهل والظلماء عاطفة ... يواصل السكر بين الورد والقرب
أم للقساطل تعتم الحزون بها ... أم من لضغم الهزبر الضيغم الحرب
أم للملوك يحليها ويلبسها ... حتى تمايس في أبرارها القشب
باتت وسادى أطراب تؤرقني ... لما غدوت لقى في قبضة الثوب
عمرت خدن المساعي غير مضطهدٍ ... كالنصل لم يدنس يوماً ولم يعب
فاذهب عليك سلام المجد ما قلقت ... خوص الركائب بالأكوار والشعب

وحدث أبو الحسن الطرائفي قال: كان أبو الفتح عثمان بن جني يحضر بحلب عند المتنبي كثيراً ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه شيئاً من شعره أنفةً وإكباراً لنفسه. وكان المتنبي يقول في أبي الفتح: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وسئل المتنبي بشيراز عن قوله:

وكان ابنا عدوٍ كاثراه ... له ياءي حروف أنيسيان

فقال: لو كان صديقنا أبو الفتح حاضراً لفسره. وحدث أبو إسحاق إبراهيم بن عليٍ الحصري في كتاب

النورين: وقال بعض أهل العصر، وهو أبو الفتح عثمان ابن جنيٍ النحوي:

غزال غير وحشيٍ ... حكى الوحشى مقلته

رآه الورد يجني الور ... د فاستكساه حلته

وشم بأنفه الريحا ... ن فاستهداه زهرته

وذاقت ريحه الصهبا ... ء فاختلسته نكهته

وكان أبو الفتح بن جنيٍ ممتعاً بإحدى عينيه، فلذلك يقول في صديقٍ له:

صدودك عني ولا ذنب لي ... دليل على نيةٍ فاسده

فقد وحياتك مما بكيت ... خشيت على عيني الواحده

ولولا مخافة ألا أراك ... لما كان في تركها فائده

وحدثت أنه صحب أبا عليٍ الفارسي أربعين سنة وكان السبب في صحبته له: أنا أبا عليٍ اجتاز بالموصل فمر بالجامع وأبو الفتح في حلقةٍ يقرئ النحو وهو شاب فسأله أبو علي عن مسألةٍ في التصريف فقصر فيها، فقال له أبو علي: زببت وأنت حصرم، فسأل عنه فقيل له: هذا أبو عليٍ الفارسي فلزمه من يومئذٍ واعتنى بالتصريف فما أحد أعلم منه به ولا أقوم بأصوله وفروعه، ولا أحسن أحد إحسانه في تصنيفه. فلما مات أبو عليٍ تصدر أبو الفتح في مجلسه ببغداد بأخذ عنه الثمانيني وعبد السلام البصري وأبو الحسن السمسمي. وكان لابن جني من الولد على وعالٍ وعلاء وكلهم أدباء فضلاء قد خرجهم والدهم وحسن خطوطهم، فهم معدودون في الصحيحي الضبط، وحسني الخط. ومن كتاب سر السرور لأبي الفتح بن جنيٍ:

رأيت محاسن ضحك الربيع ... أطال عليها بكاء السحاب

وقد ضحك الشيب في لمتى ... فلم لا أبكي ربيع الشباب؟

أأشرب في الكأس كلا وحاشا ... لأبصره في صفاء الشراب؟

وأنشد له:

تحبب أو تذرع أو تأبى ... فلا والله لا أزداد حبا

أخذت ببعض حبك كل قلبي ... فإن رمت المزيد فهات قلبا

قرأت بخط أبي علي بن إبراهيم الصابئ: ولأبي نصر بشر بن هارون في ابن جنيٍ النحوي وقد جرى بينه وبينه في معنى شيطان يقال: إنه يظهر بالراية اسمه العدار، وإذا لقى إنساناً وطأه، فقال له ابن جنيٍ: بودك لو لقيك فإنه كان لأمنتيك، فقال أبو نصرٍ:

زعمت أن العدار خدني ... وليس خدناً لي العدار

عفر من الجن أنت أولى ... به وفيه لك افتخار

فالجن جن ونحن إنس ... شتان هذان يا حمار

ونحن من طينةٍ خلقنا ... ما خلق الجن منه نار

العر والعار فيك تما ... والعور التام والعوار

ونقل عن خط أبي الفتح بن جني خطبة نكاحٍ من أنشأته: الحمد لله فاطر السماء والأرض، ومالك الإبرام والنقض، ذي العزة والعلاء، والعظمة الكبرياء، مبتدع الخلق على غير مثال، والمشهود بحقيقته في كل حالٍ، الذي ملأت حكمته القلوب نوراً، فاستودع علم الأشياء كتاباً مسطوراً، وأشرق في غياهب الشبه خصائص نعوته، واغترقت أرجاء الفكر بسطبة ملكوته، أحمده حمد معترف بجزيل نعمه وأحاظيه، ملتبساً بسني قسمه وأعاطيه. وأؤمن به في السر والعلن، وأستدفع بقدرته ملمات الزمن، وأستعينه على نوازل الأمور، وأدرئه في نحر كل محذور، وأشهد شهادةً تخضع لعلوها السموات وما أظلت، وتعجز عن حملها الأرضون وما أقلت، أنه مالك يوم البعث والمعاد والقائم على كل نفسٍ بالمرصاد، وأن لا معبود سواه، ولا إله إلا هو، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم، –وبحل وكرم –، عبده المنتخب، وحجته على العجم والعرب، ابتعته بالحق إلى أوليائه ضياءً لامعاً، وعلى المراق من أعدائه شهاباً ساطعاً، فابتذل في ذات الله نفسه وجهدها، وانتحى مناهج الرشد وقصدها، مستسهلاً ما يراه الأنام صعباً، ومستخصباً ما يرعونه بينهم جدباً، يغامس أهل الكفر والنفاق، ويمارس البغاة وأولى الشقاق، بقلبٍ غير مذهولٍ، وعزمٍ غير مفلول يستنجز الله صادق وعده، ويسعى في خلود الحق من بعده، إلى أن وطد بوانى الدين وأرساها، وشاد شرف الإسلام وأسماها، فصرم مدته التي أوتيها في طاعة الله موفقاً حميداً، ثم انكفأ إلى خالقه مطمئنا به فقيداً، صلى الله عليه وسلم ما ومض في الظلام برق، أو نبض في الأنام عرق، وعلى الخرة المصطفين من آله، والمقتدين بشرف فعاله، وإن مما أفرط الله تعالى به سابق حكمه، وأجرى بكونه قلم علمه، ليضم بوقوعه متباين الشمل، ويزم به شارد الفرع إلى الأصل، أن فلان بن فلان وهو كما يعلم من حضر من ذوي الستر وصدق المختبر، مشجوح الخليقة، مأمون الطريقة، متمسك بعصام الدين، آخذ بسنة المسلمين، خطب للأمر المحموم، والقدر المحتوم. من فلان بن فلان الظاهر العدالة والإنصاف، أهل البر وحسن الكفالة والكفاف، عقيلته فلانة بنت فلانٍ خيرة نسائها وصفوة آبائها في زكاء منصبها وطيب مركبها، وقد بذل لها من الصداق كذا وكذا، فليشهد على ذلك أهل مجلسنا، (وكفى بالله شهيداً) ثم يقرهما ثم يقال: لاءم الله على التقوى كلمتيكما، وأدام بالحسنى بينكما، وخار لكما فيما قضى. ولا أبتر كما صالح ما كسا وهو حسبنا وكفى.

قرأت بخط الشيخ أبي منصور موهوب بن الخضر، الجواليقي –رحمه الله –أنشدنا الشيخ الإمام أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي قال: أنشدنا عالي بن عثمان بن جنيٍ قال: أنشدنا أبي لنفسه:

وحلو شمائل الأدب ... منيف مراتب الحسب
أخي فخر مفاخره ... عقائل عقلة الأدب
له كلف بما كلفت ... به العلماء م العرب
ببيت يفاتش الأنقا ... ب عن أسرارها الغيب
فمن جددٍ إلى جلدٍ ... إلى صعدٍ إلى صبب
ويسرب في معانيها ... بضيض رواشح الثغب
ويفرع فكره الأبكا ... ر منها من حمى الحجب
فيبردها وكان بها ... وإن خفيت سنا لهب

يغازل من تأملها ... غزال الخرد العرب
يجد بها وتحسبه ... للطف الفكر في لعب
بساطة مذهب سبكت ... عليه ماءة الذهب
ورقة مأخذٍ شهدت ... بغلظة كل منتخب
وطرداً للفروع على ... أصولٍ وطدٍ رتب
إذا ما انحط غائرها ... سما فرعاً على الرتب
قياساً مثل ما وقدت ... بليلٍ برزة الشهب
وألفاظاً مهذبة الحوا ... شي ثرةً السحب
فطوراً من ذرى علمٍ ... وطوراً من ذرى طنب
إذا حازت لنا سلباً ... فعد عن القنا السلب
تركت مساجلي أدبي ... طوال الدهر في تعب
إذا أجروا إلى أمدٍ ... فقل في هافةٍ لغب
وإن راموا مبادهتي ... سبقت وأوطئوا عقبي
وكيف يروم منزلتي ... نزيل خبائث الترب؟

وهل يسمو لقارعتي ... خفيض الخد ذو حدب
وهل ينتاط بي سبباً ... ضعيف مقاعد السبب
أغرة وجه سابقها ... تقاس بشعله الذنب؟
شكرت الله نعمته ... وما أولاه من أرب
زكت عندي صنائعه ... فوفقني وأحسن بي
تخولني وخولني ... ونولني ونوه بي
وأخر من يقادمني ... وأعلاني وأرغم بي
فيا بأبي منائحه ... وقل لهن يا بأبي
ضفون على عطف علاً ... برفلٍ جد منشعب
فإن أصبح بلا نسبٍ ... فعلى في الورى نسبي
على أني أؤول إلى ... قرومٍ سادةٍ نجب
قياصرة إذا نطقوا ... أرم الدهر ذو الخطب
أولاك دعا النبي لهم ... كفى شرفاً دعاء نبي
وإما فاتني نشب ... كفاني ذاك من نشبي
وإن أركب مطا سفرٍ ... مجد الورد والقرب
فإني مخدل خلفاً ... يضاحي الشمس من كثب

إذا لم يبق لي عقب ... أقامت خير ما عقب
موشحةً مرشحةً ... لنل الغاي من كثب
يصم صدى الحسود لها ... ويخرق أطرق الركب
إذا اهتزت كتائبها ... هفت خفاقة العذب
أزول وذكرها باقٍ ... على الأيام والحقب
تناقلها الرواة لها ... على الأجفان من حدب
فيرتع في أزاهرها ... ملوك العجم والعرب
فمن مغن إلى مدنٍ ... إلى مثنٍ إلى طرب
كفاها أن يقول لها ... بها الدولة اقتربي
إلى الله المصير غداً ... وعند الله مطلبي
له ظهري وعتملي ... ومتجهي ومنقلبي
فقل للغامطي نعى ... وما راعيت من قربي
وتثميري وتنشئتي ... ومحتالي ومضطربي
ونهضي عنك أطعن في ... نحور أوابد النوب
ورفعي من رذائلك ال ... لواتي بعضها سببي
ولولا أنت كان أدي ... م مأثرتي بلا ندب
ألها أشرت وأن ... نزت بك بطنة الكلب
وأكرمك الأكابر لي ... وخالطت الأماثل بي
ورفعت الذلاذل عن ... معاطف تائهٍ حرب
وأنسيت الأوائل بال ... أواخر نزقة العجب
وقلت أنا وأين أنا ... ومن مثلي وحسبك بي؟
وقال لي الوزير هنا ... وأدناني ورحب بي
وقدمني ولقبني ... ووسطني وصدر بي
أسأت جوار عارفتي ... فتق بطوارق العقب
وحسبي أن ألم بكب ... ر مثلك جارحاً حسب
ولكن الدواء على ... كراهته شفا الوصب

حدث أبو الحسن الطرائفي ببغداد قال: كان أبو الفتح عثمان بن جنيٍ في حلب يحضر عند المتنبي الكثير، ويناظره في شيء من النحو من غير أن يقرأ عليه ديوان شعره إكباراً لنفسه عن ذلك وكان المتنبي يعجب بأبي الفتح وذكائه وحذقه، ويقول: هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس، وسئل أبو الطيب بشيراز عن قوله:

وكان ابنا عدوٍ كاثراه ... له يأتي حروف أنيسيان

فقال: لو كان صديقنا أبو الفتح بن جنيٍ حاضراً فسره. قلت: وتفسيره أن لفظة إنسانٍ خمسة أحرفٍ إذا كانت مكبرةً، فإذا صغر قيل أنيسيان فزاد عدد حروفه وصغر معناه، فيقول للممدوح: إن عدوك الذي له إبنان فيكاثرك بهما كانا زائدين في عدده ناقصين من فضله وفخره، لأنهما ساقطان خسيسان كيائي أنيسيان تزيدان في عدد الحروف وتنقصان من معناه.

قرأت بخط الشيخ أبي منصور بن الجواليقي قال لنا أبو زكرياء: رأيت بخط ابن جنيٍ: أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد القرميسيني عن أبي بكر محمد بن هارون ارورياني عن أبي حاتم سهل بن محمد السجستاني قال: قرأ على أعراب (طيبي لهم وحسن مآبٍ)، فقلت: طوبى، فقال: طيبي، فقلت ثانياً: طوبى، فقال: طيبي، فلما طال علي قلت: طوطو، فقال الأعرابي: طى طى أما ترى إلى هذه النحيزة ما أبقاها وأشد محافظة هذا البدوي عليها، حتى إنه استسكره علي تركها فأبى إلا إخلاداً إليها. ونحو ذلك قال عمرو الكلبي: وقد أنشد بعض أهل الأدب:

بانت نعيمة والدنيا مفرقة ... وحال من دونها غيران مزعوج

فقيل له: لا يقال مزعوج، إنما يقال مزعج فجفا ذلك عليه، وقال يهجو النحويين:

ماذا لقينا من المستعربين ومن ... قياس نحوهم هذا الذي ابتدعوا

إن قلت قافيةً بكراً يكون بها ... بيت خلاف الذي قاسوه أو ذرعوا

قالوا لحنت وهذا ليس متصباً ... وذاك خفض وهذا ليس يرتفع

وخرصوا بين عبد الله من حمقٍ ... وبين زيدٍ فطال الضرب والوجع

كم بين قومٍ قد احتالوا لمنطقهم ... وبين قومٍ على إعرابهم طبعوا

ما كل قولي مشروحاً لكن فخذوا ... ما تعرفون وما لم تعرفوا فدعوا

لأن أرضي أرض لا تشب بها ... نار المجوس ولا تبني بها البيع

قال ابن جني: وعلى نحو ذلك، فخضرني قديماً بالموصل أعرابي عقيلي جوني تميمي، يقال له محمد بن العساف الشجري، وقلما رأيت بدوياً أفصح منه، فقلت له يوماً شغفاً بفصاحته، والتذاذاً بمطاولته، وجرياً على العادة معه في إيقاظ طبعه واقتداح زند فطنته: كيف تقول أكرم أخوك أباك، فقال: كذاك، فقلت له: أفتقول أكرم أخوك أبوك؟ فقال: لا أقول أبوك أبداً. فقلت: فكيف تقول أكرمني أبوك؟ فقال: كذاك، قلت: ألست تزعم أنك لا تقول أبوك أبداً؟ فقال: إيش هذا اختلفت جهتا الكلام، فهل قوله اختلفت جهتا الكلام إلا كقولنا نحن هو الآن فاعل، وكان في الأول مفعولاً، فانظر إلى قيام معاني هذا الأمر في أنفسهم وإن لم تقطع به عبارتهم.

أخبرني أبو عليٍ عن أبي بكرٍ عن أبي العباس قال: سمعت عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يقرأ (ولا الليل سابق النهار)، فقلت لك ما أردت؟ قال: أردت سابق النهار، فقلت له: فهلا قلته، فقال: لو قلته لكان أوزن أي أقوى وأفصح، ففي هذه الحكاية من فقه العربية ثلاثة أشياء: أحدها أنهم قد يراعون من معانيهم ما ننسبه إليهم ونحمله عليهم. والثاني أنهم قد ينطقون بالشيء وفي أنفسهم غيره، ألا ترى أنه لما نص أبو

العباس عليه واستوضح ما عنده قال: أردت كذا، وهو خلاف ما لفظ به. والثالث أنهم قد ينطقون بالشيء وغيره أقوى منه استلانةً وتخفيفاً، ألا تراه كيف قال: لو قلته لكان أوزن أي أقوى وأعرب.
قال ابن جنيٍ: وسألت الشجري صاحبنا هذا الذي قد مضى ذكره قلت له: كيف يا أبا عبد الله تقول: اليوم كان زيد قائماً، فقال: كذلك، فقلت: فكيف تقول اليوم إن زيداً قائم، فإياها ألبتة، وذلك أن ما بعد إن لا يعمل فيما قبلها، لأنها إنما تأتي أبداً مستقبلة قاطعةً لما قبلها عما بعدها، وما بعدها عما قبلها. قلت له يوماً ولابن عمٍ له يقال له غصن، وكان أصغر منه سناً وألين لساناً، كيف تحقران حمراء؟ فقالا: حميراء قلت: فصفراء، قالا: صفيراء، قلت: فسوداء، قالا: سويداء، واستمررت بها في نحو هذا فلما استويا عليه دسست بين ذلك علباء فقلت: فعلباء فأسرع ابن عمه على طريقته فقال: عليباء، وكان الشجري يقولها معه، فلما هم بفتح الباء استرجع مستنكراً فقال: أه عليبي، وأشم الفتحة دائماً للحركة في الوقف وتلك عادة.

قال ابن جني: فسألته يوماً يا أيا عبد الله، كيف تجمع محرنجماً، وكان غرضي من ذلك أن أعلم ما يقوله، أيكسر فيقول حراجم، أم يصحح فيقول محرنجمات؟؟ فذهب هو مذهباً غير ذين فقال: وإيش فرقه حتى أجمعه وصدق، وذلك أن المحرنجم هو المجتمع يقولها مارا على شكيمته غير محسٍ لما أريده منه، والجماعة معي على غاية الاستغراب لفصاحته، قلت له: فدع هذا، إذا أنت مررت بإبلٍ محرنجمةٍ و أخرى محرنجمة وأخرى محرنجمةٍ تقول مررت بإبل ماذا؟ فقال وقد أحس الموضع: يا هذا هكذا أقول: مررت بإبل محرنجاتٍ وأقام على التصحيح ألبتة استيحاشاً من تكسير ذوات الأربعة لمصاقبها ذوات الخمسة التي لا سبيل إلى تكسيرها، لاسيما إذا كان فيها زيادة، والزيادة قد تعتد في كثير من المواضع اعتداد الأصول، حتى أنها لتلزم لزومها نحو كوكبٍ وحوشبٍ وضيون وهز نيران ودودرى وقرنفل، وهذا وضع يحتاج إلى إصغاء إليه وإرعاء عليه والوقت لتلاحمه وتقارب أجزائه مانع منه، ويعين الله فيما يليه على المعتقد المنوي فيه بقدرته. وسألته يوماً كيف تجع سرحاناً؟ فقال: سراحين، قلت: فدكانا، قال: دكاكين: قلت: فقرطاناً قال: قراطين، قلت: فعثمان قال: عثمانون، قلت: هلا قلت عثامين كما قلت سراحين وقراطين، فأباها البتة وقال: إيش ذا؟ أرأيت إنساناً يتكلم بما ليس من لغته؟ والله لا أقولها أبداً. استوحش من تكسير العلم إكثاراً له لاسيما وفيه الألف والنون اللتان بابهما فعلان الذي لا يجوز و فيه فعالين نحو سكران وغضبان.
فهرست كتب ابن جنيٍ، كتب ابن جنيٍ إجازة بما صورته: " بسم الله الرحمن الرحيم " : قد أجزت للشيخ أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن نصرٍ – أدام الله عزه – أن يروي عني مصنفاتي وكتبي مما صححه وضبطه عليه أبو أحد عبد السلام بن الحسين البصري – أيد الله عزه – : عنده منها كتابي الموسوم بالخصائص وحجمه ألف ورقةٍ، وكتابي التام في تفسير أشعار هذيل مما أغفله أبو سعيد الحسن ابن الحسين السكري – رحمه الله – وحجمه خمسمائة ورقة بل يزيد على ذلك، وكتابي في سر الصناعة وهو ستمائة ورقةٍ، وكتابي في تفسير تصريف أبي عثمان بكر بن محمد ابن بقية المازني وحجمه خمسمائة ورقةٍ، وكتابي في شرح المقصور والممدود عن يعقوب بن إسحاق السكيت وحجمه أربعمائة ورقةٍ، وكتابي في تعاقب العربية وأطراف به وحجمه مائتا ورقةٍ، وكتابي في تفسير ديوان المتنبي الكبير وهو ألف ورقةٍ ونيف، وكتابي في تفسير معاني هذا

الديوان وحجمه مائة ورقةٍ وخمسمون ورقةً، وكتابي اللمع في العربية وإن كان لطيفاً، وكذلك كتابي مختصر التصريف على إجماعه، وكتابي مختصر العروض والقوافي، وكتاب الألفاظ المهموزة، وكتابي في اسم المفعول المعتل العين من الثلاثي على إعرابه في معناه وهو المتقضب، وما بدأت بعمله من كتاب تفسير المذكر والمؤنث ليعقوب أيضاً – أعانه الله – على إتمامه، وكتاب ما خرج عني من تأييد المذكرة عن الشيخ أبي عليٍ – أدام الله عزه – وكتابي في المحاسن في العربية وإن كان ما جرى أزال يدي عنه حتى شذ عنها ومقداره ستمائة ورقةٍ، وكتابي النوادر الممتعة في العربية وحجمه ألف ورقةٍ وقد شذ أيضاً أصله عني، فإن وقعا كلاهما أو شئ منهما فهو لاحق بما أجزت روايته هنا، وكتاب ما أحضرنيه الخاطر من المسائل المنثورة مما أمللته أو حصل في آخر تعاليقي عن نفسي وغير ذلك مما هذه حاله وصورته، فليرو – أدام الله عزه – ذلك عني أجمع إذا أصبح عنده وأنس بتثقيفه وتسديده، وما صح عنده – أيده الله – من جميع رواياتي مما سمعته من شيوخي – رحمهم الله – وقرأته عليهم بالعراق والموصل والشام وغير هذه البلاد التي أتيتها وأقمت بها مباركاً له فيه منفوعاً به بإذن الله، وكتب عثمان بن جنيٍ بيده حامداً سبحانه في آخر جمادى الآخرة من سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ: والحمد لله حق حمده عوداً على بدء. ومن كتبه ما لم تتضمنه هذه الإجازة: كتاب المحتسب في شرح الشواذ، وكتاب تفسير أرجوزة أبي نواس، وكتاب تفسير العلويات وهي أربع قصائد للشريف الرضى كل واحدةٍ في مجلدٍ، وهي قصيدة رثى بها أبا طاهر إبراهيم ابن نصر الدولة أولها.

ألق الرماح ربيعة بن نزار ... أودى الردى بقريعك المغوار

ومنها قصيدته التي رثى بها الصاحب بن عبادٍ وأولها:

أكذا المنون تقطر الأبطالا ... أكذا الزمان يضعضع الأجيالا

وقصيدته التي رثى بها الصابئ أولها:

أعلمت من حملوا على الأعواد ... أرأيت كيف خبا زناد النادي

وكتاب البشرى والظفر صنعه لعضد الدولة ومقداره خمسون ورقةً في تفسير بيتٍ من شعر عضد الدولة.

أهلاً وسهلاً بذي البشرى ونوبتها ... وباشمال سرايانا على الظفر

وكتاب رسالةٍ في مد الأصوات ومقادير المدات كتبها إلى أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد الطبري مقدارها ست عشرة ورقةً بخط ولده عالٍ: كتاب المذكر والمؤنث، كتاب المنتصف، كتاب مقدسات أبواب التصريف، وكتاب النقض على ابن وكيعٍ في شعر المتنبي وتخطئته، كتاب المغرب في شرح القوافي، كتاب الفصل بين الكلام الخاص والكلام العام، كتاب الوقف والابتداء كتاب الفرق، كتاب المعاني المجردة، كتاب الفائق، كتاب الخطيب، كتاب الأراجيز، كتاب ذي القد في النحو، وكتاب شرح الفصيح، وكتاب شرح الكافي في القوافي وجد على ظهر نسخةٍ ذكر ناسخها أنه وجده بخط أبي الفتح عثمان بن جنيٍ – رحمه الله – على ظهر نسخة كتاب المحتسب في علل شواذ القراءات.

أخبرني بعض من يعتادني للقراءة علي والأخد قال: رأيتك في منامي جالساً في مجلس لك على حال كذا

وبصورة كذا، وذكر من الجلسة والشارة جميلاً، وإذا رجل له رواء ومنظر وظاهر نبلٍ وقدرٍ قد أتاك، فحين رأيته أعظمت مورده وأسرعت القيام له فجلس في مجلسك وقال لك: اجلس، فجلست فقال: كذا شيئاً ذكره، ثم قال لك: أتمم كتاب الشواذ الذي عملته فإنه كتاب يصل إلينا ثم نهض، فلما ولى سألت بعض من كان معه عنه فقال: علي ابن أبي طالب عليه السلام، ذكر هذا الرائي لهذه الرؤيا لي، وقد بقيت من نواحي هذا الكتاب أميكنة تحتاج إلى معاودة نظرٍ وأنا على الفراغ منها. وبعده ملحق في الحاشية بخطه أيضاً، ثم عاودتها فصحت بلطف الله ومشيئته، تمت الحكاية. وقرأت بخط الشيخ أبي الحسن على بن عبد الرحي السلمي: أنشدني الرئيس أبو منصور ابن دلال قال: أنشدنا أبو زكرياء يحيى بن علي التبريزي قال: أنشدني أبو العباس محمد بن الفضل بن محمد القصباني النحوي البصري بها لابن الزملدم الموصلي يهجو أبا الفتح ابن جنيٍ:

يا أبا الفتح قد أتيناك للتد ... ريس والعلم في فنائك رحب
فوجدنا فتاة بينك أنحى ... منك والنحو مؤثر مستحب
قدماها مرفوعة وهي خفض ... قلم الأير فاعل وهو نصب
مذهب خالفت شيوخك فيه ... فهي تصبى به الحليم وتصبو

عثمان بن ربيعة الأندلسي

ذكره الحميدي فقال: هو مؤلف كتاب طبقات الشعراء بالأندلس، مات قريباً من سنة عشر وثلاثمائةٍ.

عثمان بن سعيد بن عدي بن غزوان

ابن داود بن سابق المصري القفطي المعروف بورشٍ المقرئ، وقيل: هو عثمان بن سعيد بن عبد الله بن عمرو ابن سليمان بن إبراهيم القرشي مولىً لآل الزبير بن العوام وقط بلد بصعيد مصر وأصله من القيروان، وقيل من ناحية إفريقية والأول أشهر، وأما كنيته فقيل: أبو سعيد، وقيل: أبو القاسم، وقيل: أبو عمرٍ، وأشهرها أبو سعيدٍ، وقيل: أبو القاسم، وقيل: أبو عمروٍ، وأشهرا أبو سعيد، مات فيما نقلناه من كتاب الحافظ أبي العلاء الهمذاني عن أبي سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الأعلى الصدفي المصري وأبي علي الحسن بن علي الأهوازي في سنة سبع وتسعين ومائةٍ في أيام المأمون الأهوازي خاصةً ومولده بمصر سنة عشرةٍ ومائةٍ في أيام هشام ابن عبد الملك، وقرأ على نافعٍ في سنة خمسٍ وخمسين ومائة في أيام المنصور، ومات وعمره سبع وثمانون سنة، وأما تلقيبه بورشٍ فقيل: إنما لقب به لأنه كان في حداثة سنة رآساً ثم إنه اشتغل بقراءة القرآن وتعلم العربية، ورحل إلى المدينة فقرأ بها على نافعٍ القرآن، وكان أزرق أبيض اللون قصيراً ذا كدنةٍ، وكان نافع يلقبه بالورشان وهو طائر معروف، لأنه كان على قصره يلبس ثياباً قصاراً فكان إذ مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه، وكان نافع يقول له: اقرأ يا ورشان وابن الورشان، ثم خفف فقيل: ورش، ولزمه ذلك حتى صار لا يعرف إلا به، وقيل: إن الورش شيء يصنع من اللبن لقب به لبياضه:

وحدث الحافظ بإسناده ورفعه إلى محمد بن سلمة العثماني قال: قلت لأبي سلمة، أكان بينك وبين ورش مودة؟ قال: نعم؟ قلت: كيف كان يقرأ ورش على نافعٍ؟ قال: قال لي ورش خرجت من مصر إلى المدينة لأقرأ على نافع فإذا هو لا يطاق القراءة عليه من كثرة أبناء المهاجرين والأنصار، وإنما يقرأ ثلاثين آية، فجلست خلف الحلقة فقلت لإنسان: من أكبر الناس عند نافع؟ فقال: كبير الجعفريين قال: قلت فكيف لي به؟ وقال: أنا أجيء معك إلى منزله، فقام الرجل معي حتى جاء إلى منزل الجعفري فدق الباب، فخرج إلينا شيخ تام من الرجال، قال: فقلت – أعزك الله – أنا رجل من مصر جئت لأقرأ على نافع فلم أصل إليه، وأخبرت أنك من أصدق الناس له، وأنا أريد أن تكون الوسيلة إليه، فقال: نعم وكرامةً، وأخذ طيلسانه ومضى معنا إلى منزل نافعٍ، وكان نافع له كنيتان، كان يكنى بأبي رويم وأبي عبد الله، فبأيتهما نودي أجاب، فقال له الجعفري: إن هذا وسلني إليك، جاءك من مصر ليقرأ عليك، ليس معه تجارة ولا جاء لحجٍ إنما جاء للقراءة خاصةً، فقال لصديقه الجعفري: أفلا ترى ما ألقى من ولد المهاجرين والأنصار؟ قال: فقال له صديقه تحتال له، فقال لي نافع: يمكنك أن تبيت في المسجد؟ قال: قلت: نعم، إنما أنا إنسان غريب، قال: فبت في المسجد، فلما كان الفجر تقاطر الناس ثم قالوا: قد جاء نافع، فلما أن قعد قال: ما فعل الغريب؟ قال: قلت هاأنا – رحمك الله – قال: أبت في المسجد؟ قلت: نعم، قال: فأنت أولى بالقراءة، قال: وكنت مع ذلك حسن الصوت مداداً به، قال: فاستفتحت فملأ صوتي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقرأت ثلاثين آية فأشار لي بيده أن اسكت، فقام إليه شاب من الحلقة فقال: يا معلم – أعزك الله – نحن معك وهذا رجل غريب، وإنما رحل للقراءة عليك، وأنت تقرئ ثلاثين آيةً وأنا أحب – أعزك الله – أن نجعل لي فيه نصيباً، فقد وهبت له عشراً وأقتصر أنا على عشرين، وكان ذلك ابن كبير المهاجرين فقال له: نعم وكرامة ثم قال: اقرأ فقرأت عشراً، ثم أومأ إلي بيده بالسكوت فسكت، فقام إليه فتى آخر فقال: يا معلم – أعزك الله – إني أحب أن أهب لهذا الرجل الغريب عشراً وأقتصر على عشرين، فقد تفضل عليه ابن كبير المهاجرين وأنت تعلم أني ابن كبير الأنصار، فأحببت أن يكون له أيضاً مثل ماله من الثواب، قال لي: اقرأ، فلما أن قرأت خمسين آيةً، قعدت حتى لم يبق أحد ممن له قراءة إلا قال لي اقرا، فأقرأ في خمسين، فما زلت أقرأ عليه خمسين في خمسين حتى قرأت عليه ختمات قيل أن أخرج من المدينة.

عثمان بن سعيد بن عثمان الأندلسي

أبو عمرو المقرئ، يعرف بابن الصيرفي، ذكره الحميدي فقال: محدث مكثر، ومقرئ مقدم. سمع بالأندلس محمد بن عبد الله بن أبي زمنينٍ الإلبيري وغيره. ورحل إلى المشرق قبل الأربعمائة فسمع خلفاً، وطلب علم القراءات، وقرأ وسمع الكثير، وعاد إلى الأندلس فتصدر للقراءات، وألف بها تواليف معروفةً، ونظمها في أرجوزةٍ مشهورةٍ، ومات في شوالٍ سنة أربعٍ وأربعين وأربعمائةٍ بدانية من بلاد الأندلس، ومن مذكور شعره:

قد قلت إذ ذكروا حال الزمان وما ... جرى على كل من يعزي إلى الأدب

لاشيء أبلغ من ذلٍ يجرعه ... أهل الخساسة أهل الدين والحسب

القائمين بما جاء الرسول به ... والمبغضين لأهل الزيغ والريب
وله كتب منها: كتاب التيسير في القراءات السبع، وكتاب الاقتصاد في القراءات السبع.

عثمان بن سعيد بن عثمان

أبو عمرو الداني المقرئ. قرأت في فوائد أحمد بن سلفة المنقولة من الداني بالإسكندرية من خطه ما صورته: قرأت على أبي عبد الله محمد بن الحسن بن سعيدٍ المقرئ الداني بالإسكندرية، عن أبي داود سليمان بن نجاح المقرئ المؤيدي قال: كتبت من خط أستاذي أبي عمروٍ عثمان بن سعيد بن عثمان المقرئ بعد سؤالي عن مولده يقول: عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الأموي القرطبي الصيرفي: أخبرني أبي أني ولدت في سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، وابتدأت في طلب العلم سنة ستٍ وثمانين، وتوفي أبي في سنة ثلاثٍ وتسعين في جمادى الأولى، فرحلت إلى المشرق في اليوم الثاني من المحرم يوم الأحد في سنة سبعٍ وتسعين ومكثت بالقيروان أربعة أشهرٍ، ولقيت جماعةً وكتبت عنهم، ثم توجهت إلى مصر ودخلتها اليوم الثاني من الفطر من العام المؤرخ، ومكثت بها باقي العام والعام الثاني، وهو عام ثمانية إلى حين خروج الناس إلى مكة، وقرأت بها القرآن، وكتبت الحديث والفقه والقراءات وغير ذلك عن جماعةٍ من المصريين والبغداديين والشاميين وغيرهم، ثم توجهت إلى مكة وحججت وكتبت بها عن أبي العباس أحمد البخاري، وعن أبي الحسن بن فراسٍ ثم انصرفت إلى مصر ومكثت بها شهراً، ثم انصرفت إلى المغرب ومكثت بالقيروان أشهراً، ووصلت إلى الأندلس أول الفتنة بعد قيام البرابر على ابن عبد الجبار بستة أيامٍ في ذي القعدة سنة إحدى وتسعين، ومكثت بقرطبة إلى سنة ثلاث وأربعمائة، وخرجت منها إلى الثغر فسكنت سرقسطة سبعة أعوام، ثم خرجت منها إلى الوطة، ودخلت دانية سنة تسع وأربعمائة، ومضيت منها إلى ميورقة في تلك السنة نفسها فسكنتها ثمانية أعوامٍ، ثم انصرفت إلى دانية سنة سبعة عشر وأربعمائة، وقال أبو داود: وتوفي – رضي الله عنه – يوم الاثنين للنصف من شوالٍ سنة أربع وأربعين وأربعمائة، ودفن بالمقبرة عند باب إندارة وقد بلغ اثنتين وسبعين سنةً.

عثمان بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد

أبو عمرو الطرسوسي الكاتب القاضي، كان من الأدباء الفضلاء، رأيت بخطه الكثير من كتب الأدب والشعر وجمع شعر جماعة من أهل عصره، منهم أبو العباس الصقري وأبو العباس الناشئ وغيرهما من شعراء سيف الدولة وابنه شريفٍ، وصنف كتباً منها: كتاب في أخبار الحجاب وكان متقن الخط سريع الكتابة، وولي القضاء بمعرة النعمان، وسمع الحديث الكثير ورواه، فسمع بدمشق أبا عليٍ محمد بن أحمد بن آدم الفزاري وأبا هاشم عبد الجبار ابن عبد الصمد السلمي، وبطرابلس خشيمة بن سليمان وبطرسوس أبا عبد الله محمد بن عيسى التميمي البغدادي المعروف بابن العلاف، وأبا بكر بن محمد بن سعيد ابن الشفق، وأبا الحسن أحمد بن محمد بن سلام الطرسوسي، والقاضيين أبا عران موسى بن القاسم الأشيب، وأبا العباس

أحمد بن أبي بكر الطبري المعروف بالقاص، وأبا الفرج ابن أحمد بن القاسم البغدادي الخشاب الحافظ، وجماعة غير هؤلاء كثيرةً. وسمع منه أبو حصين عبد الله بن محسن ابن عبد الله بن حسن بن عمرٍو المعرى، وعبد الرحمن بن محمد بن الحسين الكفرطابي، وأبو علي الأهوازي والقاضي أبو الفضل بن السعدي.
قال أبو القاسم الدمشقي: قرأت على أبي القاسم نصر ابن أحمد بن مقاتل عن سهل بن بشر قال: سمعت القاضي أبا الفضل محمد بن أحمد بن عيسي السعدي يقول: توفي شيخنا أبو الحسين بن جميعٍ في رجبٍ سنة اثنتين وأربعمائة، وتوفي شيخنا عثمان الطرسوسي القاضي بكفر طاب قبله بسنة أو نحوها.

عثمان بن علي بن عمر السرقوسي

النحوي الصقلي أبو عمروٍ. قال السلفي: كان من العلم بمكانٍ، نحوٍ أو لغةٍ، وقرأ القرآن على ابن الفحام وابن بليمة وغيرها. وله تواليف في القراءات والنحو والعروض، وصارت له في جامع مصر حلقة للإقراء وانتفع به، ولا زمني مدة مقامي بمصر، وقرأ علي كثيراً وعلى من كنت أقرا عليه كأبي صادق وابن بركاتٍ والفراء الموصلي وأنشد لنفسه:
إن المشيب من الخطوب خطيب ... ألا هوى بعد الشباب يطيب
أبيات غير جيدةٍ. قال أحمد بن سلفة: كتبت إلى المقرئ أبي عمروٍ عثمان بن علي بن عمر الصقلي الأنصاري بالإسكندرية كتاباً يشتمل على نظم ونثر من جملته:
ما وقعت عيني على مثله ... في فضله الوافي وفي نبله
وليس بدعاً مثل أخلاقه ... منه وممن كان في شكله

فإنه من عنصرٍ طيبٍ ... ويرجع الفرع إلى أصله
فأجاب بهذه الورقة: وقفت على ما تفضلت به حضرته وانتهت إليه من الآداب همته، فمن نثر رأيت العلم مضمونه، والدر مكنونه، والحكمة قرينه. ومن نظم كانت الفصاحة يمينه، وفصل الخطاب عرنينه. وود فصيح الكلام أن يكونه، وأحيا القلوب وكشف لها المحجوب، من كل حكمةٍ لم تكن لتصل إليه لولاه، وسحر بلاغةٍ له منحه إياها الله. فقلت والخاطر لسفري خاطر، وماء مزني بعد شآبيبه قاطر:
توجني مولاي من قوله ... تاجاً علا التيجان من قبله
لأنها تبلى وهذا إذا ... مرت به الأيام لم تبله
فنثره الإكليل في فرعه ... ونظمه الجوهر من أصله
وهو فقيه حافظ في الورى ... مهذب يجري على رسله
كلا وأما إن جرى فالورى ... عذارهم ما كان من سيله
فعلمه يشتق من لفظه ... ولفظه يشتق من فضله
تكاملت أوصافه كلها ... ومثله من كان من مثله
وما أنا إلا كمهدٍ إلى ... بغداد والبصرة من نخله

وأما ما ذكرت – حرسها الله تعالى – من كتاب الهدى لأولي النهى في المشهور من القراءات وما تضمن من الروايات:

فلو تفرغت إلى نقله ... أو كان عندي الأم من شكله

عذري إلى مولاي أني امرؤ ... مسافر والشغل من فعله

لكل من بعضه شاغل ... وبعضه المشغول من كله

وأما ما يتعلق ببيت الأحوص من كلامٍ، وما قلت فيه من نثر ونظامٍ، فأنا آتي إليها، وأتلوه لديها، والله يديم النعمة عليها.

عثمان بن علي بن عمر الخزرجي الصقلي

أبو عمروٍ النحوي، روى عنه الحافظ، أبو طاهر أحمد ابن محمد بن أحمد السلفي، وأبو محمد بن بريٍ النحوي، وأبو البقى صالح بن عاديٍ العذري الأنماطي المصري نزيل فقط وقال: أنشدني أبو عمروٍ عثمان بن علي الصقلي لنفسه:

هين عليها أن ترى الصبا ... يتجرع الأوصاب والكربا

من لم يصد بتكلفٍ قنصاً ... وتعمدٍ للصيد لم يعبا

لا تعتني يا هذه بفتىً ... أخذت جفونك قلبه غصبا

أو ما علمت بأنه رجل ... لما دعاه هواكم لبا؟

وقال في مختصر العمدة وقد ذكر قول الشماخ:

إذا بلغتني وحملت رحلى

وما ناقضه به أبو نواسٍ من قوله:

أقول لناقتي إذ بلغتني ... لقد أصبحت مني باليمين

فلم أجعلك للغربان نحلاً ... ولا قلت أشرقي بدم الوتين

وذكر غير ذلك من هذا الباب ثم قال: ولي قصيدة أولها:

رحلت فعلمت الفؤاد رحيلا ... وبكت فصيرت الأسيل مسيلا

وحدا بها حادٍ حدا بي للنوى ... لكن منا قاتلاً وقتيلا

وإذا الحبيب أراد قتل محبه ... جعل الفراق إلى الممات سبيلا

أذكر فيها خطابي الناقة، واحترست مما يؤخذ على الشماخ بأخذٍ من مذهب أبي نواسٍ:

وإذا بلغت المرتضى فتسيبى ... إذ ليس يحوجني أسوم رحيلا

والمرتضى يحيى بن تميم بن المعز بن باديس، وله كتاب مختصر في القوافي، رواه عنه السلفي في سنة سبع عشرة وخمسمائةٍ، وله كتاب مخارج الحروف مختصر أيضاً، وكتاب مختصر العمدة لابن رشيقٍ، وكتاب شرح الإيضاح. وقال عثمان الصقلي في مختصره للعمدة وقد ذكر السرقات فقال لي من قصيدةٍ أولها: نقلتها من خطه، وقد أعلم عليه، وهي علامة لنفسه:

دمع رأى برق الحمى فتحدرا ... وجوى ذكرت له الحمى فتسعرا
لو لم يكن هجر لما عذب الهوى ... أنا أشتهي من هاجري أن يهجرا
بيني وبين الحب نسبة عنصر ... فمتى وصلت وصلت ذاك العنصرا
قال: ثم وجدت للموصلي:
إذا لم يكن في الحب سخط ولا رضاً ... فأين حلاوات الرسائل والكتب
قال: والله در القائل:
بنى الحب على الجوز فلو ... أنصف المحبوب فيه لمسح
ليس يستحسن في دين الهوى ... عاشق يحسن تلفيق الحجج

ومما ذكره الصقلي لنفسه في هذا الكتاب أيضاً وقد ذكر المواردة قال: وهو ما ادعى في شعر امرئ القيس وطرفة من كونهما لم يفرق بين بيتيهما إلا بالقافية قال امرؤ القيس تجمل، وقال طرفة تجلد. قال الصقلي: وأعجب من ذلك أني صنعت قصيدةً أولها:
يهون عليها أن أبيت متيما ... وأصبح محزوناً وأضحى مغرما
ومنها:
صلى مدنفاً أو واعديه وأخلفي ... فقد يترجى الآل من شفه الظما
ضمان على عينيك قتلي وإنما ... ضمان على عيني أن تبكيا دما
ليفدك ما أسأرت مني فإنها ... حشاشة صب أزمعت أن تصرما
قال: ثم قرأت بعد ديوان البحتري فوجدت معظم هذه الألفاظ مبددةً فيه قال: فإذا كانت أكثر المعاني يشترك فيها الناس حتى قطع ابن قتيبة أن قوله تعالى: (يريد أن ينقض)، لا يعبر عنه إلا بهذه العبارة ونحوها فغير مستنكرٍ أن يشتركوا وتتفق ألفاظهم في العبارة عنها، ولكن أبى المولدون إلا أنها سرقة. قلت: لو قال في موضع أضحى من البيت الأول أمسى كان أجود ليقابل به أصبح ولو قال في البيت الثاني وقد يشتفي بالآل من شفه الظما كان أحسن في الصنعة وأجود.

عثمان بن عيسى البلطي

بن منصور، ابن محمد البلطي أبو الفتح النحوي هكذا ينسبونه، وهو من بلط التي تقارب الموصل، ذكره العماد في كتاب الخريدة فقال: انتقل إلى الشام وأقام بدمشق برهةً تردد إلى الزبداني للتعليم، فلما فتحت مصر انتقل إليها فحظي بها، ورتب له صلاح الدين يوسف بن أيوب على جامع مصر جارياً يقرئ به النحو والقرآن حتى مات بها لعشرٍ بقين من صفرٍ سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائةٍ، وهي آخر سني الغلا الشديد بمصر، لأن أولها كان في أواخر سنة ستٍ وأشدها في سنة سبعٍ وأخفها سنة تسعٍ، وبقي البلطي في بيته ميتاً ثلاثة أيام لا يعلم به أحد لاشتغالهم بأنفسهم عنه وعن غيره، وكان يحب الانفراد والوحدة، ولم يكن له من يخبر بوفاته، وكان قد أخذ النحو عن أبي نزارٍ وأبي محمد سعيد بن المبارك بن الدهان.

وقال المؤلف: لم يذكر العماد وفاته، وإنما أخبرني بوفاته وما بعده الشريف أبو جعفرٍ محمد بن عبد العزيز بن أبي القاسم بن عمر بن سليمان بن الحسن ابن ادريس بن يحيى العالي بن علي المعتلي – وهو الخارج بالمغرب، والمستولي على بلاد الأندلس – ابن حمود بن سيمون بن أحمد بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله ابن الحسن بن علي بن أبي طالبٍ عليه السلام.

وأخبرني الشريف المذكور وكان من تلامذته قال: كان البلطي رجلاً طوالاً جسيماً طويل اللحية واسع الجبهة أحمر اللون، يعتم بعمةٍ كبيرةٍ جداً ويتطلس بطيلسان لا على زي المصريين، بل يلقيه على عمامته ويرسله من غير أن يديره على رقبته، وكان يلبس في الصيف المبطنة والثياب الكثيرة، حتى يرى كأنه عدل عظيم، وكان إذا دخل فصل الشتاء اختفى حتى لا يكاد يظهر، وكان يقال له: أنت في الشتاء من حشرات الأرض، وكان إذا دخل الحمام يدخل إلى داخله وعلى رأسه مزدوجة مبطنة بقطنٍ، فإذا حصل عند الحوض الذي فيه الماء الحار كشف رأسه بيده الواحدة وصب على رأسه الماء الحار الشديد الحرارة بيده الأخرى، ثم يغطيه إلى أن يملأ السطل ثم يكشفه ويصب عليه ثم يغطيه يفعل ذلك مراراً، فإذا قيل له في ذلك قال: أخاف من الهواء. قال الإدريسي: هذه كانت حاله في هيئته وسمته، فأما علمه: فكان عالماً إماماً نحوياً لغوياً أخبارياً مؤرخاً شاعراً عروضياً، قلما سئل عن شئ من العلوم الأدبية إلا وأحسن القيام بها، وكان يخلط المذهبين في النحو، وحسن القيام بأصولهما وفروعهما، وكان مع ذلك خليعاً ماجناً شريباً للخمر منهمكاً في اللذات.

قال الشريف الإدريسي: فحدثني الفقيه ابن أبي المالك قال: خرجت إلى بعض المتنزهات بضواحي مصر، فلقيت البلطي مع جماعة من أهل الخلاعة، ومطرب يغنيهم ببعض الملاهي، وهو ثمل يتمايل سكراً، فتقدمت إليه وكانت بيني وبينه مباسطة، تقضي ذلك، فقلت له: يا شيخ، أما آن لك أن ترعوى، وتقلع عن هذه الرذائل مع تقدمك في العلم وفضلك، فنظر إلى شزراً ولم يكترث بقولي، وأنشدني بعد ما نثر يده من يدي شعر أبي نواسٍ:

كفيت الصبي من لا يهش إلى الصبي ... وجمعت منه ما أضاع مضيع

لعمرك ما فرطت في جنب لذةٍ ... ولا قلت للخمار كيف تبيع؟

وحدثني الإدريسي. قال: ومن نوادره ما أخبرني به صاحبنا الفقيه أبو الجود ندى بن عبد الغني الحنفي الأنصاري قال: حضر يوماً عند البلطي بعض المطربين المحسنين فغناه صوتاً أطربه به، فبكى البلطي فبكى المطرب، فقال له البلطي: أما أنا فأبكى من استفزاز الطرب، وأنت ما أبكاك؟ فقال له: تذكرت والدي فإن كان إذا سمع هذا الصوت بكى؟ فقال له البلطي: فأنت والله إذا ابن أخي، وخرج فاشهد على نفسه جماعةً من عدول مصر بأنه ابن أخيه ولا وارث له سواه، ولم يزل يعرف بابن أخي البلطي إلى أن فرق الدهر بينهما، وللبلطي من التصانيف: كتاب العروض الكبير في نحو ثلاثمائة ورقةٍ، كتاب العروض الصغير، كتاب العظات الموقظات، كتاب النير في العربية، كتاب أخبار المتنبيء، كتاب المستزاد على المستجاد من فعلات الأجواد، كتاب علم أشكال الخط، كتاب التصحيف والتحريف، كتاب تعليل المبادات. قال العماد في

كتاب الخريدة: وللبلطي موشحة عملها في القاضي الفاضل بديعة مليحة، سلك فيها طريق المغاربة وحافظ فيها على أحرف الغين والضاد والذال والظاء، وصرع التوشيح وهي:

ويلاه من رواغ ... بجوره يقضي
ظبي بني يزداد ... منه الجفا حظي
قد زاد وسواسي ... مذ زاد في التيه
لم يلق في الناس ... ما أنا لاقيه
من قيم قاسي؟ ... بالهجر يغريه
أروم إيناسي ... به ويثنيه
إذا وصال ساغ ... بقربه يرضى
أبعده الأستاذ ... لا حيط بالحفظ
وكل ذا الوجد ... بطول إبراقه
مضرج الخد ... من دم عشاقه
مصارع الأسد ... فى لحظ أحداقه
لو كان ذا ودٍ ... رق لعشاقه
شيطانه الناغ ... علمه بغضي
واستحوذ استحواذ ... بقلبه القظ
دع ذكره واذكر ... خلاصة المجد
الفاضل الأشهر ... بالعلم والزهد
والطاهر المنرر ... والصادق الوعد
وكيف لا أشكر ... مولى له عندي
نعمى لها إسباغ ... صائنةً عرضي
من كف كاسٍ غاذ ... والدهر ذو عظ
منة مستبقى ... ضاق به ذرعي
قد أفحمت نطقى ... واستنفدت وسعى
وملكت رقى ... مكمل الصنع
دافع عن رزقي ... في موطن الدفع
لما سعى إيتاغ ... دهري في دحضي
أنقذني إنقاذ ... من همه حفظي
ذو المنطق الصائب ... في حومة الفصل
ذكاؤه الثاقب ... يجل عن مثل
فهو الفتى الغالب ... كان ذوي النبل

من عمرو والصاحب ... ومن أبو الفضل؟
لا يستوي الأفراغ ... بواحد الأرض
أين من الأزاذ ... نفاية المظ
يا أيها الصدر ... فت الورى وصفا
قد مسني الضر ... والحال ما تخفى
وعبدك الدهر ... يسومني الخسفا
وليس لي عذر ... ما دمت لي كهفا
من صرف دهر طاغ ... أني له أغضى؟
من بك أمسى عاذ ... لم يخشى من بهظ
قد كنت ذا إنفاق ... أيام ميسوري
فعيل لما ضاق ... رزقي تدبيري
والعسر بي حاق ... عقيب تبذيري
يا قاسم الأرزاق ... فارث لتقتيري
لا زلت كهف الباغ ... ودمت في حفظ
أمرك للإنفاذ ... والسعد في لظ
ومن جيد شعر البلطي:
دعوه على ضعفي يجور ويشنط ... فما بيدي حل لذاك ولا ربط
ولا تعتبوه فالعتاب يزيده ... ملالاً وأنى لي اصطبار إذا يسطو
فما الوعظ فيه والعتاب بنافعٍ ... وإن يشرط الإنسان لا ينفع الشرط

ولما تولى معرضاً بجنابة ... وبان لنا منه الإساءة والسخط
بكيت دماً لو كان ينفعني البكا ... ومزقت ثوب الصبر لو نفع العط
تنازعت الآرام والدر والمها ... لها شبهاً والغصن والبدر والسقط
فللرئم منه اللحظ واللون والظلى ... وللدر منه اللفظ والثغر والخط
وللغصن منه القد والبدر وجهه ... وعين المها عين بها أبداً يسطو
وللسقط منه ردفه فإذا مشى ... بدا خلقه كالموج يعلو وينحط
قال العماد الكاتب: وأنشدني البلطي لنفسه:
حكمته ظالماً في مهجتي فسطا ... وكان ذلك جهلاً شبته بخطا
هلا تجنبته والظلم شيمته ... ولا أ سأم به خسفاً ولا شططا
ومن أضل هدى ممن رأى لهباً ... فخاض فيه وألقى نفسه وسطاً؟
ويلاه من تائه أفعاله صلف ... ملون كلما أرضيته سخطا

أبثه ولهاً صدقاً ويكذبني ... وعداً وأقسط عدلاً كلما قسطا

وله في القاضي الفاضل وكان قد أسدى إليه معروفاً من قصيدةٍ:

لله عبد رحيم ... يدعى بعبد الرحيم

على سراطٍ سوي ... من الهدى المستقيم

نسك ابن مريم عيسى ... وهدى موسى الكليم

رأى التهجد أنسا ... في جنح ليلٍ بهيم

مسهد الطرف يتلو ... آي القرآن العظيم

ومن أطبع ما قاله في طبيبٍ وكان ابن عمه:

لي ابن عمٍ حوى الجهالة لل ... حكمة أضحى يطب في البلد

قد اقتفى مذ نشا به ملك ال ... موت فما إن يبقى على أحد

يجس نبض المريض منه يد ... أسلم منها براثن الأسد

يقول لي الناس خله عضداً ... يا ليتني أبقى بلا عضد

ومن شعره في غلامٍ أعرج:

أنا يا مشتكي القزل ... منك في قلبي الشعل

أصبح الجسم ناحلاً ... بك والقلب مشتغل

دلني قد عدمت صب ... ري وضاقت بي الحيل

آن أن تجفو الجفا ... ء وأن تملل الملل

وقال عثمان بن عيسى بن منصورٍ البلطي وسئل أن يعمل على وزن بيتي الحريري اللذين وصفهما فقال:

أسكتا كل نافثٍ، ... وأمنا أن يعززا بثالثٍ

وهو:

سم سمةً نحمد آثارها ... واشكر لمن أعطى ولو سمسمه

فقال:

محلمة العاقل عن ذي الخنا ... توقظه إن كان في محلمه

مكلمةً الخائض في جهله ... لقلب من يردعه مكلمة

مهدمة العمر لحرٍ إذا ... أصبح بين الناس ذا مهدمة

محرمة الملحف أولى به ... إياك أن ترعى له محرمه

مسلمة يمنعها غاصب ... حقا فأمسى جوره مسلمه

مظلمة يفعلها صامداً ... تلقيه يوم الحشر في مظلمه

أعلمه الحسن فيا ليت من ... أغراه بي أعلمه

من دمه أهدره الحب لا ... غرو إذا حلت به مندمه

أسلمه الحب إلى هلكه ... فإن نجا منه فما أسلمه

أشأمه البين وقد أعرقوا ... أفٍ لهذا البين ما أشأمه
مكتمة الأحزان في أدمعي ... يبدو نضول الشيب من مكتمه
محرمة الدهر أفيقي ففي ... ذرا جمال الدين لي محرمه
مقسمة الأرزاق في كفه ... أبلج زانت وجهه مقسمه
وهي خمسون بيتاً هذا نموذجها، وقال على أمثال أبيات الحريري التي أولها:
آس أرملاً إذا عرا ... وارع إذا المرء أسا
فقال:
إسع لإبقاء سنا ... أنسأ قباً لعسا
النساء: الشرف وقصره ضرورةً. أنسأ: أخر. القب: الضوامر البطون. واللعس: العذبات الأرياق. أي أخر عن محبة هذا الشرف هذه النسوة الموصوفات.
أسخ بمولىً عرد ... درعاه لؤم بخسا
المولى ابن العم
أسدٍ ندى عفٍ فما ... من يعود ندسا
أسد: أعط، والندس: الجميل الأخلاق.

إسمح بصد ناعمٍ ... معاندٍ صبح ما
يقول: إذا كان لك حبيب ناعم حسن وكان كثير الخلاف فلتسمح نفسك به وبالبعد عنه.
أسمر تيمك ايئس ... إياس ميتٍ رمسا
يقول: بلغ من حالك أن تترك الأسمر إذ لو كان غير الأسمر كنت معذوراً كأنه يستقبح السمر، أي ايئس منه إياساً وعده ميتاً في رمسه وسكن تيمك ضرورةً كقوله:
شكونا إليه خراب القرى ... فحرم علينا لحوم البقر
وله أبيات يحسن في قوافيها الرفع والنصب والخفض:
إني امرؤ لايصطبي ... ني الشادن الحسن القوام ما
رفع القوام بالحسن لأنه صفة مشبهة باسم الفاعل والتقدير الحسن قوامه، كما يقول: مررت بالرجل الحسن وجهه ونصبه على الشبه بالمفعول به، وخفضه بالإضافة:
فارقت شرة عيشتي ... أن فارقتني والعرام ما
رفع العرام لأنه عطف على الضمير في فارقتني، ونصبه عطفاً على شرة، وخفضه عطفاً على عيشتي:
لا أستلذ بقينةٍ ... تشدو لدي ولا غلام ما
رفعة عطفاً على الضمير في تشدو، ونصبه بلاد، وخفضه عطفاً على قينةٍ
ذو الحزن ليس يسره ... طيب الأغاني والمدام ما
رفعه عطفاً على طيب، ونصبه بأن نجعل الواو بمعنى مع، وخفضه عطفاً على الأغاني:

أمسى بدمعٍ سافحٍ ... في الخد منسكبٍ سجام ما

رفع بإضمار هو، ونصبه بإضمار فعلٍ، وجره نعتاً للدمع:

ثم أرى في بثه ... ذلاً وملء لجام ما

ملء فمي لجام مبتدأ وخبر، ونصبه بإضمار أرى، دلت عليه أرى الأولى، وجره بالإضافة:

قدر علي محتم ... من فوق يأتي أو أمام ما

مبني علي الضم، ونصبه بجعله نكرةً ويكون ظرفاً، وجره بالإضافة:

لا يستفيق القلب من ... كمد لاقى أو غرام ما

غرام خبر مبتدأ محذوف، والنصب جعله مفعولا، ليلافي، وخفضه عطفاً على كمدٍ:

كم حاسدين معاندي ... ن عدوا على وكم لئام ما

كم تنصب وتخفض، ورفع كأنه قال: مر وعدا على لئام:

إني أرى العيش الخمو ... ل، وصحبة الأشرار ذام ما

صحبة الأشرار ذام مبتدأ وخبر، ويجوز نصبها عطفاً على ما تقدم:

في غفلةٍ أيقاظهم ... عن سؤددٍ بله النيام ما

بله لفظة معناها دع، ويكون بمعنى كيف، ويرتفع ما بعدها ويكون كالمصدر فيخفض بها، والنصب لأنها بمعنى دع:

رب امرئ عاينته ... لهجاً بسبي مستهام ما

مستهام منصور بعاينته، ورفعه على موضع رب، لأن رب وما يدخل عليه في موضع رفعٍ، وخفضه تبعاً لامرئ:

عين العدو غدوت مض ... سطراً بصحبته أسام ما

أسامي: أفاعل من المساماة، وأسام: أتكلف من قوله: سمته الخسف، وأسام أفاعل من المساماة أيضاً

مالي وللحمق الأتي ... م الجاهل الفدم ألعبان ما

رفعه بإضمار مبدأ، ونصبه بإضمار أعنى:

إن المموه عند قد ... م الناس يعلو والطغاة ما

رفعه عطفاً على موضع إن، ونصبه عطفاً على المملوء، وخفضه عطفاً على قدم:

وأعيش فيهم إذ بلو ... تهم وقد جهلوا الأنام ما

الرفع على البدل من الواو في جهلوا، ويكون فاعلاً في لغة من قال أكلوني البراغيث، ونصبه على البدل من الضمير في بلوتهم، وجره بدلاً من الهاء في فيهم:

حتى متى شكوى أخي الل ... يث الكثيب المستضام ما

رفعه بتقدير أن يشكو المستضام لأن شكوى مصدر وأخي البث في موضع رفع المستضام، ورفع أخي البث على الموضع، ونصبه على أن يكون مشكواً، وخفضه نعتاً للكثيب:

ما من جوىً إلا تض ... منه فؤادي أو سقام ما

رفعه عطفاً على موضع من جوى، وجره على لفظة جوى، ونصبه عطفاً على الضمير في تضمنه:

ليس الحياة شهيةً ... لي في الشقاء ولا مرام ما

رفعه بلا، ونصبه بلا أيضاً، وجره بالعطف على شهيةً بتقدير الباء، كأنه قال بشهيةٍ كما أنشد سيبويه:

مشائم ليسوا مصلحين عشيرةً ... ولا ناعبٍ إلا ببينٍ غرابها

وكرهت في الدنيا البقا ... ء، وقد تنكد والمقام ما

رفع على الضمير في تنكد، ونصه عطفاً على البقاء، وجره بالقسم:

ما في الورى من مكرم ... لذوي العلوم ولا كرام ما

جره على لفظ مكرمٍ:

إني وددت وقد سئم ... ت العيش لو يدنو حمام ما

رفعه بالفاعل، ونصبه بوددت، وجره بالإضافة. وقال أيضاً أبياتاً حصر فيها قوافيها ومنه أن يزاد فيها:

بأبي من تحتكي فيه صون ... رب وافٍ لغادرٍ فيه خون

بين ذل المحب في طاعة الحب ... ب وعز الحبيب يا قوم بون

أين مضنىً يحكى البهارة لوناً ... من غريرٍ له من الورد لون؟

لي حبيب ساجي اللواحظ أحوى ... مترف زانه جمال وصون

يلبس الوشي والقباطي جون ... فوق جونٍ ولون حالي جون

إن رماني دهري فإن جمال ال ... دين ركني وجوده لي عون

عنده للمسيء صفح وللأس ... رار مستودع وللمال هون

زانه نائل وحلم وعدل ... ووفاء جم ورفق وأون

أنا في ربعه الخصيب مقيم ... لي من جوده لباس وصون

لا أزال الإله عنه نعيماً ... وسروراً ما دام للخق كون

عرب بن محمد بن مصرف

ابن عريب القرطبي أبو مروان، له سماع بالمشرق على أبي الحسن بن جهضم بمكة، وكان من أهل الأدب والشعر وحسن الإيراد للأخبار، وقتل خطأً على باب داره في ربيعٍ الآخر سنة تسعٍ وأربعمائةٍ، ذكر وفاته ابن حيان.

عزير بن الفضل بن فضالة بن مخراق

ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن مخراقٍ الهذلي يعرف بابن الأشعث، أخباري راوية لغوي نحوي ذكره محمد بن إسحاق النديم ولم يذكر تاريخ وفاته، وله من الكتب كتاب صفات الجبال والأودية وأسمائها بمكة وما والاها، قال الأزهري في مقدمة كتابه: وله كتاب لغات هذيلٍ.

عسل بن ذكوان العسكري

من أهل عسكر مكرم، ويكنى أبا عليٍ، روى عن المازني والرياشي ودماءٍ، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان في أيام المبرد، ولم يذكر تاريخ وفاته، وله من الكتب: كتاب الجواب المسكت، وكتاب أقسام العربية.

عطاء بن مصعب، الملط

قرأت بخط أبي منصور الأزهري في كتاب نظم الجمان، حدثنا أبو جعفر بن محمد بن الفرج الغساني قال: حدثنا أحمد بن عيسى مؤدب ولد إسحاق بن إبراهيم قال: كان أستاذ الأصمعي وأبي عبيدة عطاء الملط رجل من أهل البصرة، وكانوا يعقدون إليه ويتعلمون منه، فبلغه أن الأصمعي اتخذ حلقةً واجتمعت إليه جماعة فغاظة ذلك، فلما انصرف من حلقته استتبع أصحابه فقال: مروا بنا إلى ظاهر البصرة، فخرجنا حتى مررنا بشيخٍ معه أعنز يرعاهن وعليه جبة صوف فقال له: يا قريب، فقال: لبيك قال: ما فعل الأصمعي ابنك؟ فقال: هو عندكم بالبصرة، فقال: هذا أبو الأصمعي لئلا يقول غداً إنه من بني هاشمٍ.

عطاء بن يعقوب بن ناكل

أحد أعيان فضلاء غزنة، وهو من أولاد الثناء، وكان ابن عمه الكوثوال، وهو مستحفظ القلعة، تلقب بهذا وهو بالهندية وإليه مصادر الأمور ومواردها عند غيبة سلطان البلاد. قال صاحب سر السرور: إذا اجتمع الأفاضل في مضمار التفاضل، واتزنوا بمعيار التساجل، كان هذا الشيخ هو الأبعد إحضاراً، والأرجح مقداراً. أقر له بالتقدم رجالات الآفاق، وأذعن له بالترجيح فضلاء خراسان والعراق. حتى أشرق شمساً وهم بين كوكبٍ وشهابٍ، وأعذب بحراً وهم ما بين نهرٍ وسرابٍ، يجلو عليه الفضل نفسه في معرض الإحسان، ويناغيه أهل الفضل بلسان القصور والإذعان، وتشرئب إلى قلائده أجياد الأنام، وتتباهى برسائله مواقع الأقلام. ولم يزل منذ شب إلى أن اشتعل الشيب برأسه، ورسب قذى العمر في آخر كأسه. بين اقتباس يصطاد به وجوش الشوارد، وإقباسٍ ينثر منه لآلئ القلائد، وإبداع صنعةٍ في الشعر ما جمش الأديب بأطرف من بدائعها، واختراع نادرة ما أتحف الفضل بأطرف من روائعها، واختراع نادرة ما أتحف الفضل بأطرف روائعها، وقد سافر كلامه من غزنة إلى العراق، ومن ثم إلى سائر الآفاق. حتى إني حدثت أن ديوان شعره بمصر يشتري بمائتين من الحمر الراقصات على الظفر والمشهور أن ديوان شعره العربي والفارسي يشتري بخراسان بأوفر الأثمان. وكيف لا، ما من سمةٍ من كلماته إلا وحقها أن تملك بالأنفس وتقتنى، وتباع بالأنفس وتشترى. وهذا نموذج من نثره مردف بما وقع عليه الاختيار من شعره: صدر كتاب صدر منه إلى بعض الصدور أطال الله بقاء الشيخ في عزٍ مرفوعٍ كلسم كان وأخواتها إلى فلك الأفلاك، منصوبٍ كلسمٍ

إن وذواتها إلى سمك السماك، موصوفٍ بصفة التماء، موصول بصلة البقا، مقصورٍ على قضية المراد، ممدودٍ إلى يوم التناد، معرفٍ به، مضافٍ إليه، مفعولٍ له، موقوفٍ عليه، صحيحٍ سالمٍ من حروف العلة، غير معتلٍ ولا مهموز همز الذلة، يثني ويجمع دائماً جمع السلامة والكثرة، لا جمع التكسير والقلة، ساكن لا تغيره يد الحركة مبنيٍ على اليمن والبركة، مضاعفٍ مكرر على تناوب الأحوال، زائد غير ناقص على تعاقب الأحوال، مبتدأ به خبره الزيادة، فاعلٍ مفعوله الكرامة، مستقبله خير من ماضيه حالاً، وغده أكثر من يومه وأمسه جلالاً، له الإسم المتمكن من إعراب الأماني، والفعل المضارع للسيف اليماني، لازم لربعه لا يتعدى، ولا ينصرف عنه إلى المدى، ولا يدخله الكسر والتنوين أبداً، يقرأ باب التعجب من يراه منصوباً على الحال إلى أعلى ذراه، متحركاً بالدولة، والتمكين، منصرفاً إلى ربوةٍ ذات قرارٍ ومعين.

وهذا دعاء دعوت له على لسان النحو، وأنا داعٍ له بكل لسان على هذا النحو، ولولا الاحتراز العظيم من أن يمل الأستاذ الكريم لسردت أفراده سرداً، وجعلت أوراده ورداً، وجمعت أعداده عقداً، ونظمت أبداده عقداً ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب، وأن الله لا يهدي كيد الخائنين.

فصل من كتاب: منذ توردت هذه الناحية لم يرد على سحاحة أروي بها كبدي الصادية وأجلو حالي الصادية وأستظهر بها على دهرٍ يقصدني حيثما قصدت، ويضربني أينما ضربت ولم أخلص بعد من ألسنة أبنائه في ذلك الحي حتى ابتليت بأسنة بناته في هذا الفي، وطلت علينا عارضة داجية الجو باكية النوء، وأمطرتنا مطر السوء، بوفاة العينة المسكينة، فتضاعف سقم برح بي فلا يبرح، وترادف ألم ألح علي فلا لحلح وما حال أفق أقل نهاره، وروض ذبلت أهاره، وقلب زال قراره، وخلب زاد أواره، وكثير فارق عزته ثم فقد عزته، والمصيبة في الغربة أقطع، ونك القرح بالقرح أوجع، وأكثر ما جر علي هذه الفادحة تطيري بفلانٍ، فإنه بكر على يوم النوروز متأبطاً طوماراً أطول من يوم الحشر قد أربى ذراعاً على العشر، يضيق عن نطاق النشر، ملأه نظماً ونثراً في مرثية جاريةٍ له قد ماتت منذ خمسين سنةً ذكر فيه غرتها ونعرتها وطرتها ودرتها وعمرتها وخمرتها وسرتها وصرتها فتشفعت إله، وتضرعت بين يديه، وقلت له: أنشدك الله إلا طويته وأدرجته، وأدخلته من حيث أخرجته، فأبى إلا جماحاً في المسجد، وسل مقولاً كالمعول، وجعل يكيل من تلك الأهواس، إذا قرأ سطراً أعاد إلى الراس، وحكى أساطير الأولين، ورفع العويل والأنين، وأرسل المخاط والذنين، كلما قال لفظة سعل، وأخرج من قعر حلقه جعل، وأنا أنزوي كما تنزوي الجلدة في النار، وألتوي كما تلتوي الحية على الأوار، لا يمكنني أن أقرأ، ولا تركني حتى أقرأ، إلى نصف النهار، ولم ينصف بعد الطومار، وقمنا إلى المفروض. ولما انفصلت من ذلك المكان وصل كتاب التحول إلى الموتان، وحمت المسكينة في الحال، ووقعنا في الأوجال، والله نصيري على الزمان والإخوان وحسبي، وقد قل منه ومنهم حظي ونصيبي.

فصل من كتاب: الصحبة نسبة في شرع الكرم والمعرفة عند أهل النهى أوفى الذمم، والأخوة لحمة دانية، والمصافاة قرابة ثانية، ولو كان ما بين ذات البين ما بين القطبين لوجب أن يقطعا عرض السما كالمجرة مواصلةً، ويتصلا اتصال الكواكب مراسلةً، ولكن الأقوام في العقوق سواسية، والقلوب في رعاية الحقوق

قاسية، ومن شعره:

أأحلب من دناي جداء ما بها ... على كثرة الإبساس در ولا جدى
وأسبح في بحر السراب ضلالةً ... وأترك صداء وبي حرق الصدى

وله:

قريض تجلى مثل ما ابتسمت أروى ... ترشفت من فيه الرضاب فما أروى
تجلى كأروى في حجال سطوره ... وأنزل من شم الجبال لنا أروى
كغصن الشباب الغض غاض بهاؤه ... وعهد اللوى ألوى به زمن ألوى
إذ الدهر غض ناضر العود ناظر ... إلينا بما يهوى ولم يلق في المهوى
قريض به زادت لقلبي غلة ... وغيري به يروي الغليل إذا يروى

وله:

يا ظبيةً سلت ظبيً من جفنها ... تفرى بها أعناق آساد الورى
ما كنت أدري قبل جفنك أن أج ... فان الظباء تكون أجفان الظبى

وله:

إذا ما نبا حد الأسنة والظبي ... فما نابه في الحادثات بناب
قصف رمح الخط وسط كتائبٍ ... إذا هز رمح الخط وسط كتاب

وله:

وكم حل عقداً للحوادث عقده ... وكم فل ناباً للنوائب نابه
كمخلب ليث الغاب حداً وحدةً ... ومخلب ليث الفضل والعلم غابه
إذا صاد ليث العنكبوت ذبابةً ... فهذا حسام صاد ليثاً ذبابه

وله أيضاً مما أورده ابن عبد الرحيم عن العميد أبي سعدٍ عبد الغفار بن فاخرٍ البستي:

أيامن إن رآه البد ... ر ظل لوجهه يسجد
ويا من غيم نائله ... يجود لنا ولا يرعد
ويا من فضله يدنو ... ولكن وصفه يبعد
أتذكرني إذا أخلو ... ومالي لا أرى الهدهد

وله:

الله حار عصابةٍ ودعتهم ... والدمع يهمى والفؤاد يهيم
قد كان دهري جنةً في ظلهم ... ساروا فأضحى الدهر وهو جحيم
كانوا غيوث سماحةٍ وتكرمٍ ... فاليوم بعدهم الجفون غيوم
رحلوا على رغمي ولكن حبهم ... بين الفؤاد المستهام مقيم

قد خانهم صرف الزمان لأنهم ... كانوا كراماً والزمان لئيم
طلقت لذاتي ثلاثاً بعدهم ... حتى يعود العقد وهو نظيم
الله حيث تحملوا جار لهموالأمن دار والسرور نديم
والعيش غض والمناهل عذبة ... والجو طلق والرياح نسيم

عكرمة مولى ابن عباس

يكى أبا عبد الله. سمع عبدالله بن عباسٍ وعائشة وأبا هريرة وعبد الله بن عمر. وروى عنه جماعة من التابعين، منهم الشعبي وإبراهيم النخعي ومحمد بن سيرين وجابر بن زيدٍ. ومات فيما قرأت بخط الصولي من كتاب البلاذري سنة خمسٍ ومائةٍ، وقيل ستٍ ومائةٍ، وهو ابن ثمانين سنةً قال: وكان موته وموت كثير عزةً في يومٍ واحدٍ فوضعاً جميعاً وصلى عليهما، وكان كثير شيعياً، وعكرمة يرى رأي الخوارج، ذكره الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن البيع في تاريخ نيسابور، وقال بإسناده: كان جوالاً وفاداً على الملوك، أتى خراسان فنزل مرو زماناً، وأتى اليمن ومات بالمدينة، وورد خراسان مع يزيد بن المهلب.
وحدث بإسنادٍ رفعه إلى عبد الله بن أبي روادٍ قال: رأيت عكرمة بنيسابور فقلت له: تركت الحرمين وجئت إلى خراسان؟ قال: جئت أسعى إلى بنياتي.
وحدث بإسناد رفعه إلى أبي خالد بعد المؤمن بن خالدٍ الحنفي قال: رأيت عكرمة يخرج من البيت وقد جاء الثلج فعال: اللهم أرحني من بلدةٍ رزقها في عذابها.
قال الحاكم: وقد حدث عكرمة بالحرمين ومصر واليمن والشام والعراق وخراسان، وحدث بإسناد رفعه إلى يزيد النحوي عن عكرمة قال: قال لي ابن عباسٍ أنطاق فأفت الناس فأنا لك عون. قال: قلت لو أن هذا الناس مثلهم بين لأفتيتهم. قال: انطلق فأفت الناس فمن جاءك يسألك عما يعنيه فأفته، ومن سألك عما يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثلثي مئونة الناس.
وذكر القاضي أبو بكرٍ محمد بن عمر الجعابي في كتاب الموالي عن ابن الكلبي قال: وعكرمة هلك بالمغرب وكان قد دخل في رأي الحرورية الخوارج فخرج يدعو بالمغرب إلى الحرورية.
حدث أبو عليٍ الأهوازي قال: لما توفي عبد الله بن عباسٍ كان عكرمة عبداً مملوكاً فباعه علي بن عبد الله ابن عباسٍ من خالد بن يزيد بن معاوية بأربعة آلاف دينار، فأتى عكرمة علياً فقال له: ما خير لك؟ أتبيع علم أبيك؟ فاستقال خالداً فأقاله وأعتقه، وكان يرى رأي الخوارج، ويميل إلى استماع الغناء، وقيل عنه: إنه كان يكذب على مولاه والله أعلم.
وقال عبدا لله بن الحارث، دخلت على علي بن عبد الله بن عباسٍ – وعكرمة موثق على باب الكنيف – فقلت: أتفعلون هذا بمولاكم؟ فقال: إن هذا يكذب على أبي وقد قال ابن المسيب لمولاه: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباسٍ.
وقال يزيد بن هارون: قدم عكرمة مولى ابن عباسٍ البصرة فأتاه أيوب السختياني وسليمان التميمي ويونس ابن عبيد فبينا هو يحدثهم إذ سمع غناء فقال عكرمة: اسكتوا فنسمع ثم قال: قاتله الله فلقد أجاد، أو قال:

ما أجود ما قال: فأما سليمان ويونس فلم يعودا إليه وعاد إليه أيوب، فقال يزيد بن هارون: لقد أحسن أيوب. الرياشي عن الأصمعي عن نافعٍ المدني قال: مات كثير الشاعر وعكرمة في يوم واحدٍ.
قال الرياشي: فحدثنا ابن سلامٍ: أن أكثر الناس كانوا في جنازة كثيرٍ لأن عكرمة كان يرى رأي الخوراج، وتطلبه بعض الولاة فتغيب عند داود بن الحصين حتى مات عنده سنة سبع ومائة في أيام هشام ابن عبد الملك، وهو يومئذ ابن ثمانين سنةً.
وعن أبي عبد الله المقدمي: كان عكرمة مولى بن عباسٍ يكنى أبا عبد الله، وكان لحصين بن أبي الحر العنبري جد عبيد الله بن الحسين العنبري قاضى البصرة فوهبه لابن عباسٍ حين جاء والياً على البصرة بعلي بن أبي طالب عليه السلام.
وقال أبو أحمد الحافظ: عكرمة، ولى ابن عباسٍ أصله بربري من أهل المغرب احتج بحديثه عامة الأئمة القدماء، لكن بعض المتأخرين أخرج حديثه من حيز الصحاح، وعن عكرمة قال: طلبت العلم أربعين سنة وكنت أفتى بالباب وابن عباسٍ في الدار.
وعن إسماعيل بن أبي خالد: سمعت الشعبي يقول: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من عكرمة.

وعن زيد بن الحباب: سمعت سفيان النوري يقول بالكوفة: خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك، قال علي بن المدائني: لم يكن في موالي ابن عباسٍ أغزر من عكرمة، كان عكرمة من أهل العلم.
وعن هشام بن عبد الله بن عكرمة المخزومي: سمعت ابن أبي ذئبٍ يقول: كان عكرمة مولى ابن عباسٍ ثقةً.
وقال المروزي: قلت لأحمد بن حنبلٍ: تحتج بحديث عكرمة؟ فقال: نعم نحتج به. عثمان بن سعيد الدارمي: قلت ليحيى بن معينٍ: فعكرمة أحب إليك عن ابن عباسٍ أو عبيد الله عن عبد الله؟ فقال: كلاهما ولم يختر فقلت: وعكرمة أو سعيد بن جبيرٍ، فقال: ثقة وثقة ولم يختر، قال عثمان بن سعيد: عبيد الله أجل من عكرمة. قال: وسألته عن عكرمة بن خالدٍ فقال: ثقة. قلت: هو أصح حديثاً أو عكرمة مولى ابن عباس؟ فقال: كلاهما ثقتان، وقال يحيى بن معينٍ: إذا رأيت إنساناً يقع في عكرمة وفي حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام. حماد بن زائدٍ: حدثنا عثمان بن مرة: قلت للقاسم إن عكرمة مولى ابن عباسٍ قال: حدثنا ابن عباسٍ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن المزفت والمقير والدباء والحنتم والحرار فقال: يا بن أخي إن عكرمة كذاب يحدث غدوةً حديثاً يخالفه عشياً. يحيى بن البكاء: سمعت ابن عمر يقول لنافعٍ: اتق الله ويحك يا نافع، ولا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباسٍ، كما أحل الصرف وأسلم ابنه صيرفياً. يزيد بن زنادٍ قال: دخلت على علي بن عبد الله ابن مسعودٍ وعكرمة مقيد على باب الحش، قلت: ما لهذا كذا، قال: إنه يكذب.
علاقة بن كرسمٍ الكلابي
أحد بني عامر بن كلابٍ، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان في أيام يزيد بن معاوية وله علم بالأنساب والأخبار وأحاديث العرب القديمة، وقد أخذ عنه من ذلك شئ كثير، وكان يزيد بن معاوية قد

أدخله في سماره. مات ولم يعلم تاريخ وفاته. وله كتاب الأمثال في نحو خمسين ورقةً، قال محمد بن إسحاق: رأيت هذا الكتاب.

علان الوراق الشعوبي

أخلي موضع اسم أبيه، ذكره محمد بن إسحاق فقال: أصله من الفرس وكان علامة بالأنساب والمثالب والمنافرات، منقطعاً إلى البرامكة، وينسخ في بيت الحكمة للرشيد والمأمون والبرامكة مات. قال: وعمل كتاب الميدان في المثالب الذي هتك فيه العرب وأظهر مثالبها، وكان قد عمل كتاباً لم يتمه سماه الحلية انقرض أثره، قال: كذا قال ابن شاهين الأخباري، وله من الكتب: كتاب الميدان في المثالب يحتوي على جميع مثالب العرب ابتدأ ببني هاشم قبيلة بعد قبيلة على الترتيب إلى آخر قبائل اليمن على ترتيب كتاب ابن الكلبي، وله أيضاً كتاب فضائل كنانة كتاب النمر بن قاسطٍ، كتاب نسب تغلب بن وائل، كتاب فضائل ربيعة، كتاب المنافرة، وذكر محمد بن أبي الأزهر: كان في جوارنا بباب الشام فتىً يعرف بالفيرزان وكان يورق في دكان علان الشعوبي وأورد خبراً دل به على أن علاناً كان وراقاً له دكان يبيع فيه الكتب وينسخ، وحدث أبو عبد الله محمد بن عبدوسٍ الجهشياري في كتاب الوزراء والكتاب من تصنيفه قال: كان بعض أصحاب أحمد بن أبي خالد الأحول قد وصف له علاناً الشعوبي الوراق فأمر بإحضاره وبأن يستكتب له، فأقام في داره فدخلها أحمد بن أبي خالد يوماً فقام إليه جميع من فيها غير علان الوراق فإنه لم يقم له؟ فقال أحمد: ما أسوأ أدب هذا الوراق فإنه لم يقم له. فقال أحمد: ما أسوأ أدب هذا الوراق وسمعه علان فقال: كيف أنسب أنا إلى سوء الأدب ومني تتعلم الآداب وأنا معدنها، ولماذا أردت مني القيام لك، ولم آتك مستميحاً لك، ولا راغباً إليك، ولا طالباً منك وإنما رغبت إلي في أن آتيك فأكتب عندك فجئتك لحاجتي إلى ما آخذه من الأجرة، وقد كنت بغير هذا منك أولى، ثم حلف أيماناً مؤكدةً ألا يكتب عد يومه حرفاً في منزل أحدٍ من خلق الله تعالى، وجدت في بعض الكتب قال علان –وكان قبيحاً– : مررت بمخنث يغزل على حائط فقال لي: من أين؟ قلت: من البصرة قال لا إله إلا الله، تيغر كل شئ حتى هذا، كانت القرود تجلب من كمة واليمن والآن تجئ من العراق.

قال المؤلف: هكذا وجدت هذا الخبر قال فيه علان ولم يقل الشعوبي. قال: فإن كان هو فهو المراد، وإن كان غيره فقد مرت بك حكاية ممتعة فاله بها، وإن تحقق عندك أن هو هو فأصلحه مأجوراً مثاباً. وذكره المرزباني في المعجم فقال: علان الوراق المعروف بعلانٍ الشعوبي وكان شعوبياً، وله في المثالب كتاب سوء وهو مأموني لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التي أولها:

مدمن الإغضاء موصول ... ومديم العتب مملول

وفخر فيها بقتل أبيه طاهرٍ محمداً الأمين، فأجابه محمد بن يزيد الحصني بقصيدته التي أولها:

لا يرعك القال والقيل ... كل ما بلغت تحميل

ورد عليه فيها وهجاء هجاءً قبيحاً. قال علان الشعوبي قصيدةً رد فيها على المسلمي وهجاه ومدح عبد الله

بن طاهر وفضل العجم على العرب يقول فيها:

أيها اللاطي بحفرته ... في قرار الأرض مجعول
قد تجاللت على دخلٍ ... واستخفتك التهاويل
وأبو العباس غادية ... لعزاليه الأهاليل
تمطر العقيان راحته ... وله بالجود تهطيل
رستمي في ذري شرفٍ ... زانه تاج وإكليل
وعليه من جلالته ... كرم عد وتبجيل
وله لي فخراً مباءته ... في قرار النجم مأهول
ورجالاً شربهم غدق ... هم لما حازوا مباذيل
كسرويات أبوتنا ... غرر زهر مقاويل

العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا

أبو سعدٍ من أهل الكرخ، أحد الكتاب المعروفين ومن يضرب به المثل في الفصاحة وحسن العبارة، وكان نصرانياً فأسلم في زمان الوزير أبي شجاع وحسن إسلامه. قال الهمذاني: في رابع عشر صفرٍ سنة أربعٍ وثمانين وأربعمائةٍ، خرج توقيع الخليفة بإلزام أهل الذمة بلبس الغيار والتزام ما شرطه عليهم عمر بن الخطاب، فهربوا كل مهربٍ وأسلم بعضهم وأسلم أبو غالب بن الأصباغي، وفي ثاني هذا اليوم أسلم الرئيسان أبو سعدٍ العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا صاحب ديوان الإنشاء وابن أخته أبو نصر صاحب الخبر على يدي الخليفة بحيث يريانه ويسمعان كلامه، وكان يتولى ديوان الرسائل منذ أيام القائم بأمر الله، وناب في الوزارة وأضر في آخر عمره، وكان ابتداء خدمته لدار الخلافة القائمية في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائةٍ، فخدمها خمساً وستين سنة يزداد في كل يوم من أيامها جاهاً وحظوةً، وناب عن الوزارة عدة نوب مع ذهاب بصره، وكان أبو نصر هبة الله بن الحسن بن أخته يكتب الإنهاءات عنه إذا حضر، وكان كثير الصدقة والخير. ورسائله وأشعاره مدونة يتداول بها ويرغب فيها، أخذ عنه الشيخ أبو منصور موهوب بن الخضر الجواليقي وأنشده عنه:

أحن إلى روض التصابي وأرتاح ... وأمتح من حوض التصافي وأمتاح
واشتاق رئماً كلما رمت صيده ... تصد يدي عنه سيوف وأرماح
غزال إذا ما لاح أو فاح نشره ... تعذب أرواح وتعذب أرواح
بنفسي وإن عزت وأهلي أهلة ... لها غرر في الحسن تبدو وأوضاح
نجوم أعاروا النور للبدر عندما ... أغاروا على سرب الملاحة واجتاحوا
فتنضح الأعذار فيهم إذا بدوا ... ويفتضح اللاحون فيهم إذا لاحوا
وكرخية عذراء يعذر حبها ... ومن زندها في الدهر تقدح أقداح
إذا جليت في الكأس والليل ما انجلى ... تقابل إصباح لديك ومصباح

يطوف بها ساقٍ لسوق جماله ... نفاق لإفساد الهوى فيه إصلاح
به عجمة في اللفظ تغرى بوصله ... وإن كان منه بالقطيعة إفصاح
وغرته صبح وطرته دجىً ... ومبسمة در وريقته راح
أباح دمي مذ بحت في الحب باسمه ... وبالشجو من قبلي المجون قد باحو
وأوعدني بالسوء ظلماً ولم يكن ... لإشكال ما يفضي إلى الضيم إيضاح
وكيف أخاف الضيم أو أحذر الردى ... وعوني على الأيام أبلج وضاح

وظل نظام الملك للكسر جابر ... وللضر مناع وللنفع مناح

ومن شعره:

يا خليلي خلياني ووجدي ... فملام المحب ما ليس يجدي
ودعاني فقد دعاني إلى الحك ... م غريم الغرام للدين عندي
فعساه يرق إذ ملك ال ... رق بنقدٍ من عدله أو بوعد
ثم من ذا يجير منه إذا جا ... ر ومن لي على تعديه يعدى

ومات العلاء في الثاني والعشرين من جمادى الأولى سنة سبع وتسعين وأربعمائةٍ، ومولده سنة اثنتي عشرة وأربعمائة، ودفن في تربة الطائع.

قال أبو الفرج في المنظم: نال أبو سعد بن الموصلايا من الرفعة في الدنيا ما لم ينله أبناء جنسه، فإنه ابتدأ في خدمة دار الخلافة في أيام القائم سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة، فخدمها خمساً وستين سنةً، وأسلم في سنة أربع وثمانين، وناب عن الوزارة في أيام المقتدي وأيام المستظهر نوباً كثيرةً، وكان كثير الصدقة كريم الفعال حسن الفصاحة، ويدل على فصاحته وغزارة علمه ما كان ينشئه من كتابات الديوان والعهود. وحكى بعض أصحابه قال: شتمت يوماً غلاماً لي فوبخني وقال: أنت قادرعلى تأديب الغلام أو صرفه، فأما الخنا والقذف فإياك والمعاودة له، فإن الطبع يسرق والصاحب يستدل به على المصحوب، وكانت وفاته فجأة.

وقال محمد بن عبد الملك الهمذاني: لما عزل المقتدي الوزير أبا شجاع خلع علي الأجل أبي سعد بن الموصلايا وكانت الخلعة دراعةً وعمامة وحمل على فرس بمركب ذهب ووسم بنيابة الوزارة، وخلع على ابن أخته تاج الرؤساء أبي نصرٍ هبة الله صاحب الخبر بن الحسن بن علي جبة وعمامة وحمل على فرسٍ.

ومدح الأديب أبو المظفر الأبيوردي الأجل أبا سعدٍ وقد لقبه الخليفة بأمينا لدولة بقصيدة منها:

وزعزع الصبح سلك النجم فانتثرت ... منه كماً تستطير النار بالشعل

قال: ومن علم السير علم أن الخليفة والملوك لم ينقوا بأحدٍ ثقتهم بأمين الدولة، ولا نصحهم أحد نصحه، وتولى ديوان الإنشاء بعد سنة ثلاثين وأربعمائة، والناظر إذ ذاك عميد الرؤساء أبو طالب بن أيوب، وناب عن الوزارة المقتدرية والمستظهرية، ومن شعره:

يا هند رقي لفتىً مدنف ... يحسن فيه طلب الأجر
يرعى نجوم الليل حتى يرى ... حل عراها بيد الفجر

ضاق نطاق الصبر عن قلبه ... عند اتساع الخرق في الهجر

قال العماد – وقد ذكر هذه الأبيات الثلاثة – قد أرقى هذه الأبيات برقها وحلاوة الاستعارة في معناها مع دفتها وقد ساعده التوفيق في هذا التطبيق، وما كل شاعرٍ يتخلص من هذا المضيق، وهكذا شعر الكتاب يجمع إلى اللطافة ظرافةً، وإلى الحلاوة طلاوةً: وله:

وكأس كساها الحسن ثوب ملاحةٍ ... فحارت ضياء يشبه الحسن والشمسا

أضاءت له كف المدبر وما درى ... وقد دجت الظلماء أصبح أو أمسى

وله:

أقول للائمي في حب ليلى ... وقد ساوى نهار منه ليلا

أقل فما أقلت قط أرض ... محباً جر في الهجران ذيلا

ولو ممن أحب ملأت عينا ... لكنت إلى هواه أشد ميلا

أبو علقمة النحوي النميري

وأراه من أهل واسط، حدث أحمد بن الحارث الخزاز عن المدائني قال: أتى أبو علقمة الأعرابي أبا زلازل الحذاء فقال: يا حذاء أحذأ لي هذا النعل، قال: وكيف تريد أن أحذوها؟ فقال: خصر نطقها، وغضف معقبها، وأقب مقدمها وعرج ونية الذؤابة بحزمٍ دون بلوغ الرصاف، وأنحل مخازم خزامها وأوشك في العمل. فقام أبو زلازل فتأبط متاعه، فقال أبو علقمة: إلى أين؟ قال: إلى ابن القية ليفسر لي ما خفي علي من كلامك.

وقال أبو أحمد بن خليفة الجمحي قال: سمعت أبي يحدث عن أبيه قال: قال أبو علقمة لغلام له: خذ من غريمنا هذا كفيلاً، ومن الكفيل أميناً، ومن الأمين زعيماً، ومن الزعيم عزيماً، فقال الغلام للغريم: مولاي كثير الكلام فمعك شيء؟ فأرضاه وخلاه فلما انصرف قال يا غلام: ما فعل غريمنا؟ قال: سقع قال ويلك ما بقع؟ قال بقع. قال ويلك وما يقع؟ قال استقلع: قال ويلك ما استقلع؟ قال انقلع، قال ويلك لم طولت علي؟ قال منك تعلمت. الهيثم بن عدي. ركب أبو علقمة النميري بغلاً فوقف على أبي عبد الرحمن القرشي فقال: يا أبا علقمة إن لبغلك هذا منظراً، فهل مع حسن هذا المنظر من خيرٍ؟ قال سبحان الله أو ما بلغك خيره؟ قال لا، قال: خرجت عليه مرةً من مصر فقفز بي قفزةً إلى فلسطين. والثانية إلى الأردن. والثالثة إلى دمشق. فقال له أبو عبد الرحمن: تقدم إلى أهلك يدفنوه معك في قبرك، فلعله يقفز بك الصراط.

ذكر أبو بكرٍ محمد بن خلف بن المرزبان في كتاب الثقلاء من تصنيفه: أخبرنا إسحاق بن محمد ابن أبان الكوفي، حدثني بشر بن حجرٍ قال: انقطع إلى أبي علقمة النحوي غلام يخدمه، فأراد أبو علقمة الدخول في بعض حوائجه فقال له: يا غلام أصقعت العتاريف؟ فقال له الغلام: زقفيلم، قال أبو علقمة: وما زقفيلم؟ قال له وما معنى صقعت العتاريف؟ قال: قلت لك أصاحت الديوك؟ قال: وأنا قلت لك لم يصح منها شئ. قال محمد بن خلفٍ: حدثنا أبو بكرٍ القرشي، حدثني جعفر بن نصيرٍ قال: بينما أبو علقمة النحوي في طريقٍ

من طرق البصرة إذ ثار به مرار. وظن من رآه أنه مجنون، واقبل رجل يعض أصل أذنه ويؤذن فيها، فأفاق فنظر إلى الجماعة حوله فقال: ما لكم تكأكأتم على كما تتكأكئون على ذي جنة، افرنقعوا عني. قال: فقال بعضهم لبعض: دعوه فإن شيطانه يتكلم بالهندية.

قال ابن المرزبان: حدثني عبد الله بن مسلم: دخل أبو علقمة النحوي على أعين الطبيب فقال له: أمتع الله بك، إني أكلت من لحوم هذه الجوازل فطسأة طسأةً، فأصابني وجع بين الوابلة إلى دأية العنق فلم يزل ينمي حتى خالط الخلب وألمت له الشراسيف فهل عندك دواء؟ قال أعين: خذ حرقفاً وسلقفاً وشرقفاً مزهزقه ورقرقه واغسله بماء روثٍ واشربه بماء الماء. فقال له أعين: لعن الله أقلنا إفهاماً لصاحبه، ويحك، وهل فهمت عنك شيئاً مما قلت؟ قرأت في كتاب النوادر الممتعة جمع ابن جنيٍ عن محمد ابن المرزبان قال: حدثني عبد الله بن أحمد بن عبد الصمد قال: حدثني محمد بن معاذٍ البصري قال: بينا أبو علقمة النحوي يسير على بغلةٍ إذ نظر إلى عبدين أحدهما حبشي والآخر صقلي، فإذا الحبشي قد ضرب بالصقلي الأرض وأدخل ركبتيه في بطنه، وأصابعه في عينيه، وعض أذنيه، وضربه بعصاً كانت معه فشجه وأسال دمه، فجعل الصقلي يستغيث فلا يغاث، فقال لأبي علقمة: اشهد لي فقال: قدمه إلى الأمير حتى أشهد لك، فمضيا إلى الأمير فقال الصقلي: إذن هذا ضربني وشجني واعتدى علي فجحد الحبشي. فقال الصقلي: هذا يشهد لي، فنزل أبو علقمة عن بغلته وجلس بين يدي الأمير فقال له الأمير: بم تشهد يا أبا علقمة؟ فقال: أصلح الله الأمير، بينا أنا أسير على كودني هذا إذ مررت بهذين العبدين، فرأيت هذا الاسحم قد مال علي هذا الأبقع فمطأه على فدفدٍ، ثم ضغطه برضفتيه في أحشائه حتى ظننت أنه تدمج جوفه، وجعل يلج بشناتره في جحمتيه يكاد يفقأهما، وقبض على صنارتيه بمبرمه، وكان يجذهما جذاً ثم علاه بمنسأةٍ كانت معه فعفجه بها، وهذا أثر الجريال عليه بيننا وأنت أمير عادل، فقال الأمير: والله ما أفهم مما قلت شيئاً، فقال أبو علقمة قد فهمناك إن فهمت، وعلمناك إن علمت، وأديت إليك ما علمت، وما أقدر أن أتكلم بالفارسية، فجعل الأمير يجهد أن يكشف الكلام فلا يفعل حتى ضاق صدره، فقال للصقلي: أعطني خنجراً فأعطاه وهو يظن أنه يريد أن يستفيد له من الحبشي، فكشف الأمير رأسه وقال للصقلي: شجني خمساً وأعفني من شهادة هذا.

الصنارتان: الأذنان بلغة سميرٍ. الكودن: الغليظ من الدواب، مطأه: صرعه، والفدفد: الغليظ من الأرض، ورضفتاه: ركبتاه، وشناتره، أصابعه، والجحمتان: العينان لغة يمانية، والمنسأة: العصا، عجفه أي ضربه بها، والجريال الأحمر: فاستعارة للدم.

قال ابن جنيٍ: وأخبرنا عثمان بن محمدٍ، حدثنا محمد ابن القاسم قال: حدثني محمد بن المرزبان وأبو الحسين علي بن محمدٍ المقرئ قال: تبيغ بأبي علقمة الدم وهو في بعض القرى فقال لابنه: جئني بحجامٍ فأتاه به فقال له: لا تعجل حتى أصف لك، ولا تكن كامرئ خالف ما أمر به ومال إلى غيره. اشدد قصب المحاجم، وأرهف ظبة المشارط، وأسرع الوضع، وعجل النزع، وليكن شرطك زخزاً، ورصك نهزاً، لا تردن أتياً، ولا تكرهن أبياً. فوضع الحجام محاجمه في قفته وقال: كلامك يقطع الدم، وقام وانصرف.

وفي رواية علي بن إبراهيم قال: فلما سمع الحجام الكلام قال يا قوم: هذا رجل قد ثار به المرار ولا ينبغي أن

يخرج دمه في هذا الوقت وانصرف.
قال أبو بكر: العصب: الموضع الذي يجتمع فيه الدم، وتبيغ: هاج، وهو من البغي، أصله تبغي فقدمت الياء وأخرت الغين، كان أبو علقمة النحوي لا يدع الإغراب في كلامه، فقال للطبيب: أجد رسيساً في أسناخي، وأحس وجعاً فيما بين الوابلة إلى الأطرة من دأيات العنق، فقال له الطبيب: خذ خزاناً وسلقفاً وشرقفاً، فزهزقه ورقرقه، واغسله بماء روث واشربه، فقال له أبو علقمة: أعد فإني لم أفهم فقال: أخزى الله أقلنا إفهماماً لصاحبه، وجمش امرأة كان يهواها فقال: يا خريدة قد كنت إخالك عروباً فإذا أنت ثوار مالي أمقك فتسنتيني فقالت يا رقيع ما رأيت أحداً يحب أحداً فيشتمه سواك، وقال لحجامٍ حجمه اشدد قصب الملازم، وأرهف ظبات المشارط، وأمر المسح، واستنجل الرشح، وخفف الوطء، وعجل النزع، ولا تكرهن أبياً، ولا تمنعن أتياً، ورأى رجل أبا علقمة على بغلٍ مصريٍ حسنٍ فقال له: إن كان مخبر هذا البغل كمن ظهره فقد كمل، فقال أبو علقمة: والله لقد خرجت عليه من مصر فتنكبت الطريق مخافة السراق وجور السلطان، فبينا أنا أسر في ليلةٍ ظلماء فتماء طخياء مدلهمةٍ حندسٍ داجيةٍ في ضحضحٍ أملس، وإذا جلس نبأةٍ من صوت قعرٍ، أو طيروان صوعٍ، أو نفض سيدٍ، فحاص عن الطريق متنكباً بعزة نفسه وفضل قوته، فبعثته باللجام فعسل، وحركته بالركاب فنسل، وانتعل الطريق يغتاله معتزماً، والتحف الليل لا يهابه مظلماً، فو الله ما شبهته إلا بظبيةٍ نافرةٍ تحفزها فنخاء شاغبة فقال الرجل، يا هذا، ادع الله واسأله أن يحشر هذا البغل معك يوم القيامة، قال ولم؟ قال: ليجيزك الصراط يطفر.

علي بن إبراهيم بن هاشم القمي

ذكره ابن النديم، وذكره أبو جعفر في مصنفي الإمامية وقال: له كتب منها: كتاب التفسير، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وكتاب المغازي، وكتاب الشرائع، وكتاب الإسناد، وكتاب المناقب، وكتاب أخبار القرآن ورواياته.

علي بن إبراهيم بن محمد بن إسحاق

الكاتب، كان من أهل المعرفة، وله كتاب في نسب بني عقيلٍ جوده، صنفه للأمير أبي حسان المقلد بن المسيب بن رافعٍ العبادي في شهر رمضان سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ.

علي بن إبراهيم بن محمد ادهكي

هكذا وجدته بخط عبد السلام مكسور الدال، والمحدثون يفتحونها، وهي نسبة إلى قرية من قرى الري يقال لها دهك. ويكنى أبا القاسم، أحد رواة الأخبار وجماعي الأشعار. وجدت بخط عبد السلام البصري كتاب أشعار بني ربيعة الجوع، وقد قرأه عليه، وكان الدهكي قد قرأ علي أبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني كتاب الأغاني، وقعت لنا إجازة متصلة إليه عنه، وهي ما أخبرنا الشيخ ذو النسبتين بين دحية والحسين عليه

السلام، أبو الخطاب عمر بن الحسن المعروف بابن دهية المغربي السبتي بمصر سنة اثنتي عشرة وستمائة إجازة قال: أخبرنا شيخي أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن عميرة المرزوي قال: أخبرنا أبو الحسن يونس بن محمد بن مغيث ويعرف بابن الصفار، عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن محمد بن بشيرٍ، عن أبي الوليد هشام بن عبد الرحمن الصابوني، عن أبي القاسم علي بن إبراهيم الدهكي، عن أبي الفرج الأصبهاني، وقد وقعت لنا بهذا الكتاب إجازة أحسن من هذه. وقد كان أبوه أبو الفرج إبراهيم من أعيان الكتا ب من أهل شيراز، وكان صهراً لأبي الفضل العباس بن الحسين الشيرازي وزير بختيار.

قال إبراهيم بن هلال الصابيْ: خلع علي أبي الفرج محمد ابن العباس، للوزارة لثلاثٍ خلون من جمادى الأولى سنة تسع وخمسين وثلاثمائةٍ، وسلم إليه أبو الفضل وجميع أصحابه وأسبابه، فاستصفى أموالهم وجد في مطالبة كتابه وأسبابه على ضروبٍ من رفقٍ وعسفٍ حين حصلوا في يده، وتوفي منهم صهر كان لأبي الفضل من أهل شيراز يقال له أبو الفرج إبراهيم بن محمد الدهسكي، وكان أبو الفضل يدعي عليه أنه اعتمد قتله.

علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر

القطان القزويني أبو الحسن، أديب فاضل ومحث حافظ، لقي المبرد وثعلباً وابن أبي الدنيا. وهو شيخ أي الحسين أحمد بن فارس القزويني وكتبه محشوة بالرواية عنه، وكان يصفه بالدراية. وذكره أبو يعلى الخليل بن أحمد الخليلي في كتاب الإرشاد في طبقات البلاد فقال: أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة بن بحر الفقيه. عالم بجميع العلوم والتفسير والنحو واللغة والفقه القديم، لم يكن له نظير ديناً وديانةً وعبادةً، سمع أبا حاتم الرازي، ارتحل إليه ثلاث سنين، ومحمد بن الفرج الأزرق، والحارث بن أبي أسامة، والقاسم بن محمد الدلال، وذكر جماعةً ثم قال: وخلقاً من القزوينيين والرازيين والبغداديين والكوفة ومكة وصنعاء اليمن وهمذان وحلوان ونهاوند.
سمع منه من القدماء أبو الحسين النحوي، والزبير بن عبد الواحد الحافظ، ثم عمر حتى أدركه الأحداث، ولد سنة أربعٍ وخمسين ومائتين، ومات سنة خمسٍ وأربعين وثلاثمائةٍ. سمعت جماعةً من شيوخ قزوين يقولون: لم ير ألو الحسين مثله في القضاء والزهد، أدام الصيام ثلاثين سنة، وكان يفطر على الخبز والملح، وفضائله أكثر من أن تعد، وكان له بنون ثلاثة: محمد أبو إبراهيم، والحسن والحسين، سمعوا أبا علي الطوسي والقدماء، وماتوا ولم يبلغوا الرواية، ولأبي إبراهيم ابنان سمعا جدهما ولم يسمع منهما، وبقي له أسباط ليسوا من أهل العلم، وأما الحسن والحسين فقد انقطع نسلهما، وقرأت في أمالي أين فارسٍ: قال: سمعت أبا الحسن القطان بعد ما علت سنه وضعف يقول: كنت حين خرجت إلى الرحلة أحفظ مائة ألف حديثٍ، وأنا اليوم لا أقوم على حفظ مائة حديثٍ. قال: وسمعته يقول: أصبت ببصري وأظن أني عوفيت بكثرة بكاء أمي أيام فراقي لها في طلب الحديث والعلم.

قال ابن فارس: حدثني أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سلمة القطان رحمه الله بقزوين في مسجدهم يوم الأحد منتصف رجب سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائةٍ. وذكر تمام الإسناد.

علي بن إبراهيم الحوفي

بن سعيد بن الحوفي، يوسف الحوفي أصله من قرية تسمى شبرا النخلة من حوف بلبيس من الديار المصرية، أخذ عن أبي بكر محمد بن علي الإدفوي صاحب النحاس، وكان نحوياً قارئاً، مات في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين وأربعمائةٍ، وله من التصانيف: كتاب الموضح في النحو وهو كتاب كبير حسن، وكتاب البرهان في تفسير القرآن، بلغني أنه في ثلاثين مجلداً بخط دقيق:

علي بن أحمد العقيقي العلوي

ذكره أبو جعفرٍ الطوسي في مصنفي الإمامية وقال: له من الكتب: كتاب المدينة، كتاب بين المسجدين، كتاب المسجد، كتاب النسب.

علي بن أحمد بن أبي دجانة المصري

أبو الحسن الكاتب الوراق جيد الخط كثير الضبط إلا أنه مع ذلك لا يخلو خلطه من السقط وإن قل، وهو من أهل مصر ومقامه ببغداد وبها كتب ونسخ الكثير وجدت بخطه زحر سور الذنب، وقد كتبه ببغداد سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ.

علي بن أحمد الدريدي

يكى أبا الحسن، ذكره الزبيدي فقال: أصله من فارس، وكان رواق بن دريدٍ وإليه صارت كتب ابن دريدٍ بعد موته. مات – أخلي موضع وفاته – .

علي بن أحمد المهلبي اللغوي

أبو الحسن، كان إماماً في النحو واللغة ورواية الأخبار وتفسير الأشعار، أخذ عن أبي إسحاق إبراهيم النجيرمي، وأخذ عنه أبو يعقوب يوسف بن يعقوب النجيرمي وابنه بهزاد وخلق كثير. ومات بمصر في سنة خمس وثمانين وثلاثمائةٍ.

وذكر علي بن حمزة البصري النحوي في كتاب الرد على ابن ولادٍ في المقصور والممدود: أن أبا الحسين المهلبي كان لقيطاً، وكان له اختصاص بالملقب بالمعز والعزيز المستوليين على الديار المصرية ومن جلساتهما الخواص، وأدرك دولة كافورٍ الإخشيدى، وله مع أبي الطيب أحمد بن الحسين المتنبيء قصة حدث بها أبو

جعفر الجرجاني قال: قال أبو الحسن المهلبي النحوي: وقع بيني وبين المتنبيء في قول العدواني،

يا عمرو إلا تدع شتمي ومنقصتي ... أضربك حتى تقول الهامة استقوني

وذلك أن المتنبيء قال: إن الناس يغلطون في هذا البيت، والصواب: أشقوني من شقأت رأسه بالمشقاة وهو المشط، قال المهلبي فقلت له: أخطأت في وجوه: أحدها أنه لم يرو كذلك، والآخر أنه يقال: شقأه بالهمزة، وأيضاً فإني أظنك لا تعرف الخبر فيه، وما كانت العرب تقوله في الهامة: إنها إذا لم يثأر بصاحبها لا تزال تقول اسقوني، فإذا تأثروا به سكن كأنه شرب ذلك الدم، قال: وكان المهلبي من جلساء العزيز وخواصه.

علي بن أحمد بن سلكٍ الفالي

بالفاء، وليس بأبي علي القالي بالقاف، ذلك آخر اسمه إسماعيل له ترجمة في بابه، وكنية هذا أبو الحسن يعرف بالمؤدب من أهل بلدة قالة موضع قريب من أيدج، انتقل إلى البصرة فأقام بها مدةً وسمع بها من عمر ابن عبد الواحد الهاشمي وغيره، وقدم بغداد فاستوطنها، وكان ثقةً له معرفة بالأدب والشعر، ومات فيما ذكره الخطيب في ذي القعدة سنة ثمانٍ وأربعين وأربعمائة ودفن بمقبرةٍ جامع المنصور، وكان يقول الشعر ومنه:

تصدر للتدريس كل مهوسٍ ... بليدٍ يسمى بالفقيه المدرس

فحق لأهل العلم أن يتمثلوا ... ببيتٍ قديمٍ شاع في كل مجلسٍ

لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... كلاهما وحتى سامها كل مفلس

وكتب عنه الخطيب، قال أبو زكرياء يحيى بن علي الخطيب التبريزي أنشدنا أبو الحسن الفالي لنفسه:

لما تبدلت المنازل أوجهاً ... غير الذين عهدت من علمائها

ورأيتها محفوفةً بسوى الألى ... كانوا ولاة صدورها وفنائها

أنشدت بيتاً سائراً متقدماً ... والعين قد شرقت بجاري مائها

أما الخيام فإنها كخيامهم ... وأرى نساء الحي غير نسائها

وحدث أبو زكرياء التبريزي قال: رأيت نسخة لكتاب الجمهرة لابن دريدٍ باعها أبو الحسن الفالي بخمسة دنانير من القاضي أبي بكر بن بديلٍ التبريزي وحملها إلى تبريز، فنسخت أنا منها نسخةً فوجدت في بعض المجلدات رقعةً بخط الفالي فيها:

أنست بها عشرين حولاً وبعتها ... فقد طال شوقي بعدها وحنيني

وما كان ظني أنني سأبيعها ... ولو خلدتني في السجون ديوني

ولكن لضعفٍ وافتقارٍ وصبيةٍ ... صغار عليهم تستهل شئوني

فقلت ولم أملك سوابق عبرةٍ ... مقالة مشوي الفؤاد حزين

وقد تخرج الحاجات يا أم مالك ... كرائم من دربس بمن صنين

فأريت القاضي أبا بكر الرقعة والأبيات فتوجع وقال: لو رأيتها قبل هذا لرددتها عليه، وكان الفالي قد مات.

قال المؤلف: والبيت الأخير من هذه الأبيات تضمين قاله أعرابي فيما ذكره الزبير بن بكارٍ عن يوسف بن عياشٍ قال: ابتاع حمزة بن عبد الله بن الزبير جملاً من أعرابي بخمسين ديناراً ثم نقده ثمنه، فجعل الأعرابي

ينظر إلى الجمل ويقول:

وقد تخرج الحاجات يا أم مالكٍ ... كرائم من ربٍ بهن ضنين

فقال له حمزة: خذ جملك والدنانير لك، فانصرف بجمله وبالدنانير، وله أرجوزة في عدد آي القرآن أولها:

قال علي مذ أتى من قاله ... قصيدةً واضحة المقاله

وأنشد السمعاني في المذيل بإسناد له لأبي الحسن الفالي:

فرجت صبياني ببستانكم ... فأكثروا التصفيق والرقصا

فقلت يا صبيان لا تفرحوا ... فبسرهم في نخلهم يحصى

لو قدم الليث على نخلهم ... لكان من ساعته يحصا

لو أن لي من نخلهم بسرةً ... جعلتها في خاتمي فصا

وأنشد أبو القاسم الدمشقي الحافظ بإسناد له لأبي الحسن الفالي:

رمى رمضان شملنا بالتفرق ... فيا ليته عنا تقضي لنلتقي

لئن سر أهل الأرض طراً قدومه ... فإن سروري بانسلاخ الذي بقى

علي بن أحمد بن سيدة اللغوي الأندلسي

أبو الحسن الضرير، وكان أبوه أيضاً ضريراً من أهل الأندلس، هكذا قال الحميدي علي بن أحمد وفي كتاب ابن بشكوال علي ابن إسماعيل وفي كتاب القاضي صاعد الجياني علي بن محمدٍ في نسخة، وفي نسخةٍ علي بن إسماعيل فاعتمدنا على ما ذكره الحميدي لأن كتابه أشهر، مات ابن سيدة بالأندلس سنة ثمانٍ وخمسين وأربعمائة عن ستين سنة أو نحوها.

قال القاضي الجياني: كان مع إتقانه لعلم الأدب والعربية متوفراً على علوم الحكمة وألف فيها تأليفاتٍ كثيرة ولم يكن في زمنه أعلم منه بالنحو واللغة والأشعار وأيام العرب وما يتعلق بعلومها وكان حافظاً، وله في اللغة مصنفات: منها كتاب المحكم والمحيط الأعظم رتبه على حروف المعجم اثنا عشر مجلداً، وكتاب المخصص مرتب على الأبواب كغريب المصنف، وكتاب شرح إصلاح المنطق، وكتاب الأنيق في شرح الحماسة عشرة أسفارٍ، وكتاب العلام في اللغة على الأجناس في غاية الإيعاب نحو مائة سفرٍ بدأ بالملك وختم بالذرة، وكتاب العالم والمتعلم على المسألة والواب، وكتاب الوافي في علم أحكام القوافي، وكتاب شاذ اللغة في خمس مجلداتٍ، وكتاب العويص في شرح إصلاح المنطق، وكتاب شرح كتاب الأخفش وعبر ذلك؟ قال الحميدي وابن بشكوال: روى ابن سيدة عن أبيه وعن صاعد بن الحسن البغدادي. قال الطلمنكي: دخلت مرسية فتشبث بي أهلها ليسمعوا عني غريب المصنف فقلت لهم: انظروا من يقأ لكمن وأمسك كتابي، فأتوني برجلٍ أعمى يعرف بابن سيدة، فقرأه علي من أوله إلى آخره من حفظه فعجبت منه. وقال الحميدى: كان ابن سيدة منقطعاً إلى الأمير أبي الجيش مجاهد بن عبد الله العامري، ثم حدثت له نبوة بعد وفاته في أيام إقبال الدولة بن الموفق فهرب منه ثم قال يستعطفه:

ألا هل إلى تقبيل راحتك اليمني ... سبيل فإن الأمن في ذاك واليمنا
ضحيت فهل في برد ظلك نومة ... لذي كيدٍ حرى وذي مقلةٍ وسنا
ونضو زمانٍ طلحته ظباته ... فلا غارباً أبقين منه ولا متنا
غريب نأى أهلوه عنه وشفه ... هواهم فأمسى لا يقر ولا يهنا
فيا ملك الأملاك إني محلاء ... عن الورد لا عنه أذاد ولا أدنى
تحيفني دهري فأقبلت شاكياً ... أما دون شكواي لغيرك من بعنا؟
فإن تتأكد في دمي لك نية ... بصدقٍ فإني لا أحب له حقنا
إذا ما غدا من حر سيفك بارداً ... فقدماً غداً من برد نعمائكم سخنا
وهل هي إلا ساعة ثم بعدها ... ستقرع ما عمرت من ندمٍ سنا
ومالي من دهري حياة ألذها ... فتعتدها نعمى علي وتمتنا
إذا ميتة أرضتك منا فهاتها ... حبيب إلينا ما رضيت به عنا
وهي طويلة وقع عنه الرضا مع وصولها إليه فرجع.

علي بن أحمد بن سعيد بن حزن بن غالب

ابن صالح بن خلف بن سفيان بن يزيد الفارسي مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمسٍ القرشي الأندلسي الامام العلامة لكني أبا محمدٍ، مات فيما ذكره صاعد بن أحمد الجياني في كتاب أخبار الحكماء في سلخ شعبان سنة ستٍ وخمسين وأربعمائةٍ، قال: وكتب إلي بخط يده: إنه ولد بعد صلاة الصبح من آخر يوم في شهر رمضان سنة ثلاثٍ وثمانين وثلاثمائة، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة إلا شهراً، قال: وأصل آبائه من قرية منت ليشم من إقليم الزاوية من عمل أونبة من كورة ليلة من غرب الأندلس، وسكن هو وآباؤه قرطبة ونالوا فيها جاهاً عريضاً، وكان أبو عمروٍ أحمد بن سعيد بن حزم أحد العلماء من وزراء المنصور محمد بن أبي عامرٍ ووزراء ابن المظفر بعده والمدبرين لدولتيهما، وكان ابنه الفقيه أبو محمد وزيراً لعبد الرحمن المستظهر بالله، ابن هشام بن عبد الجبار بن عبد الرحمن الناصر لدين الله ثم لهشام المعتد بالله بن محمد بن عبد الملك بن عبد الرحمن الناصر، ثم نبذ هذه الطريقة وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسنن، فعنى بعلم المنطق وألف فيه كتاباً سماه كتاب التقريب لحدود المنطق بسط فيه القول على تبيين طرق المعارف، واستعمل فيه مثالاً فقيهةً وجوامع شرعيةً، وخالف أرسطاليس واضع هذا العلم في بعض أصوله مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض في كتبه، فكتابه من أجل هذا كثير الغلط بين السقط، وأوغل بعد هذا في الاستكثار من علوم الشريعة حتى نال منها ما لم ينله أحد قط بالأندلس قبله، وصنف فيها مصنفاتٍ كثيرة العدد شرعية المقصد، معظمها في أصول الفقه وفروعه على مذهبه الذي ينتحله، وطريقه الذي يسلكه، وهو مذهب داود بن علي بن خلفٍ الأصبهاني ومن قال بقوله من أهل الظاهر ونفاة القياس والتعليل.

قال: ولقد أخبرني ابنه الفضل المكنى أبا رافع: أن مبلغ تواليفه في الفقه والحديث والأصول والنحل والملل

وغير ذلك من التاريخ والنسب وكتب الأدب والرد على المعارض نحو أربعمائة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقةٍ، وهذا شئ ما علمناه لأحد ممن كان في دولة الإسلام قبله، إلا لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، فإنه أكثر أهل الإسلام تصنيفاً، فذكر ما ذكرناه في ترجمة ابن جرير من أن أيام حياته حسبت وحسبت تصانيفه، وكان لكل يوم أربع عشرة ورقةً ثم قال: ولأبي محمد بن حزمٍ بعد هذا نصيب وافر من علم النحو واللغة، وقسم صالح من قرض الشعر وصناعة الخطابة.

ذكر أن ابن حزم اجتمع يوماً مع الفقيه أبي الوليد سليمان بن خلف بن سعيد بن أيوب الباجي صاحب كتابي المنتقي والاستغناء وغيرهما من التواليف، وجرت بينهما مناظرة فلما انقضت قال الفقيه أبو الوليد: تعذرني فإن أكثر مطالعتي كان على سرج الحراس. قال ابن حزمٍ: وتعذرني أيضاً فإن أكثر مطالعتي كانت على منابر الذهب والفضة، أراد أن الغني أضيع لطلب العلم من الفقر.

قرأت بخط أبي بكر محمد بن طرخان بن يلتكين ابن يحكم قال الشيخ الإمام أبو محمد عبد الله بن محمد ابن العربي الأندلسي: توفي الشيخ الإمام أبو محمدٍ علي ابن أحمد بن سعيد بن حزمٍ بقريته وهي من غرب الأندلس على خليج البحر الأعظم في شهر جمادى الأولى من سنة سبعٍ وخمسين وأربعمائةٍ، والقرية التي له على بعد نصف فرسخ من أونبة يقال لها متلجتم وهي ملكه ومل سلفن من قبله قال: وقال لي أبو محمد بن العربي: إن أبا محمد بن حزم ولد بقرطبة، وجده سعيد ولد بأونبة ثم انتقل إلى قرطبة وولى فيها الوزارة ثم ابنه على الإمام أقام في الوزارة من وقت بلوغه إلى انتهاء سنه ستاً وعشرين سنة وقال: إني بلغت إلى هذا السن وأنا لا أدري كيف أجبر صلاة من الصلوات قال:

قال لي الوزير أبو محمد بن العربي: أخبرني الشيخ الإمام أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أن سبب تعلمه الفقه أنه شهد جنازة لرجل كبير من إخوان أبيه، فدخل المسجد قبل صلاة العصر والخلق فيه فجلس ولم يركع، فقال له أستاذه يعني الذي رباه بإشارةٍ أن قم فصل تحية المسجد فلم يفهم، فقال له بعض المجاورين له: أبلغت هذه ولا تعلم أن تحية المسجد واجبة؟ وكان قد بلغ حينئذٍ ستة وعشرين عاماً قال: فقمت وركعت وفهمت إذاً إشارة الأستاذ إلى بذلك. قال: فلما انصرفنا من الصلاة على الجنازة إلى المسجد مشاركةً للأحباء من أقرباء الميت، دخلت المسجد فبادرت بالركوع فقيل لي: اجلس اجلس، ليس هذا وقت صلاةٍ، فانصرفت عن الميت وقد خزيت ولحقني ما هانت علي به نفسي وقلت للأستاذ: دلني على دار الشيخ الفقيه المشاور أبي عبد الله بن دحون، فدلني فقصدته من ذلك المشهد وأعلمته بما جرى فيه، وسألت الابتداء بقراءة العلم واسترشدته، فدلني على كتاب الموطإ لمالك بن أنس – رضي الله عنه – فبدأت به عليه قراءةً من اليوم التالي لذلك اليوم، ثم تتابعت قراءتي عليه وعلى غيره نحو ثلاثة أعوامٍ، وبدأت بالمناظرة قال: وقال لي الوزير الإمام أبو محمد بن العربي: صحبت الشيخ الإمام أبا محمدٍ على بن حزمٍ سبعة أعوامٍ، وسمعت منه جميع مصنفاته حاشا المجلد الأخير من كتاب الفصل وهو يشتمل على ست مجلداتٍ من الأصل الذي قرأنا منه، فيكون الفائت نحوا لسدس، وقرأنا من كتاب الإيصال أربع مجلداتٍ من كتاب الإمام أبي محمد بن حزمٍ في سنة ستٍ وخمسين وأربعمائةٍ، ولم يفتني من تأليفاته شيء سوى مذكراته

من الناقص وما لم أقرأه من كتاب الإيصال. وكان عند الإمام أبي محمد بن حزمٍ كتاب الإيصال في أربع وعشرين مجلداً بخط يده، وكان في غاية الإدماج قال: وقال لي الوزير أبو محمد بن العربي: وربما كان للإمام أبي محمد بن حزمٍ شيء من تواليفه ألفه في غير بلده في المدة التي تجول فيها بشرق الأندلس فلم أسمعه، ولي بجميع مصنفاته ومسموعاته إجازة منه مراتٍ عدةً كثيرةً. آخر ما كان بخط اليجمكي – رحمه الله – وأورد له صاحب المطمح أشعاراً منها:

وذي عدلٍ فيمن سباني حسنه ... يطيل ملامي في الهوى ويقول
أمن حسن وجه لاح لم تر غيره ... ولم تدر كيف الجسم أنت قتيل؟؟
فقلت له أسرفت في اللوم فاتئد ... فعندي رد لو أشاء طويل
ألم ترى أني ظاهري وأنني ... على ما بدا حتى يقوم دليل

وأنشد له:

هل الدهر إلا ما عرفنا وأدركنا ... فجائعه تبقى ولذاته تفنى
إذا أمكنت فيه مسرة ساعةٍ ... تولت كمر الطرف واستخلفت حزنا
إلى تبعاتٍ في المعاد وموقفٍ ... نود لديه أننا لم نكن كنا
حصلنا على هم وإثمٍ وحسرةٍ ... وفات الذي كنا نلذ به سنا
حنين لما ولى وشغل بما أتى ... وغم لما يرجى بعيشك لأنها
كأن الذي كنا نسر بكونه ... إذا حققته النفس لفظ بلا معنى

وله:

ولى نحو أكناف العراق صبابة ... ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب
فإن ينزل الرحمن رحلي بينهم ... فحينئذٍ يبدو التأسف والكرب
هنالك تدرى أن للبعد قصةً ... وأن كساد العلم آفته القرب

وله:

لا تشمتن حاسدي إن نكبة عرضت ... فالدهر ليس على حالٍ بمترك
ذو الفضل كالتبر طوراً تحت ميفعةٍ ... وتارةً قد يرى تاجاً على ملك

وله:

لئن أصبحت مرتحلاً بشخصي ... فروحي عندكم دوماً مقيم
ولكن للعيان لطيف معنىً ... له سأل المعاينة الكليم

ومن شعر أبي محمد بن حزمٍ:

أنا العلق الذي لا عيب فيه ... سوى بلدي وأني غير طارى
تقر لي العراق ومن يليها ... وأهل الأرض إلا أهل داري
طووا حسداً على أدب وفهمٍ ... وعلمٍ ما يشق له غباري
فمهما طار في الآفاق ذكري ... فما سطع الدخان بغير نار

قال أبو مروان بن حيان: كان أبو محمدٍ حامل فنونٍ من حديثٍ وفقهٍ وجدلٍ ونسبٍ وما يتعلق بأذيال الأدب مع المشاركة في كثير من أنواع التعاليم القديمة من المنطق والفلسفة، وله في بعض تلك الفنون كتب كثيرة غير أنه لم يخل فيها من غلطٍ وسقط لجراءته على التسور على الفنون ولا سيما المنطق، فإنهم زعموا أنه زل هنالك وضل في شكول المسالك، وخالف أرسطاطا ليس واضعه مخالفة من لم يفهم غرضه ولا ارتاض، ومال أولاً النظر به في الفقه إلى رأي محمد بن إدريس الشافعي – رحمه الله – وناضل عن مذهبه، وانحرف عن مذهب سواه حتى وسم به ونسب إليه، فاستهدف بذلك لكثير من الفقهاء وعيب بالشذوذ، ثم عدل في الآخر إلى قول أصحاب الظاهر مذهب داود بن علي ومن اتبعه من فقهاء الأمصار، فنقحه ونهجه وجادل عنه، ووضع الكتب في بسطه وثبت عليه إلى أن مضى لسبيله – رحمه الله – وكان يحمل علمه هذا ويجادل من خالفه فيه على استرسال في طباعه، وبذلٍ بأسراره، واستنادٍ على العهد الذي أخذه الله على العلماء من عباده: (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) فلم يك يلطف صدعه بما عنده بتعريضٍ ولا برقه بتدريجٍ، بل يصك معارضه صك الجندل، وينشقه متلقمه إنشاق الخردل، فنفر عنه القلوب، وتوقع به الندوب، حتى استهدف إلى فقهاء وقته، فمالوا على بغضه ورد أقواله، فأجمعوا على تضليله، وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عنا الدنو إليه والأخذ عنه، وطفق الملوك يقصونه عن قربهم، ويسيرونه عن بلادهم، إلى أن انتهوا به منطقع أثره بتربة بلده من بادية ليلة، وبها توفي – رحمه الله – سنة ستٍ وخمسين وأربعمائةٍ، وهو في ذلك غير مرتدعٍ: ولا راجعٍ إلى ما أرادوا به، يبث علمه فيمن ينتابه من بادية بلده من عامة المقتبسين منهم من أصاغر الطلبة الذين لا يخشون فيه الملامة، يحدثهم ويفقههم ويدرسهم، ولا يدع المثابرة على العلم والمواظبة على التأليف، والإكثار من التصنيف، حتى كمل من مصنفاته في فنون من العلم وقر بعيرٍ، لم تعد أكثرها عتبة باديته لتزهيد الفقهاء طلاب العلم فيها، حتى لأحرق بعضها بإشبيلية ومزقت علانيةً لا يزيد مؤلفها في ذلك إلا بصيرةً في نشرها، وجدالاً للمعاندة فيها، إلى أن مضى لسبيله، وأكثر معايبه – زعموا – عند المنصف له جهله بسياسة العلم التي هي أوص من إتقانه، ومخلفه عن ذلك على قوة شيخه عمارة، وعلى ذلك كله فلم يكن بالسلم من اضطراب رايه، ومغيب شاهد علمه عنه عند لقائه، إلى أن يحرك بالسؤال: فيتفجر منه بحر علمٍ لا تكدره الدلاء، ولا يقصر عنه الرشاء، له على كل ما ذكرنا دلائل مائلة، وأخبار مأثورة، وكان مما يزيد في شنآنه تشيعه لأمراء بني أمية ماضيهم وباقيهم بالشرق والأندلس، واعتقاده لصحة إمامتهم وانحرافه عن سواهم من قريش حتى نسب إلى التعصب لغيهم. وقد كان من غرائبه انتماؤه في فارس واتباع أهل بيته له في ذلك بعد حقبةٍ من الدهر تولى فيها أبوه الوزير المعقل في زمانه، الراجح في ميزانه، أحمد بن سعيد بن حزم لبني أمية أولياء نعمه، لا عن صحة ولايةٍ لهم عليه، فقد عهده الناس حامل الأبوة. مولد الأرومة من عجم ليلة، جده الأدنى حديث الإسلام، ولم يتقدم لسلفه نباهة، فأبوه أحمد – على الحقيقة – هو الذي بنى بيت نفسه في آخر الدهر براس رابيةٍ، وعمده بالخلال الفاضلة من الرجاحة والمعرفة والدهاء والرجولة والرأي، فاغتدى جرثومة سلفٍ لمن نماهم أغنتهم عن الرسوخ في أول السابقة، فما من شرف إلا مسوق عن خارجيةٍ، ولم يكن غلا كلا ولا حي تخطى على هذا رابيةً ليلة، فارتقى قلعةً إصطخر من أرض فارس، فالله أعلم كيف ترقاها، إذ لم يكن يؤتى من خطل ولا

جهالةٍ، بل وصله بها وسع علمٍ وشجته رحم معقومة، بلها بمستأخر الصلة رحمه الله، فتناهت حاله مع فقهاء عصره إلى ما وصفته، وحسابه وحسابهم على الله الذي لا يظلم الناس مثقال ذرة عز وجهه. ولهذا الشيخ أبي محمدٍ مع يهود لعنهم الله ومع غيرهم من أولى المذاهب المرفوضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة، وأخبار مكتوبة، وله مصنفات في ذلك معروفة، من أشهرا في علم الجدل كتابه المسمى كتاب الفصل بين أهل الآراء والنحل، كتاب الصادع والرد على من كفر أهل التأويل من فرق المسلمين والرد على من قال بالتقليد، وله كتاب في شرح حديث الموطإ والكلام على مسائله، وله كتاب لجامع في صحيح

الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها، وكتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب ولا الحديث، وكتاب منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف، وكتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها، وكتاب أخلاق النفس، وكتابه الكبير المعروف بالإيصال إلى فهم كتاب الخصال، وكتاب كشف الإلباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس، إلى تواليف غيرها ورسائل في معانٍ شتى كثيرٍ عددها. باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها واجتلاب أكمل ألفاظها وأصح معانيها، وكتاب التلخيص والتخليص في المسائل النظرية وفروعها التي لا نص عليها في الكتاب ولا الحديث، وكتاب منتقى الإجماع وبيانه من جملة ما لا يعرف فيه اختلاف، وكتاب الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب والواجب منها، وكتاب أخلاق النفس، وكتابه الكبير المعروف بالإيصال إلى فهم كتاب الخصال، وكتاب كشف الإلباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس، إلى تواليف غيرها ورسائل في معانٍ شتى كثيرٍ عددها.

ومن شعره يصف ما أحرق له من كتبه ابن عباد قوله:

وإن تحرقوا القرطاس لا تحرقوا الذي ... تضمنه القرطاس بل هو في صدري

يسير معي حيث استقلت ركائبي ... وينزل إن أنزل ويدفن في قبري

دعوني من إحراق رقٍ وكاغدٍ ... وقولوا بعلمٍ كي يرى الناس من يدري

وإلا فعودوا في المكاتب بدأةً ... فكم دون ما تبغون لله من ستر

وله:

كأنك بالزوار لي قد تبادروا ... وقيل لهم أودى على بن أحمد

فيا رب محزونٍ هناك وضاحكٍ ... وكم أدمعٍ تذرى وخدٍ مخدد

عفا الله عني يوم أرحل ظاعناً ... عن الأهل محمولاً إلى ضيق ملحد

وأترك ما قد كنت معتبطاً به ... والقى الذي آنست منه بمرصد

فوارا حتى إن كان زادي مقدماً ... ويا نصبي إن كنت لم أتزود

وبالبدائع، هذا الخبر على وعورة ما أوضحنا على كثرة الدافين لها والطامسين لمحاسنها، وعلى ذلك فليس ببدعٍ فيما أضيع منه، فأزهد الناس في عالمٍ أهله وقبله رزئ العلماء بتزهدهم على من يقصر عنهم، والحسد

داء ولا دواء له – آخر كلام ابن حيان – ولأبي محمدٍ قصيدة يخاطب بها قاضي الجماعة بقرطبة عبد الرحمن بن بشيرٍ يفخر فيها بالعلم، ويذكر أصناف ما علم يقول فيها:

أنا الشمس في جو السماء منيرةً ... ولكن عيبي أن مطلعي الغرب

ولو أنني من جانب الشرق طالع ... لجد على ما ضاع من ذكرى النهب

ولى نحو أكناف العراق صبابة ... ولا غرو أن يستوحش الكلف الصب

فإن نزل الرحمن رحلي فيهم ... فحينئذٍ يبدو التأسف والكرب

فكم قائلٍ أغفلته وهو حاضر ... فأطلب ما عنه يجيء به الكتب

هنالك تدرى أن للعبد غصةً ... وأن كساد العلم آفته القرب

فواعجبا من غاب عنهم تشوقوا ... له ودنو المرء من دارهم ذنب

وإن مكاناً ضاق عنى لضيق ... على أنه فيح مذاهبه سهب

وإن رجالاً ضيعوني لضيع ... وإن زماناً لم أنل خصبه جدب.

ولكن لي في يوسفٍ خير أسوةٍ ... وليس على من بالنبي ائتسي ذنب

يقول مقال الحق والصدق إنني ... حفيظ عليم ما على صادقٍ عتب

وله مثله:

يقول أخي: شجاك رحيل جسمٍ ... وروحك ماله عنا رحيل

فقلت له: المعاين مطمئن ... لذا طلب المعاينة الخليل

قال الحميدي وأنشدته قول لأبي نواسٍ:

عرضن للذي تحب بحبٍ ... ثم دعه بروضة إبليس

فقال: أنت في طريق التحقيق فقال:

أبن قول وجه الحق في نفس سامعٍ ... ودعه فنور الحق يسرى ويشرق

سيؤنسه رفقاً وينسى نفاره ... كما نسى القيد الموثق مطلق

علي بن أحمد بن محمد الواحدي

أبو الحسن، أصلهم من ساوة، وهم أولاد التجار، وكانا أخوين على هذا وعبد الرحمن، وكل قد روى العلم وحدث. ذكرهما عبد الغافر بن إسماعيل في السياق قال: مات أبو الحسن على الواحدي سنة ثمانٍ وستين وأربعمائةٍ، ومات أخوه عبد الرحمن سنة سبعٍ وثمانين وأربعمائةٍ، كلاهما بنيسابور.

قال عبد الغافر، فأما أبو الحسن فهو الإمام المصنف المفسر النحوي، أستاذ عصره وواحد دهره، أنفق صباه وأيام شبابه في التحصيل، فأتقن الأصول على الأئمة، وطاق على أعلام الأمة، وتتلمذ لأبي الفضل العروضي الأديب، وقرأ النحو على أبي الحسن الضرير القهندزي، وسافر في طلب الفوائد، ولازم مجالس الثعالبي في تحصيل التفسير، وأدرك الرمادي وأكثر عن أصحاب الأصم وأخذ في التصنيف، فجمع كتاب الوجيز، وكتاب الوسيط، وكتاب البسيط، كل في تفسير القرآن المجيد، وأحسن كل الإحسان في البحث والتنقير،

وله كتاب أسباب النزول، وكتاب الدعوات والمحصول، وكتاب المغازي، وكتاب شرح المتنبي، وكتاب الإغراب في الإعراب في النحو، وكتاب تفسير النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب نفي التحريف عن القرآن الشريف. وقعد للإفادة والتدريس سنين، وتخرج به طائفة من الأئمة سمعوا منه وقرءوا عليه وبلغوا محل الإفادة، وعاش سنين ملحوظاً من النظام وأخيه بعين الإعزاز والإكرام، وكان حقيقياً بكل احترامٍ وإعظام، لولا ما كان فيه من غمزه وإزرائه على الأئمة المتقدمين، وبسطه اللسان فيهم بغير ما يليق بماضيهم، عفا الله عنا وعنه.

قال عبد الغافر: وأجاز لي جميع مسموعاته ذكره الحسن بن المظفر النيسابوري فقال: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري هو الذي قيل فيه:

قد جمع العالم في واحد ... عالمنا المعروف بالواحدي

قال: ومن غرر شعره

أيا قادماً من طوس أهلاً ومرحباً ... بقيت على الأيام ما هبت الصبا

لعمري لئن أحيا قدومك مدنفاً ... بحبك صبا في هواك معذبا

يظل أسير الوجد نهب صبابةٍ ... ويمسي على جمر الغضا متقلبا

فكم زفرةٍ قد هجتها لو زفرتها ... على سد ذي القرنين أمسى مذوبا

وكم لوعة قاسيت يوم تركتني ... ألاحظ منك البدر حين تغيبا

وعاد النهار الطلق أسود مظلماً ... وعاد سنا الإصباح بعدك غيهبا

وأصبح حسن الصبر عني ظاعناً ... وحلد نحوي البين ناباً ومخلبا

فأقسم لو أبصرت طرفي باكياً ... لشاهدت دمعاً بالدماء مخضبا

مسالك لهوٍ سدها الوجد والجوى ... وروض سرورٍ عاد بعدك مجدبا

فداؤك روحي يا بن أكرم والدٍ ... ويا من فؤادي غير حبه قد أبي

وأنشد له:

تشوهت الدنيا وأبدت عوارها ... وضاقت علي الأرض بالرحب والسعه

وأظلم في عيني ضياء نهارها ... لتوديع من قد بان عني بأربعة

فؤادي وعيشي والمسرة والكرى ... فإن عاد عاد الكل والأنس والدعه

وقال أبو الحسن الواحدي في مقدمة البسيط: وأظنني لم آل جهداً في إحكام أصول هذا العلم حسب ما يليق بزمننا هذا وتسعة سنو عمري على قلة أعدادها فقد وفق الله وله الحمد، حتى اقتبست كل ما احتجت إليه في هذا الباب من مظانه وأخذته من معادنه، أما اللغة فقد درستها على الشيخ أبي الفضل أحمد بن بن محمد بن عبد الله بن يوسف العروضي رحمه الله، وكان قد حنق التسعين في خدمة الأدب، وأدرك المشايخ الكبار وقرأ عليهم وروي عنهم كأبي منصورٍ الأزهري، روي عنه كتاب التهذيب وغيره من الكتب، وأدرك أبا العباس العامري، وأبا القاسم الأسدي، وأبا نصرٍ ظاهر بن محمدٍ الوزيري، وأبا الحسن الرخجي، وهؤلاء

كانوا فرسان البلاغة وأئمة اللغة، وسمع أبا العباس الاسم وروي عنه، واستخلفه الأستاذ أبو بكرٍ الخوارزمي على درسه عند غيبته، وله المنصفات الكبار والاستدراكات على الفحول من العلماء باللغة والنحو، وكنت قد لازمته سنين أدخل عليه عند طلوع الشمس وأخرج لغروبها، أسمع وأقرأ وأعلق وأحفظ وأبحث وأذاكر أصحابه ما بين طرفي النهار، وقرأت عليه الكثير من الدواوين واللغة حتى عابني شيخي – رحمه الله – يوماً وقال: إنك لم تبق ديواناً من الشعر إلا قضيت حقه، أما آن لك أن تتفرغ لتفسير كتاب الله العزيز تقرؤه على هذا الرجل الذي تأتيه البعداء من أقصى البلاد وتتركه أنت على قرب ما بيننا من الجوار، يعني الأستاذ الإمام أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، فقلت: يا أبت إنما أتدرج بهذا إلى ذلك الذي تريد، وإذا لم أحكم الأدب بجد وتعبٍ لم أرم في غرض التفسير من كتب، ثم لم أغب زيارته في يومٍ من الأيام حتى حال بيننا قدر الحمام.

وأما النحو فإني لما كنت في ميمة صباي وشرخ شبيبتي وقعت إلى الشيخ أبي الحسن علي بن محمد بن إبراهيم الضرير، وكان من أبرع أهل زمانه في لطائف النحو وغوامضه، وأعلمهم بمضايق طرق العربية وحقائقها، ولعله تفرس في وتوسم الخير لدي، تجرد لتخريجي وصرف وكده إلى تأديبي ولم يدخر عني شيئاً من مكنون ما عنده حتى استأثرني بأفلاذه، وسعدت به أفضل ما سعد تلميذ بأستاذه، وقرأت عليه جوامع النحو والتصريف والمعاني، وعلقت عنه قريباً من مائة جزء في المسائل المشكلة، وسمعت منه أكثر مصنفاته في النحو والعروض والعلل، وخصني بكتابه الكبير في علل القراءة المرتبة في كتاب الغاية لابن مهران، ثم ورد علينا الشيخ أبو عمران المغربي المالكي وكان واحد دهره وباقعة عصره في علم النحو، لم يلحق أحد ممن سمعناه شأوه في معرفة الإعراب، ولقد صحبته مدةً في مقامه عندنا حتى استنزفت غرر ما عنده، وأما القرآن وقراءات أهل الأمصار واختيارات الأئمة فإني اختلفت إلى الأستاذ أبي القاسم علي بن أحمد البستي رحمه الله وقرأت عليه القرآن ختماتٍ كثيرةً لا تحصى، حتى قرأت عليه أكثر طريقة الأستاذ أبي بكر أحمد بن الحسين بن مهران، ثم ذهبت إلى الإمامين أبي عثمان سعيد بن محمد الحيري وأبي الحسن علي بن محمد الفارسي، وكانا قد انتهت إليهما الرياسة في هذا العلم، وأشير إليهما بالأصابع في علو السن ورؤية المشايخ وكثرة التلامذة وغزارة العلوم وارتفاع الأسانيد والوثوق بها، فقرأت عليهما وأخذت من كل واحدٍ منهما حظاً وافراً بعون الله وحسن توفيقه، وقرأت على الأستاذ سعيدٍ مصنفات ابن مهران، وروى لنا كتب أبي علي، الفسوي عنه، وقرأت عليه لفظي كتاب الزجاج بحق روايته عن ابن مقسمٍ عنه، وسمع بقراءتي الخلق الكثير، ثم فرغت للأستاذ أبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي رحمه الله، وكان خير العلماء بل بحرهم، ونجم الفضلاء بل يدرهم، وزين الأئمة بل فخرهم، وأوحد الأمة بل صدرهم، وله التفسير الملقب بالكشف والبيان عن تفسير القرآن، الذي رفعت به المطايا في السهل والأوعار، وسارت به الفلك في البحار، وهبت هبوب الريح في الأقطار:

فسار مسير الشمس في كل بلدةٍ ... وهب هبوب الريح في البر والبحر

وأصفقت عليه كافة الأمة على اختلاف نحلهم، وأقروا له بالفضيلة في تصنيفه ما لم يسبق إلى مثله، فمن أدركه وصحبه علم أن منقطع القرين، ومن لم يدركه فلينظر في مصنفاته ليستدل بها على أنه كان بحراً لا ينزف، وغمراً لا يسبر، وقرأت عليه من مصنفاته أكثر من خمسمائة جزءٍ، منها تفسيره الكبير وكتابه المعنون بالكامل في علم القرآن وغيرهما، ولو أثبت المشايخ الذين أدركتهم واقتبست عنهم هذا العلم من مشايخ نيسابور وسائر البلاد التي وطأتها طال الخطب ومل الناظر، وقد استخرت الله العظيم في جمع كتا بٍ أرجو أن يمدني الله فيه بتوفيقه مشتملٍ على ما نقمت على غيري إهماله، ونعيت عليه إغفاله، لا يدع لمن تأمله حارةً في صدره حتى يخرجه من ظلمة الريب والتخمين، إلى نور العلم واليقين، هذا بعد أن يكون المتأمل مرتاضاً في صنعة الأدب والنحو، مهتدياً بطرق الحجاج قارحاً في سلوك المنهاج، فأما الجذع المرخى من المتقبسين، والريض الكز من المبتدئين، فإنه مع هذا الكتاب كمزاولٍ غلقاً ضاع عنه المفتاح، ومتخبطٍ في ظلماء ليلٍ خانه المصباح:

يحاول فتق غيمٍ وهو يأبى ... كعنينٍ يريد نكاح بكر

ثم قال بعد كلامٍ: إن هذا الكتاب عجالة الوقت، وقبسة العجلان، وتذكرة يستصحبها الرجل حيث حل وارتحل، وإن أنسئ الأجل وأرخى الطول، وأنظرني الليل والنهار، حتى يتلفع بالمشيب العذار، أردفته بكتاب أنضجه بنار الروية، وأردده على رواق الفكرة، وأضمنه عجائب ما كتبته، ولطائف ما جمعته، وعلى الله المعول في تيسير ما رمت، وله الحمد كلما قعدت أو قمت.

علي بن أحمد الفنجكردي

وفنجكرد قرية من قرى نيسابور على حد الدرب، كان أديباً فاضلاً، ذكره الميداني في خطبة كتاب السامي وأثنى عليه، ومات سنة اثنتي عشرة وخمسمائةٍ عن ثمانين سنةً، وذكره البيهقي في الوشاح فقال: الإمام علي بن أحمد الفنجكردي الملقب بشيخ الأفاضل أعجوبة زمانه، وآية أقرانه، وشيخ الصناعة، والممتطي غوارب البراعة. وذكره عبد الغفار الفارسي فقال: علي بن أحمد الفنجكردي الأديب البارع صاحب النظم والنثر الجاريين في سلك السلاسة، قرأ اللغة على يعقوب ابن أحمد الأديب وغيره، وأحكمها وتخرج فيها، وأصابته علة لزمته في آخر عمره، ومات بنيسابور في ثالث عشر رمضان سنة ثلاث عشرة وخمسمائةٍ. قال البيهقي: وأنشدني لنفسه:

زماننا ذا. زمان سوء ... لا خير فيه ولا صلاحا

هل يبصر المبلسون فيه ... لليل أحزانهم صباحا

وكلهم منه في عناءٍ ... طوبى لمن مات فاستراحا

وله:

ولى الشباب بحسنه وبهائه ... وأتى المشيب بنوره وضيائه

الشيب نور للفتى لكنه ... نور مهيب مؤذن بفنائه

فالهج يذكر الله وارض بحكمه ... لا روح للفقراء دون لقائه

وله:

الحكم لله ما للعبد منقلب ... إلا إليه ولا عن حكمه هرب

والمرء ماعاش في الدنيا أخو محن ... تصيبه الحادثات السود والنوب

فإن يساعده في أثنائها فرج ... تسارعت نحوه في إثره كرب

حتى إذا مل من دنياه فاجأه ... في أرضه كان أو في غيرها المطب

علي بن أحمدالنيسابوري

بن محمد بن الغزال النيسابوري أبو الحسن، ذكره عيد الفافر في السياق فقال: مات في شعبان سنة ست عشرة وخمسمائةٍ، ووصفه فقال: الإمام المقرئ الزاهد العامل، من وجوه أئمة القراءة المشهورون بخراسان والعراق، العارف بوجوه القراءات واختلاف الروايات، الإمام في النحو وما يتعلق به من العلل، وإليه الفتوى فيه، عهدناه شاباً كثير الإجتهاد مقبلاً على التحصيل، ملازماً لأستاذه أبي نصرٍ الرامشي المقرئ حتى تخرج به، فزاد عليه في الفقه والورع وقصر اليد عن الدنيا، ولزم طريق العبادة وطريق التصوف والزهد، حتى كان يقصد من البلاد ويستفاد منه، وقلما كان يخرج من بيته إلا في الجنائز، ثم اختل بصره في آخر عمره، ثم أصابه مرض طويل فبقي فيه مدة إلى أن سقطت قوته وضعف، وأدركه قضاء الله عديم النظير فمات. وله تصانيف مفيدة في النحو والقراءات، سمع الحفصي وأحمد بن منصور بن خلفٍ المغربي.

علي بن أحمد بن بكري

وقيل علي بن عمر بن عبد الباقي بن بكريٍ، أبو الحسن خازن دار الكتب بالنظامية، مات في ثامن عشرة من شهر رمضان سنة خمسٍ وسبعين وخمسمائة ودفن في الوردية ولم يعقب، وكان من أهل باب الأزج، له معرفة جيدة بالأدب، قرأ النحو على أبي منصور الجواليقي وغيره، وكان فاضلاً عارفاً حسن الأمر مليح الخط جيد الضبط، قد كتب من كتب الأدب الكثير الذي يفوق الحصر.

علي بن بريد

أبو دعامة القيسي أبو الحسن، أحد الكبراء من الأدباء الرواة النبلاء، مات – أخلي موضعه – ، ذكره الأمير أبو نصرٍ فقال: وعلي بن بريدٍ أبو دعامة القيسي صاحب أدبٍ وهو بكنيته مشهور، وله أخبار كثيرة، روى عن أبي نواسٍ وأبي العتاهية، روى عنه ابن أبي طاهرٍ وعون بن محمدٍ الكندي وغيرهما.

علي بن بسام

أبو الحسن من أهل الأندلس، له كتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – يعني جزيرة الأندلس – في سبعة أسفار.

علي بن ثروان بن الحسن الكندي

أبو الحسن، وهو ابن عم تاج الدين أبي اليمن زيد ابن الحسن الكندي شيخنا، ذكره العماد في الخريدة قال: واصله من الخابور قال: ورأيته بدمشق مشهوداً لفضله بالوفور، مشهوراً بالمعرفة بين الجمهور، موثوقاً بقوله، مصبوحاً مغبوقاً من نور الدين بطوله، وكان أديباً فاضلاً أديباً كاملاً، قد أتقن اللغة وقرأ الأدب على أبي منصورٍ الجواليقي وغيره من معاصريه، وله شعر كثير قال: ولم يقع إلى ما أشد يد الانتقاد عليه، ومات بدمشق بعد سنة خمسٍ وستين وخمسمائةٍ. وكتب على بابه هذين البيتين:

حضر الكندي مغناكم فلم ... يركم من بعد كدٍ وتعب

لو رآكم لتجلى همه ... ونثني عنكم بحسن المنقلب

وله من قصيدة:

هتك الدمع بصوب الهتن ... كل ما أضمرت من سرٍ خفي

يا أخلائي على الخيف أما ... تتقون الله في حث المطي

علي بن جعفرٍ الكاتب

أبو الحسن الفارسي الكاتب النحوي الشاعر، قال الحاكم في كتاب نيسابور: وكان من أعيان الأدباء ومن أهل العلم، علقت عنه من كلامه ولم أعرفه بالرؤية سكن نيسابور. قال الحاكم: سمعت أبا الحسن الفارسي يقول: إن الليم إذا لم يصطنع تجنى، كما أنشدونا لعلي بن الجهم:

وخافوا أن يقال لهم خذلتم ... أخاكم فادعوا قدم الجفاء

قال: سمعت أبا الحسن الكاتب يقول: كتب حميد ابن مهران إلى أبي أيوب الهاشمي يستزيره:

أقيك الردى يا قريع الورى ... ومن حل من هاشمٍ في الذرى

ويفديك من وده في المغيب ... إذا امتحن الود واهي القوى

وصالك يعدل صدق الرجاء ... وصفو المدام وطعم الكرى

فقد تاقت النفس من وامقٍ ... إلى أن يراك فماذا ترى؟

علي بن جعفر بن علي السعدي

يعرف بابن القطاع الصقلي، وكان مقيماً بالقاهرة من مصر، يعلم ولد الأفضل بن أمير الجيوش بدرٍ الجمالي وزير الملقب بالآمر بالله الذي كان بمصر متغلباً، ومات ابن القطاع سنة أربع عشرة وخمسمائةٍ بمصر، ومولده سنة ثلاثٍ وثلاثين وأربعمائةٍ، وكان إمام وقته ببلده وبمصر في علم العربية وفنون الأدب. قرأ على أبي بكرٍ محمد بن البر الصقلي.

وكان مما روي عنه كتاب الصحاح لإسماعيل بن حمادٍ الجوهري، ومن طريقة اشتهرت رواية هذا الكتاب في جميع الآفاق، ولابن القطاع عدة تصانيف منها: كتاب الجوهرة الخطيرة في شعراء الجزيرة – يعني جزيرة صقلية – اشتملت على مائة وسبعين شاعراً وعشرين ألف بيتٍ شعر، وكتاب الأسماء في اللغة جمع فيه أبنية

الأسماء كلها، وكتاب الأفعال هذب فيه أفعال ابن القوطية وأفعال ابن طريفٍ وغيرهما في ثلاث مجلداتٍ، وله حواشٍ على كتاب الصحاح نفيسة وعليها اعتمد أبو محمد بن بري النحوي المصري فيما تكلم عليه من حواشي الصحاح، وكتاب فرائد الشذور وقلائد النحور في الأشعار، وكتاب العروض والقوافي، وكتاب ذكر تاريخ صقلية، وكتاب أبنية الأسماء والأفعال. ولابن القطاع أشعار ليست على قدر علمه ومن أجودها قوله:

إياك أن تدنو من روضةٍ ... بوجنتيه تنبت الوردا
واحذر على نفسك من قربها ... فإن فيها أسداً وردا

ومنه:

ألا إن قلبي قد تضعضع للهجر ... وقلبي من طول الصدود عل الجمر

تصارمت الأجفان منذ صرمتني ... فما تلتقي إلا على دمعةٍ تجري

ومنه:

يا رب قافيةٍ بكرٍ نظمت بها ... في الجيد عقداً بدر المجد قد رصفا
يود سامعها لو كان يسمعها ... بكل أعضائه من حسنها شغفا

الجزء الثالث عشر

علي بن الحسن الأحمر صاحب الكسائي

قال الجعابي: قال محمد بن يحيى الصولي: الأحمر أبو الحسن على بن الحسن مؤدب الأمين لم يصر إلى أحد قط من التأديب ما صار إليه. وقال محمد بن داوود: الأحمر اسمه على بن المبارك، ومات الأحمر فيما ذكره الصولي عن أحمد بن فرج قال: سمعت أبا سعيد الطوال يقول: مات الأحمر قبل الفراء بمدة، قال: أحسبه سنة أربع وتسعين ومائة، ومات الفراء سنة مائتين وأربع.

وحدث المرزباني قال: روى عبد الله بن جعفر عن علي بن مهدي الكسروي، عن ابن قادم صاحب الكسائي قال: كان الأحمر صاحب الكسائي رجلا من الجند من رجال النوبة على باب الرشيد، وكان يحب علم العربية ولا يقدر على مجالس الكسائي إلا في أيام غير نوبته، وكان يرصد مصير الكسائي إلى الرشيد ويعرض له في طريقه كل يوم، فإذا أقبل تلقاه وأخذ بركابه ثم أخذ بيده ومائاه إلى أن يبلغ الستر، وساءله في طريقه عن المسألة بعد المسألة، فإذا دخل الكسائي رجع إلى مكانه، فإذا خرج الكسائي من الدار تلقاه من الستر وأخذ بيده وماشاه يسائله حتى يركب ويجاوز المضارب ثم ينصرف إلى الباب، فلم يزل كذلك يتعلم المسألة بعد المسألة حتى قوى وتمكن وكان فطناً حريصاً، فلما أصاب الكسائي الوضح في وجهه وبدنه كره الرشيد ملازمته أولاده، فأمر إن يرتاد لهم من ينوب عنه ممن يرتضى به، وقال: إنك كبرت ونحن نحب إن نودعك ولسنا نقطع عنك جاريك، فجعل يدافع بذلك ويتوقى إن يأتيهم برجل فيغلب على موضعه، إلى

إن ضيق عليه الأمر وشدد وقيل له: إن لم تأتنا أنت من أصحابك برجل ارتدنا نحن لهم من يصلح، وكان قد بلغه إن سيبويه يريد الشخوص إلى بغداد والأخفش، فقلق لذلك ثم عزم على إن يدخل إلى أولاد الرشيد من لا يخشى ناحيته ومن ليس ممن اشتد من أصحابه، فقال للأحمر: هل فيك خير؟ قال: نعم، قال: قد عزمت إن أستخلفك على أولاد الرشيد، فقال الأحمر: لعلي لا أفي بما يحتاجون إليه، فقال الكسائي: إنما يحتاجون في كل يوم إلى مسألتين في النحو واثنتين من معاني الشعر وأحرف من اللغة، وأنا ألقنك في كل يوم قبل إن تأتيهم ذلك فتحفظه وتعلمهم، فقال: نعم.

فلما ألحوا عليه قال: قد وجدت من أرضاه، وإنما أخرت ذلك حتى وجدته وأسماه لهم. فقالوا: إنما اخترت لنا رجلاً من رجال النوبة ولم تأت بأحد متقدم في العلم، فقال: ما أعرف أحداً في أصحابي مثله في الفهم والصيانة، ولست أرضى لكم غيره، فأدخل الأحمر إلى الدار وفرش له البيت الذي فيه بفرشٍ حسنٍ، وكان الخلفاء إذا أدخلوا مؤدباً إلى أولادهم فجلس أول يوم أمروا بعد قيامه بحمل كل ما في المجلس إلى منزله مع ما يوصل به ويوهب له.

فلما أراد الأحمر الانصراف إلى منزله دعى له بحمالين فحمل معه ذلك كله مع بز كثير، فقال الأحمر: والله ما يسع بيتي هذا، ومالنا إلا غرفة ضيقة في بعض الخانات ليس فيها من تحفظه غيري، وإنما يصلح مثل هذا لمن له دار وأهل. وكل شيء وما يشاكله، فأمر بشراء دار له وجارية وحمل على دابة ووهب له غلام وأقيم له جار ولمن عنده، فجعل يختلف إلى الكسائي كل عشية ويتلقن ما يحتاج إليه أولاد الرشيد ويغدو عليهم فيلقنهم، وكان الكسائي يأتيهم في الشهر مرة أو مرتين فيعرضون عليه بحضرة الرشيد ما علمهم الأحمر ويرضاه، فلم يزل الأحمر كذلك حتى صار نحويا وجلت حاله، وعرف بالأدب حتى قدم على سائر أصحاب الكسائي، ولم يكن قبل ذلك له ذكر ولا يعرف.

وحدث محمد بن الجهم السمري قال: كنا إذا أتينا الأحمر تلقانا الخدم فندخل قصراً من قصور الملوك فيه من فرش الشتاء في وقته ما لم يكن مثله إلا دار أمير المؤمنين، ويدفع إلينا دفاتر الكاغد والجلود قد صقلت، والمحابر المخروطة والأقلام والسكاكين ويخرج إلينا وعليه ثياب الملوك ينفخ منها رائحة المسك والبخور فيلقانا بوجه منطلق وبشر حسن حتى ننصرف. ونصير إلى الفراء فيخرج إلينا معبساً قد اشتمل بكسائه فيجلس لنا على بابه ونجلس في التراب بين يديه فيكون أحلى في قلوبنا من الأحمر وجميل فعله.

وحدث سلمة قال: كان الأحمر قد أملى على الناس شواهد النحو، فأراد الفراء إن يتممها فلم يجتمع له أصحاب الكسائي كما اجتمعوا للأحمر، فقطع ولم يعرض له. قال عبد الله بن جعفر: أخبرنا غير واحد عن سلمة ابن عاصم صاحب الفراء قال: كان بين الفراء والأحمر تباعد وجفاء، فحج الأحمر فمات في طريق مكة فقيل للفراء: إن الأحمر قد نعى إلى أهله فاسترجع وتوجع وترحم عليه وجعل يقول: أما والله لقد علمته صدوقاً سخياً ذكياً عالماً ذا مروءة ومودة – رضي الله عنه – فقيل له: أين هذا مما كنت تقول فيه بالأمس؟ قال: والله ما يمنعني ما كان بيني وبينه إن أقول فيه الحق، وما تعديت فيه قط في قول، ولا تحريت فيه إلا الصدق قبل والآن.

وأنشد إسحاق الموصلي قال: أنشدني الأحمر غلام الكسائي لنفسه:

وفتيان صدق عوا للندى ... وفاض السرور بأرض الطرب

وهي أربعة أبيات قال: وقرأت له أيضاً أبياتاً يسيرة ضعيفة.

وقال أبو محمد اليزيدي يهجو الكسائي والأحمر:

أفسد النحو الكسائ ... ي وثنى ابن غزاله

وأرى الأحمر تيساً ... فاعلفوا التيس النخالة

قال ثعلب: كان الأحمر يحفظ الأربعين ألف بيت شاهد في النحو سوى ما كان يحفظ من القصائد، وكان مقدما على الفراء في حياة الكسائي، وله من التصانيف: كتاب التصريف، كتاب تفنن البلغاء.

على بن الحسن الهنائي

المعروف بكراع النمل. منسوب إلى هناءة بن مالك ابن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهران بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد أبو الحسن اللغوي مات – أخلى موضعه – . وجدت خطه على المنضد من تصنيفه، وقد كتبه في سنة سبع وثلاثمائة. متقدم العصر في أيام ابن در يد، ذكره محمد ابن إسحاق النديم فقال: هو من أهل مصر وكان كوفيا وأخذ عن البصريين ويعرف بالرواسي قبيلة من الأزد، وكتبه مصر موجودة مرغوب فيها. وقال غيره: له من التصانيف: كتاب المنضد أورد فيه لغةً كثيرةً مستعملةً وحوشيةً، ورتبه على حروف ألف ياء تاء ثاء إلى آخر الحروف، ثم اختصره في كتاب المجرد، ثم اختصره في كتاب المنجد. وله كتاب أمثلة الغريب على أوزان الأفعال فيه غريب اللغة، وكتاب المصحف، وكتاب المنظم.

على بن الحسن بن فضيل بن مروان

فارسي الأصل، ذكره محمد بن اسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب الأصنام وما كانت العرب والعجم تعبد من دون الله عز وجل.

على بن الحسن بن عبد الرحمن المقرئ

ذكره محمد بن جعفر التميمي المعروف بابن النجار في تاريخ الكوفة فقال: وانتهى تاريخ قراءة عاصم إلى الطبقة الثامنة، وهو على بن الحسن بن عبد الرحمن المقرئ، وكان شيخاً مباركاً تلقن عليه خلق عظيم، وحدثني أبو الحسن بن سعيد قال: كان يحضر مجلسه فوق ألف نفسٍ في كل يومٍ، وكان السبق من العصر يبيت الناس للدرس، وحفظ خلقاً عظيماً القران، وآخر من شاهدنا منهم أبو العباس محمد بن الحسن بن يونس الهذلي، وكان عجيب المنى لفاظاً بالقران متمكناً من اللسان، وقد قرأ بالسبعة من عدة وجوهٍ، وقرأ بالشواذ أبو الحسين بن أبي بلال البندار، وهو ألف قراءة على بن حسن أحسن تأليفٍ وصنفها أتقن

تصنيفٍ. ومن رجال على بن الحسن أبو العباس المعروف بابن المزرفي المخزومي الخراز وكان أحد الأبدال الزهاد، وختم عليه خلق عظيم منهم أبو الحسن السمسماني المعدل.

على بن الحسن يلقب بابن الماشطة

الكاتب، يكنى أبا الحسن، ذكره محمد بن إسحاق وقال: يلقب بابن الماشطة ظلماً، كان في أيام المقتدر، وله صناعة في الخراج وتقدم في الحساب، وله من التصانيف: كتاب جواب المعنت، كتاب الخراج لطيف كتاب تعليم نقض المؤامرات.

قال المرزباني: أبوالحسن على بن الحسن بن الماشطة الكاتب، أحد الكتاب المتصرفين في أعمال السلطان العالمين بأمور الكتبة والخراج، ورأيته شيخاً كبيراً بعد العشر والثلاثمائة، وجاوز التسعين وقال:

إذا عمر الإنسان تسعين حجةً ... فأبلغ به عمراً وأجدر به شكرا

لأن رسول الله قد قال معلنا: ... إلا أن ربي واعد مثله غفرا

وقال: وكان قد عزل عن عمل كان إليه وحبس:

قالوا حبست فقلت: الحبس لاعجب ... حبس الكرامة لاحبس الجنايات

حبس العمالة بعد العزل عادتنا ... ريث التتبع أو رفع الجماعات

وله:

إذا ضاق صدري بالحديث أفضته ... إلى الأخ والإخوان كي أجد الرشدا

فإن كتموه كان حزماً مؤيداً ... وإن أظهروه لم أخن لهم عهدا

وقلت اشتركنا في الخطايا بذكره ... فألزمته نفسي لأن لها المبدا

قال أبو علي التنوخي: حدثني أبو الحسن على بن هشام: سمعت على بن الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة، وهو صاحب الكتاب المعروف بجواب المعنت في الكتابة، وعاش حتى بلغ مائة سنةٍ، وكان قد تقلد مكان أبي في أيام حامدٍ لما غلب على بن عيسى على الأمور قال: سمعت الفضل بن مروان وزير المنتصر بالله بن المتوكل وذكر خبراً وقال في موضع آخر: حدثني أبو الحسن الكاتب المعروف بابن الماشطة وكان يتقلد قديماً العمالات ثم صار من شيوخ الكتاب، وتقلد في أيام حامد بن عباس ديوان بيت المال.

على بن الحسن بن محمد بن يحيى

يعرف بعلأن المصري، ذكره أبو بكر الزبيدي في كتابه فقال: كان نحوياً من ذوي النظر والتدقيق في المعاني، وكان قليل الحفظ لأصول النحو، فإذا حفظ الأصل تكلم عليه فأحسن وجود في التعليل ودقق القول ماشاء، مات في شوال سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة.

على بن الحسن بن حبيب اللغوي

أبو الحسن الصقلي. ذكره ابن القطاع فقال: أحد رجال اللغة المعدودين والعلماء بها المبرزين وممن تناول الرمى البعيد بقرب فهمٍ وأوضح المبهمات بنور علمٍ وكان مضطلعاً بنقد الشعر ومعانيه، ناهضاً بأعباء الغريب ومبانيه، فمن شعره قوله:

أهاب الكأس أشربها وإني ... لأجرأ من أسامة في النزال

أراوغها مراوغة كأني ... ألاقي عند ذاك شبا العوالي

علي بن الحسن بن حسول

أبو القاسم، من كلام ابن حسول رقعة كتبها إلى الصاحب بن عباد يسترضيه في شيءٍ وجده عليه: مولانا الصاحب الأجل كافي الكفاة كالبحر يتدفق، والعارض يتألق، فلا عتب على من لايرويه سيب غواديه إن يستشرف للرائحات الرواعد من طوله، فيشيم بوارقها ويستمطر سحابها، والله تعالى يديم احياء الخلق بصوب حيائه، وديم إنوائه المنهلة من فتوق سمائه. وكان غاية مارجاه خادمه وتمناه إن يسلم على بلايا أحدقت به، ومنايا حدقت إليه، وأجل نازل أمله، وسيفٍ صقيلٍ تلمظ له، وحين كفاه مولانا من ذلك ماكفاه آخذاً بيديه، وباسطا جناح رحمته عليه، طالبته نفسه بتوقيعه العالي، ليتوقى به وقائع الليالي. فتصدق أدام الله تمكينه عليه بتوقيعين في مدة أسبوعين أنقذاه مغموراً، وأنشراه مقبوراً، وقد أبطرته الآن النعمة، ونزت به البطنة، وأطمعته في توقيعٍ ثالثٍ، فطمع وأصدر كتابه هذا وأنتظر، فإن رآى مولاى إن يحقق رجاءه ويستغنم دعاءه ودعاء من وراءه فعل إن شاء الله عز وجل، فوقع الصاحب على ظهرها: سيدي أبو القاسم – أيده الله – ، قدم حرمةً، وأتبع عثرةً، وأظهر أنابةً، فاستحق إقالةً، فعاد حقه طرياً كان لم يخلق، وظنه قوياً كان لم يخفق، ولو حضر لأظهرت مبسم الرضا عليه، بما أصرفه من مزيد البسطة إليه، وإذا قد غبت فأنت لي يد حق ولسان صدق، فب في ذلك مناباً يمحو آثار السخط كان لم تشهد، ويرخص أخبار العتب كان لم تعهد، هذا وأحسب توقيعي كافياً فيما أمله، ومغنياً فيما أناله أمله إن شاء الله عز وجل.

علي بن الحسن القهستاني

أبو بكر العميد، أحد من أشرق بنور الآداب شمسه، وتقدم وإن تأخر زمانه بالفضل يومه وأمسه، وسما بفضل أدبه كل أفاضل جنسه، مشهور في أهل خراسان، مذكور معروف بينهم لايجهل قدره، ولايطمس بدره. وكان قد اتصل في أيام السلطان محمود ابن سيكتكين بولده محمد بن محمود في أيام أبيه لما قلده الخوزستان، وكان يميل إلى علوم الأوائل، ويدمن النظر في الفلسفة، فقدح في دينه ومقت لذلك. وكان كريماً جواداً ممدحاً، ولى الولايات الجليلة. وله أشعار فائقة ورسائل رائقة، وكان كثير المزاح، راغبا في اللهو والمراح، له في ذلك خاطر وقاد، وحكايات متداولة. وقد دونت رسائله، وشاعت فضائله، وكان يدمن المزاح حتى في مجلس نظره، وكان يعاتب على ذلك فلا يدعه لغلبة طبعه عليه. وكان قد تولى العرض فجرى

يوما بين يديه في مجلس العرض ذكر المعمى فقال: قد كان عندي البارحة جماعة – سماهم – من أهل الأدب، فألقيت عليهم مثالاً يصعب استخراج مثله، فوقفوا فيه وهو:

مليحة القد والأعطاف قد جعلت ... في الحجر طفلا له رأسان في جسد

قد ضيقت منه أنفاس الخناق بلا ... جرمٍ وتضربه ضرباً بلا حرد

فتسمع الصوت منه حين تضربه ... كأنه خارج من ماضغ الأسد

ثم قال: لقد ساءني والله فلان – لرجل أسماه – إذ لم يفهم هذا القدر. فقال له غلام أمرد من أولاد الكتاب كان يتعلم في ديوانه: قد عرفت – أطال الله – بقاء الشيخ العميد هذا المعمى وهو الطبل: فقال له مبادراً كأنه كان قد أعد له ذلك: عهدي بك تستدخل الأعور، فكيف صرت تستخرج الأعمى؟ فخجل الغلام وضحك الحاضرون.

قال ابن عبد الرحيم: وحدثني أبو الفضل قال: بلغني إن القهستاني أنشد مرة بحضرة السلطان محمد بن محمود بيتاً من المعمى فلم يعرفه هو ولاندماؤه وهو:

دقيقة الساق لاعروق لها ... تدوس رزق الورى بهامتها

فقال له محمد: مانفهم هذا ولانعرف شيئاً يشبهه ففسره. قال: هو مغرفة الباقلائي يغرف بها الماء ويهشم برأسها الخبز والثريد وهو رزق الورى، فاستبرده وثقل عليه عدم فهمه له، وهو لعمري مستبرد حقيقةً.

قال: وحدثني إن هذا الرجل كان يتميز على أهل خراسان بحسن الأخلاق والسخاء وكثرة المعروف والعطاء، وكان الشعراء يقصدونه دائماً لما اشتهر من سماحته وفائض مروءته، فأنشده بعض الشعراء قصيدةً باردةً غير مرضيةٍ فغفل عنه وأخر صلته، فكتب بيتين في رقعةٍ وسأل الدواتى إن يتركها في دواته، ففعل وكان البيتان:

أبا بكر هجوتك لالطبعي ... فطبعي عن هجاء الناس ناب

ولكني بلوت الطبع فيه ... فإن السيف يبلى في الكلاب

فوقعت بيد العميد بعد أيام، فلما وقف عليها استحسنها وسأل الدواتي عن الرجل فعرفه إياه فأمر بطلبه، فقيل له إنه سافر، فأرسل خلفه من استعاده من عدة فراسخ، فلما دخل إليه قام له وأكرمه وتلقاه بالإجلال وقال: لوكان مديحك كهجائك لقاسمتك نعمتي، فإني ما سمعت بأحسن من هذين البيتين، ووصله وأحسن جائزته، فاستجرأ الناس عليه وقالوا: إنه لايثيب إلا على الهجاء. قال: وكان أبو بكر القهستاني لهجاً بالغلمان شديد الميل إليهم، وكان لمحمد بن محمود سبعمائة غلامٍ في خيله فعلق العميد أحدهم وأحبه حباً مفرطاً ولم يستجرئ أن يبدى ذلك لما فيه من سوء العاقبة، فاتفق أن عاد الغلمان يوماً من بعض التصيدات فلقيهم العميد في صحن الدار فسلموا عليه وقرب ذلك الغلام منه وكان قد عرف ميله إليه فقرص فخذه، وكان محمد مشرفاً عليهم ينظر إلى ذلك، فنزل واستدعى الخدم وأمرهم بضربه فضربوه ضرباً مسرفاً ثم انفذه إلى العميد وقال له: قد وهبناه منك وصفحنا عن ذنبك، فلو لم يساعدك هذا ألفاً جر على ذلك لما أمكنك فعله، ولكن لاتعد إلى مثل هذا، فاستحيا العميد وقال: هذا أعظم من الضرب والأدب وتأخر عن

داره حياءً فانفذ محمد واستدعاه وبسطه حتى زال إنقباضه، وكان محمد لا رأى له في الغلمان ولاميل عنده إليهم، وكان لمعرفته بمحبة العميد لهم لا يزال يهب منه واحداً بعد واحدٍ، وشكا الخدم إلى محمدٍ إن بعض الغلمان الدارية يمكن باقي الغلمان من وطئه ولايمتنع عليهم من الغشيان فقال: أيفعل هذا طبعاً أم يستجعل عليه؟ فقالوا: بل يستجعل عليه، فتقدم بإخراجه وإنفاذه إلى العميد وقال: قولوا له هذا بك أشبه لابنا، فخذه مباركاً لك فيه، وقال أبو بكر العميد في الميمندي وزير محمود:

ولقد سئمت من الوزي ... ر ومن ذويه زائدة
وغسلت من معروفهم ... كلتا يدي بواحدة
وضربتهم عرض الجدا ... ر فليس فيهم فائدة

ومن مشهور قوله:

ومعقرب الأصداغ في ... خديه ورد ينتثر
لاعبته بالكعبتي ... ن مسامحاً حتى قمر
فازداد حسناً وجهه ... لما رأى حسن الظفر
فنعرت نعرة عاشق ... قمر القمر قمر القمر

وله:

ومقرطق في صحن غرة وجهه ... متصرف صرف الجمال وتحته
عاقرته أسكرته قبلته ... جدلته فقحته سرحته

وله من أبيات كان يغني بها في حضرة الأمير محمد بن محمود:

قم يا خليلي فاسقني ... كشعاع خدك من شراب
فلقد يمر العيش من ... قرضاً ولامر السحاب
فانعم بعيشك مااستطع ... ت ولاتضع شرخ الشباب
فلكم أضعت من الشبا ... ب ومااستفدى سوى اكتئاب

قال ابن عبد الرحيم: ثم ورد العميد إلى بغداد في أوائل سني نيفٍ وعشرين وأربعمائةٍ، ومدح أمير المؤمنين القادر بالله والأجل عميد الرؤساء أبا طالب بن أيوب كاتبه، ثم خرج من بغداد، وبلغني الآن في سنة إحدى وثلاثين إنه اتصل بالملوك السلجوقية الغز المتملكين على خراسان وخوارزم والجبل، وإنهم عرضوا عليه الخدم الجليلة فاختار منها ما يظن معه سلامة العاقبة والخلاص من التبعة، ومن قصيدته في القادر:

ولم يرني ذو منةٍ غير خالقي ... وغير أمير المؤمنين ببابه
غنينا بلا دنيا عن الخلق كلهم ... وإن ما الغنى إلا عن الشيء لابه

ومما بلغني من شعره:

رأيت عماراً وليتى لم أره ... حاز لتلك الطلعة المنكرة
لاأحمد الله على خلقه ... فلو أراد الحمد ما صوره

وله يهجو ابن كثير العارض:

فلسنا نرجى الخير من ابن واحدٍ ... فكيف نرجيه من ابن كثير

وله فيه:

وطول بلا طولٍ ... وعرض بلا عرض

وهجاه بأبيات تصحف:

مالي وهذا العارض بن كثيرٍ ... شيخ العميد وماله يشناني

وهو الفؤاد بروحه وأحبه ... ويتيه أين رأيته وراني

ويغض من قدري ويخمل جاهداً ... ذكري ويخفي في الجنان جناني

يريد في الخنان خناني.

علي بن الحسن بن الوحشي

النحوي الموصلي أبو الفتح. قال السلفي: أنشدني أبو الفرج هبة الله ابن محمد بن المظفر بن الحداد الكاتب بثغر آمد قال: أنشدني ابن الوحشي النحوي لنفسه:

أبكي على الربع قد أقوى كأني من ... سكانه أو كان مازلت أعمره

لاتلحني في بكائيه فساكنه ... لم ألفه هاجري يوماً فأهجره

علي بن الحسن السنخي

بن علي بن أبي الطيب، الباخرزي السنخي أبو الحسن، – وقال: أبو الحسن البيهقي كنية الباخرزي أبو القاسم وهو الصحيح – . وباخرز من نواحي نيسابور، ذكره العماد الكاتب في الخريدة فقال: وهو الذي صنف كتاب دمية القصر في شعراء العصر، قال: وطالعت هذا الكتاب بأصفهان في دار الكتاب التي لتاج الملك بجامعها، وبعثني ذلك على تأليف كتابي هذا، – يعني كتابه الذي نقلت هذا منه، وسماه خريدة القصر في شعراء العصر – . قال: ومات في سنة سبع وستين وأربعمائة. قال: قتل في مجلس إنس بباخرز وذهب دمه هدراً قال: وكان واحد دهره في فنه، وساحر زمانه في قريحته وذهنه، صاحب الشعر البديع، والمعنى الرفيع، وأثنى عليه قال: ولقد رأيت أبناء العصر بأصفهان مشغوفين بشعره، متيمين بسحره، وورد إلى بغداد مع الوزير الكندري، وأقام بالبصرة برهة ثم شرع في الكتابة معه مدة، واختلف إلى ديوان الرسائل وتنقلت به الأحوال في المراتب والمنازل، وله ديوان كبير ومما أورده في دمية القصر لنفسه:

ولقد جذبت إلى عقرب صدغها ... فوجدتها جرارة مجرورة

وكشفت ليلة جلوة عن ساقها ... فرأيتها ممكارةً ممكورةً

قال: ومما أنشدت من شعره قوله:

زكاة رؤس الناس في عيد فطرهم ... يقول رسول الله صاع من البر

ورأسك أغلى قيمةً فتصدقي ... بفيك علينا فهو صاع من الدر

وقال في عذار غلام يكتب خطاً مليحاً:

وقد قلت لما فاق خط عذاره ... في الحسن خط يمينه المستملحا

من يكتب الخط المليح لغيره ... فلنفسه لاشك يكتب أملحا

وله:

قالوا التحى ومحا الإله جماله ... وكساه ثوب مذلةً ومحاق

كتب الزمان على محاسن خده ... هذا جزاء معذب العشاق

وله:

ما أنت بالسبب الضعيف وإنما ... نجح الأمور بقوة الأسباب

فاليوم حاجتنا إليك وإنما ... يدعى الطبيب لكثرة الأوصاب

وله:

يروقك بشراً وهو جذلان مثلما ... تخاف شباه وهو غضبان محنق

كذا السيف في أطرافه الموت كامن ... وفي متنه ضوء يروق ورونق

وله:

قالت وقد ساءلت عنها كل من ... لاقيته من حاضرٍ أو بادي

أنا في فؤادك فارم طرفك نحوه ... ترني فقلت لها وأين فؤادي

وقال يصف الشتاء والبرد:

لبس الشتاء من الجليد جلودا ... فالبس فقد برد الزمان برودا

كم مؤمن قرصته أظفار الشتا ... فغدا لأصحاب الجحيم حسودا

وترى طيور الماء في أرجائها ... تختار حر النار والسفودا

فإذا رميت بسؤر كأسك في الهوا ... عادت عليك من العقيق عقودا

يا صاحب العودين لا تهملهما ... حرق لنا عوداً وحرك عوداً

ومن غير كتاب الخريدة مما روى له:

إنسان عيني قط ما يرتوى ... من ماء وجه ملحت عينه

كذلك الإنسان مايرتوى ... من شرب ماء ملحت عينه

قال السمعاني: ولما ورد إلى بغداد مدح القائم بأمر الله بقصيدته التي صدرها ديوانه وهي:

عشنا إلى إن رأينا في الهوى عجبا ... كل الشهور وفي الأمثال عش رجبا

أليس من عجبٍ إني ضحى ارتحلوا ... أوقدت من ماء دمعي في الحشا لهبا

وإن أجفان عيني أمطرت ورقاً ... وإن ساحة خدى أنبتت ذهبا

وإن تلهب برق من جوانبهم ... توقد الشوق في جنبي والتهبا

قال: فاستهجن البغداديون شعره وقالوا: فيه برودة العجم، فأنتقل إلى الكرخ وسكنها وخالط فضلاءها وسوقتها مدةً وتخلق بأخلاقهم، واقتبس من اصطلاحاتهم ثم أنشأ قصيدته التي أولها:

هبت على صباً تكاد تقول ... إني إليك من الحبيب رسول
سكرى تجشمت الربى لتزورني ... من علتي وهبوبها تعليل
فاستحسنوها وقالوا: تغير شعره ورق طبعه، ومن شعره:
حمل العصا للمبتلى ... بالشيب عنوان البلى
وصف المسافر إنه ... ألقى العصا كي ينزلا
فعلى القياس سبيل من ... حمل العصا إن يرحلا
وذكر أبو الحسن بن أبي القاسم زيد البيهقي في كتاب مشارب التجارب، وأخبار الوزير أبي نصر الكندري – وكندر قرية من أعمال طريثيث – قال: كان الشيخ على بن الحسن الباخرزي شريكه في مجلس الإفادة من الإمام الموفق النيسابوري في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة، فجاءه الشيخ على بن الحسن فقال مداعباً:
أقبل من كندر مسيخرة ... للنحس في وجهه علامات
يحضر دور الأمير وهو فتىً ... موضع أمثاله الخرابات
فهو جحيم ودبره سعةً ... كجنة عرضها السموات
قال: وكان أول عمل الكندري حجبة الباب ثم تمكن في أيام السلطان طغرلبك وصار وزيرا محكماً تمكن أيام السلطان طغرلبك وصار وزيراً محكماً فورد عليه الشيخ على بن الحسن وهو ببغداد في صدر الوزارة في ديوان السلطان، فلما رآه الوزير قال له: أنت صاحب أقبل؟ فقال له: نعم، فقال الوزير: مرحباً وأهلاً فإني قد تفاءلت بقولك أقبل، ثم خلع عليه قبل إنشاده وقال له: عد غداً وأنشد، فعاد في اليوم الثاني وأنشد هذه القصيدة:
أقوت معاهدهم بشط الوادى ... فبقيت مقتولاً وشط الوادى
وسكرت من خمر الفراق ورقصت ... عيني الدموع على غناء الحادي
ومنها:
في ليلة من هجره شتوية ... ممدودةٍ مخضوبةٍ بمداد
عقمت بميلاد الصباح وإنما ... في الامتداد كليلة الميلاد
ومنها:
غر الأعادي منه رونق بشره ... وأفادهم برداً على الأكباد
هيهات لايخدعهم إيماضه ... فالغيظ تحت تبسم الأساد
فالبهو منه بالبهاء موشح ... والسرح منه مورق الأعواد
وإذا شياطين الضلال تمردوا ... خلاهم قرناء في الأصفاد
فلما فرغ من إنشاد هذه القصيدة قال عميد الملك لأمراء العرب: لنا مثله في العجم، فهل لكم مثله في العرب؟ ثم أمر له بألف دينار مغربية قال: وكان السلطان طغرلبك قد بعث وزيره الكندري وكيلا في العقد على بنت خوارزمشاه فوقع إرجاف ورفع إلى السلطان إن عميد الملك زوجها من نفسه وخان، وكان من أمرهما ماكان، فتغير رأس السلطان عليه فحلق عميد الملك لحيته وجب مذاكيره حتى سلم من سياسة

السلطان، فمدحه الشيخ على بن الحسن بهذا النقصان وما سبقه بهذا المعنى أحد حيث قال:

قالوا محا السلطان عنه بعدكم ... سمة الفحول وكان قرماً صائلا

قلت اسكتوا فالآن زاد فحولةً ... لما اغتدى عن إنثييه عاطلا

فالفحل يأنف إن يسمى بعضه ... إنثى لذلك جذه مستأصلا

ولما قتل السلطان البرسلان الوزير أبا نصر الكندري قال الباخرزي يخاطب السلطان:

وعمك أدناه وأعلى محله ... وبوأه من ملكه كنفاً رحبا

قضى كل مولى منكم حق عبده ... فخوله الدنيا وخولته العقبى

قال المؤلف: وهذا المعنى لطيف ومقصد ظريف، فلله در الشعراء وقرائحهم والأدباء ومنائحهم قال البيهقي: ومن العجائب إن الآت تناسل الكندري مدفونة بخوارزم، ودمه مصبوب بمرو الروذ، وجسده مقبور بقرية كندر من طريثيث، وجمجمته ودماغه مدفونان بنيسابور، وشواته محشوة بالتبن وقد نقلت إلى كرمان فدفنت هناك. وقال على بن الحسن الباخرزي في ذلك:

مفترقاً في الأرض أجزاؤه ... بين قرىً شتى وبلدان

جب خوارزم مذاكيره ... طغرلبك ذاك الملك الفاني

ومص مرو الروذ من جيده ... معصفراً يخضبها قاني

فالشخص في كندر مستبطن ... وراء أرماسٍ وأكفان

ورأسه طار ولهفى على ... مجثمه في خير جثمان

خلوا بنيسابور مضمونه ... وقحفه الخالي بكرمان

والحكم للجبار فيما مضى ... وكل يوم هو في شان

وقال في قصيدة له فائقة يمدح فقيها الشريف ذا المجدين أبا القاسم على بن موسى بن إسحاق بن الحسين بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن على ابن أبي طالب عليهم السلام، نقيب الطالبيين بمرو – وفيها ما يدل على إن كنية الباخرزي أبو القاسم – أولها:

حيالك من تحت ذيل الحبى ... شعاع كحاشية المشرفى

ويقول فيها:

وسقت الركائب حتى أنخن ... بسبط الأنامل سبط النبي

على بن موسى مواسى العفاة ... أبي القاسم السيد الموسوى

ومنها:

نماه الفخار إلى جده ... علىٍ فطار بجدٍ على

ولايتأشب عيص السرى ... إذا هو لم يكن ابن السرى

أبا القاسم ياقسيم السخاء ... إذا جف ضرع الغمام الحبى

وفدت إليك مع الوافدين ... وفود البشارة غب النعي

وزارك منى سمي كي ... فراع حقوق السمي الكني
فهذي القصيدة بكر تصل ... على نحرها حصيات الحلي
جعلت هواك جهازاً لها ... فجاءتك مائسةً كالهدى
سحرت بها ألسن السامرين ... ولم أترك السحر للسامري
ولما نشرت أفاويقها ... طوى الناس ديباجة البحتري
وقرأت بخط أبي سعد لأبي القاسم الباخرزي وكناه أبا الحسن:
يا فالق الصبح من لألأ غرته ... وجاعل الليل من أصداغه سكنا
لاغرو إن أحرقت نار الهوى كبدى ... فالنار حق على من يعبد الوثنا
وأنشد له وكناه أبا القاسم:
كتبت وخطى حاش وجهك شاهد ... بان بناني من أذى السقم مرتعش
ونفسي إن تأمر تعش في سلامة ... فأهد لها منك السلام ومرتعش

على بن الحسن بن علي بن صدقة

الوزير ابن الوزير أبو الحسن، لم يستقل بالوزراة إنما ناب عن أبيه، وكان أبوه وزير المسترشد، وكان في أبيه كفاية وشهامة، وهو أول من تولى الوزارة من بين صدقة، وكان أبوه يلقب جلال الدولة، وهو يلقب شرف الدولة، ولما مات جلال الدولة دخل الأقفاصى الشاعر الموصلي إلى قبره وقال وهو يبكى:
نزورك في ثوبي خشوعٍ وذلةٍ ... كانك ترجى في الضريح وترهب
ونلثم تراباً من رفيعٍ محجبٍ ... كما يلثم البيت الرفيع المحجب
وترثى بما قد كنت ممتدحاً به ... فيحزننا منك الذي كان يطرب
ومات جلال الدولة في جمادى الآخرة سنة ثلاث و ثلاثين وخمسمائة. وأما شرف الدولة فقال السمعاني في تاريخه: هو غزير الفضل وافر العقل، له معرفة باللغة، حسن الخط مليحه، دين خير مشغول بالعبادة والعزلة، سمع بقراءتي بمكة والمدينة وبغداد على المشايخ، وسمع أبا القاسم الربعي، كتبت عنه وسألته عن مولده فقال: في محرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة. قلت أنا وهو الذي بنى الرباط المعروف برباط الدرجة على دجلة بالجانب الغربي، واعتزل فيه مع جماعة من الفقراء وترك الولايات إلى إن مات، وهو صاحب الخط المليح المنسوب على طريقة على بن هلال بن البواب، ومات في سابع صفرٍ سنة أربعٍ وخمسين وخمسمائةٍ.

على بن الحسن بن عنتر بن ثابت

المعروف بشميمٍ الحلى، أبو الحسن النحوي اللغوي الشاعر، مات في ربيع الأخر سنة إحدى وستمائة. أخبرني به العماد بن الحدوس العدل، وبمنزله مات بالموصل عن سن عالية، وهو من أهل الحلة المزيدية. قدم بغداد وبها تأدب، ثم توجه تلقاء الموصل والشام وديار بكر، وأظنه قرأ على أبي نزار ملك النحاة.

قال مؤلف الكتاب: وكنت قد وردت إلى آمد في شهور سنة أربع وأربعين وخمسمائة، فرأيت أهلها مطبقين على وصف هذا الشيخ، فقصدت إلى مسجد الخضر ودخلت عليه فوجدته شيخا كبيراً قضيف الجسم في حجرة من المسجد، وبين يديه جامدان مملوء كتباً من تصانيفه فحسب، فسلمت عليه وجلست بين يديه، فأقبل على وقال: من أين أنت؟ قلت من بغداد: فهش بي وأقبل يسائلني عنها وأخبره، ثم قلت له: إنما جئت لأقتبس من علوم المولى شيئاً، فقال لي: وأي علم تحب؟ قلت له: أحب علوم الأدب. فقال إن تصانيفي في الأدب كثيرة وذلك إن الأوائل جمعوا أقوال غيرهم وأشعارهم وبوبوها، وأما أنا فكل ماعندي من نتائج أفكاري، وكنت كلما رأيت الناس مجمعين على استحسان كتاب في نوع من الآداب استعملت فكري وأنشأت من جنسه ما أدحض به المتقدم. فمن ذلك إن أبا تمام جمع أشعار العرب في حماسته، وأما أنا فعملت حماسةً من أشعاري وبنات أفكاري، – ثم شنع أبا تمام وشتمه – ، ثم رأيت الناس مجمعين على تفضيل أبي نواس في وصف الخمر، فعملت كتاب الخمريات من شعري، لو عاش أبو نواس لاستحيا إن يذكر شعر نفسه لو سمعها، ورأيت الناس مجمعين على تفضيل خطب ابن نباتة فصنفت كتاب الخطب فليس للناس اليوم اشتغال إلا بخطبي، وجعل يزري على المتقدمين ويصف ويجهل الأوائل ويخاطبهم بالكلب، فعجبت منه وقلت له: فأنشدني شيئاً مما قلت، فابتدأ وقرأ على خطبة كتاب الخمريات فعلق بخاطري من الخطبة قوله: ولما رأيت الحكمي قد أبدع ولم يدع لأحد من أتباعه مطمعاً، وسلك في إفشاء سر الخمرة ماسلك، آثرت إن أجعل لها نصيباً من عنايتي مع ما إنني على علم الله لم ألم لها بلثم ثغر إثمٍ مذ رضعت ثدي أمٍ. أو كما قال. ثم أنشدني من هذا الكتاب:

امزج بمسبوك اللجين ... ذهباً حكته دموع عيني
لما نعى ناعى الفرا ... ق بين من أهوى وبيني
كانت ولم يقدر لشي ... ء قبلها إيجاب كون
وأحالها التحريم لم ... ا شبهت بدم الحسين
خفقت لنا شمسان من ... لآلائها في الخافقين
وبدت لنا في كأسها ... من لونها في حلتين
فاعجب هداك الله من ... كون اتفاق الضرتين
في ليلة بدأ السرو ... ر بها يطالبنا بدين
ومضى طليق الراح من ... قد كان مغلول اليدين
ذي زينة الأحياء في الد ... نيا وزينة كل زين

فاستحسنت ذلك، فغضب وقال لي: ويلك ماعندك غير الاستحسان؟ قلت له: فما أصنع يا مولانا، فقال

لي: تصنع هكذا؟ ثم قام يرقص ويصفق إلى إن تعب ثم جلس وهو يقول: ما أصنع وقد ابتليت ببهائم لا يفرقون بين الدر و البعر، والياقوت والحجر، فاعتذرت إليه وسألته إن ينشدني شيئاً آخر، فقال لي: قد صنفت كتاباً في التجنيس، سميته أنيس الجليس في التجنيس، في مدح صلاح الدين لما رأيت استحسان الناس لقول البستي فأنا أنشدك منه، ثم أنشدني لنفسه:

ليت من طول بالش ... ام نواه وثوى به

جعل العود إلى الزو ... راء من بعض ثوابه

أترى يوطئني الدهر ... ثرى مسك ترابه

وأرى أي نور عيني ... موطئا لي وترى به

ثم أنشدني لنفسه في وصف ساقٍ:

قل لي فدتك النفس قل لي ... مإذا تريد إذاً بقتلي؟

أأدرت خمراً في كؤو ... سك هذه أم سم صل؟

وأنشدني غير ذلك مما ضاع من أصله، ثم سألته عمن تقدم من العلماء، فلم يحسن الثناء على أحد منهم، فلما ذكرت له المعرى نهرني وقال لي: ويلك كم تسيء الأدب بين يدي، من ذلك الكلب الأعمى حتى يذكر بين يدي في مجلسي؟ فقلت: يا مولانا ما أراك ترضى عن أحد ممن تقدم.

فقال: كيف أرضى عنهم وليس لهم ما يرضيني؟ قلت: فما فيهم قط أحد بما يرضيك؟ فقال: لا أعلمه إلا أن يكون المتنبي في مديحه خاصة، وابن نباتة في خطبه، وابن الحريري في مقاما ته فهؤلاء لم يقصروا. قلت له: يا مولانا قد عجبت إذ لم تصنف مقامات تدحض بها مقامات الحريري، فقال لي: يابني اعلم إن الرجوع إلى الحق خير من التمادي على الباطل. عملت مقاماتٍ مرتين فلم ترضى فغسلتها، وما أعلم إن الله خلقني إلا لأظهر فضل ابن الحريري، ثم سطح في الكلام وقال: ليس في الوجود إلا خالقان: فأحد في السماء وأحد في الأرض، فالذي في السماء هو الله، والذي في الأرض أنا، ثم التفت إلي وقال: هذا كلام لا يحتمله العامة لكونهم لا يفهمونه، أنا لا أقدر على خلق شيء إلا خلق الكلام فأنا أخلقه، ثم ذكر اشتقاق هذه اللفظة، فقلت له: أيا مولانا؟ أنا رجل محدث وإن لم تكن في المحدث جراءة مات بغصته، وأحب أن أسأل مولانا عن شيءٍ إن أذن، فتبسم وقال: ما أراك تسأل إلا عن معضلة هات ما عندك. قلت: لم سميت بالشميمم؟ فشتمني ثم ضحك وقال: اعلم إنني بقيت مدة من عمري – ذكرها هو ونستيها أنا – لا آكل في تلك المدة إلا الطيب فحسب قصداً لتنشيف الرطوبة وحدة الحفظ، وكنت أبقى أياما لايجيئني الغائط، فإذا جاء كان شبه البندقة من الطين وكنت آخذه وأقول لمن انبسط إليه شمه فإنه لا رائحة له، فكثر ذلك حتى لقبت به، أرضيت يا بن الفاعلة.

هذا آخر ما جرى بيني وبينه، ثم أنشدت له من حماسته:

لا تسرحن الطرف في بقر المها ... فمصارع الآجال في الآجال

كم نظرةٍ أردت وما أخذت يد ال ... مصمى لمن قتلت أداة قتال

سنحت وما سمحت بتسليم واق ... لال التحية فعلة المغتال
أضللت قلبي عندهن ورحت إن ... شده بذات الضال ضل ضلالي
ألوى بألوية العقيق على الطلو ... ل مسائلا من لا يجيب سؤالي
تربت يدي في مقصدي من لايدي ... قودي وأولى لي بها أولى لي
يا قاتل الله الدمى كم من دم ... أجرين حلا كان غير حلال
أشلين ذل اليتم في الأشبال ... وفتكن بالأجساد في الأغيال
ونفرن حين نكرن إقبالي ولو ... إني نفرت لكان من إقبالي
لكن أبي رعى ذمام الحب إن ... أولى الوفاء قطيعةً من قالى

وأنشدني تقي الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي محمد المعروف بابن الحجاج، وأبو محمد هو الحجاج من شرقي واسط قال: أنشدني أبو الحسن على بن عنتر ابن ثابت الحلوى المعروف بشميم وقد قلت: لا أراك تذم أحداً من أهل العصر فقال لي: ليس لأحدٍ منهم عندي قيمة، فإنه لا يصلح للذم إلا من يصلح للمدح، أما سمعت قولي في الحماسة:

أصخ إنما مدح الفتى وهجاؤه ... لدى الطبن النقريس ذا توءم لذا
فحيث أنتوى ملقى المديح عصا الثوى ... تراح بها من أينها قلص الهجا
ومن ليس أهلاً للمديح ولا الهجا ... فعيناه في عين الرضا ظلمة العمى
ويزرى بضرغام الغريف زئيره ... على ذبخ عنوٍ هر أو أغضفٍ عوى

وأنشدني أيضا له:

قالوا نراك بكل فنٍ عالماً ... فعلام حظك من دناك خسيس؟
فأجبتهم لاتعجبوا وتفهموا ... كم ذاد نمزة ليث خيسٍ خيس

حدثني ابن الحجاج تقي الدين قال: اجتمع جماعة من التجار الواسطيين بالموصل على زيارة شميم وتواقفوا على ألا يتكلموا بين يديه خوفاً من زلل يكون منهم، فلما حصلوا بين يديه قال أحدهم: أدام الله أيامك فالتفت إلي وقال: إيش هؤلاء؟ فإني أرى عمائم كباراً ظننتها على آدميين فسكتوا، فلما قاموا قال له آخر منهم: يا سيدي ادع لنا بشمل الجميع، فغضب وقال: إيش هؤلاء وكيف خلقهم الله؟ ثم حلف بخالقه وقال: لو قدرت على خلقه مثل هؤلاء إنفث من خلق مثلهم. قال المؤلف:

حدثني محمد بن حامد بن محمد بن جبريل بن محمد بن منعة بن مالك الموصلي الفقيه فخر الدين بمرو في سنة خمس عشرة وستمائة، في ربيع الأول منها قال: لما ورد شميم الحلي إلى الموصل بلغني فضله فقصدته لأقتبس من علومه، فدخلت عليه فجرى أمري على ماهو معروف به من قلة الاحتفال بكل أحدٍ، وجرت خطوب ومذاكرات إلى إن قال: ومن العجائب استحسان الناس قول عمرو بن كلثوم:

مشعشعة كان الحص فيها ... إذا ما الماء خالطها خرينا

– كذا قال تهكماً – إلا قال كما قلت:

وسالت نطاف الراح في الراح فاغتدى السن ... سماح إلى راحاتنا فسخينا

ثم أخرج رقعة من تحت مصلاه وقال لي: ما معنى قولي: قلب شطر أعاديك حظ من كفر أياديك؟ فقلت: أكتبها وأفسرها؟ فقال: اكتب، فكتبتها وقلت نعم: شطر أعاديك: ديك وقلبه: كيد، أردت إن الكيد حظ من كفر أياديك، فقال: أحسنت، وكان ذلك سبب إقباله على بعد ما تقدم من إهماله إياي، وأنشدني أبو حامد المذكور قال: أنشدني أبو الحسن على بن الحسن بن عنتر الحلي لنفسه:

أقيلي عثرة الشاكي أقيلي ... فسولى في سماع نثا رسولى

وإن لم تأذني بفكاك أسري ... فدليني على صبر جميل

حدثني الأمدي الفقيه قال: بلغني إنه لما قدم الحلي إلى الموصل إنثال إليه الناس يزورونه، وأراد نقيب الموصل – وهو ذو الجلالة المشهورة بحيث لا يخفى أمره على أحد – زيارته فقيل له: إنه لا يعبأ بأحد ولا يقوم من مجلسه لزائر أبداً، فجاءه رجل وعرفه ما يجب من احترام النقيب لحسبه ونسبه وعلو منزلته من الملوك، فلم يرد جواباً، وجاءه النقيب ودخل وجرى على عادته من ترك الاحتفال له ولم يقم عن مجلسه، فجلس النقيب ساعةً ثم انصرف مغضباً، فعاتبه ذلك الرجل الذي كان أشار عليه بإكرامه، فلم يرد عليه جواباً، فلما كان من الغد جاءه وفي يد الحلي كسرة خبزٍ يابسةٍ وهو يعض من جنبها ويأكل، فلما دخل الرجل عليه قال له: بسم الله، فقال له: وأي شيء هاهنا حتى آكل؟ فقال له: يا رقيع من يقنع من الدنيا بهذه الكسرة اليابسة لأي معنىً يذل للناس مع غناه عنهم واحتياجهم إليه.

حدثني الفقيه قال: بلغني إن الحلي قدم إلى أسعرت فتسامع به أهلها فقصدوه من كل فجٍ، وكان فيهم رجل شاعر فأنشده الرجل شعراً استجاده الحلي فقال لقائله: إني أرفع هذا الشعر عن طبقتك، فإن كنت في دعواك صادقاً فقل في معناه الآن شيئاً آخر، ففكر ساعة فقال:

وماكل وقت فيه يسمح خاطري ... بنظم قريض يقتضي لفظه معنى

ولم يبح الشرع المبين تيمماً ... بترب وبحر الأرض في ساحةٍ معنا

فقال له الحلي: ويحك اسجد، ويلك اسجد، فإن هذا موضع من مواضع سجدات الشعر، وأنا أعرف الناس بها. ومما سمعته من قلق فيه وهو من إنشاء خطبة له وهي:

الحمد لله فالق قمم حب الحصيد بحسام السحب، صابغ خد الأرض بقاني رشيق يانع العشب، نافخ روح الحياة في صور تصاويرها بسائح القراح العذب، يحي ميت الأرض بإماتة كالح الجدب، لابتسام ثغر نسيم إنفاح الخصب، محيل جسم طبيعة الماء المبارك في أشكال الحب والعنب والزيتون والقضب، جاعلة للأنام والأنعام، ذات الحمل والحلب، محلى جيد الآفلاك بقلائد دراري النجوم الشهب، ومجلى جند الأملاك عن مباشرة التصرف والكسب، وللقيام بالواجب وأصل التسبيح والتقديس للرب، قابل التوبة من المذنب المنيب وغافر الذنب، الواحد المنفرد بوحدانيته عن ملاءمة قسمة أعداد الحساب والضرب، المستغنى بصمديته عن مسيس الحاجى إلى دواعي الأكل والشرب، الشاهد على خلقه بما يفيضون فيه لألا تصاف بعد ولاقرب، المهيمن على سر اجتراح كل جارحة وخاطر خاطر وتقلب قلبٍ، أحمده على مامنح من

موضح بيان بما ألب في سويداء لبٍ، وأشكره على ماجلا من مظلم ظلم جهل، وكشف من كثيف ركام كرب، وأشهد إن لاإله الأ الله وحده لاشريك له شهادةً سالمةً من شوائب النفاق والخب، مؤمنةً قائلها يوم الفزع الأكبر من إيحاش الرهب والرعب، وأشهد إن محمدا عبده المحبو بعقد حبا، خاتم الأنبياء من جميع أصحاب الصحف والكتب، وصفية المنتخب لنصر الدين وإقامة دعوى الإسلام بالبيض القضب والجرد القب والأسد الغلب. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ما سنحت الغزالة بأفق شرقٍ وحجبت بغارب غربٍ، صلاة بفتى تكرارعديدها صم الحصا الصلب، ويبيد أربد الترب. عباد الله: من اختلف عليه الأباد باد، ومن تمكنت يد المنون من عنقه إنقاد، ومن تزود التقوى استفاد خير الزاد، ومن بدأ ببره وعاد للمعاد فاز بالأحماد، (يوم تجد كل نفس ماعملت من خيرٍ محضراً، وما عملت من سوء تود لو إن بينها وبينه أمداً بعيداً، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد). اللهم نول آمالنا مناها، وكفل أعمالنا تقاها، وخول أطماعنا رضاها، ولاتشرب قلوبنا هوى دنياها، فإن المعاطب في حبها، وشين المعايب مزرٍ بها، فلا تجعل اللهم مهامنا فيها المنى، وآمنا بأمننا من كيد أمنا الدنا، برحمتك يا أرحم الراحمين، استغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين ولوالدي ولمن علمني

أسماء تصانيف الشيخ علي بن الحسن الشميم الحلي

كتاب النكت المعجمات في شرح المقامات، وكتاب أرى المشتارفي القريض المختار، وكتاب الحماسة من نظمه مجلد، وكتاب مناح المنى في إيضاح الكنى أربع كراريس، وكتاب درة التأميل في عيون المجالس والفصول مجلدان، وكتاب نتائج الإخلاص في الخطب مجلد، وكتاب إنس الجليس في التجليس مجلد، وكتاب أنواع الرقاع في الأسجاع، وكتاب التعازي في المزاري مجلد، وكتاب خطبٍ نسق حروف المعجم كراسان، وكتاب الأماني في التهاني مجلد، وكتاب المفاتيح في الوعظ كراسان، وكتاب معاياة العقل في معاناة النقل مجلد، وكتاب الإشارات المعرية مجلد، وكتاب المرتجلات في المسجلات أربع كراريس، وكتاب المخترع في شرح اللمع مجلد، وكتاب المحتسب في شرح الخطب مجلد، وكتاب المهتصر في شرح المختصر مجلد، وكتاب التحميض في التغميض كراسان، وكتاب بداية الفكر في بدائع النظمم والنثر مجلدان، وكتاب خلق الآدمي كراسان، وكتاب رسائل لزوم مالا يلزم كراسان، وكتاب اللزوم مجلدان، وكتاب لهنة الضيف المصحر في الليل المسحر كراسان، وكتاب متنزه القلوب في التصحيف كراس، وكتاب المنائح في المدائح مجلدان، وكتاب نزهة الراح في صفات الأفراح كراسان، كتاب الخطب المستضيئة، كتاب حرز النافث من عيث العائث، كتاب الخطب الناصرية، كتاب الركوبات مجلدان، كتاب شعر الصبي مجلد، كتاب إلقام الأحلام في تفسير الأحلام، كتاب سمط الملك المفضل في مدح المليك الأفضل، كتاب مناقب الحكم في مثالب الأمم مجلدان، كتاب اللماسة في شرح الحماسة، كتاب الفصول الموكبية يشتمل على أربعين فصلاً، وكتاب مجتنى ريحانة الهم في استئناف المدح والذم، كتاب المناجاة.

علي بن الحسن بن عساكر

،

الحافظ الدمشقي نقلت من جزء عمله ولده أبو محمد القاسم بن علي في أخبار والده فقال:

هو أبو القاسم على بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله ابن الحسين، أبو القاسم بن أبي محمد بن أبي الحسن بن أبي محمد بن أبي على الشافعي الحافظ، أحد أئمة الحديث المشهورين والعلماء المذكورين، ولد في المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة، ومات في الحادي عشر من رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة، وقد بلغ من السن اثنتين وسبعين سنةً وستة أشهرٍ وعشرة أيامٍ، وحضر جنازته بالميدان والصلاة عليه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب – رحمه الله – .

قال العماد: وكان الغيث قد احتبس في هذه السنة فدر وسح عند ارتفاع نعشه، فكان السماء بكت عليه بدمع وبله وطشة. وسمعه أخوه سنة خمس وخمسمائة، وسمع هو بنفسه من والداه وأبي محمد الأكفاني وذكر خلقاً من شيوخ دمشق، ورحل إلى العراق في سنة عشرين وخمسمائة، وأقام بها خمس سنين، وسمع ببغداد من أبي القاسم بن الحصين وغيره، وحج في سنة إحدى وعشرين، وسمع بمكة ومنىً والمدينة وبالكوفة وأصبهان القديمة واليهودية ومرو الشاهجان ونيسابور وهراة وسرخس وأيبورد وبطان والري وزنجان، وذكر بلاداً كثيرةً يطول على ذكرها من العراق وخراسان والجزيرة والشام والحجاز. قال: وعدة شيوخه ألف وثلاثمائة شيخٍ، ومن النساء بضع وثمانون امرأةً، وحدث ببغداد ومكة ونيسابور وأصبهان وسمع منه جماعة من الحفاظ ممن هو أسن منه.

وروى عنه أبو سعد بن السمعاني فأكثر، وروى هو عنه.

ولما دخل بغداد سمع الدرس بالنظامية مدة مقامه بها، وعلق مسائل الخلاف على الشيخ أبي سعد اسماعيل بن أبي صالح الكرماني، وأنتفع بصحبة جده أبي الفضل في النحو والعربية، وجمع وصنف، فمن ذلك: كتاب تاريخ مدينة دمشق وأخبارها وأخبار من حلها، أوردها في خمسمائة وسبعين جزءا كم تجزئة الأصل، والنسخة الجديدة ثمانمائة جزءٍ، كتاب الموافقات على شيوخ الأئمة الثقات اثنان وسبعون جزءاً، كتاب الأشراف على معرفة الأطراف ثمانية وأربعون جزءا، كتاب تهذيب المتلمس من عوالي مالك ابن إنس أحد وثلاثون جزءاً، كتاب التالي لحديث مالك العالي تسعة عشر جزءاً، كتاب مجموع الرغائب مما وقع من أحاديث مالك الغرائب عشرة أجزاءٍ، كتاب المعجم لمن سمع منه أو أجاز له اثنا عشر جزءاً، كتاب من سمع منه من النسوان جزء واحد، كتاب معجم أسماء القرى والأمصار التي سمع بها جزء واحد، كتاب مناقب الشبان خمسة عشر جزءاً، كتاب فضل أصحاب الحديث أحد عشر جزءاً، كتاب تبيين كذب المفتري على الأشعري عشرة أجزاء، كتاب المسلسلات عشرة أجزاءٍ، كتاب تشريف يوم الجمعة سبعة أجزاءٍ، كتاب المستفيد في الأحاديث السباعية الأسانيد أربعة أجزاءٍ، كتاب السداسيات جزء واحد، كتاب الأحاديث الخماسيات وأخبار أبي الدنيا جزء واحد، كتاب تقوية المنة على إنشاء دار السنة ثلاثة أجزاء، كتاب الأحاديث المنتخبة في فضائل العشرة، كتاب من وافقت كنيته كنية زوجته أربعة أجزاءٍ، كتاب الأربعين الطوال ثلاثة أجزاءٍ، كتاب أربعين حديثاً عن أربعين شيخا من أربعين مدينةً جزءان، كتاب الأربعين في

الجهاد جزء واحد، كتاب الجواهر واللإلئ في الأبدال العوالي ثلاثة أجزاء: كتاب فضل عاشوراء والمحرم ثلاثة أجزاء، كتاب الاعتزاز بالهجرة جزء واحد، كتاب المقالة الفاضحة للرسالة الواضحة جزء واحد، كتاب رفع التخليط عن حديث الأطيط جزء واحد، كتاب الجواب المبسوط لمن ذكر حديث الهبوط جزء واحد، كتاب القول في جملة الأسانيد في حديث المؤيد ثلاثة أجزاء، كتاب طرق حديث عبد الله بن عمر جزء، كتاب من لا يكون مؤتمناً لا يكون مؤذناً جزء واحد، كتاب ذكر البيان عن فضل كتابة القران جزء واحد، كتاب دفع التثريب على من فسر معنى التثويب جزء، كتاب فضل الكرم على أهل الحرم جزء واحد، كتاب الإقتداء بالصادق في حفر الخندق جزء واحد، كتاب الإنذار بحدوث الزلازل ثلاثة أجزاء، كتاب ثواب الصبر على المصاب بالولد جزان، كتاب معنى قول عثمان: ما تعنيت ولا تمنيت جزء، كتاب مسلسل العيدين جزء واحد، كتاب حلول المحنة بحصول الابنة جزء واحد، كتاب ترتيب الصحابة في مسند أحمد جزء واحد، كتاب ترتيب الصحابة في مسند أبي يعلى جزء، كتاب معجم الشيوخ النبلاء جزء واحد، كتاب أخبار أبي عمر الأوزاعي وفضائله جزء، كتاب ما وقع للأوزاعي من العوالي جزء، كتاب أخبار أبي محمد سعد بن عبد العزيز وعواليه جزء، كتاب عوالي حديث سفيان الثوري وخبره أربعة أجزاء، كتاب إجابة السؤال في أحاديث شعبة جزء واحد، كتاب روايات ساكني داريا ستة أجزاء، كتاب من نزل المزه وحدث بها جزء واحد، كتاب أحاديث جماعة من كفر سوسيه جزء واحد، كتاب أحاديث صنعاء الشام جزءان، كتاب أحاديث أبي الأشعث الصنعاني ثلاثة أجزاء، كتاب أحاديث حنش والمطعم وحفص الصنعانيين جزء، وكتاب فضل الربوة والنيرب ومن حدث بها جزء، كتاب حديث أهل قرية الحمريين وقبيبات جزء واحد، كتاب حديث أهل فذايا وبيت أرانس وبيت قوفا جزء، كتاب حديث أهل قرية البلاط جزء، كتاب حديث سلمة أبن على الحسني البلاطي جزءان ومن حديث يسرة بن صفوان وابنه وابن ابنه جزء واحد، ومن حديث سعد ابن عبادة جزء، ومن حديث أهل رندين وجبرين جزء واحد. ومن حديث أهل بيت سواى جزء، ومن حديث رومة ومسرابا والقصر جزء، ومن حديث جماعة من أهل حرستا جزء، ومن حديث أهل كفر بطنا جزء، ومن حديث أهل دقانية وجخراء وعين توما وجديا وطرميس جزء واحد، ومن حديث جماعة من أهل جوبر جزء واحد، ومن حديث جماعة من أهل بيت لهيا جزء واحد، ومن حديث يحيى بن حمزة البتلهى وعواليه جزء، ومجموع من حديث محمد بن يحيى بن حمزة الحضرمي البتهلي جزءان، وفضائل مقام إبراهيم، ومن حديث أهل برزة جزء، ومن حديث أبي بكر بن محمد بن رزق الله المنيني المقرئ جزء، ومجموع من أحاديث جماعة أهل بعلبك جزءان. قال:

وأملي رحمه الله أربعمائة مجلس وثمانية مجالس في فن واحد، وخرج لشيخه أبي غالب بن البنائي أحد عشر مشيخةً، ومشيخةً لشيخه أبي المعالي عبد الله بن أحمد الحلواني الأصولي جزأين، وخرج أربعين حديثاً مساواة الإمام أبي عبد الله القراوي في جزءٍ، ومصافحةً لأبي سعدٍ السمعاني وأربعين حديثاً في جزءٍ، وخرج لشيخه الإمام أبي الحسن السلمي سبعة مجالس وتكلم عليها، وآخر ماصنعه جزء في تكميل الأنصاف والعدل بتعجيل الإسعاف بالعزل، وكتاب فيه ذكر ما وجدت في سماعٍ مما يلتحق بالجزء الرباعي. ووجدت في

أصوله علاماتٍ له على مصنفاتٍ عدةٍ منها: كتاب الإبدال ولو تم كان مقداره مائتي جزءٍ أو أكثر، وكتاب فضل الجهاد، ومسند مكحول وأبي حنيفة. وكتاب فضل مكة. وكتاب فضل المدينة. وكتاب فضل البيت المقدس. وكتاب فضل قريشٍ وأهل البيت والأنصار والأشعريين وذم الرافضة. وكتاب كبير في الصفات وأشياء غير ذلك تبلغ عدتها أربعين مصنفاً. ولما أملى رحمه الله في فضائل الصديق رضي الله عنه سبعة مجالس ثم قطعها بإملاء مجالس في ذم اليهود وتخليدهم في النار، جاء إليه صديقنا أبو علي بن رواحة وقال له: رأيت الصديق في النوم وهو راكب على راحلة فقلت: يا خليفة رسول الله قد أملى علينا الحافظ أبو القاسم سبعة مجالس في فضائلك، فأشار إلي بأصابعه الأربع، فقال له والدي: قد بقي عندي مما خرجت ولم أمله أربعة مجالس فأملاها، ثم أملى في كل واحدٍ من الخلفاء أحد عشر مجلساً، وكان رحمه الله مواظباً على صلاة الجمعة ملازماً لقراءة القران، وكان يختم في رمضان والعشر كل يوم ختمة، ولم ير الأ في الاشتغال بعلمٍ وعبادةٍ يحاسب نفسه على كل لحظة، وكنت أسمع والدي يحكي إن أباه رأى في منامه رؤيا ووالدي حمل إنه يولد لك مولود يحيى الله به السنة، ولما قدم إلى بغداد أعجب به البغداديون وقالوا: قدم علينا من دمشق ثلاثة ما رأينا مثلهم: الشيخ يوسف الدمشقي، والصائن أبو الحسين هبة الله بن الحسن، وأخوه أبو القاسم. وحدثني أبي رحمة الله قال: كنت يوما أقرأ على شيخنا أبي الفتح المختار بن عبد الحميد وهو يتحدث مع جماعة بالعجمية فقال: قدم علينا الوزير أبو علي فقلنا: ما رأينا مثله، ثم قدم علينا أبو سعد بن السمعاني فقلنا: ما رأينا مثله، حتى قدم علينا هذا فلم نر مثله، وقال لنا صاحبه الحافظ أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن صصري قال: الحافظ أبو العلاء الحسن بن أحمد المقري الأديب اللغوي إمام همذان وتلك الديار غير مدافعٍ، أنا أعلم إنه لايساجل الحافظ أبا القاسم في شانه أحد، فلو خالط الناس وما زجهم كما أصنع إذاً لاجتمع عليه المخالف والمؤالف، وقال لي يوماً آخر: أي شيءٍ فتح له؟ وكيف بر الناس له؟ فقلت: هو بعيد من هذا كله، لم يشتغل منذ أربعين سنةً إلا بالجمع والتصنيف والمطالعة والتسميع حتى في نزهه وخلواته. فقال: الحمد لله، هذا ثمرة العلم، إلا أنا قد فتح لنا مما حصلنا به الدار والكتب وبناء المسجد ما يقرب من اثني عشر ألف دينار، وهذا يدل على قلة حظوظ العلماء في بلادكم. ثم قال لي: ما كنا نسمي الشيخ أبا القاسم ببغداد الأ شعلة نار من توقده وذكائه وحسن إدراكه. قال: وقال لي والدي لم أر بدمشق أفهم للحديث من أبي محمد بن الأكفاني، ولا ببغداد مثل أبي الفضل محمد بن ناصر وأبي عامر العبدري، وكان العبدري أحفظهما، ولم أر بخراسان مثل أبي القاسم الشحامي، ولابأصفهان مثل أبي القاسم التيمى الحافظ، وأبي نصر البوياري قلت له: ما أخالك إلا أفضل منهما، فسكت، هذا آخر ما نقلت من هذا الجزء الذي ألفه ابنه وتركت منه ما اختصرته. وكان الحافظ أبو القاسم بن عساكر يقول شعراً ليس بالقوى، وسمعه تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي النحوي اللغوي فقال. هذا شعر أضاع فيه صاحبه شيطانه ، فقال السعماني في المذيل: وأنشدني الحافظ أبو القاسم بالمزة من أرض دمشق:

أيا نفس ويحك جاء المشيب ... فماذا التصابي وماذا الغزل

تولى شبابي كان لم يكن ... وجاء مشيبي كان لم يزل

فيا ليت شعري فيمن أكون ... وماقدرالله لي في الأزل

قال السمعاني وأنشدني لنفسه ببغداد:

وصاحب خان ما استودعته وأتى ... مالا يليق بأرباب الديانات

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

وأظهر السر مختارا بلا سبب ... وذاك والله من أوفى الجنايات
أما أتاه عن المختار في خبر ... إن المجالس تغشى بالأمانات
قال السمعاني وأنشدني لنفسه بنيسابور:
لا قدس الله نيسابور من بلد ... ما فيه من صاحب يسلى ولا سكن
لولا الجحيم الذي في القلب من حرق ... لفرقه الأهل والأحباب والوطن
لمت من شدة البرد الذي ظهرت ... آثار شدته في ظاهر البدن
يا قوم دوموا على عهد الهوى وثقوا ... إني على العهد لم أغدر ولم أخن
ولا تدبرت عيشي بعد بعدكم ... إلا تمثلت بيتاً قيل من زمن
فإن أعش فلعل الله يجمعنا ... وإن أمت فقتيل الهم والحزن

علي بن الحسن بن إسماعيل

ابن أحمد بن جعفر بن محمد بن صالح بن حسان ابن حصن بن معلى بن أسد بن عمرو بن مالك بن عامر بن معاوية بن عبد الله بن مالك بن عامر بن الحارث بن إنمار بن وديعة بن الكيدي بن أقصى بن عبد القيس ابن أقصى بن دعمى بن جديلة بن لبد بن ربيعة بن نزار ابن معد بن عدنان، أبو الحسن العبدري من أهل البصرة يعرف بابن المقلة، هكذا أملى نسبه على جماعةٍ، وهو شيخ فاضل له معرفة بالأدب والعروض، وله كتب وتصانيف في ذلك، ويقول الشعر ويترسل. مات بالبصرة في رابع عشر شعبان سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائةٍ، ومولده سنة أربعٍ وعشرين وخمسمائةٍ، سمع بالبصرة أبا محمد جابر بن محمد الأنصاري، وأبا العز طلحة بن علي بن عمر المالكي، وأبا الحسن على بن عبد الله بن عبد الملك الواعظ، وأبا اسحاق إبراهيم بن عطية الشافعي إمام الجامع بالبصرة وغيره، وقرأ بها الأدب على أبي على الأحمر، وأبي العباس بن الحريري، وأبي العز بن أبي الدنيا، وقدم بغداد مراراً وسمع بها من أبي الكرم المبارك بن الحسن الشهرزوري، وأبي الفضل محمد بن ناصر السلامي، وأبي بكر الزاغوني وغيرهم، وعاد إلى بلده وخرج لنفسه فوائد في عدة أجزاءٍ عن شيخه، وأقرأ الناس الأدب، وكان متحققاً بعلم العروض ونعم الشيخ، وكان محمود الطريقة.
قال أبو عبد الله: أنشدني أبو الحسن على بن الحسن العبدري لنفسه:
شيمتي إن أغض طرفي في ال ... دار إذا ماد خلتها لصديق
وأصون الحديث أودعه صو ... ني سري ولا أخون رفيقي
قال: وأنشدني أيضا لنفسه:
لا تسلك الطرق إذا أخطرت ... لو إنها تفضي إلى المملكة
قد أنزل الله تعالى: ولا ... تلقوا بأيديكم إلى التهلكة

علي بن الحسين المسعودي المؤرخ

أبو الحسن، من ولد عبد الله بن مسعود صاحب النبي صلى الله عليه وسلم، ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو من أهل المغرب، مات فيما بلغني في سنة ست وأربعين وثلاثمائة بمصر، قال مؤلف الكتاب: وقول محمد بن إسحاق: إنه من أهل المغرب غلط، لأن المسعودي ذكر في السفر الثاني من كتابه المعروف بمروج الذهب وقد عدد فضائل الأقاليم، ووصف هواها واعتدالها ثم قال: وأوسط الأقاليم إقليم بابل الذي مولدنا به، وإن كانت ريب الأيام أنات بيننا وبينه، وساحقت مسافتنا عنه، وولدت في قلوبنا الحنين إليه إذ كان وطننا ومسقطنا، وقد كان هذا الإقليم عند ملوك الفرس جليلاً، وكانوا يشتون بالعراق، ويصيفون بالجبال. فقال أبو دلف العجلي:

إني أمرؤ كسروي الفعال ... أصيف الجبال وأشتو العراق

وقد كانت الأوائل تشبهه بالقلب في الجسد، لأن أرضه هي التي كشفت الآراء عن أهله بحكمة الأمور كما يرتفع ذلك عن القلب، ولذلك اعتدلت ألوان أهله وامتدت أجسامهم، فسلموا من شقرة الروم والصقالبة وسواد الحبشة وغلظ البربر، واجتمعت فيهم محاسن جميع الأقطار، وكما اعتدلوا في الخلقة لطفوا في الفطنة، وأشرف هذه الأقاليم مدينة السلام ويعز على ما أصارتني إليه الأقدار من فراق هذا المصر الذي عن بقعته فصلنا، لكنه الدهر الذي من شيمته التشتيت، والزمن الذي من شريطته الآفات، ولقد أحسن أبو دلف في قوله:

أيا نكبة الدهر التي طوحت بنا ... أيادي سبا في شرقها والمغارب

ومن علامة وفاء المرء: دوام عهده وحنينه إلى إخوانه، وشوقه إلى أوطانه، ومن علامة الرشد: أن تكون النفس إلى مولدها تائقة، وإلى مسقط رأسها شائقة.

فهذا يدلك على إن الرجل بغدادي الأصل، وإنما أنتقل إلى ديار مصر فأقام فيها. وهو يحكي في كتبه كثيراً ويقول: رأيت أيام كوني بمصر كيت وكيت، وله من الكتب: كتاب مروج الذهب ومعادن الجواهر في تحف الأشراف والملوك، كتاب ذخائر العلوم وما كان في سالف الدهور، كتاب الرسائل، كتاب الاستذكار لما مر في سالف الإعصار، كتاب التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم، كتاب التنبيه والأشراف، كتاب خزائن الملك وسر العالمين، كتاب المقالات في أصول الديانات، كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان، كتاب البيان في أسماء الأئمة، كتاب أخبار الخوارج.

علي بن الحسين بن محمد بن الهيثم

ابن عبد الرحمن بن مر وان بن عبد الله بن مر وان بن محمد بن الحكم بن أبي العاصي بن أمية بن عبد شمس ابن عبد مناف أبو الفرج الأصبهاني العلامة النساب الأخباري الحفظة، الجامع بين سعة الرواية والحذق في الدراسة، لا أعلم لأحد أحسن من تصانيفه في فنها وحسن استيعاب ما يتصدى لجمعه، وكان مع ذلك

شاعراً جيداً، مات في رابع ذي الحجة سنة ست وخمسين وثلاثمائةٍ في خلافة المطيع لله، ومولده سنة أربعٍ وثمانين ومائتين.

روى عن أبي بكر بن در يد وأبي بكر بن الأنباري. والفضل بن الحباب الجمحي، وعلى بن سليمان الأخفش، وإبراهيم نفطوية.

وجدت على الهامش بخط المؤلف تجاه وفاته ما صورته: وفاته هذه فيها نظر وتفتقر إلى التأمل، لأنه ذكر في كتاب أدب الغرباء من تأليفه: حدثني صديق قال: قرأت على قصر معز الدولة بالشماسية يقول فلان بن فلان الهروي، حضرت هذا الموضع في سماط معز الدولة والدنيا عليه مقبلة، وهيبة الملك عليه مشتملة، ثم عدت إليه في سنة اثنتين وستين وثلاثمائة، فرأيت ما يعتبر به اللبيب يعني من الخراب. وذكر في موضعٍ آخر من كتابه هذا قصة له مع صبيٍ كان يحبه ذكرتها بعد هذا يذكر فيه موت معز الدولة وولاية ابنه بختيار، وكان ذلك في سنة ست وخمسين وثلاثمائة، ويزعم في تلك الحكاية إنه كان في عصر شبابه فلا أدري ما هذا الاختلاف؟ – آخر ما كان على الهامش – .

وقال الوزير أبو القاسم الحسن بن الحسن المغربي، في مقدمة ما أنتخبه من كتاب الأغاني إلى سيف الدولة ابن حمدان فأعطاه ألف دينار، وبلغ ذلك الصاحب أبا القاسم بن عباد فقال: لقد قصر سيف الدولة وإنه يستأهل أضعافها، ووصف الكتاب فأطنب ثم قال: ولقد اشتملت خزائني على مائتين وستة الألف مجلد ما منها ما هو سميري غيره، ولا راقني منها سواه.

قال: وقال أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف كاتب عضد الدولة: لم يكن كتاب الأغاني يفارق عضد الدولة في سفره ولا حضره، وإنه كان جليسه الذي يأنس إليه وخدينه الذي يرتاح نحوه.

قال: وقال أبو محمدٍ المهلبي. سألت أبا الفرج في كم جمعت هذا الكتاب؟ فقال: في خمسين سنةً، قال: وإنه كتبه مرةً واحدةً في عمره، وهي النسخة التي أهداها إلى سيف الدولة.

قال المؤلف: لعمري إن هذا الكتاب لجليل القدر، شائع الذكر، جم الفوائد، عظيم العلم، جامع بين الجد البحت والهزل النحت، وقد تأملت هذا الكتاب وعنيت به، وطالعته مراراً وكتبت به نسخةً بخطي في عشر مجلداتٍ، ونقلت منه إلى كتابي الموسوم بأخبار الشعراء فأكثرت وجمعت تراجمه فوجدته يعد بشيء ولا يفي به في غير موضع منه، كقوله في أخبار أبي العتاهية: وقد طالت أخباره هاهنا وسنذكر خبره مع عتبة في موضع آخر. ولم يفعل، وقال في موضع آخر: أخبار أبي النواس مع جنان إذا كانت سائر أخباره قد تقدمت. ولم يتقدم شيء إلى أشباه لذلك، والأصوات المائة هي تسع وتسعون، وما أظن إلا أن الكتاب قد سقط منه شيء، أو يكون النسيان قد غلب عليه والله أعلم.

قال المؤلف: وتصانيفه كثيرة وهذا الذي يحضرني منها: كتاب الأغاني الكبير، كتاب مجرد الأغاني، كتاب التعديل والانتصاف في أخبار القبائل وإنسابها لم أره، وبودي لو رأيته ذكره هو في كتاب الأغاني، كتاب مقاتل الطالبيين، كتاب أخبار القيان، كتاب الإماء الشواعر، كتاب المماليك الشعراء، كتاب أدباء الغرباء، كتاب الديانات، كتاب تفضيل ذي الحجة، كتاب الأخبار والنوادر، كتاب أدب السماع، كتاب أخبار

الطفيليين، كتاب مجموع الأخبار والآثار، كتاب الخمارين والخمارات، كتاب الفرق والمعيار في الأوغاد والأحرار، وهي رسالة عملها في هارون بن المنجم، كتاب دعوة النجار، كتاب أخبار جحظة البرمكي، كتاب جمهرة النسب، كتاب نسب بني عبد شمس، كتاب نسب بني شيبان، كتاب نسب المهالبة، كتاب نسب بني تغلب، كتاب الغلمان المغنين، كتاب مناجيب الخصيان عمله للوزير المهلبي في خصيين مغنيين كانا له. وله بعد تصانيف جياد فيما بلغني كان يصنفها ويرسلها إلى المستولين على بلاد المغرب من بني أمية، وكانوا يحسنون جائزته، ولم يعد منها إلى الشرق إلا القليل والله أعلم.

حدث الرئيس أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ في الكتاب الذي ألفه في أخبار الوزير المهلبي واسمه الحسن بن محمد بن هارون ابن إبراهيم بن عبد الله بن زيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة وزير معز الدولة بن بويه الديلمي قال: وكان أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني من ندماء الوزير أبي محمد الخصيصين به، وكان وسخاً قذراً لم يغسل له ثوباً منذ فصله إلى أن قطعه، وكان المهلبي شديد التقشف عظيم التنطس، وكان يحتمل له ذلك لموضعه من العلم. فقال فيه: كان أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني، أموي النسب عزيز الأدب، عالي الرواية حسن الدراية، وله تصنيفات منها: كتاب الأغاني، وقد أورد فيه ما دل به على اتساع علمه وكثرة حفظه، وله شعر جيد الأ إنه في الهجاء أجود، وإن كان في غيره غير متأخر، وكان الناس في ذلك العهد يحذرون لسانه، ويتقون هجاءه ويصبرون في مجالسته ومعاشرته ومواكلته ومشاربته على كل صعب من أمره، لأنه كان وسخاً في نفسه، ثم في ثوبه ونعله، حتى إنه لم يكن ينزع دراعة الأ بعد إبلائها وتقطيعها، ولا يعرف لشيء من ثيابه غسلاً، ولا يطلب منه في مدة بقائه عوضاً.

فحدثني جدي وسمعت هذا الخبر من غيره لأنه متفاوض متعاود: إن أبا الفرج كان جالساً في بعض لأيام على مائدة أبي محمدٍ المهلبي فقدمت سكباجه وافقت من أبي الفرج سعلةً فبدرت من فمه قطعة من بلغم فسقطت وسط الغضارة، فتقدم أبو محمد برفعها وقال: هاتوا من هذا اللون في غير الصحفة، ولم يبن في وجهه إنكار ولا استكراه، ولا داخل أبا الفرج في هذا الحال استحياء ولا إنقباض. هذا إلى ما يجري هذا المجرى على مضى الأيام، وكان أبو محمد عزوف النفس بعيداً من الصبر على مثل هذه الأسباب، إلا إنه كان يتكلف احتمالها لورودها من أبي الفرج، وكان من ظرفه في فعله ونظافته في مأكله، إنه كان إذا أراد أكل شيء بملعقة كالأرز واللبن وأمثاله وقف من جانبه الأيمن غلام معه نحو ثلاثين ملعقةً زجاجاً مجروداً، وكان يستعمله كثيراً فيأخذ منه ملعقةً يأكل بها من ذلك اللون لقمةً واحدةً، ثم يدفعها إلى غلامٍ آخر قام من الجانب الأيسر، ثم يأخذ أخرى فيفعل بها فعل الأولى حتى ينال الكفاية، لئلا يعيد الملعقة إلى فيه دفعةً ثانيةً، فلما كثر على المهلبي استمرار ما قدمنا ذكره، جعل له مائدتين: إحداهما كبيرة عامة، وأخرى لطيفة خاصة، وكان يواكله عليها من يدعوه إليها.

قال مؤلف الكتاب: وقد ذكر مثل هذا عن أبي رياش أحمد بن إبراهيم اللغوي وقد ذكرناه في بابه. قال هلال: وعلى صنع أبي محمد بأبي الفرج وما كان يصنعه فما خلا من هجوه حيث قال فيه:

أبعين مفتقر إليك رأيتني ... بعد الغنى فرميت بي من حالق
لست الملوم أنا الملوم لأنني ... أملت للإحسان غير الخالق

قال ابن الصابئ: وحدثني جدي أيضاً قال: قصدت أنا وأبو علي الأنباري وأبو العلاء صاعد دار أبي الفرج لقضاء حقه وتعرف خبره من شيءٍ وجده، وموقعها على دجلة في المكان المتوسط بين درب سليمان ودرب دجلة، وملاصقة لدار أبي الفتح البريدي، وصعد بعض غلماننا لإيذانه بحضورنا، فدق الباب دقاً عنيفاً حتى ضجر من الدق وضجرنا من الصبر، قال: وكان له سنور أبيض يسميه يققا، ومن رسمه إذا قرع الباب قارع إن يخرج ويصيح إلى إن يتبعه غلام أبي الفرج لفتح الباب أو هو نفسه، فلم نر السنور في ذلك اليوم، فأنكرنا الأمر وازددنا تشوقاً إلى معرفة الخبر، فلما كان بعد أمدٍ طويلٍ صاح صائح إن نعم، ثم خرج أبو الفرج ويده متلوثة بما ظنناه شيئاً كان يأكله فقلنا له: عققناك بان قطعناك عما كان أهم من قصدنا إياك. فقال: لا والله يا سادتي، ما كنت ما تظنون، وإنما لحق يققاً يعني سنورة قولنج. فاحتجت إلى حقنه فأنا مشغول بذلك، فلما سمعنا قوله ورأينا الفعل في يده ورد علينا أعظم مورد من أمره لتناهيه في القذارة إلا مالاغاية بعده وقلنا: ما يجوز إن نصعد إلى عندك فنعوقك عن استتمام هاأنت فيه، وإنما جئناك لتعرف خبرك، وقد بلغنا ما أردناه وانصرفنا.
قال: واختاره في كل شيء مريح، وكانت صحبته له قبل الوزارة وبعدها إلى إن فرق بينهما الموت. وكتب أبو الفرج إلى المهلبي يشكر الفأر ويصف الهر:
يا لحدب الظهور قعص الرقاب ... لدقاق الأنياب والأذناب
خلقت للفساد مذ خلق الخل ... ق وللعيث والأذى والخراب
ناقباتٍ في الأرض والسقف والحي ... طان نقباً أعيا على النقاب
آكلاتٍ كل المآكل لاتأ ... منها شارباتٍ كل الشراب
ألفاتٍ قرض الثياب وقد يع ... دلقرض القلوب قرض الثياب
زال همي منهن أزرق تركي ... ي السبالين إنمر الجلباب
ليث غابٍ خلقاً وخلقاً فمن لا ... ح لعينه خاله ليث غاب
ناصب طرفه إزاء الزوايا ... وإزاء السقوف والأبواب
ينتضي الظفر حين يطفر للصي ... د ولا فظفره في قراب
لا يرى أخبثيه عينا ولا يع ... لم ما جنتاه غير التراب
قرطقوه وشنفوه وحلو ... ه أخيراً وأولاً بالخضاب
فهو طوراً يمشي بحلي عروس ... وهو طوراً يخطو على عناب
حبذا ذاك صاحباً وهو في الصح ... بة أوفى من أكثر الأصحاب
وحدث القاضي أبو علي الحسن بن علي التنوخي في كتاب نشوار المحاضرة قال: ومن طريف أخبار العادات إني كنت أرى أبا الفرج على بن الحسن الأصفهاني الكاتب نديم أبي محمد المهلبي صاحب الكتب

المصنفة في الأغاني والقيان، وغير ذلك دائماً إذا ثقل الطعام في معدته، وكان أكولاً نهماً، يتناول خمسة دراهم فلفلاً مدقوقاً فلا تؤذيه ولاتدمعه، وأراه يأكل حمصةً واحدةً أو يصطبغ بمرقة قدرٍ فيها حمص فيسرهج بدنه كله من ذلك، وبعد ساعةٍ أو ساعتين يفصد، وربما فصد لذلك دفعتين، وأساله عن سبب ذلك فلا يكون عنده علم منه، وقال لي غير مرةٍ: إنه لم يدع طبيباً حاذقاً على مرور السنين الأ سأله عن سببه، فلا يجد عنده علماً ولا دواءً، فلما كان قبل فالجه بسنواتٍ ذهبت عنه العادة في الحمص فصار يأكله فلا يضره وبقيت عليه عادة الفلفل. ومن كتاب الوزراء لهلال بن المحسن: وحدث أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني قال: سكر الوزير أبو محمد المهلبي ليلةً ولم يبق بحضرته من ندمائه غيري فقال لي: يا أبا الفرج، أنا أعلم إنك تهجوني سرا فاهجني الساعة جهراً. فقلت: الله الله أيها الوزير في، إن كنت قد مللتني انقطعت، وإن كنت تؤثر قتلي فبالسيف إذا شئت. فقال: دع ذا لابد إن تهجوني وكنت قد سكرت فقلت:

أير بغل بلولب

فقال في الحال مجيزا:

في حر أم المهلبي

هات مصراعا آخر: فقلت: الطلاق لازم للأصفهاني إن زاد على هذا وإن كان عنده زيادة، قرأت بخط أبي على المحسن بن هلال الصابئ صاحب الشامة لأبي الفرج الأصفهاني يهجو أبا الحسن طازاد النصراني الكاتب:

طازاد مشتق من الطيز ... فعد عن ذكر فتى الحوز

كان رجليه إذا مامشى ... مخنث يلعب بالشيز

قرأت بخط هلال بن المظفر الكاتب الزنجاني: حدثني الأستاذ أبو المظفر عبد الغفار بن غنيمة قال: كان أبو الفرج الكاتب الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني كاتباً لركن الدولة حظياً عنده محتشماً لديه، وكان يتوقع من الرئيس أبي الفضل بن العميد إن يكرمه ويبجله ويتوفر عليه في دخوله وخروجه، وعدم ذلك منه فقل:

مالك موفور فما باله ... أكسبك التيه على المعدم؟

ولم إذا جئت نهضنا وإن ... جئنا تطاولت ولم تتمم

وإن خرجنا لم تقل مثل ما ... نقول قدم طرفه قدم

إن كنت ذا علم فمن ذا الذي ... مثل الذي تعلم لم يعلم؟

ولست في الغارب من دولة ... ونحن من دونك في المنسم

وقد ولينا وعزلنا كما ... أنت فلم نصغر ولم تعظم

تكافأت أحوالنا كلها ... فصل على الأنصاف أو فاصرم

وقد روى أبو حيان في كتاب الوزيرين من تصنيفه من خبر هذه الأبيات غير هذا، وقد ذكرناها في أخبار ابن العميد من هذا الكتاب: قرأت في بعض المجاميع لأبي الفرج الأصبهاني:

حضرتكم دهراً وفي الكم تحفة ... فما أذن البواب لي في لقائكم

إذا كان هذا حالكم يوم أخذكم ... فما حالكم تالله يوم عطائكم؟

قال ابن عبد الرحيم: حدثني أبو نصر الزجاج قال: كنت جالساً مع أبي الفرج الأصبهاني في دكان في سوق الوراقين، وكان أبو الحسن على بن يوسف بن البقال الشاعر جالساً عند أبي الفتح بن الحراز الوراق وهو ينشد أبيات إبراهيم بن العباس الصولي التي يقول فيها:

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها ... فكانت قذى عينيه حتى تجلت

فلما بلغ إليه استحسنه وكرره ورآه أبو الفرج فقال لي: قم إليه فقل له: قد أسرفت في استحسان هذا البيت، وهو كذاك فأين موضع الصنعة فيه، فقلت له ذاك فقال قوله: وكانت قذى عينيه، فعدت إليه وعرفته. فقال: عد إليه فقل له: أخطأت، الصنعة في قوله: من حيث يخفى مكانها. قال عبيد الله الفقير إليه مؤلف هذا الكتاب: وقد أصاب كل واحد منهما حافة من الغرض فإن الموضعين معاً غاية في الحسن وإن كان ما ذهب إليه أبو الفرج أحسن.

قال أبو الفرج في كتاب الغرباء: وخرجت أنا وأبو الفتح أحمد بن إبراهيم بن علي بن عيسى – رحمه الله – ماضيين إلى دير الثعالب في يوم ذكر إنه من سنة خمس وخمسين وثلاثمائة للنزهة ومشاهدة اجتماع النصارى هناك والشرب على نهر يزدجرد الذي يجري على باب هذا الدير ومعه جماعة من أولاد كتاب النصارى من أحداثهم، وإذا بفتاة كأنها الدينار المنقوش تتمايل وتثنى كغصن الريحان في نسيم الشمال، فضربت بيدها إلى يد أبي الفتح وقالت يا سيدي: تعال أقرأ هذا الشعر المكتوب على حائط هذا الشاهد، فمضينا معها وبنا من السرور بها وبظرفها وملاحة منطقها ما الله به عليم، فلما دخلنا البيت كشفت عن ذراع كأنه الفضة، وأومأت إلى الموضع فإذا فيه مكتوب:

خرجت يوم عيدها ... في ثياب الرواهب

فتنت باختيالها ... كل جاء وذاهب

لشقائي رأيتها ... يوم دير الثعالب

تتهادى بنسوة ... كاعب في كواعب

هي فيهم كأنها ال ... بدر بين الكواكب

فقلت لها: أنت والله المقصودة بهذه الأبيات، ولم نشك أنها كتبت الأبيات ولم نفارقها بقية يومنا وقلت لها هذه الأبيات وأنشدتها إياها ففرحت:

مرت بنا في الدير خمصانة ... ساحرة الناظر فتانة

أبرزها الذكران من خدرها ... تعظم الدير ورهبانه

مرت بنا تخطر في مشيها ... : إنما قامتها بانه

هبت لنا ريح فمالت بها ... كما تثنى غصن ريحانه

فتيمت قلبي وهاجت له ... أحزانه قدماً وأشجانه

وحصلت بينها وبين أبي الفتح عشرة بعد ذلك، ثم خرج إلى الشام وتوفى بها ولا أعرف لها خبرا بعد ذلك.
قال أبو الفرج: وكنت انحدرت إلى البصرة منذ سنياتٍ فلما وردتها أصعدت من الفيض إلى سكة قريش أطلب منزلا أسكنه، لأني كنت غريبا لا أعرف أحداً من أهلها الأ من كنت أسمع بذكره، فدلني رجل على خان فصرت إليه واستأجرت فيه بيتاً وأقمت بالبصرة أياماً، ثم خرجت عنها طالباً حصن مهديٍ وكتبت هذه الأبيات على حائط البيت الذي أسكنه:

الحمد لله على ما أرى ... من صنعتي من بين هذا الورى
أصارني الدهر إلى حالةٍ ... يعدم فيها الضيف عندي القرى
بدلت من بعد الغنى حاجةً ... إلى كلابٍ يلبسون الفرا
أصبح أدم السوق لي مأكلاً ... وصار خبز البيت خبز الشرا
وبعد ملكي منزلاً مبهجاً ... سكنت بيتاً من بيوت الكرى
فكيف ألفى لاهياً ضاحكاً ... وكيف أحظى بلذيذ الكرى؟
سبحان من يعلم ما خلفنا ... وبين أيدينا وتحت الثرى
والحمد لله على ما أرى ... وانقطع الخطب وزال المرا

قال أبو الفرج: وكنت في أيام الشبيبة والصبا آلف فتىً من أولاد الجند في السنة التي توفى فيها معز الدولة وولى بختيار، وكانت لأبيه حال كبيرة ومنزلة من الدولة ورتبة، وكان الفتى في نهاية حسن الوجه وسلامة الخلق وكرم الطبع، ممن يحب الأدب ويميل إلى أهله، ولم يترك قريحته حتى عرف صدراً من العلم، وجمع خزانة من الكتب حسنةً، فمضت لي معه سير لو حفظت لكانت في كتاب مفرد، من مكاتباتٍ ومعاتباتٍ وغير ذلك مما يطول شرحه. منها ما يشبه ما نحن فيه: إنني جئته يوم جمعةٍ غدوةً فوجدته قد ركب إلى الحلبة، وكانت عادته إن يركب إليها في كل يوم ثلاثاء ويوم جمعة، فجلست على دكةٍ على باب أبيه في موضعٍ فسيحٍ كان عمرها وفرشها، فكنا نجلس عليها للمحادثة إلى ارتفاع النهار، ثم يدخل إذا أقمت عنده إلى حجرة لطيفة كانت مفردة له، لنجتمع على الشرب والشطرنج وما أشبههما، فطال جلوسي في ذلك اليوم منتظراً له، فأبطأ وتصبح من أجل رهان كان بين فرسين لبختيار، فعرض لي لقاء صديقٍ لي فقمت لأمضى ثم أعود إليه، فهجس لي إن كتبت على الحائط الذي كنا نستند إليه هذه الأبيات:

يا من أظل بباب داره ... ويطول حبسي لانتظاره
وحياة طرفك واحوراره ... وجمال صدغك في مداره
لاحلت عمري عن هوا ... ك ولو صليت بحر ناره

وقمت فلما عاد قرأ الأبيات وغضب من فعلي، لئلا يقف عليه من يحتشمه، وكان شديد الكتمان لما بيني وبينه، ومطالباً بمثل ذلك مراقبةً لأبيه، الأ إن ظرفه ووكيد محبته لي، وميله إلي لم يدعه حتى أجاب عنها لما كتب تحتها، ورجعت من ساعتي فوجدته في دار أبيه، فاستأذنت عليه، فخرج إلى خادم لهم فقال: يقول لك لا التقينا حتى تقف على الجواب عن الأبيات فإنه تحتها، فصعدت الدكة فإذا تحت الأبيات بخطه: ما هذه الشناعة؟ ومن فسح لك في هذه الإذاعة؟ وما أوجب خروجك عن الطاعة؟ ولكن أنا جنيت على نفسي

وعليك، ملكتك فطغيت. وأطعتك فتعديت. وما أحتشم إن أقول هذا تعرض للإعراض عنك والسلام. فعلمت إنني قد أخطأت وسقطت شهد الله قوتي وحركتي، فأخذتني الندامة والحيرة، ثم أذن لي فدخلت فقبلت يده فمنعني وقلت: يا سيدي غلطة غلطتها وهفوة هفوتها، فإن لم تتجاوز عنها وتعف هلكت، فقال لي: أنت في أوسع العذر بعد إن لا يكون لها أخت، وعاتبني على ذلك عتابا عرفت صحته، ولم تمض الأ مديدة حتى قبض على أبيه وهرب فاحتاج إلى الاستتار، فلم يأنس هو وأهله إلا بكونه عندي، فأنا على غفلة إذ دخل في خفة وازار وكادت مرارتي تنفطر فرحا، فلقيه أقبل رجليه وهو يضحك ويقول: يأتيها رزقها وهي نائمة، هذا يا حبيبي بخت من لا يصوم ولا يصلي في الحقيقة، وكان أخف المناس روحا، وأقلعهم لبادرة، وبتنا في تلك الليلة عروسين لانعقل سكرا واصطحبنا وقلت هذه الأبيات:

بت وبات الحبيب ندماني ... من بعد نأي وطول هجران

نشرب قفصية معتقة ... بحانة الشط منذ أزمان

وكلما دارت الكئوس لنا ... ألثمني فاه ثم غناني

الحمد لله لا شريك له ... أطاعني الدهر بعد عصيان

ولم يزل مقيما عندي نحو الشهر حتى استقام أمر أبيه، ثم عاد إلى داره.

وحدث الحسن بن الحسين النعال قال: قال أبو الفرج الأصبهاني: بلغ أبا الحسن جحظة إن مدرك بن محمدٍ الشيباني الشاعر ذكره بسوءٍ في مجلسٍ كنت حاضره وكتب إلى:

أبا فرجٍ أهجي لديك ويعتدى ... علي فلا تحمي لذاك وتغضب

لعمرك ماإنصفتني في مودتي ... فكن معتباً إن الأكارم تعتب

قال أبو الفرج: فكتبت إليه:

عجبت لما بلغت عني باطلا ... وظنك بي فيه لعمرك أعجب

ثكلت إذا نفسي وعزي وأسرتي ... بفقدي ولا أدركت ما كنت أطلب

فكيف بمن لاحظ لي في لقائه ... وسيان عندي وصله والتجنب

فثق بأخ أصفاك محض مودة ... تشاكل منها ما بدا والتغيب

قال غرس النعمة: حدثني أبي قال: حدثني جدي قال: كان أبو القاسم الجهني القاضي – وأظنه من أهل البصرة وتقلد الحسبة بها ومنها عرف أبا محمد المهلبي وصحبه – يشتمل على آداب يتميز بها الأ إنه كان فاحش الكذب، يورد من الحكايات مالا يتعلق بقبولٍ ولا يدخل في معقولٍ، وكان أبو محمدٍ قد ألف ذلك منه وقد سلك مسلك الاحتمال، وكنا لا نخلو عن حديثه من التعجب والاستطراف والاستبعاد، وكان ذلك لايزيده إلا إغراقاً في قوله وتمادياً في فعله، فلما كان في بعض الأيام جرى حديث النعنع وإلى أي حد يطول، فقال الجهني: في البلد الفلاني يتشجر حتى يعمل من خشبه السلاليم، فاغتاظ أبو الفرج الأصبهاني من ذاك وقال: نعم عجائب الدنيا كثيرة، ولا يدفع مثل هذا وليس بمستبدع، وعندي ما هو أعجب من هذا وأغرب، وهو زوج حمام راعبي يبيض في نيف وعشرين يوما بيضتين فانتزعتهما من تحته وأضع مكانهما

صنجةً مائةً وصنجةً خمسين، فإذا انتهى مدة الحضان تفقست الصنجتان عن طست وإبريق، أو سطل وكرنيب. فعمنا الضحك وفطن الجهني لما قصده أبو الفرج من الطنز، وانقبض عن كثير مما كان يحكيه ويتسمح فيه، وإن لم يخل من الأيام من الشيء بعد الشيء منه. ومن عجيب مامر بي من الكذب حكاية أوردها غرس النعمة عقيب هذه قال: كان لوالدي تاجر يعرف بأبي طالبٍ، وكان معروفاً بالكذب، فأذكر وقد حكى في مجلسه والناس حضور عنده: إنه كان في معسكر محمود بن سبكتكين صاحب خراسان ببخارى معه وقد جاء من البرد أمر عظيم جمد منه المرى حتى قد وفرى وعملت منه خفاف، وإن الناس كانوا ينزلون في المعسكر فلا يسمع لهم صوت ولاحديث ولاحركة حتى ضرب الطبل في أوقات الصلوات، فإذا أصبح الناس وطلعت الشمس وحميت ذاب الكلام فسمعت الأصوات الجامدة منذ أمس من أصوات الطبول والبوقات وحديث الناس، وصهيل الخيول، ونهيق الحمير ورغاء الإبل. قرأت على ظهر جزءٍ من نسخة بكتاب الأغاني لأبي الفرج: حدث ابن عرسٍ الموصلي وكان المترسل بين عز الدولة وبين أبي تغلب بن ناصر الدولة، وكان يخلف أبا تغلب بالحضرة قال: كتب إلى أبو تغلب يأمرني بابتياع كتاب الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني فابتعته له بعشرة آلاف درهمٍ من صرف ثمانية عشر درهماً بدينارٍ، فلما حملته إليه ووقف عليه ورأى عظمة وجلالة ما حوى قال: لقد ظلم وراقه المسكين، وإنه ليساوي عندي عشرة آلاف دينارٍ، ولو فقد لما قدرت عليه الملوك الأ بالرغائب، وأمر أن يكتب له نسخةً أخرى ويخلد عليها اسمه فابتدأ بذلك، فما أدري أتمت النسخة أم لا؟ قال أبو جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد: اتصل بي أن مسودة كتاب الأغاني وهي أصل أبي الفرج أخرجت إلى سوق الوراقين لتبتاع، فأنفذت إلى ابن قرابة وسألته إنفاذ صاحبها لأبتاعها منه لي، فجاءني وعرفني إنها بيعت في النداء بأربعة آلاف درهمٍ، وإن أكثرها في طروسٍ وبخط التعليق وأنها اشتريت لأبي أحمد بن محمد بن حفصٍ فراسلت أبا أحمد فأنكر أنه يعرف شيئاً من هذا فبحثت كل البحث فما قدرت عليها.

كان الراضي بالله في سنة سبعٍ وعشرين وثلاثمائةٍ قد ولى أبا عبد الله البريدي، وكان قد خرج عليه بنواحي البصرة الوزارة، فتحدث الناس أن الراضي إنما قصد بتقليد أبي عبد الله الوزارة طمعاً في إيقاع الحيلة عليه في تحصيله، فقال أبو الفرج على بن الحسين الأصبهاني في ذلك قصيدةً طويلةً تزيد على مائة بيتٍ يهجو فيها أبا عبد الله، ويؤنب الراضي في توليته وطمعه فيه أولها:

يا سماء اسقطي ويا أرض ميدي ... قد تولى الوزارة ابن البريدي
جل خطب وحل أمر عضال ... وبلاء أشاب رأس الوليد
هد ركن الإسلام وأنتهك المل ... ك ومحيث آثاره فهو مودي
أخلقت بهجة الزمان كما أن ... هج طول اللبس وشتى البرود

يقول فيها:

وتوهمت أن سيخدعه ذا ... ك فيغتاله اصطياد الصيود
هو أزنى مما تقدر أما ... ليس مما يصاد بالتقليد

فانتهت هذه القصيدة إلى أبي عبد الله البريدي، فلما بلغ البيت الأخير ضحك وضرب بيديه ورجليه وقال: لو عرف أبو الفرج ما في نفسي وأزال الوحشة وصار إلى، لبالغت في صلته والآفضال عليه من أجل هذا البيت.

قال الحميدي: وقد ذكر صاحب كتاب النشوار أبو عليٍ المحسن بن عليٍ القاضي: أنه حضر مجلس أبي الفرج الأصبهاني صاحب كتاب الأغاني، فتذاكروا موت الفجاءة، فقال أبو الفرج: أخبرني شيوخنا أن جميع أحوال العالم قد اعترت من مات فجاءةً، الأ أنني لم أسمع من مات على منبرٍ.

قال أبو عليٍ المحسن: وكان معنا في مجلس أبي الفرج شيخ أندلسي قدم من هناك لطلب العلم، ولزم أبا الفرج يقال له أبو زكريا يحيى بن مالك بن عائذٍ، وكنت أرى أبا الفرج يعظمه ويكرمه ويذكر ثقته، فأخبرنا أبو زكريا إنه شاهد في المسجد الجامع ببلدةٍ من الأندلس خطيب البلد وقد صعد يوم الجمعة ليخطب، فلما بلغ يسيراً من خطبته خر ميتاً فوق المنبر حتى أنزل به، وطلب في الحال من رقى المنبر فخطب وصلى الجمعة بنا، الأ أن أبا علي قلب نسبة زكريا فقال: يحيى بن عائذ بن مالك الأندلسي: والصواب ما قلنا.

قال الثعالبي: ومن قوله في المهلبي:

ولما انتجعنا عائذين بظله ... أعان وماعنى ومن وما منى
وردنا عليه مقترين فراشنا ... وردنا نداه مجدبين فأخصبنا

وقوله من قصيدة يهنئه بمولود من سريةٍ روميةٍ:

أسعد بمولودٍ أتاك مباركاً ... كالبدر أشرق جنح ليلٍ مقمر
سعد لوقت سعادةٍ جاءت به ... أم حصان من نبات الأصفر
متبجح في ذروتي شرف العلا ... بين المهلب منتماه وقيصر
شمس الضحى قرنت إلى بدر الدجى ... حتى إذا اجتمعا أتت بالمشتري

وأنشد له في عيديةٍ:

إذا ما علا في الصدر والنهى والأمر ... وبتهما في النفع منه وفي الضر
وأجرى ظبا أقلامه وتدفقت ... بديهته كالمستمد من البحر
رأيت نظام الدر في نظم قوله ... ومنشوره الرقراق في ذلك النثر
ويقتضب المعنى الكثير بلفظةٍ ... ويأتي بما تحوي الطوامير في سطر
أيا غرة الدهر ائتنف غرة الشهر ... وقابل هلال الفطر في ليلة الفطر
بأيمن إقبالٍ وأسعد طائرٍ ... وأفضل ما ترجوه من أفسح العمر
مضى عنك شهر الصوم يشهد صادقاً ... بطهرك فيه واجتنابك للوزر
فأكرم بما خط الحفيظان منهما ... وأثنى به المثنى وأطرى به المطري
وزكتك أوراق المصاحف وانتهى ... إلى الله منهما طول درسك والذكر
وقبضك كف البطش عن كل مجرمٍ ... وبطشكها بالعرف والخير والبر
وقد جاء شوال فشالت نعامة ال ... صيام النعيم من الضر

وضجت حييس الدن من طول حبسها ... ولامت على طول التجنب والهجر
وأبرزها من قعر أسود مظلمٍ ... كإشراق بدر مشرق اللون كالبدر
إذا ضمها والورد فوه وكفه ... فلا فرق بين اللون والطعم والنشر

وتحسبه إذ سلسل الكأس ناظماً ... على الكوكب الدري سمطاً من الدر
وله فيه يهنئه بإبلاله من مرض:
أبا محمدٍ المحمود ياحسن ال ... إحسان والجود يا بحر الندى الطامي
حاشاك من عود عواد إليك ومن ... دواء داءٍ ومن إلمام الأم
وله:
يا فرجة الهم بعد اليأس من فرجٍ ... يافرحة الأمن بعد الروع من وهل
أسلم ودم وابق واملك وانم واسم وزد ... وأعط وامنع وضر وأنفع وصل وصل
وله في القاضي الأيذجي وكان التمس منه عكازةً فيم يعطه إياها:
اسمع حديثي تسمع قصةً عجباً ... لاشيء أظرف منها تبهر القصصا
طلبت عكازةً للوحل تحملني ... ورمتها عند من يخبا العصا فعصا
وكنت أحسبه يهوي عصا عصبٍ ... ولم أكن خلته صباً بكل عصا
وله في قصيدة يستميح المهلبي:
رهنت ثيابي وحال القضا ... ء دون القضاء وصد القدر
وهذا الشتاء كما قد ترى ... عسوف على قبيح الأثر
يغادي بصرٍ من العاصفا ... ت أو دمقٍ مثل وخز الإبر
وسكان دارك ممن أعو ... ل يلقين من برده كل شر
فهذي تحن وهذي تئن ... وأدمع هاتيك تجري درر
إذا ما تململن تحت الظلام ... يعللن منك بحسن النظر
ولاحظن ريعك كالمحلي ... ين شاموا البروق رجاء المطر
يؤملن عودى بما ينتظرن ... كما يرتجى آئب من سفر

علي بن الحسين بن هندو

أبو الفرج الكاتب الأديب المنشئ الشاعر من البراعة، ومستخدمي البراعة، وأعيان أهل البلاغة، له رسائل مدونه وفضائل متعينة مختاره، يفضله أهل بلده على كثير من أقرانه. قال أبو علي التنوخي: كان أحد كتاب الإنشاء في ديوان عضد الدولة قال: وشاهدت عدة كتب كتبها عنه بخطه. وقال أبو الفضل البندنيجي الشاعر: هو من أهل الرى قال: وشاهدته بجرجان في سني بضع عشرة وأربعمائةٍ كاتباً بها، وأنه مشهور في تلك البلاد بجودة الشعر وكثرة الأدب والفضل.

قال أبو جعفر أحمد بن محمد بن سهل الهروي: كان أبو الفرج ابن هندو صاحب أبوةٍ في بلده، ولسلفه نباهة بالنيابة وخدمة السلطان هناك، وكان متفلسفا قرأ كتب الأوائل على أبي الحسن الوائلي بنيسابور، ثم على أبي الخير أبن الخمار، وورد بغداد في أيام أبي غالب بن خلف الوزير فخر الملك ومدحه واتفق اجتماعي معه وأنسى به، وكان يلبس الدراعة على رسم الكتاب، وأنشدني لنفسه:

لايؤيسنك من مجدٍ تباعده ... فإن للجد تدريجاً وترتيبا

إن القناة التي شاهدت رفعتها ... تنمى وتنبت أنبوباً فأنبوبا

قال أبو الفضل البندنيجي: سمعته ينشد لنفسه:

يا سيف إن تدرك بحاشية اللوى ... ثاراً أكن لمديح طبعك ناظما

أجعل قرابك فضةً مسبوكةً ... وأصغ عليك من الزبرجد قائما

ما أرضعتك صياقلي ماء الردى ... إلا لترضعني الدماء سواجما

قال: وحضرت معه في مجلس أبي غانمٍ القصري الناظر، – كان في الدواوين بجرجان على البريد – فعمل بديهاً ما دفعه إلى المغنى فغنى به:

يا هاجراً لي بغير جرمٍ ... مستبدل الوصل بالصدود

أضنيت جسمي فلم تغادر ... مني دليلاً على الوجود

وله أيضا:

كل مالي فهو رهن ماله ... من فكاكٍ في مساءٍ وابتكار

ففؤادي أبداً رهن هوىً ... ورداني أبداً رهن عقار

فدع التفنيد يا صاح لنا ... إنما الربح لأصحاب الخسار

لو ترى ثوبي مصبوغاً بما ... قلت ذمى تبدى في غيار

ولقد أمرح في شرخ الصبا ... مرح المهرة في ثني العذار

وله أيضا:

ضعت بأهل الرى في أهلها ... ضياع حرف الراء في اللثغة

صرت بها بعد بلوغ المنى ... أحمد إن تبلغ بي البلغة

وله أيضا:

إذا ما عقدنا نعمةً عند جاحدٍ ... ولم نره إلا جموحاً عن الشكر

رجعنا فعفينا الجميل بضده ... كذاك يجازى صاحب الشر بالشر

هذا عكس قول ابن الرومي

أحسن إليه إذا أساء فأنتما ... من ذي الجلال بمسمعٍ وبمنظر

وله أيضاً:

وكافرٍ بالمعاد أمسى ... يخلبني، قوله الخلوب

قال اغتنم لذة الليالي ... وعد عن آجل يريب
ضل هذه وجاء يهدي ... طب لعينيك يا طبيب
أأخطأ العالمون طراً ... وأنت من بينهم مصيب؟
وله أيضاً:
كدأبك كل لا يرى غير نفسه ... فعش واحداً واضربهم بفراق
زمان تجافى أهله فكأنهم ... سياة قسيٍ مالهن تلاقي
وله أيضاً:
تعانقنا لتوديعٍ عشاءً ... وقد شرقت بمدمعها الحداق
وضيقنا العناق لفرط شوقٍ ... فما ندرى عناق أم خناق؟
وتحدث أبو الفضل البندنيجي الشاعر قال: كان بابن هند ضرب من السوداء، وكان قليل القدرة على شرب النبيذ لأجل ذلك، واتفق إنه كان يوماً عند أبي الفتح بن أبي عليٍ حمدٍ كاتب قابوس بن وشمكير وأنا معه على عادةٍ كانت لنا في الاجتماع، فدخل أبو عليٍ إلى الموضع ونظر إلى ما كان بأيدينا من الكتب وتناشد هو وابن هندوالشعر، وحضر الطعام فأكلنا انتقلنا إلى مجلس الشراب، ولم يطق ابن هندوالمساعدة على ذلك، فكتب في رقعةٍ كتبها إليه:
قد كفاني من المدام شميم ... صالحتني النهى وثاب الغريم
هي جهد العقول سمى راحاً ... مثل ما قيل للديغ سليم
إن تكن جنة النعيم ففيها ... من أذى السكر والخمار جحيم
فلما قرأها ضحك وأعفاه من الشرب. وأنشد أبو الفضل له:
قالوا اشتغل عنهم يوماً بغيرهم ... وخادع النفس إن النفس تنخدع
قد صيغ قلبي على مقدار حبهم ... فما لحب سواهم فيه متسع
وحدث أبو الفضل البندنجي قال: أنشدت يوماً أبا الفتح بن أبي عليٍ حمدٍ قول ابن المعتز:
سعى إلى الدن بالمبزال يبقره ... ساقٍ توشح بالمنديل حين وثب
لما وجاها بدت صهباء صافيةً ... كأنما قد سيراً من أديم ذهب
ومثله قول ابن سكرة:
ثم وجاها بشبا مبزلٍ ... فاستل منها وتراً مذهبا
فقال: قول ابن هندو أحسن:
وساقٍ تقلد لما أتى ... حمائل زقٍ ملاه شمولا
فلله درك من فارس ... تقلد سيفاً يقد العقولا
قال: فجاذبت ابن هندو من بعد وقد اجتمعت معه الأبيات وقلت له: إن قولك حمائل الزق فيه بشاعة، وما رأيت أحداً تقلد زقاً فقال: أهل العراق يصرفون الكلام ونحن نورده على أصله.
وحدث أبو الفضل البندنيجي قال: كان ابن هندو يشرب يوماً عند أبي غانمٍ القصري واقتصر على أقداحٍ

يسيرةٍ ثم أمسك، فسأله الزيادة فلم يفعل وقال:

أرى الخمر ناراً والنفوس جواهراً ... فإن شربت أبدت طباع الجواهر

فلا تفضحن النفس يوماً بشربها ... إذا لم تثق منها بحسن السرائر

وله أيضا:

تعرض لي الدنيا بلذة مطعمٍ ... وزخرف موشيٍ من اللبس رائق

أرادت سفاهاً إن تموه قبحها ... على فكرٍ خاضت بحار الدقائق

فلا تخدعينا بالسراب فإننا ... قتلنا نهانا في طلاب الحقائق

وحدث البندنيجي قال: كان الناس يظنون بمنوجهر أبن قابوس ما كان في أبيه من الأدب والفضل ولم يكن كذلك، فلما أنتقل الأمر إليه قصد بما يقصد به مثله، وكان لا يوصل إليه إلا القليل، ولا يتقبل ما يمدح به، ولا يهش من هذا الجنس لتباعده عنه، وكان مع هذه الحالة فروقةً قليل البطش، فمدحه ابن هندو بقصيدةٍ وتانق فيها، وأنشده إياها فلم يفهمها ولم يثبه عليها فقال:

يا ويح فضلي أما في الناس من رجل ... يحنو على أما في الأرض من ملك؟

لأكرمنك يا فضلي بتركهم ... وأستهين بالأيام والفلك

فقيل لمنوجهر: إنه قد هجاك، لأن لقبه كان فلك المعالي، فطلبه ليقتله فهرب إلى نيسابور وانفلت منه، وله:

حللت وقاري في شادنٍ ... عيون الأنام به تعقد

غدا وجهه كعبةً للجمال ... ولى قلبه الحجر الأسود

علي بن الحسين بن موسى

ابن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهم السلام، نقيب العلويين أبو القاسم الملقب بالمرتضى، علم الهدى، السيد المشهور بالعلم، المعروف بالفهم، ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائةٍ، ومات سنة ستٍ وثلاثين وأربعمائةٍ، وهو أكبر من أخيه الرضي وقال أبو جعفر الطوسي: توحد المرتضى في علوم كثيرة، مجمع على فضله، مقدم في العلوم مثل علم الكلام والفقه، وأصول الفقه، والأدب، والنحو، والشعر، ومعاني الشعر واللغة وغير ذلك، وله ديوان شعرٍ يزيد على عشرة آلاف بيتٍ، وله من التصانيف ومسائل البلدان شيء كثير يشتمل على ذلك فهرسته غير أني أذكر أعيان كتبه وكبارها منها: كتاب الشافي في الإمامة، كتاب المغني لعبد الجبار بن أحمد وهو كتاب لم يصنف مثله في الإمامة، كتاب الملخص في الأصول لم يتمه، كتاب الذخيرة في الأصول تام، وكتاب جمل العلم والعمل تام، وكتاب الغرر، وكتاب التنزيه، وكتاب المسائل الموصلية الأولى، وكتاب المسائل الموصلية الثانية، كتاب المسائل الموصلية الثالثة، وكتاب المقنع في الغيبة، وكتاب مسائل الخلاف في الفقه لم يتم، كتاب الانتصار فيما انفردت به الأمامية، كتاب مسائل مفرداتٍ أصول الفقه، كتاب المصباح في الفقه لم يتم، كتاب المسائل الطرابلسية الأولى، وكتاب المسائل الطرابلسية الأخيرة، وكتاب مسائل أهل مصر الأولى، وكتاب مسائلهم الأخيرة، وكتاب المسائل الحلبية الأولى، وكتاب المسائل الحلبية الأخيرة، كتاب المسائل الناصرية في الفقه، وكتاب

المسائل الجرجانية، وكتاب المسائل الطوسية لم يتم، وكتاب البرق، وكتاب طيف الخيال، وكتاب الشيب والشباب، كتاب تتبع أبيات المعاني للمتنبي التي تكلم عليها ابن جنٍي في الحكاية والمحكي، وكتاب النقض على ابن جنٍي في الحكاية والمحكي، وكتاب نص الرواية وإبطال القول بالعدد، وكتاب الذريعة في أصول الفقه، وكتاب تفسير قصيدة السيد، وله مسائل مفردات نحو مائة مسألة في فنون شتى، وكتاب المسائل الصيداوية. قال أبو جعفر الطوسي: قرأت أكثر هذه الكتب عليه وسمعت سائرها. ومن شعره المذكور في تتمة اليتيمة:

يا خليلي من ذؤابة بكرٍ ... في التصابي رياضة الأخلاق
غنياني بذكرهم تطرباني ... واسقياني دمعي بكأس دهاق
وخذا النوم عن جفوني فإني ... قد خلعت الكرى على العشاق

وله في ذم المشيب:

يقولون لا تجزع من الشيب ضلةً ... وأسهمه إياي دونهم تصمى
وما سرني حلم يفئ إلى الردى ... كفاني ما قبل المشيب من الحلم
إذا كان ما يعطيني الحزم سالباً ... حياتي فقل لي كيف ينفعني حزمي؟
وقد جربت نفسي الغداة وقاره ... فماشد وهني ولاسد من ثلمي
وإني مذ أضحى عذارى قراره ... أعاد بلا سقمٍ وأجفى بلا جرم

وله في مرثية:

كم تطيش سهام الموت مخطئةً ... عني وتصمى إخلائي وإخواني
ولو فطنت وقد أردى الزمان أخي ... علمت أن الذي أصماه أصماني
سود وبيض من الأيام لونهما ... لا يستحيل وقد بدلن ألواني
هيهات: حكم فينا أزلم جدع ... يفنى الورى بين جذعان وفرحان

ذكر غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن الصابئ في كتاب الهفوات قال: اجتاز المرتضى أبو القاسم يوم جمعةٍ على باب جامع المنصور بحيث يباع الغنم، فسمع المنادي يقول: نبيع هذا التيس العلوي بدينار، فظن أنه قصده بذلك، فعاد إلى داره وتألم إلى الوزير مما جرى عليه، فكشف فوجد أن التيس إذا كان في رقبته حلمتان متدليتان سمى علوياً تشبيهاً بضفيرتي العلوي المسبلتين على رقبته.

نقلت من خط الحافظ الإمام أبي نصرٍ عبد الرحيم ابن النفيس بن وهبان –وفقه الله – قال: نقلت من خط الإمام أبي بكرٍ محمد بن منصورٍ السمعاني – رحمه الله – قال: سمعت أبا الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي يقول: سمعت أبا القاسم بن برهان يقول: دخلت على الشريف المرتضى أبي القاسم العلوي في مرضه الذي توفى فيه، فإذا قد حول وجهه إلى الجدار فسمعته يقول: أبو بكرٍ وعمر وليا فعدلا، واسترحما فرحما، فأنا أقول: ارتدا بعد إن أسلما، قال: فقمت وخرجت فما بلغت عتبة الباب حتى سمعت الزعقة عليه، ومن شعره ما نقلته من خط تاج الإسلام في المذيل:

وزارت وسادي في المنام خريدة ... أراها الكرى عيني ولست أراها
تمانع صبحاً أن أراها بناظري ... وتبذل جنحاً إن أقبل فاها
ولما سرت لم تخش وهناً ضلالةً ... ولاعرف العذال كيف سراها
فماذا الذي من غير وعدٍ أتى بها ... ومن ذا على بعد المزار هداها؟
وقالوا عساها بعد زورة باطلٍ ... تزور بلا ريبٍ فقلت عساها
وأنشد له فيه.
وطرقتني وهناً بأجواز الفلا ... وطروقهن على الفلا تخييل
في ليلةٍ وافى بها متمنع ... ودنت بعيدات وجاد بخيل
يا ليت زائرنا بفاحمة الدجى ... لم يأت إلا والصباح رسول
فقليلة وضح الضحى مستكثر ... وكثيرة غبش الظلام قليل
ماعابه وبه السرور زوالهفجميع ما سر القلوب يزول
ومن خطبه: سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ بأصبهان يقول: ذكر شيخنا أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي الحافظ، ونقلت من خطبه. سمعت الكيا أبا الحسين يحيى بن الحسين العلوي الزيدي وكان من نبلاء أهل البيت ومن المحمودين في صناعة الحديث وغيره من الأصول والفروع يقول: وقد دخل عليه بعض الشعراء فمدحه بقصيدة، فلما خرج قال: يا أبا الفضل، الناس ينظرون إلى وإلى المرتضى ولا يفرقون بين الرجلين، المرتضى يدخل عليه من أملاكه كل سنة أربعة وعشرون ألف دينارٍ، وأنا آكل من طاحونةٍ لأختي ليس لي معيشة غيرها.
قال أبو الفضل المقدسي، وذكر بين يديه يوماً الإمامية فذكرهم بأقبح ذكرٍ وقال: لو كانوا من الدواب لكانوا الحمير، ولو كانوا من الطيور لكانوا الرخم وأطنب في ذمهم، وبعد مدة دخلت على المرتضى وجرى ذكر الزيدية والصالحية أيهما أفضل؟ فقال يا أبا الفضل: تقول أيهما خير ولا تقول أيهما شر، فتعجبت من إمامي الشيعة في وقتهما ومن قول كل واحدٍ منهما في مذهب الآخر فقلت: قد كفى أهل السنة الوقيعة فيكما. قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب: حدثني الشيخ الصالح أبو صالح قرطاس بن الطنطاش الظفري الصوفي التركي من لفظه قال: سمعت أبا الرملي يقول وكان مسناً: حضرت مجلس أبي القاسم المرتضى وأنا إذ ذاك صبي، فدخل عليه بعض أكابر الديلم فتزحزح له وأجلسه معه على سريره، وأقبل عليه مسائلاً فساره الديلمي بشيءٍ لم نعلم ما هو؟ فقال متضجراً نعم: وأخذ معه في كلامٍ كأنه يدافعه، فنهض الديلمي فقال المرتضى بعد نهوضه: هؤلاء يريدون منا أن نزيل الجبال بالريش، وأقبل على من في مجلسه فقال: أتدرون ما قال هذا الديلمي؟ فقالوا لاياسيدي، فقال: قال: بين لي هل صح إسلام أبي بكر وعمر؟ قلت أنا: –رضي الله عنهما – ، قرأت في بعض كتب الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل بخطه.
حدثني الفصيحي النحوي قال: اطلع المرتضى من روشنه فرأى المطرز الشاعر وقد انقطع شراك نعله وهو يصلحه فقال له: فديت ركائبك وأشار إلى قصيدته التي أولها:
سرى مغرما بالعيش ينتجع الركبا ... يسائل عن بدر الدجى الشرق والغربا

على عذبات الجزع من ماء تغلبٍ ... غزال يرى ماء القلوب له شربا

إلى قوله:

إذا لم تبلغني إليكم ركائبي ... فلا وردت ماءً ولارعت العشبا

فقال مسرعاً: أتراها ما تشبه مجلسك وخلعك؟ أشار بذلك إلى أبياته التي أولها:

يا خليلي من ذؤابة قيس

مذكورة في أول ترجمته قبل، وأنه لما خلع وهب النوم. وللمرتضى:

تجاف عن الأعداء بغياً فربما ... كفيت فلم تجرح بنابٍ ولاظفر

ولاتبر منهم كل عودٍ تخافه ... فإن الأعادي ينبتون مع الدهر

علي بن الحسين بن علي العبسي

يعرف بابن كوجك الوراق، كان أديباً فاضلاً يورق سمع بمصر من أبي مسلمٍ محمد بن أحمد كاتب أبي الفضل بن حنزابة الوزير. صنف كتباً منها: كتاب الطنبوريين كتاب أعز المطالب إلى أعلى المراتب في الزهد كتب به إلى الشابستي صاحب كتاب الديارات، ومات في أيام الحاكم فرأيته سنة أربع وتسعين وثلاثمائة، وكان بالشام والساحل، ومدح سيف الدولة لما فتح الحدث فقال:

رام هدم الإسلام بالحدث المؤ ... ذن بنيانها بهدم الضلال

نكلت عنك منه نفس ضعيفٍ ... سلبته القوى رؤس العوالي

فتوقى الحمام بالنفس والما ... ل وباع المقام بالارتحال

ترك الطير والوحوش سغاباً ... بين تلك السهول والأجبال

ولكم وقعةٍ قريت عفاة الطي ... ر فيها جماجم الأبطال

وكان أبوه الحسين بن عليٍ من أهل الأدب والشعر. قال الحافظ أبو القاسم الدمشقي: الحسين بن علي بن كوجك أبو القاسم الكوجكي حدث بطرابلس سنة تسع وخمسين وثلاثمائة عن أبي مسعود كاتب حسنون المصري، وعن أبيه على وأبي القاسم بن المنتاب العراقي. كتب عنه بعض أهل الأدب وأنشد له هذه الأبيات:

وما ذات بعلٍ مات عنها فجاءةً ... وقد وجدت حملاً دوين الترائب

بأرضٍ نأت عن والديها كليهما ... تعاورها الوراث من كل جانب

فلما استبان الحمل منها تنهنهوا ... قليلاً وقد دبوا دبيب العقارب

فجاءت بمولودٍ غلامٍ فحوزت ... تراث أبيه الميت دون الأقارب

فلما غدا للمال ربا ونافست ... لإعجابها فيه عيون الكواعب

وأصبح مأمولاً يخاف ويرتجى ... جميل المحيا ذا عذارٍ وشارب

أتيح له عبل الذراعين مخدر ... جرئ على أقرانه غير هائب

فلم يبق منه غير عظم مجزرٍ ... وجمجمة ليست بذات ذوائب
بأوجع مني يوم ولت حدوجهم ... يؤم بها الحادون وادي غباغب

علي بن الحسين بن بلبل العسقلاني

أبو الحسين. من شعره في محبوب أزرق العينين:
تدل بالذابل حسناً وفي ... طرفك ما في طرف الذابل
أزرق كالأزرق يوم الوغى ... كلاهما يوصف بالقاتل
وله أيضا:
شعر الذؤابة والعذار ... قاما بعذري واعتذاري
بأبي الذي في خده ... ماء الصبا ولهيب نار
سكرت لوا حظه وقل ... بي ما يفيق من الخمار
عابوا امتهاني في هوا ... ه كأنني أنا باختياري
ومن الصواب وها عذا ... ري شائب خلع العذار
وله أيضا:
تعرف في وجهه إذا ما ... رأيته نضرة النعيم
كأنما خده حباب ... بت به ليلة السليم
ولي غريم لوى ديوني ... ليت غرامي على غريمي

على بن الحسين الآمدي النحوي

أبو الحسن، ذكره محمد بن إسحاق النديم، وذكر أنه خرج إلى مصر فأقام بها منقطعاً إلى أبي الفضل بن حنزابة الوزير، وخطه صحيح مليح، ولم يثبت له مصنفاً. قلت أنا: وهو من مشايخ عبد السلام ابن الحسين البصري، وجدت بخطه وقد أنشد عنه بيتاً لأبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي – وهو مذكور في بابه – وقال: أنشدناه جماعة من مشايخنا منهم: أبو الحسن على بن الحسن الآمدي.
وحدث ابن نصرٍ قال: حدثني أبو الحسن المبدع وكنت أعرفه قديماً، ودخل إلى بغداد خضيبا فأنكرته ثم عرفته، فجرى ذكر شعراء المصريين فقلت له: ما رأيت لهم شيئاً ناصعاً فقال لي: كان الآمدي يتولى أرزاق الشعراء والمتعطلين والأشراف والكتاب وكان خضيباً، ولم يسمه لي ولاكناه، ولاأعلم هل هو النحوي صاحب كتاب الموازنة أو غيره؟ إلا أني أذكر ما حكاه قال: منع الحسين بن بشر الكاتب المصري أرزاقه فعمل فيه قطعةً أولها:
إن طغى الآمدى طغيان مثرٍ ... راشه الدهر فالمريش يحص
أيها الآمدى عقلك قد د ... ل على أن آمد اليوم حمص

إن حرصاً يدعو إلى قطعك الأر ... زاق فينا على هلاكك حرص
بسواد السماد تخضب ياشي ... خ فمن ذا سواده مايبص
ألق فيه عفصاً فإنك تحتا ... ج إلى العفص حين يعكس عفص
فقلت: تنشد هذا وأنت خضيب؟ فقال: الجيد يروي وإن كان على الراوي فيه دق الباب

علي بن الحسن بن على الضرير، الأصفهاني النحوي

أبو الحسن الباقولي المعروف بالجامع، ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب الوشاح فقال: هو في النحو و الإعراب كعبة لها أفاضل العصر سدنة، وللفضل فيه بعد خفائه أسوة حسنة، وقد بعث إلى خراسان بيت الفرزدق المشهور في شهور سنة خمسٍ وثلاثين وخمسمائةٍ وهو:
فليست خراسان التي كان خالد ... بها أسداً إذ كان سيفاً أميرها
وكتب كل فاضلٍ من فضلاء خراسان لهذا البيت شرحاً ثم قال: وهذا الإمام استدرك على أبي على الفسوى وعبدج القاهر وله هذه الرتبة، ومن نظر في تصانيفه علم أنه لاحق سبق السابقين، وقيل من منظومه:
أحبب النحو من العلم فقد ... يدرك المرء به أعلى الشرف
إنما النحوى في مجلسه ... كشهاب ثاقب بين السدف
يخرج القرآن من فيه كما ... تخرج الدرة من جوف الصدف
قال البيهقي: وبعد ذلك تحقق أن هذه الأبيات من إنشاده لا من إنشائه. له من التصانيف: كتاب شرح اللمع، وكتاب كشف المشكلات وإيضاح المعضلات في علل القران، قرأت في خاتمة كتاب المشكلات للجامع هذا ماصورته: وقد أمللته بعد تصنيف كتاب الجوهر، وكتاب المجمل كتاب الاستدراك على أبي علي، وكتاب البيان في شواهد القران، وسأجمع لك كتاباً أذكر فيه الأقاويل في معنى الآية دون الإعراب وما يتعلق بالصناعة منها.

علي بن حمزة الكسائي

هو أبو الحسن على بن حمزة بن عبد الله بن عثمان من ولد بهمن بن فيروز مولى بني أسد النحوي. أحد الأئمة في القراءة والنحو واللغة، وأحد السبعة القراء المشهورين، وهو من أهل الكوفة، استوطن بغداد وروى الحديث وصنف الكتب، ومات بالري صحبه الرشي على ما نذكره فيما بعد سنة اثنتين وثمانين ومائة أو ثلاث وثمانين ومائة، وقيل بعد ذلك في سنة تسع وثمانين، وقال مهدى بن سابقٍ: في سنة اثنتين وتسعين ومائة هو محمد بن الحسن الفقيه صاحب أبي حنيفة، فقال الرشيد: اليوم ذهب الفقه والعربية، قال الخطيب: إن عمر الكسائي بلغ سبعين سنه.
وكان الكسائي مؤدباً لولد الرشيد، وكان أثيراً عند الخليفة حتى أخرجه من طبقة المؤدبين إلى طبقة الجلساء والمؤانسين، وكان الكسائي قد قرأ على حمزة الزيات ثم اختار لنفسه قراءةً. وسمع من سليمان ابن أرقم وأبي

بكر بن عياشٍ. وفي القراء آخر يقال له الكسائي الصغير، واسمه محمد بن يحيى، روى عنه ابن مجاهدٍ عن خلف بن هشامٍ النراز.

حدث الخطيب قال: قال الفراء: إنما تعلم الكسائي النحوي على كبرٍ، وسببه أنه جاء إلى قوم من الهباريين وقد أعيا فقال لهم: قد عييت. فقالوا له: أتجالسنا وأنت تلحن؟ فقال: كيف لحنت؟ قالوا: إن كنت أردت من انقطاع الحيلة والتحير في الأمر فقل عييت مخففاً، وإن كنت أردت من التعب فقل أعييت، فأنف من هذه الكلمة، ثم قام من فوره ذلك فسأل من يعلم النحو؟ فأرشدوه إلى معاذٍ الهراء فلزمه حتى أنفد ما عنده، ثم خرج إلى البصرة فلقى الخليل وجلس في حلقته، فقال له رجل من الأعراب: تركت أسد الكوفة وتميمها وعندها الفصاحة وجئت إلى البصرة، فقال للخليل: من أين أخذت علمك هذا؟ قال: من بوادي الحجاز ونجدٍ وتهامة، فخرج ورجع. وقد أنفد خمس عشرة قنينة حبرا في الكتابة عن العرب سوى ما حفظ، فلم يكن له هم غير البصرة والخليل، فوجد الخليل قد مات وجلس في موضعه يونس النحوي، فمرت بينهما مسائل أقر له يونس فيها، وصدره موضعه.

وحدث الخطيب أيضاً بإسنادٍ رفعه إلى عبد الرحيم ابن موسى قال: قلت للكسائي: لم سميت الكسائي؟ قال: لأني أحرمت في كساءٍ. قال: وقيل فيه قول آخر، وذكر إسناداً رفعه إلى محمد بن يحيى المروزى قال: سألت خلف بن هشام لم سمي الكسائي كسائياً؟ فقال: دخل الكسائي الكوفة فجاء إلى مسجد السبيع وكان حمزة بن حبيب الزيات يقرئ فيه، فتقدم الكسائي مع أذان الفجر، فجلس وهو ملتف بكساء من البرد كان أسود، فلا صلى حمزة قال: من تقدم الوقت يقرأ؟ قيل له الكسائي أول من تقدم يعنون صاحب الكساء، فرمقه القوم بأبصارهم فقال: إن كان حائكاً فسيقرأ سورة يوسف، وإن كان ملاحاً فسيقرأ سورة طه، فسمعهم فابتدأ بسورة يوسف، فلما بلغ إلى قصة الذئب قرأ فأكله الذيب بغير همزٍ، فقال له الزيات: بالهمز، فقال له الكسائي: وكذلك أهمز الحوت في قوله تعالى: (فالتقمه الحوت)، قال: لا قال، فلم همزت الذئب ولم تهمز الحوت؟ وهذا فأكله الذئب، وهذا فالتقمه الحوت. فرفع حمزة بصره إلى خلادٍ الأحوال وكان أجمل غلمانه فتقدم إليه في جماعة من أهل المجلس، فناظروا فلم يصيبوا شيئاً فقال: أفدنا – رحمك الله – ، فقال لهم الكسائي: تفهموا عن الحائك، تقول: إذا نسبت الرجل إلى الذئب قد استذأب الرجل، ولو قلت: قد استذاب بغير همز لكنت إنما نسبته إلى الهزال، تقول: استذاب الرجل: إذا استذاب شحمه بغير همزٍ. وإذا نسبته إلى الحوت تقول: قد استحات الرجل أي كثر أكله، لأن الحوت يأكل كثيرا ولايجوز فيه الهمز، فلتلك العلة همز الذئب ولم يهمز الحوت، وفيه معنىً آخر لاتسقط الهمزة من مفرده ولا من جمعه وأنشدهم:

أيها الذئب وابنه وأبوه ... أنت عندي من أذؤبٍ ضاريات

قال: فسمى الكسائي من ذلك اليوم. وحدث المرزباني فيما رفعه إلى ابن الأعرابي قال: كان الكسائي أعلم الناس على رهق فيه، كان يديم شرب النبيذ ويجاهر باتخاذ الغلمان الروقة إلا أنه كان ضابطاً قارئاً عالماً بالعربية صدوقاً.

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى الكسائي قال: أحضرني الرشيد سنة اثنتين وثمانين ومائة في السنة الثالثة من خلافته، فأخرج إلى محمداً الأمين وبعبد الله المأمون كأنهما بدران فقال: امتحنهما بشيءٍ، فما سألتهما عن شيء إلا أحسنا الجواب فيه، فقال لي كيف تراهما؟ فقلت:

أرى قمري أفقٍ وفرعي بشامةٍ ... يزينهما عرق كريم ومحتد

يسدان آفاق السماء بهمةٍ ... يؤيدها حزم ورأى وسؤدد

سليلي أمير المؤمنين وحائزي ... مواريث ما أبقى النبي محمد

حياة وخصب للولى ورحمة ... وحرب لأعداءٍ وسيف مهند

ثم قلت: فرع زكا أصله، وطاب مغرسه، وتمكنت فروعه، وعذبت مشاربه، آواهما ملك أغر، نافذ الأمر، عظيم الحلم، أعلاهما فعلوا، وسما بهما فسموا، فهما يتطاولان بطوله، ويستضيئان بنوره، وينطقان بلسانه، – فأمتع الله – أمير المؤمنين بهما، وبلغه الأمل فيهما، فقال: تفقدهما، فكنت أختلف إليهما في الأسبوع طرفي نهارهما.

وحدث الخطيب بإسنادٍ رفعه إلى سلمة قال: كان عند المهدي مؤدب يؤدب الرشيد، فدعاه المهدي يوماً وهو يستاك فقال له: كيف الأمر من السواك؟ قال: استك ياأمير المؤمنين، فقال المهدي: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم قال: التمسوا لنا من هو أفهم من ذا، فقالوا: رجل يقال له علي بن حمزة الكسائي من أهل الكوفة، قدم من البادية قريباً فكتب بإزعاجه من الكوفة، فساعة دخل عليه قال: يا علي بن حمزة، قال: لبيك يا أمير المؤمنين، قال: كيف تأمر من السواك؟ قال: سك يا أمير المؤمنين، قال: أحسنت وأصبت، وأمر له بعشرة آلاف درهم.

وحدث المرزباني عن عبد الله بن جعفر عن ابن قادمٍ عن الكسائي قال: حججت مع الرشيد فقدمت لبعض الصلوات فصليت فقرأت: (ذريةً ضعافاً خافوا عليهم)، فأملت ضعافاً، فلما سملت ضربوني بالنعال والأيدي وغير ذلك حتى غشي علي، واتصل الخبر بالرشيد فوجه بمن استنقذني، فلما جئته قال لي: ما شأنك؟ فقلت له: قرأت لهم ببعض قراة حمزة الرديئة ففعلوا بي ما بلغ أمير المؤمنين، فقال: بئس ما صنعت، ثم ترك الكسائي كثيراً من قراءة حمزة وحدث فيما رفعه إلى الأحمر النحوي قال: دخل أبو يوسف القاضي – وقال عبد الله بن جعفرٍ محمد بن الحسن – على الرشيد وعنده الكسائي يحدثه فقال: يا أمير المؤمنين: قد سعد بك هذا الكوفي وشغلك، فقال الرشيد: النحو يستفرغني، لأنني أستدل به على القران والشعر، فقال محمد بن الحسن، أو أبو يوسف: إن علم النحو إذا بلغ فيه الرجل الغاية صار معلماً. والفقه إذا عرف الرجل منه جملة صار قاضياً. فقال الكسائي: أنا أفضل منك، لأني أحسن ما تحسن، وأحسن مالاتحسن، ثم التفت إلى الرشيد وقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له في جوابي عن مسألة من الفقه، فضحك الرشيد وقال: أبلغت يا كسائي إلى هذا؟ ثم قال لأبي يوسف: أجبه، فقال الكسائي: ما تقول لرجلٍ قال لامرأته أنت طالق إن دخلت الدار؟ فقال أبو يوسف: خطأ، إذا فتحت أن فقد وجب الأمر، وإذا كسرت فإنه لم يقع الطلاق بعد. فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو.

وحدث أيضا عمن سمع الكسائي يقول: اجتمعت أنا وأبو يوسف القاضي عند هارون الرشيد، فجعل أبو يوسف يذم النحو ويقول: وما النحو؟ فقلت – وأردت أن أعلمه فضل النحو – : ما تقول في رجل قال لرجل: أنا قاتل غلامك؟ وقال له آخر: أنا قاتل غلامك، أيهما كنت تأخذ به؟ قال آخذهما جميعا، فقال له هارون: أخطأت، وكان له علم بالعربية، فاستحيا وقال: كيف ذلك؟ قال: الذي يؤخذ بقتل الغلام هو الذي قال: أنا قاتل غلامك بالإضافة، لأنه فعل ماض، وأما الذي قال: أنا قاتل غلامك بالنصب فلا يؤخذ، لأنه مستقبل لم يكن بعد، كما قال الله عز وجل: (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله). فلولا التنوين مستقبل ما جاز فيه غداً، فكان أبو يوسف بعد ذلك يمدح العربية والنحو.

وحدث فيما رفعه إلى إبراهيم بن إسماعيل الكاتب قال: سأل اليزيدي الكسائي بحضرة الرشيد قال: انظر، في هذا الشعر عيب؟ وأنشده:

ما رأينا خرباً نق ... ر عنه البيض صقر

لا يكون العير مهراً ... لا يكون، المهر مهر

فقال الكسائي: قد أقوى الشاعر، فقال له اليزيدي انظر فيه، فقال: أقوى لابد ينصب المهر الثاني على أنه خبر كان، قال: فضرب اليزيدي بقلنسوته الأرض وقال: أنا أبو محمدٍ الشعر صواب، وإنما ابتدأ فقال: المهر مهر، فقال له يحيى بن خالدٍ: أتكتني بحضرة أمير المؤمنين وتكشف رأسك؟ والله لخطأ الكسائي مع أدبه، أحب إلينا من صوابك مع سوء فعلك، فقال: لذة الغلبة أنستني من هذا ما أحسن.

حدث المرزباني، حدث محمد بن إبراهيم، حدثنا عبد الله بن أبي سعدٍ الوراق، حدثنا النعمان بن هارون الشيباني قال: كان أبو نواسٍ يختلف إلى محمد بن زبيدة، وكان الكسائي يعلمه النحو فقال أبو نواس: إني أريد إن أقبل محمداً قبلة، فقال له الكسائي: إن علي في هذا وصمة، وأكره أن يبلغ هذا أمير المؤمنين، فقال أبو نواس: إنك إن تركتني أقبله وإلا قلت فيك أبياتاً أرفعها إلى أمير المؤمنين، فأبى عليه الكسائي وظن أنه لا يفعل، فكتب أبو نواس رقعةً:

قل للإمام جزاك الله صالحةً ... لا يجمع الدهر بين السخل والذيب

فالسخل غر وهم الذئب غفلته ... والذئب يعلم مابالسخل من طيب

ودفعها إلى بعض الخدم ليوصلها إلى الرشيد، فجاء بها الخادم إلى الكسائي، فلما قرأها علم أنه شعر أبي نواسٍ فقال له: ويحك، هذا أمر عظيم سأتلطف لك، فغب أياماً ثم احضر وسلم علي وعلى محمد فستبلغ حاجتك، فغاب وتحدث الكسائي إن أبا نواسٍ غائب ثم جاء فقام إليه الكسائي فسلم عليه وعانقه، وسلم أبو نواسٍ على محمدٍ وقبله، فقال أبو نواسٍ:

قد أحدث الناس ظرفاً ... يزهو على كل ظرف

كانوا إذا ماتلاقوا ... تصافحوا بالأكف

فاظهروا اليوم رشف ال ... خدود والرشف يشفى

فصرت تلثم من شئ ... ت من طريق التخفي

قال: وقال ابن أبي طاهر: وهذا الحديث عندي باطل مصنوع من قبل من حدث به ابن أبي سعد عنه لامنه، لأن أبناء الخلفاء كانوا في مثل حال الممنوع أجل مكاناً من أن يعاقوا أحدا من الرعية، ومن قبل أن هذا الشعر الأخير أنشدنيه غير واحدٍ لعبد الصمد ابن المعذل حتى خبرني أبو عليٍ الفضل بن جعفر بن الفضل بن يوسف المعروف بالبصير أنه له، وأنه قاله بالكوفة في حداثةٍ من سنه، وكان بعيداً من الكذب في ادعاء مثل هذا من الشعر والله أعلم.

حدث عبد الله بن جعفر عن محمد بن يزيد عن المازني عن الأصمعي قال: كان الكسائي يأخذ اللغة من أعراب من أعراب الحطمية ينزلون بقطر بل وغيرها من قرى سواد بغداد، فلما ناظر الكسائي سيبويه استشهد بكلامهم، واحتج بهم وبلغتهم على سيبويه. فقال أبو محمد اليزيدي: كنا نقيس النحو فيما مضى – الأبيات – والأبيات في أخبار اليزيدي. ولليزيدي أشعار في الكسائي ذكرت في أخباره، ومن قول اليزيدي فيه:

أفسد النحو الكسائي ... ي وثنى ابن غزالة

وأرى الأحمر تيساً ... فاعلفوا التيس النخالة

وحدث المرزباني عن عبد الله بن جعفرٍ عن محمد بن يزيد عن المازني والرياشي عن أبي زيدٍ قال: لما ورد نعى الكسائي من الري قال أبو زيدٍ: لقد دفن بها علم كثير بالكسائي ثم قال: قدم علينا الكسائي البصرة فلقى عيسى والخليل وغيرهما، وأخذ منهم نحواً كثيراً، ثم صار إلى بغداد فلقى أعراب الحطمية فأخذ عنهم الفساد من الخطأ واللحن، فأفسد بذلك ما كان أخذه بالبصرة كله. قال عبد الله: وذلك إن الكسائي كان يسمع الشاذ الذي لايجوز من الخطأ واللحن وشعر غير أهل الفصاحة والضرورات، فيجعل ذلك أصلا ويقيس عليه حتى أفسد النحو.

قال أبو عبد الله بن مقلة: حدثني أبو العباس أحمد ابن يحيى قال: اجتماع الكسائي والأصمعي عند الرشيد وكانا معه يقيمان بمقامه، ويظعنان بظعنه، فأنشد الكسائي:

أم كيف ينفع ما تعطي العلوق به ... رئمان أنفٍ إذ ماضن باللبن؟

فقال الأصمعي: رئمان بالرفع، فقال له الكسائي: اسكت ما أنت وهذا؟ يجوز رئماناً ورئمان ورئمان، ولم يكن الأصمعي بصاحب عربيةٍ، فسألت أبا العباس كيف جاز ذلك؟ فقال: إذا رفع رفع بينفع، أي أم كيف ينفع رئمان أنفٍ، وإذا نصب نصب بيعطى، وإذا خفض رده على الهاء في به. قال: والمعنى وما ينفعني إذا وعدتني بلسانك ثم لم تصدقه بفعلك، يقال ذلك للذي يبر ولا يكون منه نفع كهذه الناقة التي تشم بأنفها مع تمنع درها، والعلوق: التي قد علق قلبها بولدها، وذلك أنه نحر عنها ثم حشى جلده تبناً أو حشيشاً وجعل بين يديها حتى تشمه وتدر عليه، فهي تسكن إليه مرة ثم تنفر عنه ثانيةً تشمه بأنفها ثم تأباه مقلتها فيقول: فما ينفع من هذا البو إذا تشممته ثم منعت درها؟ قال أبو العباس: حدثني سلمة قال: قال الفراء: مات الكسائي وهو لا يحسن حد نعم وبئس، ولاحد أن المفتوحة، ولاحد الحكاية، قال: فقلت لسلمة

فكيف لم يناظره في ذلك؟ فقال: قد سأله ذلك فقال: أشفقت أن أحادثه فيقول في كلمةً تسقطى فأمسكت قال الفراء: ولم يكن الخليل يحسن النداء، ولا كان سيبويه يدري حد التعجب.

وحدث المرزباني في ما رفعه إلى الفراء قال: قدم سيبويه على البرامكة فعزم يحيى بن خالد أن يجمع بينه وبين الكسائي وجعل لذلك يوماً، فلما حضر تقدمت والأحمر فدخل فإذا بمثالٍ في صدر المجلس، فقعد عليه يحيى وقعد إلى جانب المثال جعفر والفضل ومن حضر بحضورهم، وحضر سيبويه فأقبل عليه الأحمر فسأله عن مسألةٍ فأجابه فيها سيبويه فقال له: أخطأت، ثم سأله عن ثانية فأجاب فقال له: أخطأت، ثم سأله عن ثالثة فأجابه فيها فقال له: أخطأت، فقال له سيبويه: هذا سوء أدب. قال الفراء: فأقبلت عليه فقلت: إن في هذا الرجل حدةً وعجلةً، ولكن ماتقول فيمن قال: هؤلاء أبون، ومررت بأبين، كيف تقول على مثال ذلك، وأيت أو أويت؟ قال: فقدر فأخطأ فقلت له: أعد النظر ثلاث مراتٍ تجيب ولاتصيب، فلما كثر عليه ذلك قال: لست أكلمكما أو يحضر صاحبكما حتى أناظره، قال: فحضر الكسائي فأقبل على سيبويه فقال: أتسألني أم أسألك؟ فقال: بل سلني أنت، فقال له الكسائي: كيف تقول: قد كنت أظن إن العقرب أشد لسعة من الزنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي ولايجوز النصب، فقال له الكسائي: لحنت، ثم سأله عن مسائل من هذا النوع خرجت فإذا عبد الله القائم أو القائم، فقال سيبويه: في ذلك كله بالرفع دون النصب، فقال الكسائي: ليس هذا من كلام العرب، العرب ترفع في ذلك كله وتنصب، فدفع سيبويه قوله، فقال يحيى بن خالدٍ: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن ذا يحكم بينكما؟ فقال له الكسائي: هذه العرب في بابك قد جمعتهم من كل أوبٍ. ووفدت عليك من كل صقعٍ، وهم فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصرين، وسمع أهل الكوفة وأهل البصرة منهم فيحضرون ويسألون، فقال يحيى وجعفر. قد أنصفت، فأمر بإحضارهم فدخلوا، فهم: أبو فقعسٍ، وأبودثارٍ، وأبو الجراح، وأبوثروان، فسئلوا عن المسائل التي جرت بين الكسائي وسيبويه، فتابعوا الكسائي وقالوا بقوله. فقال: فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع أيها الرجل؟ فاستكان سيبويه وأقبل الكسائي على يحيى فقال: – أصلح الله الوزير – ، إنه قد وفد عليك من بلده مؤملاً، فإن رأيت ألا ترده خائباً، فأمر له بعشرة آلاف درهم، فخرج وصير وجهه نحو فارس، فأقام هناك حتى مات ولم يعد إلى البصرة.

قال ثعلب: وإنما أدخل ألفاء في قوله: فإذا هو إياها، لأن فإذا مفاجأة، أي فوجدته ورأيته، ووجدت ورأيت ينصب شيئين ويكون معه خبر، فلذلك نصبت العرب.

قال المؤلف: وقد ذكرنا هذا الخبر في باب سيبويه برواية أخرى، وذكرنا الاحتجاج للبصريين على تصويب قول سيبويه هناك إن شاء الله.

روى الزبيرعن إسحاق الموصلي قال: ما رأيت رجلاً منسوباً إلى العلم أجهل بالشعر من الكسائي وبالإسناد قال: كان الكسائي من أشد خلق الله تسكعاً في تفسير شعرٍ، وما رأيت أعلم بالنحو قط منه، ولا أحسن تفسيراً، ولا أحذق بالمسائل، المسألة تشق من المسألة، والمسألة تدخل على المسألة.

وقرأت في نوادر ابن الأعرابي التي كتبها عنه ثعلب سمعت الكسائي يقول: قلت لأبي زيدٍ وآذاني باللزوم يا

هذا، قد أمللتني، كم تلازمني؟ فقال له أبو زيدٍ: إنما ألزمك لأعلمك، قال: فقلت له فاجلس في بيتك حتى آتيك. قال: وما جربت على الكسائي كذبةً قط. قال أبو عبد الله بن الأعرابي: ولئن كان أبو زيدٍ قال هذا، ما في الأرض أحد قط أخل عقلاً منه.

قال: وكان الكسائي أعلم من أبي زيدٍ بكثيرٍ بالعربية واللغات والنوادر، ولو كان نظر في الأشعار ما سبقه أحد ولا أدركه أحد حده. وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين عن أبي حاتم قال: لم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقران ولا كلام العرب، ولولا أن الكسائي دنا من الخلفاء فرفعوا ذكره لم يكن شيئاً، وعلمه مختلط بلا حججٍ ولاعللٍ إلا حكايات الأعراب مطروحةً، لأنه كان يلقنهم ما يريد، وهو على ذلك أعلم الكوفيين بالعربية والقران، وهو قدوتهم وإليه يرجعون.

وحدث المرزباني في كتابه قال: كتب الكسائي إلى الرشيد وهو يؤدب محمداً الأمين:

قل للخليفة ما تقول لمن ... أمسى إليك بحرمةٍ يدلى؟

مازلت منصار الأمين معي ... عبدي يدي ومطيتي رجلي

وعلى فراشي ماينبهنى ... من نومتي بقيامه قبلي

أسعى برجلٍ منه ثالثةٍ ... نقصت زيادتها عن الرجل

فامنن على بما يسكنه ... عني وأهد الغمد للنصل

قال: فضحك الرشيد وأمر له ببرذونٍ بسرجه ولجامه وبجاريةٍ حسناء بآلتها وخادم وعشرة آلاف درهمٍ.

قيل للكسائي: قد أبحت علمك الناس؟ فقال يعين الله عليهم بالنسيان.

من مجالسات ثعلبٍ: وصف ابن الأعرابي الكسائي فقال: كان أعلم الناس على رهقٍ فيه، يريد إتيان ما يكره، لأنه كان يشرب الشراب ويأتي الغلمان. قال: ومن شعر الكسائي:

إنما النحو قياس يتبع ... وبه في كل أمر ينتفع

فإذا ما نصر النحو الفتى ... مر في المنطق مراً فاتسع

فاتقاه جل من جالسه ... من جليسٍ ناطقٍ أو مستمع

وإذا لم ينصر النحو الفتى ... هاب أن ينطق جبناً فانقطع

فتراه يرفع النصب وما ... كان من خفضٍ ومن نصبٍ رفع

يقرأ القران ولا يعرف ما ... صرف الإعراب فيه وصنع

والذي يعرفه يقرؤه ... فإذا ما شك في حرفٍ رجع

ناظراً فيه وفي إعرابه ... فإذا ما عرف اللحن صدع

كم وضيعٍ رفع النحو وكم ... من شريفٍ قد رأيناه وضع

فهما فيه سواء عندكم ... ليست السنة فينا كالبدع

وحدث هارون بن علي بن المنجم في أماليه عن أبي توبه قال: سمعت الفراء يقول: مدحني رجل من النحويين فقال لي: ما اختلافك إلى الكسائي وأنت مثله في النحو؟ فأعجبتني نفسي فأتيته فناظرته مناظرة الأكفاء،

فكأني كنت طائراً يغرف من البحر بمنقاره.
وحدث محمد بن إسحاق النديم قال: قرأت بخط أبي الطيب ابن أخي الشافعي قال: أشرف الرشيد على الكسائي وهو لا يراه، فقام الكسائي ليلبس نعله لحاجةٍ يريدها فابتدرها الأمين والمأمون، وكان مؤدبهما فوضعاها بين يديه، فقبل رؤوسهما وأيديهما ثم أقسم عليهما ألا يعاودا، فلما جلس الرشيد مجلسه قال: أي الناس أكرم خدماً؟ قال: أمير المؤمنين – أعزه الله – قال: بل الكسائي يخدمه الأمين والمأمون، وحدثهم الحديث.
حدث السلامي قال: حضر مجلس الكسائي أعرابي وهم يتحاورون في النحو فأعجبه ذلك، ثم تناظروا في التصريف فلم يهتد إلى ما يقولون، ففارقهم وأنشأ يقول:
مازال أخذهم في النحو يعجبني ... حتى تعاطوا كلام الزنج والروم
بمفعل فعلٍ لا طاب من كلمٍ ... كأنه زجل الغربان. واليوم

وقرأ بخط أبي سعيدٍ عبد الرحمن بن علي اليزدادي اللغوي الكاتب في كتاب جلاء المعرفة من تصنيفه قيل: اجتمع إبراهيم النظام وضرار بين يدي الرشيد، فتناظرا في القدر حتى دقت مناظرتهما فلم يفهمهما، فقال لبعض خدمه ومن يثق به ويرضى برأيه: اذهب بهذين إلى الكسائي حتى يتناظرا بين يديه ثم يخبرك لمن الفلج منهما، فلما صارا في بعض الطريق قال إبراهيم النظام لضرارٍ: أنت تعلم أن الكسائي لا يحسن شيئاً من النظر، وإنما معوله على النحو والحساب، ولكن تهيئ له مسألة نحوٍ، وأهيئ له مسألة حسابٍ فنشغله بهما، لأنا لا نأمن إن يسمع منا ما لم يسمعه ولم يبلغه فهمه أن ينسبنا إلى الزندقه، فلما صارا إليه سلما عليه، ثم بدأ ضرار فقال: أسألك – أصلحك الله – عن مسألة من النحو؟ قال: هاتها، قال: ماحد الفاعل والمفعول به؟ قال الكسائي: حد الفاعل الرفع أبداً، وحد المفعول به النصب أبداً، قال: فكيف تقول ضرب زيد؟ فقال: ضرب زيد. قال: فلم رفعت زيداً وقد شرطت أن المفعول به منصوب أبداً؟ قال لأنه لم يسم فاعله، قال له: فقد أخطأت في العبارة، إذ لم تقل إن المفعولين من إذا لم يسم فاعله كان مرفوعاً، ومن جعل لك الحكم بان تجعل الرفع لمن لم يسم فاعله؟ قال: لأنا إذا لم نذكر الفاعل أقمنا المفعول به مقامه، لأن الفعل الواقع عليه غير مستحكم النقص، وعدم النقص مطابق للرفع، فإذا ذكرنا من فعل به وأفصحنا بذلك نصبناه. قال له: فإن كان النصب مطابقا للنقص فمن لم يسم فاعله أولى به، لأنا إذا قلنا: ضرب زيد فقد يمكن إن يكون ضربه مائة رجل، وإذا قلنا ضرب عبد الله زيداً فلم يضربه إلا رجل واحد، فالذي أمكن إن يضربه مائة رجل أولى بالنصب والنقص ممن لم يضربه إلا رجل واحد، فوقف الكسائي فلم يدر مايقول. ثم قال له إبراهيم: أسألك – أصلحك الله – عن مسألةٍ من الحساب؟ قال: قل. قال: كم جذر عشرة. قال: اجتمع الحساب على إنه لاجذر لعشرةٍ. قال: فهل علم الله جذرها؟ قال: الله عالم كل شيء ألقاه إلى نبيٍ من أنبيائه؟ ثم ألقاه ذلك النبي إلى صفيٍ من أصفيائه، فلم يزل ذلك العلم ينمى حتى صار علم جذر عشرةٍ عندي، وأكون أعلم جذرها ولاتعلمه أنت، وتكون مخطئاً فيما قلت، فالتفت الكسائي إلى الغلام وقال: اذهب بهذين إلى أمير المؤمنين فقل: إنهما زنديقان كافران بالله العظيم. قال: وكان الخادم لبيباً حصيفاً

فأحسن العبارة عنهما وحسن أمورهما، فأمر بهما بجائزةٍ سنيةٍ وصرفهما.
قال المؤلف: وهذه الحكاية عندي مصنوعة باردة، وإنما كتبتها لكوني وجدتها بخط رجلٍ عالمٍ. وحدث سلمة بن عاصمٍ قال: قال الكسائي: حلفت ألا أكلم عامياً ألا بما يوافقه ويشبه كلامه، وذلك أنني وقفت على نجارٍ فقلت له: بكم ذانك البابان؟ فقال: بلحتان. فحلفت ألا أكلم عاميا إلا بما يصلحه. وحدث الحزنبل قال: أنشدنا يعقوب بن السكيت لأبي الجراح العقيلي يمدح الكسائي:

ضحوك إذا زف الخوان وزوره ... يحيا بأهلاً مرحباً ثم يجلس
أبا حسنٍ ماجئتكم قط مطفئاً ... لظى الشوق إلا والزجاجة تقلس

قال يعقوب: يريد تمتلئ حتى تفيض، ونصب قوله يحيا بأهلاً على الحكاية.
وحدث عبد الله بن جعفر بن علي بن مهدي عن أحمد بن الحارث الخراز قال: كان الكسائي ممن وسم بالتعليم، وكان كسب به مالاً إلا أنه حكى عنه إنه أقام غلاماً ممن عنده في الكتاب وقام يفسق به وجاء بعض الكتاب ليسلم عليه فرآه الكسائي ولم يره الغلام، فجلس الكسائي في مكانه وبقي الغلام قائماً مبهوتاً، فلما دخل الكاتب قال للكسائي: ماشأن هذا الغلام قائماً؟ قال وقع الفعل عليه فأنتصب. وحدث المرزباني فيما أسنده إلى سعدون القارئ قال: رأيت الكسائي وهو يسأل أبا الحسن المروزي وقد أقام أربعين سنة يختلف إلى الكسائي والمروزي يقول: كيف تقول مررت بدجاجةٍ تنقرك أو تنقرك أو تنقرك؟ فقال له الكسائي؟ استحييت لك، بعد أربعين سنة لاتعرف حروف النعت؟ إنما تتبع الأسماء، قل تنقرك من نعت الدجاجة. قال: والكسائي يهزأ به ويعبث وينقر أنفه.

وحدث أيضا بإسناد رفعه إلى نصير الرازي النحوي رجل كان بالري قال: قدم الكسائي مع هارون فاعتل علةً منكرةً فأتاه هارون ماشياً متفرغاً فخرج من عنده وهو مغموم جداً فقال لأصحابه: ما أظن الكسائي إلا ميتاً وجعل يسترجع، فجعل القوم يعزونه ويطيبون نفسه وهو يظهر حزناً فقالوا يا أمير المؤمنين: وماله قضيت عليه بهذا؟ قال: إنه حدثني أنه لقى رجلاً من الأعراب عالماً غزير العلم بموضعٍ يقال له ذو النخيلة، قال الكسائي: فكنت أغدو عليه وأروح أمتاح ماعنده، فغدوت عليه غدوةً من تلك الغدوات فإذا هو ثقيل ورأيت به علةً منكرةً قال: فألقى نفسه وجعل يتنفس ويقول:

قدر أحلك ذا النخيل وقد ترى ... وأبى مالك ذو النخيل بدار
ألا كداركم بذي بقر الحمى ... هيهات ذو بقرٍ من المزدار

قال الكسائي: فغدوت عليه صباحاً فإذا هو لما به: فدخلت الساعة على الكسائي فإذا هو ينشد هذين البيتين، فغمنى ذلك غماً شديداً، فكان كما قال: مات من يومه ودفن بمنزله في سكة حنظلة ابن نصر بالري سنة اثنتين وثمانين ومائة، وفي غير هذه الرواية زيادة في الشعر:

قالت جمال وكلهن جميلة ... ما تأمرون بهولاء السفار
قالوا بنو سفرٍ ولم نشعر بهم ... وهم الذين نريد غير تمارى
لما اتكأت على الحشايا مضمضت ... بالنوم أعينهن بعد غرار

سقط الندى بجنوبهن كأنما ... سقط الندى بلطائم العطار

وكانت وفاته برنبوية، كورة من كور الري هو ومحمد بن الحسن الفقيه في وقتٍ واحدٍ، وكانا خرجا مع الرشيد إليها. فقال الرشيد: دفنت الفقه والنحو برنبوية، فقال أبو محمد اليزيدي يرثيهما:

تصرمت الدنيا فليس خلود ... وماقد ترى من بهجةٍ سيبيد

سيفنيك ما أفنى القرون التي مضت ... فكن مستعداً فالفناء عتيد

أسيت على قاضى القضاة محمدٍ ... فأذريت دمعي والفؤاد عميد

وقلت إذا ما الخطب أشكل من لنا ... بايضاحه يوما وأنت فقيد؟

وأوجعني موت الكسائي بعده ... وكادت بي الأرض الفضاء تميد

وأذهلني عن كل عيش ولذة ... وأرق عيني والعيون هجود

هما عالمانا أوديا وتخرما ... ومالهما في العالمين نديد

وقد روى أن وفاة الكسائي كانت بطوس لا الرى. ولما بلغت هذه الأبيات إلى الرشيد قال يايزيدي: لئن كنت تسيء الكسائي في حياته، لقد أحسنت بعد موته. وقيل بل قال له: أحسنت يابصري، لئن كنت تظلمه في حياته، لقد أنصفته بعد موته. ومات الكسائي وله من التصانيف: كتاب معاني القران، كتاب مختصر في النحو، كتاب القراءات. كتاب العدد. كتاب النوادر الكبير، كتاب النوادر الأوسط، كتاب النوادر الأصغر، كتاب اختلاف العدد، كتاب الهجاء، كتاب مقطوع القران وموصوله، كتاب المصادر، كتاب الحروف، كتاب أشعار المعاياة وطرائقها، كتاب الهاءات المكنى بها في القران.

قرأت بخط الأزهري في كتاب نظم القرآ ن للمنذري: أسمعني أبو بكر عن بعض مشايخه أن الكسائي كان يقوم في المحراب يؤم فتشتد عليه القراءة حتى لا يقوم بقراءة (الحمد لله رب العالمين)، ثم يتحرف فيقبل عليهم فيملي القرآن حفظاً ويفسره بمعانية وتفسيره

علي بن حمزة بن عمارة بن حمزة

ابن يسار بن عثمان الأصبهاني أبو الحسن، وعثمان هذا الذي أنتهت نسبة هذا إليه: هو والد أبي مسلم الخراساني ويسار أخوه، قال ذلك حمزة وقال: كان اسم ابيه قبل أن يسلم بنداد هرمز، فلما أسلم تسمى بعثمان، قال: وأبو مسلم اسمه: بهزادان بن بنداد هرمز، وعلي بن حمزة هذا من أولاد أخيه يسار، وكان أحد أدباء أصبهان المشهورين بالعلم والسعر والفضل والتصنيف، شائع ذلك ذائع عنه، وصنف كتباً منها: كتاب الشعر، وكتاب فقر البلغاء يشتمل على الاختيار من شعر عامة الشعراء، وكتاب قلائد الشرف في مفاخر أصبهان وأخبارها وغير ذلك.

قال حمزة في مقدمة كتابه: وقد كان رجل من كبار أهل الأدب ببلدنا تعاطى عمل كتابٍ في هذا الفن، وهو أبو الحسن على بن حمزة بن عمارة، وسماه قلائد الشرف، فشحنه بأخبار الفرس في السير والأبيات، نبذ بينهما جملاً من أخبار أصبهان تنقص عن السدس من كتابه، وحجمها يكون دون ثلاثين ورقةً، وروى فيما

بينها أخباراً كأنها من أحاديث الحكم.

ومن شعر علي بن حمزة يرثي أبا مسلمٍ محمد ابن بحرٍ:

وقالوا ألا ترثي ابن بحر محمداً ... فقلت لهم: ردوا فؤادي واسمعوا

فلن يستطيع القول من طار قلبه ... جريحاً طريحاً بالمصائب يقرع

ومن بان عنه إلفه وخليله ... فليس له إلا إلى البعث مرجع

ومن كان أوفى الأوفياء لمخلصٍ ... ومن حيز في سربال الفضل أجمع

سجايا كماء المزن شيب به الجنى ... جنى الشهد في صفو المدام يشعشع

وغرب ذكاءٍ واقدٍ مثل جمرةٍ ... وطبع به العضب المهند يطبع

ومن كان من بيت الكتابة في الذرى ... وذا منطقٍ في الحفل لايتتعتع

وله كتبه إلى أبي نجيحٍ أخي أبي سعدٍ الشاعر:

قد عزمنا على الصبوح فبادر ... قبل إن تضحى السماء المخيلة

فلذا الدجن ياخليلي ذمام ... لم أزل مذعقلت أمري خليله

وهو يوم أغر أبلج يهمى ... بحيا يستمد منه سيوله

ودعاني إليه أدهم داجٍ ... قد رحمنا بكاءه وعويله

شبه ليلٍ متى استضيف بليلٍ ... لم يسكن إلى الصباح صهيله

مطفح مهمر بلوع به يس ... تلب المدقع الضنين صليله

راكب نازل يغطمط وأب ... قد سئمنا ركوبه ونزوله

يطرد الجدب كلما جاش أعطى ... سائليه بضيعةً ونشيله

ولدينا من المعسل شيء ... يفثأ الدهر من فؤادي غليله

فتفضل بما سألت فقدماً ... بؤت للخل بالأيادي الجليله

ولك الحكم إن تحكم في الشر ... ب فلا تخف عن قلوب عليله

وفتىٍ كأنهم قضب الهن ... د لهم السن سلاط طويله

قال المؤلف: ولعلى بن حمزة هذا مفاوضات طوال وجوا بات لجماعةٍ من شعراء أصبهان، منهم أبو الحسن طباطبا العلوي وغيره، لم أذكر منها شيئا لطولها ولقلة فائدتها عندي، فشعره على هذا النمط لاطائل فيه إلا أنه عند أهل أصبهان جليل نبيل.

علي بن حمزة البصري اللغوي

يكنى أبا النعيم. كان أحد أعيان أهل اللغة الفضلاء المتحققين العارفين بصحيحها من سقيمها، وله ردود على جماعةٍ من أئمة أهل اللغة كابن دريدٍ والأصمعي وابن الأعرابي وغيرهم. ولما ورد المتنبي إلى بغداد كان بها وفي داره نزل.

قال أبو عليٍ الحسن بن يحيى الفقيه الصقلي يعرف بابن الخزاز في تاريخ صقلية من تصنيفه: وفي رمضان سنة

خمسٍ وسبعين وثلاثمائةٍ مات على بن حمزة اللغوي البصري راوية المتنبي بصقلية، وصلى عليه القاضي إبراهيم ابن مالكٍ قاضي صقلية وكبر خمساً في الجامع. وله من التصانيف: كتاب الرد على أبي زيادٍ الكلابي، كتاب الرد على أبي عمرو الشيباني في نوادره، كتاب الرد على أبي حنيفة الدينوري في كتاب النبات، كتاب الرد على أبي عبيد القاسم بن سلامٍ في المصنف، كتاب الرد على ابن السكيت في إصلاح المنطق، كتاب الرد على ابن ولادٍ في المقصور والممدود، كتاب الرد على الجاحظ في الحيوان، كتاب الرد على ثعلبٍ في الفصيح. ورأيت هذه كلها بمصر.

ترجمة ثانية: علي بن حمزة البصري اللغوي أحد الأعلام الأئمة في الأدب، وله تصانيف وردود على أهل الأدب وفق فيها. وقد روى عنه أبو الفتح بن جنيٍ شيئاً من أخبار المتنبي وغيرها، لأن المتنبئ لما ورد بغداد نزل عليه وكان ضيفه إلى أن رحل عنها. فحدث أبو عبد الله محمد بن نصرٍ الحميدي في كتاب جذوة المقتبس في تاريخ الأندلس في ترجمة ثابت بن محمد الجرجاني قال: أخبرني أبو محمدٍ على بن أحمد عن أبي الفتح ثابت بن محمد الجرجاني قال: أخبرني على بن حمزة مضيف المتنبئ قال: – وعنده نزل المتنبئ ببغداد – إن القصيدة التي أولها.

هذي برزت بنا فهجت رسيسا

قالها في محمد بن رزيق الناظر في زواميل ابن الزيات صاحب طرسوس، وأنه وصله عليها بعشرة دراهم فقيل له: إن شعره حسن فقال: ما أدرى أحسن هو أم قبيح؟ ولكن أزيده لقولك عشرة دراهم، فكانت صلته عليها عشرين درهما.

علي بن حمزة الأديب

أبو الحسن مصنف الرسالة الحمارية، قدم دمشق ومدح بها أبا الفتح صالح بن أسدٍ الكاتب في سنة ثلاثين وأربعمائةٍ. روى عنه أبو الحسن على بن عبد السلام الصورى، ومات باطرابلس ذكره ابن عساكر هكذا

على بن حمزة بن علي بن طلحة

ابن عليٍ الرزاي الأصل البغدادي المولد والدار، ويعرف بابن بقشلان مات بمصر، أخبرني الحافظ أبو عبد الله محب الدين محمد بن النجار: إن علي بن حمزة بن طلحة مات في غرة شعبان سنة تسع وتسعين وخمسمائةٍ، ويكنى أبا الحسين، وتلقب بعلم الدين، ولى حجبة الباب في أيام المستضئ بالله ثم نيابة المقام ببغداد، فسافر إلى الشام وتنقل إلى إن حصل بمصر فمات بها، وعلم الدين هذا: هو صاحب الخط المليح الغاية على طريقة على بن هلال بن البواب خصوصاً قلم المصاحف، فإنه لم يكتبه أحد مثله فيمن تقدم أو تأخر، ولذلك ذكرناه في هذا الكتاب، ولما ولى حجبة الباب كان يتقعر في كلامه ويستعمل السجع وحوشى اللغة، فمن ذلك ماحدثني به جماعة أهل بغداد إلا أنني كتبته من لفظ الصدر أبي محمدٍ عبد الله بن الهروي الشاعر قال: لما ولى علم الدين حجبة باب النوبي حظر على العامة سماع الملاهي وشرب الخمر وارتكاب

الفواحش، وتشدد في ذلك تشدداً عظيماً، وأرد بعض العامة المثرين ختان ولد له فاستشفع إليه بمن يعز عليه في أن يمكنه من إحضار بعض الملاهي لذلك، فأذن فيه ثم قال: جيئوني به أشرط عليه، فلما مثل بين يديه قال له: قد أذن لك في ختان ولدك على ألايكون عندك مزهر ولا مزمر ولابربط ولادف ولاطنبور ولاعود ولامحظور ولاالشيء الملقب بالشنك، ولا من يجول الغناء له ببالٍ ولايخطر في خيالٍ. فقال له العامي: فيأذن لي مولانا أن أحضر وريدة المخنث يلطم عندي دورين أو ثلاثة. قال: فغضب ابن طلحة وقال له: كأنك من الذين تشرئب نفوسهم إلى ما حرم الله، أيها العوام الجهلة، والوضعاء السفلة، يا أهالي الجهل والغواية. ويا أصحاب الضلالة والعماية: أما فيكم من له عقل يرده؟ ولادين يصده، فينبذ الآثام وراء ظهره، ويسعى إلى الخير بانشراح صدره، تتهافتون على الفواحش والمآثم، ولا تأخذكم في المعصية لومة لائمٍ، بدلني الله بكم غيركم، وكفاني شركم وخيركم. فقال الرجل: الله أكبر، يريد تكبير الصلاة. فقال ابن طلحة: وهذا أيضا من جهلك وقلة معرفتك وعقلك، ارجع إلى الله بقلبك، واستغفر لذنبك، ولاحول ولاقوة إلا بالله.

وكان أبو حمزة بن عليٍ وهو الملقب بكمال الدين ويكنى أبا الفتوح، من الأعيان الأماثل، ولى حجبة الباب للمسترشد، ووكله وكالةً مطلقةً، فلما استخلف المقتضى لأمرالله ولاه صدرية المخزن، وأكثر الحج وجاور بمكة، وهو الذي عمر المدرسة التي بباب العامة لأصحاب الشافعي، تعرف إلى الآن بالكمالية، ووقف على المتفقهين بها ثلث ملكه، ومات في صفرٍ سنة ست وخمسين وخمسمائةٍ ودفن بالحربية

علي بن خليفة بن علي النحوي

يعرف بابن المنقى أبو الحسن من أهل الموصل، كان إماماً فاضلاً تأدب عليه أكثر أهل عصره من أهل بلده، ومات في ربيع الأول سنة اثنتين وستين وخمسمائةٍ، وكان يجلس بالمسجد المعروف بمسجد النبي صلى الله عليه وسلم بالموصل، وصنف مقدمةً في النحو سماها المعونة، وكان زاهداً ورعاً مقداماً ذا سورةٍ وغضبٍ.

أنشدني أبو الفضل محمد ابن أحمد بن خميسٍ المغربي الوكيل بباب القاضي بحلب، وهو موصلي المولد – مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وعشرين وستمائةٍ – قال: أنشدني ابن المنقى النحوي الموصلي لنفسه ودخل إليه رجل فقال له: من أين جئت؟ فقال له: من عند علامة الدنيا، يعني سعيد بن الدهان. فقال ارتجالاً:

وقالوا: الأعور الدهان حبر ... يفوق الناس في أدبٍ وكيس

فقلت: بحيس خير منه علماً ... وإن الكلب خير من بحيس

وأنشدني قال: أنشدني ابن المنقى لنفسه وقد طلب منه ملك النحاة حلاوةً بعد كلامٍ جرى بينهما في مجلس تاج الدين بن الشهرزوري:

عندي للشيخ مليك النحاة ... ريح شناجٍ سكنت في خصاه

لاعسل عندي ولاسكر ... فليعذر الشيخ ويأكل خراه

وأنشدني بزان بن سنقر الموصلي قال: أنشدني شيخنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن خليفة النحوي الأديب. ومات بباشزى من قرى البقعاء في سنة ثلاثٍ وتسعين وخمسمائةٍ قال: أنشدني والدى على بن

خليفة بن المنقى – رحمه الله – لنفسه وقد عتب عليه جمال الدين الأصفهاني الوزير في ترك التردد إليه، ثم قصده بعد ذلك فمنعه البواب من غير أن يعرفه:

إني أتيتك زائراً ومسلماً ... كيما أقوم ببعض حق الواجب

فإذا ببابك حاجب متبظرم ... فعمود دارك في حرام الحاجب

ولئن رأيتك راضياً بفعاله ... فجميع ذلك في حرام الصاحب

وأنشدني بزان قال: أنشدني الحسين بن عليٍ قال: أنشدني والدي لنفسه في بعض الشعراء وقد هجاه:

هجوت يابن اللئام فاستمع ال ... هجو بلا خيفةٍ ولاملل

فأنت من معشرٍ إذا لحظوا ... تنخس منهم محاجر المقل

على بن دبيس النحوي الموصلي

أبو الحسين، قرأ النحو على ابن وحشيٍ صاحب ابن جنيٍ، وأخذ عنه زيد مرزكة الموصلي وهو مذكور في بابه. ولعلي بن دبيسٍ أشعار حسان منها في وصف قوادٍ:

يسهل كل ممتنعٍ شديدٍ ... ويأتي بالمراد على اقتصاد

فلو كلفته تحصيل طيف ال ... خيال ضحىً لزار بلا رقاد

علي بن زيد القاشاني النحوي

أحد أصحاب أبي الفتح بن جنيٍ. وجدت بخطه ما كتبه في سنة إحدى عشرة وأربعمائةٍ. وهو صاحب الخط الكثير الضبط المعقد، سلك فيه طريقه شيخه أبي الفتح.

علي بن زيد

أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي. مات سنة خمسٍ وستين وخمسمائةٍ، قال هو في كتاب مشارب التجارب: أنا أبو الحسن علي بن الإمام أبي القاسم زيد بن الحاكم الإمام أميرك، محمد بن الحاكم أبي عليٍ الحسين بن أبي سليمان الإمام فندق بن الإمام أيوب بن الحسن بن أحمد بن ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن عمرو بن الحسن بن عثمان ابن أيوب بن خزيمة بن عمرو بن خزيمة بن عمرو بن خزيمة بن ثابت بن ذي الشهادتين صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ابن الفاكه بن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن عنان بن عامر ابن خطمة بن جشم بن مالك بن الأوس، ورفع نسبة إلى آدم وذلك يسير كما ذكرناه في عدة مواضع من كتبنا. قال: ومولدي يوم السبت سابع عشرين شعبان سنة تسع وتسعين وأربعمائةٍ، في قصبة السابزوار من ناحية بيهق وهي بلدة بناها ساسان بن ساسان بن بابك ابن ساسان فأسلمني أبي بها إلى الكتاب، ثم رحلنا إلى ناحية ششتمذ من قرى تلك الناحية، ولوالدي بها ضياع، فحفظت في عهد الصبا كتاب الهادي للشاري تصنيف الميداني، وكتاب السامي في الأسامي له، وكتاب المصادر للقاضي الزوزني، وكتاب غريب القران

للعزيزي، وكتاب إصلاح المنطق، وكتاب المنتحل للميكالي، وأشعار المتنبي، والحماسة، والسبعيات، وكتاب التلخيص في النحو. ثم بعد ذلك حفظت كتاب الجمل في اللغة، وحضرت في شهور سنة أربع عشرة وخمسمائةٍ كتاب أبي جعفرٍ المقرئ إمام الجامع القديم بنيسابور مصنف كتاب ينابيع اللغة وغير ذلك، وحفظت في كتابه كتاب تاج المصادر من تصنيفه، وقرأت عليه نحو ابن فضالٍ، وفصلاً من كتاب المقتصد، والأمثال لأبي عبيدٍ، والأمثال للأمير أبي الفضل الميكالي، ثم حضرت درس الإمام صدر الآفاضل أحمد بن محمدٍ الميداني في محرم سنة ست عشرة وخمسمائةٍ، وصححت عليه كتاب السامي في الأسامي من تصنيفه، وكتاب المصادر للقاضي، وكتاب المنتحل، وكتاب غريب الحديث لأبي عبيد، وكتاب إصلاح المنطق ومجموع الأمثال من تصنيفه، وكتاب صحاح اللغة للجوهري. وفي أثناء ذلك كنت أختلف إلى الإمام إبراهيم الخراز المتكلم وأقتبس منه أنوار علوم الكلام، وإلى الإمام محمدٍ الفزاري وسمعت منه غريب الحديث للخطابي وغيرهم، ثم مات والدي في سلخ جمادى الآخرة سنة سبع عشرة وخمسمائةٍ، فانتقلت في ذي الحجة سنة ثماني عشرة إلى مرو، فقرأت على تاج القضاة أبي سعد يحيى بن عبد الملك بن عبيد الله بن صاعدٍ، وكان ملكاً في صورة إنسان، وعلقت من لفظه كتاب الزكاة، والمسائل الخلافية، ثم سائر المسائل على غير الترتيب، وخضت في المناظرة والمجادلة سنةً جردةً حتى رضيت عن نفسي فيه ورضي عني أستاذي، وكنت أعقد جلس الوعظ في تلك المدرسة وفي الجامع، ثم انصرفت عن مرو في ربيعٍ الأول سنة احدى وعشرين وخمسمائةٍ، واشتغلت بمرو بتزويجٍ صدني عن التحصيل صداً، وعدت إلى نيسابور ثم عدت إلى مسقط الرأس وزيارة الوالدة ببيهق، وأقمت بها ثلاثة أشهر وذلك في سنة

إحدى وعشرين، ورجعت إلى نيسابور ثم رجعت إلى بيهق، واتفقت بيني وبين الأجل شهاب الدين محمد ابن مسعودٍ المختار وإلى الري ثم مشرف المملكة مصاهرة، وصرت مشدوداً بوثاق الأهل والأولاد سنين، وفوض إلى قضاء بيهق في جمادى الأولى سنة ستٍ وعشرين وخمسمائةٍ، فبخلت بزماني وعمري على إنفاقه في مثل هذه الأمور التي قصاراها ماقال شريح القاضي: أصبحت ونصف الناس علي غضبان، فضقت ذرعاً ولم أجد بداً من الأنتقال حتى يتقلص عني ظل ذلك الأمر، فقصدت كورة الري ليلة العيد من شوال سنة ست وعشرين وخمسمائةٍ، والوالي بها شهاب الدين صهري، فتلقاني أكابرها وقضاتها وسائر الأجلاء، وأقمت بها إلى السابع والعشرين من جمادى الأولى سنة سبعٍ وستين وخمسمائةٍ، وكنت في تلك المدة أنظر في الحساب والجبر والمقابلة وطرفاً من الأحكام، فلما رجعت إلى خراسان أتممت تلك الصناعة على الحكيم أستاذ خراسان عثمان بن جاذوكار، وحصلت كتباً من الأحكام، وصرت في تلك الصناعة مشاراً إلى، وانتقلت إلى نيسابور في غرة ربيعٍ الآخر سنة تسعٍ وعشرين وخمسمائةٍ، وكان علم الحكمة عندي غير نضيجٍ وعدت إلى بيهق وفي العين قذىً من نقصان الصناعة، فرأيت في المنام سنة ثلاثين قائلاً يقول: عليك بقطب الدين محمدٍ المروزي الملقب بالطبسي النصيري، فمضيت إلى سرخس وأقمت عنده وأنفقت ما عندي من الدنانير والدراهم، وعالجت جروح الحرص بتلك المراهم، وعدت إلى نيسابور في السابع والعشرين من شوال سنة اثنتين وثلاثين، وأقمت معه بنيسابور حتى أصابه الفالج وذلك في رجبٍ سنة ستٍ وثلاثين، فعدت

إلى بيهق في شعبانها فأزعجني عنها حسد الأقارب، فخرجت منها خائفا أترقب في رمضان سنة سبعٍ وثلاثين إلى نيسابور، فأكرمني أكابرها، فكنت أعقد المجلس في يوم الجمعة بجامع نيسابور القديم، ويوم الأربعاء في مسجد المربع، ويوم الاثنين في مسجد الحاج، وتفد على وفود إكرام الوزير ملك الوزراء طاهر بن فخر الملك، وإكرام أكابر الحضرة، فألقيت العصا بنيسابور وأقمت بها إلى غرة رجب سنة تسعٍ وأربعين وخمسمائة، ثم ارتحلت عنها لزيارة والدتي، ومات ولدي أحمد ووالدتي في هذه السنة، وكانت حافظةً للقران عالمة بوجوه تفاسيره.

وهأنا أذكر تصانيفي في هذه المدة: كتاب أسئلة القران مع الأجوبة مجلدة، كتاب إعجاز القرآن

مجلد، كتاب الإفادة من كلمة الشهادة مجلدة، كتاب المختصر من الفرائض مجلد، كتاب الفرائض بالجدول مجلد، كتاب أصول الفقه مجلد، كتاب قرائن آيات القران مجلد، كتاب معارج نهج البلاغة وهو شرح الكتاب مجلد، كتاب نهج الرشاد في الأصول مجلد، كتاب كنز الحجج في الأصول مجلد، كتاب جلاء صدأ الشك في الأصول، كتاب إيضاح البراهين في الأصول مجلد، كتاب الإفادة في إثبات الحشر والإعادة مجلد، كتاب تحفة السادة مجلد، كتاب التحرير في التذكير مجلدان، كتاب الوقيعة في منكر الشريعة مجلد، كتاب تنبيه العلماء على تمويه المتشبهين بالعلماء، كتاب أزاهير الرياض المريعة وتفسير ألفاظ المحاورة والشريعة مجلد، كتاب أشعاره مجلد، كتاب درر السخاب ودرر السحاب في الرسائل مجلد، كتاب ملح البلاغة مجلد، كتاب البلاغة الخفية مجلد، كتاب طرائق الوسائل إلى حدائق الرسائل مجلد، كتاب الرسائل بالفارسي مجلد، كتاب رسائله المتفرقة مجلد، كتاب عقود اللآلئ مجلد، كتاب غرر الأمثال مجلدان، كتاب الانتصار من الأشرار مجلد، كتاب الاعتبار بالإقبال والإدبار مجلد، كتاب وشاح دمية القصر مجلد ضخم، كتاب أسرار الاعتذار مجلد، كتاب شرح مشكلات المقامات الحريرية مجلد، كتاب درة الوشاح مجلد خفيف، كتاب العروض مجلد، كتاب أزهار أشجار الأشعار مجلد، كتاب عقود المضاحك بالفارسي مجلد، كتاب نصائح الكبراء بالفارسية مجلد، كتاب آداب السفر مجلدة، كتاب مجامع الأمثال وبدائع الأقوال أربع مجلدات، كتاب مشارب التجارب أربع مجلداتٍ، كتاب ذخائر الحكم مجلدة، كتاب شرح الموجز المعجز مجلد، كتاب أسرار الحكم مجلدة، كتاب عرائس النفائس مجلدة، كتاب أطعمة المرضى مجلد، كتاب المعالجات الاعتبارية مجلد، كتاب تتمة صوان الحكمة مجلد، كتاب السموم مجلد، كتاب الحساب مجلد، كتاب خلاصة الزيجة مجلد، كتاب أسامي الأدوية وخواصها ومنافعها مجلد وهو معنون بتفاسير العقاقير مجلد ضخم، كتاب جوامع الأحكام ثلاث مجلدات، كتاب أمثلة الأعمال النجومية مجلد، كتاب مؤامرات الأعمال النجومية مجلد، كتاب غرر الأقيسة مجلد، كتاب معرفة ذات الحلق والكرة والأصطرلاب مجلد، كتاب أحكام القرانات مجلد، كتاب ربيع العارفين مجلد، كتاب رياحين العقول مجلد، كتاب الإراحة عن شدائد المساحة مجلد، كتاب حصص الأصفياء في قصص الأنبياء على طريق البلغاء بالفارسية مجلدان، كتاب المشتهر في نقض المعتبر الذي صنفه الحكيم أبو البركات مجلد، كتاب بساتين الأنس ودساتين الحدس في براهين النفس مجلد، كتاب مناهج الدرجات في شرح كتاب النجاة ثلاث مجلدات، كتاب الأمانات في شرح الإشارات، كتاب

رقيات التشبيهات على خفايا المختلطات بالجداول مجلد، كتاب شرح رسالة الطر مجلد، كتاب شرح الحماسة مجلد، كتاب رسالة العطارة في مدح بني الزنارة، كتاب تعليقات فصول بقراط، كتاب شرح شعر البحتري وأبي تمام مجلد، كتاب شرح شهاب الأخبار مجلد.

قال المؤلف: هذا ماذكره في كتاب مشارب التجارب، ووجدت له تاريخ بيهق بالفارسية، وكتاب لباب الأنساب.

قال المؤلف: وقفت بنيسابور عند أول ورودي إليها في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة وستمائةٍ على كتاب وشاح الدمية فقال فيه: إن أبا القاسم الباخرزي فرغ من تصنيف كتاب دمية القصر في جمادى الآخرة سنة ستٍ وستين وأربعمائةٍ، وإنه هو بدأ بتصنيف الوشاح في غرة جمادى الأولى سنة ثمان وعشرين وخمسمائةٍ، وفرغ منه في رمضان سنة خمسٍ وثلاثين.

وأنشد لنفسه في كتاب الوشاح أشعاراً منها في مخلص الدين أبي الفضل محمد بن عاصمٍ كاتب الإنشاء في ديوان السلطان سنجر قال: وهو ابن أخت أبي إسماعيل الطغرائي:

كريم علا أوج النجوم علاه ... وأيقظ نوام المديح نداه

سرى واهتدى طبعي بنجم كما له ... وأحمد في وقت الصباح سراه

له روضة أبدت من الفضل نرجساً ... وغصناً من الإقبال طاب جناه

أعاد رساغ القلب في حبل وده ... وغادر قلبي في صراع هواه

يفرق أشجان الأفاضل يمنه ... ويجمع كل الصيد جوف فراه

لقد زرت أشراف الزمان وإنما ... أبى الفضل إلا أن أزور فناه

وذكره العماد الأصفهاني في كتاب الخريدة ووصفه بالرياسة والشرف وقال: حدثني والدي أنه لما مضى إلى الري عقيب النكبة أصبح ذات يومٍ وشرف الدين البيهقي قد قصده في مركبه وهو حينئذٍ والي الري ونقله إلى منزله وتكفل بتسديد خلله، وكان حينئذٍ يترشح لوزارة السلطان وهو كبير الشان، ومازالا بالري مقيمين متوانسين حتى فرق بينهما محتوم البين، وذلك في سنة ثلاثٍ وثلاثين وخمسمائةٍ.

قال: وأظنه نكب في وقعة السلطان سنجر مع الكفار الخطائية، وكان والدي يثني عليه أبدا ويقول: إنه ما نظر إلى نظيره، ولامثلت لعينه عين مثله، صنف كتاب وشاح الدميه، ذيله على كتاب أبي الحسن الباخرزي وهو موجود بخراسان، وأورد فيه لنفسه:

تراجعت الأمور على قفاها ... كما يتراجع البغل الرموح

وتستبق الحوادث مقدماتٍ ... كما يتقدم الكبش النطوح

وقوله:

يشير بأطرافٍ لطافٍ كأنها ... أنابيب مسكٍ أو أساريع إسحل

وتومي بلحظٍ فاتر الطرف فاترٍ ... بمرود سحرٍ بابليٍ مكحل

ينم على مابيننا من تجاذبٍ ... نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

وله:

يا خالق العرش حملت الورى ... لما طغى الماء على جارية

وعبدك الآن طغى ماؤه ... في صلبه فاحمل على جارية

قال المؤلف: هكذا ذكر العماد في كتابه، وإذا عارضت قوله بما ذكره البيهقي عن نفسه في كتبه الذي نقلت لفظه منه من خطة، وجدت فيه اختلافاً في التاريخ وغيره والله أعلم.

ومن شعر أبي الحسن البيهقي الذي أورده لنفسه في كتاب الوشاح في عزيز الدين أبي الفتوح على بن فضل الله المستوفي الطغرائي ونقلته من خطه:

شموسي في أفق الحياه هلال ... وأمنى من صرف الزمان محال

وأطلب والمطلوب عز وجوده ... وأرجو وتحقيق الرجاء محال

إلى كم أرجى من زماني مسرةً ... وقد شاب من رأس الزمان قذال

وبال الطاووس ألوان ريشه ... وعلم الفتى حقاً عليه وبال

وللدهر تفريق الأحبة عادة ... وللجهل داء في الطباع عضال

لقد ساد بالمال المصون معاشر ... وأخلاقهم للمخزيات عيال

وبينهم ذل المطامع عزة ... وعندهم كسب الحرام حلال

وله:

ضجيعي في ليلى جوىً ونحيب ... وإلفى في نومي ضنىً ولغوب

دجا ليل آمالي وأبطأ صبحه ... وللمنذرات السود فيه نعيب

وتلسعني الأيام فهي أراقم ... وتخدعني الآمال فهي كذوب

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة ... وباعي في ظل الوصال رحيب؟

خليلي لاتركن إلى الدهر آمناً ... فإحسانه بالسيئات مشوب

وكم جاهلٍ قد قال لي أنت ناقص ... فهيج ليث الحقد وهو غضوب

وعيرني بالعلم والحلم والنهى ... قبائل من أهل الهوى وشعوب

فقلت لهم: لاتعذلوني فإنني ... لصفو زجاجات العلوم شروب

وماضرني أني عليم بمشكلٍ ... وقد مس أهل الدهر منه لغوب

لئن عد علم المرء جرماً لديكم ... فذلك جرم لست منه أتوب

كفى حزناً أني مقيم ببلدةٍ ... بها صاحب العلم الرصين غريب

وذكر أيضاً في هذا الكتاب قال: دخلت على الأمير يعقوب بن اسحاق المظفر بن نظام الملك، فأكرمني وقابلني بالتعظيم والتفخيم فقلت بديهةً:

يعقوب يظهر دائماً في لفظه ... عسلاً لديه يطمه يعسوبه

وغدا بحمد الله صدراً مكرماً ... يعلو نطاق المشتري عرقوبه

فسقى أنامله حدائق لفظه ... وجرى على نهج العلا يعبوبه

قد غاب يوسف خاطري عن مصره ... ويشم ريح قميصه يعقوبه
فأشار إلى وقال: هل لك أن تنسج على منوالي فيما قلت؟ فأنشدني لنفسه:
أعاذل مهلاً ليس عذلك ينفع ... وقولك فينا دائماً ليس ينجع
وهل يصبر الصب المشوق على الجوى ... وفي الوصل مشتاق وفي الهجر مجزع؟

يقولون: إن الهجر يشفي من الجوى ... وإن فؤاد الصب في القرب أجزع
بكل تداوينا فلم يشف مابنا ... على أن قرب الدار أجدى وأنفع
نحن إلى ظلٍ من العيشٍ وارفٍ ... وعهدٍ مضى منه مصيف ومربع
فقلت أيها الصدر: ليس للخل حلاوة العسل، وللتكحل طلاوة الكحل، ومن أين للسراج نور الشمس؟ وللكون سبق الخيل الشمس؟ ومن أين للضباب منفعة السحاب؟ فقال: لابد من ذلك، فجمعت العجالة والبداهة هنالك، وقلت في الحال في مقام الارتحال، وكتبت بقلم الارتحال على قرطاس الاستعجال:
سرى طيفه وهناً ولى فيه مطمع ... وبرق الأماني في دجى الهجر يلمع
ويأبى حقين الهجر عذرة طيفه ... فلم أدر في مهوى الهوى كيف أصنع؟
لقد يحمد القوم السرى في صباحهم ... زمان تلاقٍ عنده الشمل يجمع
وهانا أسرى في ظلامي وإنني ... أذم صباحي والخلائق هجع
أقول لصبري أنت ذخرى لدى النوى ... وذخر الفتى حقاً شفيع مشفع
وأسكن ماء العين نارى وإنما ... هواء الهوى من تربة الطيف أنفع
رأيت معيدي الخيال فقال من ... جهينة أخبار المعيدي تسمع
دعوت إلى جيش الهوى جندب الهوى ... فولى وطرف العين في النوم يرتع
وقال لنفسي: لاتموتي صبابةً ... لعل زماناً قد مضى لك يرجع
ولم يبق مني غير ماقلت منشداً ... حشاشة نفسٍ ودعت يوم ودعوا
فلاذ بشمس الدين يعقوب من له ... نجوم لها في مشرق المجد مطلع
أجلك يا يعقوب عن كنه مدحتي ... لأنك عن مدحي أجل وأرفع
قال: ثم شرفني بعد ذلك بقصيدةٍ أولها: ألا أبلغ إلى سلمى السلاما فأجبت وقلت بعد الجواب علاوةً للتصديع والإبرام، على طريق أداء شكر المنعم اللائق بأحوال الخدم:
يا صاحبي كسدت أسواق أشواقي ... والتفت الساق يوم الهجر بالساق
باليت شعري هل سعد يساعدني ... أم هل لداء الهوى من الناس من راق؟
أم هل سبيل إلى سلوان مكتئبٍ ... أم هل طريق إلى إيناس مشتاق؟
يا نجل اسحاق يا من ثوب سوددِه ... قد جل في الدهر عن وهي ابن اسحاق
فما تمهلت في يومي وغىً وندىً ... إلا قضيت بآجالٍ وأرزاق
وكل ذكرٍ وإن طال الزمان به ... فانٍ وذكرك في نادي الندى باق

علي سليمان الأديب البغدادي

أبو الحسن، أحد الفضلاء المبرزين والظراف المشهورين قرأت بخط أبي سعدٍ قال: ذكر أبو المظفر محمد بن العباس الأبيوردي في كتاب تعلة المشتاق من تصنيفه قال فيه: وقد صممت العزم على معاودة الحضرة الرضوية بخراسان لأنهى إليها ماقاسيته في التأخر عن الخدمة، وعلم الأديب أبو الحسن علي بن سليمان صرى عزمى، فجشم إلى قدمه، وجرى على عادته الرضية في رعاية جانبي تمهيداً لما استمر بيننا من أواصر المودة، ولعمر الفضل إني لم أجد في غربتي هذه فاضلاً يباريه، ولاظريفاً يجاريه، ومن وصف البغدادي بالفضل والظرف فقد كساه الثناء المختصر، وحمل التمر إلى هجر، ومن مليح ماأسمعنيه أنه قال: سألنا أبا القاسم عبد العزيز بن أحمد بن ناقيا البغدادي قلت هكذا، قال عبد العزيز، وصوابه عبد الله ذكرناه في بابه من هذا الكتاب، عن المتنبئ وابن نباته والرضي فقال: إن مثلهم عندي مثل رجلٍ بنى أبنيةً شاهقةً وقصوراً عاليةً وهو المتنبي، فجاء آخر وضرب حولها سرادقات وخيماً، وهو ابن نباته، ثم جاء الرضي ينزل تارةً عند هذا، وتارةً عند ذاك، قلت فأنشدني قال: أنشدني أسبهدوست بن محمد بن أسفارٍ الديلمي قال: أنشدني أبو الفرج الببغاء لنفسه:

أشقيتني فرضيت أن أشقى ... وملكتني فقتلتني عشقا
وزعمت أنك لاتكلمني ... عشراً فمن لك أنني أبقى؟
ليس الذي تبغيه من تلفى ... متعذراً فاستعمل الرفقا

قال الأبيوردى: وبهذا الإسناد قال: أنشدني ابن الحجاج لنفسه:

ياصروف الدهر حسبي ... أي ذنبٍ كان ذنبي؟

علة عمت وخصت ... لحبيبٍ ومحب
أنا أشكو حر حبٍ ... وهو يشكو برد حبي

قال الأبيوردي: فقل في محبوبٍ حربٍ، وعاشقٍ طربٍ.

علي بن سليمان

يلقب حيدرة اليمنى النحوي التميمي، كان من وجوه أهل اليمن وأعيانهم علماً ونحواً وشعراً، وصنف كتباً منها: كتاب في النحو سماه كشف المشكل في مجلدين، وقال فيه يمدحه:

صنفت للمتأدبين مصنفاً ... سميته بكتاب كشف المشكل
سبق الأوائل مع تأخر عصره ... كم آخرٍ أزرى بفضل الأول
قيدت فيه كل ماقد أرسلوا ... ليس المقيد كالكلام المرسل

ومولده ببلاد بكيلٍ من أعمال ذمار، ومات سنة تسعٍ وتسعين وخمسمائةٍ، ومن شعره يحصره جمع التكسير:

سألت عن التكسير فاعلم بانها ... ثمانية أوزان جمع المكسر

فأربعة أوزان كل مقللٍ ... وأربعة أوزان كل مكثر
فعال وأفعال وفعل وأفعل ... وأفعلة منها وفعلات فانظر
ومنها فعول ياأخي وفعلة ... وتمثيلها إن كنت لما تصور
جمال وأفراس وأسد وأكبش ... وأكسية حمر لفتيان حمير
أتونا عشاء في ربوع لفتيةٍ ... من الغلبيين الكرام ويشكر
وكل خماسٍ إذا ماجمعته ... فآخره فاحذف ولاتتعثر
فتجمع قرطعباً قراطع سالكاً ... به مسلك الجمع الرباعي المكثر

قلت أنا: هذا عجب ممن صنف كتاباً كبيراً في النحو يقول: جمع المكثر أربعة أوزان وهي على نحوٍ من خمسين وزناً.

علي بن سليمان بن الفضل الأخفش

أبو الحسن، وهو الأخفش الصغير، وهناك الأخفش الأكبر، وهو أبو الخطاب عبد الحميد وقد ذكر، والأوسط وهو أبو الحسن سعيد بن مسعدة وقد مر في بابه، وهناك أخفش آخر، وهو عبد العزيز بن أحمد المغربي الأندلسي، وقد ذكر في بابه أيضا وغيرهم. ومات علي بن سليمان هذا في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائةٍ، ودفن بمقبرة قطرة البردان، وذكر ذلك المزرباني. قال المزرباني في كتاب المقتبس: ذكر جماعة لقيناهم من النحويين وأهل اللغة. منهم علي بن سليمان بن الفضل الأخفش، ولم يكن بالمتسع في الرواية للأخبار والعلم بالنحو، وما علمته صنف شيئاً ألبته ولاقال شعراً، وكان إذا سئل عن مسائل النحو ضجر وأنتهر كثيرا من يواصل مساءلته ويتابعها، ثم ذكر وفاته كما تقدم قال: وشهدته يوماً وصار إليه رجل من حلوان كان يلزمه فحين رآه قال له:

حياك ربك أيها الحلواني ... ووقاك ما يأتي من الأزمان

ثم التفت إلينا وقال: ما نحن من الشعر إلا هذا وماجرى مجراه. هكذا ذكر أبو عبيدة الله تلميذه وصاحبه. وقال الجوهرى: الأجلع: الذي لاتنضم شفتاه على أسنانه، وكان الأخفش الأصغر النحوي أجلع. ووجدت في كتاب فهرست ابن النديم بخط مؤلفه، وذكر الأخفش هذا فقال: له من التصانيف: كتاب الأنواء، وكتاب التثنية والجمع، وكتاب شرح سيبويه حدثني الصاحب الوزير جلال الدين القاضي الأكرم أبو الحسن علي بن يوسف القفطي – أدام الله أيامه – أنه ملكه في خمسة أجلادٍ. وكتاب تفسير رسالة كتاب سيبويه رأيته في نحو خمس كراريس، وكتاب الحداء، ووجدت أهل مصر ينسبون إليه كتاباً في النحو هذبه أحمد بن جعفرٍ الدينوري وسماه المهذب. وحدث أبو عبيدة الله: حضرت يوماً أبا الحسن الأخفش ودفع كتاباً إلى بعض من كان في مجلسه ليكتب عليه اسمه، فقال له أبو الحسن: خفش خفش يريد اكتب الأخفش ثم قال: أنشدنا أبو العباس المبرد:

لاتكرهن لقباً شهرت به ... فلرب محظوظٍ من اللقب
قد كان لقب مرة رجل ... بالوائلي فعد في العرب

قال الأخفش: دعاني سوار بن أبي شراعة فتأخرت عنه وكتب إلى:

مضى النور واشتبهم الأغطش ... وأخلفني وعده الأخفش
وحال وحالت به شيمة ... كما حال عن لونه البرقش
أبا حسن كنت لي مألفاً ... فمالك عن دعوتى تطرش
وكنت لأعدائك الشانئيك ... سماماً كما نفث الأرقش
وكنت بقربك في روضةٍ ... فها أنا والبلد المعطش

إذا قلت قرطست في صاحبٍ ... نزعت كما ينزع المرعش
وسيان عندي من عقني ... عقوقك والحية الحربش
أقول وماحلت عن عهده ... رأيتك كالناس إذ فتشوا

وحدث – أخلي في الأصل – قال: كان ابن الرومي كثير الهجاء للأخفش، وذاك أن ابن الرومي كان كثير الطيرة وكان الأخفش كثير المزاح، وكان يباكره قبل كل أحدٍ فيطرق الباب على ابن الرومي فيقول: من بالباب؟ فيقول الأخفش: حرب بن مقاتلٍ، وما أشبه ذلك، فقال ابن الرومي يهجوه ويتهدده:

قل لنحوينا أبي حسنٍ ... إنى حسام متى ضربت مضى
لاتحسبن الهجاء يحفل بال ... رفع ولاخفض خافضٍ خفضا
كأنني بالشقي معتذرا ... إذا القوافي أذقنه مضضا
ينشدني العهد يوم ذاك ولل ... عهد خضاب أزاله فنضا

قال المزرباني: فحدثني المظفر بن يحيى قال: حدثني أبو عبد الله النحوي أن الأخفش قال يوما لابن الرومي: إنما كنت تدعى هجاءٍ مثقالٍ، فلما مات مثقال انقطع هجاؤك. قال فاختر على قافيةً. قال: على روى قصيدة دعبلٍ الشينية، فقال قصيدته التي يهجوه فيها ويجود حتى لايقدر أحد أن يدفعه عن ذلك، ويفحش حتى يفرط أولها:

ألا قل لنحويك الأخفش ... أنست فأقصر ولاتوحش
وماكنت عن غيةٍ مقصراً ... وأشلاء أمك لم تنبش

قال فيها:

أما والقريض ونقاده ... ونجشك فيه مع النجش
ودعواك عرفان نقاده ... بفضل النقى على الأنمش
لئن جئت ذا بشرٍ حالكٍ ... لقد جئت ذا نسبٍ أبرش
وماواحد جاء من أمه ... بأعجب من ناقدٍ أخفش
كأن سنا الشتم في عرضه ... سنا الفجر في السحر الأغبش
أقول وقد جاءني أنه ... ينوش هجائي مع النوش
إذا عكس الدهر أحكامه ... سطا أضعف القوم بالأبطش

وماكل من أفحشت أمه ... تعرض للقذع الأفحش

وهي قصيدة طويلة، ولما سار هجاؤه في الأخفش، جمع الأخفش جماعةً من الرؤساء، وكان كثير الصدق، فسألوا ابن الرومي أن يكف عنه، فأجابه إلى الصفح عنه، وسألوه أن يمدحه بما يزيل عنه عار هجائه فقال فيه:

ذكر الأخفش القديم فقلنا: ... إن للأخفش الحديث لفضلا

فإذا ماحكمت والروم قومي ... في كلامٍ معربٍ كنت عدلا

أنا بين الخصوم فيه غريب ... لا أرى الزور للمحاباة أهلا

ومتى قلت باطلاً لم ألقب ... فيلسوفاً ولم أسمى هرقلا

وذكر الزبيدي أن الأخفش كان يتحفظ هجاء ابن الرومي له ويمليه في جملة مايملي، فلما رأى ابن الرومي أنه لم يألم لهجائه ترك هجوه. وكان الأخفش قد قرأ على ثعلب والمبرد وأبي العيناء واليزيدي.

وحدث الأخفش قال: استهدى إبراهيم بن المدبر المبرد جليساً يجمع إلى تأديب ولده الاستمتاع بإيناسه ومفاكهته، فندبني إليه وكتب معي: قد أنفذت إليك – أعزك الله – فلاناً وجملة أمره:

إذا زرت الملوك فإن حسبي ... شفيعاً عندهم أن يخبروني

وقدم الأخفش هذا مصر في سنة سبعٍ وثمانين ومائتين، وخرج منها سنة ثلاثمائةٍ إلى حلب مع علي ابن أحمد بن بسطام صاحب الخراج فلم يعد إلى مصر.

وحدث أبو الحسين هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابئ في كتابه كتاب الوزراء قال:

حكى لي أبو الحسن ثابت بن سنان قال: كان أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش مواصل المقام عند أبي علي بن مقلة ويراعيه أبو علي ويبره. فشكا إليه في بعض الأيام الإضاقة، وسأله أن يكلم أبا الحسن على بن عيسى وهو يومئذٍ وزيره في أمره، وسأله إجراء رزقٍ عليه في جملة من يرتزق من أمثاله، فخاطبه أبو علي وسأل أن يجري عليه رزقاً في جملة الفقهاء، فأنتهره علي بن عيسى انتهاراً شديداً وأجابه جواباً غليظاً، وكان ذلك في مجلسٍ حافلٍ، ومجمعٍ كاملٍ فشق على أبي عليٍ وماعامله به، وقام من مجلسه وقد اسودت الدنيا في عينيه، وصار إلى منزله لائماً لنفسه على سؤال علي بن عيسى ما سأله، وحلف أنه يجرد في السعي عليه، ووقف الأخفش على الصورة واغتم وانتهت به الحال إلى أن أكل الشلجم النيىء، وقيل إنه قبض على قلبه فمات فجأة، وكان موته في شعبان سنة خمس عشرة وثلاثمائةٍ.

علي بن سهل بن العباس

أبو الحسن النيسابوري المفسر العالم العابد الدين، ذكره عبد الغفار في السياق وقال: مات في ثالث عشر ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وأربعمائةٍ، ووصفه فقال: نشأ في طلب العلم وتبحر في العربية، وكان من تلامذة أبي الحسن الواحدي

علي بن طاهر بن جعفر

أبو الحسن السلمى النحوي. نقلت من خط ابن اللبان قال: نقلت من خط السمعاني قال: أخبرني أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الحافظ الدمشقي أنه سمع عبد الله بن سلوان وغيره، وكان ثقةً ديناً وقلما يكون النحوي ديناً، ذكر ابن الأكفاني أنه مات في الحادي والعشرين من شهر ربيعٍ الأول سنة خمسمائةٍ، وذكر الحافظ في تاريخ دمشق قال: علي بن طاهر بن جعفر بن عبد الله أبو الحسن القيسي السلمي النحوي، سمع أبا عبد الله ابن سلوان وأبا القاسم بن الشمشاطي، وأبا نصرٍ أحمد ابن علي بن الحسن الكفرطابي وذكر جماعةً قال: وروى عنه غيث بن علي.

وحدثنا عنه الفقيه أبو الحسن السلمي، وخالي القاضي أبو المعالي، وجميل بن تمامٍ، وحفاظ بن الحسن، وكان ثقةً وكانت له حلقة في الجامع، وقف فيها خزانةً فيها كتبه. ذكر أبو محمد بن صابرٍ أنه سأله عن مولده فقال: سنة إحدى وثلاثين وأربعمائةٍ. وذكر ابن الأكفاني أن أبا الحسن بن طاهرٍ النحوي مات يوم الحادي والعشرين من شهر ربيعٍ الأول سنة خمسمائةٍ.

علي بن طلحة بن كردان النحوي

أبو القاسم. قال أبو غالب بن بشران: كان ابن كردان يعرف بابن الصحناتي ولم يبع قط الصحناة، وإنما كان أعداؤه يلقبونه بذلك فغلب عليه قال: وهذا الشيخ أول الشيوخ الذين قرأت عليهم الأدب: قال السلفي الحافظ: سألت خميس بن عليٍ الحوزي عن ابن كردان فقال: صحب أبا علي الفارسي وعلي بن عيسى الرماني، وقرأ عليهما كتاب سيبويه، والواسطيون يفضلونه على ابن جنيٍ والربعي، صنف كتاباً كبيراً في إعراب القران، قال لي شيخنا أبو الفتح: كان يقارب خمسة عشر مجلداً، ثم بدا له فيه فغسله قبل موته، مات سنة أربعٍ وعشرين وأربعمائةٍ، وكان متنزهاً متصوناً، ركب إليه فخر الملك أبو غالبٍ محمد بن علي ابن خلفٍ وزير ابن بهاء الدولة وهو سلطان الوقت، وبذل له فلم يقبل، وكان قد جرت بينه وبين القاضي أبي تغلب أحمد بن عبيد الله العاقولي صديق الوزير المغربي وخليفة السلطان والحكام على واسط في وقته خصومة، وكان معظماً مفخماً، فقال له ابن كردان: إن صلت علينا بمالك صلنا عليك بقناعتنا. وآخر من حدث عنه أبو المعالي محمد بن عبد السلام بن شاندة، وذكره أبو عبد الله محمد بن سعيد الدبيني في نحاة واسط فقال: علي بن طلحة بن كردان النحوي أبو القاسم الواسطى المولد والدار، أخذ النحو عن أبي علي الفارسي وأبي بكر بن الجراح صاحب ابن الأنباري، قال ابن بشران: هو أول شيخٍ قرأت عليه ووصفه بالفضل والمعرفة، وعنه أخذ النحو أبو الفتح محمد بن محمد ابن مختار وغيره من الواسطيين وكان شاعرا، ومن شعره ذم واسط:

سئم الأديب من المقام بواسطٍ ... إن الأديب بواسطٍ مهجور

يابلدةً فيها الغنى مكرم ... والعلم فيها ميت مقبور

لاجادك الغيث الهطول ولااجتلى ... فيك الربيع ولاعلاك حبور
شر البلاد أرى فعالك ساتراً ... عني الجميل، وشرك المشهور

حدث أبو الجوائز الحسن بن علي بن باري الكاتب الواسطي قال: اجتمع معنا في حلقة شيخنا أبي القاسم علي بن كردان النحوي سيدوك الشاعر ونحن في الجامع بواسط بعد صلاة الجمعة وجرى في عرض المذكرات ذكر من أحال على قلبه بالعشق، ومن أحال على ناظره به أيضاً ومضت أناشيد في ذلك، فقال أبو طاهرٍ سيدوك: قد حضرني في هذا المعنى شيء وأنشدنا:

ياقلب من هذا حذرت عليكا ... ذق ما جنيت فكم نصحت اليكا
إنضج بنارك لاأراحك حرها ... فلطالما ضاع العتاب لديكا
لما أطعت الطرف ثم عصيتني ... علق الهوى ياقلب من طرفيكا

وسمعت أذان العصر فقلت لشيخنا: أكتبها قبل إقامة الصلاة أو إذا صلينا؟ قال: اكتبها ولوأن الإمام على المنبر، وأنشدنا حينئذ لنفسه:

أبصرت في المأتم مقدودةً ... تقضى ذماماً بتكاليفها
تشير باللطم إلى وجنةٍ ... ضرجها مبدع تأليفها
إذا تبدى الصبح من وجهها ... جمشة ليل تطاريفها

وحدث أبو غالب بن بشران النحوي. قال: أنشدني أبو القاسم على بن طلحة بن كردان النحوي قال: أنشدني أبو طاهر سيدوك لنفسه وكان يعرض على شعره، وقد ابتكر معنى غريباً وإن كان اللفظ قريباً:

إن دائي الغداة أبرح داء ... وطبيبي سريرة ماتبوح
يحسبوني إذا تكلمت حياً ... ربما طار طائر مذبوح

قال ابن كردان وأنشدني سيدوك أيضاً لنفسه:

أستودع الله من بانوا فلا نظري ... مني ولاأذني عندي ولابصري
عهدي بنا ورداء الوصل يشملنا ... والليل أطوله كاللمح بالبصر
والآن ليلى مذ غابوا فديتهم ... ليل الضرير وصبحي غير منتظر

علي بن ظافر بن الحسين الأزدي

وكنية ظافرٍ أبو المنصور، وهو مصري وزر للملك الأشرف موسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب، وكان نعم الرجل، له علوم جمة وفضائل كثيرة، ثم ترك الوزارة وعاد إلى مصر فتوفى بها في منتصف شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائةٍ عن ثمان وأربعين سنةً.

وله من التصانيف: كتاب بدائع البدائة فيمن قال شعراً على البديهة، وكتاب مكرمات الكتاب، وكتاب أخبار الشجعان، وكتاب من أصيب بمن اسمه علي وابتدأ بعلي بن أبي طالبٍ عليه السلام، وكتاب الدول المنقطعة، وكتاب التشبيهات، وكتاب أسس السياسة، وكتاب أخبار السلجوقية.

علي بن العباس النوبختي

أبو الحسن، أحد مشايخ الكتاب وأهل الأدب المشاهير والمروءة. روى من أخبار البحتري وابن الرومي قطعةً حسنةً، ومات سنة تسع وعشرين وثلاثمائةٍ بعد سن عاليةٍ، وهو القائل لابن عمه أبي سهل اسماعيل بن عليٍ النوبختي وشرب دواءً:

يامحي العارفات والكرم ... وقاتل الحادثات والعدم
كيف رأيت الدواء وأعقبك ال ... له شفاءً به من السقم؟
لئن تخطت إليك نائبة ... حطت بقلبي ثقلاً من الألم
شربت فيها الدواء مرتجياً ... دفع أذى من عظامك العظم
والدهر لابد محدث طبعاً ... في صفحتي كل صارمٍ خذم

علي بن عبد الله بن سنان الطوسي

أبو الحسن التيمي أحد أعيان علماء الكوفة، أخذ عن ابن الأعرابي، وكان عدواً لابن السكيت لأنهما أخذا عن نصران الخراساني واختلفا في كتبه بعد موته، – أخلي في الأصل – ذكره المرزباني فقال: حدثنا محمد بن يحيى عن إبراهيم بن المعلى الباهلي قال: أكثرت يوماً سؤال الطوسي فقال متمثلاً:

يسر ويعطى كل شيء سألته ... ومن يكثر التسآل لابد يحرم

قال: ووجه بإنسان في حاجةٍ فقصر فقال:

نحلت وكلفناك مالم تقم به ... وهل تحمل الفصلان أحمال بزل؟

قال محمد بن إسحاق: كان الطوسي راويةً لأخبار القبائل وأشعار الفحول، ولقى مشايخ البصريين والكوفيين.

قال: ولامصنف له. وكان شاعراً ذكر له المزرباني قوله:

هجم البرد ولاأم ... لك إلا رواية العربية
وقميصاً لو هبت الريح لم يب ... ق على عاتقي منه بقية
هل يفل الفناء عني فنون ال ... علم إن أعصفت شمال عرية؟

قال: وقال أحمد بن أبي طاهرٍ يرثي الطوسي الراوية بقصيدةٍ طويلةٍ منها:

من عاش لم يخل من همٍ ومن حزن ... بين المصائب من دنياه والمحن
والموت قصد امرئ مد البقاء له ... فكيف يسكن من عيشٍ إلى سكن
وإنما نحن في الدنيا على سفر ... فراحل خلف الباقي على الظعن
ولا أرى زمناً أردى أبا حسنٍ ... وخان فيه على حرٍ بمؤتمن
لقد هوى جبل للمجد لو وزنت ... به الجبال الرواسي الشم لم تزن

وأصبح الحبل حبل الدين منتثراً ... وأدرج العلم والطوسي في كفن
من لم يكن مثله في سالف الزمن ... ولم يكن مثله في غابر الزمن؟

علي بن عبد الله بن علي بن الحسين

ابن زيد بن علي بن الحسن بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالبٍ عليهم السلام، أبو القاسم العلوي المعروف بالشبيه. سمع محمد بن المظفر، وكتب عنه علي بن أحمد الحافظ وقال: كان ديناً حسن الاعتقاد يورق بأجرةٍ ويأكل من كسب يده، ويواسي الفقراء من كسبه، سألته عن مولده فقال: ولدت في ليلة عيد الأضحى سنة ستين وثلاثمائةٍ، ومات في العشر الأول من رجبٍ سنة إحدى وأربعين وأربعمائةٍ.
قال الشريف أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن محمدٍ العلوي العمري النسابة في كتاب الشافي في النسب من تصنيفه: ومنهم – يعني من ولد الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام – زيد النسابة الجليل صاحب كتاب المبسوط، – ويلقب الشبيه – ابن علي بن الحسين بن زيدٍ الشهيد عليه السلام، فمن ولده ببغداد أبو الفضل الحسن صاحب العوجاء، وأخوه أبو القاسم علي الموضح الناسخ، له خط مليح ابنا أبي محمد عبد الله ابن عبد الله الحسين النقيب بن علي بن الحسين بن زيد الشبيه، به يعرفون، – وله بقية – . وجدت على ظهر ديوان عروة بن الورد بخط ابن الشبيه وكان الديوان كله بخطه:

ديوان عروة العبسي أوضحه ... خط امرئ زاده حسنا وتبيينا
تجل الأكارم من آل الشبيه فتى ... بجده ختم الله النبيينا
صلى الإله عليه مادجا غسق ... ويرحم الله عبدا قال آمينا

علي عبد الله بن أحمد النيسابوري

المعروف بابن أبي الطيب، مولده بنيسابور، وموطنه قصبة سابزوار، وكان له معرفة تامة بالقران وبتفسيره، مات في ثامن شوالٍ سنة ثمان وخمسين وأربعمائةٍ، ودفن في مقبرة سابزوار، وقد عمل أبو القاسم علي بن محمد أبن الحسين بن عمروٍ من دهاقين وميمولان مدرسةً باسمه في محلة اسفريس في رمضان سنة عشرٍ وأربعمائةٍ، وأثرها إلى الآن باقٍ، وكان له تلاميذ كثيرة منهم أبو القاسم علي بن محمد بن الحسن بن عمروٍ وغيره، وله عدة تصانيف في تفسير القران المجيد منها: كتاب التفسير الكبير في ثلاثين مجلداً، وكتاب التفسير الأوسط أحد عشر مجلداً، وكتاب التفسير الصغير ثلاث مجلداتٍ. وكان يملي ذلك من حفظه، ولما مات رحمه الله لم يوجد في خزانة كتبه إلا أربع مجلداتٍ، أحدها فقهي، وآخر أدبي، ومجلدان في التاريخ، ودفن في مقبرة سابزوار، وعنده دعوة مستجابة مجربة، وحمل في سنة أربع عشرة وأربعمائةٍ إلى السلطان محمود بن سبكتكين، فلما دخل عليه جلس بغير إذنٍ وشرع في روايةٍ خبرٍ عن النبي صلى الله عليه وسلم بغير أمرٍ من السلطان، فقال السلطان لغلامٍ: يا غلام ده رأسه، فلكمه على رأسه لكمةً كانت سبباً إلى قلة

سمعه وطرشه، ثم عرف السلطان منزلته من الدين والعلم والنزاهة والورع فاعتذر إليه وأمر له بمالٍ فلم يقبله وقال: لاحاجة لى في المال، فإن استطعت أن ترد على ماأخذته مني قبلته وهو سمعي، فقال له السلطان: أيها الرجل، إن للملك صولةً وهو مفتقر إلى السياسة، ورأيتك قد تعديت الواجب فجرى مني ماجرى، والآن فأحب أن تجعلني في حلٍ. فقال: الله بيني وبينك بالمرصاد، ثم قال له: إنما أحضرتني لسماع الواعظ وأخبار الرسول والخشوع، لالإقامة قوانين الملك واستعمال السياسة، فإن ذلك يتعلق بالملوك وأمثالهم لابالعلماء، فخجل السلطان وجبذ برأسه إليه وعانقه. ومن كلامه في خطبة التفسير: الزمان زمان سفهاء السفل، والقران قران انقلاب النحل والفضل في أبنائه فضول، وطلوع التمييز فيهم أفول، والدين دين، والدنيا عين، وإن تحلى أحدهم بالعلوم، وادعى أنه في الخصوص من العموم، فغايته أن يقرأ القران وهو غافل عن معانيه، ويتحلى بالفضل وهو لايدانيه، ويجمع الأحاديث والأخبار، وهو فيها مثل الحمار يحمل الأسفار. وله ديوان شعرٍ ومن شعره في دمية القصر:

فلك الأفاضل أرض نيسابور ... مرسى الأنام وليس مرسى بور

دعيت أبرشهر البلاد لأنها ... قطب وسائرها رسوم السور

هي قبة الإسلام نائرة الصوى ... فكأنها الأقمار في الديجور

من تلق منهم تلقه بمهابةٍ ... زفت عليه بفضله الموفور

لهم الأوامر والنواهي كلها ... ومدى سواهم رتبة المأمور

نقلت جميع ذلك من تاريخ بيهق لأبي الحسن بن أبي القاسم البيهقي مصنف كتاب وشاح الدمية.

علي بن عبد الله بن محمد بن الهيصم

الهروي الإمام صدر الإسلام مات – انقطع في الأصل – ذكره أبو الحسن البيهقي في كتاب الوشاح فقال: قد بلغ من العلم أطوريه، فلا فضل إلا وهو منسوب إليه، ورست بالفصاحة قواعده، واشتد بالزهادة ساعده، وقد اختلفت مدةً مديدةً إليه، وقرأت ماشئت من دقائق العلوم عليه، ووجدته حالاً عقود المشكلات، فاتق رتوق المعضلات، ولعمري إنه – رحمه الله – كشف عن العلوم نقابها، ورفع عن الحقائق حجابها، فلم يكن في عصره فاضل إلا وقد اغترف من بحاره، واقتبس من أنواره، وتصانيفه كثيرة، وسعيه مشهور، وسعى الناظر فيه مشكور، ومن تصانيفه: كتاب مفتاح البلاغة، كتاب البسملة، كتاب نهج الرشاد، كتاب عقود الجواهر، كتاب لطائف النكت، كتاب تصفية القلوب، كتاب ديوان شعره، ومن منظومه:

ضحك الربيع بعبرة الأنداء ... ومن العجائب ضاحك ببكاء

خرجت له نحو الشتاء كتيبة ... ذعرت مواكبه عن الصحراء

ركبت فوارسه الهواء فجردت ... سيف جلا جيش الدجى بضياء

رق الربيع لها فأرسل نحوها ... بشرى بغيم في نسيم هواء

والغصن قرط أذنه بدراهمٍ ... مضروبةٍ من فضةٍ بيضاء

والروض ألبس حلةً موشيةً ... أحسن بها من صنعة الأنداء
قضبان نخلٍ أخرجت ذهباً لنا ... أعجب بها من صيرفٍ معطاء

وشقائق النعمان تشبه صارخاً ... متظلماً متشحطاً بدماء
والزعفران كأنما فرشت به ... ديباجة نسجت من القمراء
ساءلتها هلا برزت لناظرٍ ... صبٍ كشيبٍ هائمٍ بكاء؟
فأبت وآلت لايحل نقابها ... إلا مجير الدولة الغراء
وله:
هنيئاً لك العيد المبارك ياصدر ... وساعدك الإقبال واليمن والنصر
إذا ماأعاد العيد للناس نضرةً ... فقد ألبس الأعياد من وجهك البشر
وإن نشرت أعلام دين محمدٍ ... فذكرك في أقصى البلاد له نشر
وإن أحرم الحجاج عن جل حالهم ... فأحرم عمن دونك الفضل والفخر
وإن كان لبى للزيارة محرم ... فلبى إلى أوصافك النظم والنثر
وإن جمعوا فرضين ثم وقصروا ... فللدين والدنيا بك الجمع والقصر
وإن طوفوا بالبيت سبعاً وأحرموا ... فما طاف إلا بابك الأنجم الزهر
وإن ضحت الأقوام بالبدن سنةً ... فضح بمن عاداك ماانفلق الفجر

علي بن عبد الله بن وصيف الناشئ

الحلاء، ويكنى أبا الحسين. قال ابن عبد الرحيم: حدثني أبو عبد الله الخالع قال: حدثني الناشئ قال: كان جدي وصيف مملوكا، وكان عبد الله أبي عطاراً في الحضرة بالجانب الشرقي، وكنت لما نشأت معه في دكانه كان ابن الرومي يجلس عندنا وأنا لاأعرفه، وكان يلبس الدراعة وثيابه وسخة، وانقطع عنا مدةً فسألت عنه أبي وقلت: مافعل ذلك الشيخ الوسخ الثياب الذي كان يجلس الينا؟ فقال: ويحك ذاك ابن الرومي وقد مات، فندمت إن لم أكن أخذت عنه شيئاً ولاعرفته في حال حضوره وتشاغلت بالصنعة عن طلب العلم، ثم لقيت ثعلباً ولم آخذ عنه إلا أبياتا منها:
إن أخا الإخوان من يسعى معك ... ومن يضر نفسه لينفعك
قال الخالع: وكان الناشئ قليل البضاعة في الأدب قئوماً بالكلام والجدل، يعتقد الإمامة ويناظر عليها بأجود عبارةٍ، فاستنفد عمره في مديح أهل البيت حتى عرف بهم، وأشعاره فيهم لاتحصى كثرةً، ومدح مع ذلك الراضي بالله وله معه أخبار، وقصد كافوراً الإخشيدي بمصر وامتدحه، وامتدح ابن حنزابة وكان ينادمه، وطرى إلى البريدي بالبصرة، وإلى أبي الفضل بن العميد، بأرجان، وعضد الدولة بفارس، وكان مولده على ماخبرني به سنة إحدى وسبعين ومائتين، ومات يوم الاثنين لخمسٍ خلون من صفرٍ سنة خمسٍ وستين وثلاثمائةٍ، وكنت حينئذٍ بالري فورد كتاب ابن بقية إلى ابن العميد بخبره، وقيل: إنه شيع جنازته ماشيا وأهل

الدولة كلهم، ودفن في مقابر قريشٍ وقبره هناك معروف.
قال الخالع: ولم يخلف عقباً ولاعلمت أنه تزوج قط، وكان يميل إلى الأحداث ولايشرب النبيذ، وله في المجون والولع طبقة عالية، وعنه أخذ مجان باب الطاق كلهم هذه الطريقة، وكان يخلط بجده ومناظرته هزلاً مستلمحاً ومجوناً مستطاباً يعتمد به إخجال خصمه وكسر حده، وله في ذلك أخبار مشهورة، وكانت له جارية سوداء تخدمه، فدخل يوماً إلى دارأخته وأنامعه، فرأى صبياً صغيراً أسود فقال لها: من هذا؟ فسكتت فألح عليها فقال: ابن بشارة، فقال: ممن؟ فقالت من أجل هذا أمسكت، فاستدعى الجارية وقال لها: هذا الصبي من أبوه؟ فقالت ماله أب، فالتفت إلى فقال: سلم إذاً على المسيح عليه السلام.
قال ابن عبد الرحيم: حدثني الخالع قال: حدثني الناشئء قال: أدخلني ابن رائقٍ على الراضي بالله، وكنت مداحاً لابن رائق ونافقاً عليه، فلما وصلت إلى الراضي قال لي: أنت الناشئ الرافضي؟ فقلت خادم أمير المؤمنين الشيعي. فقال: من أي الشيعة؟ فقلت: شيعة بني هاشمٍ: فقال: هذا خبث حيلةٍ. فقلت: مع طهارة مولدٍ. فقال هات مامعك. فأنشدته فأمر أن يخلع على عشر قطع ثياباً، وأعطى أربعة آلاف درهم، فأخرج إلى ذلك وتسلمته وعدت إلى حضرته فقبلت الأرض وشركته وقلت: أنا ممن يلبس الطيلسان. فقال: هاهنا طيالس عدنية، أعطوه منها طيلساناً، وأضيفوا إليها عمامة خزٍ ففعلوا. فقال: أنشدني من شعرك في بني هاشم فأنشدته:

بني العباس إن لكم دماءً ... أراقتها أمية بالدخول
فليس بهاشميٍ من يوالي ... أمية واللعين أبا زبيل

فقلت مابينك وبين أبي زبيلٍ؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم. فابتسم وقال: انصرف. قال الخالع: وشاهدت العمامة والطيلسان معه وبقيا عنده إلى أن مات. قال: وحدثني الخالع قال: كان أبو الحسن شيخاً طويلاً جسيماً عظيم الخلقة، عريض الألواح، موفر القوة، جهوري الصوت، عمر نيفاً وتسعين سنةً، لم تضطرم أسنانه، ولاقلع سناً منها ولامن أضراسه. وكان يعمل الصفر ويخرمه، وله فيه صنعة بديعة. قال: ومن عمله قنديل بالمشهد بمقابر قريشٍ مربع غاية في حسنه.
قال الخالع: ومن مجونه في المناظرات وغيرها: أنه ناظر أبا الحسن على بن عيسى الرماني في مسألةٍ فانقطع الرماني وقال: أعاود النظر، وربما كان في أصحابي من هو أعلم مني بهذه المسألة، فإن ثبت الحق معك وافقتك عليه، فأخذ يندد به. ودخل أبو الحسن علي بن كعب الأنصاري أحد المعتزلة فقال: في أي شيء أنتم ياأبا الحسن؟ فقال: في ثيابنا، فقال: دعنا من مجونك وأعد المسألة، فلعلنا أن نقدح فيها فقال: كيف تقدح وحراقك رطب؟ ومنه حكايته المشهورة مع الأشعري الذي ناظره فصفعه فقال: ماهذا ياأبا الحسين؟ فقال: هذا فعل الله بك، فلم تغضب مني؟ فقال: مافعله غيرك، وهذا سوء أدب وخارج عن المناظرة، فقال: ناقضت. إن أقمت على مذهبك فهو من فعل الله، وإن انتقلت فخذ العوض، فانقطع المجلس بالضحك وصارت نادرةً.
قال عبيد الله الفقير إليه تعالى مؤلف هذا الكتاب: لو كان الأشعري ماهراً لقام إليه وصفعه أشد من تلك ثم

يقول له: صدقت، تلك من فعل الله بي، وهذه من فعل الله بك، فتصير النادرة عليه لا له.
قال الخالع: فأنشدني يوماً لنفسه من قصيدةٍ:
تجاه الشظا جنب الحمى فالمشرف ... حيال الربى فالشاهق المتشرف
فقلت له بم ارتفعت هذه الأسماء وهي ظروف؟ فقال بما يسوءك، وبعد هذا البيت:
طلول أطال الحزن لي حزن نهجها ... وألزمني وجداً عليها التأسف
فإذا حمل ماقاله على أن يجعل تلك الظروف هي الطلول، وهي: ماشخص من الأرض، وجعلت شخوصاً جاز الرفع على هذا التأويل، وإن جعلت محال للطلول فليس إلا النصب، ومن هذه القصيدة:
وقفت على أرجائها أسأل الربى ... عن الخرد الأتراب والدار صفصف
وكيف يجيب السائلين مرابع ... عفتها شآبيب من المزن وكف؟
ومنها وصف الخمر:
دنان كرهبان عليها برانس ... من الخزد كن يوم فصحٍ تصفف
ينظم منها المزج سلكاً كأنه ... إذا مابدا في الكأس در منصف
ومن مجون الناشئ: أنه ناظر بعض المجبرة فحرك الجبري يده فقال للناشئ: هذه من حركها؟ فقال الناشئ: من أمه زانية. فغضب الرجل فقال له: ناقضت، إذا كان المحرك غيرك فلم تغضب؟ قال عبيد الله الفقير إليه: وهذا أيضاً كفر وبهت، لأن المحرك لها على اعتقاد الناشئ مناظره، فيكون قد أساء العشرة مع جليسه، وعلى مذهب صاحبه الخالق، فيكون قد كفر، فعلى كل حال هو مسيء. وسمع يوماً رجلاً ينادي على لحم البقر: أين من حلف ألا يغبن؟ فقال له: إيش تريد منه؟ تريد أن تحنثه؟ ولقب رجلاً من باب الطاق بالأبعد، ولقب آخر بالآخر وهاتان لفظتان جامعتان لكل سبٍ وقذفٍ، لأن الناس مغرون بإلحاق كل قبيحٍ فظيعٍ بهما، على سبيل الكناية والاستراحة في الكلام إليهما.
قال الخالع: وحدثني الناشئ قال: لما وفدت على سيف الدولة وقع في أبو العباس النامي وقال: هذا يكتب التعاويذ. فقلت لسيف الدولة: يتأمل الأمير فإن كان يصلح أن يكتب مثله على المساجد بالربح فالقول كما قال: فأنشدته قصيدة أولها:
الدهر أيامه ماضٍ ومرتقب
وقلت فيها:
فارحل إلى حلبٍ فالخير منحلب ... من نيل كفك إن لاحت لنا حلب
فقال أبا الحسين: بيت جيد لكنه كثير اللبن وأنشدته قصيدة أخرى أقول فيها:
كان مشيبي إذ يلوح عقارب ... وأقتل ماأبصرت بيض العقارب
كأن الثريا عوذة في تميمةٍ ... وقد حليت واستودعت حرز كاعب
وحدث الخالع قال: حدثني أبو الحسن الناشئ قال: كنت بالكوفة في سنة خمسٍ وعشرين وثلاثمائةٍ وأنا أملي شعري في المسجد الجامع بها والناس يكتبونه عني، وكان المتنبي إذ ذاك يحضر معهم وهو بعد لم يعرف ولم يلقب بالمتنبي، فأمليت القصيدة التي أولها:

بآل محمد عرف الصواب ... وفي أبياتهم نزل الكتاب

وقلت فيها:

كأن سنان ذابله ضمير ... فليس عن القلوب له ذهاب

وصارمه كبيعته بخمٍ ... مقاصدها من الخلق الرقاب

فلمحته يكتب هذين البيتين، ومنها أخذ ماأنشدتموني الآن من قوله:

كأن الهام في الهيجا عيون ... وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الأسنة من همومٍ ... فما يخطرن إلا في فؤاد

قال الخالع: وأصل هذا لأبي تمام:

من كل أزرق نظارٍ بلا نظرٍ ... إلى المقاتل مافي متنه أود

كأنه كان ترب الحب مذ زمنٍ ... فليس يعجزه قلب ولاكيد

وعليه وقع المتنبي وسبق إلى ذلك ديك الجن أيضاً في قوله:

قناً تنصب في ثغر التراقي ... كما ينصب في المقل الرقاد

وأبيات المتنبي أمثل من الجميع إذا تركت العصبية قال ابن عبد الرحيم: حدثني الخالع قال: كنت مع والدي في سنة ستٍ وأربعين وثلاثمائةٍ وأنا صبي في مجلس الكبوذي في المسجد الذي بين الوراقين والصاغة وهو غاص بالناس، وإذا رجل قد وافى وعليه مرقعة وفي يده سطيحة وركوة ومعه عكاز وهو شعث فسلم على الجماعة بصوتٍ يرفعه ثم قال: أنا رسول فاطمة الزهراء صلوات الله عليها، فقالوا: مرحباً بك وأهلاً ورفعوه فقال: أتعرفون لي أحمد المزوق النائح؟ فقالوا: هاهو جالس، فقال: أتعرفون لي أحمد المزوق النائح؟ فقالوا: هاهو جالس، فقال: رأيت مولاتنا عليها السلام في النوم فقالت لي: امض إلى بغداد واطلبه وقل له نح علي ابني بشعر الناشئ الذي يقول فيه:

بني أحمدٍ قلبي لكم يتقطع ... بمثل مصابي فيكم ليس يسمع

وكان الناشئ حاضراً فلطم لطماً عظيماً على وجهه وتبعه المزوق والناس كلهم. وكان أشد الناس في ذلك الناشئ ثم المزوق، ثم ناحوا بهذه القصيدة في ذلك اليوم إلى أن صلى الناس الظهر وتقوض المجلس، وجهدوا بالرجل أن يقبل شيئاً منهم فقال: والله لو أعطيت الدنيا ما أخذتها، فإنني لاأرى أن أكون رسول مولاتي عليها السلام ثم آخذ عن ذلك عوضاً وانصرف ولم يقبل شيئاً. قال: ومن هذه القصيدة وهي بضعة عشر بيتاً:

عجبت لكم تفنون قتلاً بسيفكم ... ويسطو عليكم من لكم كان يخضع

كأن رسول الله أوصى بقتلكم ... وأجسامكم في كل أرضٍ توزع

قال: وحدثني الخالع قال: اجتزت بالناشئ يوماً وهو جالس في السراجين فقال لي: قد عملت قصيدةً وقد طلبت وأريد أن تكتبها بخطك حتى أخرجها فقلت: أمضي في حاجة وأعود، وقصدت المكان الذي أردته وجلست فيه فحملتني عيني فرأيت في منامي أبا القاسم عبد العزيز الشطرنجي النائح فقال لي: أحب أن تقوم فتكتب قصيدة الناشئ البائية فإنا قد نحنا بها البارحة بالمشهد، وكان هذا الرجل قد توفي وهو عائد من

الزيارة، فقمت ورجعت إليه وقلت: هات البائية حتى أكتبها فقال: من أين علمت أنها بائية؟ وماذكرت بها أحداً، فحدثته بالمنام فبكى وقال: لاشك أن الوقت قد دنا فكتبتها فكان أولها:

رجائي بعيد والممات قريب ... ويخطئ ظني والمنون تصيب

ومن شعر الناشئ:

وليل توارى النجم من طول مكثه ... كما ازور محبوب لخوف رقيبه

كأن الثريا فيه باقة نرجسٍ ... يجيء بها ذو صبوةٍ لحبيبه

وله:

وكان عقرب صدغه وقت ... لما دنت من نار وجنته

قرأت بخط بديع بن عبد الله الهمذاني فيما قرأه علي ابن فارسٍ اللغوي: سمعت أبا الحسين الناشئ علي بن عبد الله بن وصيفٍ بمدينة السلام قال: حضرت مجلس أبي الحسين بن المغلس الفقيه فانقلبت محبرة لبعض من حضرعلى ثيابي، فدخل أبو الحسين وحمل إلى قميصا دبيقياً ورداءً حسناً. قال: فأخذتهما ورجعت إلى بيتي وغسلت ثيابي ولبستهما ورددت القميص والرداء إلى أبي الحسين. فلما رآهما غضب غضباً شديداً وقال: ألبسهما لولا أنك تتوشح بالأدب لفوتك.

وهذه حكاية وجدتها بعد أخبار الناشئ بخط المصنف:

قرأت في كتاب محمد بن أبي الأزهر في عقلاء المجانين: حدثني علي بن ابراهيم بن موسى الكاتب قال: كنت يوماً جالساً في صحن داري إذا حجارة قد سقطت بالقرب مني، فبادرت هارباً وأمرت الغلام بالصعود إلى السطوح والنظر من أين أتتنا الحجارة؟ فرجع إلى وقال لي: يامولاي امرأة من دار ابن الرومي الشاعر تقول: الله الله فينا، اسقونا ماء وإلا متنا عطشاً، فإن الباب علينا مقفل منذ ثلاثة أيامٍ بسبب تطير صاحبنا، فإنه يلبس ثيابه في كل يوم ويتعوذ ويقرأ ثم يصير إلى الباب والمفتاح معه، فيضع عينه على خللٍ من الباب فتقع على جار له نازلٍ بإزائه وكان أعور، فإذا بصر به رجع وخلع ثيابه وترك الباب على حاله سائر يومه وليلته. فدفع إليها ماطلبته، فلمامات كان من غدٍ وجهت بخادم لي اسمه طاهر، وكان ابن الرومي يعرف وأمرته أن يجلس على بابه وتقدمت إلى بعض الغلمان في المصير إلى الأعور برسالتي ومسألته المصير إلى، فلما زال الرجل عن موضعه دق الخادم الباب على ابن الرومي وخاطبه وسأله المصير إلى أيضا. قال الخادم: فخرج فوضع عينه على ذلك الموضع فوقعت عينه علي ولم ير جاره ففتح الباب وخرج لاتقلع عينه عن النظر إلى، ولايصرف كلامه إلا إلى ناحيتي.

قال علي بن ابراهيم: فإني لجالس أنتظره، وقد انصرف الأعور إذ وافاني أبو خديجة الطرسوسي، وكان في ناحية اسماعيل بن اسحاق القاضي، وقد دفع إليه المعتضد برذعة ليوصله إلى الحسن ابنه ليتولى تسليمه إلى ابن راشدٍ، فنحن نتحدث إذ دخل ابن الرومي مع الخادم علينا، فلما تخطى عتبة باب الصحن عثر فانقطع شسع نعله فأخذها بيده ودخل مذعوراً، فقلت له: أيكون شيء ياأبا الحسن أحسن من خروجك من منزلك على وجه خادمي؟ فقال: لقد لحقني مارأيت من العثرة لأني أفكرت إن به عاهةً، قلت: وماهي؟ قال: هو

مجبوب، فقال برذعة الموسوس: وشيخنا يتطير؟ قلت: نعم ويفرط، قال: ومن هو؟ قلت: هذا علي بن الرومي الكاتب، قال: الشاعر؟ قلت: نعم، فأقبل عليه فقال:

ولما رأيت الدهر يؤذن صرفه ... بتفريق مابيني وبين الحبائب
رجعت إلى نفسي فوطنتها على ... ركوب جميل الصبر عند النوائب
ومن صحب الدنيا على جور حكمها ... فأيامه محفوفة بالمصائب
فخذ خلسةً من كل يومٍ تعيشه ... وكن حذراً من كامنات العواقب
ودع عنك ذكر ألفاً والزجر واطرح ... تطير جارٍ أو تفاؤل صاحب

فرأيت ابن الرومي شبيهاً بالباهت ولم أدر أنه قد شغل قلبه بحفظ الأبيات، ثم نهض برذعه وأبو خديجة معه فقال له ابن الرومي: والله لاتطيرت بعد هذا، فأقام عندي وكتبت هذه الأبيات من حفظه وزالت عنه الطيرة.

الجزء الرابع عشر

علي بن عبد الله بن موهب الجذامي

أبو الحسن. له تأليف عظيم في تفسير القرآ ن، روى عن ابن عبد البر وغيره، مات في سادس عشر جمادى الأولى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائةٍ، ومولده سنة إحدى وأربعين وأربعمائةٍ.

علي بن عبد الله بن محمد

ابن عبد الباقي بن أبي جرادة العقيلي أبو الحسن الأنطاكي من أهل حلب يسكن باب أنطاكية، غزير الفضل، وافر العقل، دمث الأخلاق، حسن العشرة، له معرفة بالأدب واللغة والحساب والنجوم، ويكتب خطاً حسناً، وله أصول حسنة، ورد بغداد سنة سبع عشرة وخمسمائةٍ وسمع بها وغيرها، وسمع بحلب أبا الفتح عبد الله بن اسماعيل بن أحمد بن أبي عيسى الحلبي، وأبا الفتيان محمد بن سلطان بن حبوسٍ الغنوى.
قال ابن السمعاني: قرأت عليه بحلب وخرجت يوماً من عنده فراني بعض الصالحين فقال لي: أين كنت؟ قلت عند أبي الحسن بن أبي جرادة، قرأت عليه شيئاً من الحديث فأنكر علي وقال: ذاك يقرأ عليه الحديث؟ قلت: ولم؟ هل هو إلا متشيع يرى رأي الحلبيين؟ فقال لي: ليته اقتصر على هذا، بل يقول بالنجوم ويروى رأي الأوائل، وسمعت بعض الحلبيين يتهمه بذلك. وسألته عن مولده فقال: في محرمٍ سنة إحدى وستين وأربعمائةٍ بحلب، وأنشدني لنفسه:

يا ظباء البان قولاً بيناً ... من لنا منكم بظبيٍ ملنا؟
يشبه البدر بعاداً وسنا ... من نفى عن مقلتي الوسنا؟
فتكت ألحاظه في مهجتي ... فتك بيض الهند أو سمر القنا

يصرع الأبطال في نجدته ... إن رمي عن قوسه أو إن رنا
دان أهل الدل والحسن له ... مثل ما دانت لمولانا الدنا

قال: ومات سنة نيفٍ وأربعين وخمسمائة. قلت: وكان لأبي الحسن هذا ابن فاضل أديب شاعر اسمه الحسن؟ وكنيته أبو عليٍ، سافر إلى مصر في أيام ابن رزيك ومدحه وحظى عنده، ثم مات بمصر سنة احدى وخمسين وخمسمائةٍ وهو القائل:

يا صاحبي أطيلا في مؤانستي ... وذكراني بخلانٍ وعشاق
وحدثاني حديث الخيف إن به ... روحاً لقلبي وتسهيلاً لأخلاقي
ما ضر ريح الصبا لو ناسمت حرقي ... واستنقذت مهجتي من أسر أشواقي
داء تقادم عندي، من يعالجه؟ ... ونفثه بلغت مني، من الراقي؟
يفنى الزمان وآمالي مصرمة ... ممن أحب على مطلٍ وإملاق
واضيعه العمر لا الماضي أنتفعت به ... ولاحصلت على أمرٍ من الباقي

علي بن عبد الجبار بن سلامة

ابن عيذون الهذلي اللغوي أبو الحسن التونسي ذكره السلفي فقال: أنشدني أبو محمد الشواذلي القيرواني قال: أنشدني أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميمٍ الحصري لنفسه بالقيروان:

قالوا اطرح أبداً كاف الخطاب ففي ... خط الكتاب بها حط من الرتب
فقلت من كان في نفسي تصوره ... فكيف أنزله في منزل الغيب؟

قال: وسألته عن مولده فقال: سنة ثمان وعشرين وأربعمائةٍ يوم عيد النحر بتونس، وتوفي رحمه الله في ذي الحجة سنة تسع عشرة وخمسمائة بالإسكندرية، وكان إماماً في اللغة حافظاً لها حتى إنه لو قيل لم يكن في زمانه ألغى منه لما استبعد، وكانت له قدرة على نظم الشعر، وله إلى قصائد وقد أجبته عنها.

ومن جملة شعره قصيدة في الرد على المرتد البغدادي، فيها أحدعشر ألف بيتٍ على قافيةٍ واحدةٍ، وفيها فوائد أدبيه. وسمعته يقول: رأيت أبا بكرٍ محمد بن علي ابن عبد البر اللغوي بمدينة مازر من جزيرة صقلية، وكنت عزمت على أن أقرأ عليه لما اشتهر من فضله وتبحره في اللغة، فاتصل بابن منكودٍ صاحب البلد أنه يشرب وكان يكرمه، فشق عليه وصار يكرهه وأنفذ إليه وقال: المدينة أكبر والشراب بها أكثر، فأحوجته الضرورة إلى الخروج منها ولم أقرأ عليه شيئاً.

وأما أبو عليٍ الحسن بن رشيق الأزدي القيرواني، فقد رأيته أيضا بمازر، وأنشدني شيئاً ولم أر قط أحفظ للعربية واللغة من أبي القاسم بن القطاع الصقلي، وقرأت عليه كثيراً.

علي بن عبد الرحمن الخزاز السوسي

أبو العلاء اللغوي من سوس خوزستان من أهل الأدب واللغة سمع المحاملي أبا عبد الله، وروى عنه أبو نصرٍ السجزي الحافظ، ولا أعلم من حاله غير هذا.

علي بن عبد الرحيم بن الحسن

ابن عبد الملك ابن ابراهيم السلمي المعروف بابن العصار اللغوي من أهل الرقة، ورد بغداد فقرأ بها العلم وأقام بالمطبق من دارالخلافة المعظمة، ومات في ثالث المحرم سنة ستٍ وسبعين وخمسمائةٍ، ومولده في سنة ثمان وخمسمائةٍ. انتهت إليه الرياسة في معرفة اللغة العربية. قرأ على أبي منصورٍ الجواليقي ولازمه حتى برع في فنه، وسمع الحديث من أبي العز أحمد بن عبيد الله بن كادش، والقاضي أبي بكرٍ محمد بن عبد الباقي قاضي البيمارستان، وأبي الوقت السجزي وغيرهم. وتخرج به جماعة منهم الشيخ أبو البقاء عبدالله بن الحسن العكبري الضرير، وكان تاجراً موسراً ضابطاً سافر الكثير إلى الديارالمصرية وأخذ عن أهلها وروى عنهم، وخطه المرغوب فيه المتنافس في تحصيله، فإنه مليح الخط جيد الضبط، ولا أعرف له مصنفاً ولا سمعت له شعراً

علي بن عبد العزيز البغوي

بن المزربان بن سابور أبو الحسن البغوي الجوهري، عم أبي القاسم البغوي نزيل مكة، صاحب أبي عبيدٍ القاسم بن سلامٍ وروى عنه غريب الحديث، وكتاب الحيض، وكتاب الطهوروغير ذلك. وحدث عن أبي نعيمٍ، وحجاج بن المنهال، ومحمد بن كبيرٍ العبدي، وسلمة بن إبراهيم الأزدى، والقعنبي، وعاصم بن عليٍ وغيرهم، وصنف المسند. حدث عنه ابن اخيه عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، ودعلج السجزي، وسليمان بن أحمد الطبراني. وحدث بالمسند عنه أبوعليٍ حامد بن محمدٍ الرفاء الهروي. سئل عنه الدار قطني فقال: ثقة مأمون. وقال ابن أبي حاتمٍ: وهو صدوق.

حدث أبو بكر السني سمعت أبا عبد الرحمن النسائي، وسئل عن علي بن عبد العزيز المكي فقال: قبح الله علي ابن عبد العزيز ثلاثاً، فقيل له يا أبا عبد الرحمن: أتروى عنه؟ فقال لا، فقيل له يا أبا عبد الرحمن: أتروي عنه؟ فقال لا، فقيل له: أكان كذابا؟ فقال: لا، ولكن قوماً اجتمعوا ليقرءوا عليه وبروه بما سهل، وكان فيهم إنسان غريب فقير لم يكن في جملة من بره، فأبى أن يقرأ عليهم وهو حاضر حتى يخرج أو يدفع كما دفعوا، فذكر الغريب أن ليس معه إلا قصيعة فأمره بإحضارها، فلما أحضرها حدثهم.

وعن القاضي أبي نصر بن الكسار سمعت أبا بكرٍ السني يقول: بلغني أن علي بن عبد العزيز كان يقرأ كتب أبي عبيدٍ بمكة على الحاج بالأجر، فإذا عاتبوه على الأخذ قال: يا قوم أنا بين الأخشبين، إذا خرج الحاج نادى أبو قبيسٍ قعيقان من بقى؟ يقول: بقي المجاورون فيقول: أطبق.

وقال أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله ابن المنادى فيمن مات في سنة سبعٍ وثمانين ومائتين. وجاءنا الخبر بموت على بن عبد العزيز صاحب ابي عبيدٍ من مكة مع الحاج، وأنه توفي قبل الموسم.

وحدث أبو سعدٍ السمعاني بإسنادٍ رفعه إلى أبي الحسين محمد بن طالبٍ النسفي قال: سمعت علي بن عبد العزيز بمكة في المسجد الحرام يقول: كنت عند مؤدبي الذي علمني الخط فجيء ببنيةٍ له صغيرةٍ يقال لها وسناء وعليها ثوب حريرٍ، فأجلسها في حجره وأنشأ يقول:

وما الوسناء إلا شبه درٍ ... ولاسيما إذا لبست حريرا

فأحسن زيها ثوب نظيف ... تكفن فيه ثم أرى سريرا

تهادى بين أربعةٍ عجالٍ ... إلى قبرٍ فتملؤنا سرورا

علي بن عبد العزيزالجرجاني

بن الحسن بن علي، ابن اسماعيل الجرجاني أبو الحسن قاضي الري في أيام الصاحب بن عبادٍ وكان أديباً أريباً كاملاً. مات بالري يوم الثلاثاء لستٍ بقين من ذي الحجة، سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائةٍ وهو قاضي القضاة بالري حينئذٍ، وذكره الحاكم في تاريخ نيسابور وقال: ورد نيسابور سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ مع أخيه أبي بكرٍ، وأخوه إذ ذاك فقيه مناظر، وأبو الحسن قد ناهز الحلم، فسمعا معاً الحديث الكبير، ولم يزل أبو الحسن يتقدم إلى أن ذكر في الدنيا. وحمل تابوته إلى جرجان فدفن بها، وصلى عليه القاضي أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد، وحضر جنازته الوزير الخطير أبوعليٍ القاسم بن علي بن القاسم وزير مجد الدولة، وأبو الفضل العارض راجلين، ووقع الاختيار بعد موته على أبي موسى عيسى بن أحمد الديلمي فاستدعى من قزوين، وولى قضاء القضاة بالري وله يقول الصاحب بن عبادٍ: وقد أنشأ عهداً للقاضي عبد الجبار عليٍ قاضي الري:

إذا نحن سلمنا لك العلم كله ... فدعنا وهذي الكتب نحسن صدورها

فإنهم لا يرتضون مجيئنا ... بجزعٍ إذا نظمت أنت شذورها

وكان الشيخ عبد القاهر الجرجاني قد قرأ عليه واغترف من بحره، وكان إذا ذكره في كتبه تبخبخ به، وشمخ بانفه بالأنتماء إليه. وطوف في صباه البلاد وخالط العباد، واقتبس العلوم والآداب، ولقى مشايخ وقته وعلماء عصره. وله رسائل مدونه وأشعار مفننة، وكان جيد الخط مليحاً يشبه بخط ابن مقلة. ومن شعره:

أفدى الذي قال وفي كفه ... مثل الذي أشرب من فيه

الورد قد أينع في وجنتي ... قلت: فمي باللثم يجنيه

ومنه:

يقولون لي فيك انقباض وإنما ... رأوا رجلاً في موقف الذل أحجما

أرى الناس من داناهم هان عندهم ... ومن أكرمته عزة النفس أكرما

وما زلت منحازاً بعرضي جانباً ... من الذم أعتد الصيانة مغنما

إذا قيل هذا مشرب قلت قد أرى ... ولكن نفس الحر تحتمل الظما

وما كل برقٍ لاح لي يستفزني ... ولا كل أهل الأرض أرضاه منعما

ولم أقض حق العلم إن كان كلما ... بدا طمع صيرته لي سلما
ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلةً ... إذن فابتياع الجهل قد كان أحزما؟
ولوأن أهل العلم صانوه صانهم ... ولوعظموه في النفوس تعظما
ولكن أذلوه جهاراً ودنسوا ... محياه بالأطماع حتى تجهما
ومنه:
وقالوا: اضطرب في الأرض فالرزق واسع ... فقلت: ولكن مطلب الرزق ضيق
إذا لم يكن في الأرض حر يعينني ... ولم يك لي كسب فمن أين أرزق؟
ومنه:
أحب اسمه من أجله وسميه ... ويتبعه في كل أخلاقه قلبي
ويجتاز بالقوم العدا، فأحبهم ... وكلهم طاوى الضمير على حربي
ومنه:
قد برح الشوق بمشتاقك ... فأوله أحسن أخلاقك
لا تجفه وارع له حقه ... فإنه خاتم عشاقك
وللقاضي عدة تصانيف منها: كتاب تفسير القران المجيد، كتاب تهذيب التاريخ. كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، وفي هذا الكتاب يقول بعض أهل نيسابور:
أيا قاضياً قد دنت كتبه ... وإن أصبحت داره شاحطه
كتاب الوساطه في حسنه ... لعقد معاليك كالواسطة
ومن شعره:
ما تطعمت لذ العيش حتى ... صرت لليت والكتاب جليسا
ليس شيء أعز عندي من العل ... م فلم أبتغي سواه أنيسا؟
إنما الذل في مخالطة أتلن ... ناس فدعهم وعش عزيزاً رئيسا
ومن سائر شعره قوله:
إذا شئت إن تستفرد المال منفقاً ... على شهوات النفس في زمن العسر
فسل نفسك الأنفاق من كنز صبرها ... عليك وإنظاراً إلى زمن اليسر
فإن فعلت كنت الغنى وإن أبت ... فكل منوعٍ بعدها واسع العذر
وحدث الثعالبي عن أبي نصرٍ التهذيبي قال: سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول: انصرفت يوماً من دار الصاحب وذلك قبيل العيد فجاءني رسوله بعطر القطر ومعه رقعة بخطه فيها هذا البيتان:
يا أيها القاضي الذي نفسي له ... مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه ... فكأنما أهدى له أخلاقه
قال: وسمعته يقول: إن الصاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد، وقد

استعفيته يوماً من فرط تحفيه بي وتواضعه لي فأنشدني:

أكرم أخاك بأرض مولده ... وأمده من فعلك الحسن

فالعز مطلوب وملتمس ... وأعزه ما نيل في الوطن

ثم قال: قد فرغت من هذا المعنى في العينية، فقلت لعل مولانا يريد قولي:

وشيدت مجدى بين قومي فلم أقل ... ألا ليت قومي يعلمون صنيعي؟

فقلت: ما أردت غيره، والأصل فيه قوله تعالى: (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين).

قال الثعالبي: القاضي أبو الحسن علي بن عبد العزيز حسنة جرجان وفرد الزمان، ونادرة الفلك، وإنسان حدقة العلم، ودرة تاج الأدب، وفارس عسكر الشعر، يجمع خط ابن مقلة إلى نثر الجاحظ ونظم البحتري: وينظم عقد الإتقان والإحسان في كل ما يتعاطاه، – وأنشد بيت الصاحب المقدم ذكره – وقد كان في صباه خلف الخضر في قطع عرض الأرض وتدويخ بلاد العراق والشام وغيرهما، واقتبس من أنواع العلوم والآداب ما صار به في العلماء علماً، وفي الكمال عالماً، ثم عرج على حضرة الصاحب فألقى بها عصا المسافر، فاشتد اختصاصه به وحل منه محلاً بعيداً في رفعته، قريباً في أسرته، وسير فيه قصائد أخلصت على قصدٍ، وفرائد، أتت من فردٍ، وما منها إلا صوب العقل وذوب الفضل، وتقلد قضاء جرجان من يده، ثم تصرفت به أحوال في حياة الصاحب وبعد وفاته من الولاية والعطلة، وترقى محله إلى قضاء القضاة بالري، فلم يعزله إلا موته رحمه الله تعالى.

وعرض أبو نصرٍ المصعبي كتاباً للصاحب بخطه إلى حسام الدولة أبي العباس تاش الحاجب، في معنى القاضي أبي الحسن نسخته بعد التصدير والتشبيب: قد تقدم من وصفي للقاضي أبي الحسن علي بن عبد العزيز فيما سيق إلى حضرة الأمير الجليل صاحب الجيش – دام علوه – من كتبي ما أعلم إني لم أؤد فيه بعض الحق وإن كنت دللته على جملة تنطق بلسان الفضل، وتكشف عن أنه من أفراد الدهر في كل قسمٍ من أقسام الأدب والعلم، فأما موقعه مني: فالموقع الذي تخطبه هذه المحاسن وتوجبه هذه المناقب، وعادته معي ألا يفارقني مقيما وظاعناً ومسافراً وقاطناً، وقد احتاج الآن إلى مطالعة جرجان بعد أن شرطت عليه تصيير المقام كالإلمام فطالبني مكانه بتعريف الأمير مصدره وموارده، فإن عن له ما يحتاج إلى عرضه وجد من شرف إسعافه ما هو المعتاد من فضله، ليتعجل إنكفاؤه إلي بما رسم – أدام الله أيامه – من مظاهرته على ما يقدم الرحيل ويفسح السبيل من بذرقةٍ إن احتاج إلى الاستظهار بها، ومخاطبةٍ لبعض من في الطريق بتعرف النهج فيها، فإن رأى الأمير أن يجعل من حظوظي الجسيمة عنده تعهد القاضي أبي الحسن بما يعجل رده فإني ما غاب كالمضل الناشد، وإذا عاد كالغانم الواجد، فعل إن شاء الله.

ولما عمل الصاحب رسالته المعروفة في إظهار مساوئ المتنبي، عمل القاضي أبوالحسن كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه في شعره، فأحسن وأبدع، واطال وأطاب، وأصاب شاكلة الصواب، واستولى على الأمد في فصل الخطاب، وأعرب عن تبخره في الأدب وعلم العرب، وتمكنه من جودة الحفظ وقوة النقد، فسار الكتاب مسير الرياح، وطار في البلاد بغير جناحٍ.

وقال فيه بعض النيسابوريين البيتين المقدم ذكرهما ومن شعره:

إنثر على خدى من وردك ... أو دع فمى يقطفه من خدك

ارحم قضيب البان وارفق به ... قد خفت أن ينقد من قدك

وقل لعينيك بنفسي هما ... يخففان السقم عن عبدك

وله:

وفارقت حتى ما أسر بمن دنا ... مخافة نأيٍ أو حذار صدود

فقد جعلت نفسي تقول لمقلتيوقد قربوا خوف التباعد جودي

فليس قريباً من يخاف بعاده ... ولا من يرجى قربه ببعيد

وله يستطرد:

من عاذري من زمنٍ ظالم ... ليس بمستحيٍ ولا راحم؟

يفعل بالإخوان أحداثه ... فعل الهوى بالدنف الهائم

كأنما أصبح يرميهم ... عن جفن مولاي أبي القاسم

وقال يذكر بغداد ويتشوقها:

يا نسيم الجنوب بالله بلغ ... مايقول المتيم المستهام

قل لأحبابه فداكم فؤاد ... ليس يسلو ومقلة لا تنام

بنتم فالرقاد عندي سهاد ... مذ نأيتم والعيش عندي لمام

فعلى الكرخ فالقطيعة فال ... شط فباب الشعير منى السلام

يا ديار السرور لازال يبكي ... بك في مضحك الرياض غمام

رب عيشٍ صحبته فيك غضٍ ... وجفون الخطوب عني نيام

في ليال كانهن أمان ... من زمان كأنه أحلام

وكأن الأوقات فيها كئوس ... دائرات وأنسهن مدام

زمن مسعد وإلف وصول ... ومني يستلذها الأوهام

كل أنس ولذةٍ وسرورٍ ... بعد ما بنتم على حرام

وله في ذلك:

سقى جانبي بغداد أخلاف مزنةٍ ... تحاكى دموعي صوبها وانحدارها

فلي منهما قلب شجاني اشتياقه ... ومهجة نفسٍ ما أمل ادكارها

سأغفر للأيام كل عظيمةٍ ... لئن قربت بعد البعاد مزارها

وله في ذلك:

أراجعة تلك الليالي كعهدها ... إلى الوصل أم لا يرتجى لي رجوعها؟

وصحبة أحباب لبست لفقدهم ... ثياب حدادٍ يستجد خليعها

إذا لاح لي من نحو بغداد بارق ... تجافت جفوني واستطير هجوعها؟
وإن أخلفتها الغاديات رعودها؟ ... تكلف تصديق الغمام دموعها
سق جانبي بغداد كل غمامة ... يحاكي دموع المستهام هموعها
معاهد من غزلان أنسٍ تحالفت ... لواحظها ألا يداوى صريعها
بها تسكن النفس النفور ويغتدى ... بانس من قلب المقيم نزيعها
يحن إليها كل قلب كأنما ... يشاد بحبات القلوب ربوعها
فكل ليالي عيشها زمن الصبا ... وكل فصول الدهر فيها ربيعها
وله في ذلك:
بجانب الكرخ من بغداد لي سكن ... لولا التجمل لم أنفك أندبه
وصاحبٍ ما صحبت الصبر مذ بعدت ... دياره وأراني لست أصحبه
في كل يومٍ لعيني ما يؤرقها ... من ذكره ولقلبي ما يعذبه
ما زال يبعدني عنه وأتبعه ... ويستمر على ظلمي وأعتبه
حتى أوت لي النوى من طول جفوته ... وسهلت لي سبيلاً كنت أرهبه
وما البعاد دهاني بل خلائقه ... ولا الفراق شجاني بل تجنبه
وله في التخلص:
أو ما انثنيت عن الوداع بلوعة ... ملأت حشاك صبابةً وغليلا؟
ومدامعٍ تجري فتحسب أن في ... آماقهن بنان اسماعيلا
وله من قصيدةٍ في الأمير شمس المعالي قابوس بن وشمكير:
ولما تداعت للغروب شموسهم ... وقمنا لتوديع الفريق المغرب
تلقين أطراف السجوف بمشرقٍ ... لهن وأعطاف الخدور بمغرب
فما سرن إلا بين دمعٍ مضيعٍ ... ولاقمن إلا بين قلبٍ معذب
كأن فؤادي قرن قابوس راعه ... تلاعبه بالفيلق المتأشب
وله في الصاحب من قصيدةٍ:
وما بال هذا الدهر يطوي جوانحي ... على نفس محزونٍ وقلب كئيب
تقسمني الأيام قسمة جائرٍ ... على نضرةٍ من حالها وشحوب
كأني في كف الوزير رغيبة ... تقسم في جدوى أغر وهوب
وله من قصيدةٍ في الصاحب:
ولا ذنب للأفكار أنت تركتها ... إذا احتشدت لم ينتفع باحتشادها
سبقت بأفراد المعاني وألفت ... خواطرك الألفاظ بعد شرادها
وإن نحن حاولنا اختراع بديعةٍ ... حصلنا على مسروقها ومعادها
وله في الصاحب من قصيدة يهنئه بالبرء من المرض:

بك الدهر يبدي ظله ويطيب ... ويقلع عما ساءنا ويتوب
ونحمد آثار الزمان وربما ... ظللنا وأوقات الزمان ذنوب
أفي كل يومٍ للمكارم روعة ... لها في قلوب المكرمات وجيب؟
تقسمت العلياء جسمك كله ... فمن أين فيه للسقام نصيب؟
إذا ألمت نفس الوزير تألمت ... لها أنفس تحيا بها وقلوب
ووالله لا لاحظت وجهاً أحبه ... حياتي وفي وجه الوزير شحوب
وليس شحوباً ما أراه بوجهه ... ولكنه في المكرمات ندوب
فلا تجزعن تلك السماء تغيمت ... وعما قليل تبتدي فتصوب
تهلل وجه المجد وابتسم الندى ... وأصبح غصن الفضل وهو رطيب
فلا زالت الدنيا بملكك طلقة ... ولازال فيها من ظلالك طيب

وله:

على مهجتي تجني الحوادث والدهر ... فأما اصطباري فهو ممتنع وعر

كأني ألاقي كل يوم ينوبني ... بذنبٍ وما ذنبي سوى أنني حر
فإن لم يكن عند الزمان سوى الذي ... أضيق به ذرعاً فعندي له الصبر
وقالوا: توصل بالخضوع إلى الغنى ... وماعلموا أن الخضوع هو الفقر
وبيني وبين المال بابان حرما ... على الغنى: نفسي الأبية والدهر
إذا قيل: هذا اليسر عاينت دونه ... مواقف خير من وقوفي بها العسر
إذا قدموا بالوفر قدمت قبلهم ... بنفس فقيرٍ كل أخلاقه وفر
وما إذا على مثلي إذا خضعت له ... مطامعه في كف من حصل التبر

وله:

سقى الغيث أو دمعي وقل كلاهما ... لها أربعاً، جور الهوى بينها عدل
بحيث استرق الدعص وأنبسط النقى ... وحيث تناهت الحقف واقطع الرمل
أكثر من أوصافها وهي واحد ... ولكن أرى أسماءها في فمي تحلو
وفي ذلك الخدر المكلل ظبية ... لكل فؤادٍ عند أجفانها ذحل
إذا خطرات الريح بين سجوفها ... أباحت لطرف العين ما حظر البخل
تلقت بأثناء النصيف لحاظنا ... وقالت لأخرى: ما لمستهترٍ عقل؟
أفي مثل هذا اليوم يمرح طرفه ... وأعداؤنا حول وحسادنا قبل؟
ومدت لإسبال السجوف بنانها ... فغازلنا عنها الشمائل والشكل

علي بن عبد العزيز بن إبراهيم

ابن بناء بن حاجب النعمان، أبو الحسن. قد ذكرت معنى تسميتهم بحاجب النعمان في ترجمة أبيه، وله ديوان شعر كبير الحجم، وكان أبوه يكتب لأبي محمدٍ المهلبي وزير معز الدولة، وكتب أبو الحسن للطائع لله، ثم للقادر بالله بعده في شوالٍ سنة ست وثمانين وثلاثمائة، وخوطب برئيس الرؤساء، وخدم خليفتين أربعين سنةً، ومولده سنة أربعين وثلاثمائةٍ، ومات في رجبٍ سنة ثلاثٍ وعشرين وأربعمائةٍ، وولى ابنه أبوالفضل مكانه فلم يسد مسده فعزل بعد شهورٍ.

وحدث ابن نصرٍ قال: حدثني أبو الفتح أحمد بن عيسى الشاعر المعروف بحمدية قال: لما قبض القادر بالله على أبي الحسن بن حاجب النعمان واستكتب أبا العلاء ابن تريكٍ وهي النظر وقل رونقه، واتفق أن دخل يوماً إلى الديوان فوجد على مخاده قطعةً من عذرةٍ يابسةٍ، فانخزل وتلاشى أمره فقبض عليه وأعيد أبو الحسن إلى رتبته، وكانت بيني وبين أبي العلاء من قبل مماظة في بعض الأمور، فامتدحت أبا الحسن بقصيدةٍ أولها:

زمت ركائبهم فاستشعر التلف

حتى بلغت منها إلى قولي:

يا من إذا ما رآه الدهر سأله ... وظل معتذراً مما جنى وهفا

قد رام غيرك هذا الطرف يركبه ... فما استطاع له جريا بلى وقفا

لم يرجع الطرف عنه من تبظرمه ... حتر رأينا على دستٍ له طرفا

فدفع إلى صورة عنقاء فضةً مذهبةً كانت بين يديه فيها طيب وقال: خذ هذه الطرفة فإنها أطرف من طرفتك. وقرأ في المفاوضة: حدثني الوزير أبو العباس عيسى ابن ماسرجيس قال: كنت أخلف الوزارة ببغداد مشاركاً لأبي الحسن على بن عبد العزيز بن حاجب النعمان، فدعاني يوما إلى داره ببركة زلزلٍ وتجمل واحتشد ودعا بكل من يشار إليه بحذق في الغناء من رجالٍ وإماءٍ مثل علية الخاقانية وغيرها من نظرائها في الوقت، وحضر القاضي أبو بكر بن الأزرق نسيبه وانتقلنا من الطعام إلى مجلس الشراب، فلما دارت الكأس أدواراً قال لي: ما أراك تحلف على القاضي ليشرب معنا ويساعدنا وإن كان لا يشرب إلا قارصاً. قلت: أنا غريب ومحتشم له وأمره بك أمس وأنت به أخص. قال: فاستدعى غلاماً وقال: امض إلى إسحاق الواسطى واستدع منه قارصاً وتول خدمة القاضي – أيده الله – فمضى الغلام وغاب ساعةً ثم أتى ومعه خماسية فيها من الشراب الصريفيني الذي بين أيدينا إلا أن على رأسها كاغداً وختماً وسطراً فيه مكتوب: قارص من دكان إسحاق الواسطي. قال: فتأمله القاضي وأبصر الخط والختم ثم أمر فسقى رطلاً، فلما شربه واستوفاه قال للغلام: ويلك ما هذا؟ قال: يا سيدي هذا قارص. قال لا، بل والله الخالص، ثم ثنى له وثلث، فاضطرب أمر القاضي علينا وأنشأ يقول:

ألا فاسقني الصهباء من حلب الكرم ... ولاتسقني خمراً بعلمك أوعلمي

أليست لها أسماء شتى كثيرة ... ألا فاسقنيها واكن عن ذلك الإسم

فكان كلما أتاه بالقدح سأله عنه فيقول تارةً: مدام، وتارةً خندريس وهويشرب، فإذا قال له: خمر حرد

واستخف به فيتوارى بالقدح ساعةً ثم يعيده ويقول: هذه قهوة فيشرب به، فلم يشرب القاضي إلا بمقدار ستة أسماءٍ أو سبعةٍ من أسماء الخمر حتى انبطح في المجلس ولف في طيلسان أزرق عليه وحمل إلى داره.

علي بن عبد الغني الأندلسي

القروي الحصري الأندلسي قال صاحب كتاب فرحة الأنفس: – وهو محمد بن أيوب بن غالبٍ الغرناطي – يكنى أبا الحسن، كان من أهل العلم بالنحو وشاعراً مشهوراً وكان ضريراً، طاف الأندلس ومدح ملوكها، فمن ذلك قوله للمعتمد بن عبادٍ عند موت أبيه المعتضد أبي عمرو وعباد بن محمدٍ:

مات عباد ولكن ... بقي النجل الكريم

فكأن الميت حي ... غير أن الضاد ميم

ومدح بعض الملوك الأندلس فغفل عنه إلى أن حفزه الرحيل فدخل عليه وأنشده:

محبتي تقتضي ودادي ... وحالتي تقتضي الرحيلا

هذان خصمان لست أقضي ... بينهما خوف أن أميلا

ولا يزالان في اختصامٍ ... حتى ترى رأيك الجميلا

ودخل على المعتصم محمد بن معن بن صمادح فأنشده قصيدةً، فلما انصرف تكلم المعتصم في أمره مع وزرائه وكتابه ليرى رأيهم فيه، فنقل إليه عن الكاتب أبي الأصبغ بن أرقم كلام أحفظه، فانصرف ودخل علي ابن صمادحٍ وأنشده:

يأيها السيد المعظم ... لاتطع الكاتب ابن أرقم

لأنه حية وتدري ... مافعلت بأبيك آدم

وحكى أبو العباس البلنسي الأعمى أيضاً عنه وكان من تلاميذه، وهذان البيتان متنازعان بينهما لا أدرى لمن منهما؟

وقالوا: قد عميت فقلت: كلا ... وإني اليوم أبصر من بصير

سواد العين زاد سواد قلبي ... ليجتمعا على فهم الأمور

وذكره الحميدي وقال: دخل الأندلس بعد الخمسين وأربعمائةٍ وأنشدني بعضهم له:

ولما تمايل من سكره ... ونام دببت لأعجازه

فقال ومن ذا؟ فجاوبته ... عم يستدل بعكازه

علي بن أبي طالب

أمير المؤمنين – صلوات الله عليه وسلامه – واسم أبي طالب عبد مناف – بن عبد المطلب، – واسم عبد المطلب عامر وهو شيبة الحمد لقب له – بن هشام – واسمه عمرو – بن عبد مناف – وهو المغيرة – بن قصي – واسمه زيد – بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة

بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف.
أخباره عليه السلام كثيرة، وفضائله شهيرة، إن تصدينا لاستيعابها وانتخاب محاسنها كانت أكبر حجماً من جميع كتابنا هذا. مات صلوات الله عليه يوم الجمعة لسبع عشرة ليلةً خلت من شهر رمضان سنة أربعين للهجرة، وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر، ومدة عمره فيها خلاف على ما نذكره فيما بعد، ولا بد من ذكر جملٍ من أمره على سبيل التاريخ يستدل بها على مجاري أموره، ونتبعها بذكر ولده ومن أعقب منهم ومن لم يعقب، وذكر شيء مما صح من شعره وحكمه.
وكان عليه السلام أول من وضع النحو وسن العربية، وذلك أنه مر برجل يقرأ: (إن الله بريء من المشركين ورسوله) بكسر اللام في رسوله، فوضع النحو وألقاه إلى أبي الأسود الدؤلي، وقد استوفينا خبر ذلك في باب أبي الأسود.
قرأت بخط أبي منصورٍ محمد بن أحمد الأزهري اللغوي في كتاب التهذيب له: قال أبو عثمان المازني: لم يصح عندنا أن علي بن أبي طالب عليه السلام تكلم من الشعر بشيء غير هذين البيتين:
تلكم قريش تمناني لتقتلني ... ولا وجدك ما بروا ولا ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتي لهم ... بذات روقين لا يعفو لها أثر

قال: ويقال: داهية ذات روقين، وذات ودقين: إذا كانت عظيمةً. كان قد بويع له يوم قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم كانت وقعة الجمل بعد ذلك بخمسة أشهرٍ وأحدٍ وعشرين يوماً، وعدة من قتل في وقعة الجمل ثمانية آلاف، منهم من الأزد خاصةً أربعة آلاف، ومن ضبة ألف ومائة، وباقيهم من سائر الناس وقيل: أقل من ذلك. ومن أصحاب عليٍ صلوات الله عليه نحو ألفٍ. وكانت الوقعة لعشرٍ خلون من جمادى الأولى سنة ستٍ وثلاثين، وكان بين وقعة الجمل والتقائه مع معاوية بصفين سبعة أشهرٍ وثلاثة عشر يوماً، وكان أول يومٍ وقعت الحرب بينهم بصفين غرة صفرٍ سنة سبعٍ وثلاثين، واختلف في عدة أصحابهما فقيل: كن علي في تسعين ألفاً، وكان معاوية في مائةٍ وعشرين ألفاً، وقيل: كان معاوية في تسعين ألفاً، وعلي عليه السلام في مائةٍ وعشرين ألفاً، منهم خمسة وعشرون من الصحابة، وقتل من أصحاب معاوية خمسة وأربعون ألفاً. وقيل: غير ذلك، وكان الماقم بصفين مائة يومٍ وعشرة أيامٍ، وكانت الوقائع تسعين وقعةً، وبين وقعة صفين والتقاء الحكمين وهما أبو موسى الأشعري وعمرو بن العاص بدومة الجندل خمسة أشهرٍ وأربعة وعشرون يوماً، وبين التقائهما وخروج علي عليه السلام إلى الخوارج بنهروان وقتله إياهم سنة وشهران، وكان الخوارج أربعة آلافٍ عليهم عبد الله بن وهبٍ الراسبي من الأزد، وليس براسب بن جرم بن ريان، وليس في العرب غيرهما، فلما نزل علي عليه السلام تفرقوا فبقي منهم ألف وثمانمائةٍ، وقيل: ألف وخمسمائةٍ، فقتلوا إلا نفراً يسيراً، وكان سبب تفرق الخوارج عنه، أنهم تنازعوا عند الإحاطة بهم فقالوا: أسرعوا الروحة إلى الجنة، فقال عبد الله بن وهبٍ ولعلها إلى النار، فقال: من فارقه، ترانا نقاتل مع رجلٍ شاكٍ. وبين خروجه إلى الخوارج وقتل ابن ملجمٍ له لعنه الله تعالى سنة وخمسة أشهرٍ وخمسة أيامٍ.
واختلف في مدة عمره، فقال قوم: إنه استشهد وله ثمان وستون سنةً في قول من يذهب إلى أنه أسلم وله

خمس عشرة سنةً، وقيل: ست وستون وهو قول من يذهب إلى أنه أسلم وله ثلاث عشرة سنةً، وقيل: ثلاث وستون وهو قول من يرى أنه أسلم وله عشر سنين، وقيل: ثمان وخمسون وهو قول من زعم أنه أسلم وله خمس سنين، وهذا أقل ما قيل في مقدار عمره.

واختلف في موضع قبره، فقيل: بالغرى وهو الموضع المشهور اليوم، وقيل: بمسجد الكوفة، وقيل: برحبة القصر بها وقيل: حمل إلى المدينة فدفن مع فاطمة صلوات الله عليها وسلامه، وكان أسمر عظيم البطن أصلع أبيض الرأس واللحية، أدعج عظيم العينين، ليس بالطويل ولا القصير، تملأ لحيته صدره، ولا يغير شيبه، وكان له من البنين أحد عشر، الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية – وأمه خولة بنت جعفر سبية – وعمر – أمه أم حبيبٍ الصهباء بنت ربيعة تغلبية – ، والعباس – أمه أم البنين بنت خزام بن خالدٍ من بني عامر بن صعصعة – ، وعبد الله يكنى أبا بكرٍ، وعثمان وجعفر ومحمد الأصغر، وقيل: هو الذي يكنى أبا بكرٍ، وعبيد الله ويحيى. المعقبون منهم خمسة: الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية وعمر والعباس عليهم السلام. وله من البنات ست عشرة: منهن زينب وأم كلثومٍ التي تزوجها عمر بن الخطاب، وأمهما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليهما وسلم، فالعقب للحسن بن علي عليهما السلام من زيد والحسن، والعقب لزيدٍ من الحسن بن زيدٍ، والعقب للحسن بن الحسن من جعفرٍ وداود وعبد الله والحسن وابراهيم. والعقب لمحمد بن الحنفية من جعفرٍ وعليٍ وعونٍ وابراهيم، والعقب لجعفر بن محمدٍ من عبد الله، ولعلى بن محمدٍ من عونٍ، ولعون بن محمدٍ ولإبراهيم بن محمدٍ.

فأما أبو هاشمٍ عبد الله بن محمد بن الحنفيه وهو أكبر ولده، فقد ظن قوم أنه أعقب وليس الأمر كذلك.

والعقب لمحمد بن علي بن أبي طالب من محمد ابن عمر، والعقب لمحمد بن عمر لعمر وعبد الله وجعفرٍ.

والعقب للعباس من عبيد الله بن العباس، والعقب لعبيد الله من الحسين وعبد الله عليهم الصلاة والسلام أجمعين.

ومما يروى أن معاوية كتب إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ عليه السلام: إن لي فضائل، كان أبي سيداً في الجاهلية، وصرت ملكاً في الإسلام، وأنا صهر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخال المؤمنين وكاتب الوحي. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: أبالفضائل تفتخر علي يا ابن آكلة الأكباد؟ اكتب إليه يا غلام:

محمد النبي أخي وصهري ... وحمزة سيد الشهداء عمي
وجعفر الذي يضحي ويمسي ... يطير مع الملائكة ابن أمي
وبنت محمدٍ سكني وعرسي ... مشوب لحمها بدمي ولحمي
وسبطا أحمدٍ ولداي منها ... فأيكم له سهم كسهمي؟
سبقتكم إلى الإسلام طراً ... صغيراً ما بلغت أوان حلمي

فقال معاوية: أخفوا هذا الكتاب لا يقرؤه أهل الشام فيميلوا إلى ابن أبي طالبٍ.

قرأت في كتاب الأمالي لأبي القاسم الزجاج قال: حدثنا أبو جعفرٍ أحمد بن محمد بن رستم الطبري صاحب أبي عثمان المازني قال: حدثنا أبو حاتمٍ السجستاني عن يعقوب بن إسحاق الخضري قال: حدثنا سعيد ين

سلمٍ الباهلي قال: حدثني أبي عن جدي عن أبي الأسود الدؤلي، أو قال: عن جدي عن ابن أبي الأسود الدؤلي عن أبيه قال: دخلت على أمير المؤمنين عليٍ بن أبي طالب عليه السلام، فرأيته مطرقاً مفكراً فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إني سمعت ببلدكم هذا لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية. فقلت: إن فعلت هذا يا أمير المؤمنين أحييتنا وبقيت فينا هذه اللغة، ثم أتيته بعد أيامٍ فألقى إلى صحيفةً فيها: بسم الله الرحمن الرحيم: الكلام كله اسم وفعل وحرف، والاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن حركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسمٍ ولا فعلٍ. ثم قال لي: تتبعته وزد فيه ما وقع لك، واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشئ ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ. قال: فجمعت منه أشياء وعرضتها عليه وكان من ذلك حروف النصب، فكان منها إن وأن وليت ولعل وكأن ولم أذكر لكن. فقال لي: لم تركتها؟ فقلت: لم أحسبها منها. فقال: بل هي منها فزدها فيها. قال: أبو القاسم: قوله عليه السلام: الأشياء ثلاثة: ظاهر ومضمر وشيء ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ، فالظاهر رجل وفرس وزيد وعمرو وما أشبه ذلك، والمضمر نحو، أنا وأنت والتاء في فعلت والياء في غلامي والكاف في ثوبك وما أشبه ذلك. وأما الشيء الذي ليس بظاهرٍ ولا مضمرٍ فالمبهم، نحو هذا وهذه وهاتا وتا ومن وما والذي وأي وكم ومتى وأين وما أشبه ذلك.

علي بن عبد الملك بن العباس القزويني

أبو طالبٍ النحوي، كان أبوه أبو عليٍ عبد الملك من أهل العلم ورواة الحديث، وسمع أبو طالبٍ جماعةً منهم: مهروية، وأبو الحسن علي بن إبراهيم القطان. قال الخليلي: وهو إمام في شانه قرانا عليه وأخذ عنه الخلق، ومات في آخر سنة ثمان وتسعين وثلاثمائةٍ. وخلف أولاداً صغاراً اشتغلوا بما لا يعنيهم فقتلوا. وأخوه أبو الحسن علي سمع الحديث لكنه كان كاتباً فلم يسمع منه. وأبو عليٍ ابنه سمع الحديث وقرأ الفقه، ثم اشتغل بالكتابة فمات في الغربة وقد انقطع نسله.

علي بن عبيدة الريحاني

أحد البلغاء الفصحاء، من الناس من يفضله على الجاحظ، في البلاغة وحسن التصنيف مات – أخلي مكانه – وكان له اختصاص بالمأمون ويسلك في تأليفاته وتصنيفاته طريقة الحكمة، وكان يرمى بالزندقة، وله مع المأمون أخبار منها: أنه كان بحضرة المأمون فجمش غلاما فرآهما المأمون فأحب أن يعلم هل علم علي أم لا؟ فقال له: أرأيت؟ فأشار علي بيده وفرق أصابعه أي خمسة وتصحيف خمسةٍ جمشة، وغير ذلك من الأخبار المتعلقة بالفطنة والذكاء.

وقال جحظة في أماليه: حدثني أبو حرملة قال: قال علي بن عبيدة الريحاني: حضرني ثلاثة تلاميذ لي فجرى لي كلام حسن فقال أحدهم: حق هذا الكلام أن يكتب بالغوالي على خدود الغواني. وقال الأخر: بل حقه إن يكتب بانامل الحور على النور. وقال الآخر: بل حقه أن يكتب بقلم الشكر في ورق النعم. ومن

مستحسن أخباره المطربة أنه قال: أتيت باب الحسن ابن سهلٍ فأقمت ببابه ثلاثة أشهرٍ لا أحظى منه بطائلٍ فكتبت إليه:

مدحت ابن سهل ذا الأيادي وماله ... بذاك يد عندي ولا قدم بعد
وما ذنبه والناس إلا أقلهم ... عيال له إن كان لم يك لي جد
سأحمده للناس حتى إذا بدا ... له في رأي عاد لي ذلك الحمد

فبعث إلي: – باب السلطان يحتاج إلى ثلاث خلالٍ: مالٍ وعقلٍ وصبرٍ – فقلت للواسطة: تؤدي عني؟ قلت تقول له: ولو كان لي مالي لأغناني عن الطلب منك، أو صبر لصبرت على الذل ببابك، أو عقل لاستدللت به على النزاهة عن رفدك، فأمر لي بثلاثين ألف درهمٍ. قرأت بخط أبي الفضل العباس بن علي بن بردٍ الخباز: أخبرني أبو الفضل أحمد بن طاهرٍ قال: كنت في مجلس بعض أصدقائي يوماً وكان معي علي بن عبيدة الريحاني في المجلس، وفي المجلس جارية كان علي يحبها فجاء وقت الظهر فقمنا إلى الصلاه وعلي والجارية في الحديث فأطال حتى كادت الصلاه تفوت، فقلت له يا أبا الحسن: قم إلى الصلاه فأومأ بيده إلى الجارية وقال: حتى تغرب الشمس، أي حتى تقوم الجارية. قال: فجعلت أتعجب من حسن جوابه وسرعته وكنايته. وله من الكتب: كتاب المصون، كتاب التدرج، كتاب رائد الرد، كتاب المخاطب، كتاب الطارف، كتاب الهاشمي، كتاب الناشئ، كتاب الموشح، كتاب الجد، كتاب شمل الألفة، كتاب الزمام، كتاب المتحلي، كتاب الصبر، كتاب سباريها، كتاب مهرزاد خشيش، كتاب صفة الدنيا، كتاب روشنائدل، كتاب سفر الجنة، كتاب الأنواع، كتاب الوشيج، كتاب العقل والجمال، كتاب أديب جوانشير، كتاب شرح الهوى، كتاب الطارس، كتاب المسجى، كتاب أخلاق هارون، كتاب الأسنان، كتاب الخطب، كتاب الناجم، كتاب صفة الفرس، كتاب النبيه، كتاب المشاكل، كتاب فضائل إسحاق، كتاب صفة الموت، كتاب السمع والبصر، كتاب اليأس والرجاء، كتاب صفة العلماء، كتاب أنيس الملك، كتاب المؤمل والمهيب، كتاب ورودٍ وودودٍ الملكتين، كتاب النملة والبعوضة، كتاب المعاقبات، كتاب مدح النديم، كتاب الجمل، كتاب خطب المنابر، كتاب النكاح، كتاب الإيقاع، كتاب الأوصاف، كتاب امتحان الدهر، كتاب الأجواد، كتاب المجالسات، كتاب المنادمات.

قال: سأل المأمون يحيى بن أكثم وثمامة بن أشرس وعلي بن عبيدة الريحاني عن العشق ما هو؟ فقال علي بن عبيدة الريحاني عن العشق ما هو؟ فقال علي بن عبيدة: العشق ارتياح في الخلقة، وفكرة تجول في الروح، وسرور منشؤه الخواطر، له مستقر غامض، ومحل لطيف المسالك، يتصل بأجزاء القوى، ينساب في الحركات. وقال يحيى: العشق سوانح تسنح للمرء فيهتم لها ويؤثرها. قال ثمامة: يا يحيى، إنما عليك أن تجيب في مسألةٍ في الطلاق أو عن محرم يصطاد ظبياً، وأما هذه فمسألتنا. قال له المأمون: فما العشق يا ثمامة؟ فقال: إذا تقادمت جواهر النفوس بوصف الشكالة أحدثت لمع برقٍ ساطعٍ تستضيء به نواظر العقول، وتشرق له طبائع الحياه فيتولد من ذلك البرق نور خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمى عشقاً. قال المأمون: يا ثمامة أحسنت، وأمر له بآلاف دينارٍ.

علي بن عبيد الله بن الدقاق

أبو القاسم الدقيقي النحوي. أحد الأئمة العلماء هذا الشان، أخذ عن أبي عليٍ الفارسي وأبي سعيدٍ السيرافي وأبي الحسن الرماني، وكان مباركاً في التعليم، تخرج عليه خلق كثير لحسن خلقه وسجاحة سيرته، وكان مولده سنة خمسٍ وأربعين وثلاثمائة، ومات فيما ذكره هلال ابن المحسن في تاريخه، في سنة خمس عشرة وأربعمائةٍ. وله تصانيف منها: كتاب شرح الإيضاح رأيته منسوباً إليه، وأنا أظنه شرح علي بن عبيد الله السمسمي لأنه محشو بقوله: قال السمسماني. وما أدرى الدقاق ممن أخذ عن السمسماني وهو أكبر سناً منه، ومشايخهما ووفاتهما واحدة، ولكن اشتبه الأسم فنسب إلى هذا لشهرته بالنحو. وللدقيقي أيضاً كتب شرح الجرمي كتاب العروض رأيته، كتاب المقدمات.

وذكر القاضي أبو المحاسن بن مسعرٍ قال: أبو القاسم علي بن عبيد الله الدقيقي صاحب أبي الحسن علي بن عيسى الرماني، قرأ عليه كتاب سيبويه قراءة تفهمٍ، وأخذ بذلك خطه عليه وأنتفع الناس به، وعنه أخذت، وعلى روايته عولت.

علي بن عبيد الله السمسمي

أبو الحسن اللغوي النحوي. كان جيد المعرفة بفنون علم العربية، صحيح الخط غايةً في إتقان الضبط، قرأ على أبي عليٍ الفارسي وأبي سعيدٍ السيرافي. وكان ثقةً في روايته، مات في المحرم سنة خمس عشرة وأربعمائةٍ في خلافة القادر بالله.

حدث ابن نصرٍ قال: حدثني الشيخ أبو القاسم بن برهان النحوي قال: قال لنا أبو الحسن السمسمي – وقد سأله رجل مسألةً من مسائل النوكي – وحضر مجلس أبي عبيدة رجل فقال: – رحمك الله – أبا عبيدة ما العنجيد؟ قال: – رحمك الله – ما أعرف هذا، قال: سبحان الله أين يذهب عن قول الأعشى؟:

يوم تبدى لنا قتيله عن جي ... دٍ تليعٍ يزينه الأطواق

فقال: – عافاك الله – عن حرف جاء لمعنىً. والجيد: العنق. ثم قام آخر في المجلس فقال: أبا عبيدة – رحمك الله – ما الأودع؟ قال: – عافاك الله – ما أعرفه. قال: سبحان الله أين أنت عن قول العرب زاحم بعودٍ أودع؟ فقال: ويحك، هاتان كلمتان. والمعنى أو اترك أو ذر، ثم استغفر الله وجعل يدرس فقام رجل فقال: – رحمك الله – أخبرني عن كوفا، أمن المهاجرين أم من الأنصار؟ قال: قد رويت أنساب الجميع وأسماؤهم ولست أعرف فيهم كوفا. قال: فأين أنت عن قوله تعالى؟: (والهدى معكوفاً). قال: فأخذ أبو عبيدة نعليه واشتد ساعياً في مسجد البصرة يصيح بأعلى صوته: من أين حشرت البهائم على اليوم؟. ورأيت جماعةً من أهل العلم يزعمون أن النسبة إلى السمسمي والسمسماني واحد يقال هذا ويقال هذا. وكان أبو الحسن هذا مليح الخط صحيح الضبط حجةً فيما يكتبه، ومن هذا البيت جماعة كتاب مجيدون نذكر منهم في مواضعهم من يقع إلينا حسب الطاقة.

وحدث غرس النعمة بن الصابئ في كتاب الهفوات قال: كان أبو الحسن السمسماني متطيراً فخرج يوم عيدٍ من داره فلقيه بعض الناس فقال له مهنئاً: عرف الله سيدنا الشيخ بركة هذا اليوم فقال: وإياك يا سيدي، وعاد فأغلق بابه ولم يخرج يومه. وجدت في بعض الكتب هذه الأبيات المنسوبة إلى أبي الحسن السمسمي:

دع مقلتي تبكي عليك بأربع ... إن البكاء شفاء قلب الموجع

ودع الدموع تكف جفني في الهوى ... من غاب عنه حبيبه لم يهجع

ولقد بكيت عليك حتى رق لي ... من كان فيك يلومني وبكى معي

ووجدت بخط أبي الحسن السمسماني على ظهر كتاب المزني صاحب الشافعي رحمهما الله أنه كان كثيراً ما يتمثل:

يصون الفتى أثوابه حذر البلى ... ونفسك أحرى يا فتى لو تصونها

فمن ذاك الذي يرعاك بالغيب أو يرى ... لنفسك إكراماً وأنت تهينها؟

قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب النحوي، أنشدنا أبو بكر الخطيب، أنشدنا علي بن عبيد الله السمسمي النحوي:

أترى الجيرة الذين تنادوا ... بكرةً للنزال قبل الزوال؟

علموا أنني مقيم وقلبي ... معهم راحل أمام الجمال

مثل صاع العزيز في أرحل القو ... م ولا يعلمون ما في الرحال

علي بن عساكر بن المرحب

أبو الحسن المقريء النحوي، المعروف بالبطائحي الضرير. كان يزعم أنه من عبد القيس، وهو من قريةٍ من قرى البطائح تعرف بالمحمدية قريبةٍ من الصليق، مات ببغداد في ثامن عشر من شعبان سنة اثنتين وسبعين وخمسمائةٍ، ومولده سنة تسعٍ وأربعمائةٍ، وكان قد قدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته، وقرأ القران على أبي العز القلانسي الواسطي، وأبي عبد الله البارع بن الدباس، وأبي بكر بن المرزقي، وأبي محمد ابن بنت الشيخ. وقرأ النحو على البارع وغيره، وسمع الحديث من جماعةٍ. وأقرأ الناس مدةً وحدث الكثير، وكان ثقةً مأموناً. قال صدقة بن الحسين بن الحداد في تاريخه: كان سبب وفاة البطائحي أنه ظهر به باصور مما يلي تحت كتفه فبقي به مدةً طويلةً ينز إلى خارج البدن، ثم انفتح إلى باطنه فهلك به، وأوصى لطغندي صاحبه الذي كان يقرأ عليه الحديث ويقربه من جهة النساء بثلث ماله، ووقف كتبه على مدرسة الشيخ عبد القادر الجليلي، وخلف مقدار أربعمائة دينارٍ وداراً في دار الخلافة

علي بن علي

أبو الحسن البرقي. قال الحافظ أبو الحسن علي بن الفضل المقدسي: في ربيعٍ الأول سنة اثنتين وعشرين

وخمسمائةٍ مات علي بن عليٍ أبو الحسن البرقي النحوي الشاعر، ولم يذكر غير ذلك
علي بن عراقٍ الصناري

أبو الحسن الخوارزمي، مات سنة تسعٍ وثلاثين وخمسمائةٍ بمذانة قريةٍ من قرى خوارزم، ذكر ذلك أبو محمد محمود بن محمد بن أرسلان في تاريخ خوارزم وقال: كان نحوياً لغوياً عروضياً فقيهاً مفسراً مذكوراً، قرأ الأدب على الشيخ أبي عليٍ الضرير النيسابوري، والفقه بخوارزم على الإمام أبي عبد الله الوبري، ثم ارتحل في الفقه إلى بخارى فتفقه بها على مشايخها، ثم عاد إلى جرجانية خوارزم فتكلم في مسائل مع أئمتها، ثم تحول إلى قرية مذانة وتوطنها، وكان يعظ في المسجد الجامع بها غداة الجمعة وكان يحفظ اللغات الغريبة والأشعار العويصة، وصنف كتاب شماريخ الدرر في تفسير القران، ولما فرغ منه كتب في آخره:
فرغنا من كتابته عشياً ... وكان الله في عوني ولياً
وقد أدرجته نكتاً حساناً ... ومعنى يشبه الرطب الجنيا
قال: وقرأت بخط أبي عمرو البقال: كان من لطائف الصناري إذا نام واحد من أهل الرستاق في مجلسه ناداه من على المنبر بأعلى صوته: يأيها التيس المذاني، أترك المنام واسمع الكلام، ثم ينشده:
وصاحب نبهته لينهضا ... إذا الكرى في عينه تمضمضا
فقام عجلان وما تأرضا ... وثم بالكفين وجهاً أبيضا
ثم يقول تمضمض من النعاس: إذا دب في عينيه، ومنه المضمضة في الوضوء، سميت بذلك لأن الغاسل يمضمض الماء في فمه: أي يديره ويجريه فيه

علي بن عيسى أبو الحسن الصائغ

النحوي الرامهرمزي، قال القاضي أبو عليٍ التنوخي: حدثني أبو عمر أحمد بن محمد بن حفصٍ الخلال قال: كان أبو الحسن الصائغ النحوي الرامهرمزي واسع العلم والأدب مليح الشعر، وهوصاحب القصيدة التي أولها – من الأصل – وفيها تجوز كثير وأمر بخلاف الجميل قالها على طريق التخالع والتطايب، وكان صالحاً معتقداً للحق لا عن اتساعٍ في العلم – يعني علم الكلام – ولكنه كان واسع المعرفة بالنحو واللغة والأدب، وأبو الحسن الصائغ هذا هو أستاذ أبي هاشم بن أبي بكر المبرمان في النحو، قرأ عليه لما ورد بالبصرة واستفاد منه حتى بلغ أعلى مراتب النحو حتى قال ابن درستوية: اجتمعت مع أبي هاشمٍ فألقى إلي بمائتي مسألةٍ من غريب النحو ما سمعت بها قط ولا كنت أحفظ جوابها، وقد ذكرت قصته مع أبي هاشم بكمالها في ترجمة أبي هاشمٍ عبد السلام.
وقال أبو عمر الخلال: أنفذ بي الصيدلاني أبو عبد الرحمن المعتزلي غلام أبي عليٍ الجبائي إلى أبي الحسن الرامهرمزي وقال لي: قل له: إني قرأت البارحة في كتاب شيخنا أبي عليٍ في تفسير القران في قوله تعالى: (وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً) أي بينا لكل نبيٍ عدوه، فجعل جعل بمعنى بين. ولست أعرف هذا في اللغة، فاحفظ جوابه وجئني به. قال: فجئت إلى أبي الحسن فأخبرته بذلك عن عبد الرحمن فقال: نعم، هذا معروف

في لغة العرب. وقد قال العريفي العنسي – بالنون – :

جعلنا لهم نهج الطريق فأصبحوا ... على ثبتٍ من أمرهم حيث يمموا

قال: فعدت إلى عبد الرحمن فعرفته ذلك. – قلت هكذا وجدت هذا الخبر، والكلمة المسئول عنها غير مبينةٍ، فمن عرفها وكان من أهل العلم فله أن يصلحها – .

وقال أبو محمدٍ عبيد الله بن أبي القاسم عبد المجيد ابن بشران الخوزستاني: وفي سنة اثنتي عشرة وثلاثمائةٍ مات أبو الحسن علي بن عيسى الصائغ الرامهرمزي الشاعر، وقد كان شخص إلى ابراهيم المسمعي، ثم عدل إلى درك بسيراف، فخرج مع درك في هيجٍ كان من العامة بها، وقد رموه بالمقاليع فأصاب علي بن عيسى حجر فهلك، وكان شاعراً عالماً. فمن شعره:

سهادى غير مفقود ... ونومي غير موجود

وجرى الدمع في الخد ... كنظم الدر في الجيد

لفعل الشيب في اللم ... مة لا للخرد الغيد

لقد صار بي الشيب ... إلى لومٍ وتفنيد

وما المرء إذا شاب ... لديهن بمودود

وهي طويلة مدح فيها أهل البيت وكان لهم مداحاً.

علي بن عيسى بن داود بن الجراح

أبو الحسن الوزير. كانت منزلته من الرياسة ومعرفته بالعدل والسياسة تجل عن وصفها، ومن حسن الصناعة والكفاية ما هو مشهور مذكور، وزر للمقتدر بالله دفعتين، ومات في ليلة اليوم الذي عبر معز الدولة في صبيحته إلى بغداد، وهو يوم الجمعة انتصاف الليل من سلخ ذي الحجة سنة أربعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ، ودفن في داره وعمره تسع وثمانون سنةً ونصف، وحم يوماً واحداً، ومولده في جمادى الآخرة سنة خمسٍ وأربعين ومائتين، وله كتاب جامع الدعاء، كتاب معاني القران وتفسيره، أعانه عليه أبو الحسين الواسطي وأبو بكر بن مجاهدٍ، كتاب رسائله. كان تقلده للوزارة الأولى في المحرم سنة إحدى وثلاثمائةٍ، وبقي فيها أربع سنين غير شهرٍ، والأخرى في صفرٍ سنة خمس عشرة وثلاثمائةٍ، وبقي فيها سنةً وأربعة أشهرٍ ويومين، وكان يستغل ضياعة في السنة بسبعمائة ألف دينارٍ، يخرج منها في وجوه البرستين وستمائة ألف دينارٍ، وينفق أربعين ألف دينارٍ على خاصته، وكانت غلته عند عطلته ولزومه بيته نيفاً وثمانين ألف دينارٍ، يخرج منها في وجوه البر نيفاً وأربعين ألفاً، وينفق ثلاثين ألفاً على نفسه، وكان يرتفع لابن الفرات وهو متعطل ألف ألف دينارٍ. قال: الصولي ولا أعلم أنه وزر لبنى العباس وزير يشبهه في زهده وعفته وحفظه للقران وعلمه بمعانيه، وكان يصوم نهاره ويقوم ليله.

قال الصولي: ولا أعلم أنني خاطبت أحداً أعرف منه بالشعر، وكان يوقع بيده في جميع ما يحتاج إليه مما كان يوقع فيه أصحاب الدواوين في وزارته، فسألت أبا العباس أحمد بن طومار الهاشمي عن السبب فقال: قد اقتصر في نفقته وأجرى الفاضل على أولاد الصحابة بالمدينة، وجلس للمظالم فأنصف الناس وأخذ للضعيف

من القوي، وتناصف الناس بينهم، ولم يروا أعف بطناً ولساناً وفرجاً منه، ولما عزل في وزارته الثانية وولى ابن الفرات لم يقنع المحسن ابن ابي الحسن بن الفرات إلا بإخراجه عن بغداد، فخرج إلى مكة فأقام بها مهاجراً وقال في نكبته:

ومن يك عني سائلاً لشماتةٍ ... لما نابني أو شامتاً غير سائل

فقد أبرزت مني الخطوب ابن حرةٍ ... صبوراً على أهوال تلك الزلازل

إذا سر لم يبطر وليس لنكبةٍ ... إذا نزلت بالخاشع المتضائل

ولما جلس كان يلبس ثيابه ويتوضأ للصلاة ويقوم ليخرج لصلاة الجمعة، فيرده المتوكلون فيرفع يده إلى السماء ويقول: اللهم أشهدك أنني أريد طاعتك ويمنعني هؤلاء، وأشار على المقتدر أن يقف العقار ببغداد على الحرمين والثغور، وغلتها ثلاثة عشر ألف دينارٍ في كل شهرٍ، والضياع الموروثة بالسواد وارتفاعها نيف وثمانون ألف دينارٍ سوى الغلة، ففعل ذلك وأشهد على نفسه الشهود، وأفرد لهذه الوقوف ديواناً سماه ديوإن البر. ورأى آثار سعيه لآخرته في دنياه، فإنه سلم من جميع البلاء على كثرة من عاداه وقصده، ومنع حواشي المقتدر من المحالات وحملهم على السيرة الحميدة، فأفسدوا أمره حتى اعتقل ثمانية عشر شهراً، ثم نفى إلى مكة واليمن ومصر، ثم عاد ووزر بعد ذلك، واحتاج إلى المشي في بعض أسفاره فجعل يتمثل:

قد علمت إخوتنا كلاب ... أنا على دقتنا صلاب

وكان الديلم عند دخولهم إلى بغداد إذا اجتازوا على محلته تجنبوها ويقولون: هاهنا دار الوزير الصالح، وكانت داره على دجلة وهي المعروفة بالستيني، واحتاجت مسناتها إلى مرمةٍ فقدروا لها صناعها ثلاثة آلاف دينارٍ، فلما أحضر الدنانير قال: صرفها إلى الصدقة أولى، فليس اليوم على دجلة بين البلد والمعزية غيرها وهي مشهورة ببغداد إلى يومنا هذا. قد عمل عليها عدة دواليب لسقي مزارع الزاهر، ونزل يوماً في طيارةٍ فاجتمع عليه قوم يسألونه توقيعاً فقال: نعم وكرامةً حتى أرجع وأوقع، ثم قال: ومن لي بان أرجع؟ ووقع لهم قائماً ثم قال: افتديت في هذا الفعل بعمر بن عبد العزيز، فإنه وقف على متظلمٍ وأطال الوقوف حتى قضى حاجته وقال: إن الخير سريع الذهاب، وخشيت إن أفوته نفسي.

ولما ورد البريدي إلى بغداد مستولياً عليها متغلباً خوف منه وقيل: الصواب أن تهرب إلى الموصل فقال: أيهرب مخلوق إلى مخلوقٍ؟ أصرفوا ما أعددته لنفقة الطريق إلى الفقراء.

فلما دخل البريدي لم يكرم أحداً غيره، وكثر الموتان ببغداد في أيام البريدي، فكفن علي بن عيسى من الغرباء والفقراء ما لا يحصى كثرةً، حتى نفذ ما كان عنده فاستدان لذلك أموالاً كثيرةً، وكان يجري على خمسةٍ وأربعين ألف إنسان جراياتٍ تكفيهم، وخدم السلطان سبعين سنةً لم يزل فيها نعمةً عن أحدٍ، وأحصى له في أيام وزارته نيف وثلاثون ألف توقيعٍ من الكلام السديد، ولم يقتل أحداً ولا سعى في دمه، فبقيت عليه نعمته وعلى ولده بعد أن شحذت له المدى مراراً، فدفع الله عنه وأهلك ظالمه، ولم يهتك حرمةً قط لأحدٍ فلم يهتك الله له حرمةً مع كثرة نكباته، وكان على خاتمه مكتوب:

لله صنع خفي ... في كل أمرٍ يخاف

وكان له ابن يكنى أبا نصرٍ واسمه إبراهيم، وزر للمطيع في شهر ربيعٍ الأول سنة سبعٍ وأربعين، ومات في جمادى الأولى سنة خمسين وثلاثمائةٍ فجأةً. وابن يكنى أبا القاسم واسمه عيسى بن عليٍ كتب للطائع لله.
ودخل علي بن عيسى على أبي نصرٍ وأبي محمدٍ ولدى القاضي أبي الحسن عمر بن أبي عمر محمد بن يوسف يعزيهما بموت أبيهما، فلما أرد الانصراف التفت إليهما وقال: مصيبة قد وجب أجرها، خير من نعمةٍ لا يؤدى شكرها. وهذا عندي من حر الكلام وفصل الخطاب.

علي بن عيسى الرماني

بن علي بن عبد الله الرماني أبو الحسن الزوراق، كذا قال الزبيدي. وقال التنوخي: وهو يعرف بالإخشيدي. قال التنوخي: وممن ذهب في زماننا إلى أن علياً عليه السلام أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعتزلة: أبو الحسن علي بن عيسى النحوي المعروف بابن الرماني الإخشيدي. قال المؤلف: أرى أنه كان تلميذ ابن الإخشيد المتكلم أو على مذهبه، لأنه كان متكلماً على مذهب المعتزلة، وله من ذلك تصانيف مأثورة، وكان إماماً في علم العربية علامةً في الأدب، في طبقة أبي عليٍ الفارسي وأبي سعيدٍ السيرافي. وكان قد شهد عند أبي محمد بن معروفٍ. مات في حادي عشر جمادى الأولى سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ في خلافة القادر بالله. ومولده في سنة ستٍ وسبعين ومائتين. أخذ عن ابن السراج وابن دريدٍ والزجاج. وله تصانيف في جميع العلوم من النحو واللغة والنجوم والفقه والكلام على رأي المعتزلة كما ذكرنا، وكان يمزج كلامه في النحو بالمنطق حتى قال أبو عليٍ الفارسي: إن كان النحو ما يقوله الرماني فليس معه منه شيء، وكان يقال: النحويون في زماننا ثلاثة: واحد لا يفهم كلامه وهو الرماني، وواحد يفهم بعض كلامه وهو أبو علي الفارسي، وواحد يفهم جميع كلامه بلا أستاذٍ وهو السيرافي.
وللرماني من التصانيف الأدبية: كتاب تفسير القران المجيد، كتاب الحدود الأكبر، كتا ب الحدود الأصغر، كتاب معاني الحروف، كتاب شرح الصفات، كتاب شرح الموجز لابن السراج، كتاب شرح الألف واللام للمازني، كتاب شرح مختصر الجرمي، كتاب إعجاز القران، كتاب شرح أصول ابن السراج، كتاب شرح سيبويه، كتاب المسائل المفردات من كتاب سيبويه، كتاب شرح المدخل للمبرد، كتاب التصريف، كتاب الهجاء، كتاب الإيجاز في النحو، كتاب الاشتقاق الكبير، كتاب الاشتقاق الصغير، كتاب الألفات في القران، كتاب شرح المقتضب، كتاب شرح معاني الزجاج.
قرأت بخط أبن حيان التوحيدي في كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ – وقد ذكر العلماء الذين كانوا يفضلون الجاحظ – فقال: ومنهم علي بن عيسى الرماني فإنه لم ير مثله قط بلا تقيةٍ ولا تحاشٍ ولا اشمئزازٍ ولا استيحاشٍ علماً بالنحو، وغزارةً في الكلام وبصراً بالمقالات، و استخراجاً للعويص وإيضاحاً للمشكل، مع تألهٍ وتنزهٍ ودينٍ ويقينٍ وفصاحةٍ، وفقاهةٍ وعفافةٍ ونظافةٍ.
وقرأت بخط أبي سعدٍ: سمعت أبا طاهرٍ السنجي، سمعت أبا الكرم بن الفاخر النحوي، سمعت القاضي أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي، سمعت شيخنا أبا الحسن على ابن عيسى الرماني النحوي يقول وقد سئل، فقيل له: لكل كتب ترجمه، فما ترجمة كتاب الله عز وجل؟ فقال: (هذا بلاغ للناس ولينذروا به).

وقال أبو حيان: سمعت علي بن عيسى يقول لبعض أصحابه: لا تعادين أحداً وإن ظننت أنه لن ينفعك، فإنك لا تدري متى تخاف عدوك أو تحتاج إليه؟ ومتى ترجو صديقك أو تستغني عنه؟ وإذا اعتذر إليك عدوك فاقبل عذره، وليقل عيبه على لسانك.

قال أبو حيان: ورأيت في مجلس علي بن عيسى النحوي رجلاً من مرو يسأله عن الفرق بين من وما، ومن ومم، فأوسع له الكلام وبين، وقسم وفرق، وحدومثل، وعلق كل شيءٍ منه بشرطه من غير أن فهم السائل أو تصور، وسأل إعادته عليه وإبانته له، ففعل ذلك مراراً من غير تصورٍ حتى أضجره، ومن حد الحلم أخرجه. فقال له: أيها الرجل، يلزمني أن أبين للناس وأصور لمن ليس بناعسٍ، وما علي أن أفهم البهم والشقر والدهم، مثلك لا يتصور هذه المسألة بهذه العبارة وهذه الأمثلة، فإن أرحتنا ونفسك فذاك، وإلا فقد حصلنا معك على الهلاك، قم إلى مجلسٍ آخر ووقتٍ غير هذا. فأسمعه الرجل ما ساء الجماعة، وعاد بالوهن والغضاضة، ووثب الناس لضربه وسحبه، فمنعهم من ذلك أشد منعٍ بعد قيامه من صدر مجلسه ودفع الناس عنه وأخرجه صاغراً ذليلاً مهيناً والتفت إلى أبي الحسن الدقاق وقال له: متى رأيت مثل هذا فلا يكونن منك إلا التؤدة والاحتمال؟ وإلافتصير نظيراً لخصمك، وتعدم في الوسط فضل التمييز. وأنشا يقول:

ولولا أن يقال هجا نميراً ... ولم يسمع لشاعرها جوابا
رغبنا عن هجاء بني كليبٍ ... وكيف يشاتم الناس الكلابا؟

علي بن عيسى الربعي

بن الفرج بن صالحٍ الربعي الزهيري أبو الحسن النحوي، أحد أئمة النحويين وحذاقهم، أجيدي النظر الدقيق الفهم والقياس، أخذ عن أبي سعيد السير أفي وهاجر إلى شيراز فأخذ عن أبي عليٍ الفارسي ولازمه عشرين سنةً، فقال أبو عليٍ: ابقي شيء تحتاج إليه، ولوثرت من الشرق إلى الغرب لم تجد أعرف منك بالنحو، ثم رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات سنة عشرين وأربعمائةٍ عن نيفٍ وتسعين سنةً، وصنف تصاني منها: كتاب شرح الإيضاح لأبي عليٍ، كتاب شرح مختصر الجرمي، كتاب البديع في النحو، كتاب شرح البالغة، كتاب ما جاء من المبني على فعال، كتاب التنبيه على خطأ ابن جنيٍ في تفسيرٍ شعر المتنبي، كتاب شرح سيبويه إلا أنه غسله، وذاك أن أحد بني رضوان التاجر نازعه في مسألةٍ فقام مغضباً وأخذ شرح سيبويه وجعله في إجانةٍ وصب عليه الماء وغسله، وجعل يلطم به الحيطان ويقول: لا أجعل أولاد البقالين نحاةً. وكان مبتلىً بقتل الكلاب وكسر سوقهم ويقول: ما الذي يمنعهم من نزول الشط؟ فقيل له: يمنعهم كلاب القصابين وسأل يوماً أولاد الأكابر الذين يحضرون مجلسه أن يمضوا معه إلى كلواذي فظنوا ذلك لحاجة عرضت له مناك، فركبوا خيولا وجعل وهو يمشي بين أيديهم وسألوه الركوب فأبى عليهم، فلما صار بخرابها وقفهم على ثلم وأخذ كساء وعصا، وما زال يعدو إلى كلب هناك والكلب يثب عليه تارة ويهرب منه أخرى حتى أعياه، نوه حتى أمسكوه وعض على الكلب بأسنانه عضا شديدا والكلب يستغيث ويزعق، فما تركه حتى اشتفى وقال: هذا عضني منذ أيام وأريد إن أخالف قول الأول:

شاتمني كلب بني مسمع ... فصنت عنه النفس والعرضا
ولم أجبه لاحتقاري له ... من ذا يعض الكلب إن عضا؟
وكان يوما يمشي على شاطئ دجلة والرضى والمرتضى العلويان في زيزي ومعهما أبو الفتح عثمان بن جنيٍ فقال لهما: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان بن جنيٍ فقال لهما: من أعجب أحوال الشريفين أن يكون عثمان جالساً معهما في الزبزب وعلي يمشي على الشط بعيداً منهما. حدث أبو غالبٍ محمد بن بشران النحوي الواسطي قال: قدم علينا علي بت عيسى الربعي النحوي الى واسط ونزل في حجرة في جوار شيخنا أبي إسحاق يوماً: قد انعكفت على هذا المجنون؟ فقلت له: إنه يحكي النحو عن أبي عليٍ كما أنزل. فقال: صدقت، وهو يحكي النحو عن أبي عليٍ كما أنزل. وحدث ابن بشكوال في كتاب الصلة في أخبار علماء الأندلس قال: قال الربعي: كان عبد الله بن حمودٍ الزبيدي الأندلسي قد قرأ يوماً على أبي عليٍ في نوادر الأصمعي: أكأت الرجل: إذا رددته عنك، فقال أبو عليٍ: ألحق هذه الكلمة بباب أجأ فإني لم اجد لها نظيراً غيرها، فسارع من حوله إلى كتابتها. وقال الربعي: فقلت أيها الشيخ: ليس أكأت من أجأ في شيءٍ. قال: وكيف ذلك؟ قال: قلت لأن إسحاق بن إبراهيم الموصلي وقطرباً النحوي حكيا إنه يقال: كيأ الرجل: إذا جبن، فخجل الشيخ وقال: إذا كان كذا فليس منه، فضرب كل واحدٍ منهم على ما كتب.

قرأت بخط هلال بن المظفر الريحاني في كتابٍ ألفه: ذكر غير واحدٍ من أهل زنجان أن رجلاً منها يعرف بجابر بن أحمد خرج إلى بغداد متأدباً، فحين دخل قصد بن عيسى النحوي بعد أن لبس ثياباً فاخرةً عطرةً وتجمل وتزين ودخل عليه وسلم. فقال له علي بن عيسى: من أين الفتى؟ قال: من الزنجان بألفٍ ولامٍ، فعلم الربعي أن الرجل خالٍ من الفضل فقال: متى وردت؟ قال: أمس. فقال: جئت راجلاً أم راكباً؟ فقال: بل راكباً. قال: المركوب مكتريً أم مشتريً؟ قال: بل مكتريً. فقال الشيخ: مر واسترجع الكرى فإنه لم يحمل شيئاً، ثم أنشد الشيخ:

وما المرء إلا الأصغران لسانه ... ومعقوله والجسم خلق مصور
فإن طرة راقتك فاخبر فربما ... أمر مذاق العود والعود أخضر

قال علي بن عيسى الربعي: استدعاني عضد الدولة وبين يديه الحماسة فوضع يده على باب الأضياف وقال: ما تقول في هذه الأبيات؟:

ومستنبحٍ بات الصدى يستتيهه ... إلى كل صوتٍ وهو في الرجل جانح
فقلت لأهلي: ما بغام مطيةٍ ... وسارٍ أضافته الكلاب النوابح؟

فقلت: هذا قول عقبة بن بجير الحارث، ومعناه: أن العرب كانت إذا ضلت في سفر وصارت بحيث تظن أنها قريبة من حلةٍ نبحت لتسمعها الكلاب فتجيبها، فيعرفون به موضع القوم فيقصدونه ويستضيفون فيضافون فقال: إن قوماً يتشبهون بالكلاب حتى يضافوا لأدنياء النفوس، فوجمت بين يديه وأنا واقف وهو ينظر إلي، وكان من عاداتنا أنه ما دام ينظر إلى أحدنا لم يزل واقفاً بين يديه حتى يرد طرفه. قال: ثم فكر فقال: لا بل إن أقواماً يستنبحون في هذا القفر والمكان الجدب فيستضيفون فيضافون مع الإقلال والعدم لقوم كرامٍ وأمر

لي بجائزةٍ فدعوت له وانصرفت.
قرأت بخط ابي الكرم المبارك بن الفاخر بن محمد ابن يعقوب: قال لنا الرئيس أبو البركات جبر بن علي ابن عيسى الربعي: قال لي أبي: أخرج إلى عضد الدولة بيده مجلداً بأدمٍ مبطنٍ بديباجٍ أخضر في أنصاف السلطاني مذهبٍ مفصولٍ بالذهب بخطٍ أحسن، فيه شعر مدبر وحسن ليس له معنىً. فقال لي: كيف ترى هذا الشعر؟ فقلت: شعر مدبر والذي قاله خرب البيت مسود الوجه، ثم يمضي على ذلك زمان، ودخلت إليه فأومأ إلى خادم وقال له: امض إلى مرقدنا وجئنا بشعرنا، فمضي وجاء بالمجلد بعينه وهو هو فأبلست فقال: كيف تراه؟ وتلجلج لساني وربا في فمي، فقلت حسناً جيداً، ولم ير في ذلك شيئاً ألبته.
قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب: جاريت الشيخ أبا منصورٍ موهوب بن الجواليقي ذكر أبي الحسن علي بن عيسى بن صالح بن الفرج الربعي صاحب أبي علي الفارسي، فأخذت في تقريظه وتفضيله وقال لي: كان يحفظ الكثير من أشعار العرب مما لم يكن غيره من نظرائه يقوم به، إلا أن جنونه لم يكن يدعه يتمكن منه أحد في الأخذ عنه والإفادة منه. قال: وقال لي الشيخ أبو زكرياء: سألت أبا القاسم بن برهان فقلت له: يا سيدنا، تترك الربعي والأخذ عنه مع إدراكك إياه وتأخذ عن أصحابه؟ فقال لي: كان مجنوناً وأنا كما ترى، فما كنا؟ قال: ولقد مر يوماً بسكران ملقي على قارعة الطريق فحل سرواله يعني سروال الربعي، وجلس على أنفه وجعل يضرط ويشمه السكران ويقول له:
تمتع من شميم عرار نجدٍ ... فمابعد العشية من عرار

علي بن عيسىيعرف بابن وهاش

بن حمزة بن وهاس، أبي الطيب يعرف بابن وهاشٍ، من ولد سليمان بن حسن بن علي ابن أبي طالب عليه السلام. وذكر العماد في موضعٍ آخر عن دهمس بن وهاس بن عتود بن حازم بن وهاس الحسني: أن علي بن عيسى مات بمكة في سنة نيفٍ وخمسمائةٍ. وكان في عشر الثمانين، وكان أصله من اليمن من مخلاف ابن سليمان، وكان شريفاً جليلاً هماماً من أهل مكة وشرفائها وأمرائها، وكان ذا فضلٍ غزيرٍ. وله تصانيف مفيدة وقريحة في النظم والنثر مجيدة، قرأ على الزمخشري بمكة وبرز عليه، وصرفت أعنة طلبة العلم إليه، وتوفي في أول ولاية الأمير عيسى بن فليته أمير مكة في سنة نيفٍ وخمسين وخمسمائةٍ، وكان الناس يقولون: ما جمع الله لنا بين ولاية عيسى وبقاء علي بن عيسى.
وله شعر منه في مرثية الأمير قاسمٍ جد الأمير عيسى:
يا حادي العيس على بعدها ... وخادةً تسحب فضل النعال

رفه عليهن فلا قاسماً ... لها على الأين وفرط الكلال
غاض النمير العذب يا وارداً ... وحال عن عهدك ذاك الزلال
إن يمض لا يمض بطئ القرى ... أو يود لا يود ذميم الفعال

وله مدح في الزمخشري ذكرته في ترجمته. ومن شعره:

صلى حبل الملاءمة أو فبتى ... وكفى من عتابك أو أشتى

هي الأنضاء عزمة ذي همومٍ ... فحسبك والملام ولا هبلت

إليك فلست ممن يطبيه ... ملام أو يريع إذا أهبت

حلفت بها تواهق كالحنايا ... بقايا ما بها كتمال قلت

سواهم كالحنايا زاحراتٍ ... تركع من وجىً ودباً وعنت

جوازع بطن نخلة عابراتٍ ... تؤم البيت من خمسٍ وستٍ

أزال أديب أنضاءً طلاحاً ... بكل ملمع القفرات مرت

وأرغب عن محل فيه أضحت ... حبال المجد تضعف عند متى

أما جربت يا أيام منى ... فروك تجمعٍ وحليف شت

أبي ما عجمت صفاه إلا ... وأثر في نيوبك ما عجمت

ورب أخٍ كريم المجد محضٍ ... يراع لدعوتي كالسيف صلت

أبت نفسي فلم تسمح إليه ... بشكوى غير ما جلدٍ وصمت

أقول لنفسي المشفاق مهلاً ... أليس على الزرية ما صبرت؟

لئن فارقت خير عراً لأهلٍ ... فخيربني أبيك به نزلت

وكتب إلى عمته وقد أرسلت تقول له: كم هذا البعد عنا والتغرب؟:

ومهدية عندي على نأى دراها ... رسائل مشتاقٍ كريمٍ وسائله

تقول: إلى كم يا بن عيسى تجنباً ... وبعداً وكم ذا عنك ركباً نسائله؟؟

فيوشك أن تودى وما من حفيةٍ ... عليك ولا بالٍ بما أنت فاعله

فقلت لها: في العيس والبعد راحة ... لذي الهم إن أعيت عليه مقاتله

وفي كاهل الليل الخدارى مركب ... وكم مرةٍ نجى من الضيم كاهله

إذا لم تعادلك الليالي بصاحب ... ولاسمحت بالنجح عفواً أناملة

فلا خير في أن ترأم الضيم ثاوياً ... وغيظاً على طول الليالي تماطله

ذريني فلي نفس أبي إن يدرها ... عصاب وقلب يشرب اليأس حامله

إذا سيم ورداً بعد خمس تشمرت ... عن الماء خوف المقذعات ذلاذله

علي بن فضال بن علي

بن غالب بن جابر بن عبد الرحمن ابن محمد بن عمرو بن عيسى بن حسن بن زمعة بن هميم بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم – هكذا وجدته هميم والمعروف همام، وهو الفرزدق الشاعر، لأن ابن فضال يعرف بالفرزدقي – القيرواني النحوي أبو الحسن المجاشعي، هجر مسقط رأسه ورفض مألوف نفسه، وطفق يدوخ بسيط الأرض ذات الطول والعرض، يشرق مرةً ويغرب

أخرى، ويركب القفار ويأوي إلى ظل الأمصار برهةً حتى ألم بغزنة فألقى عصاه بها، ودرت له أخلافها فلقى وجه الأماني، وصنف عدة تصانيف بأسامي أكابر غزنة سارت في البلاد، ثم عاد إلى العراق وانخرط في سلك خدمة نظام الملك مع أفاضل العراق، ولم تطل أيامه حتى نزل به حمامة، وكان إماماً في النحو واللغة والتصنيف والتفسيروالسير. صنف كتاب التفسير الكبير الذي سماه البرهان العميدي في عشرين مجلداً، وكتاب النكت في القران، وكتاب شرح بسم الله الرحمن الرحيم وهو كتاب كبير، وكتاب إكسير الذهب في صناعة الأدب والنحو في خمسة مجلداتٍ، وكتاب العوامل والهوامل في الحروف خاصةً، وكتاب الفصول في معرفة الأصول، وكتاب الإشارة في تحسين العبارة، وكتاب شرح عنوان الأعراب، وكتاب المقدمة في النحو، وكتاب العروض، وكتاب شرح معاني الحروف، وكتاب الدول في التاريخ.

رأيت في الوقف السلجوقي ببغداد منه ثلاثين مجلداً ويعوزه شيءآخر، وكتاب شجرة الذهب في معرفة أئمة الأدب. وقيل إنه صنف كتاباً في تفسير القران في خمسٍ وثلاثين مجلداً سماه كتاب الإكسير في علم التفسير، وكتاب معارف الأدب كبير نحو ثمانية مجلداتٍ. وله غير ذلك من الكتب في فنونٍ من العلم، وأقام ببغداد مدةً وأقرأ بها النحو واللغة، وحدث بها عن جماعةٍ من شيوخ المغرب. وذكر هبة الله السقطي أنه كتب عن ابن فضالٍ أحاديث قال: فعرضتها على عبد الله بن سبعون القيرواني لمعرفته برجال الغرب فأنكرها وقال: أسانيدها مركبة على متونٍ موضوعةٍ، واجتمع عبد الله بن سبعون في جماعةٍ من المحدثين وأنكروا عليه فاعتذر وقال: إني وهمت فيها. وذكره عبد الغفار الفارسي فقال: ورد نيسابور واختلفت إليه فوجدته بحراً في علمه. ما عهدت في البلدين ولا في الغرباء مثله في حفظه ومعرفته وتحقيقه، فأعرضت عن كل شيء وفارقت المكتب ولزمت بابه بكرةً وعشيةً وكان على وقارٍ.

قال السمعاني: سمعت ابن ناصرٍ يقول: مات ابن فضالٍ في ثاني عشر ربيعٍ الأول سنة تسعٍ وسبعين وأربعمائةٍ، ودفن بباب أبرز، قال شجاع الذهلي: أنشدنا ابن فضالٍ لنفسه:

لا عذر للصب إذا لم يكن ... يخلع في ذاك العذار العذار
كأنه في خده إذ بدا ... ليل تبدى طالعاً من نهار
تخاله جنح الظلام وقد ... صاح به ضوء صباحٍ فحار

وقال أبو الحسن المبارك بن عبد الجبار الصيرفي: أنشدنا ابن فضالٍ لنفسه:

كأن بهرام وقد عارضت ... فيه الثريا نظر المبصر
ياقوته يعرضها بائع ... في كفه والمشتري مشتري

ومن شعره:

أخذ العلم عن رواية واجتلب الهدى ... وإن كان راوية أخا عملٍ زارى
فإن رواة العلم كالنخل يانعاً ... كل التمر منه واترك العود للنار

قال عبد الغفار بن اسماعيل: وأنشدني ابن فضالٍ لنفسه:

يا يوسفي الجمال عبدك لم ... يبق له حيلة من الحيل

إن قد فيه القميص من دبرٍ ... قد قد فيه الفؤاد من قبل

وأنشد السمعاني بإسناده لعلي بن فضالٍ المجاشعي في ترجمة صاعد بن سيارٍ الهروي:

وإخوانٍ حسبتهم دروعاً ... فكانوها ولكن للأعادي

وخلتهم سهاماً صائباتٍ ... فكانوها ولكن في فؤادي

وقالوا: قد صفت منا قلوب ... لقد صدقوا ولكن من ودادي

وأنشد له صاحب الوشاح في نظام الملك:

دوراس أيٍ ما تكاد تبين ... عفا هن دمع للسحاب هتون

وقفنا بها مستلهمين فلم يزل ... لسان البلى عن عجمهن يبين

وما خفت أن تبدى خفي سرائري ... مواثل أمثال الجماجم جون

على حين عاصيت الصبا وهو طائع ... وأرخصت علق اللهو وهو ثمين

أرى المزن يهوى رسم من قد هويته ... فلي وله دمع به وحنين

سقى الله حيث الظاعنون سحائباً ... فقلبي حيث الظاعنون رهين

فكم ضمنت أحداجهم من جآذرٍ ... أوانس ينضوها جآذر عين

وأقمار تمٍ لم ير الناس قبلها ... بدوراً تثنى تحتهن غصون

يجردن من ألحاظهن صوارماً ... مهندةً: أجفانهن جفون

وأنشد له:

والله إن الله رب العباد ... وخالص النية والإعتقاد

ما زادني صدك إلاهوى ... وسوء أفعالك إلا وداد

وإنني منك لفي لوعةٍ ... أقل ما فيها يذيب الجماد

فكن كما شئت فأنت المنى ... واحكم كما شئت فأنت المراد

وما عسى تبلغه طاقتي ... وإنما بين ضلوعي فؤاد

ومما نقلته من السمعاني لابن فضالٍ:

فتنتني أم عمروٍ ... وكذاك الصب مفتون

قلت: جودى لكئيبٍ ... مستهامٍ بك محزون

فلوت عني وقالت: ... أترى ذا المرء مجنون

ما رأى الناس جميعاً ... في كتاب الله يتلون

لن تنالوا البر حتى ... تنفقوا مما تحبون؟

وفي كتاب سر السرور لابن فضالٍ:

ما هذه الألف التي قد زدتموا ... فدعوتم الخوان بالإخوان

وزادني الحافظ شمس الدين أبو نصرٍ عبد الرحيم بن وهبان:

ما صح لي أحد فأجعله أخاً ... في الله محضاً أو ففي الشيطان
إما مولٍ عن ودادي ما له ... وجه وإما من له وجهان

وحدث محمد بن طاهرٍ المقدسي وكان كما علمت وقاعةً في كل من انتسب إلى مذهب الشافعي لأنه كان حنبلياً. سمعت ابراهيم بن عثمان الأديب الغزي بنيسابور يقول: لما دخل أبو الحسن بن فضالٍ النحوي نيسابور واقترح عليه الأستاذ أبو المعالي بن الجويني أن يصنف باسمه كتاباً في النحو وسماه الإكسير وعده إن يدفع إليه ألف دينارٍ، فلما صنفه وفرغ منه ابتدأ بقراءته عليه، فلما فرغ من القراءة انتظر أياماً أن يدفع إليه ما وعده أو بعضه فلم يدفع شيئاً، فأنفذ إليه الأستاذ: عرضي فداؤك ولم يدفع إليه حبةً واحدةً. قلت أنا: وبلغني عقيب ذلك ورد بغداد وأقام بها ولم يتكلم بعد في النحو وصنف كتابه في التاريخ. ومن شعره الذي أورده السمعاني:

أحب النبي وأصحابه ... وأبغض مبغض أزواجه
ومهما ذهبتم إلى مذهبٍ ... فمالي سوى قصد منهاجه

قال السلفي: قال الرئيس أبو المظفر: أنشدني أبو القاسم ابن ناقيا في ابن فضالٍ المجاشعي المغربي قال: ودخلت دار العلم ببغداد وهو يدرس شيئاً من النحو في يومٍ باردٍ فقلت:

أليوم يوم قارس بارد ... كأنه نحو ابن فضال
لا تقرءوا النحو ولا شعره ... فيعتري الفالج في الحال

علي بن الفضل المزني

أبو الحسن النحوي نقلت من خط أبي سعيد عبد الرحمن بن عليٍ اليزدادي في كتابه المسمى: جلاء المعرفة، تعرض فيه للمأخذ على العلماء قال: وكان قرئ كتاب الكرماني في النحو على أبي الحسن المزني، وقرأة هو على أبيه، وأبوه على الكرماني، وفضل أبي الحسن في عصره على من كانت تضرب إليه آباطل الأبل في العراق لاقتباس العلم منه. وكان ابن جريرٍ يحثه أبداً على قصد العراق علماً منه بانه لو دخل بغداد لقبل فوق قبول غيره، ولكان الأستاذ المقدم، وبلغ من فضل علمه أنه صنف كتاباً في علم بسم الله الرحمن الرحيم، وسماه البسملة ويقع في ثلاثمائة ورقةٍ، وله في النحو والتصريف مصنفات لطيفة نافعة، وقد روى المزني عن اسحاق بن مسلمٍ عن أبي سعيد الضرير.

علي بن القاسم القاشاني

الكاتب أبو الحسن ذكره الثعالبي فقال: بقية مشيخة الكتاب المتقدمين في البراعة، المالكين أزمة البلاغة، المتوقلين في هضبات المجد، المترقين في درجات الفضل والرسائل الجيدة، والأشعار الرائقة. فمن رسائله: كتابي – أطال الله بقاء مولاي – وأنا متردد بين جذلٍ لتجدد بره في خطابه، وبين خجل من قوارع زجره وعتابه، فإذا خليت عنان أنسي في رياض مبارة فرتعت، جاذبيته لاعج الإشفاق من سوء ظنه ففرغت، ولو

كنت جانياً لاعتذرت، أو كان سوء ظنه بي صادقاً لاعترفت، ولعذت منه بحقوى كريمٍ لا يبهضه اغتفار الجرائر، ولا يتعاظمه الصفح عن الكبائر.

فصل: علقت هذه المخاطبة والأشغال تكتنفني، وكد الخاطر بأسبابٍ شتى يقتسمني، ووراء ذلك كلال الذهن بارتقاء السن، ونقصان الخواطر بزيادة الشواغل، واستمرار البلادة لمفارقة العادة، ومولاي – والله يعيذه من السوء – مقتبل الشباب، زائد الأسباب، مؤتنف المخائل، متجلد الفضائل، إلى علمٍ لا يدرك مضماره، ولا يشق غباره، فإذا حملني على مساجلته فقد عرضني للتكشف، وإن عرضني على محنة التتبع فقد سلبني ثوب التجمل.

فصل: وصل كتاب مولاي:

فكم فرحةٍ أدى وكم كربةٍ جلى ... وكم بهجةٍ أولى وكم غمةٍ سلا

وسألت الله واهب خصال الفضل له، وجامع خلال النبل فيه، وحائز جمال المروءة للزمان ببقائه، ومانح كمال المزية للإخوان بمكانه، أن يتولى حفظ النعم النفيسة، ويديم حياطة هذه المنائح الخطيرة بصيانة تلك الشيم العلية، حتى تستوفي المكارم أعلى حظها في أيامه، وتجوز الفضائل أقصى غاياتها في مضماره:

فينجح ذو فضلٍ ويكمد ناقص ... ويبهج ذو ودٍ ويكبت حاسد

فصل: وما أرتضي نفسي لمخاطبة مولاي إلا إذا كنت منفي الشواغل فارغ الخواطر، مخلى الجوارح مطلق الإسار سليم الأفكار، فكيف بي مع كلال الحد وانغلاق الفهم، واستبهام القريحة واستعجام الطبيعة، والمعول على النية وهي لمولاي بظهر الغيب مكشوفة، والمرجع إلى العقيدة وهي بالولاء المحض معروفة، ولا مجال للعتب بين هذه الأحوال، كما لا مجاز للعذر وراء هذه الخلال، وكتب إلى الصاحب أبي القاسم بن عبادٍ قصيدةً منها:

إذا الغيوم ارجحن باسقها ... وحف أرجاءها بوارقها

وابتسمت فرحةً لوامعها ... واحتفلت عبرةً حمالقها

وقيل: طوبى لبلدةٍ نتجت ... بجو أكنافها بوارقها

فليسق غيث الندى أبا القاسم ال ... قرم وزير الأنام وادقها

وهي طويلة ثم قال: هذه – أطال الله بقاء مولاي – نتائج أريحيةٍ أثارتها مخاطبات مولاي، التي هي أنقع لغلتي من برد الشراب، وأعجب إلى من برد الشباب، فجاش الصدر بما أبرأ إليه من عهدته، وأسكنه ظل أمانته وذمته، ليسبل عليه ستر مودته، ويتأمله بعين محبته. نعم وقد محا الزمان آثار اساءته إلي، بما أسعفني به من إقبال مولاي علي، وتتابع بره في مخاطباته لدى، فكل ذنبٍ لهذه النعمة مغفور، وكل جنايةٍ بهذا الإحسان مغمور. وأجابه الصاحب بكتابٍ صدره بأبياتٍ منها:

بدت عذارى مدت سرادقها ... وأقسم الحسن لا يفارقها؟

كواعب أخرست دمالجها ... عنا وقد أقلقت مناطقها؟

أم روضة أبرزت محاسنها ... ومايني قطرها يعانقها؟

أم أشرقت فقرةً بدائعها ... حديقة زانها طرائقها؟
لله حلف العلا أبو حسنٍ ... وقد جرت للعلا سوابقها
لله تلك الألفاظ حاملةً ... غو معان تعيا دقائقها
يكاد إعجازها يشككنا ... في سورٍ أنها توافقها

وهي طويلة، هذه – أطال الله عمر مولاي – أبيات علقتها والروية لم تعتلقها، وأعتقت فيها و الفكرة لم تعتنقها، لاثقةً بالنفس ووفائها، وسكوناً إلى القريحة وصفائها، بل علماً باني وإن أعطيت الجهد عنانه، وفسحت للكد ميدانه، لم أدان ما ورد من ألفاظٍ أيسرما أصفها به الامتناع على الوصف أن يتقصاها، والبعد عن الإطناب أن يبلغ مداها، ولقد قرع سمعي منها ما أراني العجز يخطر بين أفكاري، والقصور يتبختر بين إقبالي وإدباري، إلى أن فكرت في أن فضيلة المولى تشتمل عبده، وتخيم وإن تصرفت عنده، فثاب إلى خاطر نظمت به ما إن طالعه صفحاً وجوداً رجوت إن يحظى بطائل القبول، وإن تتبعه نقداً تراجع على أعقاب الخمول، هذا ولا عار على من سبقه سباق الأقران المستولى على قصب الرهان. ومن شعر القاشاني المشهور:

وإني وإن أقصرت عن غير بغضةٍ ... لراعٍ لأسباب المودة حافظ
وما زال يدعوني إلى الصد ما أرى ... فآبى ويثنيني إليك الحفائظ
وأنتظرالعتبى وأغضى على القذى ... ألاين طوراً في الهوى وأغالظ

علي بن القاسم السنجاني أبو الحسن

وسنجان قصبة خواف. ذكره الباخرزي فقال: هو صاحب كتاب مختصر العين، ومحله من الأدب محل العين من الإنسان، ومحل الإنسان من العين، وقد سهل طريق اللغة على طالبيها، وأدنى قطوفها من متناوليها باختصاره كتاب العين، ولا تكاد ترى جحورالمتأدبين منه خاليةً، وله شعر الزهاد وقد جرى فيه على سمت العباد، ونسجه على منوال أولى الاجتهاد، فمما وقع إلى منه قوله:

خليلي قوما فاحملا لي رسالةً ... وقولا لدنيانا التي تتصنع
عرفناك يا خداعة الخلق فاعزبي ... ألسنا نرى ما تصنعين ونسمع؟
فلا تتحلى للعيون بزينةٍ ... فإنا متى ما تسفرى نتقنع
نغطي بثوب اليأس منا عيوننا ... إذا لاح يوماً من مخازيك مطمع
وهل أنت إلامتعة مستعارة؟ ... فلم يهننا مما رعيناه مرتع
فأنت خلوب كالغمامة كلما ... رجاها مرجى الغيث ظلت تقشع
طلوع قبوع كالمغازلة التي ... تطلع أحياناً وحيناً تقبع

وله يرثي نفسه:

دبت إلى بنات الأرض مسرعةً ... حتى تمشين في قلبي وفي كبدي
والعين من فويق الخد سائلة ... وطالما كنت أحميها من الرمد

علي بن المبارك اللحياني

وقيل علي بن حازم ويكنى أبا الحسن، أخذ عن الكسائي، وأخذ عنه أبو عبيدٍ القاسم بن سلامٍ. وله كتاب النوادر. قال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين: وممن أخذ عن الكسائي أبو الحسن علي بن حازم الختلي اللحياني من بني الحيان بن هذيل بن مدركة ابن إلياس بن مضر صاحب كتاب النوارد، وقيل سمى اللحياني لعظم لحيته.
حدثني أبو عمر الزاهد عن أبي عمرو بن الطوسي عن أبيه عن اللحياني قال أبو عمر: وسمعت ثعلباً يقول: قال الأحمر: خرجت من عند الكسائي ذات يوم فإذا اللحياني جالس فقال لي: أحب أن تدخل فتشفع لي إلى الكسائي لأقرأ عليه هذه النوادر. قال: فدخلت إلى الكسائي فقلت له. فقال: هو بغيض ثقيل الروح. قال الأحمر: وكان اللحياني ورعاً. قال: فقلت له: أحب أن تفعل فأجابني فخرجت الى اللحياني فقلت له: قد قال كذا وكذا فلم لا تنبسط معه؟ فقال: دعني وإياه. قال اللحياني: فدخلت عليه وهو جالس على كرسيٍ ملوكيٍ وعليه بغداديه مشهرة على رأسه بطيخية وبيده كسرة سميدٍ وهو يفتها للحمام. قال ثعلب: وكان السلطان قد أفسده. قال: فقال لي: ما تقول في النبيذ؟ قلت أنا؟ قال: نعم، قلت أحسوه ثم أفسوه. قال: فضحك مني وقال: أنت ظريف فاكتم ما سمعت وأقرأ ما شئت، فقرأت عليه وخرجت فإذا الحجارة تأخذ كعبي فالتفت أقول من ذا؟ فإذا هو من منظر له يقول: من كنت تقرأ عليه حتى صدعته اليوم. قال أبو الطيب: وقد أخذ اللحياني عن أبي زيدٍ وأبي عمرو الشيباني وأبي عبيدة والأصمعي وعمدته على الكسائي، وكذلك أهل الكوفة كلهم يأخذون عن البصريين، وأهل البصرة يمنعون من الأخذ عنهم، لأنهم لا يرون الأعراب الذي يحكون عنهم حجةً.
قال ابن جنيٍ في الخصائص: ذاكرت يوماً أبا علي بنوادر اللحياني فقال: كناسة. قال: وكان أبو بكرٍ محمد ابن الحسن بن مقسمٍ يقول: إن كتابه لا يصله به رواية وقدحا فيه وغضا منه.

علي بن المبارك ابي المعالي بن علي

ابن المبارك بن عبد الباقي بن بانوية أبو الحسن المعروف بابن الزاهدة النحوي صاحب ابن الخشاب وليس بابن الزاهد، فإن في اصحاب ابن الخشاب آخر يعرف بابن الزاهد بغير هاء، وهو أحمد بن هبة الله مذكور في بابه. والزاهدة هذه التي يعرف بها أمه، واسمها أمة السلام المباركة بنت ابراهيم بن علي بن أبي الحسن بن أبي الحربش، وكانت واعظةً مشهورةً روت الحديث، مات ابن الزاهدة هذا في ثالث ذي الحجة سنة أربعٍ وتسعين وخمسمائةٍ، ودفن عند والدته برباط لهم بدرب البقر بمحلة الظفرية، وكان أيضاً يسكن بالظفرية في حياته، وكانت له معرفة جيدة بالنحو، قرأ على الشريف أبي السعادات بن الشجري، ثم على الشيخ أبي

محمد ابن الخشاب، وأقرأ العربية مدةً وسمع منه الطلبة وأنشدت له:

إذا سام بمعنى الوقت يبنى لأنه ... يضمن معنى الشرط موضعه نصب

ويعمل فيه النصب معنى جوابه ... ومابعده في موضع الجر يا ندب

وله في كتاب الخريدة من قصيدةٍ كتبها إلى صلاح الدين:

ألا حييا بالرقمتين المعالما ... وإن كن قد أصبحن درساً طواسما

ومن مديحها:

إذا كانت الأعداء فعلاً مضارعاً ... أصار مواضيه الحروف الجوازما

علي بن المحسن أبو القاسم التنوخي

قال السمعاني في كتاب النسب: هو أبو القاسم علي ابن المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم، واسم أبي الفهم داود بن ابراهيم بن تميم بن جابر بن هانئ بن زيد بن عبيد بن مالك بن مربط بن شرح بن نزار بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن فهم بن تيم بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة. سمع أبا الحسن علي بن أحمد بن كيسان النحوي، واسحاق بن سعد بن الحسن بن سفيان النسوي، وروى عنه الخطيب فأكثر، وكان قد قبلت شهادته عند الحكام في حداثته، مات فيما ذكره عبد الله بن علي بن الآبنوسي في سنة سبع وأربعين وأربعمائةٍ في محرمها. قال الخطيب: وسألته عن مولده فقال: ولدت بالبصرة في النصف من شعبان سنة سبعين وثلاثمائةٍ.

قال: وكان معتزلياً، قال: وكان عنده كتاب القدر لجعفر الفريابي، وكان أصحاب الحديث يتحاشون من مطالبته بإخراجه، فطالبته به وقرأته عليه، وسمعوا أو كما قال. وكان التنوخي ساكتاً لم يعترض على شيء من تلك الأحاديث.

قال: وكان دخل التنوخي كل شهرٍ من القضاء ودار الضرب وغيرهما ستين ديناراً، فيمر الشهر وليس له شيء، وكان ينفق على أصحاب الحديث، وكان الخطيب والصوري وغيرهما يبيتون عنده، وكان ثقة في الحديث متحفظاً في الشهادة محتاطاً صدوقاً، وتقلد قضاء عدة نواحٍ منها المدائن وأعمالها ودرزيجان والبردان وقرميسين.

وحدثنا الهمذاني في تاريخه بعد ذكر مولده ووفاته كما تقدم ثم قال: وكان ظريفاً نبيلاً فاضلاً جيد النادرة.

قال القاضي أبو عبد الله بن الدامغاني: دخلت على القاضي أبي القاسم التنوخي قبل موته بقليلٍ وقد علت سنه فأخرج إلى ولده من جاريته، فلما رآه بكى فقلت: تعيش إن شاء الله وتربيه ويقر الله عينك به، فقال: هيهات والله ما يتربى إلا يتيماً وأنشد:

أرى ولد الفتى كلاً عليه ... لقد سعد الذي أمسى عقيما

فاما أن يخلفه عدوا ... واما أن يربيه يتيما

ثم قال: أريد أن تزوجني من أمه – فإنني قد أعتقتها – على صداق عشرة دنانير ففعلت، وكان كما قال

تربى يتيما، وهو أبو الحسن محمد بن علي بن المحسن. قبل القاضي أبو عبد الله شهادته، ثم مات سنة أربعٍ وتسعين وأربعمائة وانقرض بيته.

قال أبو الحسن بن أبي الحسين: ولد لأبي القاسم التنوخي ولد في سنة نيفٍ وأربعين وأربعمائةٍ. فقال له رئيس الرؤساء: أيها القاضي، كنت منذ شهورٍ قريبةٍ قلت لي: إنك لا تعرف هذا الشأن، الذي يكون منه الأولاد منذ سنين، وإنه لا حاسة بقيت لك ولا شهوة ولا قدرة على هذا الفن، وأنت اليوم تقر عندي بولدٍ رزقته، ففي أي القولين أنت كاذب أيها القاضي؟ فقال: اللهم غفراً، اللهم غفراً، وخجل وقام. قال: واجتاز يوماً في بعض الدروب فسمع امرأةً تقول لأخرى: كم عمر بنتك يا أختي؟ فقالت لها: رزقتها يوم شهر بالقاضي التنوخي وضرب بالسياط، فرفع رأسه إليها وقال: يا بظراء صار صفعي تاريخك وما وجدت تاريخاً غيره؟ وكان أعمش العينين لا تهدأ جفونه من الانخفاض والارتفاع والتغميض والانفتاح، فقال فيه أبو القاسم بن بابك الشاعر:

إذا التنوخي انتشا ... وغاض ثم انتعشا

أخفى عليه إن مشي ... ت وهو يخفى إن مشا

فلا أراه قلةً ... ولايراني عمشا

وكان تولى دار الضرب فقال البصروي فيه:

وفي أمض الأعمال قاضٍ ... ليس بأعمى ولا بصير

يقضم ما يجبى إليه ... قضم البراذين للشعير

قال غرس النعمة: حدثت أنه جاء رجل إلى التنوخي على الطريق وهو راكب حماره وأعطاه رقعةً وبعد مسرعاً ففتحها وإذا فيها:

إن التنوخي به أبنة ... كأنه يسجد للفيش

له غلامان ينيكانه ... بعلة الترويج في الخيش

فلما قرأها قال: ردوا ذاك زوج القحبة الذي أعطاني الرقعة، فعدوا وراءه فقال: هذه الرقعة منك؟ فقال: لا، أعطانيها بعض الناس وأمرني أن أوصلها اليك، قال: قل له: يا كشخان يا قرنان يا زوج ألف قحبةٍ، هات زوجتك وأختك وأمك إلى داري، وانظر ما يكون مني إليهم، واحكم ذلك الوقت بما حكمت به في رقعتك أو بضده، قفاه قفاه، فصفعوه وافترقا.

قال غرس النعمة: حدثني أبو سعدٍ المانداني قال: دخلت يوماً على القاضي أبي القاسم التنوخي وكانت عينه رمدةً أتعرف خبره فقال لي: حدثني من رأيت وما رأيت في طريقك؟ فقلت: رأيت منسفاً فيه نحو عشرين رطلاً رطباً أزاذاً لقاطاً ما رأيت مثله. فقال لغلامه: يا أحمد، علي بالمنسف الساعة، فمضى أحمد وابتاعه وجاء به فحل عينه وغسلها من الدواء الذي فيها وقال لي: كل حتى آكل، فقلت يا سيدي عينك رمدة فكيف تأكل رطبا؟ فقال: كل فعيني تهدأ والرطب يفنى، فأكل والله منه حتى وقف.

قال: وحدثني قال: كنت ليلةً بائتاً عنده فهبت ريح شديدة فما زال طرف النطع الذي تحته يصعد وينزل ويصفع رأسه فقال: هذا سقوط الساعة أم مصافعة؟ فقلت: ممن يا سيدنا؟ فقال: فضولك وضحكنا. قال: وحدثني قال: حدثني القاضي قال: كنت يوماً وقت القيلولة نائماً فاجتاز واحد غث يصيح صياحاً أزعجني وأيقظني: شراك النعال، شراك النعال. فقلت لأحمد الغلام: خذ كل نعلٍ لي ولمن في داري وأخرجها إلى هذا الرجل ليرمها ويشتغل بها ففعل، ونمت إلى إن اكتفيت ثم انتبهت وصليت العصر وأعطيته أجرته ومضى، فلما كان من غدٍ في مثل ذلك الوقت جاء وأنا نائم فصاح وأنبهني فقلت للغلام: أدخله، فأدخله فقلت: يا ماص كذا وكذا من أمه، أمس في هذا الوقت أصلحت كل نعلٍ لنا. وعدت اليوم تصيح على بابنا، أبلغك أننا البارحة تصافعنا بالنعال وقطعناها؟ وقد عدت اليوم لعملها وإصلاحها، قفاه. فقال يا سيدنا القاضي: أو أتوب الأ أدخل هذا الدرب؟ قلت: فما تتركني أنام ولا أهدأ ولا أستقر؟ فحلف ألا يعود إلى الدرب وأخرجته إلى لعنة الله. قال: ورأيته يوماً عند الرئيس الوالد – رضي الله عنهما – وهو يشكو إليه قبح أبي القاسم بن المسلمة رئيس الروساء وقصده له وغضه منه، وتناهى غضبه إلى إن أخذ الدواة من بين يدي الرئيس ورفعها إلى فوق رأسه وقال: والله لقد بال في حجري وعلى ثيابي بعدد الرمل والحصا والتراب، وحط الدواة فضرب بها الأرض فكسرت، فلما رأى ذلك قام وانصرف وقد استحيا وبقينا متعجبين منه.

قال: وحدثني أبو سعدٍ المانداني قال: كنت مع القاضي التنوخي وقد خرج يوماً من دار الخلافة ليعبر إلى داره بالجانب الغربي، فلما بلغنا مشرعة نهر معلى صاح به الملاحون: يا شيخ يا شيخ، تعال هنا تعال هنا، فوقف وقال لهم: كل مردٍ معكم ومجذاف في كذا وكذا من نسائكم، ما فيكم إلا من يعرفني ويعلم أنني القاضي التنوخي يا كذا وكذا، ثم نزل وهو يسبهم ويشتمهم والملاحون وأنا قد متنا بالضحك. وجاءه غلام قد تزوج وكتب كتاباً بمهر يشهده فيه واستحيا الغلام من ذلك فجذب طاقةً من حصير القاضي وجعل يقطعها لحيائه وخجله، ولحظه القاضي فقال يا هذا: أنا أشهد لك في كتابٍ يقتضي أن يحمل به إليك القماش والجهاز اللذان يعمران بيتك ويجملان أمرك، وأنت مشغول بقطع حصيري وتخيب بيتي؟ وشق الكتاب قطعاً ولم يشهد فيه ورمى به إليه، فأخذه وانصرف متعجباً.

قال: وحدثني الرئيس أبو الحسين والدي قال: شهد القاضي أبو القاسم –منذ سنة أربعٍ وثمانين وثلاثمائةٍ، إلى أن توفي في المحرم سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائةٍ، وكان مولده يوم الثلاثاء النصف من شعبان سنة خمسٍ وستين وثلاثمائةٍ، إلى أن توفي في المحرم سنة سبعٍ وأربعين وأربعمائةٍ، وكان مولده يوم الثلاثاء النصف من شعبان سنة خمسٍ وستين وثلاثمائةٍ –، نيفاً وستين سنةً ما وقف له على زلةٍ ولا غلطةٍ. وأذكر له حكايةً وهي: أنه شهد مع جماعةٍ من الشهود على زوجة أبي الحسن بن أبي تمامٍ الهاشمي نقيب النقباء في اقرارٍ أقرت به، فلما سمعوا اقرارها من وراء الستارة لم يقنعهم ذاك، وأرداوا من يشهد عندهم أن المقرة هي المذكورة في الكتاب بعينها، وأن يشاهدوها حتى يسلموا له، ويصح أن يشهدوا عليها بالمعرفة، فلم يقدموا على ذلك وخطاب أبي تمام فيه، فخرج ولده منها فقام له التنوخي وأخذه إلى حجره وقبل رأسه وقال له: قليلاً قليلاً، من هذه التي تكلمنا من وراء الستارة وتحدثنا وتشهدنا عليه؟ فقال له: ستي، فالتفت إلى الجماعة وقال لهم: اشهدوا يا سادة، فأنا أشهد عندكم أن المقرة عندنا من وراء الستارة هي المذكورة في الكتاب بعينها،

فشهدوا وشهد معهم. وقال من بعد: هذا صبي لا يعرف ما نحن فيه، ولو كان خلف الستارة غير ستة لقال، ولما كانت هي بعينها قال: هي ستي. ولعمري لقد كان أبو الحسن أجل من أن يفعل هذا معنا.

قال أبو الحسن: كان لنا غلام يعرف بجميلة فابتاع ألف سابلٍ سرجيناً من ملاحٍ يعرف بالدابة ليحمله إلى قراحنا المشجر في نهر عيسى ليطرح في أصول الشجر، فلما ذكر جميلة ذاك للرئيس رضي الله عنه قال له: اكتب عليه خطاً وأشهد فيه يعني المعلم في الدار ومن يجري مجراه، فكتب جميلة على الملاح رقعةً ومضى بها لا يلوي على شيءٍ إلى أن عاد التنوخي بين الصلاتين وهو جائع حاقن تعب والزمان صاف، فقام إليه ودعا له وقال له: من أنت؟ قال غلام فلان. قال: ما لك؟ قال: شهادة. قال له: اقعد ودخل فخلع ثيابه ودخل بيت الطهارة وأطال والغلام يصيح يا سيدنا أنا قاعد من ضحوة النهار إلى الساعة، فقال له: ويلك؟ أصبر حتى أخرا، أصبر حتى أخرا، اصبر حتى أخرا، ثم توضأ ليصلي فلم يهنئه فقال: ادخل دخلت بطنك الشمس، فقد والله حيرتني وجننتني، فلما دخل أعطاه الرقعة فقرأها وقال: ويلك، ما اسم هذا الملاح؟ فقال: الدابة يا سيدي، فقال: وأي شيء يقربه؟ ويلك فما أقف عليه، أرى خمسة آلاف سابلٍ سرقين. فقال له: وما السرقين؟ فقال: خرء البقر والغنم.

قال: يا ماص بظر أمه، أنا شاهد الخرء؟ ونهض إليه وهو مغتاظ فأخذ ينتف ذقنه ويضرب رأسه وفكه إلى إن جرى الدم من فيه وأخرجه، وجاء إلى الرئيس رحمه الله فحدقه بما جرى عليه فقال: يا هذا، الشهود يستشهدون في الخرا؟ أنت بالله أحمق. وجاءنا القاضي بعد العصر يشكو من جميلة أزه له وتوكله به، ويعتذر مما جره جنونه عليه، وما انتهى معه إليه، فضحكنا عليه ومرت لنا ساعة طيبة بما أورده عليه.

قال: وحدثني الرئيس أب والحسن – رضي الله عنه – قال: حضر عندي القاضي أبو القاسم التنوخي يوماً وقد هرب الكافي أبو عبد الله إلقائي ببغداد، وخرج إلى الأنبار، ونظر أبا سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم وكان التنوخي مائلاً إلى بني عبد الرحيم ونابياً عن أضدادهم. فبدأ بذكر القنائي – وكان لي صديقاً – بقبيحٍ وزاد وخشن وخبط، فغمض عيني واستلقيت على مخدتي لعله يكف ويقطع، فعلم ذاك مني فقفز إلى يحركني ويقول: والله ما أنت نائم، ولكنك ما تحب أن تسمع في القنائي قبيحاً. فقلت: ما أحب أن أسمع في القنائي ولا في غيره قبيحاً، وقد تناومت لتقطع فلم تفعل ومضى، وبلغ القنائي المجلس بعينه. وعاد القنائي إلى بغداد ناظراً، ودخل التنوخي إليه مسلماً وخادماً فقال له: يا قاضي، ما فعلت بك قبيحاً يقتضي ذكرك لي وطعنك في، فقال: يا مولانا أنا مجنون. قال: إذا كنت مجنوناً فالمارستان لمثلك عمل، وفي حملك إليه ومداواتك فيه ثواب ومصلحة وكف لك عن الناس وأذاهم بجنونك وخباطك، يا أنصاري – للعريف على باب – احمله إلى المارستان واحبسه مع إخوانه المجانين، فأخذ وحمل إلى المارستان وحبس فيه، قال الرئيس: وعرفت القصة فركبت إلى القنائي ولحقني المرتضى والرؤساء من الناس ولم نفارقه حتى أفرج عنه وأطلقه.

واجتاز القاضي أبو القاسم يوماً فرأى في طريقه كلباً رابضاً فقال له: اخسأ اخسأ اخسأ فلم يبرح، فقال اخسأ، وعاد عنه ومضى. قال أبو الحسن: لقيته يوماً بنت ابن العلاف زوجة أبي منصور بن المزرع، وكانت عاهرةً إلى الحد الذي تلبس الجبة المضربة، وتتعمم بالقياد وتأخذ السيف والدرقة، وتخرج ليلاً فتمشي مع

العيارين وتشرب إلى أن تسكر وتعود سحراً إلى بيتها، وربما انتهى بها السكر إلى الحد الذي لا تملك معه أمر نفسها فيحملها العيارون إلى دار زوجها على تلك الحال. فقال له يا قاضي: ما معنى هذه التاء التي تكتبها على الدراهم؟ وكان إليه العيار في دار الضرب، فقال لها: هذا شيء يعملونه كالعلامة، أن التنوخي متولي العيار فيأخذون التاء من أول نسبتي، فقالت: كذبت وأثمت أيها القاضي، تريد أن أقول لك معناها؟ فقال لها: قولي تاست النساء، فقالت: معناها يا قاضي: تنيكها يا قاضي، فضرب حماره ومضى وهو يقول لها: لحية زوجك في حجري، لحية زوجك في حجري. قال: ولقيه إنسان ومعه كتاب في الطريق فأعطاه إياه وسأله أن يشهد فيه فقال: هات دواةً ومحبرةً. فقال: ما معي، فقال ويحك ما صبرت أن أنزل إلى داري وأشهد عليك بدواتي؟ بل اعترضتني في الطريق وليس معك ما تكتب منه ويلك، من يريد أن ينيك في الدهليز يجب أن يكون أيره قائماً مثل دستك الهاون وتركه ومضى.

علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف

المدائني أبو الحسن مولى سمرة بن حبيب بن عبد شمس ابن عبد منافٍ، بصرى سكن المدائن ثم انتقل عنها إلى بغداد، فلم يزل بها إلى حين وفاته. روى عنه الزبير ابن بكارٍ وأحمد بن أبي خيثمة، وأحمد بن الحارث الخزاز، والحارث أبن أبي أسامة وغيرهم.

حدث أبو قلابة قال: حدثت أبا عاصمٍ النبيل لحديث فقال: عمن؟ فإنه حسن، فقلت: ليس له إسناد ولكن حدثينه أبو الحسن المدائني. فقال لي: سبحان الله، أبو الحسن إسناد.

ولد المدائني سنة خمسٍ وثلاثين ومائةٍ، ومات سنة خمسٍ وعشرين ومائتين.

قال الحارث بن أسامة: سرد المدائني الصوم قبل موته بثلاثين سنةً، وإنه كان قد قارب المائة سنة فقيل له في مرضه: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أعيش، وكان مولده ومنشؤه البصرة، ثم صار إلى المدائن بعد حينٍ، ثم صار إلى بغداد فلم يزل بها إلى أن مات، واتصل بإسحاق بن إبراهيم الموصلي فكان لا يفارق منزله، وفي منزله كانت وفاته، وكان ثقةً إذا حدث عن الثقات.

نقلت من خط عمر بن محمد بن سيفٍ الكاتب البغدادي، حدثنا اليزيدي أبوعبد الله محمد بن العباس ابن محمد بن أبي محمدٍ قال: حدثني أحمد بن زهير بن حربٍ قال: كان أبي ويحيى بن معينٍ ومصعب الزبيدي يجلسون العشيات على باب مصعبٍ قال: فمر عشيةً من العشيات على باب مصعبٍ رجل على حمارٍ فارهٍ وبزةٍ حسنةٍ، فسلم وخص بمسائله يحيى ابن معينٍ. فقال له يحيى: إلى أين يا أبا الحسن؟ فقال: الى هذا الكريم الذي يملأ كمي من أعلاه إلى أسفله دنانير ودراهم. فقال: ومن هذا يا أبا الحسن؟ قال: أبو محمد إسحاق بن إبراهيم الموصلي. قال: فلما ولى قال يحيى بن معينٍ: ثقة ثقة ثقة. قال: فسألت أبي فقلت من هذا الرجل؟ فقال المدائني.

وحدث أبو أحمد العسكري في كتاب التصحيف له عن أحمد بن عمارٍ عن بن أبي سعدٍ الوراق قال: العباس بن ميمون قال: قال لي ابن عائشة: جاءني أبو الحسن المدائني فتحدث بحديث خالد بن الوليد حين أراد إن يغير على طرفٍ من أطراف الشام، وقول الشاعر في دليله رافعٍ:

لله در رافعٍ أني اهتدى ... فوز من قراقرٍ إلى سوى
خمساً إذا ما سارها الجيش بكى
فقال: الجيش فقلت: لو كان الجيش لكان بكوا، وعلمت إن علمه من الصحف. قال العسكري: أما قول ابن عائشة إن الرواية: الجيش بكى، فهو كما قال، وهو صحيح، وأما قوله لو كان الجيش لكان بكوا فقد وهم في هذا، ويجوز للجيش بكى فيحمل على اللفظ، وقد قال طفيل الغنوي أو أوس بن حجرٍ:
إن يك عار بالقنان أتيته ... فراري فإن الجيش قد فر أجمع
وحدث محمد بن إسحاق النديم قال: قرأت بخط ابن الإخشيد: كان المدائني متكلماً من غلمان معمر بن الأشعث قال: وحفص الفرد وأبو شمرٍ وأبو الحسن المدائني وأبو بكرٍ الأصم وأبو عامرٍ وعبد الكريم بن روحٍ ستة كانوا غلمان معمر بن الأشعث.
حدث المدائني قال: أمر المأمون أحمد بن يوسف بإدخالي عليه، فلما دخلت ذكرعلي بن أبي طالبٍ عليه السلام، فحدثته فيه بأحاديث إلى أن ذكر لعن بني أمية له، فقلت: حدثني أبو سلمة المثنى بن عبد الله أخو محمد بن عبد الله الأنصاري قال: قال لي رجل: كنت بالشام فجعلت لا أسمع أحداً يسمى علياً ولا حسناً ولا حسيناً، وإنما أسمع معاوية ويزيد والوليد، قال: فمررت برجلٍ جالسٍ على باب داره وقد عطشت فاستسقيته فقال: يا حسن اسقه، فقلت له: أسميت حسناً؟ فقال: أي والله، إن لي أولاداً أسماؤهم حسن وحسين وجعفر، فإن أهل الشام يسمون أولادهم بأسماء خلفاء الله ولا يزال أحدنا يلعن ولده ويشتمه، وإنما سميت أولادي بأسماء أعداء الله، فإذا لعنت إنما ألعن أعداء الله فقلت له: ظننتك خير أهل الشام، وإذا جهنم ليس فيها شر منك. فقال المأمون: لا جرم، قد ابتعث الله عليهم من يلعن أحياءهم وأمواتهم، ويلعن من في أصلاب الرجال وأرحام النساء، يعني الشيعة. فهرست كتب المدائني نقلاً من كتاب ابن النديم.
وذكر أنه نقله من خط ابن الكوفي

كتبه في أخبار النبي صلى الله عليه وسلم: كتاب أمهات النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب صفة النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب أخبار المنافقين، كتاب عهود النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب تسمية المنافقين، ومن نزل فيه القرآن منهم ومن غيرهم، كتاب تسمية الذين يؤذون النبي صلى الله عليه وسلم وتسمية المستهزئين، كتاب رسائل النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك، كتاب آيات النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب إقطاع النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب فتوح النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب صلح النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب خطب النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب عهود النبي صلى الله عيه وسلم، كتاب المغازي. وزعم أبو الحسن بن الكوفي أنها عنده في ثمانية أجزاء جلود بخط ابن عباسٍ اليابس، وزعم تحت هذا الفصل وأخرى في جزأين تأليف أحمد بن الحارث الخزاز. كتاب سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب الوفود يحتوي على وفود اليمن، ووفود مضر، ووفود ربيعة، كتاب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب خبر الإفك، كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب السرايا، كتاب عمال النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقات، كتاب ما نهى عنه رسول الله صلى الله

عليه وسلم، كتاب حجة أبي بكرٍ رضي الله عنه، كتاب خطب النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب أخبار النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب الخاتم والرسل، كتاب من كتب له النبي صلى الله عليه وسلم كتاباً أو أماناً، كتاب أموال النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه ومن كان يرد عليه الصدقة من العرب.

أخبار قريش: كتاب نسب قريشٍ وأخبارها، كتاب العباس بن عبد المطلب، كتاب أخبار أبي طالبٍ وولده، كتاب خطب علي بن أبي طالبٍ كرم الله وجهه، كتاب عبد الله ابن عباسٍ رضي الله عنهما. كتاب علي بن عبد الله بن العباس، كتاب آل أبي العاص، كتاب أبي العيص، كتاب خبر الحكم بن أبي العاص، كتاب عبد الرحمن بن سمرة، كتاب ابن أبي عتيقٍ، كتاب عمرو بن الزبير، كتاب فضائل محمد بن الحنيفة، كتاب فضائل بن أبي جعفر بن أبي طالب، كتاب فضائل الحارث بن عبد المطلب، كتاب عبد الله ابن جعفرٍ، كتاب معاوية بن عبد الله بن جعفر، كتاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفرٍ، كتاب أمر محمد بن عليٍ بن عبد الله بن عباسٍ، كتاب العاص بن أمية، كتاب عبد الله بن عامر بن كريزٍ، كتاب بشر ابن مروان بن الحكم، كتاب عمر بن عبيد الله بن معمر التيمي، كتاب هجاء حسان لقريشٍ، كتاب فضائل قريشٍ، كتاب عمرو بن سعيد بن العاص، كتاب يحيى بن عبد الله ابن الحارث، كتاب أسماء من قتل من الطالبيين، كتاب أخبار زياد ابن أبيه، كتاب مناكح زيادٍ وولده ودعوته، كتاب الجوابات ويحتوي على جوابات قريشٍ، وجوابات مضر، وجوابات ربيعة، وجوابات الموالى، وجوابات اليمن.

كتبه في أخبار مناكح الأشراف وأخبار النساء: كتاب الصداق، كتاب الولائم، كتاب المناكح، كتاب النواكح، كتاب المغتربات، كتاب القينات، كتاب المرادفات من قريشٍ، كتاب من جمع بين أختين، ومن تزوج ابنه امرأته، ومن جمع أكثر من أربعٍ، ومن تزوج مجوسيةً، كتاب من كرهت مناكحته، كتاب من قتل عنها زوجها، كتاب من نهيت عن تزويج رجلٍ فتزوجته، كتاب من تزوج من الأشراف في كلفٍ، كتاب من هجاها زوجها أو شكاها، كتاب مناقضاتٍ الشعراء وأخبار النساء، كتاب من تزوج في ثقيفٍ من قريشٍ، كتاب الفاطميات، كتاب من وصف امرأةً فأحسن، كتاب الكلبيات، كتاب العواتك.

كتبه في أخبار الخلفاء: كتاب من تزوج من نساء الخلفاء، كتاب تسمية الخلفاء وكناهم وأعمارهم، كتاب تاريخ أعمار الخلفاء، كتاب حلي الخلفاء، كتاب أخبار الخلفاء الكبير ابتدأه بأخبار أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، وختمه بأخبار المعتصم.

كتبه في الأحداث: كتاب الردة، كتاب الجمل، كتاب الغارات، كتاب النهروان، كتاب الخوارج، كتاب خبر ضابئ بن الحارث البرجمي، كتاب توبه بن مضرسٍ، كتاب بني ناجيه ومصقلة ابن هبيرة، كتاب مختصر الخوارج، كتاب خطب علي كرم الله وجهه وكتبه إلى عماله، كتاب عبد الله بن عامرٍ الحضرمي، كتاب اسماعيل بن هبار، كتاب عمرو ابن الزبير، كتاب مرج راهط، كتاب الربذة ومقتل خبيشٍ، كتاب أخبار الحجاج ووفاته، كتاب عباد بن الحصين، كتاب حرة واقمٍ، كتاب ابن الجارود برستقباذ، كتاب مقتل عمرو بن سعيد ين العاص، كتاب زياد بن عمرو بن الأشرف العتكي، كتاب خلاف عبد الجبار الأزدي ومقتله،

كتاب سلم بن قتيبة وروح بن حاتمٍ، كتاب المسور بن عمر بن عبادٍ الحبطي وعمرو بن سهلٍ، كتاب مقتل ابن هبيرة، كتاب يوم سنبيل، كتاب الدولة العباسية، وهو كتاب كبير يشتمل على عدة كتب لم يذكره ابن النديم، ووقع إلى بخط السكري بعضه وقد قرأه على الحارث بن أسامة.

كتبه في الفتوح: كتاب فتوح الشام منذ أيام أبي بكرٍ وإلى أيام عثمان رضي الله عنهما، كتاب فتوح العراق منذ أيام أبي بكر وإلى آخر أيام عمر رضي الله عنهما، كتاب خبر البصرة وفتوحها وفتوح ما يقاربها من دهستان والأهواز وماسبذان وغير ذلك، كتاب فتوح خراسان وأخبار أمرائها كقتيبة ونصر بن سيارٍ وغيرهما، كتاب نوادر قتيبة بن مسلمٍ، كتاب ولاية أسد بن عبد الله القسري، كتاب ولاية نصر بن سيارٍ، كتاب ثغر الهند، كتاب أعمال الهند، كتاب فتوح سجستان، كتاب فارس، كتاب فتح الأبلة، كتاب أخبارأرمينية، كتاب كرمان، كتاب كابل وزابلستان، كتاب القلاع والأكراد، كتاب عمان، كتاب فتوح جبال طبرستان أيام الرشيد، كتاب فتوح مصر، كتاب الري وأمر العلوي، كتاب أخبار الحسن بن زيدٍ وما مدح به من الشعر وعماله، كتاب فتوح الجزيرة، كتاب فتوح البامياني، كتاب فتوح الأهواز، كتاب أمر البحرين، كتاب فتح شهر كند، كتاب فتح برقة، كتاب فتح مكران، كتاب فتوح الحيرة، كتاب موادعة النبوة، كتاب خبر سارية بن زنيمٍ، كتاب فتوح الري، كتاب فتوح جرجان وطبرستان.

كتبه في أخبار العرب: كتاب البيوتات، كتاب الجيران، كتاب أشراف عبد القيس، كتاب أخبار ثقيفٍ، كتاب من نسب إلى أمه، كتاب من سمي باسم أمه، كتاب الخيل والرهان، كتاب بناء الكعبة، كتاب خبر خزاعة، كتاب المدينة وجبالها وأوديتها.

كتبه في أخبار الشعراء وغيرهم: كتاب أخبار الشعراء، كتاب من نسب إلى أمه من الشعراء، كتاب العمائر، كتاب الشيوخ، كتاب الغرماء، كتاب من هادن أوغزا، كتاب من اقترض من الأعراب في الديوان فندم وقال شعراً، كتاب المتمثلين، كتاب من تمثل بشعرٍ في مرضه، كتاب الأبيات التي جوابها كلام، كتاب النجاشي، كتاب من وقف على قبر فتمثل بشعر، كتاب من بلغه موت رجلٍ فتمثل بشعرٍ، كتاب من بلغه موت رجلٍ فتمثل شعراً أو كلاماً، كتاب من تشبه من النساء بالرجال، كتاب من فضل الأعرابيات على الحضريات، كتاب من قال شعراً على البديهة، كتاب من قال شعراً في الأوابد، كتاب الاستعداء على الشعراء، كتاب من قال شعراً فسمي به، كتاب من قال في الحكومة من الشعراء، كتاب تفضيل الشعراء بعضهم على بعضٍ، كتاب من ندم على المديح ومن ندم على الهجاء، كتاب من قال شعراً فأجيب بكلامٍ، كتاب الأسود الدؤلي، كتاب خالد بن صفوان، كتاب مهاجاة عبد الرحمن بن حسان للنجاشي، كتاب قصيدة خالد بن يزيد في الملوك والأحداث، كتاب أخبار الفرزد ق، كتاب قصيدة عبد الله بن اسحاق بن الفضل بن عبد الرحمن، كتاب خبر عمران بن حطان.

ومن كتبه المؤلفة: كتاب الأوائل، كتاب المتيمين، كتاب التعازي، كتاب المنافرات، كتاب الأكلة، كتاب المسيرين، كتاب اللواطين، كتاب القيافة والفأل والزجر، كتاب من جرد الأشراف، كتاب المروءة، كتاب الحمقى، كتاب اللواطين، كتاب الجواهر، كتاب المغنين، كتاب المسمومين، كتاب كان يقال، كتاب ذم

الحسد، كتاب من وقف على قبرٍ، كتاب الخيل، كتاب من استجيبت دعوته، كتاب قضاة أهل المدينة، كتاب قضاة أهل البصرة، كتاب أخبار رقبة بن مصقلة، كتاب مفاخرة العرب والعجم، كتاب مفاخرة أهل البصرة والكوفة، كتاب ضرب الدراهم والصرف، كتاب أخبار إياس بن معاوية، كتاب خبر أصحاب الكهف، كتاب خطبة واصلٍ، كتاب إصلاح المال، كتاب آداب الإخوان، كتاب البخل، كتاب المقطعات المتخيرات، كتاب أخبار ابن سيرين، كتاب الرسالة إلى ابن داؤدٍ، كتاب النوادر، كتاب المدينة، كتاب مكة، كتاب المخضرمين، كتاب المراعي والجراد ويحتوي على الكور والطساسيج وجباياتها.

علي بن محمد بن وهب المسعري

صاحب أبي عبيدٍ القاسم بن سلام. روى عن أبي عبيد أنه قال: هذا الكتاب – يعني غريب الحديث المصنف – أحب إلى من عشرة آلاف دينارٍ، وعدد أبوابه على ما ذكره ألف بابٍ، وفيه من شواهد الشعر ألف ومائتا بيتٍ.

علي بن محمد بن نصر بن بسام

أبو الحسن العبرتائي الكاتب. وأمه أخت أحمد بن حمدون بن إسماعيل النديم لأبيه وأمه. وقال المزرباني: أمه بنت النديم، وله مع خاله أبي عبد الله حمدون أخبار. وكان حسن البديهة شاعراً ماضياً أديباً لا يسلم من لسانه أحد، وهو معدود في العققة وكان يصنع الشعر في الرؤساء وينحله ابن الرومي وغيره. مات فيما ذكره ابن المزرباني بعد سنة ثلاثمائةٍ بسنتين.

وقال ثابت بن سنانٍ: مات علي بن محمد بن بسامٍ في صفر سنة اثنتين وثلاثمائةٍ عن نيفٍ وسبعين سنةً، واستفرغ شعره في هجاء والده محمد بن بسامٍ والخلفاء والوزراء، وكان مع فصاحته وبيانه لاحظ له في التطويل، إنما تحسن مقطعاته وتندر أبياته، وهو من أهل بيت الكتابة، وكان جده نصر بن منصورٍ يتولى ديوان الخاتم والنفقات والأزمة في أيام المعتصم، وكان هو السبب في نكبة الفضل بن مروان، وكان قد هجا الوزير علي بن عيسى بن داود بن الجراح لما نفى إلى مكة، فلما ردت الوزارة جلس يوماً للمظالم فمرت في جملة القصص رقعة فيها مكتوب:

وافى ابن عيسى وكنت أضغنه ... أشد شيءٍ على أهونه

ما قدر الله ليس يدفعه ... وماسواه فليس يمكنه

فقال علي بن عيسى: صدق هذا ابن بسامٍ، والله لا ناله مني مكروه أبداً، وكان الغالب على ابن بسامٍ الشعر، ومن حقه أن يذكر مع الشعراء، وإنما حملنا على ذكره هاهنا رسائله وماله من التصانيف وهي:

كتاب أخبار عمر بن أبي ربيعة تصنيف جيد بالغ في معناه، وجدت أخبار عمر بن أبي ربيعة تصنيف علي بن محمد أبن نصر بن منصور بن بسامٍ وقد روى فيه عن الزبير ابن بكارٍ، وعمر بن شبة، وحماد بن اسحاق،

ويعقوب بن أبي شيبة، وأحمد بن الحارث الخزاز، ومحمد بن حبيبٍ وسليمان بن أبي شيخٍ وخاله أحمد بن حمدون، كتاب المعاقرين كتاب ديوان رسائله. كتاب مناقضاتٍ الشعراء، كتاب أخبار الأحوص. ومن شعره الذي قاله ونحله ابن الرومي قوله يخاطب عبيد الله بن سليمان الوزير وقد مات ابنه أبو محمد في سنة أربعٍ وثمانين:

قل لأبي القاسم المرجى ... قابلك الدهر بالعجائب
مات لك ابن وكان زيناً ... وعاش ذو الشين والمعايب
حياة هذا كفقد هذا ... فلست تخلو من المصائب

فبلغت الأبيات عبيد الله فساءته، فدعا البسامي وقال: يا علي، كيف قلت؟ فعلم البسامي أنه مغضب فقال: قلت أيها الوزير:

قل لأبي القاسم المرجى ... لن يدفع الموت كف غالب
لئن تولى بمن تولى ... وفقده أعظم المصائب
لقد تخطت لك المنايا ... عن حاملٍ عنك للنوائب

يعني ابنه ابا الحسين، فسكت عبيد الله ولها عنه. وذكر الصولي في كتاب الوزراء قال: قال أبو الحارث النوفلي الشاعر: كنت أبغض القاسم بن عبيد الله لكفره، ولمكروهٍ نالني منه، فلما قرأت شعر ابن المعتز، وهو شعر – رثى به الحسين أبا محمدٍ – مذكور في أخباره، وشعر ابن بسامٍ، وكان ابن بسامٍ قد قال:

معاذ الله من كذبٍ ومين ... لقد أبكت وفاتك كل عين
ولكن قد تنسينا الرزايا ... ويعضدنا بقاء أبي الحسين

قلت على لسان ابن بسامٍ وأشعتها عليه وأنفذتها إليه: قل لأبي القاسم المرجى الأبيات.

وحدث السلامي عن أبي القاسم المجمع بن محمد بن المجمع قال: حدثني ابن حمدون النديم قال: كان المعتضد أمر بعمارة البحيرة واتخاذ رياضٍ حواليها، وإنفق على الأبنية بها ستين ألف دينارٍ، وكان يخلو فيها مع جواريه، وفيهن جارية يقال لها دريرة، فقال البسامي:

ترك الناس بحيرة ... وتخلى في البحيرة
قاعداً يضرب بالز ... رب على حر دريره

وبلغت الأبيات المعتضد، فلم يظهر لأحدٍ أنه سمعها، وأمر بتخريب ما استعمره من تلك العمارات والأبنية.

قال أحمد بن حمدون: فكنت ألاعب المعتضد بالشطرنج ذات يومٍ إذ دخل عليه القاسم بن عبيد الله وهو وزيره، فاستأمره في شيء وانصرف، فلما ولى أنشد المعتضد قول البسامي في القاسم:

حياة هذا كموت هذا ... فلست تخلو من المصائب

وجعل يكرر هذا البيت، وعاد القاسم إليه في شغل والمعتضد مشغول باللعب، ولم يعلم بحضوره وهو يردد البيت، فاحتلت حتى أعلمته حضوره، فرفع رأسه إليه واستحيا منه حتى تبين ذلك في وجهه ثم قال: يا أبا الحسين: – وهو أول ما كناه للخجل الذي تداخله – لم لا تقطع لسان هذا الماجن وتدفع شره عنك؟

فانصرف القاسم مبادراً إلى مجلسه ومنتهزاً للفرصة في ابن بسامٍ وأمر بطلبه.

قال ابن حمدون: فدهشت وارتعشت يدي في اللعب خوفاً مما يلحق ابن بسامٍ للقرابة التي بيني وبينه: فقال المعتضد: ما لك؟ قلت: يا أمير المؤمنين، القاسم بن عبيد الله لا يصطلى بناره، وكأني به وقد قطع لسان البسامي حنقاً عليه، وهو أحد النبلاء الشعراء فيكون ذلك سبةً على أمير المؤمنين، فأمر بإحضار القاسم وسأله عما فعله في أمر ابن بسامٍ فقال: قد تقدمت إلى مؤنسٍ باحضاره لأقطع لسانه، فقال: يا أبا الحسين، إننا أمرناك أن تقطع لسانه بالبر والصلة والتكرمة ليعدل عن هجائك إلى مدحك. فقال يا أمير المؤمنين: لو عرفته حق المعرفة وعلمت ما قاله لاستجزت قطع رأسه، عرض بما قاله في المعتضد ودريرة، فتبسم المعتضد وقال: يا أبا الحسين، إنما أمرنا بتخريب البحيرة لذلك، فتقدم أنت بإحضاره وأخرج ثلاثمائة دينارٍ فإن ذلك أولى وأحسن من غيره. قال: فأحضره القاسم بعد ثالثةٍ وخلع عليه وولاه بريد الصيمرة وما والاها، فبقي في عمله إلى آخر أيام المعتضد، ثم جمح به طبعه إلى إعادة الإساءة فقال:

أبلغ وزير الإمامعني ... وناد يا ذا المصيبتين

يموت حلف الندى ويبقى ... حلف المخازي أبو الحسين

فأنت من ذاعميد قلبٍ ... وأنت من ذا سخين عين

حياة هذا كموت هذا ... فالطم على الرأس باليدين

قال جحظة: كان ابن بسامٍ يفخر بقوله في:

يا من هجوناه فغنانا ... أنت وحق الله أهجانا

فقلت: هذا معنى لم يسبق إليه خاطر ابن بسامٍ وإن كان قد أتى به مطبوعاً، وإنما أخذه من قول الرومي في هجائه شنطف:

وفي قبحها كافٍ لنا من كيادها ... ولكنها في فعلها لم تردد

ولو علمت ما كايدتنا لقبحها ... بأنفاسها والوجه والطبل واليد

وقال ابن بسام في الوزير الخاقاني:

وزير ما يفيق من الرقاعة ... يولى ثم يعزل بعد ساعة

إذا أهل الرشا صاروا إليه ... فأحظى القوم أوفرهم بضاعه

فلا رحماً تقرب منه خلقاً ... سوى الورق الصحاح ولا شفاعة

وليس بمنكرٍ ذا الفعل منه ... لأن الشيخ أفلت من مجاعه

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

حدث أبو نصرٍ أحمد بن العلاء الشيرازي الكاتب قال: لما تقلد أبو الفتح الفضل بن جعفر بن الفرات الوزارة كنت أجالسه وأؤانسه، فحدثني يوماً أن أباه حدثه قال: تقلدت مصر وكان بيني وبين أبي الحسين بن بسام مودة ورضاع، ونحن مختلطون وأنا بمصر يوماً فما شعرت إلا بابن بسامٍ قد دخل إلي متقلداً للبريد، فأفهمته أحوالي، وقاسمته أكثر مروءتي وأموالي، وتطلبت الخلاص من لسانه بكل شيءٍ يمكن، وأوصيت حاجبي ألا يحجبه عني ولو كنت مع زوجتي، فجاء يوماً وأنا نائم فقال له الحاجب: ادخل، فدخل فوجدني نائماً فاستدعى دواةً وكتب شيئاً وتركه وانصرف. فلما انتبهت عرفني حاجبي ذلك، فأخذت الرقعة فإذا فيها:

محتجب دون من يلم به ... وليس للخارجات حجاب
لأن للخارجات منفعةً ... تأتيه والداخلون طلاب

قال: فبعثت أعرف خبرة لأعاتبه فإذا هو تحمل وسار عن البلد، فكتبت إليه أدرايه وألاطفه ليرجع فلم يجب.

قال التنوخي: حدثني ابن ابي قيراطٍ علي بن هشامٍ، حدثني أبو علي مقلة قال: كنت أحقد ابن بسامٍ لهجائه إياي، فخوطب ابن الفرات في وزارته الأولى في تصريفه، فاعترضت وقلت: إذا صرف فلا يحتبس الناس على مجالسنا وقد افترقت، فإذا لم يضره الوزير فلا أقل من ألا ينفعه، فامتنع من تصريفه قضاء لحقي، فبلغ ذلك ابن بسامٍ فجاءني وخضع لي ثم لازمني نحو سنةٍ حتى صار يختص بي ويعاشرني على البريد، ومدحني فقال:

يا زينة الدين والدنيا وما جمعا ... والأمر والنهي والقرطاس والقلم
إن ينسئ الله في عمري فسوف ترى ... من خدمتي لك ما يغني عن الخدم
أبا عليٍ لقد طوقتني مناً ... طوق الحمامة لا تبلى على القدم
فاسلم فليس يزيل الله نعمته ... عمن يبث الأيادي في ذوي النعم

وحدث محمد بن يحيى الصولي أنه سمع علي بن محمد ابن بسامٍ يقول: كنت أتعشق خادماً لخالي أحمد بن حمدون فقمت ليلة لأدب إليه، فلما قربت منه لسعتني عقرب فصرخت فقال خالي: ما تصنع هاهنا؟ فقلت: جئت لأبول. فقال: صدقت ولكن في است غلامي، فقلت لوقتي:

ولقد سريت مع الظلام لموعدٍ ... حصلته من غادر كذاب
فإذا على ظهر الطريق مغذة ... سوداء قد عرفت أوان ذهابي
لا بارك الرحمان فيها عقرباً ... دبابة دبت إلى دباب

فقال خالي: قبحك الله، لو تركت المجون يوما لتركته في هذه الحال. ولابن بسامٍ في علي بن عيسى الوزير:

رجوت لك الوزارة طول عمري ... فلما كان منها ما رجوت

تقدمني أناس لم يكونوا ... يرومون الكلام إذا دنوت
فأحببت الممات وكل عيش ... يحب الموت فيه فهو موت
ومن شعر ابن بسامٍ من خط السمعاني:
أقصرت عن طلب البطالة والصبا ... لما علاني للمشيب قناع
لله أيام الشباب ولهوه ... لو أن أيام الشباب تباع
فدع الصبا يا قلب واسل عن الهوى ... مافيك بعد مشيبك استمتاع
وانظر إلى الدنيا بعين مودعٍ ... فلقد دنا سفر وحان وداع
فالحادثات موكلات بالفتى ... والناس بعد الحادثات سماع
ولما ولى حامد بن العباس وزارة المقتدر ورتب معه علي بن عيسى يدير الأمور بين يديه، قال ابن بسامٍ:
يا بن الفرات تعزه ... قد صار أمرك آية
لما عزلت حصلنا ... على وزيرٍ بداية
وعلى بن بسامٍ القائل يمدح النحو:
رأيت لسان المرء وافد عقله ... وعنوانه فانظر بماذا تعنون؟
فلا تعد اصلاح اللسان فإنه ... يخبرعما عنده ويبين
ويعجبني زي الفتى وجماله ... فيسقط من عيني ساعة يلحن
على أن للأعراب حداً وربما ... سمعت من الإعراب ما ليس بحسن
ولا خير في اللفظ الكريه استماعه ... ولافي قبيح اللحن والقصد أزين
ومن قصيدةٍ له يهجو فيها الكتاب:
وعبدون يحكم في المسلمين ... ومن مثله تؤخذ الجاليه

ودهقان طيٍ تولى العراق ... وسقى الفرات وزر فانيه
وحامد يا قوم لو أمره ... إلى لألزمته الزاوية
نعم ولأرجعته صاغراً ... إلى بيع رمان خسراوية
أيارب قد ركب الأرذلون ... ورجلي من بينهم ماشية
فإذا كنت حاملها مثلهم ... وإلا فأرجل بني الزانية
قال أبو الحسين علي بن هشام بن أبي قيراطٍ: سمعت ابن بسامٍ ينشد في وزارة ابن الفرات:
إذا حكم النصارى في الفروج ... وباهوا بالبغال وبالسروج
فقل للأعور الدجال هذا ... أوانك إن عزمت على الخروج
قال أبو الحسين بن هشامٍ: حدثني زنجي الكاتب، حدثني ابن بسامٍ قال: كنت أتقلد البريد بقلمٍ في أيام عبيد الله بن سليمان والعامل بها أبو عيسى أحمد بن محمد ابن خالدٍ المعروف بأخي أبي صخرةٍ، فأهدى الي في ليلة عيد الأضحى بقرةً للأضحية، فاستقللتها ورددتها وكتبت إليه:

كم من يدٍ لي إليك سالفةٍ ... وأنت بالحق غير معترف
نفسك أهديتها لأذبحها ... فصنتها عن مواقع التلف

علي بن محمد بن عبيد بن الزبير الأسدي

المعروف بابن الكوفي صاحب ثعلبٍ والخصيص به. وهو من أسد قريشٍ، وهو أسد بن عبد العزي بن قصي ابن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب رهط الزبير ابن العوام، وهوصاحب الخط المعروف بالصحة المشهور باتقان الضبط وحسن الشكل، فإذا قيل: نقلت من خط ابن الكوفي فقد بالغ في الاحتياط، وكان من أجل أصحاب ثعلبٍ. مات في ذي القعدة سنة ثمانٍ وأربعين وثلاثمائةٍ، ومولده سنة أربعٍ وخمسين ومائتين، وكان ثقةً صادقاً في الرواية وحسن الدراية، وله من الكتب: كتاب الهمز رأيته أنا بخطه، كتاب معاني الشعر واختلاف العلماء فيه، كتاب الفرائد والقلائد في اللغة. قال مؤلف الكتاب: ورأيت بخطه عدة كتبٍ فلم أر أحسن ضبطاً وإتقاناً للكتابة منه، فإنه يجعل الإعراب على الحرف بمقدار الحرف احتياطاً، ويكتب على الكلمة المشكوك فيها عدة مرارٍ: صح صح صح، فكان من جماعي الكتب وأرباب الهوى فيها. وذكره أبو الحسن محمد بن جعفرٍ التميمي المعروف بابن النجار في كتاب الكوفة من تصنيفه قال: ومن أصحاب ثعلبٍ أبو الحسن أحمد بن محمدٍ الكوفي الأسدي الذي خطه اليوم يؤتدم به، وبيع جزازات كتبه ورقاع سؤالاته العلماء، كل رقعةٍ بدرهمٍ، وأنفق على العلم ثلاثين ألف درهمٍ على ثعلبٍ وحده، هكذا قال أحمد بن محمدٍ وأظنه سهواً منه، فإن ابن الكوفي المشهور بجودة الضبط اسمه بخطه على عدةٍ من كتبه، وهو علي ابن محمد بن عبيدٍ الكوفي الأسدي كما قدمنا، فإن صحت رواية ابن النجار فهو غير الذي نعرفه نحن، فإني لم أر لهذا المسمى ذكراً مع كثرة بحثي وتنقيري، ووجدت جزازةً من إملاء أبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي اللغوي – وله في هذا الكتاب ترجمة – ما صورته: ولأبي الهيذام إلى أبي الحسن بن الكوفي النحوي البغدادي رحمه الله:

أبا حسن أراك تمد حبلي ... لتقطعه وأرسله بجهدي
وأتبعه إذا قصر احتياطاً ... وأنت تشد حبلك أي شد
أخي فكم يكون بقاء حبلٍ ... يتلتل بين إرسالٍ ومد
تعالى الله ما أجفى زماناً ... بقيت له وأنكد فيه جدى
أظن الدهر يقصدني لأمرٍ ... يحاوله ويطلبني بحقدٍ
إذا ذهبت بشكلي عن ودادي ... مذاهبه فكيف ألوم ضدي؟
سأصبر طائعاً وأغض طرفي ... وأحفظ عهد مطرحٍ لعهدي
وأقصد أن أحصل لي صديقاً ... أعز به على خطئي وعمدي
فإن أظفر بذاك فأي كنزٍ ... ونيل غنيمةٍ وتهوب زند
وإلا كان حسن الصبر أحرى ... بحسن مثوبةٍ وبناء مجد
ألا لله ما أصبحت فيه ... من الخلطاء من تعبٍ وكد

لقاء بالجميل وحسن بشرٍ ... وإنصاف يشاب بخلف وعد
وعلم لا يقاس إليه علم ... بكل طريقةٍ وبكل حد
وإغفال لما أولى وأحجى ... تفقده بذي أدبٍ وحشد
فيالله يا للناس يا لل ... عجائب بين تقربةٍ وبعد

ومن الأخلاق إذ مزجت فصارت ... علاقمها مجدحةً بشهد
أراني بين منزلتين ما لي ... سوى أحداهما ثقة لقصد
فإن أرد الأنيس أعش ذليلاً ... وإن أرد التعزز أبق وحدي

علي بن محمد بن الشاه الطاهري

من ولد الشاه بن ميكال وكان أديباً طيباً مفاكهاً في نهاية الظرف والنظافة، يسلك مسلك أبي العنبس الصيمري في تصانيفه، وله من التصانيف: كتاب دعوة التجار، كتاب فخر المشط على المرآة، كتاب حرب الجبن مع الزيتون، كتاب الرؤيا، كتاب اللحم والسمك، كتاب عجائب البحر، كتاب قصيدة: وخيار يا مكانس. ولما لم أجد له ما يكتب وجدت في كتاب الرياض للمرزباني: أنشدني أحمد بن إبراهيم بن الشاه الطاهري:
فؤادي عليل وجسمي نحيل ... وليلي طويل ونومي قليل
وقلبي غليل ودائي دخيل ... وسقمي دليل على ما أقول
وطرفي كليل فما لي مقيل ... وأمري جليل فصبر جميل

علي بن محمد بن عبدوس الكوفي النحوي

ذكره محمد بن اسحاق، وله من الكتب: كتاب الشعر بالعروض. كتاب البرهان في علل النحو. كتاب معاني الشعر.

علي بن محمد أبو القاسم الإسكافي

من أهل نيسابور، ذكره الثعالبي فقال: هو لسان خراسان وعينها، وواحدها في الكتابة والبلاغة، وممن لم يخرج مثله في الصناعة والبراعة، وكان تأدب بنيسابور عند مؤدبٍ بما يعرف بالحسن بن مهرجان من أعرف المؤدبين بأسرار التأديب والتدريس، وأعلمهم بطريق التدريج إلى التخريج، ثم حرر مديدةً في بعض الدواوين فخرج منقطع القرين، واسطة عقد الفضل، ونادرة الزمان، وبكر الفلك كما قال فيه الهزيمي:
سبق الناس بياناً فغدا ... وهو بالإجماع بكر الفلك
أصبح الملك به متسقاً ... لسليل الملك عبد الملك

ووقع في ريعان أمره وعنفوان عمره إلى أبي علي الصاغاني واستأثر به واستخلصه لنفسه، وقلده ديوان رسائله، فحسن خبره، وسافر أثره، وكانت كتبه ترد على الحضرة في نهاية الحسن والنضرة، فتقع المنافسة فيه، ويكاتب أبوعليٍ في إيثار الحضرة به، فيتعلل ويتسلل لواذاً، ولا يخرج عنه إلى أن كان من كشف أبي عليٍ قناع العصيان، وإنهزامه في وقعة خرجيك إلى الصغانيان ما كان، وحصل أبو القاسم في جملة الأسرى من أصحاب أبي علي، فحبس في القهندز وقيدج مع حسن الرأي فيه وشدة الميل إليه. ثم إن الأمير الحميد نوح بن نصر أراد أن يستكشفه عن سره ويقف على خبيئة صدره، فأمر أن يكتب إليه رقعة على لسان بعض المشايخ ويقال له فيها: إن أبا العباس الصاغاني قد كتب إلى الحضرة يستوهبك من السلطان ويستدعيك إلى الشاس لتتولى له كتابة الكتب السلطانية، فما رأيك في ذلك؟ فوقع في الرقعة: رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه، فلما عرض توقيعه على الحميد حسن موقعه منه وأعجب به، وأمر بإطلاقه والخلع عليه، وإقعاده في ديوان الرسائل خليفةً لأبي عبد الله بن الحسين بن العميد الملقب بكله، وهو والد أبي الفضل بن العميد، وكان الاسم للعميد والعمل لأبي القاسم، وعند ذلك قال بعض مجان الحضرة:

تبظرم الشيخ كله ... ولست أرضى ذاك له

كأنه لم ير من ... قعد عنه بدله

والله إن دام على ... هذا الجنون والبله

فإنه أول من ... ينتف منه البسلة

وكان أبو القاسم يهجوه فقال فيه وكان يحضر الديوان في محفةٍ لسوء أثر النقرس على قدمه:

يا ذا الذي ركب المحف ... فة جامعاً فيها جهازه

أترى الزمان يعيشني ... حتى يرينها جنازه؟

فلم تطل الأيام حتى أدركت العميد منيته، وبلغ أبو القاسم أمنيته، وتولى العمل برأسه، وعلا أمره وبعد صيته، وجمعت رسائله أقسام الحسن والجودة، وازداد على الأيام تبحراً في الصناعة، ويحكي أن الحميد أمره ذات يومٍ بكتب كتابٍ إلى بعض الأطراف وركب متصيداً واشتغل أبو القاسم عن ذلك بمجلس إنسٍ عقده بين إخوانٍ جمعهم عنده، فحين رجع الحميد من متصيده استدعى أبا القاسم وأمره باستصحاب الكتاب الذي رسم له كتابته ليعرضه عليه ولم يكن كتبه، فأجاب داعيه وقد نال منه الشراب ومعه طومار بياض أو هم أنه مكتوب فيه الكتاب المرسوم له، وقعد بالبعد عنه فقرأ عليه كتاباً طويلاً سديداً بليغا أنشأه في وقته وقرأه عن ظهر قلبه، وارتضاه الحميد وهو يحسب أنه قرأه من سواد مكتوبه وأمره بختمه، فرجع إلى منزله وحرر ما قرأه وأصدره على الرسم في أمثاله.

ومن عجيب أمره: إنه كان أكتب الناس في السلطانيات، فإذا تعاطى الإخوانيات كان قصير الباع، وكان يقال: إذا استعمل ابوالقاسم نون الكبرياء تكلم من السماء، وكان في علو الرتبة في النثر وانحطاطه في النظم كالجاحظ، ورسائله كثيرة مدونة سائرة في الآفاق.

قال: ولما انتقل إلى جوار ربه أكمل ما كان شباباً وآداباً، وغدت الكتابة لفراقه شعثاء، والبلاغة غبراء أكبر

فضلاء الحضرة رزيته، وأكثروا مرثيته، فمن ذلك قول الهزيمي الأبيوردي من قصيدة:

ألم تر ديوان الرسائل عطلت ... لفقدانه أقلامه ودفاتره

كثغرٍ مضى حاميه ليس لسده ... سواه وكالكسر الذي عز جابره

ليبك عليه خطه وبيانه ... فذا مات واشيه وذا مات ساحره

علي بن محمد بن أبي الفهم، لتنوخي

داود بن ابراهيم التنوخي أبو القاسم القاضي، قد تقدم نسبه في ترجمة حفيده علي بن المحسن. قال السمعاني: ولد أبو القاسم هذا بأنطاكيه في ذي الحجة سنة ثمانٍ وسبعين ومائتين، وقدم بغداد في حداثته في سنة ستٍ وثلاثمائةٍ، وتفقه بها على مذهب أبي حنيفة، وسمع الحديث ورواه، وولى القضاة بالأهواز وكورها، وتقلد قضاء إيذج وجند حمص من قبل المطيع لله، ومات بالبصرة في ربيعٍ الأول سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائةٍ ودفن بالمربد. أعرف من التنوخيين هؤلاء الثلاثة، فينبغي أن يذكروا في هذا الكتاب وهم: أبو القاسم وابنه أبو عليٍ المحسن صاحب كتاب نشوار المحاضرة وكتب الفرج بعد الشده، وحفيده أبو القاسم على الأخير شيخ الخطيب وتلك الطبقة، وقد ذكرت كل واحدٍ منهم، وله تصانيف في الأدب منها: كتاب في العروض. قال الخالع: ما عمل في العروض أجود منه. كتاب في علم القوافي، وكان بصيراً بعلم النجوم، قرأه على البناني المنجم صاحب الزيج ويقال: إنه كان يقوم بعشرة علومٍ، وتقلد القضاء بالأهواز وكورة واسط وأعمالها والكوفة، وسقى الفرات وجند حمص وعدة نواحٍ من الثغور الشامية وأرجان وكورة سابور مجتمعاً ومفترقاً، وأول ولايته القضاء رياسةً في أيام المقتدر بالله بعهدٍ كتبه له أبو علي بن مقلة الوزير، وشهد الشهود عنده فيما حكم بين أهل عمله بالحضرة في سنة أربعين وثلاثمائةٍ وشهدوا على إنفاذه. وكان المطيع لله قد عول على صرف أبي السائب عن قضاء القضاة وتقليده إياه، فأفسد ذلك بعض أعدائه، وكان ابن مقلة قلده المظالم بالأهواز والأشراف على العيار بها، وكان أبو عبد الله البريدي قد استخلفه بواسط على بعض أمور النظر، ولم يزل نبيهاً متقدماً يمدحه الشعراء ويجيزهم، ويفضل على من قصده إفضالاً أثر في حاله، وتوفي في سنة اثنتين وأربعين، وصلى عليه الوزير أبو محمدٍ المهلبي وقضى ما كان عليه من الدين وهو خمسون ألف درهمٍ.

قال أبو عليٍ التنوخي: كان أبي يحفظ للطائيين سبعمائة قصيدةٍ ومقطوعةٍ سوى ما يحفظ لغيرهم من المحدثين والمخضرمين والجاهليين، ولقد رأيت له دفتراً بخطه هو عندي يحتوي على رؤس ما يحفظه من القصائد مائتين وثلاثين ورقةً أثمانٍ منصوريٍ لطافٍ. وكان يحفظ من النحو واللغة شيئاً عظيماً مع ذلك، وكان عظيماً في الفقه والفرائض. والشروط والمحاضر والسجلات رأس ماله، وكان يحفظ منه ما قد اشتهر من الكلام والمنطق والهندسة، وكان في النحو وحفظ الأحكام وعلم الهيئة قدوةً وفي حفظ علم العروض. وله فيه وفي الفقه وغيرهما عدة كتبٍ مصنفة، وكان مع ذلك يحفظ ويجيب فيما يفوق عشرين ألف حديثٍ، وما رأيت أحداً أحفظ منه، ولولا أن حفظه افترق في جميع هذه العلوم لكان أمراً هائلاً. قال أبو منصور الثعالبي: هو

من أعيان أهل العلم والأدب، وأفراد الكرم وحسن الشيم، وكان كما قرأته في فصل للصاحب: إن أردت فإني سبحة ناسك، أو أحببت فإني تفاحة فاتكٍ، أواقترحت فإني مدرعة راهبٍ، أو آثرت فإني لحية شاربٍ.
وكان يتقلد قضاء البصرة والأهواز بضع سنين، وحين صرف عنه ورد حضرة سيقف الدولة زائراً ومادحاً، فأكرم مثواه وأحسن قراه، وكتب في معناه إلى الحضرة ببغداد حتى أعيد إلى عمله، وزيد في رزقه ورتبته.
وكان المهلبي الوزير وغيره من رؤساء العراق يميلون إليه جداً ويتعصبون له، ويعدونه ريحانة الندماء، وتاريخ الظرفاء، ويعاشرون منه من تطيب عشرته، وتكرم أخلاقه، وتحسن أخباره، وتسير أشعاره، ناظماً حاشيتي البر والبحر، وناحيتي الشرق والغرب. وبلغني أنه كان له غلام يسمى نسيماً في نهاية الملاحة واللباقة، وكان يؤثره على كافة غلمانه، ويختصه بتقريبه واستخدامه، فكتب إليه بعض يأنس به:
هل على من لامه مدغم ... لاضطرار الشعر في ميم نسيم؟
فوقع تحته نعم، ولملا؟ قال: ويحكى إنه كان من جملة القضاة الذين ينادمون الوزير المهلبي ويجتمعون عنده في الأسبوع ليلتين على اطراح الحشمة، والتبسط في القصف والخلاعة، وهم ابن قريعة، وابن معروفٍ، والقاضي الإيذجي وغيرهم، وما منهم إلا أبيض اللحية طويلها، وكذلك كان المهلبي، فإذا تكامل الأنس وطاب المجلس، ولذ السماع وأخذ الطرب منهم مأخذه، وهبوا ثوب الوقار للعقار، وتقلبوا في أعطاف العيش بين الخفة والطيش، ووضع في يد كلٍ منهم طاس ذهب من ألف مثقالٍ مملوء شراباً قطربلياً وعكبرياً فيغمس لحيته فيه، بل ينقعها حتى تتشرب أكثره، ثم يرش بها بعضهم على بعضٍ، ويرقصون بأجمعهم وعليهم المصبغات ومخانق البرم ويقولون كلما كثر شربهم: هرهر وإياهم عن السرى بقوله:
مجالس ترقص القضاة بها ... إذا أنتشوا في مخانق البرم
وصاحب يخلط المجون لنا ... بشيمةٍ حلوةٍ من الشيم
يخضب بالراح شيبه عبثاً ... أنامل مثل حمرة العنم
حتى تخال العيون شيبته ... شيبةً قد مزجتها بدم
فإذا أصبحوا عادوا إلى عاداتهم في التزمت والتوقر والتحفظ بأبهة القضاء وحشمة المشايخ الكبراء ومن شعر التنوخي هذا:
وجاء لا جاء الدجى كأنه ... من طلعة الواشي ووجه المرتقب
وفعل الظلام بالضياء ما ... يفعله الحرف بأبناء الأدب
وله:
وليلة مشتاقٍ كأن نجومه ... قد اغتصبت عيني الكرى فهي نوم
كأن عيون الساهرين لطولها ... إذا شخصت للأنجم الزهر أنجم
كأن سواد الليل والفجر ضاحك ... يلوح ويخفي أسود يتبسم
وله:
عهدي بها وضياء الصبح يطفيها ... كالسرج تطفأ أو كالأعين العور
أعجب به حين وافى وهي نيرة ... وظل يطمس منها النور بالنور

وله:

لم أنس دجلة والدجى منصوب ... والبدر في أفق السماء مغرب

فكانها فيه بساط أزرق ... وكأنه فيها طراز مذهب

وله:

كتبت وليلى بالسهاد نهار ... وصدري لوراد الهموم صدار

ولي أدمع عزر تفيض كأنها ... سحائب فاضت من يديك غزار

ولم أر مثل الدمع ماءً إذا جرى ... تلهب منه في المدامع نار

رحلت وزادي لوعة ومطيتي ... جوانح من حرالفراق حرار

مسير دعاه الناس سيراً توسعاً ... ومعنى اسمه إن حققوه إسار

إذا رمت أن أنسى الأسى ذكرت به ... ديار بها بين الضلوع ديار

لك الخير، عن غير اختياري ترحلي ... وهل بي على صرف الزمان خيار؟

وهذا كتابي والجفون كأنها ... تحكم في أشفارهن شفار

وله:

فحم كيوم الفراق يشعله ... نار كنار الفراق في الكبد

أسود قد صار تحت حمرتها ... مثل العيون اكتحلن بالرمد

وله في محبوب جسيم:

من أين أستر وجدي وهو منهتك ... ماللمتيم في تفك الهوى درك؟

قالوا: عشقت عظيم الجسم، قلت لهم: ... كالشمس أعظم جسمٍ حازه الفلك

وله:

رضاك شباب لا يليه مشيب ... وسخطك داء ليس منه طبيب

كأنك من كل القلوب مركب ... فأنت إلى كل القلوب حبيب

قال: ومما أنشدته له ولم أجده في ديوانه:

قلت لأصحابي وقد مر بي ... منتقباً بعد الضيا بالظلم

بالله يا أهل ودادي قفوا ... كي تبصروا كيف زوال النعم؟

وحدث السلامي قال: حدثني اللحام قال: خرج أبو أحمد بن ورقاء الشيباني في بعض الأسفار فكتب إليه أبو القاسم التنوخي الأنطاكي يتشوق إليه ويجزع على فراقه:

أسير وقلبي في ذراك أسير ... وحادي ركابي لوعة وزفير

ولي أدمع غرز تفيض كأنها ... جدىً فاض في العافين منك غزير

وطرف طريف بالسهاد كأنه ... نداك وجيش الجود فيه يغير

أبا أحمدٍ إن المكارم منهل ... لكم أول من ورده وأخير

سماح كمزن الجود فيه تسجم ... وغاب لأسد الموت فيه زئير
شباب بني شيبان شيب إذا انتدوا ... وقلهم يوم اللقاء كثير
وجوه كأكباد المحين رقةً ... على أنها يوم اللقاء صخور

وحدث أبو سعد السمعاني ومن خطه نقلت بإسنادٍ رفعه إلى منصورٍ الخالدي قال: كنت ليلةً عند القاضي التنوخي في ضيافته فأغفى اغفاءةً فخرجت منه ريح، فضحك بعض القوم فانتبه لضحكه وقال: لعل ريحاً، فسكتنا فمكث هنيهةً ثم أنشأ يقول:

إذا نامت العينان من متيقظٍ ... تراخت بلا شكٍ تشاريج فقحته
فمن كان ذا عقلٍ فيعذر نائماً ... ومن كان ذا جهلٍ ففي جوف لحيته

ومن خط السمعاني بإسناده له، وهي من مشهور شعره:

لم أنس شمس الضحى تطالعني ... ونحن من رقبةٍ على فرق
وجفن عيني بدمعه شرق ... لما بدت في معصفرٍ شرق
كأنه أدمعي ووجنتها ... لما رمتنا الوشاة بالحدق
ثم تغطت بكمها خجلاً ... كالشمس غابت في حمرة الشفق

وله:

تخير إذا ما كنت في الأمر مرسلاً ... فمبلغ آراء الرجال رسولها
وروئ وفكر في الكتاب فإنما ... بأطراف أقلام الرجال عقولها

وحدث أبو عليٍ المحسن بن علي بن محمدٍ التنوخي: جرى في مجلس أبي – رحمه الله – يوماً ذكر رجلٍ كان صغيراً فارتفع، فقال بعض الحاضرين: من ذاك الوضيع؟ أمس كنا نراه بمرقعةٍ يشحذ، فقال أبي: وما يضعه من أن الزمان عضه ثم ساعده؟ كل كبيرٍ إنما كان صغيراً أولاً، والفقر ليس بعارٍ إذا كان الإنسان فاضلاً في نفسه، وأهل العلم خاصةً لا يعيبهم ذلك، وأنا اعتقد أن من كان صغيراً فارتفع، أو فقيراً فاستغنى، أفضل ممن ولد في الغنى أو في الجلالة، لأن من ولد في ذلك إنما يحمد على فعل غيره، فلا حمد له هو خاصةً فيه، ومن لم يكن له فكان، فكأنما بكده وصل إلى ذلك، فهو أفضل ممن وصل إليه ميراثاً أوبجد غيره وكد سواه.

حدث أبو عليٍ المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد ابن داوود التنوخي: حدثني أبي قال: سمعت أبي – رحمه الله – يوماً ينشد وسنى إذا ذاك خمس عشرة سنةً بعض قصيدة دعبل بن عليٍ الطويلة التي يفخر فيها باليمن ويعدد مناقبهم، ويرد على الكميت فيها فخره بنزارٍ وأولها:

أفيقي من ملامك يا ظعيناً ... كفاك اللوم مر الأربعينا

وهي نحو ستمائة بيتٍ، فاشتهيت حفظها لما فيها من مفاخراليمن لأنهم أهلي، فقلت يا سيدي: تخرجها إلي حتى أحفظها؟ فدافعني فألححت عليه فقال: كأني بك تأخذها فتحفظ منها خمسين بيتاً أو مائة بيتٍ، ثم ترمي بالكتاب وتخلقه على، فقلت: إدفعها إلي فأخرجها وسلمها لي وقد كان كلامه أثر في فدخلت حجرةً لي كانت برسمي من داره، فخلوت فيها ولم أتشاغل يومي وليلتي بشيء غير حفظها، فلما كان السحر كنت

قد فرغت منها جميعها وأتقنتها، فخرجت إليه غدوةً على رسمي فجلست بين يديه فقال لي: كم حفظت من القصيدة؟ فقلت: قد حفظتها بأسرها، فغضب وقدر أني قد كذبته وقال: هاتها، فأخرجت الدفتر من كمي فأخذه وفتحه ونظر فيه وأنا أنشد إلى إن مضيت في أكثر من مائة بيتٍ، فصفح منها عدة أوراقٍ وقال: أنشد من هاهنا، فأنشدت مقدار مائة بيتٍ، فصفح إلى إن قارب آخرها بمائة بيتٍ وقال: أنشدني من هاهنا، فأنشدته من مائة بيتٍ فيها إلى آخرها فهاله ما رأى من حسن حفظي، فضمني إليه وقبل رأسي وعيني وقال: بالله يا ابني لا تخبر بهذا أحداً فإني أخاف عليك من العين. قال أبو عليٍ: قال لي ابي: حفظني أبي وحفظت بعده من شعر أبي تمامٍ والبحتري سوى ما كنت أحفظ لغيرهما من المحدثين من الشعراء مائتي قصيدةٍ قال: وكان أبي وشيوخنا بالشام يقولون: من حفظ للطائيين أربعين قصيدةً ولم يقل الشعر فهو حمار في مسلاخ إنسانٍ، فقلت الشعر وبدأت بمقصورتي التي أولها:

لولا التناهي لم أطع نهي النهي ... أي مدىً يطلب من جاز المدى؟

قال علي بن المحسن: وجدت في كتب أبي كتاباً من كتب أبي محمد المهلبي إليه قبل تقلده الوزراة بسنين أوله: كتابي أطال الله بقاء سيدنا القاضي عن سلامةٍ لا زالت له ألفاً وعليه وقفاً:

وحمدٍ لمولىً أستمد بحمده ... له الرتبة العلياء والعز دائماً

وإن يسخط الأيام بالجمع بيننا ... وترضى المنى حتى يرينيك سالما

وصل كتابه أدام الله عزه فقمت معظماً له، وقعدت مشتملاً على السرور به:

وفضضته فوجدته ... ليلاً على صفحات نور

مثل السوالف والخدو ... د البيض زينت بالشعور

بنظام لفظٍ كالثغو ... ر وكاللآلئ في النحور

أنزلته في القلب منزلة القلوب من الصدور قال أبو علي في النشوار: حدثني أبو العلاء صاعد ابن ثابتٍ قال: كتب إلى القاضي التنوخي جواب كتابٍ كتبته إليه، وصل كتابك:

فما شككت وقد جاء البشير به ... أن الشباب أتاني بعد ما ذهبا

وقلت: نفسي تفدي نفس مرسله ... من كل سوءٍ ومن أملي ومن كتبا

وكاد قلبي وقد قلبته قرماً ... إلى قراءته أن يخرق الحجبا

قال: والشعر له وأنشدنيه بعد ذلك لنفسه. قال أبو عليٍ: ولست أعرف له ذلك ولا وجدته في كتبه منسوباً إليه، ويجوز أن يكون مما قاله ولم يثبته، أو ضاع فيما ضاع من شعره فإنه أكثر مما حفظ، ومن شعر أبي القاسم علي بن محمدٍ التنوخي الأكبر:

يجود فيستحي الحيا عند جوده ... ويخرس صرف الدهر حين يقول

عطايا تباري الريح وهي عواصف ... ويخجل منها المزن وهو هطول

أقام له سوقاً بضائعها الندى ... سماح لأرسال السماح رسيل

له نسب لوكان للشمس ضوءه ... لما غالها بعد الطلوع أفول

وله:

يا واحد الناس لا مستثنيا أحداً ... اذ كان دون الورى بالمجد منفردا
أماترى الروض قد لاقاك مبتسماً ... ومد نحو الندامى للسلام يدا
فاخضر ناضره في أبيضٍ يققٍ ... واصفر فاقعه في أحمرٍ نضدا
مثل الرقيب بدا للعاشقين ضحىً ... فاحمر ذا خجلاً واصفر ذا كمداً
وله:
إلق العدو بوجهٍ لا قطوب به ... يكاد يقطر من ماء البشاشات
فاحزم الناس من يلقى أعاديه ... في جسم حقدٍ وثوب من مودات
ألصبر خير وخير القول أصدقه ... وكثرة المزح مفتاح العداوات
وله في الناعورة:

باتت تئن وما بها وجدي ... وتحن من وجدٍ إلى نجد
فدموعها تحيا الرياض بها ... ودموع عيني أقرحت خدي
وله:
فديت عينيك وإن كانتا ... لم تبقيا من جسدي شيئاً
الأ خيالاً لو تأملته ... في الشمس لم تبصر له فيئاً
وكان عبد الله بن المعتز قد قال قصيدةً يفتخر فيها بيني العباس علي بن أبي طالبٍ أولها:
أبى الله إلا ما ترون فمالكم ... غضابى على الأقدار يا آل طالب
فأجابه أبو القاسم التوخي بقصيدةٍ نحلها بعض العلويين وهي مثبتة في ديوانه أولها:
من ابن رسول الله وابن وصيه ... إلى مدغلٍ في عقدة الدين ناصب
نشا بين طنبورٍ ودفٍ ومزهرٍ ... وفي حجرٍ شادٍ أو على صدر ضارب
ومن ظهر سكرانٍ إلى بطن قينةٍ ... على شبهٍ في ملكها وشوائب
يقول فيها:
وقلت: بنو حربٍ كسو كم عمائماً ... من الضرب في الهامات حمر الذوائب
صدقت، منايانا السيوف وإنما ... تموتون فوق الفرش موت الكواعب
ونحن الألى لا يسرح الذم بيننا ... ولاتدري أعراضنا بالمعايب
إذا ما انتدوا كانوا شموس نديهم ... وإن ركبوا كانوا بدور الركائب
وإن عبسوا يوم الوغى ضحك الردى ... وإن ضحكوا بكواعيون النوائب
وما للغواني والوغى؟ فتعوذوا ... بقرع المثاني من قراع الكتائب
ويوم حنينٍ قلت حزناً فخاره ... ولو كان يدري عدها في المثالب
أبوه منادٍ والوصي مضارب ... فقل في منادٍ صيتٍ ومضارب
وجئتم مع الأولاد تبغون إرثه ... فأبعد بمحجوبٍ بحاجب حاجب

وقلتم نهضنا ثائرين شعارنا ... بثارات زيد الخير عند التجارب
فهلا بإبراهيم كان شعاركم ... فترجع دعواكم تعلة خائب
وله في معز الدولة:
لله أيام مضين قطعتها ... وطوالها بالغانيات قصر
حين الصبا لدن المهز قضيبه ... غض وإنواء السرور غزار
أجلو النهار على النهار وأنثني ... والشمس لي دون الشعار شعار
حتى إذا ما الليل أقبل ضمنا ... دون الإزار من العناق إزار
فعلى النحور من النحور قلائد ... وعلى الخدود من الخدود خمار
وبدت نجوم الليل من حلل الدجى ... تزكوا كما يتفتح النوار
أقبلن والمريخ في أوساطها ... مثل الدراهم وسطها دينار
فالجو مجلو النجوم على الدجى ... في قمص وشيٍ ما لها أزرار
وكانما الجوز اوشاح خريدةٍ ... والنجم تاج والوشاح خمار
ومنها في المدح:
ملك تناجيه القلوب بما جنت ... وتخافه الأوهام والأفكار
فيد مؤيدة وقلب قلب ... وشباً يشب وخاطر خطار
حين العيون شواخص وكأنها ... للخوف لم تخلق لها أبصار
كل الورى أرض وأنت سماؤها ... وجميعهم ليل وأنت نهار
وله:
ما منهم إلا أمرؤ غمر الندى ... سمح اليدين مؤمل مرهوب
يغريه بالخلق الرفيع وبالندى ... والمكرمات العذل والتأنيب
فله رقيب من نداه على الورى ... وعليه من كرم الطباع رقيب
وله:
وقفنا نجيل الرأي في ساكني الغضا ... وجمر الغضا بين الضلوع يجول
نشيم بأرض الشام برقاً كأنه ... عقود نضاد ما لهن فصول
وله:
أما في جنايات النواظر ناظر ... ولامنصف إن جار منهن جائر؟
بنفسي من لم يبد قط لعاذل ... فيرجع إلا وهو لي فيه عاذر
ولا لحظت عيناه ناهٍ عن الهوى ... فأصبح إلا وهو بالحب آمر
يؤثر فيه ناظر الفكر بالمنى ... وتجرحه باللمس منها الضمائر

حدث أبو عليٍ المحسن بن علي بن محمدٍ التنوخي في نشواره قصةً لأبي معشرٍ قد ذكرتها في مجموع الاختطاف عجيبةً. ثم قال: وهذا بعيد جداً دقيق ولكن فيما شاهدناه من صحة بعض أحكام النجوم كفايةً، هذا أبي حول مولد نفسه في السنة التي مات فيها وقال لنا: هذه سنة قطعٍ على مذهب المنجمين، وكتب بذلك إلى بغداد إلى أبي الحسن البهلول القاضي صهره ينعى نفسه ويوصيه، فلما اعتل أدنى علةٍ وقبل أن تستحكم علته أخرج التحويل ونظر فيه طويلاً وأنا حاضر فبكى ثم أطبقه واستدعى كاتبه وأملى عليه وصيته التي مات عنها وأشهد فيها من يومه، فجاء أبو القاسم غلام زحل المنجم فأخذ يطيب نفسه ويورد عليه شكوكاً، فقال له يا أبا القاسم: لست ممن تخفى عليه فأنسبك إلى غلطٍ، ولا أنا ممن يجوز عليه هذا فتستغفلني، وجلس فوافقه على الموضع الذي خافه وأنا حاضر، فقال له: دعني من هذا. بيننا شك في أنه إذا كان يوم الثلاثاء العصر لسبعٍ بقين من الشهر فهو ساعة قطعٍ عندهم؟ فأمسك أبو القاسم غلام زحل لأنه كان خادماً لأبي وبكى. طويلاً وقال: يا غلام طست فجاءوه به فغسل التحويل وقطعه وودع أبا القاسم توديع مفارق، فلما كان في ذلك اليوم العصر مات كما قال.

قال المحسن: وحدثني أبي قال: لما كنت أتقلد القضاء بالكرخ كان بوابي بها رجل من أهل الكرخ، وله ابن عمره حينئذٍ عشر سنين أو نحوها، وكان يدخل داري بلا إذنٍ ويمتزج مع غلماني، وأهب له في بعض الأوقات الدراهم والثياب كما يفعل الناس بأولاد غلمانهم، ثم خرجت عن الكرخ ورحلت عنها ولم أعرف للبواب ولا لابنه خبراً، ومضت السنون وأنفذني أبوعبد الله البريدي من واسطٍ برسالةٍ إلى ابن رائق فلقيته بدير العاقول، ثم انحدرت أريد واسطاً فقيل لي: إن في الطريق لصاً يعرف بالكرخي مستفحل الأمر، وكنت خرجت بطالعٍ اخترته على موجب تحويل مولدي لتلك السنة.

فلما عدت من دير العاقول خرج علينا اللصوص في سفنٍ عدةٍ بسلاحٍ شاكٍ في نحو مائة رجلٍ وهو كالعسكر العظيم، وكان معي غلمان يرمون بالنشاب فخلفت أن من رمى منهم سهماً ضربته إذا رجعت إلى المدينة كأني مفزعه، وذلك أنني خفت أن يقتل أحد منهم فلا يرضون إلا بقتلي، وبادرت فرميت بجميع ما كان معي ومع الغلمان من السلاح في دجلة واستسلمت طلباً لسلامة النفس، وجعلت أفكر في الطالع الذي أخرجت فإذا ليس مثله مما يوجب عندهم قطعاً، والناس قد أدبروا إلى واسطٍ وأنا في جملتهم، وجعلوا يفرغون السفن وينقلون جميع ما فيها من الأمتعة إلى الشاطئ وهم يضربون ويقطعون بالسيوف، فلما انتهى الأمر إلى جعلت أعجب من حصولي في مثل ذلك والطالع لا يوجبه، فبينا أنا كذلك وإذا بسفينة رئيسهم قد دنت وطرح علي كما صنع في سائر السفن ليشرف على ما يؤخذ، فحين رآني زجر أصحابه عني ومنعهم من أخذ شيء من سفينتي، وصعد بمفرده إلي وجعل يتأملني، ثم أكب على يدي يقبلهما وهو متلثم فارتعت وقلت: يا هذا، ما شأنك؟ فأسفر لثامه وقال: أما تعرفني يا سيدي؟ فتأملته فلجزعي لم أعرفه فقلت: لا والله فقال: بلى، أناعبدك ابن فلانٍ الكرخي بوابك هناك، وأنا الصبي الذي تربيت في دارك. قال: فتأملته فعرفته إلا أن اللحية قد غيرته في عيني، فسكن روعي قليلاً وقلت يا هذا: كيف بلغت إلى هذه الحال؟ فقال يا سيدي: نشأت فلم أتعلم غير معالجة السلاح وجئت إلى بغداد أطلب الديوان فما قبلني أحد، وانضاف إلى هؤلاء الرجال فطلبت قطع الطريق، ولوكان أنصفني السلطان وأنزلني بحيث استحق من الشجاعة

وأنتفع بخدمتي ما فعلت بنفسي هذا. قال: فأقبلت أعظه وأخوفه الله ثم خشيت أن يشق ذلك عليه فيفسد رعايته لي فأقصرت، فقال لي يا سيدي: لا يكون بعض هؤلاء أخذ منك شيئاً؟ فقلت: لا، ما ذهب مني إلا سلاح رميته أنا إلى الماء وشرحت له الصورة فضحك وقال: قد والله أصاب القاضي، فمن في الكار ممن تعتني به؟ فقلت: كلهم عندي بمنزلةٍ واحدةٍ في الغم بهمن فلو أفرجت عن الجميع.

فقال: والله لولا أن أصحابي قد تفرقوا ما أخذوه لفعلت ذلك، ولكنهم لا يطيعونني إلى رده، ولكني أمنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن مما لم يؤخذ بعد، فجزيته الخير فصعد الى الشاطئ وأصعد جميع أصحابه ومنعهم عن أخذ شيء آخر مما في السفن مما لم يؤخذ، ورد على قومٍ أشياء كثيرة كانت أخذت منهم، وأطلق الناس وسار معي إلى حيث آمن على وودعني وانصرف راجعاً.
حدث أبو القاسم قال: حدثني أبي قال: كان أول شيءٍ قلدته القضاء بعسكر مكرمٍ وتسترٍ وجند يسابور وأعمال ذلك من قبل القاضي أبي جعفرٍ أحمد بن اسحاق بن البهلول التنوخي، وكنت في السنة الثانية والثلاثين من عمري، وذلك في شهور سنة عشرةٍ وثلاثمائةٍ، ومن شعره المشهور ما نقلته من ديوان شعره.

وراح من الشمس مخلوقةٍ ... بدت لك في قدحٍ من نهار
هواء ولكنه ساكن ... وماء ولكنه غير جاري
إذا ما تأملته وهو فيه ... تأملت ماءً محيطاً بنار
فهذا النهاية في الابيضاض ... وهذي النهاية في الاحمرار:
وما كان في الحكم أن يوجدا ... لفرط التنافي وفرط النفار
ولكن تجاور سطحاهما ال ... بسيطان فاتفقا بالجوار
وكان المدير لها باليمين ... إذا مال للسقي أوباليسار
تدرع ثوباً من الياسمين ... له فرد كمٍ من الجلنار

قلت: وقد تنوزعت هذه الأبيات ورويت لغيره فقيل: إنها لأبي النصر الأنطاكي النحوي وغيره.

علي بن محمد بن الحسينبن العميد

بن محمد، أبو الفتح بن العميد الملقب بذي الكفايتين، كفاية السيف وكفاية القلم، وزير ركن الدولة أبي عليٍ الحسن بن بويه بعد أبيه، – وبذل مالاً في ذلك – ، ثم وزير ابنه مؤيد الدولة بويه بالري وأصفهان وتلك الأعمال. وورد إلى بغداد صحبة عضد الدولة بن ركن الدولة لنصرة عز الدولة بختيار. قتل على ما يجيء شرحه – إن شاء الله تعالى – في سنة ستٍ وستين وثلاثمائةٍ، ومولده في سنة سبعٍ وثلاثين وثلاثمائةٍ، كذا ذكر ابن الصابئ. كان أديباً فاضلاً بليغاً، قد اقتدى بأبيه في علو الهمة وبعد الشأو في الكرم والفضل:

إن السرى إذا سرى فبنفسه ... وابن السرى إذا سرى أسراهما

وكان أبوه قد أدبه فأحسن تأديبه، وهذبه أبو الحسين بن فارسٍ اللغوي وأحسن تهذيبه. ولما مات أبوه في الوقت الذي ذكرناه في ترجمته، وهو سنة ثلاثين وثلاثمائةٍ، قام مقامه في وزارة ركن الدولة وذلك قبل الأستكمال وفي بعدٍ من الاكتهال، وعمره حينئذٍ اثنتان وعشرون سنةً، وألقى ركن الدولة مقاليده إليه، وعول في تدبير السيف والقلم عليه، فلما جرى لعز الدولة بختيار بن معز الدولة ببغداد ما جرى مع غلامه سبكتكين، وأرسل إلى عمه ركن الدولة يستعين به، تقدم إلى أبي الفتح بالمضي إلى شيراز والمسير في صحبة ولده عضد الدولة لإنجاد عز الدولة، وورد إلى بغداد وجرى ما جرى من موت سبكتكين ومحاربة أصحابه حتى انجلوا عنها، وطمع عضد الدولة فيها، ومكاتبته أباه بمفارقتها وتسلينها الى عز الدولة، وكتب ركن الدولة إلى أبي الفتح بالقيام بذلك والتكفل به، حتى يفارق عضد الدولة بغداد في قصةٍ هي مذكورة في التواريخ، فتشدد ابن العميد على عضد الدولة في ذلك، وخاطبه فيه مخاطبات حقدها عضد الدولة عليه، فلما رجع عضد الدولة قال لابن العميد: ما حظيت من ورودي إلى بغداد بفائدة، وقد أطلقت بسببها أموالاً صامتةً لا تحصى. فقال له أبو الفتح: ما سلم من الأعطيات سلطان، ولا خلا من النفقات مكان، ولو استقصيت مقدار ما فرقته لكنت مبذراً. فقال له: عضد الدولة: أما أنت فقد شرف قدرك وعلا ذكرك، كناك خليفة الله في أرضه ولقبك، فأنت ذو الكفايتين أبو الفتح، فأعظم بذلك من فخرٍ يبقى بقاء النيرين ويدوم دوام العصرين، وكان عضد الدولة يقول: خرجت من بغداد وأنازريق الشارب – لأن سفلة الناس والعامة كانوا يذكرونه بذلك – وخرج ابن العميد مكنى من الخليفة، ملقبا بذي الكفايتين. فلما مات ركن الدولة وقام مقامه بالري وتلك النواحي ابنه مؤيد الدولة بويه، كان الصاحب بن عبادٍ وزيره، فخلع علي أبي الفتح واستوزره والصاحب على جملته في الكتابة لمؤيد الدولة، فكره أبوالفتح موضعه فبعث الجند على الشغب وهموا بقتل الصاحب، فأمر مؤيد الدولة بالعود إلى أصبهان، وأسر مؤيد الدولة ذلك في نفسه إلى أشياء كان ينبسط فيها يحمله عليها نزق الشباب، وانضاف إلى ذلك تغير عضد الدولة وكثرة ميل القواد والعساكر إليه، فخيفت منه غائلة فكتب عضد الدولة إلى أخيه مؤيد الدولة يأمره بالقبض عليه واستصفاء أمواله وتعذيبه، فقبض عليه وحمله إلى بعض القلاع، وبدرت إليه منه كلمات في حق عضد الدولة نميت إليه فزادت من استيحاشه منه، فأنهض من حضرته من تكفل بتعذيبه واستخراج أمواله والتنكيل به فأول ما عمل به أن سمل إحدى عينيه، ثم نكل به وجز لحيته وجدع أنفه، وعذب بأنواعٍ من العذاب. قال:

بدل من صورتي المنظر ... لكنه ما بدل المخبر
وليس إشفاقاً على هالكٍ ... لكن على من لي يستعبر
وواله القلب بما مسني ... مستخبر عني ولا يخبر
فقل لمن سر بما ساءني ... لابد أن يسلك ذا المعبر

ووجد على حائط مجلسه بعد قتله:

ملك شد لي عرا الميثاق ... بأمان قد سار في الآفاق
لم يحل رأيه ولكن دهري ... حال عن رأيه فشد وثاقي
فقرى الوحش من عظامي ولحمي ... وسقى الأرض من دمي المهراق

فعلى من تركته من قريبٍ ... أو حبيبٍ تحية المشتاق

وفي بني العميد يقول بعضهم:

مررت على ديار بني العميد ... فألفيت السعادة في خمود

فقل للشامت الباغي رويداً ... فإنك لم تبشر بالخلود

قال: وكان أبو الفتح قد أغرم قبل القبض عليه بإنشاد هذين البيتين لا يجف لسانه عن ترديدهما:

ملك الدنيا أناس قبلنا ... رحلوا عنها وخلوها لنا

ونزلناها كما قد نزلوا ... ونخليها لقومٍ غيرنا

فلما حصل في الاعتقال وأيقن أن القوم يريدون دمه وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله، مد يده إلى جيب جبةٍ عليه ففتقة عن رقعةٍ فيها ثبت ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره، فألقاها في كانون نار بين يديه وقال للموكل به: اصنع ما أنت صانع، فوالله لا يصل من أموالي المستورة إلى صاحبك دينارواحد، فما زال يعرضه على العذاب إلى أن تلف، ولما أحس بالقتل قال:

راعوا قليلاً فليس الدهر عبدكم ... كما تظنون والأيام تنتقل

وهذا شيء من خبره وشعره: قال: كان أبو الفضل أبوه قد جعل جماعةً من ثقات أبي الفتح في صباه يشرفون عليه في منزله ومكتبه وينهون إليه إنفاسه، فرفع إليه بعضهم إن أبا الفتح اشتغل ليلةً بما يشتغل به الأحداث من عقد مجلس مسرةٍ وإحضار الندماء في خفيةٍ شديدةٍ واحتياطٍ من أبيه، وأنه كتب إلى من سماه يستهديه شراباً فحمل إليه ما يصلحهم من الشراب والنقل والمشموم، فدس أبوه إلى ذلك الإنسان من جاء بالرقعة الصادرة عن أبي الفتح، فإذا فيها بخطه: بسم الله الرحمن الرحيم، قد اغتنمت الليلة – أطال الله بقاء سيدي ومولاي – رقدةً من عين الدهر، وانتهزت فيها فرصةً من فرص العمر، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا، فإن لم تحفظ علينا النظام بإهداء المدام، عدنا كبنات نعشٍ والسلام. فاستطير أبوه فرحاً وإعجاباً بهذه الرقعة البديعة وقال: الآن ظهر لي أثر براعته ووثقت بجريه في طريقي ونيابته منابي، ووقع لي بألفي دينارٍ.

وحدث أبو الحسين بن فارسٍ قال: جرى في بعض أيامنا ذكر أبياتٍ استحسن أبو الفضل بن العميد وزنها واستحلى رويها، وأنشد جماعة من حضر ما حضرهم على ذلك الروى، وهو قول القائل:

لئن كففت وإلا ... شققت منك ثيابي

فأصغى إليه أبو الفتح، ثم أنشد في الوقت:

يا مولعاً بعذابي ... أمارحمت شبابي؟

تركت قلباً قريحاً ... نهب الأسى والتصابي

إن كنت تنكرمابي ... من ذلتي واكتئابي

فارفع قليلاً قليلاً ... عن العظام ثيابي

قال: فتأمل هذه الطريقة وانظر إلى هذا الطبع، فإنه أتى بمثل ما أنشده في رشاقته وخفته، ولم يعد الجنس ولم

يقصد دونه، وبذلك يعرف قدر القادر على الخطابة والبلاغة ومن مستحسن شعره:

عودي وماء شبيبتي في عودي ... لاتعمدي لمقاتل المعمود
وصليه ما دامت أصائل عيشه ... تؤويه في فيء لها ممدود
ما دام من ليل الصبا في فاحمٍ ... رجل الذرا فينان كالعنقود
قتل الزمان فطارقات جنوده ... يبدلنه يققاً بربدٍ سود

وله:

إذا أنا بلغت الذي كنت أشتهي ... وأضعافه ألفاً فكلني إلى الخمر
وقل لنديمي قم إلى الدهر فاقترح ... عليه الذي تهوى ودعني مع الدهر

وله:

أين لي من يفي بشكر الليالي ... من مضيفٍ خيالها وخيالي؟
لم يكن بي على الزمان اقتراح ... غيرها منيةً فجاد بها لي

قرأت في كتاب أبي الحسن بن هلال بن المحسن: حدثني أبو إسحاق بن هلال جدي قال: لما سار عضد الدولة من بغداد عائداً إلى فارس أقام أبو الفتح ابن العميد بعده، ووصل إلى حضرة الطائع لله حتى خلع عليه وحمله وكناه ولقبه ذا الكفايتين، وتنجز منه خلعاً ولقباً لفخر الدولة أبي الحسن، وأقطع من نواحي السواد ضياعاً كثيرةً رتب فيها نائباً يستوفي ارتفاعها ويحمله إليه، ودعاه أبو طاهر بن بقية عدة دعواتٍ وملأ عينيه بالهدايا والملاطفات وقال في بعض الأيام: لا بد إن أخلع على ابن العميد في مجلسي ودعاه، فلما قعد وأكل وجلس على الشرب أخذ ابن بقية بيده فرجيةً ورداءً في غاية الحسن والجلالة ووافى بهما إلى ابن العميد وقال له: قد صرت أيها الأستاذ جامدارك فإنظر هل ترتضيني لخدمتك؟ وطرح الفرجية عليه، وقدم الرداء بين يديه، فأخذه ولبسه. ومن شعره في الحبس:

ما بال قومي يجفوني أكابرهم ... أأن أطاعتهم الأيام والدول؟
أأن تقاصر عني الحال تقطعني ... عراهم؟ ساء ما شاءوا وما فعلوا
أغراهم أن هذا الدهر أسكتني ... عنهم وتنطق فيه الشاء والأبل
قدماً رميت فلم تبلغ سهامهم ... وأخطأ الناس من مرميه زحل

وله:

يقول لي الواشون: كيف تحبها؟ ... فقلت لهم: بين المقصر والغالي
ولولا حذاري منهم لصدقتهم ... وقلت: هوىً لم يهوه قط أمثالي
وكم من شفيقٍ قال: ما لك واجماً؟ ... فقلت: أنا مالي وتسألني ما لي؟

قال أبو الحسين: وحدثني أبو الفتح منصور بن محمد بن المقدر الأصبهاني قال: حدث أحد أصحاب أبي الفضل بن العميد المختصين به قال: كان أبو الفتح ابن أبي الفضل يباكر أباه في كل يومٍ ويدخل إليه قبل كل أحدٍ، فاتفق أن دخل يوماً وأنا جالس عنده، فلما رآه مقبلاً في الصحن وشاهد عمته وكانت ديلميةً

ومشيته وهو يختال فيها ويسرف في تلويها، عجب من ذلك وقال لي: أماترى إلى هذه العمة وهذه المشية في مخالفتها لعادتنا ومفارقتها طريقتنا؟ فقلت: قد رأيت وأن رسم الأستاذ أن أخاطبه فيها وأنهاه عنها فعلت. فقال: لا تفعل فإنه قصير العمر، وما أحب أن أدخل على قلبه هماً ولا أمنعه هوىً. وقد روى أن أبا الفضل وجد له رقعةً كتبها إلى بعض من ينبسط إليه وفيها:

أديبنا المعروف بالكردي ... يولع بالغلمان والمرد

أدخلني يوما إلى داره ... فناكني والأير من عندي

فلما وقف ابن العميد أبوه على ذلك غضب وقال: أمثل ولدى يكتب مثل هذا الفحش والفجور؟ ثم قال: أما والله لولا ولولا، ثم أمسك كأنه يشير إلى ما حكم له من سوء العاقبة وقصر العمر.

حكى أبو الحسين بن فارس مما أورده أبو منصورٍ في اليتيمة قال: كنت عند الأستاذ أبي الفتح بن العميد في يومٍ شديد الحر، فرمت الشمس بجمرات الهاجرة فقال لي: ما قول الشيخ في قلبه، فلم أحر جواباً لأني لم أفطن لما أراد، ولما كان بعد هنيهةٍ أقبل رسول الأستاذ الرئيس يستدعيني إلى مجلسه فقمت إليه، فلما مثلت بين يديه تبسم إلي ضاحكاً وقال: ماقول الشيخ في قلبه؟ فبهت وسكت، وما زلت أفكر حتى انتبهت على أنه أراد الخيش، وكان من يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه في تلك الساعة، فدعاني ولفرط اهتزازه لها أراد مجاراتي فيها، وقرأت صحيفة السرور من وجهه إعجاباً بها، ثم أخذت أتحفه بنكت نثره وملح نظمه، فكان مما أعجب به وتعجب منه واستضحك له حكايتي رقعةً وردت له وعلى صدرها: وردت رقعة الشيخ أصغر من عنفقة بقةٍ، وأقصر من أنملة نملةٍ.

وقرأت في تاريخ ذي المعالي زين الكفاة الوزير أبي سعدٍ منصور بن الحسين الآبي قال: كان عضد الدولة ينقم على أبي الفتح بن العميد أشياء، وكان من أعظمها في نفسه: حديثه ببغداد لما خرج لنجدة بختيار فإنه جود القول والفعل في رد عضد الدولة عن بغداد، وأقام لنفسه بذلك ببغداد سوقاً تقدم بها عند أهل البلد والخليفة حتى لقبه الخليفة ذا الكفايتين، وكناه في مكتوبه بأبي الفتح. ولما انصرف عضد الدولة عن بغداد وقد ظهرت له مخايل الغدر من بختيار من قيام أهل بغداد وتصريحهم بالشتم له ولقبوه زريقاً الشارب، وذلك إن عضد الدولة تقدم باتخاذ مزملةٍ في داره ليشرب منها الجند والعامة، ولم يكن عهد مثل ذلك في دور السلاطين قبل، وكان من نفسه أزرق العينين فلقبوه بذلك، فكان يقول: خرجت من بغداد وأنازريق الشارب، وابن العميد الوزير ذو الكفايتين وأبو الفتح.

فلما مات ركن الدولة في سنة ستٍ وستين وثلاثمائةٍ لأربعٍ بقين من المحرم، ضبط أبو الفتح ذو الكفايتين الأمر أحسن ضبطٍ، وسكن العسكر وفرق فيهم مال البيعة، وكان مطاعاً في الديلم محبباً إليهم كثير الإفضال عليهم، وبادر بالخبر إلى مؤيد الدولة وهو بأصبهان، فورد الري ومعه وزيره الصاحب أبو القاسم إسماعيل بن عبادٍ يوم السبت لثلاثٍ خلون من صفرٍ، وجلس للتعزية ثم انتصب في مكان أبيه، وكانت له هيبة وسياسة، وفيه سخاء وسماحة، وخلع على أبي الفتح بن العميد ذي الكفايتين خلع الوزارة، وفوض إليه الأمر يوم الأربعاء لخمسٍ خلون من شهر ربيعٍ الأول، وكان الصاحب يرغب أن يقيم بالري ويخلفه فلم يأمن أبو الفتح جانبه وضرب الحجاب الشديد بينهما، وخوفوه منه لمحله من الصناعة ولمكانه من قلب مؤيد

الدولة، فأراد إبعاده عن الحضرة ليتمكن من الإيقاع به إن أراد ذلك، وأشار على مؤيد الدولة بأن يرده إلى أصفهان ليدبر أعمالها والمقام بها، فخلع عليه على رسم الوزراء القباء والسيف والمنطقة وما يجري مع ذلك، وخرج يوم الأحد لثمانٍ خلون من شهر ربيعٍ الأول سنة ستٍ وستين وثلاثمائةٍ.

وأخذ مؤيد الدولة في التدبير على ابن العميد والاحتيال للقبض عليه، ولم يكن يقدم على ذلك لمحل الرجل في قلوب الديلم وإنصبابهم بمودتهم إليه، واخلاصهم في الموالاة له، وكان ذلك أقوى الدواعي لمحنته، وآكد أسباب نكبته، فإنه كان مقتبل الشباب قليل التجارب غير مفكرٍ في العواقب، وقد ولد في النعمة الضخمة ونشأ فيها، وخلف أباه وله دون خمس عشرة سنةً، وتولى الوزارة وله إحدى وعشرون سنةً، واعتاد خدمة الأمراء والقواد ومثولهم بين يديه وتنافسهم في خدمته، وكان يركب إلى الصيد وإلى الميدان لضرب الصوالجة فيتبعه أكثر أكابر الحضرة فيترجلون له ويمشون بين يديه، ثم يضيف في أكثر أيامه جماعةً منهم فيخلع عليهم أنواع الخلع النفيسة، ويحملهم على الدواب الفارهة بالمراكب الثقيلة، وكان ركن الدولة يرخص له في ذلك ويعجب منه، فإنه كان تربيته وابن من طالت له صحبته وخدمته، فلما انتقل الأمر إلى مؤيد الدولة لم يصبر عليه، وكانت الأمور أيضاً بعد على جانبٍ من الاضطراب فلم يسكن إليه، وذلك أن فخر الدولة كان مداجياً لأخويه، وكان أحب إلى الديلم منهما فلم يأمناه، وكان عز الدولة مكاشفاً بالخلاف، وبينه وبين ابن العميد ما قدمنا ذكره من المصافاة فاسترابا به، واجتمع إلى هذه الأحوال ما ذكرناه من حنق عضد الدولة عليه مما قدمه في حقه عند كونه ببغداد، وامتدت العين إلى ضياعه وأمواله وخزائنه وأسبابه ودوره وعقاره وبساتينه، فإنه كان يملك من ذلك ما يملأ العين ويفوت الوهم، فراسل عضد الدولة أخاه مؤيد الدولة على لسان أبي نصرٍ خواشادة المجوسي، وكان من ثقاته وأماثل أصحابه بالقبض عليه بعد أن يوافق على بن كلمة على أمره ليؤمن ناحية العسكر ويوتبهم بمكانه، وجعلوا يجيلون الرأي أياماً، ويركب خواشاده إلى علي بن كلمة ليلاً ويجاريه في ذلك إلى أن اتفقوا يوم السبت سادس عشر شهر ربيعٍ الآخر على القبض عليه عند بكوره من الغد إلى الدار، وكان خواشاده عشية هذا اليوم عند علي بن كلمة. ولابن العميد ضيافة قد اجتمع فيها جماعة من القواد، فارتاب مؤيد الدولة بالأمر، وقدر إنه قد أحس بالسر وجمع الديلم لتدبيرٍ عليه وامتناعٍ منه، فلما عاد إلى عنده خواشاده أمره أن يلم بابن العميد ليتفرس فيه وفي المجتمعين عنده ما هو بصدده، فدخل عليه والرجل مشتغل بقصفه متوفر على طربه، فتأمله وعاد وأراد أن يحبسه عنده فامتنع ورجع إلى الدار فقال لمؤيد الدولة: الرجل غار غافل فلايهمنك أمره، وبكر ابن العميد سحراً إلى دار الإمارة، وكان الرسم اذ ذاك أن يحضروها بالشموع والمشاعل قبل الصباح. فلما وصل مؤيد الدولة تقدم إليه علي بن كلمة وكلمه في حاجةٍ له فوعده بها فقال: قد وعدتني بها غير مرةٍ ولم تقضها، وأخذ بيده فجذبه من مكانه، وكان قد كمن له في الممر جماعة من خواص الديلم وثقات مؤيد الدولة، فعانوه على إخراجه من ذلك البيت وإدخاله إلى حجرة هناك وتقييده، وذلك في يوم الأحد سابع شهر ربيعٍ الآخر، وأدخلت عليه الشهود فشهدوا عليه ببيع أملاكه جميعها وضياعه ومستغلاته من مؤيد الدولة، فلما حضر العدول أخرج إليهم كتاباً كان كتبه بطلاق امرأته ابنة جستان وأشهدهم طائعاً على

نفسه بذلك. وقيل: إنه إنما فعل ذلك خوفاً من مؤيد الدولة أن يفضحه فيها، فأراد أن ينفصل منها وتبين منه لئلا يلزمه العار فيها، ولما حضروا للعقد بالبيع كشف للعدول عن قيده وأقر بالبيع، ثم اتفق أن أفرج عن محبوسٍ كان في الدار، فعدا غلام له مستبشراً وقال: قد أفرج عن الأستاذ يريد أستاذ نفسه، وصكت الكلمة أسماع العامة فتباشروا وظنوا إنه قد أفرج عن أبي الفتح، وصاحت البلدة صيحةً واحدةً، واجتمع من أهل البلد على باب السلطان وميدانه وفي داره ما غصت به الأماكن، وامتلأت منهم الشوارع والمساكن، وركب الديلم بأجمعهم مستبشرين، وتلقوه على زعمهم في الخدمة فرحين، ورأى مؤيد الدولة من ذلك ما هاله، وظن إن العسكر قد ركب لاستنقاذه، فلما عرف حقيقة الحال سكن وأمر بطرد العامة، وأركب الحجاب لطرد القواد والديلم، وأنفذ في تلك الليلة ابن العميد إلى قلعة استوناوند وقتل فيها بعد أيامٍ وورد رأسه.

قال الوزير أبو سعدٍ: وسمعت الصاحب كافي الكفاة رحمه الله يذكر أمره فقال في أثناء كلامه: إن مؤيد الدولة قال لي عند خروجي إلى أصبهان: إن ورد عليك كتاب بخطي أو جاءك أجل حجابي وثقاتي للاستدعاء فلا تبرح من أصفهان ولا تفارقها إلى أن يجيئك فلان الركابي فإنه إن اتجهت لي حيلة على هذا الرجل وأمكنني الله من القبض عليه بادرت به اليك، وهو العلامة بيني وبينك. قال: فاستعظمت لحداثة سني وغرة الصبا وقلة التجربة ما حكاه الصاحب من قول مؤيد الدولة: إن اتجهت لي حيلة على هذا الرجل، وتعجبت منه وأردت الغض من أبي الفتح والتقرب بذلك إلى الصاحب فقلت: وكان لأبي الفتح من القدر أن يصعب حبسه أويحتاج صاحبه إلى الاحتيال معه؟ فانتهرني الصاحب وقال يا فلان: أنت صبي تحسب أن القبض على الوزراء سهل، ففطنت أنه يريد الرفع من شأن الوزارة وتفخيم أمرها، فعدلت عن كلامي الأول إلى غيره.

قال أبو حيان: حدثني أبو الطيب الكيمائي قال: قلت لأبي الفضل بعد أن سم الحاجب النيسابوري وبعد أن خطب على حمدٍ ودس إلى ابن هندٍ وغيرهم من أهل الكتابة والمروءة والنعم: لو كففت، فقد أسرفت، فقال يا أبا الطيب: أنا مضطر. قال: فقلت وأي اضطرارٍ هاهنا؟ والله إن مخادعتنا لأنفسنا في ضرنا ونفعنا لأعجب من مكابرة غيرنا لنا في خيرنا وشرنا، وهذا والله رين القلوب وصدأ العقل وفساد الاختيار، وكدر النفس وسوء العادة، وعدم التوفيق. فقال يا أبا الطيب: أنت تتكلم بالظاهر وأنا أحترق في الباطن. قال فقلت: إن كان عذرك في هذه السيرة المخالفة لأهل الديانه وأصحاب الحكمة قد بلغ هذا الوضوح والجلاء فإنك معذور عندنا، ولعلك أيضاً مأجور عند الله ما لك الجزاء، وإن كنت تعلم حقيقة ما تراجعني عليه القول وتناقلني به الحجاج فإنك من الخاسرين الذين باءوا بغضب من الله على مذاهب الناس أجمعين، فبكى فقلت له: البكاء لا ينفع إن كان الإقلاع ممكناً، والندم لا يجدي متى كان الإصرار قائما، هذا كله بسبب ابنك أبي الفتح، والله إن ايامه لا تطول، وإن عيشه لا يصفو وإن حاله لا يستقيم، وله أعداء لا يتخلص منهم وقد دل مولده على ذلك، وإنك لا تدفع عنه قضاء الله وهو لا يغني عنك شيئاً، فعليك بخويصة نفسك.

قال أبو حيان: وقد ذكر ابن عبادٍ وأبا الفضل بن العميد ثم قال: وأما أبوالفتح ذو الكفايتين فإنه كان شاباً

ذكياً متحركاً حسن الشعر مليح الكتابه كثير المحاسن، ولم يظهر كل ما كان من نفسه لقصر أيامه، واشتعال دولته وطفوها بسرعةٍ. ومن شعره:

إني متى أهززقناتي تنتشر ... أوصالها أنبوبةً أنبوبا

أدعو بعاليها العلى فتجيبني ... وأقد بحد سنانها المرهوبا

وله كلام كثير نظم ونثر، وله في صفة الفرس ما يوفى على كل منظومٍ، ولو أبقته الأيام لظهر منه كل فضلٍ كبيرٍ. ودخل بغداد فتكلف واحتفل وعقد مجالس مختلفة للفقهاء يوماً، وللأدباء يوماً، وللمتكلمين يوماً، وللمتفلسفين يوماً، وفرق أموالاً خطيرةً وتفقد أبا سعيدٍ السيرافي وعلي بن عيسى الرماني وغيرهما وعرض عليهما المسير معه إلى الري ووعدهم ومناهم وأظهر المباهاة بهم، وكذلك خاطب أبا الحسن بن كعبٍ الأنصاري وأبا سليمان السجستاني المنطقي وابن البقال الشاعر وابن الأعرج النمري وغيرهم. ودخل شهر رمضان فاحتشد وبالغ ووصل ووهب فجرت في هذه المجالس غرائب العلم وبدائع الحكمة، وخاصةً ما جرى مع أبي الحسن العامري، ولولا طول الرسالة لرسمت ذلك كله في هذا الكتاب، فمن ظريف ما جرى وفي سماعه فائدة واعتبار خبر أبي سعيدٍ السيرافي مع أبي الحسن العامري، وقد ذكرته في أخبار السيرافي قال أبو حيان: وحضرت المجلس يوماً آخر مع أبي سعيدٍ وقد غص بأعلام الدنيا وببرد الآفاق، فجرى حديث الصابئ فقال ذو الكفايتين: ذاك رجل له في كل طرازٍ نسج، وفي كل حومةٍ رهج، وفي كل فلاةٍ ركب، ومن كل غمامةٍ سكب، الكتابة تدعيه بأكثر مما يدعيها، والبلاغة تتحلى به بأحسن مما يتحلى هو بها، وما أحلى قوله:

حمراء مصفرة الأحشاء باعثة ... طيباً تخال به في البيت عطارا

كأن في وجهها تبراً يخلصه ... قين يضرم في أفنانه النارا

وقوله:

ما زلت في سكري ألمع كفها ... وذراعها بالقرص والأثار

حتى تركت أديمها وكأنما ... غرس البنفسج في نقا الجمار

وبلغ المجلس أبا إسحاق فحضر وشكر وطوى ونشر وأورد وأصدر، وكان كاتب زمانه لساناً وقلماً وشمائل، وكان له مع ذلك يد طولى في العلم الرياضي، وسمعت أبا اسحاق يقول: هو ابن ابيه لله دره، وأخذ في تعظيم أبيه.

قال عبد الله الفقير إليه: وقد ذكر أبو حيان قصة أبي الفتح بن العميد وسبب القبض عليه مبسوطةً مشروحةً وقد نقلتها هاهنا عنه بكمالها فإني لم أجد أحداً ذكرها أكمل منه. قال: ولما مات ركن الدولة سنة ستٍ وستين وثلاثمائةٍ اجتمع ذو الكفايتين أبو الفتح وعلي بن كامة أحد أمراء الديلم والأعيان وتعاهدا وتواثقا وتحالفا وبذل كل واحد منهما الإخلاص لصاحبه والمودة في السر والعلانية، والذب والنوقير عند الصغير والكبير، واجتهدا في الأيمان الغامسة والعقود الموثقة، ودبرا أمر الجيش، ووعدا الأولياء، وردا النافر، وركبا الخطر الخاطر، وعانقا الخطب العاقر، وباشر كل ذلك أبو الفتح خاصةً بجدٍ من نفسه، وصريمةٍ من رأيه،

وجودة فكره، وصحة نيته، وتوفيق ربه.
فلما ورد مؤيد الدولة الري من أصبهان وصادف الأمر متسقاً ولقى كل فتق مرتقاً بما تقدم من الحزم فيه، ونفذ من الرأي الصائب عنده أنكر الزيادة الموجبة للجند فكرهها ودمدم بذكرها، فقال له أبو الفتح بها نظمت لك الملك، وحفظت لك الدولة، وصنت الحريم، فإن خالفت هذه الزيادة هواك فأسقطها فاليد الطولى لك.
وكان ابن عبادٍ قد ورد وحطبه رطب وتنوره بارد وأمره غير نافذٍ، هذا في الظاهر، وأما في الباطن، فكان يخلو بصاحبه ويوثبه على أبي الفتح بما يجد السبيل إليه من الطعن والقدح، فأحس بذلك ابن العميد فألب الأولياء على ابن عبادٍ حتى كثر الشغب وعظم الخطب وهم بقتله وقال للأمير: ليس من حق كفايتي في الدولة وقد انتكث حبلها، وقويت أطماع المفسدين فيها أن أسأم الخسف، والأحرار لا يصبرون على نظرات الذل وغمرات الهوان. فقال له في الجواب: كلامك مسموع ورضاك متبوع، فما الذي يبرد فورتك عنه؟ قال: ينصرف إلى أصفهان موفوراً، فوالله لو طالبته منصفاً برفع الحساب لما نظر فيه ليعرقن جبينه، ولئن أحس الأولياء الذين أصطنعهم بمالي وإفضالي بكلامه في أمري، وسعيه في فساد حالي، ليكونن هلاكه على أيديهم أسرع من البرق إذا خطف، ومن المزن إذا نطف. فقال له: لا مخالف لرأيك، والنظرلك، والزمام بيدك.
وتلطف ابن عبادٍ في خلال ذلك لأبي الفتح وقال له: أنا أتظلم منك اليك، وأتحمل بك عليك، وهذا الاستيحاش سهل الزوال إذا تألقت الشارد من حلمك، وعطفت على الشائع من كرمك، ولنى ديوان الإنشاء واستخدمني فيه ورتبني بين يديك، وأحضرني بين أمرك ونهيك، وسمني برضاك فإني صنيعة والدك، واتخذني بهذا صنيعةً لك، وليس يجمل أن تكر على ما بنى ذلك الرئيس فتهدمه وتنقضه، ومتى أجبتني إلى هذا وآمنتني فإني أكون خادمك بحضرتك، وكاتباً يطلب الزلفة عندك في صغير أمرك وكبيره، وفي هذا إطفاء النائرة التي قد ثارت بسوء ظنك وتصديقك أعدائي علي. فقال في الجواب: والله لا تجاورني في بلد السرير، وبحضرة التدبير وخلوة الأمير، ولا يكون لك إذن على ولا عين عندي، وليس لك مني رضاً إلا بالعود إلى مكانك من أصبهان، والسلو عما تحدث به نفسك.
فخرج ابن عبادٍ من الري على صورةٍ قبيحةٍ متنكراً بالليل، وذلك أنه خاف الفتك والغلبة، وبلغ أصبهان وألقى عصاه بها، ونفسه تغلي وصدره يفور، والخوف شامل والوسواس غالب، وهم أبو الفتح بإنفاذ من يطالبه ويؤذيه ويهينه ويعسفه فأحس هو بالأمر.
فحدثني أبو النجم قال: عمل على ركوب المفازة إلى نيسابور لما ضاق عطنه، واختلف على نفسه ظنه، وإنه لفي هذا وما أشبهه، حتى بلغهم أن خراسان قد أزمعت الدلوف إليهم، وتشاورت في الإطلال عليهم.

فقال الأميرلأبي الفتح: ما الرأي وقد نمى الينا ما تعلم من طمع خراسان في هذه الدولة بعد موت ركن الدولة؟ فقال أبو الفتح: ليس الرأي إلي ولا إليك، ولا الهم لي: أنت كاتب خليفتي، يدبر هذا بالمال والرجال وهو الملك عضد الدولة أخوك. قال: فاكتب إليه وأشعره وأشع ما قد منينيا به وأشهره، وسله

يداوي هذا الداء. فكتب أبو الفتح وتلطف. فصدر في الجواب: إن هذا لأمر عجاب، رجل مات وخلف مالاً وله ابن فلم يحمل إليه من إرثه شيء زوياً عنه واستئثاراً دونه، ثم يخاطب بأن يغرم شيئاً آخر من عنده قد كسبه بجهده، وجمعه بسعيه وكدحه، هذا والله حديث لم نسمع بمثله، ولئن استفتى الفقهاء في هذا لم يكن عندهم منه بتةً إلا التعجب والاستطراف ورحمة هذا الوارث المظلوم من وجهين: أحدهما أنه حرم ماله بحق الإرث، والآخر أنه يطالب بإخراج ما ليس عليه، وإن شاء حاكمت كل من سام هذا إلى من يرضى به.

فلما سمع مؤيد الدولة هذا قال لأبي الفتح: ما ترى؟ قال: قد قلت وليس لي قول سواه، هذا الرجل هو الملك والمدبروالمال كله ماله، والبلاد بلاده، والجند جنده والكل له، والاسم والجلالة عنده، وليس هاهنا إرث قد زوى عنه، ولا مال استؤثر به دونه، والنادرة لا وجه لها في أمر الجد وفيما لا تعلق له باللعب، أما خراسان فكانت مذ عشرين سنةً تطالبنا بالمال وتهددنا بالمسير والحرب، ونحن مرةً نحارب ومرةً نسالم، وفي خلال ذلك تفرق المال بعد المال على وجوهٍ مختلفةٍ، فاحسب أن ركن الدولة حي باقٍ، هل كان له إلا أن يدبر بماله ورجاله وذخائره وكنوزه؟ أفليس هذا الحكم لازماً لمن قام مقامه وجلس مجلسه، وألقى إليه زمام الملك وأصدر عنه كل رأيٍ؟ وهل علينا إلا الخدمة والنصرة والمناصحة في كل ما سهل وصعب؟ كما كان عليه ذلك بالأمس من جهة الماضي.

فقال مؤيد الدولة: إن الخطب في هذه أراه يطول، والكلام يتردد، والمناظرة تربو، والفريضة تعول، والفرصة تفوت، والعدو يستمكن، وأرى في الوقت أ، نذكر وجهاً للمال حتى نحتج به، ثم نستمد في الثاني منه، ويرضى الجند في الحال ونتحزم في الأمر، ونظهر المرارة والشكيمة بالاهتمام والاستعداد، حتى يطير الخبر إلى خراسان بجدنا واجتهادنا، وحزمنا واعتمادنا، فيكون ذلك مكسرةً لقلوبهم وحسماً لأطماعهم، وباعثاً على تجديد القول في الصلح ورد الحال إلى العادة المألوفة. فقال: نسأل الله بركة هذا الأمر فقد نشأت منه رائحة منكرة، ما أعرف للمال وجهاً، أما أنا فقد خرجت من جميع ما عندي مرةً بما خدمت به الماضي تبرعاً حدثان موت أبي، ومرةً بما طالبني به سراً وأوعدني بالعزل والاستخفاف من أجله، ومرةً بما غرمت في المسير إلى العراق في نصرة الدولة، وهذه وجوه استنفدت قلى وكثري، وأتت على ظاهري وباطني، وقد غرمت إلى هذه الغاية ما إن ذكرته كنت كأني ممتن على أولياء نعمتي، وإن سكت كنت كالمتهم عند من يتوقع عثرتي، فهذا هذا. وأما أموال النواحي فأحسن أحوالنا فيها أنا نرجئها في نواحيها مع النفقة الواسعة في الوظائف والمهمات التي تنوبنا، وأما العامة فلا أحوج الله إليها، ولا كانت دولة ولا تثبت إلا بها وبأوساخ أموالها. فقال مؤيد الدولة وكان ملقناً: هذا ابن كلمة وهو صاحب الذخائر والكنوز والجبال والحصون، وبيده بلاد وقد جمع هذا كله في دولتنا وحازه من مملكتنا وأيامنا وبدولتنا، وهو جام ماشيك، ومختوم ما فض مذ كان ما نقول فيه، قال: ما لي فيه كلام فإن بيني وبينه عهداً ما أخيس به ولو ذهبت نفسي. فقال: اطلب منه القرض. قال: إنه يستوحش ويراه باباً من الغضاضة، وقدر القرض لا يبلغ قدر الحاجة، فإن الحاجة ماسة إلى خمسمائة ألف دينار على التقريب، ونفسه أنفع لنا وأرد علينا وأحصن لنا وإلينا من موقع ذلك المال، وبعد رأيه وتدبيره واسمه وصيته فوق المطلوب منه.

قال: واذ ليس ههنا وجه فليس بأس بان يطالع الملك بهذا الرأي ليكون نتيجته من ثم. قال: أنا لا أكتب

بهذا فإنه غدر. قال يا هذا: فأنت كاتبي وصاحب سري والزمام في جميع أمري، ولا سبيل إلى إخراج هذا الحديث إلى أحد من خلق الله، فإن أنت لم تتول حاره وقاره، وغثه وسمينه، ومحبوبه ومكروهه فمن؟

قال يا أيها الأمير: لا تسمني الخيانة، فإني قد أعطيته عهداً يذر الديار بلاقع، ومع اليوم غدن ولعن الله عاجلة تفسد الأجلة. فقال: إني لست أسومك أن تقبض عليه وأن تسيء إليه، أشر بهذا المعنى إلى الملك عند الدولة وخلاك ذم، فإن رأى الصواب فيه تولاه دونك، وإن ضرب عنه أعاضنا رأياً غير ما رأينا، وأنت على حالك لا تنزل عنهاولا تبدلها، وإنما الذي يجب عليك في هذا الوقت بين يدي كتب حرفين: إنه لا وجه لهذا المال إلا من جهة فلانٍ، ولست أتولى مخاطبته عليه، ولا مطالبته به وفاءً له بالعهد، وثباتاً على اليمين، وجرياً على الواجب، ولا أقل من أن تجيب إلى هذا القدر، وليس فيه شيء مما يدل على النكث والخلاف والتبديل. وما زال هذا وشبهه يتردد بينهما حتى أخذ خطه بهذا على أن يصدره إلى أخيه عضد الدولة بفارس. فلما حصل هذا الخط عنده وجن عليه الليل أحضر ابن كلمة وقال له: أما عندك حديث هذا المخنث فيما أشار به على الملك في شأنك؟ وأورد عليه في حقك وأمرك، وأطماعه في مالك ونفسك، وتكثيره عنده ما تحت يدك وناحيتك. فقال ابن كلمة: هذا الفتي يرتفع عن هذا الحديث، ولعل عدواً قد كاده به، وبيني وبينه ما لا منفذ للسحر فيه، ولا مساغ لظنٍ سيءٍ به. قال: ما قلت لك إلا بعد أن حققت ما قلت، ودع هذا كله في الريح، هذا كتابه إلى الملك بما عرفتك، وخطه بيده فيه. قال علي بن كلمة: أنا أعرف الخط ولكن هاتوا كاتبي، فأحضر كاتبه الختعمي فشهد أن الخط خطه، فحال على بن كلمة عن سجيته، وخرج من مسكنه وقال: ما ظننت بعد الأيمان المغلظة التي بيننا إنه يستجيز مثل هذا. قال الأمير: أيها الرجل، إنما أطلعك الملك على سر هذا الغلام فيك، لتعرف فساد ضميره لك، وما هو عليه من هناتٍ أخر، وآفاتٍ هي أكبر، فإنه هو الذي حرك من بخراسان، وكاتب صاحب جرجان، وألقى إلى أخينا بهمذان – يعني فخر الدولة – أخبارنا، وهو عين لبختيار هاهنا، وقد اعتقد أنه يعمل في تحصيل هذه البلاد، ويكون وزيراً بالعراق، فقد ذاق من بغداد ما لا يخرج من ضرسه إلا بنزع نفسه، وكان أبو نصرٍ الجوسي قد قدم من عند الملك عضد الدولة وهويفتل الحبل ويبرم، ويهاب مرةً ويقدم، وكان الحديث قد بيت بليلٍ واهتم به قبل وقته بزمانٍ. فقال علي بن كلمة: فما الرأي الآن؟ قال: لا أرى أمثل من طاعة الملك في القبض عليه وقد كنا على ذلك قادرين، ولكن كرهنا أن يظن بنا أنا هجمنا على ناصحنا، ومربب نعمتنا وناشئ دولتنا، فمهدنا عندك العذر، وأوضحنا لك الأمر. قال: فأنا أكفيكموه، ثم قبض عليه وكان منه ما كان، واستدعى ابن عبادٍ من أصفهان وولى الوزارة ودبرها برأيٍ وثيقٍ وجدٍ رتيقٍ وذكر أبوعليٍ مسكويه في بعض كتبه قال:

كان حسنويه بن الحسين الكردي قد قوي واستفحل لما وقع منه من الشغل بالفتوح الكبار، لأنه كان إذا وقع حرب بين الخراسانية وبين ركن الدولة أظهر عصبية الديلم وصار في جملتهم، وخدم خدمةً يستحق بها الإحسان، إلا أنه كان –مع ما أقطع وأغضى عنه من الأعمال التي تبسط فيها والإضافات التي يستولي عليها، –ربما تعرض لأطراف الجبل وطالب أصحاب الضياع وأرباب النعم بالخفارة والرسوم التي يبدعها،

فيضطر الناس إلى إجابته ولا يناقشه السلطان، فكان يزيد أمره على الأيام ويتشاغل الولاة عنه، إلى أن وقع بينه وبين سهلان ابن مسافرٍ خلاف ومشاحة تلاجا فيها، إلى أن قصده ابن مسافرٍ فهزمه حسنويه، وكان يظن ابن مسافرٍ أنه لا يكاشفه، ولا يبلغ الحرب بينهما إلى ما بلغت إليه، فلم تقف الحرب بينهما حيث ظن، وانتهى الأمر بينهما إلى إن اجتمع الديلم وأصحاب السلطان بعد الهزيمة إلى موضعٍ شبيهٍ بالحصار، ونزل الأكراد حواليهم ومنعوهم من الميرة وتفرقوا إزائهم، ثم زاد الأمر وبلغ إلى أن أمر حسنويه الأكراد أن يحمل كل فارسٍ منهم على رأس رمحه ما أطاق من الشوك والعرفج، ويقرب من معسكر سهلان ما استطاع ويطرحه هناك، ففعلوا ذلك وهم لا يدرون ما يريدون بذلك، فلما اجتمع حول عسكر سهلان شيء كثير في أيام كثيرةٍ تقدم بطرح النار فيه من عدة مواضع فالتهب وكان الوقت صيفاً، وحميت الشمس عليهم مع حر النار فأخذ بكظمهم وأشرفوا على التلف، فصاحوا وطلبوا الأمان فرفق بهم وأمسك عماهم به، وبلغ ذلك ركن الدولة فلم يحتمل ذلك كله، وتقدم إلى وزيره أبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد، وهو الأستاذ الرئيس بقصده واستئصال شأفته، وأمره بالاستقصاء والمبالغة، فانتخب الأستاذ الرئيس الرجال وخرج في عدةٍ وزينةٍ، وخرج ركن الدولة مشيعاً له وخلع على القواد، ووقف حتى اجتاز به العسكر وعاد إلى الري، وسار الوزير ومعه ابنه أبوالفتح، وكان شاباً قد خلف أباه بحضرة ركن الدولة، وعرف تدبير المملكة وسياسة الجند، فهو بذكائه وحدة ذهنه وسرعة حركته، قد نفق نفاقاً شديداً على ركن الدولة، وهو مع ذلك لقلة حنكته ونزق شبابه وقهوره في الأمور يقدم على ما لا يقدم عليه أبوه، ويحب أن يسير في خواص الديلم وهو يمشون بين يديه ويختلط بهم اختلاط يستميل قلوبهم، ويخلع عليهم خلعاً كثيرة، ويحمل رؤساءهم وقوادهم على الخيول الفره بالمراكب الثقال، ويريد بجميع ذلك أن يسلموا له الرياسة حتى لا يأنف أحد منهم من تقبيل الأرض بين يديه، والمشي قدامه إذا ركب، وكان جميع ذلك ما لا يؤثره الأستاذ الرئيس ولا يرضاه لسيرته، وكان يعظه وينهاه عن هذه السيرة ويعلمه أن ذلك لو كان مما يرخص فيه، لكان هو بنفسه قد سبق إليه.

قال مسكويه: ولقد سمعته في كثير من خلواته يشرح له صورة الديلم في الحسد والجشع، وأنه ما ملكهم أحد قط إلا بترك الزينة، وبذل ما لا يبطرهم ولا يخرجهم إلى التحاسد، ولا يتكبر عليهم ولا يكون إلا في مرتبة أوسطهم حالاً، وإن من دعاهم واحتشدهم وحمل على حالةٍ فوق طاعته، لم يمنعهم ذلك من حسده على نعمه والسعي في إزالتها، وترقب أوقات الغرة في آمن ما يكون الإنسان على نفسه منهم فيفتكون به ذلك الوقت، وكان يورد عليه مثل هذا الكلام حتى ظن إنه قد ملأ قلبه رعباً، وإنه سيكف عن السيرة التي شرع فيها، فماهو إلا أن يفارق مجلسه ذلك حتى يعاود سيرته تلك، فأشفق الأستاذ في سفرته هذه إن يتركه بحضرة صاحبه، فيلج في هذه الأخلاق ويغتر بما يراه من احتمال ركن الدولة حتى ينتهي إلى ما لا يتلافاه، فسيره معه واستخلف بحضرة ركن الدولة أبا عليٍ محمد بن أحمد المعروف بابن البيع، وكان فاضلاً أديباً ركيناً، حسن الصورة مقبول الجملة، حسن المخبر خلقا وأدباً.

فلما كان الرئيس في بعض الطريق – وكان يركب العماريات ولا يستقل على ظهور الدواب لإفراط علة النقرس وغيره عليه – التفت فلم ير في موكبه أحداً، وسأل عن الخبر فلم يجد حاجباً يخبره ولا من جرت العادة بمسايرته غيري، فسألني عن الخبر فقلت له: إن الجماعة بأسرها مالت مع أبي الفتح إلى الصيد، فأمسك حتى نزل في معسكره، ثم سأل عمن جرت العادة باستدعائه للطعام، وكان يحضره في كل يومٍ عشرة من القواد على مائدته التي تخصه، وعدة من القواد على أطباقٍ توضع لهم، وذلك على نوبةٍ معروفةٍ يسعى فيها نقباؤهم، فلما كان في ذلك اليوم لم يحضر أحد واستقصى في السؤال فقيل: إن أبا الفتح أضافهم في الصحراء فاستشاط من ذلك وساءه أن يجري مثل هذا ولا يستأذن فيه، وقد كان أنكر خلو موكبه وهو في وجه حربٍ ولم يأمن إن يستمرهذا التشتت من العسكر فتتم عليه حيلة، فدعا أكبر حجابه ووصاه أن يحجب عنه ابنه أبا الفتح، وأن يوصي النقباء بمنع الديلم من مسايرته ومخالطته، وظن أن هذا المبلغ من الإنكار سيغض منه وينهي العسكر عن اتباعه على هواه، فلم يؤثر كلامه هذا كبير أثرٍ وعاد الفتى إلى عادته، واتبعه العسكر ومالوا معه إلى اللعب والصيد والأكل والشرب، وكان لا يخليهم من الخلع والإلطاف، فشق ذلك على الأستاذ الرئيس جداً ولم يحب أن يخرق هيبة نفسه بإظهار ما في قلبه، ولا المبالغة في الإنكار وهو من مثل هذا الوجه، فيفسد عسكره ويطمع فيه عدوه. فدارى أمره وتجرع غيظه، وأداه ذلك إلى زيادةٍ في مرضه حتى هلك بهمذان وهو يقول في خلواته: ما يهلك آل العميد ولا يمحو آثارهم من الأرض إلا هذا الصبي – يعني ابنه – وهو يقول في مرضه: ما قتلني إلا جرع، الغيظ التي تجرعتها منه، فلما حصل بهمذان اشتدت علته وتوفي بها – رحمه الله – في ليلة الخميس السادس من صفرٍ سنة ستين وثلاثمائةٍ.

وانتصب ابنه ابو الفتح مكان أبيه، وكان العسكر كما ذكرت مائلاً إليه، فزاد في بسطهم وتأنيسهم ووعدهم ومناهم، وبذل لهم طعامه ومنادمته، وأكثر من الخلع عليهم، وراسل حسنويه وأرغبه وأرهبه وحضه على الطاعة، وأومأ إلى مصالحته على مالٍ يحمله يقوم بما انفق على العسكر، ويتوفر بعد ذلك بقية على خزانة السلطان، ويضمن إصلاح حاله – إذا فعل ذلك – مع ركن الدولة، وكان ذلك يشق على سهلان بن مسافرٍ لما في نفسه من حسنويه، لأنه كان يحب الانتقام منه والتشفي به، وكان أبو الفتح يرى مفارقة حسنويه والعود إلى صاحبه بما به لم يثلم عسكره ولا خاطر بهم، وأن يلحق بمكانه من الوزارة قبل أن يطمع فيه أولى وأشبه بالصواب.

وقد كان أبو عليٍ محمد بن أحمد بن البيع خليفة أبيه قد تمكن من ركن الدولة وقبل ذلك ما عرفه بالكفاية والسداد وأرجف له بالوزارة، فسفر المتوسطون بينه وبين حسنويه إلى أن تقرر أمره على خمسين ألف دينارٍ، وجبا كورة الجبل وجمع من الدواب والبغال وسائر التحف ما بلغ مقداره مائة ألف دينارٍ، ووردت عليه كتب ركن الدولة بما قوى قلبه وشد متنه، وأحمد جميع ما دبره وأمره بالعود إلى الحضرة بالري.

قال: وفي سنة إحدى وستين تمكن أبو الفتح ابن العميد من الوزارة بعد أبيه، وفوض إليه ركن لدولة تدبير ممالكه، ومكنه من أعنة الخيل، فصار وزيراً وصاحب جيشٍ على رسم والده، إلا أن والده باشر هذه الأمور في كمال من أدواته وتمام من آلاته، فدبرها بالحزم والحنكة. وأما أبو الفتح فكان فيه – مع رجاحته وفضله في أدب الكتابة وتيقظه وفراسته – نزق الحداثة، وسكر الشباب، وجرأة القدرة، فأجرى أمره على ما تقدم

من إظهار الزينة الكثيرة، واستخدام الديلم والأتراك والاحتشاد في المواكب والدعوات، حتى خرج به عن حد القصد إلى الإسراف، فجلب ذلك عليه ضروب الحسد من ضروب السلاطين وأصحاب السيوف والأقلام.

وكان صاحبه ركن الدولة قد شاخ وسئم ملابسة أمور الجند، وأحب الراحة والدعة فقوض إليه الأمور، ورآه شاباً قد استقبل الدنيا استقبالاً، فهو يحب التعب الذي قاساه ركن الدولة ثم مله، ويستلذ فيه الانتصاب للأمر والنهي ومخالطة الجند والركوب إلى الصيد ومشى خواص الديلم وكبار الجند بين يديه، ثم مشاربتهم ومؤانستهم والأحسان إليهم بالخلع والحملان. فأول من أنكر هذا الفعل عليه عضد الدولة ومؤيد الدولة ابنا ركن الدولة وكتابهما ثم سائر مشايخ الدولة، ورأوه يركب في موكبٍ عظيمٍ ويغشى الدار، فإذا خرج تبعه الجميع وخلت دار الأمارة حتى لا يوجد فيها إلا المستخدمون من الأتباع والحاشية، ثم ترقى أمره إلا المستخدمون من الأتباع والحاشية، ثم ترقى أمره في قيادة الجيش والتحقوا به إلى ندب إلى الخروج إلى العراق في جيشٍ كثيفٍ من الري والأجتماع مع عضد الدولة لنصرة بختيار بن معز الدولة في الخلاف الذي وقع بينه وبين الأتراك المستعصين عليه، فأقام هناك وواطأ بختيار في أمورٍ خالف فيها عضد الدولة، وذاك أن عضد الدولة لما عاد من بغداد إلى فارس شرط على ابن العميد ألا يقيم ببغداد بعده إلا ثلاثة أيامٍ ثم يلحق بوالده بالري، فلما خرج عضد الدولة طابت لابن العميد بغداد، فاتبع هوى صباه وأحب الخلاعة والدخول مع بختيار في أفانين لهوه ولعبه، ووجد خلواً من أشغاله. وراحةً من تدبير أمر صاحبه ركن الدولة مدةً. وحصلت له زبازب ودور على الشط وستارات غناءٍ ومغنيات، وتمكن من اللذات وعرف بختيار له ما صنع من الجميل في شانه، لأنه كان قد جرد من الفعل والقول في رد عضد الدولة عن بغداد بعد أن نشبت فيها مخالبه وتملكها، وقبض على بختيار واستظهر عليه، فخلصه وأعاد ملكه عليه، وصرف عضد الدولة عن بغداد، فكان يراه بختيار بصورة من خلصه من مخالب الأسد بعد أن افترسه، وأن سعيه بين ركن الدولة وعضد الدولة هو الذي رد عليه ملكه، فبسطه وعرض عليه وزارته وتمكينه من ممالكه على رسمه، وألا يعارضه في شيءٍ يدبره ويراه، فلم يجبه إلى ذلك وقال: لي والدة وأهل وولد ونعمه قد رتبت منذ خمسين سنة، وهي كلها في يد ركن الدولة ولا أستطيع مفارقته. ولا يحسن بي أن يتحدث عني بمخالفته، ولا يتم أيضاً لك مع ما عاملك به من الجميل، ولكني أعاهدك إن قضى الله عز وجل على ركن الدولة ما هو قاضٍ على جميع خلقه، أن أصير إليك مع قطعةٍ عظيمةٍ من عسكره فإنهم لا يخالفونني، وركن الدولة مع ذلك هامة اليوم أو غدٍ، وليس بتأخر أمره، واستقر بينهما ذلك سراً لم يطلع عليه إلا محمد بن عمر العلوي، فإنه توسط بينهما وأخذ عهد كل واحدٍ منهما على صاحبه، ولم يظهر ذلك لأحدٍ حتى حدثني به محمد بن عمر بعد هلاك أبي الفتح، ولكن الغلط العظيم كان من أبي الفتح كونه أقام ببغداد مدةً طويلةً، وحصل أملاكاً اقتناها هناك واقطاعاتٍ اكتتبها وأصولاً أصلها على العود إليها، ثم التمس لقباً من السلطان وخلعاً وأحوالاً لا تشبه ما فارقه عضد الدولة عليها، ثم استخلص ببغداد بعض اولاد التناء بشيراز يعرف بأبي الحسن بن أبي شجاعٍ الأرجاني من غير اختبارٍ له ولا خلطةٍ قديمةٍ تكشف له أمره، فلما خرج كانت

تلك الأسرار التي بينه وبين بختيار – والتراجم بينهما تدور – كلها على يده ويتوسطها، ويهدي إلى عضد الدولة جميعها ويتقرب إليه بها، فلما عرف عضد الدولة حقيقة الأمر ومخالفة أبي الفتح بن العميد له، ودخوله مع بختيار فيما دخل فيه مع اللقب السلطاني الذي حصله وهو ذو الكفايتين، ولبسه الخلع وركوبه ببغداد مع ابن بقية من هذه الخلع، عرف مكاشفته إياه بالعداوة، وكتم ذلك في نفسه إلى أن تمكن منه فأهلكه كما ذكرنا.

قال أبو سعد السمعاني: أنشدنا الحسن بن محمدٍ الأصبهاني بها، أنشدنا أبو زيدٍ صعلوك بن إميلوية بن أبي طاهرٍ الجبلي: قدم علينا قال: أنشدت لعضد الدولة في ابن العميد ومودته:

ودادك لازم مكنون سرى ... وحبك جنتي والعشق زادي

فإن واصلتني أزداد حباً ... وإن صارمتني يزدد سهادي

وخالك في عذارك في الليالي ... سواد في سوادٍ في سواد

فأجابه ابن العميد:

دعاني في انبلاج الليل صبح ... فنادى قم فحي على الفلاح

فقلت له: ترفق يا منادى ... أليس الصبح مسود النواحي؟

فثغري والمدام وحسن وجهي ... صباح في صباحٍ في صباح

علي بن محمد الشمشاطي

العدوي أبو الحسن وشمشاط من بلاد إرمينية من الثغور. وكان معلم أبي تغلب بن ناصر الدولة بن حمدان وأخيه ثم نادمهما، وهو شاعر مجيد ومصنف مفيد، كثير الحفظ، واسع الرواية، وفيه تزيد.

قال محمد بن اسحاق النديم: إنني كنت أعرفه قديماً، وبلغني أنه قد ترك كثيراً من أخلاقه عند علو سنه.

قال: وهو يحيا في عصرما في سنة سبعٍ وسبعين وثلاثمائةٍ.

قال المؤلف: وهو الذي روى الخبر الذي جرى بين الزجاج وثعلبٍ في حق سيبويه واستدراكه على ثعلبٍ في الفصيح عدة مواضع، وقد ذكر ذلك في ترجمة الزجاج رحمه الله تعالى، وكان رافضياً دجالاً يأتي في كتبه بالأعاجيب من أحاديثهم. ولأبي القاسم الرقي المنجم فيه يهجوه:

حف خديك دل يا شمشاطي ... أنه دائماً لغير لواط

وإنبساط الغلام يعلمني إن ... ك تحت الغلام فوق البساط

وشروطٍ صبرت كرهاً عليها ... لالها بل للذة المشراط

قال محمد بن اسحاق: له كتاب النزه والابتهاج وهو مجموع يتضمن غرائب الأخبار ومحاسن الأشعار كالأمالي، كتاب الأنوار محبوب يجري مجرى الملح والتشبيهات والأوصاف عمله قديماً ثم زاد فيه بعد ذلك، كتاب الديارات كبير، كتاب المثلث الصحيح، كتاب أخبار أبي تمام والمختار من شعره، كتاب القلم جيد، كتاب تفضيل أبي نواسٍ على أبي تمامٍ.

وحدث الشمشاطي في كتابه كتاب النزه والابتهاج قال: كنا ليلةً عند أبي تغلب بن حمدان وعنده جماعة بعضهم يلعب النرد فطال الجلوس حتى مضى من الليل هزيع والسماء تمطل، فقال أبو البركات لفتح بن نظيفٍ: يا فتح، كم قد مضي من الليل؟ فقلت له: هذا نصف بيت شعرٍ. فقال: لبعض من في حضرته: أتمه، فقال: هذه قافية صعبة لا تطرد إلا أن نجعل بدل الياء واوً فعملت في الوقت، واستغلقت القافية حتى لا يزاد عليها بيت واحد إلا أن تكرر القافية بلفظٍ مؤتلفٍ ومعنىً مختلفٍ، مثل الغيل: اللبن يرضع من المرأة وهي حامل، قد أتينا بهذه اللفظة ومثلها لفظاً ولم نأت به معنىً، وكالغيل: الساعد الريان. والغيل: ما جرى على وجه الأرض. والغيل: الشحم الملتف ومثل القيل نصف النهار وقد أتينا به. والقيل: الملك ونحو ذلك فقلت:

يا فتح كم قد مضى من الليل؟ ... قل وتجنب مقال ذي الميل
فعارض النوم مسبل خمراً ... وعارض المزن مسبل الذيل
والليل في البدر كالنهار إذا ... أضحى وهذا السحاب كالليل
يسكب دمعاً على الثرى فتر ال ... ماء بكل الدروب كالسيل
والنرد تلهى عن المنام إذا ال ... فصوص جالت كجولة الخيل
إذا لذيذ الكرى تدافع عن ... وقت رقادٍ أضر بالحيل
إن أمير الهيجاء في مأزق ال ... حرب الهمام الجواد والقيل
من حزبه السعد طالع لهم ... وحربه موقنون بالويل
نجيب أمٍ لم تغذه سيء ال ... قسم ولا أرضعته من غيل
يحمل أعباء كل معضلة ... تجل إن تستقل بالشيل
أمواله والطعام قد بذلا ... لآمليه بالوزن والكيل
جاوز عمراً بأساً وقصر عن ... جود يديه السيحان والسيل
لا زال في نعمةٍ مجددةٍ ... يشرب صفو الغبوق والقيل

وحدث الشمشاطي في كتابه هذا أيضاً قال: أخذت من بين يدي أبي عدنان محمد بن نصر بن حمدان رمانة فكسرتها ودفعت منها إلى من حضر من الشعراء والأدباء وقلت:

يا حسن رمانةٍ تقاسمها ... كل أديبٍ بالظرف منعوت
كأنها قبل كسرها كرة ... وبعد كسرٍ حبات ياقوت

علي بن محمد بن الخلال

أبو الحسن، الأديب الناسخ صاحب الخط المليح والضبط الصحيح، معروف بذلك مشهور. مات في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائةٍ.

علي بن محمدبن عميرٍالنحوي الكناني

يكنى أبا الحسن. كان أحد الفضلاء من أصحاب أبي بكرٍ محمد بن الحسن بن مقسمٍ، روى عنه أمالي ثعلبٍ في سنة ست عشرة وأربعمائةٍ، فسمعه منه الحسن بن أحمد بن البلاج وأبوالفتح بن المقدر.

علي بن محمدابن دينار

بن عبد الرحيم، ابن دينار الكاتب أبو الحسين، بصري الأصل واسطي المولد والمنشأ، قال الحافظ أبو طاهر السلفي: وسألته يعني أبا الكرم خميس بن عليٍ الحوزي عن ابن دينارٍ فقال: سمع أبا بكر ابن مقسمٍ، ولقى المتنبي فسمع منه ديوانه ومدحه بقصيدةٍ هي عندنا موجودة في ديوانه أولها:

رب القريض اليك الحل والرحل ... ضاقت على العلم إلا نحوك السبل

تضاءل الشعراء اليوم عند فتىً ... صعاب كل قريضٍ عنده ذلل

وكان شاعراً مجيداً، شارك المتنبي في أكثر ممدوحيه كسيف الدولة بن حمدان وابن العميد وغيرهما، وكان حسن الخط يقال: إنه على طريقة ابن مقلة. مات سنة تسعٍ وأربعمائةٍ. حمل الناس عنه الأدب فأكثروا بواسط وغيرها، وكان سهل الخلائق جميل الطريقة، سأله الناس بواسط بعد موت أبي محمدٍ عبد الله العلوي أن يجلس لهم صدراً فيقرئهم فامتنع وقال: أنا أتعمم مدورةً وكمي ضيق وليست هذه حلية أهل القرآن، أظنني سمعت ذلك من أبي الحسن المغازلي الشاهد، هذا آخر ما قاله خميس. قلت: وقد سمع أبو غالب محمد بن بشران من ابن دينارٍ كثيراً، فروى عنه كتب الزجاج عن أبي الحسن بن علي بن الجصاص عن الزجاج، وروى عنه مصنفات ثعلبٍ عن أبي بكرٍ محمد بن الحسن بن مقسم عنه.

وروى له كتب ابن الأعرابي عن ابن مقسمٍ عن ثعلبٍ عنه، وروى له كتب ابن السكيت جميعها كالإصلاح والألفاظ والنبات وغير ذلك عن ابن مقسمٍ عن المعيدي عن ابن السكيت، وروى له كتب ابن قتيبة: كتاب غريب الحديث، وكتاب أدب الكاتب، وكتاب الأشربة وعيون الأخبار وعدد كتبٍ كلها عن أبي القاسم الآمدي عن أبي جعفر بن محمد بن قتيبة عن أبيه، وروى له كتب الآمدي جميعها عنه. وروى له كتاب أبي الفرج على بن الحسين الأصفهاني الأغاني الكبير وغيره عنه. وروى له كتاب الجمهرة لابن دريدٍ عن أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي جخجخٍ عن ابن دريدٍ وغير ذلك مما يطول شرحه، وأخذ ابن دينارٍ عن أبي سعيدٍ السيرافي وأبي عليٍ الفارسي، ومولد ابن دينارٍ سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاثمائةٍ، وذكر أبو عبد الله الحميدي في ثبته قال: حدثني أبوغالب ابن بشران النحوي قال: حدثني أبو الحسين علي بن محمد ابن عبد الرحيم بن دينارٍ الكاتب قال: قرأت على أبي الفرج علي بن الحسين الأصفهاني جميع كتاب الأغاني.

علي بن محمد النهاوندي النحوي

روى عن جنادة أبي أسامة وعن أبي يوسف أحمد ابن الحسين عن المبرد

علي بن محمدٍ أبو الحسن الهروي

والد أبي سهلٍ محمد بن عليٍ الهروي الذي يكتب الصحاح وقد ذكر في بابه، وكان أبوالحسن هذا عالماً

بالنحو اماماً في الأدب، جيد القياس صحيح القريحة حسن العناية بالآداب، وكان مقيماً بالديار المصرية. وله تصانيف منها: كتاب الذخائر في النحو نحو أربع مجلداتٍ رأيته بمصر بخطه، وكتاب الأزهية شرح فيه العوامل والحروف، وهما كتابان جليلان أبان فيهماعن فضله.

علي بن محمد بن أبي الحسن الأندلسي

أبو الحسن الكاتب، مشهور بالأدب والشعر، وله كتاب في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس. كان في أيام الدولة العامرية، وعاش إلى أيام الفتنة ذكره الحميدي.

الجزء الخامس عشر

علي بن محمد بن العباس أبو حيان

التوحيدي، شيرازي الأصل وقيل نيسابوري، ووجدت بعض الفضلاء يقول له الواسطي، صوفي السمت والهيئة، وكان يتأله والناس على ثقة من دينه، قدم بغداد فأقام بها مدة ومضى إلى الري، وصحب الصاحب أبا القاسم إسماعيل بن عباد وقبله أبا الفضل بن العميد فلم يحمدهما وعمل في مثالبهما كتاباً، وكان متفنناً في جميع العلوم من النحو واللغة والشعر والأدب والفقه والكلام على رأي المعتزلة، وكان جاحظياً يسلك في تصانيفه مسلكه ويشتهي أن ينتظم في سلكه، فهو شيخ في الصوفية وفيلسوف الأدباء وأديب الفلاسفة، ومحقق الكلام ومتكلم المحققين، وإمام البلغاء، وعمدة لبني ساسان، سخيف اللسان، قليل الرضا عند الإساءة إليه والإحسان، الذم شانه، والثلب دكانه، وهو مع ذلك فرد الدنيا الذي لا نظير له ذكاء وفطنة، وفصاحة ومكنة، كثير التحصيل للعلوم في كل فن حفظه، واسع الدراية والرواية، وكان مع ذلك محدوداً محارفاً يشتكي صرف زمانه، ويبكي في تصانيفه على حرمانه.

ولم أر أحداً من أهل العلم ذكره في كتاب، ولا دمجه في ضمن خطاب، وهذا من العجب العجاب، غير أن أبا حيان ذكر نفسه في كتاب الصديق والصداقة وهو كتاب حسن نفيس بما قال فيه: كان سبب إنشاء هذا الكتاب الرسالة في الصديق والصداقة: أنّي ذكرت منها شيئاً لزيد بن رفاعة أبي الجبر، فنماه إلى ابن سعدان أبي عبد الله سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة قبل تحمله أعباء الدولة وتدبيره أمر الوزارة فقال لي ابن سعدان: قال لي عنك زيد كذا وكذا، قلت: قد كان ذاك. فقال لي: دون هذا الكلام وصله بصلاته مما يصح عندك لمن تقدم، فإن حديث الصديق حلو، ووصف الصاحب المساعد مطرب، فجمعت ما في هذه الرسالة وشغل عن رد القول فيها، وبطؤت أنا عن تحريرها إلى أن كان من أمره ما كان، فلما كان هذا الوقت وهو رجب سنة أربعمائة، عثرت على المسودة وبيضتها، – وهذا دليل على بقائه إلى ما بعد الأربعمائة – .

وفي كتاب الهفوات لابن الصابئ: وحكى أبو حيان قال: حضرت مائدة الصاحب بن عباد فقدمت مضيرة فأمعنت فيها فقال لي: يا أبا حيان، إنها تضر بالمشايخ. فقلت: إن رأى الصاحب أن يدع التطبب على طعامه فعل، فكأني ألقمته حجراً وخجل واستحيا ولم ينطق إلى أن فرغنا، ولأبي حيان تصانيف كثيرة منها: كتاب

رسالة الصديق والصداقة، كتاب الرد على ابن جني في شعر المتنبي، كتاب الامتناع والمؤانسة جزءان، كتاب الإشارات الإلهية جزءان، كتاب الزلفة جزء، كتاب المقابسة، كتاب رياض العارفين، كتاب تقريظ الجاحظ، كتاب ذم الوزيرين، كتاب الحج العقلي إذا ضاق الفضاء عن الحج الشرعي، كتاب الرسالة في صلات الفقهاء في المناظرة، كتاب الرسالة البغدادية، كتاب الرسالة الصوفية أيضاً، كتاب الرسالة في الحنين إلى الأوطان، كتاب البصائر وهو عشر مجلدات كل مجلد له فاتحة وخاتمة، كتاب المحاضرات والمناظرات.

قال أبو حيان في كتاب المحاضرات: كنت بحضرة أبي سعيد السيرافي فوجدت بخطه على ظهر كتاب اللمع في شواذ التفسير –وكان بين يديه فأخذته ونظرت – قال: ذم أعرابي رجلاً فقال: ليس له أول يحمل عليه، ولا آخر يرجع إليه، ولا عقل يزكو به عاقل لديه، وأنشد:

حسبتك إنساناً على غير خبرة ... فكشفت عن كلب أكب على عظم

لحى الله رأياً قاد نحوك همتي ... فأعقبني طول المقام على الذم

فقال لي: يا أبا حيان، ما الذي كنت تكتب؟ قلت: الحكاية التي على ظهر هذا الكتاب، فأخذها وتأملها وقال: تأبى إلا الاشتغال بالقدح والذم وثلب الناس. فقلت: أدام الله الإمتاع، شغل كل ناس بما هو مبتلى به مدفوع إليه.

قال أبو حيان: وقصدت مع أبي زيد المروزي دار أبي الفتح ذي الكفايتين فمنعنا من الدخول عليه أشد منع، وذكر حاجبه أنه يأكل الخبز فرجعنا بعد أن قال أبو زيد للحاجب: أجلسنا في الدهليز إلى أن يفرغ من الأكل فلم يفعل، فلما انصرفنا خزايا أنشأ يقول متمثلاً:

على خبز إسماعيل واقية البخل ... فقد حل في دار الأمان من الأكل

وما خبزه إلا كآوى يرى ابنه ... ولم ير آوى في الحزون ولا السهل

وما خبزه إلا كعنقاء مغرب ... تصور في بسط الملوك وفي المثل

يحدث عنها الناس من غير رؤية ... سوى صورة ما إن تمر ولا تحلى

قال أبو حيان: وأنشدنا أبو بكر القومسي الفيلسوف وكان بحراً عجاجاً، وسراجاً وهاجاً، وكان من الضر والفاقة، ومقاساة الشدة الإضاقة بمنزلة عظيمة، عظيم القدر عند ذوي الأخطار، منحوس الحظ منهم، متهماً في دينه عند العوام مقصوداً من جهتهم. فقال لي يوماً: ما ظننت أن الدنيا ونكدها تبلغ من إنسان نا بلغ مني، إن قصدت دجلة لأغتسل منها نضب ماؤها، وإن خرجت إلى القفار لأتيمم بالصعيد عاد صلداً أملس، وكأن العطوى ما أراد بقصيدته غيري، وما عنى بها سواي، ثم أنشدنا للعطوى:

من رماه الإله بالإقتار ... وطلاب الغنى من الأسفار

هو في حيرة وضنك وإفلا ... س وبؤس ومحنة وصغار

يا أبا القاسم الذي أوضح الجو ... د إليه مقاصد الأحرار

خذ حديثي فإن وجهي مذ با ... رز هذا الأنام في ثوب قار

وهو للسامعين أطيب من نف ... ح نسيم الرياض غب القطار

هجم البرد مسرعاً ويدي صف ... ر وجسمي عار بغير دثار
فتسترت منه طول التشاري ... ن إلى أن تهتكت أستاري
ونسجت الأطمار بالخيط والإب ... رة حتى عريت من أطماري
وسعى القمل من دروز قميصي ... من صغار ما بينهم وكبار
يتساعون في ثيابي إلى رأ ... سي قطاراً تجول بعد قطار
ثم وافى كانون واسود وجهي ... وأتاني ما كان منه حذاري
لو تأملت صورتي ورجوعي ... حين أمسي إلى ربوع قفار
أنا وحدي فيه وهل فيه فضل ... لحلوس الأنيس والروار؟
والخلا لا يراد فيه فمالي ... أبداً حاجة إلى الحفار
بل يراد الخلا لمنحدر النج ... و وما ذقت لقمة في الدار
وإذا لم تدر على المطعم الأف ... وه سدت متاعب الأحجار

وقلت له يوماً: لو قصدت ابن العميد وابن عباد عسى تكون من جملة من ينفق عليهما وتحظى لديهما، فأجابني بكلام منه: معاناة الضر والبؤس أولى من مقاساة الجهال والتيوس، والصبر على الوخم الوبيل أولى من النظر إلى محيا كل ثقيل، ثم أنشأ يقول:

بيني وبين لئام الناس معتبة ... ما تنقضي وكرام الناس إخواني
إذا لقيت لئيم القوم عنفني ... وإن لقيت كريم القوم حياني

وقلت له: هل تعرف في معنى قصيدة العطوى أخرى؟ قال نعم، قصيدة الحراني صاحب المأمون. فقلت: لو تفضلت بإنشادها، فقال: خذ في حديث من أقبلت عليه دنياه وتمكن فيها من مناه، ودع حديث الحرف والعسر والشؤم والخسر تطيراً إن لم ترفضه تأدباً. فقلت له: ما أعرف لك شريكاً فيما أنت عليه وتتقلب فيه وتقاسيه سواي، ولقد استولى على الحرف وتمكن مني نكد الزمان إلى الحد الذي لا أسترزق مع صحة نقلي وتقييد خطي وترويق نسخي وسلامته من التصحيف والتحريف بمثل ما يسترزق البليد الذي ينسخ النسخ، ويمسخ الأصل والفرع، وقصدت ابن عباد بأمل فسيح وصدر رحيب، فقدم إلى رسائله في ثلاثين مجلدة على أن أنسخها له، فقلت: نسخ مثله يأتي على العمر والبصر، – والوراقة كانت موجودة ببغداد – فأخذ على نفسه على من ذلك، وما فرت بطائل من جهته. فقال: بلغني ذلك فقلت له: ولو كان شيئاً يرتفع من اليد بمدة قريبة لكنت لا أتعطل وأتوفر عليه، ولو قرر معي أجرة مثله لكنت أصبر عليه، فليس لمن وقع في شر الشباك وعين الهلاك إلا الصبر.

قال أبو حيان: ودخلت على الدلجي بشيراز وكنت قد تأخرت عنه أياماً، وهذا الكتاب يعني كتاب المحاضرات جمعه له بعد ذلك، ولأجله أتعبت نفسي، فقال لي: يا أبا حيان، من أين؟ فقلت:

إذا شئت أن تقلى فزر متواتراً ... وإن شئت أن تزداد حباً فزر غباً

وهذا لملاك ظهر لي منه، وقليل إعراض عني في يوم. فقال لي: ما هذا البيت إلا بيت جيد يعرفه الخاص

والعام، وهو موافق لما يذكر من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (زر غباً تزدد حباً). فلو كان لهذا البيت أخوات كان أحسن من أن يكون فرداً. قلت فله أخوات.

قال: فأنشدني. قلت لا أحفظها، قال: فأخرجها، قلت: لا أهتدي إليها. قال: فمن أين عرفتها؟ قلت:مرت بي في جملة تعليقات. قال: فاطلبها لأقدم رسمك. قلت: فقدمه الآن على شريطة أنه إذا جاء الوقت المعتاد إطلاقه فيه كل سنة أطلقت أيضاً. قال: أفعل. قلت: فخذها الآن.

سمعت العروضي أبا محمد يقول: دخل بعض الشعراء على عيسى بن موسى الرافقي وبين يديه جارية يقال لها خلوب فقال لها اقترحي عليه، فقالت:

إذا شئت أن تقلى فزر متوتراً ... وإن شئت أن تزداد حباً فزر غباً

أجزه بأبيات تليق به فأنشد:

بقيت بلا قلب فإني هائم ... فهل من معير يا خلوب لكم قلباً؟

حلفت برب البيت أنك منيتي ... فكوني لعيني ما نظرت لها نصباً

عسى الله يوماً أن يريني خالياً ... فيزداد لحظي من محاسنكم عجباً

إذا شئت أن تقلى فزر متوتراً ... وإن شئت أن تزداد حباً فزر غباً

فأنجز لي ما وعد، و وفى بما شرط، وكان ينفق عليه سوق العلم مع جنون كان يعتريه، ويتخبط في أكثر أوقاته فيه، وليت مع هذه الحالة خلف لنفسه شكلاً، أو نرى له في وقتنا هذا مثلاً، بارت البضائع، وغارت البدائع، وكسد سوق العلم، وخمد ذكر الكرم، وصار الناس عبيد الدرهم بعد الدرهم. وكان أبو حيان قد أحرق كتبه في آخره عمره لقلة جدواها، وضنا بها على من لا يعرف قدرها بعد موته.

وكتب إليه القاضي أبو سهل علي بن محمد يعذله على صنيعه، ويعرفه قبح ما اعتمد من الفعل وشنيعه.

فكتب إليه أبو حيان يعتذر من ذلك: حرسك الله أيها الشيخ من سوء ظني بمودتك وطول جفائك، وأعاذني من مكافأتك على ذلك، وأجارنا جميعاً مما سود وجه عهد إن رعيناه كنا مستأنسين به، وإن أهملناه كنا مستوحشين من أجله، وأدام الله نعمته عندك، وجعلني على الحالات كلها فداك.

وأفاني كتابك غير محتسب ولا متوقع على ظمأ برح بي إليه، وشكرت الله تعالى على النعمة به علي، وسألته المزيد من أمثاله، الذي وصفت فيه بعد ذكر الشوق إلي، والصبابة نحوي ما نال قلبك والتهب في صدرك من الخبر الذي نمى إليك فيما كان مني من إحراق كتبي النفيسة بالنار وغسلها بالماء، فعجبت من انزواء وجه العذر عنك في ذلك، كأنك لم تقرأ قوله جل وعز: (كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون)، وكأنك لم تأبه لقوله تعالى: (كل من عليها فان). وكأنك لم تعلم أنه لا ثبات لشيء من الدنيا وإن كان شريف الجوهر كريم العنصر، ما دام مقلباً بيد الليل والنهار، معروضاً على أحداث الدهر وتعاود الأيام، ثم إني أقول: إن كان – أيدك الله – قد نقب خفك ما سمعت، فقد أدمى أظلي ما فعلت، فليهن عليك ذلك، فما انبريت له ولا اجترأت عليه حتى استخرت الله عز وجل فيه أياماً ولياليَ، وحتى أوحى إلي في المنام بما بعث راقد العزم، وأجد فاتر النية، وأحيا ميت الرأي، وحث على تنفيذ ما وقع في الروع وتريع

في الخاطر، وأنا أجود عليك الآن بالحجة في ذلك إن طالبت، أو بالعذر إن استوضحت، لتثق بي فيما كان مني، وتعرف صنع الله تعالى في ثنيه لي: إن العلم – خاطك الله – يراد للعمل، كما أن العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم كلاً على العالم، وأنا أعوذ بالله من علم عاد كلاً وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه علاً – وهذا ضرب من الاحتجاج المخلوط بالاعتذار – ثم اعلم علمك الله الخير أن هذه الكتب حوت من أصناف العلم سره وعلانيته، فأما ما كان سراً فلم أجد له من يتحلى بحقيقته راغباً، وأما ما كان علانية فلم أصب من يحرص عليه طالباً، على أني جمعت أكثرها للناس ولطلب المثالة منهم ولعقد الرياسة بينهم ولمد الجاه عندهم فحرمت ذلك كله، – ولا شك في حسن ما اختاره الله لي وناطه بناصيتي، وربطه بأمري – ، وكرهت مع هذا وغيره أن تكون حجة علي لا لي، ومما شحذ العزم على ذلك ورقع الحجاب عنه، أني فقدت ولداً نجيباً، وصديقاً حبيباً، وصاحباً قريباً، وتابعاً أديباً، ورئيساً منيباً، فشق علي أن أدعها لقوم يتلاعبون بها، ويدنسون عرضي إذا نظروا فيها، ويشتمون بسهوي وغلطي إذا تصفحوها، ويتراءون نقصي وعيبي من أجلها، فإن قلت ولم تسمهم بسوء الظن، ونقرع جماعتهم بهذا العيب؟ فجوابي لك أن عياني منهم في الحياة هو الذي يحقق ظني بهم بعد الممات، وكيف أتركها لأناس جاورتهم عشرين سنة فما صح لي من أحدهم وداد؟ ولا ظهر لي من إنسان منهم حفاظ، ولقد اضطررت بينهم بعد الشهرة والمعرفة في أوقات كثيرة إلى أكل الخضر في الصحراء، وإلى التكفف الفاضح عند الخاصة والعامة، وإلى بيع الدين والمروءة، وإلى تعاطي الرياء بالسمعة والنفاق، وإلى ما لا يحسن بالحر أن يرسمه بالقلم، ويطرح في قلب صاحبه الألم، وأحوال الزمان بادية لعينك، بارزة بين مسائك وصباحك، وليس ما قلته بخاف عليك مع معرفتك وفطنتك، وشدة تتبعك وتفرغك، وما كان يجب أن ترتاب في صواب ما فعلته وأتيته بما قدمته ووصفته، وبما أمسكت عنه وطويته إما هرباً من التطويل، وإما خوفاً من القال والقيل.وبعد فقد أصبحت هامة اليوم أو غد فإني في عشر التسعين، وهل لي بعد الكبرة والعجز أمل في حياة لذيذة؟ أو رجاء لحال جديدة، ألست زمرة من قال القائل فيهم:

نروح ونغدو كل يوم وليلة ... وعما قليل لا نروح ولا نغدو

وكما قال الآخر:

تفوقت درات الصبا في ظلاله ... إلى أن أتاني بالقطام مشيب

وهذا البيت للورد الجعدي وتمامه يضيق عنه هذا المكان، والله يا سيدي لو لم أتعظ إلا بمن فقدته من الإخوان والأخدان في هذا الصقع من الغرباء والأدباء والأحباء لكفى، فكيف بمن كانت العين تقربهم، والنفس تستنير بقربهم، فقدتهم بالعراق والحجاز والجبل والري، وما والى هذه المواضع، وتواتر إلى نعيهم، واستدت الواعية بهم، فهل أنا إلا من عنصرهم؟ وهل لي محيد عن مصيرهم؟ أسأل الله تعالى رب الأولين أن يجعل اعترافي بما أعرفه موصولاً بنزوعي عما أقترفه، إنه قريب مجيب.

وبعد، فلي في إحراق هذه الكتب أسوة بأئمة يقتدى بهم، ويؤخذ بهديهم، ويعشى إلى نارهم، منهم: أبو عمرو بن العلاء، وكان من كبار العلماء مع زهد ظاهر وورع معروف، دفن كتبه في بطن الأرض فلم يوجد لها أثر.

وهذا داود الطائي، وكان من خيار عباد الله زهداً وفقهاً وعبادة، ويقال له تاج الأمة، طرح كتبه في البحر وقال يناجيها: نعم الدليل كنت، والوقوف مع الدليل بعد الوصول عناء وذهول، وبلاء وخمول.

وهذا يوسف بن أسباط: حمل كتبه إلى غار في جبل وطرحه فيه وسد بابه، فلما عوتب على ذلك قال: دلنا العلم في الأول ثم كاد يضلنا في الثاني، فهجرناه لوجه من وصلناه، وكرهناه من أجل ما أردناه.

وهذا أبو سليمان الداراني جمع كتبه في تنور وسجرها بالنار ثم قال: والله ما أحرقتك حتى كدت أحترق بك.

وهذا سفيان الثوري: مزق ألف جزء وطيرها في الريح وقال: ليت يدي قطعت من ها هنا ولم أكتب حرفاً.

وهذا شيخنا أبو سعيد السيرافي سيد العلماء قال لولده محمد: قد تركت لك هذه الكتب تكتسب بها خير الأجل، فإذا رأيتها تخونك فاجعلها طعمة للنار. وماذا أقول وسامعي يصدق أن زماناً أحوج مثلي إلى ما بلغك، لزمان تدمغ له العين حزناً وأسى، ويتقطع عليه القلب غيظاً وجوىً وضنىً وشجىً، وما يصنع بما كان وحدث وبان، إن احتجت إلى العلم في خاصة نفسي فقليل، والله تعالى شافٍ كافٍ، وإن احتجت إليه للناس ففي الصدر منه ما يملأ القرطاس بعد القرطاس، إلى أن تفى الأنفاس بعد الأنفاس، (ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس، ولكن أكثر الناس لا يعلمون). فلم تعنّى عيني أيدك الله بعد هذا بالحبر والورق والجلد والقراءة والمقابلة والتصحيح وبالسواد والبياض، وهل أدرك السلف الصالح في الدين الدرجات العلى إلا بالعمل الصالح، وإخلاص المعتقد والزهد الغالب في كل ما راق من الدنيا وخدع بالزبرج، وهوى بصاحبه إلى الهبوط؟ وهل وصل الحكماء القدماء إلى السعادة العظمى إلا بالاقتصاد في السعي، وإلا بالرضا بالميسور، وإلا ببذل ما فضل عن الحاجة للسائل والمحروم، فأين يذهب بنا وعلى أي باب نحط رحالنا؟؟ وهل جامع الكتب إلا كجامع الفضة والذهب؟ وهل المنهوم بها إلا كالحريص الجشع عليهما؟ وهل المغرم بحبها إلا كمكاثرهما؟ هيهات، الرحيل والله قريب، والثواء قليل، والمضجع مقض والمقام ممض، والطريق مخوف والمعين ضعيف، والاغترار غالب، والله من وراء هذا كله طالب، نسأل الله تعالى رحمة يظلنا جناحها، ويسهل علينا في هذه العاجلة غدوها ورواحها، فالويل كل الويل لمن بعد عن رحمته بعد أن حصل تحت قدره، فهذا هذا، ثم إني – أيدك الله – ما أردت أن أجيبك عن كتابك لطول جفائك، وشدة التوائك عمن لم يزل على رأيك مجتهداً وفي محبتك على قربك ونأيك، مع ما أجده من انكسار النشاط وانطواء الانبساط لتعاود العلل علي وتخاذل الأعضاء مني، فقد كل البصر وانعقد اللسان وجمد الخاطر وذهب البيان، وملك الوسواس وغلب اليأس من جميع الناس، ولكني حرست منك ما أضعته مني، ووفيت لك بما لم تف به لي، ويعز علي أن يكون لي الفضل عليك، أو أحرز المزية دونك، وما حداني على مكاتبتك إلا ما أتمثله من تشوقك إلي وتحرقك علي، وأن الحديث الذي بلغك قد بدد فكرك، وأعظم تعجبك، وحشد عليك جزعك، والأول يقول:

وقد يجزع المرء الجليد ويبتلى ... عزيمة رأى المرء نائبة الدهر

تعاوده الأيام فيما ينوبه ... فيقوى على أمرٍ ويضعف عن أمر

على أني لو علمت في أي حال غلب علي ما فعلته، وعند أي مرض وعلى أية عسرة وفاقةٍ لعرفت من

عذري أضعاف ما أبديته، واحتججت لي بأكثر مما نشرته وطويته، وإذا أنعمت النظر تيقنت أن لله جل وعز في خلقه أحكاماً لا يعاز عليها ولا يغالب فيها، لأنه لا يبلغ كنهها ولا ينال غيبها، ولا يعرف قابها ولا يقرع بابها، وهو تعالى أملك لنواصينا، وأطلع على أدانينا وأفاصينا، له الخلق والأمر، وبيده الكسر والجبر، وعلينا الصمت والصبر إلى أن يوارينا اللحد والقبر، والسلام. إن سرك جعلني الله فداك أن تواصلني بخبرك، وتعرفني مقر خطابي هذا من نفسك فافعل، فإني لا أدع جوابك إلى أن يقضي الله تعالى تلاقياً يسر النفس، ويذكر حديثنا بالأمس، أو بفراق نصير به إلى الرمس، ونفقد معه رؤية هذه الشمس، والسلام عليك خاصاً بحق الصفاء الذي بيني وبينك، وعلى جميع إخوانك، عاماً بحق الوفاء الذي يجب علي وعليك، والسلام.
وكتب هذا الكتاب في شهر رمضان سنة أربعمائة.

قال أبو حيان في كتاب أخلاق الوزيرين في تصنيفه: طلع ابن عباد علي يوماً في داره وأنا قاعد في كسر إيوان أكتب شيئاً قد كان كأدني به، فلما أبصرته قمت قائماً فصاح بحلق مشقوق: اقعد فالوراقون أخس من أن يقوموا لنا، فهممت بكلام فقال لي الزعفراني الشاعر: اسكت فالرجل رفيع، فغلب علي الضحك واستحال الغيظ تعجباً من خفته وسخفه، لأنه كان قد قال هذا وقد لوى شدقه، وشنج أنفه وأمال عنقه، واعترض على انتصابه وانتصب في اعتراضه، وخرج في تفكك مجنون قد أفلت من دير جنون، والوصف لا يأتي على كنه هذه الحال، لأن حقائقها لا تدرك إلا باللحظ، ولا يؤتى عليها باللفظ، فهذا كله من شمائل الرؤساء وكلام الكبراء، وسيرة أهل العقل والرزانة لا والله، وتراباً لمن يقول غير هذا.
وحدث أبو حيان قال: قال الصاحب يوماً فعل وأفعال قليل، وزعم النحويون أنته ما جاء إلا زند وأزناد، وفرخ وأفراخ، وفرد وأفراد.. فقلت له: أنا أحفظ ثلاثين حرفاً كلها فقل وأفعال، فقال: هات يا مدعي، فسردت الحروف ودللت على مواضعها من الكتب ثم قلت: ليس للنحوي أن يلزم مثل هذا الحكم إلا بعد التبحر والسماع الواسع، وليس للتقليد وجه إذا كانت الرواية شائعة والقياس مطرداً وهذا كقولهم: فعيل على عشرة أوجه، وقد وجدته أنا يزيد على أكثر من عشرين وجهاً وما انتهيت في التتبع إلى أقصاه. فقال: خروجك من دعواك في فعل يدلنا على قيامك في فعيل ولكن لا نأذن لك في اقتصاصك، ولا نهب آذاننا لكلامك، ولم يف ما أتيت به بجرأتك في مجلسنا، وتبسطك في حضرتنا فهذا كما ترى.
قال أبو حيان: وأما حديثي معه يعني مع ابن عباد، فإنني حين وصلت إليه. قال لي: أبو من؟ قلت: أبو حيان. فقال: بلغني أنك تتأدب، فقلت: تأدب أهل الزمان. فقال: أبو حيان ينصرف أو لا ينصرف؟ قلت: إن قبله مولانا لا ينصرف، فلما سمع هذا تمر وكأنه لم يعجبه، وأقبل على واحد إلى جانبه وقال له بالفارسية سفهاً على ما قيل لي ثم قال: الزم دارنا وانسخ هذا الكتاب. فقلت: أنا سامع مطيع، ثم إني قلت لبعض الناس في الدار مسترسلاً: إنما توجهت من العراق إلى هذا الباب وزاحمت منتجعي هذا الربيع لأتخلص من حرفة الشؤم، فإن الوراقة لم تكن ببغداد كاسدة، فنمى إليه هذا أو بعضه أو على غير وجهه فزاده تنكراً.
قال أبو حيان:وقال لي ابن عباد يوماً يا أبا حيان: من كناك بأبي حيان؟ قلت: أجل الناس في زمانه،

وأكرمهم في وقته، قال: ومن هو ويلك؟ قلت: أنت، قال: ومتى كان ذلك؟ قلت: حين قلت يا أبا حيان من كناك أبا حيان، فأضرب عن هذا الحديث وأخذ في غيره على كراهة ظهرت عليه.

قال: وقال لي يوماً آخر – وهو قائم في صحن داره والجماعة قيام منهم الزعفراني وكان شيخاً كثير الفضل جيد الشعر ممتع الحديث، والتميمي المعروف بسطل وكان من مصر، والأقطع وصالح الوراق وابن ثابت وغيرهم من الكتاب والندماء –: يا أبا حيان: هل تعرف فيمن تقدم من يكنى بهذه الكنية؟ قلت: نعم من أقرب ذلك أبو حيان الدارمي.

حدثنا أبو بكر محمد بن محمد القاضي الدقاق قال: حدثنا ابن الأنباري قال: حدثنا أبي حدثنا ابن ناصح قال: دخل أبو الهذيل العلاف على الواثق فقال له الواثق: لمن تعرف هذا الشعر؟:

سباك من هذشم سليل ... ليس إلى وصله سبيل
من يتعاط الصفات فيه ... فالقول في صفه فضول
للحسن في وجهه هلال ... لأعين الخلق لا يزول
وطرة ما يزال فيها ... لنور بدر الدجى مقيل
ما اختال في صحن قصر أوس ... إلا ليسجى له قتيل
فإن يقف فالعيون نصب ... وإن تولى فهن حول

فقال أبو الهذيل: يا أمير المؤمنين، هذا لرجل من أهل البصرة يعرف بأبي حيان الدارمي، وكان يقول بإمامة المفضول، وله من كلمة يقول فيها:

أفضله والله قدمه على ... صحابته بعد النبي المكرم
بلا بغضة والله مني لغيره ... ولكنه أولاهم بالتقدم

وجماعة من أصحابنا قالوا: أنشد أبو قلابة عبد الله ابن محمد الرقاشي لأبي حيان البصري:

يا صاحبي دعا الملام وأقصرا ... ترك الهوى يا صاحبي خساره
كم لمت قلبي كي يفيق فقال لي ... لجت يمين ما لها كفاره

ألا أفيق ولا أفتر لحظة ... إن أنت لم تعشق فأنت حجاره
ألحب أول ما يكون بنظرة ... وكذا الحريق بداؤه بشراره
يا من أحب ولا أسمي باسمها ... إياك أعنى فاسمعي يا جاره

فلما وفيت الشعر ورويت الإسناد وريقي بليل ولساني طلق ووجهي متهلل، وقد تكلفت هذا وأنا في بقية من غرب الشباب وبعض ريعانه، وملأت الدار صياحاً بالرواية والقافية، فحين انتهيت أنكرت طرفه، وعلمت سوء موقع ما رويت عنده، قال: ومن تعرف أيضاً، قلت ابن الجعابي الحافظ، يكنى بأبي حيان، رجل صدق وهو يروي عن التابعين. قال: ومن تعرف أيضاً؟ قلت: روى الصولي فيما حدثنا عنه المرزباني أن معاوية لما احتضر أنشد يزيد عند رأسه متمثلاً:

لو أن حيا نجا لفات أبو ... حيان لا عاجز ولا وكل

الحول القلب الأريب وهل ... يدفع صرف المنية الحيل؟

قال الصولي: وهذا كان من المعمرين المغفلين، وانتهى الحديث من غير هشاشة ولا هزة ولا أريحية، بل على اكفهرار وجه ونبو طرف وقلة تقبل، وجرت أشياء أخر كان عقباها أني فارقت بابه سنة سبعين وثلاثمائةٍ راجعاً إلى مدينة السلام بغير زاد ولا راحلة، ولم يعطني في مدة ثلاث سنين درهماً واحداً ولا ما قيمته درهم واحد، احمل هذا على ما أردت، ولما نال مني هذا الحرمان الذي قصدني به وأحفظني عليه، وجعلني من جميع غاشيته فرداً أخذت أملي في ذلك بصدق القول عنه وسوء الثناء عليه، والبادئ أظلم، وللأمور أسباب، والأسباب أسرار، والغيب لا يطلع عليه ولا قارع لبابه.

قال أبو حيان: قال لي الصاحب يوماً –وهو يحدث عن رحلٍ أعطاه شيئاً فنلكأ في قبوله – : ولا بد من شيء يعين على الدهر ثم قال: سألت جماعةً عن صدر هذا البيت فما كان عندهم ذلك. فقلت: أنا أحفظ ذاك، فنظر بغضب فقال: ما هو؟ قلت: نسيت، فقال: ما أسرع ذكرك من نسيانك! قلت: ذكرته والحال سليمة، فلما استحالت عن السلامة نسيت. قال: وما حيلولتها؟ قلت: نظر الصاحب بغضب فوجب في حسن الأدب ألا يقال ما يثير الغضب. قال: ومن تكون حتى نغضب عليك؟ دع هذا وهات، قلت قول الشاعر:

ألام على أخذ القليل وإنما ... أصادف أقواماً أقل من الذر

فإن أنا لم آخذ قليلاً حرمته ... ولا بد من شيء يعين على الدهر

فسكت. قال أبو حيان عند قربه من فراغ كتابه في ثلب الوزرين وقد حكى عن ابن عباد حكايات وأسندها إلى من أخبره بها عنه ثم قال: فما ذنبي أكرمك الله إذا سألت عنه مشايخ الوقت وأعلام العصر؟ فوصفوه بما جمعت لك في هذا المكان، على أني قد سترت شيئاً كثيراً من مخازيه إما هرباً من الإطالة، أو صيانةً للقلم عن رسم الفواحش وبث الفضائح، وذكر ما يسمج مسموعه. ويكره التحدث به، وهذا سوى ما فاتني من حديثه فإني فارقته سنة سبعين وثلاثمائة. وما ذنبي أن ذكرت عنه ما جرعنيه من مرارة الخيبة بعد الأمل، وحملني عليه من الإخفاق بعد الطمع، مع الخدمة الطويلة والوعد المتصل والظن الحسن، حتى كأني خصصت بخساسته وحدي، أو وجب أن أعامل به دون غيري، قدم إلي نجاح الخادم وكان ينظر في خزانة كتبه ثلاثين مجلدة من رسائله وقال: يقول لك مولانا: انسخ هذا فإنه قد طلب منه بخراسان. فقلت بعد ارتياءٍ: هذا طويل، ولكن لو أذن لي لخرجت منه فقراً كالغرر، وشذوراً كالدرر، تدور في المجالس كالشمامات والدستنبوهات، لو رقي بها مجنون لأفاق، أو نفث على ذي عاهة لبرأ، لا تمل ولا تسغث، ولا تعاب ولا تسترك، فرفع ذلك إليه وأنا لا أعلم فقال: طعن في رسائلي وعابها، ورغب عن نسخها وأزرى بها، والله لينكرن مني ما عرف، وليعرفن حظه إذا انصرف، حتى كأني طعنت في القرآن، أو رميت الكعبة بخرق الحيض، أو عقرت ناقة صالح، أو سلحت في بئر زمزم، أو قلت كان النظام مأبوناً، أو مات أبو هاشم في بيت خمار، أو كان عباد معلم صبيان. وما ذنبي يا قوم إذا لم أستطع أن أنسخ ثلاثين مجلدة من هذا الذي يستحسن هذا الكلب؟ حتى أعذره في لومي على الامتناع، أينسخ إنسان هذا القدر وهو يرجو بعدها أن

يمتعه الله ببصره؟ أو ينفعه ببدنه؟. وما ذنبي إذا قال لي: من أين لك هذا الكلام المفوف المشوف الذي تكتب به إلي في الوقت بعد الوقت؟ فقلت: وكيف لا يكون كما وصف مولانا؟ وأنا أقطف ثمار رسائله، وأستقي من قليب علمه، وأشيم بارقة أدبه، وأرد ساحل بحره، وأستوكف قطر مزنه، فيقول: كذبت وفجرت لا أم لك، ومن أين في كلامي الكدية والشحذ والتضرع والاسترحام؟ كلامي في السماء، وكلامك في السماد، هذا – أيدك الله – وإن كان دليلاً على سوء جدي، فإنه دليل أيضاً على انخلاعه وخرقه، وتسرعه ولؤمه، وانظر كيف تستحيل معي عن مذهبه الذي كان هو عرقه النابض، وسوسه الثابت، وديدنه المألوف، وهذا أجراني مجرى التاجر المصري والشاذباشي وفلان وفلان، بل ما ذنبي إذا قال لي: هل وصلت إلى ابن العميد أبي الفتح؟ فأقول: نعم، رأيته وحضرت مجلسه وشاهدت ما جرى له، وكان من حديثه فيما مدح به كذا وكذا، وفيما تقدم منه كذا وكذا، وفيما تكلفه من تقديم أهل العلم واختصاص أرباب الأدب كذا وكذا، ووصل أبا سعيدٍ السيرافي بكذا وكذا، ووهب لأبي سليمان المنطقي كذا وكذا فيتزوي وجهه، وينكر حديثه، وينجذب إلى شيء آخر ليس مما شرع فيه ولا مما حرك له ثم يقول: أعلم أنك إنما انتجعته من العراق، فاقرأ علي رسالتك التي توسلت إليه بها وأسهبت مقرظاً له فيها، فأتمانع فيأمر ويشدد فأقرأها فيتغير ويذهل وأنا أكتبها لك ليكون زيادة في الفائدة:

بسم الله الرحمن الرحيم: اللهم هيئ لي من أمري رشداً، ووفقني لمرضاتك أبداً، ولا تجعل الحرمان علي رصداً، أقول وخير القول ما انعقد بالصواب، وخير الصواب ما تضمن الصدق، وخير الصدق ما جلب النفع، وخير النفع، ما تعلق بالمزيد، وخير المزيد ما بدا عن الشكر، وخير الشكر، ما بدا عن إخلاص، وخير الإخلاص ما نشأ عن اتفاق، وخير الاتفاق ما صدر عن توفيق، لما رأيت شبابي هرماً بالفقر، وفقري غنياً بالقناعة، وقناعتي عجزاً عند أهل التحصيل، عدلت إلى الزمان أطلب إليه مكاني فيه وموضعي منه، فرأيت طرفه نابياً، وعنانه عن رضاي منثنياً، وجانبه في مرادي خشناً، وارتقائي في أسبابه نائياً، والشامت بي على الحدثان متمادياً، طمعت في السكوت تجلداً، وانتحلت القناعة رياضةً، وتألفت شارد حرصي متوقفاً، وطويت منشور أملي متنزهاً، وجمعت شتيت رجائي سالياً، وادعيت الصبر مستمراً، ولبست العفاف ضناً، واتخذت الانقباض صناعة، وقمت بالعلاء مجتهداً، هذا بعد أن تصفحت الناس فوجدتهم أحد رجلين: رجل إن نطق عن غيظ ودمنةٍ وإن سكت سكت عن ضغن وإحنةٍ، ورجل إن بذل كدر بامتنانه بذله، وإن منع حسن باحتياله بخله، فلم يطل دهري في أثنائه، متبرحاً بطول الغربة وشظف العيش، وكلب الزمان وعجف المال، وجفاء الأهل وسوء الحال، وعادية العدو وكسوف البال، متحرقاً من الحنق على لئيم لا أجد مصرفاً عنه، متقطعاً من الشوق إلى كريم لا أجد سبيلاً إليه، حتى لاحت لي غرة الأستاذ فقلت: حل بي الويل، وسال بي السيل، أين أنا عن ملك الدنيا، والفلك الدائر بالنعمى؟ أين أنا من مشرق الخير ومغرب الجميل؟ أين أنا من بدر البدور وسعد السعود؟ أين أنا عمن يرى البخل كفراً صريحاً، والإفضال ديناً صحيحاً؟ أين أنا عن سماء لا تفتر عن الهطلان، وعن بحر لا يقذف إلا باللؤلؤ والمرجان؟ أين أنا من فضاء لا يشق غباره، وعن حرم لا يضام جاره؟ أين أنا عن منهل لا صدر لفراطه، ولا منع لوراده؟ أين أنا عن ذوب لا شوب

فيه، وعن صوب لا جلد دونه؟ بل أين أنا عمن أتى بنبوة الكرم، وإمامة الإفضال، وشريعة الجود، وخلافة البذل، وسياسة المجد، بشيمةٍ مشيمة البوارق، ونفس نفيسة الخلائق؟ أين أنا عن الباع الطويل، والأنف الأشم، والمشرب العذب، والطريق الأمم؟ لم لا أقصد بلاده؟ لم لا أقتدح زناده؟ لم لا أنتجع جنابه وأرعى مزاده؟ لم لا أسكن ربعه؟ لم لا أستدعي نفعه؟ لم لا أخطب جوده وأهتصر عوده؟ لم لا أستمطر سحابه؟ لم لا أستسقي ربابه؟ لم لا أستميح نيله وأستسحب ذيله؟ ولا أحج كعبته، وأستلم ركنه؟ لم لا أصلي إلى مقامه مؤتماً بإمامه؟ لم لا أسبح ببنانه متقدساً؟

فتىً صيغ من ماء الشبيبة وجهه ... فألفاظه جود وأنفاسه مجد

لم لا أقصد فتىً للجود في كفه من البحر عينان نضاختان؟ لم لا أمتري معروف

فتىً لا يبالي أن يكون بجسمه ... إذا نال خلات الكرام شحوب

لم لا أمدح

فتىً يشتري حسن المقال بروحه ... ويعلم أعقاب الأحاديث في غد؟

نعم لم لا أنتهي من تقريظ فتىً لو كان من الملائكة لكان من المقربين، ولو كان من الأنبياء لكان من المرسلين، ولو كان من الخلفاء لكان نعته اللائذ بالله، أو المنصف في الله، أو المعتضد بالله، أو المنتصب لله، أو الغاضب لله أو الغالب بالله، أو المرضي لله، أو الكافي بالله، أو الطالب بحق الله، أو المحيي لدين الله. أيها المنتجع قرن كلئه، المختبط ورق نعمته، ارع عريض البطان، متفيئاً بظله ناعم البال، متعوذاً بعزه، وعش رخي لحال، معتصماً بحبله، ولذ بداره آمن السرب، وامحض وده بآنية القلب، وق نفسك من سطوته بحسن الحفاظ، وتخير له ألطف المدح، تفز منه بأيمن قدح، ولا تحرم نفسك بقولك: إني غريب المثوى نازح الدار، بعيد النسب منسي المكان، فإنك قريب الدار بالأمل، داني النجح بالقصد، رحيب الساحة بالمنى، ملحوظ الحال بالجد، مشهور الحديث بالدرك. واعلم علماً يلتحم باليقين، وتدرأ من الشك أنه معروف الفخر بالمفاخر، مأثور الأثر بالمآثر، قد أصبح واحد الأنام تاريخ الأيام، أسد الغياض يوم الوغى، نور الرياض يوم الرضا، إن حرك عند مكرمة تحرك غصناً تحت بارحٍ، وإن دعي إلى اللقاء دعي ليثاً فوق سابح، وقل إذا أتيته بلسان التحكم: أصلح أديمي فقد حلم، وجدد شبابي فقد هرم، وأنطق لساني في اصطناعي، فقد شردت صحائف النجح عند انتجاعي، ورش عظمي فقد براه الزمان، واكس جلدي فقد عراه الحدثان، وإياك أن تقول: يا مالك الدنيا جد لي ببعض الدنيا فإنه يحرمك، ولكن قل: يا مالك هب لي الدنيا، اللهم فأحي به بلادك، وأنعش برحمته عبادك، وبلغه مرضاتك، وأسكنه فردوسك، وأدم له العز النامي، والكعب العالي، والمجد التليد والجد السعيد، والحق الموروث، والخير المبثوث، والولي المنصور، والشانئ المبتور، والدعوة الشاملة والسجية الفاضلة، والسرب المحروس، والربع المأنوس، والجناب الخصيب، والعدو الحريب، والمنهل القريب، واجعل أولياءه بازلين لطاعته، ناصرين لأعزته، ذابين عن حرمه، والقمر المنير بالجمال، والنجم الثاقب بالعلم، والكوكب الوقاد بالجود، والبحر الفياض بالمواهب، سقط العشاء بعبدك على سرحك، فاقره من نعمتك بما يضاهي قدرك وقدرتك، وزوج هبة ربها من الغنى، فطالما خطب كفؤها

من المنى. ثم يقال لي من بعد: جنيت على نفسك حين ذكرت عدوه عنده بخير، وأثنيت عليه وجعلته سيد الناس. فأقول: كرهت أن تراني متذرباً على عرض رجل عظيم الخطب، غير مكترث بالوقيعة فيه والإنحاء عليه، وقد كان يجوز أن أشعث من ذلك شيئاً، وأبرى من أثلته جانباً، وأطير إلى جنبه شرارة، فيقال أيضاً: جنيت على نفسك، تركت الاحتياط في أمرك، فإنه مقتك وعافك، ورأى أنك في قولك عدوت طورك، وجهلت قدرك، ونسيت وزرك، وليس مثلك من هجم على ثلب من بلغ رتبة ذلك الرجل، وإنك متى جسرت على هذا وزنت به، وجعلت غيره في قرنه، فإذا كانت هذه الحالات ملتبسة، وهذه العواقب مجهولةً، فهل يدور العمل بعدها إلا على الإحسان الذي هو علة المحبة؟ والمحبة التي هي علة الحمد، والإساءة التي هي علة البغض، والبغض الذي هو علة الذم، فهذا هذا.

وقال: كان ابن عباد شديد الحسد لمن أحسن القول وأجاد اللفظ، وكان الصواب غالباً عليه، وله رفق في سرد حديث، ونيقة في رواية، وله شمائل مخلوطة بالدماثة بين الإشارة والعبارة، وهذا شيء عام في البغداديين، وكالخاص في غيرهم.

حدثت ليلة بحديث فلم يملك نفسه حتى ضحك واستعاده ثم قيل لي بعده إنه كان يقول: قاتل الله ابن حيان فإنه نكد، وإنه وإنه وإنه – وأكره أن أروي ذمي بقلمي – وكان ذلك كله حسداً وغيظاً بحتاً، وأنا أروي لك الحديث فإنه في نهاية الطيب، وفيه فكاهة ظاهرة وعي عجيب، في معرض بلاغة ظريفة في ملبس فهاهة.

حدثني القاضي أبو الحسن الجراحي قال: لحقني مرة علة صعبة فمن طريف ما مر على رأسي، ودخل في جملة من عادني، شيخ الشونيزية، ودوارة الحمار، والتوتة، وفقيهها أبو الجعد الأنباري، وكان من كبار أصحاب الزنماري فقال أول ما قعد: يقع لي فيما لا يقع لغيري، أو لمثلي فيمن كان كأنه مني، أو كأنه كان على سني، أو كان معروفاً بما لا يعرف به إلاي، إلا أني أنك لا تحتمي إلا حمية فوق ما يجب، ودون ما لا يجب، وبين فوق ما لا يجب، وبين دون ما لا يجب، فرق، الله يعلم أنه لا يعلم أحد ممن يعلم، أو لا يعلم الطب كله أن يحتمي حمية، بين حميتين، حمية كلا حمية، ولا حمية كحمية، وهذا هو الاعتدال والتعديل، والتعادل والمعادلة، قال الله تعالى: (وكان بين ذلك قواما) وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (خير الأمور أوسطها، وشرها إطرافها)، والعلة في الجملة والتفصيل إذا أدبرت لم تقبل، وإذا أقبلت لم تدبر، وأنت من إقبالها في خوف ومن إدبارها في التعجب، وما يصنع هذا كله؟ لا تنظر إلى اضطراب الحمية عليك، ولكن انظر إلى جهل هؤلاء الأطباء الألباء الذين يشقون الشعر شقاً، ويدقون البعر دقاً، ويقولون ما يدرون وما لا يدرون زرقاً وحمقاً، وإلى قلة نصحهم مع جهلهم، ولو لم يجهلوا إذا لم ينصحوا كان أحسن عند الله والملائكة، ولو نصحوا إذا جهلوا كان أولى عند الناس وأشباه الناس والله المستعان، وأنت في عافية ولكن عدوك ينظر إليك بعين الاست فيقول: وجهه وجه من قد رجع من القبر بعد عدو على كل حال، فالرجوع من القبر خير من الرجوع إلى القبر، لعن الله القبر، لا خباز ولا بزاز ولا رزاز ولا كواز (إنا لله وإنا إليه راجعون) عن قريب إن شاء الله. (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت)، وقال جل شأنه: (ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير، ومن الجبال جدد بيض

وحمر). تأمر بشيءٍ السنة في العيادة خاصة، عيادة الكبار والسادة التخفيف والتطفيف، وإنا إن شاء الله عندك بالعشي والحق، والحق أقوام ما يجب على مثلك لمثلي، كان ليس لك مثل ولا مثلي أيضاً مثل هكذا إلى باب الشام إلى قطرة الشوك وإلى المندفة أقول لك المستوي، لا أنا ولا أنت اليوم كمثل كمثراتين إذا علقتا على رأس شجرة، وكدلوين إذا خلقا على رأس بئر، ودع ذا القارورة، اليوم لا إله إلا الله، وأمس كان سبحان الله، وغداً يكون شيئاً آخر، وبعد غد ترى من ربك العجب، والموت والحياة بعون الله، ليس هذا مما يباع في السوق، أو يوجد مطروحاً في الطريق، وذاك أن الإنسان – ولا قوة إلا بالله – طريف أعمى كأنه ما صح له منام قط، ولا خرج من السمارية إلى الشط، وكأنه ما رأى قدرة الله في البط، إذا لفظ كيف يقول قط قط، والكلام في الإنسان وعمى قلبه وسخنة عينه قل غفر له، ولا يسلم في هذه الدار إلا من عصر نفسه عصرة ينشق منها فيموت كأنه شهيد، وهذا صعب لا يكون إلا بتوفيق الله وبعض خذلانه الغريب، على الله توكلنا وإليه التفتنا ورضينا، وبه استجرنا، إن شاء أخذ لنا، وإن شاء أطعمنا.

قال القاضي: فكدت أموت من الضحك على ضعفي وما زال كلامه بهذا إلى أن خرجت على الناس وكان مع هذا لا يعيا ولا يقف ولا يكل وكان من عجائب الزمان. وختم أبو حيان كتابه في أخلاق الوزيرين بعد أن اعتذر عن فعله ثم قال: وإني لأحسد الذي يقول:

أعد خمسين حولاً ما على يد ... لأجنبيٍ ولا فضل لذي رحم

ألحمد لله شكراً قد قنعت فلا ... أشكو لئيماً ولا أطري أخا كرم

لأني كنت أتمنى أن أكونه، ولكن العجز غالب لأنه مبذور في الطينة، ولقد أحسن الآخر حين قال:

ضيق العذر في الضراعة إنا ... لو قنعنا بقسمنا لكفانا

ما لنا نعبد العباد إذا كا ... ن إلى الله فقرنا وغنانا؟

وأدعو ههنا بما دعا به بعض النساك: اللهم صن وجوهنا باليسار، ولا تبذلها بالإقتار، فنسترزق أهل رزقك، ونسأل شر خلقك، ونبتلى بحمد من أعطى، وذم من منع، وأنت من دونهم ولي الإعطاء، وبيدك خزائن الأرض والسماء يا ذا الجلال والإكرام.

ومن كتاب المحاضرات لأبي حيان قال: قصدت أنا والنصيبي رجلاً من أبناء لنعم والموصوفين بالكرم، ولا يرد سائليه، ولا يخيب آمليه، والألسن متفقة على جوده وتطوله، والعيون شاخصة إلى عطاياه وفضله، له في السنة مبار كثيرة على أهل العلم وأهل البيوتات، ومن قعد به الزمان وجفاه الإخوان، فلم نصادفه في منزله، وقصدناه ثانياً فمنعنا من الدخول إليه، وقصدناه ثالثاً فذكر أنه ركب، وقصدناه رابعاً فقيل هو في الحمام، وقصدناه خامساً فقيل هو نائم، وقصدناه سادساً فقيل عنده صاحب البريد وهو مشغول معه بمهم، وقصدناه سابعاً فذكر أنه رسم ألا يؤذن لأحد، وقصدناه ثامناً فذكر أنه يأكل ولا يجوز الدخول إليه بوجه ولا سبب، وقصدناه تاسعاً فذكر أن أحد أولاده سقط من الدرجة وهو مشغول به عند رأسه وما يفارقه، وقصدناه العاشر فذكر أنه مستعد لشرب الدواء، وقصدناه الحادي عشر فذكر أنه تناول الدواء من يومين، وما عمل عملاً وقد قواه اليوم بما يحرك الطبيعة، وقصدناه الثاني عشر فقيل إلى الآن كان جالساً ونهض في

هذه الساعة ودخل إلى الحجرة، وقصدناه الثالث عشر فقيل دعي إلى الدار لمهم، وقصدناه الرابع عشر فألفيناه في الطريق يمضي إلى دار الإمارة، وقصدناه الخامس عشر فسهل لنا الإذن ودخلنا في غمار الناس، والناس على طبقاتهم جلوس وجماعة قيام يرتبون الناس ويخدمونهم وقد اتفق له عزاء، وشغل بغيرنا وبقينا في صورة من احتقان البول والجوع والعطش وما أقمنا في جملة من يقام، فقال لي النصيبي: هذا اليوم الذي قد ظفرنا به وتمكنا من دخول داره صار عظيم المصيبة علينا، ليس لنا إلا مهاجرة بابه والإعراض عنه، وقمع النفس الدنية بالطمع في غيره، فقلت له: قد تعبنا وتبذلنا على بابه، والأسباب التي قد اتفقت فمنعت من رؤيته كانت عذراً واضحاً ويتفق مثل هذا، فإذا انقضت أيام التعزية قصدناه، وربما نلنا من جهته ما نأمله، فقصدناه بعد ذلك أكثر من عشرين مرة، وقلما اتفق فيها رؤيته وخطابه حتى مل النصيبي فقال: لو علمت أن داره الفردوس، والحصول عنده الخلود فيها، وكلامه رضا الله تعالى وفوز الأبد لما قصدته بعد ذلك، وأنشأ يقول:

طلب الكريم ندى يد المنكود ... كالغيث يستسقى من الجلمود

فافزع إلى عز الفراغ ولذ به ... إن السؤال يريد وجه حديد

فأجبته أنا وعيناي بالدموع تترقرق لما بان لي من حرقتي، ونبو الدهر بي وضياع سعيي، وخيبة أملي في كل من أرتجيه لملم أو مهم، أو حادثة أو نائبة:

دنيا دنت من عاجز وتباعدت ... عن كل ذي لب له خطر

سلمت على أربابها حتى إذا ... وصلت إلي أصابها الحصر

قال أبو حيان في كتاب الوزيرين: جرى بيني وبين أبي علي مسكويه شيء، قال مرة: أما ترى إلى خطأ صاحبنا – وهو يعني ابن العميد في إعطائه فلاناً ألف دينار ضربة واحدة – لقد أضاع هذا المال الخطير فيمن لا يستحق، فقلت بعد ما أطال الحديث وتقطع بالأسف. أيها الشيخ، أسألك عن شيء واحد، فاصدق فإنه لا مدب للكذب بيني وبينك: لو غلط صاحبك فيك بهذا العطاء وبأضعافه وأضعاف أضعافه، أكنت تخيله في نفسك مخطئاً ومبذراً ومفسداً، أو جاهلاً بحق المال؟ أو كنت تقول ما أحسن ما فعل وليته أربى عليه؟ فإن كان الذي تسمع على حقيقة، فاعلم أن الذي يرد ورد مقالك إنما هو الحسد أو شيء آخر من جنسه، وأنت تدعي الحكمة وتتكلف الأخلاق، وتزيف الزائف، وتختار منها المختار، فافطن لأمرك، واطلع على سرك وشرك.

علي بن محمد بن حبيب

الماوردي البصري، يكنى أبا الحسن، ويلقب أقضى القضاة، لقب به في سنة تسع وعشرين وأربعمائة، وجرى من الفقهاء كأبي الطيب الطبري والصيمري إنكار لهذه التسمية وقالوا: لا يجوز أن يسمى به أحد، هذا بعد أن كتبوا خطوطهم بجواز تقليب جلال الدولة بن بهاء الدولة ابن غضد الدولة بملك الملوك الأعظم، فلم يلتفت إليهم، واستمر له هذا اللقب إلى أن مات، ثم تلقب به القضاة إلى أيامنا هذه، وشرط الملقب بهذا اللقب: أن يكون دون منزلة من تلقب بقاضي القضاة إلى أيامنا هذه على سبيل الاصطلاح،

وإلا فألا ولى أن يكون أقضى القضاة أعلى منزلة. ومات الماوردي في سنة خمسين وأربعمائة. وكان عالماً بارعاً متفنناً شافعياً في الفروع، ومعتزلياً في الأصول على مال بلغني والله أعلم.

وكان ذا منزلة من ملوك بني بويه يرسلونه في التوسطات بينهم وبين من يناوئهم، ويرتضون بوساطته ويقفون بتقريراته. قرأت في كتاب سر السرور لمحمود النيسابوري هذين البيتين منسوبين إلى الماوردي هذا:

وفي الجهل قيل الموت موت لأهله ... فأجسادهم دون القبور قبور
إن أمر لم يحى بالعلم صدره ... فليس له حتى النشور نشور

حدث محمد بن عبد الملك الهمداني، وحدثني أبي قال: سمعت الماوردي يقول: بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة، واختصرته في أربعين، يريد بالمبسوط كتاب الحلوى، وبالمختصر كتاب الإقناع، ودرس مكانه خمس سنين قال: ولم أر أوقر منه، ولم أسمع منه مضحكة قط، ولا رأيت ذراعه منذ صحبته إلى أن فارق الدنيا.

قلت: وله تصانيف حسان في كل فن، ومنها: كتاب تفسير القرآن، كتاب الأحكام السلطانية، كتاب في النحو رأيته في حجم الإيضاح أو أكبر، كتاب قوانين الوزارة، كتاب تعجيل النصر وتسهيل الظفر.

قرأت في مجموع لبعض أهل البصرة: تقدم القادر بالله إلى أربعة من أئمة المسلمين في أيامه في المذاهب الأربعة، أن يصنف له كل واحد منهم مختصراً على مذهبه، فصنف له الماوردي الإقناع، وصنف له أبو الحسين القدوري مختصره المعروف على مذهب أبي حنيفة، وصنف له القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن نصر المالكي مختصراً آخر، ولا أدري من صنف له على مذهب أحمد، وعرضت عليه فخرج الخادم إلى أقضى القضاة الماوردي وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: حفظ الله عليك دينك، كما حفظت علينا ديننا. ومن هذا المجموع: كان أقضى القضاة – رحمه الله – قد سلك طريقه في ذوي الأرحام، يورث القريب والبعيد بالسوية، وهو مذهب بعض المتقدمين، فجاءه يوماً الشينيزي في أصحاب القماقم، فصعد إليه المسجد وصلى ركعتين والتفت إليه فقال له: أيها الشيخ، اتبع ولا تبتدع، فقال: بل أجتهد ولا أقلد، فلبس نعله وانصرف.

علي بن محمد بن الحسن بن دينار الديناري

النحوي أبو الحسن، من ولد دينار بن عبد الله. قال ابن طاهر المقدسي: مات سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وأبوه أبو الفتح محمد من أهل العلم والحديث.

علي بن محمدالنحوي الأديب

أبو الحسن الأهوازي النحوي الأديب رأيت له كتاباً في علل العروض، نحو عشر كراريس ضيقة الخط، جيداً في بابه غاية، ولا أعرف من حاله غير هذا.

علي بن محمد الوزان النحوي الحلبي

أبو الحسن، سمع منه أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي، وأظنه كان في أيام سيف الدولة بن حمدان، وله كتاب في العروض.

علي بن محمدالبطليوسي

بن السيد النحوي البطليوسي أبو الحسن، ويعرف بالخيطال، وهو أخو أبي محمد عبد الله ابن السيد النحوي. روى عن أبي بكر بن الغراب، وأبي عبد الله محمد بن يونس وغيرهما، أخذ عنه أخوه أبو محمد كثيراً من كتب الآداب وغيرها، وكان مقدماً في علم اللغة وحفظها وضبطها، ومات بقلعة رباح معتقلاً من قبل ابن عكاشة قائدها سنة ثمان وثمانين وأربعمائة.

علي بن محمد الأخفش النحوي

لم أجد ذكره إلا على كتاب الفصيح بخط علي بن عبد الله ابن أخي الشبيه العلوي بما صورته: حذق على هذا الكتاب –وهو كتاب الفصيح – أبو القاسم سليمان بن المبارك الخاصة الضرفي – أدام الله أيامه – من أوله إلى آخره قراءة فهم وتصحيح. وقرأت أنا على علي بن عميرة – رحمه الله – في محلة باب البصرة ببغداد عند المسجد الجامع الكبير. وقرأ هو على أبي بكر ابن مقسم النحوي عن أبي العباس ثعلب – رحمه الله – ، وكتب علي بن محمد الأخفش النحوي سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة.

علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله

القهندزي أبو الحسن الضرير النحوي الأديب النيسابوري من أصحاب أب عبد الله، شيخ فاضل من الأدباء، سمع الحديث من أبي العباس المناسكي المحاملي وغيره، وسمع منه الناس وقرأ عليه الأئمة وتخرجوا به. قال ذلك عبد الغافر في السياق، قرأ عليه أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي وعده في أعيان مشايخه. وقال الواحدي: كان من أبرع أهل زمانه.

علي بن محمد السعيدي البياري

الأستاذ الأديب أبو الحسن، رجل فاضل من أهل بيت الفضل والأدب، وأما سماع الحديث فقلما يخلو عنه أهل الفضل، قاله عبد الغافر.

علي بن محمد بن علي بن منصور

الحوزي أبو الحسن، الأديب ابن الأديب السقاء، رجل فاضل شاعر كاتب، وسمع الحديث من متأخري الطبقة الثانية ثم من مشايخنا، ومات كهلاً في الثاني من شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وأربعمائة قال ذلك عبد الغافر.

علي بن محمد بن أرسلان بن محمد الكاتب

أبو الحسن بن أبي علي المنتجب من أهل مرو، كاتب مليح الخط فصيح العبارة، وله شعر وترسل وبلاغة في غاية الحسن، سافر إلى العراق وجال في بلاده، ولعله ما رأى مثل نفسه في فنه، سمع بمرو أبا علي إسماعيل بن أحمد ابن الحسين البيهقي وغيره. قال أبو سعد: اجتمعت معه ببغداد بالمقتدية وكتب لي شيئاً من شعره، وكان حفظة يسمع أربعين بيتاً فيحفظها، اجتمعت فيه أسباب المنادمة والكتابة وصحبة الملوك، له هذا البيت الفرد:

وأما الحشا مني فإني امتحنتها ... وأدنيت منها الجمر فاحترق الجمر

وله:

إذا المرء لم تغن العفاة صلاته ... ولم يرغم القوم العدى سطواته

ولم يرض في الدنيا صديقاً ولم يكن ... شفيعاً له في الحشر منه نجاته

فإن شاء فليهلك وإن شاء فليعش ... فسيان عندي موته وحياته

قتل في الوقعة الخوارزمشاهية بمرو في ربيع الأول سنة ست وثلاثين وخمسمائة، وله كتاب تعلة المشتاق إلى ساكني العراق. وكان أبوه محمد بن أرسلان أيضاً من الفضلاء النبلاء. وله شعر ورسائل ومدحه الزمخشري ورثاه، وكان يلقب منتجب الملك، فلا أدري أهذا تلقب بلقب أبيه؟ أم يعرف بابن المنتجب. وذكر في تاريخ خوارزم أن منتجب الملك محمد بن أرسلان مات في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة أو قريباً منها.

وذكر الزمخشري في شرح مقاماته: أنشدني الكبير المنتجب أبو علي محمد بن أرسلان لنفسه بيتاً لو وقع في شعر المتقدمين لسيرته الرواة، وخلدته الأئمة في كتبهم، وكم من أخوات له ضيعت بضياع الأدب وقلة النقلة، واتضاع الهمم، وتراجع الأمور على أعقابها.

وبرداه مسجوران مثل هجيره ... كأن ليس فيه بكرة وأصيل

قال: وما أظن البردين وقعا مثل هذا الموقع منذ نطق بهما واضع العربية، ومن شعر منتجب الملك محمد بن أرسلان:

قل للمليحة في الخمار الأحمر ... لا تجهري بدمائنا وتستري

مكنت من حب القلوب ولاية ... فملكتها بتعسف وتجبر

إن تنصفي فلك القلوب رعية ... أو تمنعي حق فمن ذا يجتري

سخرتني وسحرتني بنوافث ... فترفقي بمسخر ومسحر

علي بن محمد بن علي بن أحمد بن مروان

العمراني الخوارزمي أبو الحسن الأديب، يلقب حجة الأفاضل وفخر المشايخ، مات فيما يقارب سنة ستين وخمسمائة. ذكره أبو محمد بن أرسلان في تاريخ خوارزم من خطه فقال: العمراني حجة الأفاضل سيد الأدباء، قدوة مشايخ الفضلاء، المحيط بأسرار الأدب، والمطلع على غوامض كلام العرب، قرأ الأدب على

فخر خوارزم محمود بن عمر الزمخشري فصار أكبر أصحابه، وأوفرهم حظاً من غرائب آدابه، لا يشق غباره في حسن الحظ واللفظ، ولا يسمح عذاره في كثرة السماع والحفظ، سمع الحديث من فخر خوارزم والإمام عمر الترجماني ولد الإمام أبي الحسن علي بن أحمد المخي، والإمام الحسن بن سليمان الخجندي، والقاضي عبد الواحد الباقرجي وغيرهم، وكان ولوعاً بالسماع كتوباً، وجعل في آخر عمره أيامه مقصورة وأوقاته موقوفة على نشر العلم وإفادته لطالبيه، وإفاضته على الراغبين فيه. فحول العلماء يرجعون إليه ويقرؤون عليه، ويفزعون في حل المشكلات وشرح المعضلات إليه، وهو مع العلم الغزير والفضل الكثير علم في الدين والصلاح المتين، وإنه في الزهادة والسداد وحسن الاعتقاد أطهر أقرانه ذيلاً من العيوب، وأنقاهم جيباً عن اقتراف الذنوب، وكان يذهب مذهب الرأي والعدل، وله شعر حسن، فمن قوله في صباه في مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين يعارض قصيدة كعب ابن زهير:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول
أضاء برق وسجف الليل مسدول ... كما يهز اليماني وهو مصقول
فهاج وجدي بسعدي وهي نائية ... عني وقلبي بالأشواق متبول
لم يبق لي مذ تولى الظعن باكرة ... صبر، ولم يبق لي قلب ومعقول

مهما تذكرتها فاض الجمان على ... خدي حتى نجاد السيف مبلول
ما أنس لا أنس إذ تجلو عوارضها ... والجفن بالإثمد الهندي مكحول
ظمأى الموشح ريان مخلخلها ... عيل مؤزرها والمتن مجدول
كأنما هي إذ ترخى ذوائبها ... بدر عليها رواق الليل مسدول
كأنما ثغرها در إذا ابتسمت ... وريقها سحراً بالراح معلول
يا حبذا زمن فيه نسر بها ... والشعب ملتئم والحبل موصول

ومنها في مدح النبي صلى الله عليه وسلم:

هدى إلى دين إبراهيم أمته ... وكلهم بعقال الشرك معقول
وكل أصحابه أهوى وأمنحهم ... ودي، ومبغضهم في الدين مدخول
وصاحب المصطفى في الغار يتبعه ... وهو الذي ماله في الله مبذول
وتلوه عمر الفاروق أزهر، إن ... رآه إبليس ولى وهو مخذول
وأفتدي بابن عفان الذي فريت ... أوداجه وهو بالقرآن مشغول
وبالوصي ابن عم المصطفى فله ... مناقب جمة في شرحها طول
وإن أقضاهم قد كان أفضلهم ... فانظر فذا عن رسول الله منقول
محبتي لهم ديني ومعتقدي ... فإن أزغ عنهم غالتني الغول

ولهذا الإمام أشعار من هذا النمط ترك الكاغد أبيض حير من تسويده بها، وله تصانيف حسان منها: كتاب المواضع والبلدان، كتاب في تفسير القرآن، كتاب اشتقاق الأسماء.

ومن شعره الذي أورده لنفسه في كتاب البلدان:

رأيتك تدعي علم العروض ... كأنك لست منها في عروض

فكم تزري بشعر مستقيم ... صحيح في موازين العروض

كأنك لم تحط مذ كنت علماً ... بمخبون الضروب ولا العروض

علي بن محمد أبو الحسن السخاوي

وسخا قرية من قرى مصر، كان مبدؤه الاشتغال بالفقه على مذهب مالك بمصر، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي وسكن بمسجد بالقرافة يؤم فيه مدة طويلة، فلما وصل الشيخ أبو القاسم الشاطبي إلى تلك الديار واشتهر أمره، لازمه مدة وقرأ عليه القرآن بالروايات، وتلقن منه قصيدته المشهورة في القراءات، وكان يعلم أولاد الأمير ابن موسك، وانتقل معه إلى دمشق واشتهر بها بعلم القرآن، وعاود قراءة القرآن على تاج الدين أبي اليمن الكندي ولازمه، وقرأ عليه جملة وافرة من سماعاته في الأدب وغيره، وصار له حلقة بالجامع بدمشق، وتردد إليه الناس للتأدب وشرع في التصنيف، فله كتاب الوحيد في شرح القصيد يريد قصيدة الشاطبي، وبسط القول وطول في مجلدتين، كتاب شرح المفصل، كتاب في تفسير القرآن، وكتبت هذه الترجمة في سنة تسع عشرة وستمائة وهو بدمشق كهل يحيا.

علي بن محمد بن علي الفصيحي

أبو الحسن، من أهل أستراباذ وهي مدينة من طبرستان ورأس قصبتها، قرأ النحو على عبد القاهر الجرجاني، وأخذ عنه أبو نزار النحوي والحيص بيص الشاعر.

ومات فيما ذكره السلفي الحافظ يوم الأربعاء ثالث عشر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة، وقدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته، ودرس النحو بالناظمية بعد الشيخ أبي زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، ثم اتهم بالتشيع فقيل له في ذلك، فقال: لا أجحد، أنا متشيع من الفرق إلى القدم فأخرج من النظامية، ورتب مكانه الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي، فكان المتعلمون يقصدون داره التي انتقل إليها للقراءة عليه فقال لهم يوماً: داري بكرا، وخيزي بشرا، وقد جئتم تتدحرجون إلي، فاذهبوا إلى من عزلنا به.

وسمي بالفصيحي لكثرة دراسته كتاب الفصيح لثعلب وصار له به أنس، حتى أنه دخل يوماً على مريض يعوده، فقال شفاه، وسبق على لسانه: وأرخيت الستر، لاعتياده كثرة إعادته.

وقد روى الفصيحي عن أبي الحسن الخطيب الأقطع إنشاداً سمعه منه ابن سلفة الأصفهاني الحافظ ببغداد وقال: جالسته وسألته عن أحرف من العربية. وروى عنه في مشيخة بغداد وهو الذي عرفنا أن اسم أبيه محمد، وإلا فلا يعرف إلا بعلي بن أبي زيد الفصيحي فقط.

قرأت في كتاب سرعة الجواب ومداعبة الأحباب تصنيف الحسن بن جعفر بن عبد الصمد بن المتوكل بخطه: أنشدني الشيخ الإمام أبو الحسن علي بن أبي زيد الفصيحي وقد عاتبته على الوحدة فقال:

الله أحمد شاكراً ... فبلاؤه حسن جميل
أصبحت مستوراً معا ... فى بين أنعمه أجول
خلواً من الأحزان خف ... ف الظهر يقنعني القليل
حراً فلا من لمخ ... لوق علي ولا سبيل
لم يشقني حرص على الد ... دنيا ولا أمل طويل
سيان عندي ذو الغنى ال ... متلاف والرجل البخيل
ونفيت باليأس المنى ... عني فطاب لي المقيل
والناس كلهم لمن ... خفت مئونته خليل

ومن كتابه أنشدنا الإمام أبو الحسن علي بن أبي زيد في المذاكرة وقد رقي إليه كلام قبيح عن بعض أصدقائه فقال مستشهداً:

إني إذا ما الخليل أحدث لي ... صرماً ومل الصفاء أو قطعا
لا أحتسي ماءه على رنق ... ولا يراني لبينه جزعا
أهجره ثم ينقضي زمن ال ... هجران عنا ولم أقل قذعا
إحذر وصال اللئيم إن له ... عضهاً إذا حبل ذكره انقطعا

وقرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب، قال الشيخ أبو منصور موهوب بن أحمد وقد جرى ذكر الشيخ أبي الحسن ابن أبي زيد الأستراباذي المعروف بالفصيحي صاحب عبد القاهر الجرجاني – رحمهم الله – ، قال لي الشيخ أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي – رحمه الله – : إنه حضر معه أعني الفصيحي حلقة يباع فيها الكتب، فنودي على كتاب فيه شيء من مصنفات أبي طالب المفضل بن سلمة بن عاصم وراق الفراء وعليه اسم المفضل منسوباً إلى النحو، فقيل النحوي، فأخذه الفصيحي وناولنيه، يقوله أبو زكريا. وقال لي كلمستهزئ: النحوي، أي قد نسبته إلى النحو وهو عنده مقصر أي لا يستحق هذا الوصف. قال: فقلت: تكون أنت نحوياً ولا يكون المفضل منسوباً إلى النحو.

قال الشيخ أبو محمد: لا شبهة في أن الذي حمل الفصيحي على الغض بهذا القول من المفضل: أنه قد وقف على شيء من كلامه في بعض مصنفاته مما يتسمح به أهل الكوفة مما يراه أهل البصرة خطأ أو كالخطأ، وذاك مما لا يحتمله الفصيحي ولا شيخه عبد القاهر، ولا شيخه ابن عبد الوارث أبو الحسين فيغضوا عليه، لأن طريقتهم التي يسلكونها في الصناعة منحرفة عن طريقة المفضل ومن جرى في أسلوبه كل الانحراف.

قال الشيخ أبو محمد بن الخشاب: وعلي أنني قرأت أنا بخط المفضل في كتابه الذي سماه البارع في الرد على كتاب العين في اللغة أشياء تدل على قصوره في الصناعة وضعفه في قياسها، منها: أنه ذكر الحروف التي جاءت لمعان بعد أن ذكر أبنية الكلام فقال: والحد الثالث من الكلام الأحداث، وهي التي يسميها أهل

البصرة حروف المعاني، فيها ما هو على ثلاثة أحرف نحو إن وليت وكيف وأين، فعد كما ترى كيف وأين في حروف المعاني وهذا سهل عندهم، ثم قال: ومنها ما هو على أربعة أحرف نحو حاشا ولولا، ومنها ما هو على خمسة أحرف نحو ما خلا وما عدا. وجعله الحرفين مع ما واحداً، وعده لهما فيما بني من أصول الكلم على خمسة أحرف من أفحش الخطأ وأنزله، ولو وفق لذكر لكن ومثل بها، فليس في حروف المعاني ما هو على خمسة أحرف سوى لكن. ومرت بي فيما قرأته بخطه أشياء غير هذا تجري في التسمح مجراه.

قرأت بخط الشيخ أبي محمد بن الخشاب: كان أبو الحسن علي بن أبي زيد الأستراباذي المعروف بالفصيحي يوقل في الشجة التي تعرف عندهم بالمنقلة، وهي التي تنقل منها العظام إنها المنقله بكسر القاف، ويرى كونها على صيغة الفاعل لا المفعول هو الوجه، ولا يجيز غيره ويقول: الشجاج كلها إنما جاءت على صيغة الفاعل كالحارسة والدامية والدامعة والدامغة والباضعة والمتلاحمة والموضحة والمفرشة وأشباههن. قال: وكذا ينبغي أن تكون المنقلة بكسر القاف وكأنها عنده رواية عضدها قياس. قال: وكان شيخنا موهوب بن أحمد رضي الله عنه ينعى ذلك عليه ويعده تصحيفاً ويضبط اللفظة بفتح القاف على أنها صيغة مفعول ويكتب فوق القاف ما هذه صورته: فتح. ويقول: أي قياس مع الرواية هذا؟ وهي تنقل منها العظام فيعلق أيضاً بالتفسير، ولعمري إن الأشهر فيها الفتح وهذا ذكره أبو عبيد وابن السكيت عن الأصمعي. قال: ثم المنقلة وهي التي يخرج منها العظام، وكان شيخنا موهوب رحمه الله يرى الكسر في قاف المنقلة تصحيفاً محضاً لا وجه له، على أن أبا محمد ابن درستويه قد حكى عنه الكسر كما قال الفصيحي.

قال: وقرأت بخط العبدري وأخبرني به في كتابه قال: سمعت محمد بن العال اللغوي يقول: رويت بالوجهين معاً. وحكى العبدري الكسر عن ابن درستويه أيضاً، ولست أدري هل تعلق الفصيحي فيما ذهب إليه بقول ابن درستويه أو غيره ممن لعله حكى الكسر أم لا؟ وهل رغب شيخنا موهوب عن الكسر بعد أن علم أنه قد حكي ولم يعتد بمكانة من حكاه أم لا؟ والأشبه أنه لا يكون بلغه، فإنه قلما كان يدفع قولاً لمتقدم ولو ضعف. وأنا أقول: إن النزاع في هذه اللفظة وشبهها المرجع فيه إلى محض الرواية عنهم، والمعول في ذلك على ما يضبطه الإثبات فيها، وقد قدمت أن من المشهور فيها الفتح كما قال شيخنا موهوب، ولا حجة له في أنهم فسروها بأنها تخرج منها العظام وتنقل، فإنا لو خلينا وهذا الحجاج ووكلنا في إثبات لغة الفتح إليه لكان للخصم أن يقول: إن الشجة وهي الضربة التي أدت إلى نقل العظام فهي المنقلة لأنها حملة على المنقل، ولا حجة لشيخنا الفصيحي أيضاً مع اشتهار الفتح فيها في حمله إياها على الفاعل من نظائرها، لأنهم قالوا في الآمة: المأمومة كما قال يصف ضربة:

يحج مأمومة في قعرها لجف ... فاست الطبيب قذاها كالمغاريد

على أنه يمكن أن يتأول المأمومة على معنى: يحج هامة مأمومة، وقد قالوا في المشجوج نفسه مأموم وأميم، والظاهر أنه أراد الشجة، وقد جاء في الشجاج ما ليس على صيغة فاعل ولا مفعول السمحاق، فهل هذه إلا محض رواية في التسمية؟ وإن كان منقولاً، فاعرف ما قال شيخانا – رحمهما الله – وقلناه، ومن الله عز وجل نستمد التوفيق.

ومن خط ابن المتوكل: حدثني الشيخ الإمام الفصيحي قال: رأيت بعض الموسوسين في المارستان وفي إبهامه أثر الحناء دون أصابعه فقلت له: ما معنى الحناء في الإبهام دون سائر الأصابع؟ فأنشدني:

وخاضبة إبهامها دون غيره ... رأتني وقد أعيا علي تصبري

فقلت لها: الإبهام ما اسم خضابه ... فقالت: يسمى عضة المتفكر

علي بن محمد بن علي بن السكون

الحلي أبو الحسن، من حلة بني مزيد بأرض بابل، كان عارفاً بالنحو واللغة، حسن الفهم جيد النقل، حريصاً على تصحيح الكتب، لم يضغ قط في طرسه إلا ما وعاه قلبه، وفهمه لبه، وكان يجيد قول الشعر. وحكى لي عنه الفصيح ابن علي الشاعر أنه كان نصيرياً. قال لي: ومات في حدود سنة ستمائة، وله تصانيف.

علي بن محمد بن يوسف بن خروف

الأندلسي الرندي النحوي، مشهور في بلاده مذكور بالعلم والفهم، مات فيما أخبرني به الفقيه شمس الدين أبو إسحاق إبراهيم بن يوسف الغماري غيلة في سنة ست وستمائة بإشبيلية عن خمس وثمانين سنة، وكان قد تغير عقله حتى مشى في الأسواق مكشوف الرأس والعورة، وأخذ النحو عن الأستاذ أبي الحسن بن طاهر المعروف بالخدب صاحب الحواشي على كتاب سيبويه بمدينة فارس، وكان ابن خروف خياطاً إذا اكتسب منها شيئاً قسم ما يحصل له نصفين بينه وبين أستاذه، وكان في خلقه زعارة وسوء عشرة، ولم يتزوج قط، وكان يسكن الخانات.

قال: وحدثني ببدء اشتغاله أبو القاسم عبد الرحمن بن يخلف السلاوي – مدينة بالعدوة من المغرب – ، قال: إنه أول يوم دخل على أبي طاهر شكا إليه الفقر وقال: إنك لتأخذ مني أكثر مما تأخذ من الأعيان. فقال: شرك أعظم من شرهم علي في المجلس، وكان يأمرني بنقل الماء إلى المسجد إذا احتاج إلى استعماله فأقول له في ذلك فيقول: لا أحب أن تجلس بغير شغل، ولم يتخذ بلداً موطناً بل كان ينتقل في البلاد في طلب التجارة، وله تصانيف منها: كتاب شرح سيبويه حمله إلى صاحب المغرب فأعطاه ألف دينار، وله كتاب شرح الجمل في جلد واحد.

علي بن معقل أبو الحسن

ذكره الحبال في كتاب الوفيات فقال: أبو الحسن بن معقل الأديب الكاتب صاحب أبي علي الفارسي ولم يذكر اسمه، فكتبته أنا كما ترى بالوهم إلى أن يصح، قال: مات في ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

علي بن المغيرة الأثرم أبو الحسن

كان صاحب كتب مصححة قد لقي بها العلماء وضبط ما ضمنها، ولك يكن له حفظ، لقي أبا عبيدة والأصمعي وأخذ عنهما، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وهي السنة التي مات فيها الواثق، وله من الكتب: كتاب النوادر، كتاب غريب الحديث.

وحدث أبو مسحل عبد الوهاب قال: كان إسماعيل بن صبيح الكاتب قد أقدم أبا عبيدة من البصرة في أيام الرشيد إلى بغداد، وأحضر الأثرم وهو يومئذ وراق وجعله في دار من دوره وأغلق عليه الباب ودفع إليه كتب أبي عبيدة وأمره بنسخها، فكنت أنا وجماعة من أصحابنا نصير إلى الأثرم فيدفع إلينا الكتاب والورق الأبيض من عنده، ويسألنا نسخه وتعجيله ويوافقنا على الوقت الذي نرده إليه فكنا نفعل ذلك، وكان الأثرم يقرأ على أبي عبيدة، وكان أبو عبيدة من أضن الناس بكتبه، ولو علم ما فعله الأثرم لمنعه من ذلك، وكان الأثرم يقول الشعر، فمن قوله:

كبرت وجاء الشيب والضعف والبلى ... وكل امرئ يبلى إذا عاش ما عشت
أقول وقد جاوزت تسعين حجة: ... كأن لم أكن فيها وليداً وقد كنت
وأنكرت لما أن مضى جل قوتي ... وتزداد ضعفاً قوتي كلما زدت
كأني إذا أسرعت في المشي واقف ... لقرب خطى ما مسها قصراً وقت
وصرت أخاف الشيء كان يخافني ... أعد من الموتى لضعفي وما مت
وأسهر من برد الفراش ولينه ... وإن كنت بين القوم في مجلس نمت

علي بن منجب بن سليمان الصيرفي

أبو القاسم أحد فضلاء المصريين وبلغائهم، مسلم ذلك له غير منازع فيه، وكان أبوه صيرفياً واشتهى هو الكتابة فمهر فيها، مات في أيام الصالح بن رزيك بعد خمسين وخمسمائة وقد اشتهر ذكره وعلا شأنه في البلاغة والشعر والخط، فإنه كتب خطاً مليحاً وسلك فيه طريقة غريبة، واشتغل بكتابة الجيش والخراج مدة، ثم استخدمه الأفضل بن أمير الجيوش وزير المصريين في ديوان المكاتبات ورفع من قدره وشهره، ثم إنه أراد أن يعزل الشيخ ابن أبي أسامة عن ديوان الإنشاء ويفرد ابن الصيرفي به، واستشار في ذلك بعض خواصه ومن يأنس به فقال له: إن قدرت أن تفدي ابن أبي أسامة من الموت يوماً واحداً بنصف مملكتك فافعل ذلك، ولا تخل الدولة منه فإنه جمالها، فأضرب عن ابن الصيرفي ومات الأفضل، وخدم المسمى بالخلافة بمصر، ولابن الصيرفي من التصانيف: كتاب الإشارة فيمن نال رتبة الوزارة، كتاب عمدة المحادثة، كتاب عقائل الفضائل، كتاب استنزال الرحمة، كتاب منائح القرائح، كتاب رد المظالم، كتاب لمح الملح، كتاب في السكر، وله غير ذلك من التصانيف، وله اختيارات كثيرة لدواوين الشعراء كديوان ابن السراج، وأبي العلاء المعري وغيرهما. ومن شعره قوله:

لما غدوت مليك الأرض أفضل من ... جلت مفاخره عن كل إطراء
تغايرت أدوات النطق فيك على ... ما يصنع الناس من نظم وإنشاء

وله:

لا يبلغ الغاية القصوى بهمته ... إلا أخو الحرب والجرد السلاهيب
يطوي حشاه إذا ما الليل عانقه ... على وشيج من الحظي مخضوب
وله:
هذي مناقب قد أغناه أيسرها ... عن الذي شرعت آباؤه الأول
قد جاوزت مطلع الجوزاء وارتفعت ... بحيث ينحط عنها الحوت والحمل

ولابن الصيرفي رسائل أنشأها عن ملوك مصر تزيد على أربع مجلدات.

علي بن منصور بن عبيد الله الخطيبي

المعروف بالأجل اللغوي يكنى أبا علي، الأصبهاني الأصل بغدادي المولد والمنشأ، عالم فاضل لغوي فقيه كاتب مقيم بالنظامية، قرأ على ابن القصار وأبي البركات الأنباري وغيرهما، وتفقه على مذهب الشافعي بالنظامية ولا أعلم له في زمانه نظيراً في علم اللغة، فإنه حدثني أنه كان في صباه يكتب كل يوم نصف جزء خمس قوائم من كتاب مجمل اللغة لابن فارس ويحفظه ويقرؤه على علي بن عبد الرحيم السلمي المعروف بابن القصار، حتى أنهى الكتاب حفظاً وكتابة، وحفظ إصلاح المنطق في أيسر مدة، وحفظ غير ذلك من كتب اللغة والفقه والنحو، وطالع أكثر كتب الأدب، وهو حفظة لكثير من الأشعار والأخبار، ممتع المحاضرة إلا أنه لا يتصدى للإقراء، ولقد سألته في ذلك وخضعت إليه بكل وجه فلم ينقد لذلك، ولا يكاد أحد يراه جالساً وإنما هو في جميع أوقاته قائم على رجله في النظامية، ولو جلس للإقراء لأحيا علوم الأدب، ولضربت إليه آباط الإبل في الطلب، بلغني أن مولده سنة سبع وأربعين وخمسمائة.
أنشدني أبو الحسن علي بن الحسين بن علي الستجاوي يعرف بابن ذنابة قال: أنشدني الأجل علي بن منصور اللغوي لنفسه:
فؤاد معنى بالعيون الفواتر ... وصبوة باد مغرم بالحواضر
سميران ذادا عن جفون متيم ... كراها وباتا عنده شر سامر
وأنشدني قال أنشدني لنفسه:
لمن غزال بأعلى رامة سنحا؟ ... فعاود القلب سكر كان منه صحا
مقسم بين أضداد فطرته ... جنح وغرته في الجنح ضوء ضحا

علي بن منصور بن طالب الحلبي

الملقب دوخلة يعرف بابن القارح، وهو الذي كتب إلى أبي العلاء رسالة مشهورة تعرف برسالة ابن القارح، وأجابه عنها أبو العلاء برسالة الغفران، يكنى أبا الحسن. قال ابن عبد الرحيم: هو شيخ من أهل الأدب شاهدناه ببغداد، راوية للأخبار وحافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والأشعار قئوماً بالنحو، وكان ممن خدم أبا علي الفارسي في داره وهو صبي، ثم لازمه وقرأ عليه على زعمه جميع كتبه وسماعاته، وكانت معيشته من

التعليم بالشام ومصر، وكان يحكي أنه كان مؤدباً لأبي القاسم المغربي الذي وزر ببغداد، لقاه الله سيئ أفعاله كذا قال.

وله فيه هجو كثير، وكان يذمه ويعدد معايبه، وشعره يجري مجرى شعر المعلمين، قليل الحلاوة خالياً من الطلاوة، وكان آخر عهدي به بتكريت في سنة إحدى وستين وأربعمائة فإنا كنا مقيمين بها، واجتاز بنا وأقام عندنا مدة ثم توجه إلى الموصل، وبلغتني وفاته من بعد، وكان يذكر أن مولده بحلب سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة. ولم يتزوج ولا أعقب، وجميع ما أورده من شعره مما أنشدنيه لنفسه، فمنه في الشمعة:

لقد أشبهتني شمعة في صبابتي ... وفي طول ما ألقى وما أتوقع

نحول وحرق في فناء ووحدة ... وتسهيد عين واصفرار وأدمع

ومنه في هجو المغربي:

لقبت بالكمال ستراً على ... نقصك كالباني على الخص

فصرت كالكنف إذا شيدت ... بيض أعلاهن بالجص

ياعرة الدنيا بلا غرة ... ويا طويس الشؤم والحرص

قتلت أهليك وأنهبت بي ... ت الله بالموصل تستعصي

وله في المداعبة:

أين من كان موضع الأير إجلا ... لاً على الرأس عنده وبياس؟

أين من كان عارفاً بمقادي ... ر الأيور الكبار مات الناس؟

وله:

يا رمحها العسال بل يا سيفها ال ... قصال نارك ليس تخبو

يا عاقد المنن الرغا ... ب على الرقاب لهن سحب

كفروك ما أوليتهم ... والرب يشكر ما ترب

وسئل أن يجيز قول الشاعر:

لعل الذي تخشاه يوماً به تنجو ... ويأتيك ما ترجوه من حيث لا ترجو

فقال:

فثق بحكيم لا مرد لحكمه ... فما لك في المقدور دخل ولا خرج

وكان بينه وبين الكسروي مهاترة ومهاجاة ومماظة، فمن قوله:

إذا الكسروي بدا مقبلاً ... وفي يده ذيل دراعته

وقد لبس العجب مستنوكاً ... يتيه ويختال في مشيته

فلا يمنعنك بأواؤه ... ضراطاً يقعقع في لحيته

وله:

الصيمري دقيق الفكر في اللقم ... يقول كم عندكم لوناً وكم وكم؟

يسعى إلى من يرى إكثاراه وكذا ... نراه ذاك وما هاذاك من عدم
يلقى الوعيد بما يلقى البشوش به ... وذاك والله بخل ليس بالأمم

قال: وحدثني قال: كنت أؤدب ولدي الحسين بن جوهر القائد بمصر، وكانا مختصين بالحاكم وآنسين به، فعملت قصيدة وسألت المسمى منهما جعفراً – وكان من أحسن الناس وجهاً ويقال: إن الحاكم كان يميل إليه – أن يوصلها ففعل وعرضها علي فقال: من هذا؟ فقال: مؤدبي. قال: يعطى ألف دينار. واتفق أن المعروف بابن مقشر الطبيب كان حاضراً فقال: لا تقلوا على خزائن أمير المؤمنين، يكفيه النصف، فأعطيت خمسمائة دينار. وحدثني ابن جوهر بالحديث، وكانت القصيدة على وزن منهوكة؟ أبي نواس أقول فيها:

إن الزمان قد نضر ... بالحاكم الملك الأغر
في كفه عضب ذكر ... فقد عدا على القصر
من غره على الغرر ... يمضي كما يمضي القدر
في سرعة الطرف نظر ... أو السحاب المنهمر
بادر إنفاق البدر ... بدر إذا لاح بهر

وهي طويلة، واتفق أن الطبيب المذكور لحقته بعد هذا بأيام شقفة وهي التي تسمى التراقي، ويقال لها قملة النسر، فمات منها وكان نصرانياً فقلت:

لما غدا يستخف رضوى ... تيهاً وكبراً لجهد ربه
أصماه صرف الردى بسهم ... عاجله قبل وقت نحبه
بشقفة بين منكبيه ... رشاؤها في قليب قلبه

علي بن مهدي بن علي بن مهدي الكسروي

أبو الحسن الأصفهاني، معلم ولد أبي الحسن علي بن يحيى بن المنجم وأحد الرواة العلماء النحويين الشعراء، مات في أيام بدر المعتضدي على أصبهان. قال حمزة: علي بن مهدي الكسروي وهو ابن أخت علي بن عاصم بن الحريس، وكان متصلاً ببدر المعتضدي، وفي أيامه مات يعني أيامه على أصبهان، وكان قد ولى أصبهان. سنة ثلاث وثمانين ومائتين أيام المعتضد إلى أن ولي ابنه المكتفي سنة تسع وثمانين ومائتين، قال ابن أبي طاهر: وكان الكسروي أديباً ظريفاً حافظاً راوية شاعراً عالماً بكتاب العين خاصة، وكان يؤدب هارون بن علي بن يحيى النديم، واتصل بأبي النجم المعتضدي مولى المعتضد وتوفي في خلافته، وذكره المرزباني فقال: حدثني علي بن هارون عن أبيه وعمه قالا: كان أبو الحسن علي بن يحيى ابن المنجم جالساً يوماً وبحضرته من لا يخلو مجلسه منه من الشعراء كأحمد بن أبي طاهر، وأحمد بن أبي فنن وأبي علي البصير، وأبي هفان المهومي والهدادي، وهو ابن عمه أي أبي هفان، وابن العلاف، وأبي الطريف، وأحمد بن أبي كامل خال ولد أبي الحسن، وعلي بن مهدي الكسروي وكان معلم ولده، فأنشد الجماعة بيتاً ذكر أنه مر به مفرداً فاستحسنه وأحب أن يضاف إليه بيت آخر يصل معناه ويزيد في الإمتاع به وهو:

ليهنك أني لم أجد لك عائباً ... سوى حاسد والحاسدون كثير

فبدره علي بن مهدي من بين الجماعة وقال:

وإنك مثل الغيث أما وقوعه ... فخصب وأما ماؤه فطهور

فاستحسنه أبو الحسن وضمه إلى البيت الأول، وكان أبو العبيس بن حمدون حاضراً فقال له: الصنعة فيهما عليك، فطلب عوداً وانفرد فصنع فيه رمله المشهور. وحدث عن الصولي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي الأصبهاني:

وما نازح يالصين أدنى محله ... يقصر عنه كل ماش وطائر

محا اليأس منه كل ذكر فلم تكد ... تصوره للقلب أيدي الخواطر

بأبعد عندي من أناس وإن دنوا ... وما البعد إلا مثل طول التهاجر

ويشغل عني القصف والراح بعضهم ... مباكرها أو ممسياً كمباكر

إذا طار بين العود والناي طيرة ... فليس لإخوان الصفا بذاكر

قال: فأجابه علي بن مهدي:

أيا سيدي عفواً وحسن إقالة ... فلم يحو أقطار العلا مثل غافر

لعمري لو أن الصين أدنى محلتي ... لما كنت إلا غائباً مثل حاضر

ثنائي لكم عمري ومحض مودتي ... تؤثر آثار الغيوث البواكر

فوالله ما استبهجت بعدك مجلساً ... ولا بقيت لذاته في ضمائري

ولست كمن ينسيه أهل صفائه ... سماع الحسان واصطحاب المزاهر

وكيف تناسى سيد لي ثناؤه ... منوط بأحشائي وسمعي وناظري

وحدث عن عبد الله بن يحيى العسكري عن أحمد بن سعيد الدمشقي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي الكسروي:

يا باخلاً بكتابه ورسوله ... أأردت تجعل في الفراق فراقاً؟

إن العهود تموت إن لم تحيها ... والنأي يحدث للفتى إخلاقاً

قال: فكتب إليه علي بن مهدي:

لا والذي أنت أسنى من أمجده ... عندي وأوفاهم عهداً وميثاقاً

ما حلت عن خير ما قد كنت تعهده ... ولا تبدلت بعد النأي أخلاقاً

وحدث عن علي عن عبد الله بن المعتز قال: كتب إلى علي بن مهدي الكسروي في يوم مهرجان:

نعمت بما تهوى ونلت الذي ترضى ... ولقيت ما ترضى ووقيت ما تخشى

ولست بما ألقى من الخير كله ... أسر، وأحظى سيدي بالذي تلقى

ويعلم علام الخفيات أنني ... أعدك ذخراً للممات وللمحيا

وأني لو أهدي على قدر نيتي ... لكان الذي أهديه حظي من الدنيا

وحدث عن العسكري عن ابن سعيد الدمشقي قال: كتب عبد الله بن المعتز إلى علي بن مهدي:

أبا حسن أنت ابن مهدي فارس ... فرفقاً بنا لست ابن مهدي هاشم
وأنت أخ في يوم لهو ولذة ... ولست أخاً عند الأمور الأعاظم
فأجابه علي:
أيا سيدي إن ابن مهدي فارس ... فداء ومن يهوى لمهدي هاشم
بلوت أخاً في كل أمر تحبه ... ولم تبله عند الأمور الأعاظم
وإنك لو نبهته لملمة ... لأنساك صولات الأسود الضراغم
قال: وقال محمد بن داود: ان علي بن مهدي يؤدب وهو أحد الرواة للأخبار وهو القائل:
ولما أبى أن يستقيم وصلته ... على حالتيه مكرهاً غير طائع
حذاراً عليه أن يميل بوده ... فأبلى بقلب. لست عنه بنازع
فأصبح كالظمآن يهريق ماءه ... لضوء سراب في المهامه لامع
فلا الماء أبقى للحياة ولا أتى ... على منهل يجدي عليه بنافع
وله:
ومودع يوم الفراق بلحظه ... شرق من العبرات ما يتكلم
متقلب نحو الحبيب بطرفه ... لا يستطيع إشارة فيسلم
نطق الضمير بما أرادا عنهما ... وكلاهما مما يعاين مفحم
وقال علي بن مهدي يصف العود:
تجري أصابعها على ... ذي منطق أعمى بصير
خرس أصم ونحن من ... نجواه في دهر قصير
فدم صموت ليس يع ... رف ما القبيل من الدبير
ميت ولكن الأكف ... ف تذيقه طعم النشور
وكأنه في حجرها ... طفل تمهد حجر ظير
يومي إليه بنانها ... فتريك ترجمة الضمير
فيرى النفوس معلقا ... ت منه في بم وزير
فإذا لوت آذانه ... جاز الأنين إلى الزفير
قالت له: قل مطرباً ... وعظتك واعظة القتير
فأجابها من حجرها ... وعلتك أبهة الكبير
وله من الكتب: كتاب الخصال وهو مجموع يشتمل على أخبار وحكم وأمثال وأشعار، كتاب مناقضات من زعم أنه لا ينبغي أن يقتدي القضاة في مطامعهم بالأئمة الخلفاء، وقد عزي هذا الكتاب إلى الكسروي الكاتب، كتاب الأعياد والنوازير، كتاب مراسلات الإخوان ومحاورات الخلان وقال الكسروي في ضرطة وهب بن سليمان:
إن وهب بن سليما ... ن بن وهب بن سعيد

حمل الضرط إلى الر ... رى على ظهر البريد
في مهمات أمور ... منه بالركض الشديد
إسته ينطق يوم الحف ... ل بالأمر الرشيد
لم يجد في القول فاحتا ... ج إلى دبر مجيد

ومن كتاب أصبهان: قال هارون بن علي بن يحيى: اجتمعنا مع أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر عند علي بن مهدي، فلما أردنا الانصراف أنشأ أبو الفضل يقول:
لولا علي بن مهدي وخلته ... لما اهتدينا إلى ظرف ولا أدب
إذا سقي مترع الكاسات أوهمنا ... بأن غلماننا خير من العرب

علي بن نصر النصراني يعرف بابن الطيب

أبو الحسن الكاتب، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: كان أديباً مصنفاً مات في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وله عدة كتب قال: وكان يذاكرني بها وأحسبه لم يتمم أكثرها، فمن كتبه: كتاب البراعة، كتاب صحبة السلطان أكثر من ألف ورقة، كتاب إصلاح الأخلاق محو من ألف وخمسمائة ورقة يشتمل على حكم وأمثال.

علي بن نصر بن سليمان الزنبقي اللغوي

أبو الحسن أحد الأدباء، رأيت بخطه كتباً أدبية لغوية ونحوية فوجدته حسن الخط متقن الضبط، وكان مقامه بمصر ولعله من أهلها، قرئ عليه كتاب الهمز لأبي زيد الأنصاري بجامع مصر في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

علي بن نصر بن سعد بن محمد الكاتب

أبو تراب، ولد بعكبرا ونشأ بها، ثم انحدر بعد أن بلغ إلى بغداد، وقرأ الأدب والنحو على ابن برهان النحوي، ثم انحدر إلى البصرة وصار كاتباً لنقيب الطالبيين بها، وأقام بالكرخ وولى الكتابة لنقيب الطالبيين إلى أن مات، وكان من أهل الأدب والفضل، مولده في محرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة، وتوفي في جمادى الآخرة سنة ثماني عشرة وخمسمائة، وابنه علي بن نصر بن سعد أبو الحسن بن أبي تراب، وكان كاتب نقيب الطالبيين أيضاً وكان شاعراً، ولد بالبصرة سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة، ومن شعر أبي تراب هذا:
حالي بحمد الله حال جيده ... لكنه من كل خير عاطل
ما قلت للأيام قول معاتب ... والرزق يدفع راحتي ويماطل
إلا وقالت لي مقالة واعظ: ... ألرزق مقسوم وحرصك باطل

علي بن نصر الفندورجي

بن محمد بن عبد الصمد الفندورجي أبو الحسن الأسفرائيني، وفندورج قرية بنواحي نيسابور، سكن إسفرائين وكان يرجع إلى فضل وافر ومعرفة تامة باللغة والأدب وخط وبلاغة، وله شعر مليح رائق ويد باسطة في الكتابة والرسائل، ورد بغداد سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، وأقام بها مدة واقتبس من فضلائها، ورجع إلى خراسان وصار ينشئ الكتب عن ديوان الوزارة، وسئل عن مولده فقال: ولدت سنة تسع وثمانين وأربعمائة بنيسابور.

قال السمعاني ومات في حدود سنة خمسين وخمسمائة ومن شعره:

تحية مزن يتحف الروض سحرة ... بصوب الحيا في كل يوم عليكم

فجسمي معي لكن قلبي أكرموا ... بلطفكم مثواه فهو لديكم

قال السمعاني: أنشدني الفندورجي لنفسه:

سقى الله في أرض اسفرائين عصبتي ... فما تنتهي العلياء إلا إليهم

وجربت كل الناس بعد فراقهم ... فما زدت إلا فرط ضن عليهم

قال السمعاني: وأنشدني لنفسه يبلخ إملاء ونقلته من خطه:

قد قص أجنحة الوفاء وطار من ... وكر الوداد الحض والإخلاص

والحر في شبك الجفاء وماله ... من أسر حادثة رجاء خلاص

كان في آخر جزء بخط السمعاني ما صورته لكاتبه أبي الحسن الفندورجي:

حم الحبيب وآذاه السقام ولم ... أمت كما شاء سلطان الهوى حزنا

بأي عين إذا ما الوصل يجمعنا ... بالطالع السعد ألقى وجهه الحسنا؟

والجفن مني دام لا يصافح إذمس الأذى منه تلك الروح والبدنا

وله أيضاً في المعنى نقلته من خطه:

حم الحبيب وما حم انفصالي عن ... روح وعن بدن يحيا بذكراه

بأي وجه إذا ما الوصل يجمعنا ... ومقلة أتلقاه وألقاه؟

وقرأت بخط أبي سعد، سمعت علب بن نصر النيسابوري مذاكرة بمرو يقول: كنت ببغداد فرأيت أهلها تستحسن هذه الأبيات التي لأبي إسماعيل المنشئ:

ذكرتكم عند الزلال على الظما ... فلم أنتفع من برده ببلال

فأنشأت قصيدة في نقيب النقباء أبي القاسم علي بن طراد الزينبي على هذا الروي أولها:

خليلي زمت للرحيل جمالي ... فقد ضاق في أرض العراق مجالي

وقوداً عتاقاً كالأهلة، إنما ... ديار الندى والمكرمات حوالي

وما أوجبت بغداد حقي وغادرت ... بلابل بعد الظاعنين ببالي

علي بن وصيف الملقب بخشكنانجة الكاتب

من أهل بغداد، وكان أكثر مقامه بالرقة ثم انتقل إلى الموصل وكان من البلغاء، وألف عدة كتب ونحلها عبدان صاحب الإسماعيلية، قال محمد بن إسحق النديم: وكان لي صديقاً وأنيساً ومات بالموصل، وله من الكتب: كتاب الإفصاح والتثقيف في الخراج ورسومه.

علي بن هبة الله بن ماكولا

هو علي بن هبة الله بن جعفر بن علكان بن محمد بن دلف بن أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل بن عمرو بن شيخ بن معاوية بن خزاعي بن عبد العزيز بن دلف بن جشم ابن قيس بن سعد بن عجل بن لجيم بن صعب بن علي ابن بكر بن وائل بن قاسط بن هبت بن أفصى بن دغمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، أبو نصر المعروف بابن ماكولا، وهو ابن الوزير أبي القاسم هبة الله ابن ماكولا وزير جلال الدولة بن بويه، وكان عمه أبو عبد الله الحسن بن جعفر، قاضي القضاة ببغداد الحافظ – أصله من جرباذقان بلدة بين همدان وأصفهان – يلقب بالأمير من بيت الوزارة والقضاة والرياسة القديمة، كان لبيباً عارفاً عالماً، ترشح للحفظ حتى كان يقال له الخطيب الثاني. قال ابن الجوزي: سمعت شيخنا عبد الوهاب يقدح في دينه ويقول: العلم يحتاج إلى دين. صنف كتاب المختلف والمؤتلف، جمع فيه بين كتب الدارقطني وعبد الغني والخطيب، وزاد عليهم زيادات كثيرة، وكان نحوياً مجوداً، وشاعراً مبرزاً، جزل الشعر فصيح الكلام صحيح النقل، ما كان في البغداديين في زمانه مثله، سمع أبا طالب بن غيلان، وأبا بكر بن بشران، وأبا القاسم بن شاهين، وأبا الطيب الطبري، وسافر إلى الشام والسواحل وديار مصر، والجزيرة والثغور الجبال، ودخل بلاد خراسان وما وراء النهر، وطاف في الدنيا وجول في الآفاق.

قال محمد بن طاهر المقدسي: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن سعيد الحبال المصري يمدح ابن ماكولا ويثني عليه ويقول: دخل مصر في زي الكتبة فلم نرفع له رأساً، فلما عرفناه كان من العلماء بهذا الشأن، ورجع إلى بغداد فأقام بها، ثم خرج إلى خوزستان فقتل هناك. كان في صحبته جماعة من مماليكه الأتراك.

قال ابن ناصر: قتل أبو نصر بن ماكولا بالأهواز من نواجي خوزستان، إما في سنة خمس وثمانين وأربعمائة، ومولده بعكبرا في شعبان من سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، ومن مستحسن شعره في التجنيس:

ولما تفرقنا تباكت قلوبنا ... فممسك دمع عند ذاك كساكبه

فيا نفسي الحرى البسي ثوب حسرة ... فراق الذي تهوينه قد كساك به

ومنه:

ترى زمني يدني سليمي فنلتقي؟ ... ونرجع بالشكوى الحديث المناهبا

وهيهات ما بعد الذي قد طلبته ... ومن غاير الأيام كان المناهبا

ومنه:

فؤاد ما يفيق من التصابي ... أطاع غرامه وعصى النواهي

وقالوا: لو تصبر كان يسلو ... وهل صبر يساعد والنواهي؟

ومنه:

أليس وقوفنا بديار هند ... وقد رحل القطين من الدواهي؟
وهند قد غدت داء لقلبي ... إذا صدت ولكن الدوا هي
ومنه:
وهيج أشواقي وما كنت سالياً ... يبرين برق من ذرى الغور أومضا
ذكرت به عيش التصابي وطيبه ... ولست بتناسيه وإن عاد أو مضى
ومن شعره:
علمتني بهجرها الصبر عنها ... فهي مشكورة على التقبيح
وأرادت بذاك قبح صنيع ... فعلته فكان عين المليح
أنشدني أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي قال: أنشدنا عمر بن طبرزاد قال: أنشدني أبو الحسن علي بن هبة الله بن عبد السلام قال: أنشدنا الأمير أبو نصر علي بن هبة الله لنفسه:
قوض خيامك عن أرض تهان بها ... وجانب الذل إن الذل مجتنب
وارحل إذا كانت الأوطان منقصة ... فالمندل الرطب في أوطانه الحطب

قرأت بخط أبي سعيد: أنبأنا أبو نصر يحيى بن خلف الخلقاني: أنبأنا أبو ثابت بنحير بن علي: أنبأنا أبو نصر ابن ماكولا الحافظ، أنشدنا أبو الفرج هبة الله بن الحسن بن محمد العسقلاني بها: أنشدنا أبو علي الحسن بن أحمد بن أبي الناس العسقلاني في صورتين كانتا على كنيسة تعرف بكنيسة ابن مريم على شرقي محملها، والكنيسة عند باب الصوارف بعسقلان:
لو ذقتما طعم العناق لغافصت ... شخصيكما الدنيا بوشك فراق
لم تغفل الأيام حالكما بها ... عمداً لترفيه ولا إشفاق
بل للأمور نهاية علقت بها ... حجزت أوامرها عن الطراق
فإذا انقضت أيامها عادت لها ... تلك الوقاحة أضيق الأطواق
وكأنني بالدهر قد أجراكما ... كبنيه تفريقاً بغير تلاقي
قال: فما مضى لهذا الشعر إلا سنة أو نحوها حتى أمر الحاكم بهدم الكنائس فهدمت، وهدمت هذه الكنيسة وأزيل الشخصان، فأنشدني لنفسه أبياتاً في ذلك يرثيهما بها:
طوبا كما من دميتين تعانقا ... وتفرقا من بعد طول عناق
طال اعتناقهما فما نعما به ... وكذاك ما ألما لوشك فراق
أجرتهما الدنيا بها إذ مثلت ... بمثابة الأولاد في الإشفاق
صانتهما عن كل طارق حادث ... عند الغروب ومبتدا الإشراق
حتى إذا بلغا نهاية موعد ... فلت عناقهما عن الأعناق
ومحت رسومهما كأن لم تمثلا ... للناظرين مرامي الأحداق
حسبي من الأيام معرفتي بها ... وتصرف الحدثان في الآفاق

قال شجاع بن فارس الذهلي: أنشدني الأمير أبو نصر علي بن هبة الله بن ماكولا الحافظ لنفسه:

طالما ظالماً تجنى بحبي ... عاذ عاد عن فنه عن فيه

قال قال فاترك فأبرك هجر ... هجر حب خب نبيه بتيه

صاد صاداً علا علا مأحلا ... ما خلا من بلية من يليه

قال: وأنشدني الأمير لنفسه في الشمعة:

أقول وما لي مسعد غير شمعة ... على طول ليلي ما تريد نزوعا

كلانا نحيل ذو اصفرار معذب ... بنار أسالت من حشاه نجيعا

ألا ساعديني طول ليلك إننا ... سنفنى إذا جاء الصباح جميعا

قال أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الحميدي: ما راجعت أبا بكر الخطيب في شيء إلا وأحالني على الكتاب وقال حتى أبصره، وما راجعت الأمير أبا نصر علي بن هبة الله بن ماكولا في شيء إلا وأجابني حفظاً كأنه يقرأ من كتاب.

قال: وبلغ أبا بكر الخطيب أن ابن ماكولا أخذ عليه في كتابه المؤتنف وصنف في ذلك تصنيفاً وحضر عنده ابن ماكولا وسأله الخطيب عن ذلك فأنكره ولم يتربه وقال: تنسبني الناس إلى ما لا أحسنه من الصنعة، واجتهد الشيخ أبو بكر أن يعترف بذلك، وحكى له ما كان من عبد الغني بن سعيد في تتبعه أوهام الحاكم أبي عبد الله في كتاب المدخل، وحكايات عدة من هذا المعنى. قال: أرني إياه، فإن يكن صوابا استفدته منك ولا أذكره إلا عنك، فأصر على الإنكار وقال: لم يخطر هذا ببالي قط ولم أبلغ هذه الدرجة، أو كما قال.فلما مات الخطيب أظهر كتابه، وهو الذي سماه كتاب تهذيب مستقر الأوهام على ذوي التمني والأحلام، أبو الحسن الدارقطني، وأبو بكر أحمد بن علي الخطيب، وهو في عشرة أجزاء لطاف، وله من التصانيف سوى ما ذكرناه: كتاب الوزراء، كتاب الإكمال في المؤتلف والمختلف.

علي بن هارون بن نصر القرميسيني

النحوي أبو الحسن. أخذ عن علي بن سليمان الأخفش، وأخذا عنه عبد السلام البصري، ومات في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة في خلافة الطائع، ومولده في سنة تسعين ومائتين.

علي بن هارون بن علي

بن يحيى بن أبي منصور المنجم أبو الحسن. قد ذكرنا أباه هارون وأجداده في مواضعهم من الكتاب. قال محمد بن إسحاق النديم: رأيناه وسمعنا منه، وكان راوية شاعراً أديباً ظريفاً متكلماً حبراً، نادم جماعة من الخلفاء وقال لي: مولدي سنة سبع وسبعين ومائتين. وقال ثابت: مولده في صفر سنة ست وسبعين، ومات سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة عن ست وسبعين سنة، وله من الكتب: كتاب النوروز والمهرجان، كتاب الرد على الخليل في العروض، كتاب الرسالة في الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق بن الموصلي في الغناء،

كتاب ابتدأ فيه بنسب أهله عمله للمهلبي الوزير ولم يتم، كتاب اللفظ المحيط ببعض ما لفظ به اللقيط عارض به كتاب أبي الفرج الأصبهاني، كتاب الفرق والمعيار بين الأوغاد والأحرار، كتاب القوافي عمله لعضد الدولة.

وحدث أبو القاسم إسماعيل بن عباد في كتاب الروزنامجة في مجلسه، وقد أعدوا قصيدتين في مدحه فمنعهما من النشيد لأحضره، فأنشدوا وجوداً بعد تشييب كبير وحديث طويل.قال المؤتلف: أراه المهلبي، كان لأبي الحسن رسم – أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته، وعتابه إن طويته، ولأن أحصل عنده في صورة متزيد أحب إلي من أن أحصل عنده في رتبة مقصر – يبتدئ فيقول ببحة عجيبة بعد إرسال دموعه، وتردد الزفرات في حلقه واستدعائه من خود غلامه، منديل عبراته، والله والله وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلها وحرامها وطلاقها وعتاقها، وما ينقلب إليه حرام، وعبيده أحرار لوجه الله تعالى إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله، أو اتفق من عهد أبي داوود الإيادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله، بل عيبه أن محاسنه تتابعت، وبدائعه ترادفت.

وقد كان في الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يحمله، ويسود به شاعره ثم ينشد، فإذا بلغ بيتاً يعجب به ويتعجب منه. وقال أيها الوزير: من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هارون ابن علي بن يحيى بن أبي منصور بن المنجم جليس الخلفاء، وأنيس الوزراء؟ ثم ينشد الابن والأب يعوذه ويهتز له، ويقول أبو عبد الله: أستودعه الله ولي عهدي، وخليفتي بعدي، ولو اشتجر اثنان من مصر وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواه، أمتعنا الله به ورعاه، وحديثه عجيب. وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق، و وفور الأدب والفضل وتمام المروءة والظرف بحال أعجز عن وصفها، وأزل عن جملتها، إنه مع كثرة عياله واختلال أحواله، وطلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبه فامتنع من بيعها وأعتقها وتزوجها، ومن شعر علي بن هارون وكتب بها إلى أبي الحسن علي بن خلف بن طياب:

بيني وبين الدهر فيك عتاب ... سيطول إن لم يمحه الإعتاب
يا غائباً بوصاله وكتابه ... هل يرتجى من غيبتيك إياب
لولا التعلل بالرجاء تقطعت ... نفس عليك شعارها الأوصاب
لا يأس من روح الإله فربما ... يصل القطوع ويحضر الغياب
وإذا دنوت مواصلاً فهو المنى ... سعد المحب وساعد الأحباب
وإذا نأيت فليس لي متعلل ... إلا رسول بالرضا وكتاب

وحدث أبو علي المحسن بن علي التنوخي القاضي في نشوار المحاضرة قال: حدثني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون بن المنجم قال: حدثني أبي قال: كنت وأنا صبي لا أقيم الراء في كلامي وأجعلها غيناً وكانت سني إذ ذاك أربع سنين، أقل أو أكبر، فدخل أبو طالب الفضل ابن سلمة، أو أبو بكر الدمشقي – شك أبو الفتح – إلى أبي وأنا بحضرته، فتكلمت بشيء فيه راء فلثغت فيها، فقال له الرجل: يا سيدي، لم تدع أبا الحسن

يتكلم هكذا؟ فقال له: ما أصنع وهو ألثغ؟ فقال له: – وأنا أسمع وأحصل ما جرى وأضبطه – إن اللثغة لا تصخ مع سلامة الجارحة، وإنما هي عادة سوء تسبق إلى الصبي أول ما يتكلم لجهله بتحقيق الألفاظ وسماعه شيئاً يحتذيه، فإن ترك على ما يستصحبه من ذلك مرن عليه، فصار له طبعاً لا يمكنه التحول عنه، وإن أخذ بتركه في أول نشوه استقام لسانه وزال عنه، وأنا أزيل هذا عن أبي الحسن ولا أرضى فيه بتركك له عليه، ثم قال لي: أخرج لسانك، فأخرجته فتأمله وقال: الجارحة صحيحة، قل يا بني را، واجعل لسانك في سقف حلقك، ففعلت ذلك فلم تستو لي، فما زال يرفق بي مرة ويخشى بي أخرى، وينقل لساني من موضع إلى موضع من فمي، ويأمرني أن أقول الراء فيه، فإن لم يستو لي نقل لساني إلى موضع آخر دفعات كثيرة في زمان طويل حتى قلت راء صحيحة في بعض تلك المواضع، وطالبني وأوصى معلمي بإلزامي ذلك حتى مرن لساني عليه، وذهبت عني اللثغة.

ومن كتاب الروزنامجة قال الصاحب: وتوفرت على عشرة فضلاء البلد، فأول من كارثني أولاد المنجم لفضل أبي احسن علي بن هارون وغزارته، واستكثاري من روايته وطيب سماعه ولذيذ عشرته. فسمعت منه أخباراً عجيبة وحكايات غريبة، ومن ستارته أصواتاً نادرة مشنفة مقرطقة يقول في كل منها:الشعر لفلان، والصنعة لفلان، أخذته هذه عن فلان، أو فلانة، حتى يتصل النسب بإسحاق أو غيره من أبناء جنسه، وكان أكثر ما يعجب به مولاها أبيات له أولها:

ضل الفراق ولا اهتدى ... ونأت فلا دنت النوى

وهوى فلا وجد القرا ... ر معنف أهل الهوى

فاتفق أن سألت أول ما سمعت اللحن فيه عن قائله، فغضب واستشاط، وتنكر واستوفز، ونفر وتنمر وقال: تقول لمن هذا؟ أما يدل على قائله؟ أما يعرب عن جوهره؟ أما ترى أثر بني المنجم على صفحته؟ أما يحميه لألاؤه أو لوذعيته من أن يدال بمن؟ وممن هذا الرجل؟ وذكره المرزباني في المعجم فقال المنجم: وهو القائل:

وإني لأثني النفس عما يريبها ... وأنزل من دار الهوان بمعزل

بهمة نبل لا يرام مكانها ... تحل من العلياء أشرف منزل

ولي منطق إن لجلج القول صائب ... بتكشيف إلباس وتطبيق مفصل

وله يمدح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

وهل خصلة من سؤدد لم يكن لها ... أبو حسن من بينهم ناهضاً قدما؟

فما فاتهم منها به سلموا له ... وما شاركوه كان أوفرهم قسماً

وفي كتاب أبي علي التنوخي: كان أبو أحمد الفضل ابن عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي الكاتب خصيصاً بالوزير أبي علي بن مقلة وكان يعشق مغنية، وكان ينفق عليها جميع ما يتحصل له، وله معها أخبار، وكانت هذه الجارية صفراء واسمها لهجة فشرب معها ليلة وأصبح مخموراً فآثر الجلوس معها، وأراد الاعتذار إلى الوزير ابن مقلة من التأخر عن الخدمة وأن يخفي خبره عنه. فكتب رقعة يعتذر فيها ويقول: إن الصفراء تحركت علي فتأخرت، فوقع على ظهر الرقعة بخطه: أنت تحركت على الصفراء، وليست الصفراء تحركت عليك. قال: وهذا التوقيع يشبه ما أنشدنا علي بن هارون المنجم لنفسه في جاريته صفراء، وقد شكا إلى

الطبيب مرة صفراء، ولا أدري أيهما أخذه من صاحبه:
جس الطبيب يدي وقال مخبراً ... هذا الفتى أودت به الصفراء
فعجبت منه إذ أصاب وما درى ... قولاً وظاهر ما أراد خطاء
قلت أنا: وقريب من هذا قول الوزير المهلبي:
وقالوا للطبيب أشر فإنا ... نعدك للعظيم من الأمور
فقال شفاؤه الرمان مما ... تضمنه حشاه من السعير
فقلت: لهم أصاب بغير قصد ... ولكن ذاك رمان الصدور

وكان لعلي بن هارون ولد يقال له أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون المنجم، كان أديباً فاضلاً إلا أني لم أقف له على تصنيف فلم أفرده بترجمة والمقصود ذكره. وقد ذكر ها هنا، وروى عنه أبو علي التنوخي في نشواره فأكثر وقال: أنشدني أبو الفتح أحمد بن علي بن هارون لنفسه:
ما أنس منها لا أنس موقفها ... وقلبها للفراق ينصدع
وقولها إذ بدا الصباح لها ... قول فزوع أظله الجزع
ما أطول الليل عند فرقتنا ... وأقصر الليل حين نجتمع!!
قال التنوخي: وأنشدني أبو الفتح لنفسه وكتب بها إلى أبي الفرج محمد بن العباس – فسانجس – في وزارته وقد حمل على الأعداء في الأهواز:
قل للوزير سليل المجد والكرم ... ومن له قامت الدنيا على قدم

علي بن هلال الكاتب

المعروف بابن البواب أبو الحسن، صاحب الخط المليح والإذهاب الفائق. وجدت بخط ابن الشبيه العلوي الكاتب صاحب الخط الفائق في آخر ديوان أبي الطمحان القيني بخطه ما صورته: وكتب في صفر سنة عشرين وأربعمائة من خط أبي الحسن علي بن هلال الستري مولى معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي، وهذا قد كان بغير شك معاصره. بلغني أنه كان في أول أمره مزوقاً بصور الدور ثم صور الكتب ثم تعانى الكتابة ففاق فيها المتقدمين وأعجز المتأخرين، وكان يعظ بجامع المنصور، ولما ورد فخر الملك أبو غالب محمد بن خلف الوزير والياً على العراق من قبل بهاء الدولة أبي نصر بن عضد الدولة جعله من ندمائه، وفي الجملة إنه لم يكن في عصره ذاك النفاق الذي له بعد وفاته، وذاك أنني وجدت رقعة بخطه قد كتبها إلى بعض الأعيان يسأله فيها مساعدة صاحبه ابن منصور، وإنجاز وعد وعده به لا يساوي دينارين، وقد بسط القول في ذلك استطلتها فإنها كانت نحو السبعين سطراً فألغيت إثباتها، وقد بيعت بسبعة عشر ديناراً إمامية، وبلغني أنها مرة أخرى بخمسة وعشرين ديناراً. مات فيما ذكره هلال بن المحسن بن الصابئ في جمادى الأولى سنة ثلاث عشرة وأربعمائة، ودفن في جوار قبر أحمد بن حنبل وذلك في خلافة القادر بالله، ورثاه المرتضى بشعر أذكره فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وحدث في كتاب المفاوضة قال: حدثني أبو الحسن علي بن هلال المعروف بابن البواب الكاتب قال: كنت أتصرف في خزانة الكتب لبهاء الدولة بن عضد الدولة بشيراز على اختياري وأراعيها له وأمرها مردود إلى، فرأيت يوماً في جملة أجزاء منبوذة جزءاً مجلداً بأسود قدر السكري ففتحته وإذا هو جزء من ثلاثين جزءاً من القرآن بخط أبي علي بن مقلة، فأعجبني وأفردته فلم أزل أظفر بجزء بعد جزء مختلط في جملة الكتب إلى أن اجتمع تسعة وعشرون جزءاً، وبقي جزء واحد استغرقت تفتيش الخزانة عليه مدة طويلة فلم أظفر به، فعلمت أن المصحف ناقص فأفردته ودخلت إلى بهاء الدولة وقلت: يا مولانا، ههنا رجل يسأل حاجة قريبة لا كلفة فيها، وهي مخاطبة أبي علي الموفق الوزير على معونته في منازعة بينه وبين خصم له، ومعه هدية ظريفة تصلح لمولانا. قال: أي شئ هي؟ قلت مصحف بخط أبي علي بن مقلة. فقال: هاته وأنا أتقدم بما يريد، فأحضرت الأجزاء فأخذ منها واحداً وقال: أذكر وكان في الخزانة ما يشبه هذا وقد ذهب عني، قلت: هذا مصحفك وقصصت عليه القصة في طلبتي له حتى جمعته إلا أنه يقص جزءاً وقلت: هكذا يطرح مصحف بخط أبي علي؟ فقال: لي: فنممه لي. قلت: السمع والطاعة، ولكن على شريطة أنك إذا أبصرت الجزء الناقص منها ولا تعرفه أن تعطيني خلعة ومائة دينار. قال: أفعل. وأخذت المصحف من بين يديه وانصرفت إلى داري، ودخلت الخزانة أقلب الكاغد العتيق وما يشابه كاغد المصحف، وكان فيها من أنواع الكاغد السمرقندي والصيني والعتيق كل ظريف عجيب، فأخذت من الكاغد ما وافقني، وكتبت الجزء وذهبته وعنقت ذهبه، وقلعت جلداً من جزء من الأجزاء فجلدته به وجلدت الذي قلعت منه الجلد وعتقته، ونسي بهاء الدولة المصحف، ومضى على ذلك نحو السنة. فلما كان ذات يوم جرى ذكر أبي علي بن مقلة فقال لي: ما كتبت ذلك؟ قلت: بلى، قال: فأعطنيه: فأحضرت المصحف كاملاً فلم يزل يقلبه جزءاً جزءاً وهو لا يقف على الجزء الذي بخطي ثم قال لي: أيما هو الجزء الذي بخطك؟ قلت له: لا تعرفه فيصغر في عينك، هذا مصحف كامل بخط أبي علي بن مقلة ونكتم سرنا؟ قال: أفعل: وتركه في ربعة عند رأسه ولم يعده إلى الخزانة، وأقمت مطالباً بالخلعة والدنانير وهو يمطلني ويعدني، فلما كان يوماً قلت يا مولانا: في الخزانة بياض صيني وعتيق مقطوع وصحيح، فتعطيني المقطوع منه كله دون الصحيح بالخلعة والدنانير. قال مر وخذه فمضيت وأخذت جميع ما كان فيها من ذلك النوع فكتبت فيه سنين.

كان مزاحاً – وله في هذا الكتاب باب – وعلى بن هلال ووجدت في تاريخ أبي لبفرج بن الجوزي قال: اجتاز أبو الحسن البتي الكاتب و كان مزاحاً – وله في هذا الكتاب باب – وعي ابن هلال جالس على باب الوزير فخر الملك أبي غالب محمد بن خلف ينتظر الإذن. فقال له البتي: جلوس الأستاذ على العتب رعاية للنسب. فغضب ابن البواب وقال: لو أن إلي أمراً ما مكنتك من دخول هذه الدار. فقال البتي: لا يترك الأستاذ صنعة الوالد بحال. ولبعضهم يهجو ابن البواب:

ماذا رأيتم من النساخ متخذاً ... سبال لص على عشون محتال؟

هذا وأنت ابن بواب وذو عدم ... فكيف لو كنت رب الدار والمال؟

وكان ابن البواب يقول شعراً ليناً. – ونقلته من خط الجويني أيضاً قال: ونقلت من خطه أيضاً في ضمن رسالة – منه:

ولو أني أهديت ما هو فرض ... للرئيس الأجل من أمثالي
لنظمت النجوم عقداً إذا رص ... صع غيري جواهراً بلآلي
ثم أهديتها إليه وأقرر ... ت بعجزي في القول والأفعال
غير أني رأيت قدرك يعلو ... عن نظير ومشبه ومثال
فتفاءلت في الهدية بالأق ... لام علماً مني بصدق الفال
فاعتقدها مفاتح الشرق والغر ... ب صريعاً والسهل والأجبال
فهي تستن إن جرين على القر ... طاس بين الأرزاق والآجال
فاختبرها موقعاً برسوم ال ... بر والمكرمات والإفضال
واحظ بالمهرجان وابل جديد الد ... هر في نعمة بغير زوال
وابق للمجد صاعد الجد عزاً ... والرئيس الأجل نجم المعالي

في سرور وغبطة تدع ال ... حاسد منها مقطع الأوصال
عضدتها السعود واستوطن الإق ... بال فيها وسالمتها الليالي
أيها الماجد الكريم الذي يب ... دأ بالعارفات قبل السؤال
إن آلائك الجزيلة عندي ... شرعت لي طريقة في المقال
أمنتني لديك من هجنة الر ... رد وفرط الإضجار والإملال
وحقوق العبيد فرض على الس ... سادة في كل موسم للمعالي
وحياة الثناء تبقى على الده ... ر إذا ما انقضت حياة المال

وكان تحت هذا الشعر بخط الجويني ما صورته: هذا شعر ابن البواب، وهو عورة سترها ذلك الخط، ولولا أن الإجماع واقع في أن الرجل يفتن بشعره وولده، لكان صاحب تلك الفضيلة يرتفع عن هذه النقيصة.

وكتب تلميذه حسن ابن علي الجويني: ولقد عجبت ممن يزري على ذلك الشعر وهو القائل، ونقلته من خطه فقال: كتبت إلى المولى القاضي الأجل شرف الدين السديد عبد الله بن علي – أمتع الله الدنيا وأهلها ببقائه – وقد أبللت من مرضة صعبة:

عبد الإله السديد حقاً ... بغير زور وغير مين
يا شرف الدين يا فريداً ... شرف بالفضل دولتين
يا تاج فخري وكنز فقري ... ويا معيني ونور عيني
قد كدت أقضي أسىً وأمضي ... وكدت تبقى بلا جويني

وكتب حسن بن علي الجويني في ذي القعدة سنة ست وستين وخمسمائة بالديار المصرية – عمرها الله تعالى بدوام العز – : وقال المعري وضرب علي بن هلال مثلاً:

طربت لضوء البارق المتعالي ... ببغداد وهناً ما لهن ومالي؟
فيا برق ليس الكرخ داري وإنما ... رمى بي إليه الدهر منذ ليالي

فهل فيك من ماء المعرة نغبة ... تغيث بها ظمآن ليس نسالي؟
ولاح هلال مثل نون أجادها ... بماء النضار الكاتب ابن هلال
ومنها:
إذا لاخ إيماض سترت وجوهها ... كأني عمرو والمطي سعا لي
هذا بيت مشكل التفسير بعيد المرمى، وذلك أن عمرو بن تميم بن مر بن أد بن طابخة ولد العنبر والهجيم ومازن، تقول العرب إن هؤلاء الأخوة الثلاثة أمهم السعلاة وهي الغولة، وإن عمرو بن تميم تزوجها فولدت له هؤلاء الثلاثة.
ويقولون: إن السعلاة إذا رأت البرق طلبته، وكان عمرو يحفظها من البرق إذا لاح فيغطي وجهها، فغفل عنها مرة فلاح البرق فطلبته وقالت: يا عمرو أوصيك بولدك خيراً، ومضت ولم تعد إليه، فهذا معنى بيت المعري، وقد ضربه بعض المتأخرين أيضاً مثلاً، فقال يمدح رجلاً يعرف بابن بدر بجودة الخط فقال:
يا ابن بدر علوت في الخط قدراً ... حينما قايسوك بابن هلال
ذاك يحكي أباه في النقص لما ... جئت تحكي أباك عند الكمال
قرأت بخط سلامة بن عياض: رأيت بالري بخط علي بن هلال كتاب من نسب من الشعراء إلى أمه لأبي عبد الله بن الأعرابي، وهم خمسون شاعراً، وعلى ظهره: كتبه علي بن هلال في شهر ربيع الأول سنة تسعين وثلاثمائة، وبعد البسملة: يرويه ابن عرفة عن ثعلب عن ابن الأعرابي، وفي آخره بخطه: نقلته من نسخة وجدت عليها بخط شيخنا أبي الفتح عثمان بن جني النحوي – أيده الله – : بلغ عثمان بن جني نسخاً من أوله وعرضاً.
وكان لابن البواب يد باسطة في الكتابة أعني الإنشاء وفصاحة وبراعة، ومن ذلك رسالة أنشأها في الكتابة وكتبها إلى بعض الرؤساء ونقلتها من خط الحسن بن علي الجويني الكاتب أولها:

قد افتتحت خدمة سيدنا الأستاذ الجليل – أطال الله بقاءه وأدام تمكينه وقدرته وتمهيده وكبت عدوه – بالمثال المقترن بهذه الرقعة افتتاحاً يصحبه العذر إلى جليل حضرته من ظهور التقصير فيه، والخلل البادي لمتأمليه، وقد كان من حقوق مجلسه الشريف أن يخدم بالغايات المرضية من كل صناعة، تأدياً لسؤدده وعلائه، وتصدياً للفوز بجميل رأيه، ولم يعد بي عن هذه القضية جهل بها، وقصور عن علمها، لكني هاجر لهذه الصناة منذ زمن طويل هجرة قد أورثت يدي حبسة ووقفة، حائلتين بينها وبين التصرف والافتنان والوفاء بشرط الإجادة والإحسان، ولا خفاء عليه – أدام الله تأييده – بفضل الحاجة ممن تعاطى هذه الصناعة إلى فرط التوفر عليها، والانصراف بجملة العناية إليها، والكلف الشديد بها، والولوع الدائم بمزاولتها، فإنها شديدة النفار، بطيئة الاستقرار، مطمعة الخداع، وشيكة النزاع، عزيزة الوفاء، سريعة الغدر والجفاء، نوار قيدها الأعمال، شموس قهرها الوصال، لا تسمح ببعضها إلا لمن آثرها بجملته، وأقبل عليها بكليته، ووقف على تألفها سائر زمنه، واعتاضها عن خله وسكنه، ولا يؤسيه حيادها، ولا يغره انقيادها، يقارعها بالشهوة والنشاط، ويوادعها عند الكلال والملال، حتى يبلغ منها الغاية القصية، ويدرك المنزلة

العلية، وتنقاد الأنامل لتفتيح أزهارها، وجلاء أنوارها، وتظهر الحروف موصولة ومفصولة، ومعماة ومفتحة في أحسن صيغتها، وأبهج خلقتها، منخرطة المحاسن في سلك نظامها، متساوية الأجزاء في تجاورها والتيامها، لينة المعاطف والأرداف، متناسبة الأوساط والأطراف، ظاهرها وقور ساكن، ومفتشها بهج فاتن، كأنما كاتبها وقد أرسل يده وحث بها قلمه، رجع فيها فكره ورويته، ووقف على تهذيبها قدرته وهمته، القلب بها في حجر ناظره، والمعنى بها مظلوم بلفظه، وما ذهبت في هذه الخدمة مذهب المطرف المغرب بها، ولا المعول على شوافعها، لكن نهجت بها سبيلاً لأمثالها إقامة لرسم الخدمة المفروضة للسادة المنعمين على خدمهم وصنائعهم، فإن سعدت بنفاقها عليه وارتضائها لديه، سلمت من وصمة التضجيع والإهمال، وهجنة التقصير في شكر الإنعام والإفضال، ولسيدنا الجليل – أطال الله بقاءه – علو الرأي في الأمر بتسلم ما خدمت به، وتصريفه بين عالي أمره ونهيه إن شاء الله تعالى وحدث غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن بن إبراهيم بن هلال الصابئ في كتاب الهفوات قال: كان في الديوان كاتب يعرف بأبي نصر بن مسعود فلقي يوماً أبا الحسن علي ابن هلال البواب الكاتب ذا الخط المليح في بعض الممرات فسلم عليه وقبل يده. فقال له ابن البواب: الله الله يا سيدي ما أنا وهذا؟ فقال له: لو قبلت الأرض بين يديك لكان قليلاً. قال: لم؟ ولم ذاك يا سيدي؟ وما الذي أوجبه واقتضاه؟ قال: لأنك تفردت بأشياء ما في بغداد كلها من يشاركك فيها، منها الخط الحسن وأنه لم أر من عمري كاتباً من طرف عمامته إلى لحيته ذراعان ونصف غيرك. فضحك أبو الحسن منه وجزاه خيراً وقال له: أسألك أن تكتم هذه الفضيلة علي ولا تكرمني لأجلها. قال له: ولم تكتم فضائلك ومناقبك؟فقال له: أنا أسألك هذا فبعد جهد ما أمسك، وكانت لحية ابن البواب طويلة جداً.

قال المؤلف: وأما الشعر الذي رثاه به المرتضى فهو:

رديت يا بن هلال والردى عرض ... لم يحم منه على سخط له البشر
ما ضر فقدك؟ والأيام شاهدة ... بأن فضلك فيه الأنجم الزهر؟
أغنيت في الأرض والأقوام كلهم ... من المحاسن ما لم يغنه المطر
فللقلوب التي أبهجتها حزن ... وللعيون التي أقررتها سهر
وما لعيش إذا ودعته أرج ... ولا الليل إذا فارقته سحر
وما لنا بعد أن أضحت مطالعنا ... مسلوبة منك أوضاح ولا غرر

علي بن الهيثم الكاتب المعروف بجونقا

كان أحد الكتاب المستخدمين في ديوان المأمون وغيره من الخلفاء، وكان فاضلاً أديباً كثير الاستعمال للتقعير والقصد لعويص اللغة، حتى قال المأمون فيما حدث به الفضل بن محمد اليزيدي عن أبيه قال:

قال المأمون: أنا أتكلم مع الناس أجمعين على سجيتي إلا علي بن الهيثم فإني أتحفظ إذا كلمته، لأنه يغرق في الإغراب. ونقلت من خط الصولي في أخبار شعراء مصر قال: وممن دخل مصر خالد بن أبان الكاتب الأنباري أخو عبد الملك بن أبان، حدثني الحسين بن علي الباقطائي: أنه شخص إلى مصر فبلغه اتساع حال

علي بن الهيثم وكانت بينهما حرمة وكيدة، فكتب إليه من مصر بشعر طويل منه وكتب بماء الذهب.

على الخالق الباري توكلت إنه ... يدوم إذا الدنيا أبادت قرونها

فداؤك نفسي يا علي بن هيثم ... إذا أكلت عجف السنين سمينها

رميتك من مصر بأم قلائدي ... تزان وقد أقسمت ألا تهينها

بأبيات شعر خط بالتبر وشيها ... إليك قدماً حال حولان دونها

ويذكر فيه خبره مع غرمائه والقاضي، فبعث إليه سفتجة بألف دينار، وكتب إلى عامل مصر في استعماله فحسنت حاله.

وقال الجهشياري: كان لخالد بن أبان الكاتب الأنباري الشاعر حرمة بعلي بن الهيثم وبأبيه أيام مقامهم بالأنبار، وأضاق واختلت حاله وتدين من التجار ما أنفقه، فكثر غرماؤه وقدموه إلى القاضي فحبسه، ثم فلسه وأطلقه، وأقام بمصر وساءت حاله، وبلغه أن علياً قد عظم قدره، وتقلد ديوان الخراج للفضل بن الربيع لما استوزره الرشيد بعد البرامكة وارتفع مع المأمون بعد ذلك، فكتب إليه قصيدة نحواً من سبعين بيتاً في رق بالذهب وبعث بها إليه أولها: على الخالق الباري. الأبيات، فوجه إليه بألف دينار.

قال أبو بكر محمد بن خلف بن المرزباني: حدثنا أبو علي الحسن بن بشر، حدثني أبي قال: دخل علي بن الهيثم إلى سوق الدواب فلقيه نخاس فقال له: هل من حاجة؟ قال: نعم، الحاجة أناختنا بعقوتك، أردت فرساً قد انتهى صدره، وتقلقلت عروقه، يشير بأذنيه، ويتعاهدني بطرف عينيه، ويتشوف برأسه، ويعقد عنقه، ويخطر بذنبه، ويناقل برجليه، حسن القميص جيد الفصوص وثيق القصب، تام العصب، كأنه موج لجة، أو سيل حدور. فقال له النخاس: هكذا كان صلى الله عليه وسلم.

وقال المرزباني في المعجم: علي بن الهيثم التغلبي كاتب الفضل بن الربيع كان لسناً فصيحاً شاعراً، عاتبه الفضل يوماً على تأخره عنه وزاد عليه فقال:

وعدني الفضل رخيصاً جداً ... فعقني وازور عني صدا

وظن والظنون قد تعدا ... أني لا أصيب منه أبدا

أعد منه ألف بد عدا

وانصرف فلم يعمل للسلطان عملاً. حدثنا محمد اليزيدي قال: شهدت المأمون وهو جالس على دكة الشماسية، وعنده أحمد بن الجنيد الإسكافي وجماعة من الخاصة، إذ دخل عليه علي بن الهيثم المعروف بجونقا، فلما قرب منه قال: يا عدو الله يا فاسق يا لص يا خبيث سرقت الأموال وانتهبتها، والله لأفرقن بين لحمك وعظمك ولأفعلن، ثم سكن غضبه قليلاً، فقال أحمد بن الجنيد: نعم والله يا أمير المؤمنين، إنه وإنه ولم يدع شيئاً من المكروه إلا قاله فيه، فقال له المأمون وقد هدأ غضبه: يا أحمد، ومتى اجترأت على هذه الجرأة؟ رأيتني وقد غضبت فأردت أن تزيد في غضبي، أما إني سأؤدبك فأؤدب بك غيرك، يا علي بن الهيثم، قد صفحت عنك ووهبت لك كل ما كنت أقدر أن أطالبك به، ثم رفع رأسه إلى الحاجب وقال: لا يبرح ابن الجنيد الدار حتى يحمل إلى علي ابن الهيثم مائة ألف درهم ليكون له بذلك عقل، فلم يبرح حتى حملها.

الجهشياري: أمر المأمون أن يؤذن للناس إذناً عاماً وأن يجلسوا على مراتبهم التي كانت قديماً إلى أن تعرض عليه فيأمر فيها بأمره ففعلوا ذلك، ودخل علي بن الهيثم فجلس في مجلس العرب وتغامز الكتاب عليه، وأقبل عبيد الله بن الحسن العلوي فقال إبراهيم بن إسماعيل بن داود الكاتب للكتاب: أطيعوني وقوموا معي، فمضوا بأجمعهم مستقبلين لعبيد الله بن الحسن، فسلموا عليه فرد عليهم. فقالوا لنا حاجة، فقال مقضية، قالوا: تجلس في مجلسنا. فقال: سبحان الله: ينكر ذلك أمير المؤمنين. قالوا: هي حاجة تقضيها لنا ونحتمل ما ينالك فيها. قال: أفعل لعلمي بموقع الكتاب من قلوب السلاطين وقدرتهم على إصلاح قلوبهم إذا فسدت، وإفسادها إذا صلحت، ومال إلى ناحيتهم فجلس معهم. وكتب صاحب المراتب إلى المأمون، فلما وقف على الموضع الذي جلس فيد عبيد الله أنكره وبعث إليه: ما هذا المجلس الذي جلست فيه؟ فقال إبراهيم بن إسماعيل للرسول: بلغ أمير المؤمنين عند السلام وقل له: خدمك وعبيدك الكتاب يقولون: العدل والإنصاف موجودان عندك وعند أهلك، أخذتم منا رجلاً من وجوه النبط فأخذنا مكانه وجهاً من وجوه أهلك، ذلك علي بن الهيثم جالس مع العرب، فردوا علينا رجلنا وخذوا رجلكم، فضحك جميع من في داره وتشوس علي بن الهيثم وضحك المأمون وقال: لقد مني علي بن الهيثم من إبراهيم بن إسماعيل ببلاء عظيم، وكان أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخزيمي قد أغري بهجاء علي بن الهيثم الأنباري الكاتب، وكان السبب في ذلك أنه وقع لأبي يعقوب عنده ميراث فدافعه فهجاه، وكان علي بن الهيثم متشدقاً متفيقهاً يدعي العربية ويقول: إنه تغلبي وكان من قرية يقال لها أنقوريا، ففي ذلك يقول الخزيمي:

أنقوريا قرية مباركة ... تقلب فخارها إلى الذهب

محمد بن علي العباسي عن أبيه قال: شهدت علي بن الهيثم جونقاً، وقد حضره منارة صاحب الرشيد فقال له: يا منارة استلبت لوطي. فقال: – أصلحك الله – ما ظننتك تتلقاني بمثل هذا؟ شيخ مثلي يلعب بالصبيان، فضحك جميع من في المجلس، اللوط: الإزار. كأنه أراد أنك لم تحسن عشرتي وأنك أخذت ثيابي. وذكر حماد بن إسحاق عن بشر المريسي قال: حضرت المأمون أنا وثمامة ومحمد بن أبي العباس الطوسي وعلي بن الهيثم فناظروا في التشيع. فنصر محمد بن أبي العباس مذهب الإمامية، ونصر علي بن الهيثم مذهب الزيدية، وشرق الأمر بينهما، إلى أن قال محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم: يا نبطي ما أنت والكلام؟ فقال المأمون وكان متكئاً فجلس: الشتم عي والبذاء لؤم، وقد أبحنا الكلام وأظهرنا المقالات، فمن قال بالحق حمدناه، ومن جهل وقفناه، ومن ذهب عن الأمر حكمنا فيه بما يجب، فاجعلا بينكما أصلاً، فإن الكلام الذي أنتم فيه من الفروع، فإذا افترعتما شيئاً رجعتما إلى الأصول، ثم عادا إلى المناظرة فأعاد محمد بن أبي العباس لعلي بن الهيثم مثل مقالته الأولى: فقال له علي: والله لولا جلالة المجلس وما وهب الله من رأفة أمير المؤمنين وأنه قد نهانا لأعرفت جبينك، وحسبنا من جهلك غسلك المبر بالمدينة. فاستشاط المأمون غضباً على محمد وأمر بإخراجه، فعاذ بطاهر حتى شفع فيه، فرضي عنه. ميمون بن هارون بن مخلد ابن أبان حدثني أبي قال: أدخلني أبي مخلد بن أبان مع القاسم بن أحمد بن الجنيد، وكان مخلد وأحمد متواخيين في شراء غلات السواد، فأشرفنا على ربح عشرة آلاف ألف درهم، ثم اتضع السعر فحصل علينا وضيعة ستة آلاف ألف درهم

فطولبنا بها أشد مطالبة، واشتد كتاب المأمون علينا فيها، وكان المأمون يستاك في كل يومين ساعتين كاملتين. فدعاني المأمون يوماً وهو يستاك وكلمني بشيء ثم قال لي: ما معنى قول الخريمي في علي بن الهيثم؟ فدبنقاً لذاك الحديث دبنقاً. فقلت له: أنا أتكلم بالنبطية ولا أعلم ما معنى هذا، وأحمد بن الجنيد أرطن بها منيً، فأومأ إلي بمسواكه أن انصرف فانصرفت، فلما بلغت الستر حتى لقيني أحمد ابن الجنيد داخلاً وكان ذا خرج من الدار قبلي انتظرني، وإذا خرجت قبله انتظرته، فوقفت منتظراً له فإذا به قد خرج فقلت له: ما كان خبرك؟ فأخرج إلى توقيع المأمون بخطه بترك ما كنا نطالب به من الستة آلاف ألف عن ابني وابنه.
وقال: قال لي: ما معنى قول الخزيمي فدبنقاً لذا الحديث دبنقاً؟ فقلت: ضرطاً لذا الحديث فضحك وقال لي: إني سألت مخلداً عنها فلم يعرفها فاسأل حاجة، فقلت: ابتاع ابني وابن مخلد غلات السواد وقدرنا للربح فخسرنا ستة آلاف ألف درهم ولا حيلة لنا فيها وضيعتي بجلولاً تساوي ثلاثة آلاف ألف درهم، فيأمر أمير المؤمنين بأخذها عن ابن مخلد وتسييب ما على ابني علي لأحتال له أولاً فأولاً، فقال: ويحك، تبذل نفسك وضيعتك عن ابن مخلد؟ فقلت: نعم، أنا غررته وأملت الربح ومنعته أن يعقده على التجار ويتعجل فصله، وقد كانوا بذلوا لنا فيه ربحاً كبيراً. فقال لي: أي نبطي أنت؟ هات الدواة، فقدمتها إليه فوقع بإبرائنا جميعاً من المال وترك ضيعتي علي. وقال المأمون يوماً: ببابي رجلان: أحدهما أريد أن أضعه وهو يرفع نفسه، وهو علي ابن الهيثم، والآخر أريد أن أرفعه وهو يضع نفسه، وهو الفضل بن جعفر بن يحيى بن خالد برمك.

علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم

أبو الحسن. كان أبوه يحيى أول من خدم من آل المنجم، وأول من خدم المأمون وقد ذكر في بابه، ونادم ابنه علي هذا المتوكل، وكان من خواصه وندمائه والمتقدمين عنده، وخص به وبمن بعده من الخلفاء إلى أيام المعتمد على الله، وكان شاعراً راوية علامة أخبارياً.مات سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن بسر من رأى في آخر أيام المعتمد. وأخذ أبو الحسن هذا عن جماعة من العلماء منهم: إسحاق بن إبراهيم وشاهده، وكان يجلس بين يدي الخلفاء ويأمنونه على أسرارهم، وكان حسن المروءة ممدحاً فاتصل بمحمد بن إسحاق بن إبراهيم المصعبي. ثم اتصل بالفتح بن خاقان وعمل له خزانة نقل إليها من كتبه ومما استكتبه للفتح بن خاقان أكثر، ما اشتملت عليه خزانة حكمة فقط، وله تصانيف منها: كتاب الشعراء القدماء والإسلاميين، كتاب أخبار إسحاق بن إبراهيم، كتاب الطيخ.

قال عبيد الله بن أبي طاهر: كان أبو الحسن علي بن يحيى مشتهراً بالأدب كله مائلاً إلى أهله معتنياً بأمورهم، وكان منزله مألفاً لهم، وكان يوصل كثيراً منهم إلى الخلفاء والأمراء، ويستخرج لهم منهم الصلات، وإن جرى على أحد منهم حرمان وصله من ماله.
وكان يبلغ من عنايته بهم ورغبته في نفعهم أنه كان ربما أهدى إلى الخلفاء والأمراء عنهم الهدايا الظريفة المليحة ليستخرج لهم بذلك ما يحبون.
قال: حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال: قدم على أبي إدريس بن أبي حفصة في أيام المتوكل وتوسل

إليه، فأوصل شعره إليه وكلمه فيه، فاستخرج له منه عشرة آلاف درهم، فقال إدريس بن أبي حفصة:

أضحى علي بن يحيى وهو مشتهر ... بالصدق في الوعد والتصديق في الأمل

لو زيد بالجود في رزق وفي أجل ... لزاد جودك في رزقي وفي أجلي

ثم وصله من ماله – لما عزم إدريس على الانصراف إلى بلده – بجملة جليلة، ولم يزل إدريس مقيماً عنده في ضيافته إلى وقت ارتحاله، فقال إدريس عند وداعه إياه.

ما من دعوت ولباني بنائله ... كمن دعوت فلم يسمع ولم يجب

إني وجدت علياً إذ نزلت به ... خيراً من الفضة البيضاء والذهب

وحدث علي بن هارون بن يحيى بن المنجم في كتاب الأمالي له قال: حدثني عمي أبو أحمد يحيى بن علي، حدثني أبي علي بن يحيى قال: وفد علي عافية بن شبيب بن خاقان بن الأهتم السعدي من البصرة فأنزلته علي وأحسنت ضيافته، ورعيت له حرمة الأدب الذي توسل به، فأقام معي مدة في كفاية وكرامة وحسن ضيافة، وحملته على فرس واستوصلت له جماعة من إخواني، فأخذت له منهم ما تأثث به حاله وأصلح به شأنه، ثم ذكرته للمتوكل – رحمة الله عليه – ووصفت له أدبه، وأن معه ظرفاً يصلح به لمجالسته، فأمرني بإحضاره، ودخل عليه فوصله وأجرى عليه رزقاً وجالسه، فمكث مدة على ذلك ثم انفرجت الحال بيني وبينه، وكفر ما كان من إحساني إليه، وبسط لسانه يذكرني بما لم أستحقه منه، وكان المتوكل يغريه بي لما رأى منه، فيضحك المتوكل مما يجري، ويجيئني ذلك فيه وهو لا يدري. قال أبو الحسن: فأهدى في يوم من أيام النوازير إلى المتوكل فرساً فنظر إليه المتوكل فاستحسنه، ثم أقبل على الفتح بن خاقان فقال: أما ترى إلى هذا الفرس الذي أهداه عافية، ما أحسنه وأعتقه؟! هذا خلاف ما يصفه به علي بن يحيى من صغر الهمة وضيق النفس والخساسة، من تبلغ همته إلى أن يهدي مثل هذا الفرس لا يوصف بالخساسة ولا بضيق النفس، وهو في ذلك كله ينظر إلي ويقصدني بالكلام ويريد العبث بي، فتركته حتى أطنب في هذا المعنى وبلغ منه ما أراد، ثم قلت له: يا أمير المؤمنين، أليس من أهدى مثل هذا الفرس عندك ذا همة وقدر؟ قال: بلى. قال: قلت: فأبعد همة وأرفع قدراً من حمله عليه. قال: ومن حمله عليه؟ قال: قلت أنا حملته عليه. قال: فقال: يا عافية ما يقول علي؟ قال: فقال: صدق يا أمير المؤمنين هو حملني عليه. قال: فانكسر عني ثم. أقبل علي الفتح خجلاً فسريت الحال بيني وبين عافية حتى هجاه من كان يطوف به من الشعراء، فقال فيه أبو عبد الله أحمد بن أبي فنن وكنت أدخلته على المتوكل، وجالسه وشكر لي ذلك إذ كفره عافية:

ستعلم أن لؤم بني تميم ... سيظهر منه للناس الخفي

وما إن ذاك أنك من تميم ... ولكن ربما جر الدعي

وقال فيه أبو هفان:

لو كنت عافية لكنت محبباً ... في العالمين كما تحب العافية

وقال فيه أبو الحسن البلاذري:

من رآه فقد رأى ... عربياً مدلسا

ليس يدري جليسه ... أفسا أم تنفسا؟

وقال فيه أبو العنبس الصيمري:

أبا حسن بمنصبك الصميم ... أ أذن في السلاح على التميمي؟

فوالرحمن لولا ألف سوط ... لفارق روحه روح النسيم

وهجاه أبو الحسن علي بن يحيى المنجم فقال:

أأهجو تميماً إن تعرض ملصق ... إليها دعي قد نفته قرومها؟

فآخذها طرا بذنب دعيها ... فأين لها قومي وأين حلومها؟؟

وما في دعي القوم ثأر لثائر ... ولم تقترف ذنباً فيهجى صميمها

أعافي إلى اللوم منك سجية ... وشر خلال الأدعياء قديمها

قال أبو الحسن: وترقى به الأمر في منابذتي إلى أن ادعى في يوم من الأيام بحضرة المتوكل لأنه أحسن مروءة مني. فقال الفتح: محنة هذا سهلة، يوجه أمير المؤمنين إلى منزلهما من يحضر ما يجد من الطعام حاضراً، فدعا المتوكل بقائد من قواده وقال: امض إلى منزل علي ابن يحيى فانظر ما تجد فيه من الطعام حاضراً فأحضره، وامنعهم من أن يشتروا شيئاً أو يعملوه، وافعل مثل ذلك بمنزل عافية، فصار إلى منزل علي بن يحيى فوجد فيه طعاماً عتيداً فحمل جونة حسنة، وصار إلى منزل عافية فلم يجد فيه غير سفرة خلقة معلقة في مجلسه، فأمر فأنزلت فوجد فيها كسراً من خبز خشكار وملحاً من ملح السوق، وقطعة جبن يابس، وقطعة من سمك مالح، وقصعة مكسورة فيها ذلك الملح، وخرقة وسخة منقطعة، فحمل السفرة بحالها وصار إلى المتوكل فعرض عليه الجونة فاستحسنها وقال للفتح: أما ترى ما أنظف هذا الطعام وأحسنه؟! وأحضر السفرة فقال: ما هذا؟ قال: هذا هو الذي وجدته في منزل عافية. قال: افتحوها، ففتحت فاستقذر ما رأى فيها وعجب منه وقال: يا فتح، أظننت أن رجلاً يجالسني وقد وصلته بعدة صلات فيكون هذا مقدار مروءته؟ فقال: لا والله يا أمير المؤمنين ما له عذر، فدعا بخادم من خدمه وقال: امض إلى عبيد الله بن يحيى فقل له: أخرج إلى ما وصل إلى عافية من مالي من رزق وصلة منذ خدمني إلى هذا الوقت، فمضى الخادم ولم يكن بأسرع من أن وافى برقعة من عبيد الله وفيها مبلغ ما صار إلى عافية،فإذا هو ثلاثمائة ألف درهم. فقال المتوكل: يا فتح، أما كان يجب أن يتبين أثر النعمة على من وصل إليه هذا المال؟ ما في هذا خير ولا يصلح مثله لمجالستي؟ فأخرجه من الجالسة وأمر بنفيه إلى البصرة وهي بلده، فلما حضر خروجه طالبته صاحبة المنزل بأجرته، فدفع إليها ببقية مالها عليه حبا كان في الدار خلقاً، واتصل الخبر بابن المنجم قال: فصرت إلى المتوكل فعرفته ذلك فعجب منه وأمر بإحضار المرأة ومسألتها فأخبرت به، فأمر لها بصلة وتقدم إلى عبيد الله في أخذ الحب وإنفاذه مع رسول فاصد خلف عافية يلحقه بالبصرة وأمره أن يكتب إلى صاحب المعونة وصاحب الصدقة والخراج والقاضي وصاحب البريد بحضور الجامع والتقدم إلى وجوه أهل البصرة في الحضور وإحضار عافية وتسليم الحب إليه بحضرتهم وإشهادهم عليه وتعريفهم ما كان من خبره مع المرأة صاحبة داره، ففعل ذلك وصار به عافية شهرة في بلده.

وحدث هارون عن عمه عن أبيه علي بن يحيى قال: كنت أنادم المتوكل في كل ليلة من الليالي، فغلب على النبيذ فأطرقت كالمهموم وأنا منتصب قال: فدعا المتوكل بنصر سلهب وقال: امض إلى منزل علي بن يحيى فانظر ما تجد فيه من الطعام فاحمله إلي واعجلهم غاية الإعجال ولا تدعهم يهيئون شيئاً، قال: فمضى نصر فامتثل أمره وحمل جونة مملوءة من ضروب الطعام وجاء بها إلى المتوكل، ففتحت بين يديه ففاحت برائحة شوقته إلى الطعام، واستحسن ما رأى فيها فأكل منها والفتح معه، ثم قال له: أما ترى ما أحسن هذا الطعام وما أطيبه وأنظفه؟! ولو كان علي أعد هذا لمثل ما كان منا ما زاد على حسن هذه الجونة وطيب ما فيها. قال: فقال له الفتح: هذا يا أمير المؤمنين يدل على مروءته، وإنه ليجب أن يعان عليها. قال: فصاح بي يا علي، فقمت قائماً وقلت: لبيك يا أمير المؤمنين. قال: تعال، فقربت منه فقال انظر: إلى هذه الجونة وما فيها، فنظرت إليها فقال: كيف تراه؟ قلت: أرى طعاماً حسناً، قال: فتدري من أين هو؟ فقال قلت: لا يعلم الغيب إلا الله. قال: فإنها من منزلك، وإني فعلت كذا وكذا وقص على القصة وقال: قد والله سرني ما رأيت من مروءتك وسرورك، وكذا فليكن من خدم الملوك، قال لي: ما تحب أن أهب لك؟ قال: قلت مائة ألف دينار، قال: أنت والله تستحقها وما هو أكثر منها، يمنعني من دفعها إليك إلا كراهة الشنعة وأن يقال: وصل جليساً من جلسائه في ليلة بمائة ألف دينار، ولكني أوصلها إليك متفرقة وأضمن فتحاً إذكاري بذلك حتى تستوفيها، وقد وصلتك بمائة ألف درهم على غير صرف فانصرف بها معك. قال: وأمر بإحضارها فأحضرت عشر بدر وحملت معي إلى منزلي، ثم لم يزل يتابع لي الصلات حتى وفاني مائة ألف دينار. قال علي بن يحيى: وأحصيت ما وصل إلي من أمير المؤمنين المتوكل من رزق وصلة فكان مبلغه ثلاثمائة ألف دينار.قال: ولما مات علي بن يحيى قال ابن بسام يرثيه:

قد زرت قبرك يا علي مسلماً ... ولك الزيارة من أقل الواجب

ولو استطعت حملت عنك ترابه ... فلطالما عني حملت نوائبي

وفي كتاب النورين للحصري: وقال علي بن المنجم: فلا أدري أهو هذا أم علي بن هارون بن علي بن يحيى بن المنجم؟:

ومن طاعتي إياه أمطر ناظري ... إذا هو أبدى من ثناياه لي برقاً

كأن جفوني تبصر الوصل هارباً ... فمن أجل ذا تجري لتدركه سبقاً

ولعلي هذا ابن يكنى أبا عيسى واسمه أحمد، كان أديباً وهو مذكور في بابه. وقال علي بن يحيى يرثي المأمون ويمدح المعتصم:

من ذا على الدهر يعديني فقد كثرت ... عندي جنايته يا معشر الناس

أخنى على الملك المأمون كلكله ... فصار رهناً لأحجار وأرماس

قد كاد ينهد ركن الدين حين ثوى ... ويترك الناس كالفوضى بلا رأس

حتى تداركهم بالله معتصم ... خير الخلائف من أولاد عباس

ودخل أبو علي البصير على علي بن يحيى وقد أصيب ببعض أهله، وكان قد بعث إليه ببر قبل ذلك فقال له: بلغني مصابك، ووصل إلي ثوابك، فأحسن الله جزاءك وعزاءك. قال المرزباني وهو القائل في نفسه:

علي بن يحيى جامع لمحاسن ... من العلم مشغوف بكسب المحامد
فلو قيل: هاتوا فيكم اليوم مثله ... لعز عليكم أن تجيئوا بواحد
وله:
سيعلم دهري إذا تنكر أنني ... صبور على نكرانه غير جازع
وأني أسوس النفس في حال عسرها ... سياسة راض بالمعيشة قانع
كما كنت في حال اليسار أسوسها ... سياسة عف في الغنى متواضع
وأمنعها الورد الذي لايليق بي ... وإن كنت ظمآن بعيد الشرائع
وله:
بأبي والله من طرفا ... كابتسام الصبح إذ خفقا
زادني شوقاً برؤيته ... وحشا قلبي به حرفا
من لقلب هائم كلف ... كلما سكنته قلقا
زارني طيف الحبيب فما ... زاد أن أغرى بي الأرقا
ولما مات علي بن يحيى قال علي بن سليمان أحد شعراء العسكر يرثيه:
قد زرت قبرك يا علي مسلماً ... ولك الزيارة من أقل الواجب

ولو استطعت حملت عنك ترابه ... فلطالما عني حملت نوائبي
ودمي فلو علمت بأنهيروي ثراك سقاه صوب الصائب
لسفكته أسفاً عليك وحسرة ... وجعلت ذاك مكان دمع ساكب
فلئن ذهبت بملء قبرك سؤدداً ... لجميل ما أبقيت ليس بذاهب
وحدث أبو علي التنوخي في نشواره: حدثني أبو الحسن ابن أبي بكرالأزرق قال: حدثني أبي قال: كان بكركر من نواحي القفص ضيعة نفيسة لعلي بن يحيى بن المنجم وقصر جليل فيه خزانة الحكمة يقصدها الناس من كل بلد فيقيمون فيها ويتعلمون منها صنوف العلم، والكتب مبذولة في ذلك لهم، والصيانة مشتملة عليهم، والنفقة في ذلك من مال علي بن يحيى، فقدم أبو معشر المنجم من خراسان يريد الحج وهو إذ ذاك لا يحسن كبير شيء من النجوم، فوصفت له الخزانة فمضى ورآها فهاله أمرها، فأقام بها وأضرب عن الحج وتعلم فيها علم النجوم وأعرق فيه حتى ألحد، وكان ذلك آخر عهده بالحج وبالدين والإسلام أيضاً. وذكر جحظة في أماليه: حدثنا ابن حميد قال: قال المتوكل لعلي بن يحيى المنجم: اهج مروان بن أبي الجنوب. فقال: يا أمير المؤمنين، ومن مروان حتى أهجوه؟ قال: مروان مولى بني أمية ومولى القوم منهم، وبعد: فإنهم بنو عمي وأتت العداوة بيننا، فأنت من أنت؟ قال: أنا مولاك يا أمير المؤمنين. قال: دعنا من هذا البرود، اهج الرجل وإلا أمرته أن يهجوك. فوقف ساعة متفكراً فاندفع مروان يقول:
ألا إن يحيى لا يقاس إلى أبي ... وعرض علي لا يقاس إلى عرضي
أناس من الأنباط أكثر فخرهم ... إذا فخر الأشراف بعضاً على بعض

تنحل أصلاً في المجوس ودعوة ... إليهم نفاها من بحكمهم يقضي
أبى ذاك آذرباد فيكم فأنتم ... من السفل الأرذال وللنبط المحض
حديثكم غث وقربكم أذى ... وآدابكم ممزوجة المقت بالبغض
تسوقتم عند الإمام بحبه ... وسوقكم عند الروافض بالرفض
متى ما تعاط المجد والفخر أهله ... فلستم من الإبرام فيه ولا نقص
إخال علياً من تكامل مقته ... يطاحر وجهي وهو يمشي على الأرض

قال أحمد بن أبي طاهر: كنت يوماً عند أبي الحسن يحيى المنجم في أيام المعتمد فدخل عليه ابنه هارون فقال له: يا أبت، رأيت في النوم أمير المؤمنين المعتمد وهو في داره على سريره إذ بصر بي فقال: أقبل علي يا هارون، يزعم أبوك أنك تقول الشعر فأنشدني طريد هذا البيت:

أسالت على الخدين دمعاً لو أنه ... من الدر عقد كان ذخراً من الذخر

فلم أرد عليه شيئاً وانتبهت. قال: فرجف عليه علي بن يحيى غضباً وقال: ويحك؟ فلم لم تقل؟:

فلما دنا وقت الفراق وفي الحشا ... لفرقتها لذع أحر من الجمر
أسالت على الخدين دمعاً لو أنه ... من الدر عقد كان ذخراً من الذخر

قال ابن أبي طاهر: فانصرفنا متعجبين من حفظ هارون لما هجس في خاطره، ولمبادرة علي ابن يحيى وسرعته في القول.

قال جحظة في أماليه: حدثت عن يزيد بن محمد المهلبي قال: كنت أرى علي بن يحيى المنجم فأرى صورته وصغر خلقته ودقة وجهه وصغر عينيه وأسمع بمحله من الواثق والمتوكل، فأعجب من ذلك وأقول: بأي سبب يستظرفه الخليفة وبماذا حظي عنده؟ والقرد أملح منه قباحة. فلما جالست المتوكل رأيت علي بن يحيى قد دخل على المتوكل في غداة من الغدوات التي قد سهر في ليلتها بالشرب وهو مخمور يفور حرارة يستثقل لكل أمر يخف دون ما يثقل، فوقف بين يديه وقال: يا مولاي، أما ترى إقبال هذا اليوم وحسنه وإطباق الغيم على شمسه وخضرة هذا البستان ورونقه؟ وهو يوم تعظمه الفرس وتشرب فيه لأنه هرمز روز، وتعظمه غلمانك وأكرتك مثلي من الدهاقين، و وافق ذلك يا سيدي أن القمر مع الزهرة، فهو يوم شرب وسرور وتجل بالفرح، فهش إليه وقال: ويلك يا علي، ما أقدر أن أفتح عيني خماراً. فقال: إن دعا سيدي بالسواك فاستعماه وغسل بماء الورد وجهه، وشرب شربة من رب الحصرم أو من متنة مطيبة مبرداً ذلك بالثلج انحل كل ما يجد، فأمر بإحضار كل ما أشار به. فقال علي: يا سيدي، وإلى أن تفعل ذلك تحضر عجلانيتان بين يديك مما يلائم الخمار ويفيق الشهوة ويعين على تخفيفه. فقال: أحضروا علياً كل ما يريد، فأحضرت العجلانيتان بين يديه وفراريج كسكر قد صففت على أطباق الخلاف وطبخ حماضية وحصرمية ومطجنة لها مريقة، فلما فاحت روائح القدور هش لها المتوكل فقال له يا علي: أذقني، فجعل يذيقه من كل قدر بجرف يشرب بها، فهش إلى الطعام وأمر بإحضاره. فالتفت علي إلى صاحب الشراب فقال له: ينبغي أن يختار لأمير المؤمنين شراب ريحاني ويزاد في مزاجه إلى أن يدخل في الشرب فيهنئه الله إياه إن شاء الله قال:

فلما أكل المتوكل وأكلنا نهضنا فغسلنا أيدينا وعدنا إلى مجالسنا وغنى المغنون، فجعل علي يقول:هذا الصوت لفلان، والشعر لفلان، وجعل معهم وبعدهم غناء حسناً إلى أن قرب الزوال، فقال المتوكل: أين نحن من وقت الصلاة؟ فأخرج علي أسطرلاباً من فضة في خفه، فقاس الشمس وأخبر عن الارتفاع وعن الطالع وعن الوقت، فلم يزل يعظم في عيني حتى صار كالجبل، وصار مقابح وجهه محاسن، فقلت: لأمر ما قدمت، فيك ألف خصلة: طبيب ومضحك، وأديب وجليس، وحذق طباخ، وتصرف مغن، وفكر منجم، وفطنة شاعر، ما تركت شيئاً مما يحتاج إليه الملوك إلا ملكته.

قال جحظة: وحدثني رذاذ غلام المتوكل قال: شهدت علي بن يحيى المنجم وقد أمره المتوكل أن يغنيه وكنت جالساً إلى جانبه فقال لي: قد وقعت، وإن تمنعت جد بي حتى أغنى ثم لا يكون له موقع، والمبادرة إلى أمره وسرعة الطاعة له أصوب، اضرب علي فضربت عليه وغنى:

زار من سلمى خيال موهناً ... حبذا ذاك الخيال الطارق

جاد في النوم بما ضنت به ... ربما يغنى بذاك العاشق

فقال زه، أجدت والله يا علي، فقال له علي: قد فرحتك يا سيدي ففرحني، فدعاه وحباه بمشمة عنبر كانت بين يديه في صينية ذهب عليها مكبة منها، وأمر له بألف دينار وتخوت ثياب. فقال لي: يا أبا شريك، أناصفك؟ فقلت: لا والله، لا قبلت من ذلك لا الكل ولا النصف، فبارك الله لك فيه.

قال جحظة: فحدثني علي بن يحيى المنجم قال: قلت مرة –وقد أخذ مني النبيذ بين يدي الواثق – لمن كان يسقيني: ويلك، أجهزت والله علي، سقيتني الكأس حية فألاقتلتها. فسمع الواثق فقال: لم يعد بك قول حسان:

إن التي ناولتني فرددتها ... قتلت قتلت فهاتها لم تقتل

ألا تراه أنكر عليه مزجها؟ قلت: حسان أعرابي لا يحسن شرب الخمر، وكان أيضاً يشربها تغنماً لبعد عهده بها، ولكن أردت من ساقي أن يأخذ بقول أفتى الخلق وأملحهم أدباً وأعلمهم بأدب الشرب، قال: ومن هو؟ قلت: أبو نواس، قال: حين يقول ماذا؟ قلت: حين يقول:

لا تجعل الماء لها قاهراً ... ولا تسلطها على مائها

فقيل لي لما حضرت من الغد: إن الواثق قال: لله دره، ما أسرع جوابه وأحسن انتزاعه، لكنه أخرج عربدته كلها على حسان بن ثابت، فلما حضرت بين يديه قال لي: هيه يا علي سرت أمس؟ فقلت يا سيدي من شرب سكر، ومن كان أمره إلى نفسه في نبيذه رفق، ومن كان أمره إلى غيره خرق. قال: فعربدت على حسان وثلبته وما يستحق ذلك، وإنه لطب بشرب الكأس مداح لشاربيها، أليس هو الذي يصف ربيعة بن مكرم؟ فبلغ من ذلك أحسن ما يكون الفتى عليه بقوله:

نفرت قلوصي من حجارة حرة ... بنيت على طلق اليدين وهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنه ... شريب خمر مسعر لحروب

وهو أيضاً من المعدودين في وصاف الخمر وشرابها، أليس هو القائل؟:

إذا ما الأشربات ذكرن يوماً ... فهن لطيب الراح الفداء
نوليها الملامة إذ ألمنا ... إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكاً ... وأسداً ما ينهنهنا اللقاء
ويلك، أليس هو الذي يقول؟:
وممسك بصداع الرأس من سكر ... ناديته وهو مغلوب ففداني
لما صحا وتراخى العيش قلت له: ... إن الحياة وإن الموت سيان
فاشرب الخمر ما واتاك مشربه ... واعلم بأن كل عيش صالح فان
فقلت له: لو حضرك والله يا سيدي لأقر أنك أحفظ لعيون شعره منه، فالويل لجليسك، بماذا ينفق عنلك وروايتك هذه الرواية. فقال: ويحك يا علي، إنما الويل لجليسي إذا جالس من لا يعرف قدر ما يحسن.
قال أحمد بن أبي طاهر: اجتمعنا عند أبي الحسن علي بن يحيى أنا وأبو هفان عبد الله بن أحمد العبدي وأبو يوسف يعقوب بن يزيد التمار على نبيذ فقال أبو هفان:
وقائل إذ رأى عزبي عن الطلب: ... أتهت أم نلت ما ترجو من النشب؟؟
قلت: ابن يحيى علي قد تكفل لي ... وصان عرضي كصون الدين للحسب
فقال التمار:
يذكي لزواره ناراً منورة ... على يفاع ولا يذكي على صبب
من فارس الخير في أبيات مملكة ... وفي الذوائب من جرثومة الحسب
قال أحمد بن أبي طاهر: فقلت:
له فلائق لم تطبع على طبع ... ونائل وصلت أسبابه سببي
كالغيث يعطيك بعد الري وابله ... وليس يعطيك ما يعطيك عن طلب
قال: فوصلهم وخلع عليهم وحملهم. قال عبيد الله: حدثني أبو أحمد يحيى بن علي بن يحيى قال: اتصل أبي بأمير المؤمنين المتوكل على الله فغلب عليه وعلى الفتح بن خاقان بخدمته وأدبه وافتتانه وتصرفه في كل ما تشتهيه الملوك، وكان الفتح بن خاقان هو الذي وصفه للمتوكل، وكان بعد موت محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مصعب، لأن أبي كان متصلاً به وشديد الاختصاص بخدمته، حتى لقد مات محمد بن إسحاق ويده في يده، فلما مات دخل على الفتح بن خاقان فأنشده يمدحه بقصيدة أولها:
سأختار من حر الكلام قصيدة ... لفتح بن خافان تفوق القصائدا
يلذ بأفواه الرواة نشيدها ... ويشنا بها من كان للفتح حاسدا
لعمرك إن الفتح مذ كان يافعاً ... ليسمو إلى أعلى ذرى المجد صاعدا
فريع المولى ساد في خمس عشرة ... موالى بني العباس لم يبق واحدا
وبذهم طرا ندى وشجاعة ... فألقوا إليه مذعنين المقالدا

قال: فلم أر الفتح اهتز لشيء من الشعر اهتزازه لهذه القصيدة، ولا سر بأحد قدم عليه سروره بعلي بن يحيى، ثم قام الفتح من فوره فدخل على المتوكل فعرفه مكانه فأذن له واستجلسه، وأمر أن يخلع عليه فخلع عليه خلع المجالسة، فكان آنس خلق الله به وأغلبهم عليه وعلى الفتح، وتقدم الجلساء جميعاً عنده ووثق به حتى عزم على إدخاله معه إلى الحرام إذا جلس معهن. وذاك أنه شكا إلى الفتح أنه قعد مع الحرم لم يكن له من يستريح إليه ويأنس به وقال: قد عزمت أن أدخل علي بن يحيى فأستريح إليه، فقال له الفتح: ما يصلح لذلك غيره، فبلغ ذلك علي بن يحيى فقال للفتح: أنا قدرت أن أتخلص من هذا بك، فوكدت على الأمر فيه لست أفعل. فقال له الفتح: إن هذا الذي ندبك إليه أمير المؤمنين منزله ليس فوقها منزله في الخصوص، فقال: قد علمت ذلك وشكرت تفضل أمير المؤمنين وتسمعه، ثم يتفضل بالإعفاء منه. قال: ما هو؟ قال: قد علمت أن أمير المؤمنين أشد الناس غيرة، وأن النبيذ ربما أسرع إلي، ولست آمن بعض هذه الأحوال، وأن ينسى عند غلبة النبيذ ما كان منه فيقول: ما يصنع هذا معي عند حرمي؟ فيعجل علي بشيء لا يستدرك، وليس بيني وبين هذا عمل، قال: فقال المتوكل: تخلصت يا علي مني بألطف حيلة، وأعفاه. قال يحيى: وحدثني أبي قال: قال أمير المؤمنين المتوكل يوماً من الأيام: يا علي، لك عندي ذنب – قال هذا ونحن بدمشق – قال: فأكبرت ذلك وقمت قائماً بين يديه وقلت: أعوذ بالله من سخط أمير المؤمنين، ما الذنب يا أمير المؤمنين؟ فلعله كذب كاشح أو بغي حاسد، فقال: لا خير فيمن أثق به. قال فقلت: يتفضل علي أمير المؤمنين بتعريفي الذنب، فإن كان لي عذر اعتذرت، وإلا اعترفت وعدت بعفو أمير المؤمنين.فقال: أتحتاج إلى شيء وتسأل غيري؟ فقلت: وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أخبرني بختيشوع أنك وجهت إليه واستقرضت منه عشرين ألف درهم، فلم فعلت ذلك؟ وما ذلك، وما منعك أن تسألني فأصلك؟ تأنف من مسألتي؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، ما منعني ذلك، وإن صلات أمير المؤمنين متتابعة عندي من غير مسألة، ولكن بختيشوع ممن آنس به، فاستعرت منه هذه الدراهم على ثقة مني بأن تفضل أمير المؤمنين غير متأخر عني فأردها من ماله، قال: فقال لي: قد عفوت لك عن هذه المرة فلا تعد إلى مثلها، وإن احتجت فلا تسأل غيري أو تبذل وجهك له، ثم خدم علي بن يحيى المنتصر بن المتوكل فغلب عليه أيضاً، وقدمه المنتصر على جماعة جلسائه وقلده أعمال الحضرة كلها – العمارات والمستغلات والمرمات والحظائر وكل ما على شاطئ دجلة إلى البطيحة من القرى – ثم خدم المستعين بالله فقدمه وأحبه وأحله محله من الخلفاء ممن كان قبله، وأقره المستعين على ما تقلده من أعمال الحضرة، ثم حدثت الفتنة وانحدر مع المستعين إلى مدينة السلام فلم يزل معه إلى أن خلع المستعين، فأقام علي بن يحيى يغدو ويروح إليه بعد الخلع إلى أن حله من البيعة التي كانت في عنقه، ولم يكن المستعين قبل الخلع بسنة يأكل إلا ما يحمل إليه من منزل علي بن يحيى في الجون إلى دار أبي العباس محمد بن عبد الله بن طاهر فيفطر عليه، وكان يصوم في تلك الأيام.

قال يحيى بن علي: قال لي أبي: صرت إلى المستعين لما صير به إلى قصر الرصافة فوجدت عنه قرب داية المعتز وعيسى بن فرخانشاه وهم يسألونه عن جوهر الخلافة، فقالت لي قرب: يا أبا الحسن بس ما كان لنا منك نصيب؟ يا هذا، كاتبنا الناس كلهم غيرك. قال قلت: أما إن ذاك ليس لتقصير فيما يجب علي من حق أمير المؤمنين المتوكل رحمه الله ومن حق ولده، ولكن كان في عنقي طوق يحظر علي ذلك، قال: قالت – بارك الله

فيك – . قال: ثم خلص الأمر للمعتز، فكان أول من طلبه للمنادمة علي بن يحيى فشخص إلى سر من رأى، فتلقاه أمير المؤمنين المعتز حين قدم عليه أجمل لقاء وخلع عليه ووصله، وقلده الأسواق والعمارات وما كان يتقلده قبل خلافته، وخص به وغلب عليه حتى تقدم عنده على الناس كلهم. قال: فأخبرني أبي أنه حسب ما وصل إليه من المعتز من صلته ورزقه منذ خدمه إلى أن تصرمت أيامه، فكان مبلغه ثلاثة وثلاثين ألف دينار. وقلده المعتز القصر الكامل فبناه ووصله عند فراغه منه بخمسة آلاف دينار وأقطعه ضيعة. وفي المعتز يقول علي بن يحيى:

بدا لابساً برد النبي محمد ... بأحسن ما أقبل البدر طالعاً

سمي النبي وابن وارثه الذي ... به استشفعوا أكرم بذلك شافعا

فلما علا الأعواد قام بخطبة ... تزيد هدى من كان للحق تابعا

وكل عزيز خشية منه خاشع ... وأنت تراه خشية الله خاشعا

فأما المهتدي فإنه حقد عليه أشياء كانت تجري بينه وبينه في مجالس الخلفاء، فانحرف عنه المهتدي لميله إلى المتوكل، فكان المهتدي يقول: لست أدري كيف يسلم مني علي بن يحيى؟ إني لأهم به فكأني أصرف عنه، ووهب الله له السلامة من المهتدي إلى أن مضى لسبيله، وكانت أيامه قصيرة، ثم أفضى الأمر إلى المعتمد على الله فحل منه محله ممن كان قبله من الخلفاء وقدمه على الناس جميعاً، ووصله وقلده ما كان يتقلد من أعمال الحضرة، وقلده بناء المعشوق فبنى له أكثره، وكان الموفق من محبته وتقديمه وجميل الذكر له في مجلسه إذا ذكر على أفضل ما يكو نولي نعمة، وكان يذكره كثيراً في مجالسه، ويصف أيامه، مع أمير المؤمنين المتوكل وأحاديثه ويحكيها لجلسائه ويعجبهم من ذكائه ومعرفته وفضله. وتوفي في آخر أيام المعتمد سنة خمس وسبعين ومائتين ودفن بسامراً، وشعره كثير ومشهور، رأيت العلماء القدماء يكثرون العجب به وليس عندي كذلك، فلذلك أقللت من الإتيان به إلا ما كان في ضمن خبر.

وله من الولد الذكور أحمد بن علي وكنيته أبو عيسى، وأبو القاسم عبد الله، وأبو أحمد يحيى، وأبو عبد الله هارون.

علي بن يوسف بن إبراهيم بن عبد الواحد

ابن موسى بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن محمد بن ربيعة بن الحارث بن قريش بن أبي أوفى بن عمرو بن عادية بن حيان بن معاوية بن تيم بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن علي بن بكر بن وائل، أبو الحسن القفطي يعرف بالقاضي الأكرم، أحد الكتاب المشهورين المبرزين في النظم والنثر، وكان أبوه القاضي الأشرف كاتباً أيضاً ومنشئاً، وكانت أمه من بادية العرب من قضاعة،وأمها جارية حبشية كانت لأخت أبي عزيز قتادة الحسني أمير مكة، تزوجها أحد بني عمها العلويين وجاءت منه بأولاد، ثم مات عنها فتزوجها رجل من بلي فجاءت منه ببنين وبنات منهم أم القاضي الأكرم – أدام الله علوه – ، وكان والده الأشرف خرج يشتري فرساً من تلك البوادي، وقد قاربوا أرض مصر للنجعة فرآها فوقعت منه بموقع

فتزوجها ونقلها إلى أهله، وكانت ربما خرجت في الأحيان إلى البادية استرواحاً على ما ألفته ونشأت عليه، ويخرج ابناه معها مدة، قال: وكانت امرأة صالحة مصلية حسنة العبادة فصيحة اللهجة، وكانت إذا أردت سفراً اشتغلت بما يصلح أموري في السفر وهي تبكي وتقول:

أجهز زيداً للرحيل وإنني ... بتجهيز زيد للرحيل ضنين

وحدثني – أطال الله بقاؤه – قال: كنت أنا صبي قد قدمت من مصر واستصحبت سنوراً أصبهانياً على ما تقتضيه الصبوة،واتفق أن ولدت عدة من الأولاد في دارنا، فنزل سنور ذكر فأكل بعض تلك الجراء فغمني ذلك، وأقسمت أن لا بد لي من قتل الذي أكلها، فصنعت شركاً ونصبته في علية في دارنا وجلست، فإذا بالسنور قد وقع في الحبالة، فصعدت إليه وفي يدي عكاز وفي عزمي هلاكه، وكان لنا جيرة وقد خرب الحائط بيننا وبينهم ونصبوا فيه بارية إلى أن يحضر الصناع، وكان لرب تلك الدار بنتان لم يكن فيما أظن أحسن منهما صورة وجمالاً وشكلاً ودلالاً، وكانت معروفتين بذلك في بلدنا وكانتا بكرين، فلما هممت بقتله إذا قد انكشف جانب البارية فوقعت عيني على ما يبهر المشايخ، فكيف الشبان؟ حسناً وجمالاً، وإذا هما تومئان إلي بالأصابع تسألاني إطلاقه، قال: فأطلقته ونزلت وفي قلبي ما فيه لكوني كنت أول بلوغي والوالدة جالسة في الدار لمرض كان بها. فقالت لي: ما أراك قتلته كما كان عزمك. فقلت لها: ليس هو المطلوب، إنما هو سنور غيره. فقلت: ما أظن الأمر على ذلك،ولكن هل أومئ إليك بالأصابع حتى تركته؟ فقلت: من يومئ إلي؟ ولا أعرف معنى كلامك. فقلت على ذلك: يا بني اسمع مني ما أقول لك:

ثنتان لا أرضى انتهاكهما ... عرس الخليل وجارة الجنب

وكان مع هذا البيت بيت آخر أنسيته. قال: فوالله لكأن ماء وقع على نار فأطفأها، فما صعدت بعد ذلك إلى سطح ولا غرفة إلى أن فارقت البلاد، ولقد جاء الصيف فاحتملت حره ولم أصعد إلى سطح في تلك الصيفية، ثم وجدت هذا البيت في أبيات الأحوص بن محمد منها:

قالت وقلت تحرجي وصلي ... حبل امرئ كلف بكم صب

صاحب إذا بعلي فقلت بها: ... الغدر أمر ليس من طبي

ثنتان لا أصبو لوصلهما ... عرس الخليل وجارة الجنب

أما الخليل فلست خائنه ... والجار أوصاني به ربي

ألشوق أقتله برؤيتكم ... قتل الظما بالبارد العذب

قال لي: ولدت في أحد ربيعي سنة ثمان وستين وخمسمائة بمدينة فقط من الصعيد الأعلى إحدى الجزائر الخالدات حيث الرض الأربعة وعشرون في أول الإقليم الثاني، وبها قبر قبط بن مصر بن سام بن نوح. ونشأ بالقاهرة. اجتمعت بخدمته في حلب فوجدته جم الفضل، كثير النبل، عظيم القدر، سمح الكف، طلق الوجه حلو البشاشة، وكنت ألازم منزله ويحضر أهل الفضل وأرباب العلم، فما رأيت أحداً فاتحه في فن من فنون العلم كالنحو واللغة والفقه والحديث وعلم القرآن والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل وجميع فنون العلم على الإطلاق إلا قام به أحسن قيام، وانتظم في وسط عقدهم

أحسن انتظام. وله تصانيف أذكرها فيما بعد إن شاء الله تعالى. أنشدني لنفسه بحلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة:

ضدان عندي قصرا همتي ... وجه حبي ولسان وقاح
إن رمث أمراً خانني ذو الحيا ... ومقولي يطمعني في النجاح
فأنثني في حيرة منهما ... لي مخلب ماض وما من جناح
شبه جبان فر من معرك ... خوفاً وفي يمناه عضب الكفاح

وأنشدني – أدام الله علوه – في أعور لنفسه:

شيخ لنا يعزى إلى منذر ... مستقبح الأخلاق والعين
من عجب الدهر، فحدث به ... بفرد عين ولسانين

ومما أملاه علي – أدام الله علوه – من منثور كلامه من فصل: وأما سؤاله عن سبب التأخر والتجمع من التزامي قعر البيت، وارتضائي بعد السبق بأن أكون السكيت، فلا تنسبني في ذلك إلى تقصير، وكيف؟ ولساني في اللسن غير ألكن، وبناني في البيان غير قصير، ولقد أعددت للرياسة أسبابها، ولبست لكفاح أهلها جلبابها، وملكت من موادها نصابها، وتسلمت لآحلاسها، وضاربت أضرابها، وباريتها في ميدان الفضائل، فكنت السابق وكانوا الفسكل، وظننت أني قد حللت من الدولة أمكن مكانها، وأصبحت إنسان عينها وعين إنسانها، وإذا الظنون مخلفة، وشفار عيون الأعداء مرهفة، والفرقة المظنونة بالإنصاف غير منصفة، وصار ما اعتمدته من أسباب التقريب مبعداً، ومن اعتقدته لي مساعداً غدا علي مسعدا، ومن أعددته لمرادي مورداً أصبح لمثالبي مورداُ، وجست مقاصد المراشد فوجدتها بهم مقفلة، ومتى ظهرت فضيلة اعتمدوا فيها تعطيل المشبهة وشبه المعطلة، وإذا ركبت أشهب النهار لنيل مرام ركبوا أدهم الليل لقض ذلك الإبرام، وإن سمعوا مني قولاً أذاعوا، وإن لم يسمعوا اختلقوا من الكذب ما استطاعوا، وقد صرت كالمقيم وسط أفاع لا يأمن لسعها، وكالمجاور لنار يتقي شرها ويستكفي لذعها. والله المسئول توسيع الأمور إذا ضاقت مسالكها، وهو المرجو لإصلاح قلوب الملوك على مماليكهم،إذ هو رب المملكة ومالكها. وها أنا جاثم جثوم الليث في عرينه، وكامن كمون الكمى في كمينه، وأعظم ما كانت النار لهباً إذا قل دخانها، وأشد ما كانت السفن جرياً إذا سكن سكانها، والجياد تراض ليوم السباق، والسهام تكن في كنائنها لإصابة الأحداق، والسيوف ى تنتضى من الأغماد إلا ساعة الجلاد، واللآلئ لا تظهر من الأسفاط إلا للتعلق على الأجياد. وبينما أنا كالنهار الماتع طاب براده، إذ تراني كالسيف القاطع خشن حداه، ولكل أقوام أقوال، ولكل مجال أبطال نزال، وسيكون نظري – بمشيئة الله – الدائم ونظرهم لمحة، وريحي في هذه الدولة المنصورة عادية، وريحهم فيها نفحة، وها أنا مقيم تحت كنف إنعامها، راج وابل إكرامها من هاطل غمامها، منتظر لعدوها أنكأ سهامها من وبيل انتقامها، وأملى علي قال: كتبت إلى أبي القايم بن أبي الحسن شيث – وكان قد انصرف عن الملك الظاهر ثم رجع إليه بأمر من الملك الظاهر – : مقدم سعد مؤذن بسمو ومجد للمجلس الجماني لا زال غاديا في السعادة ورائحاً، منوحاً من الله بالنعم و مانحاً، ميسراً له أرجح الأعمال

كما لم يزل على الأماثل راجحاً، موضحاً له قصد السبيل كوجهه الذي ما برح مسفراً واضحاً، قد رد الله بأوبته ما نزح من السرور، وأعاد بعودته الجبر إلى القلب المكسور، ولأم بإلمامه صدوعاً في الصدور، والواجب التفاؤل بالعود إذ العود أحمد، بل يقال: انقلب إلى أهله مسروراً، وتوطن من النعمة الظاهرية جنة وحريراً،ودعا عدوه لعوده ثبوراً، وصلى من نار حسده سعيراً، أسعد الله مصادره وموارده، ووفر مكارمه ومحامده،وأيد ساعده ومساعده. وأنشدني لنفسه – أدام الله علوه – من قصيدة قالها في الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب صاحب حلب مطلعها:

لا مدح إلا لمليك الزمان ... من المنى في بابه والأمان
غياث دين الله في أرضه ... إن أخلف البرق وضن العنان
في كفه ملحمة للندى ... مثل التي تعهد يوم الطعان
فالعسر مصروع بساحاته ... واليسر سام في ظهور الرعان
وراحتاه راحة للورى ... على كريم الخلق مخلوقتان
فكفه اليمنى لبسط الغنى ... وكفه اليسرى لقبض العنان

ومنها:

تعرب في الهيجاء أسيافه ... عن حركات مثل لفظ اللسان
كسر وفتح في بلاد العدى ... وبعده ضم لمال مهان

ومنها في صفة ولديه:

بكران بل بدران ما يكسفان ... روحان للملك وريحانتان
لؤلؤتا بحر وغن شئت قل ... ياقوتتا نحر وعقدا لبان
فرعان في دوحة عز سمت ... غيثان بل بحران بل رحمتان
سيملكان الأرض حتى يرى ... لي منهما حران والرقتان

ومنها:

فأسلم على الدهر شديد القوى ... ذا مرة ما شد كف بنان

واستوطن الشهباء في عزة ... وأخسس بغمدان وقعبى لبان

وأنشدني أدان الله علوه لنفسه من قصيدة:

إذا أوجفت منك الخيول لغارة ... فلا مانع إلا الذي منع العهد
نزلت بأنطاكية غير حافل ... بقلة جند إذ جميع الورى جند
فكيف أهيف حازته هيف رماحكم ... وكم ناهد أودى بها فرس نهد
لئن حل فيها ثعلب الغدر لاون ... فسحقاً له قد جاءه الأسد الورد
وقد كان اغتر اللعين بلينكم ... وأعظم نار حيث لا لهب يبدو
جنى النحل مغتراً وفي النحل آية ... فطوراً له سم وطوراً له شهد

تمدك أجناد الملوك تقرباً ... وجند السخين العين جزر ولامد
تهنا بها بكراً خطبت ملاكها ... فأعطت يد المخطوب وانتظم العقد
فجيشك مهر والبنود حموله ... وأسهمكم تبر وسمر القنا نقد

وله من التصانيف كتاب الضاد والظاء وهو ما اشتبه في اللفظ واختلف في الخط، كتاب الدر الثمين في أخباره المتيمين،كتاب من ألوت الأيام إليه فرفعته ثم التوت عليه فوضعته، كتاب أخبار المصنفين وما صنفوه، كتاب أخبار النحويين كبي، كتاب تاريخ مصر من ابتدائها إلى ملك صلاح الدين إياها في ست مجلدات، كتاب تاريخ المغرب ومن تولاها من بني تومرت، كتاب تاريخ اليمن منذ اختطت إلى الآن، كتاب المجلى في استيعاب وجوه كلا، كتاب الإصلاح لما وقع من الخلل في كتاب الصحاح للجوهري،كتاب الكلام على الموطئ لم يتم إلى الآن، كتاب الكلام على الصحيح للبخاري لم يتم، تاريخ محمود بن سبكتكين وبنيه إلى حين انفصال الأمر عنهم، كتاب أخبار السلجوقية منذ ابتداء أمرهم إلى نهايته، كتاب الإيناس في أخبار آل مرداس، كتاب الرد على النصارى وذكر مجامعهم، كتاب مشيخة زيد بن الحسن الكندي، كتاب نهزة الخاطر ونزهة الناظر في أحسن ما نقل من على ظهور الكتب.

وكان الأكرم القاضي المذكور جماعة للكتب حريصاً عليها جداً، لم أر مع اشتمالي على الكتب وبيعي لها وتجارتي فيها أشد اهتماماً منه بها، ولا أكثر حرصاً منه على اقتنائها، وحصل له منها ما لم يحصل لأحد، وكان مقيماً بحلب، وذلك أنه نشأ بمصر وأخذ بها من كل علم بنصيب، ولي والده القاضي الأشرف النظر ببيت المقدس من قبل الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين بن أيوب، وصحبه القاضي الأكرم وذلك في سنة إحدى وتسعين وخمسمائة، وأقام بها مع والده مدة فآنس ولاة المقدس الأكرم – أدام الله عزه – شرف نفس وعلو همة، فأحبوه واشتملوا عليه، وكانوا يسألونه أن يتسم بخدمة أحد منهم، فلم يكن يفعل ذلك مستقلاً، وإنما كان يسأم العمل ويعتمد على رأيه في تدبير الأحوال، وكان لا يدخل معهم إلا فيما لا يقوم غيره فيه مقامه، واتفق ما اتفق بين الملك العادل أبي بكر بن أيوب وبين أخيه الملك الأفضل علي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب – والأكرم حينئذ ببيت المقدس – فاقتضت الحال – لاتسامه بخدمه في حيز الملك – أن خرج من القدس فيمن خرج منها من العساكر في سنة ثمان وستمائة، وصحب فارس الدين ميموناً القصري والي القدس ونابلس،فالتحقا بالملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب بحلب في قصة يطول شرحها، فلما حصل بحلب كان مع ميمون القصري على سبيل الصداقة والمودة لا على سبيل الخدمة والكتابة، واتفق أن كاتب ميمون ووزيره قد مات، فألزمه ميمون خدمته والاتسام بكتابته،ففعل ذلك على مضض واستحياء، ودبر أمره أحسن تدبير، وساس جنده أحسن سياسة وتدبير، وفزع بال ميمون من كل ما يشغل به بال الأمراء، وأقطع الأجناد إقطاعات رضوا بها وانصرفوا شاكرين له، ولم يعرف منذ تولي أمره إلى أن مات ميمون جندي اشتكى أو تألم، وكان وجيهاً عند ميمون المذكور يحترمه ويعظم شأنه، ويتبرك بآرائه إلى أن مات ميمون في ليلة صبيحتها ثالث عشر رمضان سنة عشر وستمائة، فأقر الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين خزانته عليه وهو ملازم لبيته متشاغل بالعلم وتصنيف الكتب إلى أن احتاج ديوانه إليه، فعول في إصلاحه عليه،وهو مع ذلك مجتنب غير راض، وحدثني أدام الله عزه قال:

قال حدثني والدي قال: قدمت مع والدي إلى مصر أول قدمة ولم نستصحب دواب، لأننا انحدرنا في السفن وقلت لأبي: نأخذ معنا دواب؟ فقال: يعسر أمرها علينا فدعنا نمض بالراحة في المركب، وإذ وصلنا خرجنا نمشي إلى أن جاء بي إلى سوق وردان، وهناك تلك الحمير التي هي أحسن من البغال، فقال لي والدي: أركب أيها شئت لنمضي إلى القاهرة، فامتنعت وقلت: والله لا ركبت حماراً قط. فقال: لا بد من المضي إلى القاهرة فما تصنع؟ قلت لأبي: نؤخر المضي اليوم حتى نشتري مركوباً إما فرساً وإما بغلة أركبها أنا واصنع أنت بنفسك ما تشاء، فعذلني فلم أرعو فاجتاز بنا رجل له هيئة وشارة فتقدم والدي إليه وقال له: يا أخي، تعرف القاضي الأشرف أبا الحجاج يوسف بن القاضي الأمجد أبي إسحاق إبراهيم الشيباني القفطي؟ فقال: لا أعرفه. قال: امض في أمان الله. ثم مر به آخر فسأله مثل ذلك السؤال حتى سأل جماعة فلم يكن منهم من يعرفه، فالتفت إلي وقال لي: ويلك، إذا كنت في مدينة لا يعرفك بها أحد فما تصنع بهذا التخرق والترتيب في المركوب؟ اركب ودع عنك الكبرياء والعظمة التي لا تجدي ههنا شيئاً. قال: فركبت حينئذ ومضينا إلى القاهرة، وكان لهذا السبب متفقد الخيول المشهورة بالجودة وكثرة الثمن حتى لقد حدثني: أنه سمع ابن دحية الحافظ وقد سئل عن القاضي الأشرف القفطي فقال: أليس هو صاحب الخيول المسومة والعبيد الروقة؟ فما أولاه إذن بقول عامر بن الطفيل:

إني وإن كنت ابن سيد عامر ... وفارسها المشهور في كل موكب

فما سودتني عامر عن وراثة ... أبى الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكنني أحمي حماها وأتقي ... أذاها وأرمي من رماها بمنكب

فصل: قال الأكرم من إنشائي من جملة كتاب أنشأت عن المقر الأشرف الملكي الظاهري عند رحيل عسكر الفرنج عن حصن الخوابي: ولما وردت الراية الباطنية صدرت في نجدتهم العساكر الظاهرية تحت الألوية الأمامية الناصرية وسار في المقدمة ألف فارس من أمجاد الأنجاد وأمثال الأطواد وهم الذين لا يثنون عن الطعن عناناً، ولا يسألون عند الانتداب إلى الكريهة عما قيل برهاناً، ولما التقى الجمعان وتراءى الفريقان، قمع حزب الإنجيل حزب القرآن، وخفض صوت الناقوس صوت الأذان، وفل جيش ابن يوسف جمع بني إسحاق، وعلا علم الأحمر على بني الأصفر أهل الشقاق، وحركت الأهوية ألسن الألوية بأصوات النجح فقالت بلسان الحال: تعال على خير العمل من القتال، فقد جاء نصر الله والفتح، وما أودت من المناجزة قوة جانب ولا شدة محاجزة، وإنما منع جبل وعر ضاق مسلكه، وتعذر مجاله على الفرسان ومعتركه، وامتنعت منه أسباب النزال، (ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفى الله المؤمنين القتال). فقلعت القلعة من خناقها، وأفلتت من يد القابض بساقها، واشتغل العدو عنها بإعمال رأيه في الخلاص، وذلك لما تحققه من ترادف العساكر المنصورة ولات حين مناص، ولما اجتمعوا للمشاورة تناقضت منهم الآراء عند المحاورة، وأوجب ذلك اختلافاً من جميعهم قضى بافتراق جموعهم، وباتوا ليلة الاثنين ولهم ضوضاء، ثم أصبحوا وقد خلا منهم الفضاء، لم يلف منهم أحد، ولا وجد لمنزلهم إلا النؤي والوتد، وذلك لرأي أجمعوا عليه لما تحققوا أن لا ملجأ من الهرب إلا إليه، وللوقت ندب مولانا السلطان خلد الله ملكه

جماعة من الصناع لإصلاح مختلها، ورفع ما فرق من تلها، وحمل إليها ما عدمته من الآلة عند القتال. وتقدم إلى رئيس الإسماعيلية بحمل ما يحتاج إليه من الذخيرة والمال، وقد شرع والشروع ملزم بالإكمال.

حدثني الصاحب الوزير الأكرم أدام الله تمكينه قال: خرجت يوم الجمعة خامس عشر ذي القعدة سنة ثماني عشرة وستمائة إلى طاهر مدينة حلب على سبيل التيسير، فرأيت على جانب قويق عدة مشايخ بيض اللحى، وقد سكروا من شرب الخمر وهم عراة يصفقون ويرقصون على صورة منكرة بشعة فاستعذت بالله من الشيطان الرجيم، ورجعت مغموماً بذلك وبت تلك الليلة، فلما أصبحت وركبت للطلوع إلى القلعة استقبلني رجل صعلوك فقال: انظر إلى حالي نظر الله إليك يوم ينظر إليه المتقون، فقلت له: ما خبرك؟ قال: أنا رجل صعلوك وكان لي دابة أسترزق عليها للعائلة فاتهمني الوالي بالخيول بسرقة ملح، فأخذ دابتي ثم طالبني بجباية فقلت: خذ الدابة. فقال: قد أخذتها وأريد جباية أخرى. فقلت له: أبشر بما يسرك وطلعت إلى صاحب الأمر يومئذ، وهو الأمير الكبير أتابك طغرل الظاهري وقلت: روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (ثلاثة أشياء مباحة، الناس مشتركون فيها: الكلأ، والماء، والملح). وقد جرى كيت وكيت ولا يليق بمثلك، وأنت عامة وقتك جالس على مصلاك مستقبل القبلة والسبحة في يدك أن تكون مثل هذه الأشياء في بلدك. فقال: اكتب الساعة إلى جميع النواحي برفع الجبايات ومحو اسمها أصلاً، وأمر الولاة أن يعملوا بكتاب الله وسنة رسوله،ومن وجب عليه حد من الحدود الشرعية يقام فيه على الفور، ولا يلتمس منه شيء آخر، ومر الساعة بإراقة كل خمر في المدينة، ورفع ضمانها، واكتب إلى جميع النواحي التي تحت حكمي بذلك، وأوعد من يخالف ذلك عقوبتنا في الدنيا عاجلاً، وعقوبة الخالق في الآخرة آجلاً، فخرجت وجلست في الديوان، وكتبت بيدي ولم أستعن بأحد من الكتاب في شيء من ذلك ثلاثة عشر كتاباً إلى ولاة الأطراف ثم أنشد:

ولا تكتب بكفك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وكان محصوله من ضمان ما أطلق ما مقداره مائتا ألف درهم في السنة، وإن أضيف إليه ما يستقبل في السنة الآتية من رخص الكروم وتعطل ضماناتها وقلة دخلها بهذا السبب – كان ذلك – ألف ألف درهم أو ما يقاربها، وكان والده القاضي الأشرف أبو المحاسن يوسف بن إبراهيم من أهل الفضل البارع والبلاغة المشهورة، وكان ينوب بحضرة السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب عن القاضي الفاضل في جماعة من الكتاب، وكان حسن الخط على طريقة ابن مقلة، فاتفق أن طال مقامه بالشام في صحبة السلطان وأراد الرجوع إلى مصر طلباً للراحة ونظراً في مصالحه، فطلب من السلطان إذناً فقال: يحتاج في ذلك إلى إذن صاحبك، فكتب العماد إلى القاضي: يلتمس غيره ليؤذن له فقد طالت غيبته عن أهله، فكتب القاضي في الجواب كتاباً يقول فيه: وأما التماس العوض عن الأشرف القفطي فكيف لي بغيره؟ وهو ذو لسان صهصلق منطيق، وخاطر ينفق عن سعة في كل مضيق. وكتب إلى القاضي الفاضل رقعة وضمنها البيت المشهور:

نميل إلى جوانبه كأنا ... إذا ملنا نميل على أبينا

فكتب القاضي الجواب وضمنه:

فديتك من مائل كالغصون ... إذا ملن أدنين مني الثمارا

وتزهد والده وترك العمل وأقام باليمن إلى أن مات بها في رجب سنة أربع وعشرين وستمائة.

وحدثني أدام الله علوه قال: حججت في موسم سنة ثمان وستمائة، وكان والدي في صحبتي فصادفت بمكة جماعة من أهل بلدنا، وكنت بعيد العهد بلقاء أحد منهم، فرآني رجل فالتحق بي كما جرت العادة، ثم عاد إلى من في صحبته من بلدنا فأخبرهم بنا فجاء وهم إلى منزلنا فقضوا حقنا بالسلام والسؤال والحرمة، ثم انصرفوا إلى رحالهم فجاء كل واحد منهم بما حضره لم يحتفلوا له، وكان فيما جاءونا به ظرف كبير مملوء عسلاً، وآخر سمناً على جمل وهو وقره، فألقاه في خيمتنا فأمرت الغلمان أن يعلموا منه حيساً فيكثروا على عادة تلك البلاد، وأكلنا وأكثرنا زيادة على ما جرت به عادتنا، ثم طفنا بالبيت وعدنا إلى رحالنا ونمت فرأيت في النوم كأني في الحرم أطوف، وإذا رجل شديد الأدمة مشوه الخلقة، فأخذ بيدي وأخرجني من الحرم من باب إبراهيم فإذا به قد وقفني على الظرفين بعينهما لا أرتاب بهما فقال لي: أتعرف هذين؟ فقلت: نعم، هذان ظرفان جارنا بهما رجل على سبيل الهدية، أحدهما سمن والآخر عسل، فقال لي: ليس الأمر كذلك، ثم حط يده على بطنهما وعصر فخرج من فمهما نار أحسست بلفحها في وجهي، وجعلت أمسح فمي من شدة حرهما وانزعجت من هول ما رأيت، وقمت من فراشي خائفاً فما استطعت النوم إلى الغداة، واجتمعت بمهديهما وكان يعرف بابن الشجاع فقلت له: أخبرني عن هذين الطرفين ما خبرهما؟ فقال: اشتريتهما وجئت بهما، فقلت: يا هذا، هل فيهما شبهة؟ فتحلف أنهما من خالص ماله، فأخبرته بالحال فبكى حينئذ، ومد يده فأخذ بيدي وعاهدني أن يخرج من عهدته وقال: والله ما أعرف أن في مالي شبهة، إلا أن لي أختين ما أنصفتهما في تركة أبيهما، وأنا أعاهد الله أنني أرجع من وجهي هذا وأعطيهما حتى أرضيهما.

قال الصاحب – أدام الله علوه: فعلمت أنها لي موعظة، فعاهدت الله ألا آكل بعدها من طعام لا أعرف من أين وجهه؟ فكان لا يأكل لأحد طعاماً ويقول: الناس لا يعرفون بواطن الأمور ويظنونني أفعل ذلك كبراً، ومن أين لي بما يقوم بعذري عندهم؟ ثم كنت بعد ذلك في حضرته بمنزله المعمور وقد عاد من القلعة بحلب فقال لي: جرت اليوم ظريفة، فقلت له: هات خبرها – أدام الله إمتاعنا بك – ، فما زلت تأتي بالظرائف والطرف.

فقال: حضرت اليوم في مجلس الملك الرحيم أتابك طغرل الظاهري وحضرت المائدة وفيها طعام الملوك: شواء وشرائح وسنبوسك وحلاوات وغيرها كما جرت العادة، فتأملته فنفرت نفسي منه ولم تقبله مع كوني قد قاربت الظهر ولم أتغد فلم أنبسط ولا مددت يدي إليه. فقال لي: مالك لا تأكل وكان قد عرف عادتي؟ فقلت له: إن نفسي لا تقبل هذا الطعام ولا تشتهيه. فقال: لعلك شبعان، فقلت: لا والله، إلا أنني أجد في نفسي نفوراً منه، فأشار إلى غلام فدخل داره وجاء بمائدة عليها عدة غضائر من الدجاج فلم تقبل نفسي إلا دجاجة واحدة معمولة تحت رمان فمددت يدي إليها وتناولت منها.

قال: فرأيت أتابك وهو يتعجب فقلت له: ما الخبر؟ فقال: اعلم أنه ليس في هذا الطعام شيء أعلم من أين وجهه وهو من عمل منزلي غير هذه الدجاجة؟ وأما الباقي فجاءنا من جهة ما نفسي بها طيبة، وتشاركت أنا

وهو في تلك الدجاجة مع بغضي لحب الرمان، وكان أتابك لا يأكل إلا من مال الجوالي فقط، فجعلت أعجب من ذلك. فقال أدام الله علوه: اعلم أنني لا أحسب هذا كرامة لي ولكني أعده نعمة من الله في حقي، فإن امتناعي لم يكن عن شيء كرهته ولا ريب اطلعت عليه، ولكن كان انقباضاً ونفرة لا أعرف سببها، ولا الإبانة على معناها.

كان صفي الدين الأسود عند نزول الملك الأشرف بحلب قد عرض كتاباً له يعرف بالتذكرة لابن مسيلمة – وكان معروفاً بالبغاء – أحد كتاب مصر يشتمل على قوانين الكتابة وآئين الدولة العلوية، وأخبار ملوك مصر المتقدمين في اثني عشر مجلداً، ودفع له فيه ما سمح ببيعه، وعرض على الصاحب الكبير جمال الدين الأكرم أدام الله علاه وكبت أعداءه، فأراد شراءه واتفق رحيل الملك الأشرف إلى الجزيرة فأرسل إليه ثمنه وزيادة في مثله وافرة، فلما علم صفي الدين أن المشتري هو الوزير أدام الله علوه ضن بالكتاب واغتبط، واحتج وخلط، وزعم أنه قدمه للخزانة الأشرفية، فكتب الصاحب الوزير إلى أبي علي القيلوي – وكان وسيطه في شرا الكتاب المذكور – ما هذه نسخته: العز لله وحده

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

أتاني كتاب من حبيب فشاقني ... إليه وزاد القلب وجداً على وجد
وكدت لما أضمرت من لاعج الهوى ... ووجداً على مافات أقضى من الوجد

وقف على الكتاب الكريم الصادر عن المجلس السامي القضائي العزي – لا زالت سيادته تتجدد، وسعادته تتأكد، وفواضله تتردد، وفضائله عن مجلسه تصدر، وفي المجالس تورد – وعلمت إشارته في التذكرة المسيلمية والنية في حملها إلى الخزانة الأشرفية، ولقد زفت إلى أجل خاطب، ورقيت بعد انحطاطها إلى أسمى المراتب، فإنها وإن كانت بكر فكر أكابر، فما هي إلا بنت عدة آباء، ولدت على فراش عواهر، كان عليه البغاء في العالمين علامة، أعني ابن مسيلمة ذا الداء، وأسأل الله السلامة، فجاءت ذات غرام لا يشفي قطمها إلا السودان، وأردت أن أكون ناكحها الثاني لاتفاق الألوان، وأبى الله لها إلا أن تهدى إلى المقر الأرفع، وأن يقع الابتناء بالبغي من الهمام الأروع، ولست يائساً على عدمها، ولا راجياً شفاء كلمي بكلمها:

تحمل أهلها عني فبانوا ... على آثار من ذهب العفاء

وكأني بساميه عرض هذا الكتاب على من لا أسميه، فقرن حاجبيه، ولوى شفتيه، ولمس عثنونه تعجباً، وأمال عطفيه تظرفاً وقال: أذكرني سجع الكهان، وأسمعني قعقعة صعصعة بن صوحان، والله المستعان على ما يصفون، وإنما هي نفثة مصدور، صدر نافثها بصفقة المغبون، وأما سؤاله عما حصل من الكتب في غيبته، فما هي إلا البحر جاد بدره ... ومكنني من لجه وسواحله

حصل من نفائسها أعلاق نفيسة، وأضحت على بغض المزاحم عليها موقوفة حبيسة، لو امتدت يد إليها لشلت، ولوسعت إليها قدم لما أقلت جثتها ولا استقلت، لا ابن العديم يعدمها، ولا القيلوي يقللها، ولا الصفي يصطفيها، ولا المجد يختزلها.

خلا لك الجو فبيضي واصفري

وتعداد المجدد منها يقصر عنه الكتاب، ويقصر دونه الخطاب، والله الموفق.

أبو علي المنطقي

لم أظفر باسمه وهو مجيد. قال الخالع: هو من أهل البصرة وتنقل عنها في البلاد، ومدح عضد الدولة وابن عباد، وانقطع مدة من الزمان إلى نصر بن هارون، ثم إلى أبي القاسم العلاء بن الحسن الوزير، وكان جيد الطبقة في الشعر والأدب عالماً بالمنطق قوي الرتبة فيه، وجمع ديوانه وكان نحو ألفي بيت، ومولده سنة ست وثلاثين وثلاثمائة، ومات بشيراز بعد سنة تسعين وثلاثمائة، وكان ضعيف الحال ضيق الرزق عارفاً – وجدت على حاشية الأصل ما هذا صورته: إنا لله وإنا إليه راجعون – . ما يحتاج مستدل على أن الأرزاق ليست بالاستحقاق بأقوى من هذا الرجل، فإنه لو وفي حقه لكان أعظم قدراً من المتنبي، لأنه ليس بدونه في الشعر جودة وصحة معنى ومتانة لفظ وحلاوة استعارة وسلاسة كلام، وكان مع ذلك مزاحاً طيب العشرة حاد

النادرة، وأصيب بعينه في آخر عمره، وله في ذلك أشعار كثيرة. وهذا القدر حكاه الخالع من خبره ولم يعرف غير ذلك. ومن شعره:

يا ريم وجدي فيك ليس يريم ... بين الضلوع وإن رحلت مقيم
لا تحسبي قلبي كربعك خالياً ... فيه وإن عفت الرسوم رسوم
تبلى المنزل والهوى متجدد ... وتبيد خيمات ويبقى الخيم

ومن شعره لما أصيب ببصره:

ما للهموم إذا ما هيمها وردت ... علي لم تفض من ورد إلى صدر
كأنما وافق الأعشاب رائدها ... لدى حماي فقد ألقى عصا السفر
إن يجرح الدهر مني غير جارحة ... ففي البصائر ما يغني عن البصر

وله في الخمر:

قهوة مثل رقراق السراب غدا ... حبب المزاج عليها جيب مزرور
تختال إن بث فيها الماء لؤلؤه ... ما بين عقدين منظوم ومنثور
للتها مثل سل الفجر صارمه ... وأحجم الليل في أثواب موتور
كأنما إذ بدت والكأس تحجبها ... روح من النار في جسم من النور
إذا تعاطيت مخزوناً أبارقها ... لم يعدني كل مفروح ومسرور
أمسي غنياً وقد أصبحت مفتقراً ... كأنني الملك بين الناي والزير

وله في نصر بن هارون:

ينال علاه ما السها عنه عاجز ... ويسقي نداه من تجاوزه القطر

ويصنع في الأعداء خوف انتقامه ... من القتل ما لا تصنع البيض والسمر
لأعطيت حتى استنزر الغيث فعله ... وآمنت حتى قيل لم يخلق الذعر

وله فيه أيضاً:

به تخضر أغصان الأماني ... ويجبر عنده الأمل الكسير
وتبسم نائبات الدهر عنه ... كما ابتسمت عن الشنب الثغور
لقد سهلت بك الأيام حتى ... لقال الناس لم تكن الوعور
وكيف أخاف دهراً؟ أنت بيني ... وبين صروفه أبداً سفير

وله من قصيدة في ابن معروف:

في البرق لي شاغل عن لمعة البرق ... بدا وكان متى ما يبد لي يشق
منفرداً سرب نومي عن مراتعه ... كأنما اشتق معناه من الأرق
أخو ثنايا التي بالقلب مذ ظعنت ... أضعاف ما بوشاحيها من القلق
ما كان يسرق من حرز الجفون كرى ... لو أنه من لماها غير مسترق

وله:

نوار وهي نوار من مساعفتي ... وهند وهي بيض الهند تعتصم

تربان إن تك من جدواهما تربت ... يد المحب فوجدان الهوى عدم

غض الحيا إذا لاحظت وجنته ... كادت لحاظك في ديباجها تسم

وله يعاتب:

صافيت فضلك لا ما أنت باذله ... وعاشق الفضل يغرى كلما عذلا

إني أعيذك من قولي لسائله: ... لقد حدوت ولكن لم أجد جملاً

وقال في صمصام الدولة:

لا غضني الدهر الخؤون فإنه ... قد كان رقاك صلاً أرقما

أنتم بحار جاريات بالندى ... لكنها في الروع جارية دما

وله:

ليث أبو شبلين لم يسلمهما ... كرم الجدود ولا سمو جدود

للمجد سر لم يضيع فيهما ... والراح سر في جنى العنقود

وله:

أكفكم تعطي ويمنعنا الحيا ... وأقلامكم تمضي وتنبو الصوارم

وإن أبا العباس إن يك للعلا ... جناحاً فأنتم للجناح القوادم

مضى وبقيتم أبحراً وأهلة ... وزهر الربا يبقى وتمضي الغمائم

وله:

قولي يقصر عن فعالك ... تقصير جدك عن كمالك

والحمد ينبت كلما ... هطلت سماء من نوالك

وله:

كأن دبيبها في كل عضو ... دبيب النوم في أجفان سار

صدعت بها رداء الهم عني ... كما صدع الدجى وضح النهار

وله من قصيدة في عضد الدولة يذكر الصدق:

ما زلت تنصف في قضاياك العلا ... قل لي: فما بال الضحى يتظلم؟

هديت رونقه إلى جنح الدجى ... فاعتن أشهب وهو طرف أدهم

حتى كأن الليل صبح مشرق ... وكأن ضوء الصبح ليل مظلم

هي ليلة لبست رضاك فأشرقت ... من بعد ما كانت بسخطك تظلم

ما كان في ظن امرئ من قبلها ... أن الملوك على الليالي تحكم

وله:

أنام جفون الحقد والحقد ساهر ... وأيقظ طرف المجد والمجد نائم

إذا أشكلت يوماً لغات انتقامه ... على معشر فالمرهفات تراجم
ومن شاجر الأيام عن مأثراتها ... فأمضى لسانيه القنا والصوارم
وله من قصيدة:
وقفنا بها والشوق يفرى قلوبنا ... لواعجه والصبر غير مطاوع
سقيت رجوع الظاعنين فإننا ... نجلك عن سقيا الغمام الهوامع
فجعنا بأبكار المنى يوم خاطبت ... ربوعك أبكار الخطوب الفواجع
ومنها:
وخيل إذا كظ الطراد أراحها ... أصابت بحر الطعن برد الشرائع
تكاد ترى بالسمع حتى كأنما ... نواظرها مخلوقة في المسامع
إذا ما دجا ليل الكريهة أطلعت ... نجوم قناً يغربن بين الأضالع
وله:
على عجل ألم الخيال ... فإن كراه بعدكم محال
فبات معانقاً والجيد وهم ... ومرتشفاً وأحلى الريق آل
لدى ليل كان النجم فيه ... على خد الظلام الجون خال
يضام الرمح ليس له مدار ... ويكبو الطرف ليس له مجال

طبعت على الوفاء المحض قدماً ... كما طبعت على القطع النصال
ومنها:
توسمت الوابل فيه مجداً ... فقالت: أول البدر هلال
وأطرب ما يكون إلى العطايا ... إذا غني فأسمعه السؤال
مصاحب همة خفت عليها ... من الأيام أعباء ثقال
كرمت فلو سألناك المساعي ... وهبت وغيرها تهب الرجال
وأكرم من قراك فتى عليه ... بنو الدنيا وأمهم عيال
وقال في الوزير ابن صالحان:
على الطيف أن يغشى العميد المتيما ... وليس عليه رد نوم تصرما
خيال سرى يبغي خيالاً ومغرم ... بلبس قميص الليل يمم مغرما
دنا والظلام الجون غض شبابه ... فأهدى إليه الشيب لما تبسما
أتلك اللآلئ من ثناياه ألفت ... عليه عقوداً أم تقلد أنجما؟
أما والحما إن الكرى لسميه ... على مقلتي مذ أخلقت جدة الحما
لأشكل حتى ما يعود بنو الهوى ... معالمه الأنضاء إلا توهما
وليل أكلنا العيس تحت رواقه ... بأيدي سرى تثني الرواسم أرسما

بهيم نضونا برده وهو مخلق ... وكنا لبسناه قشيباً مسهما
هداها إلى مغنى الوزير نسيمه ... ومن شرف الأخلاق أن نتنسما
يصوب على العافين مزن بنانه ... فيكبت حساد أو ينبت أنعما
وله:
غي الهوى للصب غاية رشده ... فذريه من حل الملام وعقده
قربت مراكب وعظه ولجاجه ... في الحب ينتج قربه من بعده
والليل تكحل مقلتاه بإثمد ... والأفق يزهر دره في عقده
فكأن زنجياً تبسم ثغره ... إسفار ذاك اللون في مربده
تعب الفتى جسر إلى راحاته ... يفضي ونهضة جده في جده
وإذا ابن عزم لم يقم متجرداً ... للحادثات فصارم في عمده
فالسيف سمي في النوائب عدة ... لمضائه فيهن لا لفرنده
ومن المدح:
نثني عليه وإن تكرم غيره ... فتراه مشكوراً بما لم يسده
علماً بأن بني السماح تعلموا ... منه فكل صنيعة من عنده
وله في عضد الدولة:
أربع الصبا غالتك بعدي يد الصبا ... وصعد طرف البين فيك وصوبا؟؟
لئن رمقت عين النوى حور عينه ... فبن لقد غادرن قلباً معذبا
تأودن قضباناً ولحن أهلةً ... وغازلن غزلاناً ولاحظن ربربا
ومنها:
رددت شباب الملك نضراً ولم يزل ... بغيرك مغبر المفارق أشيبا
فلو كانت الأيام قبلك رحبت ... بشخص لقالت إذ تراءيت مرحبا
وله قصيدة إلى أبي بكر العلاف يتشوقه:
كأن البين ترب الموت لكن ... يواري في الضنا لا في الثياب
ولولا أن فرط الشوق واش ... بحبك لاستزدتك ضعف ما بي
جمعت غرائب الآداب حتى ... إذا قرنت إلى النعم الرغاب
ظللت منادياً في كل أفق ... بصوت البذل حي على انتهاب
وله من قصيدة في العلاء بن الحسن الوزير:
أعاطي كئوس اللهو كل غريرة ... إذا ما انثنت قدت فؤادك بالقد
تلاحظ عن سحر وتسجر عن دجى ... وتسفر عن صبح وتبسم عن عقد
إذا نثرت أيدي الصبا در لفظها ... نظمن على الأحشاء عقداً من الوجد
كما نظمت كفا أبي القاسم العلا ... نظام لآلي السمط بالنثر للرفد

إذا اتصلت أقلامه بظباته ... تقطع ما بين الطوائل والحقد
فلا يهنأ الأعداء ن أن مكانه ... خفي فقد تخفى الشرارة في الزند
وله:
نعم لو أن الناس ورق حمائم ... لغدت لهم بدلاً من الأطواق
ومواهب تمضي ويبقى ذكرها ... سمة على وجه الزمان الباقي
وله:

أراعك صدق الطيف أم كذب الحلم ... وكم من خيال وشك إلمامه لمم
سرى والدجا قد حال صبغ قميصه ... وفي ذيله نار من الصبح تضطرم
كأن نهوض الفجر في أخرياته ... بداء بياض الشيب في أسود اللمم
أمين على سر المعالي وسيفه ... على مهج الأعداء في الروع متهم
وله من قصيدة في الدلجي:
لأصبرن على ما سامني زمني ... صبر الكريم على الإقلال إكثار
مدحت قوماً فإن حاض اللسان بهم ... فسوف يعقب ذاك الحيض أطبار
إذا المعمر ترب المجد ألثمني ... ركني يد ثمد ما تسديه تيار
يد هي الغيث أو فيها مواطنه ... فكل ما صافحته فهو نوار
هناك أخطب والعليا منابرها ... منصوبة وجبين الدهر حوار
وله:
وأبناء حاجات أدارت عليهم ... يد السير كأس الأين والليل دامس
يميلون فوق العيس حتى كأنهم ... شروب تساقى والرحال المجالس
أصاخوا وقد غنيتهم باسم ماجد ... لأقلامه تعنو الرياح المداعس
ولما بلغناه تهلل عارض ... سقى صوبه الدنيا ومثواه فارس
وقال في الوزير ابن صالحان:
هو البرق إلا زفرة تتضرم ... وعبرة مشتاق تسح وتسجم
تبسم حتى كاد يبكي وربما ... تراءى فأبكى البارق المبتسم
ولما ألم الطيف شكك أينا ... لدقة شخصينا الخيال المسلم؟
مزجت كنوس الريق منه بأدمعي ... فبت أسقى قهوة مزجها دم
فليت فؤادي ذاب في جفن مزنة ... بها رويت دور ظماء وأرسم
وخرق رحيب الباع لو نيط طوله ... بعروة عمر لم تكد تتصرم
رميت فما أشويت ثغرة نحره ... وما كل ما ترمي به العيس يسهم
بلغنا بها مغناه وهب أهلة ... فلاحت لنا أخلاقه وهي أنجم

وله يمدح:

يصيخ إلى الليل حتى كأنما ... سرى إبلي في مسمعيه سرار
وكم خامل أمطاه حارك رتبة ... حراك ويعلو الترب حين يثار
فأليت أن تقرر عيون ركائبي ... ولا غرو غايات السيول قرار
مددت إلى طعن الكماة عزائماً ... طوال العوالي بينهن قصار
فما كرمت كرمان حتى افتككتها ... ولا أصحرت حتى ارتجتك صحار
إذا صد وجد البحر عنها تيقنت ... بأنك بدر في يديه بحار

وله:

جذل بما يعطيهم فكأنما ... أخذ المؤمل من نداه عطاء
عفو تسيل به الشعاب كأنما ... فيه الذنوب وقد طفون غثاء

وله:

ولما استرد الصبح عارية الدجى ... تولى بطيئاً والدموع عجال
ولم أر لابن الشوق كالليل سلماً ... إلى حاجة في الصبح ليس تنال
كريم تبقت من سجاياه فضلة ... فأضحت على خديه وهي جمال

وله:

ودار وغي ثنتها مقربات ... براقعها شحوب أو سهوم
نزلت بعسكر للطير فيه ... عساكر حول حومتها تحوم
بحيث سرائر الأغماد تبدو ... وقلب النقع للساري كتوم
تصالحت الحتوف على الأعادي ... وبيضك للطلى منها خصوم
إذا أوردتها صدرت رواء ... وخلت هام وهي هيم

وله:

إن كتم الليل حدث العبق ... عنها وبعض الحديث ينتشق
ردي على العين فهي طامعة ... كاس زقاد أراقها الأرق

وله

علي إذا غنيت أن تطرب العلا ... فليت فؤادي للسرور منادم
ويجهل قولي فيك قوم ولم يكن ... ليفهم أيك ما تقول الحمائم

وله:

غداة صدقت فكذبتني ... ولولا الشقاوة لم أصدق
وقد كن ما طللنا حقبة ... فليت المطال علينا بقي

وله:

دمن مرضن من البلى فكأنما ... تأتي الرياح طلولها عوادا
من كل مدنفة الرسوم كأنه ... من قبل كانت للمحب فؤادا

إن لم يطر شرر السرى مني فلا ... قدحت يدي للمكرمات زنادا
في كل ليل ثاكل لصباحه ... وكأنما كسي الظلام حدادا
داج إذا زرت على جيوبه ... كنت الحسام وكانت الأغمادا
أحسن بأخلاق الظلام وإن جلا ... وجهاً تعوض بالشحوب سوادا
جمل ولكن ما يلذ ركوبه ... إلا امرؤ يجد المنى أقتادا
يلقاه نشوان الجفون وإنما ... باتت مدامة مقلتيه سهادا

وله:

منازل ذات الوقف إني لواقف ... عليك وماء القلب لا الدمع ذارف
بليت ولم يبل الجديد من الهوى ... وحلت وما حال الغرام المخالف
أترقا جفوني والحيا عنك ممسك ... ويرفق وجدي والبلى بك عانف؟
وقالوا انتشى من غير كاس ولو سقوا ... هوى لدروا أن السلاف السوالف
ضعائف كرات اللحاظ إنما ... تبرح بالجلد القوي الضعائف

وله:

ليت النوى تركتنا في يد العذل ... فالسقم بؤس ولكن ليس كالأجل
صار الصدود لها أمنية معها ... ومن لذائق طعم الموت بالغلل؟
والقلب أول من شط الفراق به ... فأين مسرح هذا الخوف والوجل؟

وله في عضد الدولة:

لو أن بعض سماحها في مزنة ... يوماً لأورق من نداها الجلمد
يا راقد الأسياف إلا عن وغى ... جفن الورى في حومتيه مسهد
ما بال خيلك ما تقات سوى السرى ... وظباك في غير الطلى ما تغمد
عادات بيض الهند عندك أن ترى ... حمراً كما مس اللجين العسجد

وله:

ولم أر مثل الدهر مسدى نعمة ... يجود بها عفواً ويأخذها
إذا كنت عذر الدهر في سوء ما جنت ... يداه فذنب أن تعد له ذنبا

وله:

مضيء فرند القول ماضي شباته ... فلو لم يكن وشياً لقيل مهند
يفارق فاه وهو في الحسن جوهر ... ويلقى عداه وهو في الوقع جلمد

وله:

خرق تصول يد الزمان فيتقى ... ويجود أقوام سواه فيشكر
معط على شكر الصنيع وكفره ... ما كل ما سقت الغمائم يثمر
دامت لك النعما ودمت لآمل ... آرابه عن روض غيرك تذعر
وبقيت ما بقي القريض فإنه ... علق على كر الخطوب معمر

وله:

قرم بخد الحيا من جوده خجل ... كما بقلب الردى من بأسه وجل
في رأيه من غرارى معيفه عوض ... وفي عطاياه من صوب الحيا بدل

وله:

ظلت تعض لتوديعي أناملها ... فخلتها نظمت درا على عنم
يا رب لائمة في الحب لو علمت ... أني ألذ ملامي فيك لم تلم

وله:

إني إذا ما الخل خادعه ... عني الزمان فحال عن عهدي
جانبته ولو أنه عمري ... وقطعته ولو أنه زندي

وله:

أتيتك طوع الشوق أمس فردني ... على عقبي عذر له المجد لائم
وقالوا ثنت أجفانه عنك غفوة ... ولا غرو قد تغفي الأسود الضراغم
ولكن نسيم الراح نم وربما ... أتتك بما لا ريب فيه النمائم
ولو لم يكن ظرف العلا عدت منشداً: ... وأنت إذا استيقظت أيضاً لنائم

وله:

يد موسى تذم صحبة فيه ... هو يمحو سطور ما توليه
يبعث النائل الجسيم فيقفو ... ه بمن على العفاة سفيه
ليت أن المشيب مهديه موسى ... وهو مسترجع لما يهديه
كأخيه الزمان يأخذ ما يع ... طي. وما ضل مقتد بأخيه

وله:

وما قلت إلا ما علمت ولم أكن ... كحامد ورد لم يذق طعم غبه
وذنب زماني أهله غير أنني ... أراك له عذراً محا شطر ذنبه

علي بن يوسف يعرف بابن البقال

يكنى أبا الحسن، قال أبو عبد الله الخالع: هو من أهل بغداد وممن نادم المهلبي ونفق عليه، وكانت له محاضرة حسنة وبضاعة في الأدب صالحة، وطبقة في الشعر جيدة، يذهب مذهب النامي في التطبيق والتجنيس وطلب الصنعة، وكان بكثرة نوادره ومزاحه مستطاباً متقبلاً، وكان حسن اليسار جميل الزي يلبس الدراعة،

وخلف لما مات ما يزيد على مائة ألف درهم، وكانت وفاته في أيام شرف الدولة بن عضد الدولة، ومنزله في مكة العجمي من الزبيدية بالجانب الغربي من مدينة السلام، وخلف ابنة وزوجة فأحبت امرأته أحد بني المنجم وزوجت ابنتها به، فأنفقت المال عليه وماتت الزوجة ولازمته أمها تخدمه كما تخدم المنقطعات.

قال: وكان ابن البقال بخيلاً جشعاً وكان يتلقاني في أيام عضد الدولة فيقول: يا سيدي ما عندك من حديث الشعراء؟ فأقول: قد أمر لهم بمال ولك بجائزة سنية منها كذا وكذا، ومنها كذا وكذا، وأكثر عليه فيقول:

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى ... وإلا فقد عشنا بها زمناً رغدا

ولقيني مرة والسلامي معي فسألني عن مثل ذلك فأجبته بمثل الجواب المقدم ذكره، فقال له السلامي: يكذب، والله ما أمر إلا بقطع أيديهم وأرجلهم، فقال: حوالينا الصدود ولا علينا. وأنشد الخالع لابن البقال يعاتب بعض أصدقائه:

وإني في استعطاف رأي محمد ... علي ومدي نحو معروفه يدي

لكالمبتغي من بعد تسعين حجةتقمصها رجع الشباب المجدد

سأشكو اعتداء منك لولاه ما درت ... صروف الليالي في الهوى كيف تعتدي

فلله قلبي حين أدعو إلى الهوى ... وأعلم حقاً أنه غير مهتدي

وله:

ولما وقفنا للوداع ودوننا ... عيون ترامى بالظنون ضميرها

أماطت عن الشمس المنيرة برقعاً ... فغيبنا عن أعين الناس نورها

وله:

يا مذنباً ويقول إني مذنب ... ما إن سمعت بظالم يتظلم

لك صورة ذل الجمال لحسنها ... تقضي بجور في النفوس وتحكم

ومن العجائب أن طرفك مشعر ... سقماً وأنت بسقمه لا تعلم

وله:

يا طرفها هب لطرفي لذة الوسن ... واستبق ما لا يفل الثوب من بدن

حاشاك في من الشكوى وإن ذهبت ... عيني من الدمع أو قلبي من الحزن

ولا أقول ولو أتلفتني أسفاً ... يا ليت ما كان من حيبك لم يكن

وله:

لئن كان طرفي فاز منك بنظرة ... لقد عاد طرفي بالبلاء على قلبي

جعلت الهوى ذنبي فإن كنت مذنباً ... به فإليك العذر من ذلك الذنب

ولما رأيت البعد منك مقربي ... تباعدت كي أحظى على البعد بالقرب

محمد لا تجمع إلى الهجر غدرة ... فحسبي الذي بي من فراقك يا حسبي

وله يمدح المهلبي:

أنوار أنت كما دعيت نوار؟ ... لم تقض منك قضاءها الأوطار

يا لحظة لحظ الحمام معيدها ... ما كان منك لناظر إنظار
وإذا تساقطك الحديث تخاله ... كأساً عليك من العقار تدار
إني ذكرتك والغرام مواصل ... نفساً عليك يهيجه التذكار
متوقد منه الضمير كأنما ... نيرانه من وجنتيك تعار
هو في الجفون إذا مرته زفرة ... ماء يمور وفي الجوانح نار
ولرب ليل من ذراك خماره ... للنجم فيه من الغمام خمار
قد قلت حين طلعت فيه كبدره ... أرأيت كيف تشابه الأقمار؟
يا صاحبي قفا بنجد عبرة ... حيث الدموع إذا ابتدرن بدار
في منزل لبست بما لبس البلى ... مني المشيب عذائر وعذار
ولئن محتك يد الخطوب فما امحى ... لهوى ديارك في الفؤاد ديار
ولربما اهتزت ربوعك بالندى ... وتنفست بنسيمك الأسحار

ومنها في المدح:

وإذا بدا يوم الكريهة ضاحكاً ... فهناك تسكب دمعها الأعمار
حتى إذا بصروا بعقد لوائه ... عقدت مهابتها به الأسرار
في شرب هيجاء إذا اصطبحوا القنا ... فالطعن سكر والحمام خمار

لهم من البيض الرقاق تحية ... في حسوها ومن الدماء عقار
نهضت بعبء الملك منك عزائم ... للدهر بين عثارهن عثار
لك هضبة في الملك قحطانية ... طرق الحوادث نحوها أو عار
بجبال أندية الوقار إذا احتبوا ... وليوث ملحمة الوغى إن ثاروا
عجباً لأبناء المهلب إنهم ... لم يعدلوا في المجد حتى جاروا
لم يطوهم دهر مضى إلا لهم ... بالجود في آثاره آثار
فعطاؤك الرزق المقسم في الورى ... والدهر أنت وسيفك المقدار

وله أيضاً في المهلبي:

لعينك إذ سار الخليط المغور ... على كل واد دمعة تتحدر
نعم إن رسماً بات يطوى به النوى ... محاسن كانت بالأوانس تنشر
أرى وانياً من عبرة كيف لا يني ... وعلم طرفاً راقداً كيف يسهر
وقفنا ومن ألحاظنا وقلوبنا ... لنا رائدا شوق مسر ومظهر
يحلى ربى آرامه ونحورنا ... جفون بسمطيها من الدمع جوهر
فمن بين معقود يبين فرنده ... علينا ومحلول عليهن ينثر
وسرب رمين النجم في أخرياته ... بسافرة عن وجهها الشمس تسفر

بدت ويمين الصبح يبدو لثامه ... فلم يدر ليل أي صبحيه أنور؟
ومادت فقلنا الغصن جادت به النقى ... بما آد من مجرى الوشاح المؤزر
أعاطل أجياد الأماني من التي ... بها الوفر أم ما استهلك العرض أوفر؟
لئن عد فخراً لبسك المجد من أب ... فلبس الفتى من نفسه المجد أفخر
وماينفع الممتاح يجلو مواردا ... إذا كان ظمآناً من الورد يصدر
ألا بادرا عون العواني برحلة ... يذل بها خد من العيس أصعر
أما تريان الليل يحدو ظلامه ... بوجه القبيصي الصباح المنور
فتى يمتري سجلى نداه وبأسه ... لهاذم تدمي أو غمائم تمطر
وكالدهر لا يدري الذي هو رائم ... بخطب إذا ما أمه كيف يحذر
ويوم رماه النقع منه بليلة ... كواكبها فيه الأسنة تزهر
طلعن من الأغماد في كل مأزق ... فلا خائن إلا لها منه مضمر
دلفت كأن الموت كان مؤامراً ... سيوفك منه والنفوس تقطر
بمجر له في كل فج طليعة ... وفي كل أرض منه ذيل مجرر
سحبت رداء الموت فيه بوقعة ... رداء الفتى فيه من الطعن أقمر
وأضحكت منه الجو والنقع كاتم ... به الشمس عن شمس بها البيض تشهر
بحيث شفوف الأتحمي مفاضة ... إذا زعزع الخطى والتاج مغفر
تفرق في تفريقها الهام والتقى ... على قدر فيها الحمام المقدر
عزائم يرمين الخطوب كأنما ... يقارع منها عسكر الدهر عسكر

وله في المهلبي أيضاً:

عندي لذا الدهر إعقابي إساءته ... بالصفح إن أعقب الإصرار بالندم
أمست منازل من جنت مصافحة ... أيدي النحول عليها أيدي القدم
ولو ملكت لها السقيا وهامتها ... تكفكف المحل عنها أدمع الرحم
لقلت للسح من أيدي الوزير إذا ... حللت ناحلة الأطلال لا ترم
اليعربي الذي خلى الطريق له ... من بات يأخذ رعباً منه باللقم
يزاحم الليل ليل من جحافله ... ويقذف الوهدات الجرد بالأكم
أطار منهم قذاة في عيونهم ... لو أنها في جفون الدهر لم ينم
أبقى له الخوف في أثناء يقظتهم ... ما بات يرسله ليلاً إلى الحلم

عافت سيوفك في الهيجا لحومهم ... فهن يأكلن منها إكلة البشم

وله أيضاً فيه:

روعة بالفراق قبل الفراق ... شرقت بالدموع منها المآقي

جد جد البكا فأهدين باقي الد ... دمع منها إلى كرى غير باق
فاض تندى به الخدود ولو غا ... ض لأمست منه الحشا في احتراق
وعذارى تدنيك من سربها العي ... س دنو الأجفان للأحداق
مخطفات لو شئن من هيف ال ... خصر تبدلن خاتماً من نطاق
حاليات تبدي المعاصم والسو ... ق وتخفي الأجياد في الأطواق
لا يغرنك غفلة الدهر فالعز ... مة إمضاؤها مع الإطراق
قد أرانا ابتسامة الدهر لما ... أطلع الجود شمسه بالعراق
بالمصفى اللباب والأروع البس ... سام بشراً والفاتق الرتاق
ومعير معاندي الملك حدا ... ماضياً في شقاقهم والنفاق
حين حر الهوى بحران والبي ... ض لها من غمائم الهام ساق
بعد ما زعزع الجزيرة بال ... خطي يكرعن في الدماء الدفاق
وأطارت بجو سنجار المو ... ت ظباه ناراً بلا إحراق
في غمام من العجاج ووبل ... يسم الأرض من حميم العتاق
حين والى بها شوازب يفض ... ين إلى كل دارة من طراق
كالحات كأنما نفث الص ... اب الغوالي منهن في الأشداق

وكان ابن البقال يترفع عن الاختلاط بالشعراء ويتكبر عليهم، وكان الرؤساء يكرمونه ويقومون له إذا دخل إليهم، وكان ابن العميد يقدمه على الناس كلهم ويعظمه، وأحضره المهلبي فأنشده بحضرة المتنبي قصيدة فيه.

قال: فحدثني الإمام الهاشمي قال: قال لي المتنبي: ما رأيت ببغداد من يجوز أن يقطع عليه اسم شاعر إلا ابن البقال. قال ابن عبد الرحيم: وحدثني الأستاذ أبو الحسين بن محفوظ وقد جرى ذكر ابن البقال فقال: كان أقل ما فيه الشعر، فغلب عليه وعرف به، وإنه كان يضطلع بعلوم كثيرة من جملتها الكلام، وكان قوياً فيه مقدماً في المعرفة به، وكان يقول بتكافؤ الأدلة وهو بئس المذهب.

عمارة بن حمزة الكاتب من ولد أبي لبابة

مولى عبد الله بن العباس رضي الله عنهما، مولى السفاح، ثم مولى أبي جعفر المنصور. وكان تياها معجباً، جواداً كريماً، معدوداً في سراة الناس، وكان فصيحاً بليغاً، وكان أعور دميماً، وكان المنصور والمهدي بعده يقدمانه ويحتملان أخلاقه، لفضله وبلاغته وكفايته ووجوب حقه، وولى لهما أعمالاً كباراً.

وله تصانيف: منها كتاب رسالة الخميس التي تقرأ لبني العباس، كتاب رسائله المجموعة، كتاب الرسالة الماهانية معدودة في كتب الفصاحة الجيدة، وكان يقال: بلغاء الناس عشرة: عبد الله بن المقفع، وعمارة بن حمزة، وخالد بن يزيد، وحجر بن محمد بن محمد بن حجر، وأنس بن أبي شيخ، وسالم بن عبد الله، ومسعدة، والهزبر بن صريح، وعبد الجبار بن عدي، وأحمد بن يوسف بن صبيح. قال أبو عبد الله محمد بن عبدوس:

قلد أبو العباس السفاح عمارة بن حمزة بن ميمون، من ولد أبي لبابة مولى عبد الله بن العباس صياع مروان وآل مروان، خلا ضياع لولد عمر بن عبد العزيز فإنها لم تقبض، وضياع من والاهم وساعدهم.

وقال الخطيب: عمارة من ولد عكرمة مولى ابن عباس، جمع له بين ولاية البصرة، وفارس، والأهواز، واليمامة، والبحرين، والعرض، وهذه الأعمال جمعت للمعلى بن طريف صاحب نهر المعلى، ولمحمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. وكان عمارة سخياً سرياً جليل القدر، رفيع النفس، كثير المحاسن، وله أخبار حسان، وكان أبو العباس يعرف عمارة بالكبر وعلو القدر وشدة التنزه، فجرى بينه وبين أم سلمة بنت يعقوب بن سلمة المخزومية كلام فاخرته فيه بأهلها، فقال لها أبو العباس: أنا أحضرك الساعة على غير أهبة مولى من موالي، ليس في أهلك مثله ثم أمر بإحضار عمارة على الحال التي يكون عليها، فأتاه الرسول في الحضور فاجتهد في تغيير زيه، قلم يدعه، فجاء به إلى أبي العباس، وأم سلمة خلف الستر، وإذا عمارة في ثياب ممسكة قد لطخ لحيته بالغالية، حتى قامت واستتر شعره، فقال: يا أمير المؤمنين ما كنت احب أن تراني على مثل هذه الحال، فرمى إليه بمدهن كان بين يديه فيه غالية، فقال: يا أمير المؤمنين، أترى لها في لحيتي موضعاً؟ فأخرجت إليه أم سلمة عقداً وكان له قيمة جليلة، وقالت للخادم: أعلمه أنني أهديته إليه فأخذه بيده، وشكر أبا العباس ووضعه بين يديه ونهض، فقالت أم سلمة لأبي العباس: إنما أنسيه، فقال أبو العباس للخادم: ألحقه به وقل له: هذا لك، فلم خلفته؟ فاتبعه الخادم فلما وصل إليه قال له: ما هو لي، فارددده، فلما أدى الرسالة قال له: إن كنت صادقاً فهو لك، وانصرف الخادم بالعقد، وعرف أبا العباس ما جرى، وامتنع من من رده على أم سلمة وقال: قد وهبه لي فاشتريه بعشرين ألف دينار: وكان عمارة يقول: يخبز في داري ألفا رغيف في كل يوم، يؤكل منها ألف وتسعمائة وتسعة وتسعون رغيفاً حلالاً، وآكل منها رغيفاً واحداً حراماً، وأستغفر الله، وكان يقول: ما أعجب قول الناس: فلان رب الدار، إنما هو كلب الدار وكانت نخوة عمارة وتيهه يتواصفان ويستسرفان، فأراد أبو جعفر أن يعبث به، وخرج يوماً من عنده فأمر بعض خدمه أن يقطع حمائل سيفه لينظر أيأخذه أم لا؟ وسقط السيف، ومضى عمارة ولم يلتفت وحدث ميمون بن هارون عمن يثق به: أن عمارة بن حمزة كان من تيهه إذا أخطأ يمضي على خطئه ويتكبر عن الرجوع ويقول: نقض وإبرام في ساعة واحدة، الخطأ أهون من ذلك. وكان عمارة بن حمزة يوماً يماشي المهدي في أيام المنصور ويده في يده، فقال له رجل: من هذا أيها الأمير؟ فقال: أخي وابن عمي عمارة بن حمزة، فلما ولى الرجل ذكر المهدي ذلك لعمارة كالمازح، فقال عمارة: إنما انتظرت أن تقول: مولاي، فأنفض والله يدي من يدك، فضحك المهدي.

وحكى عن عمارة بن حمزة أنه قال: انصرفت يوماً من دار أبي جعفر المنصور بعد أن بايع للمهدي بالعهد إلى منزلي، فلما صرت إليه صار إلي المهدي فقال: قد بلغني أن أمير المؤمنين قد عزم على أن يبايع لأخي جعفر بالعهد بعدي، وأعطي الله عهداً لئن فعل لأقتلنه.

قال: فمضيت من فوري إلى أمير المؤمنين، فلما دخلت إليه قال: هيه يا عمارة، ما جاء بك؟ قلت: أمر

حدث، أنا ذاكره، قال: فأنا أخبرك به قبل أن تخبرني، جاءك المهدي فقال لك: كيت وكيت، قلت: والله يا أمير المؤمنين لكأنك كنت ثالثنا، قال: قل له: نحن أشفق عليه من أن نعرضه لك يا أبا عبد الله.

وقال محمد بن يزداد: قلد المنصور عمارة بن حمزة الخراج بكور دجلة، والأهواز وكور فارس، وتوفي المنصور سنة ثمان وخمسين ومائة وعمارة يتقلد جميع هذه الكور، وبلغ موسى الهادي حال بنت لعمارة جميلة فراسلها، فقالت لأبيها ذلك: فقال: ابعثي إليه في المصير إليك، وأعلميه أنك تقدرين على إيصاله إليك في موضع يخفي أثره، فأرسلت إليه بذلك، وحمل موسى نفسه على المصير إليها، فأدخلته قد فرشت وأعدت له، فلما حصل فيها دخل عليه عمارة فقال له: السلام عليك أيها الأمير، ماذا تصنع ههنا؟ اتخذناك ولي عهد فينا، أو فحلاً لنسائنا؟ ثم أمر به فبطح في موضعه، وضربه عشرين درة خفيفة ورده إلى منزله، فحقد الهادي ذلك عليه، فلما ولي الخلافة دس عليه رجلاً يدعي عليه أنه غصبه الضيعة المعروفة بالبيضاء بالكوفة، وكانت قيمتها ألف ألف درهم، فبينا الهادي ذات يوم قد جلس للمظالم وعمارة بن حمزة بحضرته إذ وثب الرجل فتظلم منه، فقال له الهادي: قم فاجلس مع خصمك، وإن كانت له فهي له، ولا أساوي هذا النذل في المجلس، ثم قام وانصرف مغضباً، وقلد المهدي عمارة بن حمزة الخراج بالبصرة، فكتب إليه يسأله أن يضم إليه الأحداث مع الخراج ففعل ذلك، وقلده الأحداث مضافة إلى الخراج، وكان عمارة أغور دميماً، فقال فيه بعض أهل البصرة:

أراك وما ترى إلا بعين ... وعينك لا ترى إلا قليلا
وأنت إذا نظرت بملء عين ... فخذ من عينك الأخرى كفيلا
كأني قد رأيتك بعد شهر ... ببطن الكف تلتمس السبيلا

ومدحه سلمة بن عباس فقال:

بلوت وحربت الرجال بخبرة ... وعلم ولا ينبيك عنهم كخابر
فلم أر أحرى من عمارة فيهم ... بود ولا أوفى بجار مجاور
وأكرم عند النائبات بداهة ... إذا نزلت بالناس إحدى الدوائر
تمسك بحبل من عمارة واعتصم ... بركن وفي عهده غير غادر
كأن الذي ينتابه عن جناية ... يمت بقربي عنده وأواصر
فنعم معاذ المستجير ومنزل ال ... كريم ومثوى كل عان وزائر

ولعمارة شعر، منه ما أنشده الجهشياري:

لا تشكون دهراً صححت به ... إن الغني في صحة الجسم
هبك الإمام أكنت منتفعاً ... بغضارة الدنيا مع السقم؟

وكرهه أهل البصرة لتيهه وعجبه، فذكر الأرقط: أنه رفع أهل البصرة على عمارة أنه أختان مالاً كثيراً، فسأله المهدي عن ذلك فقال: والله يا أمير المؤمنين، لو كانت هذه الأموال التي يذكرونها في جانب بيتي ما نظرت إليها، فقال: أشهد إنك لصادق ولم يراجعه فيها. ودخل صالح بن خليل الناسك على المهدي فوعظه

وأبكاه طويلاً، وذكر له سيرة العمرين، فأجابه المهدي: بفساد الزمان وتغير أهله وما حدث له من العادات، وذكر له جماعة من أصحابه وما لهم من الأموال والنعمة، وذكر فيهم عمارة بن حمزة وقال: بلغني أن له ألف دواج بوبر، سوى مالا وبر فيه، وسوى غيها من الأصناف التي يتدثر بها، وكان الفضل بن يحيى بن خالد بن برمك شديد الكبر، عظيم التيه والعجب، فعوتب في ذلك فقال: هيهات، هذا شيء حملت عليه نفسي، لما رأيته من عمارة بن حمزة، فإن أبي كان يضمن فارس من المهدي، فحل عليه ألف ألف درهم، فأخرج ذلك كاتب الديوان، فأمر المهدي أبا عون عبد الله بن يزيد بمطالبته وقال له: إن أدى إليك المال قبل أن تغرب الشمس من يومنا هذا وإلا فأتني برأسه، وكان متغضباً عليه، وكانت حيلته لا تبلغ عشر المال، فقال لي: يا بني إن كانت لنا حيلة فليس إلا من قبل عمارة بن حمزة وإلا فأنا هالك، فامض إليه فمضيت إليه، فلم يعرني الطرف، ثم تقدم من ساعته بحمل المال فحمل إلينا، فلما مضى شهران جمعنا المال فقال أبي: امض إلى الشريف الحر الكريم فأد إليه ماله، فلما عرفته خبره غضب وقال: ويحك! أكنت قسطاراً لأبيك؟ فقلت: لا، ولكنك أحييته ومننت عليه، وهذا المال قد استغنى عنه. فقال: هو لك. فعدت إلى أبي فقال: لا، والله ما تطيب نفسي لك به، ولكن لك منه مائتا ألف درهم، فتشبهت به حتى صار خلقاً لي لا أستطيع مفارقته.

وحدث أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني في كتاب له صنفه في السخاء: حدثنا القاضي الحسن بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن سعد الوراق، حدثني هارون بن محمد بن إسماعيل القرشي قال: أخبرني عبد الله بن أبي أيوب المكي قال: بعث أبو أيوب المكي بعض ولده إلى عمارة بن حمزة، فأدخله الحاجب، قال: ثم أدناني إلى ستر مسبل فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو مضطجع محول وجهه إلى الحائط، فقال لي الحاجب: سلم، فسلمت ولم يرد السلام، فقال الحاجب: اذكر حاجتك، فقلت له: – جعلني الله فداءك – أخوك أبو أيوب يقرئك السلام، ويذكر ديناً بهضه وستر وجهه، ويقول: لولاه لكنت مكان رسولي، تسأل أمير المؤمنين قضاءه عني، فقال: وكم دين أبيك؟ فقلت: ثلاثمائة ألف درهم، فقال: وفي مثل هذا أكلم الأمير؟ يا غلام: احملها معه، وما التفت إلي ولا كلمني غير هذا.

قال الدارقطني: حدثنا حسين بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن أبي سعيد، حدثنا إبراهيم بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن سليمان الهاشمي، حدثنا محمد بن سلام الجمحي، حدثنا الفضل بن الربيع قال: كان أبي يأمرني بملازمة عمارة بن حمزة، قال: فاعتل عمارة وكان المهدي سيئ الرأي فيه، فقال له أبي يوماً: يا أمير المؤمنين، مولاك عمارة عيلي، وقد أفضى إلى بيع فرشه وكسوته. فقال: غفلنا عنه، وما كنت أظن أنه بلغ إلى هذه الحالة! احمل إليه خمسمائة ألف درهم يا ربيع، وأعلمه أن له عندي بعدها ما يحب. قال: فحملها أبي من ساعته وقال لي: اذهب بها إلى عمك وقل له: أخوك يقرئك السلام ويقول: أذكرت أمير المؤمنين أمرك، فاعتذر من غفلته عنك، وأمر لك بهذه الدراهم وقال: لك عندي ما تحب. قال: فأتيته ووجهه إلى الحائط، فسلمت فقال لي: من أنت؟ فقلت له: ابن أخيك الفضل بن الربيع. فقال: مرحباً بك، وأبلغته الرسالة فقال: قد كان طال لزومك لنا، وقد كنا نحب أن نكافئك على ذلك ولم نتمكن قبل هذا الوقت، انصرف بها فهذه لك. قال: فهبته أن أرد عليه، فتركت البغال على بابه وانصرفت إلى أبي، فأعلمته الخبر فقال لي: يا

بني، خذها – بارك الله لك فيها – فليس عمارة ممن يراجع، فكان أول مال ملكته.
قال ابن عبدوس: وكان الماء زائداً في أيام الرشيد، فركب يحيى بن خالد والقوا ليعرفوا المواضع المخوفة من الماء ليحفظوها، ففرق القواد، وأمر بإحكام المسنيات، وسار إلى الدور، فوقف ينظر إلى قوة الماء وكثرته.
فقال قوم: ما رأينا مثل هذا الماء! فقال يحيى: قد رأيت مثله في سنة من السنين، وكان أبو العباس خالد – يعني أباه – وجهني فيها إلى عمارة بن حمزة في أمر رجل كان يعنى به من أهل جرجان، وكانت له ضياع بالري، فورد عليه كتابه يعلمه أن ضياعه تحيفت فخربت، وأن نعمته قد نقصت، وحاله قد تغيرت، وأن صلاح أمره في تأخيره بخراجه سنة، وكان مبلغه مائة ألف درهم، ليتقوى به على عمارة ضيعته، ويؤديه في السنة المستقبلة، فلما قرأ أبي كتابه غمه وبلغ منه، وكان بعقب ما ألزمه إياه أبو جعفر من المال الذي خرج عليه، فخرج به عن ملكه واستعان بجميع إخوانه فيه، فقال: يا بني: من ههنا نفزع إليه في أمر هذا الرجل؟ فقلت: لا أدري. فقال: بلى عمارة بن حمزة، فصر إليه وعرفه حال الرجل، فصرت إليه وقد أمدت دجلة، وكان ينزل في الجانب الغربي، فدخلت إليه وهو مضطجع على فراشه فأعلمته ذلك، فقال: قف لي غداً بباب الجسر ولم يزد على ذلك، فنهضت ثقيل الرجلين، وعدت إلى أبي العباس والدي بالخبر، فقال لي: يا بني، تلك سجيته، فإذا أصبحت فاغد لوعده، فغدوت إلى باب الجسر، وقد جادت دجلة في تلك الليلة بمد عظيم قطع الجسور، وانتظم الناس من الجانبين جميعاً ينظرون إلى زيادة الماء، فبينا أنا واقف إذا بزورق قد أقبل والموج يخفيه مرة ويظهره أخرى، والناس يقولون: غرق، غرق، نجا، نجا، حتى دنا من الجرف، فإذا عمارة بن حمزة في الزورق بلا شيء معه، وقد خلف دوابه وغلمانه في الموضع الذي ركب منه، فلما رأيته نبل في عيني وملأ صدري، فنزلت وغدوت إليه فقلت: – جعلت فداك – في مثل هذا اليوم؟ فأخذت بيده فقال: كنت أعدك وأخلف يا بن أخي؟ اطلب لي برذون كراء، قال: فقلت: برذوني، فقال: هات، فقدمت إليه برذوني فركب، وركبت برذون غلامي، وتوجه يريد أبا عبيد الله وهو إذ ذاك على الخراج، والمهدي ببغداد خليفة للمنصور، والمنصور في بعض أسفاره.

قال: فلما طلع على حاجب أبي عبيد الله، دخل بين يديه إلى نصف الدار ودخلت معه، فلما رآه أبو عبيه الله قام عن مجلسه وأجلسه فيه وجلس بين يديه، فأعلمه عمارة حال الرجل وسأله إسقاط خراجه، وهو مائتا ألف دينار، وإسلافه من بيت المال مائتي ألف يردها في العام المقبل فقال له أبو عبيه الله: هذا لا يمكنني، ولكني أؤخره بخراجه إلى العام المقبل. فقال له: لست أقبل غير ما سألتك، فقال أبو عبيد الله فاقنع بدون ذلك لتوجد لي السبيل إلى قضاء حاجة الرجل. فأبى عمارة وتلوم عبيد الله قليلاً، فنهض عمارة فأخذ أبو عبيد الله بكمه وقال: أنا أحتمل ذلك في مالي، فعاد إلى مجلسه. وكتب أبو عبيد الله إلى عامل الخراج بإسقاط خراج الرجل لسنته، والاحتساب به على أبي عبيد الله وإسلافه مائتي ألف درهم ترتجع منه في العام المقبل، فأخذت الكتاب وخرجنا فقلت له: لو أقمت عند أخيك ولم تعبر في هذا المد؟ قال: لست أجد بداً من العبور، فصرت معه إلى الموضع ووقفت حتى عبر.
هذي المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ودخل عمارة يوماً على المهدي فأعظمه، فلما قام قال له رجل من أهل المدينة من القرشيين: يا أمير المؤمنين، من هذا الذي أعظمته هذا الإعظام كله؟ فقال: هذا عمارة بن حمزة مولاي، فسمع عمارة كلامه، فرجع إليه فقال: يا أمير المؤمنين، جعلتني كبعض خبازيك وفراشيك، ألا قلت: عمارة بن حمزة بن ميمون، مولى عبد الله بن عباس ليعرف الناس مكاني؟.

عمر بن إبراهيم بن محمد بن محمد بن أحمد

ابن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين ذي الدمعة بن زيد الإمام الشهيد بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب عليه السلام، يكنى أبا البركات من أهل الكوفة، إمام من أئمة النحو واللغة والفقه والحديث، مات فيما ذكره السمعاني في شعبان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة في أيام المقتفي، ودفن في المسبلة التي للعلويين، وقدر من صلى عليه بثلاثين ألفاً، وكان مولده في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة، أخذ النحو عن أبي القاسم زيد بن علي الفارسي، عن أبي الحسين عبد الوارث، عن خاله أبي علي الفارسي، وأخذ عنه أبو السعادات بن الشجري، وأبو محمد بن بنت الشيخ.

قال السمعاني: وكان خشن العيش صابراً على الفقر، قانعاً باليسير، سمعته يقول: أنا زيدي المذهب، ولكني أفتي على مذهب السلطان – يعني أبا حنيفة – . سمع ببغداد أبا بكر الخطيب، وأبا الحسين بن الناقور، وبالكوفة أبا الفرج محمد بن علاء الخازن وغيره، ورحل إلى الشام وسمع من جماعة، وأقام بدمشق وحلب مدة قال: وحضرت عنده وسمعت منه، وكان حسن الإصغاء سليم الحواس، ويكتب خطاً مليحاً سريعاً على كبر سن، وكنت ألازمه طول مقامي بالكوفة في الكور الخمس، وما سمعت منه في طول ملازمتي له شيئاً في الاعتقاد أنكرته، غير أني كنت يوماً قاعداً في باب داره وأخرج لي شذرة من مسموعاته، وجعلت أفتقد فيها حديث الكوفيين، فوجدت فيها جزءاً مترجماً بتصحيح الأذان بحي على خير العمل، فأخذته لأطالعه فأخذه من يدي وقال: هذا لا يصلح لك، وله طالب غيرك، ثم قال: ينبغي للعالم أن يكون عنده كل شيء، فإن لكل نوع طالباً.

وسمعت يوسف بن محمد بن مقلد يقول: كنت أقرأ على الشريف عمر جزءاً فمر بي حديث فيه ذكر عائشة فقلت: – رضي الله عنها – فقال لي الشريف: تدعو لعدة علي؟ أو تترضى على عدوة علي؟! فقلت: حاشا وكلا، ما كانت عدوة علي. وسمعت أبا الغنائم ابن النرسي يقول: كان الشريف عمر جارودي المذهب لا يرى الغسل من الجنابة، وسمعته يقول: دخل أبو عبد الله الصوري الكوفة فكتب بها عن أربعمائة شيخ، وقدم علينا هبة الله بن المبارك السقطي، فأفدته عن سبعين شيخاً من الكوفيين، وما بالكوفة اليوم أحد يروي الحديث غيري، ثم ينشد:

إني دخلت اليمنا ... لم أر فيها حسنا

ففي حرام بلدة ... أحسن من فيها أنا

قال المؤلف: وحكى أن أعرابيين مرا بالشريف عمر وهو يغرس فسيلاً، فقال أحدهما للآخر: أيطمع الشيخ مع كبره أن يأكل من جني هذا الفسيل؟! فقال الشريف: يا بني، كم من كبش في المرعى وخروف في التنور، ففهم أحدهما ولم يفهم الآخر، فقال الذي لم يفهم لصاحبه: إيش، قال؟ قال: إنه يقول: كم من ناب يسقى في جلد حوار، فعاش حتى أكل من ثمر ذلك الفسيل. وللشريف تصانيف، منها: كتاب شرح اللمع.
وكان إبراهيم بن محمد أبو الشيخ أبي البركات أيضاً شاعراً أديباً ذا حظ من النحو واللغة، وهو مذكور في بابه. قال تاج الإسلام: سمعت عمر بن إبراهيم بن محمد الزيدي يقول: لما خرجنا من طرابلس الشام متوجهين إلى العراق، خرج لوداعنا الشريف أبو البركات بن عبيد الله العلوي الحسني، وودع صديقاً لنا يركب البحر إلى الإسكندرية، فرأيت خالك يتفكر فقلت له: أقبل على صديقك، فقال لي: قد عملت أبياتاً اسمعها، فأنشدني في الحال:

قربوا للنوى القوارب كيما ... يقتلوني ببينهم والفراق
شرعوا في دمي بتشديد شرع ... تركوني من شدها في وثاق
قلعوا حين أقلعوا لفؤادي ... ثم لم يلبثوا لقدر القواق
ليتهم حين ودعوني وساروا ... رحموا عبرتي وطول اشتياقي
هذه وقفة الفراق فهل أح ... يا ليوم يكون فيه التلاقي؟

قال في تاريخ الشام: حكى أبو طالب بن الهراس الدمشقي – وكان حج مع أبي البركات – : أنه صرح له بالقول بالقدر وخلق القرآن، فاستعظم أبو طالب ذلك منه وقال: إن الأئمة على غير ذلك، فقال له: إن أهل الحق يعرفون بالحق، ولا يعرف الحق بأهله، قال: هذا معنى حكاية أبي طالب.

عمر بن بكير

كان صاحب الحسن بن سهل خصيصاً به ومكيناً عنده يسائله عن مشكلات الأدب، وكان رواية ناسباً أخبارياً نحوياً، وله عمل الفراء كتاب معاني القرآن، وذكر ذلك في أخبار الفراء.
قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب الأيام يتضمن يوم الغول، يوم الظهر، يوم أرمام، يوم الكوفة، غزوة بني سعد بن زيد مناة، يوم مبايض.
حدث ميمون بن هارون قال: حدثني أبو الحسن محمد بن عمر بن بكير قال: كان أبي بين يدي المنتصر وهو أمير، وأحمد بن الخصيب كاتب المنتصر فقال: دعنا من الرسوم الدائرة والعظام البالية، فوثب عمر بن بكير فقال: أيها الأمير: إن للحسن بن سهل علي نعماً عظاماً، وله في عنقي منن جمة، فقال: ما هي يا عمر؟ قال: ملأ يأيها الأمير منزلي ذهباً وفضة، وأدنى مجلسي حتى زال عن مجلسه، وخلع علي فألحقني برؤساء أهل العلم، كأبي عبيدة والأصمعي، ووهب بن جرير وغيرهم، وقد أقدرني الله بالأمير على مكافأته، وهذا من أوقاته، فإن رأى الأمير أن يسهل إذنه، ويجعل ذلك على يدي وحبوة لي وذريعة إلى مكافأة الحسن فعل، فقال: يا أبا حفص، بارك الله عليك، فمثلك يستودع المعروف، وعندك يتم البر، ومثلك يرغب الأشراف في اتخاذ الصنائع، وقد جعلت إذن الحسن إليك، فأدخله في أي وقت حضر من ليل أو نهار، ولا سبيل لأحد

من الحجاب عليه، فقبل أبي البساط ووثب إلى الباب، فأدخل الحسن وأتكأه على يده، فلما سلم على المنتصر أمره بالجلوس فجلس وقال له: قد صيرت إذنك إلى أبي حفص، ورفعت يد الحاجب عنك، فاحضر إذا شئت من غدو أو رواح، وارفع حوائجك، وتكلم بكل ما في صدرك، فقال الحسن: أيها الأمير، والله ما أحضر طلباً للدنيا، ولا رغبة فيها ولا حرصاً عليها، ولكن عبد يشتاق إلى سادته، وبلقائهم يشتد ظهوره، وينبسط أمله، وتتجدد نعم الله عنده، وما أحضر لغير ذلك، وأحمد بن الخطيب يتقد غيظاً، فقال له المنتصر: فاحضر الآن أي وقت شئت، فأكب الحسن على البساط فقبله شكراً ونهض.

قال أبي: ونهضت معه، فلما بعدنا عن عين المنتصر بلغني أن المنتصر قال: هكذا فليكن الشاكرون، وعلى أمثال هذا فلينعم المنعمون. وقال الحسن لعمر يا أبا حفص: والله ما أدري بأي لسان أثني عليك؟ فقال: سبحان الله، أنا أولى بالشكر والثناء عليك والدعاء لك، خولتني الغنى وألبستني النعمى في الزمان الصعب، وفي الحال التي كان يجفوني فيها الحميم، فجزاك الله عني وعن ولدي أفضل الجزاء.

فقال الحسن: وا لهفتا، ألا يكون ذلك المعروف أضعاف ما كان. لا در در الفوت، وتعساً للندم وأحواله، والله در الخزيمي حيث يقول:

ودون النوى في كل قلب ثنية ... لها مصعد حزن ومنحدر سهل
وود الفتى في كل نيل ينيله ... إذا ما انقضى لو أن نائله جذل

ثم قال لي أبي: يا محمد اخرج معه – أعزه الله – حتى تؤديه إلى منزله. قال أبو الحسن: فخرجت معه فلم أزل أحادثه حتى جرى ذكر رزين العروضي الشاعر، وكان قد امتدحه بقصيدة، فمات رزين قبل أن يوصلها إلى الحسن، فقلت: أيد الله الأمير، كان شاعر من أهل العلم والأدب مدح الأمير بقصيدة وهي في العسكر مثل، ومات قبل أن يسمعها الأمير، قال: فأسمعنيها، فأنشدته إياها وأولها:

قربوا جمالهم للرحيل ... غدوة أحبتك الأقربون
خلفوك ثم مضوا مدلجين ... منفرداً بهمك ما ودعوك

وفيها:

من مبلغ الأمير أخي المكرمات ... مدحة محبرة في ألوك؟
تزدهي كواسطة في النظام ... فوق نحر جارية تستبيك
يابن سادة زهر كالنجوم ... محيياً سيادة ما أولوك
ذو الرياستين أخوك النجيب ... فيه كل مكرمة وفيك
ذو الرياستين وانت الذان ... يحييان سنة غازي تبوك
لم تزالا حياً للبلاد ... والعباد ما لكما من شريك
أنتما إن أقحط العالمون ... منتهى الغياث ومأوى الضريك
يابن سهل الحسن المستغاث ... وفي الوغى إذا اضطرب الفكيك
يا لمن ألح عليه الزمان ... مفزع لغيرك يا بن الملوك

لا ولا وراءك للراغبين ... مطلب سواك حاشا أخيك

والقصيدة غريبة العروض، قال أبو الحسن: وأنا والله أنشده وعيناه تهمي على خده فتقطر على نحره، ثم قال: والله ما أبكي إلا لقصور الأيام عما أريده لقاصدي، ثم جعل يتلهف ويقول: ما الذي منعه من اللقاء، تعذر الحجاب أم قعود الأسباب؟ فقلت: اعتل – جعلني الله فداك – على توفي فيها، فجعل يترحم عليه ثم قال: والله لا أكون أعجز من عاقمة بن علاثة حيث مات قبل وصول النابغة إليه بالقصيدة التي رحل بها إليه حيث يقول:

فما كان بيني لو لقيتك سالماً ... وبين الغنى إلا ليال قلائل

الأبيات، فبلغت الأبيات علقمة فأوصى له بمثل نصيب ابن له، ولكن هل لهذا الشاعر وارث؟ قلت: نعم، بنية، قال: تعرف مكانها؟ قلت: نعم، قال: والله ما يتسع وقتي هذا لما أنويه ولكن القليل والعذر يسعنا، ثم دعا غلاماً وقال: هات، ما بقي من نفقة شهرنا. فأتى بألفي درهم في صرة فدفعها إلي وقال: يا أبا الحسن، خذ ألفاً وأعط الصبية ألفاً، فأخذت الألفين وانصرفت وعملت بما أمرني به. ومات الحسن بن سهل بسر من رأى في ذي الحجة سنة ست وثلاثين ومائتين في أيام المتوكل.

قال المؤلف: ما نسب إلى علقمة في هذه الحكاية غلط. لأن الوارد عليه هو الخطيئة، وكان علقمة والياً على حوران، فلما قاربه مات علقمة، فقال الخطيئة الأبيات. لكن هكذا هذه الحكاية، ولا أدري كيف حالها؟

الجزء السادس عشر

عمر بن أحمد يعرف بابن العديم

بن أبي جرادة، يعرف بابن العديم العقيلي يكنى أبا القاسم، ويلقب كمال الدين، من أعيان أهل حلب وأفاضلهم، وهو عمر بن أحمد بن هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن هارون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة صاحب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه.

واسم أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل أبي القبيلة ابن كعب بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

وبيت أبي جرادة بيت مشهور من أهل حلب، أدباء شعراء فقهاء، عباد زهاد قضاة، يتوارثون الفضل كابراً عن كابر وتالياً عن غابر، وأنا أذكر قبل شروعي في ذكره شيئاً من مآثر هذا البيت، وجماعة من مشاهيرهم،ثم أتبعه بذكره ناقلاً ذلك كله من كتاب ألفه كمال الدين – أطال الله بقاءه – ، وسماه الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة، وقرأته عليه فأقر به. سألته أولاً: لم سميتم ببني العديم؟ فقال: سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه وقال: هو اسم محدث لم يكن آبائي القدماء يعرفون بهذا ولا أحسب إلا أن جد جدي القاضي أبا الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة –مع ثروة واسعة، ونعمة

شاملة – كان يكثر في شعره من ذكر العدم، وشكوى الزمان فسمي بذلك، فإن لم يكن ذلك سببه فلا أدري ما سببه؟.

حدثني كمال الدين أبو القاسم قال: حدثني جمال الدين أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة عمي قال: لما ختمت القرآن قبل والدي – رحمه الله – بين عيني وبكى وقال: الحمد لله يا ولدي، هذا الذي كنت أرجوه فيك.

حدثني جدك عن أبيه عن سلفه: أنه ما منا أحد إلى زمن النبي صلى الله عليه وسلم إلا من ختم القرآن.

قال المؤلف: وهذا منقبة جليلة لا أعرف لأحد من خلق الله شرواها، وسألت عنها قوماً من أهل حلب فصدقوها، وقال لي زين الدين محمد بن عبد القاهر بن النصيبي: دع الماضي واستدل بالحاضر، فإنني أعد لك كل من هو موجود في وقتنا هذا، وهم خلق ليس فيهم أحد إلا وقد ختم القرآن، وجعل يتذكرهم واحداً واحداً فلم يخرم بواحد.

حدثني كمال الدين – أطال الله بقاءه – قال: وكان عقب بني أبي جرادة من ساكني البصرة في محلة بني عقيل بها، فكان أول من انتقل منهم عنها موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن عامر بن أبي جرادة إلى حلب بعد المائتين للهجرة، وكان وردها تاجراً وحدثني قال: حدثني عمي أبو غانم محمد بن هبة الله بن محمد بن أبي جرادة قال: سمعت والدي يذكر فيما تأثره عن سلفه: أن جدنا قدم إلى البصرة في تجارة إلى الشام فاستوطن حلب قال: وسمعت والدي يذكر أنه بلغه أنه وقع طاعون بالبصرة فخرج منها جماعة من بني عقيل وقدموا الشام فاستوطن جدنا حلب قال: وكان لموسى من الولد محمد وهارون وعبد الله. فأما محمد فله ولد اسمه عبد الله، ولا أدري أعقب أم لا؟ وأما العقب الموجود الآن فلهارون وهو جدنا، ولعبد الله وهم أعمامنا. فمن ولد عبد الله: القاضي أبو طاهر عبد القاهر بن علي بن عبد الباقي بن محمد بن عبد الله بن موسى بن أبي جرادة، وهو من سادات هذا البيت وأعيانهم، ومات في جمادى الأولى من سنة ثلاث وستين وأربعمائة، فقال القاضي أبو الفضل هبة الله بن أحمد بن أبي جرادة يرثيه – وكانت قد توفيت قبل وفاة القاضي أبي الفضل أخته بأيام قلائل، فنوجع للماضين – :

صبرت لا عن رضى مني وإيثار ... وهل يرد بكائي حتم أقدار؟
أروم كف دموعي وهي في صبب ... وأبتغي برد قلبي وهو في نار
ما لليالي تعري جانبي أبداً ... من أسرتي وأخلائي وأوزاري
تلذ طعم مصيباتي فأحسبها ... تظمأ فيروي صداها ماء أشفاري
محاسن جدت الأرض الفضاء بها ... وطالما صنتها عن لحظ أبصاري
وواضح كسنا الإصباح أنقله ... من رأي عيني إلى سري وإضماري
إن الردى أقصدتني غير طائشة ... سهامها في فتى كالكوكب الواري
رمته صائبة الأقدار من كثب ... وما رعت عذر أقدار وأخطار

وهي قصيدة غراء طويلة. ومنهم أبو المجد عبد الله بن محمد بن عبد الباقي بن محمد، شيخ فاضل أديب شاعر، له معرفة باللغة والعربية، سمع بحلب أستاذه أبا عبد الله الحسين بن عبد الواحد بن محمد بن عبد

القادر القنسريني المقرئ مؤلف كتاب التهذيب في اختلاف القراء السبعة، وسمعه ولده الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله، وله أشعار حسان منها:

توسوس عن علي الزمان ... ففي كل يوم له معضلة
فلو جعلوا أمره ليلة ... إلي لأصبح في سلسلة

ومات الشيخ أبو المجد بحلب في حدود سنة ثمانين وأربعمائة. ومنهم ولده الشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة صدر زمانه، وفرد أوانه، ذو فنون من العلوم، وخطه مليح جداً، على غاية من الرطوبة والحلاوة والصحة، وله شعر يكاد يخلط بالقلب، ويسلب اللب لطافة ورقة، تصدر بحلب لإفادة العلوم الدينية والأدبية متفرداً بذلك كله، ورتب غريب الحديث لأبي عبيد على حروف المعجم رأيته بخطه، وشرع في شرح أبياته شروعاً لم يقصر فيه، ظفرت منه بكراريس من مسوداته لأنه لم يتم. سمع بحلب والده أبا المجد وأبا الفتح عبد الله بن إسماعيل الحلي وأبا الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس الشاعر وغيرهم.

ورحل عن حلب قاصداً للحج في ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسمائة، ووصل إلى بغداد وسمع بها أبا محمد بن عبد الله بن علي المقرئ وغيره، ولم يتيسر للناس في هذا العام حج، فعاد من بغداد إلى حلب، ثم سافر إلى الموصل بعد ذلك في سنة إحدى وثلاثين وسمع بها، وأدركه تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني فسمع منه بحلب هو وجماعة وافرة، وذكره السمعاني في المذيل لتاريخ بغداد. قال المؤلف: وقد ذكرته في هذا الكتاب في موضعه بما ذكره السمعاني به.

حدثني كمال الدين قال: سمعت والدي – رحمه الله – يقول: كتب الشيخ أبو الحسن بن أبي جرادة بخطه ثلاث خزائن من الكتب لنفسه، وخزانة لابنه أبي البركات، وخزانة لابنه أبي عبد الله. ومن شعره – أنبأنا به تاج الدين زيد بن الحسن الكندي من قصيدة يصف فيها طول الليل – :

فؤاد بالأحبة مستطار ... وقلب لا يقر له قرار
وما أنفك من هجر وصد ... وعتب لا يقوم له اعتذار
وعين دمعها جم غزير ... ولكن نومها نزر غرار
كأن جفونها عند التلاقي ... تلاقيها الأسنة والشفار
وهذا حالها وهم حلول ... فكيف بها إذا خات الديار
أبيت الليل مرتقباً كئيباً ... لهم في الضلوع له أوار
كأن كواكب الفلك اعتراها ... فتور أو تخونها المدار

ومنها:

فيا لك ليلة طالت ودامت ... فليس لصبحها عنها انسفار
أسائلها لأبلغ منتهاها ... لعل الهم يذهبه النهار

ومات الشيخ أبو الحسن في سنة ثمان وأربعين وخمسمائة عن ثمان وثمانين سنة. ومنهم ولده أبو علي الحسن بن علي بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة، وكان فاضلاً كاتباً شاعراً أديباً، يكتب النسخ على طريقة أبي

عبد الله بن مقلة، والرقاع على طريقة علي بن هلال، وخطه حلو جيد جداً خال من التكلف والتعسف. سمع أباه بحلب. وكتب عنه السمعاني عند قدومه حلب. وسار في حياة أبيه إلى الديار المصرية، واتصل بالعادل أمير الجيوش وزير المصريين وأنس به، ثم نفق بعده على الصالح بن رزيك وخدمه في ديوان الجيش، ولم يزل بمصر إلى أن مات بها في سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. ومن شعره في صدر كتاب كتبه إلى أخيه عبد القاهر في سنة ست وأربعين وخمسمائة:

سرى من أقاصي الشام يسألني عني ... خيال إذا ما راد يسلبني مني
تركت له قلبي وجسمي كليهما ... ولم يرض إلا أن يعرس في جفني
وإني ليدنيني اشتياقي إليكم ... ووجدي بكم لو أن وجد الفتى يدني
وأبعث آمالي فترجع حسراً ... وقوفاً على ضن من الوصل أو ظن
فليت الصبا تسري بمكنون سرنا ... فتخبرني عنكم وتخبركم عني
وليت الليالي الخاليات عوائد ... علينا فتعتاض السرور من الحزن

ومن شعره:

ما ضرهم يوم جد البين لو وقفوا ... وزودوا كلفاً أودى به الكلف
تخلفوا عن وداعي ثمت ارتحلوا ... وأخلفوني وعوداً ما لها خلف
واوصلوني بهجر بعد ما وصلوا ... حبلي وما أنصفوني لكن انتصفوا
فليتهم عدلوا في الحكم إذ ملكوا ... وليتهم أسعفوا بالطيف من شعفوا
ما للمحب وللعذال ويحهم؟ ... خانوا ومانوا ولما عنفوا عفوا
أستودع الله أحباباً ألفتهم ... لكن على تلفي يوم النوى ائتلفوا

عمري لئن نزحت بالبين دارهم ... عني فما نزحوا دمعي وما نزفوا
يا حبذا نظرة منهم على عجل ... تكاد تنكرني طوراً وتعترف
سقت عهودهم غداء واكفة ... تهمي ولو أنها من أدمعي تكف
أحبابنا ذهلت ألبابنا ومحا ... عتابنا لكم الإشفاق والأسف
بعدتم فكأن الشمس واجبة ... من بعدكم وكأن البدر منخسف
يا ليت شعري هلى يحظى برؤيتكم ... طرفي وهل يجمعن ما بيننا طرف؟
ومضمر في حشاه من محاسنكم ... لفظاً هو الدر لا ما يضمر الصدف
كنا كغصنين حال الدهر بينهما ... أو لفظتين لمعنى ليس يختلف
فأقصدتنا صروف الدهر نابلة ... حتى كأن فؤادينا لها هدف
فهل تعود ليالي الوصل ثانية ... ويصبح الشمل منا وهو مؤتلف؟
ونلتقي بعد يأس من أحبتنا ... كمثل ما يتلاقى اللام والألف
وما كتبت على مقدار ما ضمنت ... مني الضلوع ولا ما يقتضي اللهف

فإن أتيت بمكنوني فمن عجب ... وإن عجزت فإن العذر منصرف

ومنهم: أخوه أبو البركات عبد القاهر بن علي بن عبد الله بن أبي جرادة، كان ظريفاً لطيفاً أديباً شاعراً كاتباً، وله الخط الرائق، والشعر الفائق، والتهذيب الذي تبحر في جودته ويلتحق بالنسبة إلى ابن البواب، والتأنق في الخط المحرر الذي يشهد بالتقدم في الفضل وإن تأخر. سمع بحلب أباه أبا الحسن وغيره، وكتب عنه جماعة من العلماء، وكان أميناً على خزائن الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي وذا منزلة لطيفة منه، ومن شعره – وكتبه بليقة ذهب – :

ما اخترت إلا أشرف الرتب ... خطا أخلد منه في الكتب

والخط كالمرآة ننظرها ... فنرى محاسن صورة الأدب

هو وحده حسب يطال به ... إن لم يكن إلاه من حسب

ما زلت أنفق فيه من ذهب ... حتى جرى فكتبت بالذهب

وقال أيضاً وهو بدمشق في سنة تسع وأربعين وخمسمائة:

أمت ببذلي خالصاً من مودتي ... إلى من سواء عنده المنع والبذل

وتحسب نفسي والأماني ضلة بأني من شغل الذي هو لي شغل

ألا إن هذا الحب داء موافق ... وإن شفاء الداء ممتنع سهل

عفى الله عمن إن حنى فاحتملته ... تجنى فعاد الذنب لي وله الفضل

ومن كلما أجمعت عنه تسلياً ... تبينت أن الرأي في غيره جهل

سأعرض إلا عن هواه فإنه ... جميل بمثلي حب من ماله مثل

وألقى مقال الناصحين بمسمع ... ضربت عليه بالغواية من قبل

فعندي وإن أخفيت ذاك عن العدى ... عزيمة هم لا تكل ولا تألو

ولي في حواشي كل عذل تلفت ... إلى حب من في حبه قبح العذل

وإني لأدنى ما أكون من الهوى ... إذا أرجف الواشون بي أنني أسلو

هذا لعمري والله الغاية في الحسن والطلاوة، والرونق والحلاوة. وقال أيضاً:

عاد قلبي إلى الهوى من قريب ... ما محب بمنته عن حبيب

طال يا همتي تماديك في الرش ... د خذي من غواية بنصيب

وإذا ما رأيت حسناً غريباً ... فاستعدي له بوجد غريب

يا غزالاً مالت له نشوة العج ... ب فهزت عطفيه هز القضيب

بين ألحاظك المراض وبيني ... نسب لو رعيت حق النسيب

أنت أجريت أعين الدمع من عي ... ني وأوريت زند قلبي الكئيب

لا تقل ليس لي بذلك علم ... فعلى مقلتيك سيما مريب

ما تعديك في الذي أنت فيه ... إن حظي لديك حظ أديب

ومات في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة. ومنهم ابن أخيه أبو الفتح عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي

جرادة، وكان يجيد الكتابة وجمع مجاميع حسنة، وجمع شعر والده أبي عبد الله الحسن، وشعر عمه أبي البركات عبد القاهر، وله شعر لا بأس به منه:

من ذا مجيري من يدي شادن ... مهفهف القد مليح العذار
قد كتب الشعر على وجهه ... أسطر مسك طرسها جلنار

فهؤلاء من بني عبد الله بن موسى بن عيسى. وأما أخوه هارون بن موسى، فهو أول من اشترى بحلب ملكاً في قرية تعرف بأورم الكبرى، وكان له ولدان: زهير وأحمد،والعقب لزهير وهو الذي اشترى أكثر أملاك بني أبي جرادة، مثل أورم الكبرى، ويحمول، وأقذار ولؤلؤة والسين وهي قرى، ووقف وقفاً على شرا فرس يجاهد به في سبيل الله. وتوفي في حدود سنة أربعين وثلاثمائة. فمن ولد زهير: أبو الفضل وهو أبو الفضل عبد الصمد بن زهير بن هارون بن موسى، ولادته في حدود سنة عشرين وثلاثمائة. سمع بحلب أبا بكر محمد بن الحسين الشيعي وغيره، وروى عنه ابن أخيه القاضي أبو الحسن أحمد، ومشرق العابد وجماعة، ولعله مات في حدود سنة تسعين وثلاثمائة وليس له عقب. ومنهم أبو جعفر يحيى بن زهير بن هارون بن موسى وهو العديم، إليه ينسبون. وقد ذكرنا أنهم لا يعرفون لم سموا ذلك؟ ومنهم: ولده القاضي أبو الحسن أحمد بن يحيى بن زهير، وهو أول من ولي القضاء بمدينة حلب من هذا البيت، وقد سمع الحديث ورواه، وقرأ الفقه على القاضي أبي جعفر محمد بن أحمد السمعاني، وكان السمعاني إذ ذاك قاضي حلب. أنشدني كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن أبي جرادة، أنشدني والدي لجد أبيه القاضي هبة الله بن أحمد بن يحيى يذكر أباب ويفتخر به:

أنا ابن مستنبط القضايا ... وموضح المشكلات حلا
وابن المحازيب لم تعطل ... من الكتاب العزيز تتلى
وفارس المنبر استكانت ... عيدانه من حجاه ثقلا

توفي بعد سنة تسع وعشرين وأربعمائة. ومنهم ابنه القاضي أبو الفضل هبة الله بن أحمد، كان كبير القدر جميل الأمر، مبجلاً عند آل مرداس، له شعر جزل فصيح ذو معان دقاق، يترفع قدره عنه، وإنما يقول ببلاغته وبراعته. سمع الحديث من أبيه، ولعله لقي أبا العلاء المعري وقرأ عليه شيئاً، وولي القضاء بحلب وأعمالها في سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة وبقي على ذلك إلى أن مات، وكانت ولايته للقضاء في أوائل دولة شرف الدولة أبي المكارم مسلم بن قريش بعد وفاة حميه القاضي كسرى بن عبد الكريم بن كسرى، وكتب تقليده من بغداد عن المقتدي بالله. ومن شعره:

لي بالغوير لبانات ظفرت بها ... قد سد من دونها لي أوضح الطرق
وبالثنية بدر لاح في غصن ... أصمى فؤادي لها سهم من الملق
سراقة لقلوب الناظرين لها ... وما يقام عليها واجب السرق
لا يفلت المرء من أشراك مقلتها ... وإن تخلص لم يفلت من العقق
وأبرزت من خلال السجف ذا شعل ... لولا بقا الليل قلنا غرة الفلق

ولائم ودموع العين واكفة ... لا يستبين لها جفن من الغرق
يقول: أفنيته والشمل مجتمع ... ولم تصنه لتوديع ومفترق
وله:
ربع لهند باللوى مصروم ... أقوى فما آو به منهوم
أخفاه إلحاح البلى فضللت في ... إنشاده لولا النسيم تهوم
تضياف طرفي فيه دمع ساجم ... وقرى فؤادي في ذراه هموم
هل عاذر في الربع رائي عيسهم ... تحدى لها وخد بهم ورسيم؟
وهوى تبعده الليلي والنوى ... إن قربته خواطر ورسوم
يا صاحبي خذا المطايا وحدها ... بدمي فما اغتالته إلا الكوم
أمضين أحكام الهوى وأعنه ... ومساعد المرء الظلوم ظلوم
وله:
وما عسى يطلب الرجال من رجل ... كاس من الفضل إن عري من المال
كالبارد العذب يوم الورد من ظمأ ... والصارم العضب في روع وأوجال
همومه في جسيمات الأمور فما ... يلفى مصاحب أطماح وآمال
ألذ من ثروة تأتي بإذلال ... عز القناعة مع صون وإقلال
وما يضر امرأً أثرت مناقبه ... أن اكسبته الليالي رقة الحال

وقال أيضاً يمدح أبا الفضائل سابق بن محمود بن نصر بن صالح بن مرداس صاحب حلب ويشكره، إذ لم يسمع فيه قول حساد وشوا به إليه:
خلها إن ظمئت تشكو الأواما ... لا تقلها الأين إن طال وداما
واجعل السرج إذا ما سغبت ... كلا والمورد العذب اللجاما
أو تراها كالحنايا بالسرى ... وبإسراع إلى المرمى سهاما
قصرت ظهراً وؤسغاً وعسيباً ... مثل ما طالت عناناً وحزاما
تنصب الأذنين حتى خيلت ... بهما تبصر ما كان أماما
وإذا ما بارت الريح اغتدت ... خلفها النكباء حسرى والنعامى
كم مقامي بين أحكام العدى ... أتبع القائد لا أعصى الزماما
أكلة الطاعم لا يرهب إنما ... أو أسير المن إن كف احتشاما
تعتلي أرؤسه أذنابه ... فترى الأرجل تعلو فيه هاما
وإلام الحظ لا ينصفني ... من زمان جار في قصدي إلاما؟
أتمنى راحة تنقذني ... منهم عزت ولو كانت لماما
ومنها:

كم رموني عامداً في هوة ... نارها تعلو اشتعالاً واضطراما
قاصدي حتفي فكانت بك لي ... نار إبراهيم برداً وسلاما
وله في المعنى من قصيدة:
هنئت يا أرض العواجم دولة ... روى ثراك بها أشم أروع
قد عاد في الأيام ماء شبابها ... وتسالمت حرق الأسى والأضلع
أشكو إليك عصابة نبذوا الحيا ... حسداً وشدوا في أذاي وأوضعوا
راموا ابتزازي مورثي عن أسرتي ... وتآزروا في قبضه وتجمعوا
يتطلبون لي الذنوب كأنني ... ممن عليه بالشنان يقعقع
لم أخش قهرهم ونصلك مصلت ... دوني ولي من حسن رأيك مرجع
وله:
وما الذل إلا أن تبيت مؤملاً ... وقد سهرت عيناك وسنان هاجعا
أأخشى أمراً أو أشتكي منه جفوة ... إذا كنت بالميسور في الدهر قانعا؟
إذا ما رآني طالباً منه حاجة ... ففي حرج إن لم يكن لي مانعا

وكان المنجمون قد حكموا له أنه يموت في صدور الرجال فاتفق أنه اعتقل بالقلعة. مدةً لتهمة اتهم بها بالممالأة لبعض الملوك، ثم أطلق بعد مدة فنزل راكباً وأصحابه حوله، فبينا هو سائر إذ وجد ألماً فقال لأصحابه: أمسكوني أمسكوني، فأخذوه في صدورهم من على فرسه، فلما وصل إلى منزله بقي على صدورهم إلى أن مات بحلب في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة. ومنهم ولده القاضي أبو غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد، وكان فقيهاً فاضلاً زاهداً عفيفاً، سمع أباه وغيره، وولي قضاء حلب وأعمالها وخطابتها بعد موت أبيه في أيام تاج الدولة دبيس في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، ولم يزل قاضياً بها إلى أن عزله رضوان لما خطب للمصريين، وولي القضاء القاضي الزوزني العجمي في شوال من سنة تسعين وأربعمائة. ثم عاود الملك رضوان الخطبة لبني العباس، فأعاد القاضي أبا غانم إلى ولايته وجاءه التقليد من بغداد بالقضاء والحسبة عن القاضي علي بن الدامغاني بأمر المستظهر في صفر سنة ست وتسعين وأربعمائة.

وكان مولد القاضي أبي غانم في رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة، وهو الذي شرع في عمارة المسجد الذي بحلب يعرف ببني العديم، وأتمه ابنه القاضي أبو الفضل عبد الله، وكان يتولى الخطابة في المسجد الجامع والإمامة بحب، وكان حنفي المذهب وكان يؤم بالناس ثلاثين سنة، وهو متكتف تحت ثيابه، ويسبل أكمامه فارغة خوفاً من الولاة في أيامه لأنهم كانوا إسماعيليين يرون رأي المصريين، وكانوا يفطرون قبل العيد بيوم ويجتمع أكابر حلب في يوم عيدهم يهنئونهم، فصعد القاضي أبو غانم للهناء فيمن صعد، وقدم للناس سكر ولوز وأخذ القاضي أبو غانم لوزة ووضعها في فيه، فقال له صاحب حلب: أيها القاضي، لم لا تأكل من السكر؟ فقال: لأنه يذوب وتبسم، فضحك الوالي وأعفاه من ذلك.

حدثني كمال الدين قال: حدثني عمي حدثني أبي قال: نزل جدك القاضي أبو غانم في بعض الأيام يصلي بالجامع وخلع نعليه قرب المنبر وكانا جديدين، فلما قضى صلاته قام للبسهما فوجد نعله العتيق مكانهما فقال لغلامه: ألم أنزل إلى الجامع بالمداس الجديد؟ فأين هو؟ فقال الغلام: بلى ولكن جاءنا الساعة رجل وطرق الباب وقال: القاضي يقول لكم: أنفذوا إليه مداسه العتيق إلى الجامع، فقد سرق مداسه الجديد فضحك وقال: هذا والله لص شفيق جزاه الله خيراً وهو في حل منه. والقاضي أبو غانم هذا هو الذي نهض من حلب في سنة ثماني عشرة وخمسمائة، وقد حصرها الفرنج وديس بعد قتل بلك على منبج، حتى أقدم البرسقي من الموصل فاستنقذها من الحصار، وهربوا لما سمعوا بقدومه. وكان أهل حلب لقوا شدة وأكلوا الميتة ولم يكن عندهم أمير، وإنما تولوا حفظ البلد بأنفسهم، وأبلوا بلاء حسناً حسنت به العاقبة ومنهم ابنه القاضي أبو الفضل هبة الله سمي باسم جده وكني بكنيته، واكن فقيهاً مرضياً ورعاً زاهداً سمع الحديث ورواه، وولي القضاء بحلب وأعمالها بعد موت أبيه القاضي أبي غانم، وكتب له عهده من أتابك زنكي بن آقسنقر في سنة أربع وثلاثين وخمسمائة، ثم جاء له العهد من بغداد من قاضي القضاة الزينبي بأمر المقتفي. وكان مولده في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وأربعمائة.

فلما قتل أتابك زنكي وولي ابنه نور الدين، وولي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوني قضاء الشام – ورزق البسطة والتحكم في الدولة، وقاوم الوزراء بل الملوك – التمس من القاضي أبي الفضل هذا أن يكتب في كتب سجلاته ذكر النيابة عنه، فامتنع القاضي أبو الفضل ولج ابن الشهرزوني وساعده مجد الدين بن الداية، وهو والي حلب لشيء كان في نفسه على القاضي أبي الفضل لأمور كان يخالفه فيها في أقضية يؤثر فيها جانب الحق على أغراضه، وترددت المراسلات بين نور الدين وبينه في قبول النيابة وهو يأبى إلى أن قال ابن الداية: هذا تحكم منه في الدولة وفيك، إذ تأمره بشيء ولا يمتثله فاعزله، وول محيي الدين بن كمال الدين: فقال نور الدين – بياض في الأصل – يستناب له قاض حنفي فعزل القاضي أبو الفضل وولى محي الدين قضاء حلب، واستنيب له الكوردي وذلك في سنة سبع وخمسين وخمسمائة وحج في تلك السنة.

وكتب أبو الحسين أحمد بن منير الطرابلسي للقاضي أبي الفضل هبة الله يلتمس منه كتاب للوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، وكان قد وعده بها ودافعه:

يا حائزاً غاي كل فضل ... تضل في كنهه الإحاطة
ومن ترقى إلى محل ... أحكم فوق السها مناطة
إلى متى أسعط التني ... ولا ترى المن بالوساطة

ومات القاضي أبو الفضل لعشر بقين من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وخمسمائة. ومنهم ابن أخته أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أحمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة، سمع بحلب ورحل إلى بغداد وسمع بها محمد بن ناصر السلامي وغيره وحدثني كمال الدين أيده الله قال: قال لي شيخنا أبو اليمن زيد الكندي: كان أبو المكارم محمد بن عبد الملك بن أبي جرادة سمع ببغداد الحديث معنا على مشايخنا فسمعت بقراءته وورد إلينا إلى دمشق بعد ذلك، وكنا نلقبه: القاضي بسعادتك، وذلك أن القلانسي دعاه في وليمة وكنت حاضرها، فجعل لا يسأله عن شيء فيخبر عنه بما سر أو ساء إلا وقال في عقبه بسعادتك،

فإن قال له: ما فعل فلان؟ قال: مات بسعادتك، وإن قال له: ما خبر الدار الفلانية؟ يقول: خربت بسعادتك، فسميناه القاضي بسعادتك، وكان يقولها لاعتياده إياها لا لجهل كان فيه. وكان له أدب وفضل وفقه وشعر جيد، وقد روى الحديث. ولأبي المكارم شعر منه:

لئن تناءيتم عني ولم تركم ... عيني فأنتم بقلبي بعد سكان

لم أخل منكم ولم أسعد بقربكم ... فهل سمعتم بوصل فيه هجران؟

وله أشعار كثيرة، ومات بحلب في سنة خمس وستين وخمسمائة، أو سنة ست وستين. ومنهم جمال الدين أبو غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسين يحيى وهو عم جمال الدين، أحد الأولياء العباد، وأرباب الرياضة والاجتهاد، عامل كثير الصوم والصلاة وهو حي يرزق إلى وقتنا هذا. وكان قد تولى الخطابة بجامع حلب، وعرض عليه القضاء في أيام الملك الصالح إسماعيل بن محمود بن زنكي بعد القاضي ابن الشهرزوري فامتنع منه، فقلد القضاء أخوه القاضي أبو الحسن والد كمال الدين أيده الله، وكتب جمال الدين هذا بخطه الكثير وشغف بتصانيف أبي عبد الله محمد بن علي بن الحكيم الترمذي فجمع معظم تصانيفه عنده وكتب بعضها بخطه، وكتب من كتب الزهد والرقائق والمصاحف كثيراً، وكان خطه في صباه على طريقة ابن البواب القديمة، ووهب لأهله مصاحف كثيرة بخطه، وكان إذا اعتكف في شهر رمضان كتب مصحفاً أو مصحفين، وجمع براوات الأقلام فيكتب بها تعاويذ للحمى وعسر الولادة فيعرف بركتها. قال: وسألت عمي عن مولده فقال: في سنة أربعين وخمسمائة، وقد سمع أباه وعمه أبا المجد عبد الله وغيرهما، وروى الحديث وتفقه على العلاء الغزنوي، واجتمع بجماعة من الأولياء، وكوشف بأشياء مشهورة، وهو الآن يحيا في محرم سنة عشرين وستمائة. ومنهم القاضي أبو الحسن أحمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد بن أبي جرادة، كل هؤلاء ولوا قضاء حلب، وهذا هو والد كمال الدين صاحب أصل هذه الترجمة، كان يخطب بالقلعة بحلب على أيام نور الدين محمود بن زنكي، ثم ولي الخزانة في أيام ولده الملك الصالح إسماعيل إلى أن عرض القضاء على أخيه كما ذكرنا، فامتنع منه فقلده القاضي هذا بحلب وأعمالها في سنة خمس وسبعين وخمسمائة، ولم يزل والياً للقضاء في أيام الملك الصالح ومن بعده في دولة عز الدين، ثم عماد الدين بن قطب الدين مودود بن زنكي، وصدراً من دولة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب إلى أن عزل عن منزلي الخطابة والقضاء ونقل إلى مذهب الشافعي، وكان عزله عن القضاء في سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، ووليه القاضي محيي الدين محمد بن علي الزكي قاضي دمشق الشافعي، وكان صرف أخوه الأصغر أبو المعالي عبد الصمد عن الخطابة قبله، فعلم أن الأمر يئول إلى عزله عن القضاء لأن الدولة شافعية، فاستأذن في الحج والإعفاء من القضاء فصرف عن ذلك بعد مراجعات. وسمع الحديث من أبيه وأبي المظفر سعيد بن سهل الفلكي وغيرهما، ومولده سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة، ومات رحمه الله ليلة الجمعة لسبعة وعشرين من شعبان سنة ثلاث عشرة وستمائة، هذا ما كتبته من الكتاب الذي ذكرته آنفاً على سبيل الاختصار والإيجاز، وهو قليل من كثير من فضائلهم. وأنا الآن أذكر من أنا بصدده وهو كمال

الدين أبو القاسم عمر بن القاضي أبي الحسن أحمد بن القاضي أبي الفضل هبة الله بن القاضي أبي غانم محمد بن القاضي أبي سعيد هبة الله بن القاضي أبي الحسن أحمد بن أبي جرادة – وهو الذي نحن بصدده وإلى معرفة حاله ركبنا سنن المقال وجدده، فإنه من شروط هذا الكتاب، لكتابته التي فاقت ابن هلال، وبلغت الغاية في الجودة والإتقان، ولتصانيفه في الأدب التي تذكر آنفاً إن شاء الله تعالى.

فأما أوصافه بالفضل فكثيرة، وسماته بحسن الأثر أثيرة، وإذا كان هذا الكتاب لا يتسع لأوصافه جميعاً، وكان الوقت يذهب بحلاوة ذكر محاسنه سريعاً، ورأيت من المشقة والإتعاب التصدي لجميع فضائله والاستيعاب، فاعتمدت على القول مجملاً لا مفصلاً، وضربةً لا مبوباً فأقول: إن الله عز وجل عني بخلقته، فأحسن خلقه وخلقه وعقله وذهنه وذكاءه، وجعل همته في العلوم ومعالي الأمور، فقرأ الأدب وأتقنه، ثم درس الفقه فأحسنه، ونظم القريض فجوده، وأنشأ النثر فزينه، وقرأ حديث الرسول وعرف علله ورجاله، وتأويله وفروعه وأصوله، وهو مع ذلك قلق البنان جواد بما تحوي اليدان، وهو كاسمه كمال في كل فضيلة، لم يعتن بشيء إلا وكان فيه بارزاً، ولا تعاطى أمراً إلا وجاء فيه مبرزاً، مشهور ذلك عنه لا يخالف فيه صديق، ولا يستطيع دفاعه عدو.

وأما قراءته للحديث في سرعته وصحة إبراده، وطيب صوته وفصاحته، فهو الغاية التي أقر له بها كل من سمعها، فإنه يقرأ الخط العقد كأنه يقرأ من حفظه. وأما خطه في التجويد والتحرير والضبط والتقييد فسواد مقلة لأبي عبد الله بن مقلة، وبدر ذو كمال عند علي بن هلال:

خلال الفضل في الأمجاد فوضى ... ولكن الكمال لها كمال

وإذا كان التمام من خصائص عالم الغيب، وكان الإنسان لابد له من عيب، فعيبه لطالب العنت والشين، أنه يخاف عليه من إصابته العين، هذا مع العفاف والزمت، والوقار وحسن السمت، والجلال المشهور، عند الخاص والجمهور، قاد الجيوش لسبع عشرة حجة ولداته عن ذاك في إشغال سألته – أدام الله علوه – عن مولده فقال لي: ولدت في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة. قال: فلما بلغت سبعة أعوام حملت إلى المكتب فأقعدت بين يدي المعلم فأخذ يمثل لي كما يمثل للأطفال، ويمد خطاً ويرتب عليه ثلاث سينات، فأخذت القلم وكنت قد رأيته وقد كتب بسم، ومد مدته ففعلت كما فعل، وجاء ما كتبته قريباً من خطه، فتعجب المعلم وقال لمن حوله: لئن عاش هذا الطفل لا يكون في العالم أكتب منه. وصحت لعمري فراسة المعلم فيه، فهو أكتب من كل من تقدمه بعد ابن البواب بلا شك.

وقال: وختمت القرآن، ولي تسع سنين، وقرأت بالعشر ولي عشر سنين، وحبب إلى الخط وجعل والدي يحضني عليه، فحدثني الشيخ يوسف بن علي بن زيد الزهري المغربي الأديب معلم والده بحضرة كمال الدين قال: حدثني والد هذا – وأشار إليه – قال: ولد لي عدة بنات وكبرن ولم يولد لي ولد غير ولد واحد ذكر، وكان غاية في الحسن والجمال والفطنة والذكاء، وحفظ القرآن قدراً صالحاً وعمره خمس سنين، واتفق أن كنت يوماً جالساً في غرفة لنا مشرفة على الطريق فمرت بنا جنازة فاطلع ذلك الطفل ببصره نحوها ثم رفع رأسه إلي وقال: يا أبت إذا أنا مت بم تغشي تابوتي؟ فزجرته وأدركني في الوقت استشعار شديد عليه، فلم

يمض إلا أيام حتى مرض ودرج إلى رحمة الله ولحق بربه، فأصابني عليه ما لم يصب والداً على ولد، وامتنعت من الطعام والشراب، وجلست في بيت مظلم وتصبرت فلم أعط عليه صبراً، فحملني شدة الوله على قصد قبره وتوليت حفره بنفسي، وأردت استخراجه والتشفي برؤيته، فلمشيئة الله ولطفه بالطفل أو بي لئلا أرى به ما أكره صادفت حجراً ضخماً، وعالجته فامتنع علي قلعه مع قوة وأيد كنت معروفاً بهما، فلما رأيت امتناع الحجر علي علمت أنه شفقة من الله على الطفل أو علي، فزجرت نفسي ورجعت ولهان بعد أن أعدت قبره إلى حاله التي كان عليها، فرأيت بعد ذلك في النوم ذلك الطفل وهو يقول: يا أباه عرف والدتي: أني أريد أجيء إليكم فانتبهت مرعوباً، وعرفت والدته ذلك فبكينا وترحمنا واسترجعنا، ثم إني رأيت في النوم كأن نوراً خرج من ذكري حتى أشرف على جميع دورنا ومحلتنا وعلا علواً كبيراً، فانتبهت وأولت ذلك فقيل لي: أبشر بمولود يعلو قدره، ويعظم أمره، ويشيع بين الأنام ذكره بمقدار ما رأيت من ذلك النور، فابتهلت إلى الله عز وجل ودعوته وشكرته، وقويت نفسي بعد الإياس لأني كنت قد جاوزت الأربعين، فلم تمض إلا هنيهة حتى اشتملت والدة ولدي هذا وأشار إلى كمال الدين – أيده الله – على حمل، وجاءت به في التاريخ المقدم ذكره، فلم يكن بقلبي بحلاوة ذلك الأول، لأنه كان نحيفاً جداً، فجعل كلما كبر نبل جسماً وقدراً، ودعوت عدة دعوات، وسألت الله له عدة سؤالات، ورأيت فيه والحمد لله أكثرها.
ولقد قال له رجل يوماً بحضرتي كما يقول الناس: أراكه الله قاضياً كما كان آباؤه. فقال: ما أريد له ذلك، ولكني اشتهيته أن يكون مدرساً، فبلغه الله ذلك بعد موته، وسمع الحديث على جماعة من أهل حلب والواردين إليها، وأكثر السماع على الشيخ الشريف افتخار الدين عبد المطلب الهاشمي. ورحل به أبوه إلى البيت المقدس مرتين في سنة ثلاث وستمائة، وفي سنة ثمان وستمائة، ولقي بها مشايخ وبدمشق أيضاً، وقرأ على تاج الدين أبي اليمن في النوبتين كثيراً من مسموعاته.

حدثني كمال الدين – أدام الله معاليه – قال: قال لي والدي: احفظ اللمع حتى أعطيك كذا وكذا، فحفظته وقرأته على شيخ حلب يومئذ، وهو الضياء بن دهن الحصا، ثم قال لي: احفظ القدوري حتى أهب لك كذا وكذا من الدراهم كثيرة أيضاً، فحفظته في مدة يسيرة وأنا في خلال ذلك أجود، وكان والدي رحمه الله يحرضني على ذلك، ويتولى صقل الكاغد لي بنفسه، فإني لأذكر مرة وقد خرجنا إلى ضيعة لنا فأمرني بالتجويد. فقلت: ليس ههنا كاغد جيد، فأخذ بنفسه كاغداً كان معنا ردياً، وتناول شربة اسفيذر وكانت معنا، فجعل يصقل بها الكاغد بيده ويقول لي: اكتب ولم يكن خطه بالجيد، وإنما كان يعرف أصول الخط، فكان يقول لي: هذا جيد وهذا رديء، وكان عنده خط ابن البواب، فكان يريني أصوله إلى أن أتقنت منه ما أردت، ولم أكتب على أحد مشهور إلا أن تاج الدين محمد بن أحمد بن البرفطي البغدادي، ورد إلينا إلى حلب فكتبت عليه أياماً قلائل لم يحصل منه فيها طائل: ثم إن الوالد رحمه الله خطب لي وزوجني بقوم من أعيان حلب وساق إليهم ما جرت العادة بتقدمته في مثل ذلك، ثم جرى بيننا وبينهم ما كرهته وضيق صدري منهم، فوهب لهم الوالد جميع ما كان ساقه إليهم وطلقتهم، ثم إنه وصلني بابنة الشيخ الأجل بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بن عبد الله المعروف بابن العجمي وهو شيخ أصحاب الشافعي،

وأعظم أهل حلب منزلة وقدراً ومالاً وحالاً وجاهاً. وساق إليهم المهر وبالغ في الإحسان، وكان والدي رحمه الله باراً بي، لم يكن يلتذ بشيء من الدنيا التذاذه بالنظر في مصالحي وكان يقول: أشتهي أرى لك ولداً ذكراً يمشي فولد أحمد ولدي ورآه، وبقي إلى أن كبر ومرض مرضة الموت، فيوم مات مشى الطفل حتى وقع في صدره، ثم مات والدي رحمه الله في الوقت الذي تقدم ذكره، وكان الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب رحمه الله كثير الإكرام لي، وما حضرت مجلسه قط فأقبل على أحد إقباله علي مع صغر السن، واتفق أن مرضت في شهور سنة ثماني عشرة وستمائة مرضاً أيس مني فيه، فكان يخطر ببالي وأنا مريض أن الله تعالى لابد وأن يمن بالعافية لثقتي بصحة رؤيا الوالد وكنت أقول: ما بلغت بعد مبلغاً يكون تفسيراً لتلك الرؤيا إلى أن من الله بالعافية وله الحمد والمنة، فذهب عني ذلك الخيال، وليس يخطر منه في هذا الوقت ببالي شيء، لأن نعم الله علي سابغة، وأياديه في حقي شائعة. قلت: ولما مات والده بقي بعده مدة، ومات مدرس مدرسة شادبخت، وهي من أجل مدارس حلب وأعيانها، فولي التدريس بها في ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة، وعمره يومئذ ثمان وعشرون سنة. هذا، وحلب أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ والفضلاء الواسخ، إلا أنه رئي أهلاً لذلك دون غيره، وتصدر وألقى الدرس بجنان قوى ولسان لوذعي فأبهر العالم، وأعجب الناس.

وصنف مع هذا السن كتباً منها: كتاب الدراري في ذكر الذراري جمعه للملك الظاهر، وقدمه إليه يوم ولد ولده الملك العزيز الذي هو اليوم سلطان حلب. كتاب ضوء الصباح في الحث على السماح صنفه للملك الأشرف، – وكان قد سير من حران يطلبه، فإنه لما وقف على خطه اشتهى أن يراه، فقدم عليه فأحسن إليه وأكرمه، وخلع عليه وشرفه – . كتاب الأخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة – ، وأنا سألته جمعه فجمعه لي، وكتبه في نحو أسبوع وهو عشر كراريس – . كتاب في الخط وعلومه، ووصف آدابه وأقلامه وطروسه، وما جاء فيه من الحديث والحكم، وهو إلى وقتي هذا لم يتم. كتاب تاريخ حلب في أخبار ملوكها وابتداء عمارتها ومن كان بها من العلماء، ومن دخلها من أهل الحديث والرواية والدراية، والملوك والأمراء والكتاب. وشاع ذكره في البلاد، وعرف خطه بين الحاضر والباد، فتهاداه الملوك، وجعل مع اللآلئ في السلوك، وضربت به في حياته الأمثال، وجعل للناس في زمانه حذواً ومثالاً، فمما رغب في خطه أنه اشترى وجهةً واحدةً بخط ابن البواب بأربعين درهماً، ونقلها إلى ورقة عتيقة ووهبها من حي

در الكتبي، فذهب بها وادعى أنها بخط ابن البواب وباعها بستين درهماً زيادة على التي بخط ابن البواب بعشرين درهماً، ونسخ لي هذه الرقعة بخطه فدفع فيها كتاب الوقت على أنها بخطه ديناراً مصرياً ولم يطب قلبي ببيعها، وكتب لي أيضاً جزءاً فيه ثلاث عشرة قائمه نقلها من خط ابن البواب فأعطيت فيها أربعين درهماً ناصرية، قيمتها أربعة دنانير ذهباً فلم أفعل، وأنا أعرف أن ابن البواب لم يكن خطه في أيامه بهذا النفاق، ولا بلغ هذا المقدار من الثمن، وقد ذكرت ما يدل على ذلك في ترجمة ابن البواب. فممن كتب إليه يسترفده شيئاً من خطه سعد الدين منوجهر الموصلي، ولقد سمعته مراراً يزعم أنه أكتب من ابن البواب، ويدعي أنه لا يقوم له أحد في الكتابة ويقر لهذا – كمال الدين – بالكمال، فوجه إليه على لسان القاضي

أبي علي القيلوي وهو المشهور بصحبة السلطان الأشرف يسأله سؤاله في سيئ من خطه ولو قائمة أو وجهة، وكان اعتماده على أن ينقل له الموجهة المقدم ذكرها، وممن كتب إليه يسترفده خطه أمين الدين ياقوت المعروف بالعالم، وهو صهر أمين الدين ياقوت الكاتب الذي يضرب به المثل في جودة الخط، وتخرج به ألوف وتتلمذ له من لا يحصى. كتب إلى كمال الدين رقعة وحموه حي يرزق نسختها: الذي حض الخادم على عمل هذه الأبيات وإن لم يكن من أرباب الصناعات: أن الصدر الكبير الفاضل عز الدين حرس الله مجده، لما وصل إلى الموصل خلد الله ملك مالكها، نشر من فضائل المجلس العالي العالمي الفاضلي كمال الدين كمل الله سعادته كما كمل الله سيادته، وبلغه في الدارين مناه وإرادته: ما يعجز البليغ عن فهمه فضلاً عن ان يورده، لكن فضائل المجلس كانت تملى على لسانه وتشغله، فطرب الخادم من استنشاق رياها. واشتاق إلى رؤية حاويها عند اجتلاء محياها، فسمح عند ذلك الخاطر مع تبلده بأبيات تخبر المجلس محبة الخادم له وتعبده وهي:

حيا نداك كمال الدين أحيانا ... ونشر فضلك عن محياك حيانا
وحسن أخلاقك اللائي خصصت بها ... أهدت على البعد لي روحاً وريحانا
حويت يا عمر المحمود سيرته ... خلقاً وخلقاً وأفضالاً وإحساناً
إن كان نجل هلال في صناعته ... ونجل مقلة عينا الدهر قد كانا
فأنت مولاي إنسان الزمان وقد ... غدوت في الخط للعينين إنسانا
قد بث فضلك عز الدين مقتصداً ... ونث شكرك إسراراً وإعلانا
فضاع نشرك في الحدباء واشتهرت ... آيات فضلك أرسالاً ووحدانا
أثني عليك وآمالي معلقة ... بحسن عفوك ترجو منك غفرانا
وإن تطفلت في صدق الوداد ولم ... يقض التلاقي لنا عفواً ولا حانا
فما ألام على شيء أتيت به ... فالأذن تعشق قبل العين أحيانا
يا أفضل الناس في علم وفي أدب ... وأرجح الخلق عند الله ميزانا
قد شرف الله أرضاً أنت ساكنها ... وشرف الناس إذ سواك إنسانا

وقد هجم الكلام على المجلس الأعلى بوجه وقاح، ولم يخش مع عفو المولى وصمة الافتضاح. فليلق عليه المولى ستر المعروف، فهو أليق بكرمه المألوف، والسلام. فكتب إليه كمال الدين بخطه الدري، ولفظه السحري، أنشدنيها لنفسه:

يا من أبحت حمى قلبي مودته ... ومن جعلت له أحشاي أوطانا
أرسلت نحوي أبياتاً طربت بها ... والفضل للمبتدي بالفضل إحسانا
فرحت أختال عجباً من محاسنها ... كشارب ظل بالصهباء نشوانا!
رقت وراقت فجاءت وهي لابسة ... من اللاغة والترصيع ألوانا
حكت بمنثورها والنظم إذ جمعا ... بأحرف حسنت، روضاً وبستانا
جرت على جرول أثواب زينتها ... إذ أصبحت وهي تكسو الحسن حسانا

أضحت تغبر وجه العنبري فما ... بنو اللقيطة من ذهل بن شيبانا
يمسي لها ابن هلال حين ينظرها ... يحكي أباه بما عاناه نقصانا
كذاك أيضاً لها عبد الحميد غدا ... عبداً يجر من التقصير أردانا
أتت وعبدك مغمور بعلته ... فغادرته صحيحاً خير ما كانا

وكيف لا تدفع الأسقام عن جسدي ... وهي الصبا حملت روحاً وريحانا؟
فما على طيفها لو عاد يطرقنا؟ ... فربما زار أحياناً وأحيانا
فاسلم وأنت أمين الدين أحسن من ... وشى الطروس بمنظوم ومن زانا
ولا تخطت إليك الحادثات ولا ... حلت بربعك يا أعلى الورى شانا
وأنشدني كمال الدين أدام الله علاءه لنفسه في الغزل فاعتمد فيه معنى غريباً:
وأهيف معسول المراشف خلته ... وفي وجنتيه للمدامة عاصر
يسيل إلى فيه اللذيذ مدامة ... رحيقاً وقد مرت عليه الأعاصر
فيسكر منه عند ذاك قوامه ... فيهتز تيهاً والعيون فواتر
كأن أمير النوم يهوى جفونه ... إذا هم رفعاً خالفته المحاجر
خلوت به من بعد ما نام أهله ... وقد غارت الجوزاء والليل ساتر
فوسدته كفي وبات معانقي ... إلى أن بدا ضوء من الصبح سافر
فقام يجر البرد منه على تقىً ... وقمت ولم تحلل لإثم مآزر
كذلك أحلى الحب ما كان فرجه ... عفيفاً ووصل لم تشنه الجرائر
وأنشدني لنفسه بمنزله بحلب في ذي الحجة سنة تسع عشرة وستمائة وإملائه:
وساحرة الأجفان معسولة اللمى ... مراشفها تهدي الشفاء من الظما
حنت لي قوسي حاجبيها وفوقت ... إلى كبدي من مقلة العين أسهما
فوا عجباً من ريقها وهو طاهر ... حلال وقد أضحى علي محرما!
فإن كان خمراً أين للخمر لونه ... ولذته مع أنني لم أذقهما؟
لها منزل في ربع قلبي محله ... مصون به مذ أوطنته لها حمى
جرى حبها مجرى حياتي فخالطت ... محبتها روحي ولحمي والدما
تقول: إلى كم ترتضي العيش أنكداً ... وتقنع أن تضحي صحيحاً مسلما؟
سر في بلاد الله واطلب الغنى ... تفز منجداً إن شئت أو شئت متهما
فقلت لها: إن الذي خلق الورى ... تكفل لي بالرزق منا وأنعما
وما ضرني أن كنت رب فضائل ... وعلم عزيز النفس حراً معظماً
إذا علمت كفاي مالاً وثروةً ... وقد صنت نفسي أن أذل وأحرما
ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي ... لأخدم من لاقيت لكن لأخدما

لا يظن الناظر في هذه الأبيات أن قائلها فقير وقير فإن الأمر بعكس ذلك، لأنه – والله يحوطه – رب ضياع واسعة وأملاك جمة، ونعمة كبيرة، وعبيد كثيرة، وإماء وخيل ودواب، وملابس فاخرة وثياب. ومن ذلك: أنه بعد موت أبيه اشترى داراً كانت لأجداده قديماً بثلاثين ألف درهم، ولكن نفسه واسعة، وهمته عالية، والرغبات في الدنيا بالنسبة إلى الراغبين، والشهوة لها على قدر الطالبين. وأنشدني لنفسه بمنزله في التاريخ:

سألزم نفسي الصفح عن كل من جنى ... علي وأعفو حسبة وتكرما
وأجعل مالي دون عرضي وقاية ... ولو لم يغادر ذاك عندي درهما
وأسلك آثار الألى اكتسبوا العلا ... وحازوا خلال الخير ممن تقدما
أولئك قومي المنعمون ذوو النهى ... بنو عامر فاسأل بهم كي تعلما
إذا ما دعوا عند النوائب إن دجت ... أناروا بكشف الخطب ما كان أظلما
وإن جلسوا في مجلس الحكم خلتهم ... بدور ظلام والخلائق أنجما
وإن هم ترقوا منبراً لخطابة ... فأفصح من يوماً بوعظ تكلما
وإن أخذوا أقلامهم لكتابة ... فأحسن من وشى الطروس ونمنما
بأقوالهم قد أوضح الدر واغتدى ... بأحكامهم علم الشريعة محكما
دعاؤهم يجلو الشدائد إن عرت ... وينزل قطر الماء من أفق السما
وقائلة يا ابن العديم إلى متى ... نجود بما تحوي ستصبح معدما؟
فقلت لها: عني إليك فإنني ... رأيت خيار الناس من كان منعما

أبى اللؤم لي أصل كريم وأسرة ... عقيلية سنوا الندى والتكرما

وأنشدني لنفسه وقد رأى في عارضه شعرة بيضاء وعمره إحدى وثلاثون سنة:

أليس بياض الأفق في الليل مؤذناً ... بآخر عمر الليل إذ هو أسفرا؟
كذاك سواد النبت يقرب يبسه ... إذا ما بدا وسط الرياض منوراً

ودخلت إلى كمال الدين المذكور يوماً فقال لي: ألا ترى، أنا في السنة الحادية والثلاثين من عمري، وقد وجدت في لحيتي شعرات بيضاً فقلت أنا فيه:

هنيئاً كمال الدين فضلاً حبيته ... ونعماء لم يخصص بها أحد قبل
لداتك في شغل بداعية الصبا ... وأنت بتحصيل المعالي لك الشغل
بلغت لعشر من سنينك رتبة ... من المجد لا يسطيعها الكامل الكهل
ولما اتاك الحكم والفهم ناشئاً ... أشابك طفلاً كي يتم لك الفضل

عمر بن ثابت

أبو القاسم الثمانيني النحوي الضرير. إمام فاضل، وأديب كامل، أخذ عن أبي الفتح بن جني، وكان خواص الناس في ذلك الوقت يقرؤون على أبي القاسم عند الواحد بن برهان الأسدي، وعمومهم يقرؤون على الثمانيني. مات الثمانيني في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة في خلافة القائم بأمر الله، وهو منسوب إلى سوق ثمانين بليد صغير بأرض جزيرة ابن عمر بأرض الموصل من ناحية قردى. يقال: إنها أول مدينة بنيت بعد الطوفان وسميت بذلك، لأنهم زعموا أن الذين نجوا من السفينة كانوا ثمانين آدمياً.

وله من التصانيف: كتاب شرح اللمع، كتاب المفيد في النحو، كتاب شرح التصريف الملوكي. وجدت في بعض الكتب: أن أول قرية بنيت بعد الطوفان ثمانين، وإنما سميت بهذا الاسم، لأن ثمانين نفراً خرجوا من السفينة وبنوها، ولما خرجوا من السفينة نزلوا قردى وبازبدى بأرض الموصل وهي قرية الثمانين ثم وقع فيهم الوباء فماتوا إلا نوحاً وسام بن نوح وحاماً ويافثاً ونساءهم وطبقت الدنيا منهم، فذلك قوله عز وجل: (وجعلنا ذريته هم الباقين).

عمر بن جعفر بن محمد الزعفراني

أبو القاسم يلقب دومى، أحد أعيان أهل الأدب المخصصين بمعرفة علم الشعر من القوافي والعروض وغير ذلك، ذكره محمد بن إسحاق النديم وكان في عصره، وله: كتاب العروض في خمس مجلدات ضخمة، رأيتها بخطه في وقف جامع حلب، وله كتاب القوافي، وكتاب اللغات – ذكرهما ابن النديم – .

عمر بن الحسين الخطاط غلام ابن خرنقا

كان كاتباً مليح الخط محظوظاً منه، وكان يكتب على طريقة علي بن هلال البواب ويجيد في ذلك، وخطه مشهور عند كتاب الآفاق معروف، مات فيما ذكره صدقة بن الحسين الحيار في حادي عشر جمادى الآخرة، سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة للهجرة، ودفن في داره بدرب الدواب، وكان له من آلة الكتابة ما لم يكن لأحد قبله، وذلك أنه حدثني محمد بن البرفطي الكاتب قال: حدثني أبو اليمن زيد بن الحسين الكندي: أنه بيع له في تركته آلة الكتابة بتسعمائة دينار أمامية، من جملة ذلك، دواة بأزهر اشتراها بعض ولد زعيم الدين بن جعفر صاحب المخزن بتسعمائة دينار، وبيع له بالباقي سكاكين وأقلام وبراكر وما شاكل ذلك.

عمر بن شبة بن عبيدة بن ريطة البصري

أبو زيد مولى بني نمير، واسم شبة زيد، وإنما سمي شبة لأن أمه كانت ترقصه وتقول:

يا بأبي وشبا ... وعاش حتى دبا

شيخاً كبيراً خبا

مات لست بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين للهجرة بسامرا، وبلغ من السن تسعين سنة، وكان أبو زيد راوية للأخبار عالماً بالآثار، أديباً فقيهاً صدوقاً قال المرزباني: وهو القائل للحسن بن مخلد:

ضاعت لديك حقوق واستهنت بها ... والحر يألم من هذا ويمتعض
إني سأشكر نعمى منك سالفة ... وإن تخونها من حادث عرض
وله:
أصبحت كلاً على أناس ... قد كنت عن مثلهم عزوفاً

قال محمد بن إسحاق: وله من التصانيف: كتاب الكوفة، كتاب البصرة، كتاب أمراء المدينة، كتاب أمراء مكة، كتاب السلطان، كتاب مقتل عثمان رضي الله عنه وأرضاه، كتاب الكتاب، كتاب الشعر والشعراء، كتاب الأغاني، كتاب التاريخ، كتاب أخبار المنصور، كتاب أخبار محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن بن حسن، كتاب أشعار الشراة، كتاب النسب، كتاب أخبار بني نمير، كتاب ما يستعجم الناس فيه من القرآن، كتاب الاستعانة بالشعر وما جاء في اللغات، كتاب الاستعظام، كتاب النحو ومن كان يلحن من النحويين، كتاب طبقات الشعراء.
وكان لأبي زيد ابن اسمه أبو طاهر أحمد، وكان شاعراً مجيداً، اعتبط قبل أن يبلغ مبلغ المشهورين، مات بعد أبيه بعشر سنين. ومن شعر عمر بن شبة:
وقائلة لم يبق للناس سيد ... فقلت: بلى عبد الرحيم بن جعفر
ومن شعر ابنه أبي طاهر أحمد:
نظرت فلم أر في العسكر ... كشؤمي وشؤم أبي جعفر
غدا الناس للعيد في زينة ... من اليوم في منظر أزهر
ويغدو عليهم بلا أهبة ... فراراً من المنزل المقفر
فنقعد للشؤم في عزلة ... من الناس ننظر في دفتر

عمر بن عثمان بن الحسين بن شعيب الجنزي

أبو حفص، من أهل ثغر جنزة، ذكره عبد الكريم السمعاني فقال: هو أحد أئمة الأدب، وله باع طويل في الشعر والنحو، ورد بغداد وأقام بها مدة، وصحب الأئمة واقتبس منهم، وأكثر ما قرأ الأدب على أبي المظفر الأبيوردي ثم رجع إلى بلده وعاد ثانياً إلى بغداد، وذاكر الفضلاء بها وبالبصرة وخوزستان، وبرع في العلم حتى صار علامة زمانه، وأوحد عصره وأوانه، وكان غزير الفضل وافر العقل، حسن السيرة كثير العبادة، متوداً سخي النفس، صنف التصانيف وجمع الجموع، وشرع في إملاء تفسيره – لو تم لم يوجد مثله – سمع بهمذان عبد الرحمن الدوني، كتبت عنه بمرو وأنشدني لنفسه:
أحادي عيسى إن بلغت مقامي ... فبلغ صحابي لاعدمت سلامي
وخبرهم عما أعاني من الجوى ... ومن لوعتي في هجرهم وسقامي
وقل لهم: إني متى ما ذكرتكم ... غصصت لذكراكم بكل طعام
وإن دموعي كلما لاح كوكب ... ترقرق في خدي كصوب غمام

وإن هب من أرض الحبيب نسيمه ... تقلقل أحشائي وهاج غرامي
وإن غردت وهناً حمامة أيكة ... أحنت بنوحي لحن كل حمام
وله:
قالت وخطتك شيبة كالعين ... كم تذرف عيناك ذروف العين؟
قد قلت لها: أيا سواد العين ... يزداد من الثلوج ماء العين؟
العين الأولى: الطليعة، ومات الجنزي في رابع عشر ربيع الآخر سنة خمسين وخمسمائة للهجرة بمرو، وقد جاوز السبعين. وذكره أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي في كتاب الوشاح فقال: هو إمام في النحو والأدب لا يشق فيهما غباره، ومع ذلك فقد تحلى بالورع ونزاهة النفس، لكن الزمان عانده، وما بسط في أسباب معاشه يده، جاس خلال الديار وقال: أدركت زمان الأشج، ورأيت مصلاه في طنجة المغرب، إلا أني لم أمكث حتى أراه، وأدب بنيسابور أولاد الوزير فخر الملك، ثم ارتحل من نيسابور في شهور سنة خمس وأربعين وخمسمائة للهجرة ثم لم يعد إليها، وقضى نحبه بعد انتقاله من نيسابور بأيام قلائل، وأنشد له قصيدة واحدة في مدح الإمام محمد بن حمويه منها:
ألم تذكر رابعاً بعسفان عامراً ... وبيضاً يودعن الأحبة خردا
يشعثن بالعناب ضغث بنفسج ... ويضربن بالأسروع خداً موردا
كأن النوى لم تلق غير جوانحي ... ومقلتي العبرى مراداً وموردا
وتذري على الورد الجمان بنرجس ... حمته بنان تترك الصب مقصدا
حكى خدها دمعي وقلبي قلبها ... وحاجبها قدي لما قد تأودا
وإن بخلت عيني وضنت بمائها ... إذاً جاد قلبي بالدماء وأنجدا
وأبدع منه أن حر أضالعي ... ولوعاتها تغلى التراب المبردا
وشابهتها إذ عرضت في ثلاثة ... تزيد لها حسناً وتورثنا الردى
وتصعد من صدري رياح بوارد ... إذا أنا ذكرت اللوى متنهدا

قرأت بخط أبي سعد: أنشدنا أبو حفص عمر بن عثمان الجنزي لنفسه يعزي الكمال المستوفي بزوجته:
إذا جل قدر المرء جل مصاب ... وكل جليل بالجليل يصاب
يروح الفتي في غفلة عن مآله ... ويشغله عنه هوى وشباب
فلم يتفكر أن من عاش ميت ... وأن الذي فوق الترب تراب
وأن ثراءً يقتنيه مشتت ... وأن بناء يبتنيه خراب
ونعمة ذي الدنيا بلاء ومحنة ... وماذيها سم يضر وصاب
وفرحتها عند الأكايس ترحة ... وسلسالها للأولياء سراب
فلا يخدعن المرء نعمى حلالها ... حساب عليه والحرام عقاب
وللدهر مستوف عليهم مناقش ... له مع أهل الخافقين خطاب

على كل نفس مشرفان لربه ... غداً لهما فيما أتته كتاب
وهي طويلة.

عمر بن عثمان بن خطاب بن بشير التميمي

أبو حفص النحوي، مغربي، له كتاب الأمر والنهي، ويعرف بكتاب المكتفي.

عمر بن أبي محمد بن يوسف بن يعقوب

ابن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن القاضي. حدث أبو القاسم التنوخي قال: حدثني أبو الحسين بن عياش القاضي قال: لما قلد المقتدر أبا الحسين بن أبي عمر القاضي المدينة رياسةً في حياة أبيه أبي عمر خلع عليه، واجتمع الخلق من الأشراف والقضاة والشهود والجند والتجار وغيرهم على باب الخليفة حتى خرج أبو الحسين وعليه الخلع، فساروا معه قال: وكنت فيهم – للصهر الذي كان بينه وبينهم، ولأنه كان أحد شهودهم – فصار عمي وأنا معه في أخريات الناس والموكب خوفاً من الزحام، ومعنا شيخ أسن أسماه أبو الحسين وأنسيته أنا، فكنا لا نجتاز بموضع إلا سمعنا ثلب الناس لأبي الحسين وتعجبهم من تقلده رياسةً. فقال عمي للشيخ يا أبا فلان: أما ترى كثرة تعجب الناس من تقلد هذا الصبي مع فضله ونفاسته وعلمه وجلالة سلفه؟! فقال: يا أبا محمد، لا تعجب من هذا، فلعهدي وقد ركبت مع أبي عمر يوم خلع عليه بالحضرة وقد اجتزنا بالناس وهم معجبون من تقلده أضعاف هذا العجب حتى خفنا أن يثبوا علينا، وهذا أبو عمر الآن وقدره في الفضل والنبل، ولكن الناس يسرعون إلى العجب مما لم يألفوه. وله من التصانيف: كتاب غريب الحديث كبير لم يتم، كتاب الفرخ بعد الشدة لطيف، وهو فيما أحسب أول من صنف ذلك.
حدث ابن نصر والخطيب عن أبي الطيب بن زنجي المؤدب قال: كان بين أبي أحمد بن ورقاء وبين القاضي أبي عمر وولده أبي الحسين مودة وكيدة، فعن لأبي أحمد سفرة لم يودع فيها القاضيين، فلما عاد من سفرته لم يقصداه ولم يعرفا خبره، فكتب إليهما:
أأستجفي أبا عمر وأشكو ... أم أستجفي فتاه أبا الحسين؟
بأي قضية وبأي حكم ... ألحا في قطيعة واصلين؟
فما جاءا ولا بعثا رسولاً ... ولا كانا لحق قاضيين
وإن من المروءة أن يكونا ... لمن والاهما متوالين
فإن نعتب فحقاً غير أنا ... نجل على العتاب القاضيين
وأنفذ الرقعة إلى أبي عمر، فلما وقف عليها ألقاها إلى ولده أبي الحسين وقال: أجبه، فأنت أقوم بجواب هذا الكلام، فكتب إليه:
تجن واظلم فلست منتقلاً ... عن خالص الود أيها الظالم
كتبت تشكو قطيعة سلفت ... وخلت أني لجلكم صارم

تركت حق الوداع منصرفاً ... وجئت تبغي زيارة القادم
كأن حقي عليك مطرح ... وحق ما تبتغيه بي لازم
أمران لم يذهبا على فطن ... وأنت بالحكم فيهما عالم
وبعد ذا فالعتاب من ثقة ... وصدره من حفيظة سالم
فلما وقف عليها ركب إليهما وعاد معهما إلى ما كان عليه من المصافاة.

عمر بن محمد النسفي الحافظ

ونسف هي نخشب وما وراء النهر. كنيته أبو حفص، وصنف كتباً منها كتاب القند في علماء سمرقند، ذكر فيها وقال: وموسى بن عبد الله الأغماتي قدم علينا سنة إحدى وستين وخمسمائة وهو شاب فاضل، وبقي عندي أياماً وكتب عني الكثير، ولأجله جمعت كتاباً سميته عجالة النخشبي لضيفه المغربي، وفيه قلت:
لقد طلع الشمس من غربها ... على خافقيها وأوساطها

فقلنا: القيامة قد أقبلت ... وقد جاء أول أشراطها
قال: وأنشدني موسى الأغماتي لنفسه:
لعمر الهوى إني وإن شطت النوى ... لذو كبد حرى وذو مدمع سكب
فإن كنت في أقصى خراسان نازحاً ... فجسمي في شرق وقلبي في غرب

عمر بن مطرف الكاتب

يكنى أبا الوزير، من عبد القيس كان من أهل مرو، وكان يتقلد ديوان المشرق للمهدي وهو ولي عهد، ثم كتب له في خلافته والهادي والرشيد، وكان يكتب للمنصور وللمهدي. وقيل: إنه مات في أيامه، والصحيح أنه مات في أيام الرشيد فحزن عليه وصلى هو عليه بنفسه، فلما فرغ من صلاته قال له: رحمك الله، ما عرض لك أمران أحدهما لله والآخر لك، إلا اخترت ما هو لله على هواك.
وله من الكتب: كتاب مفاخرة العرب ومنافرة القبائل في النسب، كتاب منازل العرب وحدودها وأين كانت محلة كل قوم؟ وإلى أين انتقل منها؟. كتاب رسائله.
قال محمد بن عبدوس: وكان الرشيد أمر بإبطال دواوين الأزمة في سنة سبعين ومائة، فأبطلت شهرين ثم أعيدت، ووليها أبو الوزير عمر بن المطرف بن محمد العبدي، منسوب إلى عبد القيس لأنه كان مولاهم، وكان مطرف بن محمد أحد كتاب المهدي، وتقلد له ديوان الخراج أيام مقامه بالري، وتوفى مطرف بن محمد سنة أربع وأربعين ومائة في قول، وقيل غير ذلك، وقد ذكرته بعد هذا. وكان أبو الوزير عفيفاً متصوفاً وكان يبخل.
وحكي أنه كلم عمر بن العلاء في رجل فوهب له مائة ألف درهم فدخل أبو الوزير على الرشيد وقال له: يا أمير المؤمنين، عمر خائن، كلمته في رجل كانت هبته ألفي درهم، فوهب له ألف درهم. فلم يضره ذلك

عند الرشيد لعلمه بخل أبي الوزير، ولما انصرف عمر بن العلاء إلى حضرة أبي الوزير أغلظ له وشدد معاتبته لأجل ما وهب للرجل وقال له: قد كان يجزئه إذا أسرفت أن تهب له خمسة آلاف درهم، قال له عمر بن العلاء: فاعمل على أني أعطيته بكتابك خمسة آلاف درهم، وأعطيته لنفسي خمسة وتسعين ألف درهم. وفي أبي الوزير يقول بعض الشعراء:

لبس الرئاء وراح في أثوابه ... نحو الخليفة كاسراً لم يطرف

يبدي خلاف ضميره ليغره ... لله در رئائك ابن مطرف

وكان حج الرشيد في سنة ست وثمانين ومائة، وقد حج الرشيد بعد ذلك أيضاً في سنة ثمان، ولا أدري في أية حجتيه هاتين مات أبو الوزير.

عمرو بن أبي عمرو إسحاق بن مرار الشيباني

قد تقدم ذكر نسبه وولائه عند ذكر أبيه، وكان عمرو هذا قد أخذ علم أبيه وتصدر للقراءة عليه وأبوه حي، مات سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وقال الأزهري: مات سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

عمرو بن بحر بن محبوب

أبو عثمان الجاحظ مولى أبي القلمس عمرو بن قلع الكناني ثم الفقمي أحد النسابين، قال يموت بن المزرع: الجاحظ خال أمي، وكان جد الجاحظ أسود يقال له فزارة، وكان جمالاً لعمرو بن قلع الكناني. وقال أبو القاسم البلخي: الجاحظ كناني من أهل البصرة، وكان الجاحظ من الذكاء وسرعة الخاطر والحفظ بحيث شاع ذكره، وعلا قدره، واستغنى عن الوصف.

قال المرزباني: حدث المادي قال: حدثني من رأى الجاحظ يبيع الخبز والسمك بسيحان. قال الجاحظ: أنا أسن من أبي نواس بسنة، ولدت في أول سنة خمس ومائة وولد في آخرها. مات الجاحظ سنة خمس وخمسين ومائتين في خلافة المعتز وقد جاوز التسعين، سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن الأخفش أبي الحسن وكان صديقه، وأخذ الكلام عن النظام، وتلقف الفصاحة من العرب شفاهاً بالمربد. وحدثت أن الجاحظ قال: نسيت كنيتي ثلاثة أيام حتى أتيت أهلي فقلت لهم: بم أكنى؟ فقالوا: بأبي عثمان. وحدث أبو هفان قال: لم أر قط ولا سمعت من أب الكتب والعلوم أكثر من الجاحظ، فإنه لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته كائناً ما كان، حتى إنه كان يكتري دكاكين الوراقين ويبيت فيها للنظر. والفتح بن خاقان، فإنه يحضر لمجالسة المتوكل، فإذا أراد القيام لحاجة أخرج كتاباً من كمه أو خفه وقرأه في مجلس المتوكل إلى حين عوده إليه حتى في الخلاء وإسماعيل بن إسحاق القاضي فإني ما دخلت إليه إلا رأيته ينظر في كتاب، أو يقلب كتباً أو ينفضها.

وقال المرزباني: قال أبو بكر أحمد بن علي: كان أبو عثمان الجاحظ من أصحاب النظام، وكان واسع العلم بالكلام، كثير التبحر فيه شديد الضبط لحدوده، ومن أعلم الناس به وبغيره من علوم الدين، وله كتب

كثيرة مشهورة جليلة في نصرة الدين، وفي حكاية مذهب المخالفين، وفي الآداب والأخلاق، وفي ضروب من الجد والهزل، وقد تداولها الناس وقرؤوها وعرفوا فضلها. وإذا تدبر العاقل المميز أمر كتبه علم أنه ليس في تلقيح العقول وشحذ الأذهان، ومعرفة أصول الكلام وجواهره، وإيصال خلاف الإسلام ومذاهب الاعتزال إلى القلوب – كتب تشبهها، والجاحظ عظيم القدر في المعتزلة وغير المعتزلة من العلماء الذين يعرفون الرجال ويميزون الأمور.

قال المرزباني: وكان الجاحظ ملازماً لمحمد بن عبد الملك خاصاً به، وكان منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد للعداوة بين أحمد ومحمد. ولما قبض على محمد هرب الجاحظ فقيل له: لم هربت؟ فقال: خفت أن أكون ثاني اثنين إذ هما في التنور، يريد ما صنع بمحمد، وإدخاله تنور حديد فيه مسامير كان هو صنعه ليعذب الناس فيه، فعذب هو فيه حتى مات – يعني محمد بن الزيات – .

وحدث علي بن محمد الوراق قال: من كتاب الجاحظ إلى ابن الزيات: لا والله، ما عالج الناس داءً قط أدوى من الغيظ، ولا رأيت شيئاً هو أنفذ من شماتة الأعداء، ولا أعلم باباً أجمع لخصال المكروه من الذل، ولكن المظلوم ما دام يجد من يرجوه، والمبتلى ما دام يجد من يرثي له، فهو على سبب درك وإن تطاولت به الأيام، فكم من كربة فادحة، وضيقة مصمتة قد فتحت أقفالها وفككت أغلالها، ومهما قصرت فيه فلم أقصر في المعرفة بفضلك، وفي حسن النية بيني وبينك، لا مشتت الهوى، ولا مقسم الأمل، على تقصير قد احتملته، وتفريط قد اغتفرته، ولعل ذلك أن يكون من ديون الإدلال وجرائم الإغفال، ومهما كان من ذلك فلن أجمع بين الإساءة والإنكار، وإن كنت كما تصف من التقصير وكما تعرف من التفريط، فإني من شاكري أهل هذا الزمان، وحسن الحال. متوسط المذهب، وأنا أحمد الله على أن كانت مرتبتك من المنعمين فوق مرتبتي في الشاكرين، وقد كانت علي بك نعمة أذاقتني طعم العز، وعودتني روح الكفاية، ولوت هذا الدهر وجهده، ولما مسخ الله الإنسان قرداً وخنزيراً ترك فيهما مشابه من الإنسان، ولما مسخ زماننا لم يترك فيه مشابه من الأزمان.

وقال أبو عثمان: ليس جهد البلاء مد الأعناق وانتظار وقع السيف، لأن الوقت قصير، والحين معمور، ولكن جهد البلاء أن تظهر الخلة وتطول المدة، وتعجز الحيلة، ثم لا تعدم صديقاً مؤنباً، وابن عم شامتاً، وجاراً حاسداً، ووليّاً قد تحول عدواً، وزوجة مخلعة، وجارية مسبعة، وعبداً يحقرك، وولداً ينتهرك.

وقال الجاحظ: إذا سمعت الرجل يقول: ما ترك الأول للآخر شيئاً، فاعلم أنه ما يريد أن يفلح. قال أبو حيان في كتاب التقريظ ومن خطه نقلت:

وحدثنا أبو دلف الكاتب قال: صدر الجاحظ في ديوان الرسائل أيام المأمون ثلاثة أيام ثم إنه استعفى فأعفي. وكان سهل بن هارون يقول: إن ثبت الجاحظ في هذا الديوان أفل نجم الكتاب. قال أبو عبد الله المرزباني: حدث إسحاق الموصلي وأبو العيناء قال: كنت عند أحمد بن أبي دؤاد بعد قتل ابن الزيات فجيء بالجاحظ مقيداً وكان من أصحاب ابن الزيات وفي ناحيته، فلما نظر إليه قال: والله ما علمتك إلا متنسباً للنعمة، كفوراً للصنيعة، معدداً للمساوي، وما فتني باستصلاحي لك، ولكن الأيام لا تصلح منك لفساد طويتك،

ورداءة داخلتك، وسوء اختيارك، وتغالب طبعك. فقال له الجاحظ: خفض عليك، – أيدك الله – ، فوالله لأن يكون لك الأمر علي خير من أن يكون لي عليك، ولأن أسيء وتحسن، أحسن عنك من أن أحسن فتسيء، وأن تعفو عني في حال قدرتك أجمل من الانتقام مني. فقال له ابن أبي دؤاد: قبحك الله، ما علمتك إلا كثير تزويق الكلام، وقد جعلت ثيابك أمام قلبك، ثم اصطفيت فيه النفاق والكفر، ما تأويل هذه الآية؟: (وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد). قال: تلاوتها تأويلها – أعز الله القاضي – . فقال: جيئوا بحداد. فقال: – أعز الله القاضي – ليفك عني أو ليزيدني؟ فقال: بل ليفك عنك. فجيء بالحداد فغمزه بعض أهل المجلس أن يعنف بساق الجاحظ، ويطيل أمره قليلاً، فلطمه الجاحظ وقال: اعمل عمل شهر في يوم، وعمل يوم في ساعة، وعمل ساعة في لحظة، فإن الضرر على ساقي، وليس بجذع ولا ساجة. فضحك ابن أبي دؤاد وأهل المجلس منه. وقال بان أبي دؤاد لمحمد بن المنصور، وكان حاضراً: صر به إلى الحمام وأمط عنه الأذى، واحمل إليه تخت ثياب وطويلة وخفاً، فلبس ذلك ثم أتاه متصدر في مجلسه، ثم أقبل عليه وقال: هات الآن حديثك يا أبا عثمان. ومن شعر الجاحظ في ابن أبي دؤاد:

وعويص من الامور بهيم ... غامض الشخص مظلم مستور

قد تسنمت ما توعر منه ... بلسان يزينه التحبير

مثل وشي البرود هلله النس ... ج وعند الحجاج در نثير

حسن الصمت والمقاطع إما ... نصت القوم والحديث يدور

ثم من بعد لحظة تورث اليس ... ر وعرض مهذب موفور

وكتب الجاحظ إلى أحمد بن أبي دؤاد:

لا تراني وإن تطاولت عمداً ... بين صفيهم وأنت تسير

كلهم فاضل علي بمال ... ولساني يزينه التحبير

فإذا ضمنا الحديث وبيت ... وكأني على الجميع أمير

رب خصم أرق من كل روح ... ولفرط الذكا يكاد يطير

فإذا رام غايتي فهو كاب ... وعلى البعد كوكب مبهور

وحدث أبو العيناء عن إبراهيم بن رباح قال: أتاني جماعة من الشعراء كل واحد منهم يدعي أنه مدحني بهذه الأبيات وأجزيه عليها:

بدا حين أثرى بإخوانه ... فقلل عنهم شباة العدم

وذكره الدهر صرف الزمان ... فبادر قبل انتقال النعم

فتى خصه الله بالمكرمات ... فمازج منه الحيا بالكرم

ولا ينكت الأرض عند السؤال ... ليقطع زواره عن نعم

ويقال: إن الجاحظ مدح بهذه الأبيات أحمد بن أبي دؤاد وإبراهيم بن رباح، ومحمد بن الجهم.

وحدث إبراهيم بن رباح قال: مدحني حمدان بن أبان اللاحقي وذكر مثل ما مضى وقال في آخره فقال: إن مادحك – أعزك الله – يجد مقالاً، والجاحظ يملأ عينيه مني ولا يستحي. قال: وحدث يموت بن المزرع قال:

هجا خالي أبو عثمان الجاحظ الجماز بأبيات منها:

نسب الجماز مقصو ... ر إليه منتهاه

تنتهي الأحساب بالنا ... س ولا تعدو قفاه

فكتب إليه الجماز:

يا فتىً إلى ال ... كفر بالله تائقه

لك في الفضل والتزه ... د والنسك سابقه

ومن هجاء الجماز للجاحظ قوله:

قال عمرو مفاخراً ... نحن قوم من العرب

قلت في طاعة لرب ... ك أبليت ذا النسب؟

وحدث أبو العيناء محمد بن القاسم قال: كان لي صديق فجاءني يوماً فقال: أريد الخروج إلى فلان العامل وأحببت أن يكون معي إليه وسيلة وقد سألت: من صديقه؟. فقيل لي: أبو عثمان الجاحظ وهو صديقك، وأحب أن تأخذ لي كتابه إليه بالعناية. قال: فصرت إلى الجاحظ فقلت له: جئتك مسلماً وقاضياً للحق، ولي حاجة لبعض أصدقائي وهي كذا وكذا. قال: لا تشغلنا الساعة عن المحادثة وتعرف أخبارنا، إذا كان في غد وجهت إليك بالكتاب، فلما كان من غد وجه إلي بالكتاب. فقلت لابني: وجه هذا الكتاب إلى فلان ففيه حاجته. فقال لي: إن أبا عثمان بعيد الغور، فينبغي أن نفضه وننظر ما فيه، ففعل فإذا في الكتاب: هذا الكتاب مع من لا أعرفه، وقد كلمني فيه من لا أوجب حقه، فإن قضيت حاجته لم أحمدك، وإن رددته لم أذمك. فلما قرأت الكتاب مضيت إلى الجاحظ من فوري فقال: يا أبا عبد الله، قد علمت أنك أنكرت ما في الكتاب. فقلت: أوليس موضع نكرة؟ فقال: لا، هذه علامة بيني وبين الرجل فيمن أعتني به. فقلت: لا إله إلا الله، ما رأيت أحداً بطبعك ولا ما جبلت عليه. من هذا الرجل علمت أنه لما قرأ الكتاب قال: أم الجاحظ عشرة آلاف في عشرة آلاف قحبة، وأم من يسأله حاجة. فقلت له: ما هذا؟ تشتم صديقنا، فقال: هذه علامتي فيمن أشكره، فضحك الجاحظ، وحدث الفتح بن خاقان، وحدث الفتح المتوكل: فذلك كان سبب اتصالي به وإحضاري إلى مجلسه.

وحدث عبد الرحمن بن محمد الكاتب قال: كان الجاحظ يتقلد خلافة إبراهيم بن العباس الصولي على ديوان الرسائل، فلما جاء إلى الديوان جاءه أبو العيناء، فلما أراد الانصراف تقدم الجاحظ على حاجبه: إذا وصل إلى الدهليز ألا يدعه يخرج، ولا يمكنه من الرجوع إليه، فخرج أبو العيناء ففعل به ذلك، فنادى بأعلى صوته يا أبا عثمان: قد أرتنا قدرتك فأرنا عفوك. ومن كلام الجاحظ: إحذر من تأمن كأنك حذر ممن تخاف. وقال: أجمع الناس على أربع: أنه ليس في الدنيا أثقل من أعمى، ولا أبغض من أعور، ولا أخف روحاً من أحول، ولا أقود من أحدب. قال المرزباني: وروى أصحابنا أن الجاحظ صار إلى منزل بعض إخوانه فاستأذن عليه، فخرج إليه غلام عجمي فقال: من أنت؟ قال الجاحظ: فدخل الغلام إلى صاحب الدار فقال: الجاحد على الباب وسمعها الجاحظ، فقال صاحب الدار للغلام: اخرج فانظر من الرجل؟فخرج يستخبر عن اسمه

فقال: أنا الحدقي. فدخل الغلام فقال: الحلقي وسمعها الجاحظ فصاح به في الباب: ردنا إلى الأول، يريد أن قوله الجاحد مكان الجاحظ أسهل عليه من الحلقي مكان الحدقي، فعرفه الرجل فأوصله واعتذر إليه. وقال الجاحظ: أربعة أشياء ممسوخة: أكل الأرز البارد، والنيك في الماء، والقبل على النقاب، والغناء من وراء ستارة.

وحدث قال الجاحظ مرة بحضرة السدري: إذا كانت المرأة عاقلة ظريفة كاملة كانت قحبة، فقال له السدري: وكيف؟ قال: لأنها تأخذ الدراهم وتمتع بالناس والطيب، وتختار على عينها من تريد، والتوبة معروضة لها متى شاءت. فقال له السدري: فكيف عقل العجوز حفظها الله؟ قال: هي أحمق الناس وأقلهم عقلاً.

وحدث المبرد قال: قال الجاحظ: أتيت أبا الربيع الغنوى أنا ورجل من بني هاشم فاستأذنا عليه فخرج إلينا وقال: خرج إليكم رجل كريم والله. فقلت له: من خير الخلق يا أبا الربيع؟ فقال: الناس والله. قلت ومن خير الناس؟ قال العرب والله. قلت فمن خير العرب؟ قال: مضر والله. فقلت فمن خير مضر؟ قال: قيس والله. فقلت: ومن خير قيس؟ قال أعصر والله. قلت: فمن خير أعصر؟ قال غني والله. قلت: فمن خير غني؟ قال أنا والله. قلت فأنت خير الخلق؟ قال إي والله. قلت أيسرك لو أنك تزوجت بنت يزيد بن المهلب؟ قال: والله لا أدنس كرمي بلؤمها. قلت: على أن لك الجنة، ففكر ساعة ثم قال: على ألا تلد مني وأنشد:

تأبى لأعصر أعراق مهذبة ... من أن تناسب قوماً غير أكفاء

فإن يكن ذاك حتماً لا مرد له ... فاذكر حذيف فإني غير أباء

حذيفة بن بكر، وإنما ذكره من بين الأشراف لأنه أقربهم إليه نسباً، لأن أعصر بن أسعد بن قيس بن عيلان. وحذيفة بن بدر بن عمرو بن جوية بن لوذان بن ثعلبة بن عدي بن فزارة ابن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بنقيس بن عيلان.

قال المرزباني: وحدث أبو الحسن الأنصاري، حدثني الجاحظ قال: كان رجل من أهل السواد تشيع وكان ظريفاً، فقال ابن عم له: بلغني أنك تبغض علياً عليه السلام، ووالله لو فعلت لتردن علية الحوض يوم القيامة ولا يسقيك. قال: والحوض في يده يوم القيامة؟ قال نعم. قال: وما لهذا الرجل الفاضل يقتل الناس في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالعطش؟ فقيل له: أتقول هذا مع تشيعك ودينك؟ قال: والله ما تركت النادرة لو قتلتني في الدنيا وأدخلتني النار في الآخرة.

وقال الجاحظ ينبغي للكاتب أن يكون رقيق حواشي اللسان، عذب ينابيع البيان، إذا حاور سدد سهم الصواب إلى غرض المعنى، لا يكلم العامة بكلام الخاصة، ولا الخاصة بكلام العامة.

وحدث المبرد قال: سمعت الجاحظ يقول: كل عشق يسمى حباً، وليس كل حب يسمى عشقاً، لأن العشق اسم لما فضل عن المحبة، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد، والجبن اسم لما فضل عن شدة الاحتراس، والهوج اسم لما فضل عن الشجاعة.

وحدث ميمون بن هارون الكاتب عن الجاحظ قال: ذم رجل النبيذ فقال: من مثالبه أن صاحبه يتكرهه قبل

شربه، ويكلح وجهه عند شمه، ويستنقص الساقي من قدره، ويعتبر عليه مكياله، ويمزجه بالماء الذي هو ضده ليخرجه عن معناه وحده، ثم يكرعه على المبادرة ويعبه، ويتجرعه ولا يكاد يسيغه، ليقل مكثه في فيه، ويسرع على اللهوات اجتيازه، ثم لا يستوفي كليته ويرى أن يجعل عاقبة الشراب فضلة في قدحه، ويشاح الساقي في المناظرة على ما بقي منه عند رده، ليصرف عن نفسه عادية شربه، ويذهب بساعته، ويمنع من تهوعه، كما يفعل بطبخ الغاريقون عند شربه وحب الاسطيخمول. وكان الجاحظ يقول: إن تهيألك في الشاعر أن تبره وترضيه وإلا فاقتله.

وقال أبو العيناء أنشدني الجاحظ لنفسه:

يطيب العيش أن تلقى حليماً ... غذاه العلم والرأي المصيب

ليكشف عنك حيلة كل ريب ... وفضل العلم يعرفه الأريب

سقام الحرص ليس له شفاء ... وداء البخل ليس له طبيب

وأنشد المبرد للجاحظ:

إن حال لون الرأس عن لونه ... ففي خضاب الرأس مستمتع

هب من له شيب له حيلة ... فما الذي يحتاله الأصلع

وحدث أبو العيناء قال: قال الجاحظ: كان الأصمعي مانوياً، فقال له العباس بن رستم: لا والله، ولكن نذكر حين جلست إليه تسأله، فجعل يأخذ نعله بيده وهي مخصوفة بحديد ويقول: نعم قناع القدري، فعلمت أنه يعنيك فقمت.

وحدث يحيى بن علي بن المنجم قال: قلت للجاحظ: مثلك في علمك ومقدارك في الادي يقول في كتاب البيان والتبيين: ويكره للجارية أن تشبه بالرجال في فصاحتها، ألا ترى إلى قول مالك بن أسماء الفزاري:

وحديث ألذه هو مما ... يعت الناعتون يوزن وزنا

منطق صائب وتلحن أحيا ... ناً وخير الحديث ما كان لحنا

فتراه من لحن الأعراب، وإنما وصفها بالظرف والفطنة وإنما تلحن أي تورى في لفظها عن أشياء وتتنكب ما قصدت له، فقال: فطنت لذلك. قلت: فغيره. قال: فكيف لي بما سارت به الركبان؟ فهو في كتابه على خطئه.

قال أبو محلم: أراد الفزاري بقوله هذا، أن خير الحديث ما أومأت إلي به، وورت عن الإفصاح به لئلا يعلمه غيرنا، ومثله قول الكلابي:

لقد لحنت لكم لكيما تفهموا ... ووحيت وحياً ليس بالمرتاب

ومنه قوله تعالى: (ولتعرفنهم في لحن القول)، أي فيما يتوحونه بينهم من النفاق والطعن.

قال المؤلف: وقد انتصر أبو حيان لهذا القول الذي اعترف الجاحظ بخطئه فيه فقال: وعندي أن المسألة محتملة للكلام، لأن مقابل المنطق الصائب المنطق الملحون، واللحن من الغواني والفتيات غير منكر ولا مكروه بل يستحب ذلك، لأنه بالتأنيث أشبه، وللشهوة أدعى، ومع الغزل أجرى، والإعراب جد، وليس الجد من التغزل والتعشق والتشاجي في شيء، وعلى مذهب علي بن يحيى؟ أن المنطق الصائب هو الكلام

الصريح، وأن اللحن هو التعريض، وأنها تعرف هذا وهذا، فهب أن هذا المعنى مقبول، لم ينبغي أن يكون المعنى الآخر لهوجاً ومردوداً؟ وقد يجوز أن يكون مراد الشاعر ذاك، لأن الشاعر يشعر بهذا كما يشعر بهذا، قال أبو العيناء: أنشدني الجاحظ لنفسه في إبراهيم بن رباح:

وعهدي به والله يصلح أمره ... رحيب مجال الرأي منبلج الصدر
فلا جعل الله الولاية سبة ... عليه فإني بالولاية ذو خبر
فقد جهدوه بالسؤال وقد أبى ... به المجد إلا أن يلج ويستشري

قال أبو علي التنوخي: حدثني أبو الحسن أحمد بن محمد الأخباري قال: حدثني أبو الفرج الأصبهاني قال: أخبرني الحسن بن القاسم بن مهرويه قال: حدثني عبد الله بن جعفر الوكيل قال: كنت يوماً عند إبراهيم بن المدبر فرأيت بين يديه رقعة يردد النظر إليها فقلت له: ما شأن هذه الرقعة؟ كأنه استعجم عليك شيء منه؟ فقال: هذه رقعة أبي عثمان الجاحظ، وكلامه يعجبني وأنا أردده على نفسي لشدة إعجابي. فقلت: هل يجوز أن أقرأها؟ قال: نعم وألقاها إلي فإذا فيها: ما ضاء لي نهار ولا دجا ليل مذ فارقتك، إلا وجدت الشوق إليك قد حز في كبدي، والأسف عليك قد أسقط في يدي، والنزاع نحوك قد خان جلدي، فأنا بين حشاً خافقة ودمعة مهراقة، ونفس قد ذبلت بما تجاهد، وجوانح قد أبليت بما تكابد، وذكرت وأنا على فراش الارتماض ممنوع من لذة الإغماض قول بشار:

إذا هتف القمري نازعني الهوى ... بشوق فلم أملك دموعي من الوجد
أبى الله إلا أن يفرق بيننا ... وكنا كماء المزن شيب مع الشهد
لقد كان ما بيني زماناً وبينها ... كما كان بين المسك والعنبر الورد

فانتظم وصف ما كنا نتعاشر عليه، ونجري في مودتنا إليه في شعره هذا، وذكرت أيضاً ما رماني به الدهر من فرقة أعزائي من إخواني الذين أنت أعزهم، ويمتحنني بمن نأى من أحبائي وخلصائي الذين أنت أحبهم وأخلصهم، ويجرعنيه من مرارة نأيهم وبعد لقائهم، وسألت الله أن يقرن آيات سروري بالقرب منك، ولين عيشي بسرعة أوبتك، وقلت أبياتاً تقصر عن صفة وجدي، وكنه ما يتضمنه قلبي، وهي:

بخدي من قطر الدموع ندوب ... وبالقلب مني مذ نأيت وجيب
ولي نفس حتى الدجى يصدع الحشا ... ورجع حنين للفؤاد مذيب
ولي شاهد من ضر نفسي وسقمه ... يخبر عني أنني لكئيب
كأني لم أفجع بفرقة صاحب ... ولا غاب عن عيني سواك حبيب

فقلت لابن المدبر: هذه رقعة عاشق لا رقعة خادم، ورقعة غائب لا رقعة حاضر. فضحك وقال: نحن ننبسط مع أبي عثمان إلى ما هو أرق من هذا وألطف، فأما الغيبة فإننا نجتمع في كل ثلاثة أيام وتأخر ذلك لشغل عرض لي فخاطبني مخاطبة الغائب، وأقام انقطاع المدة مقام الغيبة.

قال الجاحظ: كان يأتيني رجل فصيح من العجم قال: فقلت له: هذه الفصاحة وهذا البيان لو ادعيت في قبيلة من العرب لكنت لا تنازع فيها. قال: فأجابني إلى ذلك، فجعلت أحفظه نسباً حتى حفظه وهذه هذا.

فقلت له: الآن لا تته علينا. فقال: سبحان الله. إن فعلت ذلك فأنا إذاً دعي.
ومن كلام الجاحظ يصف البلاغة: ومتى شاكل – أبقاك الله – اللفظ معناه وكان لذلك الحال وفقاً ولذلك القدر لفقاً وخرج من سماجة الاستكراه وسلم من فساد التكلف، كان قمناً بحسن الموقع، وحقيقاً بانتفاع المستمع، وجديراً أن يمنع جانبه من تأول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العائبين، ولا يزال القلوب به معمورة، والصدور به مأهولة، ومتى كان اللفظ أيضاً كريماً في نفسه متخيراً من جنسه، وكان سليماً من الفضول بريئاً من التعقيد حبب إلى النفوس، واتصل بالأذهان والتحم بالعقول، وهشت له الأسماع، وارتاحت له القلوب، وخف على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظم في الناس خطره، وصار ذلك مادة للعالم الرئيس، ورياضة للمتعلم الريض ومن أعاره من معرفته نصيباً، وأفرغ عليه من محبته ذنوباً، حبب إليه المعاني وسلس له نظام اللفظ، وكان قد أغنى المستمع عن كد التكلف، وأراح قارئ الكتاب من علاج التفهم. وقرأت بخط أبي حيان التوحيدي من كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ.
وحدثنا أبو سعيد السيرافي – وهمك من رجل، وناهيك – من عالم، وشرعك من صدوق – قال: حدثنا جماعة من الصابئين الكتاب: أن ثابت بن قرة قال: ما أحسد هذه الأمة العربية إلا على ثلاثة أنفس فإنه: عقم النساء فلا يلدن شبيهه ... إن النساء بمثله عقم

فقيل له: أحص لنا هؤلاء الثلاثة. قال: أولهم عمر بن الخطاب في سياسته ويقظته وحذره، وتحفظه ودينه وتقيته، وجزالته وبذالته وصرامته وشهامته، وقيامته في صغير أمره وكبيره بنفسه، مع قريحة صافية، وعقل زافر، ولسان عضب وقلب شديد، وطوية مأمونة، وعزيمة مأمومة، وصدر منشرح، وبال منفسح، وبديهة نضوح وروية لقوح، وسر طاهر، وتوفيق حاضر، ورأي مصيب، وأمر عجيب، وشأن غريب، دعم الدين وشيد بنيانه، وأحكم أساسه ورفع أركانه، وأوضح حجته وأنار برهانه، ملك في زي مسكين، ما جنح في أمر إلى ونى، ولا غض طرفه على خنا، ظهارته كالبطانة، وبطانته كالظهارة، جرح وأسا، ولان وقسا، ومنع وأعطى، واستخذى وسطا، كل ذلك في الله ولله، لقد كان من نوادر الرجال. قال: والثاني الحسن بن أبي الحسن البصري، فلقد كان من دراري النجوم علماً وتقوى وزهداً وورعاً وعفةً ورقةً وتألهاً وتنزهاً وفقهاً ومعرفةً وفصاحةً ونصاحةً، مواعظه تصل إلى القلوب، وألفاظه تلتبس بالعقول، وما أعرف له ثانياً، ولا قريباً ولا مدانياً، كان منظره وفق مخبره، وعلانيته في وزن سريرته، عاش سبعين سنة لم يقرف بمقالة شنعاء، ولم يزن بريبة ولا فحشاء، سليم الدين، نقي الأديم، محروس الحريم، يجمع مجلسه ضروب الناس وأصناف اللباس لما يوسعهم من بيانه، ويفيض عليهم بافتنانه، هذا يأخذ عنه الحديث، وهذا يلقن منه التأويل، وهذا يسمع الحلال والحرام، وهذا يتبع في كلامه العربية، وهذا يجرد له المقالة، وهذا يحكي الفتيا، وهذا يتعلم الحكم والقضاء، وهذا يسمع الموعظة، وهو جميع هذا، كالبحر العجاج تدفقاً، وكالسراج الوهاج تألقاً، ولا تنس مواقفه ومشاهده بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عند الأمراء وأشباه الأمراء بالكلام الفصل، واللفظ الجزل، والصدر الرحب، والوجه الصلب، واللسان العضب، كالحجاج وفلان وفلان مع شارة الدين، وبهجة العلم ورحمة التقى، لا تثنيه لائمة في الله، ولا تذهله رائحة عن الله، يجلس تحت كرسيه قتادة صاحب

التفسير، وعمرو وواصل صاحبا الكلام، وابن أبي إسحاق صاحب النحو، وفرقد السبخي صاحب الدقائق، وأشباه هؤلاء ونظراؤهم، فمن ذا مثله ومن يجري مجراه؟. والثالث أبو عثمان الجاحظ، خطيب المسلمين، وشيخ المتكلمين، ومدره المتقدمين والمتأخرين، إن تكلم حكى سحبان في البلاغة، وإن ناظر ضارع النظام في الجدال، وإن جد خرج في مسك عامر بن عبد قيس، وإن هزل زاد على مزيد حبيب القلوب ومزاج الأرواح، وشيخ الأدب ولسان العرب. كتبه رياض زاهرة، ورسائله أفنان مثمرة، ما نازعه منازع إلا رشاه آنفاً، ولا تعرض له منقوص إلا قدم له التواضع استبقاءً. الخلفاء تعرفه، والأمراء تصافيه وتنادمه، والعلماء تأخذ عنه، والخاصة تسلم له، والعامة تحبه، جمع بين اللسان والقلم، وبين الفطنة والعلم، وبين الرأي والأدب، وبين النثر والنظم، وبين الذكاء والفهم، طال عمره، وفشت حكمته، وظهرت خلته، ووطئ الرجال عقبه، وتهادوا أدبه، وافتخروا بالانتساب إليه، ونجحوا بالإقتداء به، لقد أوتي الحكمة وفصل الخطاب. هذا قول ثابت، وهو قول صابئ لا يرى للإسلام حرمة ولا للمسلمين حقاً، ولا يوجب لأحد منهم ذماماً، وقد انتقد هذا الانتقاد، ونظر هذا النظر، وحكم هذا الحكم، وأبصر الحق بعين لا غشاوة عليها من الهول، ونفس لا لطخ بها من التقليد، وعقل ما تحيل بالعصبية، ولسنا نجهل مع ذلك فضل غير هؤلاء من السلف الطاهر، والخلف الصالح، ولكنا عجبنا فضل عجب من رجل ليس منا ولا من أهل ملتنا ولغتنا، – ولعله ما خبر عمر بن الخطاب كل الخبرة، ولا استوعب كل ما للحسن من المنقبة، ولا وقف على جميع ما لأبي عثمان من البيان والحكمة – يقول هذا القول، ويتعجب هذا العجب، ويحسد أمتنا بهم هذا الحسد، ويختم كلامه بأبي عثمان، ويصفه بما يأبى الطاعن عليه أن يكون له شيء منه، ويغضب إذا ادعي ذلك له لموفز عليه، هل هذا إلا الجهل الذي يرحم المبتلى به؟.

قال أبو حيان: وحدثنا ابن مقسم – وقد طال ذكر الجاحظ لأبي هفان: – قيل لأبي هفان لم لا تهجو الجاحظ وقد ندد بك وأخذ بخنقك؟ فقال: أمثلي يخدع عن عقله، والله لو وضع رسالة في أرنبة أنفي لما أمست إلا بالصين شهرة، ولو قلت فيه ألف بيت لما طن منها بيت في ألف سنة.

قال أبو حيان: سمعت أبا معمر الكاتب في ديوان بادوريا قال: كتب الفتح بن خاقان إلى الجاحظ كتاباً يقول في فصل منه: إن أمير المؤمنين يجد بك، ويهش عند ذكرك، ولولا عظمتك في نفسه لعلمك ومعرفتك، لحال بينك وبين بعدك عن مجلسه، ولغصبك رأيك وتجبيرك فيما أنت مشغول به ومتوفر عليه، وقد كان ألقى إلي من هذا عنوانه، فزدتك في نفسه زيادة كف بها عن تجشيمك، فاعرف لي هذه الحال، واعتقد هذه المنة على كتاب الرد على النصارى، وافرغ منه وعجل به إلي، وكن من جدا به على نفسه، تنال مشاهرتك وقد استطلقته لما مضى، واستسلفت لك لسنة كاملة مستقبلة، وهذا مما لم تحتكم به نفسك، وقد قرأت رسالتك في بصيرة غنام، ولولا أني أزيد في مخيلتك لعرفتك ما يعتريني عند قراءتها والسلام.

قال الجاحظ: قلت للحزامي: قد رضيت بقول الناس فيك: إنك بخيل. قال: لا أعد مني الله هذا الاسم. قال: لأنه لا يقال: فلان بخيل إلا وهو ذو مال، فإذا سلم المال فادعني بأي اسم شئت. قلت: ولا يقال سخي إلا وهو ذو مال، فقد جمع هذا الاسم المال والحمد، وجمع ذاك الاسم المال والذم. قال: بينهما فرق.

قلت: هاته. قال: في قولهم بخيل تثبيت لإقامة المال في ملكه، واسم البخيل اسم فيه حرم وذم، واسم السخاء فيه تضييع وحمد، والمال نافع مكرم لأهله معز، والحمد ريح وسخرية، واستماعه ضعف وفسولة. وما أقل والله غناء الحمد عنه إذا جاع بطنه، وعري جسده، وشمت عدوه.

قال أبو حيان: ومن عجيب الحديث في كتبه ما حدثنا به علي بن عيسى النحوي الشيخ الصالح قال: سمعت ابن الأخشاد شيخنا أبا بكر يقول: ذكر أبو عثمان في أول كتاب الحيوان أسماء كتبه ليكون ذلك كالفهرست، ومر بي في جملتها الفرق بين النبي والمتنبئ، وكتاب دلائل النبوة وقد ذكرهما هكذا على التفرقة، وأعاد ذكر الفرق في الجزء الرابع لشيء دعاه إليه، فأحببت أن أرى الكتابين ولم أقدر إلا على واحد منهما وهو كتاب دلائل النبوة، وربما لقب بالفرق خطأً، فهمني ذلك وساءني في سوء ظفري به، فلما شخصت من مصر ودخلت مكة – حرسها الله تعالى – حاجاً أقمت منادياً بعرفات ينادي – والناس حضور. من الآفاق على اختلاف بلدانهم وتنازح أوطانهم، وتباين قبائلهم وأجناسهم من المشرق إلى المغرب، ومن مهب الشمال إلى مهب الجنوب، وهو المنظر الذي لا يشابهه منظر – : رحم الله من دلنا على كتاب الفرق بين النبي والمتنبئ لأبي عثمان الجاحظ على أي وجه كان. قال: حجب الناس منىً ولم يعرفوا هذا الكتاب ولا اعترفوا به.

قال ابن أخشاد: وإنما أردت بهذا أن أبلغ نفسي عذرها. قال المؤلف: وحسبك بها فضيلة لأبي عثمان أن يكون مثل ابن الأخشاد –وهو هو في معرفة علوم الحكمة، وهو رأس عظيم من رءوس المعتزلة – يستلهم بكتب الجاحظ حتى ينادي عليها بعرفات والبيت الحرام، وهذا الكتاب موجود في أيدي الناس اليوم لا يكاد تخلو خزانة منه. ولقد رأيت أنا منه نحو مائة نسخة أو أكثر.

ومن كتاب هلال قال أبو الفضل بن العميد: ثلاثة علوم الناس كلهم عيال فيها على ثلاثة أنفس: أما الفقه فعلى أبي حنيفة، لأنه دون وخلد ما جعل من يتكلم فيه بعده مشيراً إليه مخبراً عنه. وأما الكلام فعلى أبي الهذيل، وأما البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة، فعلى أبي عثمان الجاحظ. وحدث أبو القاسم السيرافي قال: حضرنا مجلس الأستاذ الرئيس أبي الفضل فقصر رجل بالجاحظ وأزرى عليه وحلم الأستاذ عنه. فلما خرج قلت له: سكت أيها الأستاذ عن هذا الجاهل في قوله الذي قال مع عادتك بالرد على أمثاله. فقال: لم أجد في مقابلته أبلغ من تركه على جهله، ولو واقفته وبينت له النظر في كتبه، صار إنساناً. يا أبا القاسم كتب الجاحظ تعلم العقل أولاً والأدب ثانياً.

وحكى أبو علي القالي عن أبي معاذ عبدان الخولي المتطبب قال: دخلنا يوماً بسر من رأى على عمرو بن بحر الجاحظ نعوده وقد فلج، فلما أخذنا مجالسنا أتى رسول المتوكل إليه فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل ولعاب سائل؟ ثم أقبل علينا فقال: ما تقولون في رجل له شقان: أحدهما لو غرز بالمسال ما أحس، والشق الآخر يمر به الذباب فيغوث، وأكثر ما أشكوه الثمانون.

حدث أبو عبد الله الحميدي في الجذوة: قرأت على الأمين بن أبي علي بن القاضي أبي القاسم البصري عن أبيه قال: حدثنا محمد بن عمر بن شجاع المتكلم، حدثنا أبو محمد الحسن بن عمرو النجيرمي قال: كنت

بالأندلس فقيل لي: إن هاهنا تلميذاً لأبي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن يزيد ويكنى أبا خلف، فأتيته فرأيت شيخاً هماً فسألته عن سبب اجتماعه مع أبي عثمان ولم يقع أبو عثمان إلى الأندلس فقال: كان طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء أبي عثمان، فوقع إلينا كتاب التربيع والتدوير له فأشاروا إليه، ثم أردفه عندنا كتاب البيان والتبيين له فبلغ الرجل الصكاك بهذين الكتابين. قال: فخرجت لا أعرج على شيء حتى قصدت بغداد فسألت عنه فقيل: هو بسر من رأى، فأصعدت إليها فقيل لي: قد انحدر إلى البصرة، فانحدرت إليه وسألت عن منزله فأرشدت ودخلت إليه فإذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو لحية غيره، فدهشت فقلت: أيكم أبو عثمان؟ فرفع يده وحركها في وجهي وقال: من أين؟ قلت من الأندلس، فقال: طينة حمقاء، فما الاسم؟ قلت سلام. قال: اسم كلب القراد، ابن من؟ قلت: ابن يزيد. قال: بحق ما صرت أبو من؟ قلت: أبو خلف. قال: كنية قرد زبيدة، ما جئت تطلب؟ قلت: العلم قال: ارجع بوقت فإنك لا تفلح. قلت له ما أنصفتني، فقد اشتملت على خصال أربع: جفاء البلدية، بعد الشقة، وغرة الحداثة، ودهشة الداخل. قال: فترى حولي عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيري، ما كان يجب أن تعرفني بها؟ قال: فأقمت عليه عشرين سنة. وهذا فهرست كتب الجاحظ: كتاب الحيوان وهو سبعة أجزاء وأضاف إليه كتاباً آخر سماه كتاب النساء وهو الفرق فيما بين الذكر والأنثى، وكتاباً آخر سماه: كتاب النعل. قال ابن النديم. ورأيت أنا هذين الكتابين بخط زكرياء بن يحيى – ويكنى أبا يحيى – وراق الجاحظ، وقد أضيف إليه كتاب سموه كتاب الإبل ليس من كلام الجاحظ ولا يقاربه، وكتاب الحيوان ألفه باسم محمد بن عبد الملك الزيات. قال ميمون بن هارون: قلت للجاحظ ألك بالبصرة ضيعة؟ فتبسم وقال: إنما أنا وجارية، وجارية تخدمها وخادم وحمار، أهديت كتاب الحيوان إلى محمد بن عبد الملك فأعطاني خمسة آلاف دينار، وأهديت كتاب البيان والتبيين إلى ابن أبي دؤاد فأعطاني خمسة آلاف، وأهديت كتاب الزرع والنخل إلى إبراهيم بن العباس الصولي فأعطاني خمسة آلاف دينار، فانصرفت إلى البصرة ومعي ضيعة لا تحتاج إلى تجديد ولا تسميد، وكتاب البيان والتبيين نسختان: أولى وثانية، والثانية أصح وأجود، كتاب النبي والمتنبئ، كتاب المعرفة، كتاب جوابات كتاب المعرفة، كتاب مسائل كتاب المعرفة، كتاب الرد على أصحاب الإلهام، كتاب نظم القرآن ثلاث نسخ، كتاب مسائل القرآن، كتاب فضيلة المعتزلة، كتاب الرد على المشبهة، كتاب الإمامة على مذهب الشيعة، كتاب حكاية قول أصناف الزيدية، كتاب العثمانية، كتاب الأخبار وكيف تصح؟ كتاب الرد على النصارى، كتاب عصام المريد، كتاب الرد على العثمانية، كتاب إمامة معاوية، كتاب إمامة بني العباس، كتاب الفتيان، كتاب القواد، كتاب اللصوص، كتاب ذكر ما بين الزيدية والرافضة، كتاب صياغة الكلام، كتاب المخاطبات في التوحيد، كتاب تصويب علي في تحكيم الحكمين، كتاب وجوب الإمامة، كتاب الأصنام، كتاب الوكلاء والموكلين، كتاب الشارب والمشروب، كتاب افتخار الشتاء والصيف، كتاب المعلمين، كتاب الجواري، كتاب نوادر الحسن، كتاب البخلاء، كتاب الفخر ما بين عبد شمس ومخزوم، كتاب العرجان والبرصان، كتاب فخر القحطانية والعدنانية، كتاب التربيع والتدوير، كتاب الطفيليين، كتاب أخلاق الملوك، كتاب الفتيا، كتاب مناقب جند الخلافة وفضائل الأتراك، كتاب الحاسد والمحسود، كتاب الرد على اليهود، كتاب الصرحاء والهجناء، كتاب السودان والبيضان،

كتاب المعاد والمعاش، كتاب النساء، كتاب التسوية بين العرب والعجم، كتاب السلطان وأخلاق أهله، كتاب الوعيد، كتاب البلدان، كتاب الأخبار، كتاب الدلالة على أن الإمامة فرض، كتاب الاستطاعة وخلق الأفعال، كتاب المقينين والغناء والصنعة، كتاب الهدايا منحول، كتاب الإخوان، كتاب الرد على من ألحد في كتاب الله عز وجل، كتاب آي القرآن، كتاب الناشي والمتلاشي، كتاب حانوت عطار، كتاب التمثيل، كتاب فضل العلم، كتاب المزاح والجد، كتاب جمهرة الملوك، كتاب

الصوالجة، كتاب ذم الزنا، كتاب التفكر والاعتبار، كتاب الحجر والنبوة، كتاب آل إبراهيم بن المدبر في المكاتبة، كتاب إحالة القدرة على الظلم، كتاب أمهات الأولاد، كتاب الاعتزال وفضله عن الفضيلة، كتاب الأخطار والمراتب والصناعات، كتاب أحدوثة العالم، كتاب الرد على من زعم أن الإنسان جزء لا يتجزأ، كتاب أبي النجم وجوابه، كتاب التفاح، كتاب الأنس والسلوة، كتاب الكبر المستحسن والمستقبح، كتاب نقض الطب، كتاب الحزم والعزم. كتاب عناصر الآداب، كتاب تحصين الأموال، كتاب الأمثال، كتاب فضل الفرس، كتاب على الهملاج، كتاب الرسالة إلى أبي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الأولياء، كتاب رسالة أبي النجم في الخراج، كتاب رسالته في القلم، كتاب رسالته في فضل اتخاذ الكتب، كتاب رسالته في كتمان السر، كتاب رسالته في مدح النبيذ، كتاب رسالته في ذم النبيذ، كتاب رسالته في العفو الصفح، كتاب رسالته في إثم لسكر، كتاب رسالته في الأمل والمأمول، كتاب رسالته في الحلية، كتاب رسالته في ذم الكتاب، كتاب رسالته في مدح الكتاب، كتاب رسالته في مدح الوراق، كتاب رسالته في ذم الرواق، كتاب رسالته فيمن يسمى من الشعراء عمراً، كتاب رسالته اليتيمة، كتاب رسالته في فرط جهل يعقوب بن إسحاق الكندي، كتاب رسالته في الكرم إلى أبي الفرج بن نجاح، كتاب رسالته في موت أبي حرب الصفار البصري، كتاب رسالته في الميراث، كتاب في الأسد والذئب، كتاب رسالته في كتاب الكيمياء، كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب، كتاب رسالته في القضاة والولاة، كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية، كتاب رسالته في الرد على القولية، كتاب العالم والجاهل، كتاب النرد والشطرنج، كتاب غش الصناعات، كتاب خصومة الحول والعور، كتاب ذوي العاهات، كتاب المغنين، كتاب أخلاق الشطار.ة، كتاب ذم الزنا، كتاب التفكر والاعتبار، كتاب الحجر والنبوة، كتاب آل إبراهيم بن المدبر في المكاتبة، كتاب إحالة القدرة على الظلم، كتاب أمهات الأولاد، كتاب الاعتزال وفضله عن الفضيلة، كتاب الأخطار والمراتب والصناعات، كتاب أحدوثة العالم، كتاب الرد على من زعم أن الإنسان جزء لا يتجزأ، كتاب أبي النجم وجوابه، كتاب التفاح، كتاب الأنس والسلوة، كتاب الكبر المستحسن والمستقبح، كتاب نقض الطب، كتاب الحزم والعزم. كتاب عناصر الآداب، كتاب تحصين الأموال، كتاب الأمثال، كتاب فضل الفرس، كتاب على الهملاج، كتاب الرسالة إلى أبي الفرج بن نجاح في امتحان عقول الأولياء، كتاب رسالة أبي النجم في الخراج، كتاب رسالته في القلم، كتاب رسالته في فضل اتخاذ الكتب، كتاب رسالته في كتمان السر، كتاب رسالته في مدح النبيذ، كتاب رسالته في ذم النبيذ، كتاب رسالته في العفو الصفح، كتاب رسالته في إثم لسكر، كتاب رسالته في الأمل والمأمول، كتاب رسالته في الحلية، كتاب

رسالته في ذم الكتاب، كتاب رسالته في مدح الكتاب، كتاب رسالته في مدح الوراق، كتاب رسالته في ذم الرواق، كتاب رسالته فيمن يسمى من الشعراء عمراً، كتاب رسالته اليتيمة، كتاب رسالته في فرط جهل يعقوب بن إسحاق الكندي، كتاب رسالته في الكرم إلى أبي الفرج بن نجاح، كتاب رسالته في موت أبي حرب الصفار البصري، كتاب رسالته في الميراث، كتاب في الأسد والذئب، كتاب رسالته في كتاب الكيمياء، كتاب الاستبداد والمشاورة في الحرب، كتاب رسالته في القضاة والولاة، كتاب الملوك والأمم السالفة والباقية، كتاب رسالته في الرد على القولية، كتاب العالم والجاهل، كتاب النرد والشطرنج، كتاب غش الصناعات، كتاب خصومة الحول والعور، كتاب ذوي العاهات، كتاب المغنين، كتاب أخلاق الشطار.

وحدث يموت بن المزرع عن خاله الجاحظ قال: يجب للرجل أن يكون سخياً لا يبلغ التبذير، شجاعاً لا يبلغ الهوج، محترساً لا يبلغ الجبن، ماضياً لا يبلغ القحة، قوالاً لا يبلغ الهذر، صموتاً لا يبلغ العي، حليماً لا يبلغ الذل، منتصراً لا يبلغ الظلم، وقوراً لا يبلغ البلادة، ناقداً لا يبلغ الطيش، ثم وجدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جمع ذلك في كلمة واحدة، وهي قوله: (خير الأمور أوساطها). فعلمنا أنه صلى الله عليه وسلم قد أوتي جوامع الكلم، وعلم فصل الخطاب.

وقال أبو زيد البلخي: ما أحسن ما قال الجاحظ: عقل المنشئ مشغول، وعقل المتصفح فارغ. وقال المرزباني بإسناده عن المبرد: سمعت الجاحظ يقول لرجل آذاه: أنت والله أحوج إلى هوان من كريم إلى إكرام، ومن علم إلى عمل، ومن قدرة إلى عفو، ومن نعمة إلى شكر.

وقال الجاحظ في أبي الفرج نجاح بن سلمة يسأله إطلاق رزقه من قصيدة:

أقام بدار الخفض راض بخفضه ... وذو الحزم يسري حين لا أحد يسري
يظن الرضا شيئاً يسيراً مهوناً ... ودون الرضى كأس أمر من الصبر
سواء على الأيام صاحب حنكة ... وآخر كاب لا يريش ولا يبري
خضعت لبعض القوم أرجو نواله ... وقد كنت لا أعطى الدنية بالقسر
فلما رأيت القوم يبذل بشره ... ويجعل حسن البشر واقية الوفر
ربعت على ظلعي وراجعت منزلي ... فصرت حليفاً للدراسة والفكر
وشاروت إخواني فقال حليمهم: ... عليك الفتى المري ذا الخلق الغمر
أعيذك بالرحمن من قول شامت: ... أبو الفرج المأمول يزهد في عمرو
ولو كان فيه راغباً لرأيته ... كما كان دهراً في الرخاء وفي اليسر
أخاف عليك العين من كل حاسد ... وذو الود منخوب الفؤاد من الذعر
فإن ترع ودي بالقبول فأهله ... ولا يعرف الأقدار غير ذوي القدر

وحدث يموت بن المزرع قال: وجه المتوكل في السنة التي قتل فيها أن يحمل إليه الجاحظ من البصرة فقال لمن أراد حمله: وما يصنع أمير المؤمنين بامرئ ليس بطائل، ذي شق مائل، ولعاب سائل، وفرج بائل، وعقل حائل؟ وحدث المبرد قال: دخلت على الجاحظ في آخر أيامه فقلت له: كيف أنت؟ فقال: كيف يكون من

نصفه مفلوج لو حز بالمناشير ما شعر به، ونصفه الآخر منقرس لو طار الذباب بقربه لآله، وأِد من ذلك ست وتسعون سنة أنا فيها، ثم أنشدنا:

أترجو أن تكون وأنت شيخ ... كما قد كنت أيام الشباب؟

لقد كذبتك نفسك ليس ثوب ... دريس كالجديد من الثياب

وقال لمتطبب يشكو إليه علته: اصطلحت الأضداد على جسدي، إن أكلت بارداً أخذ برجلي، وإن أكلت حاراً أخذ برأسي.

وحدث أحمد بن يزيد بن محمد المهلبي عن أبيه قال:قال لي المعتز بالله: يا يزيد، ورد الخبر بموت الجاحظ، فقلت: لأمير المؤمنين طول البقاء ودوام النعماء. قال: وذلك في سنة خمسين ومائتين، وفيه يقول أبو شراعة القيسي:

في العلم للعلماء إن ... يتفهموه مواعظ

وإذ نسيت وقد جمع ... ت علا عليك الحافظ

ولقد رأيت الظرف ده ... راً ما حواه اللافظ

حتى أقام طريقه ... عمرو بن بحر الجاحظ

ثم انقضى أمد به ... وهو الرئيس الفائظ

عمرو بن عثمان بن قنبر

أبو بشر، ويقال أبو الحسن وأبو بشر أشهر، مولى بني الحارث بن كعب، ثم مولى آل الربيع بن زياد الحراثي، وسيبويه لقب ومعناه رائحة التفاح. يقال: كانت أمه ترقصه بذلك في صغره. ورأيت ابن خالويه قد اشتق له غير ذلك فقال: كان سيبويه لا يزال من يلقاه يشم منه رائحة الطيب فسمي سيبويه، ومعنى سي: ثلاثون، وبوى: الرائحة فكأنه ثلاثين رائحة طيب، ولم أر أحداً قال ذلك غير ابن خالويه، وأصله من البيضاء من أرض فارس ومنشؤه البصرة، مات فيما ذكره ابن نافع بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة. وقال المرزباني: مات بشيراز سنة ثمانين ومائة. وذكر الخطيب أن عمره كان اثنتين وثلاثين سنة ويقال: إنه نيف على الأربعين سنة وهو الصحيح، لأنه قد روى عن عيسى بن عمر، وعيسى بن عمر مات سنة تسع وأربعين ومائة، فمن وفاة عيسى إلى وفاة سيبويه إحدى وثلاثين سنة، وما يكون قد أخذ عنه إلا وهو يعقل، ولا يعقل حتى يكون بالغاً والله أعلم.

وقال أحمد بن يحيى ثعلب في أماليه: قدم سيبويه العراق في أيام الرشيد وهو ابن نيف وثلاثين سنة، وتوفي وعمره نيف وأربعون سنة بفارس. قال الأصمعي: قرأت على قبر سيبويه بشيراز هذه الأبيات وهي لسليمان بن يزيد العدوي:

ذهب الأحبة بعد طول تزاور ... ونأى المزار فأسلموك وأقشعوا

تركوك أوحش ما تكون بقفرة ... لم يؤنسوك وكربة لم يدفعوا
قضي القضاء وصرت صاحب حفرة ... عنك الأحبة أعرضوا وتصدعوا

وأخذ سيبويه النحو والأدب عن الخليل بن احمد، ويونس بن حبيب، وأبي الخطاب الأخفش، وعيسى بن عمر. نقلت من خط أبي سعد السمعاني مما انتخبه من طبقات أهل فارس وشيراز تأليف الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد العزيز الشيرازي القصار: بشير بن سعيد، وقيل: عمرو بن عثمان بن قنبر يكنى أبا بشر، سيبويه النحوي عن الخليل بن احمد، وهو من الحارث بن كعب، مات وكان على مظالم فارس وقبره في شيراز. لم يزد في ترجمته على هذا، وورد بغداد وناظر بها الكسائي وتعصبوا عليه، وجعلوا للعرب جعلاً، حتى واقفوه على خلافه، ولذلك قصة ذكرت فيما بعد، وكان سبب طلب سيبويه النحو ما ذكرناه في أخبار حماد بن سلمة.

وحدث أبو عبيدة قال: لما مات سيبويه قيل ليونس بن حبيب: إن سيبويه قد ألف كتاباً في ألف ورقة من علم الخليل. قال يونس: ومتى سمع سيبويه هذا كله من الخليل؟ جيئوني بكتابه، فلما نظر فيه رأى كل ما حكى فقال: يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل في جميع ما حكاه كما صدق فيما حكاه عني، وذكر صاعد بن أحمد الجياني من أهل الأندلس في كتابه قال: لا اعرف كتاباً ألف في علم من العلوم قديمها وحديثها فاشتمل على جميع ذلك العلم، وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب، أحدها المجسطي لبطليموس في علم هيئة الأفلاك، والثاني كتاب أرسطا ليس في علم المنطق، والثالث كتاب سيبويه البصري النحوي، فإن كل واحد من هذه لم يشذ عنه من أصول فنه شيء إلا ما لا خطر له. وكان إذا أراد إنسان قراءة كتاب سيبويه على المبرد يقول له: أركبت البحر؟ تعظيماً واستصعاباً.

وحدث محمد بن سلام قال: كان سيبويه جالساً في حلقته بالبصرة فتذاكرنا شيئاً من حديث قتادة فذكر حديثاً غريباً وقال: لم يرو هذا إلا سعيد بن أبي العروبة. فقال بعض ولد جعفر بن سليمان: ما هاتان الزائدتان يا أبا بشر؟ فقال هكذا يقال، لأن العروبة هي الجمعة، ومن قال ابن عروبة فقد أخطأ. قال ابن سلام: فذكرت ذلك ليونس فقال: أصاب لله دره.

وحدث ابن النطاح قال: كنت عند الخليل بن أحمد فأقبل سيبويه فقال الخليل مرحباً بزائر لا يمل، قال: وكان كثير المجالسة للخليل، وما سمعت الخليل يقولها لغيره، قال: وكان شاباً جميلاً نظيفاً.

وحدث أحمد بن معاوية بن بكر العليمي قال: ذكر سيبويه عند أبي فقال: عمرو بن عثمان قد رأيته وكان حدث السن، كنت أسمع في ذلك العصر أنه أثبت من حمل عن الخليل، وقد سمعته يتكلم ويناظر في النحو وكانت في لسانه حبسة، ونظرت في كتابه فرأيت علمه أبلغ من لسانه، وحدث أبو الحسن سعيد بن مسعدة والمبرد وثعلب وجمعت بين أقاويلهم وحذفت التكرار قالوا: قدم سيبويه إلى العراق على يحيى بن خالد البرمكي فسأله عن خبره فقال: جئت لتجمع بيني وبين الكسائي، فقال: لا تفعل، فإنه شيخ مدينة السلام وقارئها، ومؤدب ولد أمير المؤمنين، وكل من في المصر له ومعه، فأبى إلا أن يجمع بينهما، فعرف الرشيد خبره، فأمره بالجمع بينهما فوعده بيوم، فلما كان ذلك اليوم غدا سيبويه وحده إلى دار الرشيد، فوجد

الفراء والأحمر وهشام بن معاوية ومحمد بن سعدان قد سبقوه، فسأله الأحمر عن مائة مسألة فما أجابه عنها بجواب إلا قال أخطأت يا بصري، فوجم سيبويه وقال: هذا سوء أدب، ووافى الكسائي وقد شق أمره عليه ومعه خلق كثير من العرب، فلما جلس قال له: يا بصري، كيف تقول: خرجت وإذا زيد قائم؟ قال: خرجت وإذا زيد قائم، قال: فيجوز أن تقول: خرجت فإذا زيد قائماً قال: لا، قال الكسائي: فكيف تقول قد كنت أظن أن العقرب أشد لسعة من الزنبور، فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها؟ فقال سيبويه: فإذا هو هي، ولا يجوز النصب، فقال الكسائي: لحنت، وخطأه الجميع. وقال الكسائي: العرب ترفع ذلك كله وتنصبه، ودفع سيبويه قوله فقال يحيى بن خالد: قد اختلفتما وأنتما رئيسا بلديكما، فمن يحكم بينكما وهذا موضع مشكل؟. فقال الكسائي: هذه العرب ببابك، وقد جمعتهم من كل أوب، ووفدت عليك من كل صقع وهم فصحاء الناس وقد قنع بهم أهل المصرين، وسمع أهل الكوفة والبصرة منهم فيحضرون ويسألون، فقال يحيى وجعفر: قد أنصفت، وأمر بإحضارهم فدخلوا وفيهم أبو فقعس، وأبو دثار، وأبو ثروان، فسئلوا عن المسائل التي جرت بينهما فتابعوا الكسائي، فأقبل يحيى على سيبويه فقال: قد تسمع أيها الرجل؟ فانصرف المجلس على سيبويه، وأعطاه يحيى عشرة آلاف درهم وصرفه، فخرج وصرف وجهه تلقاء فارس، وأقام هناك حتى مات غماً بالذرب، ولم يلبث إلا يسيراً ولم يعد إلى البصرة.

قال أبو الحسين علي بن سليمان الأخفش: وأصحاب سيبويه إلى هذه الغاية لا اختلاف بينهم أن الجواب كما قال سيبويه، وهو فإذا هو هي، أي فإذا هو مثلها، وهذا موضع رفع وليس بموضع نصب. فإن قال قائل: فأنت تقول: خرجت فإذا زيد قائم وقائماً فتنصب قائماً، فلم لم يجز فإذا هو إياها؟ لأن إيا للمنصوب وهي للمرفوع؟ والجواب في هذا أن قائماً انتصب على الحال وهو نكرة، وإيا مع ما بعدها مما أضيفت إليه معرفة، والحال لا تكون إلا نكرة فبطل إياها، ولم يكن إلا هي وهو خبر الابتداء، وخبر الابتداء يكون معرفة نكرة، والحال لا يكون إلا نكرة، فكيف تقع إياها وهي معرفة في موضع ما لا يكون إلا نكرة؟ وهذا موضع الرفع. وقد قال أصحاب سيبويه: الأعراب الذين شهدوا للكسائي من أعراب الحطمية الذين كان الكسائي يقوم بهم ويأخذ عنهم.

ولما مرض سيبويه مرضه الذي مات فيه، جعل يجود بنفسه ويقول:

يؤمل دنيا لتبقى له ... فمات المؤمل قبل الأمل

حثيثاً يرى أصول النخيل ... فعاش الفسيل ومات الرجل

قالوا: ولما اعتل سيبويه وضع رأسه في حجر أخيه فبكى أخوه لما رآه لما به، فقطرت من عينه قطرة على وجه سيبويه ففتح عينه فرآه يبكي فقال:

أخيين كنا فرق الدهر بيننا ... إلى الأمد الأقصى، ومن يأمن الدهرا؟

وحدث أبو الطيب اللغوي عن أبي عمر الزاهد قال: قال ثعلب يوماً في مجلسه: مات الفراء وتحت رأسه كتاب سيبويه فعارضه أبو موسى الحامض بما قد كتبناه في أخباره.

وحدث محمد بن عبد الملك التاريخي فيما رواه عن ثعلب عن محمد بن سلام قال: حدثني الأخفش أنه قرأ

كتاب سيبويه على الكسائي في جمعة فوهب له سبعين ديناراً. قال: وكان الكسائي يقول لي: هذا الحرف لم أسمعه فاكتبه لي فأفعل. قال: وكان الأخفش يؤدب ولد الكسائي.

قال التاريخي: فكأن الجاحظ سمع هذا الخبر فقال مما يعدده من فخر أهل البصرة على أهل الكوفة: وهؤلاء يأتونكم بفلان وفلان وبسيبويه الذي اعتمدتم على كتبه وجحدتم فضله. وحدث التاريخي أيضاً وهارون بن محمد بن عبد الملك الزيات، قال هارون: دخل الجاحظ على أبي وقد افتصد فقال له: – أدام الله صحتك – ، ووصل غبطتك، ولا سلبك نعمتك. قال: ما أهديت لي يا أبا عثمان؟ قال: أطرف شيء، كتاب سيبويه بخط الكسائي وعرض الفراء. وقال التاريخي: قال الجاحظ: أردت الخروج إلى محمد عبد الملك ففكرت في شيء أهديه له فلم أجد شيئاً أشرف من كتاب سيبويه وقلت له: أردت أن أهدي لك شيئاً ففكرت فإذا كل شيء عندك، فلم أر أشرف من هذا الكتاب، وهذا كتاب اشتريته من ميراث الفراء قال: والله ما أهديت إلي شيئاً أحب إلي منه.

وحدث التاريخي عن المبرد عن الزراري أبي زيد قال: قال رجل لسماك بالبصرة: بكم هذه السمكة؟ قال: بدرهمان. فضحك الرجل، فقال السماك: ويلك أنت أحمق، سمعت سيبويه يقول: ثمنها درهمان.

وحدث عن المبرد عن المازني عن الجرمي قال: في كتاب سيبويه ألف وخمسون بيتاً سألت عنها فعرف ألف ولم تعرف خمسون. وحدثت عن النظام أنه دخل على سيبويه في مرضه فقال له: كيف تجدك يا أبا بشر؟ قال: أجدني ترحل العافية عني بانتقال، وأجد الداء يخامرني بحلول، غير أني وجدت الراحة منذ البارحة. قلت: فما تشتهي؟ قال: أشتهي أن أشتهي. فلما كان من بعد ذلك اليوم دخلت إليه وأخوه يبكي وقد قطرت من دموعه قطرة على خده فقلت: كيف تجدك؟ فقال:

يسر الفتى ما كان قدم من تقىً ... إذا عرف الداء الذي هو قاتله

قال النظام: ثم مات من يومه. وحدث أبو حاتم السجستاني قال: دخلت على الأصمعي في مرضه الذي مات فيه فسألته عن خبره ثم قلت: كم سنة مضت من عمرك؟ فقال: لا ادري، ولكني أحدثك: كنت شاباً مقتبلاً، فتزوجت فولد لي وولد لأولادي وأنا حي ثم انشد:

إذا الرجال ولدت أولادها ... واضطربت من كبر أعضادها

وجعلت أسقامها تعتادها ... فهي زروع قد دنا حصادها

فقلت له: في نفسي شيء أريد أن أسألك عنه. قال: سل. فقلت: حدثني بما جرى بينك وبين سيبويه من المناظرة. فقال: والله لولا أني لا أرجو الحياة من مرضتي هذه ما حدثتك، إنه عرض علي شيء من الأبيات التي وضعها سيبويه في كتابه ففسرتها على خلاف ما فسره، فبلغ ذلك سيبويه فبلغني أنه قال: لا ناظرته إلا في المسجد الجامع، فصليت يوماً في الجامع ثم خرجت فتلقاني في المسجد فقال لي: اجلس يا أبا سعيد، ما الذي أنكرت من بيت كذا وبيت كذا؟ ولم فسرت على خلاف ما يجب؟. فقلت له: ما فسرت إلا على ما يجب، والذي فسرته أنت ووضعته خطأ، تسألني وأجيب. ورفعت صوتي فسمع العامة فصاحتي، ونظروا إلى لكنته فقالوا: لو غلب الأصمعي سيبويه، فسرني ذلك، فقال لي: إذا علمت أنت يا أصمعي ما نزل بك مني

لم ألتفت إلى قول هؤلاء، ونفض يده في وجهي ومضى. ثم قال الأصمعي: يا بني، فوالله لقد نزل بي منه شيء وددت أني لم أتكلم في شيء من العلم.
وعن أبي عثمان المازني قال: حدثني الأخفش قال: حضرت مجلس الخليل فجاءه سيبويه فسأله عن مسألة وفسرها له الخليل فلم أفهم ما قالا، فقمت وجلست له في الطريق فقلت له: جعلني الله فداءك، سألت الخليل عن مسألة فلم أفهم ما رد عليك ففهمنيه، فأخبرني بها فلم تقع لي ولا فهمتها فقلت له: لا تتوهم أني أسألك إعناتاً فإني لم أفهمها ولم تقع لي. فقال لي: ويلك، ومتى توهمت أنني أتوهم أنك تعنتني، ثم زجرني وتركني ومضى.

وحدث المازني قال: قال الأخفش: كنت عند يونس فقيل له: قد أقبل سيبويه فقال: أعوذ بالله منه. قال: فجاء فسأله فقال: كيف تقول مررت به المسكين، فقال: جائز أن أجره على البدل من الهاء. قال: فقال له: فمررت به المسكين على معنى: المسكين مررت به، فقال: هذا خطأ لأن المضمر قبل الظاهر. قال: فقال له: إن الخليل أجاز ذلك وأنشد فيها أبياتاً فقال: هو خطأ فغمني ذلك. قال: فمررت به المسكين، فقال جائز، فقال: على أي شيء ينصب؟ فقال: على الحال. فقال سيبويه: أليس أنت أخبرتني أن الحال لا تكون بالألف واللام؟. فقال له: صدقت. ثم قال لسيبويه: فما قال صاحبك فيه؟ يعني الخليل، فقال سيبويه: قال لي: إنه ينصب على الترحم، فقال: ما أحسن هذا ورأيته مغموماً بقوله: نصبته على الحال.

عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول بن صول

الصولي، كنيته أبو الفضل، من جلة كتاب المأمون وأهل الفضل والبراعة والشعر منهم. وذكر الجهشياري: أن مسعدة كان مولى خالد بن عبد الله القسري، وأنه كان يكتب لخالد وكان بليغاً كاتباً، مات في سنة أربع عشرة ومائتين، وقيل في سنة سبع في أيام المأمون. وكان مسعدة من كتاب خالد بن برمك، ثم كتب بعده لأبي أيوب وزير المنصور على ديوان الرسائل.
قال الصولي: قال أحمد بن عبد الله. كان لمسعدة أربعة بنين: مجاشع، وهو الذي يقول فيه أبو العتاهية:
علمت يا مجاشع بن مسعده ... أن الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أي مفسده
ومسعود، وعمرو، ومحمد. وقد ذكر أن المنصور قال يوماً لكتابه: اكتبوا لي تعظيم الإسلام، قال: فبدر مسعدة فكتب: الحمد لله الذي عظم الإسلام واختاره، وأوضحه وأناره، وأعزه وأنافه، وشرفه وأكمله، وتممه وفضله، وأعزه ورفعه، وجعله دينه الذي أحبه واجتباه، واستخلصه وارتضاه، واختاره واصطفاه، وجعله الدين الذي تعتد به ملائكته، وأرسل بالدعاء إليه أنبياءه، وهدى له من أراد إكرامه وإسعاده من خلقه، فقال جل من قائل: (إن الدين عند الله الإسلام)، وقال جل وعلا: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه). وقال: (ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل). فبهذا الإسلام والدخول فيه والعلم به، وأداء شرائعه، والقيام بمفروضاته، وصلت ملائكته ورسله إلى رضوان الله ورحمته، وجواره في جنته، وبه

تحرزوا من غضبه وعقوبته، وأمنوا نكال عذابه وسطوته. فقال المنصور: حسبك يا مسعدة، اجعل هذا صدر الكتاب إلى أهل الجزيرة بالإعذار والإنذار. وأما عمرو بن مسعدة: ففضله شائع، ونبله ذائع، أشهر من أن ينبه عليه، أو يدل بالوصف إليه، قد ولي للمأمون الأعمال الجليلة، وألحق بذوي المراتب النبيلة، وسماه بعض الشعراء وزيراً لعظم منزلته، لا لأنه كان وزيراً وهو قوله.

لقد أسعد الله الوزير ابن مسعده ... وبث له في الناس شكراً ومحمده

في أبيات. فحدث إسماعيل بن أبي محمد الزيدي قال: كان عمرو بن مسعدة أبيض أحمر الوجه، وهو من أولاد صول الأكبر جد محمد بن صول بن صول، وقد ذكرت أصلهم في أخبار إبراهيم بن العباس من هذا الكتاب، وكان المأمون يسميه الرومي لبياض وجهه. ووصف الفضل بن سهل بلاغة عمرو بن مسعدة فقال: هو أبلغ الناس، ومن بلاغته أن كل أحد إذا سمع كلامه ظن أنه يكتب مثله، فإذا رامه بعد عليه، وهذا كما قيل لجعفر بن يحيى: ما حد البلاغة؟ فقال: التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يقدر على مثلها، فإذا رامها استصعبت عليه.

وحدث العباس بن رستم قال: كان لعمرو بن مسعدة فرس أدهم أغر، لم يكن لأحد مثله فراهة وحسناً فبلغ المأمون خبره، وبلغ عمرو بن مسعدة ذلك، فخاف أن يأمر بقوده إليه فلا يكون له فيه محمدة، فوجه به إليه هدية وكتب معه:

يا إماماً لا يداني ... ه إذا عد إمام

فضل الناس كما يف ... ضل نقصاناً تمام

قد بعثنا بجواد ... مثله ليس يرام

فرس يزهى به لل ... حسن سرج ولجام

دونه الخيل كما دو ... نك في الفضل الأنام

وجهه صبح ولكن ... سائر الجسم ظلام

والذي يصلح للمو ... لى على العبد حرام

وكتب عمرو بن مسعدة إلى الحسن بن سهل أما بعد: فإنك ممن إذا غرس، وإذا أسس بني، ليستتم تشييد أسه، ويجتني ثمار غرسه، وثناؤك عندي قد شارف الدروس، وغرسك مشف على اليبوس، فتدارك بناء ما أسست، وسقي ما غرست إن شاء الله تعالى.

وحدث الصولي قال: لما مات عمرو بن مسعدة رفع إلى المأمون أنه خلف ثمانين ألف درهم فوقع على الرقعة: هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيه. وعمرو القائل في رواية المرزباني:

ومستعذب للهجر، والوصل أعذب ... أكاتمه حبي فينأى وأقرب

إذا جدت مني بالرضا جاد بالجفا ... ويزعم أني مذنب وهو أذنب

تعلمت ألوان الرضا خوف هجره ... وعلمه حبي له كيف يغضب

ولي غير وجه قد عرفت طريقه ... ولكن بلا قلب إلى أين أذهب؟
قال: وهذان البيتان الأخيران متنازعان

عمرو بن كركرة أبو مالك الأعرابي

كان يعلم بالبادية وورق في الحضرة، وهو مولى بني سعد، وكان راوية أبي اليبداء، يقال: إنه كان يحفظ لغة العرب، وكان بصري المذهب، وكان أحد الطيبات. قال الجاحظ: كان يزعم أن الأغنياء عند الله أكرم من الفقراء ويقول: إن فرعون عند الله أكرم من موسى، وكان يلتقم الحار الممتنع فلا يؤذيه، وصنف كتباً منها: كتاب خلق الإنسان، كتاب الخيل.
وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين: كان ابن مناذر يقول: كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة، وكان أبو عبيدة يجيب في نصفها، وكان أبو زيد يجيب في ثلثيها، وكان أبو مالك يجيب فيها كلها، وإنما عنى ابن مناذر توسعهم في الرواية والفتيا، لأن الأصمعي كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات، ويلح في ذلك ويمحك، وكان مع ذلك لا يجيب في القرآن وحديث النبي صلى الله عليه وسلم. فعلى هذا يزيد بعضهم على بعض، وله قصة في أخبار ابن مناذر في كتاب الشعراء من تصنيفنا.

عنبسة بن معدان الفيل

أخذ النحو عن أبي الأسود الدؤلي ولم يكن فيمن أخذ النحو أبرع منه. وأما معنى تسميته بمعدان الفيل: فحدث محمد بن عبد الملك التاريخي عن يوسف بن يعقوب بن السكيت قال: حدثني عبد الرحيم بن مالك عن الهيثم بن عدي عن أشياخه قال يوسف: وحدثني مسلم بن محمد بن نوح عن هشام بن محمد عن رجل من قريش قال: كانت لزياد بن أبيه فيلة ينفق عليها في كل يوم عشرة دراهم. فأقبل رجل من أهل ميسان يقال له معدان فقال: ادفعوها إلي وأكفيكم المئونة، وأعطيكم عشرة دراهم كل يوم فدفعوها إليه فأثرى وابتنى قصراً، ونشأ له ابن يقال له عنبسة، فروى الأشعار وظرف وفصح، وروى شعر جرير والفرزدق وانتمى إلى بني أبي بكر بن كلاب فقيل للفرزدق: ههنا رجل من بني أبي بكر بن كلاب يروي شعر جرير ويفضله عليك ووصفوا له فقال: رجل من بني أبي بكر بن كلاب على هذه الصفة لا أعرفه، فأروني داره فأروه فقال: هذا ابن معدان الميساني ثم قص قصته وقال:
لقد كان في معدان والفيل زاجر ... لعنبسة الراوي علي القصائدا
فروي البيت بالبصرة، ولقي عنبسة أبا عيينة بن المهلب فقال له أبو عيينة: ما أراد الفرزدق بقوله:
لقد كان في معدان الفيل زاجر؟
فقال: إنما قال: لقد كان في معدان واللؤم زاجر. فقال أبو عيينة: وأبيك إن شيئاً فررت منه إلى اللؤم لعظيم. قال التاريخي: فحدثت بهذا الحديث أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً فسر به وسألني أن أكتبه له، فكتبته له والحديث على لفظ مسلم بن محمد بن نوح.

عوانة بن الحكم بن عياض بن وزر

ابن عبد الحارث بن أبي حصن بن ثعلبة بن جبير بن عامر بن النعمان. كان عالماً بالأخبار والآثار ثقة، روى عنه الأصمعي والهيثم بن عدي وكثير من أعيان أهل العلم. وقال أبو عبيدة في كتاب المثالب: يقال في الحكم بن عوانة الكلبي: إن أباه كان عبداً خياطاً ادعي بعد ما احتلم، وكانت أمه أمة سوداء لآل أيمن بن خزيم بن فاتك الأسدي، وله إخوة موال، قال في ذلك ذو الرمة:

ألكني فإني مرسل برسالة ... إلى حكم من غير حب ولا قرب
فلو كنت من كلب صميماً هجوتها ... ولكن لعمري لا إخالك من كلب
ولكنما أخبرت أنك ملصق ... كما ألصقت من غيره ثلمة القعب

تدهدى فخرت ثلمة من صحيحه ... فلز بأخرى بالغراء وبالشعب

حدث أحمد بن يحيى قال: أنشدني ذو الرمة شعراً وعوانة ابن الحكم حاضر، فعاب شيئاً منه فقال فيه هذه الأبيات المتقدمة. قال: وقال محمد بن احمد الكاتب: وقال عياض بن وزر في ابنه عوانة:

عجباً عجبت لمعشر لم يرشدوا ... جعلوا عوانة لي بغيب إبنما
إني إلى الرحمن أبرأ صادقاً ... ما نكت أمك يا عوانة محرما
أنكرت منك جعودة في حوة ... ومشافراً هدلاً وأنفاً أخثما
ما كان لي في آل حام والد ... عبد فأصبح في كنانة أكشما

واكن يكنى أبا الحكم وكان ضريراً، مات فيما ذكره المرزباني عن الصولي سنة سبع وأربعين ومائة في الشهر الذي مات فيه الأعمش. قال المدائني: مات عوانة سنة ثمان وخمسين ومائة في السنة التي مات فيها المنصور.

حدث الهيثم بن عدي قال: كنت عند عبد الله بن عياش الهمذاني وعنده عوانة بن الحكم فذاكروا أمر النساء فقلت: حدثني ابن الظلمة عن أمه أنها قالت: والله ما أتى النساء مثل أعمى عفيف، فضرب عوانة بيده على فخذي وقال: حفظك الله يا أبا عبد الرحمن، فإنك تحفظ غريب الحديث وحسنه. قال: وكان عوانة ضريراً. قال: قال عبد الله بن جعفر: عوانة بن الحكم من علماء الكوفة بالأخبار خاصة والفتوح مع علم بالشعر والفصاحة، وله إخوة وأخبار ظريفة، وكان موثقاً وعامة أخبار المدائني عنه.

قال: وروى عبد الله بن المعتز عن الحسن بن عليل العنزي أن عوانة بن الحكم كان عثمانياً وكان يضع أخباراً لبني أمية. قال: وحدث أبو العيناء عن الأصمعي قال: أنشد عوانة بيتين فقيل له لمن هما؟ قال: أنا تركت الحديث بغضاً مني للإسناد وليس أراكم تعفوني منه في الشعر.

وحدث هشام بن الكلبي عن عوانة قال: خطبنا عتبة بن النهاس العجلي فقال: ما أحسن شيئاً قال الله عز وجل في كتابه:

ليس حي على المنون بباق ... غير وجه المسبح الخلاق

فقمت إليه فقلت: أيها الرجل، إن الله عز وجل لم يقل هذا، إنما قاله عدي بن زيد ثم نزل عن المنبر، وأتى بامرأة من الخوارج فقال: يا عدوة الله، ما خروجك على أمير المؤمنين؟ ألم تسمعي قول الله عز وجل:

كتب القتل والقتال علينا ... وعلى المحصنات جر الذيول؟

فحركت رأسها وقالت: يا عدو الله حملني على الخروج جهلكم بكتاب الله عز وجل. وحدث الهيثم بن عدي قال: كنا عند عوانة فورد الخبر بأن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب قد قتل بالمدينة، فترحم عليه عوانة وذكر فضله ثم قال: أخطأ الرأي في استهدافه لهم ومقابلته إياهم بالقرب منهم، ولو تباعد عنهم حتى يجتمع أمره، ويرى رأيه لكالت مدته، فقيل له: قد أشير عليه بذلك فلم يقبله، فتمثل عوانة ببقول زهير:

أضاعت فلم تغفر لها غفلاتها ... فلاقت تباباً عند آخر معهد

دماً حول شلو تحجل الطير حوله ... وبضع لحام في إهاب مقدد

قال: ثم قال: هل علينا عين؟. قالوا لا فقل ما شئت، فقال: محمد والله من الذين قال الله فيهم: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله).

وحدث التاريخي عن إسماعيل بن إسحاق عن نصر بن علي عن الأصمعي عن عوانة قال: كان ابن زياد يأكل بعد الشبع أربع جرادق أصبهانية وجبنة ورطلاً عسلاً. وحدث عنه أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن عوانة قال: لقي رجلاً أعرابياً فقال: ممن الرجل؟ قال: من قوم إذا نسي الناس علمهم حفظوه عليهم. قال: فأنت إذاً من كلب، قال أجل. وكان لعوانة أخ يقال له عياض نحوي أديب أقام بإفريقية وانتقل إليها من الكوفة، فحدث المرزباني بإسناده قال: كان عوانة بن الحكم يقول لأخ له – يقال عياض – نحوي: لا تعمق في النحو، فإنه لم يتعمق فيه أحد إلا صار معلماً، قال: فصار عياض بعد ذلك معلماً بإفريقية لولد المعلى.

عوف بن محلم الخزاعي

أبو المنهال، أحد العلماء والأدباء والرواة الفهماء، والندامى الظرفاء والشعراء الفصحاء، وكان صاحب أخبار ونوادر، وله معرفة بأيام الناس. وكان طاهر بن الحسين ابن مصعب قد اختصه لمنادمته واختاره لمسامرته. وكان لا يخرج في سفر إلا أخرجه معه، وجعله زميله وأنيسه وعديله، وكان يعجب به.

قال محمد بن داود: ويقال إن سبب اتصاله بطاهر أنه نادى على الجسر بهذه الأبيات في أيام الفتنة ببغداد، وطاهر ينحدر في حراقة دجلة، فسمعها منه فأدخله وأنشده إياها وهي:

عجبت لحراقة بن الحسين ... كيف تعوم ولا تغرق؟

وبحران من تحتها واحد ... وآخر من فوقها مطبق

وأعجب من ذاك عيدانها ... وقد مسها كيف لا تورق؟

وأصله من حران فبقي مع طاهر ثلاثين سنة لا يفارقه، وكان يستأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه فلا يأذن له ولا يسمح به، فلما مات طاهر ظن أنه قد تخلص وأنه يلحق بأهله ويرجع إلى وطنه، فقربه عبد الله بن طاهر من نفسه وأنزله منزلته من أبيه، وكان عبد الله أديباً فاضلاً عالماً بأخبار الناس، فلما وقف على أدب عوف وفضله تمسك به وأفضل عليه حتى كثر ماله، وحسن حاله، وتلطف بجهده أن يأذن له عبد الله في

العود إلى وطنه فلم يكن إلى ذلك سبيل، وحفزه الشوق إلى أهله وأهمه أمرهم، فاتفق أن خرج عبد الله من بغداد يريد خراسان، فصير عوفاً عديله يستمتع بمسامرته، ويرتاح إلى محادثته إلى أن دنا من الري، فلما شارفها سمع صوت عندليب يغرد بأحسن تغريد وأشجى صوت، فأعجب عبد الله بصوته، والتفت إلى عوف بن محلم فقال له: يا بن محلم، هل سمعت قط أشجى من هذا الصوت وأطرب منه؟ فقال: لا والله أيها الأمير، وإنه لحسن الصوت، شجي النغمة، مطرب التغريد، فقال عبد الله: قاتل الله أبا كبير حيث يقول:

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر ... وغصنك ميادٌ ففيم تنوح؟

أفق لا تنح من غير شيء فإنني ... بكيت زماناً والفؤاد صحيح

ولوعاً فشطت غربة دار زينب ... فها أنا أبكي والفؤاد قريح

فقال عوف: أحسن والله أبو كبير وأجاد ثم قال: أصلح الله أمير المؤمنين – إنه كان في الهذليين مائة وثلاثون شاعراً ما فيهم إلا مفلق، وما كان فيهم مثل أبي كبير فإنه كان يبع في شعره، ويفهم آخر قوله وأوله، وما شيء أبلغ في الشعر من الإبداع فيه.

قال عبد الله: أقسمت عليك إلا أجزت شعر أبي كبير؟ قال عوف: أصلح الله الأمير، قد كبر سني، وفني ذهني، وأنكرت كل ما كنت أعرفه. قال عبد الله: سألتك بحق طاهر إلا فعلت؟ وكان لا يسأل بحق طاهر شيئاً إلا ابتدر إليه لما كان يوجبه له، فلما سمع عوف ذلك أنشأ يقول:

أفي كل عام غربة ونزوح ... أما للنوى من ونية فتريح؟

لقد طلح البين المشت ركائبي ... فهل أرين البين وهو طليح؟

وأرقني بالري نوح حمامة ... فنحت وذو البث الغريب ينوح

على أنها ناحت ولم تذر دمعة ... ونحت وأسراب الدموع سفوح

وناحت وفرخاها بحيث تراهما ... ومن دون أفراخي مهامه فيح

ألا يا حمام الأيك إلفك حاضر ... وغصنك ميادٌ ففيم تنوح؟

عسى جود عبد الله أن يعكس النوى ... فيلقي عصا التطواف وهي طريح

إن الغنى يدني الفتى من صديقه ... وعدم الغنى بالمقترين طروح

قال: فاستعبر عبد الله ورق له، وجرت دموعه وقال له: والله إني لضنين بمفارقتك، شحيح على الفائت من محاضرتك، ولكن والله لا أعملت معي خفاً ولا حافراً إلا راجعاً إلى أهلك، ثم أمر له بثلاثين ألف درهم.

فقال يمدح عبد الله وأباه:

يا بن الذي دان له المشرقان ... وألبس الأمن به المغربان

إن الثمانين، وبلغتها ... قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

وأبدلتني بالشطاط الحنا ... وكنت كالصعدة تحت السنان

وعوضتني من زماع القنى ... وهمتي هم الجبان الهدان

وقاربت مني خطىً لم تكن ... مقاربات وثنت من عنان

وأنشأت بيني وبين الورى ... عنانة من غير نسج العنان

ولم تدع في لمستمتع ... إلا لساني وبحسبي لسان
أدعو به الله وأثني به ... على الأمير المصعبي الهجان
وهمت بالأوطان وجداً بها ... وبالغواني أين مني الغوان؟
فقربابي بأبي أنتما ... من وطني قبل اصفرار البنان
وقبل منعاي إلى نسوة ... أوطانها حران والرقتان
سقى قصور الشاذياخ الحيا ... من بعد عهدي وقصور الميان
فكم وكم من دعوة لي بها ... بأن تخطاها صروف الزمان؟

وهذه قصور بخراسان بناحية نيسابور لآل طاهر، ثم ودع عبد الله وسار راجعاً إلى أهله فمات قبل أن يصل إليهم. وقد روى في خبر هذه الأبيات أن عوف بن محلم دخل على عبد الله بن طاهر فسلم عبد الله عليه فلم يسمع فأعلم بذلك فزعموا أنه أنحل هذه القصيدة، وكان قد ورد على عبد الله بن طاهر شاعر يقال له روح وعرض على عوف شعره، فمنعه من إنشاده عبد الله وقال: إن عبد الله رجل فاضل لا ينفق عليه من الشعر إلا أحسنه. فقال له قد حسدتني وتوصل حتى أنشده عبد الله فاسترذله واستبرده ورده، فبلغ ذلك عوفاً فقال:

أنشدني روح مديحاً له ... فقلت شعراً قال لي فيش
فصرت لما أن بدا منشداً ... كأنني في قبة الخيش
وقلت: زدني وتفهمته ... والثلج في الصيف من العيش

عون بن محمد الكندي

الكاتب أبو مالك، أحد أصحاب ابن الأعرابي، وأخذ عن سلمة بن عاصم صاحب الفراء، وروى عنه الصولي فأكثر. حدث الصولي قال: حدثني عون بن محمد الكندي قال: كنا في مجلس ابن الأعرابي فقدم قادم من سر من رأى فأخبر بنكبة سليمان بن وهب وأحمد بن الخصيب فأنشد ابن الأعرابي:

رب قوم رتعوا في نعمة ... زمناً والعيش ريان غدق
سكت الدهر طويلاً عنهم ... ثم أبكاهم دماً حين نطق

عيسى بن إبراهيم الربعي الوحاظي

بلدة باليمن. لا أعرف حاله إلا أنه مصنف كتاب نظام الغريب في اللغة، حذا فيه حذو كفاية المتحفظ وأجاده، وأهل اليمن مشتغلون به.

عيسى بن عمر الثقفي أبو عمر

مولى خالد بن الوليد، نزل في ثقيف فنسب إليهم، عالم بالنحو والعربية والقراءة مشهور بذلك، أخذ عن عبد الله بن إسحاق الحضرمي، ومات عيسى بن عمر سنة تسع وأربعين ومائة في خلافة المنصور قبل أبي عمرو بن العلاء بخمس سنين أو ست. حدث التاريخي محمد بن عبد الملك عن المبرد قال: أول من وضع العربية ونقط المصاحف أبو الأسود الدؤلي، ثم أخذ النحو عن أبي الأسود عنبسة بن معدان المهري الذي يقال له عنبسة الفيل، ثم أخذه عن عنبسة ميمون الأقرن، ثم أخذه عن ميمون ابن أبي إسحاق الحضرمي، ثم أخذه عن ابن أبي إسحاق عيسى بن عمر، ثم أخذه عن الخليل بن أحمد سيبويه، ثم أخذه عن سيبويه الأخفش، واسمه سعيد بن مسعدة. قال التاريخي: حدثنا المبرد مرة أخرى عن التوزي عن أبي عبيدة قال: ووضع عيسى بن عمر كتابين في النحو سمى أحدهما الجامع والآخر المكمل، فقال الخليل بن أحمد:

بطل النحو جميعاً كله ... غير ما أحدث عيسى بن عمر
ذاك إكمال وهذا جامع ... فهما للناس شمس وقمر

قال المؤلف: وهذان كتابان ما علمنا أحداً رآهما ولا عرفهما، غير أن أبا الطيب اللغوي ذكر في كتابه أنهما مبسوط ومختصر. وذكر عن المبرد أنه قال: قرأت أوراقاً من أحد كتابي عيسى بن عمر وذكر أيضاً أن عيسى بن عمر أخذ النحو عن أبي عمرو بن العلاء.

وحدث المرزباني فيما أسنده إلى الأصمعي قال: كان عيسى بن عمر صاحب تقصير في كلامه، وكان عمر بن هبيرة قد اتهمه بوديعة لبعض العمال فضربه مقطعاً نحواً من ألف سوط فجعل يقول: والله ما كان إلا أثياب في أسيفاط قبضها عشاروك فيقول له: إنك لخبيث. قال:وكان دقيق الصوت. قال: فكان طول دهره يحمل في كمه خرقة فيها سكر العشر والإجاص اليابس، وربما رأيته واقفاً أو سائراً أو عند بعض ولاة البصرة فتصيبه نهكة في فؤاده، فيخفق عليه حتى يكاد يغلب فيستغيث بإجاصة وسكرة يلقيها في فيه ثم يتمصصها، فإذا فعل ذلك سكن عليه فسئل عن ذلك فقال: أصابني هذا من الضرب الذي ضربني عمر بن هبيرة، فعالجته بكل شيء فما رأيت له أصلح من هذا.

وحدث التاريخي عن المبرد قال: سمعت يحيى بن معين يقول: عيسى بن عمر النحوي بصري، وعيسى بن عمر الكوفي همذاني وهو صاحب الحروف. وحدث عن يوسف بن يعقوب بن السكيت عن الجماز قال: عيسى بن عمر أخو حاجب بن عمر، ويكنى حاجب أبا خشينة، روى عنه الحديث وهما موليان لبني مخزوم، وهما من ولد الحكم بن عبد الله بن الأعرج الذي روى عنه الحديث. وحدث عن أحمد بن عبيد النحوي عن الأصمعي قال: حدثنا عيسى بن عمر قال: قدمت من سفر فدخل علي ذو الرمة فعرضت ألا أكون أعطيته شيئاً فقال لا، أنا وأنت نأخذ ولا نعطي. قال الأصمعي: وحدثني عيسى بن عمر قال: لقد كنت أكتب بالليل حتى ينقطع سوئي أي وسطي. وحدث عن أحمد بن عبيد عن الأصمعي عن عيسى بن عمر قال: اللهازم قيس بن ثعلبة وعجل وعنزة وتيم الله. قال عيسى بن عمر: أرى اللهازم تجمعوا كما تجمع لهازم الدابة. قال: والرباب ثور وعكل وتيم الله، والرباب ثور وعكل وتيم عدي وضبة وأطحل كلهم إخوة، وإنما سموا الرباب لأنهم تجمعوا وتحالفوا، والربابة: جماعة القداح إذا ضمت، وجشم بن بكر وإخوتهم الأراقم

وليس بنسب ولكن شبهت عيونهم بعيون الأراقم من الحيات فبقي عليهم. قال مؤلف الكتاب: أما قوله وأطحل فهو عجب من مثله، لأن أطحل اسم جبل سكنه ثور فنسب إليه فقيل: ثور أطحل ولا يفرد في اسم القبيلة. وأما قوله: إنهم تجمعوا مثل الربابة فأكثر أهل هذا الشأن يزعمون أنهم تجمعوا وغمسوا أيديهم في الرب وتحالفوا على بني تميم.

قال أبو العباس ثعلب: جمع الحسن بن قحطبة عند مقدمه مدينة السلام الكسائي والأصمعي وعيسى بن عمر، فألقى عيسى على الكسائي هذه المسألة: هملك ما أهملك، فذهب الكسائي يقول: يجوز كذا ويجوز كذا. فقال له عيسى: عافاك الله، إنما أريد كلام العرب، وليس هذا الذي تأتي به كلام العرب قال أبو العباس: وليس يقدر أحد أن يخطئ في هذه المسألة لأنه كيف أعرب هذه الكلمة فهو مصيب، وإنما أراد عيسى بن عمر من الكسائي أن يأتيه باللفظة التي وقعت إليه.

عيسى بن مروان الكوفي أبو موسى

ذكره محمد بن إسحق النديم قال: قرأت بخط ابن الكوفي أنه أخذ عن أبي طالب المفضل بن سلمة وروى عنه، وله من الكتب: كتاب القياس على أصول النحو.

عيسى بن المعلى بن مسلمة الرافقي

أحد أدباء عصرنا، أخمل من ذكره خمول قطره، كان مؤدباً بمدينة الرقة التي على الفرات، وله شعر كثير وفضائل جمة وعدة تصانيف منها: كتاب تبيين الغموض في علم العروض وجدته بخطه وقد كتبه في سنة تسعين وخمسمائة وعاش بعد ذلك. وله كتاب في اللغة حسن في مجلدين ضخمين رأيته بخطه أيضاً. كتاب ديوان شعره مجلدان.

عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى

ابن عبد الصمد بن عمرو بن عبد الله، المدني المعروف بقالون القارئ، كنيته أبو موسى صاحب نافع بن أبي نعيم، مات سنة خمس ومائتين في أيام المأمون، ومولده سنة عشرين ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، وقرأ على نافع سنة خمسين ومائة في أيام المنصور، وكان قالون أصم لا يسمع البوق، وكان إذا قرأ عليه قارئ ألقم أذنه فاه ليسمع قراءته، وهو مولى الأنصار.

حدث أبو موسى قالون: كان نافع إذا قرأت عليه يعقد لي ثلاثين ويقول لي: قالون قالون: يعني جيد بالرومية. وإنما كان يكلمه بذلك، لأن قالون أصله من الروم، جد جده عبد الله من سبي أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقدم به من أسره وباعه فاشتراه بعض الأنصار فأعتقه فهو مولى الأنصار.

عيسى بن يزيد بن دأب الليثي

هو عيسى بن يزيد بن بكر بن كرز بن الحارث بن عبد الله بن أحمد بن يعمر الشداخ بن عوف بن كعب بن عامر بن ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر وفي نسبه اختلاف. هذا أظهره أبو الوليد الراوية النساب من أهل الحجاز، وكان يضعف في روايته، مات سنة إحدى وسبعين ومائة في أول خلافة الرشيد. وحدث المرزباني قال: قال عبد الله بن جعفر كان عيسى بن يزيد بن دأب يكنى أبا الوليد، وكان من رواة الأخبار والأشعار وحفاظهم، وكان معلماً من علماء الحجاز.

وحدث فيما رفعه إلى رفيع بن سلمة عن أبي عبيدة قال: أنشد ابن دأب:

وهم من ولدوا أشبوا ... بسر الأدب المحض

فبلغ ذلك أبا عمرو بن العلاء فقال: أخطأت استه الحفرة، إنما هو أشبئوا أي كفوا، أما سمع قول الشاعر:

وذو الرمحين أشباء ... من القوة والحزم

فبلغه عن ابن دأب شيء فقال: على نفسها تجني براقش، أما سمعتم قول الليثي:

ألا من مبلغ دأب بن كرز ... أبا الخنساء زائدة الظليم

فلا تفخر بأحمر واطرحه ... فما يخفى الأغر من البهيم

فعند الله سر من أبيه ... كراع زيد في عرض الأديم

وحدث فيما رفعه إلى جابر بن الصلت البرقي قال: وعد المهدي بم دأب جارية فوهبها له فأنشد عبد الله بن مصعب الزبيري قول مضرس الأسدي:

فلا تيأسن من صالح أن تناله ... وإن كان قدماً بين أيد تبادره

فضحك المهدي وقال: ادفعوا إلى عبد الله فلانة لجارية أخرى، فقال عبد الله بن مصعب:

أنجز خير الناس قبل وعده ... أراح من مطل وطول كده

فقال ابن دأب: ما قلت شيئاً، هلا قلت:

حلاوة الفضل بوعد منجز ... لا خير في العرف كنهب منهز

فضحك المهدي وقال: أحسن الوفاء ما تقدمه ضمان، وحدث عن سعيد بن سلم قال: ما شيء أجل من العلم، كان ابن دأب أحفظ الناس للأنساب والأخبار وكان تياهاً فكان ينادم الهادي ولا يتغدى معه ولا بين يديه فقيل له في ذلك، فقال: أنا لا أتغدى في مكان لا أغسل يدي فيه، فقال له الهادي: فتغد، فكان الناس إذا تغدوا تنحوا لغسل أيديهم، وابن دأب يغسل يده بحضرة الهادي.

وحدث المرزباني عن الحسين بن علي عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عمه مصعب عن موسى بن صالح قال: كان عيسى بن دأب كثير الأدب عذب الألفاظ، وكان قد حظي عند الهادي حظوة لم تكن لأحد، وكان يدعو له بتكأة ولم يكن يطمع أحد من الخلق في هذا في مجلسه ولا يفعل بغيره، وكان يقول له: ما استطلت بك يوماً ولا ليلةً، ولا غبت عن عيني إلا تمنت ألا ترى غيرك، وكان لذيذ المفاكهة، طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر حسن الانتزاع له، قال: فأمر له ليلة بثلاثين ألف دينار، فلما أصبح بن دأب وجه قهرمانه إلى باب موسى الهادي وقال له: انطلق إلى باب الحاجب فقل له: توجه إلينا بالمال، فانطلق فأبلغ الحاجب رسالته فتبسم وقال: ليس هذا إلي، فانطلق إلى صاحب التوقيع ليخرج لك به كتاباً

إلى الديوان فتديره هناك، ثم تفعل به كذا وتفعل به كذا، فرجع الرسول إلى ابن دأب فأخبره فقال: دعها فلا تعرض لها ولا تسأل عنها. قال: فبينما موسى في مستشرف له إذ نظر إلى ابن دأب قد أقبل وليس معه إلا غلام واحد فقال لإبراهيم بن ذكوان الحراني: – وإليه ينسب طاق الحراني ببغداد بالكرخ – أما ترى بن دأب ما غير من حاله ولا تزيى لنا، وقد بررناه بالأمس ليرى عليه أثرنا. فقال إبراهيم: إن أذن لي أمير المؤمنين عرضت له بشيء من هذا. فقال: لا، هو أعلم بأمره، ودخل ابن دأب فأخذ في حديثه إلى أن عرض له الهادي بشيء من أمره فقال: أرى في ثوبك غسيلاً، وهذا الشتاء محتاج فيه إلى لبس الجديد واللين. فقال:يا أمير المؤمنين، باعي قصير عما أحتاج إليه، فقال: وكيف ذاك؟ وقد صرفنا إليك من برنا ما ظننا صلاح شأنك معه، فقال: ما وصل إلي ولا قبضت منه شيئاً، فدعا بصاحب بيت المال فقال له عجل الآن بثلاثين ألف دينار فحملت بين يديه.

وحدث بإسناد رفعه إلى أبي زهير قال: كان ابن دأب أحظى الناس عند الهادي، فخرج افضل بن الربيع يوماً فقال: إن أمير المؤمنين يأمر من ببابه بالانصراف، فأما أنت يابن دأب فادخل، قال ابن دأب: فدخلت وهو منبطح على فراشه، وإن عينيه لحمراوان من السهر وشرب الليل. فقال لي: حدثني بحديث من حديث الشراب، فقلت: نعم يا أمير المؤمنين، خرج نفر من كنانة إلى الشام يجلبون الخمر فمات أحدهم فجلسوا على قبره يشربون، فقال أحدهم:

لا تصرد هامة من شربها ... إسقه الخمر وإن كان قبر
إسق أوصالاً وهاماً وصدى ... ناشعاً ينشع نشع المنبهر
كان حراً فهوى فيمن هوى ... كل عود ذي فنون منكسر

قال: فدعا بداوة فكتبها، ثم كتب إلى الخوان بأربعين ألف درهم وقال: عشرة آلاف لك، وثلاثون ألفاً للثلاثة الأبيات. قال: فأتيت الخزان فقالوا: صالحنا على عشرة آلاف أنك تحلف لنا ألا تذكرها لأمير المؤمنين، فحلفت ألا أذكرها حتى يبدأني فمات ولم يذكرها. وحدث قال: دخل ابن دأب على عيسى بن موسى عند منصرفه من فخ فوجده واجماً يلتمس عذراً لمن قتل، فقال له: أصلح الله الأمير، أنشدك شعراً كتب به يزيد بن معاوية يعتذر فيه إلى أهل المدينة من قتل الحسين بن علي عليهما السلام، قال أنشدني فأنشده:

يا أيها الراكب الغادي لطيته ... على عذافرة في سيرها قحم
أبلغ قريشاً على شحط المزار بها ... بيني وبين حسين، الله والرحم
وموقف بفناء البيت أنشده ... عهد الإله وما يرعى به الذمم
عنفتم قومكم فخراً بأمكم ... أم حصان لعمري برة كرم
هي التي لا يداني فضلها أحد ... بنت الرسول وخير الناس قد علموا
وفضلها لكم وفضل وغيركم ... من قومكم لها في فضلها قسم
إني لأعلم أو ظناً كعالمه ... والظن يصدق أحياناً فيتظم

أن سرف يتركككم ما تطلبون بها ... قبلي تهاداكم العقبان والرخم
يا قومنا لا تشهوا القوم إذ خمدت ... ومسكوا بجبال السلم واعتصموا
قد جرت الحرب من قد كان قبلكم ... من القرون وقد بادت بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخاً ... فرب ذي بذخ زلت به القدم
قال فسري عن عيسى بعض ما كان فيه. قال ابن مناذر يهجو ابن دأب:
ومن يبغ الوصاة فإن عندي ... وصاة للكهول وللشباب
خذوا عن مالك وعن ابن عون ... ولا تروووا أحاديث ابن دأب
ترى الغاوين يتبعون منها ... ملاهي من أحاديث كذاب
إذا طلبت منافعها اضمخلت ... كما ينجاب رقراق السراب
وحدث عن عمر بن أبي عبيدة النميري عن خاله ابن أبي شميلة قال: كان خلف الأحمر ينسب ابن دأب إلى الكذب قال: فغدوت يوماً أنا وخلف على ابن دأب فأخذ في حديث ذي الخلصة حتى انقضى، فلما انصرفنا قلت لخلف يا أبا محرز: أتراه كذب؟ قال: لا أدري، والله لا أعرف مما حدث به قليلاً ولا كثيراً.
قال عمر: ولخلف الأحمر في أبي العيناء محمد ابن عبيد الله:
لنا صاحب مولع بالمراء ... كثير الخطاء قليل الصواب
أشد لجاجاً من الخنفساء ... وأزهى إذا مشى من غراب
وليس من العلم في فقرة ... إذا حصل العلم غير التراب
أحاديث ألفها شوكر ... وأخرى مؤلفة لابن دأب
قال المرزباني: وقوم يروون في هذه الأبيات زيادة، وأبيات خلف هي هذه، والزيادة عليها فيما ذكر المقدمي والكراني لأبان بن عبد الحميد اللاحقي. وروى عبد الله بن المعتز عب عمر بن شبة قال: شوكر شاعر بالبصرة يضع الأخبار والأشعار.
وحدث الرياشي قال: قال الأصمعي: قلت لخلف الأحمر: أما ترى ما جاء به ابن دأب من الحجاز؟ والشوكري من الكوفة؟ فقال: إنما يروى لهؤلاء من يقول: قالت ستي، ويدعو ربه من دفتر، ويسبح بالحصى، ويحلف محيت المصحف، ويدع حدثنا وأخبرنا ويقول: أكلنا وشربنا. وزعم العنزي أن ابن دأب كان يتشيع ويضع أخباراً لبني هاشم، وكان عوانة ابن الحكم عثمانياً ويضع أخباراً لبني أمية.

وحدث مصعب بن عبد الله الزبيري قال: شيطان الردهة شيء وضعه ابن دأب، وهو ذو الثدية فيما زعم قال: جاءت أمة تستقي ماءً فوقع بها شيطان فحملته فولدته.
وحدث المرزباني فيما رفعه إلى مصعب الزبيري عن أبيه قال: كنا جماعة تجالس الهادي أنا وسعيد بن سلم الناهلي وابن دأب وعبد الله بن مسلم العزيزي وكان أجرأنا عليه، فخرج علينا مغيظاً متغيراً فسأله العزيزي عن خبره فقال: لم أر كصاحب الدنيا أكثر آفات ولا أدوم هموماً، قد عرفتم موضع لبانة بنت جعفر بن أبي جعفر مني، وأثرتها عندي، وأنها أغلظت لي بإدلالها في شيء فلم أجد صبراً فنلتها بيدي فندمت عليه.

فسكتنا خوفاً من تعنيفه أو تصويب رأيه فيبلغها ذلك. فقال ابن دأب: وما في ذلك يا أمير المؤمنين؟ هذا الزبير بن العوام حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته، ضرب امرأته أسماء بنت أبي بكر الصديق وهي من أفضل نساء زمانها حتى كسر يدها وكان ذلك سبب مفارقته إياها لأنه قال: أنت طالق إن حال عبد الله بيني وبينك يعني ابنه عبد الله بن الزبير، فلم يخله وخلصها، وهذا عمر رضي الله عنه يقول: لا يسأل الرجل فيم يضرب امرأته؟ وهذا كعب بن مالك الأنصاري وهو أخو الزبير – آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما – عتب على امرأته وهي من المهاجرات في شيء ضربها حتى حال بنوها بينهما فقال:

لولا بنوها حولها لخبطتها ... إلى أن تداني الموت غير مذمم

ولكنهم حالوا بمنعي دونها ... فلا تعدميهم بين ناه ومقسم

فمالت وفيها حائش من عيطها ... كحاشية البرد اليماني المسهم

قال: فضحك الهادي وسري عنه وأمر بالطعام، وأمر لابن دأب بخمسين ألف درهم وخمسين ثوباً. قال عبد الله بن مصعب: فتأسفت كيف سبقني إلى شيء أحفظه مثل حفظه.

وحدث أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين قال: فأما مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فلا تعلم بها إماماً بالعربية.

حدث الأصمعي قال: أقمت بالمدينة زماناً مع جعفر بن سليمان الهاشمي واليها، فما رأيت بالمدينة قصيدة واحدة صحيحة إلا مصحفة أو مصنوعة، وكان ابن دأب يضع الشعر وأحاديث السمر وكلاماً ينسبه إلى العرب فسقط وذهب علمه وخفيت روليته. قال: وكان شاعراً وعلمه بالأخبار أكثر. قال الأصمعي:

وأتعجب لابن دأب حين يزعم أن أعشى همدان يقول:

من رأى لي غزيلي ... أربح الله تجارته

وخضاب بكفه ... أسود اللون قارته

ثم قال الأصمعي: يا سبحان الله، يحذف الألف التي قبل الهاء في الله ويسكن الهاء ويرفع تجارته وهو منصوب؟ ويجوز هذا عنه، ويروي الناس عن مثله قال: ولقد سمعت خلفاً الأحمر يقول: لقد طمع ابن دأب في الخلافة حين يجوز مثل هذا عنه.

عيينة بن عبد الرحمن المهلبي

يكنى أبا المنهال ذكره الحاكم أبو عبد الله في تاريخ نيسابور فقال: عيينة بن عبد الرحمن أبو المنهال اللغوي المهلبي صاحب العربية تلميذ الخليل بن أحمد، مؤدب الأمير أبي العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين، ورد معه نيسابور وتوفي بها، وروى عن داود بن أبي هند، وسفيان بن عيينة، وسعيد بن أبي عروبة، ويحيى بن سليمان، ثو حدث بإسناد رفعه إلى المنهال أنه كان يقول: لا تتصدر إلى فائق أو مائق. قال:قرأت بخط عمر المستملي: سمعت أبا أحمد الفراء، سمعت عيينة المهلبي يقول: سمعت سعيد بن أبي عروبة يقول: ما وصى الله الناس بشيء ما وصاهم بأوطانهم.

قال عيينة: جاء رجل إلى جعفر بن محمد الصادق وهو يصلي فقال: إني مسترشد، قال: اجلس فجلس، فلما

قضى صلاته جاء إليه فقال: إن أبانا مات وتركني وأخاً لي هجيناً. فقال جعفر الملك بينكم أثلاث. فقال الأعرابي: والله الذي لا إله إلا هو أمر بهذا؟ قال: نعم، قال: رضيت رضيت رضيت. له كتاب في النوادر وكتاب في الشعر.

قال أبو العباس: كان أبو المنهال مع إسحاق بن إبراهيم الطاهري وكان آنساً به يحادثه ويجالسه ويقرأ عليه، وكان السبب في ذلك، أن أبا المنهال كان مع عبد الله بن طاهر بن الحسين بخراسان وكان يقدمه وأحسن إليه ووصله بمائة ألف درهم وكنا نجلس إليه وقرأت عليه شيئاً كثيراً. ومما قرأته عليه كتاب الأنصار، وكتاب الأزد، وكان ينزل إلى القنطرة عند منازل العاصميين في موضع يقال له دار المهالبة، وكان أحد من لقي الناس وسمع، وكان حسن المعرفة بالإسناد والأخبار والأيام، وعمل كتاباً لإسحاق في القرآن، وكان ابن الأعرابي لا يأتي إسحاق ولا يلقاه وكان يستأذنه في الانصراف إلى أهله ووطنه، يوجه إليه في كل سنة بدرج فيه من سماعه الإشارات الحسنة واللغة الفصيحة، فإذا قرأه إسحاق وقع إلى كاتبه: ادفع إليه ثلاثمائة، فكان على ذلك إلى أن مات.

باب الغين

غانم بن وليد المالقي

أبو محمد المخزومي النحوي: قال ابن خاقان: هو عالم متفرس، وفقيه مدرس، وأستاذ مجود، وإمام لأهل الأندلس مجرد. وأما الأدب فكان جل شرعته وهو رأس بغيته، مع فضل وحسن طريقة، وجد في جميع أموره وحقيقة، وله:

صير فؤادك للمحبوب منزلة ... سم الخياط مجال للمحبين

ولا تسامح بغيضاً في معاشرة ... فقلما تسع الدنيا بغيضين

لا أعرف من أمره إلا ما ذكره ابن عساكر في ترجمة علي بن أحمد بن طيز. قال: أنشدني غانم بن وليد النحوي لنفسه:

ثلاثة يجهل مقدارها ... الأمن والصحة والقوت

فلا تثق بالمال من غيرها ... لو أنه در وياقوت

قال: وأنشدني غانم لبعض الشعراء:

يا لأيها المبتغي أخا ثقة ... علمت ما تبتغي فدع طمعك

داج المداجين ما لقيتهم ... وخادع النفس لامرئ خدعك

لا تكشف المرء عن سرائره ... ودعه تحت النفاق ما ودعك

أظهر له مثل قول ذي بله ... تريه إن ضر أنه نفعك

ولغانم أنشده ابن خاقان:

الصبر أولى بوقار الفتى ... من قلق يهتك ستر الوقار
من لزم الصبر على حاله ... كان على أيامه بالخيار

باب الفاء

فاطمة بنت الأقرع الكاتبة

وجدت بخطها رقعة هذه نسختها: الأمة الكاتبة.
بسم الله الرحمن الرحيم: ثقتي بالله وحده، خشعت لصولة عز المجلس العالي العادلي المؤيدي المظفري المنصوري العزي السعدي الركني النصيري المجدي الشرفي الأميري – أعز الله أنصاره – ، وضاعف اقتداره عقب الدهور، وانقادت لمشيئته تصاريف الأمور، وامتدت إلى نواله آمال السؤال، وأناخت بفنائه رواحل الرجال. فما إنسان إلا موفور ببره، ولا لسان إلا مسبح بشكره، ولا آمل إلا مصروف إليه، فأعطاه الله تعالى من الآمال في نفسه وذويه مالا يرنو إليه طرف، ولا يأتي عليه وصف:
حتى تسير مسير الشمس رايته ... وتعتلي باسمه العالي على القمر
ويختم الأرض طراطين خاتمه ... ويغتدي أمره أمضى من القدر

ومن بعد: فقد ذهبت – أطال الله بقاء المجلس العالي وأعز سلطانه – ، في درج قد قرنته بهذه الرقعة – مذهب المطرف المعجب، وهو مما لم أسبق إلى مثله من مقدمي أهل هذه الصناعة من الذكور دون الإناث، أظهرت فيه المعجز من عاجز، والكامل من ناقص، كما قال قابوس بن وشمكير، وقد يستعذب الشريب من منبع الزعاق، ويستطاب الصهيل من مخرج النهاق. جعلت في ذلك إقبال المجلس العالي – ضاعف الله اقتداره – قائداً إلى طرق الرشاد، وعز سلطانه هادياً مبصراً إلى سبل الإصابة والمراد، وأظهرت الحروف مفصولة وموصولة ومعماة ومفتحة في أحسن صيغها وأبهج خلقها، منخرطة المحاسن في سلك نظامها، متساوية الأجزاء في تجاورها والبناء. فهي لينة المعاطف والأرداف، متناسبة الأوساط والأطراف، ظاهرها وقور ساكن، ومفتشها رهج مائن، وإن استخدمت إلى مهم يسنح، أوفيت فيه على كل مرتسم في هذا الشأن قديماً وحديثاً، وسالفاً وآنفاً، أؤمل بذلك الحظوة من إحماده وجميل رعايته، سمع الله سبحانه فيه كل دعاء مستجاب من الأمة الكاتبة، ومن يتعلق عليها من وليدة ومولود، وشريف ومشروف، وعجوز داعية، وأمة خادمة لما يوليها وينعم عليها، ويعرف موضع خدمتها، ومحل صنعتها، – لا سلبها الله وسائر الخلق ظله بمنه – ، قد ترادف الإنعام عليها دفعة واحدة بعد أخرى، وثانية بعد أولى، على يد الشيخ الأجل السيد فخر الكفاءة أبي الحسين – أدام الله تأييده – وتولى عني من غير حق عارفته، ما لا يقوم بوسعه ألسنة القائلين، وشكر الشاكرين، فإذا أنعم على ما أصدرته من الخدم بلحظة، وأحسن إليه بلمحة، أدركت حظي وحزنت أملي، والرأي السامي في إجابتي إلى ما سألت، وإثباتي في جملة المغمورين بالإحسان من الأدباء والحشم والعبيد والخدم، علوه وشرفه أن شاء الله تعالى.

ترجمة ثانية فاطمة بنت الحسن بن علي العطار

أم الفضل المعروفة بابنة الأقرع الكاتبة، صاحبة الخط المليح المعروف، ماتت فيما ذكره تاج الإسلام ومن خطه نقلت – قاله المؤلف عن أبي الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي الحافظ – في يوم الأربعاء الحادي والعشرين من المحرم من شهور سنة ثمانين وأربعمائة. قال السمعاني: وكان لها خط مليح حسن، وهي التي أهلت لكتابة كتاب الهدنة إلى ملك الروم من الديوان العزيز، وسافرت إلى بلاد الجبل إلى العميد أبي نصر الكندري. وكتب الناس على خطها، وكانت تكتب طريقة ابن البواب، سمعت أبا عمر عبد الواحد بن عبد الله بن مهدي الفارسي وغيره. سمع منها أبو القاسم مكي بن عبد الله الزميلي الحافظ.
وروى عنها أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي، وأبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الأنماطي ببغداد، وأبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسن البغدادي الحافظ بأصبهان وغيرهم.
سمعت أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزار العروضي يقول: سمعت الكاتبة بنت الأقرع تقول: كتبت ورقة لعميد الملك أبي نصر الكندري وأعطاني ألف دينار.
أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد الحافظ بقراءتي عليه، أخبرتنا فاطمة بنت الحسن بن علي العطار المقرئ قالت: أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي الفارسي، حدثنا أبو عبد الله الحسين بن إسماعيل المحاملي، حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا ابن فضيل، حدثنا الأعمش عن عبد العزيز بن رفيع، عن تميم بن طرفة، عن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه). أنشدنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر الحافظ الأشعبي، أنشدتنا الكاتبة أم الفضل فاطمة بنت الحسن بن علي المقرئ قالت: أنشدنا أبو القاسم المطرز في ديارنا بقطيعة الربيع لنفسه:

سرى مغرماً بالعيس ينتجع الركبا ... يسائل عن بدر الدجى الشرق والغربا
إذا ملأ البدر العيون فعنده ... لعينك بدر يملأ العين والقلبا
ولما هوى دمعي ليوم فراقه ... عقيقاً تهاوى دمعه لؤلؤاً رطبا
إذا لم تبلغني إليكم ركائبي ... فلا وردت ماءً ولا رعت العشبا

الفتح بن خاقان بن أحمد القائد

وقيل: الفتح بن خاقان بن غرطوج، كذا قال المرزباني في كتاب المعجم، قال محمد بن إسحق النديم: كان في نهاية الذكاء والفطنة وحسن الأدب وكان من أولاد الملوك، واتخذه المتوكل أخاً وكان يقدمه على جميع أولاده. قتل مع المتوكل ليلة قتل بالسيوف لأربع خلون من شوال سنة سبع وأربعين ومائتين بالمتوكلية، وكانت له خزانة كتب جمعها له علي بن يحيى المنجم لم ير أعظم منها كثرة وحسناً. وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء الكوفيين والبصريين. قال أبو هفان: ثلاثة لم أر قط ولا سمعت بأكثر محبة للكتب والعلوم من الجاحظ، والفتح بن خاقان، وإسماعيل بن إسحاق القاضي.

قال المؤلف: وباقي القصة في أخبار الجاحظ فكرهت التكرار. وللفتح من التصانيف: كتاب البستان صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه، ويلقب برأس البغل ونسبه إليه، كتاب الصيد والجوارح. وذكره أبو القاسم في تاريخ الشام فقال: الفتح بن خاقان بن غرطوج التركي أبو محمد قدم الشام مع المتوكل معادله على جمازة، ثم نزل بالمزة فلما رحل المتوكل عن دمشق استخلف بها كلباتكين التركي. وكان على خاتم المتوكل وقتل معه. روى عنه أبو زكريا يحيى بن حكيم الأسلمي شيئاً من شعره وأبو العباس المبرد، وأحمد بن يزيد المؤدب، فلم يذكره الخطيب في تاريخه. وعن محمد بن القاسم قال: دخل المعتصم يوماً إلى خاقان بن غرطوج يعوده فرأى الفتح بن خاقان ابنه وهو صبي لم يتغد فمازحه ثم قال: أيما أحسن داري أم داركم؟ فقال الفتح بن خاقان: يا سيدي دارنا إذا كنت فيها أحسن، فقال المعتصم: لا أبرح والله حتى أنثر عليه مائة ألف درهم وفعل ذلك. وعن أبي العباس المبرد قال: أنشد الفتح بن خاقان:

لست مني ولست منك فدعني ... وامض عني مصاحباً بسلام

وإذ ما شكوت ما بي قالت ... قد رأينا خلاف ذا في المنام

فزاد الفتح بن خاقان:

لم تجد علة تجنى بها الذن ... ب فصارت تعتل بالأحلام

قال المبرد وسمعت الفتح ينشد قبل أن يقتل بساعات هذا البيت وهو:

وقد يقتل الغتمي مولاه غيلة ... وقد ينبح الكلب الفتى وهو غافل

وكان الفتح يتعشق خادماً للمتوكل اسمه شاهك، وله فيه أشعار منها:

أشاهك، ليلي مذ هجرت طويل ... وعيني دماً بعد الدموع تسيل

وبي منك والرحمن ما لا أطيقه ... وليس إلى شكوى إليك سبيل

أشاهك لو يجزى المحب بوده ... جزيت ولكن الوفاء قليل

قال ابن حمدون: كان الفتح بن خاقان يأنس بي ويطلعني على الخاص من سره، فقال لي مرة: شعرت يا أبا عبد الله، إني انصرفت البارحة من مجلس أمير المؤمنين، فلما دخلت منزلي استقبلتني فلانة يعني جاريته فلم أتمالك أن قبلتها، فوجدت ما بين شفتيها هواء لو رقد المخمور فيه لصحا، فكان هذا من مستحسن كلام الفتح، فكأن الوأواء الدمشقي سمع هذا حين قال:

سقى الله ليلاً طاب إذ زار طيفه ... فأفنيته حتى الصباح عناقا

يطيب نسيم منه يستجلب الكرى ... ولو رقد المخمور فيه أفاقا

تملكني لما تملك مهجتي ... وفارقني لما أمنت فراقا

ووجدت في بعض المجاميع للفتح بن خاقان يصف الورد:

أما ترى الورد يدعو الشاربين إلى ... حمراء صافية في لونها صنب

مداهن من يواقيت مركبة ... على الزمرد في أجفانها ذهب

خاف الملال إذا طالت إقامته ... فصار يظهر أحياناً ويحتجب

كان أديباً فاضلاً، زكي النفس حسن العشرة، لطيف الأخلاق، متوددا محبباً إلى كل من يكلمه، وكان غاية

في الجود، وكان قد تنزل من المتوكل بمنزلة الروح من الجسد، وكان خدم قبله المعتصم والواثق. فذكر أبو العيناء قال: قال الفتح بن خاقان: غضب علي المعتصم ثم رضي عني وقال لي: ارفع حوائجك لتقضى، فقلت: يا أمير المؤمنين، ليس شيء من عرض الدنيا وإن جل، يفي برضا أمير المؤمنين وإن قل. قال: فأمر فحشي فمي جوهراً.

أخبرني أبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار الحافظ قال: أخبرني أبو القاسم الثعلبي، حدثنا الفضل بن سهل، حدثنا الخطيب أبو بكر، أخبرنا محمد بن محمد بن المظفر السراج، حدثنا المرزباني، أخبرني محمد بن يحيى الصولي، حدثني أحمد بن عبد الرحمن، حدثني وهب بن وهب بن وهب، حدثني البحتري قال: قال المتوكل: قل في شعراً وفي الفتح، فإني أحب أن يحيا معي ولا أفقده فيذهب عيشي، ولا يفقدني فيذل، فقل في هذا المعنى، فقلت أبياتي:

سيدي أنت كيف أخلفت وعدي ... وتثاقلت عن وفاء بعهدي

فقلت فيها:

لا أرتني الأيام فقدك يا فت ... ح ولا عرفتك ما عشت فقدي

أعظم الرزء أن تقدم قبلي ... ومن الرزء أن تؤخر بعدي

حسداً أن تكون إلفاً لغيري ... إذ تفردت بالهوى قبل وحدي

قال البحتري: فقتلا معاً وكنت حاضراً وربحت هذه الضربة، وأومأ إلى ضربة في ظهره فقال: أحسنت والله يا بحتري وجئت بما في نفسي، وأمر لي بألف دينار. وقال غير وهب الراوي للخبر: قال البحتري: قد كنت عملت هذه الأبيات في غلام كنت أكلف به، فلما أمرني المتركل بما أمر تنحيت فقلت الأبيات، وأريته أنني عملتها في وقتي وما غيرت فيها إلا لفظة واحدة، فإنني كنت قد قلت:

لا أرتني الأيام فقدك ما عشت

فجعلته يا فتح. ويحدث الشمشاطي علي بن محمد، حدثني محمد بن عبد الله، حدثني أحمد بن الفضل الهاشمي، حدثنا علي بن الجهم القرشي قال: دخلت على المتوكل يوماً وهو جالس وحده، فسلمت عليه فرد السلام وأجلسني فحانت مني التفاتة فرأيت الفتح بن خاقان واقفاً في غير رتبته التي كان يقوم فيها متكئاً على سيفه مطرقاً، فأنكرت حاله فكنت إذا نظرت إليه نظر إلى الخليفة، فإذا صرفت وجهي نحو الخليفة أطرق، فقال: يا علي، أأنكرت شيئاً؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين. فقال: ما هو؟ قلت: وقوف الفتح في غير رتبته التي كان يقوم فيها.

قال: سوء اختياره أقامه ذلك المقام. قلت: ما السبب يا أمير المؤمنين؟ قال: خرجت من عند قبيحة آنفاً فأسررت إليه سراً فما عداني السر إذ عاد إلي.

قلت: لعلك أسررته إلى غيره يا أمير المؤمنين؟ قال: ما كان هذا. قلت: فلعل مستمعاً استمع عليكما. قال: ولا هذا أيضاً. قال: فأطرقت ملياً ثم رفعت رأسي فقلت: يا أمير المؤمنين، قد وجدت له مما هو فيه مخرجاً. قال: ما هو؟ قلت: حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين، حدثنا المستمر بن سليمان عن أبي الجوزاء قال: طلقت

امرأتي في نفسي وأنا في المسجد ثم انصرفت إلى منزلي، فقالت لي امرأتي: أطلقتني يا أبا الجوزاء؟ قلت: من أين لك هذا؟ قالت: خبرتني جارتي الأنصارية، قلت: ومن خبرها بذلك؟ قالت: ذكرت أن زوجها خبرها بذلك. فغدوت على ابن عباس فقصصت عليه القصة فقال: علمت أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل، فمن ههنا يفشو السر.

قال أبو النعيم: فكان في نفسي من هذا شيء حتى حدثني حمزة الزيات قال: خرجت سنة من السنين أريد مكة، فلما جزت في بعض الطريق ضلت راحلتي، فخرجت أطلبها فإذا باثنين قد قبضا علي، أحس حسهما وأسمع كلامهما ولا أرى شخصهما، فأخذاني وجاءا بي إلى شيخ قاعد على تلعة من الأرض حسن الشيبة فسلمت عليه فرد علي السلام، فأفرخ روعي ثم قال: من أين وإلى أين؟ فقلت: من الكوفة أريد مكة. قال: ولم تخلفت عن أصحابك؟ فقلت: ضلت راحلتي فجئت أطلبها، فرفع رأسه إلى قوم على رأسه فقال: زاملة، فأنيخت بين يدي، ثم قال لي: أتقرأ القرآن؟ قلت: هاته. فقرأت حم الأحقاف حتى انتهيت إلى هذه الآية: (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن)، الآية، فقال لي: على رسلك تدري كم كانوا؟قلت: اللهم لا، قال: كنت أربعة وكنت المخاطب لهم عنه صلى الله عليه وسلم. فقلت: يا قومنا أجيبوا داعي الله. ثم قال لي: أتقول الشعر؟ قلت: اللهم لا. قال: أفترويه؟ قلت: نعم. قال: هاته، فأنشدته قصيدة:

أمن أم أوفى دمنة لم تكلم ... بحومانة الدراج فالمتثلم

فقال: لمن هذه؟ فقلت: لزهير بن أبي سلم، قال: الجني؟ قلت: بل الإنسي مراراً، فرفع رأسه إلى قوم على رأسه، فقال: زهير: فأتي بشيخ كأنه قطعة لحم فألقي بين يديه فقال له: يا زهير، قال: لبيك، قال: أمن أم أوفى، لمن؟ قال: لي. قال: هذا حمزة الزيات يذكر أنها لزهير بن أبي سلمى الإنسي، قال: صدق هو، وصدقت أنت. قال: وكيف هذا؟ قال: هو إلفي من الإنس، وأنا تابعه من الجن، أقول الشيء فألقيه في وهمه، ويقول الشيء فآخذه عنه، فأنا قائلها في الجن، وهو قائلها في الإنس. قال أبو نعيم: فصدق عندي هذا الحديث حديث أبي الجوزاء: أن وسواس الرجل يحدث وسواس الرجل، فمن ههنا يفشو السر.

قال: فاستفرغ المتوكل ضحكاً وقال: إلي يا فتح، فصب عليه خلعاً، وحمل على شيء من الظهر، وأمر له بمال وأمر لي بدون ما أمر له به، فانصرفت إلى منزلي وقد شاطرني الفتح ما أخذ، فصار الأكثر إلي والأقل عنده، قال جحظة في أماليه: حدثني المبرد قال: أنشدني الفتح بن خاقان لنفسه:

وإني وإياها لكالخمر والفتى ... متى يستطع منها الزيادة يزدد

إذا ازددت منها ازددت وجداً بقربها ... فكيف احتراس من الهوى متجدد؟

قال: فحدثني ابن حمدون قال: لما قال الفتح هذه الأبيات أنشدتها المتوكل فسألني عن قائلها، فعرفت أنه الفتح فاستحسنها وقال لي: بأبي أنت من جامع محاسن الدنيا. وبلغ هذا الشعر أبا علي البصير الفضل بن جعفر فقال في الفتح:

سمعت بأشعار الملوك فكلها ... إذا عض متنيه الثقاف تأودا

سوى ما رأينا لامرئ القيس أننا ... نراه إذا لم يشعر الفتح أوحدا

قال المرزباني: ومن شعر الفتح بن خاقان:

بني الحب على الجور فلو ... أنصف المحبوب فيه لسمج

ليس يستملح في حكم الهوى ... عاشق يحسن تأليف الحجج

قال المؤلف: وهذان البيتان يرويان لعلية بنت المهدي. قال المرزباني: وللفتح بن خاقان:

أيها العاشق المعذب صبراً ... فخطايا أخي الهوى مغفوره

زفرة في الهوى أحط لذنب ... من غزاة وحجة مبروره

وقال عمران بن موسى: سمعت الفتح بن خاقان يقول لأحمد بن أبي فنن الشاعر: يا أحمد، قال: لبيك يا سيدي، وهذا في أول سنة سبع وأربعين ومائتين، اعمل أبياتاً حساناً تمدح بها سيدي أمير المؤمنين، واذكر في آخرها أنس شفيعك حتى آخذ لك منه ما يسد خلتك، فما أسرع فقدك لي! فبكى ابن أبي فنن، قال: يا سيدي على الدنيا بعلك لعة الله. قال له: على الدنيا قبلي وبعدي لعنة الله، فما صافت منحرفاً عنها نابذاً لها، ولا وفت لمتمسك بها راغب فيها أبو بكر محمد بن جعفر الخرائطي: حدثنا العباس بن الفضل الربعي، حدثنا علي بن الجهم قال: إني لعند المتوكل يوماً والفتح بن خاقان حاضر إذ قيل له: فلان النخاس بالباب، فأذن له فدخل ومعه وصيفة فقال له أمير المؤمنين: ما صناعة هذه الوصيفة؟ قال: تقرأ بالألحان، فقال الفتح: اقرئي لنا خمس آيات، فاندفعت تقول:

قد جاء نصر الله والفتح ... وشق عنا الظلمة الصبح

خدين ملك ورجا دولة ... وهمه الإشفاق والنصح

الليث إلا أنه ماجد ... والغيث إلا أنه سمح

وكل باب للندى مغلق ... فإنما مفتاحه الفتح

قال: فوالله لقد دخل المتوكل من السرور ما قام إلى الفتح فوقع عليه يقبله ووثب الفتح فقبل رجله، فأمره أمير المؤمنين بشرائها، وأمر له بجائزة وكسوة وبعث بها إلى الفتح، فكانت أحظى جواريه عنده، فلما قتل الفتح رثته بهذه الأبيات:

قد قلت للموت حين نازله ... والموت مقدامة على البهم

لو تبينت ما فعلت إذن ... قرعت سنا عليه من ندم

فاذهب بمن شئت إذ ذهبت به ... ما بعد فتح للموت من ألم

ولم تزل تبكي وتنوح عليه حتى ماتت.

الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان

القيسي الإشبيلي، وقيل: هو من أهل الأندلس، أديب فاضل شاعر بليغ فصيح بذيء اللسان قوي الجنان في هجاء الأعيان، وكان متهم الخلوة فيما بلغني، مات في حدود سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة

وقال العماد: سألت عنه بمصر فقيل: إنه عاش بالمغرب إلى عهد شاور بمصر، فقد توفي بعد سنة خمس وخمسين وخمسمائة. وقال لي بعض المغاربة: إنه توفي قبل هذا التاريخ. له من التصانيف: كتاب قلائد العقيان، كتاب مطمح الأنفس ومسرح التأنس.

حدثني الصاحب الكبير العالم جمال الدين بن أكرم – أدام الله علوه – قال: لما عزم ابن خاقان على تصنيف كتاب قلائد العقيان جعل يرسل إلى كل واحد من ملوك الأندلس ووزرائها وأعيانها من أهل الأدب والشعر والبلاغة يعرفه عزمه ويسأله إنفاذ شيء من شعره ونظمه ونثره ليذكره في كتابه، وكانوا يعرفون شره وثلبه فكانوا يخافونه وينفذون إليه ذلك وصرر الدنانير، فكل من أرضته صلته أحسن في كتابه وصفه وصفته، وكل من تغافل عن بره هجاه وثلبه، وكان ممن تصدى له وأرسل إليه، أبو بكر بن باجة المعروف بابن الصائغ، وكان وزير ابن فلويت صاحب المرية، وهو أحد الأعيان وأركان العلم والبيان، شديد العناية بعلم الأوائل، مستول على أهل الأشعار والرسائل، وكانوا يشبهونه بالمغرب بابن سينا بالمشرق، وله تصانيف في المنطق وغيره، فلما وصلته رسالته تهاون بها ولم يعرها طرفه، ولا لوى نحوها عطفه وذكر ابن خاقان بسوء فعله، فجعله ختم كتابه، وصيره مقطع خطابه وقال: أبو بكر الصائغ: هو رمد جفن الدين وكمد نفوس المهتدين، اشتهر سخفاً وجنوناً، وهجر مفروضاً ومسنوناً، وضل فيما يتسرع، ولا يأخذ في غير الأباطيل ولا يشرع، ولا يرد سوى الغمة ولا يكرع، ناهيك من رجل ما تطهر من جنابة، ولا أظهر مخيلة إنابة، ولا استنجى من حدث، ولا أشجى فؤاده توار في جدث، ولا أقر بباريه ومصوره، ولا فر عن تباريه في ميدان تهوره، والإساءة إليه أجدى من الإحسان، والبهيمة عنده أهدى من الإنسان، نظر في تلك التعاليم، وفكر في أجرام الأفلاك وحدود الأقاليم، ورفض كتاب الله العلي العظيم، ونبذه وراء ظهره ثاني عطفه، وأراد إبطال ما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، واقتصر على الهيئة، وأنكر أن تكون إلى الله الفيئة، وحكم للكواكب بالتدبير، فهو يعتقد أن الزمان دور، وأن الإنسان نبات له نور، مع منشأ وخيم ولؤم أصل وخيم، وصورة شوهها الله وقبحها، وطلعة إذا أبصرها الكلب نبحها، وقذارة يوبئ البلاد نفسها، ووضارة يحكي الحداد دنسها، وله نظم أجاد فيه بعض الإجادة، وشارف الإحسان أو كاده، مع كلام طويل، وهجو وبيل، وبلغ ذلك ابن الصائغ فأنفذ له مالاً استكفه به واستصلحه. وصنف ابن خاقان كتاباً آخر سماه: مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ذيل شعراء الأندلس، وصله بقلائد العقيان، وافتتحه بذكر ابن الصائغ وأثنى عليه فيه ثناءً جميلاً فقال: الوزير أبو بكر بن الصائغ هو بدر فهم ساطع، وبرهان علم لكل حجة قاطع، تفرحت بعطره الأعصار، وتطيبت بذكره الأمصار، وقام به وزن المعارف واعتدل، ومال وتهدل، وعطل بالبرهان التقليد، وينفق بعد عدمه الاختراع والتوليد، إذا قدح زند فهمه أورى بشرر للجهل محرق، وإن طما بحر خاطره فهو لكل شيء مغرق، مع نزاهة النفس وصونها، وبعد الفساد من كونها، والتحقيق الذي هو للإيمان شقيق، والجد الذي يخلق العمر وهو مستجد، وله أدب يود عطارد أن يلتحفه، ومذهب يتمنى أن يعرفه، ونظم تتمناه اللبات والنحور، وتدعيه مع نفاسة جوهرها البحور. وقد أتيت بما تهوى الأعين النجل أن يكون إثمدها، ويزيل من النفس حزنها وكمدها، فمن ذلك قوله يتغزل:

أسكان نعمان الأراك تيقنوا ... بأنكم في ربع قلبي سكان

ودوموا على حفظ الوداد فطالما ... بلينا بأقوام إذا استحفظوا خانوا
سلوا الليل عني مذ تناءت دياركم ... هل اكتحلت لي فيه بالنوم أجفان؟
وهل جردت أسياف برق دياركم ... فكانت لها إلا جفوني أجفان؟
وله:
أتأذن لي آتي العقيق اليمانيا ... أسائله ما للمغاني ومالياً؟
وسل دارهم بالحزن أقفر إنني ... تركت الهوى يقتاد فضل زماميا
فيا مكرع الوادي أما فيك شوبة ... لقد سال فيك الماء أزرق صافيا؟
ويا شجرات الجزع هل فيك وقفة ... فقد فاء فيك الفيء أخضر ضافيا؟
وقد جرى في هذا الميدان فأحسن كل الإحسان.

الفضل بن إسماعيل التميمي

أبو عامر الجرجاني أديب أريب فاضل لبيب، أحد أصحاب عبد القاهر الجرجاني النحوي، وكان مليح الخط صحيح الضبط رائق النظم فصيح النثر، جيد التصنيف، حسن التأليف، ذكره محمد بن محمود في كتاب سر السرور فقال: رباع الفضل بتصانيفه عامرة، ورياض الأدب بكلماته ناضرة، فكان الربيع فضلة من بدائعها، والزهر ضرة لروابعها، وشعره يطرق السحر بين يديه، ويهتف الملح بحفافيه تقرأ آيات الإحسان من أبياته. وتخفق عذبات الإبداع من راياته.
وله تصنيفات باسم الشيخ الأجل عبد الحميد أهداها إليه بغزنة فأشرقت بها أرجاؤها، وأغدقت أنواؤها منها: كتاب البيان في علم القرآن. وكتاب عروق الذهب من أشعار العرب. وكتاب سلوة الغرباء وغيرها.
وقال عبد الغافر في كتاب السياق: الفضل بن إسماعيل التميمي الشيخ أبو عامر الجرجاني النحوي الكاتب الأديب الشاعر من أفاضل عصره، وأفراد دهره، حسن النظم والنثر، متين في الفضل: كتب مدة للشيخ الرئيس أبي المحاسن الجرجاني وغيره، وصحب الكتاب والمشايخ، سمع الحديث من المشايخ الذين سمعنا منهم، مثل الشيخ أبي سعد بن رامش، وأبي نصر بن رامش المقرئ، وأبي بكر احمد بن علي بن خلف الشيرازي، وأبي القاسم إسماعيل بن زاهر النوقاني، وسمع من الشيخ أبي بكر أحمد بن منصور بن خلف المغربي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وسمع من المشايخ الإسماعيلية وغيرهم في شبابه، ولم يذكر وفاته لكنه كان قد مات في حياة عبد الغافر. وكان ورد نيسابور واجتمع به الأديب يعقوب بن أحمد المذكور في بابه، وسأله أن يكتب له بخطه في كتابه الذي سماه: جونة الند. وهو مجموع جمع فيه يعقوب من أشعار نفسه وغيره من اهل عصره ومن تقدمه، وظفرت أنا بأصل يعقوب الذي بخطه وفيه بخط أبي عامر الذي لا أرتاب به ما نقلته بصورته بعد أن أسقطت بعض النظم، وأما النثر فلا. وهذا نسخة خطه: سألني الشيخ الجليل الأديب – أدام الله نعمته – أن أكتب له في هذا الدفتر شيئاً من هاذوري، فترجحت بين صوارف تنهاني عن الإجابة ستراً لعورتي، ودواع تحثني على امتثال رسمه إظهاراً لطاعتي، وأنا على كل حال واثق بكرمه، ساكن إلى حسن شيمه، وعالم أنه يحرص على إقالة عثرة الإخوان، وستر عيوبهم بقدر الإمكان، والله أسأل أن يجبر نقيصتنا

بفضيلته، ويمحو إساءتنا بحسنته فإنه عليه قدير، وهاهو الهاذور:

بالله يا حتفي أما تستحي ... حتى متى توردني حتفي؟

تحلف لي أنك في كفي ... وعض كفي منك في كفي

وأنت يا قلبي إلى كم وكم ... تحيل بالذنب على طرفي!

وأيضاً:

خده الياسمين والخط فيه ... سنبل نابت على ياسمين

سمته قبلة فقال تحرز ... بين صدغي عقدنا التنين

وأيضاً:

إذا حفزتك نائبة لأمر ... فجئت إلى صغير أو كبير

فكاثره بهز بعد هز ... فإن الزبد بالمخض الكثير

وأيضاً في الرئيس أبي الفضل – أدام الله علوه – :

تولى الغانيات فليس عندي ... لهن سوى هوى أخفي وأبدي

رأين الشيب ألبسني قتيراً ... على حد البلى فنقضن عهدي

وسالمني الغيور فكل يوم ... يوازن بيننا، ود بود

وقنعني الزمان فلست آس ... على فوت الثراء وأنت عندي

وكل تعجبي طول الليالي ... لذلة ماجد يسعى لوغد!

فشكراً للإله فقد كفاني ... تولى غير عباس بن سعد

له قلبي وخالصتي وودي ... وفيه ترددي وإليه قصدي

ومنه معيشتي وصلاح حالي ... ومنصوب به غيبي ورشدي

وكل الناس يشرك في هواه ... وقد أفردته بهواي وحدي

فإن أفزع فكهف علاه حرزي ... وإن أعطش فبحر نداه وردي

فضلت الناس مأثرة وفخراً ... وطلتهم بإحسان ومجد

ولما صرت عبدك صار يرضى ... أنوشروان لو أرضاه عبدي

أدل عليك إدلال الموالي ... فلا نكر لديك ولا تعدي

وتلك مزية لي ليس تخفى ... ورثت مكانها من أبي وجدي

فعش ألفً معي في خير حال ... وألفاً بعدها ألفان بعدي

فكل الناس دونك آل قفر ... يغر بلمعة من غير رفد

وأنت الفرد مكرمة فكن لي ... تكن فرداً بلا شك لفرد

وأيضاً:

نشد على الموت مستبسلين ... غلاظ الرقاب غلاظ الكبود

ونفترع البيض سود القرو ... ن صفر الترائب حمر الخدود

وله أيضاً:

عذيري من شاطر أغضبوه ... فجرد لي مرهفاً باتكا

يقول: أنا لك يا بن الوكيل ... وهل لي رجاء سوى ذلكا؟

وأيضاً:

إني بليت بشادن ... بلواه عندي تستحب

فإذا بلوت طباعه ... فالماء يشرب وهو عذب

وإذا نضوت ثيابه ... فاللوز يقشر وهو رطب

وقصارى وصفي أنه ... فيما أحب كما أحب

وأيضاً:

قد ضاق صدري من صدور زماننا ... فهم جماع الشر بالإجماع

يتضارطون فإن شكوت ضراطهم ... شفعوا سماع الضرط بالإسماع

هذا يفرقع في الضراط وذاكم ... يرمي بمثل حجارة المقلاع

ومن البلية أن تعاشر معشراً ... يتضارطون الدهر بالإيقاع

وله:

مللت مكافحة الحادثات ... وكنت بها معجباً عاجبا

وحيرني الدهر حتى نشدت ... حماري وكنت له راكبا

وأيا:

أصبحت مثل عطارد في طبعه ... إذ صرت مثل الشمس في الإشراق

فلذاك ما ألقاك يوماً واحداً ... إلا قضيت علي بالإحراق

الشيخ الجليل الأديب – أدام الله نعمته – ، وأنعم علي بقراءة ما علقه عن دفتري علي، والله يمتعه به وبفضله، ويقر عين العلم بحراسته. وسمع معه ابنه الشيخ الفاضل أبو بكر الحسن، والفقيه الفاضل العالم أبو المجد محمد بن أبي القاسم – أبقاهما الله – وكذلك سمعوا جميعاً ما أبنته من هاذوري بخطي. وكتب الفضل بن إسماعيل أبو عامر الجرجاني ومن خطه نقلت: كتب إلى الكيا الأجل أبو الفتح رحمه الله:

أبا عامر إن الرتائم إنما ... تذكر بالأمر، العبام المغمرا

ولكن من عيناه درج فؤاده ... فليس بمحتاج إلى أن يذكرا

وكتب أيضاً إلى الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر:

ما أبو عامر سوى اللطف شيء ... إنه جملة كما هو روح

كل ما لا يلوك من سر معنى ... عند تفكيره فليس يلوح

قال المؤلف: هذا آخر ما نقلته من خط أبي عامر رحمه الله – . وله من التصانيف: كتاب عروق الذهب في الشعر واختياره، كتاب قلائد الشرف في الشعر أيضاً، كتاب البيان في علم القرآن، كتاب سلوة الغرباء.

ونقلت من خط الأديب يعقوب بن أحمد النيسابوري وتصنيفه رقعة كتبها الشيخ الفقيه الجليل أبو عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني – أدام الله تأييد – إلى الشيخ الرئيس الشهيد أبي المحاسن سعد – رحمه الله – .
قال يعقوب: وكتبتها من خطه إبان مقدمه نيسابور في شعبان سنة ثمان وخمسين وأربعمائة: أنا في هذه السنة – أطال الله بقاء الشيخ – من الاختلال والتكشف والاعتلال والتشعث، على صورة أستحيي من عرضها، وآنف من شرحها، وقد رحب عامتها بما أشكر الله تعالى عليه، وأدرع الصبر في كل ما يمتحن عباده به، وأعمل الحيلة من الآن في استقراض ما عسى أن يبلغني المحل، ولكن من يقرض أبا فرعون بعد وقوفه بالأبواب مع العصا والجراب؟ وأسأل الله تعالى السلامة، ثم أسأل سيدنا أن ينظر واحدة فيما أقول من قبل أن يعضل الداء فلا ينفع الدواء، ويعظم النقب فلا ينجع الهناء، وأن يجعل عنوان بره ألا يرى تعليق هذه الرقعة ضراعة أو رفاعة، فما في شرط الحكمة أن أكتم عنه متربة، وأتضور جوعاً ومسغبة. ولولا مكاني من خدمته، ومكاني من شفقته، لكان استفاف الملة أحب إلي من إظهار الخلة، والسلام.
ومن كتاب مرو لأبي سعد السمعاني لأبي عامر الفضل بن إسماعيل الجرجاني التميمي يصف هرة:
إن لي هرة خضبت شواها ... دون ولدان منزلي بالرقون
ثم قلدتها لخوفي عليها ... ودعات ترد شر العيون
كل يوم أعولها قبل أهلي ... بزلال صاف ولحم سمين
وهي تلعابة إذا ما رأتني ... عابس الوجه وارم العرنين

فتغني طوراً وترقص طوراً ... وتلهى بكل ما يلهيني
لا أريد الصلاء إن ضاجعتني ... عند برد الشتاء في كانون
وإذا ما حككتها لحستني ... بلسان كالمبرد المسنون
وإذا ما جفوتها استعطفتني ... بأنين من صوتها ورنين
وإذا ما وترتها كشفت لي ... عن جراب ليست متاع العيون
أملح الخلق حين تلعب بالفا ... ر فتلقيه في العذاب المهين
وإذا مات حسه أنشرته ... بشمال مكروبة أو يمين
وتصاديه بالغفول فإن را ... م انحجاراً علته كالشاهين
وإذا ما رجا السلامة منها ... عاجلته بنشطة التنين
وكذاك الأقدار تفترس المر ... ء وتغتاله بقطع الوتين
بينما كان في نشاط وأنس ... إذ سقاه ساق بكاس المنون
ويروى له.
علقتها بيضاء ظامية الحشا ... تسبي القلوب بحسنها وبطيبها
مثل الشقائق في احمرار خدودها ... للناظرين وفي اسوداد قلوبها
وله:

وقد يستقيم المرء فيما ينوبه ... كما يستقيم العود في عرك أذنه
ويرجح من فضل الكلام إذا مشى ... كما يرجح الميزان من فضل وزنه

الفضل بن إبراهيم بن عبد الله الكوفي

أبو العباس النحوي المقري، أخذ القراءة عن أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي، وقرأ الكسائي على عيسى بن عمر الهمذاني عن حمزة الزيات، ولا أعرف من حاله أكثر من هذا، وله اختيار في أحرف يسيرة، وإنما ذكرته لأنه يعرف بالنحوي.

الفضل بن الحباب

بن محمد بن شعيب ابن صخر الجمحي يكنى أبا خليفة من أهل البصرة، قال أبو الطيب اللغوي: هو ابن أخت محمد بن سلام الجمحي من رواة الأخبار والأدب والأشعار والأنساب، مات في شهر ربيع الأول من سنة خمس وثلاثمائة بالبصرة، وكان قد ولي القضاء بالبصرة وكان أعمى، روى عن خاله كتبه فأكثر وعن غيره، وروى له من الكتب: كتاب طبقات شعراء الجاهلية، كتاب الفرسان، وكان شاعراً. فمن شعره ما أنشد محمد بن عمر بن عثمان البغدادي عنه.

قالوا: نراك تطيل الصمت قلت لهم: ... ما طول صمتي من عي ولا خرس
لكنه أحمد الأمرين عاقبة ... عندي وأبعده من منطق شكس
أأنشر البز فيمن ليس يعرفه ... أو أنثر الدر للعميان في الغلس
قالوا: نراك أديباً لست ذا خطل ... فقلت: هاتوا أروني وجه مقتبس
لو شئت قلت ولكن لا أرى أحداً ... يروي الكلام فأعطيه مدى النفس

وقد روى من جهة أخرى أن هذه الأبيات لابن دريد لما نول سيراف سئل أن يجلس للقراءة عليه فأبى ذلك إن لم يكن هناك من يساوي أن يجلس له، فكتب هذه الأبيات في قبلة مسجد سيراف وانصرف.

نقلت من خط أبي سعد السمعاني بإسناد له قال: ألقيت رقعة إلى أبي خليفة الفضل بن الحباب القاضي فيها:

قل للحكيم أبي خليفه ... يا زين شيعة ابي حنيفه
إني قصدتك للذي ... كاتمت من حذر وخيفه
ماذا تقول لطفلة ... في الحسن منزلها شريف؟
تصبو إلى زين الورى ... من غير ما بأس عفيفه

فقرأ الرقعة ثم كتب على ظهرها:

يا من تكامل ظرفها ... حال الهوى حال شريفه
إن كنت صادقة الذي ... كاتمت من حزن وخيفه
فلك السعادة والشها ... دة والجلالة يا شريفه

هذا النصاح بعينه ... وبه يقول أبو حنيفه

نقلت من خط الإمام الحافظ حقاً صديقنا ومفيدنا أبي نصر عبد الرحيم بن النفيس بن وهبان من كتاب الإرشاد في معرفة علماء الحديث تصنيف الخليل بن عبد الله بن محمد الحافظ القاضي، أنشدني الصاحب إسماعيل بن عباد الوزير، أنشدني أبي، أنشدني أبو خليفة لنفسه:

شيبان والكبش حدثاني ... شيخان بالله عالمان

قالا: إذا كنت فاطمياً ... فاصبر على نكبة الزمان

قال: إني سألت أبا خليفة عن الكبش من هو؟ قال: أبو الوليد الطيالسي، وشيبان هو ابن فروخ الأبلي، قال الخليل: قلت لعبد الله بن محمد: هذا يدل على أن أبا خليفة كان يميل إلى التشيع، فقال: نعم. قرأت بخط أبي سعد أيضاً بإسناد له إلى أبي سهل هارون بن أحمد بن هارون الأستراباذي قال: أنشدنا الفضل بن الحباب الجمحي القاضي لنفسه:

ومتعب السفر مرتاح إلى بلد ... والموت يرصده في ذلك البلد

وضاحك والمنايا فوق هامته ... لو كان يعلم غيباً مات من كمد

آماله فوق ظهر النجم شامخة ... والموت من تحت إطليه على الرصد

من كان لم يعط علماً في بقاء غد ... ماذا تفكره في رزق بعد غد؟

قرأت في كتاب هراة للفامي قال: روى عن محمد بن إبراهيم بن عبدويه بن سدوس بن علي أبي عبد الله المسندي أنه قال: كنا عند أبي خليفة القاضي بالبصرة، فدخل عليه اللص داره فصاح ابنه باللص، فخرج أبو خليفة إلى صحن الدار وقال: أيها اللص، مالك ولنا؟ إن أردت المال فعليك بفلان وفلان، إنما عندنا قمطران: قمطر فيه أحاديث، وقمطر فيه أخبار، إن أردت الحديث حدثناك عن أبي الوليد الطيالسي، وأبي عمر الجوصي وابن كثير وهو محمد وإن أردت الأخبار أخبرناك عن الرياشي عن الأصمعي ومحمد بن سلام. فصاح ابنه إنما كان كلباً. فقال: الحمد لله الذي مسخه كلباً ورد عنا حربا.

وذكر التنوخي هذه الحكاية وقال في آخرها: فقال له غلامه: يا مولاي، ليس إلا الخير، إنما هو سنور. فقال أبو خليفة: الحمد لله الذي مسخه هراً وكفانا شراً.

قال المؤلف: ومثل هذه الحكاية تحكى عن أبي حية النميري مشهورة عنه وقال في آخرها: الحمد لله الذي يمسخه كلباً وردنا حرباً.

وقرأت في كتاب أبي علي التنوخي.

حدثني أبي رضي الله عنه: أن صديقاً لأبي خليفة القاضي اجتاز عليه راكباً وهو في مسجده فسأله أن ينزل عنده فيحادثه. فقال: أمضي وأعود، فقال له أبو خليفة: إيحاشك فقد، وإيناسك وعد. قال: وكان أبو خليفة كثير الاستعمال للسجع في كلامه، وكان بالبصرة رجل يتحامق ويتشبه به يعرف بأبي الرطل، لا يتكلم إلا بالسجع هزلا كله، فقدمت هذا الرجل امرأته إلى أبي خليفة وهو يلي قضاء البصرة إذ ذاك وادعت عليه الزوجية والطلاق، فأقر لها بهما. فقال له أبو خليفة: أعطها مهرها. فقال أبو الرطل: كيف

أعطيها مهرها ولم تقلع مسحاتي نهرها؟. فقال له أبو خليفة: فأعطها نصف صداقها. فقال: لا، أو أرفع بساقها وأضعه في طاقها. فأمر به أبو خليفة فصفع. قال وأخبرني غير واحد أن أبا الرطل هذا، كان إذا سمع رجلاً يقول: لا ننكر لله قدرة، قال هو: ولا للهندبا خضرة.

ولا للزردج صفرة، ولا للنخلة بسرة، ولا للعصفر حمرة، ولا للقفا نقرة.

حدث أبو علي التنوخي حدثني أبو علي الحسن بن سهل بن عبد الله الإيذجي، وكان يخلف أبا علي على القضاء بإيذج ورامهرمز ثم لم يزل على الحكم، ونادم أبا محمد المهلبي في وزارته فغلب عليه، وعلا محله عنده وتخالع وتهتك فيما لا يجوز للقضاة، وكان يدعي بالقضاء ويخاطبه أبو محمد في الوزارة في كتبه بسيدي القاضي، وكان له محل مكين من الأدب. قال: وردت البصرة وأنا حديث السن لأكتب العلم وأتأدب، فلزمني أبو عبد الله المسمعي وكنت أقتصر عليه، فكتب إلي يوماً وقد قرص الهواء:

أيهذا الفتى وأنت فتى ال ... دهر إذا عز أن يقال فتى

طوبى لمن كان في الشتاء له ... كاس وكيس وكسوة وكسا

وكتب في الرقعة: وقد بقيت كاف أخرى لولا أني أحب تقليل المئونة عليك لذكرتها يعين الكس فبعث إليه بجميع ما التمسه. قال التنوخي: وحدثني قال: كان أبو خليفة القاضي صديقاً لأبي وعمي أيام وفد إلى كور الأهواز في فتنة الزنج، فلما قدمت إلى البصرة قدمتها مع أبي فأنزلنا أبو خليفة داره وأكرمنا وأمكنني من كتبه، فكنت أقرأ عليه كل ما أريد، وأسمع كيف شئت؟ وأكتب وأنسخ لنفسي، وأصوله لي مبذولة، فإذا كان الليل جلسنا وتحادثنا، فربما أحببت القراءة عليه فيجيبني فإذا أضجرته يقول: يا بني روحني فأقطع القراءة، وإذا استراح أخرج من كمه دفتراً من ورق أصفر فيقول: اقرأ علي منه فإنه خطي، وما تقرؤه علي فهو من خط غيري، فكنت أقرأ عليه منه، وكان فيه ديوان عمران بن حطان، فكان يبكي على مواضع منه، فأنشدته ليلة القصيدة التي فيها البيتان المشهوران – :

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوماً فأحسبه ... أوفى البرية عند الله ميزانا

فبكى عليهما لما انتهيت إليهما حتى كاد يغمى، فاستطرفت ذلك وعجبت منه، فلما كان من الغد اجتمعت مع المفجع فحدثته بذلك واغتررت به للأدب واستكتمته إياه فأشاعه وأذاعه وعمل:

أبو خليفة مطوي على دخن ... للهاشميين في سر وإعلان

ما زلت أعرف ما يخفى وأنكره ... حتى اصطفى شعر عمران بن حطان

وأنشدنيها لنفسي أنشدها غيري، فكتبها عنه بعض أهل الأدب في رقعة لطيفة وجعلها في مقلمته وحضرنا عند أبي خليفة في مجلس عام ففض الرجل مقلمته وقد أنسي ما فيها فسقطت الرقعة وانصرف الناس ووجدها أبو خليفة وقرأها فاستشاط. وقال ابن الإيذجي: قبحه الله وترحه أشاط بدمي؟ علي بأبي العباس الساعة، يعني والدي، فجاءه وحدثه الحديث، فوقعت في ورطة وكادت الحال أن تنفرج بيني وبين أبي، ومنعني أبو خليفة القراءة واحتشمني، فحملت إليه ثياباً لها قدر، وأهديت إليه من مأكل الجند واعتذرت

إليه، فرجع إلي وقبل عذري، وداود تدريسي ومكنني من القراءة عليه، فقرأت كتاب الطبقات وغيره مما كان عنده. وقال: لا أظهر الرضا عنك أو تكذب نفسك، ففعلت ذلك وأعطيت المفجع ثوباً ديبقياً حتى كف عن إنشاد الأبيات وجحدها واعتذر إلى أبي خليفة قال: وقال أبو علي عقيب هذا: أكثر رواة العرب فيما بلغني عنهم إما خوارج وإما شعوبية كأبي عبيدة معمر بن المثنى، وأبي حاتم سهل السجستاني، وفلان وفلان وعدد جماعة. وقرأت بخط ابن مختار اللغوي المصري: أبو خليفة الفضل بن الحباب اشترى جارية فوجدها خشنة فقال: يا جارية، هل من بزاق أو بصاق أو بساق؟، العرب تنقل السين صاداً أو زاياً، فتقول: أبو الصقر والزقر والسقر، فقالت: الحمد لله الذي ما أماتني حتى رأيت حري قد صار ابن الأعرابي يقرأ عليه غرائب اللغة.

الفضل بن خالد أبو معاذ النحوي

المروزي مولى باهلة، روى عن عبد الله بن المبارك وعبيد بن سليم. روى عنه محمد بن علي بن الحسن بن شقيق وأهل بلده، مات سنة إحدى عشرة ومائتين. ذكر ذلك الحاكم بن البيع في تاريخ نيسابور.
قال الأزهري: ولأبي معاذ كتاب في القرآن حسن. قلت: وقد روى عنه الأزهري في كتاب التهذيب فأكثر، وذكره محمد بن حيان في تاريخ الثقات في الطبقة الرابعة بمثل ذلك سواء، ولعل الحاكم عنه نقل.

الفضل بن صالح العلوي الحسني

النحوي أبو المعالي اليماني، مات في سنة نيف وثمانين وأربعمائة، قال عبد الغافر: قال: وحضر نيسابور وسمع الحديث من مشايخنا الذين رأيناهم، ولا شك أنه سمع في أسفاره الكتب.

الفضل بن عمر بن منصور بن علي

أبو منصور، يعرف بابن الرائض الكاتب، من أهل باب الأزج، كان حافظاً لكتاب الله، قرأ بالعشر على علي ابن عساكر بالطائحي، وخطه غاية في الجودة على طريقة ابن هلال البواب، ولذلك أوردناه في هذا الكتاب. بلغني أن مولده في سنة اثنتين وخمسين وخمسمائة، ومات في جمادى الآخرة سنة تسع وستمائة.

الفضل بن محمد بناليزيدي

أبي محمد اليزيدي يكنى أبا العباس، وقد ذكرنا نسبه ونسب أهله والسبب الذي لأجله سموا اليزيديين في باب جده أبي محمد يحيى بن المبارك، وكان الفضل أحد الرواة العلماء، والنحاة النبلاء، أخذ عنه العلم الكثير، ورواه من جهته الجم الغفير، ومات فيما ذكره ابن النديم سنة ثمان وسبعين ومائتين.
حدث المرزباني عن الصولي عن احمد بن يزيد المهلبي قال: قال إبراهيم بن المدبر: اجتمع عندي يوماً الفضل اليزيدي والبحتري وأبو العيناء، فجلس الفضل يلقي على بعض فتياننا نحواً فقال له أبو العيناء: هذا بابي

وباب الوالدة حفظها الله، فغضب الفضل وانصرف، وخرج البحتري إلى سامرا من بغداد وكتب إلي شعراً أوله:

ذكرتنيك روحة للشمول

وهجا فيها الفضل فقال:

جل ما عنده التردد في الفا ... عل من والديه والمفعول

قال إبراهيم: فأمرت أن يكتب جواب الكتاب ويوجه إليه بمائة دينار. ودخل أبو العيناء فأقرأته الشعر فقال: أعطني نصف المائة فإنه هجاه والله بكلامي، فأخذ خمسين ووجهت إلى البحتري بخمسين وعرفته الخبر فكتب إلي: صدق والله وما بنيت أبياتي إلا على معناه.

وحدث المرزباني في كتاب المعجم قال: كتب الفضل ابن محمد بن أبي محمد اليزيدي إلى أبي صالح بن يزداد وكان يداعبه وجرت بينهما جفوة:

استحي من نفسك في هجري ... واعرف بنفسي أنت لي قدري

واذكر دخولي لك في كل ما ... يجمل أو يقبح من أمر

قد مر لي شهر ولم ألقكم ... لا صبر لي أكثر من شهر

وحدث ابن ناقياء في كتاب ملح المماحة قال: قال الفضل بن محمد اليزيدي: كان محمد بن نصر بن منصور بن بسام الكاتب اشترى منزلاً وآلة وطعاماً وعبيداً، وكان ناقص الأدب، وكنت أختلف إلى ولده وولد عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم ليقرؤوا علي الأشعار، وكان عبد الله بن إسحاق سرياً جاهلاً، فدخلت يوماً والستارة مضروبة ومحمد بن بسام وعبد الله بن إسحاق يشربان وأولادهما بين أيديهما وكانوا قد تأدبوا وفهموا، فغنى بشعر جرير:

ألا حي الديار بسعد إني ... أحب لحب فاطمة الديارا

فقال عبد الله بن إسحاق: لولا جهل العرب ما كان ذكر لسعد ههنا. فقال محمد بن بسام: لا تفعل يا أخي فإنه يقوي معدتهم ويصلح أسنانهم. قال الفضل اليزيدي: فقال لي علي ابن محمد بن نصر: بالله يا أستاذ اصفعهما وابدأ بأبي.

قال المؤلف: أراد بسعد ههنا اسم موضع معروف، وكتب الحمدوني إلى الفضل:

يا أبا العباس إنا ... في نعيم وسرور

ولدينا أسعد الأم ... ة في كل الأمور

ما لنا عيب سوى بع ... دك فامنن بحضور

فأجاب سمعنا وأطعنا.

الفضل بن محمد بن علي بن الفضل

القصباني أبو القاسم النحوي البصري، كان واسع العلم غزير الفضل إماماً في علم العربية، وإليه كانت الرحلة في زمانه وكان مقيماً بالبصرة، مات في سنة أربع وأربعين وأربعمائة في أيام القائم، وأخذ عنه أبو

زكرياء يحيى ابن التبريزي، وأبو محمد الحريري، وله تصانيف منها: كتاب في النحو، وكتاب في حواشي الصحاح، وكتاب الأمالي، وكتاب في أشعار العرب ومختارها كبير وسمه بالصفوة.
قال القاسم بن محمد بن الحريري صاحب المقامات: أنشدنا شيخنا أبو القاسم القصباني النحوي لنفسه:
في الناس من لا يرتجى نفعه ... إلا إذا مس بإضرار
كالعود لا يطمع في ريحه ... إلا إذا أحرق بالنار

باب القاف

قابوس بن وشمكير بن زيار

الديلمي المقلب بشمس المعالي من الملوك، وكان صاحب جرجان وطبرستان، وكان أخوه بهستون وأبوه وشمكير وعمه مرداويج ملوك الري وأصبهان وتلك النواحي، لأن أول من ملك من الديلم ليلى بن النعمان فاستولى على نيسابور في أيام نصر بن احمد الساماني، وقام بعده أسفار بن شيرويه، وكان مرداويج بن زيار أحد قواده فخرج عليه فحاربه فظفر به مرداويج فقتله وملك مكانه، وعمل لنفسه سريراً من ذهب فجلس عليه واشترى عبيداً كثيرةً من الأتراك وجعل يقول: أنا سليمان وهؤلاء الشياطين، وكان فيه ظلم وجبروت، فدخل عليه غلمانه الأتراك فقتلوه في الحمام، وكان بنو بويه من أتباعه فولاهم ولاية استظهروا بها عليه وحاربوه حتى ملكوا، وأما هو فلما مات ولت الديلم عليهم أخاه وشمكير، فاستولى على جرجان وطبرستان، ودامت الحرب بينه وبين ركن الدولة أبي علي بن بويه نيفاً وعشرين سنة، وركب في آخر أيامه فرساً له فعارضه خنزير فشب به الفرس وهو غافل عنه فسقط على دماغه فهلك.
وكتب ابن العميد عن ركن الدولة كتاباً يقول فيه: ألحمد لله الذي أغنانا بالوحوش عن الجيوش: وقام بعده ابنه أبو منصور بهستون بن وشمكير مقامه، وتوفى سنة سبع وستين وثلاثمائة، وكان عضد الدولة أبو شجاع فناخسرو ابن ركن الدولة أبي علي زوج ابنة بهستون، فنفذ معز الدولة إلى المطيع وسأله أن ينفذ إليه الخلع والعهد على جرجان وطبرستان ففعل ذلك ولقبه ظهر الدولة، ووصله ما نفذ إليه في جمادى الأولى سنة ستين وثلاثمائة، فزين بلاده للرسول ونزل عن سريره عند وصول الخلع إليه ونثر عليه النثار العظيم: ونفذ للمطيع لله في جواب اللقب ستين ألف دينار عيناً وغير ذلك من الثياب والخيل، ولما توفى خلف أخوه قابوس بن وشمكير، ونفذ إليه الطائع لله الخلع والعهد على طبرستان وجرجان ولقبه شمس المعالي، وكان فاضلاً أديباً مترسلاً شاعراً ظريفاً، وله رسائل بأيدي الناس يتداولونها، وكان بينه وبين الصاحب بن عباد مكاتبة: مات سنة ثلاث وأربعمائة، وكان فيه عسف وشدة فسئمه عسكره فتغيروا عليه وحسنوا لابنه منوجهر حتى قبض على أبيه وقالوا له: إن لم تقبض أنت عليهم إلا قتلناه، وإذا قتلناه فلا نأمنك على نفوسنا فنحتاج أن نلحقك به، فوثب عليه وقبض عليه وسجنه في القلعة ومنعه ما يتدثر به في شدة البرد، فجعل يصيح: أعطوني ولو جل دابة حتى هلك، وكان حكم على نفسه في النجوم أن منيته على يد ولده، فأبعد ابنه دارا لما كان يراه من عقوقه، وقرب ابنه منوجهر لما رأى من طاعته وكانت منيته بسببه، ثم أن منوجهر

قتل قتلته، وكانوا ستة تواطئوا عليه فقتل خمسة وهرب السادس إلى خراسان فقبضه محمود ابن سبكتكين وحمله إليه وقال له: إنما فعلت هذا لئلا يتجرأ أحد على قتل الملوك – فقتل الآخر – ، ثم مات منوجهر سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة، فقام ابنه أنوشروان بن منوجهر مقامه، وتوفي أنوشروان سنة خمس ولثلاثين وأربعمائة، ثم ولي ابنه حسان بن أنوشروان.

ومن شعر قابوس بن وشمكير:

خطرات ذكرك تستثير صبابتي ... فأحس منها في الفؤاد دبيبا

لا عضو لي إلا وفيه صبابة ... فكأن أعضائي خلقن قلوبا

ومن رسائله ما كتب به إلى بعض إخوانه: كتبت – أطال الله بقاء مولاي – وما في جسمي جارحة إلا وهي تود لو كانت يداً تكاتبه، ولساناً يخاطبه، وعيناً تراقبه، وقريحة تعاتبه بنفس ولهى، وبصيرة ورهى، وعين عبرى، وكبد حرى، ومنازعة إلى ما يقرب منه، وتمسكاً بما يتصل عنه، ومثابرةً على أمل هو غايته وتعلقاً بحبل عهد هو نهايته: وخاطري يميل نحوه، ونفسي تأمل دنوه وترجو وتقول أتراه، بل لعله وعساه يرق لنفس قد تصاعد نفسها، ويرحم روحاً قد فارقها روحها ومؤنسها؟ وكيف بقلبه لو عاين صورة هذه صورتها؟ وشاهد مهجة هذه جملتها؟ فليرفق جعلت فداه بمن عاند برحاً عظيماً، وكابد قرحاً أليماً، وليرق لكبد قذفها البعاد، وعين أرقها السهاد، وأحشاء محرقة بنار الفراق، وأجفان مقروحة بدمعها المهراق، وقلب في أوصابه متقلب، ولب في عذابه معذب، فلو أني أسعدت فأعطيت الرضا، وخيرت فاخترت المنى، لتمنيت أن أتصور صورتك وأطالع طلعتك، وأمثل لها مثالي لتراه، فأخبرها بكنه حالي ومعناه، لترفق لإزالة ما أزله، وأشكو بعض ما نابني من نوائبه وغوائله، وأطلقني من أشراكه وحبائله.

وكان قد تمت عليه نكبة أخرجته من مقر عزه وموطن ملكه، فشتتته عن الأوطان، وألحقته بخراسان، فأقام بها برهة من الزمان إلى أن أسفر صبحه وفاز بعد الخيبة قدحه، وتحرج الزمان من جور عليه فرد ملكه إليه، فقال في حال نكبته:

قل للذي بصروف الدهر عيرنا ... هل عاند الدهر إلا من له خطر؟

أما ترى البحر يطفو فوقه جيف ... ويستقر بأقصى قعره الدرر؟

فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا ... ونالنا من تأذى بؤسه ضرر

ففي السماء نجوم غير ذي عدد ... وليس يكسف إلا الشمس والقمر

أما البيت الثاني فأخذه من قول ابن الرومي:

دهر علا قدر الوضيع به ... وغدا الشريف يحطه شرفه

كالبحر يرسب فيه لؤلؤه ... سفلاً ويعلو فوقه جيفه

وقوله: وفي السماء نجوم مأخوذ من قو أبي تمام:

إن الرياح إذا ما عصفت قصفت ... عيدان نخل ولا يعبأن بالرتم

بنات نعش ونعش لا كسوف لها ... والشمس والبدر منها الدهر في الرقم

وكتب شمس المعالي قابوس إلى عضد الدولة وقد أهدى له سبعة أقلام:

قد بعثنا إليك سبعة أقلا ... م لها في البهاء حظ عظيم

مرهفات كأنها ألسن الحي ... ات وقد جاز حدها التقويم

وتفاءلت أن ستحوي الأقالي ... م بها كل واحد إقليم

وهذا يشبه قول ابن الصابئ وقد ذكر في بابه قال مؤلف الكتاب: وكنت في سنة سبع وستمائة قد توجهت إلى الشام وفي صحبتي كتب من كتب العلم أتجر فيها، وكان في جملتها كتاب صور الأقاليم للبلخي نسخة رائقة مليحة الخط والتصوير فقلت في نفسي: لو كانت هذه النسخة لمن يجتدي بها بعض الملوك ويكتب معها هذه الأبيات – وقلتها ارتجالاً – لكان حسناً، والأبيات في معنى أبيات قابوس، ولم اكن شهد الله وقعت عليها ولا سمعتها. وهي:

ولما رأيت الدهر جار ولم أجد ... من الناس من يعدى على الدهر عدواكا

ركبت الفلا يحدو بي الأمل الذي ... يدني على بعد التنائف مثواكا

ورمت بأن أهدي إليك هدية ... فلم أر ما يهديه مثلي لشرواكا

فجئتك بالأرضين جمعاً تفاؤلاً ... لعلمي بأن الفال رائد عقبك

فخذ هذه واستخدم الفلك الذي ... براه إلهي كي يدور ببغياكا

ثم إنني بعت النسخة من الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب صاحب حلب بتخيير المشتري من غير مكسب، وجرت لي فيها قصة ظريفة أنزه هذا السلطان عن ذكرها، فإنه وإن كان الحظ حرمني فإنه جواد عند غيري. وكان السبب في خروج قابوس عن دار ملكه ولحوقه بخراسان: أن عضد الدولة أبا شجاع فناخسرو تقم على أخيه فخر الدولة أبي الحسن علي بن الحسن بن بويه أمراً خالفه فيه فخر الدولة، فقصده عضد الدولة إلى همذان وكان مالكها وما والاها فهرب منه حتى لحق بجبال طبرستان فتلقاه قابوس وأكرم مثواه وأنزله عنده وآواه، فأنفذ عضد الدولة أخاه الآخر الملقب بأمير الأمراء مؤيد الدولة نحوهما فانحازا عنه وذلك سنة إحدى وسبعين، وبعثا إلى أبي الحسن محمد بن إبراهيم بن سيمجور وكان يتولى إمارة نيسابور ومادون جيحون من قبل السديد أبي صالح منصور بن نوح الساماني يستجديانه ويستعينانه فوعدهما وأبطأ عليهما لانحلال الاحوال بخراسان لاختلاف الأيدي بها، فسارا هاربين حتى وردا نيسابور ومنها إلى بخارى، فأرسل صاحب بخارى معهما جيشاً صحبة تاش الحاجب وولاه نيسابور فلم يصنع معهما شيئاً، وقال قابوس في تلك الحال:

لئن زال أملاكي وفات ذخائري ... وأصبح جمعي في ضمان التفرق

فقد بقيت لي همة ما وراءها ... منال لراج أو بلوغ لمرتقي

ولي نفس حر تأنف الضيم مركباً ... وتكره ورد المنهل المتدفق

فإن تلفت نفسي فلله درها ... وإن بلغت ما ترتجيه فأخلق!

من لم يردني والمسالك جمة ... فأي طريق شاء فليتطرق؟

وله:

بالله لا تنهضي يا دولة السفل ... وقصري فضل ما أرخيت من طول

أسرفت فاقتصدي جاوزت فانصرفي ... عن التهور ثم امشي على مهل

مخدمون ولم تخدم أوائلهم ... مخولون وكانوا أرذل الخول

فأما أبو الحسن علي بن بويه فإنه لما مات أخوه في سنة ثلاث وسبعين استدعاه ابن عباد وأقامه مقام أخيه، وأما قابوس فإنه لما تطاولت مدته ولم ير عند السامانية ناصراً قصد أطراف بلاده فتجمعت إليه الجيوش وعاد إلى بلاده، وقاتل المستولي عليها حتى عاد إلى سرير ملكه بعد ثماني عشرة سنة. وذكر أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني في رسالة له سماها التعلل بإجالة الوهم في معاني منظوم أولي الفضل قال: وكنت أستحسن من شمس المعالي قابوس إعراضه عن إنشاد مدائحه في وجهه وبين يديه، وكان يطلق للشعراء المجتمعين على بابه في النيروز والمهرجان مقداراً من البر، ويرسم لأبي الليث الطبري توزيعه عليهم بحسب رتبهم، ويقول: إنهم قوم مستميحون بما يفاضلون فيه، ولكني لا أستجيز سماع أكاذيبهم التي أعرف من نفسي خلافها، وأتحرز بذلك من الإستغبان ولقابوس فصل يعزي: حشو هذا الدهر – أطال الله بقاء مولاي – أحزان وهموم، وصفوه من غير كدر معلوم، فما أولاه – أيده الله – بأن يتأمل أحواله، ويستشف ضروبه وأحكامه، فإن وجد أحداً سلم من وجد أو عري من فقد لقي خلاف المعهود، وحق له التأسي على المفقود، وإن علم أن الخلق فيه شرع وأن الباقي للماضي تبع قدم من السلوة والصبر، ما لابد من المصير إليه آخر الأمر، ليحصل له الثواب والأجر، والسلام.

قال أبو حيان: قال لي البديهي: مدحت وشمكير بمدائح فاحت رياها شرقاً وغرباً، بعداً وقرباً، فما أثابني عليها إلا بشيء يسير، وقصده بعض الأغتام من الجبال فمدحه بقصيدة ركيكة غير موزونة تعلقها بالهجاء أكثر من تعلقها بالمديح، فأعطاه ما أغناه وأعقابه بعده، فشكوت إلى ابن ساسان ذلك فقال لي: إفراط العلم مضر بالجد. والجد والعلم قلما يجتمعان، والكد للعلم، والجد للجهل، وأنشأ يقول:

إن المقادير إذا ساعدت ... ألحقت العاجز بالحازم

وللصاحب يهجو قابوس:

قد قبس القابسات قابوس ... ونجمه في السماء منحوس

وكيف يرجى الفلاح من رجل ... يكون في آخر اسمه بوس؟

فاجابه قابوس:

من رام أن يهجو أبا قاسم ... فقد هجا كل بني آدم

لأنه صور من مضغة ... تجمعت من نطف العالم

قال أبو سعد الآبي في تاريخه: في شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وأربعمائة كانت الأخبار تواترت بموت قابوس بن وشمكير، ثم ورد خبر بأنه لم يمت ولكنه نكب وأزيل عن الملك، وذلك أنه كان قد أسرف في القتل وتجاوز الحد في سفك الدماء، ولم يكن يعرف أحداً في التأديب وإقامة السياسة غير ضرب الأعناق وإماتة

الأنفس، وكان يأتي ذلك في الأقرب فالأقرب، والأخص فالأخص من الجند والحاشية حتى أفنى جميعهم وأتى على جلهم، وأذل الخيل وأصناف العسكر للرعية وجرأهم عليهم، ولم يتظلم أحد من أهل البلد من واحد من أكابر عسكره إلا قتله وأتى على نفسه من غير أن يتفحص عن الشكوى، أصحيحة أم باطلة؟ فتبرم عسكره وحاشيته، وخافوا سطوته ولم يأمنوا ناحيته، فمشى بعضهم إلى بعض وتمالئوا عليه، وتعاهدوا وتحالفوا وخفي الأمر، لأنه كان خرج إلى حصن بناه وسماه: شمراباذ، وعزم القوم أن يتسلقوا عليه ويغتالوه وقد واطأهم على الأمر جميع من كان معه في الحصن، فتعذر عليهم الصعود إليه والهجوم عليه،وعلموا أنهم لو قد أصبحوا وقد عرف الخبر لم ينج منهم أحد، فنعوه إلى الناس وذكروا أنه قضى نحبه، فانتبهت اصطبلاته، وسيقت دوابه وبغاله، ولم يقدر هو على مفارقة الموضع لإعواز الظهور التي تحمل وتنقل عليها خزائنه، وكان عنده وزيره أبو العباس الغانمي فاهتمه بممالأة القوم فأوقع به وقتله. وخاطب العسكر من ذلك الموضع ومن جرجان منوجهر وكان إذ ذاك مقيماً بطبرستان، فاستدعوه وكتبوا إليه بالحضور، وأنه متى تأخر قدموا غيره فبادر إليهم فقلدوه الأمر وبلغ ذلك قابوس وقد تفرق عنه من غدر به، فجمع أمراء الرستاق وفارق المكان وصحبه طائفة من العرب وغيرهم من الجند، وخرج إلى بسطام مع خزائنه وأسبابه، وتبعه منوجهر ابنه مع العسكر فحصره، وامتنع هو عليه ثم أمكن من نفسه عند الضرورة فقبض عليه وحمل إلى بعض القلاع، وتقرر أمر ابنه منوجهر ولقب بفلك المعالي، وكان أبوه يلقب شمس المعالي، ثم ورد الخبر في جمادى الآخرة بصحة موت قابوس وأقام التعزية في ممالكه عنه، وكان موته في مجلسه بقلعة جناشك وذكر أنه اغتيل وحمل تابوته إلى جرجان ودفن في مشهد عظيم كان بناه لنفسه، وأنفق عليه الأموال العظيمة وبالغ في تحصينه وتحسينه.

القاسم بن أحمد الأندلسي

بن الموفق أبو محمد الأندلسي اللورقي، يلقب علم الدين، مولده فيما اخبرني عن نفسه في حدود سنة إحدى وستين وخمسمائة، وهو إمام في العربية وعالم بالقرآن والقراءة، اشتغل بالأندلس في صباه، وأتعب نفسه حتى بلغ من العلم مناه، فصار عيناً للزمان ينظر به إلى حقائق الفضائل، فما من علم إلا وقد أخذ منه بأوفر نصيب وحصل منه على أعلى ذروة، وكنت لقيته بمحروسة حلب في سنة ثمان عشرة وستمائة، ففزت من لقائه بالأمنية، واقتنصت من فوائده كل فضيلة شهية.

وحدثني أنه قرأ القرآن بمرسية من بلاد الأندلس على الشيخ أبي عبد الله محمد بن سعيد بن محمد المرادي المرسي، وعلى أبي الحسن علي بن يوسف بن الشريك الداني بمرسية. وبلنسية على أبي عبد الله محمد بن أيوب بن محمد بن نوح الغافقي الفقيه وعلى الشيخ المقرئ أبي العباس أحمد بن علي بن محمد بن عون الله الأندلسي، وقرأ النحو على أبي الحسن علي بن الشريك المذكور وابن نوح المذكور، ثم خرج إلى مصر في سنة إحدى وستمائة فقرأ بها القرآن على الشيخ أبي الجود غياث بن فارس بن مكي اللخمي، وبدمشق على الشيخ الإمام تاج الدين أبي اليمن الكندي، قرأ عليه القرآن جميعه بكتاب المهج تصنيف أبي محمد المقرئ، وكتاب سيبويه وكثيراً من كتب الأدب، وسمع منه أكثر سماعاته كتاريخ الخطيب والحجة وأدب الكاتب

وغير ذلك، وكان وروده إلى دمشق سنة ثلاث وستمائة، وببغداد على الشيخ أبي البقاء الحسين بن عبد الله العكبراوي، وسمع الحديث على جماعة منهم، وأما معرفته بالفقه والأصول وعلوم الأوائل كالمنطق وغيره فهو الغاية فيه.

وله من التصانيف: كتاب شرح المفصل في عشر مجلدات، وكتاب في شرح قصيدة الشاطبي، وكتاب شرح مقدمة الجزولي مجلدان. وأنشدني قال: أنشدني تاج الدين أبو اليمن لنفسه – رحمه الله – :

تركت قيامي للصديق يزورني ... ولا عذر لي إلا الإطالة في عمري

ولو بلغوا من عشر تسعين نصفها ... تبين في تركي القيام لهم عذري

القاسم بن إسماعيل أبو ذكوان الراوية

قال محمد بن إسحاق النديم قال أبو سعيد يعني السيرافي: وقد كان في أيام المبرد جماعة نظروا في كتاب سيبويه ولم يكن لهم نباهته: منهم أبو ذكوان القاسم بن إسماعيل. ولأبي ذكوان كتاب معاني الشعر رواه عنه ابن درستويه، ووقع أبو ذكوان إلى السيراف أيام الزنج، وكان علامةً أخبارياً قد لقي جماعة من أهل العلم وكان التوزي زوج أم أبي ذكوان.

قاسم بن أصبغ بن محمد بن يوسف

بن ناصح ابن عطاء البياني أبو محمد، مولى الوليد بن عبد الملك، إمام من أئمة العلم، حافظ مكثر مصنف، كان أصله من بيانة وسكن قرطبة، وبها مات سنة أربعين وثلاثمائة عن سن عالية ويقال: إنه لم يسمع منه شيء قبل موته بسنتين، ذكره الحميدي فقال: سمع محمد بن وضاح، ومحمد بن عبد السلام الحسني وجماعة، ورحل فسمع إسماعيل بن إسحاق القاضي، وأبا إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي، والحارث بن أبي أسامة، وأبا قلابة الرقاشي، وعبد الله بن مسلم بن قتيبة، وأحمد بن زهير بن حرب، وأبا بكر بن أبي الدنيا، وذكر جماعة ثم قال وغيرهم، وصنف كتباً منها: كتاب الحمر، وكتاب في أحكام القرآن على أبواب كتاب إسماعيل بن إسحاق القاضي، وكتاب المجتنى على أبواب كتاب ابن الجارود المنتقى.

قال أبو محمد علي بن أحمد: وهو خير منه انتقاء وأنقى حديثاً وأعلى سنداً وأكثر فائدة، وله كتاب في فضائل قريش، وكتاب في الناسخ والمنسوخ، وكتاب في غرائب حديث مالك بن أنس مما ليس في الموطئ، وكتاب في الأنساب في غاية الحسن والإيعاب. وكان من الثقة والجلالة بحيث اشتهر أمره، وانتشر ذكره، وروى عنه جماعة من أهل بلده وغيرهم

قاسم بن ثابت السرقسطي

ذكره الحميدي فقال: هو مؤلف كتاب غريب الحديث، رواه عنه ابنه ثابت وله فيه زيادات، وهو كتاب حسن مشهور، وذكره أبو محمد علي بن أحمد وأثنى عليه وقال: ما شآه أبو عبيد إلا بتقدم العصر.

القاسم بن الحسين بن محمد أبو محمد الخوارزمي

صدر الأفاضل حقاً، وواحد الدهر في علم العربية صدقاً، ذو الخاطر الوقاد، والطبع النقاد، والقريحة الحاذقة، والنحيزة الصادقة، برع في علم الأدب، وفاق في نظم الشعر ونثر الخطب، فهو إنسان عين الزمان، وغرة جبهة هذا الأوان. سألته عن مولده فقال: مولدي في الليلة التاسعة من شعبان سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وحضرت في منزله بخوارزم فرأيت منه صدراً يملأ الصدر، ذا بهجة سنية وأخلاق هنية، وبشر طلق ولسان ذلق، فملأ قلبي وصدري، وأعجز وصفه نظمي ونثري، واستنشدته من قبله فأنشدني لنفسه بمنزله في خوارزم، في سلخ ذي القعدة سنة ست عشرة وستمائة:

يا زمرة الشعراء دعوة ناصح ... لا تأملوا عند الكرام سماحا

إن الكرام بأسرهم قد أغلقوا ... باب السماح وضيعوا المفتاحا

ورأيته شيخاً، بهي المنظر، حسن الشيبة، كبيرها، سميناً بديناً عاجزاً عن الحركة، وكان له في حلقه حوصلة كبيرة. وقلت له: ما مذهبك؟ فقال: حنفي ولكن لست خوارزمياً لست خوارزمياً يكررها، إنما اشتغلت ببخارى فأرى رأي أهلها، نفى عن نفسه أن يكون معتزلياً رحمه الله. قال: وسألني قاضي القضاة بخوارزم أن أنشئ له أبياتاً يكتبها على جدران دار استحدث بناءها فقلت:

من كان يفخر بالبنيان والشرف ... فليس فخري بغير المجد والشرف

ما قيمة الدار لولا فضل ساكنها؟ ... وأي وزن بدون الدر للصدف؟

إن كان يعجبني خشب مسندة ... فلست أكرم نجل من بني خلف

قد صح لي باتفاق الناس كلهم ... رواية العدل والإنصاف عن سلفي

إني لمن معشر كانت معايشهم ... بالقصد أما عطاياهم فبالسرف

قوم متى طلعت ليلاً مآثرهم ... رأيت بدر الدجى في زي منخسف

بدولة الملك الميمون طائره ... أني توجهت فالإقبال مكتنفي؟

وأنشدني لنفسه:

أيا سائلي عن كنه علياه إنه ... لأعطي ما لم يعطه الثقلان

فمن يره في منزل فكأنما ... رأى كل إنسان وكل مكان

وأنشدني لنفسه في أنباء شيخ الإسلام الرستاني، – ورشتان من قرى مرغينان، ومرغينان من بلاد فرغانة:

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

فديت إماماً صيغ من عزة النفس ... أنامله والسحب نوعان من جنس
أشد ارتياحاً نحو طلعة معتف ... من المفلس الخاوي اليدين إلى الفلس
وأفقه في تدريسه من محمد ... وأجود من كعب وأخطب من قس
مناقب لو أن الحرابي مرة ... بصرن بها استنكفن عن خدمة الشمس
ويغدو على طرف من الشقر كلما ... رأته إماء الحي وافته للقبس
على سابح من خلقة الوهم طالع ... وأهون شيء عنده درك الأمس
فتى ساومته خلقه وهو فاغم ... ولا فغمة المسك، والخرائد للعرس
له الصفو من ودي وإخوته الألى ... غدوا من سهام الزيغ للدين كالترس
لفتيان صدق ما اقتنوا طول عمرهم ... سوى البحث والإفتاء والوعظ والدرس
لأربعة شادوا الهدى بعد شيخهم ... فقد بنى الإسلام منهم على خمس
بنور ألهي عليهم وزهدهم ... وعلمهم أضحوا ملائكة الأنس
فعاشوا لترشيح الهدى ويراعهم ... بصائبة الأحكام يقطر في الطرس

وقال بعض الفضلاء الخراسانية في الإمام صدر الأفاضل يمدحه:

إن للعالمين فخراً وزيناً ... وجمالاً يجل عن كل شين
بفتىً وافر العلوم نقاب ... مثله ما رأيت قط بعيني
ليس ذاك الفتى المبرز إلا ... أفضل الناس قاسم بن الحسين

وحدثني صدر الأفاضل: قال بعض الفضلاء العراقية في وهو من أصحابي:

يقولون إن الأصمعي لبارع ... وبالنحو والآداب والشعر عالم
كذا ابن دريد والخليل وجاحظ ... وكل لدر العلم والفضل ناظم
فقلت أجل، قد جل في الناس شأنهم ... وأفضل منهم صدر خورزم قاسم

وأنشدني صدر الأفاضل لنفسه:

أتحمل مني نحو ذيالك الرشا ... سلاماً كصدغيه وحالي مشوشا؟
وإني لوجدي أستضيء لذي الحمى ... بشعلة أنفاسي إذا الليل أغطشا
ويرحمني العذال حتى يقول لي ... أموقد نار بين جنبيك أم حشا؟
وهل ترد الجرعاء مني بحنة ... على طرفيها رونق العهد قد مشى؟
وإني قد كتمت سري وإنما ... برغمي صوب المدمعين به فشا
كما أن صدر الشرق أخفى سخاءه ... ولكنه بشر الجبين به وشى
متى جحدت نعماه أنهض جوده ... شهوداً من الإحسان لا تقبل الرشا

وإن هزه الإطراء ثم تبجست ... أياديه لم يسكر له فقد انتشا
أيلحقه الوهم القطوف، إذا سعى ... لإدراك غايات العلا متكمشا؟
لك المنهل المسكي ما زال نقعه ... يعلل صلا في يمينك أرقشا
فيلفظ في منسابه من لعابه ... حتوفاً وأرزاقاً على حسب ما تشا

وهو أطول من هذا وحدثني الإمام صدر الأفاضل قال: كتب إلي الصوفي المعروف بالصواف يسألني عن بيت حسان بن ثابت وهو:

فمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء

وقولهم بأن فيه ثلاثة عشر مرفوعاً فأجبته:

أفدي إماماً وميض البرق منصرع ... من خلف خاطره الوقاد حين خطا
يبغي الصواب لدينا من مباحته ... أما درى أن ما يعدو والصواب خطا؟

الذي يحضرني في هذا البيت من المرفوعات اثنا عشر،فمنها قوله: فمن يهجو، فيه ثلاثة مرفوعات، المبتدأ، والفعل، المضارع، والضمير المستكن، ومنها المبتدأ المقدر في قوله ويمدحه، المعنى: ومن يمدحه، فيكون هاهنا على حسب المثال الأول ثلاثة مرفوعات أيضاً، ومنها المرفوعان في قوله وينصره، أحدهما الفعل المضارع، والثاني الضمير المستكن، ومنها المرفوعات الأربعة في قوله سواء، إثنان من حيث إنه في مقام الخبرين للمبتدأين، واثنان آخران من حيث إن في كل واحد ضميراً راجعاً إلى المبتدإ، فهذا يا سيدي جهد المقل وغير مرجو قطع المدى من الكل، فليعذرني سيدي قبل الله معاذيره من المرفوع الثالث عشر، فإنه لعمري قد استكن واستتر حتى لا أعرف عنه عيناً، وكيف يعرف له وجار وقد صار أعزب من العنقاء، وأشد عوزاً من الوفاء.

وأنشدني صدر الأفاضل لنفسه:

سرى ناشداً أنسي قضيب من الآس ... فناولني الصهباء والشهد في كاس
وأرشدني وهناً لتقبيل خاله ... وميض ثناياه وشعلة أنفاسي
ولو لم يكن يلقي على جمر خده ... من الطرة السوداء ظلة أنقاس
إذاً لأضاء الليل حتى انجلت لنا ... هواجس تخفيهن أفئدة الناس

وكتب الإمام صدر الأفاضل إلى بعض أصدقائه: كتابي إلى المجلس الرفيع جمال الحرمين، إمام الفريقين يديم الله رفعته ثم يديم، وينيم عنه طوارق الحدثان ثم ينيم، وأنا إليه كالصادي إلى قعقعة الجمد، وبجماله كهو بجمال المجد، لا أروي إلا عن فضله وإفضاله ولا أرتوي إلا من ورده وزلاله، ولا أتحسر إلا على ليال وشيتها بجواره، ثم طرزتها بجواره:

إذا ذكرتها النفس باتت كأنها ... على حد السيف بين جنبي ينتضى
تولى الصبا والمالكية أعرضت ... وزال التصابي والشباب قد انقضى

رفع الله البين من البين، حتى أرى نضاره في قميص من اللجين.

ومن إنشائه إلى الدار العزيزة ببغداد حرسها الله تعالى: رايات مولانا الصوام القوام أمير المؤمنين وإمام المتقين، وخليفة رب العالمين، الإمام الذي ليس للتابعين غيره إمام، ولا دون عتبته متمسك واعتصام، هي التي لم أزل أدعو الله أن يعقد بعذباتها النصر، ويجعل من أشياعها الذئب والنسر، تسايرها الآمال، وتحل حيثما رفعت الآجال، ويحتف بها الجدود، ويرفرف عليها السعود، وهذا دعاء لو سكت كفيته، وأمل إن لم أسأله فقد أوتيته، مني العبد أن يسعى إلى المواقف المقدسة مسعى القلم، يجبو على رأسه لا على القدم، ليشم بثراها الثرى لخلخة المسك الذكي، ويعفر بها جبينه وأنفه، ويجيل في مسارح الحمد طرفه، ويستلم عتبة بها التف الثقلان، ودانت لها الأيام بعد حران، لكن الحوادث قلما توافقه، والأيام تماكسه في ذلك وتضايقه، وظني بأن الله سوف يريك. ولما ورد الرسم – أعلى نور الله به مشارق الأرض ومغاربها – ، تلقاه العبد بالتعظيم والإجلال، ووضعه على قمة الامتثال، وفض ختامه عن الدر المكنون، بل أناسي العيون، وعن مشمول من الرض مجنوب، وكلم على صفحات الدهر مكتوب، فما زالت أعضاؤه تود أن تكون شفاهاً تقبله، وخواطر تتأمله، تمنياً يلذ به المستهام، ويحلو له الغرام، ثم استدعى الأرامل والأيامى فأعطاهم، واستحضر المساكين واليتامى فأغناهم، وأنحى على ما ملكت يمينه من العبيد والأسرى فأعتقهم وأطلقهم شكراً، وسأل الله تعالى أن يديم أكناف العرصة الفيحاء مرتعاً للعزة القعساء، إن شاء الله تعالى.

سنا جبينك مهما لاح في الظلم ... بتنا نطالع منه نسخة الكرم
إن يزرع الناس في أخلافهم كرماً ... فالبذر من جودك الطنان بالديم
تبدو على أشقر خظر حوافره ... بحراً يلاطم أمواجاً على ضرم
تشم عندك صيد العجم لخلخة ... من الرغام بآناف من القمم
كادت لحبك تأتي وهي ساعية ... على الرءوس بدون الساق كالقلم
من ظن غير نظام الملك ذا كرم ... نادى به لؤمه استسمنت ذا ورم

لما أنشدني هذا البيت قال لي: من نظام الملك؟. قلت: أنت – حرسك الله – قائل الشعر تسألني عن ممدوحك. فقال لي متبسماً: لست تعرفه؟ قلت: لا والله. قال: ولا أنا شهد الله أعرفه، لأني ما تعرضت لمدح أحد قط، ولا رغبت في جداه، ولا أعرف أحداً أفضل علي إلا مرة واحدة، فإن الغربة أحوجتني إليه فلعن الله الغربة. قلت له: وكيف ذلك؟ قال: إني مضيت إلى بخارى طالباً للعلم وقاصداً للقراءة على الرضى، فاجتمع إلي أولا صدر جيهان وغيره فقد أنسيت القصة، فلما حذفوا الأدب برني بسبعين ديناراً ركنية، ووعدني بوعود جميلة، ولولا الحاجة والغربة ما قبلتها منه، ولقد عرض علي الشهاب الحوفي، وهو أحد صدور خوارزم المتقربين من السلطان على أن ينصب لي منصباً ومجلساً بطراحة سوداء إلى جانبه، ويعطيني كل شهر عشرة دنانير لأقرأ الأدب فلم أفعل. قلت: فمن أين مادة الحياة؟ قال لي: خلف لي والدي قدراً يسيراً لا يقنع بمثله إلا أصحاب الزوايا، فأنا أنفقه بالميسور، وأتلذذ بالغنى عن الجمهور، وأنا أقول الشعر والنثر تطرباً لا تكسباً، وأستعير اسماً لا اعرفه:

أفديك ذا منظر بالبشر ملتحف ... عن اليمين وللإقبال مبتسم

يد الجلال وشت في لوح جبهته: ... الناس من خولي والدهر من خدمي
ولو أناف على هام السها وطني ... لما لوت نحوه أجيادها همم
على النجى وقفت أيامه وعلى ... نشر المحامد منه ألسن الأمم
ما جئت أخدمه إلا وقد سحقت ... يدا تلطفه عطراً من الشيم
زف الندى نحوه بكراً مخدرةً ... لولاه زفت إلى كفن من العدم
يريه شعري نجوم الليل طالعة ... والنيرين معاً من مشرق الكلم
لا زال مثل هلال العيد حضرته ... في الحسن واليمن والإقبال والشمم
وعاش للملك يحميه وينصره ... فالملك من دونه لحم على وضم
ودام كاليم للعافين ملتطماً ... بنانه وهو مرشوف بكل فم

وله من التصانيف: كتاب الجمرة في شرح المفصل صغير، وكتاب السبيكة في شرحه أيضاً وسط، وكتاب التجمير في شرح المفصل أيضاً بسيط، كتاب شرح سقط الزند كتاب التوضيح في شرح المقامات، كتاب لهجة الشرع في شرح ألفاظ الفقه، كتاب شرح المفرد والمؤلف، كتاب شرح النموذج، كتاب شرح الأحاجي لجار الله، كتاب خلوة الرياحين في المحاضرات، كتاب عجائب النحو، كتاب السر في الإعراب، كتاب شرح الأبنية، كتاب الزوايا والخبايا في النحو، كتاب المحصل للمحصلة في البيان، كتاب عجالة السفر في الشعر، كتاب بدائع الملح، كتاب شرح اليميني للعتبي.

القاسم بن سلام أبو عبيد

كان أبوه روميًا مملوكًا لرجل من أهل هراة، وكان أبو عبيد إمام أهل عصره في كل فن من العلم، وولي قضاء طرسوس أيام ثابت بن نصر بن مالك، ولم يزل معه ومع ولده ومات سنة ثلاث وعشرين ومائتين، أو أربع وعشرين ومائتين أيام المعتصم بمكة، وكان قصدها مجاوراً في سنة أربع عشرة ومائتين، وأقام بها حتى مات عن سبع وستين سنة، وأخذ أبو عبيد عن أبي زيد الأنصاري، وأبي عبيدة معمر بن المثنى، والأصمعي وأبي محمد اليزيدي وغيرهم من البصريين، وأخذ عن ابن الأعرابي، وأبي زياد الكلابي، ويحيى بن سعيد الأموي، وأبي عمرو الشيباني، والفراء، والكسائي من الكوفيين، وروى الناس من كتبه المصنفة نيفاً وعشرين كتاباً في القرآن والفقه واللغة والحديث. وقال أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي في كتاب مراتب النحويين: وأما أبو عبيد القاسم بن سلام فإنه مصنف حسن التأليف إلا أنه قليل الرواية، يقتطعه عن اللغة علوم افتن فيها. وأما كتابه المترجم بالغريب المصنف فإنه اعتمد فيه على كتاب عمله رجل من بني هاشم جمعه لنفسه. وأخذ كتب الأصمعي فبوب ما فيها وأضاف إليه شيئاً من علم أبي زيد الأنصاري وروايات عن الكوفيين. وأما كتابه في غريب الحديث، وكذلك كتابه في غريب القرآن منتزع من كتاب أبي عبيدة، وكان مع هذا ثقة ورعاً لا بأس به ولا بعلمه. سمع من أبي زيد شيئاً وقد أخذت عليه مواضع في غريب المصنف، وكان ناقص العلم بالإعراب، وروي أنه قال: عملت كتاب غريب المصنف في ثلاثين سنة، وجئت به إلى عبد الله بن طاهر فأمر لي بألف دينار. وذكره الجاحظ في كتاب المعلمين وقال: كان مؤدباً لم

يكتب الناس أصح من كتبه ولا أكثر فائدة. وبلغنا أنه إذا ألف كتاباً حمله إلى عبد الله بن طاهر فيعطيه مالاً خطيراً، فلما صنف غريب الحديث أهداه إليه فقال: إن عقلاً بعث صاحبه على عمل هذا الكتاب لحقيق ألا يحوج إلى طلب معاش، وأجرى له في كل شهر عشرة آلاف درهم. وسمعه منه يحيى بن معين وكان ديناً ورعاً جواداً، وسير أبو دلف القاسم بن عيسى إلى عبد الله طاهر يستهدي منه أبا عبيد مدة شهرين فأنفذه، فلما أراد الانصراف وصله أبو دلف بثلاثين ألف درهم فلم يقبلها وقال: أنا في جنبة رجل لا يحوجني إلى غيره، فلما عاد أمر له ابن طاهر بثلاثين ألف دينار فاشترى بها سلاحاً وجعله للثغر، وخرج إلى مكة مجاوراً في سنة أربع عشرة ومائتين فأقام بها إلى أن مات في الوقت المقدم ذكره.

وقال إسحاق بن راهويه: يحب الله الحق، أبو عبيد أعلم مني ومن احمد بن حنبل، ومن محمد بن إدريس الشافعي. قال: ولم يكن عنده ذاك البيان، إلا أنه إذا وضع وضع. ولما قدم أبو عبيد مكة وقضى حجه أراد الانصراف فاكترى إلى العراق ليخرج في صبيحة غد. قال أبو عبيد: فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو جالس في فراشه وقوم يحجبونه والناس يدخلون إليه ويسلمون عليه ويصافحونه. قال: فلما دنوت لأدخل مع الناس منعت فقلت لهم: لم لا تخلون بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقالوا: إي والله، لا تدخل إليه ولا تسلم عليه وأنت خارج غداً إلى العراق، فقلت لهم، فإني لا أخرج إذاً، فأخذوا عهدي ثم خلوا بيني وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدخلت وسلمت وصافحت، فلما أصبح فاسخ كريه وسكن مكة حتى مات بها ودفن في دور جعفر.

وقال أبو عبد الله بن طاهر: علماء الإسلام أربعة: عبد الله بن عباس في زمانه، والشعبي في زمانه، والقاسم بن معن في زمانه، وأبو عبيد القاسم بن سلام في زمانه. ثم قال يرثيه:

يا طالب العلم قد مات ابن سلام ... وكان فارس علم غير محجام

كان الذي كان فيكم ربع أربعة ... لم نلق مثلهم إستار أحكام

إستار أي أربعة. وحدث أبو بكر الزبيدي قال: قال علي بن عبد العزيز، قال عبد الرحمن اللحنة صاحب أبي عبيد: قيل لأبي عبيد وقد اجتاز على دار رجل من أهل الحديث كان يكتب عنه الناس وكان يزن بشر إن صاحب هذه الدار يقول: أخطأ أبو عبيد في مائتي حرف من المصنف. فقال أبو عبيد – ولم يقع في الرجل بشيء مما كان يعرف به – : في المصنف مائة ألف حرف، فلم أخطئ في كل ألف حرف إلا حرفين، ما هذا بكثير مما استدرك علينا، ولعل صاحبنا هذا لو بدا لنا فناظرناه في هاتين المائتين بزعمه لوجدنا لها مخرجاً.

وحدث عن عباس الخياط قال: كنت مع أبي عبيد فاجتاز بدار إسحاق الموصلي فقال: ما أكثر علمه بالحديث والفقه الشعر مع عنايته بالعلوم! فقلت له: إنه يذكرك بضد هذا. قال: وما ذاك؟ قلت: إنه يزعم أنك صحفت في المصنف نيفاً وعشرين حرفاً. فقال: ما هذا بكثير، في الكتاب عشرة آلاف حرف مسموعة يغلط فيها بهذا ليسير، لعلي لو ناظرت فيها لاحتججت عنها، ولم يذكر إسحاق إلا بخير.

قال الزبيدي: ولما اختلفت هاتان الروايتان في العدد امتحنت ذلك في المصنف فوجدت فيه سبعة عشر ألف

حرف وتسعمائة وسبعين حرفاً. وحدث موسى بن نجيح السلمي قال: جاء رجل إلى أبي عبيد القاسم بن سلام فسأله عن الرباب فقال: هو الذي يتدلى دون السحاب، وأنشد لعبد الرحمن بن حسان:

كأن الرباب دوين السحاب ... نعام تعلق بالأرجل

فقال: لم أدر هذا، فقال: الرباب اسم امرأة، وأنشد:

إن الذي قسم الملاحة بيننا ... وكسا وجوه الغانيات جمالا

وهب الملاحة للرباب وزادها ... في الوجه من بعد الملاحة خالا

فقال: لم ادر هذا أيضاً، فقال: عساك أردت قول الشاعر:

رباب ربة البيت ... تصب الخل في الزيت

لها سبع دجاجات ... وديك حسن الصوت

فقال: هذا أردت. فقال: من أين أنت؟. قال: من البصرة. قال: على أي شيء جئت، على الظهر أو في الماء؟ قال: في الماء. قال: كم أعطيت الملاح؟ قال: أربعة دراهم. قال: اذهب استرجع منه ما أعطيته وقل: لم تحمل شيئاً، فعلام تأخذ مني الأجرة؟. قال محمد بن إسحاق النديم: ولأبي عبيد من التصانيف: كتاب غريب المصنف، كتاب غريب الحديث، كتاب غريب القرآن، كتاب معاني القرآن، كتاب الشعراء، كتاب المقصور والممدود، كتاب القراءات، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الأموال، كتاب النسب، كتاب الأحداث، كتاب الأمثال السائرة، كتاب عدد آي القرآن، كتاب أدب القاضي، كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب الأيمان والنذور، كتاب الحيض، كتاب فضائل القرآن، كتاب الحجر والغلس، كتاب الطهارة، وله غير ذلك من الكتب الفقهية.

قال علي بن محمد بن وهب المشعري عن أبي عبيد القاسم بن سلام قال: سمعته يقول: هذا الكتاب يعني غريب المصنف أحب إلي من عشرة آلاف دينار: فاستفهمته ثلاث مرات فقال: نعم، هو أحب إلي من عشرة آلاف دينار: وقال أبو العباس أحمد بن يحيى: قدم طاهر بن عبد الله بن طاهر من خراسان وهو حدث في حياة أبيه يريد الحج، فنزل في دار إسحاق بن إبراهيم فوجه إسحاق إلى العلماء، فأحضرهم ليراهم طاهر ويقرأ عليهم، فحضر أصحاب الحديث والفقه، وأحضر ابن الأعرابي وأبو نصر صاحب الأصمعي، ووجه إلى أبي عبيد القاسم بن سلام في الحضور فأبى أن يحضر وقال: العلم يقصد، فغضب إسحاق من قوله ورسالته، وكان عبد الله بن طاهر يجزى له في الشهر ألفي درهم، فقطع إسحاق عند الرزق وكتب إلى عبد الله بالخبر، فكتب إليه عبد الله: قد صدق أبو عبيد في قوله وقد أضعفت له الرزق من أجل فعله، فأعطه فائته وأدر عليه بعد ذلك ما يستحقه.

القاسم بن علي بن محمد بن عثمان

ابن الحريري أبو محمد البصري، من أهل بلد قريب من البصرة يسمى المشان، مولده ومنشؤه به، وسكن البصرة في محلة بني حرام، وقرأ الأدب علي أبي القاسم الفضل بن محمد القصباني البصري بها، ومات ابن الحريري في سادس رجب سنة ست عشرة وخمسمائة عن سبعين سنة، ومولده في حدود سنة ست وأربعين

وأربعمائة في خلافة المسترشد، وبالبصرة كانت وفاته، وكان غاية في الذكاء والفطنة والفصاحة والبلاغة، وله تصانيف تشهد بفضله وتقر بنبله، وكفاه شاهداً كتاب المقامات التي أبر بها على الأوائل، وأعجز الأواخر، وكان مع هذا الفضل قذراً في نفسه وصورته ولبسته وهيئته، قصيراً ذميماً بخيلاً مبتلى بنتف لحيته.

قال العماد في كتاب الخريدة: لم يزل ابن الحريري صاحب الخبر بالبصرة في ديوان الخلافة، ووجدت هذا المنصب لأولاده إلى آخر العهد المقتفوي: أخبرني عبد الخالق ابن صالح بن علي بن زيدان المسكي البصري بها في سنة اثنتي عشرة ستمائة في صفر قال: حدثنا الشيخ الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن محمد المسعودي البندهي – قال: وكان يكتب هو بخطه: الفنجديهي قال: وهي قرية من قرى مرو الشاهجان – قال: سمعت الشيخ الثقة أبا بكر عبد الله بن محمد بن محمد بن أحمد النقور البزاز ببغداد يقول: سمعت الرئيس أبا محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري صاحب المقامات يقول: أبو زيد السروجي كان شيخاً شحاذاً بليغاً، ومكدياً فصيحاً، ورد علينا البصرة فوقف يوماً في مسجد بني حرام فسلم ثم سأل الناس، وكان بعض الولاة حاضراً والمسجد غاص بالفضلاء، فأعجبتهم فصاحته، وحسن صياغة كلامه وملاحته، وذكر أسر الروم ولده كما ذكرناه في المقامة الحرامية وهي الثامنة والأربعون. قال: واجتمع عندي عشية ذلك اليوم جماعة من فضلاء البصرة وعلمائها، فحكيت لهم ما شاهدت من ذلك السائل وسمعت من لطافة عبارته في تحصيل مراده، وظرافة إشارته في تسهيل إيراده، فحكى كل واحد من جلسائه أنه شاهد من هذا لسائل في مسجده مثل ما شاهدت، وأنه سمع منه في معنى آخر فضلاً أحسن مما سمعت، وكان يغير في كل مسجد زيه وشكله، ويظهر في فنون الحيلة فضله، فتعجبوا من جريانه في ميدانه، وتصرفه في تلونه وإحسانه، فأنشأت المقامة الحرامية ثم بنيت عليها سائر المقامات، وكانت أول شيء صنعته.
قال المؤلف: وذكر ابن الجوزي في تاريخه مثل هذه الحكاية، وزاد فيها أن ابن الحريري عرض المقامة الحرامية على أنو شروان بن خالد وزير السلطان فاستحسنها،وأمره أن يضيف إليها ما يشاكلها، فأتمها خمسين مقامة.
وحدثني من أثق به: أن الحريري لما صنع المقامة الحرامية وتعاني الكتابة فأتقنها وخالط الكتاب، أصعد إلى بغداد فدخل يوماً إلى ديوان السلطان وهو منغص بذوي الفضل والبلاغة، محتفل بأهل الكفاية والبراعة، وقد بلغهم ورود ابن الحريري إلا أنهم لم يعرفوا فضله، ولا أشهر بينهم بلاغته ونبله، فقال له بعض الكتاب: أي شيء تتعانى من صناعة الكتابة حتى نباحثك فيه؟ فأخذ بيده قلماً وقال: كل ما يتعلق بهذا، وأشار إلى القلم فقيل له: هذه دعوى عظيمة، فقال: امتحنوا تخبروا، فسأله كل واحد عما يعتقد في نفسه إتقانه من أنواع الكتابة، فأجاب عن الجميع أحسن جواب، وخاطبهم بأتم خطاب حتى بهرهم، فانتهى خبره إلى الوزير أو شروان بن خالد، فأدخله عليه ومال بكليته إليه وأكرمه وناداه، فتحدثا يوماً في مجلسه حتى انتهى الحديث إلى ذكر أبي زيد السروجي المقدم ذكره، وأورد ابن الحريري المقامة الحرامية التي عملها فيه، فاستحسنها أنو شروان جداً وقال: ينبغي أن يضاف إلى هذه أمثالها وينسج عن منوالها عدة من أشكالها. فقال: أفعل ذلك مع رجوعي إلى البصرة وتجمع خاطري بها، ثم انحدر إلى البصرة فصنع أربعين مقامة، ثم

اصعد إلى بغداد وهي معه وعرضها على أنو شروان فاستحسنها وتداولها الناس، واتهمه من يحسده بأن قال: ليست هذه من عمله لأنها لا تناسب فضائله ولا تشاكل ألفاظه وقالوا: هذا من صناعة رجل كان استضاف به ومات عنده فادعاها لنفسه.

وقال آخرون: بل العرب أخذت بعض القوافل وكان مما أخذ جراب بعض المغاربة وباعه العرب بالبصرة، فاشتراه ابن الحريري وادعاه، فإن كان صادقاً في أنها من عمله فليصنع مقامة أخرى. فقال: نعم سأصنع، وجلس في منزله ببغداد أربعين يوماً فلم يتهيأ له تركيب كلمتين والجمع بين لفظتين، وسود كثيراً من الكاغد فلم يصنع شيئاً فعاد إلى البصرة والناس يقعون فيه ويغيطون في قفاه كما تقول العامة، فما غاب عنهم إلا مديدة حتى عمل عشر مقامات وأضافها إلى تلك، وأصعد بها إلى بغداد فحينئذ بان فضله، وعلموا أنها من عمله، وكان مبتلى بنتف لحيته، فلذلك قول ابن جكينا فيه:

شيخ لنا من ربيعة الفرس ... ينتف عثونه من الهوس

أنطقه الله بالمشان وقد ... ألجمه في العراق بالخرس

وقرأت بخط صديقنا الكمال عمر بن أبي بكر الدباس رحمه الله، حدثني علي بن جابر بن هبة الله بن علي حاكم ساقية سليمان قال: حدثني والدي جابر بن هبة الله أنه قرأ على القاسم بن علي الحريري المقامات في شهور سنة أربع عشرة وخمسمائة قال: وكنت أظن أن قوله:

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرا ... ولا لقيتم ما بقيتم ضرا

قد دفع الليل الذي اكفهرا ... إلى ذراكم شعثاً مغبرا

أنه سغباً معتراً، فقرأت كما ظننت سغباً معترا، ففكر ساعة ثم قال: والله لقد أجدت في التصحيف فإنه أجود، فرب شعب مغبر غير محتاج، والسغب المعتر موضع الحاجة، ولولا أنني قد كتبت خطي إلى هذا اليوم على سبعمائة نسخة قرئت علي لغيرت الشعث بالسغب، والمغبر بالمعتر.

قال مؤلف الكتاب: ولقد وافق كتاب المقامات من السعد ما لم يوافق مثله كتاب ألفته فإنه جمع بين حقيقة الجودة والبلاغة، واتسعت له الألفاظ، وانقادت له نور البراعة حتى أخذ بأزمتها وملك ربقتها، فاختار ألفاظها وأحسن نسقها، حتى لو ادعى بها الإعجاز لما وجد من يدفع في صدره ولا يرد قوله، ولا يأتي بما يقاربها فضلاً عن أن يأتي بمثلها، ثم رزقت مع ذلك من الشهرة وبعد الصيت والاتفاق على استحسانها من الموافق والمخالف ما استحقت وأكثر.

ومن عجيب ما رأيته وشاهدته: أني وردت آمد في سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأنا في عنفوان الشباب وريعه، فبلغني أن بها علي بن الحسن بن عنتر المعروف بالشميم الحلي وكان من العلم بمكان مكين، واعتلق من حباله بركن ركين، إلا أنه كان لا يقيم لأحد من أهل العلم المتقدمين ولا المتأخرين وزناً، ولا يعتقد لأحد فضيلة، ولا يقرأ لأحد بإحسان في شيء من العلوم ولا حسن، فحضرت عنده وسمعت من لفظه إزراءه على أولي الفضل، وتنديده بالمعيب عليهم بالقول والفعل، فلما أبرمني وأضجر، وامتد في غيه وأصحر، قلت له: أما كان فيمن تقدم على كثرتهم وشغف الناس بهم عندك قط مجيد؟ فقال: لا أعلم إلا أن

يكون ثلاثة رجال: المتنبي في مديحه خاصة، ولو سلكت طريقه لما برز علي، ولسقت فضيلته نحوي ونسبتها إلي. والثاني ابن نباتة في خطبه، وإن كانت خطبي أحسن منها أسير، وأظهر عند الناس قاطبة وأشهر.
والثالث ابن الحريري في مقاماته. قلت: فما منعك أن تسلك طريقته وتنشئ مقامات تخمد بها جمرته؟ وتملك بها دولته.
فقال: يا بني، الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، ولقد أنشأتها ثلاث مرات ثم أتأملها فأسترذلها، فأعمد إلى البركة فأغسلها ثم قال: ما أظن الله خلقني إلا لإظهار فضل الحريري. وشرح مقاماته بشرح قرئ عليه وأخذ عنه وكتب ابن الحريري إلى سديد الدولة في صدر الكتاب:
وما نومة بعد الضحى لمسهد ... زوى همه بالليل عن جفنه السنه
بأحلى من البشرى بأن ركابكم ... ستسري إلى بغداد في هذه السنه
وقرأت في كتاب لبعض أدباء البصرة: قال الشيخ أبو محمد حرس الله نعمته معاياة:
ميم موسى من نون نصر ففسر ... أيهذ الأديب ماذا عنيت؟
تفسيره: ميم الرجل: إذا أصابه الموم وهو البرسام، ويقال: إنه أشد الجدري. ونون نصر: حوت نصر، والنون السمكة، يعني أنه أكل سمكة نصر فأصابه الموم. وله في الأمثلة:
باء بكر بلام ليلى فما ين ... فك منها إلا بغين وها
باء: أي اقرأ، واللام: الدرع، فلما أقرأ لليلى به ألزمته فلا ينفك منها إلا بعين أي الدرع بعينه هاء أي خذي.
حدثني أبو عبد الله الدبيثي قال: حدثني أبو الحسن علي بن جابر، حدثني أبي أبو الفضل جابر بن زهير قال حضرنا مع ابن الحريري في دعوة لظهير الدين بن الوجيه رئيس البصرة في ختان ابنه أبي الغنائم وكان هناك مغن يعرف بحمد المصري وكان غاية في امتداد الصوت وطيب النغمة فغنى:
بالذي ألهم تعذي ... بي ثناياك العذابا
ما الذي قالته عينا ... ك لقلبي فأجابا؟
فطرب الحاضرون وسألوا ابن الحريري أن يزيد فيها شيئاً فقال:
قل لمن عذب قلبي ... وهو محبوب محابي
والذي إن سمته الوص ... ل تغالى وتغابى
ثم البيتان. فاستحسنها الجماعة وأقسموا على المغنى ألا يغنيهم غيرها، فمضى يومهم أجمع بهذه الأبيات.
وأنشد أيضاً لحريري:

لا تخطون إلى خطء ولا خطأ ... من بعد ما الشيب في فوديك قد وخطا
وأي عذر لمن شابت ذوائبه ... إذا سعى في ميادين الصبا وخطا؟
ومن شعره:
خذ يا بني بما أقول ولا تزغ ... ما عشت عنه تعش وأنت سليم

لا تغترر بيني الزمان ولا تقل ... عند الشدائد لي أخ ونديم
جربتهم فإذا المعاقر عاقر ... والآل آل والحميم حميم
ولابن الحريري من التصانيف: كتاب المقامات، كتاب درة الغواص في أوهام الخواص، كتاب ملحة الإعراب وهي قصيدة في النحو، كتاب شرح ملحة الإعراب، كتاب رسائله المدونة، كتاب شعره.
حدثني أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثي قال: سمعت القاضي أبو الحسن علي بن جابر بن زهير يقول: سمعت أبي أبا الفضل جابر بن زهير يقول: كنت عند أبي محمد القاسم ابن الحريري البصري بالمشان أقرأ عليه المقامات، فبلغه أن صاحبه أبا زيد المطهر بن سلام البصري الذي عمل المقامات عنه قد شرب مسكراً فكتب إليه وأنشدناه لنفسه:
أبا زيد اعلم أن من شرب الطلا ... تدنس فافهم سر قولي المهذب
ومن قبل سميت المطهر والفتى ... يصدق بالأفعال تسمية الأب
فلا تحسها كيما تكون مطهراً ... وإلا فغير ذلك الاسم واشرب
قال: فلما بلغه الأبيات أقبل حافياً إلى الشيخ أبي محمد وبيده مصحف فأقسم به ألا يعود إلى شرب مسكر. فقال له الشيخ: ولا تحاضر من يشرب.
حدثني ابن الدبيثي قال: وأنشدني ابن جابر قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن الحسن بن المنقبة الفقيه بالرحبة لنفسه يعارض أبا محمد بن الحريري في بيتيه اللذين قال فيهما: أسكنا كل نافث، وأمنا أن يعززا بثالث:
ملأمة الوكعاء بين الورى ... أحسن من حر أتى ملأمه
فمه إذا استجديت عن قول لا ... فالحر لا يملأ منها فمه
نقلت من خط أبي سعد السمعاني، أنشدنا أبو القاسم عبد الله بن القاسم بن علي بن الحريري، أنشدني والدي لنفسه وهو مما كاتب به شيخ الشيوخ أبا البركات إسماعيل بن أبي سعد:
سلام كأزهار الربيع نضارة ... وحسناً على شيخ الشيوخ الذي صفا
ولو لم يعقني الدهر عن قصد ربعه ... سعيت كما يسعى الملبي إلى الصفا
ولكن عداني عنه الدهر مكدر ... ومن ذا الذي واتاه من دهره الصفا؟
ومن خطه: أنشدني أبو العباس أحمد بن بختيار بن علي الواسطي، أنشدنا القاسم بن علي الحريري لنفسه:
أحمد بحلمك ما يذكيه ذو سفه ... من نار غيظك واصفح إن جنى جاني
فالحلم أفضل ما ازدان اللبيب به ... والأخذ بالعفو أحلى ما جنى جاني
وكتب ابن الحريري إلى سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الأنباري كتاباً على يد ولده قال فيه: كتب الخادم وعنده من تباريح الأشواق إلى الخدمة ما يصدع الأطواد، فكيف الفؤاد؟ ويوهي إلى الجبال، فكيف البال؟ ولكنه يستدفع الخوف بسوف، ويبرد حر الأسى بعسى، وهو على جمعهم إذا يشاء قدير.
ألا ليت شعري والتمني خرافة ... وإن كان فيه راحة لأخي الكرب
أتدرون أني مذ تناءت دياركم ... وشط اقترابي من جنابكم الرحب

أكابد شوقاً ما يزال أواره ... يقلبني بالليل جنباً إلى جنب
أسكب للبين المشت مدامعاً ... كأن عزاليها امترين من السحب
وأذكر أيام التلاقي فأنثني ... لتذكارها بادي الأسى ذاهب اللب
ولي حنة في كل وقت إليكم ... ولا حنة الصادي إلى البارد العذب
فوالله إني لو كتمت هواكم ... لما كان مكتوماً بشرق ولا غرب
ومما شجا قلبي المعنى وشفه ... رضاكم بإهمال الإجابة عن كتبي
على أنني راض بما ترضونه ... وأفخر بالإعتاب فيكم وبالعتب
ولما سرى الوفد العراقي نحوكم ... وأعوزني المسرى إليكم مع الركب
جعلت كتابي نائباً عن ضرورة ... ومن لم يجد ماء تيمم بالتر

وأنفذت أيضاً بضعة من جوارحي ... تنبئكم مشروح حالي وتستبي
وقلت له عند الوداع وقلبه ... شج وأبوه الشيخ مكتئب القلب
ألا أبشر بما تحظى به حين تجتلي ... محيا سديد الدولة الماجد الندب
ولست أرى إذكاركم بعد خبركم ... بمكرمة، حسبي اهتزازكم حسبي

هذه على عاهتها بنت ساعتها، فإن حظيت منه بالقبول المأمول، فيا بشرى للحامل والمحمول، وإن لحت لمحة المستثقل، فيا خيبة المرسِل والمرسَل، والسلام.

ومن رسائل ابن الحريري رسالة التزم في كل كلمة منها السين نثراً ونظماً، كتبها على لسان بعض أصدقائه يعاتب صديقاً له أخل به في دعوة دعا غيره إليها وكتب على رأسها: باسم القدوس أستفتح، وبإسعاده أستنجح، سجية سيدنا سيف السلطان سدة سيدنا الإسفهسلار السيد النفيس سيد الرؤساء حرست نفسه، واستنارت شمسه، وبسق غرسه، واتسق أنسه استمالة الجليس، ومساهمة الأنيس، ومواساة السحيق والنسيب، ومساعدة الكسير والسليب، والسيادة تستدعي استدامة السنن، والاستحفاظ بالرسم الحسن.

وسمعت بالأمس تدارس الألسن سلاسة خندريسه، وسلسال كئوسه، ومحاسن مجلس مسرته، وإحسان مسمعة ستارته فاستسلفت الاستدعاء، وتوسمت الإسراء، وسوفت نفسي بالإحتساء ومؤانسة الجلساء، وجلست أستقري، السبل، وأستطلع الرسل، وأستطرف تناسي رسمي، وأسامر الوسواس لاستحالة وسمي:

وسيف السلاطين مستأثر ... بأنس السماع وحسو الكئوس
سلاني وليس لباس السلو ... يناسب حسن سمات النفيس
وسنن تناسي جلاسه ... وأسوا السجايا تناسي الجليس
وسر حسودي بطمس الرسوم ... وطمس الرسوم كرمس النفوس
وأسكرني حسرة واستعاض ... لقسوته سكرة الخندريس
وساقى الحسام بكاس السلاف ... وأسهمني بعبوس وبوس
سأكسوه لبسة مستعتب ... وألبس سربال سال يئوس

وأسطر سيناته سيرة ... تسير أساطيرها كالبسوس
وحسبنا السلام رسول السلام.
وكتب إلى أبي طلحة ابن النعمان الشاعر لما قصده إلى البصرة يمدحه ويشكره، ويتأسف على فراقه: بإرشاد المنشئ أنشئ، شغفي بالشيخ شمس الشعراء، ريش معاشه وفشا رياشه، وأشرق شهابه، واعشوشبت شعابه، يشاكل شغف المنتشي بالنشوة، والمرتشي بالرشوة، والشادن بشرخ الشباب، والعطشان بشم الشراب.
وشكري لتجشمه ومشقته، وشواهد شفقته، يشابه شكر الناشد للمنشد، والمسترشد للمرشد، والمستبشر للمبشر، والمستجيش للجيش المشمر. وشعاري إنشاد شعره، وإشجاء المكاشر والمكاشح بنشره.
وشغلي إشاعة وشائعه، وتشييد شوافعه، والإشارة بشذوره وشفوفه، والمشورة بتشييعه وتشريفه، وأشهد شهادة تشده المقشر المكاشف، والمشنع الكاشف. لإنشاؤه ومشاهدته تدهش الشائب والناشئ، ولمشافهته تباشير الرشد، واستشيار الشهد، ولمشاحنته تشقي المشاحن، وتشين المشاين، ولمشاغبته تشظى الأشطان، وتشيط الشيطان. فشرفا للشيخ شرفاً، وشغفاً بشنشنته شغفاً:
فأشعاره مشهورة ومشاعره ... وعشرته مشكورة وعشائره
شأى الشعراء المشمعلين شعره ... فشانيه مشجو الحشا ومشاعره
وشوه ترقيش المرقش رقشه ... فأشياعه يشكونه ومعاشره
وشاق الشباب الشم والشيب وشيه ... فمنشوره بشرى المشوق وناشره
شكور ومشكور وحشو مشاشه ... شهامة شمير يطيش مشاجره
شقاشقه مخشية وشباته ... شبا مشرفي جاش للشر شاهره
شفا بالاناشيد النشاوى وشفهم ... فمشفيه مستشف وشاكيه شاكره
ويشدو فيهتش الشحيح لشدوه ... ويشغفه إنشاده فيشاطره
تجشم غشياني فشرد وحشتي ... وبشر ممشاه ببشر أباشر
سأنشده شعراً تشرق شمسه ... وأشكره شكراً تشيع بشائره

وأشهد شاهد الأشياء، ومشبع الأحشاء، ليشعلن شواظ اشتياقي في شحطه، ولشعثن شمل نشاطي نشطه، فناشدت الشيخ أيشعر باستيحاشي لشسوعه، وإجهاشي لتشييعه، ووشايتي بنشيده الموشي، وتشكل شخصه بالإشراق والعشي، حاشاه تعتشيه شبهة وتغشاه، فليستشف شرح شجوي بشطونه، وليرشحني لمشاركة شجونه، وليشغلني بتمشية شئونه، وليشيد جاشي، ويشارف انكماشي، عاش منتعش الحشاشة، مستشري البشاشة، مشحوذ الشفار، منتشر الشرار، شتاماً للأشرار، شحاذاً بالأشعار، يشرخ ويحوش، ويقنفش المنفوش الشديد البطش، الشامخ العرش، وتشريفه لبشير البشر، وشفيع المحشر.
وله من المقامات:
وأحوى حوى رقي برقة لفظه ... وغادرني إلف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وإنني ... لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره

أصدق منه الزور خوف ازوراره ... وأرضى استماع الهجر خشية هجره
وأستعذب التعذيب منه وكلما ... أجد عذابي جد بي حب بره
تناسى ذمامي والتناسي مذمة ... وأحفظ قلبي وهو حافظ سره
له مني المدح الذي طاب نشره ... ولي منه طي الود من بعد نشره
وإني على تصريف أمري وأمره ... أرى المر حلواً في انقيادي لأمره

وقال الرئيس أبو الفتح هبة الله بن الفضل بن صاعد بن التلميذ الكاتب: كان الشيخ الأجل الإمام الأوحد أبو محمد القاسم بن علي بن الحريري – رضي الله عنه – الإمام المشهور الفضل، من أعيان دهره، وفريد عصره، وممن لحق طبقة الأوائل، وغبر عليهم في الفضائل، وكانت بيني وبينه مكاتبة قديمة في سنة خمس وتسعين وأربعمائة عند ابتدائه حمل المقامات التي أنشأ، ولما وقع الاجتماع به في سنة أربع وخمسمائة ببغداد وسماعها منه عدة دفعات، جاريته وسألته أن ينظم في النحو مختصراً يحفظه المبتدئون، فشرع في نظم هذه الأرجوزة، وأملى علي منها أبواباً يسيرة، وانحدر من غير إتمامها، واستعاد مني ما أملاه ليحرره، فكاتبته دفعات أقتضيه بها، وأذكره بإنفاذها وإنفاذ كتابه: درة الغواص في أوهام الخواص، فكتب إلي جوابين نسخة الأول منهما: وصل من حضرة سيدنا – أطال الله بقاءه ومدته، وحرس عزه ونعمته، وضاعف سعادته، وكبت حسدته – ، كتاب كريم، مودعه طول جسيم، وفي ضمنه در نظيم، فابتهجت بتناوله، وقررت عيناً بتأمله، وتذكرت الأوقات التي أسعد الدهر فيها برؤيته، وأحظى باجتلاء فضله وروايته، وشكرت الله على ما يوليه من حسن صنعه، وسألته – جلت عظمته – أن يجعل النعمة راهنة بربعه، والسعادة جاذبة أبداً بضبعه، وسررت بما بشرني به من نجابة السيد الرئيس، الولد النفيس – أمتع الله ببقائه – ، وأتاح لي تجدد الأنس بلقائه، ولم أستبعد أن يقمر هلاله بل يبدر، ولا استبعدت أن يورق إن دوحته الزكية ويثمر، والله تعالى يمليه أطول الأعمار في رفاهة الأسرار، ومواتاة الأقدار حتى يعاين أسباطه، ويضاعف باجتماعهم وتضاعفهم بحوزته اغتباطه. فأما الملحة إن أمكن تنفيذها مع أحد المترددين إلى هذا المكان لألحق بها الزيادة، وأهذبها كما يطابق الإرادة، فأوعز به.

وأما درة الغواص في أوهام الخواص، فأرجو أن ينشئ الإصعاد إلى بغداد لتصفحها من البدء، وكأن قد، وإلى أن يسهل المأمول من الالتقاء، فما أولى همته الكريمة بإتحافي بالأنباء، وإنهاضي بما يسنح من الأوطار والأهواء، ورأيه أعلى إن شاء الله.

نسخة الكتاب الثاني، وهو المنفذ مع الملحة المذكورة:

لئن كانت الأيام أحسن مرة ... إلي لقد عادت لهن ذنوب

إذا فكرت – أطال الله بقاء سيدنا – وضاعف سعادته، وكبت حسدته فيما كان سمح به الزمان من تلك الملاقاة الحلوة، وإن كانت أقل من الحسوة أعظمت قيمة حسناه، ووجدتها أحلى إسعاف وأسناه، ثم فكرت فيما أعقب من الفرقة، وألهب في الصدر من الحرقة، وجدته كمن رجع في المنحة، وطمس الفرحة بالترحة، ولولا تعلة القلب المشجو بالتلاقي المرجو لذاب من اتقاد الشوق، ولقال: شب عمرو عن الطوق، وفي

لوامح تلك الألمعية ما يغني عن تبيان تلك الطوية، وكان قد وصل من حضرته أنسها الله تعالى ما أعرب فيه عن كريم عهده، وتباريح وجده، فلم أستبدع العذوبة من ورده، ولا استغربت ما توالى من بره وحسن عهده، وبمقتضى هذه الأوامر والطول المتناصر انعكافي على الشكر، واعترافي بعوارفه الغر، فأما استطلاع ملحة الإعراب المشتبهة بالسراب، فقد آثرت خزائنه – عمرها الله تعالى – بمسودتها على شعب بنيتها، وشوه خلقتها، ولو لم تعرض حادثة العرب، العائقة عن كل أرب، لزففتها كما تزف العروس المقينة، والخطب المزينة، غير أني أرجو أن ترزق حظوة القباح، وألا تجبه بالذم الصراح، ولكتبه – حرس الله نعمته – عندي موقع أنفس التحف، وشكري على التكرم بها شكر من اتشح بها والتحف، وسيدنا أمين الدولة رئيس الحكماء مخدوم بأفضل دعاء، وأطيب ثناء وسلام، ولرأيه – أدام الله نعمته – في الإيعاز بالوقوف على ما شرحته وتمثل ما أوضحته – علوه إن شاء الله تعالى.

نسخة كتاب كتبه ابن الحريري إلى أبي الفتح بن التلميذ قبل اللقاء:

جزى الله خيراً والجزاء بكفه ... بني صاعد أهل السيادة والمجد

هم ذكروني والمهامه بيننا ... كما ارفض غيث في تهامة من نجد

لو أخذت في وصف شغفي بمناقب سيدنا – أطال الله بقاءه وأدام علاءه، وحرس نعماءه، وكبت حساده وأعداءه – وما أنا بصدد من مدح سوددة، وشرح تطوله وتوددة، لكنت بمثابة المغترين، في محاولة عد رمل يبرين، لكنني راج أن أحظى من ألمعيته الثاقبة، وبصيرته الصائبة، بما يمثل له عقيدتي ويطلعه على نخيلة مودتي، وما أملك في مقابلة مفاتحته التي أخلصت له إيجاب الحق وفضيلة السبق، إلا الثناء الذي أتلو صحائفه، والدعاء الذي أقيم في كل وقت وظائفه، والله سبحانه يحسن توفيقي لما يشيد مباني المودة، التي أعتدها أفضل مقاني العدة، ثم إني لفرط اللهج باستملاء فضائله النيرة، واستطلاع محاسنه المسيرة، وأسائل عن خصائصه الركبان، وأطرب بسماعها ولا طرب النشوان. ولما حضر الشيخ الأديب الرئيس أبو القاسم ابن الموذ – أدام الله تمكينه – ألفيته موالياً مغالياً، وداعية إليه وداعياً، فازددت كلفاً بما وعيته منه، وشغفاً بما استوضحته عنه، واستدللت على كمال سيدنا باستخلاص شكر مثله، وتحققت وفور أفضاله وفضله، فافتتحت المكاتبة بتأدية هذه الشهادة، واستمداد سنة المواصلة المعتادة، والتكرمة التي تقتضيها بواعث السيادة، ولرأيه في الوقوف على ما كتبته، والتطول فيه بما توجبه أريحيته، علوه إن شاء الله تعالى.

وكتب إلى سديد الدولة رسالة صدرها بهذين البيتين:

عندي بشكرك ناطقان فواحد ... آثار طولك واللسان الثاني

ومجال منتك التي أوليتني ... في الشكر أفصح من مجال لساني

وصدر رسالة أخرى إليه بهذه الأبيات:

أهنيك بل نفسي أهني بما سنى ... لك الله من نيل المنى وبما أسنى

شكرت زماني بعد ما كنت عاتباً ... عليه لما أسدى إليك من الحسنى

وأيقنت إذ واتاك أن قد تيقظت ... لإرضاء أهل الأرض مقلته الوسنى

ففخراً بما في عظم فخرك شبهه ... ولا لك شبه في الأنام إذا قسنا

جمال الورى مليت تشريفك الذي ... أفاض عليك الصيت والعز والحسنى
ومن عجب أني أهنيك بالذي ... أهني به لكن كذا سن من سنا
وكتب إلى المؤيد أبي إسماعيل الطغرائي يهنئه بولاية الطغرا في سنة تسع وخمسمائة، فأجابه الطغراني بجواب هذا نسخته:
ما الروض أضحكت السحاب ثغوره ... وأفاح أنفاس الصبا منثوره
يوماً بأبهج من كتاب نمنمت ... يمناك يا شرف الكفاة سطوره
وافى إلي فتهت حين رأيته ... تيه الملى إذ رأى منشوره

فلثمته عشراً ولو قبلته ... ألفاً وألفاً لم أوف مهوره
وفضضته عن لؤلؤ ولو أنه ... للسمط زان فصوله وشذوره
وأجلت منه الطرف فيما راقه ... وأتاح للقلب الكئيب سروره
قسماً لأنت الفرد في الفضل الذي ... لولاك أطفأت الجهالة نوره
منك امترى لما ارتضعت لبانه ... وبك ازدهى لما احتلبت شطوره
فاسلم له حتى نجدد ما عفا ... منه وتجبر وهنه وكسوره
واعذر وليك إن تقاصر سعيه ... واغفر له تقصيره وقصوره
وصل من المجلس السامي المؤيدي – ضاعف الله علوه وأضعف عدوه، وأكمل سعوده وأكمد حسوده – كتاب اتسم بالمكرمة الغراء، وابتسم عن التكرمة العذراء فخلته كتاب الأمان من الزمان، وتلقيته كما يتلقى الغنسان صحيفة الغحسان، وقابلت ما أودع من البر والطول المبر، بالشكر الذي هو جهد المقل ونسك المستقل، ووجدت ما ألحف من التجميل وأتحف من الجميل ما كانت أطماعي تتوق إليه، وآمالي تحوم حواليه، إذ ما زلت منذ استمليت وصف المناقب المؤيدية، ورويت خبرها عن الرواية الشريفة الشرفية، أبعث قلمي على ان يفاتح، وأن يكون الرائد لي والماتح، وهو ينكص نكوص الهيوبة، وينكل نكول الهام عن الضريبة، فأكابد لإحجامه الأسى، وأزجي الأيام بلعل وعسى، إلى ان بديت وهديت، وأريت كيف يحي الله من يميت؟ فلم يبق بعد أن أنشط العقال واستدعى المقال، إلا أن أنقل الحشف إلى هجر وأزف الهشيم إلى الشجر، فأصدرت هذه الخدمة المتشحة بالخجل، المرتعشة من الوجل، وأنا معترف بسالف التقصير ومعتذر عنه باللسان القصير، فإن قربت عند الوصول، وقرنت بحظوة القبول، فلذلك الذي كانت تتمنى، وحق لي ولها أن تمنى، وإن ألغيت إلغاء الحوار في الدية، ونددد بمفاضحها في الأندية، فما هضمت فيما قوبلت، ولا ظلمت إذ ما قبلت، على أن لكل امرئ ما نوى، وأن تعفوا أقرب للتقوى، وإن كان وضح اجتهادي فيما وقف من الوطر الذي تأكد فيه اعتراض القدر، وانتقاص النظر، فيا بردها على الكبد، ويا بشرى خادمه المجتهد، ثم إن استخدمت بعد في خدمة اجتهدت، وانتهزت فرصة فريضتها ولو جاهدت، وللرأي الشريف في الإمام بتحسين ما يتأمل، وتحقيق ما يؤمل، مزيد السمو إن شاء الله تعالى.

القاسم بن فيرة بن أبي قاسم

أبو محمد الرعيني ثم الشاطبي المقرئ، كان فاضلاً في النحو والقراءة، وعلم التفسير، وله لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم نظم قصيدة من خمسمائة بيت في كتاب التمهيد لابن عبد البر. وكان شعره صعباً لا يكاد يفهم من ذلك قوله:

يلومونني إذ ما وجدت ملائماً ... ومالي مليم حين سمت الأكارما؟

وقالوا: تعلم للعلوم نفاقها ... بسحر نفاق تستخف العزائما

وهي قصيدة طويلة، وله:

بكى الناس قبلي لا كمثل مصائبي ... بدمع مطيع كالسحاب الصوائب

وكنا جميعاً ثم شتت شملنا ... تفرق أهواء عراض المواكب

وله قصيدة نظم فيها المقنع لأبي عمرو الداني في خط المصحف، وكان رجلاً صالحاً صدوقاً في القول مجداً في الفعل، ظهرت عليه كرامات الصالحين كسماع الأذان بجامع مصر وقت الزوال من غير مؤذن، ولا يسمع ذلك إلا عباد الله الصالحون، وكان يعذل أصحابه على أشياء لم يطلعوه عليها، وكان مولده في سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة. ومات رحمه الله يوم الأحد بعد صلاة العصر الثامن والعشرين من جمادى الآخرة سنة تسعين وخمسمائة، ودفن في مقبرة البيساني بسارية مصر بعد أن أضر. أخذ القراءة عن الشيخين الإمامين أبي الحسن علي بن هذيل، وأبي عبد الله محمد بن أبي العاص النفري.

قال الشيخ الإمام علم الدين أبو الحسن علي بن محمد السخاوي تلميذه وشارح قصيدته، وقد وصف دينه وروعه وصلاحه ثم قال: وذكرت له يوماً جامع مصر وقلت له قد قيل: إن الأذان يسمع فيه من غير المؤذنين ولا يدرى ما هو؟ فقال: قد سمعته مراراً لا أحصيها عند الزوال. وقال لي يوماً: جرت بيني وبين الشيطان مخاطبة فقال: فعلت كذا فسأهلكك فقلت له: والله ما أبالي بك. وقال لي يوماً: كنت في طريق وتخلف عني من كان معي وأنا على الدابة، وأقبل اثنان فسبني أحدهما سباً قبيحاً، فأقبلت على الاستعاذة وبقي كذلك إلى ما شاء الله، ثم قال له الآخر: دعه، وفي تلك الحال لحقني من كان معي فأخبرته بذلك، فطلب يميناً وشمالاً فلم يجد أحداً.

وكان رحمه الله يعذل أصحابه في السر على أشياء لا يعلمها منهم إلا الله عز وجل، وكان يجلس إليه من لا يعرفه فلا يرتاب به أنه يبصر، لأنه لذكائه لا يظهر منه ما يظهر من الأعمى في حركاته.

القاسم بن عمر بن منصور

الواسطي أبو محمد، مولده بواسط العراق في سنة خمسين وخمسمائة في ذي الحجة، ومات بحلب يوم الخميس رابع ربيع الأول سنة ست وعشرين وستمائة، أديب نحوي لغوي فاضل أريب، له تصانيف حسان، ومعرفة بهذا الشأن. قرأ النحو بواسط وبغداد على الشيخ مصدق بن شبيب، واللغة على عميد الرؤساء هبة الله بن أيوب، وقرأ القرآن على الشيخ أبي بكر الباقلاني بواسط، وعلى الشيخ علي بن هياب الجماجي بواسط أيضاً، وسمع كثيراً من كتب اللغة والنحو والحديث على جماعة يطول شرحهم علي، منهم: أبو الفتح محمد

بن احمد بن بختيار المانداني، واحمد بن الحسين بن المبارك بن نغوبا، سمع عليه المقامات عن الحريري، فانتقل من بغداد إلى حلب في سنة تسع وثمانين وخمسمائة، فأقام بها يقرئ العلم ويفيد أهلها نحواً ولغةً وفنون علوم الأدب، وصنف بها عدة تصانيف، وهي على ما أملاه علي هو بباب داره من حاضر حلب في جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة وستمائة: كتاب شرح اللمع لابن جني، كتاب التصريف الملوكي لابن جني أيضاً، كتاب فعلت أو أفعلت بمعنى على حروف المعجم، كتاب في اللغة لم يتم إلى هذه المدة، كتاب شرح المقامات على حروف المعجم ترتيب العزيزي، كتاب شرح المقامات آخر على ترتيب آخر، كتاب خطب قليلة، كتاب رسالة فيما أخذ على ابن النابلسي الشاعر في قصيدة نظمها في الإمام الناصر لدين الله أبي العباس صلوات الله عليه أولها: الحمد لله على نعمه المتظاهرة، والصلاة على خير خلقه محمد وعترته الطاهرة، وبعد: فإنه لما أخرت الفضائل عن الرذائل، وقدمت الأواخر على الأوائل، ونبذ عهد القدماء، وجهل قدر العلماء، وصار عطاء الأموال باعتبار الأحوال لا باختيار الأقوال، وظهر عظيم الإجلال بالأسماء لا بالأفعال، علمت أن الأقدار هي التي تعطي وتمنع، وتخفض وترفع، فأخملت عند ذلك من ذكري وقدري، وأخفيت من نظمي ونثري، ولأمر ما جدع قصير أنفه ومن شعر فقه:

ومالي إلى العلياء ذنب علمته ... ولا أنا عن كسب المحامد باعد

وقلت: اصبر على كبد الزمان وكده، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده:

فلو لم يعل إلا ذو محل ... تعالى الجيش وانحط القتام

إلى أن بلغني ممن يعول عليه، ويرجع في القول إليه عن بعض شعراء هذا الزمان ممن يشار إليه بالبنان، أنه أنشد عنده بيت الوليد، يشهد له بالفصاحة والتجويد وهو قوله:

إذا محاسني اللائي أدل بها ... صارت ذنوبي فقل لي كيف أعتذر؟

فقال مقال المفتري: كم قد خرينا على البحتري؟ فصبرت قلبي على أذاته وأغضيت جفني على قذاته حتى ابتدرني بالبادرة، التي يقصر عنها لسان الحادرة، فلو كان النابلسي كابن هانئ الأندلسي، لزلزلت الأرض زلزالها، وأخرجت الأرض أثقالها، فيا لله العجب، متى أشرفت الظلمة على الضياء، أو علت الأرض على السماء؟ وأين السها من القمر؟ وكيف يضاهي الغمر بالغمر؟ فإنا لله، وأفوض أمري إلى الله، أفي كل سحابة أراع برعد؟ وفي كل واد بنو سعد:

وإني شقي باللئام ولا ترى ... شقياً بهم إلا كريم الشمائل

لقد تحككت العقرب بالأفعى، واستنت الفصال حتى القرعى:

وطاولت الأرض السماء سفاهة ... وفاخرت الشهب الحصا والجنادل

وما ذلك التيه والصلف؟ والتجاوز للحد والسرف، إلا لأنه كلما جر جريراً اعتقد أنه قد جر جريراً، وكلما ركب الكميت ظن انه ارتكب الكميت، وكلما أعظم من غير عظم، وأكرم من غير كرم، شمخ بأنفه وطال، وتطاول إلى ما لن ينال، وزعم أنه قد بلد لبيداً، وعبد عبيداً ولا والله ليس الأمر كما زعم، ولا الشعر كما نظم، ولكنها المكارم السلطانية الملكية الظاهرية التي نوهت بذكره فسترها، ورفعت من قدره

فكفرها بقول سأذكره إذا انتهيت إليه. ولما طلب العبد كراعاً فأعطي ذراعاً، خرج على من يعرفه، وبهرج على من يكشفه، فقلت: لا مخبأ بعد بوس، ولا عطر بعد عروس:

وما أنا بالغيران من دون جاره ... إذا أنا لم أصبح غيوراً على العلم

وقصدت قصيداً من شعره، يزعم أنها من قلائد دره، قد هذبها في مدة سنين، ومدح بها أمير المؤمنين. وقال فيها:

فانظر لنفسك أي در تنظم؟

فكان لعمري ناظماً غير أنه ... كحاطب ليل فاته منه طائل

فوا عجباً كم يدعي الفضل ناقص؟ ... ووا أسفا كم يظهر النقص فاضل؟

وتتبعت ما فيها من غلطاته، وأظهرت ما خفي فيها من سقطاته، ولبست له جلد النمر. واندفقت عليه كالسيل المنهمر. بعد ان كتبها بخطه. وزينها بإعرابه وضبطه:

وابن اللبون إذا مالز في قرن ... لم يستطع صولة البزل القناعيس

فوجدته قد أخطأ منها في واحد وعشرين مكاناً، عدم فيها تمكناً من العلم وإمكاناً، فمنها ستة عشر موضعاً توضحها الكتابة والنظر، ومنها خمسة توضحها المجادلة والنظر فهذا من جيد مختاره وما يظهر على اختياره. وإن وقع إلى شيء من مزوق شعره أو منوق مستعاره، لأعصبنه فيه عصب السلمة، ولأعذبنه تعذيب الظلمة:

فإن قلتم: إنا ظلمنا فلم نكن ... بدأنا ولكنا أسأنا التقاضيا

ولو أنه اقتصر على قصوره، وأنفق من ميسوره، وستر عواره ولم يبد شواره لطويته على غره، ولم أنبه على عاره وعره فإن من سلك الجدد أمن العثار وسلم من سالم النقع المثار، ولكن كان كالباحث عن حتفه بظلفه، فلحق بالأخسرين أعمالاً، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وخطؤه في هذه القصيدة ينقسم قسمين: قسم فاته فيه أدب الدرس، فيقسم أيضاً قسمين: قسم لغوي، وقسم صناعي، فأما القسم اللغوي: فإنه كذا وكذا لم يحتمل هذا المختصر ذكره. وأنشدني لنفسه من قصيدة:

ديباج وجهك بالعذار مطرز ... برزت محاسنه وأنت مبرز

وبدت على غصن الصبا لك روضة ... والغصن ينبت في الرياض ويغرز

وجنت على وجنات خدك حمرة ... خجل الشقيق بها وحار القرمز

لو كنت مدعياً نبوة يوسف ... لقضى القياس بأن حسنك معجز

وأنشدني لنفسه من قصيدة:

زهر الحسن فوق زهر الرياض ... منه للغصن حمرة في بياض

قد حمى ورده ونرجسه الغض ... ض سيوف من الجفون مواض

فإذا ما اجتنيت باللحظ فاحذر ... ما جنت صحة العيون المراض

فلها في القلوب فتكة باغ ... رويت عنه فتكة البراض

وإذا فوقت سهاماً من الهد ... ب رمين السهام بالأغراض
واغتنم بهجة الزمان وبادر ... شمس أيامه الطوال العراض
بشموس الكئوس تحت نجوم ... في طلوع من أفقها وانقضاض
واجل من جوهر الدنان عروساً ... نطقت عن جواهر الأعراض
كلما أبرزت أرتك لها وج ... ه انبساط يعطيك وجه انقباض
فعلى الأفق للغمام ملاء ... طرزتها البروق بالإيماض
وكأن الرعود إرزام نوق ... فصلت دونها بنات المخاض
أو صهيل الجياد للملك الظ ... ظاهر تسري بالجحفل النهاض
وأنشدني لنفسه يهجو ابن النابلسي المذكور:
لا تعجبن لمدلوي ... ه إذا بدا شبه المريض
قد ذاب من بخر بفي ... ه بدا من الخلق البغيض
وتكسرت أسنانه ... بالعض في جعس القريض
وتقطعت أنفاسه ... عرضاً بتقطيع العروض

وأنشدني لنفسه يهجو ابن النابلسي المذكور:
يا من تأمل مدلوي ... ه وشك فيما يسقمه
أنظر إلى بخر بفي ... ه وما أظنك تفهمه
ولا تحسبن بأنه ... نفس يغيره فمه
لكنما أنفاسه ... نتت بشعر ينظمه
وأنشدنا لنفسه في ذي الحجة سنة عشرين وستمائة بحلب:
أرى بغضي على الجهلاء داء ... يموت ببغضه القلب العليل
فهم موتى النفوس بغير دفن ... وأحياء عزيزهم ذليل
يغطون السماء بكل كف ... لها في الطول تصير طويل
ويبدون الطلاقة. من وجوه ... كما يبدو لك الحجر الصقيل
إذا قاموا لمجد أقعدتهم ... مسالك ما لهم فيها سبيل
وإن طلبوا الصعود فمستحيل ... وإن لزموا النزول فما يزول
كذاك السجل في الدولاب يعلو ... صعوداً والصعود له نزول
وأنشدنا لنفسه بالتاريخ:
لنا صديق به انقباض ... ونحن بالبسط نستلذ
لا يعرف الفتح في يديه ... إلا إذا ما أتاه أخذ
فكفه كيف حين يعطي ... شيئاً وبعد العطاء منذ

وأنشدني لنفسه أيضاً:

لا ترد من خيار دهرك خيراً ... فبعيد من السراب الشراب

رونق كالحباب يعلو على الكا ... س ولكن تحت الحباب الحباب

عذبت في النفاق ألسنة القو ... م وفي الألسن العذاب العذاب

وأنشدني لنفسه أيضاً موشحة على طريقة المغاربة:

في زهرة وطيب ... بستاني من أوجه ملاح

أجلو على القضيب ... ريحاني والورد والأقاح

ما روضة الربيع ... في حلة الكمال

تزهو على ربيع ... مرت به الشمال

في الحسن كالبديع ... بالحسن والجمال

ناهيك من حبيب ... نشوان بالدل وهو صاح

إن قلت وا لهيبي ... حياني من ثغره براح

كم بت والكئوس ... تجلى من الدنان

كأنها عروس ... زفت من الجنان

تبدو لنا الشموس ... منها على البنان

لم أخش من رقيب ... ينهاني ألهو إلى الصباح

من شادن ربيب ... فتان زندي له وشاح

خيل الصبا بركضي ... تجري مع الغواه

في سنتي وفرضي ... لا أبتغي سواه

وحجتي لعرضي ... ما تنقل الرواه

عن عاقل لبيب ... أفتاني أن الهوى مباح

والرشف من شنيب ... ريان ما فيه من جناح

وأنشدني لنفسه أيضاً موشحة:

أي عنبرية ... في غلائل الغلس

من زبرجديه ... تنبه النعس

جادها الغمام ... فانتشى بها الزهر

وابتدا الكمام ... أعيناً بها سهر

وشدا الحمام ... حين صفق النهر

وارتدت عشيه ... كملابس العرس

حللا سنيه ... ما دنت من الدنس

واملإ الكئوسا ... فضة على الذهب

واجلها عروساً ... توجت من الشهب
تطلع الشموسا ... في سناً من اللهب
فلها مزيه ... في الدجى على القبس
بحلىً شهيه ... كمحاسن اللعس
مخبر سناها ... عن تطاير الشرر
فاز من جناها ... من قلائد الدرر
فإن تناهى ... في الخلائق الغرر
قلت ظهريه ... أظهرت لملتمس
من علا أبيه ... ما تنال بالخلس
وأنشدني لنفسه أيضاً:
لا خير في أوجه صباح ... تسفر عن أنفس قباح
كالجرح يبني على فساد ... بظاهر ظاهر الصلاح

فقل لمن ما له مصون ... أصبت في عرضك المباح
وأنشدني أيضاً لنفسه:
جد الصبا في أباطيل الهوى لعب ... وراحة اللهو في حكم النهي تعب
وأقرب الناس من مجد يؤثله ... من أبعدته مرامي العزم والطلب
وقادها كظلام الليل حاملة ... أهلة طلعت من بينها الشهب
منقضة من سماء النقع في أفق ... شيطانه بغمام الدرع محتجب
واسود وجه الضحى مما أثار به ... وأشرق الأبيضان الوجه والنسب
في موقف يسلب الأرواح سالبها ... حيث المواضي قواض والقنا سلب
لا يرهب المرء ما لم تبد سطوته ... لو لا السنان استوى الخطي القصب
إن النهوض إلى العلياء مكرمة ... لها التذاذان مشهود ومرتقب
والملك صنفان محصول وملتمس ... والمجد نوعان موروث ومكتسب
والناس ضدان مرزوق ومحترم ... تحت الخمول ومغصوب ومغتصب
والطاهر النفس لا ترضيه مرتبة ... في الأرض إلا إذا انحطت لها الرتب
والفضل كسب فمن يقعد به نسب ... ينهض به الأفضلان العلم والحسب
لله در المساعي ما استدر بها ... خلف السيادة إلا أمكن الحلب
وحبذا همة في العزم ما انتدبت ... لمبهم الخطب إلا زالت الحجب
وموطن يستفاد العز منه كما ... أفادت العز من سلطانها حلب
ومنها:

مؤيد الرأي والرايات قد ألفت ... ذوائب القوم من راياتها العذب
إن نازلوه وقد حق النزال فمن ... أنصاره الخاذلان الجبن والرعب
أو كاتبوه فخيل من كتائبه ... تجيب لا المخبران الرسل والكتب
مغاور ينهب الأعمار ذابله ... في غارة الحرب والأموال تنتهب
في جحفل قابلوا شمس النهار على ... مثل البحار بمثل الموج يضطرب
حتى كأن شعاع الشمس بينهم ... فوق الدروع على غدرانها لهب
ما أنكر الهام من أسيافه ظبة ... وإنما أنكرت أسيافه القرب
ما يدفع الخطب إلا كل مندفع ... في مدحه الأفصحان الشعر والخطب
ومن إذا ما انتمى في يوم مفتخر ... أطاعه العاصيان العجم والعرب

وأنشدني من قصيدة لنفسه أيضاً:

أفي البان إن بان الخليط مخبر؟ ... عسى ما انطوى من عهد لمياء ينشر
فكم حركات في اعتدال سكونها ... أحاديث يرويها النسيم المعطر
يود ظلام الليل وهو ممسك ... لذاذتها والصبح وهو مزعفر
أحاديث لو أن النجوم تمتعت ... بأسرارها لم تدر كيف تغور؟
يموت بها داء الهوى وهو قاتل ... ويحيا بها ميت الجوى وهو مقبر
فيا لنسيم صحتي في اعتلاله ... وصحوي إذا ما مر بي وهو مسكر
كأن به مشمولة بابلية ... صفت وهي من غصن الشمائل تعصر
إذا نشأت مالت بلبك نشوة ... كما مال مهزور يماح ويمطر

وقال يمدح الوزير جمال الدين القاضي الأكرم أبا الحسن علي بن يوسف بن إبراهيم الشيباني القفطي من صعيد مصر ويلتمس منه أن يرتبه في خدمة:

يا سيدي قد رميت من زمني ... بحادث ضاق عنه محتملي
وأنت في رتبة إذا نظرت ... إلي صار الزمان من قبلي
والنظم والنثر قد أجدتهما ... فيك فلا تترك الإجادة لي
فداك قوم إذا وقعت بهم ... رأيتني راقفاً على طلل
تشغل أموالهم مساعيهم ... فهم عن المكرمات في شغل
تحمي حماها أعراضهم فإذا ... ماتت حماها سور من البخل
معاول الذم فيه عاملة ... إعمالها في مغائر الجبل
نعلك تاج إذا رفعتهم ... لرأس حاف منهم ومنتعل
فاسمع حديثي في مغازلة ... تبث شكوى في موضع الغزل
قد كنت في راحة مكملة ... أحيي المعالي بميت الأمل

أرفل في عزة القناعة في ... ذيل على النائبات منسدل
فعند ما طالت البطالة بي ... وصار لي حاجة إلى العمل
قال أناس نبه لها عمراً ... فقلت حسبي رأي الوزير علي
يعني عمر بن الوبار أحد حجاب أتابك طغرل شهاب الدين الخادم المستولي في أيامنا على حلب وقلعتها:
قد بت من وعده على ثقة ... أمنت في حليها من العطل
فالأكرم ابن الكرام لو سبقت ... وعوده بالشباب لم يحل
يفر من وعده المطال كما ... تفر آراؤه من الزلل
أخلاقه حلوة المذاق فلو ... شبهتها ما ارتضيت بالعسل
تنظم دراً على الطروس كما ... ينظم در الحلي في الحلل
بمنطق لو سرت فصاحته ... في اللكن لاستعصمت من الخطل
تمج أحلافه إذا كتبت ... ماء المنى من أسنة الأسل
وإن سطت في ملمة نسيت ... صفين منها ووقعة الجمل
مبين علمه لسائله ... مسائلاً أشكلت على الأول
لكل علم في بابه علم ... يهدي إلى قبلة من القبل
أي جمال ما فيه أجمله ... على وجوه التفصيل والجمل؟
جل الذي أظهرت بدائعه ... منه معاني الرجال في رجل

القاسم بن محمد بن بشار الأنباري

أبو محمد والد أبي بكر محمد بن الأنباري، كان محدثاً أخبارياً، ثقة صاحب عربية، أخذ عن سلمة بن عاصم وأبي عكرمة الضبي، مات سنة أربع وثلاثمائة غرة ذي القعدة، وقال ثابت بن سنان: مات في صفر سنة خمس وثلاثمائة ومن خطه نقلت: قال محمد بن إسحاق: وله من التصانيف: كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب الأمثال، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب غريب الحديث، كتاب شرح السبع الطوال، رواها أبو غالب بن بشران عن علي بن كردان عن أبي بكر أحمد بن محمد بن الجراح الخراز عن أبي بكر عن أبيه.
ومما يروى لابن الأنباري هذا:
إني بأحكام النجوم مكذب ... ولمدعيها لائم ومؤنب
ألغيب يعلمه المهيمن وحده ... وعن الخلائق أجمعين مغيب
الله يعطي وهو يمنع قادراً ... فمن المنجم ويحه والكوكب؟
قرأت في كتاب الفهرست الذي تممه الوزير الكامل أبو القاسم المغربي ولم أجد هذا في النسخة التي بخط المصنف، أو قد ذهب عن ذكرى قال: ذكر أبو عمر الزاهد قال: أخبرني أبو محمد الأنباري قال: قلمت إلى بغداد ومحمد صغير وليس لي دار، فبعث بي ثعلب إلى قوم يقال لهم بنو بدر فأعطوني شيئاً لا يكفيني وذكروا

كتاب العين فقلت: عندي كتاب العين، فقالوا لي: بكم تبيعه؟ فقلت بخمسين ديناراً، فقالوا لي قد أخذناه بما قلت إن قال ثعلب إنه للخليل، قلت: فإن لم يقل إنه للخليل بكم تأخذونه؟ قالوا بعشرين ديناراً، فأتيت أبا العباس من فوري فقلت له: يا سيدي، هب لي خمسين ديناراً. فقال لي: أنت مجنون، وهذا تأكيد، فقلت له: لست أريد من مالك وحدثه الحديث، قال: فأكذب؟ قلت حاشاك، ولكن أنت أخبرتنا أن الخليل فرغ من باب العين ثم مات، فإذا حضرنا بين يديك للحكومة فضع يدك على ما لا تشك فيه. فقال: تريد أن أنجش لك؟ قلت نعم، قال هاتهم، فبكروا وسبقوني، وحضرت فأخرجوا الكتاب وناولوه وقالوا: هذا للخليل أم لا؟ ففتح حتى توسط باب العين وقال: هذا كلام الخليل ثلاثاً، قال: فأخذت خمسين ديناراً.

القاسم بن محمد الديمرتي

أبومحمد الأصبهاني من قرية من قراها يقال لها ديمرت، روى عن إبراهيم بن متونة الأصبهاني، وقال حمزة: أبو محمد القاسم الديمرتي لغوي نحوي، عني في صغره بتصحيح كتب وقراءاتها، ثم هو منتصب منذ أربعين سنة تقرأ عليه الكتب.

وحدث أبو نصر منصور بن أحمد بن محمد بن الشيرازي خازن كتب عضد الدولة ومعلم ولده صمصام الدولة وقاضي فارس وأعمالها: قال: أنشدنا أبو محمد القاسم بن محمد الديمرتي لنفسه وقد سئل أن يجمع الشعراء العشرة:

الأصل أن تحكم شعر العشرة ... أشعار قوم في زمان لم تره

أشعار بشر ولبيد وعدي ... نعم والأعشى وعبيد الأسدي

حتى إذا أحكمت شعر النابغة:.....

فابتد في شعر امرئ القيس ... فالفخر في ذاك وشعر أوس

وابتدر القوم وفيهم طرفه ... وكل ما قال زهير في صفه

قال المؤلف: وهذا شعر هذا العلامة كما ترى في غاية الركاكة والرداءة، ولم يستطع تصريع البيت الذي فيه ذكر النابغة.

قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب تقويم الألسنة، كتاب العارض في الكامل، كتاب تفسير الحماسة، كتاب غريب الحديث، كتاب الإبانة.

قال حمزة: وله كتب كبار وصغار، فمن كبار كتبه: كتاب الصفات، كتاب تفسير ضروب المنطق، كتاب سماه كتاب تهذيب الطبع يشتمل على قطعة كبيرة من نوادر اللغة. ذكره أبو نعيم في تاريخ أصبهان فقال: القاسم بن محمد الديمرتي الأديب أبو محمد روى عن إبراهيم بن متونة، وإسحاق بن جميل، ومحمد بن سهل بن الصباح.

الجزء السابع عشر

القاسم بن محمد بن رمضان

أبو الجود النحوي العجلاني: كان في عصر أبي الفتح بن جني وفي طبقته وهو بصري. قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب المختصر للمتعلمين، كتاب المقصود والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الفرق.

القاسم بن محمد بن الواسطي

مباشر الواسطي أبو نصر النحوي، لقي ببغداد أصحاب أبي العلي، وتنقل في البلاد حتى نزل مصر فاستوطنها فقرأ عليه أهلها، وأخذ عنه أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ وبه تخرج، وزوجه من أخته، وكان ابن بابشاذ يخدمه وبه انتفع، ومات بمصر. وله من الكتب: كتاب شرح اللمع، كتاب في النحو رتبه على أبواب الجمل، وشرح من كل باب مسألة.

القاسم بن معن المسعودي

هو أبو عبد القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله ابن مسعود صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابن غافل ابن حبيب بن شمخ بن فاد مخزوم بن صاهلة بن كاهل ابن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن إلياس ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان من أهل الكوفة، وكان فقيهاً على رأي أبي حنيفة ولقيه، وكان عالماً ولي القضاء بالكوفة ومات سنة خمس وسبعين ومائة، خرج مع بعض أسباب الرشيد إلى الرقة فمات في رأس عين.

وقال أحمد بن كامل القاضي: مات القاسم بن معن في سنة ثمان وثمانين ومائة. قال المرزباني: والأول أصح.

وقال عبد الله بن جعفر: من علماء الكوفة بالعربية والفقه والشعر والأخبار والنسب، القاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود الهذلي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان فقيهاً محدثاً قاضياً، وله في اللغة: كتاب النوادر، كتاب غريب المصنف، وكتب في النحو، ومذهب متروك. وكان الليث بن المظفر صاحب الخليل بن أحمد من أخذ عنه النحو واللغة وروى عنه، وأدخل في كتاب الخليل من علم القوم شيئاً فأفسد الكتاب، إلا أن القاسم من المحدثين والفقهاء والزهاد والثقات، ولم يكن له بالكوفة في عصره نظير ولا أحد يخالفه في شيء يقوله، والفراء كثير الرواية عنه.

وحدث محمد بن سعد قال: القاسم بن معن يكنى أبا عبد الله ولي قضاء الكوفة ولم يرزق عليه شيئاً حتى مات، وكان عالماً بالحديث والفقه والشعر والنسب وأيام الناس، وكان يقال له شعبي زمانه، وكان ثقةً سخياً.

وقال أحمد بن كامل: كان القاسم بن معن الهذلي قاضي الكوفة، وكان من أصحاب أبي حنيفة الأثبات في النقل، الرفعاء في اللغة والفقه.

وحدث حماد بن إسحاق الموصلي قال: سمعت محمد بن كناسة قال: سمعت القاسم بن معن يقول: دخلت على عيسى بن موسى فقال لي: ما بعثت إليك إلا لخير. قال: فهان والله في عيني حتى جلست واحتبيت في

مجلسه. فقال لي تحتبي في مجلسي؟ يا غلام حل حبوته. قال: قلت لا عدمت تقويم الأمير. قال: بعثت إليك لأوليك القضاء. قلت: لا أفعل. قال: إن أبيت ضربتك خمسة وسبعين سوطاً. قال: قلت لا يجيء من بعد السبعين. قال قلت: وإن لم أفعل فعلت؟ قال نعم. قالقلت فذا إلي.

وحدث الهيثم بن عدي قال: استقضي المنصور على الكوفة بعد عبد الرحمن بن أبي ليلى، شريك بن عبد الله النخعي فلم يزل قاضياً حتى كانت خلافة الرشيد فاستقضى نوح بن دراج. وحدث المرزباني عن علي بن صالح عن القاسم ابن معن قال: عدت خشافاً في مرضه الذي مات فيه فقال لي: يا أبا عبد الله، ما أشوقني إليك! ولو كان لي نهوض خرجت إليك، ولولا أن بيتي قد آلى فأكرس لأحببت أن تدخله – يريد بالموالاة البعر بعر الشاء، وأكرس من الكرس هو السرجين – . قال العجاج:

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً

وكان خشاف من علماء أهل الكوفة باللغة. وحدث عن سليمان بن أبي شيخ قال: قال ابن حبيبات الكوفي للقاسم بن معن المسعودي القاضي:

يا أيها العادل الموفق وال ... قاسم بين الأرامل الصدقه

ماذا ترى في عجائز رزح ... أمسين يشكين قلة النفقه؟

ما إن لهن الغداة من نشب ... يعرف إلا قطيفة خلقه

بنات تسعين قد خرفن فما ... يفصلن بين الشواء والمرقة

فهن لولا انتظارهن دنا ... نيرك قطعن بعد في السرقه

قال: فقال القاسم: العجب أنه يوجب علينا دنانير ولا يوجب دراهم. قال وأعطاه ثلاثة دنانير.

قتادة بن دعامة السدوسي

أبو الخطابي وكان أكمة ولد أعمى، وكان أبوه أعرابياً ولد بالبادية وأمه سرية من مولدات الأعراب، وكان يقول بشيء من القدر ثم رجع عنه. ويقال أيضاً: إنه كان ذا علم في القرآن والحديث والفقه.

قال الأصمعي: وقتادة حاطب ليل من الطبقة الثالثة من النابغين بالبصرة، مات بالبصرة سنة سبع عشرة ومائة في أيام هشام بن عبد الملك، وأخذ القراءة عن الحسن البصري وابن سيرين. عن التوزي عن أبي عبيدة قال: ما كنا نفقد في كل أيام راكباً من ناحية بني أمية ينيخ على باب قتادة يسأله عن خبر أن نسب أو شعر، وكان قتادة أجمع الناس. ابن دريد عن عبد الرحمن عن عمه الأصمعي عن محمد بن سلام الجمحي عن عامر بن عبد الملك المسمعي قال: لقد كان الرجلان من بني مروان يختلفان في بيت شعر فيرسلان راكباً إلى قتادة يسأله قال: ولقد قدم عليه رجل من عند بعض الخلفاء من بني مروان فقال لقتادة: من قتل عمراً وعامراً؟ فقال: قتلهما جحدر بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. قال: فشخص بها ثم عاد إليه فقال: أجل، قتلهما جحدر ولكن كيف قتلهما جميعاً؟ فقال: اعتوراه فطعن هذا بالسنان وهذا بالزج، فعادى بينهما.

قال أبو يحيى الساجي: حدثنا نصر بن علي الجهضمي مولاي عن خالد بن قيس قال: قال قتادة: ما نسيت شيئاً قط ثم قال: يا غلام ناولني نعلي، قال: نعلك في رجلك.

قثم بن طلحة بن علي بن محمد

بن علي ابن الحسن، الزينبي أبو القاسم، يعرف بابن الأتقى، وهو لقب أبيه طلحة، تولى قثم نقابة العباسيين مرتين: أولاهما في أيام المستضيء بأمر الله في سنة ست وستين وخمسمائة، وعزل في ذي الحجة سنة ثمان وستين. والثانية في صفر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة في أيام الناصر، وعزل في سابع عشر ذي الحجة تسعين، وولي بعد ذلك حجابة باب النوبي يوم الخميس خامس عشر ذي القعدة سنة ستمائة، فوقعت فتنة ببغداد بين أهل باب الأزج والمأمونية فركب ليسكن الفتنة فلم تسكن، فأخذ بيده حربة وحمل على إحدى الطائفتين ونادة يا لهاشم، وتداركه الشحنة حتى سكنت الفتنة، فعيب عليه وقيل: أردت خرق الهيبة، لو ضربك أحد العوام فقتلك، فعزل عن حجبه الباب في ثالث عشر من شهر رمضان سنة إحدى وستمائة ولم يستخدم بعد ذلك.

وكان فيه فضل وتميز ومعرفة بالعلم وحرص عليه جداً، خصوصاً ما يتعلق بالأنساب والأخبار والأشعار، وجمع في ذلك جموعاً بأيدي الناس، وكتب الكثير بخطه المليح إلا أن خطه لا يخلو من السقط مع ذلك، وسمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الغزي، وأبي بكر أحمد بن المقرب الكرخي، وأبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن سليمان وغيرهم. وسئل عن مولده فقال: في سابع محرم سنة خمسين وخمسمائة، ومات في سادس رجب سنة سبع وستمائة.

قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب

أبو الفرج، كان نصرانياً وأسلم على يد المكتفي بالله، وكان أحد البلغاء الفصحاء، والفلاسفة الفضلاء، وممن يشار إليه في علم المنطق، وكان أبوه جعفر ممن لا يفكر فيه ولا علم عنده.

وذكر أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه: قدامة بن جعفر بن قدامة أبو الفرج الكاتب، له كتاب في الخراج وصناعة الكتابة، وقد سأل ثعلباً عن أشياء. مات في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة في أيام المطيع، وأنا لا أعتمد على ما تفرد به ابن الجوزي لأنه عندي كثير التخليط، ولكن آخر ما علمنا من أمر قدامة أن أبا حيان ذكر أنه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة أبي سعيد السيرافي ومتى المنطقي في سنة عشرين وثلاثمائة. قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب الخراج تسع منازل، كان ثمانية منازل فأضاف إليه تاسعاً، كتاب نقد الشعر، كتاب صابون الغم، كتاب صرف الهم، كتاب جلاء الحزن، كتاب درياق الفكر، كتاب السياسة، كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب به أبا تمام، كتاب حشوحشاء الجليس، كتاب صناعة الجدل كتاب الرسالة في أبي علي بن مقلة وتعرف بالنجم الثاقب، كتاب نزهة القلوب وزاد المسافر، كتاب زهر الربيع في الأخبار.

وبلغني عن بعض متعاطي علم الأدب أنه شرح كتاب المقامات الحريرية فقال عند قوله: ولو أوتي بلاغة قدامة. إن قدامة بن جعفر كان كاتباً لبني بويه، وجهل في هذا القول فإن قدامة كان أقدم عهداً. أدرك زمن ثعلب والمبرد وأبي سعد السكري وابن قتيبة وطبقتهم، والأدب يومئذ طرئ فقرأ واجتهد، وبرع في صناعتي البلاغة والحساب، وقرأ صدراً صالحاً من المنطق وهو لائح على ديباجة تصانيفه، وإن كان المنطق في ذلك العصر لم يتحرر تحريره الآن، واشتهر في زمانه بالبلاغة ونقد الشعر، وصنف في ذلك كتباً منها: كتاب نقد الشهر له وقد تعرض ابن بشر الآمدي إلى الرد عليه فيه، وله كتاب في الخراج رتبه مراتب. وأتى فيه بكل ما يحتاج الكاتب إليه، وهو من الكتب الحسان إلى غير ذلك من الكتب، ولم يزل يتردد في أوساط الخدم الديوانية بدار السلام إلى سنة سبع وتسعين ومائتين، فإن الوزير أبا الحسن ابن الفرات لما توفي أخوه أبو عبد الله جعفر بن محمد بن الفرات في يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال سنة سبع وتسعين ومائتين، وكان أسن من أخيه أبي الحسن بن محمد الوزير بثلاث سنين، رد ما كان إليه من الديوان المعروف بمجلس الجماعة إلى ولده أبي الفتح الفضل بن جعفر وإليه ديوان المشرق، ثم ظهر له بعد ذلك اختلال من النواب فولاه لولده أبي أحمد المحسن، واستخلف المحسن عليه القاسم بن ثابت، وجعل قدامة بن جعفر يتولى مجلس الزمام في هذا الديوان، وبانت عند صناعة المحسن، وأثار من جهة العمال أموالاً جليلة.

قعنب بن المحرر الباهلي أبو عمرو

الرواية من أهل البصرة المكثرين، وكان أو هفان يتردد إليه فأخذ عنه ثم وجد عليه فهجاه. حدث قعنب قال: دخلت على سعيد بن سلم الباهلي وهو يضحك فسألته عن سبب ذلك فقال: جاءتني جارية ليست عندي كغيرها فغمزتني فانتشرت فقلت: ادعي لي فلانة لجارية كنت أهواها، فقالت لا والله، فقلت: ولم؟ قالت لأنك تروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من أحيا أرضاً مواتاً فهي له). وقد أحييت أنا هذا فهو لي فواقعتها وما كنت فعلت ذلك قبل، وقربت من قلبي.

وحدث أبو العيناء قال: كان قعنب الباهلي قد تعشق فتى من فتيان المهالبة واتصل بأبيه وبخادم له ثم نفر به. فدعاه الفتى وقد جمع له عدة من المهالبة ومواليهم إلى بستان له فأكلوا وشربوا، ثم حملهم على قعنب فهتكوا ستره. فقال أبو العالية الشامي:

نبئت أن المرء قعنب ... دمرت عليه بنو المهلب

بأسنة تدع الكمي ... ي وأنفه دام مترب

فتجلت الغمى وكل ... ل سلاحهم بدم مخضب

قال أبو العيناء: فحدث بهذا الحديث الأصمعي بحضرتي، فذهبت أذب عن قعنب تقرباً إلى الأصمعي للباهلية بينهما. فقال الأصمعي: أسكت يا بني، فقد بلغني أنه لقي بكمر ككيزان الفقاع عندها إرزاز. وقال عبد الصمد بن المعذل في قعنب:

أراك الله يا دلفاء ما قد ... لقيه قعنب يوم الهنيه

غدا يبغي النكاح فعاد فيه ... أيور كالعصى مهلبيه
تشقق دبره ويقول هذا ... جزاء ذوي التلوط بالنشيه

وحدث عمر بن محمد الفقيه قال: سمعت محمد بن عثمان ابن أبي شبيبة يقول: سمعت عمي القاسم بن أبي شبيبة يعاتب قعنب بن المحرر في شربه النبيذ ويقول له: قد كبرت وشخت فلو تركته. فقال له قعنب: يا أبا محمد لم تجد وقتاً تعاتبني فيه إلا أيام الورد

قنبل بن عبد الرحمن

بن محمد بن خالد ابن سعيد بن جرجة المكي. قال أبو علي الأهوازي: سمعت أبا عبد الله محمد بن أحمد العجلي المقرئ بالبصرة يقول: هو أبو عمر قنبل بن عبد الرحمن، وقنبل لقب غلب عليه، وإنما سمي بذلك لأنه كان يستعمل دواء يقال له قنبيل يسقى للبقر معروف عند العطارين لمرض كان به فسمى بذلك. وقيل: بل هو من قوم يقال لهم القنابلة من أهل مكة، ولو كان كذلك لقيل له قنبلي. مات سنة إحدى وتسعين ومائتين في أيام المكتفي عن ست وتسعين سنة، لأن مولده في سنة خمس وتسعين ومائة في أيام الأمين، وكان قد قطع الإقراء قبل موته بعشر سنين. قرأ على عبد الله ابن كثير وكان من جلة أصحابه، ومن جهته انتشرت قراءته، وكان قنبل يلي الشرطة بمكة، وكان لا يليها إلا أهل العلم والفضل لقوم بواجباتها، وكان ابن مجاهد يزعم أنه قرأ عليه، وكان ابن شنبوذ يدفع ذلك، وكان ابن مجاهد يقول: قرأت على قنبل ولا يقول قرأت القرآن من أوله إلى آخره عليه.
حدث ابن طرادة الحلواني قال: سألت أبا الحسين بن المنادي وقلت له: إن ابن مجاهد يزعم أنه قرأ على قنبل وابن شنبوذ في سنة واحدة في سنة تسع وسبعين ومائتين، ونحن على نية القراءة على قنبل فوجدناه قد اختل واضطرب وخلط في القراءات، فأما أنا فلم أقرأ عليه ولا حرفاً واحداً، وأما ابن مجاهد فإنه قرأ عليه بعض القرآن فخلط عليه فترك القراءة وأخرج له تعليق ابن عون الواسطي عنه، وكان معه فقرأه عليه إلى آخره، وأما ابن شنبوذ فإنه جاور سنتين بمكة وقرأ عليه ختمتين. فقول ابن مجاهد قرأت عليه يصدق، يعني بعض القرآن، وقول ابن شنبوذ لم يقرأ عليه يصدق يعني القرآن كله لم يقرأه عليه.

باب الكاف

كامل بن الفتح

ابن ثابت بن سابور أبو تمام الضرير من أهل بادرايا سكن بغداد، وكان أديباً فاضلاً ذكياً جداً، قرأ فنون العلم وحفظ الأشعار والأخبار، وأخذ أهل الأدب ببغداد عنه علماً كثيراً وكان متهماً في دينه. مات سنة ست وتسعين وخمسمائة، وكان يسكن باب الأزج، وصاهر بني زهمويه الكتاب وله ترسل وشعر، وقد سمع شيئاً من الحديث من أبي الفتح علي بن علي زهموية، وقيل إنه كان يدخل على الناصر ويحاضره ويخلو معه،

وأنه علمه علم الأوائل وهون عليه الشرائع والله أعلم. ومن شعره:

وفي الأوانس من بغداد آنسة ... لها من القلب ما تهوى وتختار

ساومتها نفثة من ريقها بدمي ... وليس إلا خفي الطرف سمسار

عند العذول اعتراضات ولائمة ... وعند قلبي جوابات وأعذار

كلاب بن حمزة العقيلي

أبو الهيذام اللغوي قال محمد بن إسحاق النديم: هو من أهل حران أقام بالباديه، وقيل: إنه كان معلماً ودخل الحضرة أيام القاسم بن عبيد الله بن سليمان ومدحه، وكان عالماً بالشعر وخطه معروف وخلط المذهبين، وكان أبو الحسين محمد ابن محمد بن لنكك البصري الشاعر مولعاُ بهجوه، وكان أبو الهيذام قد ورد البصرة. فمن قول ابن لنكك فيه:

نفسي تقيك أبا الهيذام كل أذى ... إني بكل الذي ترضاه لي راضي

ما بال جعسك مركوماً على ذكري ... يا أكرم الناس من باق ومن ماضي

ما كان أيرى فقيهاً إذ ظفرت به ... فكيف ألبسته دنية القاضي؟

ووجدت بخط أبي أحمد عبد السلام بن الحسين البصري للغوي ما صورته:

مسطح أصدر عكلا وله ... ضغث تشجذ قيظ بن فخز

هذا البيت لأبي الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي جمع فيه حروف المعجم، فجعل ما لا ينقط في الصدر وما ينقط في العجز، أنشدنيه جماعة من أهل العلم منهم: أبو الحسن علي بن الحسين الآمدي النحوي – رحمه الله – .

وذكره المرزباني في كتاب المعجم فقال: أبو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي محدث، وهو القائل يرثي أبا أحمد يحيى بن علي المنجم، ومات سنة ثلاثمائة من قصيدة:

لقد عاش يحيى وهو محمود عيشة ... ومات فقيداً واحد العلم والجود

فإن كان صرف الدهر خلى كنوزه ... وأفقدنا منه بأنفس مفقود

فما زال حكم البيض والسود نافذاً ... بحكم الردى في أنفس البيض والسود

فللثكل يرجى حملها كل حامل ... وللموت يغذو والد كل مولود

قال محمد بن إسحاق النديم: وله من الكتب: كتاب جامع النحو، كتاب الأراكة، كتاب ما يلحن فيه العامة.

وأنشد الخالدي في كتاب الديرة لأبي الهيذام:

سقياً لحران إنه بلد ... أصبح للهو وهو مضمار

بقيعة سجسج تخرقها ... ومن حواشي الرياض أنهار

يشرع فيه من الصنوبر وال ... عرعر والزورفين أشجار

في يوم باعوثهم وقد نشروا الص ... صلبان والمسلمون نظار
فمن مهاة هناك هبلة ... ومن غزال عليه زنار
أزحم هذا وتلك تزحمني ... وفي الحشا والفؤاد إسعار
فعارضتني هناك شاطرة ... منهم بها في الذراع أسوار
تقول لي والدلال يصرعها ... أنحن يا مسلمون كفار؟
فقلت: يا غايتي ويا أملي ... بل أنتم المؤمنون أخيار
أطلب منها بذاك تقربة ... والشعراء الخباث فجار
فرق لي قلبها وملت بها ... في ديرزكي ونعمت الدار
تقول لي عند وقت منصرفي ... إنك من بعدها لغدار
حللت عقد الأمان منك لنا ... فما لعقد لديك إمرار
لا أنس يومي من الفتاة لدي الدي ... رين والمشركون حضار
فقلت: قد كان ذاك عن خطأ ... لا قود عندنا ولا ثار
استغفر الله ثم أسأله التو ... ب فليس بالذنوب إقرار

قرأت في جزازة عتيقة أملاها أبو الهيذام كلاب بن حمزة العقيلي ما صورته: قال أبو الهيذام: كتبت إلى أبي الحسن محمد بن عبد الوهاب الزينبي الهاشمي بالبصرة بما توهم أنه مديح له وهو:

إسلم على الدهر يا أبا الحسن ... وعش على ما تود ألف سنه
فأنت عندي حليف ضد سوى ... غير حليف الشمائل الحسنة
وأنت سلم لحرب سلم عدى ... حرب عداة اللئام والخونه
يعجب منك الكرام أعجب ما ... يدعو به الله عاقل فتنه
فهو يرى فرقة الفراق لما ... يخشى من الخير غاية الأمنه
إذا بنور الهدى توسم أع ... راض معاريض دهره الدرنه
كم سائل عنك يا محمد لا ... يأذن خلق لجابتي أذنه
ألقيت في روعه جواب فتى ... لو غبن عاقلاً غبنه
إن قلت شروى أبي حسن ... للعرض بالمال أصون الصونه
سنته غرة وناصية للز ... زينيين فاجتنب سننه
لا سيما وهو قلقل ذهن ... يهرب من رجم ذهنه الشطنه
قد كان بالأمس قال لي وجرى ... ذكر شقي حرمته وسنه
بعداً وسحقاً لمن يشرف بال ... مدح ولم يعط شاعراُ ثمنه
وكيف تحتال فيه إن خزن الن ... نذل وأعطاك خازناً وسنه؟
فقلت: أبدي بكل سيئة ... من مدحه في هجائه حسنه
لعل رب العباد يغفر بال ... عفو أباطيل مدحه اللحنه

كقاتل الصيد وهو في حرم ال ... له يجازي الحمار بالبدنه
والثور بالثور والغزالة ال ... شاة وجفراً بالأرنب الأرنه
أليس هذا الجزاء أثقل إذ ... أحضر للوزن والحساب زنه
ولا تطع في السماح متهماً ... أخلاقه بالسفال ممتحنه
فأنت من أسرة مفضلة ... على كرام الأخلاق مؤتمنه
والزينبيون معشر زهر ... لا سر يلقى وهم له خزنه

غير سوى ضد غير غيرهم ... أيديهم بالسماح مرتهنه
فلا تضع يا ابن خيرهم أملي ... فيك فعقبي الفعال مختزنه

بنت الكنيري

حدث أبو نصر قال: ومن طريف ما شاهدته أنا: أنه كان في الجانب الشرقي بمدينة السلام امرأة تعرف ببنت الكنيري وكانت نهاية في الفضل، ولها أخ غاية في الجهل، وكانت حسنة المعرفة بالنحو واللغة، ولها تصانيف فيهما تعرف بها، واختصما في ميراث والدهما فطال التنازع بينهما، وحضرا يوماً مجلس والدي وزاد الكلام بينهما ونقص، فاغتاظ والدي من تفيهقها وحوشي كلامها، ومن سقطه وعاميته في مناقضتها ففطنت لذلك فقالت: أغاظ سيدنا الشيخ – أيده الله – ما يرى مني ومن هذا الأخ أصلحه الله؟. قال: كلا – إن شاء الله – ولكن جردي الدعوى فإنه أقرب للإيجاز. فقالت: – أيد الله الشيخ – ، في ذمته اثنان وعشرون ديناراً مطيعية سلامية. فقال له: ما الذي تقول؟ فقال: أما لها عندي اثنان وسكت، ورام أن يقول مثل ما قالت فلم يقدر فقال بالله يا سيدي كيف قالت فقد والله صدعتنا؟. فقال له: فضولك، قل كما تحسن، وضحك أهل المجلس وصار طنزاً، واندفعت الخصومة ذلك اليوم.

كلثوم بن عمرو العتابي الشاعر

قد ذكرنا أخباره مستوفاة في كتابنا أخبار الشعراء، وأما نسبه فهو كلثوم بن عمرو بن أيوب بن عبيد بن حبيش ابن أوس بن مسعود بن عبد الله بن عمرو الشاعر بن كلثوم بن مالك بن عتاب بن سعد بن زهير بن جشم بن بكر بن حبيب ابن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل. وعمرو بن كلثوم المذكور في أجداده هو شاعر السبع الطوال، وكنية العتابي أبو عمرو، وأصله من الشام من أرض قنسرين، صحب البرامكة ثم صحب طاهر بن الحسين، وعلي بن هشام القائدين. وكان حسن الاعتذار في رسائله وشعره، يشبه في المحدثين بالنابغة في الجاهلية، فمن ذلك قوله في جعفر بن يحيى وقد كان بلغ الرشيد عنه ما أهدر به دمه، فخلصه جعفر فقال فيه:

ما زلت في غمرات الموت مطرحاً ... يضيق عني فسيح الرأي من حيلي
فلم تزل دائباً تسعى بلطفك لي ... حتى اختلست حياتي من يدي أجلي

قال محمد بن إسحاق النديم: وكان العتابي أديباً مصنفاً، وله من الكتب: كتاب المنطق، كتاب الآداب، كتاب فنون الحكم، كتاب الخليل لطيف، كتاب الألفاظ رواه أبو عمر الزاهد عن المبرد عنه.

قال العتابي: وقفت بباب المأمون أنتظر من يستأذن لي عليه فإذا أنا بيحيى بن أكثم فقلت: استأذن لي على أمير المؤمنين. قال: لست بحاجب. قلت: صدقت، ولكنك ذو فضل وذو الفضل معوان. قال: سلكت بي غير سبيلي. قلت: إن الله أتحفك بجاه وهو عليك مقبل بالزيادة إن شكرت، وبالتغيير إن كفرت، وأنا لنفسك خير منك لها، أدعوك إلى زيادة النعمة وبقائها عليك فتأباها. قال: فدخل على المأمون وحكى له ما جرى بيني وبينه، فاستحسنه وأذن لي.

قال جحظة في أماليه: كلم العتابي يحيى بن خالد في حاجة له كلمات قليلة. فقال له يحيى: لقد نزر كلامك اليوم وقل. فقال: له وكيف لا يقل وقد تكنفني ذل المسألة وحيرة الطلب وخوف الرد؟ فقال له يحيى: لئن قل كلامك لقد كثرت فوائده. وقال في أماليه: قال العتابي: لو سكت من لا يعلم عما لا يعلم سقط الاختلاف. ومن شعره.

ولو كان يستغني عن الشكر ماجد ... لعزة ملك أو علو مكان

لما أمر الله العباد بشكره ... فقال اشكروا لي أيها الثقلان

قال الحسن بن وهب: بلغ العتابي أن عمرو بن مسعدة ذكره عند المأمون بسوء فقال:

قد كنت أرجو أن تكون نصيري ... وعلى الذي يبغي على ظهيري

وطفقت آمل ما يرجى سيبه ... حتى رأيت تعلقي بغرور

فحضرت قبرك ثم قلت دفنته ... ونفضت كفي من ثرى المقبور

ورجعت مفترياً على الأمل الذي ... قد كان يشهد لي عليك بزور

فبلغ الشعر عمراً فركب من وقته إلى العتابي في موكبه حتى اعتذر إليه.

قال مالك بن طوق للعتابي: أما ترى عشيرتك – يعني بني تغلب – كيف تدل علي وتستطيل وأنا أصبر؟ فقال العتابي: أيها الأمير، إن عشيرتك من أحسن عشرتك، وإن ابن عمك من عمك خيره، وإن قريبك قرب منك نفعه، وإن أحب الناس إليك من كان أخفهم ثقلا عليك، وأنشده

إني بلوث الناس في حالاتهم ... وخبرت ما وصلوا من الأنساب

فإذا القرابة لا تقرب قاطعاً ... وإذا المودة أوكد الأسباب

وقيل للعتابي لو تزوجت. فقال: إني وجدت مكابدة العفة خير من الاحتيال لمصلحة العيال، وما أحسن قول العتابي وأحكمه.

لوم يعيذك من سوء تقارفه ... أبقي لعرضك من قول يداجيكا

وقد رمى بك في تيهاء مهلكة ... من بات يكتمك العيب الذي فيكا

ومن منثور كلامه: أما بعد: فإنه ما من مستخلص غضارة عيش إلا من خلال مكروه، ومن انتظر بمعالجة الدرك مواجلة الاستقصاء سلبته الأيام فرصتها.

وكتب إلى آخر: من اجتمع فيه من خلال الفضل ما اجتمع فيك وانحاز إلى نواحيك، لم يخش المطنب في الثناء عليه أن يكون مفرطا كما لا يأمن أن يكون مفرطاً، فالاعتراف بالعجز عن بلوغ استحقاقك من التقريظ، أولى من الإطناب الذي غايته التقصير ومآله إلى الحشو.

كيسان بن المعروف النحوي

أبو سليمان الهجيمي قالوا: كان يخرج معنا إلى الأعراب فينشدونا، فيكتب في ألواحه غير ما ينشدونا، وينقل من ألواحه إلى الدفاتر غير ما فيها، ثم يحفظ من الدفاتر غير ما نقله إليها، ثم يحدث بغير ما حفظ.
وذكر أبو الطيب في كتاب مراتب النحويين عن الأصمعي قال: كيسان ثقة ليس بمتزيد، وقد أخذ عن الخليل.
وحدث أبو العيناء قال: قال كيسان لخلف الأحمر: يا أبا محرز، المخبل كان شاعراً أو من بني ضبة؟ فقال: يا مجنون صحح المسألة حتى يصح الجواب.
وحدث أبو حاتم قال: قال أبو زيد يوماً في مجلسه وكانت العرب تقول: ليس لحاقن رأي. فقال كيسان: ولا لمنعظ. فقال أبو زيد: ما سمعناه ولكن اكتبوه فإنه حق، وكان كيسان من الطياب المزاحين. قال أبو زيد: جاء صبي إلى كيسان يقرأ عليه شعراً حتى مر ببيت فيه ذكر العيس قال: الإبل البيض التي يخلط بياضها حمرة، قال: وما الإبل؟ قال الجمال: قال: وما الجمال؟ فقام على أربع ورغا في المسجد وقال: الذي تراه طويل الرقبة وهو يقول بوع.
وحدث المبرد عن التوزي قال: حبس عيسى بن سليمان الهاشمي كيسان وكان أحد الطياب، وكان أبو عبيدة يعبث به كثيراً فشفع فيه أبو عبيدة إلى الأمير فأمر بإخراجه.
فقال للجلاوزة: من أخرجني؟ قالوا: تكلم فيك شيخ مخضوب. فقال: أمه زانية إن برح من الحبس، إحييس ظلم، وطليق ذل، لا يكون ذلك أبداً.
وقرأت في كتاب التصحيف لحمزة الأصفهاني: قال الرياشي: سمعت كيسان يقول: كنت على باب أبي عمرو بن العلاء فجاء أبو عبيدة فجعل ينشد شعراً لأبي شجرة وهو قوله:

ضن علينا أبو عمرو بنائله ... وكل مختبط يوماً له ورق
ما زلت يضربني حتى جذبت له ... وحال من دون بعض البغية الشفق

فقلت: جذبت جذبت وضحكت فغضب وقال: كيف هو؟ فقلت: إنما هو خذيت، فانخزل وما أحار جواباً، خذيت من قولك خذي البازي: إذا ثبت على يد البازيار. قال أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش: حدثني أبو العباس ثعلب: قرأ بعض أصحاب الأصمعي عليه شعر النابغة الجعدي حتى انتهى إلى قوله:

إنك أنت المخزون في أثر ال ... حي فإن تنونيهم تقم

قال الأصمعي معناه: فإن تنونيهم: تقم صدور الإبل وتظعن نحوهم كما قال الآخر: أقم لها صدورها يا بسبس. فقال كيسان: كذبت، أما إنك قد سمعت من أبي عمرو بن العلاء ولكن أنسيت، إنما أراد أنهم قد نووا فراقك فذهبوا وتركوك، فإن تنولهم مثل ما نووا فيك من القطيعة نقم في دارك ومكانك، ولا ترحل

نحوهم ولا تطلبهم كما قال الآخر:

إذا اختلجت عنك النوى ذا مودة ... قربن بقطاع من البين ذا شعب

أذاقتك مر العيش أو مت حسرة ... كما مات مسقي الصباح على ألب

ألب يألب، ولاب يلوب واحد. يقول: إذا باعدت بيني وبين من أحب قربن، يعني إبلي قربت إلى منزلي ووطني ومياهي، ولم أتبع من فارقني لأني صبور على الفراق جلد متعود لذلك فقطاع: يعني نفسه هو القطاع، لأني أقطع من قطعي، وأذاقتك من تحب وهي التي فارقتها، فأنت وإن كنت. كذا وعلى هذه الحال فأنت صبور قوي على القطع. وكما قال الراعي:

وإلف صبرت النفس عنه وقد أرى ... غداة فراق الحي أن لا تلاقيا

وقد قادني الجيران حيناً وقدتهم ... وفارقت حي ما تحن جماليا

الكيس النمري النساب

الكيس لقب واسمه زيد بن الحارث بن حارثة بن هلال ابن ربيعة بن زيد مناة بن عوف بن سعد بن الخزرج بن تيم الله ابن النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة. فعوف بن سعد بن الخزرج هو أخو عامر الضحيان، هذا قول الكلبي. وقال غيره: اسم الكيس زيد بن حارثة بن زيد مناة بن تميم بن هلال بن ربيعة بن زيد مناة بن عامر الضحيان رهط نتلة بنت جناب بن كليب بن مالك بن عمرو بن عامر بن زيد مناة عامر الضحيان، ولدت لعبد المطلب العباس ومرار ابني عبد المطلب.

قال مسكين الدارمي يخاطب عبد الرحمن بن حسان بن ثابت مفتخراً:

وحكم دغفلاً وارحل إليه ... ولا تدع المطي من الكلال

وعند الكيس النمري علم ... ولو أمسى بمنخرق الشمال

وقيل مصعب بن الكيس هو النساب وكان يعدل بدغفل. قال الكميت:

وما ابن الكيس النمري معكم ... وما أنتم هناك بدغفلينا

وقيل: الكيس هو مالك بن شراحيل بن زيد بن الحارث ابن حارثة بن هلال كلهم ينسب من عبيد إلى الكيس، يعني كلهم نساب يعلم النسب.

باب اللام

لقيط بن بكير المحاربي

قال ابن حبيب في كتاب جمهرة النسب التي رواها عن ابن الكلبي وغيره: ومنهم يعني بني محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، عائذ بن سعيد بن جندب بن جابر بن زيد بن عبد الحارث بن بغيض بن شكم بن عبد بني عوف بن زيد ابن بكر بن عميرة بن علي بن حرب بن محارب، وفد على رسول الله صلى الله عليه

وسلم. من ولده لقيط الرواية، –وكان صدوقاً – ابن بكير – وكان أيضاً عالماً صدوقاً – ابن النضر بن سعيد عائد بن سعيد، وقد لقي هشام بن الكلبي لقيطاً.

حدث المرزباني فيما أسنده إلى الخليل النوشجاني قال: قال لي الجهمي: كان لقيط المحاربي من رواة الكوفة وكان سيئ الخلق. قال الصولي: ويكنى أبا هلال، ومات في سنة تسعين ومائة في خلافة الرشيد. وقال عبد الله بن جعفر: أخبرني ابن مهدي والسكري قالا: للقيط كتاب مصنف في الأخبار مبوب، في كل فن من الفنون كتاب مفرد. فمنها ومن أحسنها كتابه في النساء وهو عندي رواية عنهما عن العمري عنه. وله كتاب السمر، كتاب الخراب واللصوص، كتاب أخبار الجن. وأخذ العلم عن لقيط جماعة من أعيانهم منهم ابن الأعرابي.

وحدث المرزباني فيما رفعه إلى لقيط بن بكير المحاربي قال: أمر المهدي الناس سنة ستين ومائة بصوم ثلاثة أيام لبطء المطر ليستسقي، فلما كان في اليوم الثالث من الليل طرق الناس ليلتهم كلها ثلج ملأ الأرض، فقال لقيط:

يا إمام الهدى سقينا بك الغي ... ث وزالت عنا بك اللأواء

وهي أبيات طويلة. وقال لقيط في ذلك أيضاً:

لما استغاث بك العباد بجهدهم ... متوسلين إلى إله الناس

أسقاهم بك مثل ما أسقاهم ... صوب الغمام بجلك العباس

فأتتهم لما دعوت سماؤهم ... منهلة بالوا كف الرجاس

العدل منه سقاهم وجميل ما ... توليه ذا الإيحاش والإيناس

فإذا أمرت فبالإبانة والهدى ... وإذا وزنت وزنت بالقسطاس

قال: ودخل لقيط على الرشيد وهو ولي عهد وقد اشتكى فأنشد:

ما بال نومك أمسى لا يؤاتيكا ... كأن في الجفن شوكا بات يقذيكا

من غير سقم ولا عشق أرقت له ... إلا لأن قيل أمسى الجود موعوكا

وقيل هارون أمسى شاكياً وصبا ... فقلت: نفسي يا هارون تفديكا

ما كنت أحسب جوداً يشتكي نهكاً ... حتى رأيت ولي العهد منهوكا

فبت مرتفقاً أرعى النجوم إلى ... أن جاوب الديك فينا سحرة ديكا

فكم وكم لي من نذر سأنجزه ... إن كنت عوفيت قد أوجبته فيكا

حج وصوم وعتق لن أخيس به ... فما تركت لنفسي اليوم مملوكا

سعد عتيق وبنتاه وأمهماكانوا وأعجب بهم عندي مماليكا

توقعوني كأني قد حذيتكم ... سود النعال وأهديت المساويكا

وحدث فيما أسنده إلى إسحاق الموصلي قال: كان لقيط ابن بكير في جراية المهدي، وكان الذي وصله به أبو عبد الله وزير المهدي، وكان أبو عبد الله مائلاً إليه لعلمه بالشعر والأخبار. فلما مات المهدي لزم

الكوفة. قال إسحاق: فرأيته في سنة تسعين ومائة وهو ينشد قوماً شعراً له في الزهد وهو قوله:

عزفت عن الغواية والملاهي ... وأخلصت المتاب إلى إلهي

وغرتني ليال كنت فيها ... مطيعاً للشباب به أباهي

أجاري الغي في ميدان لهوى ... وقلبي عن طريق الرشد لاهي

وألجمي المشيب لجام تقوى ... وركن الشيب بادي العيب واهي

ومن لم يكفه العذال عزم ... فليس له على عذل تناهي

قال: وكان ذلك من آخر شهره وفي آخر زمانه ثم توفي في هي هذه السنة. وحدث مما رفعه إلى ابن المدور قال: سألت ابن الأعرابيعن لقيط بن بكير وموته فقال: مات في آخر أيام الرشيد وهو أزهد الناس، وكان من دعائه: اللهم اغفر لي، فإن حسناتي لو كانت مثل حسنات جميع خلقك لعلمت أني لا أستحق الجنة إلا بفضلك، ولو كانت على سيئاتهم جميعاً ما يئست من عفوك.

لوط بن مخنف الأزدي

هو لوط بن يحيى بن مخنف بن سليمان بن الحارث بن عوف بن ثعلبة بن عامر بن ذهل بن مازن بن ذبيان بن ثعلبة ابن سعد مناة بن غامد، واسم غامد عمر بن عبد الله بن كعب ابن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد يكني أبا مخنف، ومخنف بن سليمان من أصحاب علي بن أبي طالب عليه السلام، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، مات لوط سنة سبع وخمسين ومائة، وكان راوية أخبارياً صاحب تصانيف في الفتوح وحروب الإسلام. قال يحيى بن معين: هو كوفي وليس حديثه بشيء.

وجدت بخط أحمد بن الحارث الخزاز قال: العلماء: أبو مخنف بأمر العراق وفتوحها وأخبارها يزيد على غيره، والمدائني بأمر خراسان والهند وفارس والواقدي بالحجاز والسير، وقد اشتركوا في فتوح الشام.

قال محمد بن إسحاق: ولأبي مخنف من الكتب: كتاب الردة، كتاب فتوح الشام، كتاب فتوح العراق، كتاب الجمل، كتاب صفين، كتاب النهروان، كتاب الغارات: كتاب الخريت بن راشد وبني ناجية، كتاب مقتل علي كرم الله وجهه، كتاب مقتل حجر بن عدي، كتاب مقتل محمد بن أبي بكر والأشتر ومحمد بن أبي حذيفة، كتاب الشورى ومقتل عثمان رضي الله عنه، كتاب المستوردين بن علفة، كتاب مقتل الحسين بن علي عليهما السلام، كتاب المختار ابن أبي عبيد، كتاب وفاة معاوية وولاية ابنه ووقعة الحرة وعبد الله بن الزبير، كتاب سليمان بن صرد وعين الوردة، كتاب مرج راهط ومقتل الضحاك بن قيس الفهري، كتاب مصعب بن الزبير والعراق، كتاب مقتل عبد الله بن الزبير، كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص، كتاب حديث باخمرا ومقتل ابن الأشعث، كتاب نجدة الحروري، كتاب الأزارقة، كتاب حديث روستقباذ، كتاب شبيب الحروري وصالح بن مسرح، كتاب المطرف بن المغيرة، كتاب دير الجماجم وخلع بن الأشعث، كتاب يزيد بن المهلب ومقتله بالعقر، كتاب خالد القسري ويوسف بن عمر وموت هشام وولاية الوليد، كتاب زيد بن علي، كتاب يحيى ابن زيد، كتاب الضحاك الخارجي، كتاب الخوارج والمهلب بن أبي صفرة.

الليث بن المظفر

كذا قال الأزهري في مقدمة كتابه: الليث بن المظفر. وقال ابن المعتز في كتاب الشعراء من تصنيفه: الليث بن رافع بن نصر بن سيار قال الأزهري: ومن المتقدمين الليث بن المظفر الذي نحل الخليل بن أحمد تأليف كتاب العين حملة لينفق كتابه باسمه ويرغب فيه من حوله، وأثبت لنا عن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي الفقيه أنه قال: كان الليث رجلاً صالحاً، ومات الخليل ولم يفرغ من كتاب العين فأحب الليث أن ينفق الكتاب كله فسمى لسانه الخليل، فإذا رأيت في الكتاب سألت الخليل أو أخبرني الخليل، فإنه يعني الخليل نفسه. قال: وإذا قال: قال الخليل فإنما يعني لسان نفسه. قال: وإنما وقع الاضطراب فيه من خليل الليث.

قال: وأخبرني المنذري أنه سأل ثعلباً عن كتاب العين فقال: ذاك كتاب مليء غدد – قال: وهذا لفظ أبي العباس، وحقه عند النحويين ملآن غدداً، ولكن كان أبو العباس يخاطب العامة على قدر فهمهم. قلت: ليس هذا بعذر لأبي العباس فإنه لو قال: ملآن غدداً لم يخف معنى الكلام على صغار العامة، فكيف وفي مجلسه الأئمة من أهل العلم؟ ثم سائله الذي أجابه ليس بتلك الصورة، وإنما عذره أنه كان لا يتكلف الإعراب في المفاوضة وهي سنة جلة العلماء – وأراد أن في جراب العين حروفاً كثيرة قد أزيلت عن صورها ومعانيها بالتصحيف والتغيير فهي تضر حافظها كما تضر الغدد آكلها.
قال أبو الطيب اللغوي: مصنف كتاب العين الليث ابن المظفر بن نصر سيار، روى ذلك عن أبي عمر الزاهد قال: حدثني فتى قدم علينا من خراسان وكان يقرأ على كتاب العين قال: أخبرني أبي عن إسحاق بن راهويه قال: كان الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب الخليل رجلاً صالحاً، وكان الخليل قد عمل من كتاب العين باب العين فأحب الليث أن ينفق سوق الخليل، ثم ذكر كما ذكر الأزهري.
وحدث عبد الله بن المعتز في كتاب الشعراء عن الحسن ابن علي المهلبي قال: كان الخليل منقطعاً إلى الليث بن رافع ابن نصر بن سيار، وكان الليث من أكتب الناس في زمانه، بارع الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو، وكان كاتباً للبرامكة وكانوا معجبين به، فارتحل إليه الخليل وعاشره فوجده بحرا فأغناه، وأحب الخليل أن يهدي إليه هدية تشبهه، فاجتهد الخليل في تصنيف كتاب العين فصنفه له، وخصه به دون الناس وحبره وأهداه إليه، فوقع منه موقعاً عظيماً وسر به، وعوضه عنه مائة ألف درهم واعتذر إليه، وأقبل الليث ينظر فيه ليلاً ونهاراً لا يمل النظر فيه حتى حفظ نصفه، وكانت ابنة عمه تحته، فاشترى الليث جارية نفيسة بمال جليل فبلغها ذلك فغارت غيرة شديدة فقالت: والله لأغيظنه ولا أبقي غاية، فقالت: إن غظته في المال فذاك ما لا يبالي به، لكني أراه مكباً ليله ونهاره على هذا الدفتر، والله لأفجعنه به، فأخذت الكتاب وأضرمت ناراً وألقته فيها، وأقبل الليث إلى منزله ودخل إلى البيت الذي كان فيه الكتاب فصاح بخدمه وسألهم عن الكتاب فقالوا: أخذته الحرة، فبادر إليها وقد علم من أين أتي؟، فلما دخل عليها ضحك في وجهها وقال لها: ردي الكتاب فقد وهبت لك الجارية وحرمتها على نفسي، وكانت غضبى فأخذت بيده وأدخلته رماده فسقط في يد الليث، فكتب نصفه من حفظه، وجمع على الباقي أدباء زمانه وقال لهم: مثلوا عليه واجتهدوا، فعملوا هذا النصف الذي بأيدي الناس، فهو ليس من تصنيف الخليل ولا يشق غباره،

وكان الخليل قد مات.

وجدت على ظهر جزء من كتاب التهذيب لأبي منصور الأزهري:

ابن دريد بقره ... وفيه عجب وشره

ويدعي بجهله ... وضع كتاب الجمهره

وهو الكتاب العين إل ... لا أنه قد غيره

الأزهري وزغه ... وحمقه حمق دغه

ويدعي بجهله ... كتاب تهذيب اللغة

وهو كتاب العين إل ... ا أنه قد صبغه

في الخارزنجي بله ... وفيه حمق ووله

ويدعى بجهله ... وضع كتاب التكملة

وهو كتاب العين إل ... ا أنه قد نقله

حاشية: دغة بنت مغنج يضرب بها المثل في الحمق، زوجت وهي صغيرة في بني العنبر فحملت، فلما ضربها المخاض ظنت أنها تحتاج إلى الخلاء فبرزت إلى بعض الغيطان ووضعت ذا بطنها، فاستهل الوليد فجاءت منصرفة وهي لا تظن إلا أنها أحدثت فقالت لأمها: يا أمتاه، وهل يفتح الجعر فاه؟ قالت نعم ويدعو أباه، فسب بنوا العنبر به وسموا بنوا الجعراء. ولها حماقات كثيرة.

قرأت بخط أبي منصور الأزهري في كتاب نظم الجمان تصنيف أبي الفضل المنذري: نصر بن سيار كان والي خراسان، والليث بن المظفر بن نصر صاحب العربية وصاحب الخليل بن أحمد هو ابنه، حدث عنه قتيبة بن سعيد: سمعت محمد بن إبراهيم العبدي يقول: سمعت قتيبة يقول: كنت عند ليث بن نصر بن سيار فقال: ما تركت شيئاً من فنون العلم إلا نظرت فيه إلا هذا الفن، وما عجزت إلا أني رأيت العلماء يكرهونه – يعني النجوم – . سمعت محمد بن سعيد القزاز قال: نصر بن سيار والي خراسان المحمول إليه رأس جهم، وكان نصر من تحت يدي هشام ابن عبد الملك، وكان بمرو، وكان سلم بن أحوز والي بلخ والجوزجان من تحت يده، وهو الذي قتل يحيى بن زيد ابن علي بن الحسين، جهم بن صفوان الذي ينسب إليه مذهب جهم ووجه برأسيهما إلى مرو إلى نصر بن سيار فنصبا على باب قهندز مرو، فكان سلم بن أحوز يقول: قتلت خير الناس وشر الناس.

قال المنذري: وسمعت محمد بن إبراهيم العبدي قال سمعت أبا رجا قتيبة يقول: دخل الليث بن نصر بن سيار على علي بن عيسى بن ماهان وعنده رجل يقال له حماد الخزربك، فجاءه رجل فقص رؤيا رآها لعلي بن عيسى فهم حماد أن يعبرها فقال ليث: كف فلست هناك. فقال علي: يا أبا هشام وتعبرها؟ قال نعم وأنا أعبرها أهل خراسان. فكانت الرؤيا كأن علي بن عيسى مات وحمل على جنازة وأهل خراسان يتبعونه، ثم انقض غراب من السماء ليحمله فكسروا رجل الغراب. فقال الليث: أما الموت فبقاء، وأما الجنازة فهو سرير وملك، وأما ما حملوك فهو ما علوتهم وكنت على رقابهم، وأما الغراب فهو رسول، قال الله تعالى:

(فبعث الله غراباً يبحث في الأرض)، يقدم فلا ينفذ أمره. فما مكثوا إلا يومين أو ثلاثة حتى قدم رسول من عند الخليفة في حمل علي بن عيسى، فاجتمع قواد خراسان فأثنوا عليه خيراً ولم يتركوه يحمل وقالوا: يخشى انتقاض البلاد فبقي.

قال المنذري: هو الليث بن المظفر بن نصر بن سيار صاحب العربية، وكان له ابن يقال له رافع. سمعت بعض أصحابي قال: سمعت محمد بن إسحاق السراج فال: سمعت إسحاق بن راهويه قال: سألت رافع بن الليث بن المظفر عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: (كل سكر حرام)، أيقع على جميع المسكر يعني جميع ما يسكر منه من قليلة وكثيرة؟ أم على الشربة التي تسكرك؟. فقال بل على جميع ما يسكر منه قليله وكثيره، إذا أسكر كثيره فقليله بمنزلته، ولو كان عني الشربة التي تسكرك لقال: كل مسكر حرام.

قال ابن المنذري: وبلغني أن المظفر بن نصر مر به عناق وابنه الليث قد حضره فقال له وأراد أن يخبره: ما هذا؟ قال: بز بالفارسية. فقال: لأسيرنك إلى حيث لا تعرف بز، فسيره إلى البادية فمكث فيها قريباً من عشر سنين أو أكثر، ففيها تأدب ثم رجع فعجب أهله من كثرة أدبه. هذا آخر ما كتبته من خط الأزهري وكتاب المنذري.

وحدث الحاكم أبو عبد الله بن البيع في كتاب نيسابور عن العباس بن مصعب قال: سئل النضر بن شميل عن الكتاب الذي ينسب إلى الخليل بن أحمد ويقال له كتاب العين، فأنكره فقيل له: لعله ألفه بعدك؟ فقال: أو خرجت من البصرة حتى دفت الخليل بن أحمد؟.

وحدث أبو الحسن علي بن مهدي الكسروي، حدثني محمد بن منصور المعروف بالراج المحدث قال: قال الليث ابن المظفر بن نصر بن سيار: كنت أصير إلى الخليل بن أحمد فقال لي يوماً: لو أن إنساناً قصد وألف حروف أ ب ت ث على ما أمثله لاستوعب في ذلك جميع كلام العرب، وتهيأ له أصل لا يخرج منه شيء ألبتة. فقلت له: وكيف يكون ذلك؟ قال: يؤلفه على الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي، فإنه ليس يعرف في كلام العرب أكثر منه.

قال الليث: فجعلت أستفهمه ويصف لي ولا أقف على ما يصف، فاختلف إليه في هذا المعنى أياماً ثم اعتل وحججت، فما زلت مشفقاً عليه وخشيت أن يموت في علته فيبطل ما كان يشرحه لي، فرجعت من الحج وصرت إليه فإذا هو قد ألف الحروف كلها على ما في الكتاب، وكان يملي علي ما يحفظ، وما شك فيه يقول لي سل عنه، فإذا صح فأثبته إلى أن عملت الكتاب.

باب الميم

المبارك بن الحسن بن أحمد بن علي

ابن فتحان بن منصور الشهرزوري أبو الكرم المقرئ، إمام في القراءات عالم بها. مات فيما ذكره أبو سعد عن ابن حرز في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة خمسين وخمسمائة للهجرة ودفن في دكة بشر الحافي بباب حرب ببغداد إلى جنب أبي بكر الخطيب. قال: وكتب عنه وذكر أن مولده في سابع عشر شهر ربيع

الآخر سنة اثنتين وستين وأربعمائة قال: وكان يسكن دار الخلافة ببغداد مما يلي باب العامة شيخ صالح دين خير قيم بكتاب الله عالم باختلاف الروايات والقراءات، و صنف فيها كتاب المصباح في القراءات، وهو حسن السيرة جيد الأخذ على الطلاب، له روايات عالية، سمع الحديث من أبي الفضل أحمد بن الحسن ابن جيرون الأمين وغيره.

المبارك بن سعيد بن الحمامي المؤدب

أبو الفرج المؤدب، كان يسكن قراح بني رزين من بغداد، وله به مكتب يعلم فيه الصبيان، وكان أديباً فاضلاً صالحاً، تخرج به خلق كثير وكان محمود السيرة مشكوراً عند الناس، وكان ذا هيبة على الصبيان، وكان أولاد الأكابر يقصدون مكتبه من جميع بغداد لما شاع من خيره وصلاحه، أدركت زمانه ورأيت مكتبه وكان مكتباً حفيلاً مزدحماً إلا أنني لم ألقه شيئاً، وكان يكتب خطاً حسناً معروفاً عند الناس مرغوباً فيه. مات فيما بلغني في جمادى الآخرة سنة ثمانين وخمسمائة للهجرة، وكان له ابن على سيرته في الصلاح والدين والخير، قام مقامه في مكتبه وخلفه بعده في مكتبه، وكان اسمه أيضاً المبارك، مات سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

المبارك بن الفاخر بن محمد بن يعقوب

أو الكرم النحوي – أخو أبي عبد الله الحسين بن محمد لأمه – المعروف بالبارع الدباس. ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، ومات في ذي القعدة سنة خمسين وخمسمائة ودفن بباب حرب، سمع الحديث من أبي الطيب الطبري والجوهري وغيرهما، وكان قيماً بالنحو عارفاً باللغة. قال أبو الفرج: غير أن مشايخنا جرحوه. كان أبو الفضل ابن ناصر سئ الرأي فيه يرميه بالكذب والتزوير قال: وكان يدعي سماع ما لم يسمعه، ولما مات دفن بمقبرة باب حرب، وقرأ النحو علي ابن برهان الأسدي، وله من الكتب: كتاب المعلم في النحو. كتاب نحو العرف. كتاب شرح خطبة أدب الكاتب. وجدت بخط السمعاني مولده على ما تقدم، فإن صح ذلك لا يصح أخذه النحو عن ابن برهان، لأن ابن برهان مات سنة ست وخمسين وأربعمائة، بل إن كان سمع منه شيئاً جاز ذلك، ثم لما وردت إلى مرو نظرت في كتاب المذيل للسمعاني وقد ألحق بخطه في تضاعف السطور بخط دقيق: قرأت بخط والدي رحمه الله سألت المبارك بن الفاخر عن مولده فقال: ولدت في سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة. قلت: فإذا صحت هذه الرواية فقد صح أخذه عن ابن برهان، وكان والد السمعاني قد لقي ابن الفاخر وأخذ عنه، وحكى عنه شيئاً من النحو واللغة. رأيت بخط الشيخ أبي محمد عبد الله ابن أحمد بن أحمد بن الخشاب رحمه الله: حكى لي محمد بن محمد ابن قزما الإسكافي عن شيخنا أبي الكرم المبارك بن فاخر ابن يعقوب النحوي المعروف بابن الدباس: أنه كان يكرم المترددين إليه لطلب العلم بالقيام لهم في مجلسه، وكان الشيخ أبو زكريا يحيى بن على يأبى ذلك وينكره عليه وعلى غيره ممن يعتمده وينشده:

قصر بالعلم وأزرى به ... من قام في الدرس لأصحابه

قال الشيخ أبو محمد: ولعمري إن حرمة العلم آكد من حرمة طالبه، وإعزاز العلم أبعث لطلبه، وبحسب الصبر على مرارة طلبه تحلو ثمرة مكتسبه وكان الشيخ أبو الكرم بن الدبلس رحمه الله يجمع إلى هذا، التساهل في الخطاب إذا أخذ خطه على ظهر كتاب ويقصد بذلك اجتذاب الطلاب، لأن النفوس تميل إلى هذا الباب، وحال أبي علي رحمه الله في عكس هذه الحال معلومة متعارفة يأثرها أصحابه عنه، وكان أمره مع العالم في ذاك على حد سواء من ملك وسوقة وعالم ومتعلم، ونحن نسأل الله العون على زمن نحن فيه. آخر ما فيه من خط ابن الخشاب.

المبارك بن المبارك بن المبارك

أبو طالب الكرخي بن أبي البركات الفقيه الشافعي صاحب أبي الحسن بن الخل، مات في ثامن ذي القعدة سنة خمس وثمانين وخمسمائة، أدركت زمانه ولقيت ببغداد أوانه إلا أنني لم أره لصغر السن حينئذ، والاشتغال في ذلك الزمان بغير هذا الشان. كان رحمه الله فاضلاً زاهداً عابداً ورعاً إماماً أوحد زمانه في حسن الخط على طريقة على بن هلال بن البواب. سمعت جماعة يحكون أنه لم يكتب أحد قبله ولا بعده مثله في قلم الثلث، حتى رأيت من يغالي فيه فيقول: إنه كتب خيراً من ابن البواب، وكان ضنيناً بخطه جداً فلذلك قل وجوده. كان إذا اجتمع عنده شيء من تجويداته يستدعي طستاً ويغسله، فأما إذا استفتى فإنه كان يكسر قلمه ويجهد في تغيير خطه، وكان أحد الشهود المعدلين، تفقه على أبي الحسن ين الخل ولازمه مدة حتى صار بارعاً في الفقه، وصارت له معرفة بالمذهب ولسان تام في الخلاف، شهد عند قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي في تاسع جمادى الآخرة سنة ثلاثين وخمسمائة، ولم يزل على ذلك إلى أن عزل نفسه عن تحمل الشهادة وأدائها قبل موته بمدة مديدة ولن يدع الطيلسان، وتولى التدريس بمدرسة كمال الدين أبي الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي التي بباب العامة المحروس بعد وفاة شيخه أبي الحسن بن الخل المدرسي كان بها، ثم تولى تدريس النظامية وذكر الدرس بها في تاسع صفر سنة إحدى وثمانين وخمسمائة، وأضيف إليه التقدم بالرباط الجديد المجاور لتربة الجهة الشريفة السلجوقية المعروف بالأخلاطية عند مشهد عون ومعين بالجانب الغربي، وانتقل إلى هناك وسكن الدار المجاورة للرباط المذكور، وكان يعبر إلى الجانب الشرقي ويذكر الدروس بالنظامية ويعود إلى منزله بالجانب الغربي، وكان له قبول عند الخاص والعام وجاه عند أرباب الولايات، وهو الذي تولى خدمة الأمير ابن أبي نصر محمد وأبي الحسن علي ابني مولانا الناصر لدين الله أمير المؤمنين خلد الله سلطانه في تعليم الخط، و سمع الحديث من ابن الحصين وقاضي البيمارستان وشيخه ابن الحاج وغيرهم، وحدث عنهم ثم خرج من منزله لصلاة العصر بالرباط الجديد المذكور وكان يؤم فيه، فلما توجه للصلاة عرضت له سعلة وتتابعت فوقع المقدم إلى الأرض وحمل إلى منزله فمات لوقته في الوقت المقدم ذكره وصلى عليه في غده، واجتمع له خلق عظيم ودفن بتربة الجهة السلجوقية المجاورة للرباط، وهو فيما يقال ابن اثنين وثمانين سنة.

المبارك بن المبارك بن سعيد

ابن الدهان أبو بكر الضرير النحوي المعروف بالوجيه من أهل واسط، قدم بغداد مع أبيه في صباه فأقام بها إلى أن مات في السادس عشر من شعبان سنة اثنتي عشرة وستمائة – رحمه الله – دفن بالوردية، ومولده في سنة اثنتين وخمسمائة، وهو شيخي الذي به تخرجت وعليه قرأت، وهو قرأ بواسط علي أبي سعيد نصر ابن محمد بن سلم المؤدب وغيره، وأدرك ببغداد ابن الخشاب فأخذ عنه، ولازم الكمال أبا البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري النحوي، وقرأ عليه وتتلمذ له، فهو أشهر شيوخه وسمع منه تصانيفه، وسمع الحديث من طاهر بن محمد المقدسي، وتولى تدريس النحو بالنظامية سنين، فتخرج عليه جماعة كثيرة منهم: حسن بن الباقلاوي الحلي، والموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادي، والمنتخب سالم ابن أبي الصقر العروضي وغيرهم. وكان – رحمه الله – قليل الحظ من التلامذة يتخرجون عليه ولا ينسبون إليه، ولم يكن فيه عيب إلا أنه كان فيه كيس ولين، وكان إذا جلس للدرس يقطع أكثر وقته بالأخبار والحكايات وإنشاد الأشعار حتى يسأم الطالب وينصرف عنه وهو ضجر وينقم ذلك عليه، وكان يحسن بكل لغة من الفارسية والتركية، والحبشية، والرومية، والأرمنية، والزنجية، فكان إذا قرا عليه عجمي واستغلق عليه المعنى بالعربية فهمه إياه بالعجمية على لسانه، وكان حسن التعليم طويل الروح كثير الاحتمال للتلامذة، وكان شاعراً مجيداً، أنشدني لنفسه كثيراً من شعره. منه في التجنيس:

ولو وقعت في لجة البحر قطرة ... من المزن يوماً ثم شاء لما زها
ولو ملك الدنيا فأضحى ملوكها ... عبيداً له في الشرق والغرب ما زها

وكان قد فوض إلى عضد الدولة أبي الفتوح بن الوزير عضد الدين بن رئيس الرؤساء أمر المخزن المعمور والأعمال التي كانت مفوضة قبله إلى ابن ناصر في عاشر شعبان سنة خمس وستمائة، وخلع عليه في باب الحجرة الشريفة وهو موضع لا يخلع فيه إلا على الوزراء، وركب منه والعالم بين يديه ليمضي إلى منزله، فعثرت به فرسه وسقط من عليها ثم ركبها سالماً من ساعته، فأكثر الناس القول في الطيرة من هذا، فقال الوجيه وأنشدنيه لنفسه:

لا تعذل الفرس التي عثرت ... بك أمس قبل سماعك العذرا
قالت مقالاً لو علمت به ... لم تولها هجراً ولا هجرا
لما رأى الأملاك أن على ... سرجي فتى أعلى الورى قدرا
رفعت يدي حتى تقبلها ... شغفاً بها فوهت يدي الأخرى

ثم لم يلبث المذكور إلا يسيراً حتى عزل وألزم بيته.

وأنشدني الوجيه أيضاً لنفسه:

لست أستقبح اقتضاءك بالوع ... د وإن كنت سيد الكرماء
فآله السماء قد ضمن الرز ... ق عليه ويقتضي بالدعاء

وأنشدني الوجيه أيضاً لنفسه في التجنيس:

لا راح مسترفدي جذلان من صفدي ... يوماً ولا عز بي في مشهد جاري
إن لم تكب على الأذقان أوجههم ... سيوف قومي بسيل من دم جاري

وحدثني الوجيه – رحمه الله – قال: دخلت يوماً إلى فخر الدين أبي على الحسن بن هبة الله بن الدوامي وهو من علمت أدباً وفضلاً وحسن بشر وكرم سجية، فجلسنا نتذاكر الشعراء إلى أن انتهى بنا الكلام إلى البحتري فأنشد قوله في الفتح بن خاقان:

هب الدار ردت رجع ما أنت قائلة ... وأبدى الجواب الربع عما تسائله

إلى قوله:

ولما حضرنا سدة الإذن أخرت ... رجال عن الباب الذي أنا داخله
بدا لي محمود السجية شمرت ... سرابيله عنه وطالت حمائله
كما انتصب الرمح الرديني ثقفت ... أنابيبه للطعن واهتز عامله
فكالبدر وافته لوقت سعوده ... وتم سناه واستهلت منازله
فسلمت واعتاقت جنابي هيبة ... تنازعني القول الذي أنا قائله
فلما تأملت الطلاقة وانثنى ... إلي ببشر آنستني مخايله
دنوت فقبلت الندى من يد امرئ ... جميل محياه سباط أناملة
صفت مثل ما يصفو المدام خلاله ... ورقت كما رق النسيم شمائله

فهش الجميع وأخذ كل منهم يصف حسن ألفاظها ورشاقة معانيها وجودو مقاصدها، وجعلوا يقولون: هذا هو السهل الممتنع، والفضل المتسع، والديباج الخسرواني، والزهر الأنيق، وأطنبوا في ذلك وحق لهم فقلت ارتجالاً:

لمن تنظم الأشعار والناس كلهم ... سواسية إلا امرؤ أنا جاهله؟
ولو علموا أن اللهي تفتح اللها ... دروا أن ذا الشعر ابن خاقان قائله

وكان الوجيه قد التزم سماحة الأخلاق وسعة الصدر، فكان لا يغضب من شيء ولم يره أحد قط حردان وشاع ذلك عنه، وبلغ ذلك بعض الحرفاء فقال: ليس له من يغضبه ولو أغضب لما غضب وخاطروه على أن يغضبه، فجاءه فسلم عليه، ثم سأله عن مسألة نحوية، فأجابه الشيخ بأحسن جواب ودله على محجة الصواب فقال له: أخطأت، فأعاد الشيخ الجواب بألطف من ذلك الخطاب، وسهل طريقته وبين له حقيقته فقال له: أخطأت أيها الشيخ، والعجب ممن يزعم أنك تعرف النحو ويهتدي بك في العلوم، وهذا مبلغ معرفتك؟ فلاطفه وقال له: يا بني لعلك لم تفهم الجواب، وإن أحببت أن أعيد القول عليك بأبين من الأول فعلت، قال له: كذبت، لقد فهمت ما قلت، ولكن لجهلك تحسب أنني لم أفهم، فقال له الشيخ وهو يضحك: قد عرفت مرادك ووقفت على مقصودك، وما أراك إلا وقد غلبت، فأد ما بايعت عليه، فلست بالذي تغضبني أبداً. وبعد يا بني فقد قيل: إن بقة جلست ظهر فيل فلما أرادت أن تطير قالت له: استمسك فإني أريد الطيران، فقال لها الفيل: والله يا هذه ما أحسست بك لما جلست، فكيف استمسك إذا أنت طرت؟ والله يا ولدي ما تحسن أن تسأل، ولا تفهم الجواب، فكيف أستفيد منك؟

وحدثني محب الدين محمد بن النجار قال: حضر الوجيه النحوي بدار الكتب التي برباط المأمونية، وخازنها يومئذ أبو المعالي أحمد بن هبة الله، فجرى حديث المعري فذمه الخازن وقال: كان عندي في الخزانة كتاب من تصانيفه فغسلته، فقال له الوجيه: وأي شيء كان هذا الكتاب؟ قال: كان كتاب نقض القرآن. فقال له: أخطأت في غسله، فعجب الجماعة منه وتغامزوا عليه واستشاط ابن هبة الله وقال له: مثلك ينهي عن مثل هذا؟ قال نعم، لا يخلو أن يكون هذا الكتاب مثل القرآن أو خيراً منه أو دونه، فإن كان مثله أو خيراً منه وحاش لله أن يكون ذلك، فلا يجب أن يفرط في مثله، وإن كان دونه وذلك ما لا شك فيه فتركه معجزة للقرآن فلا يجب التفريط فيه. فاستحسن الجماعة قوله ووافقه ابن هبة الله على الحق وسكت.

وكان الوجيه – رحمه الله – حنبلياً ثم صار حنفياً فلما درس النحو بالنظامية صار شافعياً، فقال فيه المؤيد أبو البركات محمد بن أبي الفرج التكريتي ثم البغدادي وكان أحد تلامذته، وسمعته من لفظه غير مرة:

ألا مبلغ عني الوجيه رسالة ... وإن كان لا تجدي إليه الرسائل
تمذهبت للنعمان بعد ابن حنبل ... وذلك لما أعوزتك المآكل
وما اخترت دين الشافعي تديناً ... ولكنما تهوى الذي هو حاصل
وعما قليل أنت لا شك صائر ... إلى مالك فافطن لما أنا قائل

وأنشدني الوجيه لنفسه في التجنيس

أطلت ملامي في اجتنابي لمعشر ... طغام لئام جودهم غير مرتجى
ترى بابهم لا بارك الله فيهم ... على طالب المعروف إن جاء مرتجا
حموا ما لهم والدين والعرض منهم ... مباح فيما يخشون من هجو من هجا
إذا شرع الأجواد في الجود منهجاً ... لهم شرعوا في البخل سبعين منهجا

وأنشدني الوجيه النحوي لنفسه يمدح أبا الفضل مسعود ابن جابر صاحب المخزن

ما مر يوم ولا شهر ولا عيد ... فاخضر فيه لنا من وصلكم عود
عودوا تعد بكم الأيام مشرقة ... وإن أبيتم ففي الأسقام لي عودوا
كم ذا التجني وكم هذا الصدود صلوا؟ ... من حظه منكم هم وتسهيد؟
لو تسألوا كيف حالي بعد بعدكم؟ ... فالحال شاهدة والسقم مشهود
لولا التعلل بالآمال مت أسى ... يفنى الزمان وما تفنى المواعيد
ولو شكوت الذي ألقى بحبكم ... إلى الجلاميد رفت لي الجلاميد
يا هذه ما أنام الليل من ولهي ... كأنما حاجبي بالجفن معقود
قل اصطباري وزاد الوجد بي فأنا ... بك الشقي وغيري منك مسعود
تلذ في حبك الأيام لي وأرى الت ... تعذيب عذباً به والقلب مجهود
كأنك المجد أو بذل الندى وأنا ... في فرط حبك فخر الدين مسعود
مولي إذا السحب ضنت بالحيا فله ... في الخلق بحر عظيم الري مورود

وله مطلع قصيدة في ابن جابر أيضاً:

يا من أقام قيامتي بقوامه ... وأطال تعذيبي بطول مطاله
أمط اللثام عن العذار تقم به ... عند العذول عليك عذر الواله
وارفق ببال في هواك معذب ... بجفاك ما خطر السلو بباله
طبع الحبيب على الملال وليته ... يوماً يميل إلى ملال ملاله
لو كنت تسمع ما أقول وقوله ... لعجبت من ذلي له ودلاله
شدا الرحال عقد تصبري ... لما سرت أجماله بجماله

أنشدني الحافظ أبو عبد الله محمد بن النجار صديقنا – حرسه الله – قال: أنشدني شيخنا الوجيه النحوي لنفسه:

أرفع الصوت إن مررت بدار ... أنت فيها إذ ما إليك وصول
وأحيي من ليس عندي بأهل ... أن يحيا كي تسمعي ما أقول

وكان ملازماً لدار الوزير عضد الدين أبي الفرج بن رئيس الرؤساء ويبيت ويصبح يقرئ أهله ونال من جهته ثروة، فحدثني عز الدين أبو الحسن علي بن محمود بن محمد المعروف بالسرخسي النحوي قال: حدثني الوجيه قال: اقترحت على بعض حظايا الوزير أن أعمل أبياتاً تكتبها على قميص أصفر فعلمت:

انظر إلى لابسي وانظر إلى وكن ... من مثل ما حل بي منه على خطر
هذا اصفراري يراه الناظرون وما ... في القلب من حبه يخفي على البصر
أموت في خلعه بالليل لي كمداً ... لولا انتظار وصال منه في السحر
أقول عجباً إذا ما رام يلبسني ... ما كنت أطمع أن أعلو على القمر

ونقشتها على القميص ورآه الوزير عليها، فنلت منه بذلك السبب خيراً كثيراً

المبارك بن محمد الشيباني

بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني أبو السعادات الملقب بمجد الدين المعروف بابن الأثير هو أبوه محمد بن محمد بن عبد الكريم من أهل جزيرة ابن عمر. مات فيما حدثني به أخوه عز الدين أبو الحسن علي بن محمد في يوم الخميس سلخ ذي الحجة سنة ست وستمائة قال: ومولده في أحد الربيعين سنة أربع وأربعين وخمسمائة بالجزيرة وانتقل إلى الموصل في سنة خمس وستين ولم يزل بها إلى أن مات.

قال المؤلف: وكان عالماً فاضلاً وسيداً كاملاً، قد جمع بين علم العربية والقرآن والنحو واللغة والحديث وشيوخه وصحته وسقمه والفقه وكان شافعياً، وصنف في كل ذلك تصانيف هي مشهورة بالموصل وغيره.

حدثني أخوه أبو الحسن قال: قرأ أخي الأدب على ناصح الدين أبي محمد سعيد ابن الدهان البغدادي، وأبي بكر يحيى بن سعدون المغربي القرطبي، وأبي الحزم مكي بن الريان بن شبة الماكسي النحوي الضرير، وسمع الحديث بالموصل من جماعة منهم الخطيب أبو الفضل بن الطوسي وغيره، وقدم بغداد حاجاً فسمع بها من أبي القاسم صاحب ابن الخل، وعبد الوهاب ابن سكينة، وعاد إلى الموصل فروى بها وصنف، ووقف داره

على الصوفية وجعلها رباطاً.

وحدثني أخوه أبو الحسن قال: تولى أخي أبو السعادات الخزانة لسيف الدين الغازي بن مودود بن زنكي ثم ولاه ديوان الجزيرة وأعمالها، ثم عاد إلى الموصل فناب في الديوان عن الوزير جلال الدين أبي الحسن علي بن جمال الدين محمد ابن منصور الأصبهاني، ثم اتصل بمجاهد الدين قايماز بالموصل أيضاً فنال عنده درجة رفيعة، فلما قبض على مجاهد الدين اتصل بخدمة أتابك عز الدين مسعود بن مودود إلى أن توفي عز الدين فاتصل بخدمة ولده نور الدين أرسلان شاه، فصار واحد دولته حقيقة بحيث إن السلطان كان يقصد منزله في مهام نفسه لأنه أقعد في آخر زمانه فكانت الحركة تصعب عليه فكان يجيئه بنفسه، أو يرسل إليه بدر الدين لؤلؤ الذي هو اليوم أمير الموصل.

وحدثني أخوه المذكور قال: حدثني أخي أبو السعادات قال: لقد ألزمني نور الدين بالوزارة غير مرة وأنا أستعفيه حتى غضب مني وأمر بالتوكيل بي قال: فجعلت أبكي فبلغه ذلك فجاءني وأنا على تلك الحال فقال لي: أبلغ الأمر إلى هذا؟ ما علمت أن رجلاً ممن خلق الله يكره ما كرهت. فقلت: أنا يا مولانا رجل كبير وقد خدمت العلم عمري، واشتهر ذلك عني في البلاد بأسرها، وأعلم أنني لو اجتهدت في إقامة العدل بغاية جهدي ما قدرت أؤدي حقه، ولو ظلم أكار في ضيعة من أقصى أعمال السلطان لنسب ظلمه إلي، ورجعت أنت وغيرك باللائمة علي، والملك لا يستقيم إلا بالتسمح في العسف وأخذ هذا الخلق بالشدة، وأنا لا أقدر على ذلك فأعفاه، وجاءنا إلى دارنا فخبرنا بالحال. فأما والده وأخوه فلاماه على الامتناع فلم يؤثر اللوم عنده أسفاً، وذكر في قصة طويلة بتفاصيلها إلا أن هذا الذي ذكرته هو معناها.

وحدثني عز الدين أبو الحسن قال: حدثني أخي أبو السعادات – رحمه الله – قال: كنت أشتغل بعلم الأدب على الشيخ أبي محمد سعيد بن المبارك ين الدهان النحوي البغدادي بالموصل، وكان كثيراً ما يأمرني بقول الشعر وأنا أمتنع من ذلك قال: فبينا أنا ذات ليلة نائم رأيت الشيخ في النوم وهو يأمرني بقول الشهر فقلت له: ضع لي مثالاً أعمل عليه فقال:

جب الفلا مدمناً إن فاتك الظفر ... وخد خد الثرى والليل معتكر

فقلت أنا:

فالعز في صهوات الخيل مركبه ... والمجد ينتجه الإسراء والسهر

فقال لي: أحسنت، هكذا فقل، فاستيقظت فأتممت عليها نحو العشرين بيتاً.

وحدثني عز الدين أبو الحسن قال: كتب أخي أبو السعادات إلى صديق له في صدر كتاب والشعر له:

وإني لمهد عن حنين مبرح ... إليك على الأقصى من الدار والأدنى

وإن كانت الأشواق تزداد كلما ... تناقص بعد الدار واقترب المغنى

سلاماً كنشر الروض باكره الحيا ... وهبت عليه نسمة السحر الأعلى

فجاء بمسكي الهوا متحلياً ... ببعض سجايا ذلك المجلس الأسمى

وأنشدني عز الدين قال: أنشدني أخي مجد الدين أبو السعادات لنفسه:

عليك سلام فاح من نشر طيبه ... نسيم تولى بثه الرند والبان
وجاز على أطلال مي عشية ... وجاد عليه مغدق الوبل هتان
فحملته شوقاً حوته ضمائري ... تميد له أعلام رضوى ولبنان

واستنشدته شيئاً آخر من شعره فقال: كان أخي قليل الشعر لم يكن له به تلك العناية، وما أعرف الآن له غير هذا. فقلت له: فأمل علي تصانيفه، فأملي علي: كتاب البديع في النحو الأربعين كراسة، وقفي عليه فوجدته بديعاً كاسمه سلك فيه مسلكاً غريباً، وبوبه تبويباً عجيباً، كتاب الباهر في الفروق في النحو أيضاً، كتاب تهذيب فصول ابن الدهان، كتاب الإنصاف في تفسير القرآن أربع مجلدات، كتاب الشافي وهو شرح مسند الشافعي أبدع في تصنيفه، فذكر أحكامه ولغته ونحوه ومعانيه نحو مائة كراسه، كتاب غريب الحديث على حروف المعجم أربع مجلدات، كتاب جامع الأصول في أحاديث الرسول عشر مجلدات جمع فيه بين البخاري ومسلم والموطأ وسنن أبي داود وسنن النسائي والترمذي عمله على حروف المعجم، وشرح غريب الأحاديث ومعانيها وأحكامها ووصف رجالها، ونبه على جميع ما يحتاج إليه منها.

قال المؤلف: أقطع قطعاً أنه لم يصنف مثله قط ولا يصنف، وله رسائل في الحساب مجدولات، كتاب ديوان رسائله، وكتاب البنين والبنات والأباء والأمهات والأذواء والذوات مجلد، كتاب المختار في مناقب الأخبار أربع مجلدات إلى غير ذلك.

مبشر بن فاتك أبو الوفاء الأمير

أحد أدباء مصر العارفين بالأخبار والتواريخ المصنفين فيها، وكان في أيام الدولة المصرية في أيام الظاهر والمستنصر وله من التصانيف: كتاب سيرة المستنصر ثلاث مجلدات وله تواليف في علوم الأوائل، وملك من الكتب مالا يحصى عدده كثرة.

مجالد بن سعيد بن عمير الهمداني

روي عن الشعبي فأكثر، وروي عنه الهيثم بن عدي، مات في سنة إحدى وأربعين ومائة، وكان راوية للأخبار والأنساب والأشعار، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف.

مجاهد بن جبر القارئ

وقيل مجاهد بن جبير مولى عبد الله بن السائب، وقيل مولى قيس بن السائب المخزومي من كبار التابعين يكنى أبا الحجاج، مات سنة أربع ومائة، وقيل سنة ثلاث عن ثلاث وثمانين سنة من عمره. سمع ابن عباس وجابراً وأبا هريرة وأبا سعيد الخدري وأبا ريحانه وعبد الله بن عمر وغيرهم. أخذ القراءة عن عبد الله بن عباس وعن عبد الله ابن أبي ليلى، وقرأ على علي بن أبي طالب وأبي بن كعب رضي الله عنهم. روى عنه الأعمش والليث بن أبي سليم والحكم ومنصور بن نجيح وغيرهم.

وقال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاثين عرضة. قال مجاهد: وكنت أصحب ابن عمر في السفر فكنت إذا أردت أن أركب يأتيني فيمسك ركابي، فإذا ركبت سوى على ثيابي. قال مجاهد: فجاءني مرة فكأني كرهت ذلك فقال يا مجاهد: إنك ضيق الخلق، نقلت ذلك كله من كتاب الأمالي لأبي بكر محمد بن منصور السمعاني.

وقرأت بخط أبي سعد بإسناد رفعه إلى مجاهد أنه قال: انطلق غلام من بني إسرائيل بفخ فنصبه منتبذاً عن الطريق، فجاء عصفور فوقع قريباً منه وأنطلق الله العصفور وأفهم الفخ فقال العصفور: مالي أراك منتبذاً عن الطريق؟ قال: اعتزلت شرور الناس. قال فمالي أراك نحيفاً؟ قال: أنهكتني العبادة. قال: فما هذه الحبة في فيك؟ قال أرصد بها مسكيناً أو ابن سبيل. قال: فأنا مسكين وابن سبيل، قال: فدونكها. قال فوثب العصفور فأخذ الحبة فوثب الفخ فوقع في عنقه، فجعل العصفور يقول: عيق عيق، وعزة ربي لاغرني بعدها قارئ مراء أبداً.

قال مجاهد: وهذا مثل قرائين مرائين يكونون آخر الزمان.

وذكرابن عفير قال: قدم عمرو بن العاص بمد فتحه مصر على عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قد متين استخلف في إحداهما زكريا بن الجهم العبدري على الجند، ومجاهد بن جبر مولى بني نوفل بن عبد مناف على الخراج، وهو جد معاذ بن موسى النفاط أبي إسحاق بن معاذ الشاعر فسأله عمر من استخلفت؟ فذكر له مجاهد بن جبر، فقال له عمر: مولى ابنة غزوان؟ قال نعم إنه كاتب، فقال عمر: إن العلم ليرفع صاحبه. وبنت غزوان هي أخت عتبة بن غزوان وقد شهد عتبة بدراً، وكان حليف بني نوفل بن عبد مناف قال: وخطة مجاهد بن جبر دار صالح صاحب السوق.

مجاهد بن عبد الله العامري

أبو الجيش الموفق، مولى عبد الرحمن الناصر بن المنصور محمد بن أبي عامر أمير الأندلس، مات بدانية في سنة ست وثلاثين وأربعمائة، وأصله مملوك رومي من مماليك ابن أبي عامر، كان من أهل الأدب والشجاعة والمحبة للعلوم وأهلها، نشأ بقرطبة وكانت له همة وجلادة وجرأة، فلما جاءت أيام الفتنة وتغلبت العساكر على النواحي سار هو فيمن تبعه إلى الجزائر التي في شرق الأندلس وهي: دانية ومنورقة بالنون، ودانية هي ذات خصب وسعة فغلب عليها وحماها، وقصد سردانية في قصة ذكرها في التاريخ الذي سميته المبدأ، وكان من الكرماء على العلماء يبذل لهم الرغائب خصوصاً على القراء حتى صارت دانية معدن القراء بالغرب، وهو الذي بذل لأبي غالب تمام بن غالب ألف دينار ليزيد اسمه في ديباجة كتابه كما ذكرنا في باب تمام.

وفيه يقول أبو العلاء صاعد بن الحسن اللغوي – وقد استماله بخريطة مال ومركب أهداهما إليه – قصيدة أولها:

أتتني الخريطة والمركب ... كما اقترن السعد والكوكب

وحط بميمائه قلعة ... كما وضعت حملها المقرب

على ساعة قام فيها الثنا ... ء على هامة المشتري يخطب
مجاهد رضت إباء الشمو ... س فأصبحت ما لم يكن بصحب
فقل واحتكم لي فسمع الزمان ... مصيخ إليك بما ترغب

وقد ألف مجاهد كتاب عروض يدل على قوته فيه: ومن أعظم فضائله تقديمه للوزير أبي العباس أحمد بن رشيق وتعويله عليه، وبسط يده في العدل.

المحسن بن إبراهيم بن هلال بن زهرون

الصابئ أبو علي ين أبي إسحاق صاحب الرسائل، ووالد هلال بن المحسن صاحب التواريخ والرسائل. كان أديباً فاضلاً بارعاً، قد لقي الأدباء والعلماء وأخذ عنهم كأبي سعيد السيرافي وأبي علي الفارسي وأبي عبيد الله المرزباني. مات في ثامن محرم سنة إحدى وأربعمائة عن ابنه هلال وله شعر حسن من مثله، وكان بوجهه شامة حمراء فكان يعرف بصاحب الشامة، وابنه هلال بن المحسن أعلى منزلة منه. ومات هذا على دين أبيه، وأما ابنه فأسلم على ما ذكرته في بابه، وكان لأبي إسحاق ابن آخر يقال له أبو سعيد سنان ليس بالنبيه، وآخر كنيته أبو العلاء صاعد. ومات أبو سعيد سنان في حياة أبيه في رجب سنة ثمانين. ولما قبض على أبيه أبي إسحاق قبض معه على ولديه أبي علي هذا وأبي سعيد. فحدث أبو الحسين هلال قال: حدثني أبو علي والدي قال: أمر عضد الدولة أبا القاسم المطهر بن عبد الله وزيره وقال له: أفرج عن ابن أبي إسحاق صاحب الشامة، فإن له قديم خدمة فتقدم بذاك، فثقل على أبي سعيد أخي إطلاقي من دونه، ودمدم على والدنا دمدمة قال له عندها: أي أمر لنا يا بني في نفوسنا؟ أم أي ذنب لي فيما لطف به لأخيك وحرمته؟. ثم عدل إلى مسألتي أن أخرج أسبوعاً ويخرج أسبوعاً، ويقع بيننا مناوبة في ذاك فامتنعت وأبيت ورفق بي رفقاً استحييت معه وأجبت، فكتب أبو إسحاق إلى أبي القاسم المطهر:

ابناي عيناي كف الحبس لحظهما ... وعز حسمها عن منظر النور
أطلقت لي منهما عيناً وقد بقيت ... عين فصرت من الإبنين كالعور
فسو بينهما في فك أسرهما ... مستوفراً منهما من أجر مأجور
يفديك بالأنفس التي مننت بها ... أبوهما وهما من كل محذور

فقال المطهر: الأمر إلى الملك، والذي رسم لي إطلاق ولدك صاحب الشامة، ولو كنت مستطيعاً للجمع بينهما لفعلت، بل لم أقنع حتى تكون أنت المطلق، فعاوده وشكره وقال: إذا كان قد أخذ في تخلية واحد فيجوز أن يتناوبا في الخروج وفسح المطهر في ذلك. قال أبو علي: وكانت خدمتي التي راعاها الملك عضد الدولة أن أبا طاهر بن بقية لما أفرج عن أبي إسحاق والدي بعد القبض عليه عقيب خروج عضد الدولة من مدينة السلام استخلفه على أن يعرفه ما يرد عليه من كتبه ويسلم إليه من يجيئه من رسله، فاتفق أن جاء أبو سعد المدبر إليه بكتاب من عضد الدولة وعمل على تسليمه فاجتهدت به ألا يفعل، فخاف وأشفق ولم يقبل وحمله إلى ابن بقية، فتقدم باعتقاله بعد أن ضربه وقرره، وشق ذلك على لما يراعي من عواقبه، وحملني

الشباب ونزقه، والاغترار وبواعثه، على أن قمت ليلاً وحملت معي خمسين درهماً في صرة وعشرين درهماً في صرة أخرى، وجئت إلى الحبس متنكراً وعلى رأسي منشفة وقلت للسجان: هذه عشرون درهماً خذها ومكني من الدخول على هذا الجاسوس وأجتمع معه وأخاطبه وأخرج، فأخذها وأدخلني وجئت إلى أبي سعد وتوجعت له مما حصل فيه ووعدته بما أستطيعه من المعاونة على خلاصة ثم قلت له: أنت غريب وربما احتجت إلى شيء وهذه خمسون درهماً اصرفها في نفقتك واستعن بها على أمرك فشكرني وانصرفت، وأظنه ذكر ذلك لعضد الدولة عند خلاصه وعوده إليه، فحصل لي في نفسه ما كانت هذه الحال ثمرته. قرأت بخط أبي علي المحسن في مجموع جمعه لولده هلال ما هذا صورته لبعض المحدثين في عصرنا – وعلى الحاشية بخط ابنه هلال، هذه الأبيات لأبي علي المحسن بن إبراهيم بن هلال رحمه الله – :

أأهجو مجوسياً لو أني أمرته ... بنيك أمه جهر إذا تأثما

إذا ذكرت يوماً له ريع قلبه ... وأنعظ مشتاقاً إليها متيماً

يحن إليها حنتين لأنه ... يكون لها بعلاً وكان لها ابنما

قضاها رضاع الثدي منه بأيره ... ففر لها فرجاً وفرت له فما

فإن طرقت بالحمل يوماً فإنما ... يكون أخاً وابناً له كلما انتمى

ينيك الاقاصي والأداني محللاً ... بذلك ما كان الإله محرما

إذا ماذوو الأديان صلوا لربهم ... تقدم يهذي في الصلاة مزمزما

ويخرج مما كلفوا من مشقة ... ويحتسب اللذات أجراً ومغنما

وكتب أبو علي إلى أبيه في بعض نكباته:

لا تأس للمال إن غالته غائلة ... ففي حياتك من فقد اللهي عوض

إذ أنت جوهرنا الأعلى وما جمعت ... يداك من طارف أو تالد عرض

فأجابه أبو إسحاق بأبيات ذكرتها في بابه فأغني. قرأت بخط أبي علي المحسن: أنشدني القاضي أبو سعيد الحسن ابن عبد الله السرافي رحمه الله:

الجواد والغول والعنقاء ثالثة ... أسماء أشياء لم تخلق ولم تكن

وأنشدني:

ألهي بني جشم عن كل مكرمة ... قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

يفاخرون بها مذ كان أولهم ... يا للرجال لفخر غيرهم مسؤوم

وأنشدني في المعنى:

كأن وجوه شماس بن لأي ... من السوءات ملبسة عصيما

إذا ذكروا الخطيئة لم يعدوا ... حديثاً بعد ذاك ولا قديما

وأنشدني:

يا ابن صليبا أين طبك والذي ... به كنت تشفي من به مثل دائكا؟

أأنكرت مما قيل ما قد عرفته ... بغيرك أم آثرتهم بشفائكا؟

بل الموت ميقات النفوس متى يحن ... فداء الذي داويته في دوائكا

ومن خط أبي علي المحسن قال: سألت القاضي أبا سعيد السيرافي رحمه الله عن الأخبار التي يرويها عن أبي بكر بن دريد وكنت أقرؤها عليه: أكان يمليها من حفظه؟ فقال: لا، كانت تجمع من كتبه وغيرها ثم تقرأ عليه. وسألت أبا عبد الله محمد بن عمران المرزباني رحمه الله عن ذلك فقال: لم يكن يمليها من كتاب ولا حفظ، ولكن كان يكتبها ثم يخرجها إلينا بخطه، فإذا كتبناها خرق ما كانت فيه. وقرأت بخط أبي على المحسن: لأبي الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمي إلي يتقاضاني دفتراً أعطانيه:

كنت يا سيدي استعرت كتاباً ... لي فيه قصائد للخليع

في الربيع وهذا ربيع ... فتفضل برده يا ربيعي

تغتنم مدحتي وإن جدت أيضاً ... لي بفلسين لم يكن ببديع

يا جميل الصنيع لم قد تغير ... ت وعملتني بسوء الصنيع؟

من عذيري يا آل زهرون منكم ... من تراه يطفي لهيب ضلوعي؟

لست في المنع بالملوم تعلم ... ت من السيد الجليل الرفيع

كنت أعددتكم لنائبة الده ... ر وللحادث الملم الفظيع

ورجوت الغني فخاب رجائي ... لم يخب فيك أنت بل في الجميع

واقريضي واخيبتي وأعنائي ... واضنائي واذلتي واخضوعي

واشبابي الذي تقضي ضياعاً ... واسهادي وافقد طيب هجوعي

واشقائي من ذل بختي عليكم ... من إليكم يا قوم كان شفيعي؟

كنت أبكي منكم فلما نكبتم ... قمت أبكي لكم فعزت دموعي

قال أبو علي: وكنت مع أبي الحسن بن سكرة على المائدة فحمل بعض الغلمان غضارة فيها مضيرة فاضطربت يده وانقلب شيء منها على ثياب أبي الحسن فادعى عليه أنه ضرط وهجاه بأبيات لم يبق في حفظي منها غير بيتين وهما:

قليل الصواب كثير الغلط ... شديد العثار قبيح السقط

جني بالمضيرة ما قد جنى ... ولم يكفه ذاك حتى ضرط

المحسن بن الحسينكوجك

بن علي كوجك أبو القاسم الأديب من أهل الفضل، وكان الغالب عليه الوراقة ويقول الشعر، وخطة معروف مرغوب فيه يشبه خط الطبري. قال أبو محمد أحمد بن الحسين بن أحمد بن محمد بن عبد الرحمن الروذباري في تاريخه الذي ألف بمصر: وفي شوال سنة ست عشرة وأربعمائة، مات أبو القاسم المحسن بن الحسين العبسي الأديب الوراق، سمع من أبي مسلم محمد بن أحمد كاتب بن حنزابة، وسمع معه أخوه علي بن الحسين وكان أبوه أيضاً من أهل الفضل، وله شعر ذكرته في ترجمة ابنه الآخر علي ابن الحسين. وقرأت في

كتاب الشام: المحسن بن علي بن كوجك أبو عبد الله من أهل الأدب، أملي بصيدا حكايات مقطعة بعضها عن ابن خالويه، روي عنه أبو نصر طلاب قال: أنبأنا عبد الله بن أحمد بن عمر قال: أخبرنا أبو نصر ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن طلاب قال: أملي علينا الأستاذ أبو عبد الله المحسن بن علي بن كوجك بصيدا، وقرأته عليه في سنة أربع وتسعين وثلاثمائة أنشدنا لبعضهم:

ودعك الحسن فهو مرتحل ... وانصرفت عن جمالك المقل

ومت من بعد ما أمت وأح ... يت وكل الأمور تنتقل

كم قائل لي وقد رأى كلفي ... فيك ووجدي فقال مكتهل

يرحمك الله يا غلام إذا ... قال لك العاشقون يا رجل

قال ابن طلاب: وحضرنا معه يوماً في محرس غرق بمدينة صيدا، وفيه قبة فيها مكتوب أسماء من حضرها وأشعار: من جملتها:

رحم الله من دنا لأناس ... نزلوا ههنا يريدون مصراً

فرقت بينهم صروف الليالي ... فتخلوا عن الأحبة قسرا

فقال له قائل من جماعتنا: إن المائدة لا تقعد على رجلين ولا تستقر إلا على ثلاثة فأجز لنا هذين البيتين بثالث، فأطرق ساعة ثم قال اكتبوا:

نزلوا والثياب بيض فلما ... أزف البين منهم صرن حمرا

قال ابن طلاب: وكان بين الاستاذ وبين رجل كاتب لبني بزال إحن وملاحاة مستهجنة أوقعت بينهما العداوة بعد وكيد الصداقة، وكان هذا الرجل يقال له أبو المنتصر مبارك الكاتب، فهجاه الأستاذ بأشعار كثيرة وجمعها في جزء وكتب على ظهر هذا الجزء شعراً له وهو:

هذا جزاء صديق ... لم يرع حق الصداقة

سعى على دم حر ... محرم فأرقه

قال: وأنشد لنفسه فيه أيضاً:

مبارك بورك في الطول لك ... فأصبحت أطول من في القلك

ولولا انحناؤك نلت السما ... ء ولكن ربك ما عدلك

المحسن بن علي التنوخي

بن محمد بن داود بن الفهم التنوخي أبو علي القاضي، وقد مر ذكر أبيه علي بن محمد وابنه علي ابن المحسن في مواضعهما. مات لخمس بقين من محرم سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، ومولده سنة تسع وعشرين وثلاثمائة بالبصرة وكانت وفاته ببغداد، وله من التصانيف: كتاب الفرج بعد الشدة ثلاث مجلدات، كتاب نشوار المحاضرة اشترط فيه أنه لا يضمنه شيئاً نقله من كتاب أحد عشر مجلداً كل مجلد له فاتحة بخطبة.

قال غرس النعمة: صنف أبو علي المحسن كتاب نشوار المحاضرة في عشرين سنة أولها سنة ستين وثلاثمائة، وذيله غرس النعمة بكتاب سماه كتاب الربيع قال: ابتدأته في سنة ثمان وستين وأربعمائة. ولي القضاء بعدة

نواح. حكى عن نفسه أنه في سنة ثلاث وستين وثلاثمائة كان متولي القضاء بواسط، وقال في موضع آخر من كتابه: حضرت أنا مجلس أبي العباس بن أبي الشوارب قاضي القضاة إذ ذاك وكنت حينئذ أكتب له على الحكم والوقوف بمدينة السلام مضافاً إلى ما كنت أخلفه عليه بتكريت ودقوقاء وخانيجار، وقصر ابن هبيرة، والجامعين، وسوراء وبابل والإيغارين وخطرنية. وذكر قصة. وذكر في موضع آخر أنه كان يتقلد القضاء بعسكر مكرم في أيام المطيع لله وعز الدولة بن بويه. وقد ذكر أبو الفرج الشلجي أنه تقلد القضاء بالأهواز نيابة عن القاضي أبي بكر بن قريعة وقد ذكرت ذلك في خبر الشلجي.

قال أبو الفرج: وحدثني أبو علي التنوخي القاضي قال: لما قلدني القاضي أبو بكر بن قريعة قضاء الأهواز خلافة له كتب إلى المعروف بابن سركر الشاهد وكان خليفته على القضاء قبلي كتاباً على يدي وعنونه: إلى المخالف الشاق، السئ الأخلاق الظاهر النفاق، محمد بن إسحاق.

وذكر الثعالبي فقال: هلال ذلك القمر، وغصن ذلك الشجر، الشاهد العدل لمجد أبيه وفضله، والفرع المشيد لأصله، والنائب عنه في حياته، والقائم مقامه بعد وفاته، وفيه يقول أبو عبد الله الحسين بن الحجاج:

إذا ذكر القضاة وهم شهود ... تخيرت الشباب على الشيوخ

ومن لم يرض لم أصفعه إلا ... بحضرة سيدي القاضي التنوخي

قال: وأخبرني أبو نصر سهل بن المرزبان: أنه رأى ديوان شعره ببغداد أكبر حجماً من ديوان شعر أبيه، ومما علق بحفظ أبي نصر من شعره قوله في معنى طريف لم سبق إليه:

خرجنا لنستسقي يمن دعائه ... وقد كاد هدب الغيم أن يبلغ الأرضا

فلما ابتدا يدعو تقشعت السما ... فما تم إلا والغمام قد انفضا

قال: وأنشدني غيره له وأنا مرتاب به لفرط جودته وارتفاعه عن طبقته.

أقول لها والحي قد فطنوا بنا ... ومالي عن أيدي المنون براح

لما ساءني أن وشحتني سيوفهم ... وأنك لي دون الوشاح وشاح

وأنشد لنفسه في كتاب الفرج بعد الشدة:

لئن أشمت الحساد صرفي ورحلتي ... فما صرفوا فضلي ولا ارتحل المجد

مقام وترحال وقبض وبسطة ... كذا عادة الدنيا وأخلاقها النكد

قرأت في كتاب الوزراء لهلال بن المحسن: حدث القاضي أبو علي قال: نزل الوزير أبو محمد المهلبي السوس فقصدته للسلام عليه وتجديد العهد بخدمته فقال لي: بلغني أنك شهدت عند ابن سيار قاضي الأهواز؟ قلت نعم، قال: ومن ابن سيار حتى تشهد عنده وأنت ولدي وابن أبي القاسم التنوخي أستاذ ابن سيار؟ قلت: ألا إن في الشهادة عنده مع الحداثة جمالاً –وكانت سني يومئذ عشرين سنة – قال: وجب أن تجئ إلى الحضرة لأتقدم إلى أبي السائب قاضي القضاة بتقليدك عملاً تقبلي أنت فيه شهوداً. قلت: ما فات ذاك إذا أنعم سيدنا الوزير به، وسيلي إليه الآن مع قبول الشهادة أقرب، فضحك وقال لمن كان بين يديه: انظروا إلى ذكائه كيف اغتنمها؟ ثم قال لي: اخرج معي إلى بغداد فقبلت يده ودعوت له، وسار من السوس إلى بغداد

ووردت إلى بغداد في سنة تسع وأربعين وثلاثمائة، فتقدم إلى أبي السائب في أمري بما دعاه إلى أن قلدني عملاً بسقي الفرات، وكنت ألازم الوزير أبا محمد وأحضر طعامه ومجالس أنسه، اتفق أن جلس يوماً مجلساً عاماً وأنا بحضرته وقيل له: أبو السائب في الدار قال: يدخل، ثم أومأ إلي بأن أتقدم إليه فتقدمت، ومد يده ليساريني فقبلتها فمد يدي وقال: ليس بيننا سر، وإنما أردت أن يدخل أبو السائب فيراك تساريني في مثل هذا المجلس الحافل فلا يشك أنك معي في أمر من أمور الدولة فيرهبك ويحشمك، ويتوفر عليك ويكرمك، فإنه لا يجئ إلا بالرهبة وهو يبغضك بزيادة عداوة كانت لأبيك، ولا يشتهي أن يكون له خلف مثلك، وأخذ يوصل معي في مثل هذا الفن من الحديث إلى أن دخل أو السائب، فلما رآه في سرار وقف ولم يحب أن يجلس إلا بعد مشاهدة الوزير له تقرباً إليه وتلطفاً في استمالة قلبه، فإنه كان إذ ذاك فاسد الرأي فيه فقال الحاجب لأبي السائب: يجلس قاضي القضاة وسمعه الوزير فرفع رأسه وقال له اجلس يا سيدي وعاد إلى سراري وقال لي: هذه أشد من تلك، فامض إليه في غد فسترى ما يعاملك به، وقطع السرار وقال لي ظاهراً: قم فامض فيما أنفذتك فيه وعد إلي الساعة بما تعمله، فوهم أبا السائب بذاك أننا في مهم، فقمت ومضيت إلى بعض الحجر وجلست إلى أن عرفت انصراف أبي السائب ثم عدت إليه وقد قام عن ذلك المجلس وجئت من غد إلى أبي السائب فكاد يحملني على رأسه، وأخذ يجاذبني بضروب من المحادثة والمباسطة، وكان ذلك دهراً طويلاً.

قال القاضي أبو علي في نشوار المحاضرة: حضر بين يدي رجلان بالأهواز فادعى أحدهما على الآخر حقاً فأنكره فسأل غريمه إحلافه فقال له أتحلف؟ فقال: ليس له علي شيء فكيف أحلف؟ ولو كان له علي شيء حلفت له وأكرمته.

حدث أبو علي قال: كنت جالساً بحضرة عضد الدولة في مجلس أنسه بنهاوند فغناه محمد بن كالة الطنبوري – شيخ كان يخدمه في جملة المغنين باق إلى الآن – :

ذد بماء المزن والعنب ... طارقات الهم والكرب

قهوة لو أنها نطقت ... ذكرت قحطان في العرب

وهي تكسو كف شاربها ... دستبانات من الذهب

فاستحين الشعر والصنعة وسأل عنها. فقال له ابن كالة: هذا شعر غنت به مولانا سلمة بنت حسينة فاستعاده منها استحساناً له فسرقته منها. قال التوخي: فقلت له: أما الشعر فللخباز البلدي، وأظن أبا الحسن بن طرحان قال لي: إن الصنعة فيه لأبيه، والمعنى حسن ولكنه مسروق. فقال: من أين؟ فقلت: أما البيت الثاني فمن قول أبي نواس:

عنقت حتى لو اتصلت ... بلسان صادق وفم

لاحتبت في القوم ماثلة ... ثم قصت قصة الأمم

ووصفها بالعتق والقدم كثير في القوم في أبلغ من هذا البيت، ولكن التشبيه في البيت الثالث هو الحسن، وقد سرقه مما أنشدناه أبو سهل بن زياد القطان قال: أنشدنا يعقوب بن السكيت ولم يسم قائلاً:

أقرى الهموم إذا ضاقت معتقة ... حمراء يحدث فيها الماء تفويغا

تكسو أصابع ساقيها إذا مزجت ... من الشعاع الذي فيها تطاريفا

وقد كشف – أطال الله بقاء مولاي – هذا المعنى من قال:

كأن المدير لها باليمن ... إذا قام للسقي أو باليسار

تدرع ثوباً من الياسمين ... له فرد كم من الجلنار

وكان أبو علي أحمد بن علي المدائني المعروف بالهائم الراوية قائماً في المجلس فقال: قد كشف معنى الأبيات الفائية سرى الرفاء حيث يقول في صفة الدنان:

ومستسلمات هززن لها ... مداري القيان لسفك الدماء

وقد نظم الصلح أجسامها ... مع الخدر نظم صفوف اللقاء

تمد إليها أكف الرجال ... فترجع مثل أكف النساء

وكشف المعنى الثاني في الأبيات بقوله:

إزدد من الراح وزد ... فالغي في الراح رشد

يديرها ذو عنة ... وغد يثنيه الغيد

مد إليها يده ... فالتهبت إلى العضد

قال القاضي التنوخي: فقلت له: فأين أنت عما هو خير من هذا؟ وهو قول ابن المعتز:

تحسب الظبي إذا طاف بها ... قبل أن يسقيكها مختضبا

قال الهائم: فقد قال بكارة الرسغي:

وبكر شريناها على الورد بكرة ... فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغد

إذا قام مبيض للباس يديرها ... توهمته يسعى بكم مورد

وقول أبي النصر النحوي:

فلو رآني إذا اتكأت وقد ... مددت كفي للهو والطرب

يخالني لابساً مشهرة ... من لازورد يشف عن ذهب

فبدأت أذكر شيئاً فقال الهائم: اصبر اصبر فهاهنا ما لا يلحقه أحد كان في الدنيا قط حسناً وجودة، وهو قول مولانا الملك من أبيات:

وشرب الكأس من صهباء صرف ... يفيض على الشروب يد النضار

فقطعت المذاكرة وأقبلت أعظم البيت وأفخم أمره، وأفرط في استحسانه، والاعتراف بأنني لا أحفظ ما يقاربه في الحسن والجودة فأذاكر به. قال التنوخي: وكنت بحضرته في عشية من العشايا في مجلس الأنس، وكان هذا بعد خلعتي له المؤانسة بشهور يسيرة فغنى له من وراء ستارته الخاصة صوت وهو:

نحن قوم من قريش ... ما همنا بالفرار

وبعده أبيات بعضها ملحون وبعض جيد. فاستملح اللحن وقال: هو شعر ركيك جداً فتعلمون لم هو ولمن اللحن؟ فقال له أبو عبد الله بن المنجم: بلغني أن الشعر للمطيع لله وأن اللحن له أيضاً. فقال لي: اعمل أبياتاً

تنقل هذا اللحن إليها في وزنها وقافيتها فجلست ناحية وعملت:

أيهذا القمر الطا ... لع من دار القمار

رائحاً من خيلاء ال ... حسن في أبهى إزار

والذي يجني ولا يت ... بع ذبناً باعتذار

أنا من هجرك في بع ... د على قرب المزار

أوضح العذر عذارا ... ك على خلع العذار

وعدت وأنشدته إياها في الحال فارتضاها وقال: لولا أنه قد هجس في نفسي أن أعمل في معناها لأمرت بنقل اللحن إليها، ثم أنشدنا بعد أيام لنفسه:

نحن قوم نحفظ العه ... على بعد المزار

ونمر السحب سحباً ... من أكف كالبحار

أبداً ننجز للضي ... ف قدوراً من نضار

وأمر جواريه بالغناء فيه. وأما أبياتي فإني تممتها قصيدة ومدحته بها وهي مثبته في ديوان شعري. قال: وجلس عضد الدولة وقد تحولت له سنة شمسية من يوم مولده على عادة له في ذلك، وكان عادته أنه إذا علم أنه قد بقي بينه وبين دخول السنة الجديدة ساعة أو أقل أو أكثر، أن يأكل ويتبخر ويخرج في حال التحويل إلى مجلس عظيم قد عبي فيه آلات الذهب والفضة ليس فيه غيرهما، وفيها أنواع الفاكهة والرياحين، ويجلس في دست عظيم القيمة ويجئ المنجم فيقبل الأرض بين يديه ويهنئه بتحويل السنة، وقد حضر المغنون وأخذوا مواضعهم وجلسوا، وحضر الندماء وأخذوا مواقفهم قياماً ولم يكن أحد منهم يجلس بحضرته غيري وغير أبي علي الفسوي، وأبي الحسن الصوفي المنجم، وأما أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف صاحب ديوان الرسائل فإنه كان يجلس ليوقع بين يديه ويستدعي له إذا نشط فيجعل بين يديه أقداحاً ويشرب معه. ومن قبل أن يشرب يوقع بمال الصدقات فيخرج، والغناء يمضي ثم يجئ المهنون من أهل المجلس مثل رؤساء دولته ووجوه الكتاب والعمال وكبار أهل البلد من الأشراف وغيرهم فيدخلون إليه فيهنونه والشعراء فيمدحونه. فلما جلس ذلك اليوم على هذه الصفة قيل له: إن الناس قد اجتمعوا للخدمة وفيهم أبو الحسن بن أم شيبان وقد حضر، فعجب من هذا ثم قال: أبو الحسن رجل فاضل وليس هذا من أيامه وما حضر إلا لفرط موالاته، وأنه ظن أنه يوم لا يشرب فيه لنا، وإن حجبناه غضضنا منه، وإن أوصلناه فلعله لا يحب ذلك لأجل الغناء والنبيذ، ولكن اخرج إليه يا فلان – لبعض من كان قائماً من الندماء – واشرح له صفة المجلس ما قلته من أمره، وأد الرسالة إليه ظاهراً ليسمعها الناس، فإن أحب الدخول فأدخله قبلهم، وإن أراد الانصراف فلينصرف والناس يسمعون وقد علموا منزلته منا. فخرج الحاجب وأبلغ ذلك، فدعا وشكر وآثر الانصراف، فانصرف وهم جلوس يسمعون، ثم قال لحاجب النوبة: اخرج وأدخل الناس، وأبو الفرج محمد بن العباس بن فسانجس وأخوه أبو محمد علي ابن العباس يتقدمون الناس جميعهم لرياستهم القديمة حتى دخلوا وقبلوا الأرض على الرسم في ذلك وأعطوه الدينار والدرهم ووقفوا، وابتدأ الشعراء فكان أول من

ينشده من الشعراء السلامي أبو الحسن محمد بن عبد الله إلا أنه يريد مني أن أنشده في الملإ شيئاً، فإنه كان يأمرني بذلك من الليل فأحضر وأبتدئ فأنشده أو يحضر رجل علوي ينشد شعراً لنفسه فيجعل عقيبي، ثم ينشد السلامي أبو الحسن ثم أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي الشامي من أهل معرة النعمان يعرف بابن جلباب، ثم يتتابع الشعراء.

فلما انصرف الناس وتوسط الشرب جاءه الحاجب فقال: قد حضر أبو بكر بن عبد الرحيم الفسوي، وكان هذا شيخاً قد أقام بالبصرة وشهد عند القاضي بها، وقد وفد إلى باب عضد الدولة قبل ذلك وأقام، وكان خادماً له فيما يخدم فيه التجار يختصه بعض الاختصاص، فأقبل وكان بين يدي الدست التمري الذي يوضع بين يدي في كل يوم، وفيه من الأشربة المحللة ما جرت عادتي بشرب اليسير منه بين يدي عضد الدولة على سبيل المنادمة والمؤانسة والمباسطة، وكان قد وسمني وألزمني ذلك بعد امتناعي منه شهوراً حتى قد ردني وأخافني. فقال لي: يا قاضي، إن هذا الرجل الذي استؤذن له عامي جاهل بالعلم، وإنما استخدمته رعاية لحرمات له علي، ولأنه كان يخدم أمي في البز ويدخل إليها بإذن ركن الدولة لتقاه وأمانته فلا تستتر عنه وهذا قبل أن أولد فلما ولدت كان يحملني على كتفه إلى أن ترجلت، ثم صار يشتري البز ويبيعه علي واستمرت خدمته لحرمته وهو قاطن بالبصرة، ولعله يدخل فيرى ما بين يديك فيظنه خمراً فيرجع إلى البصرة فيخبر قاضيها وشهودها بذلك فيقدح فيك، ومحلة يوجب أن يكشف لك عذرك، ولكن أزح الدست الذي بين يديك حتى يصير بين يدي أبي عبد الله المنجم – وكان أبو عبد الله بن إسحاق بن المنجم يجلس دوني بفسحة في المجلس – فإذا دخل رأى الدست بين يديه دونك فلم يقدر على حكاية يطعن بها عليك. فقبلت الأرض شكراً لهذا التطول في الإنعام، وباعدت الدست إلى أبي عبد الله ثم قال: أدخلوه، وشاهد المجلس وهنأ ودعا وأعطى ديناراً ودرهماً كبيرين فيهما عدة مثاقيل وانصرف.

قال أبو علي: ويقرب من هذا ما عاملني به الوزير أبو محمد المهلبي، وذكر الحكاية التي سبق ذكرها آنفاً مع قاضي القضاة أبي السائب، وحديث تقريبه منه ومسارته إياه في المحفل ليعظم بذلك قدره، وتكبر منزلته في عين قاضي القضاة، أبي السائب، لله در القائل

لولا ملاحظة الكبير صغيره ... ما كان يعرف في الأنام كبير

قال الرئيس أبو الحسن هلال: وفي شهر ربيع الأول سخط عضد الدولة على القاضي أبي المحسن بن علي التنوخي وألزم منزله وصرف عما كان يتقلده، وقسم ذلك على أبي بكر بن أبي موسى، وأبي بكر بن المحاملي، وأبي محمد ابن عقبة، وأبي تمام بن أبي حصين، وأبي بكر بن الأزرق، وأبي محمد بن الجمهري. وكان السبب في ذلك ما حدثني به أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال: حدثني القاضي أبو علي والدي قال: كنت بهمذان مع الملك عضد الدولة فاتفق أن مضيت يوماً إلى أبي بكر بن شاهويه رسول القرامطة والمتوسط بين عضد الدولة وبينهم وكان له صديقاً، ومعي أبو علي الهائم وجلسنا نتحدث، وقعد أبو علي على باب خركاه، كنا فيه وقدم إليه ما يأكله فقال لي: اجعل أيها القاضي في نفسك المقام في هذه الشتوة في هذا البلد. فقلت لم؟ فقال: إن الملك مدبر في القبض على الصاحب أبي القاسم بن عباد وكان قد ورد إلى

حضرته بهمذان، وإذا كان كذلك تشاغل بما يتطاول معه الأيام وانصرف من عنده. فقال أبو علي الهائم: قد سمعت ما كنتما فيه، وهذا أمر ينبغي أن تطويه ولا تخرج به إلى أحد ولا سيما إلى أبي الفضل بن أحمد الشيرازي. فقلت أفعل ونزلت إلى خيمتي وجاءني من كانت له عادة جارية بملازمتي ومواصلتي ومواكلتي ومشاربتي، وفيهم أبو الفضل بن أحمد الشيرازي فقال لي: أيها القاضي، أنت مشغول القلب فما الذي حدث؟ فاسترسلت على أنس كان بيننا وقلت: أما علمت أن الملك مقيم وقد عمل على كذا في أمر الصاحب وهذا دليل على تطاول السنة. فلم يتمالك أن انصرف واستدعى ركابياً من ركاييتي وقال له: أين كنتم اليوم؟ فقال: عند أبي بكر ابن شاهويه. قال: وما صنعتم؟ قال: لا أدري، إلا أن القاضي أطال عنده الجلوس وانصرف إلى خيمته عنه ولم يمض إلى غيره، فكتب إلى عضد الدولة رقعة يقول فيها: كنت عند القاضي أبي علي التنوخي فقال كذا وكذا، وذكر أنه قد عرفه من حيث لا يشك فيه، وعرفت أنه كان عند أبي بكر بن شاهويه وربما كان لهذا الحديث أصل، وإذا شاع الخبر به وأظهر السر فيه فسد ما دبر في معناه. فلم وقف عضد الدولة على الرقعة وجم وجوماً شديداً وقام من بساط كان قد عمل في ذلك اليوم على منابت الزعفران للديلم مغيظاً واستدعاني وقال لي: بلغني أنك قلت كذا وكذا حاكياً عن أبي بكر بن شاهويه، فما الذي جرى بينكما في ذلك؟ قلت: لم أقل من ذلك شيئاً فجمع بيني وبين أبي الفضل ابن أبي أحمد وواقفني وأنكرته وراجعني وكذبته، وأحضر أبو بكر بن شاهويه وسئل عن الحكاية فقال: ما أعرفها ولا جرى بيني وبين القاضي قول في معناها، وثقل على أبي بكر هذه المواقفة وقال: ما نعامل الأضياف بهذه المعاملة.

وسئل أبو علي الهائم عما سمعه فقال: كنت خارج الخركاه وكنت مشغولاً بالأكل وما وقفت على ما كانا فيه، فمد وضرب مائتي مقرعة وأقيم فنفض ثيابه، وخرج أبو عبد الله سعدان وكان لي محباً فقال لي: الملك يقول لك: ألم تكن صغيراً فكبرناك، ومتأخراً فقدمناك، وخاملاً فنبهنا عليك، ومقتراً فأحسنا إليك؟؟ فما بالك جحدت نعمتنا وسعيت في الفساد على دولتنا؟ قلت: أما اصطناع الملك لي فأنا معترف به، وأما الفساد على دولته فما علمت أنني فعلته، ومع ذلك فقد كنت مستوراً فهتكني، ومتصوناً ففضحني، وأدخلني من الشرب والمنادمة بما قدح فيّ؟ فقال أبو عبد الله: هذا قول لا أرى الإجابة له لئلا يتضاعف ما نحن محتاجون إلى الاعتذار والتخلص منه، ولكنني أقول عنك كذا وكذا بجواب لطيف فاعرفه حتى إن سئلت عنه وافقني فيه. وتركني وانصرف، وجلست مكاني طويلاً وعندي أنني مقبوض علي ثم حملت نفسي على أن أقوم وأسبر الأمر وقمت وخرجت من الخيمة فدعا البوابون دابتي على العادة ورجعت إلى خيمتي منكسر النفس منكسف البال، فصار الوقت الذي أدعى فيه للخدمة، فجاءني رسول ابن الحلاج على الرسم وحضرت المجلس، فلم يرفع الملك إلي طرفاً ولا لوى إلي وجهاً، ولم يزل الحال على ذلك خمسة وأربعين يوماً، ثم استدعاني وهو في خركاه وبين يديه أبو القاسم عبد العزيز بن يوسف وعلى رأسه أبو الثناء شكر الخادم فقال: ويلك، اصدقني عما حكاه أبو الفضل بن أحمد فقلت: كذب منه، ولو ذكرت لمولانا ما يقوله لما أقاله العثرة. فقال: أومن حقوق عليكم أن تسيئوا غيبتي وتتشاغلوا بذكري؟ فقلت: أما حقوق

النعمة فظاهرة، وأما حديثك فنحن نتفاوضه دائماً. فالتفت إلى أبي القاسم وقال: اسمع ما يقول. فقال له بالفارسية وعنده أنني لا أعرفها: هؤلاء البغداديون مفتونون ومفسدون ومتسوفون. وقال شكر: الأمر كذلك، إلا أن التسوق على القاضي لا منه.

ثم قال لي عضد الدولة: عرفنا ما قاله أبو الفضل قلت: هو ما لا ينطق لساني به. فقال: هاته، وكان يجب أن تعاد الأحاديث و الأقاويل على وجهها من غير كناية عنها ولا احتشام فيها. فقلت: نعم قال: إنك عند وفاة والدك بشيراز أنفذت من كرمان وأخذت جاريته زرياب، وأن الخادم المخرج في ذاك وافي ليلة الشهر فاجتهد به أن يتركها تلك الليلة لتوفي أيام الحق فلم يفعل ولا رعى للماضي حقاً ولا حرمة. فقال: والله لقد أنكرنا على الخادم إخراجه إياها على هذا الإعجال ولو تركها يوماً وأياماً لجاز، وبعد فهذا ذنب الخادم ولا عمل لنا فيه ولا عيب علينا به، ثم ماذا؟ قلت: وقال: إن مولانا يعشق كنجك المغنية ويتهالك في أمرها وربما نهض إلى الخلاء فاستدعاها إلى هناك وواقعها. فقال: إنا لله لعنكما الله ولا بارك فيكما، ثم ماذا؟ فأوردت عليه أحاديث سمعتها من غير أبي الفضل ونسبتها إليه وقلت: لم أعلم أنني أقوم هذا المقام فأحفظ أقواله، وقد ذكر أيضاً هذا الأستاذ وأومأت إلى أبي القاسم وأبي الريان وجماعة الحواشي فقال ما قال في أبي القاسم؟ قلت قال. إنه ابتاع من ورثة ابن بقية ناحية الزاوية من راذان بأربعة آلاف درهم بعد أن استأذنك استئذاناً سلك فيه سبيل السخرية والمغالطة واستغلها في سنة واحدة نيفاً على ثلاثين ألف درهم وإنه أعطى فلاناً وفلاناً ثمانية آلاف درهم على ظاهر البضاعة والتجارة فأعطاه نيفاً وستين ألف درهم، فمات أبو القاسم عند سماعه ذلك، وأوردت ما أوردته منه مقابلة على ما ذكرني به. قلت: وقال في أبي الريان كذا وكذا لأمور ذكرتها.

وحضرت آخر النهار المجلس في ذلك اليوم على رسمي فعاود التقريب لي والإقبال علي، واتفق أنه سكر في بعض الأيام وولع بكنجك ولعاً قال لي فيه: وهذا من حديث أبي الفضل وأشار إليه، فقلق أبو الفضل وقرب مني وكنت أقعد ويقوم. وقال لي: ما الذي أومأ إلي الملك فيه؟ قلت: لا أدري فسله أنت عنهن ثم رحلنا عائدين إلى بغداد فرآني الملك في الطريق وعلي ثيابه حسنة وتحتي بغلة بمركب وجناغ جواد فقال لي: من أين لك هذه البغلة؟ قلت: حملني عليها الصاحب أبو القاسم بمركبها وجناغها وأعطاني عشرين قطعة ثياباً وسبعة آلاف درهم. فقال: هذا قليل لك منه مع ما تستحقه عليه، فعلمت أنه اتهمني به وبأني خرجت بذلك الحديث إليه وما كنت حدثته به، ووردنا إلى بغداد فحكى لي: أن الطائع لله متجاف عن ابنته المنقولة إليه وأنه لم يقربها إلى تلك الغاية فثقل ذلك عليه وقال لي: تمضي إلى الخليفة وتقول له عن والدة الصبية: إنها مستزيدة لإقبال مولانا عليها وإدنائه إياها، ويعود الأمر إلى ما يستقيم به الحال ويزول معه الانقباض، فقد كنت وسيط هذه المصاهرة فقلت: السمع والطاعة، وعدت إلى داري لألبس ثياب دار الخلافة، فاتفق أن زلقت ووثئت رجلي، فأنفذت إلى الملك أعرفه عذري في تأخري عن أمره فلم يقبله، وأنفذ إلي من يستعلم خبري، فرأى الرسول لي غلماناً روقة وفرشاً جميلاً فعاد إليه وقال له: هو متعالل وليس بعليل، وشاهدته على صورة كذا وكذا والناس يغشونه ويعودونه، فاغتاظ غيظاً مجدداً حرك ما في نفسه مني أولاً، فراسلني

بأن ألزم بيتك ولا تخرج عنه ولا تأذن لأحد في الدخول عليك فيه إلا نفر من أصدقائي استأذنت فيهم فاستثنى بهم، ومضيت الأيام وأنفذ إلى أبو الريان فطالبني بعشرة آلاف درهم وكنت أستسلفتها من إقطاعي فأديتها إليه، واستمر على السخط والصرف عن الأعمال إلى حين وفاة عضد الدولة.

وذكر عرس النعمة بن هلال: حدثني بعض السادة الأصدقاء وأنسيته وأظنه أبا طاهر محمد بن محمد الكرخي قال: كانت بنت عضد الدولة لما زفت إلى الطائع بقيت بحالها لا يقربها خوفاً أن تحمل منه فتستولي الديلم على الخلافة، وكان الطائع يحبها حباً شديداً زائداً موفياً، ويقفل عليها باب حجرتها إذا شرب ويقول للخدم: خذوا المفتاح ولا تعطونيه إذا سكرت ورمت الدخول إليها ولو فعلت مهما فعلت، فأقسم بالله لئن مكنت من ذاك لأقتلن الذي يمكنني منه، فإذا سكر منعه السكر من التماسك، وحمله الحب والهوى على المضي إليها والدخول عليها فيجئ إلى بابها ويأمر بفتحه ويتهدد ويتوعد ولا يقبل منه، ولا يقر له أحد بمعرفة المفتاح أين هو؟ ولا من هو معه إلى أن ينصرف أو ينام، فذاك كان دأبه ودأبها، وتقدم عضد الدولة إلى أبي علي التنوخي في أواخر أيامه بأن يمضي إلى الطائع ويطارحه عن والدة الصبية في المعنى بما يستزيده فيه لها ويبعثه به عليها بأسباب يتوصل إليها وأقول يصفها ويومئ إلى الغرض فيها رتبها عضد الدولة ولقنه إياها وفهمه فقال: السمع والطاعة، ومضى إلى بيته ولن يقدم على الطائع، وخاف عضد الدولة إن خالف ما رسمه له، فأظهر مرضاً وعاده أصدقاؤه منه واعتذر به إلى عضد الدولة، فوقع لعضد الدولة باطن الأمر، وأمر بعض الخدم الخواص بالمضي إلى التنوخي لعيادته وتعرف خبره وأن يخرج من عنده ويركب إلى أن يخرج من الدرب، ثم يعود فيدخل عليه هاجماً، فإن كان على حاله في فراشه لم يتغير له أمر أعطاه مائتي دينار أصحبه إياها لنفسه وأظهر أنه عاد لأجلها لأنه أنسيها معه؟ وإن وجده قاعداً أو قائماً عن الفراش قال له: الملك يقول لك: لا تخرج عن دارك إلينا ولا إلى غيرنا، وانصرف. قال الخادم: فدخلت إليه وهو في فراشه وعليه دثاره وخاطبته عن الملك فشكر وأعاد جواباً ضعيفاً لم أكد أفهمه، وخرجت ثم عدت على ما رسم الملك، فهجمت عليه فوجدته قائماً يمشي حول البستان، فلما رآني اضطرب وتحير فقلت له: الملك يقول لك: لا تبرح دارك لا إلينا ولا إلى غيرنا وخرجت، فبقي على ذلك إلى أن مات عضد الدولة.

محمد بن آدم بن كمال الهروي

أبو المظفر الهروي ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في السياق وقال. مات بغتة سنة أربع عشرة وأربعمائة ودفن بمقبرة الحسين، وقبره ظاهر بقرب قبر أبي العباس السراج ووصفه فقال: الأستاذ الكامل الإمام في الأدب والمعالي، المبرز على إقرانه وعلى من تقدمه من الأئمة باستخراج المعاني وشرح الأبيات، وله أمثال وغرائب التفسير بحيث يضرب به المثل، ومن تأمل فوائده في كتاب شرح الحماسة وكتاب شرح الإصلاح وكتاب شرح أمثال أبي عبيد وكتاب شرح ديوان أبي الطيب وغيرها اعترف له بالفضل والانفراد، وتتلمذ للأستاذ أبي بكر الخوارزمي الطبري، وتفقه على القاضي أبي الهيثم، ثم جدد الفقه على القاضي أبي العلاء صاعد، وكان يقعد للتدريس في النحو وشرح الدواوين والتفسير وغير ذلك، فأما الحديث فما أعلم أنه نقل عنه منه شيء لاشتغاله بما سواه لا لعدم السماع له.

محمد بن أبان بن سيد أبان

اللخمي أبو عبد الله القرطبي، كان عالماً باللغة والعربية حافظاً للأخبار والآثار والأيام والمشاهد والتواريخ، أخذ عن أبي علي البغدادي وعن غيره، ولي أحكام الشرطة وكان مكيناً عند المنتصر، وألف له الكتب وكتب عنه، وتوفي سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

محمد بن إبراهيم بن حبيب بن سمرة

ابن جندب بن هلال بن جريج بن مسرة بن حزن بن عمرو ابن جابر بن ذي الرأسين واسمه خشين بن لاي بن عصيم بن شمخ ابن فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان أبو عبد الله الفزاري. ولسمرة بن جندب صحبه بالنبي صلي الله عليه وسلم وكان عبيد الله بن زياد يستعمله على شرط البصرة إذا قدم الكوفة، وكان الفزاري هذا نحويا ضابطاً جيد الخط، أخذ عن المازني وحكى عنه أنه قال: قرأت كتاب الأمثال للأصمعي على الأصمعي. ومن زعم أنه قرأه عليه غيره فقد كذب.

قال المرزباني: كان محمد بن إبراهيم الفزاري الكوفي عالماً بالنجوم. وهو الذي يقول فيه يحيى بن خالد البرمكي: أربعة لم يدرك مثلهم في فنونهم: الخليل بن أحمد، وابن المقفع، وأبو حنيفة، والفزاري.

وقال جعفر بن يحيى، لم ير أبدع في فنه من الكسائي في النحو، والأصمعي في الشعر، والفزاري في النجوم، وزلزل في ضرب العود. وللفزاري القصيدة التي تقوم مقام زيجات المنجمين وهي مزدوجة طويلة تدخل مع تفسيرها عشرة أجلاد أولها:

الحمد لله العلي الأعظم ... ذي الفضل والمجدالكبير الأكرم

الواحد الفرد الجواد المنعم

الخالق السبع العلي طباقا ... والشمس يجلو ضوءها الإغساقا

والبدر يملأ نوره الآفاقا

وهي هكذا ثلاثة أقفال، ثلاثة أقفال

محمد بن إبراهيم العوامي

قال ابن إسحاق: يعرف بالقاضي وكان صديقي وتوفي بعد الخمسين والثلاثمائة، وله كتاب الإصلاح والإيضاح في النحو.

محمد بن إبراهيم بن عمران

ابن موسى الحوزي الأديب أبو بكر النحوي، من حوز فارس، وكان الأدباء المنقرين علامة في معرفة الأنساب وعلوم القرآن، ونزل نيسابور مدة وكثر الانتفاع به، وسمع حماد بن مدرك وجعفر بن درستويه الفارسيين وأبا بكر محمد ابن دريد وأقرانهم. قال الحاكم: وجاءنا نعمه من فارس سنة أربع وخمسين وثلاثمائة.

محمد بن إبراهيم بن عبد الله أبو سعيد

الأديب الرجل الصالح، درس الأدب على أبي حامد الخارزنجي، وسمع أبا العباس بن يعقوب وأبا بكر القطان وأبا عثمان البصري وخرجت له الفوائد وحدث. ومات يوم الجمعة النصف من جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين وثلاثمائة ذكر ذلك كله الحاكم في كتاب نيسابور.

محمد بن إبراهيم بن الحسين بن دادا

الجرباذقاني أبو جعفر، ذكره أحمد بن صالح بن شافع في تاريخه وقال: مات في حادي عشر ذي الحجة سنة تسع وأربعين وخمسمائة ووصفه فقال: رفيقنا الفقيه المحدث النحوي الأديب اللغوي الفرضي كالكاتب العفيف، ذو الموات والخصائص، ولما مات صلى عليه شيخنا أبو الفضل ابن ناصر ودفن في تربة استجدها أبو النجيب بظاهر التوثة وكنا نسمع معاً، ولم أر له مثلاً زهداً وعلماً ونبلاً، وصل إلى بغداد سنة أربعين وخمسمائة واصطحبنا، وكان متيقظاً زاهداً ورعاً، وصنف كتباً في الفرائض وغيرها، وكان شافعي المذهب، ولو عاش لكان صدر الآفاق، ولقد فت في عضدي فقده، وأثر عندي بعده، فعند الله نحتسب مصيبتنا فيه.

محمد بن إبراهيم بن خلف اللخمي الأديب

أبو عبد الله يعرف بابن زروقه، قال ابن بشكوال: كان من أهل الأدب معتنياً بطلبه قديماً مشهوراً فيه، وممن يقول الشعر الحسن، له تأليفان في الأدب والأخبار. قال ابن خزرج: قرأتهما عليه، ومن شيوخه أبو نصر النحوي وابن أبي الحباب وغيرهما، وتوفي في حدود سنة خمس وثلاثين وأربعمائة، وهو ابن سبع وستين سنة.

محمد بن إبراهيم لبيهقي

بن أحمد البيهقي أبو سعيد قال عبد الغافر: هو رجل فاضل متدين حسن العقيدة، صنف في اللغة كتباً منها: كتاب الهداية، كتاب الغيبة، وكان ماهراً في ذلك النوع، سمع الحديث من مشايخ نيسابور كالإمام شيخ الإسلام الصابوني والإمام ناصر المروزي.

محمد بن إبراهيم بن داود

بن سليمان أبو جعفر الأردستاني – وأردستان من نواحي أصبهان بليدة – أديب فاضل، حدث عن أحمد بن عبد الله النهرديري وأحمد ابن محمد بن العباس الأسفاطي البصري، وكتب عنه أحمد ابن محمد الحداد وغيره بأصفهان، ذكره يحيى بن مندة وقال: مات في ذي القعدة سنة خمس عشرة وأربعمائة.

محمد بن أحمد بن عبد الله

بن عبد الصمد ابن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، وقال المرزباني: هو أحمد بن محمد، قتل في سنة خمسين ومائتين في خلافة المستعين بالله، وكنيته أبو العباس ويلقب بأبي العبر.
قال جحظة: لم أر قط احفظ منه لكل عين ولا أجود شعراً، ولم يكن في الدنيا صناعة إلا وهو يعلمها بيده حتى لقد رأيته يعجن ويخبز، وكان أبوه أحمد يلقب بالحامض، وكان حافظاً أديباً في نهاية التسنن، قتل بقصر ابن هبيرة وقد خرج لأخذ أرزاقه من هناك، سمعه قوم من الشيعة ينتقص علياً عليه السلام فرموا به من فوق سطح كان بائتاً عليه فمات في السنة المقدم ذكرها.
وذكره أبو الفرج الأصبهاني في كتاب الأغاني فقال: كان أبوه أحمد يلقب حمدون الحامض، ولد لمضي خمس سنين من خلافة الرشيد والرشيد بويع في سنة سبعين ومائة وعاش إلى أيام المستعين بالله، وكان في أول أمره يسلك في شعره الجد ثم عدل إلى الهزل والحماقة فنفق نفاقاً كثيراً، وجمع به ما لم يجمع أحد من شعراء عصره المجيدين.
ومن سائر شعره قوله:
بأبي من زارني مكتتباً ... خائفاً من كل حس جزعا
رصد الخلوة حتى أمكنت ... ورعى السامر حتى هجعا
قمر نم عليه حسنه ... كيف يخفي الليل بدراً طلعا؟
ركب الأهوال في زورته ... ثم ما سلم حتى ودعا
قال محمد بن إسحاق: وله من الكتب: كتاب جامع الحماقات وحاوي الرقاعات، كتاب المنادمة وأخلاق الرؤساء. حدث أبو علي الحسين بن أحمد البيهقي السلامي حدثني أبو أحمد الهذلي قال: حدثنا أبو عبد الله الشعيري وكان شاعراً من أهل بغداد قال: اجتمعت مع جماعة من الشعراء في مجلس نتناظر ونتناشد ونتساءل ونعد شعراء زماننا، فمر بنا أبو العبر فقلنا: هذا أيضاً يعد نفسه في الشعراء فمال إلينا وقال: والله أشعر منكم وأعلم. فقلنا: قد اختلفنا في بيت فاشتبه علينا فهل نسألك عنه؟ فقال نعم، فسألناه عن معنى هذا البيت:
عافت الماء في الشتاء فقلنا ... برديه تصادفيه سخينا

كيف تصادفه سخياً إذا بردته؟. فقال: أخفي عليكم؟ قلنا نعم. فقال هو ليس من التبريد وإنما هو صرف مدغم، ومعناه بل رديه من الورود، فأدغموا اللام في الراء كما قال الله تعالى: (كلا بل ران على قلوبهم)، وقوله: (وقيل من راق). قال: فاستحسنا ما فسره وأقررنا له بالفضل. فقال: إني أسألكم بيتاً كما سألتموني،

أما ترون إلى قول دغفل:

إن على سائلنا أن نسأله ... والعبء لا تعرفه أو تحمله

فقلنا: سل: فقال: ما معنى قول القائل؟:

يا من رأى رحلاً واقفاً ... أحرقه الحر من البرد

كيف يحرقه الحر من البرد؟ قال: فاضطربنا في معناه، فلم نخرجه فسألناه عنه فقال: هذا قولي: وذلك أنني مررت بحداد يبرد حديداً فمسست تلك البرادة فأحرقت يدي، وإنما البرد مصدر برد الحديد برداً، وليس هو من الشيء البارد. قال: فأقررنا بفضل معرفته فأنشأ يقول:

أقر الشعراء أني ... ومرواً في الحرمرم

إنهم عندي جميعاً ... . العنمنم

فقطعت الرأس منهم ... ثم جلد القد دمدم

فعلمنا منه طبلاً ... من طبول الخد دمدم

فضربنا به دمدم ... ثم دمدم ثم دمدم

عجبنا يا قوم مني ... كنت معكم كالمملم

وقال المرزباني: أبو العبر أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد لصمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب.

وقال محمد بن داود: اسمه محمد بن أحمد، وهو حمدون ابن عبد الله بن عبد الصمد يكنى أبا العباس، صاحب الشعر الأحمق والكلام المختلق، وهو أبرد الناس غير مدافع وربما قال شعراً صالحاً، وهو القائل وأنشدناه الأخفش:

لو يكون الهوى بجسم من الصخ ... رعلى أن فيه قلب حديد

فعل الحب فيهما مثل ما يف ... عل شعر اللحى بورد الخدود

وله ورواه أبو الحسن علي بن العباس الرومي:

لو كنت من شيء خلافك لم تكن ... لتكون إلا مشجباً في مشجب

لو أن لي من جلد وجهك رقعة ... لجعلت منها حافراً للأشهب

قال: وكان يظهر الميل على العلويين والهجاء لهم، وجرت منيته على يد رجل من أهل الكوفة من رماة الجلاهق، وخرج معه من بغداد إلى آجام الكوفة للرمي فسمع الرامي منه كلاماً استحل به دمه فقتله وهو القائل لموسى بن عبد الملك وكان دفع إليه توقيعاً بصلة من المتوكل فدافعه موسى وماطله مدة فوقف له يوماً فلما ركب أنشده:

حتى متى نتبرد ... وكم وكم أتردد؟

موسى أدر لي كتابي بحق ربك الأسود

يعني محمد بن علي بن موسى بن جعفر الصادق، وكان محمد من أمة سوداء فنحلته سوادها، فجزع موسى بن عبد الملك من قوله، وسأله كتم الحال وقضي شغله.

وقال جحظة: اجتمعت أنا وجماعة من إخواننا مع أبي العبر في براح أراد أن يبنيه داراً فأقبلنا نقدر البيوت وأين مواقعها؟ فبينا نحن كذلك إذ ضرط بعض من كان معنا فقال أبو العبر: مهما شككنا فيه فما نشك أن هذا الموضع الكنيف.

محمد بن أحمد بن محمد المغربي

أبو الحسن راوية المتنبي، أحد الأئمة الأدباء والأعيان الشعراء، خدم سيف الدولة ولقي المتنبي وصنف تصانيف حسنة وله ذكر في مصر والعراق والجبل وما وراء النهر والشاش، وجالس الصاحب ابن عباد، ولقي أبا الفرج الأصبهاني وروي عنه، وله معه أخبار. ومن تصانيفه التي شاهدتها: كتاب الانتصار المنبئ عن فضائل المتنبئ، كتاب النبيه المنبئ عن رذائل المتنبئ، كتاب تحفة الكتاب في الرسائل – مبوب – ، كتاب تذكرة النديم – مجموع حسن جيد ممتع – ، كتاب الرسالة الممتعة كتاب بقية الانتصار المكثر للاختصار. وغير ذلك من الرسائل والكتب. قال: وأخذت قول المتنبئ:

كفى بجسمي نحولاً أنني رجل ... لولا مخاطبتي إياك لم ترني

فزدت عليه فلم أدع لغيري فيه زيادة وقلت من قصيدة:

عدمت من النحول فلا بلمس ... يكفيني الوجود ولا عيان

ولولا أنني أذكى البرايا ... لكنت خفيت عني لا أراني

قال: واختفائي عني أبدع من اختفائي من غيري وأبلغ في المعنى. وله إلى بعض جلة الكتاب يستهدنه عمامة:

أريد عمامة حسناء عنها ... أعممك الجميل من الثناء

فوجهها وقد نبلت ... بلبسك في صباح أم مساء

معافى نشرها من كل عاب ... يولد لونه أيدي العناء

أدق من الذكاء إذا اجتلتها ... على مهل لواحظ ذي ذكاء

وأضوى لحمة وسدى ولوناً ... من الشمس النيرة في ضحاء

لو الغرقى قاربها لأربت ... عليه في الصفاقة والصفاء

لبم أو لنيسابور تعزى ... فصلح للمصيف وللشتاء

كعرضك إنه عرض نقي ... عن الأدناس جمعاً في عطاء

تتوجني بهاء منه أكسى ... مدى لبسي لها حلل البهاء

إذا ما مست فيها معجباً لا ... أفكر من أمامي أو ورائي

يقول المبصروها أي تاج ... به أصبحت فينا ذا رواء

وتعلم أن قول العرب حق ... بلا كذب يدوم ولا افتراء

عمائمنا لنا تيجان فخر ... سناها قد أضيف إلى سناء

قرأت في كتاب مذاكرة النديم من تصنيف محمد بن أحمد المغربي هذا: قلت أصف رغيفاً أمرني بوصفه

الصاحب الجليل أبو القاسم إسماعيل بن عباد وأنا معه على مائدته، واقترح أن يكون وصفي له ارتجالاً فقلت:

ورغيف كأنه الترس يحكى ... حمرة الشمس بالغدو احمراره
خفت أن يكتسي نهار مآقي ... ى به الليل مذ تبدى نهاره
جمعته أناملي ثم خلت ... ه فسيان طيه وانتشاره
لم تقع منه قطعة لا ولا با ... ن للحظ شقيقه وانكساره
ناعم لين كمبسم من قا ... م بعذري عند البرايا عذارة
لست أنسى به تنعم ضرسي ... إذ لجزعي وهج توقد ناره
كان أحظى إذ ذاك عندي من الوف ... ر إذا قر في محلى قراره
يعلم الله أني لست أنسا ... ه وإن شط عن مزاري مزاره

فاستحسن الأبيات وتعجب من سرعة خاطري بها ثم قال لي مداعباً نفاسة أخلاق فيه: خذه صلة لك، فأخذته وتركته على رأسي إلى أن قمنا عن المائدة، ثم خرجت ماراً إلى منزلي وكنت أنزل بعيداً من منزله، فعرف خروجي على تلك الحال فقال: ردوه، فرجعت فقال لي: عزمت أن تشق الأسواق والشوارع وهذا على رأسك؟ فقلت: نعم لأسأل فأقول: هذا صلة مولانا وأذكر الأبيات، فضحك ثم قال: بعناه. فقلت: قد بعته من مولانا بخمسمائة دينار فقال: أنقضنا واجعلها دراهم، فقلت: قد فعلت، فأمري لي بخمسمائة درهم وخلعة من ثياب جسده. وقال في هذا الكتاب: ولي في وصف مضيرة وصفتها وأنا على مائدة أبي عبد الله بن جيهان وزير صاحب خراسان:

نعم الغذاء إذا ما أينع العشب ... وراقت العين أبراد له قشب
مضيرة كاللجين، السبك يحكمها ... معقودة مصطفى للطبخ منتخت
تخالها أرض بلور وما حملت ... من اللسومة نقشاً حشوة ذهب
أبرنجها أكر سود ملبسة ... قباطياً عن قريب سوف تستكب؟
ولحمها حلل للزهر قد جعلت ... من أبيض الثلج فيما بينها حجب
توافق الشيخ والكهل اللذين هما ... من الرطوبة في حال هي العطب
وللأبازير نفح من دواخلها كالمسك ... لا بل إليها المسك ينتسب
يا حسنها وهي بالأيدي تغار بلا ... جرم أتته وبالألحاظ تنتهب
من حالفته فقد جلت مواهبه ... ونال من دهره أضعاف ما يجب

محمد بن أحمد الوشاء

ن إسحاق بن يحيى الوشاء أبو الطيب النحوي من أهل الأدب حسن التصنيف مليح التأليف أخباري. قال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي في تاريخه: مات أبو الطيب الوشاء سنة خمس وعشرين وثلاثمائة،

وله ابن يعرف بابن الوشاء. حدث الوشاء عن أحمد بن عبيد بن ناصح والحارث بن أسامة وثعلب والمبرد قال الخطيب: روت عنه منية جارية خلافة أم ولد المعتمد.

قال ابن النديم: وكان نحوياً معلماً لمكتب العامة وكان يعرف بالأعرابي، وله من الكتب: كتاب مختصر في النحو، كتاب الجامع في النحو، كتاب في المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الفرق، كتاب خلق الإنسان، كتاب خلق الفرس، كتاب المثلث، كتاب أخبار صاحب الزنج، كتاب الزاهر في الأنوار والزهر، كتاب السلوان، كتاب المذهب، كتاب الموشح، كتاب سلسلة الذهب، كتاب أخبار المتظرفات، كتاب الحنين إلى الأوطان، كتاب حدود الطرف الكبير، كتاب الموشى. نقلت من خط أبي عمرو محمد بن أحمد النوقاتي أنشدني الشافعي أحمد بن محمد، أنشدني بن محمد بن حفص، أنشدني أبو الطيب الوشاء لنفسه:

لا صبر لي عنك سوى أنني ... أرضى من الدهر بما يقدر
من كان ذا صبر فلا صبر لي ... مثلي عن مثلك لا يصبر

ومن خطه وإسناده للوشاء:

يا من يقوم مقام الروح في الجسد ... لا تحسبني خلي البال من سهد
حاشاك من أرقى حاشاك من قلقي ... حاشاك من طول ما ألقى من الكمد
حزني عليك جديد لا نفاد له ... أوهى فؤادي وأوهى عقدة الجلد
والصبر عنك قليل مضرم قلقاً ... بين الضلوع كصبر الأم عن ولد

محمد بن أحمدلأصبغ

بن الحسين بن الأصبغ بن الحرون ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو عالم فاضل حسن التصنيف مليح التأليف كثير الأدب واسع الرواية من أهل بغداد ومن أولاد الكتاب، وله من الكتب: كتاب المطابق والمجانس، كتاب الحقائق كبير، كتاب الشعر والشعراء، كتاب الآداب، كتاب الرياض، كتاب الكتاب، كتاب المحاسن، كتاب مجالسة الرؤساء.

محمد بن أحمد بن مروان بن سبره

أبو مسهر النحوي، ذكره محمد بن إسحاق النديم ثم قال: وله من الكتب: كتاب الجامع في النحو، كتاب المختصر، كتاب أخبار أبي عيينة محمد بن أبي عيينة.

محمد بن أحمد المزني أبو الحسن

وزير نوح بن منصور الساماني، أحد أصحاب البلاغة والرسائل، شاع ذكرها في الآفاق، وتناجت بحسنها الرفاق.

محمد بن أحمد بن عبد الحميد الكاتب

ذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: هو من أهل السير، وله من الكتب: كتاب أخبار خلفاء بني العباس كبير

محمد بن أحمد الحكيمي

بن إبراهيم بن قريش الحكيمي أبو عبد الله، روي عن يموت بن المزرع، ومحمد بن إسحاق الصاغاني، وأحمد بن عبيد بن ناصح، والحارث بن أبي أسامة، روي عن أبو عبد الله المرزباني وغيره، ذكره محمد بن إسحاق النديم وقال: له من الكتب: كتاب خلية الأدباء تشتمل على أخيار ومحاسن وأشعار، كتاب سفط الجوهر، كتاب الشباب، كتاب الفكاهة والدعابة. حدث أبو علي قال: حدثني ابن أبي قيراط قال: أقر أني أبو عبد الله محمد بن أحمد الحكيمي كتاباً بخط علي بن عيسى الوزير وأخبرني أنه كتبه إليه في وزارته الأخيرة وهو يتقلد له طساسيج طريق خراسان يحثه فيه على حمل المال وضمنه: قد كنت – أكرمك الله – بعيداً من التقصير، غنياً عن التنبيه والتبصير، راغباً فيما خصك بالجمال، وقلمك على نظرائك من العمال، واتصلت بك ثقتي، وانصرفت إليك عنايتي، ورددت الجميل من العمل إليك، واعتمدت في المهم عليك، ثم وضح لي من أثرك، وصح عندي من خبرك، ما اقتضى استزادتك، وردفه ما استدعى استبطائك ولأئمتك، وأنت تعرف صورة الحال، وتطلعي مع شدة الضرورة إلى ورود المال، وكان يجب أن تبعثك العناية، على الجد في الجباية، حتى تدر حمولك وتتوفر ويتصل ما يتوقع وروده من جهتك ولا تتأخر، فنشدتك لما تجنبت مذاهب الإغفال والإهمال، وقرنت الجواب عن كتابي هذا بمال، تثيره من سائر جهاته وتحصله، وتبادر به وتحمله، فإن العين إليه ممدودة، والساعات لوروده معدودة، والعذر في تأخيره ضيق، وأنا عليك من سوء العاقبة مشفق، والسلام.

محمد بن أحمد بن إبراهيم

بن كيسان أبو الحسن النحوي، وكيسان لقب واسمه إبراهيم، مات فيما ذكره الخطيب لثمان خلون من ذي القعدة سنة تسع وتسعين ومائتين في خلافة المقتدر. قال أبو بكر الزبيدي: وليس هذا بالقديم الذي له في العروض والمعمى كتاب. وقال الخطيب بن برهان: كيسان – ليس باسم جده إنما هو لقب أبيه – . وكان يحفظ المذهبين الكوفي والبصري في النحو لأنه أخذ عن المبرد وثعلب، وكان أبو بكر بن مجاهد يقول: أبو الحسن ابن كيسان أنحى من الشيخين يعني المبرد وثعلباً. قال المؤلف: وكان كما قال: يعرف المذهبين إلا أنه كان إلى البصريين أميل.

وحدث أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين قال: كان ابن كيسان يسأل المبرد عن مسائل فيجيبه فيعارضها بقول الكوفيين فيقول في هذا: على من يقوله كذا ويلزمه كذا، فإذا رضي قال له: قد بقي عليك شيء لم لا تقول كذا؟ فقال له يوماً وقد لزم قولاً للكوفيين ولج فيه: أنت كما قال جرير:

أسليك عن زيد لتسلى وقد أرى ... بعينيك من زيد قذى غير بارح
إذا ذكرت زيداً ترقرق دمعها ... بمذروفة العينين شوساء طامح
تبكي على زيد ولم تر مثله ... براء من الحمى صحيح الجوانح
فإن تقصدي فالقصد منك سجية ... وإن تجمحي تلقي لجام الجوامح

وحدث أبو بكر محمد بن مبرمان قال: قصدت بن كيسان لأقرأ عليه كتاب سيبويه فامتنع وقال: أذهب به إلى أهله يعني الزجاج وابن السراج، وكان أبو بكر بن الأنباري يتعصب عليه ويقول: خلط المذهبين فلم يضبط منهما شيئاً، وكان يفضل الزجاج عليه جداً. وله من الكتب: كتاب المهذب في النحو، كتاب غلط أدب الكاتب، كتاب اللامات، كتاب الحقائق، كتاب البرهان، كتاب مصابيح الكتاب، كتاب الهجاء والخط، كتاب غريب الحديث نحو أربعمائة ورقة، كتاب الوقف والابتداء، كتاب القراءات، كتاب التصاريف، كتاب الشاذاني في النحو، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب المقصور والممدود، كتاب معاني القرآن، كتاب مختصر في النحو، كتاب المسائل على مذهب النحويين ما اختلف فيه الكوفيين والبصريون، كتاب الفاعل والمفعول به كتاب المختار في علل النحو ثلاث مجلدات أو أكثر قرأت بخط إبراهيم بن محمد بن بندار، قرأت بخط أبي جعفر السعال في آخر العروض: – إلى ههنا أملي على بن كيسان وأنا كنت أستمليه، وفرغنا من العروض لخمس بقين من شوال سنة ثمان وتسعين ومائتين – .

وقال أبو حيان التوحيدي: وما رأيت مجلساً أكثر فائدة وأجمع لأصناف العلوم وخاصة ما يتعلق بالتحف والطرف والنتف من مجلس ابن كيسان، فإنه كان يبدأ بأخذ القرآن والقراءات، ثم بأحاديث رسول الله صلى الله عله وسلم، فإذا قرئ خبر غريب أو لفظة شاذة أبان عنها وتكلم عليها وسأل أصحابه عن معناها، وكان يقرأ عليه مجالسات ثعلب في طرفي النهار، وقد اجتمع على باب مسجده نحو مائة رأس من الدواب للرؤساء والكتاب والأشراف والأعيان الذين قصدوه، وكان مع ذلك إقباله على صاحب المرقعة الممزقة والعباء الخلق والطمر البالي كإقباله على صاحب القصب والوشي والديباج والدابة والمركب والحاشية والغاشية. ويوماً من الأيام جرى في مجلسه ما امتعض منه وأنكره وقضى منه عجباً، وأنشد في تلك الحالة من غرر الشعر والمقطعات الحسنة وغيرها ما ملاء السمع وحير الألباب حتى قال الصابئ: هذا الرجل من الجن إلا أنه في شكل إنسان. ومن جملة ما أنشد في تلك الحال:

مالي أرى الدهر لا تفني عجائبه؟ ... أبقى لنا ذنباً واستؤصل الراس
إن الجديدين في طول اختلافهما ... لا ينقصان ولكن ينقص الناس
أبقى كل محمول وفجعنا ... بالحاملين فهم أثواء أرماس
يرون أن كرام الناس إن بذلوا ... حمقى وأن لئام الناس أكياس

وتمثل أيضا ببيتي أبي تمام:

قوم إذا خافوا عداوة حاسد ... سفكوا الدما بأسنة الأقلام
ولضربة من كاتب بمداده ... أمضى وأنفذ من رقيق حسام

قال المؤلف: هكذا حكى أبو حيان، ولا أرى أبا حيان أدرك ابن كيسان، هذا إن صحت وفاته التي ذكرها الخطيب، ولا يكون الصابئ أيضاً أدركه، لأن مولد الصابئ في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، والذي ذكره الخطيب لاشك سهو، فإني وجدت في تاريخ أبي غالب همام ابن الفضل بن المهذب المغربي أن كيسان مات في سنة عشرين وثلاثمائة.

محمد بن أحمد بن منصور

أبو بكر بن الخياط النحوي، أصله من سمرقند وقدم بغداد، ومات فيما ذكره أبو عبد الله محمد بن عمران المرزباني في سنة عشرين وثلاثمائة قال: وكان قد انحدر مع البريد لما غلبوا على البصرة وبها مات، وجرت بينه وبين الزجاج ببغداد مناظرة وكان يخلط المذهبين، وقد قرأ عليه أبو علي الفارسي وكتب عنه شيئاً من علم العربية، رأيت ذلك بخط أبي علي. وله مع أصحاب الخياط قصة قد ذكرت في أخبار أبي علي، وأخذ عنه أبو القاسم الزجاجي أيضاً، وكان ابن الخياط جميل الأخلاق طيب العشرة محبوب الخلقة. وله من الكتب: كتاب معاني القرآن، كتاب النحو الكبير، كتاب الموجز في النحو، كتاب المقنع في النحو.
وقال أبو علي الفارسي في ضمن رقعة كتبها إلى سيف الدولة جواباً عن رقعة وردت منه ذكرتها في أخبار أبي علي: وأما قوله: إني قلت إن ابن الخياط كان لا يعرف شيئاً فغلط في الحكاية كيف أستجيز ذلك؟ وقد كلمت ابن الخياط في مجالس كثيرة، ولكني قلت: إنه لا لقاء له لأنه دخل إلى بغداد بعد موت محمود بن يزيد وصادف أحمد ابن يحيى وقد صم صمماً شديداً لا يخرق الكلام سمعه فلم يمكن تعلم النحو منه، وإنما كان يقوله فيما كان يؤخذ عنه ما يمليه دون ما كان يقرأ عليه، وهذا أمر لا ينكره أهل هذا الشأن ومن يعرفهم.

محمد بن أحمد بن علي

بن إبراهيم بن زيد ابن حاتم بن المهلب بن أبي صفرة، المهلبي النحوي أبو يعقوب، مات بمصر سنة تسع وأربعين وثلاثمائة في خلافة المطيع، وكان عالماً نحوياً لغوياً، ذكره الزبيدي. قال المؤلف: وعساه أن يكون أخا أبي الحسين علي بن أحمد المهلبي والله أعلم.

محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد

ابن إبراهيم طباطبا بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عبد المطلب بن هاشم، شاعر مفلق، وعالم محقق، شائع الشعر نبيه الذكر. مولده بأصبهان، وبها مات في سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، وله عقب كثير بأصبهان، فيهم علماء وأدباء ونقباء ومشاهير، وكان مذكوراً بالذكاء والفطنة وصفاء القريحة وصحة الذهن وجودة المقاصد، معروف بذلك مشهور به. وهو مصنف كتاب عيار الشعر، كتاب تهذيب الطبع، كتاب العروض لم يسبق إلى مثله، كتاب في المدخل في معرفة المعمى من الشعر، كتاب

في تقريظ الدفاتر.

ذكر أبو عبد الله حمزة بن الحسن الأصبهاني قال: سمعت جماعة من رواة الأشعار ببغداد يتحدثون عن عبد الله بن المعتز أنه كان لهجاً بذكر أبي الحسن مقدماً له على سائر أهله ويقول: ما أشبهه في أوصافه إلا محمد بن يزيد مسلمة بن عبد الملك، إلا أن أبا الحسن أكثر شعراً من المسلمي وليس في ولد الحسن من يشبهه، بل يقاربه علي بن محمد الأفواه.

قال: وحدثني أبو عبد الله بن أبي عامر قال: كان أبو الحسن طوال أيامه مشتاقاً إلى عبد الله بن المعتز متمنياً أن يلقاه أو يرى شعره، فأما لقاؤه فلم ينفق له لأنه لم يفارق أصبهان قط، وأما ظفره بشعره فإنه اتفق له في آخر أيامه. وله في ذلك قصة عجيبة: وذلك أنه دخل إلى دار معمر وقد حملت إليه من بغداد نسخة من شعر عبد الله بن المعتز، فاستعارها فسوف بها فتمكن عندهم من النظر فيها، وخرج عدل إلى كالا معيياً كأنه ناهض بجمل ثقيل، فطلب محبرة وكاغداً وأخذ يكتب عن ظهر قلبه مقطعات من الشعر فسألته لمن هي؟ فلم يجبني حتى فرغ من نسخها وملأ منها خمس ورقات من نصف المأموني، وأحصيت الأبيات

فبلغ عددها مائة وسبعة وثمانين بيتاً تحفظها من شعر ابن المعتز في ذلك المجلس واختارها من بين سائرها.

وذكر عنه حكايات، منها ما حدثني به أبو عبد الله بن أبي عامر قال: من توسع أبي الحسن في أتي القول وقهره لأبيه، أن عبد الله فتى أبي الحسين بن أحمد بن يحيى بن أبي البغل كانت به لكنه شديدة حتى كان لا يجري على لسانه حرفان من حروف المعجم، الراء والكاف، يكون مكان الراء غيناً ومكان الكاف همزة، فكان إذا أراد أن يقول كركي يقول: أغ إي، وإذا أراد أن يقول كركرة يقول: أغ أغة، وينشد للأعشى: قالت إغى غجلاً في أفه أتف. يريد: قالت أرى رجلاً في كفه كتف. فعمل أبو الحسن قصيدة في مدح الحسين حذف منها حرفي لكنة الحسين ولقنه حتى رواها لأبيه أبي الحسين فجن عليها. وقال أبو الحسن: والله أنا أقدر على أبي الكلام من واصل بن عطاء، والقصيدة:

يا سيداً دانت له السادات ... وتتابعت في فعله الحسنات
وتواصلت نعماؤه عندي فلي ... منه هبات خلفهن هبات
نعم ثنت عني الزمان وخطبه ... من بعد ما هييت له غدوات
فأدلت من زمن منيت بغشمه ... أيام للأيام بي سطوات
فلميت آمالي لديه حياته ... ولحاسدي نعمى يديه ممات
أوليتني مننا تجلى وتعتلي ... عن أن يحيط بوصفهن صفات
فإذا نثنن بمنطق من مادح ... فالمدح مني والثناء صمات
عجنا عن المدح التي استحققتها ... والله يعلم ما تعي النيات
يا ماجداً فعل المحامد دينه ... وسماحه صوم له وصلاة
فيبيت يشفع راجياً بتطوع ... منه وقد غشى العيون سبات
فالجود مثل قيامة وسجوده ... إن قيس والتسبيح منه عدات

مازال يلفي جائداً أو واعداً ... وعدا تضايق دونه الأوقات
ليمينه بالنجح عند عفاته ... في ليل ظنهم البهيم ثبات
ذو همة علوية توفي على ال ... جوزاء تسقط دونها الهمات
تنأى عن الأوهام إلا أنها ... تدنو إذا نيطت بها الحاجات
وعزيمة مثل الحسام مصونة ... عن أن يفل به الزمان شباة
فإذا دهى خطب مهم أيد ... خلي العداة وجمعهم أشتات
لأبي الحسين سماحة لو أنها ... للغيث لم تجدب عليه فلاة
وله مساع في العلا عدد الحصى ... في طيئ منن جلها مسعاة
كحيا السحاب على البقاع سماته ... وله على عافي نداه سمات
يحيى بنائله نفوساً مثل ما ... يحيا بجود الهاطلات نبات
شاد العلاء أبو الحسين وحازه ... عن سادة هم شائدون بناة
سباق غايات تقطع دونها ... سباقها إن مدت الحلبات
فإذا سعوا نحو العلا وسعى لها ... متمهلاً حيزت له القصبات
مستوفز عند السماح وإن تقس ... أحداً به في الحلم قلت حصاة
طود يلوذ به الزمان وعنده ... لجميع أحداث الزمان أداة
بيمينه قلم إذا ماهزه ... في أوجه الأيام قلت قناة
في سنة باس السنان وهيبة الس ... يف الحسام وقد حوته دواة
سحبان عيا وهو عيا باقل ... عجل إلى النجوى وفيه أناة
وسنان إلا أنه متنبه ... يقظان منه الزهو والإخبات
لم يخط في ظلمات ليل مداده ... إلا انجلت عنا به الظلمات
وأبو علي أحمد بن محمد ... قد نمقت عني لديه هنات
فتقاعست دوني عوائد فضله ... وسعت سعاة بيننا وعداة
فافضله عن طول العقوق وهزه ... فله لدي فعل العلا هزات
والله ما شأني المديح وبذله ... لمؤمل ليمينه نفحات
إلا مجازاة لمن أضحت له ... عندي يد أغذي بها وأقات

والمسمعي له لدي صنائع ... أيامهن لطيها ساعات
فإخالها عهد الشباب وحسنه ... إذ طار لي في ظله اللذات
خذها الغداة أبا الحسين قصيدة ... ضيمت بها الراءات والكافات
غيبن عنها خيلة أخواتها ... عند النشيد فما لها أخوات
ولو أنهن شهدن لازدوجت ... لها الغينات والألفات

فاسعد أبا عبد الإله بما إذا ... شقيت بلثغة منشد أبيات
نقصت فتمت في السماع وألغيت ... منها التي هي بينها آفات
صفيتها مثل المدام له فما ... فيها لدي حسن السماع قذاة
معشوقة تسبي العقول بحسنها ... ياقوتة في اللين وهي صفاة
علوية حسنية مزهوة ... تزهى بحسن نشيدها اللهوات
ميزانها عند الخليل معدل ... متفاعلن متفاعلن فعلات
لو واصل بن عطاء الباني لها ... تليت توهم أنها آيات
لولا اجتنابي أن يمل سماعها ... لأطلتها ما خطت التاءات

وقال أيضاً في الفخر:

حسود مريض القلب يخفي أنينه ... ويضحي كئيب البال عندي حزينه
يلوم على أن رحت في العلم راغباً ... أجمع من عند الرواة فنونه
وأملك أبكار الكلام وعونه ... وأحفظ مما أستفيد عيونه
ويزعم أن العلم لا يجلب الغنى ... ويحسن الجهل الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمة كل الناس ما يحسنونه
إذا عد أغني الناس لم أك دونه ... وكنت أرى الفجر المسود دونه
إذا ما رأى الراؤون نطقي وعيه ... رأوا حركاتي قد هتكن سكونه
وما ثم ريب في حياتي وموته ... فأعجب بميت كيف لا يدفنونه؟
أبي الله لي من صنعه أن يكونني ... إذا ما ذكرنا فخرنا وأكونه

وجدت في كتاب شعراء أصبهان لحمزة الأصبهاني قال: وجدت بخط أبي الحسن – رحمه الله – يعني ابن طباطبا، أن أبا علي يحيى بن علي بن المهلب وصف له دعوة لأبي الحسن أحمد بن محمد بن إبراهيم الكراريسي، ذكر أنهم قربوا فيها مائدة عليها خيار وفي وسطها جامات عليا – فطر نخشب – فسميتها مسيحية لأنها أدم النصارى، وأنهم قربوا بعد ذلك سكباجة بعظام عارية فسميتها شطرنجية، وأنهم قربوا بعدها مضيرة في غضائر بيض فسميتها معتدة وكانت بلا دسم، والمعتدة لا تمس الدهن والطيب، وأنهم قدموا بعدها زيرباجة قليلة الزعفران فسميتها عابدة تشبيهاً بلون العباد في الصفرة، وأنهم قربوا بعدها لونا فسميتها قنبية وأنهم قربوا بعدها زبيبية سوداء فسميتها موكبية، وأنهم قربوا بعدها قلية بعظام الأضلاع فسميتها حسكية، ثم قربوا بعدها فالوذجة بيضاء فسميتها صابونية، وأنه اعتل على الجماعة بأنه عليل فحولهم من منزله إلى باغ قد طبق بالكراث فهيأ المجلس هناك، وأحضرهم جرة منثلمة وكانوا يمزجون شرابهم منها، فإذا أرادوا الغائط نقلوها معهم، فكانت مرة في المجلس ومرة في المخرج وأن الباغبان ربط بحذائهم عجله كانت تخور عليهم خواراً مناسباً لقول القائل يا فاطمة، فقلت في ذلك:

يا دعوة مغبرة قاتمة ... كأنها من سفر قادمه
قد قدموا فيها مسيحية ... أضحت على أسلافها نادمه

نعم وشطرنجية لم تزل ... أيد وأيد حولها حائمه
فلم نزل في لعبها ساعة ... ثم نفضناها على قائمه
وبعدها معتدة أختها ... عابدة قائمة صائمه
في حجرها أطراف مؤودة ... قد قتلتها أمها ظالمه
والقنبيات فلا تنسها ... فحيرتي في وصفها دائمه
أقنب ما امتد في إصبعي ... أم حية في وسطها نائمه
والموكبيات بسلطانها ... قد تركت آنافنا راغمه
والحسكيات فلا تنس في ... خندقها أوتادها القائمه
وجام صابونية بعدها ... فافخر بها إذ كانت الخاتمه

ظل الكراريسي مستعبراً ... من عصبة في داره طاعمه
وقال إن ابني عليل ولي ... قيانه من أجله قائمه
وولولت داياته حوله ... وليس إلا عبرة ساجمه
والقصيدة طويلة باردة نشبت في كتابتها فكتبت منها هذا. وله:
لا تنكرن إهداءنا لك منطقاً ... منك استفدنا حسنه ونظامه
فالله عز وجل يشكر فعل من ... يتلو عليه وحيه وكلامه
وقال: وقد صادف على باب ابن رستم عثمانيين أسودين معتمين بعمامتين حمراوين فامتحنهما فوجدهما من الأدب خاليين، فدخل إلى مجلس أبي علي وتناول الدواة والكاغد من بين يديه وكتب بديهة:
رأيت باب الدار أسودين ... ذي عمامتين حمراوين
كجمرتين فوق فحمتين ... قد غادرا الرفض قريري عين
جدكما عثمان ذو النورين ... فما له أنسل ظلمتين؟
يا قبح شين صادر عن زين ... حدائد تطبع منلجين
ما أنتما إلا غرابا بين ... طيرا فقد وقعتما للحين
زورا ذوي السنة في المصرين ... المظهرين الحب للشيخين
وخليا الشيعة للسبطين ... الحسن المرضي والحسين
لا تبرما إبرام رب الدين ... ستعطيان في مدى عامين
قال: وقال لابن أبي عمر بن عصام وكان ينتف لحيته:
يا من يزيل خلقة الر ... حمن عما خلقت
تب وخف الله على ... ما ... اجترحت
هل لك عذر عنده ... إذا الوحوش حشرت؟
في لحية إن سئلت ... بأي ذنب قتلت؟

وقال:

ما أنس لا أنس حتى الحشر مائدة ... ظلنا لديك بها في أشغل الشغل

إذا أقبل الجدي مكشوفاً ترائبه ... كأنه متمط دائم الكسل

قد مد كلتا يديه لي فذكرني ... بيتاً بمثله من أحسن المثل

كأنه عاشق قد مد بسطته ... يوم الفراق إلى توديع مرتحل

وقد تردى بأطمار الرقاق لنا ... مثل الفقير إذا ما راح في سمل

وله:

لنا صديق نفسنا ... في مقته منهمكه

أبرد من سكونه ... وسط الندى الحركه

وجدري وجهه ... يحكيه جلد السمكه

أو جلد أفعى سلخت ... أو قطعة من شبكه

أو حلق الدرع إذا ... أبصرتها مشتبكه

أو كدر الماء إذا ... ما الريح أبدت حبكه

أو سفن محبب ... أو كرش منفركه

أو منجل أو عرض ... رقيقة منهتكه

أو حجر الحمام كم ... من وسخ قد دلكه

أو كور زنبور إذا ... أفرخ فيه تركه

أو سلحه يابسة ... قد نقرتها الديكه

ومن محاسن ابن طباطبا في أبي علي الرستمي يهجوه بالدعوة والبرص:

أنت أعطيت من دلائل رسل ال ... له آيا بها علوت الرؤوسا

جئت فرداً بلا أب وبيمنا ... ك بياض فأنت عيسى وموسى

محمد بن أحمد بن نصر الجيهاني

أبو عبد الله، قال السلامي في تاريخ خراسان: وفي سنه إحدى وثلاثمائة في جمادى الآخرة، ولي أبو الحسن نصر ابن أحمد بن إسماعيل وهو ابن ثمان سنين، وتولي التدابير أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني فأجرى الأسباب على وجوهها، وكان حسن النظر لمن أمله وقصده، معيناً لمن أمه واعتمده، وكان مبتلي بالمذهب فلم يكن يصافح أحداً إلا دون ثوب أو كاغد، ومر يوماً بنخاس يعالج دابة فتأفف وأبرز يده من كمه وعلقها إلى أن نزل وصب عليها قماقم من الماء تقذراً مما فعله النخاس كأنه هو الذي تولى ذلك، ولم يكن يأذن في إمساك السنانير في دوره، فكان الفأر يتعابث فيها، وفيه يقول أبو الطيب الطاهري:

رأيت الوزير على بابه ... من المذهب الشائع المنتشر

يرى الفأر أنظف شيء يدب ... ب على ثوبه ويعاف البشر
يبيت حفياً بها معجباً ... ويضحي عليها شديد الحذر

وإن سغبت فهو في جحرها ... يفت لها يابسات الكسر
فلم صار يستقذر المسلمين ... ويألف ما هو عين القذر؟
وله أيضاً فيه:
ما فيك من خس نثني عليك به ... إلا التصنع بالوسواس للناس
ليوهموا شغفاً بالطهر منك فلا ... تعد فيمن يؤدي جزية الراس
يا لهف نفسي على دنيا حظيت بها ... عفواً بلا طول إبساس وإيناس
وله أيضاً فيه:
قل للوزير الذي عجائبه ... يضرب في سوقنا بها المثل
أنت إذا كمن طول دهرك بال ... مخرج عما سواه تشتغل
فأين ألقاك للحوائج أو ... في أي حين يهمك العمل؟
قال: وكان هجيري الجيهائي يقول في أضعاف كلامه بدواندرون، وأن هجيري علي بن محمد العارض يقول هزين، وفيهما يقول الطاهري:
وزيران أما بالمقدم منهما ... فخبل وبالثاني يقال جنون
إذا نحن كلمناهما فجوابنا ... بدواندرون دائم وهزين
متى تلق ذا أو تلق ذلك لحادث ... تلاقي مهيناً لا يكاد يبين
ومعنى بدواندرون اعد على داخل ومعنى هزين الفرار. وللطاهري فيهم:
إن الأمور إذا أضحت يدبرها ... طفل رضيع وسكران ومجنون
لمخبرات بأن لن يستقيم بها ... لمن توسطها دنيا ولا دين

محمد بن أحمد أبو الندى الغندجاني اللغوي

رجل واسع العلم راجح المعرفة باللغة وأخبار العرب وأشعارها، وما عرفت له شيخاً ينسب إليه ولا تلميذاً يعول عليه غير الحسن بن أحمد الأعرابي المعروف بالأسود صاحب التصانيف المشهورة التي تصدى فيها للأخذ على أعيان العلماء فإن روايته في كتبه كلها عن أبي الندى هذا، وأنا أرى أن هذا الرجل خرج إلى البادية واقتبس علومه من العرب الذين يسكنون الخيم وقد وقع لي شيء من خبره في ذلك أنا أورده ههنا ليستدل به على ما ذهبت إليه كما استدللت أنا به: وجدت بخط صديقنا كمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد ابن هبة الله بن أبي جرادة الحلبي الفقيه المدرس الكاتب الأديب ما أسنده إلى ليث الطويل قال: سألت أبا الندى وكان من أعلم من شاهدت بأخبار العرب، هل تعرف من شعر الذلفاء بنت الأبيض في ابن عمها نجدة بن الأسود؟ قال نعم، كنت فيمن حضر جنازة نجدة حتى وضعناه في قبره وأهلنا عليه التراب وصدرنا

عنه غير بعيد، فأقبلت نسوه يتهادين فيهن امرأة قد فاقتهن طولاً كالغصن الرطب وإذا هي الذلفاء فأقبلت حتى أكبت على القبر وبكت بكاء محرقاً، وأظهرت من وجدها ما خفن معه على نفسها، فقلن لها: يا ذلفاء، إنه قد مات السادات من قومك قبل نجدة، فهل رأيت نساءهم قتلن أنفسهن عليهم؟ فلم يزلن بها حتى قامت فانصرفت عن القبر، فلما صارت منه غير بعيد عطفت بوجهها عليه وقالت:

سئمت حياتي حين فارقت قبره ... ورحت وماء العين ينهل هامله

وقالت نساء الحي قد مات قبله ... شريف فلم تملك عليه حلائله

صدقن لقد مات الرجال ولم يمت ... كنجدة من إخوانه من يعادله

فتى لم يضق عن جسمه لحد قبره ... وقد وسع الأرض الفضاء فضائله

قال: فقلت أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت، فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر؟ قال نعم، كنت ممن حضر قبر نجدة عند زيارتها إياه لتمام الحول فرأيتها قد أقبلت حتى أكبت على القبر وبكت بكاء شديداً ثم أنشأت تقول:

يا قبر نجدة لم أهجرك مقلية ... ولا جفوتك من صبري ولا جلدي

لكن بكيتك حتى لم أجد مدداً ... من الدموع ولا عوناً من الكمد

وآيستي جفوني من مدامعها ... فقلت للعين فيضي من دم الكبد

فلم أزل بدمي أبكيك جاهدة ... حتى بقيت بلا عين ولا جسد

والله يعلم لولا الله ما رضيت ... نفسي سوى قتل لها بيدي

قال: فقلت: أحسنت والله يا أبا الندى وأحسنت، فهل تعرف من شعرها شيئاً آخر؟ قال نعم، حضرنا عيداً لنا في زمن الربيع ونحن في رياض خضرة معشبة فركب الفتيان وعقدوا العذب الصفر في القنا الحمر، وجعلوا يتجاولون فلما أردنا الانصراف قال بعضنا لبعض: ألا تجعلون طريقكم على الذلفاء! ولعلها إذا نظرت إليكم تسلت بمن بقي عمن هلك. قال: فخرجنا نؤمها فأصبناها بارزة من خبائها وهي كالشمس الطالعة، إلا أنه يعلوها كسوف الحزن فسلمنا عليها وقلنا: يا ذلفاء إلى كم يكون هذا الوجد على نجدة؟ أما آن لك أن تتسلي بمن بقي من بني عمك عمن هلك، هانحن سادات قومك وفتيانهم ونجومهم، وفينا السادة والذادة، والبأس والنجدة. فأطرقت ملياً ثم رفعت رأسها باكية تقول:

صدقتم إنكم لنجوم قومي ... ليوث عند مختلف العوالي

ولكن كان نجدة بدر قومي ... وكهفهم المنيف على الجبال

فما حسن السماء بلا نجوم ... وما حسن النجوم بلا هلال!

ثم دخلت خباءها وأرسلت سترها فكان آخر العهد بها. وقرأت بخط أبي سعد في المذيل: أنشدنا شافع بن علي الحمامي، أنشدنا إسماعيل عبد الغافر الفارسي، أنشدني أبو حرب رزماشوب بن زياد الجيلي بشيراز، أنشدنا أبو محمد الحسن بن علي الغندجاني الأديب، أنشدنا أبو محمد الأسود الغندجاني الأديب، أنشدنا أبو الندى قال: سمعت أعرابياً بالبصرة يقال له الوليد بن عاصم ينشد لنفسه:

وما مغزل بالغور غور تهامة ... بأودية صابت عليها عهودها
ترود الضحى أفنان ضال وتتقي ... ويخرج من بين الأراكة جيدها
بأحسن من سلمى ولا ضوء درة ... تسمى إليها غائض يستجيدها

قرأت في كتاب اللقائط لأبي يعلى بن الهبارية وقد ذكر أبا محمد الأعرابي ووضع منه وانتصر للنمري الذي شرح الحماسة وغيره، واستدل على صحة رواياتهم وإتقان علمهم ومقالاتهم ثم قال: فكيف نترك أمثال هذه الروايات لرواية مثل أبي الندى؟ ولم يذكر لي من لقيته من شيوخ بلاد فارس من فضل أبي الندى إلا أنه غاب عن أهله مدة وأقام في البادية سنين عدة، وعاد يروي ويخبر، وكان له ابن فأخذ يطليه بالزيت ويقفه في شمس القيظ بالغندجان وهي حارة جداً ولم يزل يفعل به ذلك ليكون أسمر اللون كالعرب حتى مات ذلك المسكين

محمد بن أحمد الأزهري طلحة بن نوح

ابن الأزهر بن نوح حاتم بن سعيد بن عبد الرحمن، الأزهري أبو منصور اللغوي الأديب الشافعي المذهب الهروي، مات فيما ذكره أبو النصر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن أبي سعيد الفامي في تاريخ هراة في سنة سبعين وثلاثمائة، ووافقه الحاكم أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الكتبي الهروي في كتاب الوفيات له وزاد في ربيع الآخر. قال الحاكم: ورأيت في كتاب تاريخ السنين تصنيف أبي يعقوب إبراهيم ابن محمد بن عبد الرحمن بن الفرات الهروي الحافظ وأصله عندي بخطة في عشرة أجزاء: أن مولد أبي منصور الأزهري في سنة اثنتين ومائتين، أخذ الأزهري عن أبي الفضل محمد ابن أبي جعفر المنذري عن ثعلب وغيره فأكثر. وعن أبي محمد المزني عن أبي الخليفة الجمحي، وعن أبي محمد عبد الله بن عبد الوهاب البغوي عن الربيع بن سليمان عن الشافعي، وعن عبد الله بن محمد بن هاجك، وأبي القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي. ورد بغداد وأدرك ابن دريد فلم يرو عنه قال: ودخلت داره ببغداد مرة فألفيته على كبر سن سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره. وأخذ الأزهري ببغداد عن أبي عبد الله إبراهيم بن عرفة نفطويه، وعن ابن السراج، وصنف: كتاب التهذيب في اللغة، كتاب معرفة الصبح، كتاب التقريب في التفسير، كتاب تفسير ألفاظ كتاب المزني، كتاب علل القراءات، كتاب في الروح وما جاء فيه من القرآن والسنة، كتاب تفسير أسماء الله عز وجل، كتاب معاني شواهد غريب الحديث، كتاب الرد على الليث، كتاب تفسير شواهد غريب الحديث، كتاب تفسير إصلاح المنطق، كتاب تفسير السبع الطوال، كتاب تفسير شعر أبي تمام، كتاب الأدوات.

وذكر في مقدمة كتابه قال: وكنت امتحنت بالإسار سنة عارضت القرامطة الحاج بالهبير، وكان القوم الذين وقعت في سهمهم عرباً نشئوا بالبادية يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع، ويرجعون إلى إعداد المياه في محاضرهم زمن القيظ ويرعون النعم ويعيشون بألبانها ويتكلمون بطباعهم البدوية وقرائحهم التي اعتادوها، ولا يكاد يكون في منطقهم لحن أو خطأ فاحش، فبقيت في إسارهم دهراً طويلاً، وكنا نتشئى الدهناء،

ونتربع الصمان، ونتقيظ الستارين، واستفدت من مخاطبتهم ومحاورة بعضهم بعضاً ألفاظاً جمة، ونوادر كثيرة أوقعت أكثرها من الكتاب، وستراها في مواضعها إذا أنت قرأتها علينا إن شاء الله تعالى، وذكر في تضاعيف كتابه أنه أقام بالصمان شتوتين، ورأى ببغداد أبا إسحاق الزجاج وأبا بكر بن الأنباري ولم يذكر أنه أخذ عنهم شيئاً.

قال المؤلف: كانت سنة الهبير هي سنة إحدى عشرة وثلاثمائة، وذكر بعهم أنها كانت سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة، عارضهم أبو طاهر الجناني فقتل بعضهم واسترق بعضهم واستولى على جميع أموالهم، وذلك في أيام المقتدر بالله بن المعتضد.

محمد بن أحمد بن طالب الأخباري

قال الخطيب: مات بعد سنة سبعين وثلاثمائة ويكنى أبا الحسن، سكن الشام وحدث بطرابلس، أنشد أبو الحسن محمد بن أحمد البغدادي قال: أنشدني أبو علي الأعرابي لنفسه:

كنت دهراً أعلل النفس بالوع ... د وأخلوا مستأنساً بالأماني

فمضى الواعدون ثم اقتطعنا ... عن فضول المنى لصرف الزمان

محمد بن احمدبن شنبود

بن أيوب بن الصلت بن شنبود أبو الحسن المقرئ، مات فيما ذكره الخطيب في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة، قال الخطيب قد تخير لنفسه حروفاً من شواذ القراءات فقرأ بها، فصنف أبو بكر الأنباري وغيره كتباً في الرد عليه.

قرأت بخط أبي علي بن إسحاق الصابئ، قال القاضي أبو سعيد السيرافي – رحمه الله – : كان ابن شنبوذ واسمه محمد ابن أحمد بن أيوب كثير اللحن قليل العلم، وكان ديِّناً وفيه سلامة وحمق، ثم ذكر توبته كما ذكرنا بعد.

حدث إسماعيل بن علي الخطيبي في كتاب التاريخ قال: واشتهر ببغداد أمر رجل بعرف بابن شنبوذ يقرئ الناس ويقرأ في المحراب بحروف يخالف فيها المصحف فيما يروي عن عبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب وغيرهما مما كان يقرأ به قبل المصحف الذي جمعه عثمان، ويتتبع الشواذ فيقرأ بها ويجادل حتى عظم أمره وفحش وأنكره الناس، فوجه السلطان وقبض عليه في سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة وحمل إلى دار الوزير محمد بن مقلة وأحضر القضاة والفقهاء والقراء وناظرة الوزير بحضرته، فأقام على ما ذكر عنه ونصره، واستنزله الوزير عن ذلك فأبى أن ينزل عنه أو يرجع عما يقرأ به من هذه الشواذ المنكرة التي تزيد على المصحف العثماني، فأنكر ذلك جميع من حضر المجلس وأشاروا بعقوبته ومعاملته بما يضطره إلى الرجوع، فأمر بتجريده وإقامته بين الخبازين، وأمر بضربه بالدرة على قفاه فضرب نحو العشرة ضرباً شديداً فلم يصبر

واستغاث وأذعن بالرجوع والتوبة فخلى عنه وأعيدت عليه ثيابه واستتيب، وكتب عليه كتاب توبته وأخذ فيه خطه بالتوبة فتقول أصحابه أنه دعا على ابن مقلة بقطع اليد فاستجيب له.

قال المؤلف: وهذا من عجيب الاتفاق إن صح، وذكره محمد بن إسحاق النديم فقال: كان ابن شنبوذ يناوئ أبا بكر بن مجاهد ولا يعشره، وكان ديناً فيه سلامة وحمق. وقال لي الشيخ أبو محمد يوسف بن السيرافي: إنه كان كثير اللحن قليل العلم، وقد روى قراءات كثيرة، وله كتب مصنفة في ذلك، وكان مما خالف فيه قراءة الجمهور. قال القاضي أبو يوسف: وسئل عنه بحضرة الوزير أبي علي ابن مقلة فاعترف به ولم ينكره: (إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فامضوا إلى ذكر الله). وقرأ: (وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً). وقرأ كصوف المنفوش. وقرأ: (تبت يداً أبي لهب وتب ما أغنى). وقرأ: (فاليوم ننجيك بيديك لتكون لمن خلفك آية). وقرأ: (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون). وقرأ: (والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى). وقرأ: (وقد كذب الكافرون فسوف يكون لزاماً). وقرأ: (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد عريض). إلى غير ذلك. وله من التصانيف: كتاب ما خالف فيه ابن كثير أبا عمرو، كتاب قراءة علي عليه الصلاة والسلام. كتاب اختلاف القراء، كتاب القراءات، كتاب انفراداته.

وقرأت في كتاب ألفه القاضي أبو يوسف عبد السلام القزويني سماه أفواج القراء قال: كان ابن شنبوذ أحد القراء والمتنسكين، وكان يرجع إلى ورع ولكنه كان يميل إلى الشواذ ويقرأ بها، وربما أعلن ببعضها في بعض صلواته التي يجهر فيها بالقراءة، وسمع ذلك منه وأنكر عليه فلم ينته للإنكار فقام أبو بكر بن مجاهد فيه حق القيام، وأشهر أمره ورفع حديثه إلى الوزير في ذلك الوقت، وهو أبو علي بن مقلة فأخذ وضرب أسواطاً زادت على العشرة ولم تبلغ العشرين، وحبس واستتيب فتاب وقال: إني قد رجعت عما منت أقرأ به ولا أخالف مصحف عثمان، ولا أقرأ إلا بما فيه من القراءة المشهورة، وكتب عليه بذلك الوزير أبو علي محضراً بما سمع من لفظة، وأمره أن يكتب في آخره بخطه. وكان المحضر بخط أبي الحسين أحمد بن محمد ميمون، وكان أبو بكر بن مجاهد تجرد في كشفه ومناظرته، فانتهى أمره إلى أن خاف على نفسه من القتل، وقام أبو أيوب السمسار في إصلاح أمره وسأل الوزير أبا علي أن يطلقه وأن ينفذه إلى داره مع أعوانه بالليل خيفة عليه لئلا يقتله العامة ففعل ذلك، ووجه إلى المدائن سراً مدة شهرين، ثم دخل بيته ببغداد مستخفياً من العامة. ونسخة المحضر المعمول على ابن شنبوذ بخط ابن ميمون: يقول محمد ابن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ: قد كنت أقرأ حروفاً تخالف ما في مصحف عثمان بن عفان – رضي الله عنه – المجمع عليه والذي اتفق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم على تلاوته، ثم بان لي أن ذلك خطأ فأنا منه تائب وعنه مقلع وإلى الله عز وجل برئ، إذ كان مصحف عثمان هو الحق الذي لا يجوز خلافة، ولا يقرأ بغير ما فيه. نسخة خط ابن شنبوذ في هذا المحضر: يقول محمد بن أحمد بن أيوب ابن شنبوذ: ما في الرقعة صحيح، وهو قولي واعتقادي، وأشهد الله عز جل وسائر من حضر على نفسي بذلك وكنت بخطه، فمتى خالفت ذلك أو بان مني غيره فأمير المؤمنين – أطال الله بقاءه – في حل وسعة من دمي، وذلك في يوم الأحد لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثلاثمائة في مجلس الوزير أبي علي محمد بن علي –

أدام الله توفيقه – وحسبي الله وحده، وصلاته على سيدنا محمد وآله.
خط ابن مجاهد: اعترف ابن شنبوذ بما في هذه الرقعة وكتب ابن مجاهد بيده وذكر التاريخ.
خط ابن أبي موسى: اعترف المعروف بابن شنبوذ بما في هذه الرقعة بحضوري طوعاً. وكتب محمد بن أبي موسى الهاشمي وذكر التاريخ. شهادة أخرى: شهد محمد بن أحمد بن محمد على إقرار محمد بن أحمد بن أيوب المعروف بابن شنبوذ بجميع ما في هذا الكتاب وذكر التاريخ. وقال ابن شنبوذ في المجلس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجماعة من أصحابه خالفوا بعض ما في هذا المصحف الذي في أيدينا وكان اعترافه به طوعاً. شهد بذلك محمد بن أبي موسى وكتب بيده. وشهد أحمد بن موسى بن مجاهد وكتب بيده. قال القاضي أبو يوسف: كنت قد سمعت من مشايخنا بالري ثم ببغداد أن سبب الإنكار على ابن شنبوذ أنه قرأ أو قرئ عليه في آخر سورة المائدة عند حكاية قول عيسى: (وإن تغفر لهم فإنك أنت الغفور الرحيم من العزيز الحكيم).

محمد بن أحمدلشنبوذي

بن إبراهيم الشنبوذي أبو الفرج المقرئ يعرف بغلام ابن شنبوذ، مات سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وقيل سنة ثمان، ومولده في سنة ثلاثمائة. قال الخطيب: روي عن أبي الحسن محمد بن أحمد بن شنبوذ وغيره كتباً في القراءات وتكلم الناس في رواياته، وسئل الدارقطني عنه فأساء القول فيه والثناء عليه قال: وسمعت عبيد الله الصيرفي يذكر أبا الفرج الشنبوذي فعظم أمره، ووصف علمه بالقرآن وحفظ التفسير وقال: سمعته يقول: أحفظ خمسين ألف بيت من الشعر شواهد للقرآن. وله من التصانيف: كتاب الشارة في تلطيف العبارة في علم القرآن، كتاب التفسير ولم يتم.

محمد بن أحمد المعمري

أبو العباس النحوي، أحد شيوخ النحاة ومشورتهم، صحب الزجاج وأخذ عنه، وكان أبو الفتح المراغي تلميذه وصاحبه، وكان أكثر مقامه بالبصرة وبها توفى وأظنه من أهلها، وله شعر صالح متوسط من أشعار الأدباء، ومات فيما أحسب بين الخمسين وثلاثمائة قال ذلك ابن عبد الرحيم. قال: وأنشدي أبو القاسم التنوخي عن أبيه له من قصيدة مدح بها جده أبا القاسم أولها:

وجفون المضانيات المراض ... والثنايا يلحن بالإيماض
والعهود التي تلوح بها الصح ... ف خلاف الصدود والإعراض
لبرتني الخطوب حتى نضتني ... حرضاً بالياً من الأحراض
وجدتني والدهر سلمى سليمى ... لم ينلني بنا به العضاض
بين برد من الشباب جديد ... ورداء من الصبا فضفاض
ومدبر عرى الأمور برأي ... يقظ الحزم مبرم نقاض

دق معنى وجل قدراً فجادت ... في معانيه نهية الأغماض

وانشد أيضاً له:

لو قد وجدت إلى شفائك منهجاً ... جبت الصباح إليه أوحلك الدجى

لكن رأيتك لا يجيك العتب في ... ك ولا العتاب ولا المديح ولا الهجا

فاذهب سدى ما فيك شر يتقي ... يوماً وليس لديك خير يرتجى

وإذا امرؤ كانت خلائق نفسه ... هذي الخلائق فالنجا منه النجا

قال: وحدثني أبو علي محمد بن وشاح قال: حدثني أبي قال: حدثني القاضي أبو تمام الحسن بن محمد الزينبي رحمه الله قال: جاءتني في بعض البكر رسالة محمد بن أحمد المعمري النحوي بالبصرة – وكنت أغشى مجلسه دائماً وآخذ عنه – أن أدركني، فبادرت إليه وتبعني جماعة من أصحابي، فلما صرت إليه عرفني أن صبية مملوكة له مولدة قد كنت أشاهدها في ولده قد هربت منه، وتناولت صدراً مما كان في منزله، فأنفذت أصحابي وبثثتهم في الجيران، وبحيث يظن بها الحصول فيه، فما بعد أن أحضرت وما أخذت، فسر المعمري وطابت نفسه، فلما هممت بالانصراف أنشدني:

ما لا يرى كسبت عا ... دية الدهر عموده

كان حرباء فاضحى ... بشقاء البخت دوده

قال ابن وشاح: وحدثني أبي قال: حدثني القاضي رحمه الله قال: كان رسم المعمري أن يجلس لأهل العمي في يوم الأربعاء فبكرنا إليه في بعض الأيام فقال للجماعة: ليس لكم اليوم عندي فائدة ولا مني حظ، فلما هممنا بالانصراف قال:

إذا كان يوم الأربعاء ولم أنك ... ولم أصطبح بالأربعاء مشوم

فإن نكت فيه واصطحبت ولمته ... فإني ليوم الأربعاء ظلوم

انصرف مأجورين فانصرفنا. قال: وكان شديد المحبة لشرب النبيذ كثير التوفر عليه قاطعاً أكثر زمانه به.

ولما مات رثاه أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي صاحب كتاب الموازنة بقوله:

ياعين أذري الدموع وانسكبي ... أصبح ترب العلوم في الترب

لقيت بالمعمري يوم ثوى ... أول رزء بآخر الأدب

كان على أعجمي نسبته ... فضيلة من فضائل العرب

وكتب أبو القاسم الآمدي إلى المعمري جواب أبيات كتب بها إليه:

يا مهدي الشعر إلى من يرى ... أنك تستعلي عن الشعر

أنت الذي تحكم فيه إذا ... أعيا على الباقلاني الحبر

وتكشف الغامض حتى يرى ... أوضح أسباباً من الفجر

بنت عن المثل ومن ذا الذي ... إلى مدى تبلغه يجري؟

كل إلى علمك ذو حاجة ... كحاجة الأرض إلى القطر

محمد بن أحمدالقطان

بن عبد الله بن زياد القطان ويعرف بالمتوثي، ويكنى أبا سهل. أحد الشيوخ الفضلاء المقدمين، سمع الحديث ورواه وكان ثقة جيد المعرفة بالعلوم، ومات سنه تسع وأربعين وثلاثمائة. وسمع كثيراً من كتب الأدب عن بشر من موسى الأسدي، ومحمد بن يونس الكديمي، وأبي العيناء وثعلب والمبرد وغيرهم، ولقي السكري أبا سعيد، وسمع عليه أشعار اللصوص من صنعه، وسمعه منه الخلع أبو عبد الله الشاعر وفلج في آخر عمره، وكان ينزل بدار القطن من غربي دار السلام – بغداد – وله بقية حال حسنة. قال الخالع: وحكى لنا أنه كان في ابتداء أمره يتوكل لعلي بن عيسى بن الجراح الوزير وأنه صحبه حين نفي من بغداد وعاد بعوده، وأنهم نزلوا في بعض طريقهم بأحد أمراء الشام، وأنه حمل على يده إلى علي بن عيسى سمكة فضة وزنها زيادة على خمسة آلاف درهم مبيتة للطيب وعليها جوهر وياقوت قد رصعت به، فامتنع من قبولها على عادته في ذلك فرددها إلى صاحبها فوهبها لي ولم أتجاسر على قبولها إلا بعد استئذانه، فاستأذنته فأذن لي فكانت أصل حالي.

قال الخالع: وكانت بضاعة أبي سهل جيدة في العلم، فكان يحفظ القرآن ويعرف القراءات ويرويها، ويطلع على قطعة من اللغة، ويعرف النحو ويحفظ الشعر ويقوله، وكان يتشيع على مذهب الإمامية ويظاهر به، إلا أنه كان في الأصول على رأي المجبرة، ولم يعقب ولد ذكراً، وكانت له ابنه بقيت إلى سنة أربعين وباعت كتبه، وله أشعار كثيرة ركيكة باردة ومن أصلها:

غضب الصولي لما ... كسر الضيف وسمي
ثم عند للمضغ منه ... كاد أن يتلف غما
قال للضيف ترفق ... شم ريح الخبز شما
واغتنم شكري فقال ال ... ضيف بل أكلاً وذما

محمد بن أحمد بن يونس الفسوي

أبو عبد الله يعرف بخاطف. صاحب أب بكر بن السراج، وروي عن ابن دريد وغيره.

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني

الخوارزمي، وهذه النسبة معناها البراني، لأن بيرون بالفارسية معناه براً، وسألت بعض الفضلاء عن ذلك فزعم أن مقامه بخوارزم كان قليلاً، وأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم، كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريباً، وما أظنه يراد به إلا أنه من أهل الرستاق يعني أنه من براً البلد. ومات السلطان محمود بن سبكتكين في سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، وأبو الريحان بغزنة.

وجدت كتاب تقاسيم الأقاليم تصنيفه وخطه وقد كتبه في هذا العام، ذكره محمد بن محمود النيسابوري فقال: له في الرياضيات السبق الذي لم يشق المحضرون غباره، ولم يلحق المضمرون المجيدون مضماره، وقد

جعل الله الأقسام الأربعة له أرضاً خاشعة، سمت له لواقح مزنها، واهتزت به يوانع نبتها، فكم مجموع له على روض النجوم ظله، ويرفرف على كبد السماء طله. وبلغني أنه لما صنف القانون المسعودي أجازه السلطان بحمل فيل من نقده الفضي، فرده إلى الخزانة بعذر الاستغناء عنه، ورفض العادة في الاستغناء به، وكان – رحمه الله – مع الفسحة في التعمير وجلالة الحال في عامة الأمور مكباً على تحصيل العلوم منصباً إلى تصنيف الكتب يفتح أبوابها، ويحيط بشواكلها وأقرابها ولا يكاد يفارق يده القلم، وعينه النظر، وقلبه الفكر إلا في يومي النيروز والمهرجان من السنة لإعداد ما تمس إليه الحاجة في المعاش من بلغة الطعام وعلقة الرياش، ثم هجيراه في سائر الأيام من السنة علم يسفر عن وجهه قناع الإشكال، ويحسر عن ذراعيه كمام الإغلاق.

حدث القاضي كثير بن يعقوب البغدادي النحوي في الستور عن الفقيه أبي الحسن علي بن عيسى الولوالجي قال: دخلت على أبي الريحان وهو يجود بنفسه قد حشرج نفسه وضاق به صدره فقال لي في تلك الحال: كيف قلت لي يوماً حساب الجدات الفاسدة؟ فقلت له إشفاقاً عليه: أفي هذه الحالة؟ قال لي يا هذا، أودع الدنيا وأنا علم بهذه المسالة، ألا يكون خيراً من أن أخليها وأنا جاهل بها. فأعدت ذلك عليه وحفظ وعلمني ما وعد، وخرجت من عنده وأنا في الطريق فسمعت الصراخ. وأما نباهة قدره وجلالة خطره عند الملوك فقد بلغني من حظوته لديهم أن شمس المعالي قابوس بن وشمكير أراد أن يستخلصه لصحبته ويرتبطه في داره، على أن تكون له الإمرة المطاعة في جميع ما يحويه ملكه، ويشتمل عليه ملكه، فأبى عليه ولم يطاوعه، ولما سمحت قرونته بمثل ذلك أسكنه في داره، وأنزله معه في قصره. ودخل خزارزمشاه يوماً وهو يشرب على ظهر الدابة فأمر باستدعائه من الحجرة فأبطأ قليلاً فتصور الأمر على غير صورته، وثنى العنان نحوه ورام النزول، فسبقه أبو الريحان إلى البروز وناشده الله ألا يفعل فتمثل خوارزمشاه:

العلم من أشرف الولايات ... يأتيه كل الورى ولا ياتي

ثم قال: لولا الرسوم الدنيا لما استدعيتك، فالعلم يعلو ولا يعلى، وكأنه سمع هذا في أخبار المعتضد، فإنه كان يوماً يطوف في البستان وهو آخذ بيد ثابت بن قرة الحراني إذ جذبها دفعة وخلاها فقال ثابت: ما بدا يا أمير المؤمنين؟ قال: كانت يدي فوق يدك والعلم يعلو ولا يعلى. ولما استبقاه السلطان الماضي لخاصة أمره وحوجاء صدره كان يفاوضه فيما يسنح لخاطره من أمر السماء والنجوم، فيحكي أنه ورد عليه رسول من أقصى بلاد الترك وحدث بين يديه بما شاهد فيما وراء البحر نحو القطب الشمالي من دور الشمس عليه ظاهرة في كل دورها فوق الأرض بحيث يطل الليل فتسارع على عادته في التشدد في الدين إلى نسبة الرجل إلى الإلحاد والقرمطة على براءة أولئك القوم عن هذه الآفات حتى قال أبو نصر بن مشكان: إن هذا لا يذكر ذلك عن رأي يرتئيه، ولكن عن مشاهدة يحكيه، وتلا قوله عز وجل: (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستراً). فسأل أبا الريحان عنه، فأخذ يصف له على وجه الاختصار ويقرره على طريق الإقناع، وكان السلطان في بعض الأوقات يحسن الإصغاء ويبدل الإنصاف، فقبل ذلك وانقطع الحديث بينه وبين السلطان وقتئذ، وأما ابنه السلطان مسعود فقد كان فيه إقبال على علم النجوم ومحبة لحقائق العلوم،

ففاوضه يوماً في هذه المسألة وفي سبب اختلاف مقادير الليل والنهار في الأرض، وأحب أن يتضح له برهان ما لم يصح له من ذلك بعيان، فقال له أبو الريحان: أنت المنفرد اليوم بامتلاك الخافقين، والمستحق بالحقيقة اسم ملك الأرض، فأخلق بهذه المرتبة إيثار الاطلاع على مجاري الأمور، وتصاريف أحوال الليل والنهار، ومقدارها في عامرها وغامرها، وصنف له عند ذلك كتاباً في اعتبار مقدار الليل والنهار بطريق تبعد عن مواضعات المنجمين وألقابهم، ويقرب تصورهم من فهم من لم يرتض بها ولم يعتدها، وكان السلطان الشهيد قد مهر بالعربية فسهل وقوفه عليه، وأجزل إحسانه إليه. وكذلك صنف كتابه في لوازم الحركتين بأمره، وهو كتاب جليل لا مزيد عليه مقتبس أكثر كلماته عن آيات من كتاب الله عز وجل. وكتابه المترجم بالقانون المسعودي يعفي على أثر كل كتاب صنف في تنجيم أو حساب. وكتابة الآخر المعنون بالدستور الذي صنفه باسم شهاب الدولة أبي الفتح مودود ابن السلطان الشهيد مستوف أحاسن المحاسن.
قال مؤلف الكتاب: هذا ذكره محمد بن محمود، وإنما ذكرته أنا ههنا لأن الرجل كان أديباً أريباً لغوياً، له تصانيف في ذلك رأيت أنا منها: كتاب شرح شعر أبي تمام رأيته بخطه لم يتمه، كتاب التعليل بإحالة الوهم في المعاني نظم أولي الفضل، كتاب تاريخ أيام السلطان محمود وأخبار أبيه، كتاب المسامرة في أخبار خوارزم، كتاب مختار الأشعار والآثار. وأما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر، رأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتنز.

وحدثني بعض أهل الفضل: أن السبب في مصيره إلى غزنة أن السلطان محمودا لما استولى على خوارزم قبض عليه وعلى أستاذه عبد الصمد الأول ابن عبد الصمد الحكيم، واتهمه بالقرمطة والكفر فأذاقه الحمام وهم أن يلحق به أبا الريحان، فساعده فسحة الأجل بسبب خلصه من القتل، وقيل له: إنه إمام وقته في علم النجوم، وإن الملوك لا يستغنون عن مثله، فأخذه معه ودخل إلى بلاد الهند وأقام بينهم وتعلم لغتهم واقتبس علومهم، ثم أقام بغزنة حتى مات بها أرى في حدود سنة ثلاث وأربعمائة عن سن عالية، وكان حسن المحاضرة، طيب العشرة خليعاً في ألفاظه عفيفا في أفعاله، لم يأت الزمان بمثله علماً وفهماً، وكان يقول شعراً إن لم يكن في الطبقة العليا فإنه من مثله حسن، منه في ذكر صحبة الملوك، ويمدح و يمدح أبا الفتح البستي من كتاب سر السرور.

مضى أكثر الأيام في ظل نعمة ... على رتب فيها علوت كراسيا
فآل عراق قد غذوني بدرهم ... ومنصور منهم قد تولى غراسيا
وشمس المعالي كان يرتاد خدمتي ... على نفرة مني وقد كان قاسيا
وأولاد مأمون ومنهم عليهم ... تبدى بصنع صار للحال آسيا
وأخرهم مأمون رفه حالتي ... ونوه باسمي ثم راس راسيا
و لم ينقبض محمود عني بنعمة ... فأغنى و أقنى مغضيا عن مكاسيا
عفا عن جهالاتي وأبدي تكرماً ... وطرى بجاه رونقي ولباسيا
عفاء على دنياي بعد فراقهم ... وواحزني إن لم أزر قبل آسيا

ولما مضوا وأعتضت منهم عصابة ... دعوا بالتناسي فاغتنمت التناسيا
وخلفت في غزنين لحماً كمضغة ... على وضم للطير للعلم ناسيا
فأبدلت أقواماً وليسوا كمثلهم ... معاذ إلهي أن يكونوا سواسيا
بجهد شأوت الجالبين أئمة ... فما اقتبسوا في العمل مثل اقتباسيا
فما بركوا للبحث عند معالم ... ولا احتبسوا في عقدة كاحتباسيا
فسائل بمقداري هنوداً بمشرق ... وبالغرب من قد قاس قدر عماسيا
فلم يثنهم عن شكر جهدي نفاسة ... بل اعترفوا طرا وعافوا انتكاسيا
أبو الفتح في دنياي مالك ربقتي ... فهات بذكراه الحمية كاسيا
فلا زال للدنيا وللدين عامراً ... ولا زال فيها للغواة مواسيا

ومن أقوم شعره قوله لشاعر اجتداه.

يا شاعر جاءني يخرى على الأدب ... وافي ليمدحني والذم من أدبي
وجدته ضارطاً في لحيتي سفهاً ... كلا فلحيته عثونها ذنبي
وذاكراً في قوافي شعره حسبي ... ولست والله حقاً عارفاً نسبي
إذ لست أعرف جدي حق معرفة ... وكيف أعرف جدي إذ جهلت أبي؟
إني أبو لهب شيخ بلا أدب ... نعم ووالدتي حمالة الحطب
المدح والذم عندي يا أبا حسن ... سيان مثل استواء الجد واللعب
فأعفني عنهما لا تشتغل بهما ... بالله لا توقعن مفساك في تعب

وله:

ومن حام حول المجد غير مجاهد ... ثوى طاعماً للمكرمات وكاسيا
وبات قرير العين في ظل راحة ... ولكنه عن حلة المجد عاريا

وله في التجنيس:

فلا يغررك مني لين مس ... تراه في دروس واقتباس
فإني أسرع الثقلين طرا ... إلى خوض الردى في وقت بأس

ومنه:

تنغص بالتباعد طيب عيشي ... فلا شيء أمر من الفراق
كتابك إذ هو الفرج المرجى ... أطب لما ألم من ألف راق

وله:

أتأذنون لصب في زيارتكم ... إن كان مجلسكم خلواً من الناس؟
فأنتم الناس لا أبغي بكم بدلاً ... وأنتم الراس والإنسان بالراس
وكدكم لمعال تنهضون بها ... وغيركم طاعم مسترجع كاسي
فليس يعرف من أيام عيشته ... سوى التلهي بأير قام أو كاس

لدي المكايد إن راجت مكايده ... ينسى الإله وليس الله بالناس

محمد بن أحمد بن عبيد الله الكاتب

المعروف بالمفجع صاحب ثعلب. كذا وجدت نسبه بخط الطبري المعروف بمضراب اللبن من أهل البصرة، ويكنى أبا عبد الله ذكره ابن النديم فقال: إنه لقي ثعلباً وأخذ عنه وعن غيره وكان شاعراً شيعياً، وله قصيدة يسميها بالأشباه يمدح فيها علياً عليه السلام، وبينه وبين ابن دريد مهاجاة. وذكره أبو المنصور الثعالبي في كتاب اليتيمة فقال: المفجع البصري صاحب ابن دريد والقائم مقامه في التأليف والإملاء. حدث ابن نصر قال: حدثني بعض المشايخ البصريين قال: كان المفجع وشمال يتهاجيان وكان شمال سنياً والمفجع شيعياً، فقال فيه المفجع:

دار شمال في بني أصمع ...

فقال شمال كذا هو، فقال المفجع:

أنظر إليها فهي في بلقع

قال شمال: أي شيء ذنبي إذا خربت المحلة؟ قال:

هو خبيث النفس مستهتر ... بكل أير قائم أصلع

فقال شمال: هو شيعي، وكان يجب أن ينزه ذكر القائم والأصلع عن لفظ الهجاء. قال:

وذا قبيح أن يرى شاعر ... يناك في السرم على أربع

قال شمال: وغير الشاعر أيضاً قبيح أن يرى كذا. ثم عمل فيه شمال يعرض به:

رجل نازل بدرب سطيح ... أي شخص بالليل يركب سطحه؟

أخذ الله لابن عفان منه ... ولشيخه والزبير وطلحة

فلما سمعت ربيعة بذلك قصدت دار المفجع فهرب منها. ومن شعر المفجع:

لي أير أراحني الله منه ... صار حزني به عريضاً طويلاً

نام إذ زارني الحبيب عناداً ... ولعهدي به ينيك الرسولا

حسبت زورة على لحيني ... وافترقنا وما شفيت غليلا

ووجدت له أيضاً فيما رواه الحميدي:

لنا صديق مليح الوجه مقتبل ... وليس في وده نفع ولا بركه

شبهته بنهار الصيف يوسعنا ... طولاً ويمنع منا النوم و الحركه

وقد هجاه بعض الشعراء فقال:

إن المفجع ويله ... شر الأوائل والأواخر

ومن النوادر أنه ... يملي على الناس النوادر

كأنه من قول أبي تمام:

ومالك بالغريب يد ولكن ... تعاطيك الغريب من الغريب

قال المرزباني: لقب بالمفجع لبيت قال، وهو شاعر مكثر عالم أديب، مات قبل الثلاثين والثلاثمائة. قال: وهو القائل في أبي الحسن محمد بن عبد الوهاب الزينبي الهاشمي يمدحه:

للزينبي على جلالة قدره ... خلق كطعم الماء غير مزند

وشهامة تقصي الليوث إذا سطا ... وندى يغرق كل بحر مزبد

يحتل بيتاً في ذؤابة هاشم ... طالت دعائمه محل الفرقد

حر يروح المستميح ويغتدي ... بمواهب منه تروح وتغتدي

فإذا تحيف ماله إعطاؤه ... في يومه نهك البقية في غد

بضياء سنته المكارم تهتدي ... وبجود راحته السحائب تقتدي

مقدار ما بيني وما بين الغنى ... مقدار ما بيني وبين المربد

وقال الثعالبي: وأما شعره فقليل كثير الحلاوة يكاد يقطر منه ماء الظرف وفيه يقول اللحام:

إن المفجع فالعنوه مؤنث ... نغل يدين ببغض أهل البيت

يهوى العلوق وإنما يهواهم ... بمؤخر حي وقلب ميت

ومن شعره ويروي لابن لنكك:

لنا سراج نوره ظلمة ... ليس له ظل على الأرض

كأنه شخص الإمام الذي ... يبغي الهدى منه أولو الرفض

وللمفجع تصانيف منها: كتاب الترجمان في الشعر ومعانيه يشتمل على ثلاثة عشر حداً وهي: حد الإعراب، حد المديح، حد البخل، حد الحلم والرأي، حد الغزل، حد المال حد الإغتراب، حد المطايا، حد الخطوب، حد النبات، حد الحيوان حد الهجاء، حد اللغز وهو آخر الكتاب. وله أيضاً: كتاب المنقد في الإيمان يشبه كتاب الملاحن لابن دريد إلا أنه أكبر منه وأجود وأتقن. كتاب أشعار الجواري لم يتم، كتاب عرائس المجالس، كتاب غريب شعر زيد الخيل الطائي، كتاب قصيدته في أهل البيت ذكره أبو جعفر في مصنفي الإمامية.

ومما أنشده الثعالبي له في غلام يكنى أبا سعد:

زفرات تعتادني عند ذكرا ... ك وذكراك ما تريم فؤادي

وسروري قد غاب عني مذ غب ... ت فهل كنتما على ميعاد؟

حاربتني الأيام فيك أبا سع ... د بسيف الهوى وسهم العباد

ليس لي مفزع سوى عبرات ... من جفون مكحولة بالسهاد

في سهادي لطول أنسي بذكرا ... ك اعتياض من الكرى والرقاد

وبحسبي من المصائب أني ... في بلاد وأنتم في بلاد

وله:

ألا ياجامع البص ... رة لا خربك الله

وسقي صحنك الغي ... ث من المزن فرواه
فكم من عاشق فيك ... يرى ما يتمناه
وكم ظبي من الإنس ... مليح فيك مرعاه
نصبنا الفخ بالعلم ... له فيك فصدناه
بقرآن قرأناه ... وتفسير رويناه
وكم من طالب للشع ... ر بالشعر طلبناه
فما زالت يد الأيا ... م حتى لان متناه
وحتى ثبت السرج ... عليه وركبناه
ألا يا طالب الأمر ... د كذب ما ذكرناه
فلا يغررك ما قلناه ... فما بالجد قلناه
وإن كان من البغض ... يزني حين تلقاه
فرد الدرهم الضرب ... إليه تتلقاه
فبالدرهم يستنز ... ل ما في الجو مأواه
وبالدرهم يستخر ... ج ما في القفر مثواه

قال أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم عبد المجيد بن بشران بن إبراهيم بن العباس بن محمد بن العباس بن محمد ابن جعفر في تاريخه قال: وفيها يعني في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة توفي أبو عبد الله محمد بن عبد الله المفجع الكاتب الشاعر، وكان شاعر البصرة وأديبها، وكان يجلس في الجامع بالبصرة فيكتب عنه ويقرأ عليه الشعر واللغة والمصنفات، وامتنع من الجلوس مدة لسبب لحقه من بعض من حضره فخوطب في ذلك فقال: لو استطعت أن أنسيهم أسماءهم لفعلت. وشعره مشهور، فمنه دامت الأمطار وقطعت عن الحركة:

يا خالق الخلق أجمعينا ... وواهب المال والبنينا
ورافع السبع فوق سبع ... لم يستعن فيهما معينا
ومن إذا قال كن لشيء ... لم تقع النون أو يكونا
لا تسقنا العم صوب غيث ... أكثر من ذا فقد روينا

وله يخاطب أبا عبد الله البريدي وقد أعاد عليه ذكر سبب:

قل لمن كان قد عفا ... عن ذنوب المفجع
لا تعد ذكر ما مضى ... من عفا لم يقرع

وله وقد سأل بعض أصدقائه أيضاً رقعة وشعراً له يهنئه في مهرجان إلى بعضهم فقصر حتى مضى المهرجان:

إن الكتاب وإن تضمن طيه ... كنه البلاغة كالفصح الأخرس
فإذا أعانته عناية حامل ... فجوابه يأتي بنجح منفس
وإذا الرسول ونى وقصر عامداً ... كان الكتاب صحيفة المتلمس
قد فات يوم المهرجان فذكره ... في الشعر أبرد من سخاء المفلس

فسئل عن سخاء المفلس فقال: يعد في إفلاسه بما لا يفي به عند إمكانه. قال: دخل المفجع يوماً إلى القاضي أبي القاسم علي بن محمد التنوخي فوجده يقرأ معاني الشعر على العبيسي فأنشد:

قد قدم العجب على الرويس ... وشارف الوهد أبا قبيس
وطاول البقل فروع الميس ... وهبت العنز لقرع التيس
وادعت الروم أباً في قيس ... واختلط الناس اختلاط الحيس
إذ قرأ القاضي حليف الكيس ... معاني الشعر على العبيسي

وألقى ذلك إلى التنوخي وانصرف. وكان أبو عبد الله الأكفاني راويته وكتب لي بخطه من مليح شعره شيئاً كثيراً قال: ومدح أبا القاسم التنوخي فرأى منه جفاء فكتب إليه:

لو أعرض الناس كلهم وأبوا ... لم ينقصوا رزقي الذي قسما
كان وداد فزال وانصرما ... وكان عهد فبان وانهدما
وقد صحبنا في عصرنا أمماً ... وقد فقدنا من قبلهم أمما

فما هلكنا هزلاً ولا ساخت ال ... أرض ولم تقطر السماء دما
في الله من كل هالك خلف ... لا يرهب الدهر من به اعتصما
حر ظننا به جميل فما ... حقق ظنا ولا رعى الذمما
فكان ماذا ما كل معتمد ... عليه يرعى الوفاء والكرما
غلطت والناس يغلطون وهل ... تعرف خلقاً من غلطه سلما؟
من ذا إذا أعطى السداد فلم ... يعرف بذنب ولم يزل قدما
شلت يدي لم جلست عن تفه ... أكتب شجوى وأمتطي القلما؟
يا ليتني قبلها خرست فلم ... أعمل لساناً ولا فتحت فما
يا زلة ما أقلت عثرتها ... أبقيت على القلب والحشا ألما
من راعه بالهوان صاحبه ... فعاد فيه فنفسه ظلما

وله:

أظهرت للرئم بعض وجدي ... وإنما الوجد ما سترته
وقلت حييك قد براني ... فقال دعه بذا أمرته

وله قصيدته ذا الأشباه، وسميت بذات الأشباه لقصده فيما ذكره من الخبر الذي رواه عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في محفل من أصحابه: (إن تنظروا إلى آدم في علمه، ونوح في همه، وإبراهيم في خلقه، وموسى في مناجاته، وعيسى في سنه، ومحمد في هديه وحلمه، فانظر إلى هذا المقبل). فتطاول الناس فإذا هو علي بن أبي طالب عليه السلام، فأورد المفجع ذلك في قصيدته وفيها مناقب كثيرة وأولها:

أيها اللائمي لحبي عليا ... قم ذميماً إلى الجحيم خزيا

أبخير الأنام عرضت لا زل ... ت مذوداً عن الهدى مزويا
أشبه الأنبياء كهلاً وزولاً ... وفطيماً وراضعاً وغذيا
كان في علمه كآدم إذ عل ... م شرح الأسماء والمكنيا
وكنوح نجى من الهلك من س ... ير في الفلك إذ علا الجوديا
وجفا في رضا الإله أباه ... واجتواه وعده أجنبيا
كاعتزال الخليل آزر في ال ... له وهجرانه أباه مليا
ودعا قومه فآمن لوط ... أقرب الناس منه رحماً وريا
وعلي لم دعاه أخوه ... سبق الحاضرين والبدويا
وله من أبيه ذي الأيد إسما ... عيل شبه ما كان عني خفيا
إنه عاون الخليل على الكع ... بة إذ شاد ركنها المبنيا
ولقد عاون الوصي حبيب ال ... له إذ يغسلان منها الصفيا
رام حمل النبي كي يقطع الأص ... نام من سطحها المثول الحبيا
فحناه ثقل النبوة حتى ... كاد ينآد تحته مثنيا
فارتقى منكب النبي على ... صنوه ما أجل ذا المرتقيا
فأماط الأوثان عن ظاهر الكع ... بة ينفي الرجاس عنها نفيا
ولو أن الوصي حاول مس ال ... نجم بالكف لم تجده قصيا
أفهل تعرفون غير علي ... وابنه استرحل النبي مطيا

وشعر أبي عبد الله المفجع كثير حسن. وكان يوماً بالأهواز جالساً مع جماعة فاجتاز به غلام لموسى بن الطيب نديم أبي عبد الله البريدي يقال له طريف وهو أمرد مليح فسأل المفجع عنه فقيل: هذا غلام نديم البريدي فقال:

اجتاز بي اليوم في الطريق فتى ... يختال في مورق من البان
فقلت من ذا؟ فقال لي خبر ... بالأمر هذا غلام صفعان

ولأبي عبد الله في جماعة من كبار أهل الأهواز مدائح كثيرة وأهاج، وله قصيدة في أبي عبد الله بن درستوريه يرثيه فيها وهو حي يقول فيها ويلقبه بدهن الآجر:

مات دهن الآجر فاخضرت الأر ... ض وكادت جبالها لا تزول

ويصف أشياء كثيرة فيها. قال: وكان المفجع يكثر عند والدي ويطيل المقام عنده، وكنت أراه عنده وأنا صبي بالأهواز، وله إليه مراسلات وله فيه مدح كثيرة كنت جمعتها فضاعت أيام دخول ابن أبي ليلى الأهواز ونهب رزناماتها، وكان منها قصيدة بخطه عندي يقول فيها:

لو قيل للجود من مولاك قال نعم؟ ... عبد المجيد المغيرة بن بشران

وأذكر له من قصيدة أخرى:

يا من أطال يدي إذ هاضني زمني ... وصرت في المصر مجفوا ومطرحا
أنقذتني من أناس عند دينهم ... قتل الأديب إذا ما علمه اتضحا

قال: وكانت وفاته قبل وفاة والدي بأيام يسيرة، ومات والدي في يوم السبت لعشرة خلون من شعبان سنة سبع وعشرين وثلاثمائة وفيها مات الخزوري الشاعر. ومن ملحه المشهورة قوله لإنسان أهدى إليه طبقاً فيه قصب السكر والأترنج والنارنج وأراه أبا سعد غلامه:

إن شيطانك في الظر ... ف لشيطان مريد
فلهذا أنت فيه ... تبتدي ثم تعيد
قد أتتنا تحفة من ... ك على الحسن تزيد
طبق فيه قدود ... ونهود وخدود

وأنشد الثعالبي له في غلام مغن جدر فازداد حسناً وجمالاً:

يا قمراً جدر حتى استوى ... فزاده حسناً وزادت هموم
كأنه غني لشمس الضحى ... فنقنطته طرباً بالنجوم

وأنشد له أيضاً:

فسا على قوم فقالوا له ... إن لم تقم من بيننا قمنا
فقال لا عدت فقالوا له ... من نتن فيه ذا كما كنا

وأنشد له أيضاً:

أداروها والليل اعتكار ... فخلت الليل فاجأه النهار
فقلت لصاحبي والليل داج ... ألاح الصبح أم بدت العقار؟
فقال هي العقار تداولوها ... مشعشعة يطير لها شرار
فلولا أنني أمتاح منها ... حلفت بأنها في الكأس نار

محمد بن أحمد بن غيثة

بن سليمان بن أيوب بن غيثة النوقاني بالتاء قبل ياء النسبة، ونوقات محلة بسجستان يقال لها نوها فعربت، يكنى أبا عمر السجستاني وهو والد عمر وعثمان، وصاحب التصانيف المشهورة. ذكره أبو سعد السمعاني في كتاب تاريخ مرو فقال: دخل إلى خراسان وكتب بهراة ومرو وبلخ وما وراء النهر، وسمع الكثير من الشيوخ وأكثر واشتغل بالتصانيف، وبلغ فيها الغاية وكان مرزوقاً فيها محسناً، جمع من كل جنس وفن، وأحسن في كل التصانيف، وسمع أبا عبد الله محمد بن إسحاق القرشي ثم ذكر خلقاً كثيراً، منهم الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله ابن البيع الحافظ، وأبو حاتم محمد بن حيان البستي، وأبو يعلى النسفي، وأبو على حامد بن محمد الرفاء، وأبو سليمان الخطابي.

وروى عنه ابناه عمر وعثمان، وله تصانيف كثيرة منها: كتاب آداب المسافرين، كتاب العتاب والإعتاب، كتاب فضل الرياحين، كتاب العلم، كتاب الشيب، كتاب محنة الظراف في أخبار العشاق، كتاب معاشرة

الأهلين. وأنشد لنفسه في كتاب محنة الظراف:

نمت دموعي على سرى وكتماني ... وشرد النوم عن عيني أحزاني

وأقلقني عما أستعين به ... على الهوى حسرات منك تغشاني

يا من جفاني وأقصاني وغادرني ... صبا وأشمت بي من كان يلحاني

لا تنس أيام أنس قد مننت بها ... وداو غلة قلب فيك أعياني

ومن كتاب محنة الظراف مما نسبه أبو عمر إلى نفسه ومن خطه نقلت:

سأهجركم ما دمتم في حجابكم ... على الكره حتى تأمنوا الرقباء

مساعدة مني لكم لا تصبراً ... ولم يصبر العطشان يبصر ماء

وأنشد أيضاً لنفسه:

أصابك أيضاً عين بعد فرطك في حي ... أم أذنبت فاستحسنت يا سيدي ذنبي؟

أحين سلبت القلب من صبابة ... وصيرتني عبداً تجافيت عن قربي؟

سأصبر حتى تعجبوا من تصبري ... وأنتظر الحسنى على ذاك من ربي

وأنشد السمعاني بإسناد له رفعة إلى النوقاني عن الحسين بن أحمد عن الصولي عن ثعلب عن أبي العالية:

أرى بصري في كل يوم وليلة ... يكل وخطوي عن مدى الخطو يقصر

ومن يصحب الأيام ستين حجة ... يغيرنه والدهر لا يتغير

لعمري لئن أمسيت أمشي مقيداً ... لما كنت أمشي مطلق القيد أكثر

قال: وحدث أبو عمر بن النوقاني في رجب سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة، فتكون وفاته بعد هذا الشهر.

محمد بن أحمد بن عمر الخلال

أبو الغنائم اللغوي، إمام عالم جيد الضبط، صحيح الخط، معتمد عليه معتبر، أخذ عن أبي سعيد السيرافي، وأبي علي الفارسي، وأبي الحسن الرماني وتلك الطبقة.

محمد بن أحمد بن طالب الفقيه

الأديب الحلبي أبو الحسن، سمع ببغداد أبا بكر بن دريد وأبا بكر بن الأنباري، وأبا علي بن الحسين بن أحمد الكاتب المعروف بالكوكبي، وأبا عبد الله نفطويه، وأبا عيسى محمد بن أحمد بن قطن السمسار، وبحلب أبا عبد الله أحمد بن جعفر بن أحمد بن ماست الحاضري الحلبي، والقاضي أبا حصين، ومات بعد سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، قرئ عليه كتابه في هذه السنة، وله كتاب الشبان والشيب أحسن فيه.

محمد بن أحمد بن محمد أشرس

أبو الفتح النحوي اللغوي، أديب فاضل شاعر من أهل نيسابور، وكان من تلاميذ أبي بكر محمد بن العباس الخوارزمي بنيسابور، وقدم بغداد فلقي بها جماعة من أصحاب أبي علي الفارسي كالربعي علي بن عيسى، وأبي الحسن السمسمي وغيرهما، ذكره الباخرزي في كتابه فقال: حدثني القاضي أبو جعفر البحاثي قال: حدثني الحاكم أبو سعد بن دوست قال: كان أبو الفتح بن أشرس من ناحية الرخ، وكان يؤدب بنيسابور ويختلف إلى أبي بكر الخوارزمي، فلما نزف ما عنده ارتحل إلى مدينة السلام قال: فرأيت كتاباً بخط يده وقد كتب به إلى بعض أصدقائه وذكر في أثنائه أن ليس اليوم بخراسان من يقوم باختيار فصيح الكلام لثعلب، وألفاظ الكتبة لعبد الرحمن عيسى.

قال أبو سعد: وكان الخوارزمي يومئذ حياً يرزق، والألسنة لفضله تطلق. وهذان الكتابان من زغب فراخ الكتب، وأنكر معرفة أهل خراسان بهما، فما ظنك بالقشاعم اللقمانية من أمهاتنا. وأنشدني القاضي أبو جعفر قال: أنشدني الحاكم أبو سعد قال: أنشدني ابن الأشرس لنفسه في أبي الحسن الأهوازي يهجوه.

يا عجباً لشيخنا الأهوازي ... يزهى علينا وهو في هوان

قال الحاكم أبو سعد: وأنشدني أيضاً لنفسه:

كأنما الأغصان لما علا ... فروعها قطر الندى قطرا

ولاحت الشمس عليها ضحى ... زبرجد قد أثمر الدرا

نقد الحاكم أبو سعد على بيته فقال: قوله قد أثمر الدر، لا يستقيم في النحو، لأنه لا يقال أثمرت النخلة الثمر، وإنما يقال أثمرت ثمراً بغير الألف واللام. وكتب ابن أشرس من بغداد إلى أبي الفتح الحداد بنيسابور:

رب غلام صار في ... بغداد إحدى الفتن

رقعتت خرق ظهره ... برقعة من بدني

قال الحاكم: في هذين البيتين خلل، لأنه لا يمكن أن يفسر على وجه قبيح لأن لحيته أيضاً من بدنه. قال القاضي البحاثي: فقلت له: وهذا التفسير أشبه، لأن اللحية أشبه بالرقعة من الفعل، قال نعم. لأن اللحية ترقع وذاك يمزق. هذا آخر ما ذكره الباخرزي في كتابه.

قال القاضي أبو المحاسن بن مسعر المغربي في كتابه: وممن قرأت عليه: أبو الفتح محمد بن أشرس النيسابوري، وكان ملازماً دار الخلافة ويأتي يوم الثلاثاء إلى قطيعة الملحم فكنت أصل إليه في هذا الموضع، وكان واسع العلم غزير الحفظ، وكان حياً في سنة خمس عشرة وأربعمائة، ولم تتجاوز وفاته سنة عشرين وأربعمائة وما لقيت أحداً من البغداديين يحقق لي وقت وفاته فأثبته على الحقيقة.

محمد بن أحمد بن محمد أبو سعد

العميدي، أديب نحوي لغوي مصنف سكن مصر. قال أبو إسحاق الحبال: أبو سعد العميدي له أدبيات، مات يوم الجمعة لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة، وكان العميدي يتولى ديوان الترتيب وعزل عنه كما ذكر الروذباري في سنة ثلاث عشرة في أيام الظاهر ووليه ابن معشر، ثم تولى ديوان الإنشاء بمصر في أيام المستنصر استخدم فيه عوضاً من ولي الدولة ابن خيران الكاتب في صفر سنة اثنتين

وثلاثين وأربعمائة، وتولى الديوان بعده أبو الفرج الذهلي في جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وأربعمائة. وله تصانيف في الأدب منها: كتاب تنقيح البلاغة في عشر مجلدات، رأيته بدمشق في خزانة الملك المعظم – خلد الله دولته – وعليه خطه، وقد قرئ عليه في شعبان سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة، كتاب الإرشاد إلى حل المنظوم والهداية إلى نظم المنثور، كتاب انتزاعات القرآن، كتاب العروض، كتاب القوافي كبير.

قال علي بن مشرف: أنشدنا أبو الحسين محمد بن محمود ابن الدليل الصواف بمصر قال: أنشدنا أبو سعد محمد بن أحمد العميدي لنفسه:

إذا ما ضاق صدري لم أجد لي ... مقر عبادة إلا القرافة

لئن لم يرحم المولى اجتهادي ... قلة ناصري لم ألق رافه

محمد بن أحمد محمد بن سلمان كامل

ابن عبد الله بن عامر بن سنان، البخاري المعروف بالغنجار الحافظ أبو عبد الله بن أبي بكر. لم يكن من أهل الأدب فيجب ذكره، إنما ذكرته لأنه ألف كتاب تاريخ بخارى.

قال أبو سعد السمعاني: مات الغنجار البخاري سنة عشرة وأربعمائة، ومولده في سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، ودفن في مقبرة حوض الفدام ببخارى.

قال أحمد بن ماما الأصبهاني الحافظ فيما زاده على تاريخ غنجار بعد ذكر نسب غنجار كما ذكرنا قال: سمي غنجار لتتبعه وجمعه في حال شبابه أحاديث أبي أحمد عيسى بن موسى غنجار البخاري قال: وأول من كتب عنه الحديث كثير عن أبي بكر محمد بن أحمد بن حبيب، ومشايخه أكثرهم مذكورون في تصنيفه لتاريخ بخارى. سمعته يقول: ولدت سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة، ومات يوم الجمعة عند طلوع الشمس الثاني والعشرين من شهر شعبان سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة.

محمد بن أحمد بن على المعمري أبو بكر الأديب. مات في محرم سنة ثمان وعشرين وأربعمائة. قال عبد الغافر: الأديب المعمري مشهور ثقة حدث عن جماعة من الشيوخ، وكان يؤدب وتخرج عليه جماعة من أولاد المشايخ، سمع أبا حفص محمد بن على الفقيه إملأ. روي عنه أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الكريزي.

محمد بن أحمد بن سهل

يعرف بابن بشران وبشران جده لأمه، ويعرف بابن الخالة أيضاً، ويكنى أبا غالب من أهل واسط، أحد الأئمة المعروفين والعلماء المشهورين، تجمع فيه أشتات العلوم، وقرن بين الرواية والدراية والفهم وشدة العناية، صاحب نحو ولغة وحديث وأخبار ودين وصلاح، وإليه كانت الرحلة في زمانه، وهو عين وقته وأوانه، وكان مع ذلك ثقة ضابطاً محرراً حافظاً إلا أنه كان محدوداً، أخذ العلم عن خلق لا يحصون: منهم أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الرحمن بن دينار الكاتب صاحب أبي علي الفارسي.

وحدث أبو عبد الله الحميدي قال: كتب إلى أبو الحسن علي بن محمد بن محمد الجلابي الواسطي صديقنا من واسط: أن أبا غلاب بن بشران النحوي مات بواسط في خامس عشر رجب سنة اثنتين وستين وأربعمائة، ومولده سنة ثمانين وثلاثمائة. قال الجلابي: ودخلت إلية قبل موته وجاءه من أخبره أن القاضي وجماعة معه قد ختموا على كتبه حراسة لها وخوفاً عليها فقال:

لئن كان الزمان على أنحى ... بأحداث غصصت لها بريقي
فقد أسدى إلى يداً بأني ... عرفت بها عدوي من صديقي

قال: وهذا آخر ما قاله من الشعر. قال الحميدي: وما أظن البيتين إلا لغيره. قال: وأنشدنا وقد انقطع الناس عن عيادته والدخول إليه:

مالي أرى الأبصار بي جافيه ... لم تلتفت مني إلى ناحية؟
لا ينظر الناس إلى الميت لا ... وإنما الناس مع العافية

وله حظ وافر من الشعر في قوله وعلمه، فمن شعره:

لولا تعرض ذكر من سكن الغضا ... ما كان قلبي للضنى متعرضا
لكن جفا جفني الكرى بجفائهم ... وحشا حشاي فراقهم جمر الغضا
ولو أن ما بي بالرياح لما جرت ... والبرق لو يمنى به ما أومضا
يا راكباً يطوي الدجنة عيسه ... فتريه رضراض الحصا مترضرضا
بلغ رعاك الله سكان الغضا ... عني التحية إن عرضت معرضا
وقل انقضي عصر الشباب وودنا ... باق على مر الليالي ما انقضى
إن كان قد حكم الزمان ببعدكم ... أبداً فتسليماً لما حكم القضا
ونضا الشباب قناعه لما رأى ... سيف المشيب على المفارق منتضى
قد كنت ألقى الدهر أبيض ناضراً ... فاسود لما صار رأسي أبيضا
لولا اعترافي بالزمان وريبه ... ما كنت ممن يرتضي غير الرضا

وله:

لا تغترر بهوى الملاح فربما ... ظهرت خلائق للملاح قباح

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

وكذا السيوف يرون حسن صقالها ... وبحدها تتخطف الأرواح

وله:

هوى النفس سكر والسلو إفاقه ... ولن يستبين الرشد ذو الرشد أو يصحو
فدع نصح من أعماه عن رشده الهوى ... فإن سواء عنده الغش والنصح

وله:

ولما أثاروا العيس للبين بينت ... غرامي لمن حولي دموع وأنفاس
فقلت لهم لا بأس بي فتعجبوا ... وقالوا الذي أبديته كله باس
تعوض بأنس الصبر من وحشة الأسى ... فقد فارق الأحباب من قبلك الناس

وله:

توهمه قلبي فأوحى ضميره ... قبولاً فأحكمنا الهوى بالسرائر
فلما التقينا شبت الحرب بيننا ... على السلم منا مقلتاه وناظري
جرحت بلحظي وجنتيه فأقصدت ... لواحظه قلبي بأسنهم ثائر

وله:

سقى الله ليلاً بت فيه مغازلاً ... غزالاً حكى لي وجهه طلعة البدر
أصبت به غرة الدهر فرصة ... فبادرتها علماً بعاقبة الدهر

وله:

أفدى الذي عارضا خديه لم يدعا ... إذ أعرضا جوهراً مني ولا عرضا
ولم يزل ممرضي تمريض مقلته ... حتى ثناني على فرش الضنى حرضا
قال الوشاة إلى كم ذا الغرام به؟ ... فقلت حتى أرى من حسنه عوضا
قالوا فقد كنت ذا صبر تعوذ به ... فقلت شرده عني الهوى فمضى

وله:

إن قدم الحظ قوماً ما لهم قدم ... في فضل علم ولا حزم ولا جلد
فهكذا الفلك العلوي أنجمه ... تقدم الثور فيها رتبة الأسد

وله:

لما بدا يفتن الألباب رؤيته ... أبديت من حبه ما كنت أخفيه
وبان عذري لعذالي فكلهم ... إلى متعذر من عذله فيه
لكن سكرت براح من لواحظه ... فما أفقت بغير الراح من فيه

قال: وقد سئل ابن بشران إجازة هذا البيت:

ليس يخفى عليك وجدي عليكا ... واشتكائي شوقي إليك إليكا

فقال:

ونزول المشيب قبل أوان الشي ... ب في عارضي من عارضيكا

وحياتي لديك في قبضة الأسد ... فكن حافظاً حياتي لديكا

وعليك اعتمدت في حفظ عهدي ... فارع لي حرمة اعتمادي عليكا

ناظري ناظر إلى جنت ... ك وقلبي في النار من ناظريكا

نقلت من خط خميس الحوزي قال: قال قاضي القضاة أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن الحسن قاضي البصرة قال: اجتمعت مع أبي غالب بن بشران في جمادى الأولى سنة ستين وأربعمائة بواسط فسألته أولاً عن سبب تجنبه الانتساب إلى ابن بشران وهو به مشهور فقال: هو جدي لأمي، وهو ابن عم بشران المحدث الذي كان ببغداد، فسألته عن مولده فقال: مولدي في سنة ثمانين وثلاثمائة. قال الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن سلفة: وسألته يعني خمسين بن علي الحوزي أبا الكرم عن أبي غالب النحوي فقال: هو محمد ابن أحمد بن سهل يعرف بابن الخالة أصله من نهر سابس ينسب إلى خاله ابن بشران وكان أحد الأعيان، قدم واسط فجالس ابن الجلاب وابن دينار وتخصص بابن كروان، وقرأ عليه كتاب سيبويه ولازم حلقة أبي إسحاق الرفاعي صاحب السيرافي وكان يقول: قرأت عليه من أشعار العرب ألف ديوان، وكان مكثراً حسن المحاضرة مليح العارضة إلا أنه لم ينتفع به أحد بواسط ولن يبرع به أحد في الأدب وكان جيد الشعر مع ذلك، رأينا في كتبه بعده خطوط أشياخ عدة بكتب كثيرة في الأدب وغيره إلا أنه كان معتزلياً وشهد عند إسماعيل قاضي واسط في آخر شوطه وذكر وفاته كما تقدم. ومن شعره في أمرد التحي:

قالوا التحي من قد براك صدوده ... وعما قليل سوف عنك يفرج

فقلت لهم: إني تعشقت روضة ... بها نرجس غض وورد مضرج

وقد زاد فيها بعد ذاك بنفسج ... أأتركها إذ زاد فيها بنفسج؟

وله

طلبت صديقاً في البرية كلها ... فأعيا طلابي أن أصيب صديقا

بلى من تسمى بالصديق مجازة ... ولم يك في حفظ الوداد صدوقا

وطلقت ود العالمين صريمة ... وأصبحت من أسر الحفاظ طليقا

ومن مستحسن قوله في الشيب:

وقائله إذ راعها شيب مفرقي ... وفودي ما هذا جعلت لك الفدا؟

تراه الذي خبرت قدماً بأنه ... يصير أهل الود في صورة العدا؟

لقد راعني حتى تخليت أنه ... وحاشاك مما قلته حادث الردى

فقلت لها بل روضة غاض ماؤها ... ونبت أنيق حال إذ بلغ المدى

وإن عشت لا قيت الذي قد لقيته ... وأيقنت أني لم أكن فيه أوحدا

وكل امرئ إن عاش للشيب عرضة ... وإن عف عنه اليوم جاز به غدا

قال: وكان لابن بشران كتب حسنة كثيرة وقفها على مشهد أبي بكر الصديق فذهبت على طول المدى.

وسئل ابن بشران عن مقدمة العسكر ومقدمة الكتاب فقال: أما مقدمة العسكر فلا خلاف فيه أنه بكسر الدال، وأما مقدمة الكتاب فيحتمل الوجهين، والوجه حمله على مقدمة العسكر.

وله:

قل للوزير الذي ما في وزارته ... لمن يلوذ به ظل ولا شرف

حتام ويلي أنا وقف عليك ولي ... إلى سواك من الأمجاد منصرف؟

كأنني فرس الشطرنج ليس له ... في ظل صاحبه ماء ولا علف

محمد بن أحمد بن علي بن محمد

ابن يزيد بن حاتم البارودي النحوي أبو يعقوب. قال أحمد ابن محمد بن مرزوق الأنماطي المصري: مات يوم الأربعاء لسبع وعشرين ليلة خلت من ربيع الآخر سنة تسع وأربعين و أربعمائة.

محمد بن أحمد بن محمد الصفار

أبو بكر الأديب الأصبهاني، ذكره يحيى بن عبد الوهاب ابن مندة فقال: كان يختلف إلى الحديث إلى أن مات، وكان يعظ الناس مدة ثم اشتغل بالعلم إلى أن مات، كان أديباً فاضلاً بارعاً في الأدب حسن الخلق مائلاً إلى الخيرات. مات في شهر ربيع الأول سنة سبعين وأربعمائة.

محمد بن أحمد المعموري البيهقي

الأديب الفيلسوف، مات مقتولاً في شهور سنة خمس وثمانين وأربعمائة، كذا ذكر البيهقي في كتاب الوشاح وقال: كان من عليه الحكماء والأئمة، وقد ألقت العلوم إليه أطراف الأزمة، واتفق أنه انتقل إلى أصبهان في خدمة تاج الملك الذي كان وزيراً بعد نظام الملك، وكان قد نظر في زائرجة طالعة فرأى من التسييرات إلى القواطع وشعاع النحوس ما يدل على الخوف والوجل، فأغلق باب داره عليه فأخرج وقتل وأحرق على سبيل الغلط. قضاء الله ليس له مرد. ومن منظومه:

دعاك الربيع وأيامه ... ألا فاستمع قول داع نصوح

يقول اشرب الراح وردية ... ففي الراح يا صاح روح وروح

وغنى البلابل عند الصباح ... لأهل الشراب: الصبوح الصبوح

قال: ومن تصانيفه: كتاب في التصريف مجدول، كتاب في النحو، كتاب في المخروطات والهندسة وغير ذلك.

محمد بن أحمد بن عبد الباقي

بن منصور ابن إبراهيم الدقاق، أبو بكر المعروف بابن الخاضبة الحافظ العالم، مات فيما نقلت من المذيل بخط أبي سعد السمعاني في شهر ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة ودفن بمقبرة الأجمة المتصلة بباب أبرز.
قال أبو سعد: وكان حافظاً فهماً درس القرآن وتفقه زماناً وقرأ الحديث فأكثر، وكان مفيد والمشار إليه في القراءة الصحيحة والنقل المستقيم، وكان مع ذلك صالحاً ورعاً ديناً خيراً سمع بمكة والشام والعراق، وأكثر ببغداد عن أبي بكر أحمد ابن علي الخطيب، وأصحاب أبي طاهر المخلص، وأبي حفص الكتاني، وعيسى بن علي الوزير وطبقتهم. وأدركته المنية قبل وقت الرواية، سمع منه جماعة من مشايخنا وسمعوا بقراءته وإفادته الكثير، ورأيتهم مجمعين على الثناء عليه والمدح له:
والناس أكيس من أن يمدحوا رجلاً ... حتى يروا عنده آثار إحسان

قال السمعاني: سمعت أبا العلاء أحمد بن محمد بن الفضل الحافظ: ذكر أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي، سمعت أبا بكر محمد بن أحمد بن عبد الباقي الدقاق المعروف بابن الخاضبة يقول: لما كانت سنة الغرق وقعت داري على قماشي وكتبي وكان لي عائلة: والوالدة والزوجة والبنت، فكنت أورق الناس وأنفق على الأهل، فأعرف أنني كتبت صحيح مسلم في تلك السنة سبع مرات، فلما كان ليلة من الليالي رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت، ومناد ينادي: ابن الخاضبة، فأحضرت فقيل لي: ادخل الجنة، فلما دخلت الباب وصرت من داخل استلقيت على قفاي ووضعت إحدى رجلي على الأخرى وقلت: آه استرحت والله من النسخ.
قال السمعاني: وسمعت أبا المناقب محمد بن حمزة بن إسماعيل العلوي بهمذان مذاكرة يقول: ذكر أبو بكر بن الخاضبة رحمه الله أنه كان ليلة من الليالي قاعداً ينسخ شيئاً من الحديث بعد أن مضى قطعة من الليل قال: وكنت ضيق اليد فخرجت فأرة كبيرة وجعلت تعدو في البيت وإذا بعد ساعة قد خرجت أخرى وجعلا يلعبان بين يدي ويتقافزان إلى أن دنوا من ضوء السراج، وتقدمت إحداهما إلي وكانت بين يدي طاسة فأكببتها عليها، فجرى صاحبه فدخل سربه، وإذا بعد ساعة قد خرج وفي فيه دينار صحيح وتركه بين يدي فنظرت إليه وسكت واشتغلت بالنسخ ومكث ساعة ينظر إلي فرجع وجاء بدينار آخر، ومكث ساعة أخرى وأنا ساكت أنظر وأنسخ فكان يمضي ويجئ إلى أن جاء بأربعة دنانير أو خمسة – الشك مني – وقعد زماناً طويلاً أطول من كل نوبة، ورجع ودخل سربه وخرج وإذا في فيه جليدة كانت فيها الدنانير وتركها فوق الدنانير، فعرفت أنه ما بقي معه شيء، فرفعت الطاسة فقفزا فدخلا البيت وأخذت الدنانير وأنفقتها في مهم لي، وكان في كل دينار دينار وربع.
قال السمعاني: حكى أبو المناقب العلوي هذا أو معناه، فأني كتبت من حفظي والعهدة عليه فيما حكى وروى. فإني ذاكرت بهذه الحكاية بعض أهل العلم بدمشق فنسبها إلى غير ابن الخاضبة والله أعلم.
قال: وسمعت أبا الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن علي السلامي يقول: سمعت أبا بكر بن الخاضبة يحكي هذه الحكاية عن مؤدبة أبي طالب المعروف بابن الدلو، كان يسكن بنهر طابق وكان رجلاً صالحاً. وحكى

عنه حكايات أخر أيضاً في إجابة الدعاء، ولم يحكها ابن الخاضبة عن نفسه، فذهبت على أبي المناقب ولم يكن ضابطاً، كان متسائلاً في الرواية.

قال مؤلف هذا الكتاب: وهذه حكاية على ما يرى من الاستحالة، وقد أوردتها أنا لثقة موردها وتحريه في الرواية، فإن صحت فقد فرت بخط من العجب، وإلا فاجعلها كالسمر تستمتع به.

قال السمعاني: وأنشدني أبو صالح عبد الصمد بن عبد الرحمن الحنوي، أنشدنا محمد بن أحمد بن عبد الباقي الدقاق، أنشدنا أبو علي إسماعيل بن قلية ببيت المقدس:

كتبت إليك إلى الكتاب ... وأودعته منك حسن الخطاب

لتقرأه أنت لا بل أنا ... وينفذ مني إلى الجواب

قال مؤلف الكتاب: إنما ذكرت ابن الخاضبة في كتابي هذا وإن لم يكن ممن اشتهر بالأدب لأشياء منها: أنه كان قارئاً ورافاً، وله حكايات ممتعة، ولم يكن بالعاري من الأدب بالكلية.

محمد بن أحمد الكركانجي

بن علي بن حامد الكركانجي أبو نصر المروزي من أهل مرو، صاحب أبي الحسين الدهان. مات فيما ذكره السمعاني في المذيل عن ابنه عبد الرحمن الكركانجي قال: توفي الإمام الوالد في ثاني عشر ذي الحجة سنة أربع وثمانين وأربعمائة، وهو ابن نيف وتسعين سنة، ومولده في حدود سنة تسعين وثلاثمائة بمرو. قال: كان إماماً فاضلاً في علوم القرآن صاحب التصانيف الحسنة فيها، مثل كتاب المعول، وكتاب التذكرة لأهل البصرة وغير ذلك، سافر الكثير إلى العراق والحجاز والجزيرة والشام والسواحل في طلب علم القرآن والقراءة على المشايخ إلى أن صار أوحد عصره وفريد دهره في فنه، وكان مع فضله زاهداً ورعاً متديناً. قال: حكى لي بعض المشايخ أن أبا بصر المقرئ المروزي قال: غرقت نوبة في البحر وانكسر المركب، فكنت أخوض في الماء وتلعب بي الأمواج، فنظرت إلى الشمس وقد زالت ودخل وقت الظهر، فغصت في الماء ونويت أداء فرض الظهر وأنا أنزل في الماء، وشرعت في الصلاة على حسب الوقت، فخلصني الله تعالى ببركة ذلك.

وقرأ القرآن على جماعة كثيرة: منهم بمرو على أستاذه أبي الحسين عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الدهان المقرئ، وبنيسابور على أبي عبد الله محمد بن علي الخبازي، وأبي عثمان سعيد بن محمد المعدل، وببغداد على أبي الحسن علي بن أحمد بن عمر بن حفص بن الحمامي، وذكر غير هؤلاء قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الرزاق المقرئ بسرخس يقول: سمعت أستاذي أبا نصر محمد بن أحمد بن علي المقرئ الكركانجي بجيرنج يسأل ويقول: أين في القرآن كلمة متصلة عشرة أحرف؟ فأفخمنا فقال: (ليستخلفهم في الأرض)، ثم قال: فأين جاء في القرآن بين سبع كلمات ثمان نونات؟ فلم نحر جواباً فقال: (إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون، نحن نقص عليك).

وذكر السمعاني بإسناد آخر أن أبا نصر الكركانجي قال: نصف القرآن في قوله تعالى: (لقد جئت شيئاً نكراً)، النون والكاف من النصف الأول والراء والألف من النصف الثاني. قال: وسمعت المقرئ أبا عبد الله محمد بن عبد الرزاق الحداد بسرخس يقول: سمعت المقرئ أبا نصر محمد بن أحمد الكركانجي بجيرنج يقول:

أردت أن أقرأ القرآن على بعض القراء بالشام برواية وقعت له عالية فامتنع علي ثم قال لي: تقرأ على كل يوم عشراً وتدفع إلى مثقالاً من الفضة، فقبلت ذلك منه شئت أو أبيت. قال: فلما وصلت إلى المفضل، أذن لي كل يوم في قراءة سورة كاملة، وكنت أرسل غلماني في التجارة إلى البلاد، وأقمت عنده سنة وخمسة أشهر أو سنة حتى ختمت، واتفق أن لم يرد علي في هذه الرواية خلافاً من جودة قراءتي، فلما قرب أن أخيم الكتاب جمع أصحابه الذين قرؤوا عليه في البلاد القريبة منه وأمرهم أن يحمل إلى كل واحد منهم شستكة قيمتها ديناراً أحمر، وفيها من دينارين إلى خمسة وقال لهم المقرئ: اعلموا أن هذا الشاب قرأ على الرواية الفلانية ولم احتج أن أرد عليه، ووزن لي في كل يوم مثقالاً من الفضة وأردت أن أعرف حرصه في القراءة مع الجودة. ورد على ما كان أخذه مني ودفع إلى كل ما حمله أصحابه من الشستاك والذهب فامتنعت، فأظهر الكراهية حتى أخذت ما أشار إليه وخرجت من تلك البلدة.

محمد بن أحمد الأيبوردي الكوفي

أحد قراء أيبورد. هو أبو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد أبي العباس أحمد بن إسحاق بن أبي العباس محمد الإمام بن إسحاق بن الحسن أبي الفتيان بن أبي مرفوعة منصور بن معاوية الأصغر بن محمد بن أبي العباس عثمان بن عنبسة بن عتبة بن عثمان بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. نقلت هذا النسب من تاريخ جمعه منوجهر بن أسفرسيان بن منوجهر، ابتدأه فيما ذكر لي في أوله من بعد ما ذكره الوزير أبو شجاع فقال فيه عند ذكر الأيبوردي: حكى أنه كان من أيبورد ولم يعرف له هذا النسب، وأنه كان ببغداد في خدمة مؤيد الملك ابن نظام الملك، فلما عادى مؤيد الملك عميد الدولة بن منوجهر ألزمه أن يهجوه ففعل، فسعى عميد الدولة إلى الخليفة بأنه قد هجاك ومدح صاحب مصر، فأبيح دمه فهرب إلى همذان واختلق هذا النسب حتى ذهب عنه ما قرف به من مدح صاحب مصر، وكان يكتب على كتبه المعاوي وكان فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية نسابة ليس مثله، متكبراً عظيماً. وسمع سنقر كفجك بخبره فأراد أن يجعله طغرائي الملك أحمد فمات أحمد فرجع إلى أصفهان بحال سيئة، وبقي سنين يعلم أولاد زين الملك برسق ثم شرح سنقر الكفجك للسلطان محمد ذلك وأعطاه أشراف المملكة، وكان يدخل مع الخطير وأبي إسماعيل والمعين وشرف الدين، فتوفي فجأة بأصفهان يوم الخميس العشرين من شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسمائة وكذا ذكر ابن منده. ويقال: سقاه الخطير ودفن بباب دبره، وكان كبير النفس عظيم الهمة، لم يسأل أحداً شيئاً قط مع الحاجة والمضايقة، وكان من دعائه في الصلاة: اللهم ملكني مشارق الأرض ومغربها، ورثى الحسين عليه السلام بقصيدة قال فيها ومن خطه نقلت:

فجدي وهو عنبسة بن صخر ... برئ من يزيد ومن زياد

قال السمعاني: قال شيرويه: سمع الأيبوردي إسماعيل ابن مسعدة الجرجاني، عبد الوهاب بن محمد بن الشهيد، وأبا بكر بن خلف الشيرازي حديثاً واحداً، وأبا محمد الحسن ابن أحمد السمرقندي وعبد القاهر الجرجاني النحوي.

قال ابن طاهر المقدسي: عنبسة الأصغر بن عتبة الأشراف ابن عثمان بن عنبسة الأكبر بن أبي سفيان قال:

ومعاوية الأصغر هو الذي ينتسب إليه الأبيوردي، ومعاوية أول من تدبر كوفن وهي قصبة بين نسا وأبيورد، ونقله إليها حبان بن حكيم العابدي. وكتب مرة قصة إلى الخليفة وكتب على رأسها الخادم المعاوي، يعني معاوية بن محمد بن عثمان لا معاوية بن أبي سفيان، فكره الخليفة النسبة إلى معاوية واستبشعها، فأمر بكشط الميم ورد القصة فبقيت الخادم العاوي.

وحدث السمعاني عن أحمد بن سعد العجلي قال: كان السلطان نازلاً على باب همذان فرأيت الأديب الأبيوردي راجعاً من عندهم فقلت: له من أين؟ فأنشأ يقول ارتجالاً:

ركبت طرفي فأذرى دمعه أسفاً ... عند انصرافي منهم مضمر الياس

وقال حتام تؤذيني فإن سنحت ... جوانح لك فاركبني إلى الناس؟

وحدث أبو سعد السمعاني عن أبي علي أحمد بن سعيد العجلي المعروف بالبديع قال: سمعت الأبيوردي يقول في دعائه: اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها، فقلت له: أي شيء هذا الدعاء؟ فكتب إلي بهذه الأبيات:

يعيرني أخو عجل إبائي ... على عدم وتيهي واختيالي

ويعلم أنني فرط لحي ... حموا خطط المعالي بالعوالي

فلست بحاصن إن لم أزرها ... على نهل شبا الأسل الطوال

وإن بلغ الرجال مدای فيما ... أحاول فلست من الرجال

قال أبو علي العجلي: وكنت يوماً متكسراً فأردت أن أقوم فعضدني الأبيوردي وعاونني على القيام ثم قال: أموياً يعضد عجلياً كفى بذلك شرفاً. وقد ولى الأبيوردي خزن خزانة دار الكتب بالنظامية التي ببغداد بعد القاضي أبي يوسف يعقوب بن سليمان الأسفرايني، وكانت وفاة الأسفرايني هذا في رمضان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة، وكان أبو يوسف الأسفرايني أيضاً شاعراً أديباً وهو القائل في بهاء الدولة منصور بن مزيد صاحب حلة بني مزيد:

أيا شجرات النيل من يضمن القرى ... إذا لم يكن جار الفرات ابن مزيد

إذا غاب منصور فلا النور ساطع ... ولا الصبح بسام ولا النجم مهتدي

وحدث العماد محمد بن حامد الأصبهاني في كتاب خريدة القصر: الأبيوردي تولى في آخر عمره أشراف مملكة السلطان محمد بن ملشكاه فسقوه السم وهو واقف عند سرير السلطان فخانته رجلاه فسقط وحمل إلى منزله فقال:

وقفنا بحيث العدل مد رواقه ... وخيم في أرجائه الجود والباس

وفوق السرير ابن الملوك محمد ... تخر له من فرط هيبته الناس

فخامرني ما خانني قدمي له ... وإن رد عني نفرة الجأش إيناس

وذاك مقام لا نوفيه حقه ... إذا لم ينب فيه عن القدم الراس

لئن عثرت رجلي فليس لمقولي ... عثار وكم زلت أفاضل أكياس

قال العماد الأصبهاني: وكان – رحمه الله – عفيف الذيل غير طفيف الكيل، صائم النهار قائم الليل، متبحراً

في الأدب، خبيراً بعلم النسب، وأورد له صاحب وشاح الدمية فيه:

من أرتجي وإلى من ينتهي أربي ... ولم أطأ صهوات السبعة الشهب؟

يا دهر هبني لا أشكو إلى أحد ... ما ظل منتهساً شكوى من النوب

تركتني بين أيدي النائبات لقى ... فلا على حسبي تبقى ولا نسبي

يريك وجهي بشاشات الرضا كرماً ... والصدر مشتمل مني على الغضب

إن هزني اليسر لم أنهض على مرح ... أو مسني الضر لم اجثم على الكعب

حسب الفتى من غناه سد جوعته ... وكل ما يقتنيه نهزه العطب

وله:

خليلي إن الحب ما تعرفانه ... فلا تنكرا أن الحنين من الوجد

أحن وللأنضاء بالغور حنة ... إذا ذكرت أوطانها بريا نجد

وله:

خطرت لذكرك يا أميمة خطرة ... بالقلب تجلب عبرة المشتاق

وتذود عن قلبي سواك كما أبى ... دمعي جواز النوم بالآماق

لم يبق مني الحب غير حشاشة ... تشكو الصبابة فاذهبي بالباقي

أيبل من جلب السقام طبيبه ... ويفيق من سحرته عين الراقي؟

إن كان طرفك ذاق ريقك فالذي ... ألقى من المسقي فعل الساقي

نفسي فداؤك من ظلوم أعطيت ... رق القلوب وطاعة الأحداق

فلقلة الأشباه فيما أوتيت ... أضحت تدل بكثرة العشاق

وله:

علاقة بفؤادي أعقبت كمدا ... لنظرة بمنى أرسلتها عرضا

وللحجيج ضجيج في جوانبه ... يقضون ما أوجب الرحمن وافترضا

فأيقظ القلب رعباً ما جنى نظري ... كالصقر نداه طل الليل فانتفضا

وقد رمتني غداة الخيف غانية ... بناظر إن رمى لم يخطئ الغرضا

لما رأى صاحبي ما بي بكى جزعاً ... ولم يجد بمنى عن خلتي عوضا

وقال دع يا فتى فهر فقلت له ... يا سعد أودع قلبي طرفها مرضا

فبت أشكو هواها وهو مرتفق ... يشوقه البرق نجديا إذا ومضا

تبدو لوامعه كالسيف مختضباً ... شباه بالدم أو كالعرق إن نبضا

ولم يطق ما أعانيه فغادرني ... بين النقا والمصلي عندها ومضى

وقرأت من خط تاج الإسلام اختلاف في نسبه وهو محمد بن أحمد بن محمد بن إسحاق بن الحسن بن منصور بن معاوية ابن محمد بن عمثان بن عتبة بن عنبسة بن أبي سفيان صخر بن حرب، الأموي العبشمي، أوحد

عصره وفريد دهره في معرفة اللغة والأنساب وغير ذلك، وأليق ما وصف به بيت أبي العلاء المعري:
وإني وإن كنت الأخير زمانه ... لآت بما لم تستطعه الأوائل

وله تصانيف كثيرة منها كتاب تاريخ أيبورد ونسا، كتاب المختلف والمؤتلف، كتاب قبسة العجلان في نسب آل أبي سفيان، كتاب نهزة الحافظ، كتاب المجتبي من المجتمى في رجال، كتاب أبي عبد الرحمن النسائي في السنن المأثورة وشرح غريبة، كتاب ما اختلف وائتلف في أنساب العرب، كتاب طبقات العلم في كل فن، كتاب كبير في الأنساب، كتاب تعلة المشتاق إلى ساكني العراق، كتاب كوكب المتأمل يصف فيه الخيل، كتاب تعلة المقرور في وصف البرد والنيران وهمذان، كتاب الدرة الثمينة، كتاب صهلة القارح رد فيه على المعري – سقط الزند – . وله في اللغة مصنفات ما سبق إليها، وكان حسن السيرة جميل الأمر منظرانياً من الرجال، سمع الحديث فأكثر، ولقي عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي وأخذ عنه. وروى عنه جماعة غير محصورة.
وقال السمعاني: سمعت أبا الفتح محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم النطنزي يقول: سمعت الأيبوردي يقول: كنت ببغداد عشرين سنة حتى أمرن طبعي على العربية، وبعد أنا أرتضخ لكنة. قال: وقرأت بخط يحيى بن عبد الوهاب ابن مندة: سئل الأديب الأبيوردي عن أحاديث الصفات فقال: نقر ونمر. وأنشد السمعاني للأيبوردي بإسناد:
جدي معاوية الأغر سمعت به ... جرثومة من طينها خلق النبي
وورثته شرفاً رفعت مناره ... فبنو أمية يفخرون به وبي
وأنشد له:
كفى أميمة غرب اللوم والعذل ... فليس عرضي حال بمبتذل
إن مسني العدم فاستبقي الحياء ولا ... تكلفني سؤال العصبة السفل
فشعر مثلي وخير القول أصدقه كان يفتر عن فخر وعن غزل
أما الهجاء فلا أرضي به خلقاً ... والمدح إن قلته فالمجد يغضب لي
وكيف أمدح أقواماً أوائلهم ... كانوا لأسلافي الماضين كالخول
وله أيضاً في مدح الأئمة الخمسة:
زاهر العود وطيبة ... ولياليه تشيبه
كل يوم من مكان ... يلبس الذل غريبه
وهو يسعى طالباً لل ... علم والهم يذيبه
وطوى برد صباه ... قبل أن يبلى قشيبه
وافتدى بالقوم يدعو ... ه هواه فيجيبه
خمسة لا يجد الحا ... سد فيهم ما يعيبه
منهم الجعفي لا يع ... رف في العلم ضريبه

وإذا اعتل حديث ... فالقشيري طبيبه
وأخونا ابن شعيب ... حازم الرأي صلبيه
وأبو داود موفو ... ر من الفضل نصيبه
وأبو عيسى يرى الجه ... مي منه ما يريبه
حاديهم ذو زجل يس ... تضحك الروض نحيبه
طار فيه البرق حتى ... خالط الماء لهيبه
وأنشد له:
تنكر لي دهري ولم يدر أنني ... أعز وأحداث الزمان تهون
فبات يريني الخطب كيف اعتداؤه؟ ... وبت أريه الصبر كيف يكون؟
وله في الغزل:
أعصر الحمى عد فالمطايا مناخة ... منزلة جرداء ضاح مقيلها
لئن كانت الأيام فيك قصيرة ... فكم حنة لي بعدها أستطيلها؟
وله:
رمتني غداة الخيف ليلى بنظرة ... على خفر والعيس صعر خدودها
شكت سقماً ألحاظها وهي صحة ... فلست ترى إلا القلوب تعودها
وله:
صلي يا ابنة الأشراف أروع ماجداً ... بعيد مناط الهم جم المسالك
ولا تتركيه بين شك وشاكر ... ومطر ومغتاب وباك وضاحك
فقد ذل حتى كاد ترحمه العدا ... وما الحب يا ظبياء إلا كذلك
ووجدت بعد ذلك رسالة – كتبها إلى أمير المؤمنين المستظهر بالله يعتذر – تدل على صحة ما نسب إليه من الهرب من بغداد نسختها:

إحسان المواقف المقدسة النبوية الإمامية الطاهرة الزكية الممجدة العلية، زاد الله في إشراق أنوارها، وإعزاز أشياعها وأنصارها، وجعل أعداءها حصائد نقمها، ولا سلب أولياءها قلائد نعمها، شمل الأنام، وغمر الخاص والعام، وأحق خدمها من انتهج المذاهب الرشيدة في الولاء الناصع، والتزام الشاكلة الحميدة في الثناء المتتابع، ولا خفاء باعتلاق الخادم أهداب الإخلاص، واستيجابة مزايا الاجتباء والاختصاص، لما أسلفه من شوافع الخدم، ومهده من أواصر الذمم، متوافراً على دعاء يصدره من خلوص اليقين، ويعد المواصلة به من مفترضات الدين، ولئن صدت الموانع عن المثول السدة المنيفة، والاستدراء بالجناب الأكرم في الخدمة الشريفة، فهو في حالتي دنوه منها واقترابه، وتارتي انتزاحه عنها واغترابه، على السنن القاصد في المشايعة مقيم، ولما يشمله من نفحات الأيام الزاهرة مستديم، وقد علم الله سبحانه – ولا يستشهده كاذباً إلا من كان لرداء الغي جاذباً – أنه مطوي الجنان على الولاء منطلق اللسان بالشكر والدعاء، يتشح بهما الصبح

كاشراً عن نابه، ويدرعهما الليل ناشراً سابغ جلبابه، وكان يغب خدمه اتقاء لقوم يبغونه الغوائل، وينصبون له الحبائل، وتدعوهم العقائد المدخولة إلى تنفيره، ويزنون عنه غير ما أجنه في ضميره، ولا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذماماً ويزيدهم الاستدراج على الجرائم جرأة وإقداماً، حتى استشعر وجلاً، فاتخذ الليل جملاً، والتحف بناشئه الظلماء، والفرار مما لا يطاق من سنن الأنبياء، ولم يزل يستبطئ فيهم المقادير، والأيام ترمز بما يعقب التبديل والتغيير، فحاق بهم مكرهم، وانقضت شرتهم وشرهم:

عذرت النرى لو خاطرتني قرومها ... فما بال أكاريه فدع القوائم؟

وعاود الخادم المثابرة على الممادح الإمامية مطنباً ومطيلاً إذ وجد إلى مطالعة مقار العز والعظمة ومواقف الإمامية المكرمة بها سبيلاً، وهذه فاتحة ما نظم، وانتهز فرصة الإمكان فيه واغتنم:

لك من غليل صبابتي ما أضمر ... وأسر من ألم الغرام وأظهر

وتذكري زمن العنيب يشفني ... والوجد ممنو به المتذكر

إذ لمتي سحماء مد على النقا ... أظلالها ورق الشباب الأخضر

والدتك النشأ الصغار وليس ما ... ألقاه فيك من الملاوم يصغر

هو ملعب شرفت بنا أرجاؤه ... إذ نحن في حلل الشبيبة نخطر

فبحر أنفاسي وصوب مدامعي ... أضحت معالمه تراح وتمطر

وأجيل في تلك المعهد ناظري ... فالقلب يعرفها وطرفي ينكر

وأرد عبرتي الجموح لأنها ... بمقيل سرك في الجوانح تخبر

فأبيت محتضر الجوى قلق الحشا ... وأظل اعذر في هواك وأعذر

غضبت قريش إذ ملكت مقادتي ... غضباً يكاد السم منه يقطر

وتعاودت عذلي فما أرعيتها ... سمعاً يقل به الكلام ويكثر

ولقد يهون على العشيرة أنني ... أشكو الغرام فيرقدون وأسهر

وبمهجتي هيفاء يرفع جيدها ... رشأ ويخفض ناظريها جؤذر

طرقت وأجفان الوشاة على الكرى ... تطوي وأردية الغياهب تنشر

والشهب في غسق الدجى كأسنة ... زرق يصافحها العجاج الأكدر

فنجاد سيفي مس ثنى وشاحها ... بمضاجع كرمت وعف المئزر

ثم افترقنا والرقيب يروع بي ... أسداً يودعه غزال أحور

والدر ينظم حين تضحك عقدة ... وإذا بكيت فمن جفوني ينثر

فوطئت خد الليل فوق مطهم ... تسمو لغايته الرياح فتحسر

طرب العنان كأنه في حضره ... نار بمعترك الجياد تسعر

والعز يلحفني وشائع برده ... حلق الدلاص وصارمي والأشقر

وعلام أدرع الهوان وموئلي ... خير الخلائق أحمد المستظهر؟

هو غرة الزمن الكثير شياته ... زهى السرير به وتاه المنبر
وله كما اطردت أنابيب القنا ... شرف وعرق بالنبوة يزخر

وعلا ترف على التقى وسماحة ... علق الرجاء بها وبأس يحذر
لا تنفع الصلوات من هو ساحب ... ذيل الضلال وعن هواه أزور
ولو استميلت عنه هامة مارق ... لدعا صوارمه إليها المغفر
والله يحرس بابن عم رسوله ... دين الهدى وبه يعان وينصر
فعفاته حيث الغنى يسع المنى ... وعداته حيث القنا يتكسر
وبسيبه وبسيفه أعمارهم ... في كل معضلة تطول وتقصر
وكأنه المنصور في عزماته ... ومحمد في المكرمات وجعفر
وإذا معد حصلت أنسابها ... فهم الذرا والجوهر المتخير
ولهم وقائع في العدا مذكورة ... ترى الذئاب حديثها والأنسر
والسمر في اللبات راعفة دماً ... والبيض يخضبها النجيع الأحمر
والقرن يركب ردعه سهل الخطا ... والأعوجية بالجماجم تعثر
ودجا النهار من العجاج وأشرقت ... فيه الصوارم فهو ليل مقمر
يا بن الشفيع إلى الحيا ما لامرئ ... طامنت نخوته، المحل الأكبر
أنا عبد نعمتك التي لا تجتدي ... معها السحائب فهي منها أغزر
والنجح يضمنها، لمن يرتادها ... منا الطلاقة والجبين الأزهر
ولقد عداني عن جنابك حادث ... أنحى علي به الزمان الأغبر
وإن اقتربت أو اغتربت فإنني ... لهج بشكر عوارف لا تكفر
وعلاك لي في ظلها ما أبتغى ... منها ومن كلمي لها ما يذخر
يسدي مديحك هاجسي وينيره ... فكري وحظي في امتداحك أوفر
بغداد أيتها المطي فواصلي ... عنقاً تئن له القلاص الضمر
إني وحق المستجن بطيبة ... كلف بها إلى ذراها أصور
وكأنني مما تسوله المنى ... والدار نازحة إليها أنظر
أرض تجر بها الخلافة ذيلها ... وبها الجباة من الملوك تعفر
فكأنها جلبت علينا جنة ... وكأن دجلة فاض فيها، الكوثر
وهواؤها أرج النسيم وتربها ... مسك تهاداه الغدائر أذفر
يقوي الضعيف بها ويأمن خائف ... قلقت وسادته ويثري المقتر
فتركتها إذ صدعني معشري ... وبغى علي من الأراذل معشر
من كل ملتحف بما يصم الفتى ... يؤذي ويظلم أو يجور ويغدر

فنفضت منه يدي مخافة كيده ... إن الكريم على الأذى لا يصبر
والأبيض المأثور يخطم بالردى ... من لا ينهنهه القطيع الأسمر
فارفض شملهم وكم من مورد ... للظالمين وليس عنه مصدر
وآبى لشعري أن أدنسه بهم ... حسبي وحسب ذوي الخنا أن يحقروا
قابلت سيئ ما أتوا بجميل ما ... آتى فإني بالمكارم أجدر
وإلى أمير المؤمنين تطلعت ... مدح كما ابتسم الرياض تحبر
ويقيم مائدهن ليل مظلم ... ويضم شاردهن صبح مسفر
فبمثل طاعته الهداية تبتغي ... وبفضل نائله الخصاصة تجبر

وله:

ألا ليت شعري هل تخب مطيتي ... بحيث الكثيب الفرد والأجرع السهل
ألذ به مس الثرى ويروقني ... حواشي ربا يغدو أزاهيرها الوبل
ولولا دواعي حب رملة لم أقل ... إذا زرت مغناها به سقى الرمل
فيا حبذا أثل العقيق ومن به ... وإن رحلت عنه فلا حبذا الأثل
ضعيفة رجع القول من ترف الصبا ... لها نظرة تنسيك ما يفعل النصل
وقد بعثت سراً إلى رسولها ... لأهجرها والهجر شيمة من يسلو
تخاف على الحي إذ نذروا دمي ... سأرخصه فيها على أنه يغلو
أيمنعي خوف الردى أن أزورها ... وأروح من صبري على هجرها القتل؟

إذا رضيت عني فلا بات ليلة ... على غضب إلا العشيرة والأهل

وله:

خطوب للقلوب بها وجيب ... تكاد لها مفارقنا تشيب
نرى الأقدار جارية بأمر ... يريب ذوي العقول بما يريب
فتنجح في مطالبها كلاب ... وأسد الغاب ضارية تخيب
وتقسم هذه الأرزاق فينا ... فما ندري أتخطى أم تصيب؟
ونخضع راغمين لها اضطراراً ... وكيف يلاطم الإشفي لبيب؟

وله:

وغادة لو رأتها الشمس ما طلعت ... والرئم أغضى وغصن البان لم يمس
عانقتها برداء الليل مشتملاً ... حتى انتبهت ببرد الحلى في الغلس
فظلت أحميه خوفاً أن ينبهها ... وأتقي أن أذيب العقد بالنفس

وله:

ومتشح باللؤم جاذبني العلا ... فقدمه يسر وأخرني عسر

وطوقت أعناق المقادير ما أتى ... به الدهر حتى ذل للعجز الصدر
ولو نيلت الأرزاق بالفضل والحجى ... لما كان يرجو أن يثوب له وفر
فيا نفس صبراً إن للهم فرجة ... فمالك إلا العز عندي أو القبر
ولي حسب يستوعب الأرض ذكره ... على العدم والأحساب يدفنها الفقر
وله أيضاً وهو من جيد شعره:
وعليلة الألحاظ ترقد عن ... صب يصافح جفنه الأرق
وفؤاده كسوارها حرج ... ووساده كوشاحها قلق
عانقتها والشهب ناعسة ... والأفق بالظلماء متسق
ولثمتها والليل من قصر ... قد كاد يلثم فجره الشفق
بمعانق ألف العفاف به ... كرم بأذيال التقى علق
ثم افترقنا حن فاجأنا ... صبح تقاسم ضوءه الحدق
وبنحرها من أدمعي بلل ... وبراحتي من نشرها عبق
وله:
بيضاء إن نطقت في الحي أو نظرت ... تقاسم السحر أسماع وأبصار
والركب يسرون والظلماء عاكفة ... كأنهم في ضمير القلب أسرار
وله:
وقصائد مثل الرياض أضعتها ... في باخل ضاعت به الأحساب
فإذا تناشدها الرواة وأبصروا ال ... ممدوح قالوا ساخر كذاب
وله:
ما للجبان ألان الله ساحته ... ظن الشجاعة مرقاة إلى الأجل
وكم حياة جبتها النفس من تلف ... ورب أمن حواه القلب من وجل
فقت الثناء أبلغ مداك به ... حتى توهمت أن العجز من قبلي
والعي أن يصف الورقاء مادحها ... بالطوق أو يمدح الأدماء بالكمل
وله:
وقد سئمت مقامي بين شرذمة ... إذا نظرت إليهم قطبت همي
أراذل ملكوا الدنيا وأوجههم ... لم يكشف الفقر عنها بهجة النعم
وله:
ألام على نجد وأبكي صبابة ... رويدك يا دمعي ويا عاذلي رفقا
فلي بالحمى من لا أطيق فراقه ... به يسعد الواشي ولكنني أشقى
وأكرم من جيرانه كل طارئ ... يود وداداً أنه من دمي يسقى
إذا لم يدع مني نواه وحبه ... سوى رمق يا أهل نجد فكم يبقى؟

ولولا الهوى مالان للدهر جانبي ... ولا رضيت مني قريش بما ألقى

قرأت بخط محمد بن عبيد الله الشاعر المعروف بابن التعاويذي قال: حدثني الشيخ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب قال: حدثني الشيخ أبو منصور بن الجواليقي قال: كنت أقرأ على أبي زكريا شعر أبي دهبل الجمحي حتى وصلت إلى هذا البيت:

يجول وشاحاها ويغرب حجلها ... ويشبع منها وقف عاج ودملج

قال: فقلت له: وصفها بقوله يجول وشاحها بأنها هضيمة الحشا، وبقوله: ويشبع منها وقف عاج ودملج: أنها عبلة الزند والعضد، فما معنى قوله ويغرب حجلها؟ فقال لا أدري، وكان الأبيوردي حاضراً فلما قمت من عنده قال لي الأبيوردي: أتحب أن تعرف معنى هذا البيت؟ قلت نعم. فقال اتبعني، فمضيت معه إلى بيته فأجلسني وأخرج سلة فيها جزاز فجعل يطوفها إلى أن أخرج ورقة فنظر فيها وقال لي: إنه مدح امرأة من آل أبي سفيان، هم يوصفون بأنهم سته حمش. والحمش: رقة السافين. ومن افتخاراته قوله:

يا من يساجلني وليس بمدرك ... شأوى وأين له جلالة منصبي؟

لا تتبعن فدون ما أملته ... خرط القتادة وامتطاء الكوكب

المجد يعلم أينا خير أبا؟ ... فاسأله تعلم أي ذي حسب أبي

جدي معاوية الأغر سمت به ... جرثومة من طينها خلق النبي

وورثته شرفاً رفعت مناره ... فبنوا أمية يفخرون به وبي

قال عبد الله بن علي التميمي: ولقد حصل للأبيوردي بعد ما تراه من شكوى الزمان في أشعاره مما انتجعه بالشعر من ملوك خراسان ووزرائها وخلفاء العراق وأمرائها ما يحصل للمتنبئ في عصره، ولابن هانئ في مصره، فمن ذلك ما حدثنيه القاضي أبو سعد محمد بن عبد الملك بن الحسن النديم: أن أفضل الدولة الأبيوردي لما قدم الحلة على سيف الدولة صدقة ممتدحاً له – ولم يكن قبلها اجتمع به قط – خرج سيف الدولة لتلقيه قال: وكنت فيمن خرج فشاهدت الأبيوردي راكباً في جماعة كثيرة من أتباعه، منهم من المماليك الترك ثلاثون غلاماً ووراءه سيف مرفوع وبين يديه ثمان جنائب بالمراكب والسرفسارات الذهب، وعددنا ثقله فكان على أحد وعشرين بغلاً، وكان مهيباً محترماً جليلاً معظماً لا يخاطب إلا بمولانا، فرحب به سيف الدولة، وأظهر له من البر والإكرام ما لم يعهد مثله في تلقي أحد ممن كان يتلقاه، وأمر بإنزاله وإكرامه والتوفر على القيام بمهامه، وحمل إليه خمسمائة دينار وثلاثة حصن وثلاثة أعبد، وكان الأبيوردي قد عزم على إنشاد سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها:

وفي أي عطفيك النفت تعطفت ... عليك به الشمس المنيرة والبدر

في يوم عينه. ولم يكن سيف الدولة أعد له بحسب ما كان في نفسه أن يلقاه به ويجيزه على شعره، واعتذر إليه ووعده يوماً غير ذلك اليوم ليعد ما يليق بمثله إجازته مما يحسن به بين الناس ذكره، ويبقى على ممر الأيام أثره، فاعتقد أفضل الدولة أن سيف الدولة قد دافعه عن سماعه منه استكباراً لما يريد أن يصله به ثانياً، فأمر الأبيوردي أصحابه أن يعبروا ثقله الفرات متفرقاً في دفعات، وخرج من غير أن يعلم به أحد سوى ولد أبي

طالب بن حبش فإنه سمعه ينشد على شاطئ الفرات حين عبوره:

أبابل ولا واديك بالخبر مفعم ... لراج ولا ناديك بالرفد آهل

لئن ضقت عني فالبلاد فسيحة ... وحسبك عاراً أنني عنك راحل

فإن كنت بالسحر الحرام مدلة ... فعندي من السحر الحلال دلائل

قواف تعير الأعين النجل سحرها ... وكل مكان خيمت فيه بابل

فبادر ولد أبي طالب إلى سيف الدولة فقال له: رأيت على شاطئ الفرات فارساً يريد العبور إلى الشرق وهو ينشد هذه الأبيات. فقال سيف الدولة: وأبيك ما هو إلا الأيبوردي، فركب لوقته في قل من عسكره، فلحقه فاعتذر، وسأله الرجوع وعرفه عذره في امتناعه من سماع شعره، وأمر بإنزاله في داره معه، وحمل إليه ألف دينار، ومن الخيل والثياب ما يزيد على ذلك قيمة.

قال عبيد الله التيمي: أنشدني أبو إسحاق يحيى بن إسماعيل المنشئ الطغرائي قال: سمعت والدي ينشد لنفسه مرتية للأيبوردي:

إن ساغ بعدك لي ماء على ظمإ ... فلا تجرعت غير الصاب والصبر

أو إن نظرت من الدنيا إلى حسن ... مذ غبت عني فلا متعت بالنظر

صحبتني والشباب الغض ثم مضى ... كما مضيت فما في العيش من وطر

هبني بلغت من الأعمار أطولها ... أو انتهيت إلى آمالي الكبر

فكيف لي بشباب لا ارتجاع له ... أم أين أنت فما لي منك من خبر؟

سبقتماني ولو خيرت بعد كما ... لكنت أول لحاق على الأثر

محمد بن أحمد بن طاهر بن حمد

أبو منصور الخازن لدار الكتب القديمة، من ساكني درب منصور بالكرخ، مات في ثالث عشر شعبان سنة عشرة وخمسمائة ذكر ذلك ابن الجوزي وقال: كان أديباً فاضلاً نحوياً، وخطه موجود بأيدي الناس كثير يرغب فيه ويعتمد غالباً عليه، وكان أبو السعادات بن الشجري النحوي والنقيب حيدرة كثيراً ما يستكتبانه، سمع علي بن المحسن التنوخي، وابن غيلان وغيرها. وكان علي فقيها على مذهب الشيعة، ووجدت سماعه على كتاب بخطه في سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة.

وحدث غرس النعمة أبو الحسن محمد بن الصابئ في كتاب الهفوات قال: كان بدار العلم التي وقفها سابور بن أزدشير الوزير خازن يعرف بأبي منصور، واتفق بعد ذلك بسنين كثيرة من وفاة سابور أن آلت مراعاة الدار إلى المرتضى أبي القاسم علي بن الحسن الموسوي نقيب الطالبيين، فرتب معه آخر يعرف بأبي عبد الله بن حمد مشرفاً عليه وكان داهية، فصمد لأبي منصور كيداً ومكراً فصار يتلهى به دائماً. فمن ذلك أنه قال له يوماً: قد هلكت الكتب وذهب معظمها. فقال له وانزعج: بأي شيء؟ قال: بالبراغيث وعيثهم فيها وعبثهم بها. قال: فما تفعل في ذلك؟ قال: تقصد الأجل المرتضي وتطالعه بالحال وتسأله إخراج شيء من دوائهم المعد عنده لهم لننشره بين الورق ويؤمن الضرر، فمضى إلى المرتضى وخدمه. وقال له بسكون

ووقار، ومن طريق النصح والاحتياط: يتقدم سيدنا إلى الخازن بإخراج شيء من دواء البراغيث، فقد أشرفت الكتب على الهلاك بهم، لنتدارك أمرهم بتعجيل إخراج الدواء المانع لهم المبعد لضررهم. فقال المرتضي: البراغيث البراغيث مكرراً، لعن الله ابن حمد، فأمره كله طنز وهزل، قم أيها الشيخ مصاحباً ولا تسمع لابن حمد نصيحة ولا قولاً.

قال المؤلف: هكذا وجدت هذا الخبر، وقد وافق رواية ابن الجوزي في كون ابن حمد خازن الكتب بين السورين وفي مقاربة العصر وخالفه في الكنية، ولا أدري هل هو هذا أو غيره؟ أو قد غلط أحدهما في الكنية والله أعلم. ثم وقفت على المذيل الذي للسمعاني بخطه على حاشيه ملحقة أن محمد بن عطاف الموصلي سأل أبا منصور بن حمد الخازن عن مولده فقال: سنة ثماني عشرة وأربعمائة. قال: وسأله فقال: سنة سبع عشرة وأربعمائة، وهذا يدل على أن هذه الحكاية ليست عنه، لأن المرتضى مات سنة ست وثلاثين وأربعمائة، فيكون حينئذ قد كان ابن حمد ابن ثماني عشرة سنة، فيستحيل أن تكون الحكاية عنه وعساها عن أبيه، عز وجل أعلم بالصواب.

محمد بن أحمد بن جرامرد الشيرازي

أبو بكر القطان النحوي، شيخ أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد الخشاب ومخرجه ومؤدبه وعنه أخذ النحو، قرأ ابن جرامرد على علي بن فضال المجاشعي القيرواني وعلى غيره، وسمع الحديث ورواه، ومات بعد سنة عشرة وخمسمائة. قال الشيخ أبو محمد بن الخشاب فيما قرأته بخطه: كان في أبي علي الحسن بن علي المحولي شيخنا سلامة صدر. ولقد كان شيخنا أبو بكر محمد بن جرامرد الشيرازي المعروف بالقطان – رحمه الله – يولع به وبغيره كثيراً، فكان يقول معرضاً به وبغيره ممن هو أعلى منه منزلة وأرفع ذكراً وأبعد صيتاً، فكان من قوله ما عبر عن البلادة والجمود بأحسن من قولهم هو ثقة، وله أعني الشيخ أبا بكر مع هذا المحولي نوادر أقاصيص لا أطول بذكرها.

محمد بن أحمد بن حمزة بن جيا

أبو الفرج من أهل الحلة المزيدية يلقب شرف الكتاب، كان نحوياً لغوياً فطناً شاعراً مترسلاً، شعره ورسائله مدونة. قدم بغداد فقرأ على النقيب أبي السعادات هبة الله بن الشجري النحوي وأخذ عنه، ثم أخذ بعده عن أبي محمد بن الخشاب، وسمع الحديث على القاضي أبي جعفر عبد الواحد بن الثقفي، وأصله ومولده من مطيراباذ وصحب ابن هبيرة الوزير. وله رسائل مدونة عملها أجوبة لرسائل أبي محمد القاسم بن الحريري.

حدثني أبو علي القيلوي قال: أنا رأيته. ومات في سنة تسع وسبعين وخمسمائة وقد نيف على الثمانين.

أنشدني ابن الدبيثي قال: أنشدني أبو الثناء محمود بن عبد الله بن المفرج الحلي قال: أنشدني شرف الكتاب أبو الفرج محمد ابن أحمد بن جيا لنفسه:

حتام أجرى في ميادين الهوى ... لا سابق أبداً ولا مسبوق
ما هزني طرب إلى أرض الحمى ... إلا تعرض أجرع وعقيق

شوق بأطراف البلاد مفرق ... نحوي، شتيت الشمل منه فريق
ومدامع كفلت بعارض مزنة ... لمعت لها بين الضلوع بروق
فكأن جفني بالدموع موكل ... وكأن قلبي للجوى مخلوق
قدم الزمان، فصار شوقي عادة ... فليتركن دلاله المعشوق
قد كان في الهجران ما يزع الهوى ... لو يستفيق من الغرام مشوق
لكنني آبى لعهدي أن يرى ... بعد الصفاء وورده مطروق
إن عادت الأيام لي بطويلع ... أو ضمني والنازحين طريق
لأنبهن على الغرام بزفرتي ... ولتطربن بما أبث النوق

حدثني أبو علة القيلوي قال: سمعت شرف الكتاب يحدث أنه كان يوماً في مجلس الوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فجاءه فراش من دار الخلافة وحدثه بمحضري شيئاً كان يحب كتمانه من كل أحد. قال: واتفق خروج الفراش وقد اجتمع عنده الناس فشغل بهم عني، وقمت أنا وخرجت ومضيت فما وصلت باب العامة حتى جاءني من ردني إلى حضرته، فلما وقفت بين يديه قلت: أحسن الله إلى مولانا الوزير وأدام أيامه. بيت الحماسة؟ فقال نعم، امض بارك الله فيك، كذا الظن بمثلك. قال وخرجت من عنده ولم يفهم أحد شيئاً مما جرى بيننا، وإنما أردت قول شاعر الحماسة:

وفتيان صدق لست مطلع بعضهم ... على سر بعض غير أني جماعها

ومن شعره:

أما والعيون النجل تصمي نبالها ... ولمع الثنايا كالبروق تخالها
ومنعطف الوادي لأرج نشره ... وقد زار في جنح الظلام خيالها
وقد كان في الهجران ما يزع الهوى ... ولكن شديد في الطباع انتقالها

ومنها:

أيا ابنالألى جادوا وقد بخل الحيا ... وقادوا المذاكي والدماء نعالها
ذد الدهر عني من رضاك بعزمة ... معودة ألا يفل رعالها

ووجدت بخط بعض بني معية العلويين الحسينين: أنشدني الشيخ أبو الفرج ابن جيا الكاتب لنفسه:

قل لحادي عشر البروج أبا العا ... شر منها، رب القرون الثاني
يا ابن شكران ضلة لزمان ... صرت فيه تعد في الأعيان
ليس طبي ذم الزمان ولكن ... أنت أغريتني بذم الزمان

ومن كلامه في جواب رسالة لابن الحريري كتبها إلى سديد الدولة بن الأنباري يشكره: سيدنا الشيخ الإمام في توالي مباره، والقصور مني عن تأدية حقه وإيفائه، كمن يقرض غريماً مع عسرته، ويتكثر بمن أفراده

الزمان عن أهله وأسرته، فهلا اقتصر بي من دينه على ما تقادم عهده، ولم يشفعه بطول أضعف قوى شكري وكان مستحكماً عقدة:

أنت امرؤ أو ليتني مناً ... أوهت قوى شكري فقد ضعفا

فإليك بعد اليوم معذرتي ... لاقتك بالتصريح منكشفا

لا تسدين إلى عارفة ... حتى أقوم بشكر ما سلفا

فأما ما يعزوه إلي من البراعة وحسن الصناعة، ويقرره من إحسان كان الطي أولى به من الإذاعة، فتلك حال إن ثبت فيها الدعاوى، واتفق على صحة نقلها المخالف والموالي، فإنما جريت إليها بجيادهن التوالي لسوابقه، الصوادي إلى مناهل حقائقه، وأين الرذايا بعد ذلك من السابقات؟. والمقصرة من اللاحقات؟ والمقرفة من كريمات المناسب؟ والمكدية مطالبها من نجيحات المكاسب:

سبقت إلى الآداب أبناء دهرنا ... فبؤت بعادي على الدهر أقدم

وليست كما أبقت ضبيعة اضخم ... وليست كما سادت قبائل جرهم

ولكن طوداً لم يحلحل رسيه ... وفارعة قعساء لم تتسنم

إذا ما بناء شاده الفضل والتقى ... تهدمت الدنيا ولم يتهدم

فالله تعالى يحرس عليه ما خوله من هذه الخصائص النفسية والمنح الشريفة، ولا تعدم القلوب الراحة بمحاضرته، كما لم يخله من النصر إذا أشرع رماح الجدل يوم مناصرته بمنه وجوده. فأما اعتذاره عن إنفاذ ذلك التأليف، وإنكاره للفراغ منه بعد التعريف، فما يخفى ما وراء ذلك من المغالطة، وما يقصده في كل وقت من قطع حبال المباسطة، ولولا أن المعاتبة إذا حقت فلما يسلم معها وداد، ويجود في مطاويها من الصفاء عهاد:

لأرسلتها مقطوعة العقل تغتدي ... شوارد قد بالغن في الجولان

قوارص تبقى ما رأى الشمس ناظر ... وما سمعت من سامع أذنان

لكن المقصود ما عاد بإجمام خاطره وصفاء مشاربه، وألا أكون عليه عوناً للدهر ونوائبه، ولا سيما وقد رأيت الصبر على فعاله أيسر من الصبر على ترك وصاله، فأما الملحة فإنني وجدتها عند الوصول كما سماها، غريبة في لفظها ومعناها، عارية من لبسة التكلف بعيدة عن التصنع تقتاد القلوب بأزمتها، وما كان أولاه لو قرنها إلى ذلك العقد المكنون والدر المصون، فكانت النعمى تكمل، والمسرة تشمل، وهأنا أرتقب لذلك السمط أن تؤلف فرائده، وتجمع بدائده، وأنتظر لوصوله يوماً تقل همومه وتكثر حواسده، فما ذاك بمتعذر عليه متى رامه، ولا بمعوزه إن سرح سوام الفكر فيه وشامه، ولرأيه في ذلك ومعرفته، وإنجاز الوعد جرياً على كريم عادته، مزيد من علاء لا يطرأ الأفول على أهلته، إن شاء الله تعالى وحده.

محمد بن أحمدالزاهري

بن سليمان الزاهري أبو عبد الله الأندلسي، رجل فاضل وأديب كامل متقن، سمع الحديث الكثير ببغداد من ابن كليب وابن بوش وغيرهما فأكثر، وكتب بخطه الكثير وصنف، ولقيته ببغداد وكان لي صديقاً معاشراً حسن الصحبة عذري القلب جيد الشعر، أنشدني كثيراً من شعره لم أثبته، ثم فارق بغداد وحصل في بلاد الجبال، واستوطن بروجرد وتأهل بها وولد له، وصنف بها تصانيف في الأدب كثيرة منها شرح الإيضاح.

محمد بن أحمدبن بريك

بن محمد بن حمزة بن بريك الأنصاري الدسكري المعروف بابن البرفطي، والدسكرة: قرية من قرى نهر الملك، سكن بها أجداده وقرف وغلظ اسمه بالنسبة إلى برفطا، وهي أيضاً قرية من قرى نهر الملك فغلب عليه هذا الاسم. ولد ببغداد في شهر رمضان من شهور سنة ست وستين وخمسمائة، ومات رحمه الله في أول رجب سنة خمس وعشرين وستمائة، وخلف خمسة وعشرين قطعة بخط ابن البواب لم نجتمع في زماننا عند كاتب، وكان يغالي في شرائها. وله شعر من جملته:

أبدأ أميل إليك ميل تذلل ... وتصد صد تجنب ودلال
حتف المتيم منط يوم قطيعة ... وحياته في الحب يوم وصال
قد كدت أغرق في بحار مدامعي ... لولا التمسك فيك بالآمال
عذبت مراشفه وصال بقده ... فحمى جني المعسول بالعسال
عهدي وظل الوصل غير مقلص ... عنا وعمر المطل غير مطال
وكأنما لبس الزمان سناء بد ... ر الدين ذي الإنعام والإفضال
خضر الجناب فإن دجت في أزمة ... سوء الخطوب فأبيض الأفعال
منح ابتداء رافعاً خبر الندى ... وكفى الوجوه مئونة التسآل
كثرت صنائعه فقل نظيره ... وكذا البدور قليلة الأمثال
وحوت أزمة دجلة أعماله ... وكذا الجنان تجاز بالأعمال
حاط العلا فرماحه أقلامه ... حيث المداد لها رؤوس نصال
في ليل ذاك النقس تطرقنا المنى ... فكأنه في الهدى طيف خيال
يحكى بياض الطرس تحت سواده ... أسرار صبح في صدور ليالي

وابن البرفطي هذا أوحد عصرنا في حسن الخط والمشار إليه في التحرير، قد تخرج به خلق كثير وسافر إلى دمشق، وكتب عليه كتابها وأقام بحلب مدة مديدة ثم عاد إلى بغداد، وهو صديقنا أنشدني لنفسه أشعار منها ما أثبته. وحفزه السفر في يوم الخميس ثامن المحرم سنة ثلاث عشرة وستمائة إلى تستر صحبة الأمير ابن أبي محمد الحسن، وأبي عبد الله الحسين ابني الأمير الملك المعظم أبي الحسن علي بن سيدنا ومولانا الإمام الناصر لدين الله أبي العباس أحمد أمير المؤمنين لما ولاهما أرض خوزستان بعد موت أبيهما أبي الحسن علي، تقدم إلى ابن البرفطي بالخروج في خدمتهما والكون في جملتهما ليكتبا عليه ويصلحا خطهما به ويكون معلماً لهما، وهو دمث الأخلاق حسن العشرة، لين الكلام قصير من الرجال فيه دهاء، وكان أول أمره معلماً، فلما

جاد خطه صار محرراً، وكان يبالغ في أثمان خطوط ابن البواب فحصل له منها ما لم يحصل لأحد غيره. وجدت عنده أكثر من عشرين قطعة بخطه أرانيها.

وحدثني قال: بلغني عن رجل معلم في بعض محال بغداد أن عنده جزازاً كثيرة ورثه عن أبيه، فخيل لي أنه لا يخلو من شيء من الخطوط المنسوبة، فمضيت إليه وقلت له: أحب أن تريني ما خلف لك والدك عسى أنأشتري منه شيئاً، فصعد بي إلى غرفة جلست أفتش حتى وقع بيدي ورقة بخط ابن البواب قلم الرقاع أرانيها أيضاً، فضممت إليها شيئاً آخر لا حاجة بي إليه وقلت له: بكم هذا؟ فقال لي يا سيدي: ما صلح لك في هذا كله شيء آخر؟ فقلت له: أنا الساعة مستعجل، ولعلي أعود إليك مرة أخرى. فقال: هذا الذي اخترته لا قيمة له فخذه هبة مني. فقلت لا أفعل وأعطيته قطعة قراضة مقدارها نصف دانق، فاستكثرها وقال: يا سيدي ما أخذت شيئاً يساوي هذا المقدار فخذ شيئاً آخر، فقلت: لا حاجة لي في شيء آخر، ثم نزلت من غرفته فاستحييت وقلت هذا مخادعة، ولا شك أنه قد باعني ما جهله، ووالله لا جعلت حق خط ابن البواب أن يشترى بالمخادعة، فعدت إليه وقلت له: يا أخي هذه الورقة بخط ابن البواب. فقال وإذا كانت بخط ابن البواب أي شيء أصنع؟ قلت له قيمتها ثلاثة دنانير إمامية. فقال يا سيدي لا تسخر بي، ولعلك قد عزمت على ردهها فخذها وحط الذهب. فقلت: بل أحضر ميزاناً للذهب فأحضرها، فوزنت ثلاثة دنانير وقلت له: بعتني هذا بهذا؟ فقال بعتك، فأخذتها وانصرفت.

محمد بن إدريس الشافعي الإمام

هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان بن أد ابن أدد.
وهاشم هذا الذي في نشب الشافعي ليس هو هاشماً جد النبي صلى الله عليه وسلم، ذاك هاشم بن عبد مناف، فهاشم هذا هو ابن أخي ذاك. ولد فيما حكاه الشافعي عن نفسه أنه قال: ولدت بغزة سنة خمسين ومائة، وحملت إلى مكة وأنا ابن سنتين قال: وكانت أمي من الأزد، وغزة من بيت المقدس على ثلاث مراحل. وفي رواية أخرى عن الشافعي أنه قال: ولدت بعسقلان، وعسقلان من غزة على ثلاثة فراسخ وكلاهما في فلسطين.
وكان مولد الشافعي يوم مات أبو حنيفة، ولا اختلاف في أن وفاة أبي حنيفة كانت سنة خمسين ومائة.
ومات الشافعي – رحمه الله عليه – في رجب سنة أربع ومائتين وهو ابن أربع وخمسين سنة، وكان قدومه مصر سنة ثمان وتسعين ومائة.
وقد روى الزعفراني عن أبي عثمان بن الشافعي: أن الشافعي مات وهو ابن ثمان وخمسين سنة. وفي رواية أن الشافعي قال: ولدت باليمن فخافت أمي على الضيعة، فحملتني إلى مكة وأنا يومئذ ابن عشر أو شبيه بذلك، وتأول بعضهم قوله باليمن بأرض أهلها وسكانها قبائل اليمن. وبلاد غزة وعسقلان كلها من قبائل

اليمن وبطونها. قلت وهذا عندي تأويل حسن إن صحت الرواية، وإلا فلا شك أنه ولد بغزة وانتقل إلى عسقلان إلى أن ترعرع. وأما طلبه للعلم، فحدث الزبير بن بكار عن عمه مصعب بن عبد الله بن الزبير: أنه خرج إلى اليمن فلقي محمد بن إدريس الشافعي وهو مستحص في طلب الشعر والنحو والغريب. قال فقلت له: إلى كم هذا؟ لو طلبت الحديث والفقه كان أمثل بك، وانصرفت به معي إلى المدينة فذهبت به إلى مالك بن أنس وأوصيته به. قال: وكان فتى حلواً. قال فما ترك عند مالك بن أنس إلا الأقل، وعند شيخ من مشايخ المدينة إلا جمعه، ثم شخص إلى العراق فانقطع إلى محمد بن الحسن فحمل عنه ثم جاء إلى المدينة بعد سنين. قال: فخرجت به إلى مكة فكلمت له ابن داود وعرفته حاله الذي صار إليه، فأمر له بعشره آلاف درهم.

حدث اللآبري، وهو أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم بن عاصم اللآبري السجزي قال: سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن محمد بن المولد الرقي يحكي عن زكريا بن يحيى البصري، ويحيى بن زكريا بن جبرية النيسابوري كلاهما عن الربيع بن سليمان، وبعضهم يزيد على بعض في الحكاية. قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: كنت أنا في الكتاب أسمع المعلم يلقن الصبي الآية فأحفظها أنا، ولقد كنت – ويكتبون أئمتهم فإلى أن يفرغ المعلم من الإملاء عليهم – قد حفظت جميع ما أملي، فقال لي ذات يوم: ما يحل لي أن آخذ منك شيئاً. قال: ثم لما خرجت من الكتاب كنت أتلقط الخزف والدفوف وكرب النخل أكتاف الجمال، أكتب فيها الحديث وأجئ إلى الدواوين فأستوهب منها الظهور فأكتب فيها حتى كانت لأمي حباب فملأتها أكتافاً وخزفاً وكرباً مملوءة حديثاً، ثم إني خرجت عن مكة فلزمت هذيلاً في البادية أتعلم كلامها وآخذ طبعها وكانت أفصح العرب. قال: فبقيت فيهم سبع عشرة سنة، أرحل برحيلهم وأنزل بنزولهم، فلما رجعت إلى مكة جعلت أنشد الأشعار وأذكر الآداب والأخبار وأيام العرب، فمر بي رجل من الزبيريين من بني عمي فقال لي: يا أبا عبد الله: عز علي ألا يكون مع هذه اللغة وهذه الفصاحة والذكاء فقه، فتكون قد سدت أهل زمانك، قلت: فمن بقي نقصد؟ فقال لي: مالك بن أنس سيد المسلمين يومئذ. قال: فوقع في قلبي فعمدت إلى الموطإ فاستعرته من رجل بمكة فحفظته في تسع ليال ظاهراً قال: ثم دخلت إلى والي مكة وأخذت كتابه إلى والي المدينة، وإلى مالك بن أنس قال: فقدمت المدينة فأبلغت الكتاب إلى الوالي، فلما أن قرأ قال يا فتى إن مشى من جوف المدينة إلى جوف مكة حافياً راجلاً أهون علي من المشي إلى باب مالك بن أنس، فلست أرى النذل حتى أقف على بابه فقلت: – أصلح الله الأمير – إن رأى الأمير يوجه إليه ليحضر. قال: هيهات، ليت أني إذا ركبت أنا ومن معي وأصابنا من تراب العقيق نلنا بعض حاجتنا. قال فواعدته العصر وركبنا جميعاً، فوالله لكان كما قال: لقد أصابنا من تراب العقيق. قال: فتقدم رجل فقرع الباب فخرجت إلينا جارية سوداء فقال لها الأمير: قولي لمولاك إني بالباب. قال: فدخلت فأبطأت ثم خرجت فقالت: إن مولاي يقرئك السلام ويقول: إن كانت مسألة فارفعها في رقعة يخرج إليك الجواب، وإن كان للحديث فقد عرفت يوم المجلس فانصرف، فقال لها: قولي له: إن معي كتاب والي مكة إليه في حاجة مهمة. قال فدخلت وخرجت وفي يدها كرسي فوضعته، ثم إذا أنا بمالك قد خرج وعليه المهابة والوقار، وهو شيخ

طويل مسنون اللحية فجلس وهو متطلس فرفع إليه الوالي الكتاب، فبلغ إلى هذا: إن هذا رجل من أمره وحاله فتحدثه وتفعل وتصنع، رمى بالكتاب من يده ثم قال: سبحان الله! أوصار علم رسول الله صلى الله عليه وسلم يؤخذ بالوسائل؟ قال: فرأيت الوالي وقد تهيبه أن يكلمه فتقدمت إليه وقلت: – أصلحك الله – إني رجل مطلبي ومن حالي وقصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إلى ساعة وكانت لمالك فراسة فقال لي: ما اسمك؟ قلت: محمد. فقال لي يا محمد. اتق الله واجتنب المعاصي، فإنه سيكون لك شأن من الشأن ثم قال: نعم كرامة، إذا كان غداً تجئ ويجئ من يقرأ لك. قال: فقلت أنا أقوم بالقراءة. قال: فغدوت عليه وابتدأت أن أقرأه ظاهراً والكتاب في يدي، فكلما تهيبت مالكاً وأردت أن أقطع أعجبه حسن قراءتي وإعرابي فيقول: يا فتى زد حتى قرأته في أيام يسيرة، ثم أقمت بالمدينة حتى توفى مالك بن أنس، ثم خرجت إلى اليمن فارتفع لي بها الشأن، وكان بها وال من قبل الرشيد وكان ظلوماً غشوماً، وكنت ربما آخذ على يديه وأمنعه من الظلم. قال: وكان باليمن تسعة من العلوية قد تحركوا وإني أخاف أن يخرجوا، وإن ههنا رجلاً من ولد شافع المطلب لا أمر لي معه ولا نهي. قال: فكتب إليه هارون: أن احمل هؤلاء واحمل الشافعي معهم فقرنت معهم. قال: فلما قدمنا على هارون الرشيد أدخلنا عليه وعنده محمد بن الحسن. قال: فدعا هارون بالنطع والسيف وضرب رقاب العلوية، ثم التفت محمد بن الحسن فقال: يا أمير المؤمنين، هذا المطلبي، لا يغلبنك بفصاحته فإنه رجل لسن. فقلت مهلاً يا أمير المؤمنين فإنك الداعي وأنا المدعو، وأنت القادر على ما تريد مني، ولست القادر على ما أريد منك، يا أمير المؤمنين، ما تقول في رجلين: أحدهما يراني أخاه، والآخر يراني عبده

أيهما أحب إلي؟ قال: الذي يراك أخاه. قال: قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين. قال فقال لي: كيف ذاك؟ فقلت يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس وهم ولد علي، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم. قال: فسري ما كان به فاستوى جالساً فقال: يا ابن إدريس: كيف علمك بالقرآن؟ قلت عن أي علومه تسألني؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقفه وابتداءه، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه، وما خوطب به العام يراد به الخاص، وما خوطب به الخاص يراد به العام. أحب إلي؟ قال: الذي يراك أخاه. قال: قلت فذاك أنت يا أمير المؤمنين. قال فقال لي: كيف ذاك؟ فقلت يا أمير المؤمنين، إنكم ولد العباس وهم ولد علي، ونحن بنو المطلب، فأنتم ولد العباس ترونا إخوتكم وهم يرونا عبيدهم. قال: فسري ما كان به فاستوى جالساً فقال: يا ابن إدريس: كيف علمك بالقرآن؟ قلت عن أي علومه تسألني؟ عن حفظه فقد حفظته ووعيته بين جنبي وعرفت وقفه وابتداءه، وناسخه ومنسوخه وليليه ونهاريه ووحشيه وأنسيه، وما خوطب به العام يراد به الخاص، وما خوطب به الخاص يراد به العام.

فقال لي: والله يا بن إدريس لقد ادعيت علما فكيف علمك بالنجوم؟ فقلت: إني لأعرف منها البري من البحري، والسهلي والجبلي والفيلق والمصبح وما تجب معرفته. قال: فكيف عمك بأنساب العرب. قال: فقلت إني لأعرف أنساب اللئام وأنساب الكرام ونسبي ونسب أمير المؤمنين. قال: لقد ادعيت علماً فهل

من موعظة تعظ بها أمير المؤمنين؟ قال: فذكرت موعظة لطاوس اليماني فوعظته بها، فبكى وأمر لي بخمسين ألفاً وحملت على فرس وركبت من بين يديه وخرجت، فما وصلت الباب حتى فرقت الخمسين ألفاً على حجاب أمير المؤمنين وبوابيه. قال: فلحقني هرثمة وكان صاحب هارون فقال: اقبل هذه مني. قال: فقلت له إني لا آخذ العطية ممن هو دوني، وإنما آخذها ممن هو فوقي. قال: فوجد في نفسه. قال: وخرجت كما أنا حتى جئت منزلي فوجهت إلى كاتب محمد ابن الحسن بمائة دينار وقلت: اجمع الوراقين الليلة على كتب محمد بن الحسن وانسخها لي ووجه بها إلي. قال: فكتبت لي ووجه بها إلي.

قال: اجتمعنا أنا ومحمد بن الحسن على باب هارون وكان يجلس فيه القضاة والأشراف ووجوه الناس إلى أن يؤذن لهم. قال: واجتمعنا في ذلك المكان. قال وفيه جماعة من بني هاشم وقريش والأنصار والخلق يعظمون محمد بن الحسن لقربه من أمير المؤمنين وتمكنه. قال: فاندفع يعرض بي ويذم أهل المدينة فقال: من أهل المدينة؟ وأي شيء يحسن أهل المدينة؟ والله لقد وضعت كتاباً على أهل المدينة كلها لا يخالفني فيه أحد، ولو علمت أن أحداً يخالفني في كتابي هذا تبلغني إليه آباط الإبل لصرت حتى أرد عليه. قال الشافعي: فقلت إن أنا سكت نكست رؤوس من هاهما من قريش، وإن أنا رددت عليه أسخطت على السلطان، ثم إني استخرت الله في الرد عليه، فتقدمت إليه فقلت: – أصلحك الله –، طعنك على أهل المدينة وذمك لأهل المدينة؟ إن كنت أردت رجلاً واحداً وهو مالك بن أنس فألا ذكرتذلك الرجل بعينه ولم تطعن على أهل حرم الله وحرم رسوله وكلهم على خلاف ما ادعيته، وأما كتابك الذي ذكرت أنك وضعته على أهل المدينة، فكتابك من بعد بسم الله الرحمن الرحيم، خطأ إلى آخره، قلت في شهادة القابلة كذا وكذا وهو خطأ، وفي مسألة الحامل كذا وكذا وهو خطأ، وقلت في مسألة كذا، وكذا وكذا وهو خطأ، فاصفر محمد بن الحسن ولم يحر جواباً. وكتب أصحاب الأخبار إلى الرشيد بما كان فضحك وقال: ماذا ننكر لرجل من ولد المطلب أن يقطع مثل محمد بن الحسن. قال: فعارضني رجل من أهل المجلس من أصحابه فقال: ما تقول في رجل دخل منزل رجل فرأى بطة ففقأ عينها، ماذا يجب عليه؟ قال قلت: ينظر إلى قيمتها وهي صحيحة وقيمتها وقد ذهبت عينها، فيقوم ما بين القيمتين، ولكن ما تقول أنت وصاحبك في رجل محرم نظر إلى فرج امرأة فأنزل؟ قال: ولم يكن لمحمد حذاقة بالمناسك. قال: فصاح به محمد وقال له: ألم أقل لك لا تسأله؟ قال: ثم أدخلنا على الرشيد فلما أن استوينا بين يديه قال لي: يا أبا عبد الله، تسأل أو أسأل؟ قال: قلت ذاك إليك. قال: فأخبرني عن صلاة الخوف أواجبة هي؟ قلت: نعم، فقال: ولم؟ فقلت: لقول الله عز وجل: (وإذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك). فدل أنها واجبة. قال: وما تنكر من قائل قال لك: إنما أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وهو فيهم، فلما أن زال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم زالت تلك الصلاة؟ فقلت: وكذلك قال الله عز وجل لنبيه: (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)، فلما أن زال عنهم النبي صلى الله عليه وسلم زالت عنهم الصدقة؟ فقال: لا. قلت: وما الفرق بينهما والنبي صلى الله عليه وسلم هو المأمور بهما جميعاً؟ قال: فسكت ثم قال: يأهل المدينة ما أجرأكم على كتاب الله؟ فقلت: الأجرأ على كتاب الله من خالفه. قال فقد قال الله عز وجل: (وأشهدوا ذوي عدل منكم)، فقلتم

أنتم: نقضي باليمين مع الشاهد فقلت: لكنا نقول بما قال الله، ونقضي بما قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكنك أنت إذا خالفت كتاب قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد خالفت كتاب الله. قال: وأين لكم رد اليمين؟ قال: قلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال وأين؟ قلت قصة حويصة ومحيصة وعبد الرحمن حين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في قصة القتيل: تحلفون وتستحقون دم صاحبكم؟ قالوا: لم نشهد ولم نعاين؟ قال: فيحلف لكم يهود، فلما أن نكلوا رد اليمين إلى اليهود. قال: فقال لي: إنما كان ذلك استفهاماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فقلت يا أمير المؤمنين، هذا بحضرتك يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفهم من اليهود. فقال الرشيد: ثكلتك أمك يا بن الحسن، رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفهم من اليهود؟. نطع وسيف، فلما رأيت الجد من أمير المؤمنين قلت مهلاً يا أمير المؤمنين، فأن الخصمين إذا اجتمعا تكلم كل واحد منهما بما لا يعتقده ليقطع به صاحبه، وما أرى أن محمداً يرى نقصاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فسريت عنه. قال: ثم ركبنا جميعاً وخرجنا من الدار. قال: فقال لي: يا أبا عبد الله فعلتها؟ قال: فقلت فكيف رأيتها بعد ذلك؟.

وللشافعي رضي الله عنه مع محمد بن الحسن مناظرات في عدة مواطن، اقتصرنا على هذه قصداً للاختصار.

مناظرة إسحاق بن راهويه مع الشافعي رضي الله عنه

نقلت من تاريخ نيسابور للحاكم، ومن كتاب مناقب الشافعي للآبري، وجمعت بين الخبرين قصداً للاختصار مع نسبة كل قول إلى قائله.

حدث الآبري بإسناده: قال إسحاق بن راهويه: كنا عند سفيان بن عيينة نكتب أحاديث عمرو بن دينار، فجاءني أحمد بن حنبل فقال لي يا أبا يعقوب: قم حتى أريك رجلاً لم ترعيناك مثله. قال: فقمت فأتى بي فناء زمزم فإذا هناك رجل عليه ثياب بيض تعلو وجهه السمرة، حسن السمت، حسن العقل، وأجلسني إلى جانبه فقال له: يا أبا عبد الله، هذا إسحاق بن راهويه الحنظلي فرحب بي وحياني، فذاكرته وذاكرني فانفجر لي منه علم أعجبني حفظه قال: فلما أن طال مجلسنا قلت له: يا أبا عبد الله قم بنا إلى الرجل، قال: هذا هو الرجل، فقلت يا سبحان الله، أقمتنا من عند رجل يقول: حدثنا الزهري، فما توهمت إلا أن تأتي بنا إلى رجل مثل الزهري أو قريب منه. فأتيت بنا إلى هذا الشاب أو هذا الحدث، فقال لي يا أبا يعقوب: اقتبس من الرجل، فإنه ما رأت عيناي مثله. قال الآبري: قال إسحاق: فسألته عن سكني بيوت مكة – أراد الكرى – فقال جائز. فقلت: إي يرحمك الله، وجعلت أذكر له الحديث عن عائشة وعبد الرحمن وعمر وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن كره كرى بيوت مكة وهو ساكت يسمع وأنا أسرد عليه. فلما فرغت سكت ساعة وقال: يرحمك الله، أما علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار؟ قال فوالله ما فهمت عنه ما أراد بها ولا أرى أن أحداً فهمه. قال الحاكم: فقال إسحاق: أتأذن لي في الكلام؟ فقال نعم، فقلت: حدثنا يزيد بن هارون عن هشام عن الحسن أنه لم يكن يرى ذلك، وأخبرنا أبو نعيم وغيره عن سفيان عن منصور عن إبراهيم أنه لم يكن يرى ذلك. قال الحاكم: ولم يكن الشافعي عرف إسحاق، فقال الشافعي لبعض من عرفه: من هذا؟ فقال: هذا إسحاق بن إبراهيم بن

الحنظلي بن راهويه الخراساني. فقال له الشافعي: أنت الذي يزعم أهل خراسان أنك فقيههم؟ قال إسحاق: هكذا يزعمون. قال الشافعي: ما أحوجني أن يكون غيرك في موضعك، فكنت آمر بعرك أذنيه. وقال الحاكم في خبر آخر: قال له الشافعي: لو قلت قولك احتجت إلى أن أسلسل أنا أقول لك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنت تقول: عطاء وطاوس ومنصور وإبراهيم والحسن وهؤلاء لا يرون ذلك، هل لأحد مع رسول الله صلى عليه وسلم حجة؟. قال إسحاق لبعض من معه من المراوزة بلسانهم: مردك لا كما لا نيست، قرية عندهم بمرو يدعون العلم، وليس لهم علم واسع. وقال الآبري: قال إسحاق لبعض من معه: الرجل مالاني، ومالان: قرية من قرى مرو وأهلها فيهم سلامة. قال الحاكم في خبره: فلما سمع الشافعي تراطنه علم أنه قد نسبه إلى شيء. فقال تناظر؟ وكان إسحاق جريئاً فقال: ما جئت إلا للمناظرة. فقال له الشافعي: قال الله عز وجل: (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم) الآية. نسب الدار إلى المالكين أو غير المالكين قال إسحاق: إلى المالكين. قال الشافعي: فقوله عز وجل أصدق الأقاويل، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن)، أنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم الدار إلى مالك أو إلى غير مالك؟. قال إسحاق: إلى مالك. فقال الشافعي: وقد اشترى عمر بن الخطاب دار الحجامين فأسكنها، وذكر له جماعة من أصحاب صلى الله عليه وسلم اشتروا دور مكة وجماعة باعوها. وقال إسحاق له: قال الله عز وجل: (سواء العاكف فيه والباد). فقال الشافعي: اقرأ أول الآية. قال: (والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد). قال الآبري: قال الشافعي: والعكوف يكون في المسجد، ألا ترى إلى قوله: (للطائفين والعاكفين) والعاكفون يكونون في المساجد، ألا ترى إلى قوله عز وجل: (وأنتم عاكفون في المساجد)، فدل ذلك أن قوله عز وجل: (سواء العاكف فيه والباد) في المسجد خاص، فأما من ملك شيئاً فله أن يكرى وأن يبيع. قال الحاكم: وقال الشافعي: ولو كان كما تزعم لكان لا يجوز أن تنشد فيها ضالة ولا ينحر فيها البدن ولا تنثر فيه الأرواث، ولكن هذا في المسجد خاصة. قال فسكت إسحاق ولم يتكلم. وفي خبر الآبري: فلما تدبرت ما قال من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل ترك لنا عقيل من رباع أو دار)؟. علمت أنه قد فهم ما ذهب عنا. قال إسحاق: ولو كنت قد أدركني هذا الفهم وأنا بحضرته لعرفته ذاك، ثم نظرنا في كتبه فوجدنا الرجل من علماء هذه الأمة.

قال الآبري: وقرأت في بعض ما حكى عن أبي الحسن أنه كان يأخذ بلحيته في يده ويقول: واحيائي من محمد بن إدريس الشافعي، يعني في هذه المسألة.

ومن كتاب الحاكم: سمعت أبا بكر محمد بن علي ابن إسماعيل الفقيه الأديب الشاشي أبا بكر القفال، إمام عصره بما وراء النهر للشافعيين يقول: دخلت على أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة أول ما قدمت نيسابور وتكلمت بين يديه وأنا شاب حدث السن فقال لي: من أين أنت؟ فقلت من أهل الشاش. قال لي إلى من اختلفت؟. قلت إلى أبي الليث. قال: وأبو الليث هذا أي مذهب يعتقد؟ قلت حنبلي. فقال: يا بني قل شافعي، وهل كان أحمد بن حنبل إلا غلاماً من غلمان الشافعي؟ قال: ومات أبو بكر القفال بالشاش في

ذي الحجة سنة خمس وستين وثلاثمائة.

ومن كتاب الآبري: حدثني محمد بن عبد الله الرازي، حدثنا الحسن بن حبيب الدمشقي عن محمود المصري وكان من أفصح الناس قال: سمعت ابن هشام. قال محمود: وما رأيت بعيني ممن فهمت عنه مثل ابن هشام. قال محمود: ورأيت الشافعي وأنا صغير. قال محمود: وسمعت ابن هشام يقول: جالست الشافعي زماناً فما سمعته تكلم بكلمة إلا اعتبرها المعتبر، ولا يجد كلمة في العربية أحسن منها. قال: وسمعت ابن هشام يقول: الشافعي كلامه لغة يحتج بها.

وحدثت عن الحسن بن محمد الزعفراني قال: كان قوم من أهل العربية يختلفون إلى مجلس الشافعي معنا ويجلسون ناحية قال: فقلت لرجل من رؤسائهم: إنكم لا تتعاطون العلم فلم تختلفون معنا؟ قالوا: نسمع لغة الشافعي. قال: وسمعت أبا علي الحسين بن أحمد البيهقي الفقيه ببغداد قال: سمعت حسان بن محمد يحكي عن الأصمعي أنه قال: صححت أشعار هذيل على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي. قال: وحكى لنا عن مصعب الزبيري قال: كان أبي والشافعي يتناشدان، فأتى الشافعي على شعر هذيل حفظاً وقال: لا تعلم بهذا أحداً من أهل الحديث فإنهم لا يحتملون هذا. قال الشافعي رضي الله عنه قال ما رأيت أحداً أعلم بهذا الشأن مني، وقد كنت أحب أن أرى الخليل بن أحمد.

وحدث ابن خزيمة قال: سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول: كان الشافعي إذا أخذ في العربية، قلت هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الشعر وإنشاده، قلت هو بهذا أعلم، وإذا تكلم في الفقه، قلت هو بهذا أعلم. وتحدث ابن عيينه بحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: (وأقروا الطير على مكناتها)، قال: وكان الشافعي إلى جنب ابن عيينه فالتفت إليه سفيان فقال: يا أبا عبد الله، ما معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم: (وأقروا الطير على مكناتها)؟ فقال الشافعي: إن علم العرب كان زجر الطير والخط والاعتياف، كان أحدهم إذا غدا من منزله يريد أمراً نظر أول طير يراه، فإن سنح عن يساره فاجتاز عن يمينه قال: هذا طير الأيامن، فمضى في حاجته ورأى أنه يستنجحها. وإن سنح عن يمينه فمر عن يساره قال: هذا طير الأشائم، فرجع وقال: هذه حالة مشئومة، فيشبه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وأقروا الطير على مكناتها)، أي لا تهيجوها، فإن تهييجها وما تعملون به من الطيرة لا يصنع شيئاً، وإنما يصنع فيما توجهون فيه قضاء الله عز وجل. قال: وكان سفيان يفسره بعد ذلك على ما قال الشافعي.

وحدث الآبري، حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الرقي إملاء قال: حدثنا عبد الواحد بن سعيد عن صالح بن أحمد قال: جاء الشافعي يوماً إلى أبي يعوده وكان عليلاً فوثب أبي إليه فقيل ما بين عينيه ثم أجلسه في مكانه وجلس بين يديه قال: فجعل يسائله ساعة، فلما وثب الشافعي ليركب قام أبي فأخذ بركابه ومشى معه، فبلغ يحيى بن معين فوجه إلى أبي: يا أبا عبد الله، يا سبحان الله! آضطرك الأمر إلى أن تمشي إلى جانب بغلة الشافعي؟ فقال له أبي: وأنت يا أبا زكريا لو مشيت من الجانب الآخر لا انتفعت به. قال: ثم قال أبي: من أراد الفقه فليشم ذنب هذه البغلة. وفي رواية أخرى عن أحمد بن حنبل أنه قال: قدم علينا نعيم ابن حماد فحضنا على طلب المسند، فلما قدم الشافعي وضعنا على الحجة البيضاء. ورواية أخرى عن حميد بن الربيع

الخراز قال: سمعت أحمد بن حنبل يقول: ما أعلم أحداً اعظم منه على الإسلام في زمن الشافعي من الشافعي، وإني لأدعو الله له في أدبار صلواتي فأقول: اللهم اغفر لي ولوالدي ولمحمد بن إدريس الشافعي.

وحدث الحارث بن محمد الأموي عن أبي ثور إبراهيم بن خالد الكلبي قال: كنت من أصحاب محمد بن الحسن فلما قدم الشافعي علينا جئته إلى مجلسه شبه المستهزئ فسألته عن مسألة من الدور فلم يجبني وقال لي: كيف ترفع يديك في الصلاة؟ قلت هكذا. قال لي أخطأت. فقلت: كيف أصنع؟ فقال حدثني ابن عيينه عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه، وإذا ركع، وإذا رفع. قال أبو ثور: فوقع في قلبي من ذاك، فجعلت أزيد في المجيء إلى الشافعي وأقصر في الاختلاف إلى محمد بن الحسن. فقال لي ابن الحسن يوماً: يا أبا ثور، أحسب هذا الحجازي قد غلب عليك. قال: قلت أجل، الحق معه. قال: وكيف ذاك؟ قال: فقلت كيف ترفع يديك في الصلاة؟ فأجابني على نحو ما أحببت الشافعي فقلت أخطأت، قال: كيف أصنع؟ قلت حدثني الشافعي عن ابن عيينه عن الزهري عن سالم عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يرفع يديه حذو منكبيه، وإذا ركع وإذا رفع. قال أبو ثور: فلما كان بعد شهر قال: يا أبا ثور، خذ مسألتك في الدور فإنما منعني أن أجيبك يومئذ أنك كنت متعنتاً.

وحدث المزني وهو إبراهيم إسماعيل بن يحيى قال: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه فقلت: كيف أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، ولكأس المنية شارباً، وعلى الله جل ذكره وارداً، ولا والله ما أدري روحي تصير إلى الجنة أو إلى النار فأعزيها ثم بكى وأنشأ يقول:

فلما قسا قلبي وضاقت مذاهبي ... جعلت رجائي نحو عفوك سلما

تعاظمني ذنبي فلما قرنته ... بعفوك ربي كان عفوك أعظما

فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل ... تجود وتعفو منة وتكرما

فلولاك لم يقدر بإبليس عابد ... فكيف وقد أغوى صفيك آدما؟

وحدث الربيع بن سليمان أنه قال: كان الشافعي رحمه الله يجلس في حلقته إذا صلى الصبح فيجيئه أهل القرآن، فإذا طلعت الشمس قاموا وجاء أهل الحديث فيسألونه تفسيره ومعانيه، فإذا ارتفعت الشمس قاموا فاستوت الحلقة للمذاكرة والنظر، فإذا ارتفع الضحى تفرقوا، وجاء أهل العربية والعروض والنحو والشعر، فلا يزالون إلى قرب انتصاف النهار، ثم ينصرف رضى الله عنه.

وحدث يونس بن عبد الأعلى الصدفي قال: قال لي الشافعي رضي الله عنه: يا أبا موسى، رضا الناس غاية لا تدرك، ما أقوله لك إلا نصحا، ليس إلى السلامة من الناس سبيل، فانظر ما فيه صلاح نفسك فالزمه، ودع الناس وما هم فيه.

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال: كنا نحضر مجلس بشر المريسي فكنا لا نقدر على مناظرته، فمشينا إلى أحمد ابن حنبل فقلنا له: ائذن لنا في أن نحفظ الجامع الصغير الذي لأبي حنيفة، لنخوض معهم إذا خاضوا. فقال: اصبروا فالآن يقدم عليكم المطلبي الذي رأيته بمكة. قال: فقدم علينا الشافعي فمشوا إليه وسألناه شيئاً من كتبه، فأعطانا كتاب اليمين مع الشاهد فدرسته في ليلتين، ثم غدوت على بشر المريسي

وتخطيت إليه فلما رآني قال: ما جاء بك يا صاحب حديث؟ قال: قلت: ذرني من هذا، إيش الدليل على إبطال اليمين مع الشاهد؟، فناظرته فقطعته فقال: ليس هذا من كيسكم هذا من كلام رجل رأيته بمكة، معه نصف عقل أهل الدنيا.

وحدث الربيع بن سليمان قال: كنا عند الشافعي إذ جاءه رجل برقعة فنظر فيها وتبسم، ثم كتب فيها ودفعها إليه قال: فقلنا يسأل الشافعي عن مسألة لا ننظر فيها وفي جوابها؟ فلحقنا الرجل وأخذنا الرقعة فقرأناها وإذ فيها:

سل الهتي المكي هل في تزاور ... وضمة مشتاق الفؤاد جناح؟

قال: وإذا إجابة أسفل من ذلك:

أقول معاذ الله أن يذهب التقي ... تلاصق أكباد بهن جراح

قرأت في أمال أملاها أبو سليمان الخطابي على بعض تلامذته قال الشيخ: كان الشافعي – رحمه الله – يوماً من أيام الجمع جالساً للنظر فجاءت امرأة فألقت إليه رقعة فيها:

عفا الله عن عبد أعان بدعوة ... خليلين كانا دائمين على الود

إلى أن مشى واشي الهوى بنميمة ... إلى ذاك من هذا فزالا عن العهد

قال: فبكى الشافعي – رحمه الله – وقال: ليس هذا يوم نظر، هذا يوم دعاء ولم يزل يقول: اللهم اللهم حتى تفرق أصحابه. ومثله ما بلغني أن رجلاً جاءه برقة فيها:

سل الهتي المكي من آل هاشم ... إذا اشتد وجد بامرئ كيف يصنع؟

قال: فكتب الشافعي تحته:

يداوي هواه ثم يكتم وجده ... ويصبر في كل الأمور ويخضع

فأخذها صاحبها وذهب بها ثم جاءه وقد كتب تحت هذا البيت الذي هو الجواب:

فكيف يداوي والهوى قاتل الفتى ... وفي كل يوم غصة يتجرع

فكتب الشافعي رحمه الله:

فإن هو لم يصبر على ما أصابه ... فليس له شيء سوى الموت أنفع

ويروي للشافعي رحمه الله:

أأنثر درا بين سارحة البهم ... وأنظم منثور لراعية الغنم؟

لعمري لئن ضيعت في شر بلدة ... فسلت مضيعاً فيهم غرر الكلم

لئن سهل الله العزيز بلطفه ... وصادفت أهلاً للعلوم وللحكم

بثثت مفيداً واستفدت ودادهم ... وإلا فمكنون لدى ومكتتم

ومن منح الجهال علماً أضاعه ... ومن منع المستوجبين فقد ظلم

وله رضي الله عنه في تعزية:

إني أعزيك لا أني على طمع ... من الخلود ولكن سنة الدين

فما المعزي بباق بعد صاحبه ... ولا المعزي وإن عاشا إلى حين

وحدث بإسناد رفعه إلى ابن عمر الشافعي قال: كان لأبي عبد الله الشافعي امرأة يحبها فقال:

ومن البلية أن تحب ... ب ولا يحبك من تحبه

ويصد عنك بوجهه ... وتلج أنت فلا تغبه

وحدث الآبري بإسناد إلى المزني عن الشافعي قال: كنا في سفر بأرض اليمن فوضعنا سفرتنا لنتعشى وحضرت صلاة المغرب فقلنا نصلي ثم نتعشى، فتركنا سفرتنا كما هي، وكان في السفرة دجاجتان فجاء ثعلب فأخذ إحدى الدجاجتين فلما قضينا صلاتنا أسفنا عليها وقلنا حرمنا طعامنا، فبينا نحن كذلك إذ جاء الثعلب وفي فيه شيء كأنه الدجاجة فوضعه فبادرنا إليه لنأخذ ونحن نحسبه الدجاجة قد ردها، فلما قمنا لخلاصها فإذا هو قد جاء إلى الأخرى فأخذها من السفرة وأصبنا الدي قمنا إليه لنأخذه ليفة قد هيأها مثل الدجاجة.

وحدث الحسن بن محمد الزعفراني قال: سئل الشافعي عن مسألة فأجاب فيها أنشأ يقول:

إذا المشكلات تصدين لي ... كشفت حقائقها بالنظر

ولست كشقشقة الأرحبي ... ي أو كالحسام اليماني الذكر

ولست بإمعة في الرجا ... ل أسأل هذا وذا ما الخبر

ولكنني مدرة الأصغري ... ن جلاب خير وفراج شر

وحدث الربيع بن سليمان قال: لما دخل الشافعي مصر أول قدومه إليها جفاه الناس فلم يجلس إليه أحد قال: فقال له بعض من قدم معه: لو قلت شيئاً يجتمع إليك الناس، قال فقال: إليك عني وأنشأ يقول:

أأنثر دراً بين سارحة النعم ... وأنظم منثوراً لراعية الغنم؟

الأبيات التي مرت آنفاً. وجرى بين الشافعي وبين بعض من صحبه مجانة فقال:

وأنزلني طول النوى دار غربة ... إذا شئت لاقيت امرأ لا أشاكله

أحامقة حتى تقال سجية ... ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله

وحدث الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي يقول:

يا راكباً قف بالمحصب من مني ... واهتف بقاعد خيفها والناهض

سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً بمتلطم الفرات الفائض

إن كان رفضاً حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

ومن كتاب الإمام أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي بإسناده إلى الربيع بن سليمان قال: سمعت الشافعي وسأله رجل عن مسألة فقال: يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال كذا وكذا. فقال له السائل: يا أبا عبد الله، أتقول بهذا؟ فارتعد الشافعي واصفر لونه وحال وتغير وقال: ويحك، أي أرض تقلني؟ وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم أقل به، نعم على الرأس والعينين. قال: وسمعت الشافعي يقول: ما من أحد إلا وتذهب عنه سنة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتغرب عنه، فمهما قلت من قول أو أصلت من أصل فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم وهو قولي وجعل يردد هذا الكلام. وبإسناده عن أحمد بن حنبل أنه قال لعبد الملك بن عبد الحميد الميموني: مالك لا تنظر في كتب الشافعي؟ فما من أحد وضع الكتب منذ ظهرت أتبع للسنة من الشافعي رضي الله عنه. وبإسناده إلى أبي عثمان المازني قال سمعت الأصمعي يقول: قرأت شعر الشنفري على الشافعي بمكة. قال زكريا بن يحيى الساجي: فذكرت ذلك للرياشي فقال ذلك ما أنكره، قرأها على الأصمعي فقال: أنشدنيها رجل من قريش بمكة. وبإسناده إلى عبد لرحمن بن أخي الأصمعي قال: قلت لعمي يا عماه، على من قرأت شعر هذيل؟ فقال: على رجل من آل المطلب يقال له محمد بن إدريس.

وحدث الصولي عن المبرد أنه قال: كان الشافعي من أشعر الناس وآدب الناس وأعرفهم بالقراءات.
وبإسناده إلى عبد الملك ابن هشام النحوي صاحب كتاب المغازي أنه قال: طالت مجالستنا للشافعي فما سمعت منه لحنة قط ولا كلمة غيرها أحسن منها. وبإسناده إلى جبير بن مطعم قال: لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سهم ذوي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطلب، مشيت أنا وعثمان بن عفان فقلنا: يا رسول الله، هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ينكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم، أرأيت إخوتنا من بني المطلب أعطيتهم وتركتنا؟ وإنما نحن وهم منك بمنزلة واحدة. فقال: (إنهم لم يفارقونا في جاهلية ولا إسلام، وإنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد)، ثم شبك رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إحداهما بالأخرى. أخرجه البخاري في الصحيح. وهذا لأن عبد مناف كان له أربعة أولاد: هاشم والمطلب وعبد شمس جد بني أمية ونوفل. وكان جبير بن مطعم من بني نوفل، وعثمان من بني عبد شمس وهما أخوا المطلب.
وبإسناده إلى الحارث بن سريج النقال قال: سمعت يحيى بن سعيد يقول: أنا أدعو الله للشافعي أخصه به.
وبإسناده: كتب عبد الرحمن ابن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن ويجمع قبول الأخبار فيه وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب الرسالة. قال عبد الرحمن: ما أصلي صلاة إلا وأدعو للشافعي فيها. وبإسناده قال أحمد بن حنبل: كان الفقه قفلاً على أهله حتى فتحه الله بالشافعي. وبإسناده قال إبراهيم الحربي: سئل أحمد بن حنبل عن مالك بن أنس فقال: حديث صحيح ورأي صحيح. وسئل عن آخر فقال: لا رأي ولا حديث. وبإسناده إلى محمد بن مسلم بن وارة قال: لما قدمت من مصر أتيت أبا عبد الله أحمد بن حنبل أسلم عليه فقال لي: كتبت كتب الشافعي؟ فقلت لا. فقال لي: فرطت، ما عرفنا العموم من الخصوص، وناسخ حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من منسوخه حتى جالسنا الشافعي. قال ابن وارة: فحملني ذلك على أن رجعت إلى مصر فكتبتها.
وبإسناده قال الزعفراني: كنت مع يحيى بن معين في جنازة فقلت له: يا أبا زكريا، ما تقول في الشافعي؟ فقال دعنا، لو كان الكذب له مطلقاً لكانت مروءته تمنعه أن يكذب. وبإسناده على عبد الملك الميموني قال: كنت عند أحمد ابن حنبل وجرى ذكر الشافعي فرأيت أحمد يرفعه وقال: يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يقرر لها دينها). فكان عمر بن عبد العزيز على رأس المائة الأولى، وأرجو أن يكون الشافعي على رأس المائة الأخرى. وبإسناده قال: الشيخ أبو الوليد حسان بن محمد الفقيه يقول: كنا في مجلس القاضي أبي العباس ابن سريج سنة ثلاث وثلاثمائة فقام إليه شيخ

من أهل العلم فقال له: أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها، وإنه بعث على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز وتوفي سنة ثلاث ومائة، وبعث على رأس المائتين أبا عبد الله بن إدريس الشافعي وتوفي سنة أربع ومائتين، وبعثك على رأس الثلاثمائة. ثم أنشأ يقول:

اثنان مضيا فبورك فيهما ... عمر الخليفة ثم حلف السودد

الشافعي الألمعي محمد ... إرث النبوة وابن عم محمد

أبشر أبا العباس إنك ثالث ... من بعدهم سقياً لنوبة أحمد

قال: فصاح القاضي وبكى وقال: إن هذا الرجل قد نعى إلى نفسي. قال: فمات القاضي أبو العباس في تلك السنة. وذكر الخطيب في تاريخه أن ابن سريج مات سنة ست وثلاثمائة. وبإسناد البيهقي إلى داود بن علي الأصبهاني أنه قال: اجتمع للشافعي من الفضائل ما لم يجتمع لغيره. فأقول: ذلك شرف نفسه ومنصبه، وأنه من رهط النبي صلى الله عليه وسلم، منها صحة الدين وسلامة الاعتقاد من الأهواء والبدع، ومنها سخاوة النفس، ومنها معرفته بصحة الحديث وسقمه، ومنها معرفته بناسخ الحديث ومنسوخه، ومنها حفظه لكتاب الله وحفظه لأخبار رسول اله صلى الله عليه وسلم، ومعرفته بسير النبي صلى الله عليه وسلم وبسير خلفائه، ومنها كشفه لتمويه مخالفيه، ومنها تأليف الكتب القديمة والجديدة، ومنها ما اتفق له من الأصحاب والتلامذة مثل أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل في زهده وعلمه وورعه وإقامته على السنة، ومثل سليمان بن داود الهاشمي، وعبد الله ابن الزبير الحميدي، والحسين القلانسي، وأبي ثور إبراهيم ابن خالد الكلبي، والحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني، وأبي يعقوب يوسف بن يحيى البويطي، وحرملة بن يحيى التجيبي، والربيع بن سليمان المرادي، وأبي الوليد موسى ابن الجرود، والحارث بن سريج النقال، وأحمد بن خالد الخلال، وأبي عبيد القاسم بن سلام. والقائم بمذهبه أبو إبراهيم إسمعيل بن يحيى المزني.

قال الشيخ أحمد البيهقي: إنما عد داود بن علي من أصحاب الشافعي جماعة يسيرة، وقد عد أبو الحسن الدارقطني من روى عنه أحاديثه وأخباره أو كلامه زيادة على مائة، هذا مع قصور سنة عن سن أمثاله من الأئمة، وإنما تكثر الرواة عن العالم إذا جاوز سنة الستين أو السبعين، والشافعي لم يبلغ في السن أكثر من أربع وخمسين.

ومن كتاب مرو مسنداً إلى عبد الله بن محمد بن هارون الفرياني قال: وقفت بمكة على حلقة عظيمة وفيها رجل فسألت عنه فقيل: هذا محمد بن إدريس الشافعي، فسمعته يقول: سلوني عما شئتم أخبركم بآية من كتاب الله وسنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول صحابي. فقلت في نفسي: إن هذا الرجل جرئ، ثم قلت له: ما تقول في المحرم يقتل الزنبور؟ فقال: قال الله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذه، وما نهاكم عنه فانتهوا). وحدثنا سفيان بن عيينة عن عبد الملك بن عمير عن ربعي عن حذيفة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (اقتدوا بالذين من بعدي أبي بكر وعمر). وحدثنا سفيان بن عيينة عن مسعر عن قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب أن عمر رضي الله عنه أمر المحرم بقتل الزنبور.

وعن المزني سمعت الشافعي يقول: رأيت بالمدينة أربع عجائب. رأيت جدة لها إحدى وعشرين سنة، ورأيت

رجلاً فلسة القاضي في مدين نوى، ورأيت شيخاً قد أتى عليه تسعون سنة يدور نهاره حافياً راجلاً على القيان يعلمهن الغناء فإذا جاءت الصلاة صلى قاعداً، وكان بالمدينة والٍ وكان رجلاً صالحاً فقال: مالي لا أرى الناس يجتمعون على بابي كما يجتمعون على أبواب الولاة؟ فقالوا: إنك لا تضرب أحداً ولا تؤذي الناس. فقال أهكذا؟ علي بالإمام فنصب بين العقابين وجعل يضرب والإمام يقول: – أعز الله الأمير – إيش جرمي، وهو يقول: حملنا بنفسك، حتى اجتمع الناس على بابه.

وعن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال: جاء رجل إلى الشافعي فقال له: – أصلحك الله – صديقك فلان عليل، فقال الشافعي: والله لقد أحسنت إلي وأيقظني لمكرمة، ودفعت عني اعتذار يشوبه الكذب ثم قال: يا غلام، هات السبتية ثم قال: للمشي على الحفاء، على علة الوجاء في حر الرمضاء من ذي طوى أهون من اعتذار إلى صديق يشوبه الكذب. ثم أنشأ يقول:

أرى راحة للحق عند قضائه ... ويثقل يوماً إن تركت على عمد
وحسبك حظاً أن ترى غير كاذب ... وقولك لم أعلم وذاك من الجهد
ومن يقض حق الجار بعد ابن عمه ... وصاحبه الأدنى على القرب والعبد
يعش سيداً يستعذب الناس ذكره ... وإن نابه حق أتوه على قصد

ومما يروي للشافعي رضي الله عنه:

أصبحت مطرحاً في معشر جهلوا ... حق الأديب فباعوا الرأس بالذنب
والناس يجمعهم شمل وبينهم ... في العقل فرق وفي الآداب والحسب

كمثل ما الذهب الإبريز يشركه ... في لونه الصفر، والتفضيل للذهب
والعود لو لم تطب منه روائحه ... لم يفرق الناس بين العود والحطب

وعن أبي بكر بن بنت الشافعي قال: قال الشافعي بمكة حين أراد الخروج إلى مصر:

لقد أصبحت نفسي تتوق إلى مصر ... ومن دونها قطع المهامة والقفر
فوالله ما أدري أللفوز والغنى ... أساق إليها أم أساق إلى القبر؟

قال: فخرج فقطع عليه الطريق فدخل بعض المساجد وليس عليه إلا خرقة فدخل الناس وخرجوا فلم يلتفت إليه أحد فقال:

على ثياب لو يباع جميعها ... بفلس لكان الفلس منهن أكثرا
وفيهن نفس لو يقاس ببعضها ... نفوس الورى كانت أجل وأكبرا
وما ضر نصل السيف إخلاق غمده ... إذا كان عضباً أين وجهته فرى؟

قرأت في كتاب خطط مصر لأبي عبد الله محمد بن سلامة ابن جعفر بن علي القضاعي المصري صاحب كتاب الشهاب قال: محمد بن إدريس الشافعي المطلي الفقيه يكنى أبا عبد الله، توفي في سلخ رجب سنة أربع ومائتين بمصر، ودفن غربي الخندق في مقابر قريش وحوله جماعة من بين زهرة من ولد عبد الرحمن بن عوف الزهري وغيرهم، وقبره مشهور هناك مجمع على صحته، ينقل الخلف عن السلف في كل عصر إلى

وقتنا هذا، وهو البحري من القبور الثلاثة التي تجمعها مصطبة واحدة غربي الخندق بينه وبين المشهد، والقبران الآخران اللذان إلى جنب قبر الشافعي أحدهما قبر عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث بن رافع مولى قريش، مات سنة أربع عشرة ومائتين، ودفن إلى جنب من الشافعي وهو ما يلي القبلة، وهو القبر الأوسط من القبور الثلاثة، وكان من ذوي الجاه والمال والدبابج، وكان يزكي الشهود ولم يشهد قط لدعوة سبقت فيهم، والقبر الثالث قبر ولده عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم، مات في سنة سبع وخمسين ومائتين وقبره مما يلي القبلة، وعبد الرحمن هذا هو صاحب كتاب فتوح مصر وكان عالماً بالتواريخ.

يقال: إن الشافعي رضي الله عنه قدم إلى مصر سنة تسع وتسعين ومائة في أول خلافة المأمون، وكان سبب قدومه إلى مصر أن العباس بن عبد الله بن العباس بن موسى بن عبد الله ابن العباس استصحبه فصحبه، وكان العباس هذا خليفة لأبيه عبد الله على مصر، ولم يزل الشافعي بمصر إلى أن ولي السري ابن الحكم البلخي – من قوم يقال لهم الزط – مصر واستقامت له، وكان يكرم الشافعي ويقدمه ولا يؤثر أحداً عليه، وكان الشافعي محبباً إلى الخاص والعام لعلمه وفقهه، وحسن كلامه وأدبه وحلمه، وكان بمصر رجل من أصحاب مالك بن أنس يقال له فتيان فيه حدة وطيش، وكان يناظر الشافعي كثيراً ويجتمع الناس عليهما، فتناظرا يوماً في مسألة بيع الحر وهو العبد المرهون إذا أعتقه الراهن ولا مال له غيره، فأجاب الشافعي بجواز بيعه على أحد أقواله، ومنع فتيان منه، لأنه يمضي عتقه بكل وجه وهو أحد أقوال الشافعي، فظهر عليه الشافعي في الحجاج، فضاق فتيان بذلك ذرعاً فشتم الشافعي شتماً قبيحاً فلم يرد عليه الشافعي حرفاً ومضى في كلامه في المسألة، فرفع ذلك رافع إلى السري، فدعا الشافعي وسأله عن ذلك وعزم عليه فأخبره بما جرى، وشهد الشهود على فتيان بذلك، فقال السري: لو شهد آخر مثل الشافعي. على فتيان لضربت عنقه، وأمر فتيان فضرب بالسياط وطيف به على جمل وبين يديه مناد ينادي: هذا جزاء من سب آل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم إن قوماً تعصبوا لفتيان من سفهاء الناس وقصدوا حلقة الشافعي حتى خلت من أصحابه وبقي وحده، فهجموا عليه وضربوه فحمل إلى منزله، فلم يزل فيه عليلاً حتى مات في الوقت المقدم ذكره.

قال ابن يونس: كان لشافعي ابن اسمه محمد، قدم مع أبيه مصر وتوفي بها في شعبان سنة إحدى وثلاثين ومائتين. وقيل: كان له ولد آخر اسمه محمد أيضاً يروي عن سفيان ابن عيينة. ولي قضاء الجزيرة وتوفي بها بعد أربعين ومائتين. هذا آخر ما ذكره القضاعي نقلته على وجهه.

ومن مشهور أصحاب الشافعي: أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى المزني مات في سنة أربع ومائتين. والربيع ابن سليمان وكان من أجل أصحاب الشافعي وأورعهم وأكثرهم تصنيفاً. ومحمد بن عبد الله بن عبد الحكم يكنى أبا عبد الله صحب الشافعي وقرأ عليه، ومات سنة ثمان وستين ومائتين، ودفن إلى جنب الشافعي مع قبر أخيه وأبيه المذكورين، وكان من أهل الدين والورع. والربيع بن سليمان ابن عبد الجبار المرادي – مولى لهم – المؤذن الفقيه يكنى أبا محمد، وهو صاحب الشافعي المشهور بصحبته، ومات سنة سبعين ومائتين، وقبره غربي الخندق مما يلي الفقاعي، وهو آخر من روى بمصر عن الشافعي وكان جليلاً مصنفاً، حدث

بكتب الشافعي كلها ونقلها الناس عنه ويقال: إنه أعان المزني على غسل الشافعي، والربيع بن سليمان بن داود ابن الأعرج الجيزي مولى الأزد وأظنه صحب الشافعي، ومات في سنة ست وخمسين ومائتين وقبره بالجيزة. وهذا فهرست كتب الشافعي رضى الله عنه: كتاب الطهارة، كتاب مسألة المني، كتاب استقبال القبلة، كتاب الإمامة، كتاب إيجاب الجمعة، كتاب صلاة العيدين، كتاب صلاة الكسوف، كتاب صلاة الاستسقاء، كتاب صلاة الجنائز، كتاب الحكم في تارك الصلاة، كتاب الصلاة الواجبة والتطوع والصيام، كتاب الزكاة الكبير، كتاب زكاة الفطر، كتاب زكاة مال اليتيم، كتاب الصيام الكبير، كتاب المناسك الكبير، كتاب المناسك الأوسط، كتاب مختصر المناسك، كتاب الصيد والذبائح، كتاب البيوع الكبير، كتاب الصرف والتجارة، كتاب الرهن الكبير، كتاب الرهن الصغير، كتاب الرسالة، كتاب أحكام القرآن، كتاب اختلاف الحديث، كتاب جماع العلم، كتاب اليمين مع الشاهد، كتاب الشهادات، كتاب الإجازات الكبير، كتاب كري الإبل والرواحل، كتاب الإجارات إملاء، كتاب اختلاف الأجير والمستأجر، كتاب الدعوى والبينات، كتاب الإقرار والمواهب، كتاب رد المواريث، كتاب بيان فرض الله عز وجل، كتاب صفة نهي النبي عليه الصلاة والسلام، كتاب النفقة على الأقارب، كتاب المزارعة، كتاب المساقاة، كتاب الوصايا الكبير، كتاب الوصايا بالعتق، كتاب الوصية للوارث، كتاب وصية الحامل، كتاب صدقة الحي عن الميت، كتاب المكاتب، كتاب المدبر، كتاب عتق أمهات الأولاد، كتاب الجناية على أم الولد، كتاب الولاء والحلف، كتاب التعريض بالخطبة، كتاب الصداق، كتاب عشرة النساء، كتاب تحريم ما يجمع من النساء، كتاب الشغار، كتاب إباحة الطلاق، كتاب العدة، كتاب الإيلاء، كتاب الخلع والنشوز، كتاب الرضاع، كتاب الظهار، كتاب اللعان، كتاب أدب القاضي، كتاب الشروط، كتاب اختلاف العراقيين، كتاب اختلاف علي وعبد الله، كتاب سير الأوزاعي، كتاب الغصب، كتاب الاستحقاق، كتاب الأقضية، كتاب إقرار أحد الابنين بأخ، كتاب الصلح، كتاب قتال أهل البغي، كتاب الأساري والغلول، كتاب القسامة، كتاب الجزية، كتاب القطع في السرقة، كتاب الحدود، كتاب المرتد الكبير، كتاب المرتد الصغير، كتاب الساحر والساحرة، كتاب القراض، كتاب الأيمان والنذور، كتاب الأشربة، كتاب الوديعة، كتاب العمري، كتاب بيع المصاحف، كتاب خطأ الطبيب كتاب جناية معلم الكتاب، كتاب جناية البيطار والحجام، كتاب اصطدام الفرسين والنفسين، كتاب بلوغ الرشد، كتاب اختلاف الزوجين في متاع البيت، كتاب صفة النفي، كتاب فضائل قريش والأنصار، كتاب الوليمة، كتاب صول الفحل، كتاب الضحايا، كتاب البحيرة والسائبة، كتاب قسم الصدقات، كتاب الاعتكاف، كتاب الشفعة، كتاب السبق والرمي، كتاب الرجعة، كتاب اللقيط والمنبوذ، كتاب الحوالة والكفالة، كتاب كرى الأرض، كتاب التفليس، كتاب اللقطة، كتاب فرض الصدقة، كتاب قسم الفيء، كتاب القرعة، كتاب صلاة الخوف، كتاب الديات، كتاب الجهاد، كتاب جراح العمد، كتاب الخرص، كتاب العتق، كتاب عمارة الأرضين، كتاب إبطال الاستحسان، كتاب العقول، كتاب الأولياء، كتاب الرد على محمد بن الحسن كتاب صاحب الرأي، كتاب سير الواقدي، كتاب حبل الحبلة، كتاب خلاف مالك والشافعي، كتاب قطاع الطريق. قال: والذي لم يسمعه الربيع من الشافعي رضى الله عنه وأرضاه: كتاب الوصايا الكبير، كتاب اختلاف أهل العراق على علي وعبد الله،

كتاب ديات الخطأ، كتاب قتال المشركين، كتاب الإقرار بالحكم الظاهر، كتاب الأجناس، كتاب اتباع أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، كتاب

مسألة الجنين، كتاب وصية الشافعي، كتاب ذبائح بني إسرائيل، كتاب غسل الميت، كتاب ما ينجس الماء مما خالطه، كتاب الأمالي في الطلاق، كتاب مختصر البويطي، رواه الربيع عن الشافعي رضي الله عنه.لة الجنين، كتاب وصية الشافعي، كتاب ذبائح بني إسرائيل، كتاب غسل الميت، كتاب ما ينجس الماء مما خالطه، كتاب الأمالي في الطلاق، كتاب مختصر البويطي، رواه الربيع عن الشافعي رضي الله عنه.
/الجزء الثامن عشر

محمد بن أزهر بن عيسى

أحد الأخباريين المشهورين، قال محمد بن إسحاق النديم: مات سنة تسع وسبعين ومائتين ومولده سنة تسع وسبعين. وكان قد سمع من الأعرابي وغيره، وله من الكتب: كتاب التاريخ، من جياد الكتب.

محمد بن إسحاق بن يسار

صاحب السيرة كنيته أبو عبد الله، وقيل أبو بكر مولى عبد الله بن قيس بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف بن قصي، ويسار من سبي عين التمر، وهو أول سبي دخل المدينة من العراق. قال ابن أبي خيثمة: وموسى بن يسار أخو إسحاق بن يسارعم محمد بن إسحاق رواية أيضاً علامة. مات محمد بن إسحاق سنة خمسين أو إحدى أو اثنتين وخمسين ومائة. ودفن بمقادير الخيزران عند قبر أبي حنيفة.
قال المرزباني: ومحمد بن إسحاق أول من جمع مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وألفها، وكان يروي عن عاصم ابن عمر بن قتادة، ويزيد بن رومان، ومحمد بن إبراهيم، وابن شهاب والأعمش، ويروي عن فاطمة بنت المنذر بن الزبير امرأة هشام بن عروة، فبلغ ذلك هشاماً فقال: هو كان يدخل على امرأتي؟ كأنه أنكر ذلك، وخرج عن المدينة قديماً فلم يرو عنه منهم أحد غير إبراهيم بن سعد. وكان محمد بن إسحاق مع العباس بن محمد بالجزيرة، وكان قصد أبا جعفر المنصور بالحيرة فكتب إليه المغازي فسمع منه أهل الكوفة لذلك السبب، وسمع منه أهل الجزيرة حين كان مع العباس بن محمد، وأتى الري فسمع منه أهلها فرواته، هذه البلدان أكثر ممن روى عنه من أهل المدينة، وأتى بغداد فأقام بها إلى أن مات بها، وكان كثير الحديث، وقد كتب عنه العلماء ومنهم من يستضعفه، وكان له أخوان عمر وأبو بكر ابنا إسحاق، وقد رويا الحديث.
وحدث بإسناد رفعة إلى المفضل بن غسان الغلابي قال: سألت يحيى بن معين عن محمد بن إسحاق فقال: قال عاصم ابن عمر بن قتادة: لا يزال في الناس علم ما عاش محمد بن إسحاق. قال يحيى: وابن إسحاق يسمع من عاصم فكان يقال: وحدث فيما رفعه إلى علي المديني قال: سمعت بن يحيى بن سعيد القطان يقول: كان محمد بن إسحاق والحسن بن ضمرة وإبراهيم بن محمد كل هؤلاء يتشيعون ويقدمون علياً على عثمان.

وقال الشاذكاني: كان محمد بن إسحاق بن يسار يتشيع، وكان قدرياً. وقال أحمد بن يونس: أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وأبي معشر ويحيى بن سعيد الأموي وغيرهم. وأصحاب التفسير السدي والكلبي وغيرهما، وكان له انقطاع إلى عبد الله بن حسن بن حسن، وكان يأتيه بالشيء فيقول له: أثبت هذا في علمك فيثبته ويرويه عنه.

وحدث فيما أسنده إلى الواقدي قال: كان محمد بن إسحاق يجلس قريباً من النساء في مؤخر المسجد فيروي عنه أنه كان يسامر النساء، فرفع إلى هشام وهو أمير المدينة وكانت له شعرة حسنة فرقق رأسه وضربه أسواطاً ونهاه عن الجلوس هنالك وكان حسن الوجه.

وحدث عبد الله بن إدريس قال: كنت عند مالك بن أنس فقال له رجل: إن محمد بن إسحاق يقول: اعرضوا علي علم مالك بن أنس فإني أنا بيطاره. فقال مالك: انظروا إلى دجال من الدجاجلة يقول: اعرضوا على علم مالك. قال إدريس: وما رأيت أحداً جمع الدجال قبله.

وحدث هارون بن عبد الله الزهري قال: سمعت ابن أبي خازم قال: كان ابن إسحاق في حلقته فأغفى ثم انتبه فقال: رأيت حماراً اقتيد بحبل حتى خرج من المسجد، فلم يبرح حتى أتته رسل الوالي فاقتادوه بحبل فأخرجوه من المسجد. وقال محمد بن إسحاق: كانت تعمل له الأشعار فيضعها في كتب المغازي فصار بها فضيحة عند رواة الأخبار والأشعار، وأخطأ في كثير من النسب الذي أورده في كتابه، وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميهم في كتبه أهل العمل الأول، وأصحاب الحديث يضعفونه ويتهمونه. وله من الكتب: كتاب الخلفاء رواه عنه الأموي، كتاب السير والمغازي، كتاب المبدإ رواه عنه إبراهيم بن سعد ومحمد بن عبد الله بن نمير النفيلي، ومات النفيلي بحران سنة أربع وثلاثين ومائتين، وكان يكنى أبا عبد الرحمن.

محمد بن إسحاق أبو العنبس الصيمري

قال الخطيب في تاريخه: محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن أبي العنبس بن المغيرة بن ماهان أبو العنبس الصيمري الشاعر أحد الأدباء الملحاء، خبيث اللسان هجاء، هجاه أكثر شعراء زمانه وقدم بغداد، مات سنة خمس وسبعين ومائتين، وحمل إلى الكوفة فدفن بها ونادم المتوكل، وهو القائل يهجو أحمد بن المدبر:

أسل الذي عطف الموا ... كب والمراكب نحو بابك
وأراك نفسك مالكاً ... ما لم يمن لك في حسابك
وأذل موقفي العزي ... ز على وقوف في رحابك
ألا يطيل تجرعي غصص المنية من حجابك

وهو القائل:

كم مريض قد عاش من بعد يأس ... بعد موت الطبيب والعواد
قد يصاد القطا فينجو سليماً ... ويحل القضاء بالصياد

وذكره محمد بن إسحاق النديم في الفهرست فقال: محمد بن إسحاق أبو العنبس الصيمري من أهل

الفكاهات وأصله من الكوفة وكان قاضي الصيمرة، وكان مع استعماله للهزل شريفاً عارفاً بالنجوم، وله فيه كتاب يمدحه المنجمون، وأدخله المتوكل في ندمائه وخص به، وله مع البحتري خبر معروف بين يدي المتوكل، وعاش إلى أيام المعتمد ودخل في ندمائه، وله يهجو طباخ المعتمد:

يا طيب أيامي بمعشوق ... ونحن في بعد من السوق

إذا طلبت الخبز من فارس ... ينفخ لي صالح البوق

وله من الكتب: كتاب تأخير المعرفة، كتاب العاشق والمعشوق، كتاب الرد على المنجمين، كتاب الطبلبنب، كتاب كرزابلا، كتاب طوال اللحى، كتاب الرد على المتطببين، كتاب عنقاء مغرب، كتاب الراحة ومنافع القيادة، كتاب فضائل حلق الرأس، كتاب هندسة العقل، كتاب الأحاديث الشاذة، كتاب فضائل الزو، كتاب الرد على ميخائيل الصيدناني في الكيمياء، كتاب عجائب البحر، كتاب مساوي العوام وأخبار السفلة والأغتام، كتاب فضل السلم على الدرجة، كتاب الفاس بن الحائك، كتاب الدولتين في تفضيل الخلافتين، كتاب تذكية العقول، كتاب السحاقات والبغائين، كتاب الخضخضة في جلد عميرة، كتاب أخبار أبي فرعون كندر بن حجدر، كتاب تفسيرالرؤيا، كتاب الثقلاء، كتاب نوادر القواد، كتاب دعوة العامة، كتاب الإخوان والأصدقاء، كتاب كنى الدواب، كتاب أحكام النجوم، كتاب المدخل في صناعة التنجيم، كتاب صاحب الزمان، كتاب الحلقتين، كتاب استغاثة الجمل على ربه، كتاب فضل السرم على الفم.

وقال أبو العنبس الصيمري: قوام أمر الإنسان بتسع دالات: دار ودينار ودرهم ودقيق ودابة ودبس ودن ودسم ودعوة.

وحدث الصولي قال: حدثني ابن أبي العنبس وكان قدم إلينا بغداد من سر من رأى وكان متأدباً قال: عرضت لأبي حاجة إلى الحسن بن مخلد وزير المعتمد في أقطاع له فخاف معارضته وذلك أيام تقلده ديوان الضياع فقال:

زارني بدر على غصن ... قابلاً وصلى يقبلني

خلته في النوم من فرحي ... قد أعاد الروح في بدني

إن لي عن مثله شغلاً ... بمقال الشعر في الحسن

وأبيه مخلد فبه ... قد لبسنا سابغ المنن

كاتب قل النظير له ... فاضل في العلم واللسن

قال: فأمضى له كل ما أراد ولم يعارضه في شيء. وأنشد جحظة لأبي العنبس الصيمري:

لئن كنت عن أرض تقلك نازحاً ... فلم يحكني غير السليم المسهد

وعلمت مذ جرعتني صاب بينكم ... غريب البكا عين الحمام المغرد

وعن أبي الفرج، حدثني أحمد بن جعفر جحظة قال: حدثني أبو العنبس الصيمري قال: كنت عند المتوكل والبحتري ينشده:

عن أي ثغر تبتسم ... وبأي طرف تحتكم

حتى بلغ إلى قوله:

قل للخليفة جعفر ال ... متوكل بن المعتصم

والمجتدي بن المجتدي ... والمنعم بن المنتقم

إسلم لدين محمد ... وإذا سلمت فقد سلم

قال: وكان البحتري من أبغض الناس إنشاداً، يتشدق ويتزاور في مشيه مرة جائياً ومرة القهقري، ويهز رأسه مرة ومنكبه أخرى، ويشير بكمه ويقول: أحسنت والله، ثم يقبل على المستمعين فيقول: ما لكم لا تقولون: أحسنت؟ هذا واله مالا يحسن أحد أن يقول مثله، فضجر المتوكل من ذلك وأقبل علي فقال: أما تسمع يا صيمري ما يقول؟ فقلت بلى يا سيدي، فمر فيه بما أحببت فقال: بحياتي اهجه على هذا الروى الذي أنشدنيه. فقلت:

أدخلت رأسك في الحرم ... وعلمت أنك تنهزم

يا بحتري حذار وي ... لك من قضاقضة ضغم

فلقد أسلت لوالدي ... ك من الهجاسيل العرم

والله حلفه صادق ... وبقبر أحمد والحرم

وبحق جعفر الإما ... م ابن الإمام المعتصم

لأصيرنك شهرة ... بين المسيل إلى العلم

فبأي عرض تعتصم ... وبهتكه جف القلم؟

حي الطلول بذي سلم ... حيث الأراكة والخيم

يا بن الثقيلة والثقي ... ل على قلوب ذوي النعم

وعلى الصغير مع الكب ... ير مع الموالي والحشم

في أي سلح تلتطم ... وبأي كف تلتقم؟

يا بن المباحة للورى ... أمن العفاف أو التهم؟

إذ رحل أختك للعجم ... وفراش أمك في الظلم

وبباب دارك حانة ... في بيته يؤتى الحكم

قال: وخرج البحتري مغضباً يعد وجعلت أصيح به خلفه:

أدخلت رأسك في الحرم ... وعلمت أنك تنهزم

والمتوكل يضحك ويصفق حتى غاب عنه. هذه رواية جحظة، والذي يتعارفه الناس أن أبا العنبس كان واقفاً خلف السرير والبحتري ينشد قوله:

عن أي ثغر تبتسم ... وبأي طرف تحتكم؟

فقال أبو العنبس ارتجالاً

في أي سلح ترتطم ... وبأي كف تلتقم؟

أدخلت رأسك في الحرم ... وعلمت أنك تنهزم

فغضب البحتري وخرج وضحك المتوكل حتى أكثر، وأمر لأبي العنبس الصيمري بعشرة آلاف درهم.

محمد بن إسحاق بن أسباط الكندي

أبو النضر المصري، ذكره أبو بكر الزبيدي، قال الزبيدي: أخذ عن الزجاج. وله كتاب في النحو سماه كتاب العيون والنكت ذهب فيه إلى اخذ الاسم والفعل والحرف، وتلا ذلك بذكر شيء من أبواب الياء والواو ولم يصنع شيئاً. وقال ابن مسعر: نزل أبو النضر أنطاكية مدة ثم سار عنها إلى مصر، وله كتابان: كتاب التلقين، كتاب الموقظ. ورأيت أنا له كتاب المغني في النحو. وذكره ابن عبد الرحيم فقال: نقلت من خط أبي الحسن بن الخطيب: حدثنا الببغا قال: كان يجتمع معنا في خدمة سيف الدولة شيخ من أهل الأدب والتقدم في النحو وعلم المنطق ممن درس على الزجاج وأخذ عنه يكنى بأبي النضر وذكر اسمه ونسبه، وحكى أنه كان حسن الشعر، وأخبرنا أن الأبيات التي ينسبها قوم إلى ابن المغيرة وآخرون إلى أبي نضلة، قلت: أنا وجدتها أنا في ديوان أبي القاسم التنوخي ومعزوة إلى أبي القاسم وتروى لغيرهم أيضاً أنها لأبي النضر من قديم شعره، وأنشدها لنفسه وهي:

وكأس من الشمس مخلوقة ... تضمنها قدح من نهار

هواء ولكنه ساكن ... وماء ولكنه غير جار

فهذا النهاية في الابيضاض ... وهذا النهاية في الاحمرار

وما كان في الحكم أن يوجدا ... لفرط التنافي وفرط النفار

ولكن تجاور سطحاهما ال ... بسيطان فاجتمعا بالجوار

كأن المدير لها باليمين ... إذا طاف للسقي أو باليسار

تدرع ثوبا من الياسمين ... له فرد كم من الجلنار

وقد أورد التنوخي هذه الحكاية في كتاب النشوار وحكى أن أبا النضر كان عالماً بالهندسة قيماً بعلوم الأوائل. ولأبي النضر أيضاً:

هات اسقني بالكبير وانتخب ... نافية للهموم والكرب

فلو تراني إذا انتشيت وقد ... حركت كفي بها من الطرب

لخلتني لابساً مشهرة ... من لازورد يشف من ذهب

وقال أبو علي التنوخي: أنشدني أبو عمر بن جعفر الخلال لأبي النضر المصري النحوي من قصيدة يذكر فيها رجلاً مدحه قال: وكان متسعاً في الشعر الجيد المستحسن:

ورأيت أحمدنا وسيدنا ... متصدراً للورد والصدر

خلت النجوم خلقن دائرة ... موصولة الطرفين بالقمر

محمد بن إسحاق الشابستي

أبو عبد الله الشابستي صاحب خزنة كتب العزيز بن المعز بمصر والمتولي عرضها وكان من أهل الفضل والأدب. مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة للهجرة في أيام الحاكم بن العزيز، وله عدة تصانيف منها: كتاب الديارات، كتاب اليسر بعد العسر، كتاب مراتب الفقهاء، كتاب التوقيت والتخويف، كتاب مراسلات، كتاب ديوان شعره، كتاب في الزهد والمواعظ وقد اختلف في اسمه فرأيت أنا كتاب الدايات من تصنيفه وهو مترجم، محمد بن إسحاق كما ترى. ونقل لي بمصر بعض من اختبرت صحة نقله أنه: أبو الحسن علي بن أحمد والله أعلم.

محمد بن إسحاق النديم

كنيته أبو الفرج، وكنية أبيه أبو يعقوب، مصنف كتاب الفهرست الذي جود فيه، واستوعب استيعاباً يدل على اطلاعه على فنون من العلم وتحققه لجميع الكتب، ولا أبعد أن يكون قد كان وراقاً يبيع الكتب، وذكر في مقدمة هذا الكتاب أنه صنف في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة، وله من التصانيف: فهرست الكتب، كتاب التشبيهات. وكان شيعياً معتزلياً.

محمد بن إسحاق بن علي بن داود

ابن حامد أبو جعفر القاضي الزوزني البحاثي، ذكره عبد الغافر بن إسماعيل بن عبد الغافر الفارسي وأنه مات بغزنة سنة ثلاث وستين وأربعمائة وقال: هو أحد الفضلاء المعروفين جداً وهزلاً، والفائق أهل عصره ظرفاً وفضلاً، والتعصب لأهل السنة المخصوص بخدمة البيت الموفقي، المحترم بين الأئمة والكبار لفضله مرة، وللتوقي من حماة لسانه وعقارب هجائه ثانية. ولقد رزق من الهجاء في النظم والنثر طريقة لم يسبق إليها، وما ترك أحداً من الكبراء والأئمة والفقهاء وسائر الأصناف من الناس إلا هجاه ووقع فيه، فكان الكل يتترسون باحترامه وإيوائه عن سهام هجائه.

قال عبد الغافر: وكان صديق والدي من البائتين عنده في الأحايين، والمقترحين عليه ما يشتهيه من الطبائخ والمطعومات، سمعته رحمه الله يحكي عنه أحواله وتهتكه واشتغاله في جميع الأحوال بما لا يليق بالعلماء والأفاضل، ولكنه كان يحتمل عنه اتقاء لسانه، ومما حكاه لي رحمه الله أنه قال: ما وقع بصري قط على شخص إلا تصور في قلبي هجاؤه قبل أن أكلمه وأجربه أو أخبر أحواله. وحكى لي بعض من أثق به أنه قال: لم يفلت أحد من هجائي إلا القاضي الإمام صاعد بن محمد رحمه الله، فإني كنت قد وزرت في نفسي أن أهجوه، فحيث تأملت في حسن عبادته وكمال فضله ومرضي سيرته استحييت من الله تعالى، وتركت ما أجلته في فكري. على أني سمعت فيما قرع سمعي تشبيباً منه بشيء من ذلك عفا الله عنه، ولقد خص طائفة من الأكابر والعلماء بوضع التصنيف فيهم ورميهم بما برأهم الله عز وجل عنه، وبلغ في الإفحاش وأغرق في

قوس الإيحاش وأظهر النسك بين الناس وأغرب في فنون الهجاء، وأتى بالعبارات الرشيقة والمعاني الصحيحة من حيث الصنعة، وإن كانت عن آخرها أوزاراً وآثاماً وكذباً وبهتاناً، واتفق الأفاضل على أنه أهجى أهل عصره من الفضلاء، وأفقههم شتماً قبيحاً، وتعريضاً وتصريحاً، وكان يسكن مدرسة السيوري بباعذراً، ويخص جماعة سكانها من الأئمة في عصره بالهجاء، وله معهم ثارات وأحوال يطول ذكرها، ثم مع تبحره وانفراده بفن الهجاء كان له شعر في الطبقة العليا في المدح والثناء وسائر المعاني، قصائده الغر في السادة والأئمة مشهورة، ومقطعاته في الغزل مأثورة، وكان ينسخ كتبالأدب بخط مقروء صحيح أحسن النسخ، ولقد رأيت نسخة من كتاب يتيمة الدهر لأبي منصور الثعالبي في خمس مجلدات بخطة المليح بيعت بثلاثين ديناراً نيسابورية وكانت تساوي أكثر من ذلك، ولقد كتب نسخة غريب الحديث لأبي سليمان الخطابي وقرأها على جدي الشيخ عبد الغافر ابن محمد الفارسي قراءة سماع، وعلى الحاكم الإمام أبي سعد ابن دوست قراءة تصحيح وإتقان أقطع على الله تعالى أن لم يبق من ذلك الكتاب نسخة أبين ولا أملح منها، وهي الآن برسم خزانة الكتب الموضوعة في الجامع القديم موقوفة على المسلمين، ومن أراد صدقي في ادعائي فليطالعه منها، ولم أظفر من مسموعاته في الأحاديث بشيء يمكنني أن أودعه هذا الكتاب مع أني لا أشك في سماعه، ولقد ذكر الحافظ أنه روى عنه خاله أبي الحسن هارون الزوزني عن أبي حاتم بن حيان ولم يقع إلى بعد، ومن شعره في بعض الأكابر:

يرتاح للجد مهتزاً كمطرد ... مثقف من رماح الخط عسال

فمرة باسم عن ثغر برق حياً ... وتارة كاشف عن ناب رئبال

فما أسامة مطروراً براثنه ... ضخم الجزارة يحمي خيس أشبال

يوماً بأشجع مه حشو ملحمة ... والحرب تصدع أبطالاً بأبطال

ولا خضارة صخاباً غواربه ... تسمو أواذيه حالاً على حال

أندى واسمح منه إذ يبشره ... مبشوره برواد ونزال

إلى غير ذلك من أمثاله إلى تمام القصيدة، وله:

وذي شنب لو أن جمرة ظلمه ... أشبهها بالجمر خفت به ظلما

فبضت عليه حالياً واعتنقته ... فأوسعني شتماً وأوسعته لما

ومن شعره يصف البرد:

متناثر فوق الثرى حباته ... كثغور معسول الثنايا أشنب

برد تحد من ذرى صخابة ... كالدر إلا أنه لم يثقب

قال عبد الغافر: واقتصرت على هذا النموذج من كلامه مخافة الإملال، ومن أراد المزيد عليه فديوان شعره هزلاً وجداً موجود، والله يغفر له ويعفو عنه.

قال المؤلف: ولم أر من تصانيف البحاثي هذا شيئاً إلا شرح ديوان البحتري، ولعمري إن هذا شيء ابتكره، فإني ما رأيت هذا الديوان مشروحاً، ولا تعرض له أحد من أهل العلم ولا سمعت أحداً قال: إني رأيت ديوان أبي عبادة البحتري مشروحاً، وتأملته فرأيته قد ملئ علماً وحشي فهماً، وذاك أن شروح الدواوين

المعرفة كأبي تمام والمتنبئ وغيرهما تساعدت القرائح عليها، وترافدت الهمم إليها، وما أرى له فيما اعتمده من شرح هذا الكتاب عمدة إلا أن يكون كتاب عبث الوليد للمعري، وكتاب الموازنة للآمدي لا غير. وقد ذكر البحاثي هذا أبو منصور الثعالبي في تتمة يتيمة الدهر بما أنا ذاكره إن شاء الله.

قال أبو منصور: أبو جعفر محمد بن إسحاق البحاثي زينة زوزن، وطرف الطرف، وريحان الروح، يقول في هجاء لحيته الطويلة:

يا لحية قد علقت من عارضي ... لا أستطيع لقبحها تشبيهاً
طالت فلم تفلح ولم تك لحية ... لتطول إلا والحماقة فيها
إني لأظهر للبرية حبها ... والله يعلم أنني أقليها

ويقول في ذم خال على وجه بعض من يهجوه:

أبو طاهر في الشؤم واللؤم غاية ... بعيد عن الإسلام والعقل والدين
على وجهه خال قريب من انفه ... كمثل ذباب واقع فوق سرقين

وله:

ينيكون غزلان الحسان ولا أرى ... غزالاً من الغزلان فرداً بساحتي
فمن يك قد لاقى من النيك راحة ... ففي راحتي أنسي ورفقي وراحتي

وله:

ولما رأيت الفقر ضربة لازب ... ولم يك لي في الكف عقد على نقد
ولا لي غلام قد يناك ولم يكن ... سبيل إلى الترك المكحلة الجرد
شريت قبيحاً من بني الهند أسوداً ... ونيك الهنود السود خير من الجلد

وله أيضاً يهجو:

فسوي وضرطي والخرا مائعاً ... على الذي مقلوبه فسوى
من خلقه أقبح من خلقه ... وجحره أوسع من دلوى

وله:

تعود هتك الستر نسوان سكبر ... وجئن لباس الفسق من أحسن الكسا
وطرن سروراً حين لقبن سكبراً ... فسكبر إذ قلبته صار رب كسا

وللبحاثي في صفة دعوة:

سألونا عن قراه ... فاختصرنا في الجواب
كان فيه كل شيء ... بارداً غير الشراب

ومن خبيث شعره:

الحمد لله وشكراً على ... إنعامه الشامل في كل شيء
إن الذي لاعبني في الصبا ... مات ومن قد نكته بعد حي

نقلت من خط أبي سعد السمعاني عن رجل، عن أسعد بن محمد العتبي قال: حكى أبو جعفر البحاثي أن أبا بكر الصيفي كان يختلف معنا إلى الحاكم أبي سعد بن دوست وكان من أنجب تلامذته نظماً ونثراً، فاختطف في ريعان شبابه ونضارة عمره فرأيته في المنام ليلة قلت: ما وجدت من أشعارك شيئاً يكون لي تذكرة فقال: ليس لي شعر. فقلت: ألست القائل؟:

باكر أبا بكر بكاس ... ما بين إبريق وطاس

فقال: وأنا أقول:

حل الخطوب بساحتي ... لا كنت أيتها الخطوب

غادرتنا فغدرت إ ... ن الدهر خداع خلوب

دنيا تقضت لم يكن ... لي في أطايبها نصيب

قال: فانتبهت وأشعلت السراج وكتبت عنه هذه الأبيات. حكى يعقوب بن أحمد النيسابوري أن القاضي البحاثي دخل على أبي سعد بن دوست فانشده:

ليت شعري إذا خرجت من الدن ... يا فأصبحت ساكن الأجداث

هل يقولن إخوتي بعد موتي ... رحم الله ذلك البحاثي؟

فلما مات البحاثي قال فيه أبو سعد بن دوست:

يا أبا جعفر بن إسحاق إني ... خانني فيك نازل الأحداث

من هوى من مصاعد العز قسراً ... يك تحت الرجام في الأجداث

فلك اليوم من قواف حسان ... سرن في المدح سيرها في المراثي

مع كتب جمعن في كل فن ... حين يروين ألف باك وراثي

قائل كلها بغير لسان ... رحم الله ذلك البحاثي

وذكر محمد بن محمود النيسابوري في كتاب سر السرور: أن شعر البحاثي على نيف عشرين ألف بيت وأنه وقف عليه في تسع مجلدات، فانتخبت من ذلك المنتخب في هذه الورقة:

بأبي من عند لثمي ... زاد في عشقي بشتمه

ومضى يبكي ويمحو ... أثر اللثم بكمه

وله مثله:

بليت بطفل قل طائل نفعه ... سوى قبل يزرى بها طول منعه

ويمسحها من عارضيه بكمه ... ويغسلها عن وجنتيه بدمعه

يكاشفني إن لاح شخصي بعينه ... ويغتابني إن مر ذكري بسمعه

ولم أجد له في غير الهجاء السخيف شيئاً استحسنته، قال يهجو:

ألا إن هذا البيهقي محدث ... مسيلمة الكذاب في جنبه ملك

ففي وجهه قبح وفي قلبه عمى ... وفي نطقه كذب وفي دينه حلك

لو ابن معين كان حيا لجاءه ... بالسلح الكلب لحيته دلك
فلا تعجباً إن مد في عمر مثله ... ويهلك أهل الفضل إذ خرف الفلك
وله:
مأتم الشيخ مأنس للكرام ... جئته قاضياً لحق الحمام
مع حزن يحكي حزين الأغاني ... وبكاء يحكي بكاء الحمام
كجهام الغمام جفناً ووجهاً ... مكدي الدمع واري الابتسام
وكان البارع الزوزني عرضة لأهاجيه وغرضاً لطعان قوافيه، وكان يلقبه بالباعر ويدعى أنه افترسه ظبياً غريراً وافترشه بدراً منيراً، فلما التحى أنكر صحبته، ونبذ وراء ظهره مودته، فمن ذلك:
كان البويعر بدراً في حداثته ... ما كان أحسنه وجهاً وأبهاه
والطيب اجمع فيما تحت مئزره ... والسحر ما بثه في الناس عيناه
ربيته وهو في حجري ألاعبه ... نهاره وفراشي كان مأواه
أفيده من جنايا العلم أحسنها ... واستفيد لذيذاً من جنى فاه
حتى إذا ما عشا جلد استه وغدا ... مشعراً ودجا واسود قطراه
وصار كلباً وخنزيراً وزوبعة ... وغول قفر يميت الإنس لقياه
أنشأ يمزق عرضي منكراً أدبي ... وليس يحسن إلا ما أفدناه
إن كان ينكر ما قلمت من أدبي ... فليس ينكر أيرى شم مفساه
لو لم تغير صروف الدهر صورته ... لكان مغفورة عندي خطاياه
وله في السخف أبيات وله:
إني لمرزوق من الناس إذ ... أصبحت من أحذق حذاقهم
ما ذاك من فضل ولكنني ... أخالق الناس باخلاقهم

محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد

ابن مكيال أبو جعفر الميكالي، قد استوفينا هذا النسب في باب أبي الفضل عبد الله بن أحمد فأغنى، وكان أبو جعفر أديباً شاعراً لغوياً فقيهاً، مات في صفر سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة، وكان قد تفقه على قاضي الحرمين أبي الحسين، وعقد له المجلس الإملاء سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة، سمع منه الحاكم أبو عبد الله بن البيع الحافظ.

محمد بن إسماعيل النحوي

أبو عبد الله يعرف بالحكيم من أهل قرطبة، سمع محمد بن وضاح، ومحمد بن عبد السلام الخشني، ومطرف بن قيس، وعبد الله ابن مسرة، ومحمد بن عبد الله بن الغاز، وكان عالماً بالنحو والحساب دقيق النظر، مثيراً

للمعاني الغامضة مؤكداً لها، لا يتقدمه أحد في ذلك، وعمر إلى أن بلغ ثمانين عاماً وأدب الحكم المستنصر، وتوفي لعشر خلون من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة ونسلة انقرض.

محمد بن إسماعيل بن زنجي

أبو عبد الله الكاتب، له نباهة وذكر في أيام المعتضد وإلى آخر أيام الراضي، وكان من جلة الكتاب ومشايخهم، معروف بجودة الخط، وله تصانيف: منها كتاب الكتاب والصناعة، وكتاب رسائله. قال ابن بشران: مات محمد ابن إسماعيل المعروف بزنجي الكاتب الأنباري في شوال سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة، وكان متقدماً في كتاب الإنشاء والرسائل والكلام حسن المجلس، وله أخبار كثيرة حسنة.

محمد بن بحر الرهني

أبو الحسين الشيباني والرهني بالراء المهملة والنون منسوب إلى رهنة: قرية من قرى كرمان، وكان يسكن نرماسير من أرض كرمان، وهو يكنى أبا الحسين شيباني الأصل، معروف بالفضل والفقه. قال ابن النحاس في كتابه قال بعض أصحابنا: إنه كان في مذهبه ارتفاع وحديثه قريب من السلامة، ولا أدري من أين قيل.

قال شيخنا رشيد الدين: كان لقناً حافظاً يذاكر بثمانية آلاف حديث غير أنه كثر حفظه، وتتبع الغرائب فعمر، ومن طلب غرائب الحديث كذب. قال: ووقفت على كتابة البدع فما أنكرت فيه شيئاً وعند الله علمه. وكان عالماً بالأنساب وأخبار الناس شيعي المذهب غالياً فيه، وله تصانيف منها: كتاب سماه كتاب نحل العرب يذكر فيه تفرق العرب في البلاد في الإسلام، ومن كان منهم شيعياً ومن كان منهم خارجياً أو سنياً فيحسن قوله في الشيعة ويقع فيمن عداهم. وقفت على جزء من هذا الكتاب ذكر فيه نحل أهل المشرق خاصة من كرمان وسجستان وخراسان وطبرستان، وذكر فيه أن له تصنيفاً آخر سماه كتاب الدلائل على نحل القبائل، وذكر فيه أعني كتاب النحل: أخبرني ابن المحتسب ببغداد في درب عبدة بالحربية قال: أخبرنا أحمد بن الحارث الخزاز قال: أخبرني المدائني علي بن محمد بن أبي سيف عن سلمة بن سليمان المغني وغيره، فذكر قصة الملبد بن يزيد عن عون بن حرملة بن بسطام بن قيس بن حارثة بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان الخارج في أيام المنصور شارياً بالجزيرة حتى قتل.
وقال في موضع آخر: حدثنيسعد بن عبد الله بن أبي خلف قال: حدثني أبو هاشم الجعفري وقال فيه: حدثني النوفلي علي بن محمد بن سليمان بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أبيه وقال فيه: سمعت أحمد بن محمد بن كيسان النحوي وأنا أقرأ عليه كتاب سيبويه يقول: لم يجئ على فعل إلا أربعة أسماء: البقم: هي الخشبة التي يصبغ بنها وهي معروفة، وشلم: اسم بيت المقدس بالنبطية. وبذر: وهو اسم ماء من مياه العرب. قال كثير:
سقى الله أمواهاً عرفت مكانها ... جراباً وملكوماً وبذر والغمرا
وخصم: اسم للعنبر بن عمرو بن تميم.

محمد بن بكر البسطامي

لا أعرف من حاله إلا ما ذكره حمزة الأصبهاني وقد ذكر الخليل وغيره ثم قال: وصنف بالأمس محمد بن بكر البسطامي كتاباً على كتاب محمد بن الحسن بن دريد المسمى الجمهرة وقال: كان السبب لوضعي هذا الكتاب تطرفي الكتاب المسمى كتاب الياقوتة، وأن مصنفه حشا أكثر الكتاب بما ينطق به العرب وعزاه إلى ثعلب، وقد طلبنا ما ادعى من ذلك على العرب في المصنفات فلم نجده ثم سألنا عنه أصحاب ثعلب فلم يعرفوه، والذي صنف هذه الكتب لم يقم ما أودعه شاهداً ولا ودليلاً من القرآن أو الحديث أو المثل، ولا نما فيما رواه إلا إلى: أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي، فنمت له رواية تلك الأباطيل بين قوم لم يطالبوه بدليل وظنوا أنه فيها مصيب، ثم ذكر كتاب العين وأنه من تصنيف تلاميذ الخليل كما ذكرته في ترجمة الخليل.

محمد بن ثابت

بن محمد بن سوار بن علوان النمري الأصبهاني أبو بكر إمام الجامع بأصبهان في باب كوشك، وذكره يحيى بن مندة فقال: كان سنياً فاضلاً من الناس بارعاً في الأدب شاعراً فصيحاً كثير السماع قليل الرواية، مسكنه في درب البخاري، روى عن عبد الله بن محمد ابن محمد بن فورك، وأبي بكر محمد إبراهيم بن المقرئ وأحمد بن عبد الله النهرديري، كتب عنه عمي الإمام وجماعة رحمهم الله.

محمد بن تميم أبو المعاني البرمكي

اللغوي، له كتاب كبير في اللغة سماه المنتهي في اللغة منقول من كتاب الصحاح للجوهري، وزاد فيه أشياء قليلة وأغرب في ترتيبه، إلا أنه والجوهري كانا في عصر واحد، لأني وجدت كتاب الجوهري بخطه وقد فرغ منه سنة ست وتسعين وثلاثمائة، وذكر البرمكي في مقدمة كتابه، أنه صنفه في سنة سبع وتسعين وثلاثمائة، ولا شك أن أحد الكاتبين منقول من الآخر نقلاً، والذي أشك فيه أن البرمكي نقل كتاب الصحاح، لأن أبا سهل محمد بن علي الهروي كان بمصر وحكى عن البرمكي، وقد روى الهروي الصحاح عن ابن عبدوس، ولعل الكتاب خرج عن الجوهري وهو حي وقدم به إلى مصر.

محمد بن بحر الأصفهاني

الكاتب، يكنى أبا مسلم، كان كاتباً مترسلاً بليغاً متكلماً جدلاً، مات فيما ذكره حمزة في تاريخه في آخر سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة، ومولده سنة أربع وخمسين ومائتين، وكان الوزير أبو الحسن علي بن عيسى بن داود بن الجراح يشتاقه ويصفه.

وقال أبو علي التنوخي وقد ذكر محمد بن زيد الداعي فقال: وهو الذي كان أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني الكاتب المعتزلي العالم بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، قد صار عامل أصبهان وعامل فارس

للمقتدر يكتب له ويتولى أمره. ذكره محمد بن إسحاق وقال: له من الكتب: كتاب جامع التأويل لحكم التنزيل على مذهب المعتزلة أربعة عشر مجلداً، كتاب جامع رسائله كتاب حمزة كتاب الناسخ والمنسوخ، كتاب في النحو، وسمي حمزة كتابه في القرآن شرح التأويل. وكان ابن أبي البغل ولي في سنة ثلاثمائة ديوان الخراج والضياع بأصبهان وهو ببغداد، فورد كتابه على أبي مسلم بن بحر بأن يخلفه على ديوان الضياع بها، ثم ورد ابن أبي البغل إلى أصبهان فأقره على خلافته، ثم مات أبو علي محمد بن رستم في سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة فرتب مكانه أبو مسلم بن بحر وذلك في شوال، ثم ورد على بن بويه في خمسمائة فارس فهزم المظفرين بن ياقوت في خمسة آلاف فارس، ودخل ابن بويه أصبهان في منتصف ذي القعدة فعزل أبو مسلم. نقلت من كتاب أصفهان قال: وقال أبو مسلم في أبيات بالفارسية لأبي الأشعث القمي:

يا للشباب وغصنه النضر ... والعيش في أيامه الزهر
لو دام لي عهد المتاع به ... وأمنت فيه حوادث الدهر
لكنه لي معقب هرماً ... وهو النذير بآخر العمر

قال: وقال في أبي المعمر:

هل أنت مبلغ هذا القائد البطل ... عني مقالة طب غير ذي خطل
إن كنت أخطأت قرطاساً عمدت له ... فأنت في رمي قلبي من بني ثعل

قال: ودخل يوماً إلى دار أخيه أحمد بن بحر فرأى معه دفتراً على ظهره أبيات نصر بن سيار، وذاك عند ما بيض ما كان بن كاكي الديلمي ووردت خيله قم، وأبيات نصر:

أرى خلل الرماد وميض جمر ... ويوشك أن يكون له ضرام
وإن النار بالزندين توري ... وإن الحرب يقدمه الكلام
أقول من التعجب ليت شعري ... أأيقاظ أمية أم نيام؟

فكتب أبو مسلم تحتها:

أرى ناراً تشب بكل واد ... لها في كل منزلة شعاع
وقد رقدت بنو العباس عنها ... وأضحت وهي آمنة رتاع
كما رقدت أمية ثم هبت ... لتدفع حين ليس بها دفاع

ولما مات قال فيه علي بن حمزة بن عمارة الأصبهاني يرثيه:

وقالوا ألا ترثي ابن بحر محمداً ... فقلت لهم ردوا فؤادي واسمعوا
فلن يستطيع القول من طار قلبه ... جريحاً قريحاً بالمصائب يقرع
ومن بان عنه إلفه وخليله ... فليس له إلا إلى البعث مرجع
ومن كان أوفى الأوفياء لمخلص ... ومن حيز في سرباله الفضل أجمع
سحاباً كماء المزن به الجني ... جنى الشهد في صفو المدام يشعشع
وغرب ذكاء واقد مثل جمرة ... وطبع به العضب المهند يطبع
ومن كان بيت الكتابة في الذرى ... وذا منطق في الحفل لا يتتعتع

وله

وقد كنت أرجو أنه حين يلتحي ... يفرج عني أو يجد لي صبرا

فلما التحى واسود عارض وجهه ... تحول لي البلوى بواحدة عشرا

محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد

ابن عبد الله السعيدي الصوفي، نقلت نسبه هذا من خط يده يكنى أبا عبد الله، مات في سنة عشرين وخمسمائة وقيل: إن مولده في سنة عشرين وأربعمائة، فيكون عمره على هذا مائة سنة. أحد فضلاء المصريين وأعيانهم المبرزين. أخذ النحو والأدب عن أبي الحسن بن بابشاذ فأتقنه، وله أيضاً معرفة حسنة بالأخبار والأشعار وكان يقول الشعر فيجيد. ومن قوله:

يا عنق الأبريق من فضة ... ويا قوام الغصن الرطب

هبك تخافيت واقصيتني ... تقدر أن تخرج من قلبي؟

ومنه:

وإذا الصنيعة وافقت أهلاها ... دلت على توفيق مصطنع اليد

وله من الكتب: كتاب خطط مصر أجاد فيه، وله عدة تصانيف في النحو، كتاب الناسخ والمنسوخ فيما بلغني والله أعلم. وقال محمد بن بركات السعيدي يخاطب أبا القاسم هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت البوصيري الأنصاري:

فله أوامر من حجاه حكيمة ... وله زواجر من نهاه

يقظان من فهم لكل فضيلة ... بنباهة جلت عن الأشباه

علامة ما مشكل مستبهم خاف عن الأفهام عن أساه

محمد بن جرير بن يزيد بن كثير

بن غالب أبو جعفر الطبري المحدث الفقيه المقرئ المؤرخ المعروف المشهور. مات فيما ذكره أبو بكر الخطيب يوم السبت لأربع بقين من شوال سنة عشر وثلاثمائة، ودفن يوم الأحد بالغداة في دار برحبة يعقوب ولم يغبر شيبه، وكان السواد في شهره رأسه ولحيته كثيراً. ومولده سنة أربع أو أول سنة خمس وعشرين ومائتين. وكان أسمر إلى الأدمة أعين نحيف الجسم مديد القامة فصيح اللسان.

قال غير الخطيب: ودفن ليلاً خوفاً من العامة لأنه كان يتهم بالتشيع، وأما الخطيب فإنه قال: ولم يؤذن به أحد فاجتمع على جنازته من لا يحصى عددهم إلا الله، وصلى على قبره عدة شهور ليلاً ونهاراً، ورثاه خلق كثير من أهل الدين والأدب.

قال وسمع محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب، وأحمد ابن منيع البغوي، وأحمد بن حميد الرازي، وأبا همام الوليد ابن شجاع، وأبا كريب محمد بن العلاء، وعدد خلقاً كثيراً من أهل العراق والشام ومصر. وحدث

عنه أحمد بن كامل القاضي وغيره، واستوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته. قال: وكان أحد أئمة العلماء يحكم بقوله، ويرجع إلى رأيه لمعرفته وفضله، وكان قد جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، وكان حافظاً لكتاب الله عز وجل، عارفاً بالقرآن بصيراً بالمعاني، فقيهاً بأحكام القرآن عالماً بالسنن وطرقها وصحيحها وسقيمها، وناسخها ومنسوخها، عارفاً بأقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من المخالفين في الأحكام، ومسائل الحلال والحرام، عارفاً بأيام الناس وأخبارهم، وله الكتاب المشهور في تاريخ الأمم والملوك، وكتاب في تفسير القرآن لم يصنف أحد مثله، وكتاب سماه تهذيب الآثار لم أرسواه في معناه لم يتممه، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة واختيار من أقاويل الفقهاء، وتفرد بمسائل حفظت عنه.

قال الخطيب: وسمعت علي بن عبيد الله اللغوي السمسمي يحكي أن محمد بن جرير مكث أربعين سنة يكتب في كل يوم منها أربعين ورقة قال: وقال أبو حامد الإسفرايني الفقيه: لو سافر رجل إلى الصين حتى يحصل كتاب تفسير محمد بن جرير لم يكن ذلك كثيراً، أو كلاماً هذا معناه.

وحدث عن القاضي أبي عمر عبيد الله بن أحمد السمسار وأبي القاسم بن عقيل الوراق أن أبا جعفر الطبري قال لأصحابه: أتنشطون لتفسير القرآن؟ قالوا: كم يكون قدره؟ قال: ثلاثون ألف ورقة. فقالوا: هذا مما يفني الأعمار قبل تمامه، فاختصره في نحو ثلاثة آلاف ورقة ثم قال تنشطون لتاريخ العالم من آدم إلى وقتنا هذا؟ قالوا كم قدره؟ فذكر نحواً مما ذكره في التفسير، فأجابوه بمثل ذلك فقال: إنا الله ماتت الهمم، فاختصر في نحو مما اختصر التفسير.

وحدث فيما أسنده إلى أبي بكر بن بالويه قال: قال لي أبو بكر محمد بن إسحاق يعني ابن خزيمة: بلغني أنك كتبت التفسير عن محمد بن جرير؟ قلت تعم، كتبنا التفسير عنه إملاء، قال كله؟ قلت نعم، قال في أي سنة؟ قلت: من سنة ثلاث وثمانين إلى سنة تسعين. قال: فاستعاره مني أبو بكر ورده بعد سنين ثم قال: نظرت فيه من أوله إلى آخره، وما أعلم على أديم الأرض أعلم من ابن جرير، ولقد ظلمته الحنابلة قال: وكانت الحنابلة تمنع ولا تترك أحداً يسمع عليه، وأنشد محمد بن جرير:

إذا أعسرت لم أعلم رفيقي ... وأستغني فيستغني صديقي

حياتي حافظ لي ماء وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفقي

ولو أني سمحت ببذل وجهي ... لكنت إلى الغنى سهل الطريق

وأنشد أيضاً:

خلقان لا أرضى طريقهما ... تيه الغنى ومذلة الفقر

فإذا غنيت فلا تكن بطراً ... وإذا افتقرت فته على الدهر

وحدث فيما أسنده إلى محمد بن جرير قال: كتب إلى أحمد بن عيسى العلوي من بلد:

ألا إن إخوان الثقات قليل ... فهل لي إلى ذاك القليل سبيل؟

سل الناس تعرف غثهم من سمينهم ... فكل عليه شاهد ودليل

قال أبو جعفر فأجبته:

يسئ أميري الظن في جهد جاهد ... فهل لي بحسن الظن منه سبيل؟

تأمل أميري ما ظننت وقلته ... فإن جميل القول منك جميل

هذا آخر ما نقلته من تاريخ أبي بكر.

وحدث عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني في كتابه المعروف بكتاب الصلة، وهو كتاب وصل به تاريخ ابن جرير: أن قوماً من تلاميذ ابن جرير حصلوا أيام حياته منذ بلغ الحلم إلى أن توفي وهو ابن ست وثمانين، ثم قسموا عليها أوراق مصنفاته فصار منها على كل يوم أربع عشر ورقة، وهذا شيء لا يتهيأ لمخلوق إلا بحسن عناية الخالق. وفرغ من تصنيف كتاب التاريخ ومن عرضه عليه في يوم الأربعاء لثلاث بقين من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وثلاثمائة وقطعه على آخر سنة اثنتين وثلاثمائة. وجدت على جزء من كتاب التفسير لابن جرير بخط الفرغاني، ما ذكر فيه قطعة من تصانيف ابن جرير فنقلته على صورته لذلك وهو: قد أجزت لك يا علي بن عمران، وإبراهيم بن محمد ما سمعته من أبي جعفر الطبري رحمه الله من كتاب التفسير المسمى بجامع البيان عن تأويل آي القرآن، وكتاب تاريخ الرسل والأنبياء والملوك والخلفاء، والقطعين من الكتاب ولم أسمعه وإنما أخذته إجازة، وكتاب تاريخ الرجال المسمى بذيل المذيل، وكتاب القراءات وتنزيل القرآن، وكتاب لطيف القول وخفيفه في شرائع الإسلام، وما سمعته من كتاب التهذيب من مسند العشرة، ومسند ابن عباس إلى حديث المعراج، وكتاب آداب القضاة والمحاضر والسجلات، وكتاب اختلاف علماء الأمصار فليرويا ذلك عني. وكتب عبد الله بن أحمد الفرغاني بخطه في شعبان سنة ست وثلاثين وثلاثمائة.

وحدث أبو علي الحسن بن علي الأهوازي المقرئ في كتاب الإقناع في إحدى عشرة قراءة قال: كان أبو جعفر الطبري عالماً بالفقه والحديث والتفاسير والنحو واللغة والعروض، له في جميع ذلك تصانيف فاق بها على سائر المصنفين، وله في القراءات كتاب جليل كبير رأيته في ثماني عشرة مجلدة إلا أنه كان بخطوط كبار، ذكر فيه جميع القراءات من المشهور والشواذ وعلل ذلك وشرحه، واختار منها قراءة لم يخرج بها من المشهور ولم يكن منتصباً للإقراء، ولا قرأ عليه أحداً إلا آحاد من الناس كالصفار شيخ كان ببغداد من الجانب الشرقي يروي عنه رواية عبد الحميد بن بكار عن ابن عامر. وأما القراءة عليه باختياره فإني ما رأيت أحداً أقرأ به غير أبي الحسين الجبي وكان ضنيناً به، ولقد سألته زماناً حتى أخذ علي به قال: وترددت إلى أبي جعفر نحواً من سنة أسأله ذلك زماناً حتى أجرمت عليه وسألته وكنت قد سمعت منه صدراً من كتبه فأخذه علي على جهته وقال: لا تنسبها إلي وأنا حي، فما أقرأت بها أحداً حتى مات رحمه الله في شوال سنة عشر وثلاثمائة.

وقال أبو الحسين الجبي: ما قرأ عليه به إلا اثنان وأنت ثالثهم، ولا قرأ عليه أحد إلى أن مات سنة ثمانين وثلاثمائة. وقرأت بخط أبي سعد بإسناده رقعة إلى أبي العباس البكري من ولد أبي بكر الصديق قال: جمعت الرحلة بين محمد بن جرير الطبري ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، ومحمد بن نصر المروزي، ومحمد بن هارون الروياني بمصر، فأرملوا وافتقروا ولم يبق عندهم ما يمونهم، وأضربهم الحال فاجتمعوا ليلة في منزل كانوا يأوون إليه واتفقوا على أن يستهموا، فمن خرجت عليه القرعة سأل الناس لأصحابه الطعام، فخرجت القرعة على محمد بن إسحاق بن خزيمة فقال لأصحابه: أمهلوني حتى أتوضأ وأصلي صلاة الخيرة، فاندفع بالصلاة فإذا هم بالشموع وخصي من قبل والي مصر يدق عليهم فأجابوه وفتحوا له الباب فقال: أيكم

محمد بن نصر؟ فقيل هذا وأشاروا إليه، فأخرج صرة فيها خمسون ديناراً ودفعها إليه وقال: أيكم محمد بن جرير؟ فأشاروا إليه فدفع إليه خمسين ديناراً ثم قال: أيكم محمد بن هارون؟ فقيل هذا، فدفع إليه مثلها ثم قال: وأيكم محمد بن إسحاق ابن خزيمة؟ فقيل هو ذا يصلي، فلما فرغ من صلاته دفع إليه صرة فيها خمسون ديناراً ثم قال: إن الأمير كان قائلاً فرأى في النوم خيالً أو طيفاً يقول له: إن المحامد طووا كشحهم، فبعث بهذه الصرر وهو يقسم عليكم إذا نفذت أن تبعثوا إليه ليزيدكم.

قال المؤلف: وقد ذكر أبو بكر الخطيب هذه الحكاية في ترجمة محمد بن حرب إلا أنني نقلتها من كتاب السمعاني وسأله يوماً سائل عن نسبه فقال: محمد بن جرير. فقال السائل: زدنا في النسب، فأنشده لرؤبة:

قد رفع العجاج ذكري فادعني ... باسمي إذا الأنساب طالت يكفني

قال القاضي ابن كامل: كان مولده في آخر سنة أربع وعشرين ومائتين، أو أول خمسة وعشرين ومائتين.

قال ابن كامل: فقلت له: كيف وقع لك الشك في ذلك؟ فقال: لأن أهل بلدنا يؤرخون الأحداث دون السنين، فأرخ مولدي بحدث كان في البلد، فلما نشأت سألت عن ذلك الحادث، فاختلف المخبرون لي فقال بعضهم: كان ذلك في آخر سنة أربع. وقال آخرون: بل كان في أول سنة خمس وعشرين ومائتين، وكان مولده بآمل طبرستان، وهي قصبة طبرستان.

قال أبو جعفر: جئت إلى أبي حاتم السجستاني وكان عنده حديث عن الأصمعي عن أبي زائدة عن الشعبي في القياس فسألته عنه فحدثني به. وقال لي أبو حاتم: من أي بلد أنت؟ فقلت: من طبرستان. فقال: ولم سميت طبرستان؟. فقلت: لا أدري. فقال لما افتتحت وابتدئ ببنائها كانت أرضاً ذات شجر فالتمسوا ما يقطعون به الشجر، فجاؤوهم بهذا الطبر الذي يقطع به الشجر فسمى الموضع به.

وقال أبو بكر بن كامل: جئت إلى أبي جعفر قبل المغرب ومعي ابني أبو رفاعة وهو شديد العلة، فوجدت تحت مصلاه كتاب فردوس الحكمة لعلي بن زين الطبري سماعاُ له، فمددت يدي لأنظره، فأخذه ودفعه إلى الجارية وقال لي: هذا ابنك؟ فقال: قلت نعم. قال: ما اسمه؟ قلت عبد الغني. قال: أغناه الله وبأي شيء كنيته؟ قلت بأبي رفاعة. قال: – رفعه الله – أفلك غيره؟ قلت: نعم، أصغر منه. قال: وما اسمه؟ قلت عبد الوهاب أبو يعلى: قال – أعلاه الله – : لقد اخترت الكني والأسماء، ثم قال لي: كم لهذا سنة؟ قلت: تسع سنين. قال لم لم تسمعه مني شيئاً؟. قلت كرهت صغره وقلة أدبه. فقال لي: حفظت القرآن ولي سبع سنين، وصليت بالناس وأنا ابن ثماني سنين، وكتب الحديث وأنا ابن تسع سنين، ورأى لي أبي في النوم أنني بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان معي مخلاة مملوءة حجارة وأنا أرمي بين يديه. فقال له المعبر: إنه كبر نصح في دينه وذب عن شريعته، فحرص أبي على معونتي على طلب العلم وأنا حينئذ صبي صغير.

قال ابن كامل: فأول ما كتب الحديث ببلده ثم بالري وما جاورها وأكثر من الشيوخ حتى حصل كثيراً من العلم وأكثر من محمد بن حميد الرازي، ومن المثنى بن إبراهيم الأبلي وغيرهم.

قال أبو جعفر: كنا نكتب عند محمد بن حميد الرازي فيخرج إلينا في الليل مرات ويسألنا عما كتبناه ويقرؤه علينا قال: وكنا نمضي إلى أحمد بن حماد الدولابي وكان في قرية من قرى الري بينها وبين الري قطعة، ثم

نعدو كالمجانين حتى نصير إلى ابن حميد فنلحق مجلسه. وكتب عن أحمد بن حماد كتاب المبتدأ، والمغازي عن سلمة بن المفضل عن محمد بن إسحاق وعليه بني تاريخه. يقال: إنه كتب عن ابن حميد فوق مائة ألف حديث.

قال أبو جعفر: كان يقرأ علينا ابن حميد من التفسير، فإذا بلغ إلى قوله عز وجل: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك)، قال: أويخرجوك. ثم دخل أبو جعفر إلى مدينة السلام وكان في نفسه أن يسمع من أبي عبد الله أحمد بن حنبل فلم يتفق ذلك لموته قبيل دخوله إليها، وقد كان أبو عبد الله قطع الحديث قبل ذلك بسنين، فأقام أبو جعفر بمدينة السلام وكتب عن شيوخها فأكثر، ثم انحدر إلى البصرة فسمع من كان بقي من شيوخها في وقته كمحمد بن موسى الحرشي، وعماد بن موسى القزاز، ومحمد ابن عبد الأعلى الصنعاني، وبشر بم معاذ، وأبي الأشعث، ومحمد بن بشار بندار، ومحمد بن المعني وغيرهم فأكثر، وكتب في طريقه عن شيوخه الواسطيين، ثم صار إلى الكوفة فنكتب فيها عن أبي كريب محمد بن العلاء الهمذاني، وهناد بن السري وإسماعيل بن موسى، وغيرهم. وكان أبو كريب شرس الخلق من كبار أصحاب الحديث.

قال أبو جعفر: حضرت باب داره مع أصحاب الحديث فاطلع من باب خوخة له، وأصحاب الحديث يلتمسون الدخول ويضجون فقال: أيكم يحفظ ما كتب عني؟ فالتفت بعضهم إلى بعض ثم نظروا إلي وقالوا: أنت يحفظ ما كتبت عنه؟ قال: قلت نعم. فقالوا: هذا فسله. فقلت: حديثنا في كذا بكذا، وفي يوم كذا بكذا.

قال: واخذ أبو كريب في مسألته إلى أن عظم في نفسه فقال له: أدخل إلي، فدخل إليه وعرف قدره على حداثته ومكنه من حديثه، وكان الناس يسمعون به فيقال: إنه سمع من أبي كريب أكثر من مائة ألف حديث، ثم عاد إلى مدينة السلام فكتب بها ولزم المقام بها مدة وتفقه بها وأخذ في علوم القرآن. وقال رجل لأبي جعفر: إن أصحاب الحديث يختارون فقال: ما كنا نكتب هكذا كتبت مسند يعقوب بن إبراهيم الدورقي وتركت شيئاً منه ولم أعلم ما كتبت منه ثم رجعت لأضع الحديث موضعه وأصنفه، فبقي علي حديث كثير مما كتبته وطال علي ما فاتني، وكتبت المسند كله ثانياً، والناس يختارون، فربما فاتهم أكثر ما يحتاجون إليه أو نحو هذا الكلام. ثم غرب فخرج إلى مصر وكتب في طريقه من المشايخ بأجناد الشام والسواحل والثغور وأكثر منها، ثم صار إلى الفسطاط في سنة ثلاث وخمسين ومائتين، وكان بها بقية من الشيوخ وأهل العلم فأكثر عنهم الكتبة من علوم مالك والشافعي وابن وهب وغيرهم ثم عاد إلى الشام ثم رجع إلى مصر، وكان بمصر وقت دخوله إليها أبو الحسن على بن سراج المصري، وكان متأدباً فاضلاً في معناه، وكان من دخل الفسطاط من أهل العلم إذا ورد لقيه، وتعرض له فوافي أبو جعفر إلى مصر، وبان فضله عند وروده إليها في القرآن والفقه الحديث واللغة والنحو والشعر، فلقيه أبو الحسن بن سراج فوجده فاضلاً في كل ما يذاكره من العلم، ويجيب في كل ما يسأله عنه حتى سأله عن الشعر فرآه فاضلاً بارعاً فيه، فسأله عن شعر الطرماحوكان من يقوم به مفقوداً في البلد فإذا هو يحفظه، فسئل أن يمليه حفظاً بغريبة، فعهدي به وهو يمليه عند بيت المالفي الجامع. وكان قد لقي بمصر أبا إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم المزني

فتكلما في أشياء منها الكلام في الإجماع، وكان أبو جعفر قد أختار من كذاهب الفقهاء قولاً اجتهد فيه بعد أن كان ابتدأ بالفقه في المدينة السلام على مذهب الشافعي رضى الله عنه، وكتب كتابه عن الحسن بن محمد بن الصباح الزعفراني ودرسه في العراق على جماعة منهم: أبو سعيد الإصطخري وغيره وهو حدث قبل خروجه إلى الفسطاط. وقال أبو بكر بن كامل: خرج إلينا ليلة أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد ونحن تقرأ عليه كتاب قراءة أبي عمر بن العلاء الكبير فوجدنا نتناظر في: بسم الله الرحمن الرحيم، مع بعض إخواننا من الشافعيين، وهل هي من فاتحة الكتاب أم لا؟ وكان المجلس حفلاً بجماعة من الفقهاء من أصحاب الشافعي ومالك وأبي حنيفة وأصحابنا، وكان يسميني في بعض الأوقات لقراءتي عليه الكسائي. فقال لي: كسائي فيم أنتم؟ فعرفته فقال: وعلى مذهب من تتفقه؟ فقلت على مذهب أبي جعفر الطبري. فقال رحم الله أبا جعفر، حديثاً بحديث نوح بن أبي بلال عن سعيد المقبري عن أبي هريرة في: بسم الله الرحمن الرحيم، ثم اخذ أبو بكر بن مجاهد في مدح أبي جعفر الطبري وقال: بلغنا أنه التقى مع المزني فلا تسأل كيف استظهاره عليه؟ والشافعيون حضور يسمعونه ولم يذكر مما جرى بينهما شيئاً. قال أبو بكر بن كامل: سألت أبا جعفر عن المسألة التي تناظر فيها هو والمزني فلم يذكرها لأنه كان افضل من أن يرفع نفسه وأن يذكر ظفره على خصم في مسألة، وكان أبو جعفر يفضل المزني فيطريه ويذكر دينه وقال: جفاني بعض أصحابه في مجلسه فانقطعت عنه زماناً ثم إنه لقيني فاعتذر إلي كأنه قد جنى جناية ولم يزل في ترققه وكلامه حتى عدت إليه. وبلغنا أنه سئل بالفسطاط أن يرد على مالك في شيء فرد عليه في شيء كان الكلام فيه لابن عبد الحكم وكانت أجزاء ولم تقع في أيدينا، ولعله مما منع الخصوم نشره. وقال لنا أبو جعفر: لما وردت مصر في سنة ست وخمسين ومائتين نزلت على الربيع بن سليمان فأمر من يأخذ لي داراً قريبة منه وجاءني أصحابه فقالوا: تحتاج إلى قصرية وزير وحمارين وسدة. فقلت: أما القصرية فأنا لا ولد لي، وما حللت سراويلي على حرام ولا حلال قط، وأما الزير فمن الملاهي وليس هذا من شأني، وأما الحماران فإن أبي وهب لي بضاعة أنا أستعين بها في طلب العلم، فإن صرفتها في ثمن حمارين فبأي شيء اطلب العلم؟. قال: فتبسموا فقلت: إلى كم تحتاج هذا؟ فقالوا يحتاج إلى درهمين وثلثين، فأخذوا ذلك مني وعلمت أنها أشياء متفقة، وجاءوني بإجانه وحب للماء وأربع خشبات قد شدوا وسطها بشريط وقالوا: الزير للماء، والقصرية للخبر

والحماران والسدة تنام عليها من البراغيث فنفعني ذلك، وكثرت البراغيث فكنت إذا جئت نزعت ثيابي وعلقتها على حبل قد شددته واتزرت وصعدت إلى السدة خوفاً منها.الحماران والسدة تنام عليها من البراغيث فنفعني ذلك، وكثرت البراغيث فكنت إذا جئت نزعت ثيابي وعلقتها على حبل قد شددته واتزرت وصعدت إلى السدة خوفاً منها.

وقال هارون بن عبد العزيز: قال أبو جعفر: لما دخلت مصر لم يبق أحد من أهل العلم إلا لقيني وامتحنني في العلم الذي يتحقق به، فجاءني يوماً رجل فسألني عن شيء من العروض ولم أكن نشطت له قبل ذلك، فقلت له: على قول ألا أتكلم اليوم في شيء من العروض فإذا كان في غد فصر إلي، وطلبت من صديق لي العروض للخليل بن أحمد فجاء به، فنظرت فيه ليلتي فأمسيت غير عروضي وأصبحت عروضياً. ثم رجع إلى

مدينة السلام وكتب أيضاً ثم رجع إلى طبرستان وهي الدفعة الأولى، ثم الثانية كانت في سنة تسعين ومائتين، ثم رجع إلى بغداد فنزل في قنطرة البردان واشتهر اسمه في العلم وشاع خبره بالفهم والتقدم.

قال عبد العزيز بن هارون: لما دخل أبو جعفر إلى الدينور ماضياً إلى طبرستان دعاه بعض أهل العلم بها، فلما اجتمعا قلت يا أبا جعفر، ما يحسن بنا أن نجتمع ولا نتذاكر، فقال عبد الله بن حمدان: قد ذاكرته فأغربت عليه خمسة وثمانين حديثاً، وأغرب علي ثمانية عشر حديثاً قال عبد العزيز: ثم لقيت بعد ذلك أبا بكر بن سهل الدينوري وكان من العلماء والحفاظ للحديث فحدثته بذلك فقال: كذب، والله الذي لا إله إلا هو لقد قدم إلينا أبو جعفر فدعاه المعروف بالكسائي ودعا معه أهل العلم وكنت حاضراً ومعنا بان حمدان فقرأ على أبي جعفر كتاب الجنائز من الاختلاف فقال له أبو جعفر: ليس يصلح لنا أن نفترق من غير مذاكرة، وهذا كتاب الجنائز فنتذاكر بمسنده ومقطوعه، وما اختلف فيه الصحابة والتابعون والعلماء. فقال ابن حمدان: أما المسند فأذاكر به، وأما سواه فلا أذاكر به، فأغرب عليه ثلاثة وثمانين حديثاً، وأغرب عليه ابن حمدان ثمانية عشر حديثاً، وكان ابن حمدان فيما أغرب به على أبي جعفر أقبح مما أغرب به أبو جعفر لأنه كان إذا أغرب ابن حمدان بحديث قال له أبو جعفر: هذا خطأ من جهة كذا، ومثلي لا يذاكر به فيخجل وينقطع. فلما قدم إلى بغداد من طبرستان بعد رجوعه إليها تعصب عليه أبو عبد الله الجصاص، وجعفر بن عرفة، والبياضي. وقصده الحنابلة فسألوه عن أحمد بن حنبل في الجامع يوم الجمعة وعن حديث الجلوس على العرش.

فقال أبو جعفر: أما أحمد بن حنبل فلا يعد خلافه. فقالوا له: فقد ذكره العلماء في الاختلاف فقال: ما رأيته روى عنه ولا رأيت له أصحاباً يعول عليهم. وأما حديث الجلوس على العرش فمحال ثم أنشد:

سبحان من ليس له أنيس ... ولا له في عرشه جليس

فلما سمع ذلك الحنابلة منه وأصحاب الحديث وثبوا ورموه بمحابرهم وقيل كانت ألوفاً، فقام أبو جعفر بنفسه ودخل داره، فرموا داره بالحجارة حتى صار على بابه كالتل العظيم، وركب نازوك صاحب الشرطة في عشرات ألوف من الجند يمنع عنه العامة، ووقف على بابه يوماً إلى الليل وأمر برفع الحجارة عنه. وكان قد كتب على بابه:

سبحان من ليس له أنيس ... ولا له في عرشه جليس

فأمر نازوك بمحو ذلك. وكتب مكانه بعض أصحاب الحديث:

لأحمد منزل لا شك عال ... إذا وافى إلى الرحمن وافد

فيدينه ويقعده كريماً ... على رغم لهم في أنف حاسد

على عرش يفلغه بطيب ... على الأكباد من باغ وعاند

له هذا المقام الفرد حقاً ... كذاك رواه ليث عن مجاهد

فخلافي في داره وعمل كتابه المشهور في الاعتذار إليهم، وذكره مذهبه واعتقاده وجرح من ظن فيه غير ذلك، وقرأ الكتاب عليهم وفضل أحمد حنبل، وذكر مذهبه وتصويب اعتقاده ولم يزل في ذكره إلى أن

مات، ولم يخرج كتابه في الاختلاف حتى مات فوجده مدفوناً في التراب فأخرجوه ونسخوه أعني اختلاف الفقهاء، هكذا سمعت من جماعة منهم أبي – رحمه الله – .

وقال أبو محمد عبد العزيز بن محمد الطبري: كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة، ولا ظهر من كتب المصنفين، وانتشر من كتب المؤلفين ما انتشر له، وكان راجحاً في علوم القرآن والقراءات وعلم التاريخ من الرسل والخلفاء والملوك واختلاف الفقهاء مع الراوية، كذلك على ما في كتابه البسيط والتهذيب وأحكام القراءات من غير تعويل على المناولات والإجازات ولا على ما قيل في الأقوال، بل يذكر ذلك بالأسانيد المشهورة، وقد بان فضله في علم اللغة والنحو على ما ذكره في كتاب التفسير وكتاب التهذيب مخبراً عن حاله فيه. وقد كان له قدم في علم الجدل يدل على ذلك مناقضاته في كتبه على المعارضين لمعاني ما أتى به، وكان فيه من الزهد والورع والخشوع والأمانة وتصفية الأعمال وصدق النية وحقائق الأفعال ما دل عليه كتابه في آداب النفوس، وكان يحفظ من الشعر للجاهلية والإسلام ما لا يجهله إلا جاهل به. وقال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد: سمعت ثعلباً يقول: قرأ علي أبو جعفر الطبري شعر الشعراء قبل أن يكثر الناس عندي بمدة طويلة. وقال أبو بكر بن مجاهد: قال أبو العباس يوماً: من بقي عندكم؟ يعني في الجانب الشرقي ببغداد من النحويين؟ قلت: ما بقي أحد، مات الشيوخ. فقال: حتى خلا جانبكم؟ قلت: نعم إلا أن يكون الطبري الفقيه. فقال لي: ابن جرير؟ قلت: نعم، قال: ذاك من حذاق الكوفيين. قال أبو بكر: وهذا من أبي العباس كثير لأنه كان شديد النفس شرس الأخلاق، وكان قليل الشهادة لأحد بالحذق في علمه.

وقال عبد العزيز بن محمد: قنطرة البردان محفوظة من العلماء النحويين، كان فيها أبو عبيد القاسم بن سلام، ومسجده وراء سويقة جعفر معروف به، وكان فيها علان الأزدي ومسجده في الموضع معروف به، وكان بها أبو بكر هشام بن معاوية الضرير النحوي وكان فاضلاً مسجده عند مسجد أبي عبد الله الكسائي، وكان بها أبو عبيد الله محمد بن يحيى الكسائي، وعنه انتشرت رواية أبي الحارث عن الكسائي، وقرأ عليه كبار الناس، ونزلها أبو جعفر الطبري وكان أبو جعفر قد نظر في المنطق والحساب والجبر والمقابلة وكثير من فنون أبواب الحساب وفي الطب، وأخذ منه قسطاً وافراً يدل عليه كلامه في الوصايا، وكان عازفاً عن الدنيا تاركاً لها ولأهلها يرفع نفسه عن التماسها، وكان كالقارئ الذي لا يعرف إلا القرآن، وكالمحدث الذي لا يعرف إلا الحديث، وكالفقيه الذي لا يعرف إلا الفقه، وكالنحوي الذي لا يعرف إلا النحو، وكالحاسب الذي لا يعرف إلا الحساب وكان عالماً بالعبادات جامعاً للعلوم، وإذا جمعت بين كتبه وكتب غيره وجدت لكتبه فضلاً على غيرها. ومن كتبه: كتابه المسمى جامع البيان عن تأويل القرآن.

قال أبو بكر بن كامل: أملي علينا من كتاب التفسير مائة وخمسين آية، ثم خرج بعد ذلك إلى آخر القرآن فقرأه علينا وذلك في سنة سبعين ومائتين، واشتهر الكتاب وارتفع ذكره وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وأبو العباس محمد بن يزيد المبرد يحييان، ولأهل الإعراب والمعاني معقلان، وكان أيضاً في الوقت غيرهما مثل

أبي جعفر الرستمي، وأبي حسن بن كيسان، والمفضل بن سلمة، والجعد، وأبي إسحاق الزجاج وغيرهم من النحويين من فرسان هذا اللسان، وحمل هذا الكتاب مشرقاً ومغرباً وقرأه كل من كان في وقته من العلماء، وكل فضله وقدمه.

قال أبو جعفر: حدثني بن نفسي وأنا صبي. قال عبد العزيز ابن محمد الطبري: كان أبو عمر الزاهد يعيش زماناً طويلاً بمقابلة الكتب مع الناس. قال أبو عمر: فسألت أبا جعفر عن تفسير آية فقال: قابلت هذا الكتاب من أوله إلى آخره فما وجدت فيه حرفاً واحداً خطأ في نحو ولا لغة. قال أبو جعفر: استخرت الله في عمل كتاب التفسير، وسألته العون على ما نويته ثلاث سنين قبل أن أعمله فأعانني.

وقال أبو محمد عبد الله بن أحمد بن جعفر الفرغاني: أخبرني شيخ من جسر ابن عفيف قال: رأيت في النوم كأني في مجلس أبي جعفر والناس يقرؤون عليه كتاب التفسير، فسمعت هاتفاً بين السماء والأرض يقول: من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل فليسمع هذا الكتاب.

وقال أبو بكر محمد بن مجاهد: سمعت أبا جعفر يقول إني أعجب ممن قرأ القرآن ولم يعلم تأويله كيف يلتذ بقراءته؟، وكتاب التفسير كتاب ابتدأه بخطبة، ورسالة التفسير تدل على ما خص الله به القرآن العزيز من البلاغة والإعجاز والفصاحة التي نافى بها سائر الكلام، ثم ذكر من مقدمات الكلام في التفسير وفي وجوه تأويل القرآن وما يعلم تأويله وما ورد في جواز تفسيره وما حظر من ذلك والكلام في قول النبي صلى الله عليه وسلم: (أنزل القرآن على سبعة أحرف) وبأي الألسنة نزل؟ والرد على من قال: إن فيه أشياء من غير الكلام العربي وتفسير أسماء القرآن والسور وغير ذلك مما قدمه، ثم تلاه بتأويل القرآن حرفاً حرفاً فذكر أقوال الصحابة والتابعين ومن بعدهم من تابعي التابعين، وكلام أهل الإعراب من الكوفيين والبصريين، وجملاً من القراءات واختلاف القراءة فيما فيه من المصادر واللغات والجمع والتثنية، والكلام في ناسخه ومنسوخه وأحكام القرآن والخلاف فيه والرد عليهم من كلام أهل النظر فيما تكلم فيه بعض أهل البدع، والرد عليهم على مذاهب أهل الإثبات ومبتغى السنن إلى آخر القرآن، ثم أتبعه بتفسير أبي جاد وحروفها وخلاف الناس فيها، وما اختاره من تأويلها بما لا يقدر أحد أن يزيد فيه بل لا يراه مجموعاً لأحد غيره، وذكر فيه من كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق، وعن سعيد بن جبير طريقين، وعن مجاهد بن جبر ثلاثة طرق، وربما كان عنه في مواضع أكثر من ذلك، وعن قتادة بن دعامة ثلاثة طرق، وعن الحسن البصري ثلاثة طرق، وعن عكرمة ثلاثة طرق، وعن الضحاك بن مزاحم طريقين، وعن عبد الله بن مسعود طريقاً، وتفسير عبد الرحمن بن زيد أسلم، وتفسير ابن جريج، وتفسير مقاتل بن حيان سوى ما فيه من مشهور الحديث عن المفسرين وغيرهم، وفيه من المسند حسب حاجته إليه، ولم يتعرض لتفسير غير موثوق به، فإنه لم يدخل في كتابه شيئاً عن كتاب محمد بن السائب الكلبي، ولا مقاتل بن سليمان، ولا محمد بن عمر الواقدي لأنهم عنده أظناء والله أعلم.

وكان إذا رجع إلى التاريخ والسير وأخبار العرب حكى عن محمد بن السائب الكلبي وعن ابنه هشام وعن محمد بن عمر الواقدي وغيرهم فيما يفتقر إليه ولا يؤخذ إلا عنهم، وذكر فيه مجموع الكلام والمعاني من

كتاب علي بن حمزة الكسائي، ومن كتاب يحيى بن زياد الفراء، ومن كتاب أبي الحسن الأخفش، ومن كتاب أبي علي قطرب وغيرهم مما يقتضيه الكلام عند حاجته إليه، إذ كانوا هؤلاء هم المتكلمون في المعاني وعنهم يؤخذ معانيه وإعرابه، وربما لم يسمهم إذا ذكر شيئاً من كلامهم، وهذا كتاب يشتمل على عشرة آلاف ورقة أو دونها حسب سعة الخط أو ضيقه.

قال عبد العزيز بن محمد الطبري: وقد رأيت منه نسخة ببغداد تشتمل على أربعة آلاف ورقة. ومن كتبه: كتاب الفصل بين القراءة ذكر فيه اختلاف القراء في حروف القرآن وهو من جيد الكتب، وفصل فيه أسماء والقراء بالمدينة ومكة والكوفة والبصرة والشام وغيرها، وفيه من الفصل بين كل قراءة فيذكر وجهها وتأويلها والدلالة على ما ذهب إليه كل قارئ لها، واختياره الصواب منها والبرهان على صحة ما اختاره مستظهراً في ذلك بقوته على التفسير والإعراب الذي لم يشتمل على حفظ مثله أحد من القراء، وإن كان لهم – رحمهم الله – من الفضل والسبق ما لا يدفع ذو بصيرة بعد أن صدره بخطبة تليق به، وكذلك كان يعمل في كتبه أن يأتي بخطبته على معنى كتابه فيأتي الكتاب منظوماً على ما تقتضيه الخطبة، وكان أبو جعفر مجوداً في القراءة موصوفاً بذلك يقصده القراء البعداء من الناس للصلاة خلفه يسمعون قراءته وتجويده.

وقال أبو بكر بن كامل: قال لنا أبو بكر بن مجاهد: – وقد كان لا يجري ذكره إلا فضله – : ما صنف في معنى كتابة مثله، وقال لنا: ما سمعت في المحراب أقرأ من أبي جعفر، أو كلاماً هذا معناه. قال ابن كامل: وكان أبو جعفر يقرأ قديماً لحمزة قبل أن يختار قراءته. وقال أبو عبد الله بن أحمد الفرغاني: قال لنا أبو جعفر: قرأت القرآن على سليمان بن عبد الرحمن بن حماد الطلحي، وكان الطلحي قد قرأ على خلاد، وخلاد قرأ علي سليم بن عيسى، وسليم قرأ على حمزة، ثم أخذها أبو جعفر عن يونس بن عبد الأعلى عن علي بن كيسة عن سليم عن حمزة. وقال ابن كامل: قال لنا أبو بكر بن مجاهد وقد ذكر فضل كتابه في القراءات وقال: إلا أني وجدت فيه غلطاً وذكره لي، وعجبت من ذلك مع قراءته لحمزة وتجويده لها، ثم قال: والعلة في ذلك أبو عبيد القاسم بن سلام لأنه بنى كتابه على كتاب أبي عبيد فأغفل أبو عبيد هذا الحرف فنقله أبو جعفر على ذلك.

وقال أبو بكر بن كامل: قال لنا أبو جعفر وصف لي قارئ بسوق يحيى فجئت إليه فتقدمت فقرأت عليه من أول القرآن حتى بلغت إلى قوله: (إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً)، فأعاد على فأعدته في كل قراءتي بين فيه الياءين، وهو يرد على إلى أن قلت له: تريد أكثر من تبيين الياءين بكسر الأولى فلم يدر ما أقول، فقمت ولم أعد إليه. قال: وكان عند أبي جعفر رواية ورش عن ناقع عن يونس بن عبد الأعلى عنه، وكان يقصد فيها فحرص – على ما بلغني – أبو بكر ابن مجاهد – مع موضعه في نفسه وعند أبي جعفر – أن يسمع منه هذه القراءة منفرداً فأبى إلا أن يسمعها مع الناس، فما أثر ذلك في نفس أبي بكر وكان ذلك كرهاً من أبي جعفر أن يخص أحداً بشيء من العلم، وكان في أخلاقه ذلك لأنه كان إذا قرأ عليه جماعة كتاباً ولم يحضره أحدهم لا يأذن لبعضهم أن يقرأ دون بعض، وإذا سأله إنسان في قراءة كتاب وغاب لم يقرئه حتى يحضر إلا كتاب الفتوى فإنه كان أي وقت سئل عن شيء منه أجاب فيه. وكتابه في القراءات يشتمل

على كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام لأنه كان عنده عن أحمد بن يوسف الثعلبي عنه وعليه نبي كتابه. ومنها كتابه كتاب التاريخ الكبير المسمى بتاريخ الرسل والملوك وأخبارهم، ومن كان في زمن كل واحد منهم، بدأ فيه الخطبة المشتملة على معانيه ثم ذكر الزمان ما هو؟ ثم مدة الزمان على اختلاف أهل العلم من الصحابة وغيرهم والأمم المخالفة لنا في ذلك والسنن الدالة على ما اختاره من ذلك وهذا باب لا يندر وجوده إلا له.

قال أبو الحسن عبد الله بن أحمد بن محمد بن المغلس الفقيه وكان أفضل من رأيناه فهماً وعناية بالعلم ودرساً له: ولقد كان لعنايته بدرس العلم تعبي كتبه في جانب حائر ثم يبتدئ فيدرس الأول فالأول منها إلى أن يفرغ منها، وهو ينقلها إلى الجانب الآخر، فإذا فرغ منها عاد في درسها ونقلها إلى حيث كانت فقال يوماً: ما عمل أحد في تاريخ الزمان وحصر الكلام فيه مثل ما عمله أبو جعفر. قال: ولقد قال لي أبو الحسن بن المغلس يوماً وهو يذاكرنا شيئاً من العلم وفضل العلماء فقال: والله إني لأظن أبا جعفر الطبري قد نسي مما حفظ إلى أن مات ما حفظه فلان طول عمره، وذكر رجلاً كبيراً من أهل العلم. ثم ذكر أبو جعفر في التاريخ الكلام في الدلالة على ما حدث الزمان الأيام والليالي، وعلى أن محدثها الله عز وجل وحده، وذكر أول ما خلق وهو القلم وما بعد ذلك شيئاً شيئاً على ما وردت الآثار به، واختلاف الناس في ذلك. ثم ذكر آدم وحواء واللعين إبليس وما كان من نزول آدمٍ عليه السلام، وما كان بعده من أخبار نبي نبي ورسول رسول وملك وملك على اختصار منه كذلك إلى نبينا عليه السلام مع ملوك الطوائف وملوك الفرس والروم، ثم ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونسبه وآباءه وأمهاته وأولاده وأزواجه ومبعثه ومغازيه وسراياه وحال أصحابه رضي الله عنهم، ثم ذكر الخلفاء الراشدين المهديين بعده، ثم ذكر ما كان من أخبار بني أمية وبني العباس في القطين المنسوب أحدهما إلى قطع بني أمية والثاني إلى قطع بني العباس وما شرحه في كتاب التاريخ، وإنما خرج ذلك إلى الناس على سبيل الإجازة إلى سنة أربع وتسعين ومائتين، ووقف على الذي بعد ذلك لأنه كان في دولة المقتدر، وقد كان سئل شرح القطعين، فلما سئل ذلك شرحه وسماه القطعين، وهذا الكتاب من الأفراد في الدنيا فضلاً ونباهة، وهو يجمع كثيراً من علوم الدين والدنيا، وهو نحو خمسة آلاف ورقة. ومنها كتابة المسمى بكتاب ذيل المذيل المشتمل على تاريخ من قتل أو مات من أصحاب رسول الله صلى اله عليه وسلم في حياته أو بعده على ترتيب الأقرب بالأقرب منه أو من قريش من القبائل، ثم ذكر موت من مات من التابعين والسلف بعدهم ثم الخالفين إلى أن بلغ شيوخه الذين سمع منهم وجملاً من أخبارهم ومذاهبهم، وتكلم في الذب عن ذوي الفضل منهم ممن رمى بمذهب هو برئ منه كنحو الحسن البصري وقتادة وعكرمة وغيرهم، وذكر صنف من نسب إلى ضعف من الناقلين ولينه، وفي آخره أبواب حسان من باب من حدث عنه الإخوة أو الرجل وولده ومن شهر بكنيته دون اسمه، أو باسمه دون كنيته، وهو من محاسن الكتب وأفاضلها يرغب فيه طلاب الحديث وأهل التواريخ، وكان خرج إملاءه بعد سنة ثلاثمائة وهو في نحو من ألف ورقة، ومنها كتابه المشهور بالفضل شرقاً وغرباً المسمى بكتاب اختلاف علماء الأمصار في أحكام شرائع الإسلام، قصد به إلى ذكر أقوال الفقهاء وهم مالك بن أنس فقيه

أهل المدينة بروايتين، وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي فقيه أهل الشام، ومن أهل الكوفة سفيان الثوري بروايتين، ثم محمد بن إدريس الشافعي ما حدث به الربيع بن سليمان عنه، ثم من أهل الكوفة أبو حنيفة النعمان بن ثابت، وأبو يوسف يعقوب بن محمد الأنصاري، وأبو عبد الله محمد بن الحسن الشيباني مولى لهم، ثم إبراهيم بن خالد أبو نصر الكلبي، وقد كان أولاً ذكر في كتابه بعض أهل النظر وهو عبد الرحمن بن كيسان، لأنه كان في الوقت الذي عمله ما كان يتفقه على مذهبه، فلما طال الزمان به وفقه أصحابه بسهو أسقطه من كتابه، وكان أول ما عمل هذا الكتاب – على ما سمعته يقول وقد سأله عن ذلك أبو عبد الله أحمد بن عيسى الرازي – : إنما عمله ليتذكر به أقوال من يناظره، ثم انتشر وطلب منه فقرأه على أصحابه، وقد كان محمد بن داود الأصبهاني لما صنف كتابه المعروف بكتاب الوصول إلى معرفة الأصول ذكر في باب الإجماع عن أبي جعفر الطبري: أن الإجماع عنده إجماع هؤلاء المقدم ذكرهم الثمانية النفر دون غيرهم تقليداً منه لما قال أبو جعفر: أجمعوا وأجمعت الحجة على كذا، ثم قال في تصدير باب الخلاف: ثم اختلفوا فقال مالك وقال الأوزاعي كذا وقال فلان كذا: إن الذين حكى عنهم الإجماع هم الذين حكى عنهم الاختلاف وهذا غلط من ابن داود، ولو رجع إلى كتابه في رسالة اللطيف وفي رسالة الاختلاف وما أودعه

كثيراً من كتبه من أن الإجماع هو نقل المتواترين لما أجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآثار دون أن يكون ذلك رأياً ومأخوذاً جهة القياس، لعلم أن ما ذهب إليه من ذلك غلط فاحش وخطأ بين. وكان أبو جعفر يفضل كتاب الاختلاف وهو أول ما صنف من كتبه وكان يقول كثيراً: لي كتابان لا يستغني عنهما فقيه: الاختلاف واللطيف، وكتاب الاختلاف نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولم يستقص فيه اختياره لأجل أنه قد جود ذلك في كتاب اللطيف، ولئلا يتكرر كلامه في ذلك، وقد كان جعل لكتاب الاختلاف رسالة بدأ بها ثم قطعها، ذكر فيها عند الكلام في الإجماع وأخبار الآحاد والعدول زيادات ليست في كتاب اللطيف، وشيئاً من الكلام في المراسيل والناسخ والمنسوخ. وله كتاب الشروط المسمى أمثلة العدول وهو من جيد كتبه التي يعول عليها أهل مدينة السلام. وكان أبو جعفر مقدماً في علم الشروط قيماً به. ومن جياد كتبه: كتابه المسمى بكتاب لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، وهو مجموع مذهبه الذي يعول عليه جميع أصحابه، وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء، وأفضل أمهات المذاهب وأسدها تصنيفاً، ومن قرأه وتدبره رأي ذلك إن شاء الله. وكان أبو بكر بن راميك يقول: ما عمل كتاب في مذهب أجود من كتاب أبي جعفر اللطيف لمذهبه، وكان يعتذر في اختصاره كثيراً في أوله، وكتبه تزيد على كتاب الاختلاف في القدر ثلاثة كتب: كتاب اللباس، كتاب أمهات الأولاد، كتاب الشرب وهو من جيد الكتب وأحسنها وهو كالمنفرد فيه، ولا يظن ظان أن قوله: كتاب الطيف إنما أراد به صغره وخفة محمل وزنه، وإنما أراد بذلك لطيف القول كدقة معانيه وكثرة ما فيه من النظر والتعليلات، وهو يكون نحو ألفين وخمسمائة ورقة. وفيه كتاب جيد في الشروط يسمى بأمثلة العدول من اللطيف، ولهذا الكتاب رسالة فيها الكلام في أصول الفقه، والكلام وفي الإجماع وأخبار الآحاد والمراسيل والناسخ والمنسوخ في الأحكام، والمجمل والمفسر من الأخبار والأوامر والنواهي، والكلام في أفعال الرسل الخصوص والعموم والاجتهاد، وفي إبطال الاستحسان

إلى غير ذلك مما تكلم فيه. ومن جياد كتبه: كتابه المعروف بكتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام وهو مختصر من كتاب اللطيف، وقد كان أبو أحمد العباس بن الحسن العزيزي أراد النظر في شيء من الأحكام فراسله في اختصار كتاب له، فعمل هذا الكتاب ليقرب متناوله وهو نحو من الأربعمائة ورقة، وهو كتاب قريب على الناظر فيه كثير المسائل يصلح لتذكر العالم والمبتدئ المتعلم. ومنها كتاب تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى عليه وسلم من الأخبار، وهو كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله ويصعب عليهم تتمته. من كتبه من أن الإجماع هو نقل المتواترين لما أجمع عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآثار دون أن يكون ذلك رأياً ومأخوذاً جهة القياس، لعلم أن ما ذهب إليه من ذلك غلط فاحش وخطأ بين. وكان أبو جعفر يفضل كتاب الاختلاف وهو أول ما صنف من كتبه وكان يقول كثيراً: لي كتابان لا يستغني عنهما فقيه: الاختلاف واللطيف، وكتاب الاختلاف نحو ثلاثة آلاف ورقة، ولم يستقص فيه اختياره لأجل أنه قد جود ذلك في كتاب اللطيف، ولئلا يتكرر كلامه في ذلك، وقد كان جعل لكتاب الاختلاف رسالة بدأ بها ثم قطعها، ذكر فيها عند الكلام في الإجماع وأخبار الآحاد والعدول زيادات ليست في كتاب اللطيف، وشيئاً من الكلام في المراسيل والناسخ والمنسوخ. وله كتاب الشروط المسمى أمثلة العدول وهو من جيد كتبه التي يعول عليها أهل مدينة السلام. وكان أبو جعفر مقدماً في علم الشروط قيماً به. ومن جياد كتبه: كتابه المسمى بكتاب لطيف القول في أحكام شرائع الإسلام، وهو مجموع مذهبه الذي يعول عليه جميع أصحابه، وهو من أنفس كتبه وكتب الفقهاء، وأفضل أمهات المذاهب وأسدها تصنيفاً، ومن قرأه وتدبره رأي ذلك إن شاء الله. وكان أبو بكر بن راميك يقول: ما عمل كتاب في مذهب أجود من كتاب أبي جعفر اللطيف لمذهبه، وكان يعتذر في اختصاره كثيراً في أوله، وكتبه تزيد على كتاب الاختلاف في القدر ثلاثة كتب: كتاب اللباس، كتاب أمهات الأولاد، كتاب الشرب وهو من جيد الكتب وأحسنها وهو كالمنفرد فيه، ولا يظن ظان أن قوله: كتاب الطيف إنما أراد به صغره وخفة محمل وزنه، وإنما أراد بذلك لطيف القول كدقة معانيه وكثرة ما فيه من النظر والتعليلات، وهو يكون نحو ألفين وخمسمائة ورقة. وفيه كتاب جيد في الشروط يسمى بأمثلة العدول من اللطيف، ولهذا الكتاب رسالة فيها الكلام في أصول الفقه، والكلام وفي الإجماع وأخبار الآحاد والمراسيل والناسخ والمنسوخ في الأحكام، والمجمل والمفسر من الأخبار والأوامر والنواهي، والكلام في أفعال الرسل الخصوص والعموم والاجتهاد، وفي إبطال الاستحسان إلى غير ذلك مما تكلم فيه. ومن جياد كتبه: كتابه المعروف بكتاب الخفيف في أحكام شرائع الإسلام وهو مختصر من كتاب اللطيف، وقد كان أبو أحمد العباس بن الحسن العزيزي أراد النظر في شيء من الأحكام فراسله في اختصار كتاب له، فعمل هذا الكتاب ليقرب متناوله وهو نحو من الأربعمائة ورقة، وهو كتاب قريب على الناظر فيه كثير المسائل يصلح لتذكر العالم والمبتدئ المتعلم. ومنها كتاب تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى عليه وسلم من الأخبار، وهو كتاب يتعذر على العلماء عمل مثله ويصعب عليهم تتمته.

قال أبو بكر بن كامل: لم أر بعد أبي جعفر أجمع للعلم وكتب العلماء ومعرفة اختلاف الفقهاء وتمكنه من العلوم منه، لأني أروض نفسي في عمل مسند عبد الله بن مسعود في حديث منه نظير ما عمله أبو جعفر فما أحسن عمله ولا يستوي لي.

ومن كتبه الفاضلة: كتابه المسمى بكتاب المسمى بكتاب بسيط القول في أحكام شرائع الإسلام، وهذا الكتاب قدم له كتاباً سماه كتاب مراتب العلماء حسناً في معناه، ذكر فيه خطبة الكتاب وحض فيه على طلب العلم والتفقه وغمز فيه على من اقتصر من أصحابه على نقله دون التفقه بما فيه. ثم ذكر فيه العلماء ممن تفقه مذهبه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخذ عنهم، ثم من أخذ عنهم ثم من أخذ عمن أخذ عنهم من فقهاء الأمصار. بدأ بالمدينة لأنها مهاجر النبي صلى الله عليه وسلم ومن خلفه أبو بكر وعمر وعثمان ومن بعدهم، ثم بمكة لأنها الحرم الشريف، ثم العراقين الكوفة والبصرة ثم الشام وخراسان، ثم خرج إلى كتاب الصلاة بعد ذكر الطهارة، وذكر في هذا الكتاب اختلاف المختلفين واتفاقهم فيما تكلموا فيه على الاستقصاء والتبيين في ذلك والدلالة لكل قائل منهم، والصواب من القول في ذلك، وخرج منه نحو ألفي ورقة. وأخرج من هذا الكتاب كتاب آداب القضاة وهو أحد الكتب المعدودة له المشهورة بالتجويد والتفضيل، لأنه ذكر فيه بعد خطبة الكتاب الكلام في مدح القضاة وكتابهم، وما ينبغي للقاضي إذا ولي أن يعمل به وتسليمه له ونظره فيه ثم ما ينقض فيه أحكام من تقدمه، والكلام في السجلات والشهادات والدعاوى والبينات وسيأتي ذكر ما يحتاج إليه الحاكم من جميع الفقه إلى أن فرغ منه وهو في ألف ورقة، وكان يجتهد بأصحابه أن يأخذوا البسيط والتهذيب ويجدوا في قراءتهما، ويشتغلوا بهما دون غيرهما من الكتب.

ومن جياد كتبه: كتابه المسمى بكتاب أدب النفوس الجيدة والأخلاق النفيسة، وربما سماه بأدب النفس الشريفة والأخلاق الحميدة، وربما زاد في ترجمته المشتمل على علوم الدين والفضل والورع والإخلاص والشكر والكلام في الرياء والكبر والتخاضع والخشوع والصبر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبدأ فيه بالكلام في الوسوسة وأعمال القلوب، ثم ذكر شيئاً كثيراً من الدعاء وفضل القرآن وأوقات الإجابة ودلائلها، وما روى من السنن وأقوال الصحابة والتابعين في ذلك، وقطع الإملاء في بعض الكلام في الأمر بالمعروف والنهي والمنكر، وكان ما خرج منه نحو خمسمائة ورقة، وكان قد عمل أربعة أجزاء ولم يخرجها إلى الناس في الإملاء، ووقع ذلك إلى أبي سعيد عمر بن أحمد الدينوري الوراق، وخرج به إلى الشام فقطع عليه ولم يبق معه إلا جزءان فيهما الكلام في حقوق الله الواجبة على الإنسان في بصره والحقوق الواجبة في سمعه، وكان ابتدأ في سنة عشر وثلاثمائة، ومات بعد مديدة من قطعة الإملاء وكان يقول: إن خرج هذا الكتاب كان فيه جمال لأنه كان أراد أن يخرج بعد الكلام في الحقوق اللازمة للإنسان إلى ما يعيذنا منه من أهوال القيامة وشروطها وأحوال الآخرة وما ورد فيها وذكر الجنة والنار. ومما صنف وخرج: كتاب المسند المجرد، وقد كتب أصحابه الحديث الأكثر منه، وذكر فيه من حديثه عن الشيوخ ما قرأه على الناس. ومنها كتابه المسمى بكتاب الرد على ذي الأسفار يرد فيه على داود بن علي الأصبهاني، وكان سبب تصنيف هذا الكتاب أن أبا جعفر كان قد لزم داود بن علي مدة، وكتب من كتبه كثيراً.

ووجدنا في ميراثه من كتبه ثمانين جزءاً بخطه الدقيق، وكان فيها المسألة التي جرت بن داود بن على وبين أبي المجالد الضرير المعتزلي بواسط عند خروجهما إلى الموفق لما وقع التنازع في خلق القرآن، وكان داود بن علي قد أخذ من النظر ومن الحديث ومن الاختلاف ومن السنن حظاً ليس بالمتسع، وكان بسيط اللسان حسن الكلام متمكناً من نفسه، وله أصحاب فيهم دعابة قد تمكنت منهم حتى صارت لبعضهم خلقاً يستعمله في النظر لقطع مخالفيه. وكان ربما ناظر داود ابن علي الإثبات في المسألة في الفقه فيراه مقصراً في الحديث فينقله إليه أو يكلمه في الحديث فينقله إلى الفقه أو إلى الجدل إذا كان خصمه مقصراً فيهما، وكان هو مقصراً في النحو واللغه وإن كان عارفاً بقطعة منه. وكان أبو جعفر ملياً بما نهض فيه من أي علم كان، وكان متوقفاً عن الأخلاق التي لا تليق بأهل العلم ولا يؤثرها إلى أن مات، وكان يحب الجد في جميع أحواله. وجرت مسألة يوماً بين داود بن علي وبين أبي جعفر فوقف الكلام على داود بن علي فشق ذلك على أصحابه وكلم رجل من أصحاب داود بن على أبا جعفر بكلمة مضة فقام من المجلس وعمل هذا الكتاب، وأخرج منه شيئاً بعد شيء إلى أن أخرج منه قطعة نحو مائة ورقة، وكان ابتدأ الكلام فيه بخطبة من غير إملاء وهو من جيد ما عمله أبو جعفر ومن أحسنه كلاماُ فيه حملاً على اللفظ عليه، ثم قطع ذلك بعد ما مات داود بن علي فلم يحصل في أيدي أصحابه من ذلك إلا ما كتبه منه مقدمو أصحابه ولم ينقل. فممن كتب هذا الكتاب منه أبو إسحاق بن الفضل بن حيان الحلواني. – قال أبو بكر بن كامل: وسمعناه منه عنه – وأبو الطيب الجرجاني وأبو علي بن الحسن بن الحسين بن الصواف، وأبو الفضل العباس بن محمد المحسن وغيرهم، وقال الرؤاسي وكان من مقدمي أصحاب داود بن علي: إن داود قطع كلام ذلك الإنسان الذي كلم أبا جعفر سنة مجازاة له على ما جرى منه على أبي جعفر، ثم تعرض محمد بن داود بن علي للرد على أبي جعفر فيما رده على أبيه فتعسف الكالم على ثلاث مسائل خاصة وأخذ في سب أبي جعفر وهو كتابه المنسوب إلى الرد على أبي جعفر بن جرير.

قال أبو الحسن بن المغلس: قال لي أبو بكر بن داود ابن علي: كان في نفسي مما تكلم به ابن جرير علي أبي، فدخلت يوماً على أبي بكر بن أبي حامد وعنده أبو جعفر فقال له أبو بكر: هذا أبو بكر محمد بن داود بن علي الأصبهاني، فلما رآني أبو جعفر وعرف مكاني رحب بي وأخذ يثني على أبي ويمدحه ويصفني بما قطعني عن كلامه.

ومن كتب أبي جعفر: رسالته المسماة بكتاب رسالة البصير في معالم الدين التي كتب بها إلى أهل طبرستان فيما وقع بينهم فيه من الخلاف في الاسم والمسمى وفي مذاهب أهل البدع وهو نحو ثلاثين ورقة، ومنها أيضاً رسالته المعروفة بكتاب صريح السنة في أوراق، ذكر فيها مذهبه وما يدين به ويعتقده، كتاب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه تكلم في أوله بصحة الأخبار الواردة في غدير خم، ثم تلاه بالفضائل ولم يتم كتاب فضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولم يتم أيضاً، كتاب فضائل العباس وانقطع أيضاً بموته، كتاب في عبارة الرؤيا جمع فيه أحاديث فمات ولم يعمله، وكتاب مختصر مناسك الحج، كتاب مختصر الفرائض، كتاب في الرد على ابن عبد الحكم على مالك ولم يقع إلى أصحابه، كتاب الموجز في الأصول ابتدأ فيه برسالة الأخلاق، ثم قطع ووعد بكتاب الآدر في الأصول ولم يخرج منه شيء وأراد أن يعمل كتاباً في القياس

فلم يعمله.
قال أبو القاسم الحسين بن حييش الوراق: كان قد التمس مني أبو جعفر أن أجمع له كتب الناس في القياس، فجمعت له نيفاً وثلاثين فأقامت عنده مديدة، ثم كان من قطعه للحديث قبل موته بشهور ما كان، فردها علي وفيها علامات له بحمرة قد علم عليها.
قال عبد العزيز بن محمد: وقد وقع إلى كتاب صغير في الرمي بالنشاب منسوب إليه وما علمت أحداً قرأه عليه ولا ضابطاً ضبط عنه لا ينسبه إليه، وأخاف أن يكون منحولاً إليه.

وقال عبد العزيز بن محمد الطبري: كان أبو جعفر يذهب في جل مذاهبه إلى ما عليه الجماعة من السلف، وطريق أهل العلم المتمسكين بالسنن، شديداً عليه مخالفتهم ماضياً على مناهجهم لا تأخذ في ذلك ولا في شيء لومة لائم، وكان يذهب إلى مخالفة أهل الاعتزال في جميع ما خالفوا فيه الجماعة من القول بالقدر وخلق القرآن وإبطال رؤية الله في القيامة، وفي قولهم بتخليد أهل الكبائر في النار وإبطال شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفي قولهم إن استطاعة الإنسان قبل فعله. وكان أبو جعفر يزعم أن ما في العالم من أفعال العباد فخلق الله، وأن ما من الله به على أهل الإيمان من الاستطاعة التي وفقهم لها غير ما أعطاه لأهل الكفر من الدار والعقل، وأن الله ختم على قلوب من كفر به مجازاة لهم على كفرهم. قلت: وهذا الفصل رديء جداً لأنه إن كان ختم قبل الكفر فقد ظلم، وإن كان بعده فقد ختم على مختوم، وهذا لم يقل به أحد من أهل السنة والجماعة، إنما هو من أقوال الروافض والمعتزلة قبحهم الله. وكان أبو جعفر يعتقد أن ما أخطأه ما كان ليصيبه، وأن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن جميع ما في العالم لا يكون إلا بمشيئة الله، وأن الله جل وعز لم يزل موصوفاً بصفاته التي هي عامة وقدرته، وكلامع غير محدث.
قال أبو علي: وهذا الفصل يدل على أن ما لم يكن من الصفات كالعلم والقدرة والكلام أنها محدثة مخلوقة وهذا محض كلام المعتزلة والأشعرية.
قال: وكان أبو جعفر يذهب في الإمامة إلى إمامة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وما عليه أصحاب الحديث في التفصيل، وكان يكفر من خالفه في كل مذهب إذ كانت أدلة العقول تدفع كالقول في القدر، وقول من كفر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الروافض والخوارج ولا يقبل أخبارهم ولا شهاداتهم، وذكر ذلك في كتابه في الشهادات وفي الرسالة وفي أول ذيل المذيل، وكان لا يورث من الكفرة منهم، وذكر ذلك في مسند أسامة بن زيد عند كلامه في قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا يورث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم، ولا يتوارث أهل ملتين شتى) وكان لا يورث متكافرين، لا يورث يعقوبياً من النصارى من ملكي، ولا ملكياً من نسطوري، ولا شمعتياً من اليهود سامرياً، ولا عنانياً من الشمعتي، ووافقه على هذا المذهب الأوزاعي، فإذا اختلفت الكنائس والبيع لم يورث بعضهم من بعض.
قال أبو بكر بن كامل: حضرت أبا جعفر حين حضرته الوفاة فسألته أن يجعل كل من عاداه في حل، وكنت سألته ذلك لأجل أبي الحسن بن الحسين الصواف لأني كنت قرأت عليه القرآن فقال: كل من عاداني وتكلم في حل إلا رجلاً رماني ببدعه. وكان الصواف من أصحاب أبي جعفر وكانت فيه سلامة ولم يكن فيه

ضبط دون الفصل، فلما أملى أبو جعفر ذيل المذيل ذكر أبا حنيفة وأطراه وقال كان فقيهاً عالماً ورعاً فتكلم الصواف في ذلك الوقت فيه لأجل مدحه لأبي حنيفة وانقطع عنه وبسط لسانه فيه.

قال أبو بكر بن كامل: من سبقك إلى إكفار أهل الأهواء؟ قال فقال: إماماً عدل عبد الرحمن بن مهدي، ويحيى ابن سعيد القطان، وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعده واطرحه، وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم وقال: إن بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بغدير خم، وقال هذا الإنسان في قصيدة مزدوجة فيها بلداً بلداً ومنزلاً منزلاً أبياتاً يلوح فيها إلى معنى حديث غدير خم فقال:

ثم مررنا بغدير خم ... كم قائل فيه بزور جم

على علي والنبي الأمي

وبلغ أبا جعفر ذلك فابتدأ الكلام في فضائل علي بن أبي طالب، وذكر طرق حديث خم فكثر الناس لاستماع ذلك، واجتمع قوم من الروافض ممن بسط لسانه بما لا يصلح في الصحابة رضي الله عنهم فابتدأ بفضائل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم سأله العباسيون في فضائل العباس فابتدأ بخطبة حسنة وأملى بعضه وقطع جميع الإملاء قبل موته وكان يظن أن فيه لجاجة، قال أبو بكر بن كامل: ولم يكن فيه ذلك، وقد كان رجع طبرستان فوجد الرفض قد ظهر، وسب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أهلها قد انتشر، فأملى فضائل أبي بكر وعمر حتى خاف أن يجري عليه ما يكرهه فخرج منها من أجل ذلك.

وقال عبد العزيز بن محمد الطبري: أخبرني غير واحد من أصحابنا أنه رأى عند أبي جعفر شيخاً مسناً فقام له أبو جعفر وأكرمه ثم قال أبو جعفر: إن هذا الرجل ناله في ماقد صار له علي به الحق الكثير، وذلك أني دخلت إلى طبرستان وقد شاع سب أبي بكر وعمر فيهما، فسألوني أن أملي فضائلهما ففعلت، وكان سلطان البلدة يكره ذلك فاجتمع إليه من عرفه ما أمليته، فوجه إلي فبادر هذا وأرسل إلي من أخبرني أني قد طلبت، فخرجت من وقتي عن البلد ولم يشعر بي وحصل هذا في أيديهم فضرب بسبي ألفاً قال: وكان شديد التوقي والحذر والنزاهة والورع، يدل على ذلك ما أودعه كتاب آداب النفوس المنبه على دينه وفضله، ومع ما كان فيه من الاشتغال بالتصانيف والحديث والإملاء لا بد له مع ذلك من حزبه من القرآن، ويقال: إنه كان يقرأ كل ليلة ربعاً أو حظاً وافراً.

قال عبد لعزيز بن محمد: وكان أبو جعفر ظريفاً في ظاهره، نظيفاً في باطنه، حسن العشرة لمجالسيه، متفقداً لأحوال أصحابه، مهذباً في جميع أحواله، جميل الأدب في مأكله وملبسه، وما يخصه في أحوال نفسه، منبسطاً مع إخوانه، حتى ربما داعبهم أحسن مداعبة، وربما جئ بين يديه بشيء من الفكاهة فيجري في ذلك المعنى ما لا يخرج من العلم والفقه والمسائل حتى يكون كأجد جد وأحسن علم. وكان إذا أهدى إليه مهد هدية مما يمكنه المكافأة عليه قبلها وكافأه، وإن كانت مما لا يمكنه المكافأة عليه ردها واعتذر إلى مهديها. ووجه إليه أبو الهيجاء بن حمدان ثلاثة آلاف دينار، فلما نظر إليها عجب منها ثم قال: لا أقبل ما لا أقدر على المكافأة عنه، ومن أين لي ما أكافئ عن هذا؟ فقيل: ما لهذا مكافأة، إنما أراد التقرب إلى الله عز وجل، فأبى أن يقبله

ورده إليه.
وكان يختلف إليه أبو الفرج بن أبي العباس الأصبهاني يقرأ عليه كتبه، فالتمس أبو جعفر حصيراً لصفة له صغيرة، فدخل أبو الفرج الأصفهاني وأخذ مقدار الصفة واستعمل له الحصير متقرباً بذلك له وجاءه به وقد وقع موقعه، فلما خرج دعا ابنه دفع إليه أربعة دنانير فأبى أن يأخذها وأبى أبو جعفر أن يأخذ الحصير إلا بها. وأهدى إليه أبو المحسن المحرر جاره فرخين فأهدى إليه ثوباً.
وقال أبو الطيب القاسم بن أحمد بن الشاعر وسليمان بن الخاقاني: أهدى أبو علي محمد بن عبيد الله الوزير إلى أبي جعفر محمد بن جرير برمان فقبله وفرقه في جيرانه، فلما كان بعد أيام وجه إليه بزنبيل فيه بدرة فيها عشرة آلاف درهم وكتب معها رقعة وسأله أن يقبلها. قال سليمان: قال لي الوزير: إن قبلها وإلا فسلوه أن يفرقها في أصحابه ممن يستحق، فصرت بالبدرة إليه فدققت الباب وكان يأنس إلي، وكان أبو جعفر إذا دخل منزله بعد المجلس لا يكاد يدخل إليه أحد لتشاغله بالتصنيف إلا في أمر مهم. قال: فعرفته أني جئت برسالة الوزير فأذن لي، فدخلت وأوصلت إليه الرقعة فقال: – يغفر الله لنا وله – اقرأ عليه السلام وقل له: أرددنا إلى الرمان، وامتنع من قبول الدراهم. فقلت له: فرقها في أصحابك على من يحتاج إليها ولا تردها. فقال: هو أعرف بالناس إذا أراد ذلك، وأجاب عن الرقعة وانصرفت.
قال أبو الطيب وسليمان: فلما كان بعد مدة قدم الحاج وكان يأتيه مال ضيعته معهم فربما جئ إليه بالشيء فجعله بضاعة، فدعانا وإذا بين يديه شيء مشدود فقال: امضيا بهذا إلى الوزير واقرءا عليه السلام، وأوصلا إليه هذه الحزمة والرقعة. قالا: فصرنا إليه ولا نعرف ما فيها قرأ الرقعة وإذا فيها إنه قد أنفذ إليه شيء من طبرستان فآثر إنفاذه إليه قال: فتقدم من فتحه فإذا فيه سمور حسن فقوم له ذلك بأربعين ديناراً ولم يجد بداً من قبوله. وكان داعياً إلى امتناعه من الإهداء إليه. قال: وقد كان يمضي إلى الدعوة يدعى إليها وإلى الوليمة يسأل فيها ويكون ذلك يوماً مشهوداً من أجله وشريفاً بحضوره، وكان يخرج مع بعضهم إلى الصحراء فيأكل معهم.

قال ابن كامل: قال لي أبو علي محمد بن إدريس الجمال – وكان من وجوه الشهود بمدينة السلام – : حضرنا يوماً مع أبي جعفر الطبري وليمة فجلست معه على مائدة فكان أجمل الجماعة أكلاً وأظرفهم عشرة. قال: وحضر جماعة من الغلمان على رؤوسنا لسقي الماء والخدمة قال: فرأيت بعض الغلمان قد مد عينه إلى بعض ما قدم إلينا فأخذت لقمة فناولتها الغلام. قال: فزبرني أبو جعفر وقال: من أذن لك أن تأكل أو تطعم؟ قال: فأخجلني. قال ابن كامل: ما رأيت أظرف أكلاً من أبي جعفر، كان يدخل يده في الغضاره فيأخذ منها لقمة فإذا عاد بأخرى كسح باللقمة ما التطخ من الغضارة باللقمة الأولى فكان لا يتلطخ من الغضارة إلا جانب واحد، وكان إذا تناول اللقمة ليأكل سمى ووضع يده اليسرى على لحيته ليوقيها من الزهومة فإذا حصلت اللقمة في فيه أزال يده.
قال أبو بكر بن كامل: قال لنا أبو بكر بن مجاهد: كان أبو جعفر ربما خرج إلى الصحراء فنخرج معه فدعانا يوماً أبو الطيب بن المغيرة الثلاج وكان جاراً لأبي جعفر في محلة ببغداد، فجاء بنا إلى قراح باقلي فأكلنا

وأكل أبو جعفر أكلاً فيه إفراط، ورأينا من حسن عشرته وانبساطه أمراً عظيماً، ثم انصرفنا فصرت إليه لأعرف خبره من تعبه مما أكله، فإذا بين يديه أدوية وجوارشنات يأكل منها ليدفع بها ضرر ما كان أكله. وكان إذا جلس لا يكاد يسمع له تنخم ولا تبصق ولا يرى له نخامة، وإذا أراد أن يمسح ريقه أخذ ذؤابة منديله ومسح جانبي فيه، قال أبو بكر ابن كامل: ولقد حرصت مراراً أن يستوي لي مثل ما يفعله فيتعذر على اعتياده. قال: وما سمعته قط لاحنا ولا حالفاً بالله عز وجل. قال: وكان لا يأكل الدسم، وإنما يأكل اللحم الأحمر الصرف ولا يطبخه إلا بالزبيب وكان يقول: السمين يلطخ المعدة، وكان يتجنب السمسم والشهد ويقول: إنهما يفسدان المعدة، ويغيران النكهة ويقول إن التمر يلطخ المعدة، ويضعف البصر، ويفسد الأسنان، ويفعل في اللحم كذا وكذا. فقال له أبو علي الصواف: أنا آكله طول عمري ولا أرى من إلا خيراً. فقال أبو جعفر: وما بقي على التمر أن يعمل بك أكثر مما عمل. قال: وكان الصواف قد وقعت أسنانه وضعف بصره، ونحف جسمه وكثر اصفراره. قال: وكان أبو جعفر كبير اللحية حسن القيام على نفسه لا يأكل من الخبز إلا السميذ لأجل غسل القمح، لأن من كذهبه أن الشمس والنار والريح لا تطهر نجساً، وكان ربما أكل من العنب الرازق والتين الوزيري والرطب وربما أخذ له من اللبن الحليب من غنم ترعى فيصفي ويجعل في قدر على النار حتى يذهب منه جزء ثم يثرد في الإناء ويصب عليه اللبن الحار، ويدعه حتى يبرد ويطرح عليه الصعتر وحبة السوداء والزيت، وكان يكثر من الإسفيذباج والزيرباج، وكان ربما أكل بالحصرم في وقته، وكان لا يعدم في الصيف الحيس والريحان واللينوفر، فإذا أكل نام في الخيش في قميص قصير الأكمام مصبوغ بالصندل وماء الورد، ثم يقوم فيصلي الظهر في بيته ويكتب في تصنيفه إلى العصر، ثم يخرج فيصلي العصر ويجلس للناس يقرئ ويقرأ عليه إلى المغرب، ثم يجلس للفقه والدرس بين يديه إلى عشاء الآخرة ثم يدخل منزله، وقد قسم ليله ونهاره في مصلحة نفسه ودينه والخلق كما وفقه الله عز وجل.

وكان أبو الطيب الثلاج قد سأله أن يجعل شربه الماء من عنده، لأنه كان يكره الثلج وكان له كراز يدفئه فيه، وكان أبو القاسم سليمان بن فهد الموصلي يهدي له العسل ويقبله منه، فلما مات وجد عنده إحدى عشرة جرة عسلاً ومنها ما قد نقص منه. وكان قد كتب فردوس الحكمة لعلي بن زين الطبري وأخذه عن علي بن زين مصنفه سماعاً.

قال أبو بكر بن كامل: ورأيته عنده في ستة أجزاء وقال أبو العباس بن المغيرة الثلاج: لما اعتل ابني أبو الفرج وكان حسن الأدب ويتفقه على مذهب أبي جعفر. قال لي أبو جعفر تقبل مني ما أصفه لك؟ فقلت نعم، وكنت أتبرك بقوله ورأيه. قال: احلق رأسه واعمل له جواذابة سمينة من رقاق وأكثر دسمها وقدمها إليه وأطعمه منها حتى يمتلئ شبعاً ثم خذ ما بقي فاطرحه على دماغه، واحرص أن ينام على حاله تلك فإنه يصلح إن شاء الله تعالى ففعلت فكان سبب برئه. وأبو الفرج هذا مات قبل أبي جعفر بمديدة، وكان أبو الفرج هذا يتعسف في كلامه. تجاورا يوماً عند أبي جعفر فذكر الطيخ فقال أبو الفرج: لكني أكلت طباهقة. قال أبو جعفر: وما الطباهقة؟ قال: الطباهقة: ألا ترى أن العرب تعمل الجيم قافاً. قال أبو جعفر:

فأنت إذاً أبو الفرق بن الثلاق، فصار يعرف بأبي الفرق بن الثلاق ويمزح معه بذلك.
وكان أبو بكر بن الجواليقي يأخذ لسانه بالإعراب ويكثر الإشارات فيه إلى حد البغض، فأخذ يوماً في ذلك فقال أبو جعفر: أنت بغيض فسمي بغيض الطبري. قال: ورأيت أنا هذا الإنسان يوماً وقد ورد على باب الطاق وكان مهاجراً لبعض الوراقين فوقف علينا فسلم ثم أعتذر من وقوفه بالمكان لأجل الوراق فقال: لولا من ما كنت بالذي، يعني لولا من ههنا ما كنت لأقف على حانوتك، وكان بأبي جعفر ذات الجنب تعتاده وتنتقض عليه، فوجه إليه علي بن عيسى طبيباً فسأل الطبيب أبا جعفر عن حاله، فعرفه حاله وما استعمل وأخذه لعلته وما انتهى إليه في يومه ذاك وما كان رسمه أن يعالج به وما عزم على أخذه من العلاج. فقال له الطبيب: ما عندي فوق ما وصفته لنفسك شيء، والله لو كنت في ملتنا لعددت من الحواريين – وفقك الله – ، ثم جاء إلى علي بن عيسى فعرفه ذلك فأعجبه. قلت: أكثر هذه الأخبار عن عبد العزيز بن محمد الطبري من كتاب له أفرده في سيرة أبي جعفر، ومن كتاب لأبي بكر بن كامل في أخباره والله ولي الخير.
قال أبو علي الأهوازي: مات ببغداد في سنة عشر وثلاثمائة، وكذا وجدته بخط أبي سليمان بن يزيد مكتوباً، ورأيت أيضاً من يقول: إنه مات في سنة إحدى عشرة وست عشرة والله أعلم وأحكم، وهذه السنون كلها في أيام المقتدر بالله.

محمد بن جعفر الصيدلاني

كان صهر أبي العباس المبرد على ابنته ويلقب برمة، وكان أديباً شاعراً، روى عن أبي هفان الشاعر أخباراً وحدث عنه أبو الفرج الأصفهاني وغيره، وأنشد الخطيب في تاريخه لمحمد بن جعفر الصيدلاني:

أما ترى الروض قد لاحت زخارفه ... ونشرت في رباه الريط والحلل
واعتم بالأرجوان النبت منه فما ... يبدو لنا منه إلا مونق خضل
والنرجس الغض يرنو من محاجره ... إلى الورى مقل تحيا بها المقل
تبر حواه لجين فوق أعمدة ... من الزمرد فيها الزهر مكتهل
فعج بنا نصطلح يا صاح صافية ... صهباء في كأسها من لمعها شعل
فقد تجلت لنا عن حسن بهجتها ... رياض قطربل واللهو مشتمل
وعندنا شادن شدت قراطقه ... على نقا وقضيب فهو معتدل
يدور بالكأس بين الشرب آونة ... ما دام للشرب منه العل والنهل
وقينة إن تشأ غنتك من طرب ... ودع هريرة إن الركب مرتحل
وإن أشرت إلى صوت تكرره ... إنا محيوك فاسلم أيها الطلل
ليست بمظهرة تيهاً ولا صلفاً ... وليس يغضبها التجميش والقبل
فنحن في تحف منها وفي غزل ... مما يغازلنا طرف لها غزل

محمد بن جعفر بن ثوابة الكاتب

يكنى أبا الحسن، كاتب بليغ منشئ فاضل، كان ينشئ في الديوان أيام المقتدر بالله، ومات في سن اثنتي عشرة وثلاثمائة، قال الرئيس أبو الحسين: كان أبو الحسن هذا صاحب ديوان الرسائل في ديوان المقتدر.
وقال ثابت: في سنة أربع وثلاثمائة قبض على علي بن عيسى بن الجراح الوزير، واستوزر أبو الحسن محمد بن الفرات، فأقر أبا الحسن محمد بن جعفر بن ثوابة على ديوان الرسائل والمعاون، ومن كلامه رسالة كتبها عن المقتدر بالله أمير المؤمنين إلى البلدان في وزارة ابن الفرات الثانية: لما لم يجد أمير المؤمنين غنى عنه، ولا للملك بداً منه، وكان كتاب الدواوين على اختلاف أقدارهم وتفاوت ما بين أخطارهم مقرين برياسته، معترفين بكفايته، متحاكمين إليه إذا اختلفوا، واقفين عند غايته إذا استبقوا، مذعنين بأنه الحول القلب.
المحنك المجرب، العالم بدرة المال كيف تحلب؟ ووجوهه كيف تطلب؟ انتضاه من غمده، فعاود ما عرف من حده، فنفذ الأعمال كأن لم يغب عنها، ودبر الأمور كأن لم يخل منها.
ورأى أمير المؤمنين ألا يدع شيئاً من أسباب التكرم كان قديماً جعله له إلا وفاه إياه، ولا نوعاً من أنواع المثوبة والجزاء كان أخره عنه إلا حباه به، فخاطبه بالتلبية. ومما يستحسنه الكتاب من كلامه قوله لما أجاب خمارويه بن أحمد عن المعتضد عن الكتاب بإنفاذ ابنته فقال في الفصل الذي احتاج فيه إلى ذكرها: وأما الوديعة فهي بمنزلة ما انتقل من شمالك إلى يمينك عناية بها وحياطة لرأيك فيه.

محمد بن جعفر بن محمد بن سهل

ابن شاكر الخرائطي. قال أبو بكر الخطيب: كنيته أبو بكر، وهو من أهل سر من رأي، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة بعسقلان من بلاد الشام، وكان سمع عمر بن شبة وغيره، وكان حسن الأخبار مليح التصانيف سكن الشام وحدث بها فحصل حديثه عند أهلها. ومن مصنفاته: كتاب اعتلال القلوب في أخبار العشاق، وكان قدم دمشق في سنة خمس وعشرين وثلاثمائة، ثم مات بعد ذلك بعسقلان في الوقت المقدم ذكره.
وله من التصانيف: كتاب مكارم الأخلاق، كتاب مساوي الأخلاق، كتاب قمع الحرص بالقناعة، كتاب هواتف الجان وعجيب ما يحكى من الكهان، كتاب القبور.

محمد بن جعفر بن حاتم الواسطي

أبو جعفر غلام ثعلب، له شعر صالح، مات في سنة سبع وعشرين وثلاثمائة، وذكر ذلك كله أبو محمد عبد الله ابن بشران في تاريخه.

محمد أبي جعفر المنذري

الهروي أبو الفضل، ذكره أبو النضر عبد الرحمن بن عبد الجبار بن أبي سعيد الفامي في تاريخ هرة وقال: مات في رجب سنة تسع وعشرين وثلاثمائة.

قال المؤلف: وهو نحوي لغوي مصنف في ذلك، وهو شيخ أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري الذي أملى كتاب التهذيب بالرواية عنه وقدم بغداد لأنه قال: سألت ثعلباً عن كتاب العين فقال: ذلك كتاب ملئ غدد، قال: وهذا لفظ أبي العباس، وحقه عند النحويين ملآن غدداً، ولكن أبا العباس يخاطب العامة على قدر فهمهم.

وذكر الأزهري في مقدمة كتابه: أن أبا الفضل المنذري لازم أبا الهيثم الرازي سنين وعرض عليه الكتب، وكتب عنه من أماليه وفوائده أكثر من مائتي مجلد. قال الأزهري: فما وقع في كتابي لأبي الهيثم فهو ما أفادنيه المنذري عنه في كتاب الشامل وكتاب الفاخر، وكتاب الزيادات التي زادها في معاني القرآن للفراء، وكتاب زيادات أمثال أبي عبيد، وكتاب ما زاد في المصنف وغريب الحديث.

وقال أبو النضر: صنف أبو الفضل المنذري كتاب نظم الجمان وكتاب الملتقط، وذكر الفاخر والشامل. قال الأزهري: اخبرني أبو الفضل المنذري أن أبا الهيثم الرازي حثه على النهوض إلى أبي العباس يعني ثعلباً قال: فرحلت إلى العراق ودخلت مدينة السلام يوم الجمعة ومالي همة غيره، فأتيته وعرفته خبري وقصدي إياه، فاتخذ لي مجلساً في النوادر التي سمعها من ابن الأعرابي حتى سمعت الكتاب كله منه قال: وسألته عن حروف كانت أشكلت على أبي الهيثم فأجابني عنها.

قال الأزهري: أخبرني المنذري أنه اختلف إلى ثعلب سنة في سماع كتاب النوادر لابن الأعرابي لأنه كان في أذنه وقر وكان يتولى قراءة ما يسمع منه قال: وكتبت عنه من أماليه في معاني القرآن وغيرها أجزاء كثيرة فما عرض ولا صرح بشيء من أسباب الطمع قال واختلفت إلى أبي العباس المبرد وانتخبت عليه أجزاء من كتابيه المعروفين بالروضة والكامل قال: وقاطعته من سماعها على شيء مسمى وإنه لم يأذن لي في قراءة حكاية واحدة لم يكن وقع عليها الشرط.

محمد بن جعفر العطار النحوي

أبو جعفر، ويلقب فرتك. قال الخطيب: هو من أهل المخرم. حدث عن الحسن بن عرفة، روي عنه الدارقطني ولم يزد الخطيب على هذا.

محمد بن جعفر بن محمد الهمذاني

ثم المراغي. ذكره محمد بن إسحاق فقال: كان يعلم عز الدولة أبا منصور بختيار بن معز الدولة بن بويه. قال الخطيب: يكنى أبا الفتح، سكن بغداد وروى بها عن أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن مسلم بن قتيبة. حدث عنه أبو الحسين المحاملي القاضي وروى عنه في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة.

قال محمد بن إسحاق: وكان حافظاً نحوياً بليغاً في نهاية السرو والحرية. وله من الكتب: كتاب النهجة مثال الكامل، كتاب الاستدراك لما أغفله الخليل.

وقال أبو حيان في الإمتاع: وصف جماعة من النحويين أبا سعد السيرافي والرماني وأبا علي الفارسي ثم قال:

وأما ابن المراغي قلا يلحق هؤلاء مع براعة اللفظ، وسعة الحفظ، وقوة النفس، وبلل الريق، وغزارة النفث، وكثرة الرواية، ومن نظر في كتاب النهجة له عرف ما أقول، واعتقد فوق ما أصف، ونحل أكثر مما أبذل.
ذكر أبو حيان في كتاب المحاضرات قال: ولما مات المراغي – وكان قدوة في النحو وعلما في الأدب كبيراً مع حداثة سنه ورقة حاله، وإن قلت إني ما رأيت في الأحداث مثله كان كذلك – استرجع أبو سعيد السيرافي واستعبر وأنشد:

من عاش لم يخل من هم ومن حزن ... بين المصائب من دنياه والمحن
وإنما نحن في الدنيا على سفر ... فراحل خلف الباقي على الظعن
وكلنا بالردى والموت مرتهن ... فما نرى فيهما فكا لمرتهن
من الذي أمن الدنيا فلم نحن ... أو الذي اعتز بالدنيا فلم يهن؟
كل يقال له قد كان ثم مضى ... كأن ما كان من دنياه لم يكن

ثم قال: قوموا بنا لتجهيزه وتولية أمره فتبعناه على ذلك، فلما أخرجت جنازته بكى وأنشد:

أساءت بنا الأيام ثمت أحسنت ... وكل من الأيام غير بديع
وما زال صرف مذ كان مولعاً ... بتأليف شتى أو بشت جميع

محمد بن جعفر بن محمد بن هارون

ابن فروة بن ناجية بن مالك، أبو الحسن التميمي النحوي المعروف بابن النجار من أهل الكوفة، ولد سنة ثلاث وثلاثمائة بالكوفة، وقدم بغداد وحدث بها عن ابن دريد ونفطويه والصولي وغيرهم.
قال الخطيب: وهو ثقة، مات في جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعمائة بالكوفة، نقلت ذلك من تاريخ ابن الجوزي، ونقله هو من تاريخ الخطيب حرفاً حرفاً، ونقلت من زيادات الوزير المغربي في فهرست ابن النديم: أنه ولد سنة إحدى عشرة وثلاثمائة قال: وكان من مجودي القراء، أخذ عن النقار وغيره، وكان يقرئ لحمزة والكسائي الغالب في أخذه، ولقي أحمد بن يونس، وروى قراءة عاصم عنه عن الأعشى عن أبي بكر عياش عن عاصم، ولقي من المحدثين القدماء ابن الأشناني الكبير وابن الأشناني القاضي، وابن مروان القطان، وأبا عبيدة وغيرهم. قال: وكنا سمعنا منه: كتاب القراءات، وكتاب مختصر في النحو، وكتاب الملح والنوادر، وكتاب التحف والطرف، وكتاب الملح والمسار، وكتاب روضة الأخبار ونزهة الأبصار، وكتاب تاريخ الكوفة رأيته.

محمد بن جعفر بن محمد الغوري

أبو سعيد، أحد أئمة اللغة المشهورين والأعلام في هذا اللسان المذكورين، صنف كتاب ديوان الأدب في عشرة أجلد ضخمة، أخذ كتاب أبي إبراهيم إسحاق الفارابي المسمى بهذا الاسم وزاد في أبوابه، وأبرزه في أبهى أثوابه، فصار أولى به منه، لأنه هذبه وانتقاه، وزاد فيه ما زينه وحلاه، لم أعرف شيئاً من حاله فأذكره

إلا أنه ذكر في أول كتابه بعد البسملة: قال محمد بن جعفر بن محمد المعروف جده بالغوري، ثم ذكر أنه هذب كتاب الفارابي وختم الكلام بأن قال: وأهديته – يعني الكتاب – إلى الدهقان الكبير أبي نصر منصور مولى أمير المؤمنين.

محمد بن أبي جعفر القزاز القيرواني

أبو عبد الله التميمي، كان إماماً علامة قيماً بعلوم العربية، ذكره الحسن بن رشيق في كتاب النموذج فقال: مات بالقيروان سنة اثنتي عشرة وأربعمائة وقد قارب التسعين، وهو جامع كتاب الجامع في اللغة، وهو كتاب كبير حسن متقن يقارب كتاب التهذيب لأبي منصور الأزهري رتبه على حروف المعجم، وكتاب ما يجوز للشاعر استعماله في ضرورة الشعر.

قال ابن رشيق: وكان مهيباً عند الملوك والعلماء وخاصة الناس. محبوباً عند العامة، يملك لسانه ملكاً شديداً وقد مدحه الشعراء فقال فيه يعلى بن إبراهيم الأربسي:

نسجت شعاعاً بيننا منها فبت ... نا جميعنا من تحت ثوب مذهب

فمزجتها من فيه ثم شربتها ... ولثمته برضاب ثغر أشنب

في ليلة للدهر كانت غرة ... يرنو إليها الخطب كالمتعجب

فت الأنام بها كما فت الورى ... سبقاً محمد بالفخار الأغلب

أبداً على طرف السؤال جوابه ... فكأنما هو دفعه من صيب

يغدو مساجلة بغرة صافح ... ويروح معترفاً بذلة مذنب

فالأبعد النائي عليه في الذي ... يفتر كالداني إليه الأقرب

وكان القزاز معجباً بهذه الكلمة ويقول: ما مدحت بأحب إلي منها. وقال الحسن بن رشيق في العمدة: وحاجي شيخنا أبو عبد الله بعض تلاميذه فقال:

أحاجيك عباد كزينب في الورى ... ولم تؤت إلا من صديق وصحب

فأجابه التلميذ في الحال:

سأكتم حتى ما تحس جوارحي ... بما انهل منها في دموعي السواكب

فمعكوس: عباد كزينب: سرك ذائع. وسأكتم: جواب على الظاهر حسن، ومعكوسة منك أتيت، وهو جواب لما حوجي به بديع مقابل، ولم تؤت إلا من صديق وصاحب، تفسير حسن بديع جداً. وشعر أبي عبد الله جيد مطبوع مصنوع، ومن شعره يتغزل:

أما ومحل حبك من فؤادي ... وقدر مكانه فيه المكين

لو انبسطت لي الآمالي حتى ... تصير لي عنانك في يميني

لصنتك في مكان سواد عيني ... وخطت عليك من حذر جفوني

فأبلغ منك غايات الأماني ... وآمن فيك آفات الظنون

فلي نفس تجرع كل حين ... عليك بهن كاسات المنون

إذا أمنت قلوب الناس خافت ... عليك خفي ألحاظ العيون
فكيف وأنت دنياي ولولا ... عقاب الله فيك لقلت ديني
ومن شعره أيضاً:
إذا كان حظي منك لحظة ناظر ... على رقبة لا أستديم لها لحظاً
رضيت بها في مدة الدهر مرة ... وأعظم بها من حسن وجهك لي حظاً!
وله أيضاً:
لو أن لي حكم قلبي فيك أو بصري ... ما استمعت لي عين منك بالنظر
أخشى وأحذر من عيني القريحة ما ... أخشى وأحذره من أعين البشر
ويلاه إن كان حظي فيه مشتركاً ... وكيف يشترك الحيان في عمر؟
يناله وادع لا يستعد له ... ولست أبلغ أولاه من الحذر
وله أيضاً:
أضمروا لي وداً ولا تظهروه ... يهده منكم إلي الضمير
ما أبالي إذا بلغت رضاكم ... في هواكم لأي حال أصير؟
وله أيضاً:
أحين علمت أنك نور عيني ... وأني لا أرى حتى أراكا
جعلت مغيب شخصك عن عياني ... يغيب كل مخلوق سواكا
وله أيضاً:
واحسر تامات أحبابي وخلاني ... وشيب الدهر أترابي وأخداني

وغيرت الأيام خالصتي ... والمنتضي الحر من أهلي وإخواني
ومن تصانيف أبي عبد الله أيضاً: كتاب أدب السلطان والتأدب له عشر مجلدات، كتاب التعريض والتصريح مجلد، كتاب إعراب الدريدية مجلد، كتاب شرح رسالة البلاغة في عدة مجلدات، كتاب أبيات معان في شعر المتنبي، كتاب ما أخذ على المتنبي من اللحن والغلط، كتاب الضاد والظاء مجلد.

محمد بن الجهم بن هارون السمري

أبو عبد الله الكاتب، مات سنة سبع وسبعين ومائتين عن تسع وثمانين سنة، ذكر ذلك أبو بكر بن علي وقال: سمع يعلى بن عبيد الطنافسي، وعبد الوهاب بن عطاء، ويزيد ابن هارون، وآدم بن أبي إياس، وروى عن الفراء تصانيفه. حدث عنه موسى بن هارون الحافظ، والقاسم بن محمد الأنباري، وأبو بكر بن مجاهد المقرئ، ونفطويه، وإسماعيل بن محمد الصغار وغيرهم. وقال الدارقطني: هو ثقة صدوق قال المرزباني: محمد بن الجهم بن هارون السمري أبو عبد الله صاحب الفراء، وروى كتابه في معاني القرآن وهو أحد الثقات من رواة المسند، وهو القائل يمدح الفراء ويصف مذهبه في النحو:

أكثر النحو يزعم الفراء ... من وجوه تأويلهن الجزاء
وهي أبيات يقول فيها:
نحوه أحسن النحو فما في ... ه معيب ولا به إزراء
ليس من صنعة الضعائف لكن ... فيه فقه وحكمة وضياء
حجة توضح الصواب وما قا ... ل سواه فباطل وخطاء
ليس من قال بالصواب كمن قا ... ل بجهل والجهل داء عياء
وكأني أراه يملي علينا ... وله واجباً علينا الدعاء
كيف نومي على الفراش ولما ... يشمل الشام غارة شعواء
تذهل المرء هن بنيه وتبدي ... عن براها العقيلة العذراء
هذان البيتان لعبد الله بن قيس الرقيات ضمنهما.

محمد بن حارث الخشني الأندلسي

صاحب التواريخ، ذكره الحميدي في كتابه فقال: هو من أهل العلم والفضل فقيه محدث، روى عن ابن وضاح ونحوه، وله من الكتب: كتاب أخبار القضاة بالأندلس، كتاب أخبار الفقهاء والمحدثين، كتاب الاتفاق والاختلاف لمالك بن أنس وأصحابه وغير ذلك. ومات في حدود الثلاثين والثلاثمائة، ذكره أبو عمر بن عبد البر، وأبو محمد علي بن أحمد، وأورد عنه أبو سعيد بن يونس في تاريخه وفيات الجماعة من أهل الأندلس ممن مات قبل الثلاثمائة وبعدها بمدة، وقد افصح أبو سعيد باسمه في موضعين من تاريخه في باب السين وباب النون، وما أراه لقيه ولكنه عاصره وكان في زمانه، وإنما يقول فيما يورده عنه: ذكره الخشني في كتابه. وذكر الحميدي في باب محمد بن عبد السلام الخشني: أن عبد الغني بن سعيد الحافظ غلط فيه فقال: محمد بن عبد السلام الخشني صاحب التاريخ، وإنما هو محمد بن حارث فغلط، هذا تلخيص كلام الحميدي لا على وجهه.

محمد بن حبيب أبو جعفر

ذكره المرزباني فقال: قال عبد الله بن جعفر: من علماء بغداد باللغة والشعر والأخبار والأنساب الثقات محمد بن حبيب ويكنى أبا جعفر وكان مؤدباً. ولا يعرف أبوه وإنما نسب إلى أمه وهي حبيب، وهو ممن يروي كتب ابن الأعرابي وابن الكلبي، وقطرب وكتبه صحيحة، وله مصنفات في الأخبار منها: كتاب المحبر والموشي وغيرهما. مات ابن حبيب بسامرا في ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائتين في أيام المتوكل. قال أبو الحسن بن أبي رؤبة: قال أبو رؤبة: عبرت إلى ابن حبيب في مكتبه وكان يعلم ولد العباس بن محمد في شكوك شككت فيها، وروى محمد بن موسى البربري عن ابن حبيب قال: إذا قلت للرجل ما صناعتك؟ فقال معلم فاصفع، وأنشد ابن حبيب:

إن المعلم لا يزال معلماً ... لو كان علم آدم الأسماء
من علم الصبيان صبوا عقله ... حتى بنى الخلفاء والخلفاء

ومحمد بن حبيب مولى لبني هاشم ثم مولى لمحمد بن العباس بن محمد الهاشمي، وأمه مولاة لهم. وقال ابن النديم: نقلت من خط أبي سعيد السكري قال: هو محمد بن حبيب ابن أمية بن عمرو، وكان يروي عن هشام بن الكلبي وابن الأعرابي وقطرب وأبي عبيدة وأبي اليقظان، وأكثر الأخذ عنه أبو سعيد السكري. قال المرزباني: وكان محمد ابن حبيب يغير على كتب الناس فيدعيها ويسقط أسماءهم، فمن ذلك: الكتاب الذي ألفه إسماعيل بن أبي عبيد الله، واسم أبي عبيد الله معاوية، وكنيته هي الغالبة على اسمه فلم يذكرها لئلا يعرف، وابتدأ فساق كتاب الرجل من أوله إلى آخره فلم يخلطه بغيره، ولم يغير منه حرفاً ولا زاد فيه شيئاً، فلما ختمه أتبع ذلك بذكر من لقب من الشعراء ببيت قاله. قال: وما علمت أن أحداً من العلماء صنع صنيعه هذا، ولا من استحسن أن يضع نفسه هذا الموضع القبيح، وأحسب أن الذي حمله على ذلك أن كتاب إسماعيل هذا لم تكثر روايته ولا اتسع ي أيدي الأدباء، فقدر ابن حبيب أن أمره ينستر، وأن إغارته عليه تميت ذكر صاحبه.

وحدث المرزباني عن أحمد بن محمد الكاتب عن علي ابن عبد الله بن المسيب قال: كان علي بن العباس الرومي يختلف إلى محمد بن حبيب، لأن محمداً كان صديقاً لأبيه العباس بن جورجس، وكان يخص علياً لما يرى من ذكائه، فحدث علي عنه أنه كان إذا مر به شيء يستغربه ويستجيده يقول لي: يا أبا الحسن، ضع هذا في تامورك. وحدث أبو بكر بن علي قال: قال أبو طاهر القاضي محمد بن حبيب وهي أمه وهو ولد ملاعنه. وحدث أيضاً فيما أسنده إلى ثعلب قال: حضرت مجلس ابن حبيب فلم يمل فقلت ويحك أمل، مالك؟ فلم يفعل حتى قمت، وكان والله حافظاً صدوقاً، وكان يعقوب أعلم منه، وكان هو أحفظ للأنساب والأخبار منه وهو بغدادي.

وحدث أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي في كتابه قال: قال ثعلب: أتيت ابن حبيب وقد بلغني أنه يملي شعر حسان بن ثابت، فلما عرف موضعي قطع الإملاء فانصرفت وعدت إليه، وترفقت به فأملي وكان لا يقعد في المسجد الجامع، فعذلته على ذلك حتى قعد جمعة من الجمع واجتمع إليه الناس فسأله سائل عن هذه الأبيات:

أزحنة عني تطردين تبددت ... بلحمك طير طرن كل مطير
ففي لا تزلي زلة ليس بعدها ... جبور وزلات النساء كثير
وإني وإياه كرجلي نعامة ... على كل حال من غنى وفقير

ففسر ما فيه من اللغة، فقيل له كيف قيل: غني وفقير، ولم يقل من غني وفقر. قال: فاضطرب، فقلت للسائل: هذه غريبة، وأنا أنوب عنه وبينت العلة وانصرف، ثم لم يعد للقعود بعد ذلك وانقطعت عنه. قوله رجلي نعامة: إنما شبه به لأنه لا تنوب إحداهما عن الأخرى لأنه لامخ فيها، وسائر الحيوان إذا أعيت إحدى رجليه استعان بالأخرى فيقال هما رجلا نعامة، أي لا غنى لإحداهما عن الأخرى، والأسماء ترد على المصادر

والمصادر على الأسماء، لأن المصادر إنما ظهرت لظهور الأسماء وتمكن الإعراب منها.
قال محمد بن إسحاق: ولابن حبيب من الكتب: كتاب النسب، كتاب الأمثال على أفعل ويسمى المنمق، كتاب السعود والعمود، كتاب العمائر والربائع، كتاب الموشح، كتاب المختلف والمؤتلف في أسماء القبائل، كتاب المحبر وهو من جيد كتبه، كتاب المقتني، كتاب غريب الحديث، كتاب الأنواء، كتاب المشجر، كتاب من استجيب دعوته، كتاب الموشى، كتاب المذهب في أخبار الشعراء وطبقاتهم، كتاب نقائض جرير وعمر بن لجأ، كتاب نقائض جرير والفرزدق، كتاب المهوف، كتاب تاريخ الخلفاء كتاب من سمي ببيت قاله، كتاب مقاتل الفرسان، كتاب الشعراء وأنسابهم، كتاب العقل، كتاب كني الشعراء، كتاب السمات، كتاب أيام جرير التي ذكرها في شعره، كتاب أمهات أعيان بني عند المطلب، كتاب المقتبس، كتاب أمهات السبعة من قريش، كتاب الخيل، كتاب النبات، كتاب ألقاب القبائل كلها، كتاب الأرحام التي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه سوى العصبة، كتاب ألقاب اليمن ومضر وربيعة، كتاب القبائل الكبير الأيام جمعه للفتح بن خاقان.

قال محمد بن إسحاق: ورأيت أنا النسخة بعينها في طلحى نيفاً وعشرين جزءاً، وكانت تنقص ما يدل على أنها كانت نحواً من أربعين جزءاً في كل جزء مائتا ورقة وأكثر، ولهذه النسخة فهرست لما تحتوي عليه من القبائل والأيام في طلحى نحو خمسة عشر ورقة. ومن صنعه في أشعار العرب: كتاب ديوان زفر بن الحارث، كتاب شعر الشماخ، كتاب شعر الأقيشر، كتاب شعر الصمة، كتاب شعر لبيد العامري.

محمد بن حرب بن عبد الله النحوي

الحلبي أبو المرجي، أحد أعيان حلب والمشهورين منهم بعلم الأدب، مات بدمشق في سنة إحدى وثمانين أو اثنتين وثمانين، وحدثني ابن الجيراني قال: مات شيخنا بدمشق في سنة ثمانين وخمسمائة.
حدثني كمال الدين أبو القاسم عمر بن أبي جرادة – أدام الله أيامه – قال: حدثني محمد بن عبد الواحد بن حرب الخطيب خطيب قلعة حلب إملاء من لفظه قال: حدثني أبو المرجي محمد بن حرب أبو عبد الله النحوي قال: رأيت في النوم إنساناً ينشدني هذا البيت:
أروم عطا الأيام والدهر مهلكي ... ممر لها والدهر رهن عطاها
فأجزته بأبيات:
أيا طالب الدنيا الدنية إنها ... ستزديك يوماً إن علوت مطاها
صن النفس لا تركن إليها فإن أبت ... فردد عليها آي آخر طه
ودع روضي الآمال والحرص إنه ... إذا ردع النفس الهدى سطاها
فلا بد يوماً أن تلم ملمة ... فتبسط منا عقدة نشطاها
أنشدني الأخ أبو القاسم أحمد بن هبة الله سعد الجيراني النحوي الحلبي قال: أنشدني شيخي أبو المرجي محمد بن حرب الأنابي، وأناب قرية من بلد أعزاز من نواحي حلب لنفسه في صفة الرمان:

ولما فضضت الختم عنهن لا ح لي ... فصوص عقيق في بيوت من التبر
ودر ولكن لم يدنسه غائص ... وماء ولكن في مخازن من جمر
وأنشدني قال: أنشدني المذكر لنفسه:
لما بدا ليل عارضيه لنا ... يحكي سطوراً كتبن بالمسك
تلا علينا العذار سورة وال ... ليل وغنى لنا قفا نبك
وأنشدني له:
تجل سنا شمعه تشابهني ... وقداً ولوناً وأدمعاً وفنا
قال: وله أرجوزة في مخارج الحروف.

محمد بن حسان النملي يكنى أبا حسان

أحد الكتاب الطياب والأدباء، وكان في أيام المتوكل وله معه أحاديث، وله كتاب برجان وحباحب وهو كبير في أخبار النساء والباه، كتاب آخر صغير في هذا المعنى، كتاب البغاء، كتاب السحق، كتاب خطاب المكاري لجارية البقال.

محمد بن حسان الضبي أبو عبد الله

كان نحوياً فاضلاً وأديباً شاعراً، وكان يؤدب العباس ابن المأمون وغيره من ولده فماتوا فقال يرثيهم:
خل دمع العين ينهمل ... بان من أهواه فاحتملوا
كل دمع صانه كلف فهو يوم البين مبتذل
يا أخلائي الذين نأت ... بهم الطيات وانتقلوا
قد أبى أن ينثني بكم ... أوبة يحيا بها الأمل
وحدث شباب العصفري قال: ولي المأمون محمد بن حسان الضبي مظالم الجزيرة وقنسرين والعواصم والثغور سنة خمس عشرة ومائتين، ثم زاده بعد ذلك مظالم الموصل وأرمينية قال: وولي المعتصم محمد بن الحسن مظالم الرقة في سنة أربع وعشرين ومائتين إلى أن توفي المعتصم فأقره الواثق عليها.
وحدث المرزباني بإسناده قال: قدم محمد بن حسان الضبي على أبي المغيث الرافقي فمدحه فوعده بثواب فتأخر عنه فكتب إليه محمد:
عذبت بالمطل وعدً رف مورقه ... حتى لقد جف منه الماء والعود
سقيا للفظك ما أحلى مخارجه ... لولا عقارب في أثنائه سود
فلما قرأها أبو المغيث تبسم وأجابه:
لا تعجلن على لومي فقد سبقت ... مني إليك بما تهوى المواعيد
فإن صبرت أتاك النجح عن كثب ... وكل طالعة سعد ومسعود

وفي الكريم أناة ربما اتصلت ... إن لم يعامل بصبر أيبس العود

وعجل له صلته. وقال أبو الحسن بن البراء: أنشدني محمد ابن حسان الضبي لنفسه:

كتمت الهوى حتى بدا السقم ظاهراً ... وحتى جرى دمعي يسيل بدارا

وأخفيت من أهوى وألقيت دونه ... من الحب أستاراً فعدن جهارا

وله أيضاً في رواية المرزباني:

ففيم أجن الصبر والبين حاضر ... وأمنع تذراف الدموع السواكب

وقد فرقت جمع الهوى طية النوى ... وغودرت فرداً شاهداً مثل غائب

محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي

يكنى أبا جعفر، هو ابن أخي معاذ الهراء، وهم من موالي محمد بن كعب القرظي قال: وسمي الرؤاسي لكبر رأسه، وكان ينزل النيل فقيل له النيلي، وكان أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو، ومات في أيام الرشيد.

قال أحمد بن يحيى تغلب: كان الرؤاسي أستاذ علي بن حمزة الكسائي والفراء. قال الفراء: فلما خرج الكسائي إلى بغداد قال لي الرؤاسي: قد خرج الكسائي وأنت أسن منه، فجئت إلى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل الرؤاسي فأجابني بخلاف ما عندي، فغمرت عليه قوماً كوفيين كانوا معي فرآني فقال لي: مالك قد أنكرت؟ لعلك من أهل الكوفة، قلت نعم. قال: الرؤاسي يقول كذا وكذا وليس صواباً. وسمعت العرب تقول كذا وكذا حتى أتى على مسائلي فلزمته. قال: وكان الرؤاسي رجلاً صالحاً وقال: بعث الخليل إلي يطلب كتابي فبعثت به إليه فقرأه قال: وكل ما في كتاب سيبويه وقال الكوفي كذاً فإنما يعني الرؤاسي.

قال: وكتاب الرؤاسي يقال له الفيصل. وزعم ثعلب أن أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو أبو جعفر الرؤاسي، وكان له كتاب معروف عندهم يقدمونه. وقال سلمة: سئل الفراء عن الرؤاسي فأثنى عليه وقال: قد كان دخل البصرة دخلتين، وقل مقامه بالكوفة فلذلك قل أخذ الناس عنه قال: وقال المبرد: ما عرف الرؤاسي بالبصرة، وقد زعم بعض الناس أنه صنف كتاباً في النحو فدخل البصرة ليعرضه على أصحابنا فلم يلتفت إليه، أو لم يجسر على إظهاره ولما سمع كلامهم.

وقال ابن درستويه: وزعم جماعة من البصريين أن الكوفي الذي يذكره الأخفش في آخر كتاب المسائل ويرد عليه هو الرؤاسي.

حدث محمد بن جعفر الأشعثي عن الرؤاسي قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي: إن لي تجارة بالنيل أفأشتري بالنيل داراً؟ فقال: اشتر ما ينفعك، فرب عزلة كانت داعية خير، وإياك وجميع ما يعنيك، فأما لا يعنيك فإياك وإياه.

وحدث عبد الله بن جعفر عن علي بن المبارك الأحمر عن الكسائي قال: كان للرؤاسي امرأة من أهل النيل تزوجها بالكوفة وانتقلت إليه من النيل وشرطت عليه أنها تلم بأهلها في كل مدة فكانت لا تقيم عنده إلا

القليل، ثم يحتاج إلى إخراجها وردها فمل ذلك منها وفارقها وقال فيها:

بانت لمن تهوى حمول ... فأسفت في أثر الحمول

أتبعتهم عيناً علي ... هم ما تفيق من الهمول

ثم ارعويت كما ارعوى ... عنها المسائل للطلول

لاحت محائل خلفها ... وخلافها دون القبول

ملت وأبدت جفوة ... لا تركنن إلى ملول

ولأبي جعفر الرؤاسي قصيدة منها:

ألا يا نفس هل لك في صيام ... عن الدنيا لعلك تهتدينا

يكون الفطر وقت الموت منها ... لعلك عنده تستبشرينا

أجيبيني هديت وأسعفيني ... لعلك في الجنان تخلدينا

وحدث أبو الطيب اللغوي في كتاب المراتب قال: وممن أخذ عن أبي عمرو بن العلاء من أهل الكوفة أبو جعفر الرؤاسي عالم أهل الكوفة إلا أنه ليس بنظير لمن ذكرنا ولا قريباً منهم، وكان ذكر يونس بن حبيب وعيسى بن عمر والخليل بن أحمد ونظائرهم قال: وقال أبو حاتم: كان بالكوفة نحوي يقال له أبو جعفر الرؤاسي وهو مطروح العلم ليس بشيء.

وقال محمد بن إسحاق في الكتاب الذي ألفه في سنة سبع وسبعين وثلاثمائة: وللرؤاسي من الكتب: كتاب الفيصل رواه جماعة وهو يروي إلى اليوم، كتاب معاني القرآن، كتاب التصغير، كتاب الوقف والابتداء الكبير، كتاب الوقف والابتداء الصغير.

محمد بن الحسن بن دينار الأحول

أبو العباس، كان غزير العلم واسع الفهم جيد الدراية حسن الرواية. روي عنه أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي وقرأ عليه ديوان عمرو بن الأهتم في سنة خمسين ومائتين.

قال أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي المعروف بنفطويه: جمع أبو العباس محمد بن الحسن بن دينار الأحوال أشعار مائة شاعر وعشرين شاعراً، وعلمت أنا خمسين شاعراً. وذكره أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي وجعله في طبقة المبرد وثعلب. وحدث المرزباني أنه كان وراقاً يورق لحنين بن إسحاق المتطبب في منقولاته لعلوم الأوائل، وكان ممدوداً أي قليل الحظ من الناس، وحدث عن علي بن سليمان الأخفش قال: حدثني محمد بن الحسن الأحول قال: اجتمعنا مع أبي العباس ثعلب في بيته وحضر ابن بوكران رجل من أهل الأدب فقال بعض أصحابنا: عرفوني ألقابكم. فقال ثعلب: أنا ثعلب، وقال الآخر: أنا كذا، والآخر أنا كذا، فلما بلغوا إلي قالوا: وأنت ما لقبك؟ فقلت منعت العاهة من اللقب.

وحدث المرزباني عن نفطويه قال: كان أبو العباس الأحول يقول: لم يزلوا، وكذا رد علي فقلت له: لم يزالوا أراد أنه كان لحاناً. وحدث عن أبي عبد الله اليزيدي قال: كان أبو العباس الأحول يكتب لي مائة ورقة

بعشرين درهماً. وقال محمد بن إسحاق النديم: كان محمد بن الحسن الأحول ناسخاً وله من الكتب: كتاب الدواهي، كتاب السلاح، كتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه، كتاب فعل وأفعل، كتاب الأشباه، وجمع كما تقدم دواوين مائة وعشرين شاعراً.

محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية

ابن حتتم بن حمامي بن واسع بن وهب بن سلمة بن حنتم ابن حاضر بن جشم بن ظالم بن أسد بن عدي بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس بن عدنان بن عبد الله بن زهير – ويقال: زهران – ابن كعب بن الحارث بن عبد الله بن مالك بن نضر بن الأزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبا بن يشجب ابن يعرب بن قحطان.

مات بوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة، وفي هذا اليوم مات أبو هاشم عبد السلام بن محمد الجبائي فقيل: مات علما اللغة والكلام ودفنا جميعاً في مقبرة الخيزران. وقال المرزباني: دفن بالعباسية من الجانب الشرقي في ظهر سوق السلاح من الشارع الأعظم. وقال التنوخي ورجاله: دفن ابن دريد بظهر السوق الجديد المعروفة بمقابر العباسية من الجانب الشرقي، ومولده البصرة في سكة صالح في خلافة المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومائتين، وبالبصرة تأدب وعلم اللغة وأشعار العرب، وقرأ على علماء البصرة ثم صار إلى عمان فأقام بها مدة، ثم صار إلى جزيرة ابن عمر ثم صار إلى فارس فسكنها مدة ثم قدم بغداد فأقام بها إلى أن مات.

وحدث أبو بكر بن علي قال: أبو بكر بن دريد بصري المولد ونشأ بعمان وتنقل في جزائر البحر والبصرة وفارس وطلب الأدب وعلم العربية، وكان أبوه من الرؤساء وذوي اليسار، وورد بغداد بعد أن أسن فأقام بها إلى آخر عمره. وروى عن عبد الرحمن بن أخي الأصمعي وأبي حاتم السجستاني، وأبي الفضل الرياشي. وكان رأس أهل العلم. وروى عنه خلق منهم أبو سعيد السيرافي، وأبو عبيد الله المرزباني، وأبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، وله شعر كثير، وروي من أخبار العرب وأشعارهم ما لم يروه كثير من أهل العلم.

وقال أبو الطيب اللغوي في كتاب مراتب النحويين عند ذكر ابن دريد: هو الذي انتهت إليه لغة البصريين، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعر، وما ازدحم العلم والشعر في صدر أحد ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وابن دريد. وتصدر ابن دريد في العلم ستين سنة. وأول شعر قاله:

ثوب الشباب علي اليوم بهجته ... فسوف تنزعه عني يد الكبر

أنا ابن عشرين ما زادت ولا نقصت ... إن ابن عشرين من شيب على خطر

وكان يقال: ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء. قال الخطيب: وقال محمد بن دريد: كان أول من أسلم من آبائي حمامي وهو من السبعين راكباً الذين خرجوا مع عمرو بن العاص من عمان إلى المدينة لما بلغهم وفاة رسول الله صلى الله عليهم وسلم حتى أدوه وفي ذلك يقول قائلهم:

وفينا لعمرو يوم عمرو كأنه ... طريد نفته مذحج والسكاسك

وحدث أبو علي التنوخي قال: حدثني جماعة أن ابن دريد قال: كان أبو عثمان الاشناندانى معلمي، وكان

عمي الحسين ابن دريد يتولى تربيتي، فكان إذا أراد الأكل استدعى أبا عثمان ليأكل معه، فدخل يوماً عمي وأبو عثمان يرويني قصيدة الحارث بن حلزة التي أولها:

آذنتنا ببينها أسماء

فقال لي عمي: إذا حفظت هذه القصيدة وهبت لك كذا وكذا، ثم دعا المعلم ليأكل معه فدخل إليه فأكلا وتحدثا بعد الأكل ساعة، فإلى أن رجع المعلم حفظت ديوان الحارث بن حلزة بأسره فخرج المعلم فعرفته ذلك فاستعظمه وأخذ يعتبره علي فوجدني قد حفظته، فدخل إلى عمي فأخبره فأعطاني ما كان وعدني به.

قال الخطيب عمن رأى ابن دريد إنه قال: كان ابن دريد واسع الحفظ جداً ما رأيت أحفظ منه وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق إلى إتمامها وتحفظها، وما رأيته قط قرئ عليه ديوان شاعر إلا وهو يسابق إلى روايته لحفظه له. قال: وسئل عنه الدارقطني فقال: قد تكلموا فيه. قال: وقال أبو ذر عبد الله بن أحمد الهروي: سمعت ابن شاهين يقول: كنا ندخل على ابن دريد ونستحي منه لما نرى من العيدان المعلقة، والشراب المصفى موضوع وقد كان جاوز التسعين سنة. هذا كله من كتاب أبي بكر بن علي.

وقال أبو منصور الأزهري في مقدمة كتاب التهذيب: وممن ألف في زماننا الكتب فرمى بافتعال العربية وتوليد الألفاظ وإدخال ما ليس من كلام العرب في كلامها: أبو بكر محمد بن دريد صاحب كتاب الجمهرة، وكتاب اشتقاق الأسماء، وكتاب الملاحن، وقد حضرته في داره ببغداد غير مرة فرأيته يروي عن أبي حاتم والرياشي وعبد الرحمن بن أخي الأصمعي. وسألت إبراهيم بن محمد بن عرفة عنه فلم يعبأ به ولم يوثقه في روايته، وألفيته أنا على كبر سنه سكران لا يكاد يستمر لسانه على الكلام من سكره، وقد تصفحت كتابه الذي أعاره اسم الجمهرة فلم أردلا على معرفة ثاقبة ولا قريحة جيدة، وعثرت من هذا الكتاب على حروف كثيرة أنكرتها ولم أعرف مخارجها فأثبتها في كتابي في مواقعها منه لأبحث أنا وغيري عنها.

وقال أبو ذر الهروي: سمعت أبا منصور الأزهري يقول: دخلت على ابن دريد فرأيته سكران فلم أعد إليه.

وقال غير أبي منصور: كان ابن دريد قد أملى الجمهرة في فارس ثم أملاها بالبصرة وببغداد من حفظه قال: فلذلك قلما تتفق النسخ وتراها كثيرة الزيادة والنقصان، ولما أمله بفارس غلامه تعلم من أول الكتاب، والنسخة التي عليها المعول هي الأخيرة، وآخر ما صح من النسخ: نسخة أبي الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي جخجخ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه.

وحدث المرزباني قال: قال ابن دريد: خرجت أريد زهران بعد دخول البصرة فمررت بدار كبيرة قد خربت فكتبت على حائطها:

أصبحوا بعد جميع فرقاً ... وكذا كل جميع مفترق

فمضيت ورجعت فإذا تحته مكتوب:

ضحكوا والدهر عنهم صامت ... ثم أبكاهم دماً حين نطق

قال: وخرجنا نريد عمان في سفر لنا فنزلنا بقرية تحت نخل فإذا بفاختتين تتزاقان فسنح لي أن قلت:

أقول لورقاوين في فرع نخلة ... وقد طفل الإمساء أو جنح العصر
وقد بسطت هاتا لتلك جناحها ... ومر على هاتيك من هذه النحر
ليهنكما أن لم تراعا بفرقة ... وما دب في تشتيت شملكما الدهر
فلم أر مثلي قطع الشوق قلبه ... على أنه يحكي قساوته الصخر

قال: وأخبرني محمد بن الحسن بن دريد قال: سقطت من منزلي بفارس فانكسرت ترقوتي فسهرت ليلي فلما كان في آخر الليل حملتني عيناي فرأيت في نومي رجلاً طويلاً أصفر الوجه كوسجا دخل علي وأخذ بعضادتي الباب وقال: أنشدني أحسن ما قلت في الخمر. فقلت: ما ترك أبو نواس شيئاً. فقال: أنا أشعر منه. فقلت: ومن أنت؟ قال: أبو ناجية من أهل الشام ثم أنشدني:

وحمراء قبل المزج صفراء بعده ... بدت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفاً فسلطوا ... عليها مزاجاً فاكتست لون عاشق

فقلت له: أسأت. قال ولم؟ قلت: لأنك قلت وحمراء فقدمت الحمرة ثم قلت: بدت بين ثوبي نرجس وشقائق، فقدمت الصفرة، فألا قدمتها على الأخرى كما قدمتها على الأولى؟ فقال: وما هذا الاستقصاء في هذا الوقت يا بغيض؟.

وحدث قال: كتب ابن دريد إلى ابن أبي علي أحمد بن محمد بن رستم:

حجابك صعب يجبه الحر دونه ... وقلبي إذا سيم المذلة أصعب
وما أزعجتني نحو بابك حاجة ... فأجشم نفسي رجعة حين أحجب

وحدث أيضاً قال: وعد أبو بكر أبا الحسين عمر بن محمد ابن يوسف القاضي أن يصير إليه فقطعه المطر فكتب إليه أبو بكر:

مناويك في بذل النوال وإنه ... ليعجز عن أدنى مداك ويحسر
عداني عن حظي الذي لا أبيعه ... بأنفس ما يحظى به المتخير
لم الغيث واعذر من لقاؤك عنده ... يعادل نيل الخلد بل هو أكبر

فأجابه أبو الحسين:

على الرسل في بري فقد عظم الشكر ... ولم أك ذا شكر وإن جل ما يعرو
مدائح مثل الغيث جادت عيونها ... سحاب توالي من جوانبها قطر

ومن شعر أبي بكر بن دريد:

عانقت منه وقد مال النعاس به ... والكأس تقسم سكراً بين جلاسي
ريحانة ضمخت بالمسك ناضرة ... تمج برد الندى في حر أنفاسي

وله يرثي عبد الله بن عمارة:

بنفسي ثرى ضاجعت في بيته البلى ... لقد ضم منك الغيث والليث والبدرا
فلو أن حيا كان قبراً لميت ... لصيرت أحشائي لأعظمه قبرا

ولو أن عمري كان طوع إرادتي ... وساعدني المقدار قاسمتك العمرا
وما خلت قبراً وهو أربع أذرع ... يضم ثقال المزن والطود والبحرا

وحدث الخطيب فيما أسنده إلى إسماعيل بن سويد: أن سائلاً جاء إلى ابن دريد فلم يكن عنده غير دن نبيذ فوهبه له فجاء غلامه وأنكر عليه ذلك فقال: أي شيء أعمل؟ لم يكن عندي غيره، ثم تلا قوله تعالى: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون). فما تم اليوم حتى أهدى له عشرة دنان فقال الغلام: تصدقنا بواحد وأخذنا عشرة.

وقال جحظة يرثيه:

فقدت بابن دريد كل منفعة ... لما غدا ثالث الأحجار والترب
وكنت أبكي لفقد الجود مجتهداً ... فصرت أبكي لفقد الجود والأدب

وقال محمد بن إسحاق: ولابن دريد من الكتب: كتاب الجمهرة في اللغة، كتاب المجتبى، كتاب الأمالي، كتاب اشتقاق أسماء القبائل، كتاب الملاحن، كتاب المقتبس، كتاب المقصور والممدود، كتاب الوشاح على حذو المحبر لابن حبيب، كتاب الخيل الكبير، كتاب الخيل الصغير، كتاب الأنواء، كتاب السلاح، كتاب غريب القرآن لم يتم، كتاب فعلت وأفعلت، كتاب أدب الكاتب، كتاب تقويم اللسان على مثال كتاب ابن قتيبة ولم يجرده من المسودة فلم يجرده منه شيء يعول عليه، كتاب المطر.

وقال أبو الحسن الدريدي: حضرت وقد قرأ أبو علي بن مقلة وأبو حفص كتاب المفضل بن سلمة الذي يرد فيه على الخليل بن أحمد، على أبي بكر بن دريد فكان يقول: صدق أبو طالب، في شيء إذا مر به كذب أبو طالب في شيء آخر، ثم رأيت هذا الكلام وقد جمعه أبو حفص في نحو المائة ورقة وترجمه بالتوسط.

ومن شعر ابن دريد:

وقد ألفت زهر النجوم رعايتي ... فإن غبت عنها فهي عني تسأل
يقابل بالتسليم منهن طالع ... ويومئ بالتوديع منهن آفل

وأما مقصورة ابن دريد المشهور فإنه قالها يمدح بها الأمير أبا العباس إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال بن عبد الواحد بن جبريل بن القاسم بن بكر بن ديواستي، وهو سور بن سور بن سور بن سور أربعة الملوك ابن فيروز بن يزدجرد بن بهرام جور قالها فيه وفي أبيه، وكان الأمير أبو العباس رئيس نيسابور ومتقدمها، وذكر أبو علي البيهقي المعروف بالسلامي في كتاب النتف والطرف: أن ابن دريد صنف كتاب الجمهرة للأمير أبي العباس إسماعيل بن عبد الله ابن ميكال أيام مقامه بفارس فأملاه عليه إملاء ثم قال: حدثني أبو العباس الميكالي قال: أملي على أبو بكر الدريدي كتاب الجمهرة من أوله إلى آخره حفظاً في سنة سبع وتسعين ومائتين، فما رأيته استعان عليه بالنظر في شيء من الكتب إلا في باب الهمزة واللفيف فإنه طالع له بعض الكتب قال: وكفاك بها فضيلة وعجيبة أن يتمكن الرجل من علمه كل التمكن ثم لا يسلم مع ذلك من الألسن حتى من قيل فيه:

ابن دريد بقره ... وفيه عي وشره

ويدعي من حمقه ... وضع كتاب الجمهرة
وهو كتاب العين إلا ... أنه قد غيره

وقد ذكرت هذه الحال في أخبار أبي العباس إسماعيل ابن عبد الله بأبسط من هذا. وكتب ابن دريد إلى عيسى بن داود الجراح الوزير:

أبا حسن والمرء يخلق صورة ... تنم على ما ضمنته الغرائز
إذا كنت لا ترجى لنفع معجل ... وأمرك بين الشرق والغرب جائز
ولم تك يوم الحشر فينا مشفعاً ... فرأى الذي يرجوك للنفع عاجز
على بن عيسى خير يوميك أن ترى ... وفضلك مأمول ووعدك ناجز
وإني لأخشى بعد هذا بأن ترى ... وبين الذي تهوى وبينك حاجز

قرأت بخط أبي سعد السمعاني من المذيل بإسناد أن ابن دريد قال:

ودعته حين لا تودعه ... روحي ولكنها تسير معه
ثم افترقنا وفي القلوب لنا ... ضيق مكان وفي الدموع سعه

قال أبو هلال: أخبرنا أو بأحمد قال: كنا في مجلس ابن دريد وكان يتضجر ممن يخطئ في قراءته، فحضر غلام وضئ فجعل يقرأ ويكثر الخطأ وابن دريد صابر عليه، فتعجب أهل المجلس فقال رجل منهم: لا تعجبوا فإن في وجهه غفران ذنوبه، فسمعها ابن دريد فلما أراد أن يقرأ قال له: هات يا من ليس في وجهه غفران ذنوبه، فعجبوا من صحة سمعه مع علو سنه. قال: وقال بعضهم في مجلس ابن دريد:

من يكن للظباء طالب صيد ... فعليه بمجلس ابن دريد
إن فيه لأوجهاً قيدتني ... عن طلاب العلا بأوثق قيد

قال الرصافي: حدثنا بعض أصابنا قال: حضرت مجلس أبي بكر بن دريد وقد سأله بعض الناس عن معنى قول الشاعر:

هجرتك لا قلي مني ولكن ... رأيت بقاء ودك في الصدود
كهجر الحائمات الورد لما ... رأت أن المنية في الورود
تفيض نفوسها ظمأ وتخشى ... حماماً فهي تنظر من بعيد

فقال: الحائم: الذي يدور حول الماء ولا يصل إليه، يقال: حام يحوم حياماً.

ومعنى الشعر أن الأيائل تأكل الأفاعي في الصيف فتحمى فتلتهب بحرارتها وتطلب الماء، فإذا وقعت عليه امتنعت من شربه وحامت حوله تنسمه، لأنها إن شربته في تلك الحال صادف الماء السم الذي في جوفها فتلفت، فلا تزال تدفع بشرب الماء حتى يطول بها الزمان فيسكن ثوران السم ثم تشربه فلا يضرها. ويقال: فاظ الميت وفاضت نفسه وفاظت نفسه أيضاً، جائز عند الجميع إلا الأصمعي فإنه يقول: فاظ الميت، فإذا ذكر النفس قال فاضت نفسه بالضاد ولم يجمع بين الظاء والنفس.

وحدث أبو علي المحسن، حدثني أبو القاسم الحسن بن علي ابن إبراهيم بن خلاد الشاهد العكبري إمام

الجامع فيها، حدثني أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد قال: كنت بعمان مع الصلت بن مالك الشاري وكانت الشراة تدعوه أمير المؤمنين، وكانت السنة كثيرة الأمطار ودامت على الناس فكادت المنازل أن تتهدم، فاجتمع الناس وصاروا إلى الصلت وسألوه أن يدعوا لهم فأجل بهم أن يركب من الغد إلى الصحراء ويدعوا فقال لي بكرة: لتخرج معي في غد فبت مفكراً كيف يدعو؟ فلما أصبحت خرجت معه فصلى بهم وخطب ودعا فقال: اللهم إنك أنعمت فأوفيت، وسقيت فأرويت، فعلى القيعان ومنابت الشجر، وحيث النفع لا الضرر، فاستحسنت ذلك منه. وقال ابن دريد في النرجس:

عيون ما يلم بها الرقاد ... ولا يمحو محاسنها السهاد

إذا ما الليل صافحها استهلت ... وتضحك حين ينحسر السواد

لها حدق من الذهب المصفى ... صياغة من يدين له العباد

وأجفان من الدر استفادت ... ضياء مثله لا يستفاد

على قضب الزبرجد، في ذراها ... لأعين من يلاحظها مراد

قرأت في كتاب التحبير وهو ما أخبرنا به الشريف افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي إذناً، قال أبو سعد السمعاني إجازة إن لم يكن سماعاً قال: سمعت الأمير أبا نصر أحمد بن الحسين بن أحمد بن عبيد الله ابن أحمد بن الميكالي يقول: تذاكرنا المتنزهات يوماً وابن دريد حاضر فقال بعضهم: أنزه الأماكن غوطة دمشق. وقال آخرون: بل نهر الأبلة؟ وقال آخرون: بل سغد سمرقند. وقال بعضهم بل نهر نهروان بغداد. وقال بعضهم: شعب بوان بأرض فارس. وقال بعضهم: نوبهار بلخ. فقال: هذه منتزهات العيون، فأين أنتم عن متنزهات القلوب؟ قلنا وما هي يا أبا بكر؟ قال: عيون الأخبار للقتيبي، والزهرة لابن داود، وقلق المشتاق لابن أبي طاهر، ثم أنشأ يقول:

ومن تك نزهته قينة ... وكأس تحت وكأس تصب

فنزهتنا واستراحتنا ... تلاقي العيون ودرس الكتب

وقرأت في التاريخ الذي ألفه أبو محمد عبد الله بن أبي القاسم عبد المجيد بن بشران الأهوازي قال: وفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة مات أبو أحمد حجر بن أحمد الجويمي وكان من أهل الفضل بجويم ونواحي فارس، وقد خلف القراء بها فمدحه جماعة من الشعراء وقصده من انتفع به، ولأبي بكر بد دريد فيه مدائح منها:

نهنه بوادر دمعك المهراق ... أي ائتلاف لم يرع بفراق؟

حجر بن أحمد فارع الشرف الذي ... خضعت لعزته طلى الأعناق

قبل أناملة فلسن أناملاً ... لكنهن مفاتح الأرزاق

وانظر إلى النور الذي لو أنه ... للبدر لم يطبع برين محاق

محمد بن الحسن بن سهل

المعروف بشيملة الكاتب، وشيلمة لقب لمحمد هذا، وأبوه الحسن بن سهل هو الوزير المعروف، أخو الفضل بن سهل مات محروقاً، وكان شيلمة أولاً مع العلوي صاحب الزنج، ثم صار إلى بغداد وأومن ثم خلط وسعى لبعض الخوارج فحرقه المعتضد حياً وكان مصلوباً على عمود خيمة، ذكر ذلك محمد بن إسحاق وقال: له من الكتب المصنفة: كتاب أخبار صاحب الزنج، كتاب رسائله.

حدثني أبو الحسن أحمد بن يوسف الأزرق قال: حدثني أبي قال: كنت أكتب لبدر اللاني في أيام الموفق وابنه المعتضد بالله وأدخل الدار معه، فرأيت محمد بن الحسن بن سهل المعروف بشيلمة وقد جعله كردناكاً قال: قلت له وكيف كان ذلك وما كان سببه؟ فقال: إن رجلاً من أولاد الواثق كان يسكن مدينة المنصور سعى في طلب الخلافة هو وشيلمة ليستوزره، وأخذ له البيعة على أكثر أهل الحضرة من الهاشميين والقضاة والقواد والجيش وأهل بغداد والأحداث وأهل العصبية وقوى أمره وانتشر خبره، وهم بالظهور في المدينة والاعتصام بها حتى إذا أخذ المعتضد صار إلى دار الخلافة، فبلغ المعتضد الخبر على شرحه إلا اسم المستخلف فكبس شيلمة وأخذ فوجد في داره جرائد بأسماء من بايع، وبلغ الخبر الهاشمي فهرب وأمر المعتضد بالجرائد فأحرقت ظاهراً ولم يقف على شيء منها لئلا يفسد قلوب الجيش بوقوفه عليها لما يعتقدون من فساد نيته عليهم، وأخذ يسائل شيلمة عن الخبر، فصدقه عن جميع ما جرى إلا اسم الرجل الذي يستخلف، فرفق به ليصدقه عنه فلم يفعل، فطال الكلام بينهما فقال له شيلمة: والله لو جعلتني كردناكاً ما أخبرتك باسمه قط. فقال المعتضد للفراشين: هاتوا أعمدة الخيم الكبار الثقال وأمر أن يشد عليها شداً وثيقاً وأحضروا فحماً عظيماً وفرش على الطوابيق بحضرته وأججوا ناراً، وجعل الفراشون يقلبون تلك النار وهو مشدود على الأعمدة إلى أن مات وأخرج من بين يديه ليدفن فرأيته على هذه الصورة.

محمد بن الحسن بن رمضان النحوي

له من الكتب فيما ذكره محمد بن إسحاق: كتاب أسماء الخمر وعصيرها، كتاب الديرة.

محمد بن الحسن بن محمد بن زياد

ابن هارون بن جعفر بن سند النقاش الشعراني الدارقطني أبو بكر المقرئ، مات فيما ذكره الخطيب يوم الثلاثاء لثلاث خلون من شوال سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة، ومولده سنة ست وستين وستمائة، ودفن في داره بدار القطن. قال أبو بكر: وأصله من الموصل.

ويقال: إنه مولى أبي دجانة سماك بن خرشة الأنصاري وكان حافظاً للتفسير، صنف فيه كتاباً سماه شفاء الصدور، وله تصنيف في القراءات وغيرها من العلوم، وكان قد سافر الكثير شرقاً وغرباً، وكتب بالكوفة والبصرة ومكة ومصر والشام والجزيرة والموصل والجبال وبلاد خراسان وما وراء النهر وحدث عن خلق كثير، وروى عنه أبو بكر ابن مجاهد والدارقطني وأبو حفص بن شاهين قال: وحدثنا عنه أبو الحسن بن رزقويه وجماعة آخرهم أبو علي بن شاذان وفي حديثه مناكير بأسانيد مشهورة. قال: حدثني عبيد الله بن أبي

الفتح عن طلحة بن محمد بن جعفر أنه ذكر النقاش فقال: كان يكذب في الحديث والغالب عليه القصص؟ قال: وسألت البرقاني عنه فقال: كل حديثه منكر. قال: وحدثني من سمع أبا بكر البرقاني وذكر تفسير النقاش فقال: ليس فيه حديث صحيح.

وقال هبة الله بن الحسن الطبري وذكر تفسير النقاش فقال: ذاك إشفاء الصدور وليس شفاء الصدور. هذا كله من تاريخ أبي بكر بن علي.

وقال محمد بن إسحاق: له من الكتب: كتاب الإشارة في غريب القرآن، كتاب الموضح في معاني القرآن، كتاب المناسك، كتاب فهم المناسك، كتاب أخبار القصاص، كتاب ذم الحسد، كتاب دلائل النبوة، كتاب الأبواب في القرآن، كتاب إرم ذات العماد، كتاب المعجم الأوسط، كتاب المعجم الأصغر، كتاب المعجم الأكبر في أسماء القراء وقراءاتهم، كتاب السبعة الأوسط، كتاب السبعة الأصغر، كتاب التفسير الكبير اثنا عشر ألف ورقة، كتاب العقل، كتاب ضد العقل.

حدث القاضي أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني قال: أخبرنا محمد بن الحسن بن زياد النقاش المقرئ قال: لقيت رقعة قد رفع فيها إلى القاضي أبي بكر أحمد بن موسى الأنطاكي:

أيهذا القاضي الكبير بعدل ... صانك الله عن مقام الدنات

أيكون القصاص في فتك لحظ ... من غزال مورد الوجنات؟

أم يخاف العذاب من هو صب ... مبتلي بالزفير والحسرات؟

ليس إلا العفاف والصوم والنس ... ك له زاجر عن الشبهات

فأخذ الرقعة وكتب على ظهرها:

يا ظريف الصنيع والآلات ... وعظيم الأشجان واللوعات

إن تكن عاشقاً فلم تأت ذنباً ... بل ترقيت رفعة الدرجات

فلك الحق واجباً إن عرفنا ... من تعلقته من الحجرات

أن أكون الرسول جهراً إليه ... إذ تنكبت موبق الشبهات

ومتى أقصى بالقصاص على لح ... ظ حبيب أخطئ طريق القضاة

محمد بن الحسن بن جمهور القمي الكاتب

أبو علي. قال أبو علي التنوخي: وكان من شيوخ أهل الأدب بالبصرة وكثر الملازمة لأبي، وحرر لي خطى لما قويت على الكتابة لأنه كان جيد الخط حين الترسل كثير المصنفات لكتب الأدب، فكثرت ملازمتي له، وكان يمدح أبي فأنشدني لنفسه وه من مشهور شعره:

إذا تمنع صبري ... وضاق بالهجر صدري

ناديت والليل داج ... وقد خلوت بفكري

يا رب هب لي منه ... وصال يوم بعمري

وأنشدني أيضاً لنفسه:

كثرت عندي أيادي ... ك فجل الوصف عنها
فأحاطت بجميع ال ... فهم حتى لم أبنها
فمتى ازددتك منها ... كنت كالناقص منها
قلت أنا: وهو صاحب النوادر مع زادمهر المغنية جارته المنصورية.

محمد بن الحسن بن يعقوب بن الحسن

ابن الحسين بن محمد بن سليمان بن داود بن عبيد الله ابن مقسم أبو بكر العطار المقرئ، ولد سنة خمس وستين ومائتين، ومات لثمان خلون من ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وثلاثمائة، سمع أبا مسلم الكجي وثعلباً وإدريس ابن عبد الكريم وغيرهم. روى عنه ابن رزقويه وابن شاذان وغيرهما. وكان ثقة من أعرف الناس بالقراءات وأحفظهم لنحو الكوفيين، وله في معاني القرآن كتاب سماه الأنوار وما رأيت مثله، وله عدة تصانيف: ولم يكن له عيب إلا أنه قرأ بحروف تخالف الإجماع واستخرج لها وجوهاً من اللغة والمعنى مثل ما ذكر في كتاب الاحتجاج للقراء في قوله تعالى: (فلما استيأسوا منه خلصوا نجباء) بالباء لكان جائزاً هذا مع كونه يخالف الإجماع بعيد من المعنى، إذ لا وجه للنجابة عند يأسهم من أخيهم إنما اجتمعوا يتناجون. وله كثير من هذا الجنس من تصحيف الكلمة واستخرج وجه بعيد لها مع كونها لم يقرأ بها أحد.
وحدث أبو بكر الخطيب قال: ومما طعن به على أبي بكر بن مقسم أنه عمد إلى حروف من القرآن فخالف الإجماع فيها وقرأها على وجوه ذكر أنها تجوز في اللغة والعربية، وشاع ذلك عنه عند أهل العلم فأنكروه، وارتفع الأمر إلى السلطان فأحضره واستتابه بحضرة القراء والفقهاء فأذعن بالتوبة وكتب محضراً بتوبته، وأثبت. جماعة من حضر ذلك المجلس خطوطهم فيه بالشهادة عليه. وقيل إنه لم ينزع عن تلك الحروف وكان يقرأ بها إلى حين وفاته.
قال الخطيب: وقد ذكر حاله أبو طاهر بن أبي هاشم المقرئ صاحب ابن مجاهد في كتابه الذي سماه كتاب البيان فقال: وقد نبغ نابغ في عصرنا هذا فزعم أن كل ما صح عنده وجه في العربية كحرف من القرآن يوافق خط المصحف، فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها فابتدع بقيله ذلك بدعه ضل بها قصد السبيل، وأورط نفسه في مزلة عظمت بها جنايته على الإسلام وأهله، وحاول إلحاق كتاب الله من الباطل مالا يأتيه من بين يديه ولا خلفه، إذ جعل لأهل الإلحاد في دين الله بسئ رأيه طريقاً من بين يدي أهل الحق بتخير القراءات من جهة البحث والاستخراج بالآراء دون الاعتصام والتمسك بالأثر المفترض.
وقد كان أبو بكر شيخنا نضر الله وجهه يسأله عن بدعته المضلة باستتابة منها، وأشهد عليه الحكام والشهود المقبولين عند الحكام بترك ما أوقع نفسه فيه من الضلالة بعد أن سئل البرهان على صحة ما ذهب إليه فلم يأت بطائل، ولم يكن له حجة قوية ولا ضعيفة، فاستوهب أبو بكر رضي الله عنه تأديبه من السلطان عند توبته وإظهاره الإقلاع عن بدعته، ثم عاود في وقتنا هذا إلى ما كان ابتدعه واستغوى به أصاغر المسلمين ممن هم في الغفلة والغباوة دونه ظناً منه أن ذلك يكون للناس ديناً، وأن يجعلوه فيما ابتدعه إماماً، ولن يعدو ما ضل به مجلسه، لأن الله تعالى قد أعلمنا أنه حافظ لكتابه من لفظ الزائغين وشبهات الملحدين

بقوله تعالى: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون). وقد دخلت عليه شبهة لا يخيل بطولها وفسادها على ذي لب وذلك أنه قال: لما كان لخلف بن هشام وأبي عبيد وابن سعدان أن يختاروا وكان ذلك مباحاً لهم غير منكر، كان ذلك أيضاً مباحاً غير مستنكر. فلو كان حذا حذوهم وسلك طريقهم كان لعمري له غير مستنكر، ولكنه سلك من الشذوذ مالا يقول به إلا مبتدع. قال الخطيب: وذكر أبو طاهر كلاماً كثيراً نقلنا منه هذا المقدار وهو في كتابه مستقصي.

وحدث فيما أسنده إلى أحمد الفرضي قال: رأيت في المنام كأني في المسجد الجامع أصلي مع الناس، وكان ابن مقسم قد ولي ظهره للقبلة وهو يصلي مستدبرها، فأولت ذلك مخالفته الأئمة فيما اختاره لنفسه من القراءات.

وذكر محمد بن إسحاق فقال: مات في سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة. وله من الكتب: كتاب الأنوار في تفسير القرآن، كتاب المدخل إلى علم الشعر، كتاب الاحتجاج في القراءات، كتاب في النحو كبير كتاب المقصور والممدد، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب الوقف والابتداء، كتاب المصاحف، كتاب عدد التمام، كتاب أخبار نفسه، كتاب مجالسات ثعلب، كتاب مفرداته، كتاب الانتصار لقراء الأمصار، كتاب الموضح، كتاب شفاء الصدور، كتاب الأوسط، كتاب اللطائف في جمع هجاء المصاحف، كتاب في قوله تعالى: (ومن يقتل) والرد على المعتزلة. ولابن مقسم ابن يكنى أبا الحسن وكان حفظة عالماً، له كتاب عقلاء المجانين.

محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي

أبو علي، ذكره الخطيب في تاريخه فقال: روي عن أبي عمرو عنه أخباراً في مجالس الأدب، قلت أنا: وأدرك ابن دريد وأخذ عنه، وهو من حذاق أهل اللغة والأدب شديد العارضة، وكان مبغضاً إلى أهل العلم فهجاه ابن الحجاج وغيره بأهاج مرة. ومات سنة ثمان وثمانين وثلاثمائة. وذكره الثعالبي في كتاب يتيمة الدهر فقال: محمد بن الحسن الحاتمي حسن التصرف في الشعر موف على كثير من شعراء العصر وأبوه أيضاً شاعر. وأبو علي شاعر كاتب يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم، وله الرسالة المعروفة في وقعة الأدهم قال: وليس يحضرني من شعره إلا بيتان:

لي حبيب لو قيل لي ما تمنى ... ما تعديته ولو بالمنون

أشتهي أن أحل في كل جسم ... فأراه بلحظ تلك العيون

قال: ومما اخترته لأبيه قوله من قصيدة في القادر بالله أمير المؤمنين – رحمه الله – وأولها:

حي رسم الغميم محي الغميما ... إن فقدت الهوى فحي الرسوما

وذكر قصيدة. وذكره أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الحصري في كتاب النورين، وذكر أشعار في قصر الليل وطوله فقال: وقال بعض أهل العصر وهو أبو علي محمد بن الحسن الحاتمي:

يا رب يوم سرور خلته قصراً ... كعارض البرق في أفق الدجى برقا

قد كاد يعثر أولاه بآخره ... وكاد يسبق منه فجره الشفقا

كأنما طرفاه طرف اتفق ال ... جفنان منه على الإطراق وافترقا

قال: وقد ملح الحاتمي في وصف الثريا:

وليل أقمنا فيه نعمل كأسنا ... إلى أن بدا للصبح في الليل عسكر

ونجم الثريا في السماء كأنه ... على حلة زرقاء جيب مدنو

وللحاتمي تصانيف عدة منها: كتاب حلية المحاضرة في صناعة الشعر، كتاب الموضحة في مساوي المتنبي، كتاب الهلباجة في صنعة الشعر، كتاب سر الصناعة في الشعر أيضاً، كتاب الحالي والعاطل في الشعر أيضاُ، كتاب المجاز في الشعر أيضاً، كتاب الرسالة الناجية، كتاب مختصر العربية، كتاب في اللغة لم يتم، كتاب عيون الكاتب، كتاب الشراب رسالة، كتاب منتزع الأخبار ومطبوع الأشعار، كتاب المعيار والموازنة لم يتم، كتاب المغسل وهي الرسالة الباهرة في خصال أبي الحسن البتي.

قرأت في كتاب الهلباجة من تصنيفه وهو كتاب صنفه للوزير أبي عبد الله بن سعدان في رجل سبعه عنده وسمي الرجل الهلباجة من غير أن يصرح باسمه قال فيه: وقد خدمت سيف الدولة – تجاوز الله عن فرطاته – وأنا ابن تسع عشرة سنة تميل بي سنة الصبا، وتنقاد بي أريحية الشباب بهذا العلم، وكان كلفاً به علقاً علاقة المغرم بأهله منقباً عن أسراره، ووزنت في مجلسه تكرمة وإدناء وتسوية في الرتبة – ولم تسفر خداي عن عذاريهما – بأبي علي الفارسي وهو فارس العربية وحائز قصب السبق فيها منذ أربعين سنة، وبأبي عبد الله بن خالويه وكان له السهم الفائز في علوم العربية تصرفاً في أنواعه، وتوسعاً في معرفة قواعده وأوضاعه، وبأبي الطيب اللغوي وكان كما قيل حتف الكلمة والشرود حفظاً وتيقظاً، ونازعتالعلماء ومدحت في مصنفاتهم، وعددت في الأفراد الذين منهم أبو سعيد السيرافي وعلي بن عيسى الرماني، وأبو سعيد المعلى وقدحه الأعلى، واتخذت بعضاً ممن كان يقع الإيماء إليه سخرة وأنا إذ ذاك غزير الغزارة، تميد بي أسرار السرور ويسري علي رخاء الإقبال، وأختال في ملاءة العز في بلهنية من العيش وخفض من النعيم، وخطوب الدهر راقدة وأيامه مساعدة. وأنشد لنفسه في هذا الكتاب يمدح سيف الدولة:

تأوبني هم من الليل وارد ... وعاودني من لاعج الوجد عائد

فبت قضيض الجنب مسترجف الحشا ... كأني سقتني سمهن الأوساد

كأن القنا فيه على القرن ضاغن ... وحد الحسام الهندواني حاقد

قصمت به الإشراك وهو مقوم ... وقومت دين المصطفى وهو مائد

فلا يشفق الإسلام من سوء عثرة ... وفي الروع من آل ابن حمدان ذائد

وأنشد لنفسه في هذا الكتاب أبياضاً ضمنها أعجاز أبيات للنابغة وهي في الحماسة:

لا يهنأ الناس ما يرعون من كلأ ... وما يسوقون من أهل ومن مال

فقال الحاتمي:

وليلة عنها الصبح داجية ... لبستها بمطول الجرى هطال

وقد رمى البين شعب الحي فاقتسموا ... أيدي سبا بين تقويض وترحال

فناسبت أنجم الآفاق عيسهم ... وما يسوقون من أهل ومن مال

ترى الهلال نحيلاً في مطالعة ... أمسي ببلدة لا عم ولا خال
والجدي كالطرف يستن المراح به ... إلى ذوات الذرى حمال أثقال
والليل والصبح في غبراء مظلمة ... هذا عليها وهذا تحتها بال
وفي هذا الكتاب لنفسه في الهلباجة الذي صنف الكتاب لأجله:
لقد سخف الفعلي لما تحذقا ... فنكر في تعريفه ما تعرفا
ويا رب وجه حذفوه لزينة ... فأصبح من قبح لصاحبه قفا

وهذه مخاطبة جرت بين أبي الطيب المتنبي وبين علي الحاتمي حكيتها كما وجدتها. قال أبو علي الحاتمي: كان أبو الطيب المتنبي عند وروده مدينة السلام التحف رداء الكبر وأذال ذيول التيه وصعر خده ونأى بجانبه، وكان لا يلقى أحداً إلا نافضاً مذروية، رافلاً من التيه في برويه، يخيل إليه أن العلم مقصور عليه، وأن الشعر بحر لم يغترف نمير مائة غيره، وروض لم يرع نواره سواه، فدل بذلك مديدة أجرته رسن الجهل فيها، فظل يمرح في تثنيه حتى إذا تخيل أنه القريع الذي لا يقارع، والنزيع الذي لا يجارى ولا ينازع، وأنه رب الغلب ومالك القصب، وثقلت وطأته على أهل الأدب بمدينه السلام، فطأطأ كثير منهم رأسه وخفض جناحه وطامن على التسليم له جأشه، وتخيل أبو محمد المهلبي أن أحداً لا يقدر على مساجلته ومجاراته، ولا يقوم لتتبعه بشيء من مطاعنه، وساء معز الدولة أن يرد عن حضرة عدوه رجل فلا يكون في مملكته أحد يماثله في صناعته، ويساويه في منزلته. نهدت حينئذ متتبعاً عواره، ومتعقباً آثاره، ومطفياً ناره، ومهتكاً أستاره، ومقلماً أظفاره، وناشراً مطاويه، ومزقاً جلباب مساويه، متحيناً أن تجمعنا دار فأجرى أنا وهو في مضمار يعرف فيه السابق من المسبوق، حتى إذا لم أجد ذلك قصدت موضعه الذي كان يحله في ربض حميد، فوافق مصيري إليه حضور جماعة تقرأ شيئاً من شعره عليه، فحين أوذن بحضوري واستؤذن عليه لدخولي نهض عن مجلسه مسرعاً، ووارى شخصه عني مستخفياً، فنزلت عن بغلة كانت تحتي ناحية وهو يراني نازلاً عنها لانتهائي بها إلى أن حاذيته، فجلست في موضعه وإذا تحته قطعة من زيلو مخلقة قد أكلتها الأيام وتعاورتها السنون، فهي رسوم خافية وسلوك بادية، حتى وإذا خرج إلى نهضت إليه فوفيته حق السلام غير مشاح له في القيام، لأنه إنما اعتمد بنهوضه ألا ينهض لي عند موافاتي، وإذا هو قد لبس سبعة أقبية كل قباء منها لون، وكان الوقت آخر أيام الصيف وأخلقها بتخفيف اللبس، فجلست وجلس وأعرض عني ساعة لا يعيرني فيها طرفه، ولا يسألني عما قصدت له، وقد كدت أتميز غيظاً وأقبلت أسخف رأيي في قصده، وأفنده نفسي في التوجه نحو مثله. ولوى عذراه عني مقبلاً على تلك الزعنفة التي بين يديه، كل واحد يومئ إليه ويوحي بطرفه، ويشير إلى مكاني بيده، ويوقظه من سنة جهله، ويأبى إلا ازوراراً ونفاراً وجرياً على شاكلة خلقه المشكلة، ثم رأى أن يثني رأسه إلي، فوالله ما زادني على أن قال: أي شيء خبرك؟ قلت أنا بخير لولا ما جنيت على نفسي من قصدك، وكلفت قدمي في المصير إلى مثلك، ثم تحدرت عليه تحدر السيل إلى القرار وقلت له: أبن لي عافاك الله ممن تيهك وخيلاؤك وعجبك؟ وما الذي يوجب ما أنت عليه من التجبر والتنمر؟ هل ها هنا نسب في الأبطح تبحبحت في بحبوحة الشرف وفرعت سماء المجد به؟ أم علم أصبحت علماً يقع الإيماء إليك فيه؟ هل

أنت إلا وتد بقاع في شر البقاع؟ وجفاء سيل دفاع. يا لله استتت الفصال حتى القرعى وإني لأسمع جعجعة ولا أرى طحناً، فامتقع لونه عند سماع كلامي وعصب ريقه، وجحظت عيناه وسقط في يده، وجعل يلين في الاعتذار ليناً كاد يعطف عليه عطف صفحي عنه. ثم قلت: يا هذا، إن جاءك رجل شريف في نسبة تجاهلت نسبه، وأو عظيم في أدبه صغرت أدبه، أو متقدم عند سلطانه لم تعرف موضعه، فهل العز تراث لك دون غيرك؟ كلا والله! لكنك مددت الكبر ستراً على نقصك، وضربته رواقاً دون جهلك. فعاد إلى الاعتذار، وأخذت الجماعة في تليين جانبي والرغبة إلي في قبول عذره واعتماد مياسرته، وأنا آبي إلا استشراء واجتراء، وهو يؤكد الأقسام ويواصلها أنه لم يعرفني فأقول: يا هذا، ألم يستأذن لي عليك باسمي ونسبي أما في هذه العصابة من يعرفك بي لو كنت جهلتني؟ وهب ذلك كذلك، ألم ترني ممتطياً بغلة رائعة يعلوها مركب ثقيل وبين يدي عدة من الغلمان؟ أما شاهدت لباسي؟ أما شممت نشر عطري؟ أما راعك شيء من أمري أتميز به في نفسك عن غيري؟ وهو في أثناء ما أكلمه يقول: خفض عليك، ارفق استأن، فأصبحت جانبي بعض الإصحاب ولان شماسي بعض الليان، وأقبل علي وأقبلت عليه ساعة ثم قلت: أشياء تختلج في صدري من شعرك أحب أن أرجعك فيها. قال وما هي؟ قلت خبرني عن قولك:

فإن كان بعض الناس سيفاً لدولة ... ففي الناس بوقات لها وطبول

أهكذا تمدح الملوك؟ وعن قولك:

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

ولا من في جنازتها تجار ... يكون وداعهم نهض النعال

أهكذا تؤبن أخوات الملوك؟ والله لو كان هذا في أذني عبيدها لكان قبيحاً. وأخبرني عن قولك:

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع ... فإن لحت حاضت في الخدور العواتق

أهكذا تنسب بالمحبوبين؟ وعن قولك في هجاء ابن كيغلغ:

وإذا أشار محدثاً فكأنه ... قرد يقهقه أو عجوز تلطم

أما كان لك في أفانين الهجاء التي تصرفت فيها الشعراء مندوحة عن هذا الكلام الرذل الذي ينفر عنه كل طبع، ويمجه كل سمع. وعن قولك:

وضاقت الأرض حتى ظن هاربهم ... إذا رأى غير شيء ظنه رجلاً

أفتعلم مرئياً يتناوله النظر لا يقع عليه اسم شيء؟ وما أراك نظرت إلا إلى قول جرير:

مازلت تحسب كل شيء بعدهم ... خيلاً تكر عليهم ورجالاً

فأحلت المعنى عن جهته، وعبرت عنه بغير عبارته. وعن قولك:

أليس عجيباً أن وصفك معجز ... وأن ظنوني في معاليك تظلع

فاستعرت الظلع لظنونك، وهي استعارة قبيحة وتعجبت من غير متعجب، لأن من أعجز وصفه لم يستنكر قصور الظنون وتحيرها في معاليه، وإنما نقلته وأنشدته من قول أبي تمام:

ترقت مناه طود عز لو ارتقت ... به الريح فتراً لانثنت وهي ظالع

وعن قولك تمدح كافوراً:

فإن نلت ما أملت منك فربما ... شربت بماء يعجز الطير ورده

إنما مدح أو ذم؟ قال: مدح. قلت: إنك جعلته بخيلاً لا يوصلك إلى خيره من جهته، وشبهت نفسك في وصولك إلى ما وصلت إله منه بشربك من ماء يعجز الطير ورده لبعده وترامي موضعه. وأخبرني أيضاً عن قولك في صفة كلب وظبي:

فصار ما في جلده في المرجل ... فلم يضرنا معه فقد الأجدل

فأي شيء أعجبك من هذا الوصف؟ أعذوبة عبارته؟، أم لطف معناه؟، أما قرأت رجز ابن هانئ و طرد ابن المعتز؟ أما كان هناك من المعاني التي ابتدعها هذان الشاعران وغرر المعاني التي اقتضباها ما تتشاغل به عن بنيات صدرك هذه؟. وألا اقتصرت على ما في أرجوزتك هذه من الكلام السليم ولم تسف إلى هذه الألفاظ القلقة والأوصاف المختلفة، فأقبل علي ثم قال: أين أنت من قولي؟:

كأن الهام في الهيجاء عيون ... وقد طبعت سيوفك من رقاد

وقد صغت الأسنة من هموم ... فما يخطرن إلا في فؤاد

وأين أنت من قولي في صفة جيش؟:

في فيلق من حديد لو رميت به ... صرف الزمان لما دارت دوائره

وأين أنت من قولي؟:

لو تعقل الشجر التي قابلتها ... مدت محيية إليك الأغصنا

وأين أنت من قولي؟:

أيقدح في الخيمة العذل ... وتشمل من دهره يشمل

وما اعتمد الله تقويضها ... ولكن أشار بما تفعل

وفيها أصف كتيبة:

وملومة زرد ثوبها ... ولكنه بالقنا مخمل

وأين أنت عن قولي؟:

ألناس ما لم يروك أشباه ... والدهر لفظ وأنت معناه

والجود عين وأنت ناظرها ... والبأس باع وفيك يمناه

أما يلهيك إحساني في جميع هذه عن إساءتي في تلك؟ قلت: ما أعرف لك إحساناً في جميع ما ذكرته، إنما أنت سارق متبع، وآخذ مقصر، وفيما تقدم من هذه المعاني التي ابتكرها أصحابها مندوحة عن التشاغل بقولك. فأما قولك: كأن الهام في الهيجا عيون البيت فهو منقول من بيت منصور النمري:

فكأنما وقع الحسام بهامة ... خدر المنية أو نعاس الهاجع

وأما قولك: في فيلق، البيت فنقلته. نقلاً لم تحسن فيه من قول الناجم:

ولي في حامد أمل بعيد ... ومدح قد مدحت به طريف

مديح لو مدحت به الليالي ... لما دارت علي لها صروف

والناجم إنما نظمه من قول أرسطاطاليس، قد تكلمت بكلام لو مدحت به الدهر لما دارت علي صروفه.

وأما قولك: لو تعقل الشجر التي قابلتها البيت هذا معنى متداول تساجلته الشعراء وأكثرت فيه، فمن ذلك قول: الفرزدق:

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

ثم تكرر في أفواه الشعراء إلى أن قال أبو تمام:

لو سعت بقعة لإعظام أخرى ... لسعى نحوها المكان الجديب

وأخذه البحتري فقال:

لو أن مشتاقاً تكلف غير ما ... في وسعه لمشى إليك المنبر

وأما قولك: وما اعتمد الله تقويضها فقد نظرت فيه إلى قول رجل مدح بعض الأمراء بالموصل وقد كان عزم على السير فاندق لواؤه فقال:

ما كان مندق اللواء لريبة ... تخشى ولا أمر يكون مزيلا

لكن لأن العود ضعف متنه ... صغر الولاية فاستقل الموصلا

وأما قولك: وملمومة زرد ثوبهاً فمن قول أبي نواس:

أمام خميس أرجوان كأنه ... قميص محوك من قنا وجياد

وأما قولك: الناس ما لم يروك أشباه، فمن قول علي ابن نضر بسام في عبيد الله بن سليمان يرثيه:

قد استوى الناس ومات الكمال ... وصاح صرف الدهر أين الرجال؟

هذا أبو القاسم في نعشه ... قوموا انظروا كيف تزول الجبال؟

فقوله: قد استوى الناس ومات الكمال، هو قولك: الناس ما لم بروك أشباه. فقال بعض من حضر: ما أحسن قوله: قوموا انظروا كيف تزول الجبال! فقال أبو الطيب: اسكت ما فيه من حسن، ألم يسرقه من قول النابغة الذبياني؟:

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم ... وكيف بحصن والجبال جنوح؟

فقال الحاتمي فقلت: قد سرقه النابغة من أوس حين قال:

ألم تكسف الشمس شمس النها ... ر والبدر للقمر الواجب

لفقد فضالة لا يستوي ال ... قعود ولا خلة الذاهب

قلت: والله لئن كان أخذه فقد أحسن وأخفى الأخذ. فقال الرجل أجل. فقال المتنبي: يا محسد خذ بيده وأخرجه يريد بمحسد ابنه. فرجعت إلى أن تركه ثم قلت له: وأما قولك: والدهر لفظ وأنت معناه، فمن قول من قول الأخطل إن كان البيت له في عبد الملك بن مروان:

وإن أمير المؤمنين وفعله ... لكالدهر لا عار بما فعل الدهر

وقد قال جرير حين قال له الفرزدق:

فإني أنا الموت الذي هو نازل ... بنفسك فانظر كيف أنت تحاوله؟

وقال جرير:

أنا الدهر يفنى والدهر خالد ... فجئني بمثل الدهر شيئاً تطاوله

ثم قلت له: أترى أن جريراً أخذ قوله: يفنى الموت من أحد، وأن أحداً شركه في إفناء الموت؟ ففكر طويلاً ثم قال لا، قلت: بلى عمران بن حطان حيث يقول:

لن يعجز الموت شيء دون خالقة ... والموت فان إذا ما ناله الأجل

وكل كرب أمام الموت متضع ... بالموت والموت فيما بعده جلل

فأمات الموت وأحياه وما سبقه إلى ذلك أحد. ثم قلت له: أترى أن البيت المتقدم الذي يقول فيه: لك الدهر لا عار بما فعل الدهر، مأخوذ من أحد؟ فأطرق هنيهة ثم قال: وما تصنع بهذا؟ قلت يستدل على موضعك ومواضع أمثالك من سرقة الشعر. فقال: الله المستعان، أساء سمعاً فأساء إجابة، ما أردت ما ذهبت إليه.

قلت: فإنه أخذه من قول النابغة وهو أول من ابتكره:

وعيرتني بنو ذبيان خشيته ... وما علي بأن أخشاك من عار

ثم أخذه أبو تمام فأحسن بقوله:

خشعوا لصولتك التي هي فيهم ... كالموت يأتي ليس فيه عار

قال: ومن أبو تمام؟ قلت: الذي سرقت شعره فأنشدته. قال: هذه خلائق السفهاء لا خلائق العلماء. قلت أجل، أنت سفهت رأيي ولم يكن سفيهاً ألست القائل؟

ذي المعالي فليعلون من تعالى ... هكذا هكذا وإلا فلالا

شرف ينطح الثريا بروقي ... ه وفخر يقلقل الأجبالا

قال بلى. قلت فإنك أخذت البيت الأول من بيت بكر بن النطاح:

يتلقى الندى بوجه حيي ... وصدور القنا بوجه وقاح

هكذا هكذا تكون المعالي ... طرق الجد غير طرق المزاح

وأخذت البيت الثاني فأفسدته من قول أبي تمام:

همة تنطح الثريا وجد ... آلف للحضيض فهو حضيض

قال: وبأي شيء أفسدته؟ قلت: بأن جعلت للشرف قرناً، قال: وأني لك بذلك؟ قلت ألم تقل: ينطح السماء بروقيه؟ والروقان: القرنان؟ قلت أجل، إنما هي استعارة؟ قلت نعم، هي استعارة خبيثة. قال: أقسمت غير محرج في قسمي إنني لم أقرأ شعراً قط لأبي تمامكم هذا. فقلت: هذه سوءة لو سترتها كان أولى. قال: السوءة قراءة شعر مثله، أليس هو الذي يقول:

خشنت عليه أخت بني خشين ... وأنجح فيك قول العاذلين

والذي يقول:

لعمري لقد حررت يوم لقيته ... لو أن القضاء وحده لم يبرد

والذي يقول:

تكاد عطاياه يجن جنونها ... إذا لم يعوذها بنغمة طالب

والذي يقول:

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت ... أعمارهم قبل نضج التين والعنب

والذي يقول:

ولي ولم يظلم وهل ظلم امرؤ ... حث النجاء وخلفه التنين

والذي يقول:

فضربت الشتاء في أخدعيه ... ضربة غادرته عوداً ركو

والذي يقول:

كانوا رداء زمانهم فتصدعوا ... فكأنما لبس الزمان الصوفا

والذي يقول:

أقول لقرحان من البين لم يصب ... رسيس الهوى بين الحشا والترائب

ما قرحان البين اخرس الله لسانه؟ فأحفظني ذلك وقلت: يا هذا، من أدل الدليل على أنك قرأت شعر هذا الرجل تتبعك مساويه: فهل في الدالة على اختلاقك إنكاره أوضح مما ذكرته؟ وهل يصم أبا تمام أو يسمه

بميسم النقيصة ما عددته من سقطاته وتخونته من أبياته، وهو الذي يقول في النونية:

نوالك رد حسادي فلولا ... وأصلح بين أيامي وبيني

فهلا اغتفرت لأول لهذا البيت الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله؟ وأما قوله:

تسعون ألفاً كآساد الشرى نضجت ... أعمارهم قبل نضج التين والعنب

فلهذا البيت خبر لو استقريت صفحة لأقصرت عما تناولته بالطعن فيه. ثم قصصت الخبر وقلت في هذه القصيدة مالا يستطيع أحد من متقدمي الشعراء وأمراء الكلام وأرباب الصناعة أن يأتي بمثله. قال: وما هو؟ قلت لو قال قائل: إن أحداً لم يبتدي بأوجز ولا أحسن ولا أخصر من قوله:

ألسيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

لما عنف في ذلك. وفيها يقول:

رمى بك الله برجيها فهدمها ... ولو رمى بك غير الله لم يصب

وفيها يقول:

لما رأى الحرب رأى العين توفلس ... والحرب مشتقة المعنى من الحرب

وفيها يقول:

فتح تفتح أبواب السماء له ... وتبرز الأرض في أبرادها القشب

وفيها يقول:

بكر فما افترعتها كف حادثة ... ولا ترقت إليها همة النوب

وفيها يقول:

غادرت فيها بهيم الليل وهو ضحى ... يشبها وسطها صبح من اللهب

حتى كأن جلاييب الدجى رغبت ... عن لونها وكأن الشمس لم تغب

وفيها يقول:

أجبته معلناً بالسيف منصلتاً ... ولو أجبت بغير السيف لم تصب

وأما قوله: أقول لقرحان من البين، فإنه يريد رجلاً لم يقطعه أحبابه ولم يبينوا عنه قبل ذلك، وإذا كانت حاله كذلك كان موقع البين أشد عليه وأفت في عضده، والأصل في هذا: أن القرحان الذي لم يجدر قط. وقد قال جرير:

وكنت من زفرات البين قرحاناً

وفي هذه القصيدة من المعاني الرائعة، والتشبيهات الواقعة، والاستعارات البارعة ما يغتفر معه هذا البيت وأمثاله. على أنا أبنا عن صحته معناه وعن أمثاله، فمن ذلك:

إذا العيس لاقت بي أبا دلف فقد ... تقطع ما بيني وبين النوائب

يرى أقبح الأشياء أوبة آمل ... كسته يد المأمول حلة خائب

وأحسن من نور يفتحه الندى ... بياض العطايا في سواد المطالب

وقد علم الأفشين وهو الذي به ... يصان رداء الملك عن كل جاذب

بأنك لما استحكم النصر واكتسى ... إهابي تسفى في وجوه التجارب
تجللته بالرأي حتى أريته ... به ملء عينيه مكان العواقب
بأرشق إذ سالت عليهم غمامة ... جرت بالعوالي والتعاق الشوارب
ولو كان يفنى الشعر أفناه ما قرت ... حياضك منه في العصور الذواهب
ولكنه فيض العقول إذا انجلت ... سحائب جود أعقبت بسحائب

فبهره مما أوردته ما قصر عنان عبارته، وحبس بنيات صدره، وعقل عن الإجابة لسانه، كاد يشغب لولا ما تخوفه من عاقبة شغبه، وعرفه من مكاني في تلك الأيام، وأن ذلك لا يتم له، فما زاد على أن قال: قد أكثرت من أبي تمام، لا قدس الله أبا تمام وذويه. قلت: ولا قدس السارق منه والواقع فيه. ثم قلت له: ما الفرق – في كلام العرب – بين التقديس والقداس والقادس؟ فقال: وأي شيء غرضك في هذا؟ فقلت: المذاكرة. فقال: بل المهاترة ثم قال: التقديس: التطهير في كلام العرب، ولذلك سمي القدس قدساً لأنه يشتمل على الذي به الطهور، وكل هذه الأحرف تؤول إليه.
فقلت له: ما أحسبك أنعمت النظر في شيء من علوم العرب، ولو تقدمت منك مطالعة لها لما استجزت أن تجمع بين معاني هذه الكلمات مع تباينها، وذلك لأن القداس بتشديد الدال: حجر يلقى في البئر ليعلم به غزارة مائها من قلته، حكى ذلك ابن الأعرابي، والقداس: الجمان، حكى ذلك الخليل واستشهد بقوله:
كنظم قداس سلكه متقطع والقادس: السفينة. قال الشاعر يصف ناقةً:
وتهفو بهاد لها متلع ... كما اقتحم القادس الأردمونا
فلما علوته بالكلام قال: يا هذا، مسلمة إليك اللغة. قلت: وكيف تسلمها وأنت أبو عذرتها؟ ومن نصابها وسرها، وأولى الناس بالتحقق بها والتوسع في اشتقاقها والكلام على أفانينها، وما أحد أولى بأن يسأل عن لغته منك. فشرعت الجماعة الحاضرة في إعفائه وقبول عذره والتواطؤ له، وقال كل منهم: أنت أولى بالمراجعة والمياسرة لمثل هذا الرجل من كل أحد. وكنت قد بلغت شفاء نفسي وعلمت أن الزيادة على الحد الذي انتهيت إليه ضرب من البغي لا أراه في مذهبي، ورأيت له حق القدمة في صناعته. فطأطأت له كتفي واستأنفت جميلاً من وصفه، ونهضت فنهض لي مشيعاً إلى الباب حتى ركبت وأقسمت عليه أن يعود إلى مكانه، وتشاغلت بقية يومي بشغل عن لي تأخرت معه عن حضرة المهلب وانتهى إليه الخبر، وأتتني رسله ليلاً فأتيته فأخبرته بالقصة على الحال، فكان من سروره وابتهاجه بما جرى ما بعثه على مباكرة معز الدولة قائلاً له: أعلمت ما كان من فلان والمتنبي؟ قال نعم، قد شفا منه صدورنا.

محمد بن الحسن الزبيدي الإشبيلي

أبو بكر النحوي اللغوي. سكن قرطبة من بلاد الأندلس، وأخذ عن أبي إسماعيل القالي، واعتمد عليه الحكم ابن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس – والحكم هو المغلب على بلاد

الغرب المقلب بالمستنصر – في تعليم ولده، مات الزبيدي بإشبيلية في جمادى الأولى سنة تسع وسبعين وثلاثمائة. كذا ذكر ابن بشكوال.

وقال الحميدي: توفي قريباً من سنة ثمانين وثلاثمائة، وروى عنه غير واحد منهم: ابنه الوليد محمد وإبراهيم ابن محمد الأفليلي النحوي وغيرهما. والزبيدي نسبة إلى زبيد ابن صعب بن سعد العشيرة رهط عمرو بن معد يكرب الزبيدي، وقد ذكر الحميدي في كتابه في باب الحسن بن عبد الله ابن مذحج بن محمد بن عبيد الله بن بشير بن أبي حمزة بن ربيعة بن مذحج بن الزبيدي: سمع بالأندلس من عبيد الله بن يحيى ابن يحيى الليثي ومن غيره وسمع. وكانت وفاته بالأندلس قريباً من سنة عشرين وثلاثمائة، وقد سمعت من يقول: إنه والد أبي بكر محمد بن الحسن الزبيدي النحوي مؤلف كتاب الواضح، ويشبه أن يكون ذلك والله أعلم.

قال الحميدي: أبو بكر الزبيدي من الأئمة في اللغة والعربية، وألف في النحو كتاباً سماه كتاب الواضح. واختصر كتاب العين اختصاراً حسناً، وله كتاب في أبنية سيبويه، وله كتاب ما يلحن فيه عوام الأندلس، وكتاب طبقات النحويين.

قال المؤلف: وقد نقلت إلى كتابي هذا ما نسبته إليه. وبلغني أن أهل الغرب يتنافسون في كتبه خصوصاً كتابه الذي اختصره من كتاب العين، لأنه أتمه باختصاره وأوضح مشكله، وزاد فيه ما عساه كان مفتقراً إليه، وله غير ما ذكرناه من التصانيف في كل نوع من الأدب.

قال الحميدي: وكان شاعراً كثير الشعر، أخبرنا أبو عمر ابن عبد البر قال: كتب الزبيدي إلى أبي مسلم بن فهد:

أبا مسلم إن الفتى بجنانه ... ومقوله لا بالمراكب واللبس

وليس ثياب المرء تغني قلامة ... إذا كان مقصوراً على قصر النفس

وليس يقيد العلم والحلم والحجى ... أبا مسلم طول القعود على الكرسي

قال: وقال أبو محمد علي بن أحمد: كتب الوزير أبو الحسن جعفر بن عثمان المصحفي إلى صاحب الشرطة أبي بكر محمد ابن الحسن الزبيدي بمنظوم بين له فيه الخطأ بتصريح وهو:

قل للوزير السني محتده ... لي ذمة منك أنت حافظها

عناية بالعلوم معجزة ... قد بهظ الأولين باهظها

يقر لي عمرها ومعمرها ... فيها ونظامها وجاحظها

قد كان حقاً قبول حرمتها ... لكن صرف الزمان لافظها

وفي خطوب الزمان لي عظة ... لو كان يثني النفوس واعظها

إن لم تحافظ عصابة نسبت ... إليك قدماً فمن يحافظها؟

لا تدعن حاجتي مطرحة ... فإن نفسي قد فاظ فائظها

فأجابه المصحفي:

خفض فواقاً فأنت أوحدها ... علماً ونقابها وحافظها

كيف تضع العلوم في بلد ... أبناءه كلهم تحافظها؟
ألفاظهم كلها معطلة ... ما لم يعول عليك لافظها
من ذا يساويك إن نطقت وقد ... أقر بالعجز عنك جاحظها؟
علم ثنى العالمين عنك كما ... ثنى سنا الشمس من يلاحظها
فقد أتتني فديت شاغله ... للنفس أن قلت فاظ فائظها
فأوضحنها نفز بنادرة ... قد بهظ الأولين باهظها
فأجابه الزبيدي وضمن الشعر الشاهد على ذلك:
أتاني كتاب من كريم مكرم ... فنفس عن نفس تكاد تفيظ
فسر جميع الأولياء وروده ... وسئ رجال آخرون وغيظوا
لقد حفظ العهد الذي قد أضاعه ... لدى سواه والكريم حفيظ
وباحث عن فاظت وقبلي قالها ... رجال لديهم في العلوم حظوظ
روى ذاك عن كيسان سهل وأنشدوا ... مقال أبي الغياظ وهو مغيظ
فلا حفظ الرحمن روحك حية ... ولا هي في الأرواح حين تفيظ
قال الحميدي: قال لي أبو محمد: وقد يقال: فاضت نفسه بالضاد، ذكر يعقوب ابن السكيت في كتاب الألفاظ له. قال: وله – وقد استأذن الحكم المستنصر في الرجوع إلى إشبيلية فلم يأذن له فكتب إلى جارية له هناك تدعى سلمى – :
ويحك يا سلم لا تراعي ... لا بد للبين من زماع
لا تحسبيني صبرت إلا ... كصبر ميت على النزاع
ما خلق الله من عذاب ... أشد من وقفة الوداع
ما بينها والحمام فرق ... لولا المناحات والنواعي
إن يفترق شملنا وشيكا ... من بعد ما كان ذا اجتماع
فكل شمل إلى افتراق ... وكل شعب إلى انصداع
وكل قرب إلى بعاد ... وكل وصل إلى انقطاع
قال المؤلف: هذا آخر ما كتبنا من كتاب الحميدي وهو الذي وجدناه فيه من خبره.

محمد بن الحسن المذحجي أبو عبد الله

يعرف بان بالكتاني، ذكره الحميدي في تاريخ الأندلس وقال: له مشاركة قوية في علم الأدب والشعر، وله تقدم في علوم الطب والمنطق والكلام في الحكم، ورسائل في كل ذلك وكتب معروفة، مات بعد الأربعمائة، وله كتاب محمد وسعدي مليح في معناه.
ومن شعره:
ألا قد هجرنا الهجر واتصل الوصل ... وبانت ليالي البين واشتمل الشمل

فسعدي نديمي والمدامة ريقها ... ووجنتها روضي وقبلتها النقل

ومنه أيضاً:

نأيت عنكم فلا صبر ولا جلد ... وصحت واكبدي حتى مضت كبدي

أضحى الفراق رفيقاً لي يوصلني ... بالبعد والشجو والأحزان والكمد

وبالوجوه التي تبدو فأنشدها ... وقد وضعت على قلبي يدي بيدي

إذا رأيت وجوه الطير قلت لها: ... لا بارك الله في الغربان والصرد

محمد بن الحسن الجبلي النحوي

ذكره الحميدي في تاريخه أيضاً، وهو أديب شاعر كثير القول كان يقرأ عليه الأدب

وأنشدني لنفسه:

وما الأنس بالأنس الذين عهدتهم ... بأنس ولن فقد أنسهم أنس

إذا سلمت نفسي وديني منهم ... فحسبي أن العرض مني لهم ترس

قال ابن ماكولا: قتل سنة خمس وأربعمائة، وقال لي الحميدي: تركته حيا.

محمد بن الحسن البرجي

الأديب الأصفهاني قال ابن مندة: مات في محرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة.

محمد بن الحسين الفارسي

بن محمد بن الحسين بن عبد الوارث أبو الحسين الفارسي النحوي ابن أخت أبي علي الفارسي، وأخذ عن خاله علم العربية، وطوف الآفاق ورجع إلى الوطن، وكان خاله أوقده على الصاحب بن عباد إلى جهة الري فارتضاه وأكرم مثواه، ثم تغرب أبو الحسين ولقي الناس في انتقاله، وورد خراسان ونزل بنيسابور دفعات، وأملي بها من الأدب والنحو ما سارت به الركبان، وآل أمره إلى أن وزر للأمير شاد عرسي ستان ثم أختص بالأمير إسماعيل بن سبكتكين بغزنة ووزر له، ثم عاد إلى نيسابور، ثم توجه إلى مكة وجاور بها ثم عاد إلى غزنة ورجع إلى نيسابور، ثم انتقل إلى أسفراين، ثم استوطن جرجانة إلى أن مات، وقرأ عليه أهلها منهم: عبد القاهر الجرجاني وليس له أستاذ سواه، وللصاحب بن عباد مكاتبات إليه مدونة، وله تصانيف منها: كتاب الهجاء، وكتاب الشعر. مات سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، ومن شعره:

ولا غصن إلا ما حواه قباؤه ... ولا دعص إلا ما خبته مآزره

وأمضى من السيف المنوط بحضره ... إذا شيم سيف تنتضيه محاجره

محمد بن الحسين الطبري

بن محمد الطبري النحوي يعرف بابن نجدة مشهور في أهل الأدب، وله خط مرغوب فيه، قرأ على الفضل بن الحباب الجمحي بن خليفة، ومن شعره:

شفاء العمى حسن السؤال وإنما ... يطيل العمى طول السكوت على الجهل

فكن سائلاً عما عناك فإنما ... خلقت أخا عقل لتسأل بالعقل

محمد بن حمد بن محمد

بن عبد الله بن محمود ابن فورجة بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المفتوحة وفتح الجيم، والبروجردي، أديب فاضل مصنف، له كتاب الفتح على أبي الفتح، والتجني على ابن جني، يرد فيه على أبي الفتح بن جني في شرح شعر المتنبي، ومولده في ذي الحجة سنة ثلاثين وثلاثمائة، كان موجوداً سنة خمس وخمسين وأربعمائة ومن شعره:

أيها القاتلي بعينيه رفقاً ... إنما يستحق ذا من قلاكا

أكثر اللائمون فيك عتابي ... أنا واللائمون فيك فداكا

إن لي غيرة من اسمي ... إنه دائماً يقبل فاكا

محمد بن حيويه بن المؤمل

الوكيل أبو بكر بن أبي روضة الكرجي النحوي، روي عن إبراهيم بن الحسين، ومحمد بن المغيرة السكري من أهل همذان، وروي عنه كامل بن أحمد النحوي، وأبو الحسن ابن الصباح، وأبو سعد بن عبد الرحمن بن محمد الإدريسي السمرقندي الحافظ وقال لا أعتمد عليه، وقد تكلموا فيه، وليس عندهم بذاك، وسئل عن سنة فقال: مائة واثنتي عشرة سنة، ومات سنة ثلاث وسبعين وثلاثمائة.

محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي

أبو عبد الله، كان مولى لبني هاشم لأنه من موالي العباس ابن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، وكان أبوه زياد عبداً سندياً، وكان من أكابر أئمة اللغة المشار إليهم في معرفتها نحوياً، لم يكن للكوفيين أشبه برواية البصريين منه رواية لأشعار القبائل ناسباً. وكان ربيباً للمفضل الضبي، سمع منه الدواوين وصححها، وأخذ عن الكسائي كتاب النوادر، وأخذ عن أبي معاوية الضرير والقاسم بن معن بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود القاضي، وأخذ عنه إبراهيم الحربي، وأبو عكرمة الضبي، وأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، وابن السكيت، وكانت طريقته طريقة الفقهاء والعلماء، وكان أحفظ الناس للغات والأيام والأنساب.

وقال أبو العباس ثعلب: قال لي ابن الأعرابي: أمليت قبل أن تجيئني يا أحمد حمل جمل. وقال ثعلب: انتهى علم اللغة والحفظ إلى ابن الأعرابي، وكان يزعم أن الأصمعي وأبا عبيدة لا يحسنان قليلاً ولا كثيراً.

وقال ثعلب: سمعت ابن الأعرابي يقول في كلمة رواها الأصمعي: سمعت من ألف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي. وقال: شاهدت ابن الأعرابي وكان يحضر مجلسه زهاء مائة إنسان، كل يسأله أو يقرأ عليه ويجيب من غير كتاب. قال: ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط، وما أشك في أنه أملي على الناس ما يحمل على أجمال، ولم ير أحد في علم الشعر واللغة أغزر منه.

وقال محمد بن الفضل الشعراني: كان للناس رؤساء، كان سفيان الثوري رأساً في الحديث، وأبو حنيفة رأساً في القياس، والكسائي رأساً في القرآن، فلم يبن الآن رأس في فن من الفنون أكبر من ابن الأعرابي فإنه رأس في كلام العرب، وكان ممن وسم بالتعليم، فكان يأخذ كل شهر ألف درهم فينفقها على أهله وإخوانه، وتماسك في آخر أيامه بعد سوء حاله. ويحكي أنه اجتمع أبو عبد الله بن الأعرابي وأبو زياد الكلابي على الجسر ببغداد، فسأل أبو زياد ابن الأعرابي عن قول النابغة على ظهر منباة فقال: النطع بفتح النون وسكون الطاء، فقال أبو زياد: النطع بكسر النون وفتح الطاء. فقال أبو عبد الله نعم. وإنما أنكر أبو زياد النطع بفتح النون وسكون الطاء لأنها لم تكن لغته، ورأى ابن الأعرابي في مجلسه يوماً رجلين يتحدثان فقال لأحدهما: من أين أنت؟ فقال من أسفيجاب، وقال للآخر من أين أنت؟ فقال من الأندلس، فعجب من ذلك وأنشد

رقيقان شتى ألف الدهر بيننا ... وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

ثم أملى علي من حضر مجلسه بقية الأبيات الآتيه

نزلنا على قيسية يمنية ... لها نسب في الصالحين هجان

فقالت وأرخت جانب الستر بيننا ... لأية أرض أم من الرجلان؟

فقلت لها: أما رفيقي فقومه ... تميم وأما أسرتي فيماني

رفيقان شتى ألف الدهر بيننا ... وقد يلتقي الشتى فيأتلفان

وحكى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر قال: اجتمع عندنا أبو نصر أحمد بن حاتم وابن الأعرابي فتجاذبا الحديث إلى أن حكى أبو نصر أن أبا الأسود دخل على عبيد الله بن زياد وعليه ثياب رثة فكساه ثياباً جدداً من غير أن يعرض به بسؤال فخرج وهو يقول:

كساك ولم تستكسه فاحمدنه ... أخ لك يعطيك الجزيل وناصر

فإن أحق الناس إن كنت مادحاً ... بمدحك من أعطاك والعرض وافر

فأنشد أبو نصر قافية البيت الأول، وياصر بالياء يريد ويعطف، فقال له ابن الأعرابي وناصر بالنون، فقال دعني يا هذا ويا صرى وعليك بناصرك. وحدث الصولي قال: غني في مجلس الواثق بشعر الأخطل:

وشارب مربح بالكأس نادمني ... لا بالحصور ولا فيها بسوار

فقيل بسوار وبسئار، فوجه إلى ابن الأعرابي وهو يومئذ بسر منرأي فسأل عن ذلك فقال: بسوار يريد بوثاب أي لا يثب على ندمائه، وبسئار: أي لا يفضل في القدح سؤره وقد رويا جميعاً، فأمر له الواثق بعشرة آلاف درهم. وحكى عن ابن الأعرابي أنه روي قول الشاعر:

ولاعيب فينا غير عرق لمعشر ... كرام وأنا لا نحط على النمل

نحط بحاء مهملة وقال معناه: إنا لا نحط على بيوت النمل لنصيب ما جمعوه وهذا تصحيف، وإنما الرواية لا

نخط على النمل واحدتها نملة، وهي قرحة تخرج بالجنب تزعم المجوس أن ولد الرجل إذا كان من أخته ثم خط على النملة شفى صاحبها، ومعنى البيت: إنا لسنا بمجوس ننكح الأخوات. وعن أبي عمران قال: كنت عند أبي أيوب أحمد ابن محمد بن شجاع فبعث غلامه إلى أبي عبد الله بن الأعرابي يسأله المجيء إليه فعاد إليه الغلام فقال: قد سألته ذلك فقال لي: عندي قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي معهم أتيت. قال الغلام: وما رأيت عنده أحداً إلا أني رأيت بين يديه كتباً ينظر فيها، فينظر في هذا مرة وفي هذا مرة، ثم ما شعرنا حتى جاء فقال له أيوب: إنه ما رأى عندك أحداً وقد قلت له أنا مع قوم من الأعراب، فإذا قضيت أربي أتيت فأنشد:

لنا جلساء ما نمل حديثهم ... ألباء مأمونون غيباً ومشهدا
يفيدوننا من علمهم علم ما مضى ... وعقلاً وتأديباً ورأياً مسددا
فلا فتنة نخشى ولا سوء عشرة ... ولا نتقي منهم لساناً ولا يدا
فإن قلت أموات فما أنت كاذب ... وإن قلت أحياء فلست مفندا

وقال محمد بن حبيب: سأل أبا عبد الله بن الأعرابي في مجلس واحد عن بضع عشرة مسالة من شعر الطرماح يقول في كلها لا أدري ولم أسمع، أفأحدث لك برأيي؟ وقال أبو العباس ثعلب: سمعت ابن الأعرابي يقول: من لا قبول عليه فلا حياة لأدبه. وقال: ما رأيت قوماً أكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق. واغتاب رجل عنده بعض العلماء فقال له: لو لم نقل فينا ما قلت عندنا فلا تجلسن إلينا. وله من التصانيف كتاب النوادر وهو كبير، كتاب الأنواء، كتاب صفة النخل، كتاب صفة الزرع، كتاب الخيل، كتاب النبت والبقل، كتاب نسب الخيل، كتاب تاريخ القبائل، كتاب تفسير الأمثال، كتاب النبات، كتاب معاني الشعر، كتاب صفة الدرع، كتاب الألفاظ، كتاب نوادر الزبيريين، كتاب نوادر بني فقعس، كتاب الذباب وغير ذلك.

قال أبو العباس ثعلب: سمعت ابن الأعرابي يقول: ولدت في الليلة التي مات فيها أو حنيفة. وقال أبو غالب علي بن النضر: توفي ابن الأعرابي سنة ثلاثين ومائتين، وقيل سنة إحدى وثلاثين، وقيل سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وقد بلغ من العمر إحدى وثمانين سنة وأربع أشهر وثلاثة أيام، وكانت وفاته في خلافة الواثق بن المعتصم، وصلى عليه قاضي احمد بن أبي داؤد الإيادي.

محمد بن زيد بن مسلمة

أبو الحسن النحوي المعروف بابن أبي الشملين، لا أعرف من حاله إلا ما قرأته في كتاب أدب المريض والعائد لأبي شجاع البسطامي قال: كتب أبو محمد بن علي بن سمعون النرسي الحافظ بخطه وأذن لنا في روايته عنه: أخبرنا محمد بن علي بن عبد الرحمن، أنشدنا أبو الحسن محمد بن زيد بن مسلمة النحوي قال: أنشدنا أبو علي الفارسي والسيرافي قالا: أنشدنا أبو بكر السراج قال: عدنا أبا الحسن ابن الرومي في مرضه فأنشدنا لنفسه:

ولقد سئمت مآربي ... فكأن أطيبها خبيث
إلا الحديث فإنه ... مثل اسمه أبداً حديث

محمد بن السرى بن سهل

أبو بكر السراج البغدادي النحوي. قال المرزباني: كان أحدث أصحاب أبي العباس المبرد مع ذكاء وفطنة، قرأ عليه كتاب سيبويه، ثم اشتغل بالموسيقى فسئل عن مسألة بحضرة الزجاج فأخطأ في جوابها فوبخه الزجاج وقال مثلك يخطئ في مثل هذه المسألة؟ والله لو كانت في منزلي لضربتك، ولكن المجلس لا يحتمل ذلك.
فقال: قد ضربتني يا أبا إسحاق، وكان علم الموسيقى قد شغلني عن هذا الشأن، ثم رجع إلى كتاب سيبويه ونظر في دقائقه، وعول على مسائل الأخفش والكوفيين، وخالف أصول البصريين في مسائل كثيرة. ويقال: ما زال النحو مجنوناً حتى عقله ابن السراج بأصوله، وكان أحد العلماء المذكورين وأئمة النحو المشهورين، وإليه انتهت الرياسة في النحو بعد المبرد.
وأخذ عنه أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، وأبو سعيد السيرافي، وأبو علي الفارسي، وعلي بن عيسى الرماني.
ويحكي أنه اجتمع هو وأبو بكر بن مجاهد وإسماعيل القاضي في بستان وكان فيه دولاب، فعن لهم أن يبعثوا بإدارتها فلم يقدروا على ذلك، فالتفت أحدهم وقال: أما تستحيون؟ مقرئ البلد ونحويه وقاضيه لا يجئ منهم ثور.
وحكى أن أبا بكر بن السراج كان يهوى جارية فجفته، فاتفق وصول الإمام المكتفي في تلك الأيام من الرقة فاجتمع الناس لرؤيته، فلما شاهد أبو بكر جمال المكتفي تذكر جمال معشوقته وجفاءها له، فانشد بحضرة أصحابه:

ميزت بين جمالها وفعالها ... فإذا الملاحة بالخيانة لا تفي
حلفت لنا ألا تخون عهودنا ... فكأنما حلفت لنا ألا تفي
والله لا كلمتها ولو أنها ... كالبدر أو الشمس أو كالمكتفي

ثم إن أبا عبد الله محمد بن إسماعيل بن زنجي الكاتب أنشدها لأبي العباس بن الفرات وقال هي لابن المعتز، وأنشدها أبو العباس للقاسم بن عبيد الله الوزير، فاجتمع الوزير بالمكتفي وأنشدها إياه وقال للمكتفي: هي لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر، فأمر بألف دينار فوصلت إليه فقال ابن زنجي: ما أعجب هذه القصة، يعمل أبو بكر بن السراج أبياتاً تكون سبباً لوصول الرزق إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر!.

قال أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي: توفي أبو بكر ابن السراج يوم الأحد لثلاث ليال بقين من ذي الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة في خلافة المقتدر. وله من المصنفات: كتاب الأصول وهو أحسنها وأكبرها وإليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه جمع فيه أصول علم العربية، وأخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب، وكتاب جمل الأصول وهو الأصول الأصغر، وشرح كتاب سيبويه، والموجز، وكتاب الاشتقاق لم

يتم كتاب الرياح والهواء والنار، كتاب الشعر والشعراء، كتاب الجمل، كتاب احتجاج القراء، كتاب الخط، كتاب المواصلات والمذكرات، كتاب الهجاء وغير ذلك.

وحكى الرماني قال: ذكر كتاب الأصول بحضرته فقال قائل: هو أحسن من المقتضب. فقال أبو بكر لا نقل هكذا وأنشد:

ولو قبل مبكاها بكيت صبابة ... بسعدي شفيت النفس قبل التندم

ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا ... بكاها فقلت: الفضل للمتقدم

وقال أبو علي الفارسي: جئت لأسمع من كتاب سيبويه وحملت إليه ما حملت، فلما انتصف الكتاب عسر على إتمامه فانقطعت عنه لتمكني من مسائله، فقلت في نفسي بعد مدة: إذا عدت إلى فارس وسئلت عن إتمامه فإن قلت نعم كذبت، وإن قلت لا بطلت الرواية فدعتني الضرورة أن حملت إليه رزمة وأقبلت إليه، فلما أبصرني من بعيد أنشد:

كم قد تجرعت من غيظ ومن حنق ... لكن تجدد وجدي هون الماضي

وكم غضبت ولم يلووا على غضبي ... فعدت طوعاً بقلب ساخط راضي

محمد بن سعدان بقلب الضرير

أبو جعفر الكوفي النحوي المقرئ، ولد سنة إحدى وستين ومائة، وروي عن عبد الله بن إدريس وأبي معاوية الضرير، وروي عنه محمد بن سعد كاتب الواقدي، وعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، وأبن المرزبان وكان ثقة، وكان يقرأ بقراءة حمزة، ثم اختار لنفسه ففسد عليه الأصل والفرع إلا أنه كان نحوياً. وقال بعضهم: أخذ ابن سعدان القراءات عن أهل مكة والمدينة والشام والكوفة والبصرة ونظر في الاختلاف وكان ذا علم بالعربية، وصنف كتاباً في النحو، وكتاباً في القراءات.

قال ابن عرفه: مات يوم عيد الأضحى سنة إحدى وثلاثين ومائتين، وكان ذلك في خلافة الواثق بن المعتصم، وله ولد يقال له إبراهيم من أهل العلم.

وقال الداني في طبقات القراء: أخذ القراءة عرضاً عن سليم بن عيسى عن حمزة، وعن يحيى بن المبارك اليزيدي عن أبي عمرو عن إسحاق بن محمد المسيبي عن نافع وعن معلى ابن منصور عن أبي بكر بن عاصم، وروى عنه القراء محمد ابن أحمد بن واصل وهو أجل أصحابه وأثبتهم له.

محمد بن سعد ويقال ابن سعيد الرباحي

بالباء الموحدة، أبو عبد لله الأعرج الطليطلي الخطيب النحوي اللغوي، أصله من قلعة رباح من أعمال طليطلة بالأندلس، رحل إلى المشرق وسمع بمصر ابن الورد وابن السكن وحدث وأفاد، مولده سنة تسع وثلاثمائة، وتوفي في ربيع الآخر سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

محمد بن سعيد

أبو جعفر البصير الموصلي العروضي النحوي، كان أبو إسحاق الزجاج معجباً به، وكان في النحو ذا قدم ثابتة، اجتمع يوماً مع أبي علي الفارسي عند أبي بكر بن شقير فقال لأبي علي: في أي شيء تنظر يا فتى؟ فقال في التصريف، فجعل يلقي عليه المسائل على مذهب البصريين والكوفيين حتى ضجر، فهرب أبو علي منه إلى النوم وقال: إني أريد النوم. فقال: هربت يا فتى؟ فقال: نعم هربت، وكان ذكياً فهيماً – له في الشعر رتبة عالية – إماماً في استخراج المعمي والعروض، قال له الزجاج يوماً وقد سأله عن أشياء من العروض: يا أبا جعفر، لو رآك الخليل لفرح بك، قرأ عليه عبيد الله بن جعفر الأسدي النحوي وغيره.

محمد بن سلام الجمحي

بن عبد الله بن سالم الجمحي البصري أبو عبد الله، كان من أعيان أهل الأدب، وألف كتاباً في طبقات الشعراء، وله غريب القرآن، وأخذ عن حماد بن سلمة ومبارك بن فضالة وجماعة. وروى عنه الإمام أحمد بن حنبل وابنه عبد الله وأبو العباس ثعلب وأحمد علي بن الأبار.
قال أبو خليفة: ابيضت لحية محمد بن سلام ورأسه وله سبع وعشرين سنه. وقال محمد بن أحمد بن يعقوب بن شبة: حدثنا جدي قال: كان محمد بن سلام له علم بالشعر والأخبار وهما من جملة علوم الأدب.

وقال الحسين بن فهم: قدم علينا محمد بن سلام سنة اثنتين وعشرين ومائتين فاعتل علة شديدة فما تخلف عنه أحد، وأهدى له الأجلاء أطباءهم، فكان ابن ما سويه من جملة من أهدى إليه، فلما جسه ونظر إليه قال له: لا أرى بك من العلة ما أرى بك من الجزع. فقال: والله ما ذاك على الدنيا مع اثنتين وسبعين سنة، ولكن الإنسان في غفلة حتى يوقظ بعلة. فقال ابن ماسويه: لا تجزع فقد رأيت في عرقك من الحرارة الغريزية ما إن سلمت ممن العوارض بلغك عشر سنين. قال ابن فهم: فوافق كلامه قدراً، فعاش محمد بن سلام بعد ذلك عشر سنين. وتوفي سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، وكان ذلك في السنة التي مات فيها الواثق وبويع المتوكل بن المعتصم؟ وقال موسى بن هارون: توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين.

محمد بن سليمان البغدادي

ابن قطر مش بن تركان شاه أبو نصر، البغدادي المولد السمرقندي الأصل، النحوي اللغوي الأديب، أحد أدباء عصرنا، واعيان أولي الفضل بمصرنا، تجمعت فيه أشتات الفضائل، وقد أخذ من كل فن من العلم بنصيب وافر، وهو من بيت الإمارة، وكانت له اليد الباسطة في حل إقليدس وعلم الهندسة مع اختصاصه التام بالنحو واللغة وأخبار الأمم والأشعار، خلف له والده أموالاً كثيرة فضيعها في القمار واللعب بالنرد، حتى احتاج إلى الوراقة فكان يورق بأجرة بخطه المليح الصحيح المعتبر، فكتب كثيراً من الكتب حتى ذكر الإمام الناصر فولاه حاجب الحجاب، فلم يزل بها إلى أن مات في ربيع الآخر سنة عشرين وستمائة، ومولده في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة، وله شعر رائق فمن ذلك:

ولا الذي سخر قلبي لها ... عبد كما سخرني قلبها
ما فرحي في حبها غير أن ... زين عندي هجرها قلبها

محمد بن طويس القصري

أبو الطيب، هو من النحويين المعتزلة، أحد تلاميذ أبي علي الفارسي، أملي عليه المسائل القصريات وبه سميت، وأظنه من قصر ابن هبيرة من نواحي الكوفة، وقرأت في المفاوضة أنه لما كان حدثاً كان أبوة علي الفارسي يتعشقه ويخصه بالطرف ويحرص على الإملاء عليه والالتفات إليه، مات شاباً.

محمد بن حمدان الدلفي العجلي

أبو الحسن النحوي من أصحاب أبي الحسن علي الرماني كان نحوياً فاضلاً بارعاً، شرح ديوان المتنبي ومات بمصر سنة ستين وأربعمائة.

محمد بن عبد الله بن قادم

أبو جعفر النحوي، كان حسن النظر في علل النحو، وكان يؤدب ولد سعيد بن قتيبة الباهلي، وكان من أعيان أصحاب الفراء وأخذ عنه ثعلب. حكى عنه قال: وجه إلي إسحاق ابن إبراهيم المصعبي يوماً فأحضرني ولم أدر ما السبب، فلما قربت من مجلسه تلقاني ميمون بن إبراهيم كاتبه على الرسائل وهو على غاية الهلع والجزع، فقال لي بصوت خفي: إنه إسحاق، ومر غير متلبث حتى رجع إلى مجلس إسحاق فراعني ذلك، فلما مثلت بين يديه قال لي: كيف يقال: وهذا المال مال أوهذا المال مالاً؟ قال: فعلمت ما أراد ميمون، فقلت: الوجه مال، ويجوز مالاً، فأقبل إسحاق على ميمون يغلطه وقال: الزم الوجه في كتبك ودعنا من يجوز ويجوز ورمى بكتاب كان في يده، فسألت عن الخبر، فإذا ميمون قد كتب إلى المأمون – وهو ببلاد الروم عن إسحاق وذكر مالاً حمله إليه – وهذا المال مالاً. فخط المأمون على الموضع من الكتاب ووقع بخطه على الحاشية: تخاطبني بلحن؟ فقامت القيامة على إسحاق، فكان ميمون بعد ذلك يقول: لا أدري كيف ابن قادم أبقى على روحي ونعمتي.

وحكى عن أحمد بن إسحاق بن بهلول: أنه دخل هو وأخوه بغداد فدار على الحلق يوم الجمعة فوقف على رجل يتلهب ذكاء ويجيب عن كل مت يسأل عنه من مسائل الأدب والقرآن فقلنا: من هذا؟ قالوا ثعلب، فبين نحن كذلك، إذ ورد شيخ يتوكأ على عصا فقال لأهل الحلقة أفرجوا للشيخ فأفرجوا له حتى جلس إلى جانبه، ثم إن سائلاً سأل ثعلباً عن مسألة فقال: الرؤاسي فيها كذا، وقال الكسائي كذا، وقال الفراء كذا، وقال هشام كذا، وقلت أنا كذا، فقال له الشيخ: لا أراني اعتقد فيها إلا جوابك، فالحمد لله الذي بلغني فيك هذه المنزلة. فقلنا: من هذا الشيخ؟ فقيل: أستاذه ابن قادم، وكان ابن قادم يعلم المعتز قبل الخلافة،

فلما ولي بعث إليه فقيل له: أجب أمير المؤمنين، فقال أليس هو ببغداد يعني المستعين؟ فقالوا: لا وقد ولي المعتز، وكان قد حقد عليه بطريق تأديبه له، فخشي من بادرته، فقال لعياله: عليكم السلام، فخرج ولم يرجع إليهم وذلك في سنة إحدى وخمسين ومائتين، وله من الكتب: الكافي في النحو، المختصر فيه أيضاً، وكتاب غرائب الحديث.

محمد بن عبد الله بن محمد

بن أبي الفضل أبوة عبد الله المرسي السلمي، شرف الدين الأديب النحوي، المفسر المحدث الفقيه أحد أدباء عصرنا، أخذ من النحو والشعر بأوفر نصيب، وضرب فيه بالسهم المصيب، وخرج التخاريج، وتكلم على المفصل للزمخشري، وأخذ عليه عدة مواضع بلغني أنها سبعون موضعاً أقام على خطئها البرهان، واستدل على سقمها ببيان، وله عدة تصانيف، خرج من بلاد المغرب سنة سبع وستمائة، ودخل مصر وسار إلى الحجاز ودخل مع قافلة الحجاج إلى بغداد، وأقام بها يسمع ويقرأ الفقه والخلاف والأصلين بالنظامية، ورحل إلى خراسان ووصل إلى مرو الشاهجان، وسمع بنيسابور وهراة ومرو، ولقي المشايخ وعاد إلى بغداد، وأقام بحلب ودمشق ورأيته بالموصل، ثم حج ورجع إلى دمشق ثم عاد إلى المدينة فأقام على الإقراء. ثم انتقل إلى مصر وأنابها سنة أربع وعشرين وستمائة ولزم النسك والعبادة والانقطاع.

أخبرني أن مولده بمرسية سنة سبعين وخمسمائة، وأنه قرأ القرآن على ابن غلبون وغيره، والنحو على أبي الحسن علي ين يوسف بن شريك الداني، والطيب بن محمد بن الطيب النحوي، والشلوبيني، وتاج الدين الكندي، والأصول على إبراهيم بن دقماق والعميدي، والخلاف على معين الدين الجاجرمي، وسمع الحديث الكثير بواسط من ابن عبد السميع، ومن ابن المانداني ومشيخته، وبهمذان من جماعة، وبنيسابور صحيح مسلم من المؤيد الطوسي وجزءا من ابن نجيد، ومن منصور بن عبد المنعم الفراوي، وأم المؤيد زينب بنت الشعري، وبهراة من ابن روح الهروي، وبمكة من الشريف يونس بن يحيى الهاشمي، وكان نبيلاً ضريراً يحل بعض مشكلات إقليدس، وحدث بكتاب السنن الكبرى للبيهقي عن منصور بن عبد المنعم الفراوي، وبكتاب غريب الحديث للخطابي، صنف الضوابط النحوية في علم العربية، والإملاء على المفصل، وتفسيراً للقرآن سماه ري الظمآن في تفسير القرآن كبير جداً قصد فيه ارتباط الآي بعضها ببعض، وكتاباً في أصول الفقه والدين، وكتاباً في البديع والبلاغة، وله تفسير القرآن الأوسط عشرة أجزاء، وتفسير القرآن الصغير ثلاثة أجزاء، ومختصر صحيح مسلم، والكافي في النحو وتعليق الموطأ وتعاليق أخرى، وكان كثير الشيوخ والسماع. وحدث بالكثير بمصر والشام والعراق والحجاز، وكانت له كتب في البلاد التي ينتقل فيها بحيث لا يستصحب كتباً في سفره اكتفاء بما له من الكتب في البلد الذي يسافر إليه، وله النظم الرائق، والنثر الفائق، فمن شعره قوله:

من كان يرغب في النجاة فما له ... غير اتباع المصطفى فيما أتى
ذاك السبيل المستقيم وغيره ... سبل الغواية والضلالة والردى
فاتبع كتاب الله والسنن التي ... صحت فذاك إذا اتبعت هو الهدى

ودع السؤال بكم وكيف فإنه ... باب يجر ذوي البصيرة للعمى
ألدين ما قال النبي وصحبه ... والتابعون ومن مناهجهم قفا
وقال أيضاً:
قالوا فلان أزال بهاءه ... ذاك العذار وكان بدر تمام
فأجبتهم: بل زاد نور بهائه ... ولذا تضاعف فيه فرط غرامي
إستقصرت ألحاظه فتكاتها ... فأتى العذار يمدها بسهام
وقال:

قالوا محمد قد كبرت وقد أتى ... داعي المنون وما اهتممت بزاد
قلت: الكريم من القبيح لضيفه ... عند القدوم مجيئه بالزاد

محمد بن عبد الله بن محمد بن موسى

أبو عبد الله الكرماني النحوي الوراق، كان عالماً فاضلاً عارفاً بالنحو واللغة، مليح الخط صحيح النقل يورق بالأجرة، قرأ على ثعلب وخلط المذهبين، وله من الكتب: الموجز في النحو، وكتاب آخر فيه لم يتم، والجامع في اللغة ذكر فيه ما أغفله الخليل في العين، وما ذكر أنه مهمل وهو مستعمل وقد أهمل، وكان بينه وبن ابن دريد مناقضة، مات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة

محمد بن عبد الله أبو الخير

الضرير المروزي النحوي، كان فقيهاً فاضلاً أديباً لغوياً نحوياً، تفقه على القفال المروزي فبرع في الفقه، واشتهر في النحو واللغة والأدب.
قال السمعاني. كان من أصحاب الرأي فصار من أصحاب الحديث بصحبته الإمام أبا بكر القفال، سمع الحديث منه ومن أبي نصر الحمودي، وروى عنه القاضي الحافظ أبو منصور السمعاني، وكان إذا دخل في داره يقرأ عليه الفقهاء الأدب والباب مردود، فإذا اجتاز به القفال راكباً وسمع صوت حافر فرسه على الأرض قام إلى داخل الدار لئلا يسمع الصوت القفال تعظيماً للأستاذ. مات أبو الخير سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة.
والمروزي هذا هو المعروف بالمسعودي عند الشافعية، وقد يلقبونه بأبي عبد الله وهو أحد أئمتهم، معدود من أقران شيخه القفال، وله شرح على مختصر المازني عمدة في المذهب. ومن شعره:
تنافى المال والعقل ... فما بينها شكل
هما كالورد والنر ... جس لا يحويهما فصل
فعقل حيث لا مال ... وما حيث لا عقل

محمد بن عبد الله

خطيب القلعة الفخرية أبو عبد لله المعروف بالخطيب الإسكافي، الأديب اللغوي صاحب التصانيف الحسنة أحد أصحاب ابن عباد الصاحب، وكان من أهل أصبهان وخطيباً بالري.
قال ابن عباد: فاز بالعلم من أهل أصبهان ثلاثة: حائك وحلاج وإسكاف. فالحائك أبو المرزوقي. والحلاج أبو منصور ماشد، والإسكاف أبو عبد الله الخطيب. وصنف كتاب غلط كتاب العين، والغرة تتضمن شيئاً من غلط أهل الأدب، ومبادئ اللغة وشوهد كتاب سيبويه، ونقد الشعر، ودرة التنزيل وغرة التأويل في الآيات المتشابهة، وكتاب لطف التدبير في سياسات الملوك وغير ذلك، توفي سنة عشرين وأربعمائة.

محمد بن عبد الرحمن

بن محمد بن مسعود ابن احمد بن الحسين بن مسعود أبو سعيد البندهي، وكان يكتب بخطه البنجديهي، اللغوي الفقيه الشافعي، من أهل الفضل والأدب والدين والورع. ورد بغداد ثم الشام وحصل له سوق نافقة وقبول تام عند صلاح الدين بن أيوب، وأقبلت عليه الدنيا فحصل كتباً لم تحصل لغيره ووقفها بخانقاه السميساطي، وأكثرها من خزنة كتب حلب التي أباح له السلطان صلاح الدين أن يأخذ منها ما شاء، وكان البنجديهي يعلم الملك الأفضل أبا الحسن علي بن صلاح الدين وحدث وأملى بالشام، وصنف شرحاً لمقامات الحريري في خمس مجلدات متوسطة استوعب وأحسن فيها ما شاء، ولد في وقت الغروب ليلة الثلاثاء غرة ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة، ومات بدمشق في ليلة السبت التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربعة وثمانين وخمسمائة، وكان كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات

قالت عهدتك تبكي ... دماً حذار التنائي
فلم تعوضت عنا ... بعد الدماء بماء؟
فقلت ما ذاك مني ... لسلوة أو عزاء
لكن دموعي شابت ... من طول عمر بكائي

محمد بن عبد الملك بن زهر

ابن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأندلسي الإشبيلي أبو بكر، ولد بإشبيلية ونشأ بها، وحفظ القرآن وسمع الحديث، واقبل على الأدب واللغة والعربية فبرع في ذلك كله، وعانى الشعر فبلغ الإجادة فيه، وكان يحفظ شعر ذي الرمة، وانفرد بالإجادة فينظم الموشحات التي فاق بها أهل المغرب على أهل المشرق، ولازم عبد الملك الباجي سبع سنين، وقرأ عليه المدونة في مذهب مالك، وأخذ صناعة الطب عن أبيه أبي مروان عبد الملك، وباشر أعمالها ففاق أهل زمانه، وخدم بها دولة الملثمين في آخر عهدهم، ثم خدم بها دولة الموحدين بني عبد المؤمن. ومات في أول دولة الناصر محمد، وكان حسن المعالجة جيد التدبير لا يماثله أحد في ذلك، وكان صحيح البنية قوي الأعضاء، وبلغ الشيخوخة ولم يفقد قوة عضو من أعضائه إلا

ثقلاً في السمع اعتراه في أواخر عمره.

حكى أبو مروان محمد بن احمد الباجي أن أبا بكر بن زهر كان شديد البأس يجذب قوساً مائة وخمسين رطلاً بالإشبيلي وهو ست عشرة أوقية، وكان يحسن اللعب بالشطرنج بارعاً فيه، ولد سنة سبع وخمسمائة، وتوفي بمراكش سنة خمس وتسعين وخمسمائة، وقيل في أول سنة ست وتسعين، ودفن بمقابر الشيخ وقد ناهز التسعين.

ومن شعر الوزير أبي بكر بن زهر قوله:

إني نظرت إلى المرآة إذ جليت ... فأنكرت مقلتاي كل ما رأتا

رأيت فيها شييخاً لست أعرفه ... وكنت أعهده من قبل ذاك الفتى

فقلت أين الذي بالأمس كان هنا ... متى ترحل عن هذا المكان متى؟

فاستجهلتني وقالت لي وما نطقت ... قد كان ذاك وهذا بعد ذاك أتى

كان الغواني يقلن يا أخي ولقد ... صار الغواني يقلن اليوم يا أبتا

وقال في كتاب حيلة البرء لجالينوس وأجاد:

حيلة البرء صنفت لعليل ... يترجى الحياة أو لعليله

فإذا جاءت المنية قالت ... حيلة البرء: ليس في البرء حيلة

ومن موشحاته قوله:

أيها الشاكي إليك المشتكي ... قد دعوناك وإن لم تسمع

ونديم همت في غرته وشربت الراح من راحته كلما استيقظت من سكرته

جذب الزق إليه واتكا ... وسقاني أربعاً في أربع

غصن بان مال من حيث استوى بات من يهواه من فرط الجوى خفق الأحشاء موهون القوى

كلما فكر في البين بكى ... ما له يبكي بما لم يقع

ليس لي صبر ولا لي جلد يا لقوم هجروا واجتهدوا أنكروا شكواي مما أجد

إن مثلي حقه أن يشتكي ... كمد اليأس وذل الطمع

ما لعيني عشيت بالنظر أنكرت بعدك ضوء القمر وإذا ما شئت فاسمع خبري

قرهت عيني من طول البكا ... وبكا بعضي على بعضي معي

كبد حرى ودمع يكف يعرف الذنب ولا يعترف أيها المعرض عما أصف

قد نما حبك عندي وزكا ... لا يظن الحب أني مدعي

ومن موشحاته أيضاً:

شاب مسك الليل كافور الصباح ... ووشت بالروض أعراف الرياح

فاسقنيها قبل نور الفلق وغناء الورق بين الورق كاحمرار الشمس عند الشفق

نسج المزج عليها حين لاح ... فلك اللهو وشمس الاصطباح

وغزال سامني بالملق وبرى جسمي وأذكى حرقي أهيف مذ سل سيق الحدق

قصرت عنه مشاهير الصفاح ... وانثنت بالذعر أغصان الرماح
صار بالذل فؤادي كلفا وجفوني ساهرات وطفا كلما قلت جوى الحب انطفا
أمرض القلب بأجفان صحاح ... وسبى العقل بجد ومزاح
يوسفي الحسن عذب المبتسم قمري الوجه ليلي اللمم عنتري البأس عبسي الهمم
غصني القد مهضوم الوشاح ... ما درى الوصل طائي السماح
قد بالقد فؤادي هيفاً وسبا عقلي لما انعطفا ليته بالوصل أحيا دنفا
مستطار العقل مقصوص الجناح ... ما عليه في هواه من جناح
يا علي أنت نور المقل جد بوصل منك لي يا أملي كم أغنيك إذا ما لحت لي
طرقت والليل ممدود الجناح ... مرحباً بالشمس من غير صباح
وقال أيضاً:
لله ما صنع الغرام بقلبه ... وأودى به لما ألم بلبه
لباه لما أن دعاه وهكذا ... من يدعه داعي الغرام يلبه

بأبي الذي لا يستطيع لعجبه ... رد السلام وإن شككت فعج به
ظبي من الأعراب ما ترك الضنا ... في لحظة من سلوة لمحبه
إن كنت تنكر ما جنى بلحاظه ... في سلبه يوم الغوير فسل به
أو شئت أن تلقى غزالاً أغيداً ... في سربه أسد العرين فسر به
ياما أميلحه وأعذب ريقه ... وأعزه وأذلني في حبه
بل ما أليطف وردة في خده ... وأرقها وأشد قسوة قلبه
كم من خمار دون خمرة ريقه ... وعذاب قلب دون رائق عذبه
نادى بنفسج عارضيه وقد بدا ... : يا عاشقين تمتعوا من قربه
وقال أيضاً:
مازلت اسقيهم وأشرب فضلهم ... حتى سكرت وناهم ما نالني
والخمر تعلم حين تأخذ ثارها ... أني أملت إناءها فأمالني
وقال أيضاً وأوصى أن يكتب على قبره:
تأمل بحقك يا واقفاً ... ولاحظ مكاناً دفعت إليه
فإني حذرت منه الأنا ... م وهأنا قد صرت رهناً لديه

محمد بن عبد الملك

أبو عبد الله الكلثومي النحوي من الفضلاء الكبراء علامة في الإعراب واللغة والحساب ومعرفة الأيام والأنساب والنجوم، دخل خوارزم مع عدة من الأدباء والشعراء حين ضاق بهم الحال بخراسان وأنشد بها:

تقول سعاد ما تغرد طائر ... على فنن إلا وأنت كئيب
أجارتنا إنا غريبان ههنا ... وكل غريب للغريب نسيب
أجارتنا إن الغريب وإن غدت ... عليه غوادي الصالحات غريب
أجارتنا من يغترب يلق للأذى ... نوائب تقذى عينه فيشيب
يحن إلى أوطانه وفؤاده ... له بين أحناء الضلوع وجيب د
سقى الله ربعاً بالعراق فإنه ... إلي وإن فارقته لحبيب
أحن إليه من خراسان نازعاً ... وهيهات لو أن المزار قريب
وإن حنيناً من خوارزم ينتهي ... إلى منتهى أرض العراق عجيب

محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم

أبو عمر الزاهد المطرز الباوردي غلام ثعلب اللغوي، من أئمة اللغة وأكابر أهلها وأحفظهم لها. قال أبو علي ابن أبي علي التنوخي عن أبيه: ومن الرواة الذين لم يرقط أحفظ منهم أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب، أملي من حفظه ثلاثين ألف ورقة في اللغة فيما بلغني، وكان لسعة حفظه يطعن بعض أهل الأدب ولا يوثقونه في علم اللغة، حتى قال عبيد الله بن أبي الفتح: لو طائر طار في الجو لقال أبو عمر الزاهد: حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئاً، وكان المحدثون يوثقونه.
قال الخطيب البغدادي: رأيت جميع شيوخنا يوثقونه ويصدقونه، وكان يسأل عن الشيء فيجيب عنه، ثم يسأل عنه بعد سنة فيجيب بذلك الجواب. ويروي أن جماعة من أهل بغداد اجتازوا على قنطرة الصراة وتذكروا ما يرمي له من الكذب فقال أحدهم: أنا أصحف له القنطرة وأساله عن معناها فننظر ما يجيب. فلما دخلوا عليه قال له الرجل: أيها الشيخ، ما الهرطنق عند العرب؟ فقال كذا وكذا، وذكر شيئاً فتضاحك الجماعة وانصرفوا، فلما كان بعد شهر أرسلوا إليه شخصاً آخر فسأله عن الهرطنق فقال: أليس قد سئلت عن هذه المسألة منذ كذا وكذا ثم قال: هو كذا وكذا كما أجاب أولاً، قال القوم: فما ندري من أي الأمرين نعجب، من حفظه إن كان علماً؟ أم من ذكائه إن كان كذباً؟ فإن كان علماً فهو اتساع عجيب، وإن كان كذباً فكيف تناول ذكاؤه المسألة وتذكر الوقت بعد أن مر عليه زمان فأجاب بذلك الجواب بعينه. وحكى أن معز الدولة بن بويه قلد شرطة بغداد غلاماً تركياً من مماليكه اسمه خواجا، فبلغ ذلك أبا عمر الزاهد وكان يملي كتابه اليواقيت في اللغة، فقال للجماعة في مجلس الإملاء: اكتبوا يا قوتة خواجا، الخواج في أصل اللغة: الجوع، ثم فرع هذا باباً وأملاه عليهم، فاستعظموا كذبه وتتبعوه، فقال أبو علي الحاتمي وكان من أصحابه: أخرجنا في أمالي الحامض عن ثعلب عن ابن الأعرابي: الخواج: الجوع.

وحكى رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن عمن حدثه: أن أبا عمر الزاهد كان يؤدب ولد القاضي أبي عمر محمد بن يوسف، فأملى على الغلام نحواً من ثلاثين مسألة في النحو، وذكر غريبها وختمها ببيتين من الشعر، وحضر أبو بكر بن دريد وأبو بكر بن الأنباري وأبو بكر ابن مقسم العطار المقرئ عند القاضي

أبي عمر، فعرض عليهم تلك المسائل فما عرفوا منها شيئاً وأنكروا الشعر، فقال لهم القاضي: ما تقولون فيها؟ فقال ابن الأنباري: أنا مشغول بتصنيف مشكل القرآن ولست أقول شيئاً. وقال ابن مقسم مثل ذلك واعتذر باشتغاله بالقراءات.

وقال ابن دريد: هذه المسائل من موضوعات أبي عمر الزاهد ولا أصل لشيء منها في اللغة وانصرفوا، فبلغ ذلك أبا عمر فاجتمع بالقاضي وسأله إحضار دواوين جماعة من قدماء الشعراء عينهم ففتح القاضي خزانته وأخرج له تلك الدواوين، فلم يزل أبو عمر الزاهد يعمد إلى كل مسألة منها ويخرج لها شاهداً من تلك الدواوين ويعرضه على القاضي حتى استوفى جميع المائل ثم قال: وهذان البيتان أنشدهما ثعلب بحضرة القاضي وكتبهما القاضي بخطه على ظهر الكتاب كما ذكر أبو عمر وانتهت القصة إلى ابن دريد، فلم يذكر أبا عمر الزاهد بلفظه إلى أن مات. وقال رئيس الرؤساء أيضاً: رأيت أشياء كثيرة مما أنكر على أبي عمر ونسب فيها إلى الكذب فوجدتها مدونة في كتب اللغة، وخاصة في الغريب المصنف لأبي عبيد.

وقالب أبو القاسم عبد الواحد بن علي بن رهان الأسدي: لم يتكلم في اللغة أحد من الأولين والآخرين بأحسن من كلام أبي عمر الزاهد، أخذ أبو عمر عن أبي العباس ثعلب وصحبه زماناً طويلاً فنسب إليه وعرف بغلام ثعلب، وأخذ عنه أبو علي الحاتمي الأديب الكاتب اللغوي، وأبو القاسم ابن برهان وغيرهما. وروى عنه أبو الحسن محمد بن رزقويه وأبو علي ابن شاذان وغيرهما. وقال أبو الحسن المرزباني: كان إبراهيم بن أيوب بن ماسي ينفذ إلى أبي عمر الزاهد كفايته وقتاً فقطع ذلك عنه مدة لعذر ثم أنفذ إليه جملة ما كان انقطع عنه، وكتب إليه رقعة يعتذر بها من تأخير رسمه فرده، وأمر بعض من كان عنده من أصحابه أن يكتب له على ظهر رقعته:

أكرمتنا فملكتنا ... وتركتنا فأرحتنا

وكانت صناعة أبي عمر الزاهد التطريز فنسب إليها، وكان جماعة من الأشراف والكتاب يحضرون مجلسه للسماع منه وكان قد جمع جزأ في فضائل معاوية، فكان لا يمكن احداً من السماع حتى يبتدئ بقراءة ذلك الجزء.

وعن محمد بن العباس بن الفرات قال: كان مولد أبي عمر الزاهد سنة إحدى وستين ومائتين، وقال الخطيب البغدادي: توفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة وذلك في خلافة المطيع لله. ودفن يوم الاثنين في الصفة التي تقابل قبر معروف الكرخي وبينهما عرض الطريق. وعن أبي الحسن ابن رزقويه: توفي سنة أربع وأربعين وثلاثمائة. والصحيح الأول. ولأبي عمر من الكتب: شرح الفصيح لثعلب، وفائت الفصيح جزء لطيف، واليواقيت في اللغة، والمرجان في اللغة، والكتاب الحضري في الكلمات، وغريب الحديث، صنفه على مسند أحمد بن حنبل، كتاب المكنون والمكتوم، وفائت المستحسن، وكتاب ما أنكره الأعراب على أبي عبيدة فيما رواه، والموشح، والسريع، والتفاحة، وفائت الجمهرة، وفائت العين، وتفسير أسماء القراء، والمداخل في اللغة، وحل المداخل، والنوادر، وكتاب العشرات، وكتاب البيوع، وكتاب الشورى، والمستحسن في اللغة، وكتاب القبائل، وكتاب يوم وليلة، وكتاب الساعات وغير ذلك، وأملي في آخر كتابه اليواقيت في اللغة قوله:

لما فرغنا من نظام الجوهرة ... إعورت العين وفض الجمهرة

ووقف الفصيح عند القنطره وعن أبي علي الحاتمي: أنه اعتل فتأخر عن مجلس أبي عمر فسأل عنه فقيل: إنه كان عليلاً، فجاءه من الغد يعوده، فاتفق انه كان قد خرج إلى الحمام فكتب على باب داره بالإسفيداج:

وأعجب شيء سمعنا به ... عليل يعاد فلا يوجد

قال وهو من شعره. وحدث عباس بن محمد الكلوذاي قال: سمعت أبا عمر الزاهد يقول: ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة، وفي قضائها رفعة، فاحمدوا الله تعالى على ذلك، وسارعوا في قضاء حوائجهم مسارهم تكافئوا عليه.

وحكى أبو الفتح عبيد الله بن أحمد النحوي: قال: أنشد أبو العباس اليشكري في مجلس أبي عمر الزاهد يمدحه:

أبو عمر يسمو من العلم مرتقى ... يزل مساميه ويردى مطاوله

ولو أنني أقسمت ما كنت حانثاً ... بأن لم ير الراؤون حبراً يعادله

هو الشخت جسماً والسمين فضيلة ... فأعجب بمهزول سمان فضائله

تدفق بحراً بالمسائل زاخراً ... تغيب عمن لج فيه سواحله

إذا قلت شارفنا أواخر علمه ... تفجر حتى قلت هذي أوائله

محمد بن عبيد الله بن الحسن بن الحسين

ابن أبي البقاء البصري، قاضي البصرة أبو الفرج النحوي، قدم بغداد وواسط، وقرأ الأدب على أبي غالب بن بشران وغيره، والفقه على القاضي أبي الطيب والشيخ أبي إسحاق الشيرازي والماوردي، وسمع بالأهواز من الحسين الخوزي، وبالبصرة من الفضل القصباني وعبيد الله الرقي والحسن بن رجاء وابن الدهان النحويين، وروى عن الماوردي كتبه كلها، وكان حافظاً للفقه حسن المذاكرة كثير القراءة، محتشماً عن السلاطين، وله تصانيف حسان منها: مقدمة في النحو، كتاب المتقعرين. توفي في تاسع عشر المحرم سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وسمع في مرضه يقول: ما أخشى أن الله يحاسبني أنني أخذت شيئاً من وقف أو مال يتيم.

محمد بن عبيد الله أبو الفتح

ابن التعاويذي، ويعرف أيضاً بسبط ابن التعاويذي، وكلاهما نسبة لجده لأمه أبي محمد المبارك بن المبارك بن السراج الجوهري المعروف بابن التعاويذي الزاهد، كان شاعر العراق في وقته، وكان كاتباً بديوان الأقطاع ببغداد، واجتمع به العماد الكاتب الأصفهاني لما كان بالعراق وصحبه مدة، فلما انتقل العماد إلى الشام واتصل بالسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب كان ابن التعاويذي يراسله، فكان بينهما مراسلات ذكر بعضها العماد في الخريدة، وعمي أبو الفتح في آخر عمره سنة تسع وسبعين وخمسمائة، وله في ذلك أشعار كثيرة يندب بها بصره وزمان سبابه. مدح السلطان صلاح الدين بثلاث قصائد أنفذها إليه من بغداد،

إحداها عارض بها قصيدة أبي المنصور علي ابن الحسن المعروف بصردر التي أولها:
أكذا يجازي كل قرين؟
فقال ابن التعويذي وأحسن ما شاء:

إن كان دينك في الصبابة ديني ... فقف المطي برملتي يبرين
والثم ثرى لو شارفت بي هضبه ... أيدي المطي لثمته بجفوني
وانشد فؤادي في الظباء معرضاً ... فبغير غزلان الصريم جنوني
ونشيدتي بين الخيام وإنما ... غالطت عنها بالظباء العين
لولا العدا لم أكن عن ألحاظها ... وقدودها بجآذر وغصون
لله ما اشتملت عليه قبابهم ... يوم النوى من لؤلؤ مكنون
من كل تائهة على أترابها ... في الحسن غانية عن التحسين
خود ترى قمر السماء إذا بدت ... ما بين سالفة لها وجبين
غادين ما لمعت بروق ثغورهم ... إلا استهلت بالدموع شؤوني
إن تنكروا نفس الصبا فلأنها ... مرت بزفرة قلبي المحزون
وإذا الركائب في المسير تلفتت ... فحنينها لتلفتي وحنيني
يا سلم إن ضاعت عهودي عندكم ... فأنا الذي استودعت غير أمين
أو عدت مغبوناً فما أنا في الهوى ... لكم بأول عاشق مغبون
رفقاً فقد عسف الفراق بمطلق ال ... عبرات في أسر الغرام رهين
مالي ووصل الغانيات أرومة ... ولقد بخلن علي بالماعون
وعلام أشكو والعهود نقضنها ... بلحاظهن إذا لوين ديوني
هيهات ما للغيد في حب امرئ ... أرب وقد أربي على الخمسين
ومن البلية أن تكون مطالبي ... جدوى بخيل أو وفاء خئون
ليت الضنين على المحب بوصلة ... ألف السماحة عن صلاح الدين
ملك إذا علقت يد بذمامه ... علقت بحبل في الوفاء متين
قاد الجياد معاقلاً وإن اكتفى ... بمعاقل من رأيه وحصون
سهرت جفون عداه خيفة فاتح ... خلقت صوارمه بغير جفون

لو أن لليث الهزبر سطاه لم ... يلجأ إلى غاب له وعرين
أضحت دمشق وقد حللت بجوها ... مأوى الضعيف وموئل المسكين
لك عفة في قدرة وتواضع ... في عزة وصرامة في لين
وأريتنا بجميل صنعك ما روى ال ... راوون عن أمم خلت وقرون
وضمنت أن تحي لنا أيامهم ... بالمكرمات فكنت خير ضمين

كاد الأعادي أن يصيبك كيدها ... لو لم تكدك برأيها المأفون
تخفي عداوتها وراء بشاشة ... فتشف عن نظر لها مشفون
دفنت حبائل مكرها فرددتها ... تبلى بغيظ صدورها المدفون
وعلمت ما أخفوا كأن قلوبهم ... أفضت إليك بسرها المخزون
فهوت نجوم سعودهم وقضى لهم ... بالنحس طائر جدك الميمون
وأما قصيدته الثانية فهي:
حتام أرضي في هواك وتغضب ... وإلى متى تجني علي وتعتب؟
ما كان لي لولا ملالك زلة ... لما مللت زعمت أني مذنب
خذ في أفانين الصدود فإن لي ... قلباً على العلات لا يتقلب
أتظنني أضمرت يوماً سلوة ... هيهات عطفك من سلوى أقرب
لي فيك نار جوانح لا تنطفي ... شوقاً وماء مدامع لا ينضب
أنسيت أياماً لنا وليالياً ... للهو فيها والخلاعة ملعب
أيام لا الواشي يش بتولهى ... بك للرقيب ولا العذول يؤنب
قد كنت تصفي المودة راكباً ... في الحب من أخطاره ما أركب
واليوم أقنع أن يمر بمضجعي ... في النوم طيف خيالك المتأوب
قالت وريعت من بياض مفارقي ... ونحول جسمي بان عنك الأطيب
إن تنقمي سقمي فخصرك ناحل ... أو تنكري شيبي فثغرك أشنب
يا طالباً بعد المشيب غضارة ... من عيشه ذهب الزمان المذهب
أتروم بعد الأربعين تعدها ... وصل الدمى؟ هيهات عز المطلب
لولا الهوى العذري يا دار الهوى ... ما هاج لي ذكراك برق خلب
كلا ولا استسقيت للطلل الحيا ... وندا صلاح الدين هام صيب
ثم مضى في المدح فأجاد وأحسن، وأما الثالثة فنكتفي بإيراد أبيات من مديحها قال:
فلا يضجرنك ازدحام الوفود ... عليك وكثرة ما تبذل
فإنك في زمن ليس فيه ... جواد سواك ولا مفضل
وقد قل في أهله المنعمون ... وقد كثر البائس المرمل
وما فيه غيرك من يستماح ... وما فيه إلاك من يسأل
وقال من قصيدة يندب بصره:
لقد رمتني رميت بالأذى ... بنكبة قاصمة الظهر
وأوترت في مقلة قلما ... علمتها باتت على وتر
جوهرة كنت ضنيناً بها ... نفيسة القيمة والقدر
إن أنا لم أبك عليها دماً ... فضلاً عن الدمع فما عذري؟

مالي لا أبكي على فقدها ... بكاء خنساء على صخر
وقال أيضاً في ذلك من أبيات:
حالان مستنى الحوا ... دث منها بفجيعتين
إظلام عين في ضيا ... ء من مشيب سرمدين
صبح وإمساء معاً ... لا خلفة فاعجب لذين
قد رحت في الدنيا من الس ... سراء صفر الراحتين
أسوان لا حي ولا ... ميت كهمزة بين بين
وقال أيضاً في ذلك من أبيات:
فهأنا كالمقبور في كسر منزلي ... سواء صباحي عنده ومسائي
يرق ويبكي حاسدي لي رحمة ... وبعداً لها من رقة وبكاء
وقال في الشيخوخة:
من شبه العمر بالكاس يرسو ... قذاه ويرسب في أسفله
فإني رأيت القذى طافياً ... على صفحة الكاس من أوله
وقال في الهرم أيضاً:
وعلو السن قد كس ... سر بالشيب نشاطي

كيف سموه علوا ... وهو أخذ في انحطاط
وقال في ذلك أيضاً:
أسفت وقد نفت عني الليالي ... جديداً من شباب مستعار
وكان يقيم عذري في زمان الص ... صبا لون الشبيبة في عذاري
ولم أكره بياض الشيب إلا ... لأن العيب يظهر في النهار
وقال أيضاً:
سقاك سار من الوسمي هتان ... ولا رقت للغوادي فيك أجفان
يا دار لهوى وإطرابي ومعهد أت ... رابي وللهو أوطار وأوطان
أعائد لي ماض من جديد هوى ... أبليته وشباب فيك فينان؟
إذ الرقيب لنا عين مساعدة ... والكاشحون لنا في الحب أعوان
وإذ جميلة توليني الجميل وعن ... د الغانيات وراء الحسن إحسان
ولي إلى البان من رمل الحمى طرب ... فاليوم لا الرمل يصيبني ولا البان
وما عسى يدرك المشتاق من وطر ... إذ بكى الربع، والأحباب قد بانوا
إن المغاني معان والمنازل أم ... وات إذا لم يكن فيهن سكان
لله كم قمرت لي بجوك أق ... مار وكم غازلتني فيك غزلان

وليلة بات يجلو الراح من يده ... فيها أغن خفيف الروح جذلان
خال من الهم في خلخاله حرج ... فقلبه فارغ والقلب ملآن
يذكي الجوى بارد من ريقه شبم ... ويوقد الظرف طرف منه وسنان
إن يمس ريان من ماء الشباب فلي ... قلب إلى ريقه المعسول ظمآن
بين السيوف وعينيه مشاركة ... من أجله قيل للأغماد أجفان
فكيف أصحوا غراماً أو أفيق جوى ... وقده ثمل بالتيه نشوان؟
أفديه من غادر بالعهد غادرني ... صدوده ودموعي فيه غدران
في خده وثناياه ومقلته ... وفي عذاريه للعشاق بستان
شقائق وأقاح نبته خضل ... ونرجس أنا منه الدهر سكران

وكان له راتب في الديوان فلما عمى طلب أن يجعل باسم أولاده، ثم كتب هذه القصيدة ورفعها إلى الخليفة الناصر التمس بها تجديد راتب مدة حياته:

خليفة الله أنت بالدين والد ... نيا وأمر الإسلام مضطلع
أنت لما سنه الأئمة أع ... لام الهدى مقتف ومتبع
قد عدم العدم في زمانك والجو ... ر معاً والخلاف والبدع
فالناس في الشرع والسياسة وال ... إحسان والعدل كلهم شرع
يا ملكاً يردع الحوادث وال ... أيام عن ظلمها فترتدع
ومن له أنعم مكررة ... لنا مصيف منها ومرتبع
أرضى قد أجدبت وليس لمن ... أجدب يوماً سواك منتجع
ولي عيال لا در درهم ... قد أكلوا دهرهم وما شبعوا
إذا رأوني ذا ثروة جلسوا ... حولي ومالوا إلي واجتمعوا
وطالما قطعوا حبالي إع ... راضاً إذا لم تكن معي قطع
يمشون حولي شتى كأنهم ... عقارب كلما سعوا لسعوا
فمنهم الطفل والمراهق والر ... ضيع يجبو والكهل واليفع
لا قارح منهم أؤمل أن ... ينالني خيرة ولا جذع
لهم حلوق تفضي إلى معد ... تحمل في الأكل فوق ما تسع
من كل رحب المعاء أجوف نا ... ري الحشا لا يمسه الشبع
لا يحسن المضغ فهو يطرح في ... فيه بلا كلفة ويبتلع
ولي حديث يلهي ويعجب من ... يوسع لي خلقه ويستمع
نقلت رسمي جهلاً إلى ولد ... لست بهم ما حييت أنتفع
نظرت في نفعهم وما أنا في اج ... تلاب نفع الأولاد مبتدع
وقلت هذا بعدي يكون لكم ... فما أطاعوا أمري ولا سمعوا

واختلسوه مني فما تركوا ... عيني عليه ولا يدي تقع
فبئس والله ما صنعت فأض ... ررت بنفسي وبئس ما صنعوا
فإن أردتم أمراً يزول به ال ... خصام من بيننا ويرتفع
فاستأنفوا لي رسماً أعود على ... ضنك معاشي به فيتسع
وإن زعمتم أني أتيت بها ... خديعة فالكريم ينخدع
حاشا لرسم الكريم ينسخ من ... نسخ دواوينكم فينقطع
فوقعوا لي بما سألت فقد ... أطمعت نفسي واستحكم الطمع
ولا تطيلوا معي فلست ولو ... دفعتموني بالراح أندفع
وحلفوني ألا تعود يدي ... ترفع في نقله ولا تضع

وكل شعر أبي الفتح غرر وديوانه كبير يدخل في مجلدين، جمعه بنفسه قبل أن يضر وافتتحه بخطبة لطيفة ورتبه على أربعة أبواب، وما حدث من شعره بعد المعي سماه الزيادات، وهي ملحقة ببعض نسخ ديوانه المتداولة، وبعض النسخ خلو منها.

وله كتاب سماه الحجبة والحجاب في مجلد كبير ونسخه قليلة. ولد أبو الفتح بن التعاويذي في اليوم العاشر من رجب سنة تسع عشرة وخمسمائة، وتوفي في ثاني شوال سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ببغداد ودفن في مقبرة باب أبرز.

محمد بن عثمان بن بلبل

أبو عبد الله. لغوي نحوي، صحب السيرافي والفارسي وروى عنه كتابه الحجة في القراءات، وسمعه ابن بشران النحوي، وقرأ على ابن خالويه وبرع في الشعر والأدب، وتوفي يوم الجمعة لسبع بقين من رمضان سنة عشر وأربعمائة، ومن شعره يمدح الوزير سابور

أضحى الرجاء لبرق جودك شائماً ... وارتاد روض الحمد وهفاً ناعما
سميت نفسي غذ رجوتك واثقاً ... ودعوتها لك مذ خدمتك خادما
فمتى أقوم بشكر نعمتك التي ... عقدت علي من الخطوب تمائما
لا زال جدك للعدو مزاحماً ... يعلو وآناف البغاة رواغما

محمد بن عثمان بن مسيح

أبو بكر المعروف بالجعد، الشيباني النحوي، أحد أصحاب أبي الحسن بن كيسان، كان من العلماء الفضلاء مقدماً في النحو واللغة والأدب، وله من الكتب: كتاب الألفات، والناسخ والمنسوخ، كتاب معاني القرآن، كتاب القراءات، المختصر في النحو، كتاب الهجاء، كتاب المقصور والممدود، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب العروض، كتاب خلق الإنسان، كتاب الفرق، مات سنة نيف وعشرين وثلاثمائة.

محمد بن علي بن إبراهيم بن زبرج

أبو المنصور بن أبي البقاء البغدادي، قرأ النحو على أبي السعادات هبة الله بن علي بن الشجري، واللغة على أبي منصور موهوب بن أحمد الجواليقي، وسمع الحديث من جده لأمه أبي العباس أحمد بن القاسم بن قريش، وأبي القاسم هبة الله ابن الحصين، وأبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري، سمع منه القاضي أبو المحاسن عمر بن علي بن الخضر القرشي، وأبو المفاخر محمد بن محفوظ الجرباذقاني، وعبد الرحمن بن يعيش بن سعدان القواريري، كان إماماً في النحو والعلوم العربية وتصدر للقراء، وكتب الخط المليح مع الصحة والضبط، وكان بينه وبين أبي محمد بن الخشاب البغدادي النحوي منافرات ومناظرات، ولد في ربيع الأول سنة أربع وثمانين، ومات يوم الثلاثاء خامس عشر جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة.

محمد بن علي بن أحمد

أبو عبيد الله الحلي المعروف بابن حميدة النحوي، كانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة، قرأ على أبي محمد بن الخشاب البغدادي ولازمه حتى برع في علم العربية، وصنف كتباً منها: شرح أبيات الجمل لأبي بكر بن السراج، شرح اللمع لابن جني، وشرح المقامات الحريرية، وكتاب التصريف، والروضة في النحو، والأدوات في النحو أيضاً، وكتاب الفرق بين الضاد والظاء، ومولده سنة ست وثمانين وأربعمائة، ومات سنة خمسين وخمسمائة، أنشدني أبو الحسن علي بن نصر بن هارون الحلي قال: أنشدني محمد بن علي بن حميدة الحلي لنفسه:

سلام على تلك المعاهد والربا ... وأهلاً بأرباب القباب ومرحبا
وسقياً لربات الحجال وأهلها ... ورعياً لأرباب الخدور بيثربا
أحن لتيك الحجال وإن غدت ... ربائبها تبدي إلي التجنبا

وأصبوا لربع العامرية كلما ... تذكرت من جرعائها لي ملعبا
فلا هم إلا دون همي غدوة ... إذا جرت النكباء أوهبت الصبا

محمد بن أبي سارة علي

أبو جعفر الرؤاسي ابن أخي معاذ الهراء، وسمي الرؤاسي لعظم رأسه، كان إماماً في النحو بارعاً في العربية، وهو أستاذ أبي الحسن علي بن حمزة الكسائي.

قال أبو محمد درستويه: زعم أبو العباس بن يحيى ثعلب: أن أول من وضع من الكوفيين كتاباً في النحو أبو جعفر الرؤاسي وكان يقول: كان الرؤاسي أستاذ الكسائي والفراء، وقال أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء: لما خرج الكسائي إلى بغداد قال لي الرؤاسي: قد خرج الكسائي إلى بغداد وأنت أميز منه، فجئت إلى بغداد فرأيت الكسائي فسألته عن مسائل الرؤاسي فأجابني بخلاف ما عندي، فغمزت قوماً من علماء الكوفيين

كانوا معي فقال الكسائي: مالك قد أنكرت؟ لعلك من أهل الكوفة فقلت نعم، فقال: الرؤاسي يقول كذا وكذا وليس صواباً، فقد سمعت العرب تقول كذا وكذا حتى أتى على مسائل الرؤاسي فلزمته.
وحكى عن الرؤاسي أنه قال: أرسل إلي الخليل بن أحمد يطلب كتابي فبعثته إليه فقرأه ووضع كتابه، وكان أبو جعفر الرؤاسي رجلاً صالحاً ورعاً، وله تصانيف كثيرة منها: كتاب معاني القرآن، كتاب الوقف والإبتداء الكبير، كتاب الوقف والابتداء الصغير، والفيصل في العربية، وكتاب التصغير وغير ذلك.

محمد بن علي بن إسماعيل العسكري

أبو بكر المعروف بمبرمان النحوي، أخذ عن المبرد وعن أبي إسحاق إبراهيم الزجاج وأكثر عنه، وأخذ عنه أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي وأبو علي الفارسي، وكان إماماً في النحو قيماً به، وكان مع علمه وفضله سخيفاً إذا أراد أن يمضي لمصلحة طرح نفسه في طبق حمال وشده بحبل، وربما كان معه ما يتنقل به نحو نبق وغيره فيأكل ويرمي الناس بالنوى يتعمد رؤوسهم، وربما بال على رأس الحمال فإذا قيل له في ذلك اعتذر، وقال بعض معاصريه يهجوه:

صداع من كلامك يعترينا ... وما فيه لمستمع بيان
مكابرة ومخرقة وبهت ... لقد أبرمتنا يا مبرمان

وكان المبرد يقول: تلاميذ أبي رجلان: أحدهما التكلاباذي يقرأ على أبي ثم يقول: قال المازني فيعلو، والآخر مبرمان يقرأ عليه ثم يقول: قال الزجاج فيسفل. وكان أبو بكر مبرمان ضنيناً بالقراءة عليه، لا يقرئ كتاب سيبويه إلا بمائة دينار، فقصده أبو هاشم الجبائي لقراءة الكتاب عليه فقال له مبرمان: قد عرفت الرسم؟ فقال أبو هاشم نعم، ولكن أسألك النظرة وأحمل إليك شيئاً يساوي أضعاف الرسم فأودعه عندك إلى أن يصل إلي مال لي في بغداد فأحمله إليك واسترد الوديعة، فتمنع قليلاً ثم أجابه، فعمد أبو هاشم إلى زنفيلجة حسنة مغشاة بالأدم محلاة فملأها حجارة وقفلها وختمها وحملها إلى مبرمان فوضعها بين يديه، فلما رأى منظرها وثقلها لم يشك في حقيقة ما ذكره، فوضعها عنده وأخذ عنه، فلما ختم الكتاب قال له المبرمان: احمل إلي مالي قبلك. فقال: أنفذ معي غلامك حتى أدفع إليه الرسم. فأنفذه معه إلى منزله، فلما جاء أبو هاشم إلى بيته كتب إلى مبرمان رقعة يقول فيها: قد تأخر حضور المال وأرهقني السفر، وقد أبحت لك التصرف في الزنفيلجة وهذا خطي لك حجة بذلك. وخرج أبو هاشم لوقته إلى البصرة ومنها إلى بغداد، فلما وصلت الرقعة إلى مبرمان استدعى بالزنفيلجة وفتحها فإذا فيها حجارة فقال: سخر منا أبو هاشم – لا حياه الله – واحتال علي بما لم يتم لغيره.
ولمبرمان من الكتب: شرح كتاب سيبويه لم يتم، وشرح شواهد سيبويه، كتاب المجموع على العلل، والتلقين في النحو، والمجاري، كتاب صفة شكر المنعم، وشرح كتاب الأخفش وغير ذلك، توفي سنة خمس وأربعين وثلاثمائة.

محمد بن علي بن الحسين بن عمر

أبو الحسن بن أبي الصقر الواسطي، كان فقيهاً أديباً شاعراً تفقه في بغداد على أبي إسحاق الشيرازي، وعلق عنه تعليقات وسمع منه ومن أبي بكر الخطيب وأبي سعد المتولي، وروى عنه أبو غالب الذهلي والحافظ محمد بن ناصر الدين، وأبو منصور موهوب الجواليقي وغيرهم، وكان شديد التعصب لمذهب الإمام الشافعي، وظهر ذلك في قصائد المعروفة بالشافعية، وغلب عليه الأدب والشعر فبرع فيهما، وجود الخط فبلغ فيه الغاية وجمع ديوانه في مجلد، ومن شعره:

من عارض الله في مشيئته ... فما لديه من بطشه خبر
لا يقدر الخلق باجتهادهم ... إلا على ما جرى به القدر

وقال أيضاً:

كل رزق ترجوه من مخلوق ... يعتريه ضرب من التعويق
وأنا قائل واستغفر ال ... له مقال المجاز لا التحقيق
لست أرضى من فعل إبليس شيئاً ... غير ترك السجود للمخلوق

وقال:

من قال لي جاه ولي حشمة ... ولي قبول عند مولانا
ولم يعد ذاك بنفع على ... صديقه لا كان من كانا

وقال وقد طعن في السن وعجز عن المشي:

كل أمر إذا تفكرت فيه ... أو تأملته رأيت ظريفاً
كنت أمشي على اثنتين قوياً ... صرت أمشي على ثلاث ضعيفا

وحضر عزاء طفل وهو يرتعش من الكبر، فتغامز عليه الحاضرون يشيرون إلى موت الطفل وطول حياته مع هذه السن، ففطن لهم وقال:

إذا دخل الشيخ بين الشباب ... عزاء وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضاً على الله إذ ... توفي الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن دهر ... وما بين ذلك: هذا المصير

وقال أيضاً:

علة سميت ثمانين عاماً ... منعتني للأصدقاء القياما
فإذا عمروا تمهد عذري ... عندهم بالذي ذكرت وقاما

وقال:

ابن أبي الصقر افتكر ... وقال في حال الكبر
والله لولا بولة ... تحرقني وقت السحر
لما ذكرت أن لي ... ما بين فخذي ذكر

وقال:

وحرمة الود مالي عندكم عوض ... لأنني ليس لي في غيركم غرض
أشتاقكم وبودي لو يواصلني ... لكم خيال ولكن لست أغتمض
وقد شرطت على صحب صحبتهم ... بأن قلبي لكم من دونهم فرضوا
ومن حديثي بكم قالوا: به مرض ... فقلت: لا زال عني ذلك المرض
وقال:
ولما إلى عشر تسعين صرت ... ومالي إليها أب قبل صارا
تيقنت أني مستبدل ... بداري داراً والجار جارا
فتبت إلى الله مما مضى ... ولن يدخل الله من تاب نارا
وكان مولد ابن أبي الصقر في ذي القعدة سنة تسع وأربعمائة، وتوفي يوم الخميس رابع عشر جمادى الأولى سنة ثمان وستين وأربعمائة.

محمد بن علي بن عمر

أبو منصور بن الجبان، أحد حسنات الري وعلمائها الأعيان، جيد المعرفة باللغة، باقعة الوقت وفرد الدهر، وبحر العلم وروضة الأدب، تصانيفه سائرة في الآفاق، كان من ندماء الصاحب بن عباد ثم استوحش منه، وصنف أبنية الأفعال، وشرح الفصيح والشامل في اللغة، قرئ عليه في سنة ست عشرة وأربعمائة.
قال ابن مندة، قدم أصبهان فتكلم فيه من قبل مذهبه، وقرأ عليه مسند الروياني بسماعه من جعفر بن فناكي، وابتلى بحب غلام يقال له البركاني، فاتفق أن الغلام حج فلم يجد بداً من مرافقته، فلما أحرم قال: اللهم ليبك اللهم لبيك، والبركاني ساقني إليك، وأبتلى بفراقه وبرح به فكتب إليه:
يا وحشتي لفراقكم ... أترى يدوم على هذا؟
ألموت والأجل المتا ... ح وكل معضلة ولاذا
ومن كلامه: قياسات النحو تتوقف ولا تطرد كقميص له جربانات، فصاحبه كل ساعة يخرج رأسه من جربانة، ومن تصانيفه أيضاً: كتاب سماه انتهاز الفرص في تفسير المقلوب من كلام العرب، قرأه عليه عبد الواحد بن برهان، ومن شعره يمدح الصاحب بن عباد:
ليهنك الأهنآن الملك والعمر ... ما سير الأسيران الشعر والسمر
وطال عمر سناك المستضاء به ... ما عمر الأبقيان الكتب والسير
يفدي الورى كلهم كافي الكفاة فقد ... صفا به الأفضلان العدل والنظر
له مكارم لا تحصى محاسنها ... أيحسب الأكثران الرمل والشجر؟
لكيده النصر من دون الحسام وإن ... تمرد الأشجعان الترك والخزر
ما سار موكبه إلا ويخدمه ... في سيره الأسنيان الفتح والظفر

وإن أمر على طرس أناملـه ... أغضى له الأبهجان الوشي والزهر
دامت تقبلها صيد الملوك كما ... يقبل الأكرمان الركن والحجر

محمد بن علي

أبو سهل الهروي النحوي اللغوي، ولد في رمضان سنة اثنتين وسبعين وثلاثمائة، وأخذ عن صاحب الغريبين أبي عبيد أحمد بن محمد الهروي، وروي عنه وعن أبي يعقوب النجيرمي وأبي أسامة جنادة بن محمد النحوي رئيس المؤذنين بجامع عمرو، وله من الكتب: شرح الفصيح ومختصره، وكتاب أسماء الأسد، كتاب أسماء السيف. مات بمصر يوم الأحد ثالث المحرم سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة.

محمد بن علي

أبو بكر المراغي النحوي، قرأ علي أبي إسحاق إبراهيم الزجاج، وكان عالماً أديباً أقام بالموصل زمناً طويلاً، وله من الكتب: المختصر في النحو، وشرح شواهد الكتاب – كتاب سيبويه – .

محمد بن علي

أبو الحسن الدقيقي النحوي، ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة، أخذ عن أبي الحسن الرماني وغيره. وصنف المرشد في النحو، وكتاب المسموع من كلام العرب وغير ذلك.

محمد بن علي بن أبي مروان الأموي

أبن أخي المستنصر بالله الحكم بن عبد الرحمن الخليفة المرواني بالأندلس، كان أديباً فاضلاً شاعراً ومن شعره:

كم تصاب أردفته بتصاب ... واصطباح وصلته باغتباق
وكئوس أعطيتها بدر تم ... جل أن يعتريه نقص المحاق
وغصون جنيت منا ثماراً ... لم يشنها تساقط الأوراق
زمن لو بكيته حسب وجدي ... كنت أبكيه من دم الأحداق

وقال:

قد رضيت الهوى لنفسي خلا ... ورأيت الممات في الحب سهلا
وتذللت للحبيب وعز الصب ... ب في سنة الهوى أن يذلا
يأبى من أحل قتلي عمداً ... ومباح لسيدي ما استحلا
سوف أجزي الحبيب بالصد ودا ... مستجداً بالقطيعة وصلا
وإذا ما استزاد تيهاً وعجباً ... زدت طوعاً له خضوعاً وذلا

وقال:

تبدت بأكناف الحجاز ديارها ... فأوقد نار الوجد في القلب نارها

كأني بأنفاسي استمدت ضرامها ... وعن كبدي الحري تلظى استعارها

يحن إليها القلب حتى كأنما ... إليه تناهيها ومنه انتشارها

وقال:

لئن وعدتني وصلها وصل عاتب ... يجاحدني وعدي وينكرني حقي

فأفضل صوب الغيث في الأرض دافق ... وأبلغه ما جاء بالرعد والبرق

فإن ما نعتني فضل إنجاز موعد ... فإن الحيا الممنوع أشهى إلى الخلق

فلا كان لي في الأرض رزق أناله ... إذا لم يكن في نيل موعدها رزقي

وقال:

ومختطف للعين بت أشيمه ... مخالسة والليل حيران مطرق

سرى يخبط الظلماء حتى كأنه ... بوجدي يسري أو بقلبي يخفق

وقال:

غير مستنكر هموله دموعي ... في التصابي وغير بدع خشوعي

ليس عزي إلا فناء اعتزازي ... وارتقائي إلا بقاء خضوعي

وبحسبي أني ألاقي عذولي ... باصطبار عاص ودمع مطيع

وقال:

ولما حمى الشوق المبرح ناظري ... كراه حذاراً أن يريني مثاله

شربت عقاراً ذكرتني ريقه ... ونشوتها أهدت إلى خياله

فيا نشوة كانت على الصب نعمة ... أنالت يدي ما لم أؤمل نواله

وقال:

راجعه شوقه فحنا ... وشفه شجوه فأنا

وسال من دمعه مصون ... أظهر ما كان مستكنا

فعاد فيه الهوى يقينا ... وكان عند الرقيب ظنا

لو كان يلقى الذي ألاقي ... أوسعني رحمه وحنا

وقال:

بين أجفانها وبين ضلوعي ... نازعتني الحياة أيدي المنون

لست أدري أعن مدى طرفها الفا ... تن موتي أم طرفي المفتون؟

وقال:

يا ربيعي ما كان ضرك لوجد ... ت علينا كما يجود الربيع

ورده ذاهب ووردك باق ... وهو سمح به وأنت منوع

كن شفيعي إليك يا جنة الخلد ... فمالي غير الخضوع شفيع

محمد بن عمران بن موسى بن سعيد

ابن عبد الله المرزباني. أبو عبد الله الراوية الأخباري الكاتب، كان راوية صادق اللهجة، واسع المعرفة بالروايات كثير السماع، روى عن البغوي وطبقته، وأكثر روايته بالإجاز لكنه يقول فيها أخبرنا، وكان ثقة صدوقاً من خيار المعتزلة.

قال أبو القاسم الأزهري: كان المرزباني يضع المحبرة وقنينة النبيذ فلا يزال يكتب ويشرب. وقال القاضي الحسين بن علي الصيمري: سمعت المرزباني يقول: كان في داري خمسون ما بين لحاف ودواج معدة لأهل العلم الذين يبيتون عندي، وصنف كتباً كثيرة في أخبار الشعراء والأمم والرجال والنوادر، وكان حسن الترتيب لما يصنفه، يقال إنه أحسن تصنيفاً من الجاحظ، ولد في جمادى الآخرة سنة سبع وتسعين ومائتين، وتوفي سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة. وقال الخطيب: سنة أربع وثمانين وثلاثمائة.

وله من التصانيف: أخبار الشعراء المشهورين والمكثرين من المحدثين وأنسابهم وأزمانهم، وأولهم بشار بن برد وآخرهم ابن المعتز عشرة آلاف ورقة، أخبار أبي تمام نحو مائة ورقة، أخبار أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة أكثر من مائة ورقة، أخبار الأولاد والزوجات والأهل وما جاء فيهم من مدح وذم نحو مائتي ورقة، أخبار البرامكة من ابتداء أمرهم إلى انتهائه مشروحاً نحو خمسمائة ورقة، أخبار عبد الصمد بن المعذل الشاعر، أخبار محمد بن حمزة العلاف نحو مائة ورقة، أشعار النساء نحو ستمائة ورقة، أشعار الجن المتمثلين فيمن تمثل منهم بشعر أكثر من مائة ورقة، الأنوار والثمار فيما قيل الورد والنرجس وجميع الأنوار من الأشعار وما جاء فيها من الآثار والأخبار، ثم ذكر الثمار وجميع الفواكه وما جاء فيها، مستحسن النظم والنثر، تلقيح العقول أكثر من مائة باب وهو أكثر من ثلاثة آلاف ورقة، الرياض في أخبار المتيمين من الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين والمحدثين، شعر حاتم الطائي، كتاب الأزمنة ألف ورقة، ذكر فيه أحوال الفصول الأربعة والحر والغيوم والبروق والرياح والأمطار، وأوصاف الربيع والخريف وطرفاً من الفلك وأيام العرب والعجم وسنينهم وما يلحق بذلك من الأخبار والأشعار، كتاب الأوائل في أخبار الفرس القدماء وأهل العدل والتوحيد وشيء من مجالسهم نحو ألف ورقة، كتاب الدعاء نحو مائتي ورقة، كتاب ذم الحجاب نحو مائتي ورقة، كتاب ذم الدنيا نحو خمسمائة ورقة، كتاب الشباب والشيب نحو ثلاثمائة ورقة، كتاب الزهد وأخبار الزهاد، كتاب الشعر وهو جامع لفضائله وذكر محاسنه وأوزانه وعيوبه، وأجناسه وضروبه ومختاره وأدب قائليه ومنشديه، وبيان منحوله ومسروقه وغير ذلك، كتاب الفرج نحو مائة ورقة، كتاب العبادة نحو أربعمائة ورقة، كتاب المحتضرين نحو مائة ورقة، كتاب المراثي نحو خمسمائة ورقة، كتاب المغازي ثلاثمائة ورقة، كتاب نسخ العهود إلى القضاة نحو مائتي ورقة، كتاب الهدايا نحو ثلاثمائة ورقة، كتاب المديح في الولائم والدعوات نحو خمسمائة ورقة، المتوج في العدل وحسن السيرة أكثر من مائة ورقة، المرشد في أخبار المتكلمين نحو مائة ورقة، المستطرف في الحمقى والنوادر نحو ثلاثمائة ورقة، المشرف في حكم النبي صلى الله عليه وسلم وآدابه ومواعظه ووصاياه، المفضل في البيان والفصاحة نحو ثلاثمائة ورقة، المزخرف في

الإخوان والأصحاب أكثر من ثلاثمائة ورقة، المعجم ذكر فيه الشعراء على حروف المعجم فيه نحو خمسة آلاف اسم ألف ورقة، المقتبس في أخبار النحويين البصريين وأول من تكلم في النحو وأخبار القراء والرواة من أهل البصرة والكوفة نحو ثمانين ورقة، الموسع فيما أنكره العلماء على بعض الشعراء من كسر ولحن وعيوب الشعر ثلاثمائة ورقة، المنير في التوبة والعمل الصالح نحو أربعمائة ورقة، المفيد في أخبار الشعراء وأحوالهم في الجاهلية والإسلام وديانتهم ونحلهم نيف وخمسة آلاف ورقة، الموثق في أخبار الشعراء الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين على طبقاتهم نيف وخمسة آلاف ورقة، الواثق في وصف أحوال الغناء وأخبار المغنين والمغنيات الإملاء والأحرار وله غير ذلك.

أبو جعفر الكوفي النحوي

كان يؤدب عبد الله بن المعتز وكان نحوياً عارفاً بالقراءة والعربية بعيد النظر في البوادر، روى أنه حين كان يؤدب ابن المعتز أقرأه يوماً سورة والنازعات وقال له: إذا سألك أمير المؤمنين في أي سورة أنت؟ فقل له: أنا السورة التي تلي سورة عبس، فلما سأله أبوه المعتز عن ذلك قال له: أنا في السورة التي تلي عبس. فقال له: من علمك هذا؟ فقال: مؤدبي أبو جعفر فأمر له بعشرة آلاف درهم، وكان أبو جعفر عالماً بالحديث والأثر وثقه الحافظ علي بن عمر وغيره.

محمد بن عمر بن عبد العزيز

ابن إبراهيم بن عيسى بن مزاحم المعروف بابن القوطية الإشبيلي الأصل القرطبي أبو بكر اللغوي النحوي الأديب الشاعر، كان أعلم أهل زمانه باللغة والعربية إماماً مقدماً فيهما، وأروى أهل عصره للأشعار والأخبار لا يشق في ذلك غباره، ولا يلحق شأوه، وكان مع ذلك فقيهاً متمكناً حافظاً للحديث والآثار، غير أنه لم يكن له في ذلك أصول يرجع إليها فلم يكن ضابطاً للرواية، وكان ما يسمع منه من ذلك إنما يحمل على المعنى دون اللفظ، وكان كثيراً ما يقرأ عليه ما لا رواية له على سبيل الضبط والتصحيح، وكان مضطلعاً بأخبار الأندلس رواية لسير ملوكها وأمرائها وعلمائها وشعرائها، حافظاً لأخبارهم يملي ذلك عن ظهر قلبه، وكان أكثر ما يؤخذ عنه ويقرأ عليه كتب اللغة.

ولما دخل أبو علي القالي الأندلس اجتمع به، وكان يبالغ في تقديمه وتعظيمه حتى قال له الخليفة المستنصر الحكم بن عبد الرحمن: من أنبل من رأيته ببلدنا في اللغة؟ فقال: أبو بكر ابن القوطية، ومما كان يزيد علمه وفضله اتصافه بالزهد والتقوى والنسك، وكان في أول أمره ينظم الشعر بالغاً فيه حد الإجادة مع الإحسان في المطالع والمقاطع وتخير الألفاظ الرشيقة والمعاني الشريفة، ثم ترك ذلك وأقبل على النسك والانفراد.

قال الثعالبي: أخبرني أبو سعيد بن دوست قال: أخبرني الوليد بن بكر الفقيه: أن أبا بكر يحيى بن هذيل الشاعر زار يوماً ابن القوطية في ضيعة له بسفح جبل قرطبة وكان منفرداً فيه عن الناس فألفاه خارجاً منها فلما رآه ابن القوطية استبشر به. فبادره يحيى بن هذيل ببيت حضرة على البديهة فقال:

من أين أقبلت يا من لا شبيه له ... ومن هو الشمس والدنيا له فلك

فتبسم وأجابه مسرعاً بقوله:

من منزل يعجب النساك خلوته ... وفيه ستر على الفتاك إن فتكوا

قال ابن هذيل: فما تمالكت أن قبلت يده إذ كان شيخي وأستاذي، وكان الشعر أقل صنائعه لكثرة علومه وغرائبه. سمع أبو بكر ابن القوطية من قاسم بن أصبغ وابن الأغبش وأبي الوليد الأعرج ومحمد بن عبد الوهاب ابن مغيث، وسمع بقرطبة من طاهر بن عبد العزيز، وسمع بإشبيلية من محمد بن عبد الله بن الفرق وسعيد بن جابر وحسن ابن عبد الله الزبيدي وغيرهم، ولقي أكثر مشايخ عصره بالأندلس فأخذ عنهم وأكثر النقل من فوائدهم، وروى عنه الشيوخ والكهول وطال عمره، فسمع الناس منه طبقة بعد طبقة، ومن تصانيفه: كتاب تصاريف الأفعال وهو أول مصنف في ذلك، ثم تبعه ابن القطام السعدي فوضع كتابه على منواله، كتاب المقصور والممدود جمع فيه فأوعى فأعجز من بعده عن أن يأتوا بمثله، وفاق به من تقدمه، وله شرح أدب الكتاب، وتاريخ الأندلس وغير ذلك.

مات ابن القوطية يوم الثلاثاء لسبع بقين من ربيع الأول سنة سبع وستين وثلاثمائة بمدينة قرطبة، ودفن يوم الأربعاء وقت صلاة العصر بمقبرة قريش، والقوطية نسبة إلى القوط، وهم ينسبون إلى قوط بن حام بن نوح، كانوا بالأندلس من أيام إبراهيم عليه السلام، ومن شعر أبي بكر بن القوطية:

ضحى أناخوا بوادي الكلح عيسهم ... فأوردوها عشاء أي إيراد

أكرم به وادياً حل الحبيب به ... ما بين رند وخابور وفرصاد

يا وادياً سار عنه الركب مرتحلاً ... بالله قل أين سار الركب يا وادي؟

أبالغضا نزلوا أم للوى عدلوا ... أم عنك قد رحلوا خلفاً لميعادي؟

بانوا وقد أورثوا جسمي الضنا وكأن ... كان النوى لهم أولى بمرصاد

وقال:

ضحك الثرى وبدا لك استبشاره ... واخضر شاربه وطر عذاره

ورنت حدائقه وآزر نبته ... وتبسمت أنواره وثماره

واهتز قد الغصن لما أن كسى ... ورقاً كديباج يروق وإزاره

وتعممت صلع الربى بنيانها ... وترنمت في لحنها أطياره

محمد بن واقد

الواقدي المدني مولى الأسلميين، أحد أوعية العلم وصاحب التصانيف الكثيرة، وسمع من مالك بن أنس والثوري ومعمر بن راشد بن أبي ذؤيب وغيرهم، وروي عنه جماعة من الأعيان وكاتبه محمد بن سعد الزهري، وكان عارفاً برأي مالك وسفيان الثوري.

وقال أبو داود الحافظ: بلغني أن ابن المديني قال: كان الواقدي يروي ثلاثين ألف حديث غريب، وكان

ذلك إلى حفظه المنتهي في المغازي والسير والأخبار وأيام الناس والوقائع والفقه وغير ذلك، ولقي الواقدي ابن جريج وابن عجيلان ومعمراً وثور بن يزيد.

وقال الإمام إبراهيم الحربي: الواقدي أمين الناس على الإسلام. وقال البخاري: سكتوا عنه. وقال محمد بن إسحاق: والله لولا أنه عندي ثقة ما حدثت عنه. وقال مصعب بن الزبير: والله ما رأينا مثل الواقدي، وقال: أيضاً: الواقدي ثقة مأمون.

وقال الإمام إبراهيم الحربي: من قال إن مسائل مالك وابن أبي ذؤيب تؤخذ من أوثق من الواقدي فلا تصدقه. وقال الحافظ الدراوردي: الواقدي أمير المؤمنين في الحديث. وقال محمد بن سلام الجمحي: الواقدي علم دهره. وقال جابر ابن كردي: سمعت يزيد بن هارون يقول: الواقدي ثقة، ووثقه أيضاً أبو عبيد القاسم بن سلام.

وقال الخطيب في تاريخه: قدم الواقدي بغداد وولي قضاء الجانب الشرقي منها، وهو ممن طبق الأرض شرقها وغربها ذكره، ولم يخف على أحد عرف الأخبار أمره، وسارت الركبان بكتبه في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات وأخبار النبي صلى الله عليه وسلم والأحداث الكائنة في وقته وبعد وفاته، وكتب الفقه واختلاف الناس في الحديث وغير ذلك، وكان جواداً مشهوراً بالسخاء – انتهى – . وسئل معن القزاز عن الواقدي فقال: أنا أسأل عن الواقدي؟ والواقدي يسأل عني، يعني تحري الواقدي في معرفة الرجال.

قال المؤلف: وهو مع ذلك ضعفه طائفه من المحدثين كابن معين وأبي حاتم والنسائي وابن عدي وابن راهويه والدارقطني، أما في أخبار الناس والسير والفقه وسائر الفنون فهو ثقة بإجماع، وكان الرشيد قد ولاه القضاء بشرقي بغداد، ثم ولاه المأمون القضاء بعسكر المهدي وكان يكرم جانبه ويبالغ في رعايته، وكتب الواقدي إلى المأمون مرة يشكو ضائقة ركبه بسببها دين وعين مقداره، فوقع المأمون على قصته بخطه: فيك خلتان: سخاء وحياء، فالسخاء أطلق يديك بتبذير ما ملكت، والحياء حملك على أن ذكرت لنا بعض دينك، وقد أمرنا لك بضعف ما سألت، وإن كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فبجنايتك على نفسك، وإن كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك، فإن خزائن الله مفتوحة، ويده بالخير مبسوطة، وأنت حدثتني حين كنت على قضاء الرشيد: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير: يا زبير، إن مفاتيح الرزق بإزاء العرش، ينزل الله سبحانه وتعالى للعباد أرزاقهم على قدر نفقاتهم، فمن كثر كثر له، ومن قلل قلل عليه. قال الواقدي: نسيت الحديث، وكان تذكيره لي به أعجب من صلته.

وعن ابن أبي الأزهر قال: حدثني أبو سهل الداري عمن حدثه عن الواقدي قال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي وكنا كنفس واحدة فنالتني ضيقة شديدة وحضر العيد فقالت امرأتي: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس والشدة، وأما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزينوا في عيدهم وأصلحوا ثيابهم وهم على هذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت بشيء نصرفه في كسوتهم قال: فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علي بما حضر، فوجه إلى كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قراري إذ كتب إلى الصديق الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي، فوجهت إليه الكيس بحاله،

وخرجت إلى المسجد فأقمت فيه ليلى مستحيياً من امرأتي، فلما دخلت عليها وأخبرتها بما فعلت استحسنت ما كان مني ولم تعنفني عليه. فبينا أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي ومعه الكيس كهيئته فقال لي: أصدقني عما فعلته فيما وجهت إليك، فعرفته الخبر على وجهه فقال: إنك وجهت إلي وما أملك على الأرض إلا ما بعثت به إليك، وكتبت إلى صديقنا أسأله المواساة فوجه إلي كيسي بخاتمي، قال الواقدي: فتقاسمنا الكيس أثلاثاً ونمى الخبر إلى المأمون، فدعاني فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألفا دينار، وللمرأة ألف دينار.

وروى ابن سعد عن الواقدي أنه قال: ما من أحد إلا وكتبه أكثر من حفظه، وحفظي أكثر من كتبي وقال يعقوب بن شيبه: لما تحول الواقدي من الجانب الغربي يقال أنه حمل كتبه على عشرين ومائة وقر، وقيل كان له ستمائة قمطر كتب، ولد سنة ثلاثين ومائة، وتوفي عشية يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة سنة سبع ومائتين عن سبعة وسبعين عاماً ودفن في مقابر الخيزران. وله من الكتب: كتاب الاختلاف يحتوي على اختلاف أهل المدينة والكوفة في الشفعة والصدقة والعمرى والرقبى والوديعة وعلى كتب الفقه الباقية، كتاب غلط الحديث، كتاب السنة والجماعة وذم الهوى، كتاب ذكر القرآن، كتاب الآداب، كتاب الترغيب في علم القرآن، التاريخ الكبير، كتاب التاريخ والمغازي والبعث، أخبار مكة، كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب السقيفة وبيعة أبي بكر، كتاب سيرة أبي بكر ووفاته، كتاب الردة والدار، كتاب السيرة، كتاب أمر الحبشة والفيل، كتاب حرب الأوس والخزرج، كتاب المناكح، كتاب يوم الجمل، كتاب صفين، كتاب مولد الحسن والحسين، كتاب مقتل الحسين، كتاب فتوح الشام، كتاب فتوح العراق، كتاب ضرب الدنانير والدراهم، كتاب مراعي قريش والأنصار في القطائع ووضع عمر الدواوين، كتاب الطبقات، تاريخ الفقهاء.

محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد

أبو عبد الله الأزدي الحميدي الحافظ المؤرخ الأديب أصله من قرطبة، وولد بميورقة جزيرة بالأندلس قبل العشرين وأربعمائة، وكان يحمل على الكتف للسماع سنة خمس وعشرين وأربعمائة، وأول من سمع منه أبو القاسم أصبغ، وتفقه بابن أبي زيد القيرواني، وروى عنه رسالته ومختصر المدونة، ورحل سنة ثمان وأربعين وأربعمائة إلى المشرق فحج وسمع بمكة، وقدم مصر فسمع بها من الضراب والقراعي وغيرهما. وكان سمع بالأندلس من الحافظ ابن عبد البر، وأبي محمد بن حزم الظاهري ولازمه وقرأ عليه أكثر مصنفاته وأكثر من الأخذ عنه، وشهر بصحبته وكان على مذهبه إلا أنه لم يتظاهر بذلك، وسمع بإفريقية ودمشق، وأقام بواسط مدة ثم رجع إلى بغداد واستوطنها، وروى عن الخطيب البغدادي وكتب عنه أكثر مصنفاته، وروى عنه الأمير الحافظ الأديب أبو نصر علي بن ماكولا وقال: أخبرنا صديقنا أبو عبد الله الحميدي وهو من أهل العلم والفضل والتيقظ: لم أر مثله في عفته ونزاهته وورعه وتشاغله بالعلم. وقال بعض أكابر عصره ممن لقي الأئمة: لم تر عيناي مثل أبي عبد الله الحميدي في فضله ونبله ونزاهته وغزارة علمه، وحرصه على نشر العلم وبثه في أهله، وكان ورعاً ثقة إماماً في علم الحديث وعلله، ومعرفة متونه ورواته، محققاً في علم

الأصول على مذهب أصحاب الحديث، متبحراً في علم الأدب والعربية وكان يقول: ثلاثة أشياء من علوم الحديث يجب تقديم الاهتمام بها: العلل وأحسن كتاب صنف فيها كتاب الدارقطني، ومعرفة المؤتلف والمختلف، وأحسن كتاب وضع فيه كتاب الأمير أبي نصر بن ماكولا، ووفيات الشيوخ وليس فيها كتاب. وقد كنت أردت أن أجمع في ذلك كتاباً فقال لي الأمير ابن ماكولا: رتبه على حروف المعجم بعد أن رتبته على السنين.

قال أبو بكر بن طرخان: فشغله عنه الصحيحان إلى أن مات، توفي ببغداد ليلة الثلاثاء سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وأربعمائة، وكان أوصى مظفر بن رئيس الرؤساء أن يدفنه عند قبر بشر الحافي، فخالف وصيته ودفنه في مقبرة باب البزر، فلما مضت مدة رآه مظفر في النوم يعاتبه على مخالفته، فنقل في صفر سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى مقبرة باب حرب ودفن عند قبر بشر، ووجد كفنه حين نقل وبدنه طرياً تفوح منه رائحة الطيب.

صرف الحميدي جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس ألفه في بغداد وذكر في خطبته أنه كتبه من حفظه، وتاريخ الإسلام، والأماني الصادقة، وتسهيل السبيل إلى علم الترسيل، والجمع بين الصحيحين للبخاري ومسلم، وكتاب ذم النميمة، والذهب المسبوك في وعظ الملوك، وكتاب ما جاء من النصوص والأخبار في حفظ الجار، ومخاطبات الأصدقاء في المكاتبات واللقاء، وكتاب من ادعى الأمان من أهل الإيمان، ومن شعره:

كلام الله عز وجل قولي ... وما صحت به الآثار ديني
وما اتفق الجميع عليه بدءاً ... وعوداً فهو عن حق مبين
فدع ما صد عن هذا وهذا ... تكن منها على عين اليقين

وقال:

ألفت النوى حتى أنست بوحشتي ... وصرت بها لا بالصبابة مولعا
فلم أحص كم رافقت فيها مرافقاً ... ولم أحص كم يممت في الأرض موضعا
ومن بعد جوب الأرض شرقاً ومغرباً ... فلا بد لي م أن أوافي مصرعا

وقال:

لقاء الناس ليس يفيد شيئاً ... سوى الهذيان من قيل وقال
فأقلل من لقاء الناس إلا ... لأخذ العلم أو إصلاح حال

محمد بن فرج

أبو جعفر الغساني الكوفي النحوي، أخذ عن سلمة بن عاصم صاحب الفراء. وقال الداني: أخذ القراءة عن أبي عمرو الدوري وله عنه نسخة، وروي عنه الحروف أحمد بن جعفر بن عبيد الله ابن المنادي ومحمد بن الحسن النقاش، وأبو مزاحم الخاقاني وغيرهم.

محمد بن القاسم

وقيل ابن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء أبو عبد الله المعروف بأبي العيناء، الأخباري الأديب الشاعر، روي عن ابن عاصم النبيل، وسمع من الأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد الأنصاري والعتبي غيرهم، وحدث عنه الصولي ابن نجيح وأحمد بن كامل وآخرون، وكان فصيحاً بليغاً من ظرفاء العالم آية في الذكاء واللسن وسرعة الجواب، فمن لطائفه: أنه شكا تأخر أرزاقه إلى عبيد الله بن سليمان فقال له: ألم نكن كتبنا لك إلى ابن المدبر فما فعل في أمرك؟ قال جرني على شوك المطل، وحرمني ثمرة الوعد، فقال: أنت اخترته. فقال: وما علي وقد اختار موسى قومه سبعين رجلاً فما كان منهم رشيد، فأخذتهم الرجفةً، واختار النبي صلى الله عليه وسلم ابن أبي سرح كاتباً فلحق بالمشركين مرتداً، واختار علي بن أبي طالب أبا موسى الأشعري حكماً فحكم عليه. وحجبه بعض الأمراء ثم كتب إليه يعتذر منه فقال: تجبهني مشافهة وتعتذر إلى مكاتبة؟. وقال: أخجلني ابن صغير لعبد الرحمن بن خاقان قلت له: وددت أن لي ابناً مثلك قال: هذا بيدك، قلت: كيف ذلك؟ قال: تحمل أبي على امرأتك فتلد لك ابناً مثلي. وبلغه أن المتوكل قال: لولا أنه ضرير لنادمناه فقال: إن أعفاني من رؤية الأهلة وقراءة نقش الفصوص صلحت للمنادمة. ودخل على المتوكل في قصره المعروف بالجعفري سنة ست وأربعين ومائتين فقال له: ما تقول في دارنا هذه؟ فقال: إن الناس بنوا الدور في الدنيا، وأنت بنيت الدنيا في دارك، فاستحسن كلامه ثم قال له: كيف شربك للخمر؟ قال: أعجز عن قليله، وأفتضح عند كثيره. فقال له: دع هذا عنك ونادمنا فقال: أنا رجل مكفوف وكل من في مجلسك يخدمك وأنا محتاج أن أخدم، ولست آمن من أن تنظر إلي بعين راض وقلبك علي غضبان، أو بعين غضبان وقلبك راض، ومتى لم أميز بين هذين هلكت، فأختار العافية على التعرض للبلاء. فقال: بلغني عنك بذاء في لسانك، فقال: يا أمير المؤمنين، قد مدح الله تعالى وذم فقال: (نعم العبد أنه أواب)، وقال عز وجل: (همماز مشاء بنميم، مناع للخير معتد أثيم). وقال الشاعر:

إذا أنا المعروف لم أثن صادقاً ... ولم أشتم النكس اللئيم المذمما

ففيم عرفت الخير والشر باسمه؟ ... وشق لي الله المسامع والفما؟

قال: فمن أين أنت؟ قال من البصرة: قال: فما تقول فيها؟ قال: ماؤها أجاج، وحرها عذاب، وتطيب في الوقت الذي تطيب فيه جهنم. قرأت في تاريخ دمشق قال: قرأت على زاهر بن طاهر عن أبي بكر البيهقي: حدثنا أبو عبد الله الحافظ قال: سمعت عبد العزيز بن عبد الملك الأموي يقول: سمعت إسماعيل بن محمد النحوي يقول: سمعت أبا العيناء يقول: أنا والحافظ وضعنا حديث فدك وأدخلناه على الشيوخ في بغداد فقبلوه إلا ابن شيبة العلوي قال: لا يشبه آخر هذا الحديث أوله فأبي أن يقبله، وكان أبو العيناء يحدث بهذا بعد ما كان، وكان جد أبي العيناء الأكبر يلقى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأساء المخاطبة بينه وبينه، فدعا عليه بالعمى له ولولده من بعده، فكل من عمي من ولد أبي العيناء فهو صحيح النسب فيهم.

وقال المبرد: إنما صار أبو العيناء أعمى بعد أن نيف على الأربعين، وخرج من البصرة واعتلت عيناه فرمى فيهما بما رمى، والدليل على ذلك قول أبي البصير:

قد كنت خفت يد الزما ... ن عليك إذ ذهب البصر
ولم ادر أنك بالعمى ... تغنى ويفتقر البشر

وقال أحمد بن أبي دؤاد لأبي العيناء: ما اشد ما أصابك في ذهاب بصرك؟ قال أبدأ بالسلام، وكنت أحب أن أكون أنا المبتدئ وأحدث من لا يقبل على حديثي ولو رأيته لم أقبل عليه. فقال له ابن أبي دؤاد: أما من بدأك بالسلام فقد كافأته بجميل بيتك له، ومن أعرض عن حديثك إنما أكسب نفسه من سوء الأدب أكثر مما نالك من سوء الإعراض. وقال محمد بن خلف المرزبان: قال لي أبو العيناء: أتعرف في شعراء المحدثين رشيداً الرياحي؟ قال: فقلت لا. قال: بل هو القائل في:

نسب لابن قاسم ما تراث ... فهو للخير صاحب وقرين
أحول الهين والخلائق زين ... لا احولال بها ولا تلوين
ليس للمرء شائناً حول العي ... ن إذا كان فعله لا يشين

فقلت له: وكنت قبل العمى أحول؟ أمن السقم إلى البلى؟ فقال: هذا أظرف خبر تعرج به الملائكة إلى السماء اليوم. وقال: أيما أصلح، من السقم إلى البلى؟ أو حال العجوز أصلحها الله من القيادة إلى الزناء؟. وحمله بعض الوزراء على دابة فانتظر علفها فلما أبطأ عليه قال: أيها الوزير، هذه الدابة حملتني عليها أو حملتها علي. وقال له المتوكل: هل رأيت طالبياً الوجه؟ قال نعم: رأيت ببغداد – منذ ثلاثين – واحداً قال: نجده كان مؤاجراً وكنت أنت تقود عليه، فقال يا أمير المؤمنين: أو يبلغ هذا من فراغي أدع موالي مع كثرتهم وأقود على الغرباء؟ فقال المتوكل للفتح: أردت أن أشتفي منهم فاشتفي لهم مني. وقال له يوماً: إن سعيد بن عبد الملك يضحك منك فقال: إن الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. وقال له ابن ثوابة يوماً: كتمت أنفاس الرجال فقال: حيث كانوا وراء ظهرك. وقال له جناح بن سلمة يوماً: ما ظهورك وقد خرج توقيع أمير المؤمنين في الزنادقة؟ فقال له: أستدفع الله عنك وعن أصهارك. ودخل يوماً على عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وهو يلعب بالشطرنج فقال: في أي الحيزين أنت؟ فقال في حيز الأمير – أيده الله – وغلب عبيد الله فقال: يا أبا العيناء، قد غلبنا وقد أصابك خمسون رطل ثلج فقام ومضى إلى ابن ثوابة وقال: إن الأمير يدعوك، فلما دخلا قال: أيد الله الأمير، قد جئتك بجبل همذان وما سبذان ثلجاً فخذ منه ما شئت، وكان بينه وبين محمد بن مكرم مداعبة فسمع ابن مكرم أبا العيناء يقول في دعائه: يا رب سائلك، فقال يا ابن الفاعلة: ومن ليس سائله؟! وقال له ابن مكرم يوماً يعرض به: كم عدد المكدين بالبصرة؟ فقال له: مثل عدد البغائين ببغداد، وقال له ابن مكرم ذات يوم: هممت أن آمر غلامي أن يدوس بطنك فقال: الذي تخلفه على عيالك إذا ركبت، أو الذي تحمله على ظهرك إذا نزلت؟. وقال ابن مكرم يوماً: مذهبي الجمع بين الصلاتين فقال له: صدقت تجمع بينهما بالترك. وقيل له: ما تقول في محمد بن مكرم والعباس بن رستم؟ فقال: هما الخمر والميسر، إثمهما أكبر من نفعهما؟ وقال ابن مكرم له يوماً: أحسبك لا تصوم شهر رمضان، فقال له ويلك، وتدعني امرأتك الصوم؟ وبات ليلة عند ابن مكرم فجعل ابن مكرم يفسو عليه فقام أبو العيناء وصعد السرير فارتفع إليه فساؤه، فصعد إلى السطح فبلغته رائحته فقال: يابن الفاعلة، ما

فساؤك إلا دعوة مظلوم. وقدم إليه ابن مكرم يوماُ جنب شواء فلما جسه قال: ليس هذا جنباً، هذا شريجة قصب.

ومر يوماً على دار عدو له فقال: ما خبر أبي محمد؟ فقالوا كما تحب. قال: فمالي لا أسمع الرنة والصياح؟.

ووعده ابن المدبر بدابة فلما طالبه قال: أخاف أن أحملك عليها فتقطعني ولا أراك فقال: عدني أن تضم إليها حماراً لأواظب مقتضياً، ووعده يوماً أ يعطيه بغلاً فلقيه في الطريق فقال: كيف أصبحت يا أبا العيناء؟ فقال: أصبحت بلا بغل فضحك منه وبعث به إليه. وقالت له قينة: هب لي خاتمك وأذكرك به، فقال لها: اذكري أنك طلبته مني ومنعتك.

ولما استوزر صاعد عقب إسلامه صار أبو العيناء إلى بابه فقيل له يصلي، فعاد فقيل يصلي فقال: معذور، ولكل جديد لذة. وحضره يوماً ابن مكرم وأخذ يؤذيه ثم قال: الساعة والله أنصرف، فقال أبو العيناء: ما رأيت من يتهدد بالعافية غيرك. وقال له ابن الجماز المغني: هل تذكر سالف معاشرتنا؟ فقال: إذ تغنينا ونحن نستعفيك. ودخل على أبي الصقر إسماعيل بن بلبل الوزير فقال له: ما الذي أخرك عنا يا أبا العيناء؟ فقال: سرق حماري، فقال وكيف سرق؟ قال: لم أكن مع اللص فأخبرك. قال فهلا أتيتنا على غيره؟ قال: قعد بي عن الشراء قلة يساري، وكرهت ذل المكاري ومنه العواري. وقيل له إلى متى تمدح الناس وتهجوهم؟ فقال: ما دام المحسن بحسن والمسيء يسيء، وأعوذ بالله أن أكون كالعقرب تلسب النبي والذمي. ودخل على ابن ثوابة عقب كلام جرى بينه وبين الوزير أبي الصقر بن بلبل وكان ابن ثوابة تطاول على الوزير فقال به أبو العيناء: بلغني ما جرى بينك وبين الوزير، وما منعه من استقصاء الجواب إلا أنه لم يجد فيك عزا فيضعه، ولا مجداً فينقصه، وبعد: فإنه عاف لحمك أن يأكله، واستقل دمك أن يسفكه. فقال ابن ثوابة وما أنت والدخول بيني وبين هؤلاء يا مكدي؟ فقال: لا تنكر على ابن ثمانين قد ذهب بصره وجفاه سلطانه أن يعول على إخوانه فيأخذ من أموالهم، ولكن أشد من هذا من يستنزل الماء من أصلاب الرجال فيستفرغه في جوفه، فيقطع نسلهم ويعظم أوزارهم. فقال ابن ثوابة: ما تساب اثنان إلا غلب ألأمهما. فقال أبو العيناء: وبذا غلبت أبا الصقر بالأمس فأفحمه. وخاصم يوماً علوياً فقال له العلوي: تخاصمني وقد أمرت أن تقول: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد فقال: لكني أقول الطيبين الطاهرين فتخرج أنت. وقال له ابن الجهم يوماً: يا مخنث. فقال: (وضرب لنا مثلاً ونسى خلقه).

ولما وكل موسى بن عبد الملك الأصبهاني بنجاح بن سلمة ليستأديه ما عليه من الأموال عاقبه موسى فهلك ابن سلمة في المطالبة والعقاب، فلقي بعض الرؤساء أبا العيناء وقال له: ما عندك من خبر نجاح بن سلمة؟ فقال أبو العيناء: فوكزه موسى فقضى عليه. فبلغت كلمته موسى فلقيه وقال له: أبي تولع؟ والله لأقومنك، فقال له أبو العيناء: أتريد أن تقتلني كما قلت نفساً بالأمس؟.

وقال له العباس بن رستم يوماً: أنا أكفر منك فقال له: لأنك تكفر ومعك خفير مثل عبيد الله بن يحيى وابن أبي دؤاد، وأنا أكفر بلا خفارة.

وقال أبو العيناء: مررت يوماً في درب بسر من رأي، فقال لي غلام: يا مولاي، في الدرب حمل سمين

والدرب خال، فأمرته أن يأخذه وغطيته بطيلساني وصرت إلى منزلي، فلما كان من الغد جاءتني رقعة من بعض رؤساء ذلك الأرب مكتوب فيها: جعلت فداك ضاع لنا بالأمس حمل فأخبرني صبيان دربنا أنك أنت أخذته فأمر برده متفضلاً، فكتب إليه: يا سبحان الله! ما أعجب هذا الأمر، مشايخ دربنا يزعمون أنك بغاء وأكذبهم أنا ولا أصدقهم، وتصدق أنت صبيان دربك أني أخذت الحمل؟ قال: فسكت ولم يعاودني.

وقال له رجل من بني هاشم: بلغني أنك بغاء فقال: وما أنكرت من ذلك مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مولى القوم منهم)، فقال الهاشمي: إنك دعي فينا. قال بغائي صحيح نسبي فيكم. ولقيه. بعض الكتاب في السحر فقال متعجباً من بكوره: يا أبا عبد الله، أتبكر في مثل هذا الوقت؟ فقال له أبو العيناء: أتشاركني في الفعل وتنفرد بالتعجب؟ ودعا أبو العيناء سائلاً ليعيشه فلم يدع شيئاً إلا أكله فقال له: يا هذا دعوتك رحمه فاتركني رحمة. ووقف عليه رجل من العامة فلما أحس به قال: من هذا؟ قال: رجل من بني آدم، قال أبو العيناء: مرحباً بك – أطال الله بقاءك – ، كنت أظن أن هذا النسل قد انقطع.

وكتب إلى بعض الرؤساء وقد وعده بشيء فلم ينجزه: ثقتي بك تمنعني من استطبائك، وعلمي بشغلك يدعوني إلى تذكيرك، ولست آمن –مع استحكام ثقتي بطولك والمعرفة بعلو همتك – اختزام الأجل، فإن الآجال آفات الآمال – فسح الله في أجلك – وبلغك منتهى أملك، والسلام. وغداة ابن مكرم يوماً فقدم إليه عراقاً فلما جسه قال: قدركم هذه طبخت بالشطرنج. وقدم يوماً إليه قدراً فوجدها كثيرة العظام فقال له: هذه أم قبر؟ وأكل عنده يوماً فسقى على المائدة ثلاث شربات باردة ثم استقى فسقى شربة حارة فقال: لعل مزملتكم تعتريها حمى الربع.

ودخل يوماً على المتوكل فقدم إليه طعام فغمس أبو العيناء لقمته في خل كان حاضراً وأكلها فتأذى بالحموضة وفطن المتوكل له فجعل يضحك، فقال لا تلمني يا أمير المؤمنين، فقد محت حلاوة الإيمان من قلبي.

وأكل يوماً عند بعض أصحابه طعاماً وغسل يده عشرات مرات فلم تنق فقال: كادت هذه القدر أن تكون إلا نسباً وصهراً.

وقال له رجل من ولد سعيد بن مسلم: إن أبي يبغضك، فقال: يا بني لي أسوة بآل محمد صلى الله عليه وسلم. واعترضه يوماً أحمد بن سعيد فسلم عليه فقال له أبو العيناء: من أنت؟ قال: أنا أحمد بن سعيد. فقال: إني بك لعارف، ولكن عهدي بصوتك يرتفع إلى من أسفل، فما له ينحدر علي من علو؟ قال: لأني راكب فقال: عهدي بك وأنت في طمرين لو أقسمت على الله في رغيف لأعضك بم تكره.

ودق إنسان عليه الباب فقال: من هذا؟ قال أنا، فقال أنا والدق سواء.

وذكر يوماً ولد موسى بن عيسى فقال: كأن أنوفهم قبور نصبت على غير قبلة. وقيل له: لم اتخذت خادمين أسودين؟ قال: أما أسودان، فلئلا أتهم بهما، وأما خادمان فلئلا يتهما بي.

وقال يوماً لابن ثوابة: إذ شهدت على الناس ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يكسبون، شهد عليك أنتن عضو فيك.

وقال ابن ثوابة يوماً: أما والله أحبك بكل جوارحي، فقال أبو العيناء: إلا بعضو واحد – أيدك الله – فبلغ ذلك ابن أبي دؤاد فقال: قد وفق في التحديد عليه. سئل يوماً عن مالك بن طوق فقال: لو كان في بني إسرائيل حين نزلت آية البقرة ما ذبحوا غيره.

وقال أبو العيناء: أنا أول من أظهر العقوق بالبصرة قال لي أبي يا بني: إن الله تعالى قرن طاعته بطاعتي فقال: (اشكر لي ولوالديك)، فقلت له: يا أبت، إن الله ائتمنني عليك ولم يأتمنك علي، فقال تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق). وقال له عبيد الله بن سليمان: اعذرني فإني مشغول عنك فقال له: إذا فرغت لم أحتج إليك، يعني إذا عزل. ووضع أبو العيناء كتاباً في ذم أحمد بن الخطيب حكى فيه: أن جماعة من الفضلاء اجتمعوا في مجلس وكل منهم يكره ابن الخصيب لما كان فيه من الفدامة والجهالة والتغفل، فتجاذبوا أطراف الملح في ذمه فقال أحدهم: كان جهله غامراً لعقله، وسفهه قاهراً لحلمه. وقال آخر: لو كان دابة لتقاعس في عنانه، وحرن في ميدانه. وقال آخر: كنت إذا وقع لفظه في سمعي أحسست النقصان في عقلي.

وقال بعض كتابه: كنت أرى قلم ابن الخصيب يكتب بما لا يصيب، ولو نطق بنوك عجب. وقال إبراهيم ابن المدبر: كنت يوماً عنده فقدم الطعام وفيه هليون فأكب عليه فقلت له: أراك راغباً في الهليون فقال: إنه يزيد الباه. وقال آخر: لو غابت عنه العافية لنسيها. وقال أبو العيناء في آخر هذا التصنيف: كان ابن الخصيب إذا ناظر شغب، وربما رفس من ناظره إذا عجز عن الجواب، وخفي عليه الصواب، واستولت عليه البلادة، وعرى كلامه عن الإفادة، وكان إذا دنوت منه غرك، وإن بعدت عنه ضرك، فحياته لا تنفع، وموته لا يضر.

وقال أبو الخطيب في تاريخه: أخبرنا الأزهري، أخبرنا محمد بن جعفر التميمي، أخبرنا الصولي عن أبي العيناء قال: سبب تحولي من البصرة أني رأيت غلاماً ينادي عليه بثلاثين ديناراً يساوي ثلاثمائة دينار، فاشتريته وكنت أبني داراً فأعطيته عشرين ديناراً لينفقها على الصناع، فأنفق عشرة واشترى بعشرة ملبوساً له فقلت ما هذا؟ فقال: لا تجعل فإن أرباب المروءات لا يعتبون على غلمانهم هذا، فقلت في نفسي: أنا اشتريت الأصمعي ولم أدر، ثم أردت أن أتزوج امرأة سراً من بنت عمي فاستكتمته ودفعت إليه ديناراً يشتري به حوائج وسمكاً هازباً فاشترى غيره فغاظني فقال: رأيت بقراط يذم الهازبا فقلت: يا ابن الفاعلة، لم أعلم أني اشتريت جالينوس، فضربته عشر مقارع فأخذني وضربني سبعاً وقال: يا مولاي، الأدب ثلاث، وإنما ضربتك سبعاً قصاصاً. قال فرميته فشججته فذهب إلى بنت عمي وقال: الدين النصيحة ومن غشنا فليس منا. إن مولاي قد تزوج واستكتمني فقلت: لا بد من تعريف مولاتي الخبر فضربني وشجني. فمنعتني بنت عمي دخول الدار وحالت ما بيني وبين ما فيها، وما زالت كذلك حتى طلقت المرأة، وسمته بنت عمي الغلام الناصح، فلم يمكني أن أكلمه فقلت: أعتق هذا وأستريح، فلما أعتقته لزمني وقال: الآن وجب حقك علي، ثم إنه أراد الحج فزودته فغاب عشرين يوماً ورجع وقال: قطع الطريق ورأيت حقك قد وجب. ثم أراد الغزو فجهزته، فلما غاب بعت مالي بالبصرة وخرجت منها خوفاً أن يرجع.

ولد أبو العيناء بالأهواز سنة إحدى وتسعين ومائة، وتوفي ببغداد في جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ومائتين، وقيل سنة اثنتين وثماني ومائتين.

وقال ابنه أبو جعفر: مات أبي لعشرة ليال خلون من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

ومن شعره:

إن يأخذ الله من عيني نورهما ... ففي لساني وسمعي منهما نور

قلب ذكي وعقل غير ذي خطل ... وفي فمي صارم كالسيف مأثور

وقال:

حمدت إلهي إذ بلاني بحبها ... على حول يغني عن النظر الشذر

نظرت إليها والرقيب يظنني ... نظرت إليه فاسترحت من العذر

وقال يهجو أسد بن جوهر:

تعس الزمان لقد أتى بعجاب ... ومحا رسوم الظرف والآداب

وافي بكتاب لو انبسطت يدي ... فيهم رددتم إلى الكتاب

جيل من الأنعام إلا أنهم ... من بينها خلقوا بلا أذناب

لا يعرفون إذا الجريدة جردت ... ما بين عياب إلى عتاب

أو ما ترى أسد جوهر قد غدا ... متشبهاً بأجلة الكتاب

فإذا أتاه مسائل في حاجة ... رد الجواب له بغير جواب

وسمعت من غث الكلام ورثه ... وقبيحه باللحن والإعراب

ثكلتك أمك هبك من بقر الفلا ... ما كنت تغلط مرة بصواب!

وقال في الوزير أحمد بن الخصيب:

قل للخليفة يا ابن عم محمد ... أشكل وزيرك إنه ركال

قد أحجم المتظلمون مخافة ... منه وقالوا ما نروم محال

ما دام مطلقة علينا رجله ... أو دام للنزق الجهول مقال

قد نال من أعراضنا بلسانه ... ولرجله بين الصدور مجال

إمنعه من ركل الرجال وإن ترد ... مالا فعند وزيرك الأموال

وقال:

ألحمد لله ليس لي فرس ... ولا على باب منزلي حرس

ولا غلام إذا هتفت به ... بادر نحوي كأنه قبس

إبني غلامي وزوجتي أمتي ... ملكنيها الملاك والعرس

غنيت باليأس واعتصمت به ... عن كل فرد بوجهه عبس

فما يراني ببابه أبداً ... طلق المحيا سمح ولا شرس

وقال:

من كان يكلك درهمين تعلمت ... شفتاه أنواع الكلام فقالا
وتقدم الفصحاء فاستمعوا له ... ورأيته بن الورى مختالا
لولا دراهمه التي في كيسه ... لرأيته شر البرية حالا
إن الغني إذا تكلم كاذباً ... قالوا صدقت وما نطقت محالا
وإذا الفقير أصاب قالوا لم يصب ... وكذبت يا هذا وقلت ضلالا

إن الدراهم في المواطن كلها ... تكسو الرجال مهابة وجلالا
فهي اللسان لمن أراد فصاحة ... وهي السلاح لمن أراد قتالا
وقال:
تولت بهجة الدنيا ... فكل جديدها خلق
وخان الناس كلهم ... فما أدري بمن أثق
رأيت معالم الخيرا ... ت سدت دونها الطرق
فلا حسب ولا أدب ... ولا دين ولا خلق
وقال:
ألم تعلمي يا عمرك الله أنني ... كريم على حين الكرام قليل
وإني لا أخزي إذ قيل مقتر ... جواد وأخزي أن يقال بخيل
وإلا يكن عظمي طويلاً فإنني ... له بالخصال الصالحات وصول
إذا كنت في القوم الطوال فضلتهم ... بطولي لهم حتى يقال طويل
ولا خير في حسن الجسوم وطولها ... إذا لم يزن طول الجسوم عقول
وكائن رأينا من جسوم طويلة ... تموت إذا تحيهن أصول
ولم أر كالمعروف أما مذاقه ... فحلو وأما وجهه فجميل
وقال:
يا ويح هذي الأرض ما تصنع ... أكل حي فوقها تصرع؟
تزرعهم حتى إذا ما أتوا ... أشدهم تحصد ما تزرع

محمد بن القاسم

ابن محمد بن بشار بن الحسين بن بيان بن سماعة بن فروة ابن قطن بن دعامة أبو بكر بن الأنباري، النحوي اللغوي الأديب، كان من أعلم الناس بنحو الكوفيين وأكثرهم حفظاً للغة، وكان صدوقاً زاهداً متواضعاً فاضلاً، أديباً ثقة خيراً من أهل السنة حسن الطريقة، أخذ عن أبي العباس ثعلب وخلق.
وروى عنه الدارقطني وجماعة وكتب عنه وأبودحي، وكان يملي في ناحية من المسجد وأبوه في ناحية أخرى، ومرض فعاده أصحابه فرأوا من انزعاج والده أمراً عظيماً فطيبوا نفسه فقال: كيف لا أنزعج وهو يحفظ

جميع ما ترون، وأشار إلى خزانة مملوءة كتباً.
وقال أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي: كان أبو بكر ابن الأنباري يحفظ ثلاثمائة ألف بيت شاهداً في القرآن، وكان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً بأسانيدها. وقال له أبو الحسن العروضي: قد أكثر الناس في حفظك فكم تحفظ؟ فقال ثلاثة عشر صندوقاً. قال: وسألته جارية الراضي يوماً عن تعبير رؤيا فقال: أنا حاقن ثم مضى من يومه فحفظ كتاب الكرماني في التعبير وجاء من الغد وقد صار معبراً للرؤيا.
وقال حمزة بن محمد طاهر الدقاق: كان أبو بكر بن الأنباري يملي كتبه المصنفة ومجالسه المشتعلة على الحديث والتفسير والأخبار والأشعار كل ذلك من حفظه. وقال محمد ابن جعفر التميمي. أما أبو بكر بن الأنباري فما رأينا أحفظ منه ولا أغزر منه علماً، وكان يحفظ ثلاثة عشر صندوقاً وهذا مما لم يحفظه أحد قبله ولا بعده.
وقال أبو العباس يونس النحوي: كان أبو بكر آية من آيات الله تعالى في الحفظ، وكان أحفظ الناس للغة والشعر. وحكى أبو الحسن الدارقطني: أنه حضر مجلس إملائه في يوم جمعة فصحف اسماً أورده في إسناد حديث، إما كان حبان فقال حيان. قال الدارقطني: فأعظمت أن يحمل عن مثله في فضله وجلالته وهم وهبت أن أوقفه على ذلك، فلما فرغ من إملائه تقدمت إليه فذكرت له وهمه، وعرفته صواب القول فيه وانصرفت، ثم حضرت الجمعة الثانية مجلسه فقال أبو بكر للمستملي: عرف جماعة الحاضرين أنا صحفنا الاسم الفلاني لما أملينا حديث كذا في الجمعة الماضية، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب وهو كذا، وعرف ذلك الشاب أنا رجعنا إلى الأصل فوجدناه كما قال.

وقال أحمد بن يوسف الأصبهاني: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت: يا رسول الله، عمن آخذ علم القرآن؟ فقال عن أبي بكر الأنباري. وقال أبو الحسن العروضي: اجتمعت أنا وأبو بكر بن الأنباري عند الراضي بالله على الطعام وكان الطباخ قد عرف ما يأكل أبو بكر، وشوى له قلية يابسة قال: فأكلنا نحن ألوان الطعام وأطايبه وهو يعالج تلك القلية، ثم فرغنا وأتينا بحلوى فلم يأكل منها فقمنا وملنا إلى الخيش، فنام بين يدي الخيش ونمنا نحن في خيشين ولم يشرب ماء إلى العصر، فلما كان بعد العصر قال: يا غلام، الوظيفة، فجاءه بماء من الجب وترك الماء المزمل بالثلج فغاظني أمره وصحت: يا أمير المؤمنين، فأمر بإحضاري وقال: ما قصتك؟ فأخبرته وقلت: يا أمير المؤمنين، يحتاج هذا إلى أن يحال بينه وبين تدبير نفسه لأنه يقتلها، ولا يحسن عشرتها، فضحك وقال له: في هذا لذة وقد جرت له به عادة وصار آلفاً لذلك فلن يضره، ثم قلت له: يا أبا بكر، لم تفعل هذا بنفسك؟ فقال: أبقي علي حفظي ويحكي أنه كان يأخذ الرطب ويشمه ويقول: أما إنك طيب ولكن أطيب منك ما وهب الله لي من العلم وحفظه.
وحكى أنه مر يوماً بالنخاسين فرأى جارية تعرض حسنة الصورة كاملة الوصف قال: فوقعت في قلبي ثم مضيت إلى دار أمير المؤمنين الراضي بالله فقال: أين كنت إلى الساعة؟ فعرفته الأمر وأخبرته بالجارية فأمر بشرائها وحملت إلى منزلي ولم أعلم، فجئت فوجدتها في المنزل فقلت لها: اعتزلي إلى الاستبراء وكنت أطلب مسألة قد خفيت علي فاشتغل قلبي بالجارية فقلت للخادم: خذها وامض بها إلى النخاس فليس يبلغ قدرها

أن يشغل قلبي عن علمي فأخذها الغلام فقالت: دعني حتى أكلمه فقالت لي: أنت رجل لك محل وعقل، فإذا أخرجتني ولم تبن ذنبي لم آمن أن يظن الناس بي ظناً قبيحاً فعرفنيه قبل أن تخرجني، فقلت: مالك عندي ذنب غير أنك شغلتني عن علمي، فقالت هذا سهل عندي قال: فبلغ الراضي ما كان من أمري فقال. لا ينبغي أن يكون العلم في قلب أحداً أحلى منه في قلب هذا الرجل. ولابن الأنباري شعر لطيف فمن ذلك قوله:

إذا زيد شرا زاد صبراً كأنما ... هو المسك ما بين الصلاية والفهر

فإن فتيت المسك يزداد طيبه ... على السحق والحر اصطباراً على الضر

ومن أماليه:

فهلا منعتم إذ منعتم كلامها خيالاً يوافيني على النأي هاديا

سقى الله أطلالاً بأكثبه الحمى ... وإن كن قد أبدين للناس ما بيا

منازل لو مرت بهن جنازتي ... لقال الصدى يا صاحبي انزلا بيا

وأملي أيضاً:

وبالهضبة البيضاء إن زرت أهلها ... مهاً مهملات ما عليهن سائس

خرجن لخوف الريب من غير ريبة ... عفائف باغي اللهو منهن آنس

ولأبي بكر بن الأنباري من التصانيف: غريب الحديث قيل إنه خمس وأربعون ورقة أملاه من حفظه.

ومما أملاه أيضاً من مصنفاته: كتاب الهاءات نحو ألف ورقة، وشرح الكافي نحو ألف ورقة، وكتاب الأضداد وما ألف في الأضداد أكبر منه، وكتاب المذكر والمؤنث ما صنف أحد أتم منه، ورسالة المشكل رد فيها على ابن قتيبة وأبي حاتم السجستاني، وكتاب المشكل في معاني القرآن بلغ فيه إلى طه وأملاه سنين كثيرة ولم يتمه، وشرح الجاهليات سبعمائة ورقة، وكتاب الوقف والابتداء، والكافي في النحو، والزاهر، وكتاب اللامات، وشرح المفضليات، والأمالي، وأدب الكاتب، والواضح في النحو، والموضع في النحو أيضاً، وشرح شعر النابغة، وشرح شعر الأعشى، وشرح شعر زهير، وشعر الراعي، والمقصور والممدود، وكتاب الألفات، وكتاب الهجاء والمجالسات، وكتاب مسائل ابن شنبوذ، وكتاب الرد على من خالف مصحف عثمان وغير ذلك، وكانت ولادة أبي بكر بن الأنباري يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من رجب سنة إحدى وسبعين ومائة، وتوفي ليلة عيد النحر سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

الجزء التاسع عشر

محمد بن أبي القاسم بايجوك

أبو الفضل البقاليّ الخوارزميّ الآدميّ الملقب زين المشايخ، النحويّ الأديب، كان إماماً في الأدب وحجّة في لسان العرب، أخذ اللّغة وعلم الإعراب عن أبي القاسم الزمخشريّ وجلس بعده مكانه، وسمع الحديث منه ومن غيره. وكان جمّ الفوائد حسن الاعتقاد، كريم النّفس نزيه العرض غير خائض فيما لا يعنيه. له يد في

الترسل ونقد الشعر. وله من التصانيف: مفتاح التنزيل، وتقويم اللسان في النحو، والإعجاب في الإعراب، والبداية في المعاني والبيان، وكتاب منازل العرب، وشرح أسماء الله الحسنى وغير ذلك. مات في سلخ جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وخمسمائة عن نيف وسبعين سنة.

محمد بن محمد بن جعفر بن مختار

أبو الفتح الواسطي النحوي، كان نحوياً فاضلاً جالس ابن كردان وسمع منه. وجالس أبا الحسين بن دينار وغيره. وكان حسن الإيراد جيد المحفوظ متيقظاً ولم يتصدر لإقراء النحو، بلغ تسعين سنة ومات سنة أربع وسبعين وخمسمائة.

محمد بن محمد بن جعفر

أبو الحسن المعروف بابن لنكك البصري الشاعر الأديب، كان فرد البصرة وصدر أدبائها في زمانه، أدركته حرفة الأدب فقصر به جهده عن بلوغ الغاية التي كانت تسمو إليها نفسه، إذ كان التقدم في زمنه لأبي الطيب المتنبي وأبي رياش اليمامي، فكسدت بضاعته بنفاق سو قهما، وانحط نجحه عن مطلع سعادتهما، فولع بثلبهما والتشفي بهجوهما وذمهما، فكان أكثر شعره في شكوى الزمان وأهله وهجاء شعراء عصره، وكان أبلغ شعره ما لم يتجاوز البيتين والثلاثة. وكان يروي قصيدة دعبل آلتي أولها:

مدارس آيات خلت من تلاوةً

يرويها عن أبي الحسين العبداني عن أخيه عن دعبل، ورواها عنه ابن جخجخٍ النحوي ومن شعره:

نحن والله في زمان غشوم ... لو رأيناه في المنام فزعنا

يصبح الناس فيه من سوء حال ... حق من مات منهم أن يهنا

وقال:

جار الزمان علينا في تصرفه ... وأي دهر على الأحرار لم يجر؟

عندي من الدهر ما لو أن أيسره ... يلقي على الفلك الدوار لم يدر

وقال:

نحن من الدهر في أعاجيبا ... فنسأل الله صبر أيوبا

أقفرت الأرض من محاسنها ... فابك عليها بكاء يعقوبا

وقال:

زمان قد تفرع للفضول ... وسود كل ذي حمق جهول

فإن أحببتم فيه ارتفاعاً ... فكونوا جاهلين بلا عقول

وقال:

يعيب الناس كلهم الزمانا ... وما لزماننا عيب سوانا
نعيب زماننا والعيب فينا ... ولو نطق الزمان إذا هجانا
ذئاب كلنا في زي ناس ... فسبحان الذي فيه برانا
يعاف الذئب يأكل لحم ذئب ... ويأكل بعضنا بعضاً عيانا
وقال أيضاً:
أقول لعصبة بالفقه صالت ... وقالت ما خلا ذا العلم باطل
أجل لا علم يوصلكم سواه ... إلى مال اليتامى والأرامل
أراكم تقبلون الحكم قلباً ... إذا ما صب زيت في القنادل
القنادل والقناديل بمعنىً، وصب الزيت فيها كناية عن الرشوة، وقال:
مضى الأحرار وانقرضوا وبادوا ... وخلفني الزمان على علوج
وقالوا قد لزمت البيت جداً ... فقلت لفقد فائدة الخروج
فمن ألقى؟ إذا أبصرت فيهم ... قروداً راكبين على السروج
زمان عز فيه الجود حتى ... كأن الجود في أعلى البروج
وقال:
يازماناً أليس الأح ... رار ذلاً ومهانة
لست عندي بزمان ... إنما أنت زمانه
كيف نرجو منك خيراً ... والعلى فيك مهانة؟
أجنون ما نراه ... منك يبدو أم مجانه؟
وقال يهجو أبا رياش اليمامي الشاعر المشهور:
نبئت أن أبا رياش قد حوى ... علم اللغات وفاق فيما يدعي
من مخبري عنه؟ فإني سائل ... من كان حنكة بأير الأصمعي
وقال يهجو أبا الطيب المتنبي وكان يزعم أن أباه كان سقاء بالكوفة:
قولا لأهل زمان لا خلاق لهم ... ضلوا عن الرشد من جهل بهم وعموا

أعطيتم المتنبي فوق منيته ... فزوجوه برغمٍ أمهاتكم
لكن بغداد جاد الغيث ساكنها ... نعالهم في قفا السقاء تزدحم
وقال فيه أيضاً:
ما أوقح المتنبي ... فيما حكى وادعاه
أبيح مالاً عظيماً ... أباح قفاه
يا سائلي عن غناه ... من ذاك كان غناه
إن كان ذاك نبياً ... فالجاثليق إلاه

وقال فيه:

متنبيكم ابن سقاء كوفا ... ن ويوحي من الكنيف إليه

كان من فيه يسلح الشعر حتى ... سلحت فقحة الزمان عليه

وقال في الرملي الشاعر:

حلف الرملي فيما ... قص عني وحكاه

يدعي يوم اصطلحنا ... أنني قبلت فاه

لم أقبل فاه لكن ... قبلت نعلي قفاه

وقال في مبرمان النحوي:

صداع من كلامك يعترينا ... وما فيه لمستمع بيان

مكابرة ومخرقة وبهت ... لقد أبرمتنا يا مبرمان

وقال:

تولى شباب كنت فيه منعماً ... تروح وتغدو دائم الفرحات

فلست تلاقيه ولو سرت خلفه ... كما سار ذو القرنين في الظلمات

وقال:

قد شربنا على شقائق روض ... شربت عبرة السحاب السكوب

صبغت من دم القلوب فما تب ... صر إلا تعلقت بالقلوب

وقال أيضاً وفيه الإيمان إلى حديث: – امرؤ القيس قائد الشعراء إلى النار – :

إذا خفق اللواء علي يوماً ... وقد حمل امرؤ القيس اللواء

رجوت الله لا أرجو سواه ... لعل الله يرحم من أساء

محمد بن حامد بن عبد الله بن علي

أبو عبد الله المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني. ولد بأصبهان يوم الاثنين ثاني جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وخمسمائة ونشأ بها، وقدم بغداد شاباً وانتظم في سلك صلبة المدرسة النظامية فتفقه بها بأبي منصور سعيد بن محمد بن الرزاز، وسمع منه ومن أبي بكر الأشقر وأبي الحسن علي بن عبد السلام وأبي القاسم علي بن الصباغ وأبي منصور بن خيرون وأبي المكارم المبارك بن علي السمرقندي وجماعة. وأجاز له أبو عبد الله الفراوي وأبو القاسم بن الحصين، ثم عاد إلى أصبهان فتفقه بها أيضاً على محمد بن عبد اللطيف الخجندي، وأبي المعالي الوركاني، ثم رجع إلى بغداد واشتغل بصناعة الكتابة فبرع فيها ونبغ، فاتصل بالوزير عون الدين يحيى بن هبيرة فولاه النظر بالبصرة ثم بواسط. ولما توفي الوزير ابن هبيرة وتشتت شمل المنتسبين إليه، أقام العماد مدة ببغداد منكد العيش فانتقل إلى دمشق ووصل إليها في شعبان سنة اثنتين وستين وخمسمائة، فأنزله قاضي القضاة كمال الدين أبو الفضل محمد بن الشهرزوري بالمدرسة النورية الشافعية المنسوبة إلى العماد الآن المعروفة بالعمادية، وإنما نسبت إليه لأن الملك نور الدين ولاه إياها سنة سبع وستين وخمسمائة، وكان

العماد له معرفة بنجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين، عرفه بتكريت حين كان نجم الدين والياً عليها، فلما سمع نجم الدين بوصوله بادر لتبجيله والسلام عليه في منزله. ومدحه العماد إذ ذاك بقصيدة أولها:

يوم النوى ليس من عمري بمحسوب ... ولا الفراق إلى عيشي بمنسوب
ما اخترت بعدك لكن الزمان أتى كرها بما ليس يا محبوب محبوبي
أرجو إيابي إليكم غانماً عجلاً ... فقد ظفرت بنجم الدين أيوب
موفق الرأي ماضي العزم مرتفع ... على الأعاجم والأعاريب
أحبك الله إذ لازمت نصرته ... على جبين بتاج الملك معصوب

وهي طويلة فشكره نجم الدين وأحسن إليه وأكرمه، وقدمه على الأعيان وميزه وعرف به ابنه صلاح الدين، وكان القاضي كمال الدين بن الشهرزوري يحضر مجالس العماد ويذاكره بمسائل الخلاف في الفروع، فنوه القاضي بذكر العماد عند السلطان نور الدين، وذكر له تقدمه في العلم والكتابة وأهله لكتابة الإنشاء، فتردد العماد في الدخول فيما لم يتقدم له اشتغال طويل به، مع توفر مواد هذه الصناعة عنده خوفاً من التقصير فيما لم يمارسه، ثم أقدم بعد الإحجام فباشرها وأجاد فيها حتى زاحم القاضي الفاضل بمنكب ضخم، وكان ينشئ الرسائل بالفارسية أيضاً فيجيد فيها إجادته بالعربية، وعلت منزلته عند نور الدين وصار صاحب سره، وفوض إليه تدريس المدرسة العمادية كما تقدم، وولاه الإشراف على ديوان الإنشاء، ولما توفي نور الدين وولى ابنه الملك الصالح إسماعيل أغراه بالعماد جماعة كانوا يحسدونه ويكرهونه، فخاف على نفسه وخرج من دمشق قاصداً بغداد، فوصل إلى الموصل ومرض بها ولما أبل من مرضه، بلغه خروج السلطان صلاح الدين من مصر قاصداً دمشق ليستولي عليها، فعزم على الرجوع إلى الشام وخرج من الموصل سنة سبعين وخمسمائة فوصل إلى دمشق وسار منها إلى حلب، وصلاح الدين يومئذ نازل عليها فلاقاه في حمص وقد استولى على قلعتها، فلزم بابه ومدحه بقصيدة طويلة كان نظمها قبلاً في الشوق إلى دمشق والتأسف عليها فجعل مدح صلاح الدين مخلصها أولها:

أجيران جيرون مالي مجير ... سوى عدلكم فاعدلوا أو فجوروا
ومالي سوى طيفكم زائر ... فلا تمنعوه إذا لم تزوروا
يعز علي بأن الفؤاد ... لديكم أسير وعنكم أسير
وماكنت أعلم أني أعي ... ش بعد الأحبة إني صبور
وفت أدمعي غير أن الكرى ... وقلبي وصبري كل غدور
إلى ناس باناس لي صبوة ... لها الوجد داع وذكرى تثير
يزيد اشتياقي وينمو كما ... يزيد يزيد وثور يثور
ومن بردى برد قلبي المشوق ... فها أنا من حره أستجير
وبالمرج مرجو عيشي الذي ... على ذكره العذب عيشي مرير

فقدتكم ففقدت الحياة ... ويوم اللقاء يكون النشور
تطاول سؤلي عند القصير ... فعن نيله اليوم باعي قصير
وكن لي بريداً بباب البريد ... فأنت بأخبار شوقي خبير
ومنها:
ترى بالسلامة يوماً يكون ... بباب السلامة مني عبور؟
وإن جوازي بباب الصغير ... لعمري من العمر حظ كبير
وماجنة الخلد إلا دمشق ... وفي القلب شوقاً إليها سعير
وجامعها الرحب والقبة ال ... منيفة والفلك المستدير
وفي قبة النسر لي سادة ... بهم للمكارم أفق منير
وباب الفراديس فردوسها ... وسكانها أحسن الناس حور
وبرزة فالسهم فالنيربا ... ن فجنات رقتها فالكفور
كان الجواسق مأهولة ... بروج تطلع منها البدور
بنيربها يستنير الفؤاد ... ويربو بربوتها لي السرور
ومنها:
وأين تأملت فلك يدور ... وعين تفور ونهر يمور
وأين نظرت نسيم يرق ... وزهر يروق وروض نضير
ومنذ ثوى نور دين الإ ل ... ه لم يبق للدين والشام نور
وللناس بالملك الناصر الص ... لاح ونصر وخير
هو الشمس أنوارها بالبلاد ... ومطلعها سرجه والسرير
إذ ما سطا أو حبا واحتبي ... فما الليث أو حاتم أو ثبير
بيوسف مصر وأيامه ... تقر العيون وتشفي الصدور

وقد أطال نفسه في هذه القصيدة وكلها غرر وقد اكتفينا بما أوردناه منها، ثم لزم العماد من ذلك اليوم باب السلطان صلاح الدين ينزل لنزوله، ويرحل لرحيله، ولم يغش مجالسه ملازماً لخدمته حتى قربه واستكتبه واعتمد عليه، فتصدر وزاحم الوزراء وأعيان الدولة، وعلا قدره وطار صيته، وكان إذا انقطع القاضي الفاضل عن الديوان ناب عنه في النظر عليه وألقى إليه السلطان مقاليده، وركن إليه بأسراره فتقدم الأعيان، وأشير إليه بالبنان، وكان بينه وبين القاضي الفاضل مراسلات ومحاورات، فمن ذلك أنه لقي القاضي يوماً وهو راكب على فرس فقال له: سر فلا كبا بك الفرس، فقال له الفاضل: دام علا العماد، وكلا القولين يقرأ عكساً وطرداً واجتمعا يوماً في موكب السلطان وقد ثار الغبار لكثرة الفرسان وتعجب القاضي من ذلك، فأنشد العماد:
أما الغبار فإنه ... مما أثارته السنابك

والجو منه مظلم ... لكن أنارته السنابك
يا دهر لي عبد الرح ... يم فلست أخشى مس نابك

ولما توفي السلطان صلاح الدين رحمه الله اختلت أحوال العماد ولزم بيته، وأقبل على التصنيف والإفادة حتى توفي يوم الاثنين مستهل رمضان سنة سبع وتسعين وخمسمائة، وله من المصنفات: خريدة القصر وجريدة العصر، ذيل به زينة الدهر لأبي المعالي سعد بن علي الحظيري الوراق، جمع العماد في هذا الكتاب تراجم شعراء الشام والعراق ومصر والجزيرة والمغرب وفارس ممن كان بعد المائة الخامسة إلى ما بعد سنة سبعين وخمسمائة، وهو يدخل في عشر مجلدات لطيفة، وله البرق الشامي وهو تاريخ بدأ فيه بذكر نفسه ونشأته ورحلته من العراق إلى الشام، وأخباره مع الملك العادل نور الدين والسلطان صلاح الدين وما جرى له في خدمتهما، وذكر فيه بعض الفتوحات بالشام وأطرافها وهو بضعة مجلدات، وله الفيح القسي في الفتح القدسي في مجلد كبير، وكتاب السيل على الذيل جعله ذيلاً على كتابه خريدة القصر، وله نصرة الفطرة وعصرة القطرة في أخبار الدولة السلجوقية، وله رسأل ة سماها عتبى الزمان وتسمى أيضاً العتبى والعقبى، وكتاب سماه نحلة الرحلة، ذكر فيه اختلال الأحوال وتغير الأمور بعد موت السلطان صلاح الدين، واختلاف أولاده وما وقع من الخلاف بين الأمراء والعمال، وله ديوان رسائل في مجلدات، وديوان شعر في مجلدين، وديوان دويبت صغير وغير ذلك.

ومن إنشاء العماد الكاتب الكتاب الذي كتبه عن السلطان صلاح الدين إلى ديوان الخلافة ببغداد مبشراً بفتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة افتتحه بقوله تعالى: (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض)، ثم قال: الحمد لله الذي أنجز لعباده الصالحين وعد الاستخلاف، وقهر بأهل التوحيدأهل الشرك والخلاف، وخص سلطان الديوان العزيز بهذه الخلافة، ومكن دينه المرتضى وبدل الأمان بالمخافة، وذخر هذا الفتح الأسني والنصر الأهني للعصر الإمامي النبوي الناصري على يد الخادم أخلص أوليائه، والمختص من الاعتزاز باعترائه إليه وانتمائه، وهذا الفتح العظيم، والنجح الكريم، قد انقرضت الملوك الماضية والقرون الخالية على مسرة تمنيه، وحبرة ترجيه، ووحشة اليأس من تسنيه، وتقاصرت عنه طوال الهمم، وتخاذلت عن الانتصار له أملاك الأمم، فالحمد لله الذي أعاد القدس إلى القدس، وطهره من الرجس، وحقق من فتحه ما كان في النفس، وبدل بوحشة الكفر فيه من الإسلام الأنس، وجعل عز يومه ماحياً ذل أمس، وأسكنه الفقهاء والعلماء بعد الجهال والضلال من بطرك وقسٍ، وعبدة الصليب ومستقبلي الشمس، وقد أظهر الله على المشركين الضالين جنوده المؤمنين العالمين، وقطع دابر القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين. فكأن الله شرف هذه الأمة فقال لهم: اعزموا على اقتناء هذه الفضيلة التي بها فضلكم، وحقق في حقكم امتثال أمره الذي خالفه اليهود في قوله: (ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم). هذا الفتح قد أقدر الله على افتضاضه بالحرب العوان، وجعل ملائكته المسومة له من أعز الأنصار وأظهر الأعوان، وأخرج من بيته المقدس يوم الجمعة أهل يوم الأحد، ومع من كان يقول: (إن الله ثالث ثلاثةً) بمن يقول: (هو الله أحد)، وأعان الله بإنزال الملائكة والروح، وأتى بهذا النصر الممنوح الذي هو فتح الفتوح، وقد

تعالى أن يحيط به وصف البليغ نظماً ونثراً، وعبد الله في البيت المقدس سراً وجهراً، وملكت بلاد الأردن وفلسطين غوراً ونجداً، وبراً وبحراً، وملئت إسلاماً وقد كانت ملئت كفراً، وتقاضى الخادم دين الدين الذي غلق رهنه دهراً، والحمد لله وشكراً، حمداً يجد للإسلام كل يوم نصراً، ويزيد وجوه أهله بشرى فتتوجه بشراً، والكتاب طويل ذكر فيه فصولاً عن الوقائع التي تقدمت فتح المقدس فاكتفينا منه بما أوردناه، وللعماد قصيدة من قصائده الطوال ضمنها فتح القدس وفلسطين، ومدح السلطان صلاح الدين، اقتصرنا على ايراد طرف منها قال:

أطيب بأنفاس تطيب لكم نفساً ... وتعتاض من ذكراكم وحشي أنسا
وأسأل عنكم عافيات دوارس ... غدت بلسان الحال ناطقة خرسا
معاهدكم ما بالها كعهودكم ... وقد كررت من درس آثارها درسا؟
وقد كان في حدسي لكم كل طارف ... وما جئتم من هجركم خالف الحدسا
أرى حدثان الدهر ينسى حديثه ... وأما حديث الغدر منكم فلا ينسى
تزول الجبال الراسيات وثابت ... رسيس غرام في فؤادي لكم أرسى
حسبت حبيبي قاس القلب وحده ... وقلب الذي يهوى بحمل الهوى أقسى

ومنها:

وإن نهاري صار ليلاً لبعدكم ... فما أبصرت عيني صباحاً ولا شمسا
بكيت على مستودعات خدوركم ... كما قد بكت قدماً على صخرها الخنسا
فلا تحبسوا عني الجميل فإنني ... جعلت على حبي لكم مهجتي حبسا

ومنها:

رأيت صلاح الدين أفضل من غدا ... وأشرف من أضحى وأكرم من أمسى
وقيل لنا في الأرض سبعة أبحر ... ولسنا نرى إلا أنامله الخمسا
سجيته الحسنى وشيمته الرضا ... وبطشته الكبرى وعزته القعسا
فلا عدمت أيامنا منه مشرفاً ... ينير بما يولي لياليا الدمسا
جنودك أملاك السماء وظنهم ... أعاديك جناً في المعارك أو إنسا
سحبت على الأردن ردنا من القنا ... ردينية ملداً وخطية ملسا
ونعم مجال الخيل حطين لم تكن ... معاركها للجرد ضرساً ولا دهسا

غداة أسود الحرب معتقلو القنا ... أساود تبغي من نحور العدا نهسا
أتوا شكس الأخلاق خشناً فلينت ... حدود الرفاق الخشن أخلاقها الشكسا
طردتهم في الملتقى وعكستهم ... مجيداً بحكم العزم طردك والعكسا
فكيف مكست المشركين رؤوسهم ... ورأيك في الإحسان أن تطلق المكسا
كسرتهم إذ صح عزمك فيهم ... ونكستهم من بعد أعلامهم نكسا

بواقعة رجت بها أرض جيشهم ... ومارت كما بست جبالهم بسا
بطون ذئاب البر صارت قبورهم ... ولم ترض أرض أن تكون لهم رمسا
وحامت على نار المواضي فراشهم ... لتطفا فزادت من خمودهم قبسا
وقد خشعت أصوات أبطالها فما ... يعي السمع إلا من صليل الظبي همسا
تقاد بدأماء الدماء ملوكهم ... أساري كسفن اليم نيطت بها القلسا
سبايا بلاد الله مملوءة بها ... وقد عرضت نخساً وقد شريت بخسا
يطاف بها الأسواق لا راغب لها ... لكثرتها كم كثرة توجب الوكسا
شكا يبساً رأس البرنس الذي به ... فندى حسام حاسم ذلك اليبسا
حسا دمه ماضي الغرار لغدره ... وماكان لولا غدره دمه يحسى

ومنها:

ومن قبل فتح القدس كنت مقدساً ... فلا عدمت أخلافك الطهر والقدسا
نزعت لباس الكفر عن قدس أرضها ... وألبستها الدين الذي كشف اللبسا

ومنها:

جرى بالذي تهوى القضاء وظاهرت ... ملائكة الرحمن أجنادك الحمسا
وكم لبني أيوب عبد كعنترٍ ... إن ذكروا بالبأس لم يذكروا عبسا

ومن غزلياته قوله:

أفدي الذي خلبت قلبي لواحظه ... وخلفت لذعات الوجد في كبدي
صفات ناظره سقم بلا ألم ... سكر بلا قدح جرح بلا قود
على محياه من نار الصبا شعل ... وورد خديه من ماء الجمال ندى

ومن حكمياته:

إقنع ولا تطمع فإن الغنى ... كماله في عزة النفس
فإنما يقص بدر الدجا ... لأخذه الضوء من الشمس

وقال:

وما هذه الأيام إلا صحائف ... يؤرخ فيها ثم يمحى ويمحق
ولم أر في دهري كدائرة المنى ... توسعها الآمال والعمر ضيق

محمد بن محمد بن عباد

أبو عبد الله البغدادي المقري النحوي، كان مقدماً في علم القراءات بارعاً في النحو وعلوم العربية، قرأ النحو على أبي سعيد السيرافي النحوي، وأخذ عنه القراءة أبو العباس أحمد بن الفرج بن منصور بن محمد بن الحجاج بن هارون. وصنف كتاب الوقف والابتداء وأجاد فيه، وسمعه منه أبو العباس بن هارون المذكور، توفي أبو عبد الله بن عباد البغدادي يوم الجمعة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة.

محمد بن محمد بن عبد الجليل

ابن عبد الملك بن محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن محمد بن يحيى بن مردويه بن سأل م بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، رشيد الدين المعروف بالوطواط، الأديب الكاتب الشاعر، كان من نوادر الزمان وعجائبه، وأفراد الدهر وغرائبه، أفضل زمانه في النظم والنثر، وأعلم الناس بدقائق كلام العرب، وأسرار النحو والأدب، طار في الآفاق صيته، وسار في الأقاليم ذكره، وكان ينشئ في حالةٍ واحدةٍ بيتاً بالعربية من بحر وبيتاً بالفارسية من بحر آخر ويمليهما معاً، وله من التصانيف: حدائق السحر في دقائق الشعر باللغة الفارسية ألفه لأبي المظفر خوارزم شاه، وعارض به كتاب ترجمان البلاغة لفرحي الشاعر الفارسي، وللوطواط أيضاً ديوان رسائل عربي، وديوان رسائل فارسي، وتحفة الصديق من كلام أبي بكر الصديق، وفصل الخطاب من كلام عمر بن الخطاب، وأنس اللهفان من كلام عثمان بن عفان، ومطلوب كل طالب من كلام على بن أبي طالب وغير ذلك. مولده ببلخ، ومات بخوارزم سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة، ومن رسائله ما كتبه لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري وهي:

لقد حاز جار الله دام جماله ... فضائل فيها لا يشق غباره

تجدد رسم الفضل بعد اندراسه ... بآثار جار الله فالله جاره

أنا منذ لفظتني الأقدار من أوطاني، ومعاهد أهلي وجيراني إلى هذه الخطة التي هي اليوم بمكان جار الله أدام الله دولته جنة للكرام، وجنة من نكبات الأيام كانت قصوى منيتي وقصارى بغيتي أن أكون أحد الملازمين لسدته الشريفة التي هي مخيم السيادة ومقبل أفواه السادة من ألقى فيها عصاه حاز في الدارين مناه، ونال في المحلين مبتغاه، ولكن سوء التقصير أو مانع التقدير حرمني تلك الخدمة، وحرم على هذه النعمة، والآن أظن وظن المؤمن لا يخطئ، أن آفل جدي هم بالإشراق، وذابل إقبالي أقبل على الإبراق، وذابل إقبالي أقبل على الإبراق، فقد أجد في نفسي نوراً مجدداً يهديني إلى جنته، ومن شوقي داعياً موفقاً يدعوني إلى حضرته، ويقرع لسان الهيبة كل ساعة سمعي بنداء: اخلع نعلك، واطرح بالواد المقدس رحلك، ولا تحفل بحقد حاقد وحسد حاسد، فإن حضرة جار الله أوسع من أن تضيق على راغب في فوائده، وأكرم من أن تستثقل وطأة طالب لعوائده، ومع هذا أرجو إشارة تصدر من مجلسه المحروس إما بخطه الشريف، فإن في ذلك شرفاً لي يدوم مدى الدهر والأيام، وفخراً يبقى على مر الشهور والأعوام، وإما على لسان من يوثق بصدق مقالته، ويعتمد على تبليغ رسأل ته من المنخرطين في سلك خدمته، والراتعين في رياض نعمته، ورأيه في ذلك أعلى وأصوب.

ومن إنشائه أيضاً تقليد حسبة صدر عن ديوان خوارزم وهو: إن أولى الأمور بأن تصرف أعنة العناية إلى ترتيب نظامه، وتقصر الهمم على مهمة إتمامه، أمر يتعلق به ثبات الدين، ويتوقف عليه صلاح المسلمين، وهو أمر الاحتساب، فإن فيه تثبيت الزائغين عن الحق، وتأديب المنهمكين في الفسق، وتقوية أعضاد أرباب الشرع وسواعدها، وإجراء معاملات الدين على قوانينها وقواعدها، وينبغي أن يكون متقلد هذا الأمر موصوفاً بالديانة، معروفاً بالصيانة، معرضاً عن مراصد الريب، بعيداً عن مواقف التهم والعيب، لابساً

مدارع السداد، سأل كاً مناهج الرشاد، والشيخ الإمام فلان أدام الله فضله متحلٍ بهذه الخصائص المذكورة، والفضائل المشهورة، ومستظهر في دولتنا للحقوق الفرضية، ومستشعر للصفات المرضية، فقلدناه هذا الأمر الذي هو من مهمات الأعمال ومعظمات الأشغال، واعتمدنا في التقليد والتقلد على دينه المتين وفضله المبين، وعقيدته الطاهرة وأمانته الظاهرة، وأمرناه أولاً: أن يجعل التقوى شعاره والزهد دثاره، والعلم معلمه والدين مناره، ثم يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ويقيم حدود الشرع على وفق النصوص والأخبار ومقتضى السنن والآثار، من غير أن يتسور الحيطان، ويتسلق الجدران، ويرفع الحجب المسدولة، ويكسر الأبواب المسدودة ويسلط الأوباش على دور المسلمين وحرم المؤمنين، فيغيروا على أموالهم، ويمدوا الأيدي إلى نسائهم وأطفالهم، ويظهروا ما أمر الله تعالى بستره وإخفائه، ونهى عن إشاعته وإفشائه، فإن عبادة الأوثان خير من ذلك الاحتساب والعقوبة أجدر بمباشر ذلك من الأجر والثواب، وأمرناه أن يبالغ في تعديل المكاييل والموازين على وفق أحكام الشرع والدين، فإن وجد تفاوتاً في شيء منها سواه وعدله، وغيره وبدله، وأدب صاحبه على رؤوس الأشهاد، لينزجر عن مثلهأهل الخيانة والفساد، وليعلم أنه في عهده ما يطوي وينشر، وينهي ويأمر، يوم ينشر الديوان، وينصب الميزان (يوم لا ينفع مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم).

وسبيل الأئمة والعلماء، وكافة الرعايا حاطهم الله أن يتوفروا على تعظيم قدره وتفخيم أمره، ويبالغوا فيما يرجع إلى تمهيد قواعد حرمته، وتشييد أركان حشمته، ولا يعترضوا عليه في شغل الاحتساب، فإن ذلك أمانة هو حاملها، ووديعة هو ضامنها والسلام.

ولرشيد الدين شعر دون نثره جودة، فمن ذلك قصيدة أوردها ضمن كتاب إلى صدر الدين بن نظام الدين رئيس جرجان:

جنابك صدر دين الله حصن ... لأهل الفضل من نوب الزمان
وصدرك في الخطوب إذا ألمت ... محط رحال حفاظ القران
وجودك دونه فيض الغوادي ... وعزمك دونه حد السنان
وبابك فيه مسكن كل عاف ... وعفوك فيه مأمن كل جاني
غدوت قريع فرسان القوافي ... وحائز سبقها يوم الرهان

لقد بلغت قاصية المعالي ... كما ملكت ناصية المعاني
وأعجزت الأفاضل في التحدي ... بمعجزة الفصاحة والبيان
يشق سناك جلباب الليالي ... وجنح ظلامها ملقي الجران
بك الآداب آهلة المغاني ... ودار المجد شاهقة المباني
فما لك في فحول الفضل ند ... ولا لك في رجال العلم ثاني
مغانيك الرحاب رياض عزٍ ... سقى صوب الحيا تلك المغاني
نمتك عصابة بيض هجان ... وهل تلد الهجان سوى الهجان؟

لقد أخرجت من أزكى نصاب ... وقد أرضعت من أصفى لبان
فأنت الغيث في وقت العطايا ... وأنت الليث في يوم الطعان
أتتني منك آيات تحاكي ... بدائع نظمها عقد الجمان
بلفظٍ مثل أفراد اللآلي ... وخط مثل أصداغ الغواني
فألبسني كتابك بعد خوف ... من الحدثان أردية الأمان
وقد شاهدت في الدنيا عياناً ... بما أهديت روضات الجنان
بقيت مدى الزمان حليف أمن ... ويمن تجتني ثمر الأماني
وطاوعك الأسافل والأعالي ... وتابعك الأباعد والأداني
صديقك ساحب ذيل المعالي ... وخصمك لابس ثوب الهوان

وقال:

ست بليت بها والمستعاذ به ... من شرها من إليه الخلق يبتهل
نفسي وإبليس والدنيا التي فتنت ... من قبلنا والهوى والحرص والأمل
إن لم تكن منك يا مولاي واقية ... من شرها الجم أعيت عبدك الحيل

وقال:

تروح لنا الدنيا بغير الذي غدت ... وتحدث من بعد الأمور أمور
وتجري الليالي باجتماع وفرقةٍ ... وتطلع فيها أنجم وتغور
فمن ظن أن الدهر باقٍ سروره ... فقد ظن عجزاً لايدوم سرور

وقال:

اذا ما شئت أن تحيا سعيداً ... وتنجو في الحساب من الخصوم
فلا تصحب سوى الأخيار واصرف ... حياتك في مدارسة العلوم

محمد بن أبي سعيد محمد

المعروف بابن شرف، الجذامي القيرواني الأديب الكاتب الشاعر أبو عبد الله. روى عن أبي الحسن القابسي، وأبي عمران الفاسي، وقرأ النحو على أبي عبد الله محمد بن جعفر القزاز، وأخذ العلوم الأدبية عن أبي إسحاق إبراهيم الحصري وغيرهم فبرع في الكتابة والشعر، وتقدم عند الأميرالمعز بن باديس أميرإفريقية، وكانت القيروان في عهده وجهة العلماء والأدباء، تشد إليها الرحال من كل فج لما يرونه من إقبال المعز على أهل العلم والأدب وعنايته بهم.

وكان ابن شرف وابن رشيق صاحب العمدة متقدمين عنده على سائر من في حضرته من الأفاضل والأدباء، فكان يقرب هذا تارة ويدني ذاك تارة، فتنافسا وتنافرا ثم تهاجيا، ولكن لم يغير أحدهما على الآخر بما جرى بينهما من المناقصات، ولم يزل ابن شرف ملازماً لخدمة المعز إلى أن هاجم عرب الصعيد القيروان، واضطر المعز إلى الخروج منها إلى المهدية سنة سبع وأربعين وأربعمائة، فخرج ابن شرف وسائر الشعراء معه إليها

واستقروا بها، فأقام ابن شرف مدة بالمهدية ملازماً خدمة المعز وابنه تميم، ثم خرج منها قاصداً صقلية ولحق به رفيقه ابن رشيق فاجتمعا بها ومكثا بها مدة، ثم استنهضه ابن شرف على دخول الأندلس، فتردد ابن رشيق وأنشد:

مما يزهدني في أرض أندلس ... أسماء مقتدر فيها ومعتضد
ألقاب مملكة في غير موضعها ... كالهر يحكي انتفاخاً صولة الأسد

فأجابه ابن شرف على الفور:

إن ترمك الغربة في معشر ... قد جبل الطبع على بعضهم
فدارهم ما دمت في دارهم ... وأرضهم ما دمت في أرضهم

ثم شخص ابن شرف منفرداً إلى الأندلس، وتنقل في بلادها وسكن المرية بعد مقارعة أهوالٍ ومقاومة خطوب، وتردد على ملوك الطوائف كآل عباد وغيرهم، وتوفي بإشبيلية سنة ستين وأربعمائة، ومن شعره:

لك مجلس كملت دواعي لهونا ... فيه ولكن تحت ذاك حديث
غنى الذباب فظل يزمر حوله ... فيه البعوض ويرقص البرغوث

وقال في وصف وادي عذراء بمدينة برجة من أعمال المرية:

رياض غلائلها سندس ... توشت معاطفها بالزهر
مدامعها فوق خط الريا ... لها نظرة فتتت من نظر
وكل مكان بها جنة ... وكل طريق إليها سفر

وقال في ليلة أنس باردة ممطرة:

ولقد نعمت بليلة جمد الحيا ... في الأرض فيها والسماء تذوب
جمع العشاءين المصلي وانزوى ... فبها الرقيب كأنه مرقوب
والكأس كاسية القميص يديرها ... ساقٍ كخود كفه مخضوب
هي وردة في خده وبكأسها الد ... دري منها عسجد مصبوب
مني إليه ومن يديه إلى يدي ... الشمس تطلع تارة وتغيب

وقال:

قالوا تسابقت الحمي ... رفقلت من عدم السوابق
خلت اللسوت من الرخا ... خ ففرزنت فيها البيادق

وقال:

إذا صحبت الفتى جد وسعد ... نحامته المكاره والخطوب
ووافاه الحبيب بغير وعد ... طفيلياً وقاد له الرقيب
وعد الناس ضرطته غناء ... وقالوا إن فسا قد فاح طيب

وقال:

ولقد يهون أن يخونك كاشح ... كون الخيانة من أخ وخدين
لقى أخو يعقوب يعقوب الأذى ... وهما جميعاً في ثياب جنين
ومضى عقيل عن عليٍ خاذلاً ... ورأى الأمين جناية المأمون
فعلى الوفاء سلام غير معاين ... شخصاً له إلا عيان ظنون
وقال في الحر يخدم أصحابه:
خادمنا خيرنا وأفضلنا ... نطرح أعباءنا ويحملها
فنحن يسرى اليدين تخدمها ... يمناهما الدهر وهي أفضلها
وقال في مليح اسمه عمر:
يا أعدل الناس اسماً كم تجور علي ... فؤاد مضناك بالهجران والبين
أظنهم سلبوك القاف من قمر ... فأبدلوها بعين خيفة العين
وقال يمدح شيخه أبا الحسن علي بن أبي الرجال:
جاور علياً ولا تحفل بحادثة ... إذا أدرعت فلا تسأل عن الأمل
اسم حكاه المسمى في الفعال وقد ... حاز العليين من قول ومن عمل
فالماجد السيد الحر الكريم له ... كالنعت والعطف والتوكيد والبدل
زان العلا وسواه شانها وكذا ... تميز الشمس في الميران والحمل
سل عنه وانطق به وانظر إليه تجد ... ملء المسامع والأفواه والمقل
وقال:
كسيت قناع الشيب قبل أوانه ... وجسمي عليه للشباب وشاح
ويارب وجهٍ فيه للعين نزهة ... أمانع عيني منه وهو مباح
وقال من قصيدة فيما حل بالقيروان:
ترى سيئات القيروان تعاظمت ... فجلت عن الغفران والله غافر
تراها أصيبت بالكبائر وحدها ... ألم تك قدماً في البلاد الكبائر؟
تكشفت الأستار عن أهلها وكم ... أقيمت ستور دونهم وستائر
وقال:
إحذر محاسن أوجه فقدت محا ... سن نفسها ولو أنها أقمار
سرج تلوح إذا نظرت وأنها ... نور يضئ وإن مست فنار
وقال:
وما بلوغ الأماني من مواعدها ... إلا كأشعب يرجو وعد عرقوب
وقد تخلف مكتوب القضاء بها ... فكيف لي بقضاء غير مكتوب؟

ولابن شرفٍ القيرواني من التصانيف: أبكار الأفكار جمع فيه ما اختاره من شعره، وأعلام الكلام مجموع فيه

فوائد ولطائف وملح منتخبة، ورسأل ة الانتقاد وهي على طراز مقامةٍ نقد فيها شعر طائفة من شعراء الجاهلية والإسلام، وديوان شعر وغير ذلك.

محمد بن محمد بن القاسم بن أحمد

ابن خديو الأخسيكاني أبو الوفاء المعروف بابن أبي المناقب، كان إماماً في اللغة أديباً فاضلاً صالحاً عارفاً بالأدب والتاريخ حسن الشعر، مات في آخر ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ومن شعره:

اذا المرء أعطى نفسه كل ما اشتهت ... ولم ينهها تاقت إلى كل باطل
وساقت إليه الإثم والعار بالذي ... دعته إليه من حلاوة عاجل

وقال:

ارحم أخي عباد الله كلهم ... وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة
وقر كبيرهم وارحم صغيرهم ... وراع في كل خلق وجه من خلقه

محمد بن محمد بن أحمد الرامش

بن هممام الرامش أبو نصر النحوي النيسابوري، كان مبرزاً في القراءات وعلوم الحديث، ذا حظ وافر من العربية واللغة، وله شعر صالح، سمع الحديث من أصحاب الأصم وغيرهم. ورحل وتخرج به جماعة وأملي بنيسابور، وأخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره. ولد سنة أربع وأربعمائة، ومات في جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وأربعمائة.

ومن شعره:

ولما برزنا للرحيل وقربت ... كرام المطايا والركاب تسير
وضعت على صدري يدي مبادراً ... فقالوا محب للعناق يشير
فقلت ومن لي بالعناق وإنما ... تداركت قلبي حين كاد يطير

وقال:

وإذا لقيت صعوبة في حاجة ... فاحمل صعوبها على الدينار
وابعثه فيما تشتهيه فإنه ... حجر يلين سائر الأحجار

محمد بن محمد بن موهب

بن محمد أبو العز المعروف بابن الخرساني، النحوي العروض الشاعر الكاتب، كان عارفاً بالأدب شديد العناية بالعروض، وله شعر كثير سمع ابن نبهان وغيره. وقرأ على أبي منصور الجواليقي. وله مصنف في العروض وتصانيف أدبية وديوان شعر وتغير ذهنه بآخره، ولد سنة أربع وتسعين وأربعمائة، ومات يوم

الأحد مستهل رمضان سنة ست وسبعين وخمسمائة. ومن شعره قوله:

أنا راض منكم بأيسر شيء ... يرتضيه لعاشقٍ معشوق

بسلامٍ من الطريق إذا ما ... جمعتنا بالاتفاق طريق

ومدح شخصاً بقصيدة منها:

إذا عجفت آمالنا عند معشرٍ ... غدا نجمها عند الزعيم خطائطا

فبلغت الحيص بيص الشاعر فقال: كل كلام في الدنيا يزاد لحناً، تكلمت بصادين فانقلبت الدنيا، وهذا ما يقوله أحد شيئاً وديوان ابن الخراساني هذا كبير يدخل في عشر مجلدات لطيفة، ومن شعره أيضاً:

إن شئت ألا تعد غمراً ... فخل زيداً وخل عمرا

واستعن الله في أمور ... ما زلن طول الزمان أمرا

ولا تخالف مدى الليالي ... لله حتى الممات أمرا

واقنع بما راج من طعامٍ ... والبس إذا ما عريت طمرا

وقال:

قد فلت إذ لحظته عيني مرة ... فاحمر من خجلٍ وفرط تصلف

عيني التي غرست نجدك وردة ... من ذا يقول لغارسٍ لاتقطف؟

يا سافكا دمي الحرام بطرفه ... أو ما تخاف الله يوم الموقف؟

أرويته عن عالمٍ أوجدته ... في مسند أقرأته في مصحف؟؟

محمد بن محمد بن يحيى

بن بحر الشيخ تاج الدين أبو العلاء العلوي السند بيسي الواسطي الفقيه الشافعي النحوي،أخذالنحو عن أبي الفضل بن جهورٍ وغيره، وصحب الشيوخ وبرع في النحو وشرح الكلام، وكان فاضلاً تصدر في هذا الشأن وأقرأ مدة، توفي بعد سنة أربعين وخمسمائة.

محمد بن أبي محمد

بن محمد حجة الدين أبو جعفر المعروف بابن ظفر الصقلي الأصل، المكي النحوي اللغوي الأديب، مولده بصقلية ونشأ بمكة ورحل إلى مصر وإفريقية وأقام بالمهدية مدة، وشهد الحروب بها وأخذت من المسلمين وهو هناك، ثم انتقل إلى صقلية ثم عاد إلى مصر ورحل منها إلى حلب وأقام فيها بمدرسة ابن أبي عصرون، ولما وقعت فيها الفتنة بين الشيعة وأهل السنة نهبت كتبه فيما نهب، وخرج منها إلى حماة فصادف فيها قبولاً فسكن بها وأجري له راتب من ديوانها وكان دون الكفاف، فلم يزل يكابد الفقر إلى أن مات بها سنة خمس وستين وخمسمائة، وله من التصانيف: التفسير الكبير، وينبوع الحياة تفسير أيضاً، وكتاب الاشتراك اللغوي، وكتاب الاستنباط المعنوي، وأنباء نجباء الأبناء، وسلوان المطاع في عدوان الأتباع، والقواعد والبيان في

النحو، وحاشية على درة الغواص للحريري رد فيها عليه، والمطول شرح مقامات الحريري، والمختصر شرحها أيضاً، والتنقيب على ما في المقامات من الغريب، وأسأل يب الغاية في أحكام آية، وخير البشر بخير البشر ذكر فيه الإرهاصات التي كانت بين ظهور النبي صلى الله عليه وسلم، وإكسير كيمياء التفسير، وأرجوزة في الفرائض، وملح اللغة وهو فيما اتفق لفظه واختلف معناه، ومعاتبة الجريء على معاقبة البريء وغير ذلك.

محمد بن محمود بن الحسن

ابن هبة الله بن محاسن صاحبنا الإمام محب الدين بن النجار، البغدادي الحافظ المؤرخ الأديب العلامة أحد أفراد العصر الأعلام، ولد ببغداد في ذي القعدة سنة ثمان وسبعين وخمسمائة، وسمع من ابن كليب والحافظ أبي الفرج بن الجوزي الواعظ وأصحاب ابن الحصين، ورحل إلى الشام ومصر والحجاز وخراسان وأصبهان ومرو وهراة ونيسابور، وسمع الكثير وحصل الأصول والمسانيد، واستمرت رحلته سبعاً وعشرين سنة. واشتملت مشيخته على ثلاثة آلاف شيخ، وكان إماماً حجة ثقة حافظاً مقرئاً أديباً عارفاً بالتاريخ وعلوم الأدب، حسن الإلقاء والمحاضرات، وكان له شعر حسن، وله التصانيف الممتعة، منها تاريخ بغداد ذيل به علة تاريخ مدينة السلام للحافظ أبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي واستدرك فيه عله، وهو تاريخ حافل دل على تبحره في التاريخ وسعة حفظه للتراجم والأخبار، وله المختلف والمؤتلف ذيل به كتاب الأميرابن ماكولا، والمتفق والمفترق في نسبة رجال الحديث إلى الآباء والبلدان، وجنة الناظرين في معرفة التابعين، والعقد الفائق في عيون أخبار الدنيا ومحاسن تواريخ الخلائق، وكتاب القمر المنير في المسند الكبير ذكر فيه الصحابة الرواة وما لكل واحد من الحديث، والكمال في معرفة الرجال، ومعجم الشيوخ، ونزهة الورى في أخبار القرى، والدرة الثمينة في أخبار المدينة، ومناقب الإمام الشافعي، وروضة الأوليا في مسجد إيليا، والزهر في محاسن شعراء العصر، والأزهار في أنواع الأشعار، ونزهة الطرف في أخبارأهل الظرف، وغرر الفؤاد حافل في ست مجلدات، وسلوة الوحيد، وإخبار المشتاق، وجموع نحافيه نحو نشوار المحاضرة للتنوخي التقطه من أفواه الرجال، والشافي في الطب وغير ذلك. وأنشدني لنفسه قال:

وقائلٍ قال يوم العيد لي ورأى ... تململي ودموع العين تنهمر
مالي أراك حزيناً باكياً أسفاً ... كأن قلبك فيه النار تستعر؟
فقلت: إني بعيد الدار عن وطن ... ومملق الكف والأحباب قد هجروا

ونظر إلى غلام تركي حسن الصورة فرمد من يومه فقال:

وقائل قال قد نظرت إلى ... وجهٍ مليحٍ فاعتادك الرمد
فقلت: إن الشمس المنيرة قد ... يعشى بها الناظر الذي يقد

وقال أيضاً:

إذا لم تكن حافظاً واعياً ... فجمعك للكتب لا ينفع
أتنطق بالجهل في مجلس ... وعلمك في البيت مستودع؟

محمد بن المرزبان

أبو العباس اللميري، كان فاضلاً بليغاً مؤرخاً عالماً بمجاري اللغة، تصدر عنه الكتاب الكبار، وكان أحد التراجمة ينقل الكتب الفارسية إلى العربية، له أكثر من خمسين منقولاً من كتب الفرس، وله بضعة عشر كتاباً في الأوصاف منها: وصف الفارس والفرس، ووصف السيف، ووصف القلم، وله الحاوي في علوم القرآن سبعة وعشرون جزءاً، وكتاب الحماسة، وأخبار عبد الله بن جعفر بن أبيطالب وغير ذلك.

أخذ ابن المرزبان عن الزبير بن بكار والرمادي، وروي عنه أبو عمر بن حيوة وجماعة، وتوفى سنة تسع وثلاثمائة.

محمد بن المستنير بن أحمد

أبو على المعروف بقطرب، البصري النحوي اللغوي، سمي قطرباً لأنه كان يبكر إلى سيبويه للأخذ عنه، فإذا خرج سيبويه سحراً رآه على بابه فقال له يوماً: ما أنت إلا قطرب ليل، والقطرب دويبة تدب ولا تفتر فلقب بذلك، وهو أحد أئمة النحو واللغة،أخذالنحو عن سيبويه وأخذ عن عيسى بن عمر وجماعة من علماء البصرة، وأخذ عن النظام المتكلم إمام المعتزلة وكان على مذهبه، ولما صنف كتابه في التفسير أراد أن يقرأ في الجامع فخاف من العامة وإنكارهم عليه، لأنه ذكر فيه مذهبأهل الاعتزال، فاستعان بجماعة من أصحاب السلطان ليتمكن من قراءته في الجامع، واتصل قطرب بأبي دلف العجلي وأدب ولده، وأخذ عنه ابن السكيت وقال: كتبت عنه قمطراً ثم تبينت أنه يكذب في اللغة فلم أذكر عنه شيئاً.
توفي أبو علي ببغداد سنة ست ومائتين. وله من التصانيف: كتاب معاني القرآن، وغريب الحديث، وإعراب القرآن، والمثلث في اللغة، وكتاب الرد على الملحدين في متشابه القرآن، وكتاب الفرق، وكتاب الاشتقاق، وكتاب الأضداد، وكتاب فعل وأفعل، وكتاب النوادر، وكتاب الأصوات، وكتاب الأزمنة، وكتاب القوافي، وكتاب خلق الإنسان وكتاب خلق الفرس، وكتاب الهمزة، وكتاب العلل في النحو، ومجاز القران، والمصنف الغريب في اللغة وغير ذلك.
ومن شعره:
إن كنت لست معي فالذكر منك معي ... يراك قلبي إذا ما غبت عن بصري
والعين تبصر من تهوى وتفقده ... وناظر القلب لا يخلو من النظر
وقال:
لقد غرت الدنيا رجالاً فأصبحوا ... بمنزلة ما بعدها متحول
فساخط عيش ما يبدل غيره ... وراض بعيش غيره سيبدل
وبالغ أمر كان يأمل غيره ... ومصطلم من دون ما كان يأمل

محمد بن مسعود

أبو بكر الخشني الأندلسي الجياني المعروف بابن أبي الركب، نحوي عظيم من مفاخر الأندلس، لغوي أديب شاعر،أخذالنحو عن ابن أبي العافية، وروي عن أبي الحسين ابن سراج وأبي علي الصدفي وجماعة وتصدر للإقرار. كان متقناً لمسائل سيبويه، فرحل الناس إليه لقراءة الكتاب عليه وانتقل بآخره إلى غرناطة فأقرأ بها، وولى الصلاة والخطبة بجامعها، وله شرح كتاب سيبويه، توفي في منتصف ربيع الأول سنة أربع وأربعين وخمسمائة. ومن شعره:

بساط ذي الأرض سندس ... وماؤها العذب لؤلؤي

كأنها البكر حين تجلى ... والزهر من فوقها الحلي

محمد بن مسعود العشامي

الأصبهاني المعروف بالفخر، النحوي، له تصانيف في الأدب مرغوب فيها، وشعر متداول ورسائل مدونة فائقة في الفقه والفرائض والحساب والمساحة، توفي بعد سنة ست وخمسمائة.

محمد بن المعلى بن عبد الله

أبو عبد الله الأسدي الأزدي النحوي اللغوي، روي عن الفضل بن سهل وأبي كثير الأعرابي وابن لنكك الشاعر والصولي أبي إسحاق إبراهيم وابن دريد اللغوي إجازة وغيرهم. وله شرح ديوان تميم بن مقبل وغير ذلك.

محمد بن مناذر

مولى بني صبير بن يربوع بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم أبو جعفر، وقيل أبو عبد الله، وقيل أبو ذريحٍ، وذريح ابن له مات صغيراً، وهو شاعر فصيح متقدم في العلم باللغة إمام فيها،أخذعنه كثير من اللغويين. وكان في أول أمره ناسكاً يتأله ثم ترك ذلك وهجا الناس، وهتك فوعظته المعتزلة فلم يتعظ، فزجروه فهجاهم وقذفهم حتى نفى عن البصرة إلى الحجاز فمات هناك سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان قارئاً تروى عنه حروف يقرأ بها. وصحب الخليل بن أحمد وأبا عبيدة وأخذ عنهما الأدب واللغة، وله معرفة بالحديث، روى عن سفيان بن عيينة وسفيان النوري وشعبة وجماعة، وذكر ليحيى بن معين فقال: لا يروي عنه من فيه خير، وذكر له مرة فقال: أعرفه كان يرسل العقارب في المسجد بالبصرة حتى تلسع الناس، وكان يصب المداد بالليل في أماكن الوضوء حتى يسود وجوههم.

وقال أبو العتاهية يوماً لابن مناذر: كيف أنت في الشعر فقال: أقول في الليلة عشرة أبيات إلى خمسة عشر. فقال أبو العتاهية: لو شئت أن أقول في الليلة ألف بيت لقلت.

فقال أجل والله لأنك تقول:

ألا يا عتبة الساعة ... أموت الساعة الساعة

وتقول:

ياعتب مالي ولك ... يا ليتى لم أرك

وأنا أقول:

ستظلم بغداد ويجلو لنا الدجى ... بمكة ما عشنا ثلاثة أبحر

إذا وردوا بطحاء مكة أشرقت ... بيحيى وبالفضل بن يحيى وجعفر

فما خلقت إلا لجود أكفهم ... وأرجلهم إلا لأعواد منبر

ولو أردت مثله لتعذر عليك الدهر، وإني لا أعود نفسي مثل كلامك الساقط فخجل أبو العتاهية. وقال يوماً ليونس النحوي يعرض به: أينصرف جبل أم لا؟ فقل له: لقد عرفت ما أردت يابن الزانية، فانصرف وأعد شهوداً ثم جاءه وأعاد السؤال، وعرف يونس ما أراد فقال الجواب ما سمعته أمس.

قال الجاحظ: كان ابن مناذر مولى سليمان القهرماني، وسليمان مولى عبيد الله ابن أبيبكرة، وعبيد الله مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو مولى مولى مولى، ثم ادعى أبو بكرة أنه ثقفي وادعى سليمان أنه تميمي، وادعى ابن مناذر أنه من بني صبير بن يربوع، فهو دعي مولى دعيٍ مولى دعيٍ، وهذا مما لم يجتمع في غيره، وعن محمد بن يزيد النحوي: أن ابن مناذرٍ كان إذا قيل له ابن مناذرٍ بفتح الميم يغضب ثم يقول: أمناذر الصغرى أم مناذر الكبرى؟ وهما كورتان من كور الأهواز، إنما هو مناذر على وزن مفاعل من ناذر فهو مناذر، ومما هدد به المعتزلة حين توعدوه ومنعوه من دخول المسجد قوله:

أبلغ لديك بنى تميم مألكاً ... عني وعرج في بني يربوع

إني أخ لكم بدار مضيعة ... بومٍ وغربانٍ عليه وقوع

يا للقبائل من تميمٍ ما لكم ... روبى ولحم أخيكم بمضيع

وإذا تخربت القبائل صلتم ... بفتى لكل ملمةٍ وفظيع

هبوا له فلقد أراه بنصركم ... يأوي إلى جبل أشم منيع

إن أنتم لم توتروا لأخيكم ... حتى يباء بوتره المتبوع

فخذوا المغازل بالأكف وأيقنوا ... ماعشتم بمذلةٍ وخضوع

إن كنتم حرباً على أحسابكم ... سمعاً فقد أسمعت كل سميع

أين الرياحيون لم أر مثلهم ... في النائبات وأين رهط وكيع؟

وروى المبرد عن أبي واثلة قال: كان أبان اللاحقي يولع بابن مناذر ويقول له: إنما أنت شاعر في المراثي فإذا مت فلا ترثني، وكثر ذلك من أبان عليه حتى أغضبه فقال يهجوه:

غنج أبانٍ ولين منطقه ... يخبر الناس أنه حلقي

داء به تعرفون كلكم ... يا آل عبد الحميد في الأفق

حتى إذا ما المساء جلله ... كان أطباؤه على الطرق

ففرجوا عنه بعض كربته ... بمستطير مطوق العنق

وقال يرثى سفيان بن عيينة

يجني من الحكمة سفياننا ... ماتشتهي الأنفس ألوانا

يا واحد الأمة في عمله ... لقيت من ذي العرش غفرانا

راحوا بسفيان على عرشه ... والعلم مكسوين أكفانا

محمد بن منصور بن جميل

أبو عبد الله الغر الكاتب، نحوي لغوي أديب من أفاضل العصر، قدم بغداد في صباه وقرأ الأدب، ولازم مصدق بن شبيب النحوي حتى برع في النحو واللغة، وقرأ الفقه والفرائض والحساب وقال الشعر ومدح الناصر فعرف واشتهر، ورتب كتاباً في ديوان التركات مدة، ثم ولي نظره ثم ولي الصدرية بالمخزن، ثم عزل واعتقل وأفرج عنه بعد مدة، ورتب وكيلاً للأميرعدة الدين بن الناصر، وكان كاتباً بليغاً مليح الخط غزير الفضل متواضعاً، مليح الورة طيب الأخلاق، مات في شعبان سنة ست عشرة وستمائة.

محمد بن موسى بن عبد العزيز

أبو بكر الكندي المصري، وقيل أبو عمران بن الصيرفي ويعرف بابن الجبي ويلقب بسيبويه، كان عارفاً بالنحو والمعاني والقراءة والغريب والإعراب والأحكام وعلوم الحديث والرواية، واعتبني بالنحو والغريب حتى لقب بسيبويه لذلك، وله معرفة بأخبار الناس والنوادر والأشعار والفقه على مذهب الشافعي، جالس ابن الحداد الفقيه الشافعي وتتلمذ له، وسمع من أبي عبد الرحمن النسائي وأبي جعفر الطحاوي، وكان يتكلم في الزهد وأحوال الصالحين، عفيفاً متنسكاً ويظهر الاعتزال، اجتمعت فيه أدوات الأدباء والفقهاء والصلحاء والعباد والمتأدبين، وبلغ بذلك مبلغاً جالس به الملوك، وكان يظهر الكلام في الاعتزال في الأسواق فيتحمل لما هو عليه من العلم، ولحقته السوداء فاختلط ثم زادت عليه الوسوسة، وواصلته السوداء إلى أن مات في صفر سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بمصر، وولد سنة أربع وثمانين ومائتين. ومن شعره:

من لم يكن يومه الذي هو فيه ... أفضل من أمسه ودون غده

فالموت خير له وأروح من ... حياة سوء تفت في عضده

محمد بن موسى الحدادي البلخي

النحوي الشاعر، يقال أخرجت بلخ أربعة من الأفراد، أبا القاسم الكعبي في علم الكلام، وأبا زيد البلخي في البلاغة والتأليف، وسهل بن الحسن في الشعر الفارس، ومحمد بن موسى الحدادي في العربية والشعر العرب، وكان الحدادي يكتب للحسين بن علي، وشعره سائر مدون أكثره أمثال وحكم منه:

يسرني من حسد الناس لي ... أني فيهم غير محروم

وأنني من كرم لابس ... وأنني عارٍ من اللوم

وقال:

إن كنت أشكو ما يدق ... ق عن الشكاية في القريض

فالفيل يضجر وهو أع ... ظم ما رأيت من البعوض

وقال:

ما بال فرقة شملنا لاتجمع ... وإلى متى يصل الزمان ويقطع؟

كم خلفت تلك الركاب وراءها ... من منزل فيه لنا مستمتع

فالورد يلطم خده لمصابنا ... وعيون نرجسه علينا تدمع

محمد بن موسى بن أبيمحمد

بن مؤمن الكندي أبو بكر النحوي، كتب الحديث والنحو وأكثر، وكان رجلاً فاضلاً صالحاً، توفي في ربيع الأول سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وقد قارب الثمانين.

محمد بن ميمون الأندلسي

القطربي أبو بكر النحوي يعرف بمركوش، كان بارعا في النحو مشهوراً بالأدب. ومن شعره في غلام قص من شعره:

تبسم عن مثل نور الأقاحي ... وأقصدنا بمراضٍ صحاح

ومر يميس كما ماس غصن ... يلاعب عطفيه موج الرياح

وقصر من ليله ساعة ... فأعقب ذلك ضوء الصباح

وإني وإن رغم العاذلو ... ن من خمر أجفانه غير صاح

ولأبي بكر بن ميمون من التصانيف: شرح الجمل في النحو، شرح مقامات الحريري وغير ذلك.

محمد بن نصر بن صغير بن داغر

ابن محمد بن خالد، من ولد خالد بن الوليد الصحابي الجليل شرف الدين المخزومي المعروف بابن القيسراني الحلبي الأديب الشاعر، كان شاعراً مجيداً وأديباً متفنناً، كان وابن منير الطرابلسي شاعري الشام في عهد الملك العادل نور الدين بن زنكي، ولهما القصائد الطنانة في مدحه، قرأ الأدب على توفيق بن محمد الدمشقي وابن الخياط الشاعر، وسمع بحلب من هاشم بن أحمد الحلبي وأبي طاهر الخطيب، وسمع منه أبو سعيد السمعاني والحافظ بن عساكر وأبو المعالي الحظيري الأديب الشاعر وغيرهم. وكان هو وابن منير يشبهان بجرير والفرزدق للمناقصات والوقائع التي جرت بينهما، واتفق موتهما في سنة واحدة، فقد مات ابن منير في حلب في جمادى الآخرة، وفي ثاني عشر شعبان وصل إلى دمشق ابن القيسراني باستدعاء الأميرمجير الدين فمات بعد وصوله بعشرة أيام، وذلك ليلة الأربعاء الثاني والعشرين من شعبان سنة ثمان

وأربعين وخمسمائة، وكانت ولادته سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، وله شعر كثير مدون أجاد في أكثره، فمن ذلك قصيدة مدح بها الملك العادل نور الدين حين أسر جوسلين واستولى على بلاده بشمالي حلب سنة خمس وأربعين وخمسمائة قال:

دعا ما ادعى من غره النهي والأمر ... فما الملك إلا ما حباك به الأمر

ومن ثنت الدنيا إليه عنانها ... تصرف فيما شاء عن إذنه الدهر
ومن راهن الأقدار في صهوة العلا ... فلن تدرك الشعرى مداه ولا الشعر
ولم لا يلي أسنى الممالك مالك ... زعيم جيوش من طلائعها النصر
ليهن دمشقاً أن كرسي ملكها ... حبا منك صدراً ضاق عن همه الصدر
وأنك نور الدين مذ زرت أرضها ... سمت بك حتى انحط عن نسرها النسر
خطبت فلم يجبك عنها وليها ... وخطب العلا بالسيف ما دونه ستر
جلاها لك الإقبال حورية السنا ... عليها من الفردوس أردية خضر
خلوب أكنت من هواك محبة ... نمت فانتمت جهراً وسر الهوى جهر
فإن صافحت يمناك من بعد هجرها ... فأحلى التلاقي ما تقدمه هجر
وهل هي إلا كالحصان تمنعت ... دلالاً وإن عز الحيا وغلا المهر؟
ولكن إذا ما قسها بصداقها ... فليس له قدر وليس لها قدر
هي الثغر أمسى بالكراديس عابساً ... وأصبح عن باب الفراديس يفتر
على أنها لو لم تجبك إنابة ... لأرهقها من بأسك الخوف والذعر
فلما وقفت الخيل ناقعة الصدى ... على بردى من فوقها الورق النضر
فمن بعد ما أوردتها حومة الوغى ... وأصدرتها والبيض من علق حمر
وجللتها نقعاً أضاع شياتها ... فلا شهبها شهب ولا شقرها شقر
علا النهر لما كاثر الغصب القنا ... مكاثرة في كل نحر لها نحر
وقد شرقت أجرافه بدم العدى ... إلى أن جري العاصي وضحضاحه غمر
صدعتهم صدع الزجاجة لايد ... لجابرها ما كل كسر له جبر
فلا ينتحل من بعدها الفخر دائل ... فمن بارز الإبرنز كان له الفخر
ومن بز أنطاكية من مليكها ... أطاعته ألحاظ المؤللة الخزر

ومنها:

طغى وبغى عدوا على غلوائه ... فأوبقه الكفران عدواه والكفر
وألقت بأيديها إليك حصونه ... ولو لم تجيء طوعاً لجاء بها القسر
فسر واملأ الدنيا ضياء وبهجة ... فبالأفق الداجي إلى ذا السناهر
كأني بهذا الحزم لا فل حده ... قصاه بالأقصى وقد قضى الأمر

وقد أصبح البيت المقدس طاهراً ... وليس سوى جاري الدماء له طهر
وقد أدت البيض الحداد فروضها ... فلا عهدة في عنق سيف ولا نذر
وصلت بمعراج النبي صوارم ... مساجدها شفع وساجدها وتر
وإن تتيمم ساحل البحر مالكاً ... فلا عجب أن يملك الساحل البحر
سللت سيوفاً أثكلت كل بلدة ... بصاحبها حتى تخوفك البدر
إذا سار نور الدين في عزماته ... فقولا لليل الفجر قد طلع الفجر
ولو لم يسر في عسكر من جنوده ... لكان له من نفسه عسكر مجر
مليك سمت شم المنابر باسمه ... كما قد زهت تيهاً به الأنجم الزهر
فيا كعبة مازال في عرصاتها ... مواسم حج لا يروعها النفر
خلعت على الأيام من حلل العلا ... ملابس من أعلامها الحمد والشكر
وتوجت ثغر الشام منك جلالة ... تمنت لها بغداد لو أنها ثغر
فلا تفتخر مصر علينا بنيلها ... فيمناك نيل كل مر بها مصر
رددت الجهاد الصعب سهلاً سبيله ... ويا طالما أمسى ومسلكه وعر
وقال يمدح أبا غانم سعد بن طارق:
خاطر بقلبك إما صبوة الغالي ... فيما أحب وإما سلوة السأل ي
من كل ذي هيف ترنو لواحظه ... إليك من لهذم في صدر عسأل
كم ليلة بت من كأس وريقته ... نشوان أمزج سلسأل اً بسلسأل
وبات لا يحتمي عني مراشفه ... كأنما ثغره ثغر بلا والي

يا مطلقي ما بقي للسقم من جسدى؟ ... وفي يديهم فؤادي رهن أغلال
إن شتتم علم حالي بعد فرقتكم ... فأنصتوا للحمام العاطل الحالي
خذوا حديث غرامي عن مطوقة ... تتلو ضلالي في فرع من الضال
لم تتركوا لي سوى نفس أجود بها ... والجود بالنفس غير الجود بالمال
إذا غضبم وبات الوجد يشفع لي ... إلى رضاكم رأيت السقم أشفى لي
كأن عيني في فضل انسكابهما ... يدا أبي غانم جادت بأفضال
غمر يصدك عن تكذيب مادحه ... ماعند كفيه من تصديق آمال
يثرى فلا يستقر المال في يده ... كأنه عذل في سمع مختال
ميتم ببنات الفكر وهي به ... مفتونة فهو لا شاك ولا سأل ي
يا من يزار فيلقى عنده كرم ... بلا حجاب ومجد بالعلا حالي
من كان من عرب أو كان من عجم ... فأنت يا سعد من يمن وإقبال
وقال يمدح القاضي كمال الدين الشهرزوري:

أيا عاذلي في الحب مالي وللعذل؟ ... ويا هاجري هل من سبيل إلى الوصل؟
أحين استجارتك الملاحة في الهوى؟ ... بخلت كأن الحسن في ذمة البخل
لي الله من صب تملكه الجوى ... فأمسى أسيراً رهن حبلٍ من الخبل
منيت بمثل البدر في مستقره ... يريك المنال الصعب في المنظر السهل
إذا ما التقينا جال طرفي وطرفه ... فانظر من دمع وينظر من نصل
فيا ويح قلبي من بلاه بحبه ... ومن دل ألحاظي على ذلك الدل؟
ويا لي من ليل طويل كهجره ... وصبرٍ ضعيفٍ ضعف أجفانه النجل
ألفت قلاه واستطبت مطاله ... وأطيب ما جاء الوصال على مطل
وقالوا حباك الشيب بالحلم والنهى ... ومن لي بأيام الشيبة والجهل
ليالي أجتاب الليالي صبوة ... ورامي غرامي لا يرى موقع النبل
متى ماخلا قلب المحب من الهوى ... فيالك من ربعٍ أقام بلا أهل
ألم تر أن الشيب بين جوانحي ... أقام مقام الفضل عند أبيالفضل؟
عقيد المعالي بين كفيه والندى ... مواثيق عقد لا تروع بالحل
ويبسم عن ثغرٍ يبشر بالجدا ... كما بشر البرق اليماني بالوبل
مناقبه بين الورى مستفيضة ... إذا رويت لم تعتبر صحة النقل
وما العلم إلا سيرة شهدت بها ... أسانيدها أورد فرع إلى أصل
متى ارتجل الإيجاز في صدر دسته ... رأيت الخطاب الفصل في ذلك الفصل
غريب العلى يفتن في مكرماته ... إذا ما انقضى شكل بدا بك في شكل
وجدنا ابن عبد الله أندى من الحيا ... وأغلى محلاً منه في زمن المحل
فطوراً يباريه الرجاء على النوى ... وطوراً تناجيه المطالب في الرحل
إليك انتضى شوقي إليك عزيمة ... هي النصل تحت الليل أو سمة النصل
على سابح يطوى المدى بسنابك ... لمستها فوق الصفا طاعة الرمل
إلى ماجد أمواله بيد الندى ... فليس عليها من وكيل سوى البذل
أبا الفضل كم لي في مساعيك مدحة ... ألذ على الأفواه من ضرب النحل
فريدة لفظ في فريد محاسنٍ ... فثلك بلا مثل وأنت بلا مثل

وقال:

خذوا حيث غرامي عن ضني بدني ... أغنى لسان الهوى عن دمعي اللسن
وخبروني عن قلبي ومالكه ... فربما أشكل المعنى على الفطن
من ذا الذي ترهب الأبطال صولته ... زيد الفوارس أم سيف بن ذي يزن؟
وما جفون إذا سلت صوارمها ... تجاذبت مهج الأقران في قرن
هذا الذي سلب العشاق نومهم ... أما ترى عينه ملآى من الوسن؟

تفرق الحسن إلا في محاسنه ... ويلاه من فتنٍ جمعن في فنن
أمسى غرامي بذاك القد يوهمنى ... أن اعتلاك الصبا شوقاً إلي الغصن
إذا الصبابة عاطتنى مدامتها ... فما فؤادي على سرٍ بمؤتن
أعيا اللوائم سمعي غير لائمة ... للشيب ما لت إلى عيني عن أذني
حتى إذا ما تناهى العذل في كلفي ... قامت إلي بنات الدهر تعذلني
فما ثنت ناظري عن منظر حسن ... حتى أرتني مكاني من أبي الحسن
وقال:
مررنا في ديار بني عدي ... يجاذب لوعتي شرق وغرب
يتيمنى بأرض الشام حب ... ويعطفنى على بغداد حب
غرام طارف وهوى تليد ... لكل صبابة في القلب شعب
فلا وأبيك ما هومت إلا ... سرى لهما خيال لا يغب
فكل هوىً يطالبنى بقلبٍ ... وهل لي غير هذا القلب قلب؟
وقال:
لا يغرنك من السيف المضا ... فالظبى ما نظرت منها الظباء
مرهفات الحد أمضاها المها ... وقضاها للمحيين القضاء
حدق علتها صحتها ... ربما كان من الداء الدواء
وقال:
تظلمت من أجفانهن إلى النوى ... سفاهاً وهل يعدى البعاد على القرب؟
ولما دنا التوديع قلت لصاحبي ... حنانيك سربي عن ملاحظة السرب
إذا كانت الأحداق نوعاً من الظبى ... فلا شك أنا للحظ ضرب من الضرب
وقال:
رنا بطرفٍ مريض الجفن منكسر ... فمن رأى جؤذراً يلهو بآساد؟
جفن روى عنه ما يرويه من سقمٍ ... جسمى فصح به نقلي وإسنادي
وقال:
إذا ما تأملت القوام مهفهفاً ... تأملت سيفاً بيز جفنيه مرهفاً
وطرفاً تخلى عن سقامي سقامه ... فهلا شفى من بات منه على شفا
وقال:
بالسفح من لبنان لي ... قمر منازله القلوب
حملت تحيته الشما ... ل فردها عني الجنوب
فرد الصفات غريبها ... والحسن في الدنيا غريب
لم أنس ليلة قال لي ... لما رأى جسدي يذوب

بالله قل لي يافتى ... ماتشتكي؟ قلت الطبيب

وقال:

بين فتور المقلتين والكحل ... هوى له من كل قلب ما انتحل

توق من فتكاتها لواحظاً ... أما ترى تلك الظبي كيف تسل؟

ويلاه من نواظر سواحر ... ما عقل العقل بها إلا اختبل

لو لم تكن أجفانها نوابلاً ... لما برت أسهمها من المقل

يا رامياً مسمومة نصاله ... عيناك للقارة قل لي أم ثعل؟

كم عاذلٍ خوفني من لحظه ... إليك عني سبق السيف العذل

وله من قصيدة في الملك العادل نور الدين وأجاد:

حصن بلادك هيبة لا رهبة ... فالدرع من عدد الشجاع الحازم

هيهات يطمع في محلك طامع ... طال البناء على يمين الهادم

كلفت همتك السمو فحلقت ... فكأنما هي دعوة في ظالم

وأظن أن الناس لما لم يروا ... عدلاً كذلك أرجفوا بالقائم

وقال أيضاً في قصيدة يهنئه بها باستيلائه على سنجار وأعمال الفرات:

في عسكرٍ يخفي كواكب ليله ... نقع فيطلعها القنا الخطار

جرار أذيال العجاج وراءه ... وأمامه بل جحفل جرار

تدني لك الغايات همتك التي ... كبرت كذا همم الملوك كبار

وملكت سنجاراً وما من بلدة ... إلا تمنت أنها سنجار

وبسطت بالأموال كفا طالما ... طالت به الآمال وهي قصار

وثنى الفرات إلى يديك عنانه ... والبحر ما اتصلت به الأنهار

ومنها:

تدعو البلاد إليك ألسنة الظبى ... فتجيبك الأنجاد والأغوار

حتى عمدت الدين يا ابن عماده ... بقناً أسنتها عليه منار

ومنها:

أمضى السلاح على عدوك بغية ... بالغدر يطعن في الوغى الغدار

فاحسم عناد ذوي العناد بجحفل ... كالليل فيه من الصفاح نهار

جند على جرد أمام صدورها ... صدر عليه من اليقين صدار

قد بايع الإخلاص بيعة نصرة ... ولكل هادي أمة أنصار

وإذا الملوك تثاقلت عن غاية ... فأرادها خفت به الأقدار

محمد بن نصر الله بن الحسين

بن عنين الدمشقي الأنصاري، أصله من الكوفة من الخطة المعروفة بمسجد بني النجار، وولد بدمشق يوم الاثنين تاسع شعبان سنة تسع وأربعين وخمسمائة، وهو من أفاضل العصر لغوي أديب شاعر مجيد، نشأ بدمشق وأخذ عن الحافظ أبي القاسم بن عساكر وغيره وهو يستحضر كتاب الجمهرة لابن دريد، وبرع في الشعر وحل الألغاز، ورحل إلى العراق والجزيرة وخراسان وأذربيجان وخوارزم، ودخل الهند ورحل إلى اليمن ومنها إلى الحجاز ثم إلى مصر ثم رجع إلى دمشق وهو مولع بالهجو، وله في ذلك قصيدة طويلة سماها مقراض الأعراض، ويقال: إنه يخل بالصلاة ويصل ابنة العنقود، ورماه أبو الفتح بن الحاجب بالزندقة والله أعلم بصحة ذلك.

ولما كان بخوارزم حضر يوماً درس الإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي المعروف بابن خطيب الري وكان يوماً باردا سقط فيه الثلج، فبينما الشيخ يلقي الدرس إذا سقطت حمامة بالقرب منه ووراءها طير من الجوارح يطاردها، فلما صارت بين الناس خاف الجارح وطار، ولم تقدر الحمامة على النهوض مما لحقها من الخوف والبرد، فرق لها الإمام فخر الدين وأخذها بيده وحنى عليها، فأنشده ابن عنين مرتجلاً:

يا ابن الكرام المطعمين إذا اشتووا ... في يوم مسغبةٍ وثلجٍ خاشف
العاصمين إذا النفوس تطايرت ... بين الصوارم والوشيج الراعف
من نبأ الورقاء أن محلكم ... حرم وأنك ملجأ للخائف؟
وفدت عليك وقد تدانى حتفها ... فحبوتها ببقائها المستأنف
لو أنها تحبى بمال لانثنت ... من راحتيك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان بشكوها ... والموت يلمع من جناحي خاطف
قرم يطاردها فلما استأمنت ... بجنابه ولى بقلب واجف

وله من قصيدة كتب بها إلى العادل يشكو الغربة والشوق إلى الشام:

ماذا على طيف الأحبة لو سرى ... وعلهم لو سامحوني بالكرى
جنحوا إلى قول الوشاة وأعرضوا ... والله يعلم أن ذلك مفترى
يا معرضاً عني بغير جناية ... إلا لما نقل العذول وزورا
هبني أسأت كما تقول وتفتري ... وأتيت في حبيك شيئا منكرا
ما بعد بعدك والصدود عقوبة ... يا هاجري ما آن لي أن تغفرا؟
لا تجمعن على عتبك والنوى ... حسب المحب عقوبة أن يهجرا
عبء الصدود أخف من عبء النوى ... لو كان لي في الحب أن أتخيرا
فسقى دمشق ووادييها والحمى ... متواصل الإرهام منفصم العرى
حتى ترى وجه الرياض بعارض ... أحوى وفود الدوح أبيض أزهرا
تلك المنازل لا ملاعب عالج ... ورمال كاظمة ولاوادي القرى
أرض إذا مرت بها ريح الصبا ... حملت على الأغصان مسكا أذفرا
فارقتها لا عن رضا وهجرتها ... لا عن قلىً ورحلت لا متخيرا

أسعى لرزقٍ في البلاد مشتت ... ومن العجائب أن يكون مقترا
وأصون وجه مدائحي متقنعاً ... وأكف ذيل مطامعي متسترا
ومنها في الشكوى والدخول إلى المديح:
أشكو إليك نوىً تمادى عمرها ... حتى حسبت اليوم منها أشهرا
لا عيشي تصفو ولا رسم الهوى ... يعفو ولا جفني يصافحه الكرى
أضحى عن الربع المريع محولاً ... وأبيت عن ورد النمير منفرا
ومن العجائب أن يقيل بظلكم ... كل الورى ونبذت وحدي بالعرا
وأول قصيدته المسماة مقراض الأعراض قوله:
أضالع تنطوى على كرب ... ومقلة مستهلة الغرب

شوقاً إلى ساكني دمشق فلا ... عدت رباها مواطر السحب
ومن ثم أخذفي الهجو بنفس طويل، وتفنن بأساليب السب والثلب فأورد ما لا يحسن إيراده، وقال أيضاً في هجو أبيه:
وجنبي أن أفعل الخير والد ... ضئيل إذا ما عد أهل التناسب
يعيد من الحسنى قريب من الخنا ... وضيع مساعي الخير جم المعايب
إذا رمت أن أسمو صعوداً إلى العلا ... غدا عرقه نحو الدنية جاذبي
وقال يهجو كحالاً:
لو أن طلاب المطالب عندهم ... علم بأنك للعيون تعور
لأتوا إليك بكل ما أملته ... منهم وكان الجزاء الأوفر
ودعوك بالصباغ لما أن رأوا ... يعشي العيون لديك ماء أصفر
وبكفك الميل الذي يحكي عصا ... موسى وكم عين به تتفجر
وقال في العادل سيف الدين بن أيوب:
إن سلطاننا الذي نرتجيه ... واسع المال ضيق الإنفاق
هو سيف كما يقال ولكن ... قاطع للرسوم والأرزاق
وقال في المحدث الفاضل ابن دحية الكلبي وهو معاصر:
دحية لم يعقب فلم تعتزى؟ ... إليه بالبهتان والإفك
ما صح عند الناس شيء سوى ... أنك من كلب بلا شك
وقال يمدح فخر الدين الرازي وسيرها إليه من نيسابور إلى هراة:
ريح الشمال عساك أن تتحملي ... شوقي إلى الصدر الإمام الأفضل
وقفي بواديه المقدس وانظري ... نور الهدى متألقا لا يأتلي
من دوحة فخرية عمرية ... طابت مغارس مجدها المتأثل

مكية الأنساب زاك أصلها ... وفروعها فوق السماك الأعزل
واستمطري جدوى يديه فطالما ... خلف الحيا في كل عام ممحل
نعم سحائبها تعود كما بدت ... لايعرف الوسمي منها والولي
بحر تصدر للعلوم ومن رأى ... بحراً تصدر قبله في محفل؟
ومشمر في الله يسحب للتقى ... والدين سر بال العفاف المسبل
ماتت به بدع تمادى عمرها ... دهراً وكاد ظلامها لا ينجلي
فعلا به الإسلام أرفع هضبة ... ورسا سواه في الحضيض الأسفل
غلط امرؤ بأبي علي قاسه ... هيهات قصر عن مداه أبو علي
لو أن رسطاً ليس يسمع لفظةً ... من لفظة لعرته هزة أفكل
ويحار بطليموس لو لاقاه من ... برهانه في كل شكل مشكل
فلو أنهم جمعوا لديه تيقنوا ... أن الفضيلة لم تكن للأول
وبه يبيت الحلم معتصماً إذا ... هزت رياح الطيش ركني يذبل
يعفو عن الذنب العظيم تكرماً ... ويجود مسؤولاً وإن لم يسأل
أرض الإله بفضله ودفاعه ... عن دينه وأقر عين المرسل
يأيها المولى الذي درجاته ... ترنو إلى فلك الثوابت من عل
مامنصب الا وقدرك فوقه ... فبمجدك السامى يهنى ماتلى
فمتى أراد الله رفعة منصب ... أفضى إليك فنال أشرف منزل
لازال ربعك للوفود؟ثابة ... أبداً وجودك كف كل مؤمل؟

ولما كان بمصر أهدى اليه الشريف أبو الفضل سليمان الكحال خروفاً هزيلاً فكتب إليه يشكره ويداعبه فقال:

أبو الفضل وابن الفضل أنت وأهله ... فغير بديع أن يكون لك الفضل
أتتني أياديك التي لاأعدها ... لكثرتها لاكفر نعمى ولاجهل
ولكنني أنبيك عنها بطرفة ... تروقك ماوافى لها قبلها مثل
أتاني خروف ماشككت بأنه ... حليف هوىً قد شفه الهجر والعذل
إذا قام في شمس الظهيرة خلته ... خيالاً سرى في ظلمة ماله ظل
فناشدته مايشتهي؟ قال حلبة ... وقاسمته ماشاقه قال لي الأكل؟
فاحضرتها خضراء مجاجة الثرى ... مسلمةً ماحصى أوراقها الفتل
فظل يراعيها بعين ضعيفة ... وينشدها والدمع في العين منهل

أتت وحياض الموت بيني وبينها ... وجادت بوصل حين لاينفع الوصل

وقال:

ألين لصعب الخلق قاس فؤاده ... وأعتبه لو يرعوى من أعاتبه
من الترك ميلس القوام منعم ... له الدر ثغر والزمرد شارب
أسأل عذاراً في أسيل كأنه ... عبير على كافور خديه ذائب
وقال:
ومهفهف رقت حواشي حسنه ... فقلوبنا وجداً عليه رقاق
لم يكس عارضه السواد وإنما ... نفضت عليه صباغها الأحداق
وشعره غرر كله وهو الآن حي مقيم في دمشق.

محمد بن هانئ

أبو القاسم الأزدي الأندلسي، من ولد روح بن حاتم ابن قبيصة بن المهلب، أديب شاعر مفلق، أشعر المتقدمين والمتأخرين من المغاربة، وهو عندهم كالمتنبي عندأهل المشرق، ولد بإشبيلية ونشأ بها، ونال حظاً واسعاً من علوم الأدب وفنونه، وبرز في الشعر فلم يباره في حلبته مبار، ولم يشق غباره لاحق، وكان متهماً بالفلسفة يسلك في أقواله وأشعاره مسلك المعري، وما زال يغلو في ذلك حتى تعدى الحق وخرج في غلوه إلى ما لا وجه له في التأويل، فأزعجه أهل الأندلس واضطروه إلى الخروج من وطنه، وأشار عليه صاحب إشبيلية بذلك درءا للفتنة، فخرج متنقلاً في البلاد ووصل إلى عدوة المغرب، فلقي بها جوهر القائد مولى المنصور فمدحه، ثم رحل إلى الزاب واتصل بجعفر ابن الأندلسية وأخيه يحيى فانتجع بابهما ولزم رحابهما، فاكرما وفادته واحسنا إليه، ثم بلغ خبره للمعز أبا تميم فاستقدمه واحسن نزله وبالغ في إكرامه، ولما رحل المعز إلى الديار المصرية استأذنه في الرجوع إلى عياله ليأتي بهم ويلحق به، فأذن له فخرج قاصداً بلده، فلما بلغ برقة نزل على أحد أعيانها للراحة فأضافه أيام فخرج ليلة سكران من بيته، فلما أصبح الناس وجدوه ملقي في سانية من سواني البلد مخنوقا بتكة سراويله ولم يعرف سبب ذلك ولا فاعله، وكانت وفاته كذلك يوم الأربعاء سنة اثنتين وستين وثلاثمائة وقد جاوز الأربعين، ولما بلغ المعز خبر موته آسف عليه آسفا عظيما وقال: هذا الذي كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق فلم يقدر لنا ذلك، ومن غرر شعره قصيدته الرائية المشهورة التي مدح بها المعز المذكور وهي:
فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر ... وأمدكم فلق الصباح المسفر
وجنيتم ثمر الوقائع يانعاً ... بالنصر من ورق الحديد الأخضر
وضربتم هام الكماة ورعتم ... بيض الخدور بكل ليث مخدر
أبني العوالي السمهرية والسيو ... ف المشرفية والعديد الأكثر
من منكم الملك المطاع كأنه ... تحت السوابغ تبع في حمير
القائد الخيل العتاق شوازباً ... خزراً إلى لحظ السنان الأخزر
شعث النواصي حشرةً آذانها ... قب الأياطل داميات الأنسر
تنبو سنابكهن عن عفر الثرى ... فيطأن في خد العزيز الأصعر

جيش تقدمه الليوث وفوقه ... كالغيل من قصب الوشيج الأسمر
وكأنما سلب القشاعم ريشها ... مما يشق من العجاج الأكدر
وكأنما شملت قناة ببارق ... متألق أو عارض متعنجر
تمتد ألسنة الصواعق فوقه ... عن ظلتي مزن عليه كنهور
ويقوده الليث الغضنفر معلماً ... في كل شنن اللبدتين غضنفر
نحر القبول من الدبور وسار في ... جيش الهرقل وعزمه الإسكندر
في فتية صدأ الدروع عبيرهم ... وخلوقهم علق النجيع الأحمر
لايأكل السرحان شلو طعينهم ... مما عليه من القنا المتكسر
أنسوا بهجران الأنيس كأنهم ... في عبقري البيد جنة عبقر

ومنها:

قوم يبيت على الحشايا غيرهم ... ومبيتهم فوق الجياد الضمر
وتظل تسبح في الدماء قبابهم ... فكأنهن سفائن في أبحر
من كل أهوت كالح ذي لبدة ... أوكل أبيض واضح ذي مغفر

ومنها في ذكر الممدوح:

لي منهم سيف إذا جردته ... يوما ضربت به رقاب الأعصر
وفتكت بالزمن المدجج فتكة ال ... براض يوم هجائه ابن المنذر

صعب إذا نوب الزمان استصعبت ... متنمر للحادث المتنمر
فإذا عفا لم تلق غير مملك ... وإذا سطا لم تلق غير مظفر
وكفاك من حب السماحة أنها ... منه بموضع مقلة من محجر
فغمامه من رحمة وعراصه ... من جبنة ويمينه من كوثر

وقال أيضاً يمدحه من قصيدة:

ألؤلؤ دمع هذا الغيث أم نقط ... ما كان أحسنه لو كان يلتقط
بين السحاب وبين الريح ملحمة ... معامع وظبي في الجو تختر ط
كأنه ساخط يرضى على عجل ... فما يدوم رضا منه ولا سخط
أهدى الربيع إلينا روضة آنفاً ... كما تنفس عن كافوره السفط

ومنها:

والريح تبعث أنفاساً معطرة ... مثل العبير بماء الورد يختلط
كأنما هي أنفاس المعز سرت ... لاشبهة للندى فيها ولاغلط
تالله لو كانت الأنواء تشبهه ... مامر بؤس على الدنيا ولاقنط
أبدى الزمان لنا من نور طلعته ... عن دولة ما بها وهن ولا سقط

حتى تسلط منه في الورى ملك ... رنت بدولته الأملاك والسلط
إمام عدل وفي في كل ناحية ... كما قضوا في الإمام العدل واشترطوا
قد بان بالفضل عن ماض ومؤتنف ... كالعقد عن طرفيه يفضل الوسط

وقال يمدح جعفر بن الأندلسية:

أليتنا إذ أرسلت وارداً وحفاً ... وبتنا نرى الجوزاء في أذنها شنفا
ولم يبق إرعاش المدام له يداً ... ولم يبق أعنات التثني له عطفا
تريف ثناه السكر إلا ارتجاجةً ... إذا كل عنها الخصر حملها الردفا
يقولون: حقف فوقه خيزرانة ... أما يعرفون الخيزرانه والحقفا؟
جعلنا حشايانا ثياب مدامنا ... وقدت لنا الظلماء من جلدها لحفا
فمن كبد تدنى إلى كبد هوىً ... ومن شفة توحي إلى شفة رشفا
بعيشك نبه كأسه وجفونه ... فقد نبه الإبريق من بعدما أغفى
وقد فكت الظلماء بعض قيودها ... وقد قام جيش الليل للفجر واصطفا

ومنها في المديح:

كان لواء الشمس غرة جعفر ... رأى القرن فازدادت طلاقته ضعفا
وقد جاشت الدأماء بيضاً صوارماً ... ومارنةً سمراً وفضفاضةً زغفا
وجاءت عتاق الخيل تجري كأنما ... تخط له أقلام آذانها صحفا
هنالك تلقى جعفراً غير جعفر ... وقد بدلت يمناه من رفقها عنفا
وكائن تراه في الكريهة جاعلاً ... عزيمته برقاً وصولته خطفا
وكائن تراه في المقامة جاعلاً ... مشاهده فصلاً وخطبته حرفا

وقد بلغ في هذه القصيدة غايات الإجادة ولولا طولها لاوردتها بتمامها، وقال يصف سيفا ليحي آخي جعفر المذكور:

لله أي شهاب حرب واقد ... صحب ابن ذي يزن وأدرك تبعا
في كف يحيى منه أبيض مرهف ... عرف المعز بآله فتشيعا
وجرى الفرند بصفحتيه كأنما ... ذكر القتيل بكر بلاء فدمعا
يكفيك مما شئت في الهيجاء أن ... تلقى العدا فتسل منه أصبعا

وقال أيضاً يمدح المعز وهي أول قصيدة مدحه بها حين قدم عليه بالقيروان:

هل من أعقه عالج يبرين ... أم منهما بقر الحدوج العين؟
ولمن ليال ماذممنا عهدها ... مذ كن إلا أنهن شجون
المشرقات كأنهن كواكب ... والناعمات كأنهن غصون
بيض وما ضحك الصباح وإنها ... بالمسك من طرر الحسان لجون
أدمى لها المرجان صفحة خده ... وبكى عليها اللؤلؤ المكنون

ومنها:

لأعطشن الروض بعدهم ولا ... يرويه لي دمع عليه هتون

أ أعير لحظ العين بهجة منظر ... وأخونهم؟ إني إذاً لخئون

لا الجو جو مشرق ولو اكتسى ... زهراً ولا الماء المعين معين

ومنها:

عهدي بذاك الجو وهو أسنة ... وكناس ذاك الخشف وهو عرين

هل يدنيني منه أجرد سابح ... مرح وجائلة النسوع أمون

ومنها في المديح:

ألروض ما قد قيل في أيامه ... لاأنه ورد ولانسرين

والمسك ماكتم الثرى من ذكره ... لاأن كل قراره دارين

ملك كما حدثت عنه رأفة ... فالخمر ماء والشراسة لين

شيم لوان اليم أعطى رفقها ... لم يلتقم ذا النون فيه النون

تالله لاظلل الغمام معاقل ... تأتي عليه ولا النجوم حصون

ووراء حق ابن الرسول ضراغم ... أسد وشهباء السلاح متون

ألطالبان المشرفية والقنا ... والمدركان النصر والتمكين

وصواهل لا الهضب يوم مغارها ... هضب ولا البيد الحزون حزون

جنب الحمام ومالهن قوادم ... وعلا الربود وما لهن وكون

فكأنما تحت الغبار كواكب ... وكأنما تحت الحديد دجون

عرفت بساعة سبقها لأنها ... علقت بها يوم الرهان عيون

أجل علم البرق فيها أنها ... مرت بجانحتيه وهي ظنون

ومنها:

انظرإلى الدنيا بإشفاق فقد ... أرخصت هذا العلق وهو ثمين

لو يستطيع البحر لاستعدى علي ... جدوى يديك وإنه لقمين

امدده أو فاصفح له عن نيله ... فلقد تخوف أن يقال ضنين

واعذر أمية أن تغص بريقها ... فالمهل ما سقيته والغسلين

ألقت بأيدي الذل ملقى عمرها ... بالثوب إذ فغرت له صفين

وهذه القصيدة أطول قصائده وهي نيف وثمانون بيتاً اقتصرنا منها على ما أوردناه. وقال أيضاً في مجلس أنس حضره عند الأميرجعفر:

وثلاثة لم تجتمع في مجلس ... إلا لمثلك والأريب أريب

الورد في رامشنة من نرجس ... والياسمين وكلهن عجيب

فاصفر ذا واحمر ذا وابيض ذا ... فاتت بدائع أمرهن عجيب
فكأن هذا عاشق وكأن ذا ... ك معشق وكأن ذاك رقيب
وقال أيضاً في شمعة:
لقد أشبهتني شمعة في صبابتي ... وفي هول ماألقى وما أتوقع
نحول وحزن في فناء ووحدة ... وتسهيد عين واصفرار وأدمع
وقال أيضاً:
وليل بت أسقاها سلافاً ... معتقةً كلون الجلنار
كأن حبابها خرزات در ... علت ذهباً بأقداح النضار
بكف مقرطق يزهى بردف ... يضيق بحمله وسع الإزار
أقمت لشربها عبثاً وعندي ... بنات اللهو تعبث بالعقار
ونجم الليل يركض في الدياجي ... كأن الصبح يطلبه بثار

محمد بن هبيرة

أبو سعيد الأسدي النحوي المعروف بصعورا، من أعيان أهل الكوفة وعلمائها، عارف بالنحو واللغة وفنون الأدب، قدم بغداد واختص بعبد الله بن المعتز وعمل له رسالة فيما أنكرته العرب على أبي عبيد القاسم بن سلام ووافقته فيه، و أدب أولاد محمد بن يزداد وزير المأمون، وله كتاب فيما يستعمله الكاتب وغير ذلك.

محمد بن ولاد

هكذا اشتهر، وقيل: هو ابن الوليد أبو الحسين التميمي النحوي،أخذبمصر عن أبي علي الدينوري ختن ثعلب، ثم رحل إلى العراق وأخذ عن المبرد وثعلب، وكان جيد الخط والضبط وفيه عرج، وغلب عليه الشيب وتزوج الدينوري آمة، وله كتاب في النحو سماه المنمق لم يصنع فيه شيئا، وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك.
وكان المبرد لا يمكن أحداً من نسخ كتاب سيبويه من عنده، فكلم ابن الولاد المبرد في نسخه على شيء سماه له فأجابه، فأكمل نسخه وأبي أن يعطيه شيئا حتى يقرأه عليه، فغضب المبرد وسعى به إلى بعض خدم السلطان ليعاقبه على ذلك، فالتجأ ابن ولاد إلى صاحب الخراج ببغداد وكان يؤدب ولده فأجابه، ثم ألح على المبرد حتى أقرأه الكتاب. مات ابن ولاد سنة ثمان وتسعين ومائتين وقد بلغ الخمسين. ومن شعره:
إذا ما طلبت أخاً مخلصاً ... فهيهات منك الذي تطلب

فكن بانفرادك ذا غبطة ... فما في زمانك من يصحب

محمد بن يحيى بن علي

بن مسلم ابن موسى بن عمران الحنفي الزبيدي أبو عبد الله النحوي، كانت له معرفة بالنحو واللغة والأدب، صحب الوزير ابن هبيرة مدة وقرأ عليه، وكان صبوراً على الفقر لايشكو حاله. قال ابن لجوزي: حدثني الوزير ابن هبيرة قال: جلست مع الزبيدي من بكرة إلى قريب الظهر وهو يلوك شيئا في فمه فسألته فقال: لم يكن عند ي شيء فأخذت نواة وجعلتها في فمي أتعلل بها، وكان يحكي عنه انه على مذهب السليمانية ويقول: إن الأموات يأكلون ويشربون في القبر، وإن العاصي لايلام لأنه بقدر الله تبارك وتعالى، وكان يقول: قل الحق وإن كان مراً. ودخل على الوزير الزينبي وعليه خلعة الوزارة والناس يهنونه فقال: هذا يوم عزاء لاهناء، فقيل لم؟ فقال: أيهنأ على لبس الحرير؟. وحكى عنه قال: خرجت إلى المدينة على الوحدة فآواني الليل إلى جبل فصعدت عليه وناديت: اللهم إني الليل ضيفك، ثم نزلت فتواريت عند صخرة فسمعت مناديا يناد ي: مرحبا يا ضيف الله، إنك مع طلوع الشمس تمر على قوم على بئر يأكلون خبزا وتمرا، فإذا دعوك فاجب فهذه ضيافتك، فلما كان من الغد سرت فلما كان وقت طلوع الشمس لاحت لي أهداف بئر فوجدت عندها قوما يأكلون خبزا وتمرا فدعوني إلى الأكل فأجبت. وله من التصانيف: منار الاقتضاء، ومنهاج الاقتفاء، وكتاب الرد على ابن الخشاب، وكتاب العروض، والمقدمة في النحو، وكتاب الحساب وكتاب القوافي، وكتاب تعليل قراءة: ونحن عصبة بالنصب. مات في ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وخمسمائة.

محمد بن يحيى بن محمد

أبو عبد الله بن الحذاء، التميمي الأندلسي، كان محدثاً فقيهاً وخطيباً بليغاً، عارفاً بفنون الأدب بارعاً بها، له معرفة تامة بعلم التعبير،أخذعن ابن عون الله وابن بطال وابن زرب وغيرهم، وتفقه علي ابن أبي زيد القيرواني وقرأ عليه تأليفه، ورحل إلى مصر فأخذ بها عن الحافظ عبد الغني والجوهري وغيرهما، ثم رجع إلى الأندلس فولى القضاء ببلنسية وغيرها، ثم رحل في فتنة البربر فاستوطن سر قسطة إلى أن مات بها سنة عشرة وأربعمائة.

ومن تصانيفه: كتاب الخطب والخطباء في مجلدين، والبشر ي في تعبير الرؤيا كبير يدخل في عشر مجلدات، والأنبياء بمعاني الأسماء – أسماء الله تعالى – ، والاستنباط لمعاني السنن والأحكام في عدة أسفار، والتعريف برجال الموطإ وغير ذلك.

محمد بن يحيى بن سعادة

أبو عبد الله المرسي، كان عالماً بالتفسير والحديث والكلام، خطيباً مصقعاً عارفاً بفنون الأدب، أخذعن أبي على الصدفي وأبي بكر بن العربي وأبي الوليد بن رشدواي الأسدي وغيرهم.

وولى القضاء والشورى بمرسية ثم بشاطبة فاستوطنها، ومولده بمرسية في رمضان سنة ست وتسعين

وأربعمائة، وتوفي بشاطبة في العشر الأخير من ذي الحجة سنة أربع وستين وخمسمائة، ومن تصانيفه: شجرة الوهم المرقية إلى ذروة الفهم، وفهرست أسماء الشيوخ.

محمد بن يحيى

بن عبد الله بن العباس ابن محمد بن صول. الكاتب المعروف بالأصولي، كان جده ابن صول التركي أحد دعاة بني العباس، ولدابو بكر ببغداد ونشا بها، واخذ عن ثعلب والمبرد وأبي داود السجستاني، واخذ عنه أبو عبد الله المرزباني الكاتب الأخباري وغيره، وكان إخبارياً أديباً كاتباً، وكان نديماً للخلفاء متمكناً عندهم، نادم المكتفي ثم الراضي ثم المقتدر، وكان واحد عصره في لعب الشطرنج حتى قيل انه هو الذيوضعه وليس كذلك، وإنما وضع الشطرنج صصة الهندي لبهرام ملك الفرس.
حكى أن الراض بالله خرج إلى النزهة فأتى بستاناً مونقاً مزهراً فقال لمن حضر: هل رايتم منظر أحسن من هذا؟ فكل أثنى بما حضره ووصف محاسنه، فقال الراض: لعب الصولي بالشطرنج احسن من هذا ومما وصفتم.
وكان لأبي بكر الصولي خزانة أفردها لما جمع من الكتب المختلفة ورتبها فيها أجمل ترتيب، وكان يقول لآصحابه: كل مافي هذه الخزانة سماعي، وإذا أراد مراجعة كتاب منها قال: ياغلام هات الكتاب الفلاني، فسمعه يوما أبو سعيد العقيلي يقول ذلك فانشد:

إنما الصولي شيخ ... أعلم الناس خزانه
إن سألناه بعلم ... نبتغي عنه الإبانه
قال يا غلمان هاتوا ... رزمة العلم فلانه

وللصولي من التصانيف: أخبار ابن هرمة الشاعر، وأخبار أبي تمام، وأخبار أبي عمر بن العلاء وأخبار إسحاق الموصلي، وأخبار الحميري الشاعر، وأخبار القرامطة، وأدب الكاتب، وكتاب الأنواع، وكتاب العبادلة وكتاب الغرور، وكتاب الورقة، وكتاب الوزراء وغير ذلك. وكان خرج من بغداد لضيق لحقه فنزل البصرة وبها توفي سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة.

محمدبن يزيد بن الكبر بن عمير

ابن حسان بن سليمان بن سعد بن عبدالله بن يزيد بن مالك ابن الحارث بن عامر بن عبد الله بن بلال بن عوف بن أسلم وهو ثمالة، ثم ينتهي إلى السد بن الغوث وهو الأزد، فهو الثمالي الأزدي البصري أبو العباس النحوي اللغوي الأديب، ولد بالبصرة يوم الاثنين غداة عيد الأضحى سنة عشرة ومائتين، وأخذ عن أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني وقرأ عليهما كتاب سيبويه، وأخذ عن أبي حاتم السجستاني وأخذ عنه أبو بكر محمد بن يحيى الصولي ونفطوية وأبو علي الطوماري وغيرهم. وكان إمام العربية ببغداد وإليه انتهى علمها بعد طبقة الجرمي والمازني، وكان حسن المحاضرة فصيحاً بليغاً، مليح الأخبار ثقة فيما يرويه كثير

النوادر فيه ظرافة ولباقة، وكان الإمام اسماعيل القاضي يقول: ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه، وإنما لقب بالمبرد لأنه لما صنف المازني كتاب الالف واللام سأل ه عن دقيقه وعويصه فأجابه بأحسن جواب، فقال له المازني: قم فأنت المبرد بكسر الراء، أي المثبت للحق، فحرفه الكوفيون وفتحوا الراء. وقال السيرافي: سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول: مارأيت أحسن جواباً من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم، ولقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب. وقال السيرافي أيضاً: سمعت نفطويه يقول: مارأيت أحفظ للأخبار بغير أسانيد من المبرد وأبي العباس بن الفرات. وقال المفجع البصري: كان المبرد لكثرة حفظه للغة وغريبها يتهم بالوضع فيها، فتواضعنا على مالة نساه عنها لاأصل لها لننظر ماذا يجيب؟ وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا ... حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقال البعض: هو من البحر الفلاني، وقال آخرون: هو من البحر الفلاني، وتردد على أفواهنا من تقطيعه: القبعضنا، ثم ذهبنا إلى المبرد فقلت له: أيدك الله تعالى ما القبعض عند العرب؟ فقال هو القطن، وفي ذلك يقول الشاعر:

كان سنامها حشى القبعضا

قال: فقلت لأصحابي ترون الجواب والشاهد، فان كان صحيحاً فهو عجب، وإن كان مختلقاً على البديهة فهو أعجب وحكى ابن السراج قال: كان بين المبرد وثعلب ما يكون بين المعاصرين من المنافرة واشتهر ذلك حتى قال بعضهم:

كفى حزناً أنا جميعاً ببلدة ... ويجمعنا في أرضها شر مشهد

وكل لكل مخلص الود وامق ... ولكنه في جانب عنه مفرد

نروح ونغدو لاتزاور بيننا ... وليس بمضروب لنا يوم موعد

فابداننا في بلدة والتقاؤنا ... عسير كلقيا ثعلب والمبرد

وكان أهل التجميل يفضلون المبرد على ثعلب. وفي ذلك يقول أحمد بن عبد السلام:

رأيت محمد بن يزيد يسمو ... إلى الخيرات في جاه وقدر

جليس خلائف وغذى ملك ... وأعلم من رأيت بكل أمر

وفتيانية الظرفاء فيه ... وأبهة الكبير بغير كبر

فينشر إن أجال الفكر درا ... وينثر لؤلؤاً من غير فكر

وكان الشعر قد أودى فأحيا ... أبو العباس داثر كل شعر

وقالوا: ثعلب رجل عليم ... وأين النجم من شمس وبدر

وقالوا: ثعلب يفتي ويملي ... وأين الثعلبان من الهزبر

وهذا في مقالك مستحيل ... تشبه جدولاً وشلاً ببحر؟

وقال بعضهم في المبرد وثعلب:

أيا طالب العلم لاتجهلن ... وعد بالمبرد أو ثعلب

تجد عند هذين علم الورى ... فلا تك كالجمل الأجرب
علوم الخلائق مقرونة ... بهذين في الشرق والمغرب

وقال أبو بكر بن الأزهر: حدثني أبو العباس المبرد قال: قال لي المازني: بلغني أنك تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواضع المجانين والمعالجين فما معنى ذلك؟ فقلت: أعزك الله تعالى، إن لهم طرائف من الكلام قال: فأخبرني بأعجب مارأيت من المجانين، قال فقلت: صرت يوما إليهم فمررت على شيخ منهم وهو جالس على حصير قصب فجاوزته إلى غيره فقال: سبحان الله تعالى أين السلام؟ من المجنون أنا أو أنت؟ فاستحيت منه وقلت: السلام عليك ورحمة الله وبركاته. فقال: لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد، علي أنا نصرفسوء أدبك إلى أحسن جهاته من العذر، لأنه كان يقال: إن للداخل على القوم دهشة، أجلس – أعزك الله تعالى عندنا وأومأ إلى موضع من الحصير، فجلست إلى ناحية منه استرعى مخاطبته فقال لي وقد رأى معي محبرتي: أرى معك آلة رجلين أرجو ألا تكون أحدهما: أصحاب الحديث الأغثاث، أو الأدباء أصحاب النحو والشعر؟ قلت الأدباء، قال: أتعرف أبا عثمان المازني؟ قلت نعم، قال أتعرف الذي يقول فيه؟:

وفتىً من مازن ... أستاذ أهل البصرة
أمه معرفة ... وأبوه نكره

فقلت لا أعرفه فقال: أتعرف غلاماً له قد نبغ في هذا العصر معه له ذهن وحفظ، وقد برز في النحو يعرف بالمبرد؟ فقلت: أنا والله الخبير به، قال: فهل أنشدك شيئا من شعره؟ قلت: لا أحسبه يحسن قول الشعر، فقال: ياسبحان الله، أليس هو القائل:

حبذا ماء العناقي ... د بريق الغانيات
بهما ينبت لحمي ... ودمي أي نبات
أيها الطالب أشهى ... من لذيذ الشهوات
كل بماء المزن تفا ... ح خدود الفتيات

قلت: سمعته ينشد هذا في مجلس أنس فقال: ياسبحان الله، ألايستحي أن ينشد مثل هذا حول الكعبة؟! ثم قال: ألم تسمع ما يقولون في نسبه؟ قلت: يقولون هو من الأزد ازدشنوءة، ثم من ثمالة، قال: أتعرف القائل في ذلك؟:

سألنا عن ثمالة كل حي ... فقال القائلون ومن ثماله
فقلت: محمد بن يزيد منهم ... فقالوا: زدتنا بهم جهالة
فقال لي المبرد خل قومي ... فقومي معشر فيهم نذالة

فقلت أعرفه، هذا عبد الصمد بن المعذل يقولها فيه فقال: كذب فيما أدعاه، هذا كلام رجل لانسب له، يريد أن يثبت له بهذا الشعر نسباً، فقلت له أنت أعلم، فقال ياهذا: قد غلبت خفة روحك على قلبي، وقد أخرت ماكان يجب تقديمه، ما الكنية أصلحك الله؟ فقلت: أبو العباس. قال: فما الاسم؟ قلت محمد: قال فالأب؟ قلت يزيد، قال: قبحك الله، أحوجتني إلى الاعتذار مما قدمت ذكره، ثم وثب وبسط يده فصافحني

فرأيت القيد في رجله فأمنت غائلته، فقال: يا أبا العباس، صن نفسك من الدخول في هذه المواضع، فليس يتهيأ في كل وقت أن تصادف مثلي على مثل حالتي ثم قال: أنت المبرد، أنت المبرد، وجعل يصفق وانقلبت عيناه واحمرت وتغيرت حالته، فبادرت مسرعاً خوف أن تبدر إلي منه بادرة، وقبلت منه الله نصحه ولم أعاود بعدها إلى تلك المواضع أبداً.

وقال الزجاج: لما قدم المبرد بغداد جئت لأناظره وكنت أقرأ على أبي العباس ثعلب فعزمت على أعناته فلما باحثته الجمني بالحجة، وطالبني بالعلة، وألزمني إلزامات لم أهتد إليها، فاستيقنت فضله، واسترجحت عقله، وأخذت في ملازمته، وكان المبرد يحب الاجتماع بأبي العباس ثعلب للمناظرة، وثعلب يكره ذلك.

حكى أبو القاسم جعفر بن محمد بن حمدان الموصلي وكان صديقهما قال: قلت لأبي عبد الله الدينسوري ختن ثعلب: لم يأبى ثعلب الاجتماع بالمبرد؟ فقال: لأن المبرد حسن العبارة، حلو الإشارة، فصيح اللسان، ظاهر البيان، وثعلب مذهبه مذهب المعلمين، فإذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد على الظاهر إلى أن يعرف بالباطن.

وحكى أن بعض الأكابر من بني طاهر سأل أبا العباس ثعلباً أن يكتب له مصحفاً على مذهب أهل التحقيق، فكتب: والضحى بالياء، ومذهب الكوفيين أنه إذا كان كلمة من هذا النحو أو الهاضمة أو كسرة كتبت بالياء وإن كانت من ذوات الواو، والبصريون يكتبون بالألف، فنظر المبرد في ذلك المصحف فقال: ينبغي أن يكتب والضحا بالألف لأنه من ذوات الواو، فجمع ابن طاهر بينهما فقال المبرد لعلي: لم كتبت والضحى بالياء؟ فقال: لضمه أوله. فقال له: ولم إذا ضم أوله وهو من ذوات الواو تكتبه بالياء؟ فقال: لأن الضمة تشبه الواو، وما أوله واو يكون آخره ياء فتوهموا أن أوله واو. فقال المبرد: أفلا يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة؟. ولبعضهم في مدح المبرد:

وإذا يقال من الفتى كل الفتى ... والشيخ والكهل الكريم العنصر
والمستضاء بعلمه وبرأيه ... وبعقله قلت: ابن عبد الاكبر

ولآخر في مدحه أيضاً:

وأنت الذي لايبلغ المدح وصفه ... وإن أطنب المداح مع كل مطنب
رأيتك والفتح بن خاقان راكباً ... فأنت عديل الفتح في كل موكب
وكان أميرالمؤمنين إذا رنا ... إليك يطيل الفكر بعد التعجب
وأوتيت علماً لايحيط بكنهه ... علوم بني الدنيا ولاعلم ثعلب
يروح إليك الناس حتى كأنهم ... ببابك في أعلى منىً والمحصب

مات أبو العباس المبرد في شوال، وقيل في ذي القعدة سنة خمس وثمانين ومائتين في خلافة المعتضد، وصلى عليه أبو محمد يوسف بن يعقوب القاضي ودفن في دار في مقابر باب الكوفة، ولما مات قال فيه ثعلب هذه الأبيات، وقيل هي لأبي بكر بن العلاف:

ذهب المبرد وانقضت أيامه ... وليذهبن إثر المبرد ثعلب

بيت من الآداب أضحى نصفه ... خراباً وباقي النصف منه سيخرب
فابكوا لما سلب الزمان ووطنوا ... للدهر أنفسكم على ما سلب
وتزودوا من ثعلب فبكأس ما ... شرب المبرد عن قريب يشرب
أوصيكم أن تكتبوا أنفاسه ... إن كانت الأنفاس مما يكتب

ومن شعر المبرد وقد بلغه أن ثعلباً نال منه:

رب من يعنيه حالي ... وهو لايجري ببالي
قلبه ملآن مني ... وفؤادي منه خالي

ولأبي العباس المبرد من التصانيف الكامل في الأدب وهو أشهر كتبه، والمقتضب في النحو وهو أكبر مصنفاته وأنفسها إلا أنه لم ينتفع به أحد.

قال أبو علي الفارس: نظرت في المقتضب فما انتفعت منه بشيء إلا بمسأل ة واحدة، وهي وقوع إذا جواباً للشرط في قوله تعالى: (وإن تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون)، ويزعمون أن سبب عدم الانتفاع به، أن هذا الكتاب أخذه ابن الرواندي الزنديق عن المبرد، وتناوله الناس من يد ابن الرواندي فكأنه عاد عليه شؤمه فلا يكاد ينتفع به.

ومن تصانيفه أيضاً: الروضة، والمدخل في كتاب سيبويه، وكتاب الاشتقاق، وكتاب المقصور والممدود، وكتاب المذكر والمؤنث، ومعاني القرآن ويعرف بالكتاب التام، وكتاب الخط والهجاء، وكتاب الأنواء والأزمنة، وكتاب احتجاج القراء وإعراب القران، وكتاب الحروف في معاني القرآن إلى سورة طه، وكتاب صفات الله جل وعلا، وكتاب العبارة عن أسماء الله تعالى، وشرح شواهد كتاب سيبويه، وكتاب الرد على سيبويه ومعنى كتاب الأوسط للأخفش، وكتاب الزيادة المنتزعة من كتاب سيبويه، ومعنى كتاب سيبويه، وكتاب الحروف، والمدخل في النحو، وكتاب الإعراب، وكتاب التصريف، وكتاب العروض، وكتاب القوافي، وكتاب البلاغة، والرسأل ة الكاملة، والجامع لم يتم، وقواعد الشعر، وكتاب ضرورة الشعر، وكتاب الفاضل والمفضول، والرياض المونقة، وكتاب الوشي، وكتاب شرح كلام العرب وتخليص ألفاظها ومزاوجة كلامها وتقريب مبانيها، وكتاب الحث على الأدب والصدق، وأدب الجليس، وكتاب الناطق، وكتاب الممادح والمقابح، وكتاب أسماء الواهي عند العرب، وكتاب ما اتفقت ألفاظه واختلفت معانيه في القرآن، وكتاب التعازي، وكتاب قحطان وعدنان، وطبقات النحو ين البصريين وأخبارهم وغير ذلك.

محمد بن يوسف بن عمر بن علي

ابن منيرة الكفرطابي، ابوعبد الله النحوي نزيل شيراز، سمع الحديث على أبي السمح الحنبلي، وصنف بحر النحو نقض فيه مسائل كثيرة من أصول النحويين، ونقد الشعر، وغريب القرآن، مات في رمضان سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة.

أبو محمد الترسابادي النحوي

عرف كتاب سيبويه وأحكم مسائل الاخفش، ثم خرج إلى العراق فهابه علماء النحو وانقبضوا عن مناظرته، منهم الزجاج وابن كيسان. وحضر يوماً مجلس النحويين ببغداد فسئل عن مسأل ة وابن كيسان حاضر، فانقبض عن الإجابة إجلالاً لابن كيسان فقال له: يا أبا محمد، أجب فو الله أنت أحقنا بالانتصاب.

محمود بن جرير الضبي

الاصبهاني أبو مضر النحوي، كان يلقب فريد العصر، وكان وحيد دهره وأوانه في علم اللغة والنحو والطب، يضرب به المثل في أنواع الفضائل، أقام بخوارزم مدة وانتفع الناس بعلومه ومكارم أخلاقه وأخذوا عنه علماً كثيراً، وتخرج عليه جماعة من الأكابر في اللغة والنحو، منهم الزمخشري وهو الذي ادخل على خوارزم مذهب المعتزلة ونشره بها، فاجتمع عليه الخلق لجلالته وتمذهبوا بمذهبه، منهم أبو الاسم الزمخشري ولست أعرف له مع نباهة قدره وشيوع فكره مصنفاً مذكوراً، ولا تأليفاً مأثوراً، إلا كتاباً يشتمل على نتف وأشعار وحكايات وأخبار سماه زاد الراكب. مات بمرو سنة سبع وخمسمائة. ورثاه الزمخشري بقوله:

وقائلة ما هذه الدرر التي ... تساقطها عيناك سمطين سمطين

فقلت: هو الدر الذي قد حشا به ... أبو مضر عيني تساقط من عيني

محمود بن أبي الحسن بن الحسين

النيسابوري الغزنوي يلقب ببيان الحق، كان عالماً بارعاً مفسراً لغوياً فقهاً متفنناً فصيحاً، له تصانيف أدعى فيها الإعجاز، منها كتاب خلق الإنسان، وجمل الغرائب في تفسير الحديث، وإيجاز البيان في معاني القرآن وغير ذلك.

ومن شعره:

فلا تحقرن خلقاً من الناس عله ... ولي إله العالمين ولا تدري

فذو القدر عند الله يخفى على الورى ... كما خفيت عن علمهم ليلة القدر

محمود بن حمزة بن نصر الكرماني

النحوي، هو تاج القراء وأحد العلماء الفقهاء النبلاء، صاحب التصانيف والفضل، كان عجباً في دقة الفهم وحسن الاستنباط، لم يفارق وطنه ولا رحل، وكان في حدود الخمسمائة وتوفي بعدها. صنف لباب التفسير، والإنجاز في النحو اختصره من الإيضاح للفارسي، النظامي في النحو اختصره من اللمع لابن جني. الإفادة في النحو، العنوان فيه أيضاً. وله في موانه الصرف:

فمعرفة وتأنيث ونعت ... ونون قبلها ألف وجمع

وعجمة ثم تركيب وعدل ... ووزن الفعل والأسباب تسع

محمود بن عزيز العارض

أبو القاسم الخوارزمي الملقب شمس المشرق، كان من أفضل الناس في عصره في علم اللغة والأدب، لكنه تخطى إلى علم الفلسفة فصار مفتوناً بها ممقوتاً بين المسلمين، وكان سكوناً سكوتاً وقوراً، يطالع الفقه ويناظر في مسائل الخلاف أحياناً، سمع الحديث من أبي نصر القشيري وغيره، وأملى طرفاً من الحديث وشرحه بلفظ حسن ومعان لابأس بها. وكان الزمخشري يدعوه الجاحظ الثاني لكثرة حفظه وفصاحة لفظه. أقام مدة بخوارزم في خدمة خوارزم شاه مكرماً، ثم ارتحل إلى مرو فذبح بها نفسه بيده في أوائل سنة إحدى وعشرين وخمسمائة، ووجد بخطه رقعة فيها: هذا ما عملته أيدينا فلا يؤاخذ به غيرنا.

محمود عمر بن احمد

أبو القاسم الزمخشري جار الله، كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب، واسع العلم كبير الفضل متفنناً في علوم شتى، معتزل المذهب متجاهراً بذلك. قال ابن اخته أبو عمر وعامر بن الحسن المسار: ولد خالي بزمخشر من أعمال خوارزم يوم الأربعاء السابع والعشرين من رجب سنة سبع وستين وأربعمائة. واخذ الأدب عن أبي مضر محمود بن جريرالضبي الأصبهاني، وأبي الحسن علي ابن المظفر النيسابوري، وسمع من شيخ الاسلام أبي منصور نصر الحارثي، ومن أبي سعد الشقاني، وأصابه خراج في رجله فقطعها واتخذ رجلاً من خشب، وقيل أصابه برد الثلج في بعض أسفاره بنواحي خوارزم فسقطت رجله وحكى أن الدامغاني المتكلم الفقيه، سأله عن سبب قطع رجله فقال: دعاء الوالدة، وذلك أني أمسكت عصفوراً وأنا صبي صغير وربطت برجله خيطاً فأفلت من يدي ودخل خرقاً فجذبته فانقطعت رجله، فتألمت له والدتي وقالت: قطع الله رجلك كما قطعت، فلما رحلت إلى بخارى في طلب العلم سقطت عن الدابة في أثناء الطريق فانكسرت رجلي وأصابني من الألم ما أوجب قطعها، ولما قدم الزمخشري إلى بغداد قاصداً الحج زاره الشريف أبو السعادات هبة الله بن الشجري مهنئاً له بقدومه، فلما جلس إليه أنشده متمثلاً:

كانت مساءلة الركبان تخبرني ... عن أحمد بن دواد طيب الخبر

حتى التقينا فلا والله ما سمعت ... أذني بأحسن مما قد رأى بصري

وأنشد أيضاً:

واستكبر الأخبار قبل لقائه ... فلما التقينا صغر الخبر الخبر

ثم أخذ يثني عليه فلم ينطق الزمخشري حتى فرغ ابن الشجري من كلامه، فلما أتم كلامه شكر الشريف وعظمه، وتصاغر له ثم قال إن زيد الخيل دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما بصر بالنبي صلى الله عليه وسلم رفع صوته بالشهادتين، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم يازيد الخيل: كل رجل وصف لي وجدته دون الصفة إلا أنت، فإنك فوق ما وصفت، وكذلك سيدنا الشريف، ثم دعا له وأثنى عليه. توفي أبو القاسم الزمخشري بقصبة خوارزم ليلة عرفة سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة.

ومن شعره:

ألعلم للرحمن جل جلاله ... وسواه في جهلاته يتغمغم
ماللتراب وللعلوم وإنما ... يسعى ليعلم أنه لايعلم
وقال أيضاً:
كثر الشك والخلاف وكل ... يدعى الفوز بالصراط السوي
فاعتصامي بلا إله سواه ... ثم حبي لأحمد وعلي
فاز كلب بحب أصحاب كهف ... كيف أشقى بحب آل نبي؟
وقال في مدح تفسير الكشاف:
إن التفاسير في الدنيا بلا عدد ... وليس فيها لعمري مثل كشافي
إن كنت تبغي الهدى فالزم قراءته ... فالجهل كالداء والكشاف كالشافي
ومن كلامه ما استخرجته من كتابة الأطواف قال: استمسك بحبل مواخيك ماستمسك باواخيك واصحبه ما صحب الحق وأذعن، وحل مع أهله وظعن، فان تنكرت أنحاؤه، ورشح بالباطل إناؤه، فتعوض عن صحبته وإن عوضت الشع، وتصرف بحبله ولو أعطيت النسع، فصاحب الصدق أنفع من الترياق النافع، وقرين السوء أضر من السم الناقع. وقال: الدعة من الضعة مرة لاتشره إليها نفس حرة. وقال: الكريم إذا ريم على الضيم نبا، والسرى متى سيم الخسف أبي، وقلما عرفت الأنفة والإباء في غير من شرفت منه الإباء. وقال: عزة النفس وبعد الهمة، الموت الأحمر والخطوب المدلهمة، ولكن من عرف منهل النل فعافه، استعذب نقيع العز وذعافه. وقال: أحمق من النعامة من افتخر بالزعامة، لم أر أشقى من الزعيم، ولا أبعد منه من الفوز بالنعيم، هالك في الهوالك، خابط في الظلم الحوالك، على آثاره العفاء، أدركته بمجانيقها الضعفاء. وقال: الدنيا أدوار، والناس أطوار، فالبس لكل يوم بحسب مافيه من الطوارق، وجانس كل قوم بقدر مالهم من الطرائق، فلن تجري الأيام على أمنيتك، ولن تنزل الأقوام على قضيتك. وقال: ألا أحدثك عن بلد الشوم؟ ذلك بلد الوالي الغشوم، فإياك وبلد الجور، وإن كنت أعز من بيضة البلد، وأحظى أهله بالمال المثمر والولد، وتوقع أن تسقط فيه الطيور النواعق، وتأخذ أهله الرجفة والصواعق.

وقال: لا تقنع بالشرف التالد، فذلك الشرف للوالد، واضمم إلى التالد طريفاً حتى تكون بهما شريفاً، ولا تدل بشرف أبيك مالم تدل عليه بشرف فيك. وقال: كب الله على مناخره من زكى نفسه بمفاخره، على أن رب مساخر يعدها الناس مفاخر. وقال: ما لعلماء الشيء جمعوا عزائم الشرع ودونوها، ثم رخصوا فيها لأمراء السوء وهونوها، إنما حفظوا وعلقوا، وصفقوا وحلقوا، ليقمروا المال وييسروا، ويفقروا، الأيتام ويوسروا، أكمام واسعة، فيها أطلال لاسعة، وأقلام كأنها أزلام، وفتوى يعمل بها الجاهل فيستوي ومن إنشائه ما كتب به إلى حافظ الاسكندرية أبي الطاهر السلفي جواب عن كتاب كتبه إليه يستجير هبة وهو: ما مثلي مع أعلام العلماء، إلا كمثل السهام مع مصايح السماء، والجهام الصفر والرهام مع الغوادي الغامرة للقيعان والآكام، والسكيت المخلف عن خيل السباق، والبغاث مع الطير العناق، وما التلقيب بالعلامة، إلا شبه الرقم والعلامة، والعلم مدينة أحد بابها الدراية، والثاني الرواية، وأنا في كلا البابين ذو

بضاعة مزجاة، ظلي فيها أقلص من ظل حصاة، أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الأسناد لم تستند إلى علماء نحارير، ولا إلى أعلام مشاهير. وأما الدراية فنمد لا يبلغ أفواها، وبرض ما يبل شفاها، إلى أن قال: ولا يغرنكم قول فلان وفلان، في وذكر جماعة من العلماء والشعراء أثنوا عليه ومدحوه، ثم قال: فان ذلك اغترار بالظاهر المموه، وجهل بالباطن المشوه، ولعل الذي غرهم مني مارأوا من حسن النصح للمسلمين، وبلوغ الشفقة على المستفيدين، وقطع المطامع، وإفادة المبار والصنائع، وعزة النفس والربء بها عن السفاسف والإقبال على خويصتي والإعراض عما لا يعنيني فجللت في عيونهم، وغلطوا في ونسبوني إلى مالست منه في قبل ولادبير الخ، والكتاب طويل اقتصرت منه على ما أوردت. ولأبي القاسم من التصانيف: الكشاف في تفسير القرآن، الفائق في غريب الحديث، نكت الأعراب في غريب الإعراب في غريب إعراب القرآن، كتاب متشابه أسماء الرواة، مختصر الموافقة بين أهل البيت والصحابة، الأصل لأبي سعيد الرازي إسماعيل، الكلم النوابغ في المواعظ، أطواق الذهب في المواعظ، نصائح الكبار، نصائح الصغار، مقامات في المواعظ، نزهة المستأنس، الرسالة الناصحة، رسالة المسامة، الرائض في الفرائض، معجم الحدود، المنهاج في الأصول، ضالة الناشد، كتاب عقل الكل، النموذج في النحو، المفصل في النحو أيضاً، المفرد والمؤلف فيه أيضاً، صميم العربية، الأملي في النحو، أساس البلاغة في اللغة، جواهر اللغة، كتاب الأجناس، مقدمة الأدب في اللغة، كتاب الأسماء في اللغة، القسطاس في العروض، حاشية على المفصل، شرح مقاماته، روح المسائل، سوائر الأمثال، المستقصي في الأمثال، ربيع الأبرار في الأدب والمحاضرات، تسلية الضرير، رسالة الاسارا، أعجب العجب في شرح لامية العرب، شرح المفصل، ديوان التمثيل، ديوان خطب، ديوان شعر، شرح كتاب سيبويه، كتاب الجبال والأمكنة، شافي العي من كلام الشافعي، شقائق النعمان في حقائق النعمان في مناقب الإمام أبي حنيفة، المحاجاة ومنهم مهام أرباب الحاجات في الأحاجي والألغاز المفرد والمركب في العربية وغير ذلك.

محمود بن أبي المعالي

تاج الدين الحواري اللغوي الأديب الشاعر، أخذ الأدب عن سعيد بن أبي الفاضل الميداني وبرع في اللغة، وله النثر الفائق والشعر اللائق، وكان واحد نيسابور علماً وفضلاً وأدباً، وصنف كتاب ضالة الأديب في الجمع بين الصحاح والتهذيب، أخذ فيه على الجوهري في عدة مواضع، كان حياً سنة ثمانين وخمسمائة.

مدرك بن علي الشيباني

أعبر أبي من بادية البصرة، دخل بغداد صغيراً أو نشأ بها فتفقه وحصل العربية والأدب، وكان شاعراً أديباً فاضلاً، وكان كثيراً مايلم بدير الروم في الجانب الشرقي ببغداد وكان بدير الروم غلام من أولاد النصارى يقال له عمرو ابن يوحنا، وكان من أحسن الناس صورة وأكملهم خلقاً، وكان مدرك بن علي يهواه، وكان لمدرك مجلس تجتمع فيه الأحداث، فإن حضر شيخ أو صاحب حرمة قال له مدرك: فبيح بك أن تخلط

بالأحداث والصبيان، فقم في حفظ الله فيقوم وكان عمرو يحضر مجلسه فعشقه مدرك وهام به، فجاء عمرو يوماً إلى المجلس فكتب مدرك رقعة وطرحها في حجره فإذا فيها:

بمجالس العلم التي ... بك تم حسن جموعها
إلا رثيت لمقلة ... غرقت بفيض دموعها
بيني وبينك حرمة ... الله في تضييعها

فقرأ الأبيات ووقف عليها من كان في المجلس، فاستحيا عمرو وانقطع عن الحضور، وغلب الأمر على مدرك فترك مجلسه ولزم دير الروم، وجعل يتبع عمراً حيث سار وقال فيه شعراً كثيراً.

قال الحريري: – وقد رأيت عمراً أبيض الرأس واللحية – ومن شعر مدرك فيه المزدوجه المشهورة وهي:

من عاشق ناء هواه داني ... ناطق دمع صامت اللسان
معذب بالصد والهجران ... موثق قلب مطلق الجسمان
من غير ذنب كسبت يداه ... غير هوى نمت به عيناه
شوقاً إلى رؤية من أشقاه ... كأنما عافاه من أضناه
يا ويحه من عاشق مايلقى ... من أدمع منهلة ما ترقا
ناطقة وما أجادت نطقا ... تخبر عن حب له استرقا
لم يبق منه غير طرف يبكي ... بأدمع مثل نظام السلك
تطفئ نيران الهوى وتذكي ... كأنها قطر السماء تحكي
إلى غزال من بني النصارى ... عذار خديه سبى العذارى
وغادر الأسد به حيارى ... في ربقة الحب له أسارى
رئم بدار الروم رام قتلي ... بمقلة كحلاء لامن كحل
وطرة بها استطار عقلي ... وحسن وجه وقبيح فعل
رئم به أي هزبر لم يصد؟ ... يقتل باللحظ ولا يخشى القود
متى يقل ها قالت الألحاظ قد ... كأنها ناسوته حين اتحد
ما أبصر الناس جميعا بدرا ... ولارأوا شمساً وغصناً نضرا
أحسن من عمرو فديت عمرا ... ظبي بعينه سقاني خمرا
هأنذا بقده مقدود ... والدمع في خدي له أخدود
ما ضر من فقري به موجود ... لولم يقبح فعله الصدود
إن كان ذنبي عنده الإسلام ... فقد سعت في نقصه الآثام
واختلت الصلاة والصيام ... وجاز في الدين له الحرام
يا ليتني كنت له صليبا ... أكون منه أبداً قريبا
أبصر حسناً وأشم طيباً ... لاواشياً أخشى ولا رقيبا

يا ليتني كنت له قرباناً ... ألثم منه الثغر والبنانا
أوجا ثليقا كنت أو مطراناً ... كيما يرى الطاعة لي إيمانا
يا ليتني كنت لعمرو مصحفاً ... يقرأ مني كل يوم أحرفا
أو قلماً يكتب بي ماألفا ... من أدب مستحسن قد صنفا
يا ليتني كنت لعمرو عوذه ... أوحلة يلبسها مقدوده
أو تركةً باسمه معدوده ... أوبيعةً بداره مشهوده
يا ليتني كنت له زناراً ... يديرني في الخصر كيف دارا
حتى إذا الليل طوى النهارا ... صرت له حينئذ إزارا
قد والذي يبقيه لي أفناني ... وابتر عقلي والضنا كساني
ظبي على البعاد والتداني ... حل محل الروح من جثماني
وا كبدي من خده المضرج ... وا كبدي من ثغره المفلج
لاشيء مثل الطرف منه الأدعج ... اذهب للنسك وللتحرج
إليك أشكو ياغزال الأنس ... مابي من الوحشة بعد الأنس
يامن هلالي وجهه وشمسي ... لاتقتل النفس بغير النفس
جدلي كما جدت بحسن الود ... وارع كما أرعى قديم العهد
واصدد كصدى عن طويل الصد ... فليس وجد بك مثل وجدي
هأنا في بحر الهوى غريق ... سكران من حبك لا أفيق
محترق ما مسني حريق ... يرثي لي العدو والصديق
فليت شعري فيك هل ترثى لي ... من سقم ومن ضناً طويل؟

أم هل إلى وصلك من سبيل ... لعاشق ذي جسد نحيل؟
في كل عضو منه سقم وألم ... ومقلة تبكي بدمع وبدم
شوقاً إلى شمس وبدر وصنم ... منه إليه المشتكي إذا ظلم
أقول إذا قام بقلبي أو قعد ... ياعمر ويا عامر قلبي بالكمد
أقسم بالله يمين المجتهد ... أن امرأ واصلته لقد سعد
يا عمرو ناشدتك بالمسيح ... إلاسمعت القول من فصيح
يخبر عن قلب له جريح ... باح بما يلقى من التبريح
يا عمرو بالحق من اللاهوت ... والروح روح القدس والناسوت
ذاك الذي في مهده المنحوت ... عوض بالنطق عن السكوت
بحق ناسوت ببطن مريم ... حل محل الريق منها في الفم
ثم استحال في قوام الأقدم ... فكلم الناس ولما يفطم

بحق من بعد الممات قميصاً ... ثوباً على مقداره ما قصصا
وكان لله تقياً مخلصاً ... يشفي ويبري أكمهاً وأبرصا
بحق محيي صورة الطيور ... وباعث الموتى من القبور
ومن إليه مرجع الأمور ... يعلم مافي البر والبحور
بحق من في شامخ الصوامع ... من ساجد لربه وراكع
يبكي إذا ما نام كل هاجع ... خوفاً من الله بدمع هامع
بحق قوم حلقوا الرءوسا ... وعالجوا طول الحياة بوسا
وقرعوا في البيعة الناقوسا ... مشمعلين يعبدون عيسى
بحق ماري مريم وبولس ... بحق شمعون الصفا وبطرس
بحق دانيل بحق يونس ... بحق حزقيل وبيت المقدس
ونينوى إذ قام يدعو ربه ... مطهراً من كل سوء قلبه
ومستقيلاً فأقيل ذنبه ... ونال عند الله ما أحبه
بحق مافي قلة الميرون ... من نافع للداء والجنون
بحق ما يؤثر عن شمعون ... من بركات الخوص والزيتون
بحق أعياد الصليب الزهر ... وعيد شمعون وعيد الفطر
وبالشعانين العظيم القدر ... وعيد ما ماري الرفيع الذكر
وعيد شعياء وباهياكل ... والدخن اللاتي بكف الحامل
يشفي بها من خبل كل خابل ... ومن دخيل السقم في المفاصل
بحق سبعين من العباد ... قاموا بدين الله في البلاد
وأرشدوا الناس إلى الرشاد ... حتى اهتدى من لم يكن بهاد
بحق ثنتي عشرة من الأمم ... ساروا إلى الأقطار يتلون الحكم
حتى إذا صبح الدجى جلا الظلم ... ساروا إلى الله ففازوا بالنعم
بحق مافي محكم الإنجيل ... من محكم التحريم والتحليل
مع خبر ذي نبأ جليل ... يرويه جيل قد مضى عن جيل
بحق مارعيد الشفيق الناصح ... بحق لوقا ذي الفعال الصالح
بحق تمليخا الحكيم الراجح ... والشهداء بالفلا الصحاصح
بحق معمودية الأرواح ... والمذبح المشهور في النواحي
ومن به من لابس الأمساح ... وعابد باك ومن نواح
بحق تقريبك في الأعياد ... وشربك القهوة كالفرصاد
وطول تفتيتك للأكباد ... بما يعنيك من السواد
بحق ما قلس شعيا فيه ... بالحمد لله وبالتنزيه

بحق نسطور ومايرويه ... عن كل ناموس له فقيه
شيخان كانا من شيوخ العلم ... وبعض أركان التقى والحلم
لم ينطقا قط بغير فهم ... موهما كان حياة الخصم
بحرمة الأسقف والمطران ... والجاثليق العالم الرباني

والقس والشماس والديراني ... والبطرك الأكبر والرهبان
بحرمة المحبوس في أعلى الجبل ... ومار قولا حين صلى وابتهل
وبالكنيسات القديمات الأول ... وبالمسيح المرتضى وما فعل
بحرمة الأسقوفيا والبيرم ... وماحوى مفرق رأس مريم
بحرمة الصوم الكبير الأعظم ... وحق كل كاهن مقدم
بحق يوم الذبح ذي الإشراق ... وليلة الميلاد والتلاقي
والذهب المذهب للنفاق ... والفصح يا مهذب الأخلاق
بكل قداس على قداس ... قدسه القس مع الشماس
وقربوا يوم الخميس الناسي ... وقدموا الكأس لكل حاسي
الا رغبت في رضا أديب ... باعده الحب عن الحبيب
فذاب من شوق إلى المذيب ... أعلى مناه أيسر التقريب
فانظر أميري في صلاح أمري ... محتسباً في عظيم الأجر
مكتسباً في جميل الشكر ... في نثر ألفاظ ونظم شعر

ثم إن مدركاً وسوس وسل جسمه وذهب عقله وانقطع عن إخوانه ولزم الفراش.

حكى حسان بن محمد بن عيسى قال: حضرته عائدا مع جماعة من أصحابه فقال: الست صاحبكم القديم العشرة لكم؟ أما منكم أحد يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو؟ قال فمضينا بأجمعنا إلى عمرو وقلنا له: إن كان قتل هذا الرجل ديناً فإن إحياءه مروءة، قال وما فعل؟ قلنا قد صار إلى حال مانحسبك تلحقه، قال فلبس ثيابه ثم نهض معنا، فلما دخلنا عليه سلم عليه عمرو وأخذ بيده فقال: كيف تجدك ياسيدي؟ فنظر إليه ثم أغمي عليه، ثم أفاق وهو يقول:

أنا في عافية إل ... لا من الشوق اليكا
أيها العائد مابي ... منك لايخفى عليكا
لاتعد جسماً وعد قل ... باً رهيناً في يديكا
كيف لايهلك مرشو ... ق بسهمي مقلتيكا

ثم إنه شهق شهقة فارق فيها الدنيا، فما برحنا حتى دفناه.

مرجي بن كوثر

أبو القاسم المقري النحوي المؤدب، أديب نحوي كان مقيماً بحلب، وله المفيد في النحو، وكتاب الضاد والظاء، وكانت بينه وبين أبي العلاء المعري مكاتبة.

مروان بن سعيد بن عباد بن حبيب

ابن المهلب بن أبي صفرة المهلي، أحد أصحاب الخليل ابن المتقدمين في النحو المبرزين فيه، سمعت بعض النحويين ينسب إليه هذا البيت:

ألقى الصحيفة كي يخفف رحله ... والزاد حتى نعله ألقاها

ولاأعلم من أمره غير هذا

مسعود بن علي بن أحمد

بن العباس الصواني البهيقي أبو المحاسن، قال البهيقي في الوشاح الزمان وأوحد الأقران، ومن لاينظر الأدب إلا بعينه، ولا يسمع الشعر إلا بإذنه، صنف تفسير القرآن، وشرح الحماسة، وصيقل الألباب في الأصول، والتوابع واللوامع في الأصول، والتذكرة أربع مجلدات، وأعلاق الملوين وأخلاق الأخوين مجلدان، والتنقيح في أصول الفقه، ونفثة المصدور، وديوان أشعاره مجلد.

مات في الثالث والعشرين من محرم سنة أربع وأربعين وخمسمائة. وله:

تكلف المجد أقوام وقد سئموا ... منه وإنك مشغوف به كلف

كأنك الدرة الزهراء في صدف ... والناس حولك طرا ذلك الصدف

مصدق بن شبيب بن الحسين

أبو الخير الصلحي النحوي، صحب الشيخ صدقة الواعظ وهو صبي وقرأ عليه القرآن وشيئاً من النحو، وقدم بغداد فقرأ على ابن الخشاب وحبشي وأبي الحسن بن العطار والكمال الأنباري، وطلب الأدب حتى برز فيه، وسمع الحديث وتخرج به جماعة مناهل الأدب، ولم يكن في العبارة بذلك وإنما كان رجلاً صالحاً، فكان تستفاد بركته، ولد سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، ومات في ليلة الإثنين الثالث والعشرين من ربيع الاول سنة خمس وستمائة.

مظفر بن إبراهيم

بن جماعة بن علي بن سامي ابن أحمد بن ناهض بن عبد الرزاق موفق الدين، أبو العز الأعمى العيلاني بالعين المهملة المصري، كان نحوياً عروضياً أديباً شاعراً مجيداً، صنف في العروض مختصراً دل على حذقه فيه. وله ديوان شعر، ولد لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وهو اليوم بها في قيد الحياة، ومن شعره الذي وصل إلينا قوله:

قبلته فتلظى ورد وجنته ... وفاح من عارضيه العنبر العبق
وجال بينهما ماء ومن عجب ... لاينطفي ذا و لاذا منه يحترق
وله:
يا نائماً أسهرني حبه ... وعائداً أمرضني طبه
وخادعاً رق لحبي له ... كلامه وقسا قلبه
قلنا على حسنك عيني جنت ... جثماني الناحل ماذنبه؟
وله أيضاً:
وشادن كان زمان الصبا ... بدولة المرد له صوله
قد كتب الشعر على خده ... خفض فهذا آخر الدولة
وله أيضاً:
قالوا عشقت وأنت أعمى ... ظبياً كحيل الطرف ألمى
والله ما عاينتها ... فكأنما شغفتك وهما
وخياله بك في المنا ... م فما أطاف ولا ألما
من أين أرسل للفؤا ... د وأنت لم تبصره سهما
ومتى رأيت جماله ... حتى كساك هواه سقما
وبأي جارحة وصل ... ت لوصفه نثراً ونظما
والعين راعية الهوى ... وبها يتم إذا استتما
فأجبت إني موسي ... ى العشق إنصاتاً وفهما
أهوى بجارحة السما ... ع ولا أرى ذات المسمى
وقال في شمعة:
جادت بجسم لسانه ذرب ... تبكي وتشكو الهوى وتلتهب
كأنما في يمين حاملها ... رمح لجين سنانه ذهب
وله:
وروضات بنفسجها ... بصبغة صنعة الباري
كخرم لازوردي ... على ألفات زنجار
وله:
هويت هلالاً سرى في الدجى ... وهاروت من جند أجفانه
فلا تعجبوا إن بدا وجهه ... نهاراً وعظمت من شانه
فإن الهلال يرى طالعاً ... مع الشمس في بعض أحيانه
وله أيضاً:

وزهرة لونها من العجب ... بيضاء فيها اصفرار مكتب
كأنها درهم وقد جعلت ... في وسطه نقطة من الذهب

المعافي بن زكريا

بن يحيى بن حماد بن داود النهرواني الجريري بفتح الجيم نسبة إلى ابن جرير الطبري، المعروف بابن طرارة، كان من أعلم الناس بفقه مذهب ابن جرير والنحو واللغة وفنون الأدب والأخبار والأشعار، وكان ثقة ثبتا،أخذ الأدب عن أبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة المعروف بنفطويه وغيره. وروى عن أبي القاسم البغو وأبي حامد محمد بن هارون الحضرمي وأبي بكر بن داود وأبي سعيد العدوي ويحيى بن صاعد وغيرهم، وروى عنه جماعة منهم القاضي أبو الطيب الطبري وأبوالقاسم الأزهري وأحمد بن علي الثوري وأحمد بن عمر أبن روح، وولى القضاء بباب الطاق نيابة عن القاضي ابن صير، كتاب الجليس والأنيس في الأدب، والتفسير الكبير، ونصر مذهب ابن جرير الطبري ونوه به وحامى عنه.
قال أبو حيان التوحيدي: رأيته في جامع الرصافة وقد نام مستدبر الشمس في يوم شات وبه من أثر الفقر والبؤس والضر أمر عظيم مع غزارة علمه واتساع أدبه وفضله المشهور، ومعرفته بصنوف العلوم ولاسيما علم الأثر والأخبار وسير العرب وأيامها فقلت له: مهلاً أيها الشيخ وصبراً فإنك بعين الله ومرأى منه ومسمع، وما جمع الله لأحد شرف العلم وعز المال فقال: ما لابد منه من الدنيا فليس منه بد ثم قال:
يا محنة الدهر كفى ... إن لم تكفي فخفي
قد آن أن ترحمينا ... من طول هذا التشفي
طلبت جداً لنفسي ... فقيل لي قد توفي
فلا علومي تجدي ... ولا صناعة كفي
ثور ينال الثري ... يا وعالم متخفي

وقال أحمد بن عمر بن روح: إن المعافي بن زكريا حضر في دار بعض الرؤساء وكان هناك جماعة مناهل العلم فقالوا له: في أي نوع من العلم نتذاكر؟ فقال المعافي للرئيس صاحب الدار: إن خزانتك جمعت أنواع العلوم وأصناف الأدب، فإن رأيت أن تبعث الغلام إليها يضرب بيده إلى أي كتاب منها فيحمله إليك ثم نفتحه فنظر في أي علم هو؟ فنتذاكر ونتجارى فيه، فقال ابن روح: وهذا يدل على أن المعافي كان له أنسة بسائر العلوم، وكان أبو محمد الباقر يقول: إذا حضر المعافي فقد حضرت العلوم كلها، وكان يقول أيضاً: لو أن رجلاً أوصى بثلث ماله لاعلم الناس لوجب أن يدفع إلى المعافي. وكانت ولادته يوم الخميس لسبع خلون من رجب سنة خمس وثلاثمائة، وقيل سنة ثلاث، وتوفي يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة تسعين وثلاثمائة. ومن شعره:
خالق العالمين ضامن رزقي ... فلماذا أملك الخلق رقي؟
قد قضي لي بما علي ومالي ... خالقي جل ذكره قبل خلقي

أصحب البذل والندى في يساري ... ورفيقي في عسرتي حسن رفقي
فكما لا يرد عجزي رزقي ... فكذا لايجر رزقي حذقي
وذكر أنه عمل هذه الأبيات في معنى قول علي بن الجهم:
لعمرك ما كل التعطل ضابر ... ولا كل شغل فيه للمرء منفعة
إذا كانت الأرزاق في القرب والنوى ... عليك سواء فاغتنم راحة الدعه
وقال أيضاً:
ألا قل لمن كان لي حاسداً ... أتدري على من أسأت الأدب؟
أسأت على الله في فعله ... لأنك لم ترض لي ماوهب

– معاوبة بن عمر بن أبي عقرب

أبو نوفل الدولي، كان فقيهاً نحوياً، ذكر عن أبي عمرو ابن العلاء قال: كنت آتي أبا نوفل أنا وشعبة بن الحجاج، فكان شعبة يسأله عن الاثار وأسأله أنا عن النحو والشعر فلم يعلم شعبة شيئاً مما أسأل ه عنه، ولا أعلم أننا شيئاً مما يسأل عنه شعبة.

معمر بن المثنى

أبو عبيدة البصري مولى بني تيم، تيم قريش لا يتم الرباب، كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، وهو أول من صنف غريب الحديث، أخذعن يونس بن حبيب وأبي عمرو بن العلاء، وأسند الحديث إلى هشام بن عروة الإمام الحجة. قال يعقوب بن شيبة: سمعت ابن المديني يصحح رواية أبي عبيدة. وقال الدار قطني لابأس به، إلا أنه يتهم بشيء من رأي الخوارج ويتهم بالأحداث، واخذ عن أبي عبيدة أبو عبيد القاسم بن سلام، والأثرم علي بن المغيرة، وأبو عثمان المازني، وأبو حاتم السجستاني، وعمر بن شبة النميري وغيرهم. وقال أبو العباس المبرد: كان أبو عبيدة عالماً بالشعر والغريب والأخبار والنسب، وكان الأصمعي أعلم منه بالنحو، وكان العم من الأصمعي وأبي زيد بالأنساب، وكان أبو نواس يتعلم منه ويمدحه ويذم الأصمعي، سئل عن الأصمعي يوماً فقال: بلبل في قفص، وسئل عن أبي عبيدة فقال: أديم طوى على علم. وقال بعضهم: كان الطلبة إذا أتوا مجلس الأصمعي اشتروا البعر في سوق الدر، وإذا أتوا مجلس أبي عبيدة اشتروا الدر في سوق البعر، لأن الأصمعي كان حسن الإنشاء والزخرفة قليل الفائدة، وأبو عبيدة بضد ذلك. وقال يزيد بن مرة: كان أبو عبيدة ما يفتش عن العلوم إلا كان من يفتشه عنه يظن أنه لايحسن غيره، ولايقوم بشيء أجود من قيامه به. قال أبو حاتم: وكان مع علمه إذا قرأ البيت لم يقم إعرابه وينشده مختلف العروض. وقال ابن قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأيام العروض. وقال ابن قتيبة: كان الغريب أغلب عليه وأيام العرب أخبرها. وقال الجاحظ: لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم من أبي عبيدة.

ويحكى أنه كان يرى رأى الخوارج الإباضية. وقيل: كان شعوبياً يطعن في الأنساب. قال: قال أبو العيناء: قال رجل لأبي عبيدة ياأبا عبيدة: قد ذكرت الناس وطعنت في أنسابهم، فبالله إلا ماعرفتني من أبوك وماأصله؟

فقال: حدثني أبي أن أباه كان يهودياً. وحدث الصولي عن محمد بن سعيد عن عيسى بن اسماعيل قال: جلس إبان ابن عبد الحميد اللاحقي ليلة في قوم فثلب أبا عبيدة فقال في مجلسه: لقد أغفل السلطان كل شيء حين أغفل أخذ الجزية من أبان اللاحقي، وهو وأهله يهود وهذه منازلهم فيها أسفار التوراة وليس فيها مصحف، وأوضح دلالة على يهوديتهم أن أكثرهم يدعى حفظ التوراة ولايحفظ من القرآن مايصلى به، فبلغ ذلك أبان فقال:

لاتنمن عن صديق حديثاً ... واستعذ من تسرر النمام
واخفض الصوت إن نطقت بليل ... والنفت بالنهار قبل الكلام

وحكى أبو الحسن الأسدي قال: حدثنا حماد بن إسحاق الموصلي عن أبيه قال: أنشدت الفضل بن الربيع أبياتاً كان الأصمعي أنشدنيها في صفة فرس له وهي:

كأنه في الحل وهو سام ... مشتمل جاء من الحمام
يسور بين السرج واللجام ... سور القطا خف إلى اليمام

قال: ودخل الأصمعي فسمعني أنشدها فقال: هات بقيتها فقلت: ألم تقل إنه لم يبق منها شيء؟ فقال: مابقي منها إلا عيونها، ثم أنشد بعدها ثلاثين بيتاً فغاظى فعله، فلما خرج عرفت الفضل بن الربيع قلة شكره لعارفةٍ وبخله بما عنده، ووصفت له فضل أبي عبيدة معمر بن المثنى وعلمه ونزاهته، وبذله ماعنده واشتماله على جميع علوم العرب، ورغبته فيه حتى أنفذ إليه مالاً جليلاً واستقدمه فكنت سبب مجيئه من البصرة.

قال أبو عبيدة: أرسل إلى الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه سنة ثمان وثمانين ومائة، فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي، فدخلت عليه وهو في مجلس له طويل عريض فيه بساط واحد قد ملاه، وفي صدره فرش عالية لا يرتقي إليها على كرسي وهو جالس عليها فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك إلي واستدناني حتى جلست إليه على فرشه ثم سألني وألطفني وباسطني وقال: أنشدني، فأنشدته فطرب وضحك وزار نشاطه، ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة فأجلسه إلى جانبي وقال له: أتعرف هذا؟ قال لا: قال: هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة، أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل وقرظه لفعله هذا وقال لي: إني كنت إليك مشتاقا، وقد سألت عن مسألة أفتأذن لي أن أعرفك إياها، فقلت هات، قال الله عز وجل: (طلعها كأنه رؤوس الشياطين)، وإنما يقع الوعد والأبعاد بما عرف مثله وهذا لم يعرف. فقلت: إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرفي مضاجعي ... ومسنونة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان أمر الغول يهولهم أوعدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتاباً في القرآن في مثل هذا وأشباهه وما يحتاج إليه من علمه،

فلما رجعت إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته المجاز، وسألت عن الرجل السائل فقيل لي: هو من كتاب الوزير وجلسائه، وهو إبراهيم بن إسماعيل الكاتب.

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين

قال سلمة: سمعت الفراء يقول لرجل: لو حمل إلى أبو عبيدة لضربته عشر بن في كتاب المجاز. وقال التوزي: بلغ أبا عبيدة أن الأصمعي يعيب عليه تأليف كتاب المجاز في القرآن وأنه قال: يفسر ذلك برأيه، فسأل عن مجلس الأصمعي في أي يوم هو؟ فركب حماره في ذلك اليوم ومر بحلقة الأصمعي، فنزل عن حماره وسلم عليه وجلس عنده وحادثه ثم قال له: يا أبا سعيد، ما تقول في الخبز؟: قال هو الذي تخبزه وتأكله. فقال له أبو عبيدة: فسرت كتاب الله برأيك. قال تعالى: (إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً. قال الأصمعي: هذا شيء بان لي فقلته ولم أفسره برأيي. فقال له أبو عبيدة: وهذا الذي تعيبه علينا كله شيء بان لنا، فقلناه ولم نفسره برأينا، ثم قام فركب حماره وانصرف. وقال أبو عثمان المازني: سمعت أبا عبيدة يقول: أدخلت على الرشيد فقال لي يا معمر: بلغني أن عندك كتاباً حسناً في صفة الخيل احب أن أسمعه منك. فقال الأصمعي: وما تصنع بالكتاب؟ يحضر فرس ونضع أيدينا على عضو عضو ونسميه ونذكر ما فيه. فقال الرشيد: يا غلام أحضر فرسي، فقام الأصمعي فوضع يده على عضوعضو وجعل يقول: هذا كذا، قال الشاعر فيه كذا حتى انقضى قوله. فقال لي الرشيد: ما تقول فيما قال؟ فقلت قد أصاب بعض وأخطأ في بعض، والذي أصاب فيه شيء نعلمه، والذي أخطأ فيه لا أدري من أين أتى به، وكان الأصمعي إذا أراد الدخول إلى المسجد قال: انظروا لا يكون فيه ذاك يعني أبا عبيدة خوفاً من لسانه، وكانت ولادة أبي عبيدة في رجب سنة عشر ومائة. وقال أبو موسى محمد بن المثنى: توفي أبو عبيدة سنة ثمان ومائتين. وقال الصولي سنة سبع، وقال المظفر بن يحيى: سنة تسع، وقيل سنة إحدى عشرة، وقيل ثلاث عشرة وله ثمان وتسعون سنة، ولم يحضر جنازته أحد لأنه لم يكن يسلم من لسانه أحد لا شريف ولا غيره. ولأبي عبيدة من التصانيف: كتاب غريب القران، كتاب مجاز القرآن كتاب غريب الحديث، كتاب فضائل العرش، كتاب الحدود، كتاب التاج، كتاب الديباج، كتاب الإنسان، كتاب الزرع، كتاب الجمع والتثنية، كتاب الفرس كتاب اللجام، كتاب السرج، كتاب الإبل، كتاب الرحل، كتاب البازي، كتاب الحمام، كتاب الحيات، كتاب العقار، كتاب الخيل، كتاب السيف، كتاب حضر الخيل، كتاب الخف، كتاب اللغات، كتاب الأضداد، كتاب الفرق، كتاب ما تلحن فيه العامة كتاب الأبدال، كتاب القرائن، كتاب أشعار القبائل، كتاب أسماء الخيل، كتاب الأمثال السائرة، كتاب الدلو، كتاب البكرة، كتاب نقائض جرير والفرزدق، كتاب المعاتبات، كتاب الملاومات، كتاب من شكر من العمال وحمد، كتاب محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب، كتاب العفة، كتاب فعل وأفعل، كتاب الشوارد كتاب أدعية العرب، كتاب بيوتات العرب، كتاب أيام بني مازن أخبارهم، كتاب القبائل، كتاب إياد الأزد، كتاب الضيفان، كتاب مقاتل الفرسان، كتاب مقاتل الأشراف، طبقات الفرسان، كتاب الغارات، كتاب المنافرات، كتاب مناقب باهلة، كتاب مآثر العرب، كتاب مثالب العرب، كتاب مآثر غطفان، كتاب النوائح، كتاب النواشز، كتاب لصوص العرب، كتاب الأيام الكبير، كتاب الأيام الصغير، كتاب الحمس من قريش، كتاب خبر البراض، كتاب قصة

الكعبة، كتاب الأوس والخزرج، كتاب الموالي، كتاب الاحتلام، كتاب خلق الإنسان، كتاب البله، فتوح الأهواز، كتاب خوارج البحرين واليمامة، كتاب السواد وفتحة، كتاب خراسان، كتاب مقتل عثمان، أخبار الحجاج، كتاب مرج رهط كتاب الأعيان، كتاب الجمل وصفين، كتاب مكة والحرم، كتاب فضائل الفرس، كتاب قضاة البصرة وغير ذلك، فقد قيل أن تصانيفه تقارب المائتين.

المفضل بن سلمة بن عاصم

أبو طالب اللغوي النحوي، كان لغوياً نحوياً كوفي المذهب، أخذ عن أبيه وعن أبي عبد الله بن الأعرابي وأبي العباس ثعلب وابن السكيت وغيرهم، وخالف طريقة أبيه.

قال أبو الطيب اللغوي: ورد أشياء من كتاب العين للخليل أكثرها غير مردود، واختار في اللغة والنحو اختيارات غيرها المختار، وكان منقطعاً إلى الفتح بن خاقان، وله كتب كثيرة منها: كتاب الخط والقلم، كتاب الاشتقاق، البارع في اللغة، كتاب المقصور والممدود، ضياء القلوب في معاني القرآن نيف وعشرون جزءاً، المدخل إلى علم النحو، الفاخر فيما يلحن فيه العامة، كتاب خلق الإنسان، كتاب جماهير القبائل، كتاب الرد على الخليل وإصلاح ما في كتاب العين من الغلط والمحال، جلاء الشبهة، كتاب آلة الكاتب، كتاب الزرع والنبات والنخل وأنواع الشجر، كتاب المطيب، كتاب العود والملاهي، كتاب الطيف، كتاب الأنواء والبوارح.

المفضل بن محمد بن مسعر بن محمد

أبو المحاسن التنوخي، كان فقيهاً نحوياً أديباً، وكان معتزلياً شيعياً مبتدعاً أصله من المعرة، وقدم بغداد فأخذ عن علي بن عيسى الربعي، وعلي بن عبد الله الدقيقي، ومحمد بن اشرس النحوي، وسمع أبا عمر بن مهدي، وأخذ الفقه عن أبي الحسين القدوري الحنفي والصيمري، وحدث بدمشق وناب في القضاء بها، وولى قضاء بعلبك، وحدث عنه الشريف النسابة، وصنف تاريخ النحاة، وكتاب الرد على الشافعي وكان يضع منه، مات سنة اثنتين وقيل ثلاث وأربعين وأربعمائة.

المفضل بن محمد بن يعلى

أبو عبد الرحمن الضبي، الراوية الأديب النحوي اللغوي، كان من أكابر علماء الكوفة، عالماً بالأخبار والشعر والعربية. أخذ عنه أبو عبد الله بن الأعرابي، وأبو زيد الأنصاري، وخلف الأحمر وغيرهم وكان ثقة ثبتا. قال ابن الأعرابي: سمعت المفضل الضبي يقول: قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبداً، فقيل له وكيف ذلك؟ أيخطئ في روايته أو يلحن؟ قال: ليته كان كذلك، فإن أهل العلم يردون من أخطأ إلى الصواب، ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم، فلا يزال

يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ويدخله في شعره، ويحمل ذلك عنه في الآفاق فنختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها إلا عند عالم ناقد، وأين ذلك؟. وعن إبراهيم ابن المهدي قال: حدثني السعيدي الراوية وأبو إياد المؤدب قالا: كنا في دار أمير المؤمنين المهدي بعيسا باذ، وقد اجتمع فيها عدة من الرواة والعلماء بأيام العرب وآدابها وأشعارها ولغاتها إذ خرج بعض أصحاب الحاجب فدعا المفضل الضبي الراوية، فدخل فمكث مليا ثم خرج إلينا ومعه حماد والمفضل جميعاً، وقد بان في وجه حماد الانكسار والغم، وفي وجه المفضل السرور والنشاط، ثم خرج حسين الخادم فقال: يا معشر من حضر من أهل العلم، إن أمير المؤمنين يعلمكم أنه قد وصل حماد الشاعر بعشرين ألف درهم لجودة شعره، وأبطل روايته لزيادته في أشعار الناس ما ليس منها، ووصل المفضل بخمسين ألفاً لصدقه وصحة روايته، فمن أراد أن يسمع شعراً جيداً محدثاً فليسمع من حماد، ومن أراد رواية صحيحة فليأخذها عن المفضل. فسألنا عن السبب فأخبرنا أن المهدي قال للمفضل لما دعا به وحده: إني رأيت زهير أبي سلمى افتتح قصيدته بان قال:

دع ذا وعد القول في هرم

ولم يتقدم له قبل ذلك قول، فما أمر نفسه بتركه؟ فقال له المفضل: ما سمعت يا أمير المؤمنين في هذا شيئاً إلا أني توهمته، كان يفكر في قول يقوله أو يروى في أن يقول شعراً، فعدل عنه إلى مدح هرم وقال: دع ذا، أو كان مفكراً في شيء من شأنه فتركه وقال: دع ذا فأمسك المهدي عنه، ثم دعا بحماد فسأل ه عن مثل ما سأل عنه المفضل فقال: ليس هكذا قال زهير ياأميرالمؤمنين، قال فكيف قال؟ فأنشد:

لمن الديار بقنة الحجر ... أقوين مذ حجج ومذ دهر

قفر بمندفع النجائب من ... ضفوى أولات الضال والسدر

دع ذا وعد القول في هرم ... خير البداة وسيد الحضر

قال فاطرق المهدي ساعة ثم أقبل على حماد فقال له:

قد بلغ أمير المؤمنين عنك خبر لابد من استحلافك عليه، ثم استحلفه بأيمان البيعة وكل يمين محرجة ليصدقن عن كل ما يسأله عنه، فحلف له بما توثق منه، فقال له: أصدقني عن حال هذه الأبيات ومن أضافها إلى زهير؟ فأقر له حينئذ أنه قائلها، فأمر له وللمفضل بما أمر به من صلة وشهرة أمرهما وكشفه. وللمفضل من التصانيف: كتاب الاختيارات، كتاب معاني الشعر، كتاب الأمثال، كتاب الألفاظ، كتاب العروض، المفضليات وهي أشعار مختارة جمعها للمهدي وفي بعض نسخها زيادة ونقص، وأصحها التي رواها عنه أبو عبد الله بن الأعرابي.

مكي بن أبي طالب

واسم أبي طالب محمد، ويقال: حموش بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي القيرواني الأصل، القرطبي مسكناً، النحوي اللغوي المقرئ، كان إماماً عالماً بوجوه القراءات، متبحراً في علوم القرآن والعربية فقيها أديباً متفننا، غلبت عليه علوم القرآن فكان من الراسخين فيها. ولد بالقيروان لسبع بقين من شعبان سنة أربع

وخمسين وثلاثمائة ونشأ بها، ورحل إلى مصر سنة سبع وستين وهو ابن ثلاث عشرة سنة، فاختلف بها إلى ابن غلبون المقرئ وغيره من المؤدبين والعلماء ثم رجع إلى القيروان سنة تسع وسبعين وقد حفظ القرآن واستظهر القراءات وغيرها من الأداب. ثم رجع إلى مصر ليتلقي ما بقي عليه من القراءات سنة اثنتين وثمانين، ثم رجع إلى القيروان سنة ثلاث وثمانين وأقام بها يقرأ إلى سنة سبع وثمانين، فأخذ عن محمد بن أبي زيد وأبي الحسن القابسي وغيرهما، ثم خرج إلى مكة سنة سبع وثمانين وأقام بها إلى آخر سنة تسعين فحج أربع حجج متوالية، وسمع بمكة من آكابر علمائها، ثم رجع من مكة فوصل إلى مصر سنة إحدى وتسعين، ثم عاد إلى بلده القيروان سنة اثنتين وتسعين، وفي سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة رحل إلى الأندلس فدخل قرطبة في رجب من السنة في أيام المظفر ابن أبي زيد، ونزل في مسجد النخيلة بالرواقين عند باب العطارين. ثم نقله ابن ذكوان القاضي إلى المسجد الجامع فجلس فيه للإقراء ونشر علمه، فعلا ذكره ورحل إليه، فلما انصرمت دولة آل عامر نقله محمد بن هشام المهدي إلى المسجد الخارج بقرطبة فأقرأ عليه، وقلده الحسن ابن جوهر الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع، فأقام على ذلك إلى أن مات. وروى عنه جماعة من الائمة كأبي عبد الله بن عتاب وأبي الوليد الباجي وغيرهما، توفي بقرطبة يوم السبت لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة وقد أناف على الثمانين، وصلى عليه ولده أبو طالب محمد، ودفن ضحوة يوم الأحد بالربض، وله تصانيف كثيرة أشهرها: الهداية إلى بلوغ النهاية في التفسير. وله الهداية في الفقه، والبيان عن وجوه القراءات السبع ألفه في أواخر عمره سنة أربع وعشرين وأربعمائة، ومنتخب الحجة في القراءات لأبي علي الفارس ثلاثون جزءا، وكتاب الإختلاف في عدد الإعشار، والرسالة إلى أصحاب الإنطاكي في تصحيح المد لورش ثلاثة أجزاء، تفسير القرآن خمسة عشر مجلداً. اختصار أحكام القرآن أربعة أجزاء: التبصرة في القراءات خمسة أجزاء الإيجاز في ناسخ القرآن ومنسوخة، والإيضاح في الناسخ والمنسوخ أيضاً ثلاثة أجزاء التذكرة في اختلاف القراء الإبانة عن معاني القراءات الموجز في القراءات جزءان.

الرعاية في تجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة أربعة أجزاء، التنبيه في أصول قراءة نافع وذكر الاختلاف عنه جزءان، الانتصاف في الرد على أبي بكر الأدفوي فيما زعم من تغليطه في كتاب الإمالة ثلاثة أجزاء، كتاب الإمالة ثالثة أجزاء إعراب القرآن الزاهي في اللمع الدالة على مشتملات الإعراب أربعة أجزاء، كتاب الوقف على كلا وبلى جزءان، كتاب الياءات المشدودة في القران، كتاب الحروف المدغمة جزءان، كتاب هجاء المصاحف جزءان، الهداية في الوقف على كلا، كتاب الإدغام الكبير، مشكل غيربالقرآن ثلاثة أجزاء، كتاب تسمية الأحزاب كتاب المأثور عن مالك في أحكام القرآن وتفسيره، مشكل معاني القران، كتاب شرح التمام والوقف أربعة أجزاء، كتاب دخول حروف الجر بعضها مكان بعض، كتاب فرض الحج على من استطاع إليه سبيلا، كتاب إيجاب الجزاء على قاتل الصيد في الحرم خطأ في مذهب مالك والحجة على ذلك، كتاب بيان العمل في الحج أول الإحرام مناسك الحج، كتاب بيان الصغائر والكبائر، كتاب الاختلاف في الذبيح من هو؟ كتاب تنزيه الملائكة من الذنوب وفضلهم على بني آدم، كتاب اختلاف

العلماء في النفس والروح، منتخب كتاب الإخوان لابن وكيع جزآن المنتقي في الأخبار أربعة أجزاء. الرياض مجموع في خمسة أجزاء. وغير ذلك.

مكي بن زيان بن شبة بن صالح

أبو الحرم الماكسيني الضرير النحوي اللغوي الأديب، كان عالماً فاضلاً متفنناً والغالب عليه النحو والقراءات، قدم بغداد وقرأ على أبي محمد بن الخشاب النحوي وعلى أبي الحسن ابن العطار وأبي البركات عبد الرحمن بن الأنباري، وقرأ بالموصل على أبي بكر يحيى بن سعدون القرطبي وغيره. وقام عليه أهل الموصل وتخرج به أعيان أهلها، ورحل إلى الشام ثم عاد إلى الموصل، رأيته وكان شيخاً طوالاً على وجهه أثر الجدري إلا أنني ما قرأت عليه شيئاً وكان حراً كريماً صالحاً صبوراً على المشتغلين يجلس لهم من السحر إلى أن يصلي العشاء الآخرة، وكان من أحفظ الناس للقران ناقلاً للسبع، نصب نفسه للإقراء فلم يتفرغ للتأليف، وكان يقرأ عليه الجماعة القرآن معاً كل واحد منهم بحرف وهو يسمع عليهم كلهم ويرد على كل واحد منهم، وكان قد أخذ من كل علم طرفاً وسمع الحديث فأكثر، ومن شعره:

إذا احتاج النوال إلى شفيع ... فلا تقبله تضح قرير عين

إذا عيف النوال لفرد من ... فأولى أن يعاف لمثنين

وقال أيضاً:

على الباب عبد يطلب الإذن قاصداً ... به أدباً لا أن نعماك تحجب

فإن كان إذن فهو كالخير داخل ... عليك وإلا فهو كالشر ذاهب

وقال أيضاً:

حيائي حافظ لي ماء وجهي ... ورفقي في مطالبتي رفيقي

ولو أني سمحت ببذل وجهي ... لكان إلى الغنى سهلاً طريقي

وكان يتعصب لأبي العلاء المعري، ويطرب إذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما: الأدب والعمى، لأنه أضر بالجدري صغيرا، وكان يعرف ماكسين بمكيك تصغير مكي، فلما ارتحل عن ماكسين واشتغل وتميز، اشتاق إلى وطنه فعاد إليه، وتسامع به الناس ممن كان يعرفه من قبل فزاروه وفرحوا بفضله فبات تلك الليلة، فلما كان من الغد خرج إلى الحمام سحرا فسمع امرأة تقول من غرفتها لأخرى: أتدرين من جاء؟ قالت لا، قالت جاء مكيك بن فلانة فقال: والله لا أقمت في بلد أدعى فيه بمكيك، وسافر من يومه إلى الموصل بعدما كان نوى الإقامة في وطنه، وتوفي بها يوم السبت سادس شوال سنة ثلاث وستمائة.

ميمونة أبو ربيعة الاصبهاني

النحوي كان متقدما في علم النحو بارعا فيه، صنف فيه كتبا كثيرة منها: الجماهير. وله الشعر الجيد، وخرج في صغره إلى الكرخ فتوطنها ومن شعره:

كن ابن من شئت واكتسب أدباً ... يغنيك تشريفه عن النسب
لاشيء في الخافقين تكسبه ... أحمد عند الأنام من أدب
وله:
وأخ لي تكدرت ... بعد صفو مشاربه
صاحبي حين لايرى ... في الورى من يصاحبه
وإذا ما حظي به ... صد وازور جانبه

منداد بن عبد الحميد

أبو عمر الكرخي المعروف بابن لزة، كان لغوياً أديباً، صنف كتاب معاني الشعر، وجامع اللغة، وشرح معاني الشعر للباهلي الأنصاري، وكتاب الوحوش، وماعرفت من أمره غير هذا.

منذر بن سعيد أبو الحكم

البلوطي الأندلسي، كان نحوياً فاضلاً وخطيباً مصقعاً وشاعراً بليغاً، ولد سنة خمس وستين ومائتين. ورحل فلقي جماعة من العلماء والأدباء، وجلب في رحلته كتاب الأشراف في اختلاف العلماء رواية عن مؤلفه ابن المنذر النيسابوري، وكتاب العين للخليل رواية أبي العباس بن ولاد، واتصل بعبد الرحمن الناصر فحظي عنده ثم عند ابنه الحكم من بعده، وكان سبب اتصاله بالناصر ما ظهر من بلاغته يوم الاحتفال بدخول رسول قسطنطين بن ليون صاحب قسطنطينية على الناصر موفداً إليه مع وفود سائر ملوك الافرنجة، وذلك أن الناصر جلس للقاء الوفود بقصر قرطبة، فلما تكامل المجلس ودخل عليه الوفود ورحب بهم، أحب أن يقوم الخطباء والشعراء بين يديه للتنويه بفخامة الخليفة، وماهيأ من توطيد الخلافة في أيامه، وتقدم إلى ولي عهده الحكم بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء، فقدم الحكم أبا علي القالي البغدادي وكان إذ ذاك ضيف الناصر، فقام أبو علي وحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم فارتج عليه وانقطع وبهر، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد وكان حاضراً قام من ذاته ووصل افتتاح أبي علي بكلام بهر العقول، فخرج الناس يتحدثون ببلاغته وحسن بيانه وثبات جنانه، وكان الناصر أشدهم تعجباً وإعجاباً به، فسأل عنه ابنه الحكم ولم يكن يعرفه فقال له: هذا منذر بن سعيد البلوطي فقال: والله لقد أحسن ما شاء، ثم قربه وولاه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء، ثم ولاه قضاء الجماعة بقرطبة.
ولما توفي في الناصر وولى ابنه الحكم أقره على القضاء واستعفى غير مرة فما أعفاه، وكان وقوراً صلباً في الحكم مقدماً على إقامة العدل والحق، وإزهاق الجور والباطل، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، له كتب في السنة والورع، والرد على أهل الأهواء والبدع. ومن مصنفاته المتداولة: أحكام القرآن، وكتاب الناسخ والمنسوخ، وله رسائل وخطب مجموعة، وأشعار متفرقة مطبوعة، ومن خطبه الخطبة التي ألقاها بحضرة الناصر في الاحتفال الذي تقدم ذكره ونصها:

أما بعد حمد الله والثناء عليه، والتعداد لأسمائه والشكر لنعمائه، والصلاة والسلام على محمد صفيه وخاتم أنبيائه، فان لكل حادثة مقاماً، ولكل مقام مقالاً، وليس بعد الحق إلا الضلال، وإني قد قمت في مقام كريم بين يدي ملك عظيم، فأصغوا إلى معشر الملاء بأسماعكم، وافقهوا عني بافدتكم، وإن من الحق أن يقال للمحق صدقت وللمبطل كذبت، وإن الجليل – تعالى في سمائه، وتقدس بصفاته وأسمائه – أمر كليمه موسى صلى الله على نبينا وعليه وعلى جميع أنبيائه، أن يذكر قومه بأيام الله جل وعز عندهم، وفيه وفي رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، وإني أذكركم بأيام الله عندكم، وتلافيه لكم بخلافة أمير المؤمنين التي لمت شعثكم، وأمنت سربكم ورفعت قوتكم، كنتم قليلا فكثركم، ومستضعفين فقواكم، ومستذلين فنصركم، ولاه الله رعايتكم، وأسند إليه إمامتكم أيام ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق، وأحاطت بكم شعل النفاق، حتى صرتم في مثل حدقة البعير من ضيق الحال ونكد العيش، فاستبدلتم بخلافته من الشدة بالرخاء، وانقلتم بيمن سياسته إلى تمهيد كنف العافية بعد استيطان البلاء، أنشدكم الله معاشر الملاء: ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها؟ والسبل مخوفة فآمنها؟ والآموال منتهبة فأحرزها وحصنها؟ ألم تكن البلاد خراباً فعمرها، وثغور المسلمين مهتضمة فحماها ونصرها؟ فاذكرو آلاء الله عليكم بخلافته، وتلافيه جمع كلمتكم بعد افتراقها بإمامته، حتى أذهب الله عنكم غيظكم وشفى صدوركم، وصرتم يدا على عدوكم بعد أن كان بأسكم بينكم، فأنشدكم الله: ألم تكن خلافته قفل الفتنة بعد انطلاقها من عقالها؟ ألم يتلافى صلاح الأمور بنفسه بعد اضطراب أحوالها ولم يكل ذلك إلى القواد والأجناد؟ حتى باشره بالقوة والمهجة والأولاد، واعتزل النسوان وهجر الأوطان، ورفض الدعة وهي محبوبة، وترك الركون إلى الراحة وهي مطلوبة، بطوية صحيحة، وعزيمة صريحة، وبصيرة نافذة ثاقبة، وريح هابة عالية، ونصرة من الله واقعة واجبة، وسلطان قاهر، وجد ظاهر، وسيف منصور تحت عدل مشهور، متحملاً للنصب، مستقلاً لما ناله في جانب الله من التعب، حتى لانت الأحوال بعد شدتها، وانكسرت شوكة الفتنة بعد حدتها، فلم يبق لها غارب إلا جبه، ولا ظهر لأهلها قرن إلا جده فأصبحتم بنعمة الله إخوانا، وبلم أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعوانا، حتى تواترت لديكم الفتوحات، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم، وآمال الأقصين والأدنين متجهة إليه وإليكم، يأتون من كل فج عميق وبلد سحيق للأخذ بحبل بينكم وبينه جملة وتفصيلا، ليقضي الله أمراً كان مفعولا، ولن يخلف الله وعده، ولهذا الأمر ما بعده، وتلك أسباب ظاهرة بادية، تدل على أمور باطنة خافية، دليلها قائم، وجفنها غير نائم (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم). وليس في تصديق ما وعد الله ارتياب، ولكل نبأ مستقر، ولكل أجل كتاب، فاحمدوا الله أيها الناس على الائه، واسألوا المزيد من نعمائه، فقد أصبحتم بين خلافة أميرالمؤمنين – أيده الله بالسداد، والهمه التوفيق إلى سبيل الرشاد – أحسن الناس حالا، وأنعمهم بالا، وأعزهم قرارا، وأمنعهم دارا، وأوثقهم جمعا، وأجملهم صنعا، لاتهاجمون ولاتذادون وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون، فاستعينوا على صلاح احوالكم بالمناصحة لإمامكم، والتزام الطاعة لخليفتكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم، فإن من نزع يداً من الطاعة، وسعى في تفريق الجماعة، ومرق من الدين فقد خسر الدنيا والآخرة، ذلك هو الخسران المبين، وقد علمتم أن في التعلق بعصمتها والتمسك

بعروتها حفظ الأموال وحقن الدماء، وصلاح الخاصة والدهماء، وأن بقيام الطاعة تقام الحدود وتوفي العهود، وبها وصلت الارحام، ووضحت الاحكام، وبها سدد الله الخلل، وأمن السبل، ووطأ الأكناف، ورفع الاختلاف، وبها طاب لكم القرار، واطمأنت بكم الدار، فاعتصموا بما أمركم الله بالاعتصام به، فإنه تبارك وتعالى يقول: (أطيعو الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم). وقد علمتم ما أحاط بكم في جزيرتكم هذه من ضروب المشركين وصنوف الملحدين، الساعين في شق عصاكم وتفريق ملئكم، الآخذين في مخاذلة دينكم وهتك حريمكم وتوهين دعوة نبيكم صلوات الله وسلامه عليه

وعلى جميع النبيين والمرسلين، أقول قولي هذا واختم بالحمد الله رب العالمين، مستغفراً الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين.على جميع النبيين والمرسلين، أقول قولي هذا واختم بالحمد الله رب العالمين، مستغفراً الله الغفور الرحيم فهو خير الغافرين.

وكان منذر بن سعيد شديداً في دينه لاتأخذه في الله لومة لائم، وكانت له مقامات بين يدي الخليفة الناصر يتناوله فيها بالعظات والزواجر غير هياب ولا محتشم، من ذلك أن الناصر كان كلفاً بعمارة الارض، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزة السلطان وعلو الهمة، فأفضى به الافراط في ذلك إلى أن ابتنى الزهراء البناء الشائع ذكره، واستفرغ جهده في إتقان قصورها وزخرفة دورها، حتى ترك شهود الجمعة بالمسجد الجامع ثلاث جمع متواليات، فأراد القاضي منذر تنبيهه بما يتناوله به من الموعظة، وتذكيره بالانابة والرجوع، فابتدأ خطبته في الجمعة الرابعة بقوله تعالى: (أتبنون بكل ريع آية تعبثون)، ثم وصله بقوله تعالى: (قل متاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى)، وهي دار القار ومكان الجزاء، ومضى في ذم تشييد البناء وزخرفته، والاسراف في الإنفاق عليه بكل كلام جزل، ثم أتى بما يناسب المقام من التخويف بالموت، والدعاء إلى الزهد في الدنيا، والإقصار عن اللذات والشهوات وإتباع الهوى، وأورد أحاديث وآثارا تشاكل ذلك، حتى خشى الناس وبكوا وأعلنوا بالتوبة والاستغفار، وأخذ الناصر من ذلك بأوفر حظ، وقد علم أنه المقصود بالموعظة فبكى وندم على ما أفرط وفرط، إلا أنه وجد على منذر لما قرعه به، فشكا ذلك لولده الحكم بعد أنصراف منذر فقال: والله لقد تعمدني منذر بخطبته وما عني بها غيري، فأسرف وافرط في تقريعي، قم اقسم ألا يصلي خلفه إلا الجمعة خاصة، فكان يصلي بقرطبة وراء أحمد بن مطرف صاحب الصلاة، وترك الصلاة بالزهراء فقال له الحكم: ما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال به إذا كرهته؟ فزجره وانتهره وقال له: أمثل منذر ابن سعيد في فضله وخيره وعلمه – لا أم لك – يعزل؟ لارضاء نفس ناكبة عن الرشد، سالكة غير القصد، هذا مايكون، وإني لاستحي من الله ألا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه، ولكنه أحرجني فاقسمت، ولوددت أني أجد سبيلاً إلى كفارة يميني بملكي، بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى، فما أظننا نعتاض منه أبداً. وكان منذر على متانته وصلابته حسن الخلق كثير الدعابة، فربما ساء ظن من لايعرفه به لدعابته، فإذا رأى ما يخل بالدين قدر شعرة ثار ثورة الأسد الضاري وتبدلت بشاشته عبوساً، ومر في رحلته بمصر فحضر يوماً مجلس أبي جعفر النحاس وهو يملي أخبار الشعراء، فأملى شعر القيس مجنون بني عامر وهو قوله:

خليلي هل بالشام عين حزينة ... تبكي على نجد لعلي أعينها
قد أسلمها الباكون إلاحمامةً ... مطوقةً باتت وبات قرينها
تجاوبها أخرى على خيزرانة ... يكاد يدنيها من الأرض لينها

فقال له منذر: يا أباجعفر، ماذا باتا يصنعان؟ فقال له: وكيف تقول أنت ياأندلسي؟ فقلت له: بانت وبان قرينها، فسكت. قال منذر: ومازال يستثقلني بعد ذلك حتى منعني كتاب العين، وكنت ذهبت للاستنساخ من نسخته، فلما يئست منه قيل لي: أين أنت من أبي العباس بن ولاد؟ فقصدته فلقيت رجلاً كامل العلم حسن المروءة، فسألته الكتاب فأخرجه إلي، ثم ندم أبو جعفر حين بلغه إباحة أبي العباس الكتاب لي وعاد إلى ماكنت أعرفه منه.

ومن شعر منذر بن سعيد ماكتب به إلى أبي علي القالي يستعير كتاباً من الغريب:

بحق رئم مهفهف ... وصدغه المتعطف
ابعث إلي بجزء ... من الغريب المصنف

فأرسل إليه الكتاب وأجابه بقوله:

وحق در مؤلف ... بفيك أي تألف
لأبعثن بما قد ... حوى الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسي ... إليك ماكنت أسرف

وقال أيضاً:

مقالي كحد السيف وسط المحافل ... أميز به مابين حق وباطل
بقلب ذكي قد توقد نوره ... كبرق مضئ عند تسكاب وابل
فما زلقت رجلي ولا زل مقولي ... ولا طاش عقلي عند تلك الزلازل

وقد حدقت حولي عيون إخالها ... كمثل سهام أثبتت في المقاتل
أخير إمام كان أوهو كائن ... بمقتل أوفي العصور الاوائل؟
وفود ملوك الروم حول فنائه ... مخافة بأس أو رجاء لنائل
فعش سالماً أقصى حياة مؤملاً ... فأنت رجاء الكل حاف وناعل
ستملكها مابين شرق ومغرب ... إلى أرض قسطنطين أو أرض بابل

توفي منذر بن سعيد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة.

منصور بن اسماعيل بن عمر

أبو الحسن التميمي المصري الضرير، كان إماماً في فقه مذهبه، أديباً شاعراً مجيداً متفنناً، له حظ من كل علم، أصله من رأس العين المشهورة بالجزيرة، وقدم مصر وبها توفي، ولم يكن في زمانه مثله فيها، وكانت له منزلة جليلة عند أبي عبيد القاضي، وكان من خواصه الذين يخلو بهم للمذاكرة والمحادثة، وكان بينهما

مناظرات في الفروع أدت إلى الخصام، فتعصب الأمير ذلك وجماعة من الجند لمنصور، وتعصب للقاضي أبي عبيد جماعة منهم ابن الربيع الجيري، ثم شهد ابن الربيع علي منصور بكلام زعم أنه سمعه منه فقال القاضي: إن شهد عليه آخر بمثل ماشهد به عليه ابن الربيع ضربت عنقه، فخاف على نفسه ومات. وكانت وفاته في جمادى الأولى سنة ست وثلاثمائة، وله مصنفات في الفقه منها: كتاب الواجب، وكتاب المستعمل، وزاد المسافر وغير ذلك. ومن شعره:

من كان يخشى زحلاً ... أو كان يرجو المشتري
فإنني منه و إن ... كان أبي منه بري

وقال:

الناس بحر عميق ... والبعد عنهم سفينة
وقد نصحتك فانظر ... لنفسك السكينه

وقال:

لي حيلة فيمن ينم ... م وليس في الكذاب حيلة
من كان يخلق مايقو ... ل فحيلتي فيه قليلة

وقال:

إذا كنت تزعم أن النجوم ... تضر وتنفع من تحتها
فلا تنكرن على من يقول ... بأنك بالله أشركتها

وقال يمدح يموت بن المزرع بن أخت الجاحظ:

أنت يحيى والذي يك ... ره أن تحيا يموت
أنت صون النفس بل أن ... ت لروح النفس قوت
أنت للحكمة بيت ... لاخلت منك البيوت

وقال:

ألكلب أحسن عشره ... وهو النهاية في الخساسه
ممن ينازع في الريا ... سة قبل أوقات الرياسه

وقال:

لولا بناتي وسيئاتي ... لطرت شوقاً إلى الممات
لأنني في جوار قوم ... بغضني قربهم حياتي

وقال:

ليس للنجم إلى ض ... ر ولا نفع سبيل
إنما النجم على الأو ... قات والسمت دليل

وقال:

سررت بهجرك لما علمت ... بأن لقلبك فيه سرورا

ولولا سرورك ماسرني ... وما كنت يوماً عليه صبورا
لأني أرى كل ماساءني ... إذا كان يرضيك سهلاً يسيرا
وقال:
لولا صدود الصديق عني ... مانال واش مناه مني
ولا أدمت البكاء حتى ... قرح فيض الدموع جفني
وما جفاء الصديق إلا ... هجوم خوف عقيب آمن
وقال:
إذا رأيت أمراً في حال عشرته ... بادي الصداقة ما في وده دغل
فلا تمن له حالاً يسر له ... فإنه بانتقال الحال ينتقل
وقال:
ليس هذا زمان قولك ما الحك ... م على من يقول أنت حرام
والحقي بائناً بأهلك أو أن ... ت عتيق محرر ياغلام
أو متى تنكح المصابة في العد ... دة عن شبهة وكيف الكلام؟
في حرام أصاب سن غزال ... فتولى وللغزال بغام
إنما ذا زمان كدح إلى المو ... ت وقوت مبلغ والسلام
وقال:
قد قلت إذ مدحوا الحياة فاكثروا ... للموت ألف فضيلة لاتعرف
منها أمان بقائه بلقائه ... وفراق كل معاشر لاينصف
وقال:
كل مذكور من النا ... س إذا ما فقدوه
صار في حكم حديث ... حفظوه فنسوه
وقال:

إذا تخلفت عن صديق ... ولم يعاتبك في التخلف
فلا تعد بعدها إليه ... فإنما وده تكلف
وقال:
من كفاه من مساعي ... ه رغيف يغتذيه
وله بيت يواري ... ه وثوب يكتسيه
فعلام يبذل الوج ... ه الذي كبر وتيه؟
وعلام يبذل العر ... ض لمخلوق سفيه؟
وقال:

قد قلت لما أن شكت ... تركي زيارتها خلوب
إن التباعد لايضر ... ر إذا تقاربت القلوب
وقال:
منذ ثلاث لم نرك ... فقل لنا ماأخرك
أعلة فنعذرك ... أم دهر سوء غيرك؟
وقال في مرضه معرضا بأبي عبيد القاضي:
ياشامتاً بي إذا هلكت ... لكل حي مدىً ووقت
وأنت في غفلة المنايا ... تخاف منها الذي آمنت
والكأس ملأى وعن قليل ... تشرب منها كما شربت
وأنشد عند موته معرضاً به أيضاً:
قضيت نحبي فسرقوم ... حمقى بهم غفلة ونوم
كأن يومي علي حتم ... وليس للشامتين يوم

منصور بن محمد

بن عبد الله بن المقدر التميمي أبو الفتح الأصبهاني، كان نحوياً أديباً متكلماً كثير الوراية حريصاً على العلم، قدم بغداد واستوطنها وقرأ بها العربية وصحب الصاحب بن عباد، وكان معتزلياً متظاهراً بالاعتزال، وصنف كتاب ذم الاشاعرة، مات يوم السبت ثامن عشرة جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة.

منصور بن القاضي أبي منصور

محمد هو أبو أحمد الأزدي الهروي قاضي هراة، كان فقيهاً شاعراً مجيداً كثير الفضائل حسن الشمائل، تفقه على أبي حامد الأسفرايني ببغداد، وسمع أبا الفضل بن حمدويه، والعباس بن الفضل النضروي وغيرهما، وامتدح القادر بالله.
مات سنة أربعين وأربعمائة، ومن شعره قوله:
قم يا غلام فهاتها حمراء ... كالنار يورث شربها السراء
فاليوم قد نشر الهواء بأرضنا ... من ثلجه ديباجة بيضاء
وقال:
معتقة أرق من التصابي ... ومن وصل أتى بعد التنائي
يطوف بها قضيب من كثيب ... ويطلع فوقه بدر السماء
لواحظه تبث السحر فينا ... وفي شفتيه أسباب الشفاء
وقال:

خشف من الترك مثل البدر طلعته ... يحوز ضدين من ليل وإصباح
كأن عينيه والتفتير كحلهما ... أثار ظفر بدت في صحن تفاح

وقال:

أدر المدامة ياغلام فإننا ... في مجلس يد الربيع منضد
والورد أصفره يلوح كأنه ... أقداح تبر كفتت بزبرجد

وقال:

قرن الربيع إلى البنفسج نرجساً ... متبرجاً في حلة الإعجاب
كخدود عشاق قد اصفرت وقد ... نظرت إليها أعين الأحباب

وقال:

طلع البنفسج زائراً أهلاً به ... من وافد سر القلوب وزائر
فكأنما النقاش صور وسطه ... في أزرق الديباج صورة طائر

وقال:

روضة غضة عليها ضباب ... قد تجلت خلالها الأنوار
فهي تحكي مجامراً مذ كيات ... قد علاها من البخور بخار

وقال:

يا أيها العاذل المردود حجته ... أقصر فعذري قد أبدته طلعته
ماذا بقلبي من بدر بليت به ... لليث أخلاقه والخشف خلقته

وقال:

وشادن في الحسن فوق المثل ... أبصر مني بوجوه العمل
قبلت كفيه فقال انتقل ... إلى فمي فهو محل القبل

وقال:

ألله جار عصابة رحلوا ... عني وقلب الصب عندهم
ما الشأن ويحك في رحيلهم ... ألشأن أني عشت بعدهم

وقال:

أباعبد الإله العلم روح ... وأنك دون كل الناس شخصه
لذلك كل أهل الفضل أضحوا ... كحلقة خاتم وغدوت فصه

وقال:

بقيت مدى الزمان أباعلي ... رفيع الشان ذا جد علي
فأنت من المكارم والمعالي ... بمنزلة الوصي من النبي

منصور بن المسلم

بن علي بن أبي الخرجين أبو الحسن الحلبي، المؤدب المعروف بابن أبي الدميك، كان أديباً فاضلاً نحوياً شاعراً له تصانيف وردود على ابن جني منها: تتمة ماقصر فيه ابن جني في شرح أبيات الحماسة، وديوان شعر وقفت عليه بخطه الرائق فوجدته مشحوناً بالفوائد النحوية، وقد شرح ألفاظه اللغوية، وأعتنى بإعرابه فدل على تبحره في علم العربية. ومن شعره:

أأحبابنا إن خلف البين بعدكم ... قلوباً ففيها للتفرق نيران

رحلتم على أن القلوب دياركم ... وأنكم فيها على البعد سكان

عسى مورد من سفح جوشن ناقع ... فإني إلى تلك الموارد ظمآن

وما كل ظن ظنه المرء كان ... يقوم عليه للحقيقة برهان

وعيش الفتى طعمان: قند وعلقم ... كما حاله قسمان: رزق وحرمان

وقال:

إن كتمت الهوى تزايد سقمي ... وأخاف العيون حين أبوح

لأبوحن بالذي في ضميري ... من هواه لعلني استريح

وقال:

وإن اغتراب المرء من غير فاقة ... ولاحاجة يسمو لها لعجيب

فحسب الفتى بخساً وإن أدرك الغنى ... ونال ثراء أن يقال غريب

وقال:

أخي ما بال قلبك ليس ينقى ... كأنك لاتظن الموت حقا

ألا يابن الذين مضوا وبادوا ... أما والله ماذهبوا لتبقى

ومالك غير تقوى الله زاد ... إذا جعلت إلى اللهوات ترقى

وقال:

وقائل كيف تهاجرتما؟ ... فقلت قولا فيه إنصاف

لم يك من شكلي فتاركته ... والناس أشكال وآلاف

منوجهر بن محمد بن تركان شاه

ابن محمد بن الفرج، أبو الفضل بن أبي الوفاء البغدادي الكاتب، كان كاتباً فاضلاً أديباً حاذقاً حسن الطريقة، سمع أباه وأبا بكر الحلواني، وسمع المقامات من مؤلفها الحريري ورواها عنه، وروى عنه أبو الفتوح بن الخضري وابن الأخضر وغيرهما. مات سنة خمس وسبعين وخمسمائة.

مؤرج بن عمرو بن الحارث بن منيع

ابن ثور بن سعد بن حرملة بن علقمة بن عمرو بن سدوس السدوسي البصري النحوي الأخباري، هو من أعيان أصحاب الخليل، عالم بالعربية والحديث والأنساب.أخذ عن أبي زيد الأنصاري وصحب الخليل بن أحمد، وسمع الحديث من شعبة بن الحجاج وأبي عمرو بن العلاء وغيرهما. وأخذ عنه أحمد بن محمد بن أبي محمد اليزيدي وغيره. وكان قد رحل مع المأمون إلى خراسان فسكن مدينة مرو، وقدم نيسابور وأقام بها وكتب عنه مشايخها. ويقال أن الأصمعي كان يحفظ ثلث اللغة، وكان الخليل يحفظ ثلث اللغة، وكان مؤرج يحفظ الثلثين، وكان أبو مالك يحفظ اللغة كلها.

وقال أبو عبد الله محمد بن العباس اليزيدي: أخبرني عمي قال: أخبرني مؤرج أنه قدم من البادية ولا معرفة له بالقياس في العربية قال: فأول ما تعلمت القياس في حلقة أبي زيد الأنصاري بالبصرة. وقال محمد بن العباس أيضاً: أهدي أبو فيد مؤرج السدوس إلى جدي محمد بن أبي محمد كساء فقال جدي فيه:

سأشكر ما أولى ابن عمرو مؤرج ... وامنحه حسن الثناء مع الود
أغر سدوسى نماه إلى العلا ... أب كان صبا بالمكارم والمجد
أتينا أبا فيد نؤمل سيبه ... ونقدح زنداً غير كاب ولاصلد
فأصدرنا بالفضل والبذل والغنى ... ومازال محمود المصادر والورد
كساني ولم استكسه متبرعاً ... وذلك أهنأ مايكون من الرفد
كساء جمال إن أردت جمالةً ... وثوب شتاء إن خشيت من البرد
كسانيه فضفاضاً إذا مالبسته ... ترنحت مختالاً وجرت عن القصد
ترى حبكاً فيه كأن اطرادها ... فرند حسام نصله سل من عمد
سأشكر ما عشت السدوسي بره ... وأوصي بشكر للسدوسي من بعدي

وصنف مؤرج عريب القران، كتاب الانواء، كتاب المعاني، كتاب جماهير القبائل. حذق نسب قريش وغير ذلك.

موسى بن بشار

ابو محمد مولى تيم بن مرة، وقيل مولى بن سهم القرشي بالولاء الملقب بشهوات، لقب بذلك لأنه كان سئولا ملحفاً إذا رأى شيئاً أعجبه من متاع أو ثياب تباكى، فإذا قيل له مالك؟ قال: اشتهى هذا فلقب شهوات. وقيل بل كان يجلب القند والسكر إلى البلد فقالت أمرأة من أهله: مايزال موسى يجيئنا بالشهوات فغلب ذلك عليه، وكان شاعراً مجيدا من شعراء الامويين يستجدي خلفاهم وأمراءهم، وكان يدخل على سليمان ابن عبد الملك وينشده، ومن مشهور شعره قوله في الأميرسعيد بن خالد العثماني:

أبا خالد أعني سعيد بن خالد ... أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد
ولكنني أعني ابن عائشة الذي ... أبو أبويه خالد بن أسيد
عقيد الندى ماعاش يرضى به الندى ... فإن مات لم يرضى الندى بعقيد
دعوه دعوه إنكم قد رقدتم ... وماهو عن أحسابكم برقود

فدى للكريم العبشمي ابن خالد ... بنى وما لي طارفي وتليدي
على وجهه تلقى الأيامن واسمه ... وكان جواري طيره بسعود
أنال وما استغنى عن الثدي خيره ... أنال به في المهد قبل قعود
ترى الجند والحجاب يغشون بابه ... بحاجاتهم من سيد ومسود
فيعطي ولايعطى ويغشى ويجتدي ... وما بابه للمجتدي بسديد
قتلت أناساً هكذا في جلودهم ... من الغيظ لم تقتلهم بحديد
يعيشون ماعاشوا بغيظ وإن تحن ... منا ياهم يوما تحن بحقود
فقل لبغاة العرف مات خالد ... ومات الندى إلافضول سعيد

المؤمل بن اميل بن اسيد

المحاربي من محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، كوفي من مخضرمي شعراء الدولتين الاموية والعباسية، وكان في دولة بني العباس اشهر لانه كان من الجند المرتزقة معهم ومن اوليائهم وخواصهم، وانقطع إلى المهدي قبل خلافته وبعدها، وكان شاعراً مجيدا ودون طبقة الفحول.

قال ابن قدامة: حدثني المؤمل بن اميق لقال: قدمت على المهدي وهو بالري وهو اذ ذاك ولى عهد فامتدحته بابيات فامر لي بعشرين الف درهم، فكتب بذلك صاحب البريد إلى أبي جعفر المنصور وهو بمدينة السلام يخبره ان الأميرالمهدي امرلشاعربعشرين الف درهم، فكتب المنصور إلى ابنه المهدي يعذله ويلومه، وكتب إلى كاتب المهدي ان يوجه اليه بي فطلبني ولم يظفر بي، فكتب إلى المنصور انه توجه إلى مدينة السلام، فاجلس قائدا من قواده على جسر التهروان وامره ان يتصفح الناس حتى إذا علق بي حملني اليه، فما مرت به القافلة التي انا فيها تصفحها فوقع بصره علي فسألني من أنت؟ قلت: أنا المؤمل بن اميل بن المحاربي الشاعر احد زوار المهدي فقال: اياك طلبت، فكاد قلبي ان يتصدع خوفا من الخليفة، فقبض علي واسلمني إلى الربع فادخلني إلى المنصور فسلمت تسليم مروع فرد السلام وقال: ليس لك هاهنا الاخير، انت الؤمل بن اميل؟ قلت نعم اصلح الله أميرالمؤمنين. قال: اتيت غلاما غرا فخدعته حتى اعطاك من مال الله عشرين الف درهم؟ قلت نعم اصلح الله الامير، اتيت غلاما غرا كريما فخدعته فانخدع. قال المؤمل: فكان كلامي اعجبه فقال: انشدني ما قلت فيه، فانشدته:

هو المهدي إلا أن فيه ... مشابه صورة القمر المنير
تشابه ذا وذا فهما إذا ما ... أنارا مشكلان على البصير
فهذا في الظلام سراج ليل ... وهذا في النهار ضياء نور
ولكن فضل الرحمن هذا ... على ذا بالمنابر والسرير
وبالملك العزيز فذا أمير ... وما ذا بالأميرولا الوزير
ونصف الشهر ينقص ذا وهذا ... منير عند نقصان الشهور
فيا بن خليفة الله المصفى ... به تعلو مفاخرة الفخور

لئن فت الملوك وقد توافوا ... إليك من السهولة والوعر
لقد سبق الملوك أبوك حتى ... غدوا مابين كاب اوحسير
وجئت مصلياً تجري حثيثاً ... ومابك حين تجري من فتور
فقال الناس ماهذان إلا ... كمابين الخليق إلى الجدير

لئن سبق الكبير فأهل سبق ... له فضل الكبير على الصغير
وإن بلغ الصغير مدى كبير ... فقد خلق الصغير من الكبير

فقال المنصور: والله لقد أحسنت، ولكن هذا لايساوي عشرين ألف درهم فأين المال؟ قلت هو هذا. فقال ياربيع: امضى معه فاعطه اربعة الاف درهم وخذ الباقي. قال المؤمل: فوزن لي الربيع من المال اربعة الاف درهم واخذ الباقي. فلما ولى المهدي الخلافة رفعت اليه رقعة فلما قراها ضحك وامر برد العشرين الف درهم إلى فردت فاخذتها وانصرفت. وانشد نفطويه لابن اميل:

لاتغضبن على قوم تحبهم ... فليس منك عليهم ينفع الغضب
ولا تخاصمهم يوما وإن ظلموا ... إن الولاة إذا ماخوصموا غلبوا
ياجائرين علينا في حكومتهم ... والجور أقبح مايؤتى ويرتكب
لسنا إلى غيركم منكم نفرإذا ... جرتم ولكن إليكم منكم الهرب

وقال:

وكم من لئيم ود أني شتمته ... وإن كان شتمي فيه صاب وعلقم
وللكف عن شتم اللئيم تكرماً ... أضر له من شتمه حين يشتم

مات المؤمل بن اميل في حدود سنة تسعين ومائة.

موهوب بن أحمد بن الحسن

بن الخضر الجواليقي البغدادي، كان من كبارأهل اللغة، اماما في فنون الأدب ثقة صدوقا،أخذالادب عن أبي زكريا يحيى الخطيب التبريزي ولازمه، وسمع الحديث من أبيالقاسم ابن اليسري وأبي طاهر بن أبي الصقر، وروى عنه الكنديوابو الفرج بن الجوزي، واخذ عنه أبو البركات عبد الرحمن ابن محمد الانباري، ودرس الأدب في النظامية بعد شيخه التبريزي، واختص بامامة المقتفي لامر الله، وكان منأهل السنة طويل الصمت لايقول شيئا الا بعد التحقين، ويكثر من قول لا أدري، وكان مليح الخط يتنافس الناس في تحصيله والمغالاة به، وكان في بعض مسائل النحو مذاهب غريبة.

قال ابن الانباري: كان يذهب إلى ان الاسم بعد لولا يرتفع بها على مايذهب اليه الكوفيون، والى ان الالف واللام في نعم الرجل للعهد، خلاف ماذهب اليه الجماعة من انها للجنس. قال: وحضرت حلقته يوما وهو يرا عليه كتاب الجمهرة لابن دريد، وقد حكى عن بعض النحويين انه قال: اصل ليس لاأيس. فقلت: هذا الكلام كانه من كلام الصوفية، فكان الشيخ انكر على ذلك ولم يقل في تلك الحال شيئا، فلما كان بعد ايام

وقد حضرنا الدرس على العادة قال: اين ذلك الذي أنكر ان يكون أصل ليس لا أيس؟ أليس لا تكون بمعنى ليس؟ فقلت ولم إذا كانت لا بمعنى ليس يكون أصل ليس لا أيس؟ فلم يذكر شيئا وسكت. قال: وكان الشيخ – رحمه الله – في اللغة أمثل منه في النحو. وحكى ولد الجواليقي أبو محمد اسماعيل قال: كنت في حلقة والدي يوم الجمعة بعد الصلاة بجامع القصر والناس وقوف يقرءون عليه فوقف عليه شاب وقال: يا سيدي، قد سمعت بيتين من الشعر ولم أفهم معناهما وأريد أن تسمعهما مني وتعرفني معناها، فقال قل فأنشد:

وصل الحبيب جنان الخلد أسكنها ... وهجره النار يصليني به النارا

فالشمس بالقوس أمست وهي نازلة ... إن لم يزرني وبالجوزاء إن زار

قال اسماعيل: فلما سمعها والي قال: يابني هذا معنى من علم النجوم وسيرها لا من صنعة أهل الادب، فانصرف الشاب من غير فائدة واستحي والدي من ان يسأل عنشيء ليس عنده منه علم، فالى على نفسه الايجلس في حلقته حتى ينظر في علم النجوم ويعرف تسيير الشمس والقمر، فنظر في ذلك ثم جلس للناس. ومعنى البيت: ان الشمس إذا كانت في القوس كان الليل طويلا فجعل ليالي الهجر فيها، وذ كانت في الجوزاء كان الليل قصيرا فجعل ليالي الوصل فيها. وللجواليقي من التصانيف: شرح ادب الكاتب، كتاب العروض، التكملة فيما يلحن فيه العامة اكمل به درة الغواص للحريري، المعرب من الكلام الاعجمي وغير ذلك. وكانت ولادته سنة ست وستين واربعمائة، توفى يوم الاحد خامس عشر المحرم سنة تسع وثلاثين وخمسمائة.

المؤيد بن عطاف

بن محمد بن علي بن محمد أبو سعيد الالوسي الشاعر الأديب، ولد بالوس سنة اربع وتسعين واربعمائة، ونشا بدجيل واتصل بخدمة ملكشاه مسعود بن محمد السلجوقي فعلا ذكره وتقدموا ثري، ودخل بغداد في ايام المسترشد فصار جاويشا، ولما صارت الخلافة إلى المقتفي تكلم فيه وفي اسحابه بما لايليق، فقبض عليه وسجن فلبث في السجن عشر سنين واخرج منه في خلافة المستنجد، ومن شعره:

رحلوا فأفنيت الدموع لبعدهم ... من بعدهم وعجبت إذ أنا باق

وعلمت أن العود يقطر ماؤه ... عند الوقود لفرقة الأوراق

وأبيت ماسورا وفرحة ذكركم ... عندي تعادل فرحة الإطلاق

لاتنكر البلوى سواد مفارقي ... فالحرق يحكم صنعة الحراق

وقال في صفة القلم:

ومثقف يغني ويفنى دائماً ... في طوري الميعاد والإيعاد

قلم يفل الجيش وهو عرمرم ... والبيض ماسلت من الأغماد

وهبت به الآجام حين نشابها ... كرم السيول وهيبة الآساد

توفي أبو سعيد بالموصل يوم الخميس الرابع والعشرين من رمضان سنة سبع وخمسين وخمسمائة عن ثلاث وستين سنة.

ميمون الاقرن

هو الامام المقدم في العربية بعد أبيالاسود الدؤلي،أخذعن أبيالاسود، واخذ عنه عنبسة بن معدان الفيل في اصح الروايتين.
حدث اسحاق بن ابراهيم الموصلي عن المدائني قال: امر زياد ابا الأسود الدؤلي ان ينقط المصاحف فنقطها ورسم من النحو رسوما، ثم جاء بعده ميمون الاقرن فزاد عليه في حدود العربية، ثم زاد فيها بعده عنبسة بن معدان المهري، وكان ميمون احد ائمة العربية الخمسة الذين يرجع اليهم في المشكلات.
حدث أبو عبيدة ان يونس النحوي سئل عن جرير والفرزدق والاخطل: ايهم اشعر؟ فقال: اجمعت العلماء على الاخطل. قال أبو عبيدة: فقلت لرجل إلى جنبه: سله: من هؤلاء العلماء؟ فسأله فقال: هم ميمون الاقرن، وعنبسة الفيل، وابن أبي إسحاق الحضرمي، وابو عمر وبن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، هؤلاء طرقوا الكلام وماثوه موثا لاكمن تحكون عنهم لاهم بدويون ولا نحويون.. وقال أبو عبيدة: اول من وضع العربية أبو الاسود الدؤلي، ثم ميمون الاقرن، ثم عنبسة الفيل، ثم عبد الله بن أبي اسحاق الحضرمي، ثم عمر الثقفي.

ميمون بن جعفر

ابو توبة النحوي، كان لغوياً نحوياً أديباً أخذعن أبي الحسن الكسائي، وكان يؤدب عمرو بن سعيد بن سلم، فلما قدم الأصمعي من البصرة نزل على سعيد فحضر يوما واخذ سعيد يسأل ه، فجعل أبو توبة إذا مر الأصمعي بشيء من الغريب بادر اليه فاتى بكل مافي الباب او اكثره، فشق ذلك على الأصمعي فعدل بابي توبة إلى المعاني فقال سعيد: يا باتوبة، لاتتبعه في هذا الفن يعني المعاني فانه صناعته، فقال أبو توبة: وماذا على في ذلك؟ ان سألني عما احسنه اجبته، ومالا احسنة تعلمته منه واستفدته.

باب النون

ناصر بن أحمد بن بكر

ابو القاسم الخوي النحوي الأديب، ولد في المحرم سنة ست وستين واربعمائة، قرأ النحو على أبي طاهر الشيرازى، والفقه على أبي اسحاق الشيرازي، وسمع ابا القاسم علي بن أحمد بن السري، وابا الحسين عاصم بن الحسين المعروف بابن النقور العاصمي، وابا زيد نظام الملك، وكان شيخ الأدب في اذربيجان غير مدافع، وولى القضاء بها مدة ورحل اليه الناس من الاطراف، وصنف شرح اللمع لابن جني، وتوفي في ربيع الاخر

سنة سبع وخمسمائة، ومن شعره:

عليك بإغباب الزيارة إنها ... تكون إذا دامت إلى الهجر مسلكا

فاني رأيت الغيث يسأم دائماً ... ويسأل بالأيدي إذا هو أمسكا

وقال:

نصير تراباً كأن لم نكن ... وعاة العلوم رعاة الأمم

فتباً لعيش قصير الدوام ... ووجدان حظ قريب العدم

ناصر بن عبد السيدين علي

ابو الفتح المطرزي الخوارزمي النحوي الأديب، ولد بخوارزم في رجب سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة في السنة والبلدة التي مات فيها الزمخشري، ولذلك قيل له خليفة الزمخشري، لاسيما وقد كان على طريقته رأساً في الاعتزال داعيا اليه، وكان ينتحل في الفروع مذهب أبي حنيفة، وكان فقيها فاضلا بارعا في النحو واللغة وفنون الادب، وله شعر حسن يتعمد فيه استعمال الجناس، قرأ ببلده على ابيه أبي المكارم عبد السيد، وعلى أبي المؤيد الموفق بن أحمد ابن اسحاق المعروف باخطب خوارزم وغيرهما، وسمع من أبيعبد الله محمد بن علي بن أبيسعيد التاجر وغيره، ودخل بغداد متوجها إلى الحج سنة احدى وستمائة، وجرى له فيها مباحث مع جماعة من الفقهاء والادباء واخذأهل الأدب عنه، وصنف شرح المقامات للحريري، والمغرب في غريب الفاظ الفقهاء، والمعرب في شرح المغرب، والاقناع في اللغة، والمقدمة المطرزية في النحو، والمصباح في النحو اضا مختصر، ومختصر اصلاح المنطق لابن السكيت وغير ذلك، مات بخوارزم يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من جمادى الاولى سنة عشر وستمائة، ومن شعره:

وزند ندى فواضله ورى ... ورند ربى خواضله نضير

ودر خلاله أبداً ثمين ... ودر نواله أبداً غزير

وقال:

تعامى زماني عن حقوقي وإنه ... قبيح على الزرقاء تبدي تعاميا

فإن تنكروا فضلي فإن رغاءه ... كفى لذوي الأسماع منكم مناديا

وقال:

يا وحشةً لجيرة منذ نأوا ... علو قدري في الهوى انحطا

حكت دموعي البحر من بعدهم ... لما رأت منزلهم شطا

نبا بن محمد بن محفوظ

أبو البيان القرشي الدمشقي المعروف بابن الحوراني شيخ الطريق البيانية بدمشق، كانت له معرفة تامة باللغة والادب والفقه، وكان شاعراً فاضلاً زاهداً عابداً، سمع أبا الحسن علي بن الموازيني، وأبا الحسن علي بن

أحمد بن قيس المالكي، وسمع منه يوسف بن عبد الواحد بن وفاء السلمي، والقاضي أسعد بن المنجا، والفقيه أحمد العراقي، وعبد الرحمن ابن الحسين بن عبدان وغيرهم، وصحب الشيخ ارسلان الدمشقي الصوفي ولزمه وكان ينفرد به، وله تصاميف مفيدة ومجاميع لطيفة وشعر كثير. ومن مصنفاته: منظومة في الصاد والضاد، ومنظومة في تعزيز بيتي الحريري اللذين أولهما:

سم سمةً تحمد آثارها

قال فيها:

بل سمه بالهجر عندي لمح ... مود يوالي سمه بلسمه

توفي بدمشق يوم الثلاثاء غرة ربيع الاول سنة احدى وخمسين وخمسمائة.

نجم بن سراج العقيلي

البغدادي الاصل، الملقب بشمس الملك، رحل مع اهله إلى مصر صغيرا، وتوطن باسنا من بلاد الصعيد فنشا بها، وهو احد شعراء العصر المجيدين وابائه المبرزين، شائع الصيت سائر الذكر، تصرف بفنون الأدب وتميز بالشعر فمدح الاكابر والاعيان، وكان منقطعا إلى الرئيس جعفر ابن حسان بن علي الاسنائي احد اكابر العصر وادبائه، وله فيه مدائح كثيرة، وكان بينه وبين مجد الملك جعفر ابن شمس الخلافة الأديب الشاعر صحبة ومودة ومطارحات، توفي سنة احدى وستمائة، ومن شعره في مدح الرئيس بن حسان المذكور قوله:

قف الركب واسأل قبل حث الركائب ... لعل فؤادي بين تلك الحقائب

وماذا عسى يجدي السؤال وإنما ... أعلل قلباً ذاهباً في المذاهب

فوالله لولا الشعر سنة من خلا ... ونحلة قوم في العصور الذواهب

لنزهت نفسي عن سؤال معاشر ... يرون طلاب البر أسني المكاسب

وهبت لمن يأبى مديحي عرضه ... وإن كان للمعروف ليس بواهب

وأقسمت لاأرجو سوى رفد جعفر ... حليف الندى رب العلا والمناقب

أحق فتى يطري ويرجى ويتقى ... كما تتقى خوفاً شفار القواضب

إذا نحن قدرنا تقاعس مجده ... وجدناه بالتقصير فوق الكواكب

وإن نحن رمنا وصف جدوى يمينه ... رأينا نداه فوق سح السحائب

أخو همم لم يسله اللوم همه ... وما همه غير اتصال المواهب

جواد تراه الدهر في البر دائباً ... كان عليه الجود ضربة لازب

رقيت بإحسان ابن حسان منبرا ... فكنت به في الفضل أحسن خاطب

وصلت على الأيام حتى لقد غدت ... من الرعب من بعد الجفاء صواحبي

ومن هذا رجع إلى الغزل وختم القصيدة به فقال بعده:

على أنني من وقع عادية النوى ... دريئة رام للأسي والنوائب

وما الحب شيء يجهل المرء قدره ... وما فيه لايخفى على ذي التجارب
خليلي كفا واتركاني وخليا ... ملامي فذهني حاضر غير غائب
إذا كان ذنبي الحب والوجد والهوى ... فتلك ذنوب لست منها بتائب
والقصيدة طويلة تركت باقيا للاختصار.

نشوان بن سعيد بن نشوان

أبو سعيد الحيري اليمني الأميرالعلامة، كان فقيها فاضلا عارفا باللغة والنحو والتاريخ وسائر فنون الادب، فصيحاً بليغاً شاعراً مجيداً، استولى على قلاع وحصون وقدمه أهل جبل صبر حتى صار ملكاً، وله تصانيف أجلها شمس العلوم، وشفاء كلام العرب من الكلوم في اللغة، وله القصيدة المشهورة التي أولها:
الأمر جد وهو غير مزاح ... فاعمل لنفسك صالحاً ياصاح
مات في ذي الحجة سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة.

نصر بن ابراهيم بن

أبي نصر بن الحسين الدينوري ثم البغدادي الحمامي المؤدب. ولد سنة خمسين ومائتين، وكان حسن المعرفة بالنحو فاضلاً أديباً، سمع ابا الحسن بن عبد السلام وابا محمد بن الطراح وغيرهما، ولا اعرف من امره غير هذا

نصر بن أحمد بن نصر

بن المأمون أبو القاسم البصري المعروف بالخبزأرزي شاعر أمي مجيد كان لا يتهجى ولا يكتب، وكان خبازاً يخبز خبز الأرزبد كان له في مربد البصرة، فكان يخبز وهو ينشد ما يقوله من الشعر فيجتمع الناس حوله ويزدحمون عليه لإسماع شعره وملحه، ويتعجبون من اجادته في مثل حاله وحرفته، وكان ممن يفضل الذكور على الاناث، فكان أحداث البصرة يلتفون حوله ويتنافسون بميله إليهم، ويحفظون شعره لسهولته ورقته، وكان شاعر البصرة ابن لنكك مع علو قدره يجلس إليه ويتردد على دكانه، وعني بجمع ديوان شعره. ذكر الخطيب في تاريخ مدينة السلام: ان أبامحمد عبد الله بن محمد الأكفاني قال: خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكفاني الشاعر وأبي الحسين بن لنكك وأبي عبد الله المفجع وأبي الحسن السمك في بطالة العيد وانا يومئذ صبي اصحبهم، فانتهوا إلى نصر الخبزأرزي وهو يخبز على طابقه فجلسوا يهنونه بالعيد وهو يوقد السعف تحت الطابق فزاد في الوقود فدخنها فنهضوا حين تزايد الدخان فقال نصر لابن لنكك: متى اراك يا با الحسين؟ فقال له: إذا اتسخت ثيابي، ثم مضينا في سكة بني سمرة حتى انتهينا إلى دار أبياحمد بن المثنى فجلس ابن لنكك وقال: ان نصر الايخلياالمجلس الذي مضى لنا معه منشئ يقوله فيه، ويجب ان نبداه قبل ان يبدانا فاستدعى بدواة وكتب اليه:

لنصر في فؤادي فرط حب ... أنيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخوراً ... من السعف المدخن بالتهاب
فقمت مبادراً وحسبت نصراً ... أراد بذاك طردي أو ذهابي
فقال متى أراك أبا حسين ... فقلت له إذا اتسخت ثيابي
فلما وصلت الرقعة إلى نصر أملى على من كتب له بظهرها الجواب، فلما وصل الينا قراناه فاذا هو فيه:
منحت أبا الحسين صميم ودي ... فداعبني بألفاظ عذاب
أتى وثيابه كالشيب بيض ... فعدن له كريعان الشباب
وبغضي للمشيب أعد عندي ... سواداً لونه لون الخضاب
ظننت جلوسه عندي لعرس ... فجدت له بتمسيك الثياب
وقلت متى أراك أباحسين ... فجاوبني إذا اتسخت ثيابي
ولوكان التقزز فيه خير ... لما كنى الوصي أبا تراب
ومن شعره أيضاً:
رأيت الهلال ووجه الحبيب ... فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتي فيهما ... هلال السما من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين ... وماراعني من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب ... وكنت أظن الحبيب القمر
وقال:
شاقني الأهل لم يشقني الديار ... والهوى صائر إلى حيث صاروا

جيرة فرقتهم غربة البي ... ن وبين القلوب ذاك الجوار
كم أناس رعوا لنا حين غابوا ... وأناس خانوا وهم حضار
عرضوا ثم أعرضوا واستمالوا ... ثم مالوا وأنصفوا ثم جاروا
لاتلمهم على التجني فلو لم ... يتجنوا لم يحسن الاعتذار
وقال:
فلا تمن بتسميق تكلفة ... لصورة حسنها الاصلي يكفيها
إن الدنانير لاتجلى وإن عتقت ... ولاتزاد على الحسن الذي فيها
وقال:
إذا ما لسان المرء أكثر هذره ... فذاك لسان بالبلاء موكل
إذا شئت أن تحيا عزيزاً مسلماً ... فدبر وميز ما تقول وتفعل
توفي نصر بن أحمد الخبز ارزي سنة سبع وعشرين وثلاثمائة.

نصر بن الحسن بن جوشن

بن منصور ابن حميد بن أثال، أبو المرهف العيلاني النميري، كان قارئاً أديباً شاعراً مجيداً، أضر بالجدري صغيراً فحفظ القرآن المجيد، وقرا الأدب على أبي منصور الجواليقي وسمع من القاضى أبي بكر محمد بن عبد الباقي الانصاري وأبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطي وأبي الفضل ابن ناصر، وبرع في الشعر فمدح الخلفاء والوزراء وكان منقطعا إلى الوزير ابن هبيرة، وقد ادركته صغيرا ولم ألقه توفي يوم الثلاثاء الثامن والعشرين من ربيع الاخر سنة ثمان وثمانين وخمسمائة، ومن شعره:

شمس الضحى يعشى العيون ضياؤها ... إلا إذا رمقت بعين واحده

ولذاك تاه العور واحتقروا الورى ... فاعرف فضيلتهم وخذها فائده

نقصان جارحة أعانت أختها ... فكأنما قويت بعين زائده

وله:

لها من الليل البهيم طرة ... على جبين واضح نهاره

ومعصم يكاد يجري رقةً ... وإنما يعصمه سواره

وقال:

ترى يتألف الشمل الصديع ... وآمن من زماني مايروع

وتؤنس بعد وحشتها بنجد ... منازلها القديمة والربوع

ذكرت بأيمن العلمين عيشاً ... مضى والشمل ملتئم جميع

فلم أملك لدمعي رد غرب ... وعند الشوق تعصيك الدموع

ينازعني إلى لمياء قلبي ... ودون لقائها بلد شسوع

وأخوف ما أخاف على فؤادي ... اذا ما انجد البرق اللموع

فقد حملت من طول التنائي ... عن الأحباب مالا أستطيع

وقال:

مافي قبائل عامر ... من معلم الطرفين غيري

خالي زعيم عبادة ... وأبي زعيم بني عمير

نصر بن عام الليثي

النحوي، كان فقيها عالما بالعربية من فقهاء التابعين، وكان يسند إلى أبي الأسود الدؤلي في القرآن والنحو، وله كتاب في العربية، وقيل أخذ النحو عن يحيى بن يعمر العدواني، واخذ عنه أبو عمرو بن العلاء وكان يرى راي الخوارج ثم ترك ذلك وقال في تركه ابياتا وهى:

فارقت نجدة والذين تزرقوا ... وابن الزبير وشيعة الكرابى

وهوي النجاريين قد فارقته ... وعطية المتجبر المرتاب

مات بالبصرة سنة تسع وثمانين وقيل ستة تسعين.

نصر بن علي بن محمد

ابو عبد الله الشيرازي الفارس الفسوي، يعرف بابن أبي مريم النحوي، خطيب شيراز وعالمها واديبها والمرجوع اله في الامور الشرعية والمشكلات الادبية،أخذعن محمود بن حمزة الكرماني، وصنف تفسير القران، وشرح الايضاح للفارس، قرىء عليه سنة خمس وستين وخمسمائة وتوفي بعدها.

نصر بن مزاحم

ابو الفضل المنقري الكوفي، كان عارفا بالتاريخ والاخبار وهوشيعي من الغلاة جلد في ذلك، روى عنه أبو سعيد الاشج ونوح بن حبيب وغيرهما. وروى هو عن شعبة بن الحجاج، واتهمه جماعة من المحدثين بالكذب وضعفه اخرون، وصنف كتاب الغارات، وكتاب الجمل، وكتاب صفين، وكتاب مقتل حجر بن عدي، وكتاب مقتل الحسين بن علي رضي الله عنهما وغير ذلك، مات سنة اثنتي عشرة ومائتين.

نصر بن يوسف

صاحب أبي الحسن الكسائي، كان نحوياً لغوياً له من الكتب: كتاب خلق الانسان، كتاب الابل، ذكره

نصر الله بن ابراهيم

بن أبي نصر بن الحسين الدينوري ثم البغدادي الحمامي المؤدب، ولد سنة عشرين وخمسمائة، وكان حسن المعرفة بالنحو فاضلاً أديباً، سمع ابا الحسن بن عبد السلام وابا محمد بن الطراح وغيرهما، ولا اعرف من امره غير هذا.

نصر الله بن عبد مخلوف

ابن علي بن عبد القوي بن فلاقس الاسكندري، كان أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً، ولد بالاسكندرية في ربيع الاخر سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة، ونشأ بها وقرأ على أبي طاهر السلفي وسمع منه ومن غيره. ورحل إلى اليمن ودخل عدن سنة ثلاث وستين وخمسمائة، وامتدح بها الوزير ابا الفرج ياسر بن بلال، وسافر إلى صقلية ودخلها سنة خمس وستين وخمسمائة، وامتدح بها القائد ابا القاسم بن الحجر فاكرم نزله واحسن اليه، فصنف باسمه كتابا سماه الزهر الباسم في اوصاف أبيالقاسم، ثم فارق صقلية راجعا إلى مصر، فتوفي بعيذاب سنة سبع وستين وخمسمائة، ومن شعره:

إشرب معتقة الطلا صرفاً على ... رقص الغصون بروضة غناء

من كف وطفاء الجفون كأنما ... تسعى بنار أضرمت في ماء

فيسحر مقلتها وخمرة ريقها ... شرك العول وآفة الأعضاء

وقال:

سددوها من القدود رماحاً ... وانتضوها من الجفون صفاحا

يالها حلة من السقم حالت ... واستحالت ولاكفاها كفاحا

صح إذ أذرت العيون دماء ... أنهم أثخنوا القلوب جراحا

وقال:

قرنت بواو الصدغ صاد المقبل ... وأبديت لاماً في عذار مسلسل

فإن لم يكن وصل لديك لعاشق ... فماذا الذي أبديت للمتأمل؟

وقال من قصيدة:

عقدوا الشعور معاقد التيجان ... وتقلدوا بصوارم الأجفان

ومشوا وقد هزوا رماح قدودهم ... هز الكماة عوالي المران

وتدرعوا زرداً فخلت أراقماً ... خلعت ملابسها على الغزلان

نصيب بن رباح

مولى عبد العزيز بن مروان شاعر من فحول الشعراء الإسلاميين، كان عبدا لرجل من كنانة من أهل ودان، وكان فصيحاً مقدماً في النسيب والمديح مترفعا عن الهجاء كبير النفس عفيفا، قيل لم ينسب قط إلا بامرأته، وكان مقدماً عند الملوك يجيد مديحهم ومراثيهم، وفي سبب اتصاله بعبد العزيز بن مروان وفك رقبته من الرق روايات شتى منها: انه لما قال الشعر وهوشاب جعل ياتي مشيخة القبيلة وينشدهم فاجتمعوا إلى ملاه وقالوا: إن عبدك هذا قد نبغ بقول الشعر ونحن منه بين شرتين، إما أن يهجونا فيهتك أعراضنا، او يمدحنا فيشبب بنسائنا، وليس لنا في شيء من الخلتين خيرة. فقال له ملاه: يانصيب، انا بائعك لامحالة فاختر لنفسك، فسار إلى عبد العزيز بن مروان بمصر فدخل عليه وانشده:

لعبد العزيز على قومه ... وغيرهم منن غامره

فبابك أسهل أبوابهم ... ودارك مأهولة عامره

وكلبك أرأف بالزائرين ... من الأم بابنتها الزائره

وكفك حين ترى المعتفين ... أندى من الليلة الماطره

فمنك العطاء ومنا الثناء ... بكل محبرة سائره

فقال عبد العزيز: اعطوه اعطوه فقال: – أصلحك الله – إني عبد ومثلي لايأخذ الجوائز، قال فما شأنك؟ فاخبره بحاله فدعا الحاجب فقال: اخرج به إلى باب الجامع فابلغ في قيمته فدعا المقومين فنادوا عليه، من يعطي لعبد اسو جلد؟ قال رجل هو علي بمائة دينار، فقال نصيب قولوا على اني ابري القس واريش السهام واحتجن الاوتار، فقال الرجل: هو على بمائتي دينار. قال: قولوا على اني ارعى الابل وامريها واقضقضها واصدرها واوردها وارعاها وارعيها. قال رجل هو على بخمسمائة دينار. قال نصيب قولوا على اني شاعر عربي لايوطيء ولا يقوي ولا يساند. قال رجل هو على بالف دينار، فسار به الحاجب إلى عبد العزيز

فاخبره بما تم فقال: افعوا اليه الف دينار فقبضها وافتك بها رقبته، ولم يزل في جملة عبد العزيز حتى احتضر، فاوصى به سليمان بن عبد الملك خيرا فصيره في جملة سماره.

حكى ان نصيبا دخل على سليمان بن عبد الملك وعنده الفرزدق فقال سليمان للفرزدق يا أبافراس: أنشدني وإنما أراد أن ينشده مديحاً فيه فأنشده قوله يفتخر:

وركب كأن الريح تطلب عندهم ... لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يركبون الريح وهي تلفهم ... إلى شعب الأكوار ذات الحقائب
إذا أبصروا ناراً يقولون ليتها ... وقد خصرت أيديهم نارغالب

فتمعر سليمان واربد لما ذكر الفرزدق غالبا وقال لنصيب: قم وانشد مولاك ويحك، فقام نصيب وانشده:

أقول لركب صادرين لقيتهم ... قفاذات أوشال ومولاك قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني ... لمعروفه من أهل ودان طالب
فعاجوا وأثنوا بالذي أنت أهله ... ولوسكتوا أثنت عليك الحقائب
وقالوا عهدناه وكل عشية ... بأبوابه من طالبي العرف راكب
هو البدر والناس الكوكب حوله ... ولاتشبه البدر المضيء الكواكب

فقال سليمان للفرزدق: كيف ترى شعره؟ فقال هو اشعرأهل جلدته. قال سليمان: واهل جلدتك، ياغلام اعط نصيبا خمسمائة دينار وللفرزدق نار ابيه، فخرج الفرزدق وهويقول:

وخير الشعر أشرفه رجالاً ... وشر الشعر ما قال العبيد

وقال:

ليس السواد بناقصي مادام لي ... هذا اللسان إلى فؤاد ثابت
من كان ترفعه منابت أصله ... فبيوت أشعاري جعلن منابتي
كم بين أسود ناطق ببيانه ... ماضي الجنان وبين أبيض صامت؟
إني ليحسدني الرفيع بناؤه ... من فضل ذاك وليس بي من شامت

وقال:

كأن القلب قيل يغدي ... بليلى العامرية أو يراح
قطاة غرها شرك فباتت ... تجاذبه وقد علق الجناح
لها فرحان قد تركا بو كر ... فعشهما تصفقه الرياح
إذا سمعا هبوب الريح نضا ... وقد أودى بها القدر المتاح
فلا في الليل نالت ماترجى ... ولا في الصبح كان لها براح

وقال:

فان أك حالكاً فالمسك أحوى ... وما لسواد جسمي من دواء
ولى كرم عن الفحشاء ناء ... كبعد الارض من جو السماء

ومثلي في رجالكم قليل ... ومثلك ليس يعدم في النساء
فإن ترضى فردي قول راض ... وإن تأبى فنحن على السواء
وقال:
ألا ليت شعري ما الذي تجدين بي ... غداً غربة النأي المفرق والبعد
لدي أم بكر حين تغترب النوى ... بنا ثم يخلو الكاشحون بها بعدي
أتصرمني عند الذين هم العدا ... فتشمتهم بي أم تدوم على العهد
وقال:
ألام على ليلى ولو أستطيعها ... وحرمة مابين البيئة والحجر
لملت على ليلى بنفسي ميلةً ... ولو كان في يوم المحلق والنحر

نصيب مولى المهدي

أصله عبد من بادية اليمامة عرض على المهدي وهو إذ ذاك ولي عهد فاستنشده فانشده فقال: والله ماهو بدون نصيب مولى بني مروان فاشتراه، ولما ولي الخلافة ارسله إلى اليمن في شراء ابل مهرية وكتب إلى عامل اليمن ان يجعل له عشرين الف دينار لذلك، فاخذ نصيب ينفق من المال والاكل والشرب واللهو وشراء الجواري، فكتب بذلك إلى المهدي فامر بحمله اليه موثقا بالحديد بعد ان حبس مدة باليمن، فلما ادخل على المهديانشده قصيدة طويلة يستعطفه بها اولها:
تأوبني ثقل من القيد موجع ... فأرق عيني والخليون هجع
هموم توالت لو ألم يسيرها ... بسلمى لظلت صمةً تتصدع
ومنها:
إليك أميرالمؤمنين ولم أجد ... سواك مجيراً منك ينجى ويمنع
تلمست هل من شافع لي فلم أجد ... سوى رحمة أعطاكها الله تشفع؟
لئن لم تسعني يابن عم محمد ... فما عجزت عني وسائل أربع
طبعت عليها صبغة ثم لم تزل ... على صالح الأخلاق والدين تطبع
تغاضيك عن ذي الذنب ترجو صلاحه ... وأنت ترى ما كان يأتي ويصنع
وعفوك عني لو تكون جزيته ... لطارت به في الجو نكباء زعزع
وإنك لاتنفك تنعش عاثراً ... ولم تعترضه حين يكبو ويخنع

وحلمك عن ذي الجهل من بعدما جرى ... به عنق من طائش الجهل أشنع
وقال يمدح الفضل بن يحيى:
طرقتك مية والمزار شطيب ... ونأتك بالهجران وهي قريب
لله مية خلةً لوأنها ... تجزى الوداد بودها وتثيب

ومنها:

إذ للشباب عليك من ورق الصبا ... ظل وإذ غصن الشباب رطيب

طرب الفؤاد ولات حين تطرب ... إن الموكل بالصبا لطروب

وتقول مية ما لمثلك والصبا ... واللون أسود حالك غريب

شاب الغراب وما أراك تشيب ... وطلابك البيض الحسان عجيب

ومنها في المديح:

والبرمكي وإن تقارب سنه ... أو باعدته السن فهو نجيب

خرق العطاء إذا استهل عطاؤه ... لامتبع منا ولا محسوب

ياآل برمك مارأينا مثلكم ... مامنكم إلا أغر وهوب

وإذا بد الفضل بن يحيى هبته ... لجلاله إن الجلال مهيب

ومنها:

شمنا لديك مخيلةً لاخلياً ... في الشيم اذ بعض البروق خلوب

إنا على ثقة وظن صادق ... مما نؤمله فليس نخيب

النضر بن أبي النضر

أبو مالك التميمي، أعرابي من أهل البادية لغوي شاعر، وفد على الرشيد ومدحه وخدمه، وانقطع إلى الفضل امتدح الخلفاء والامراء وتقرب منهم، ومن شعره يرثى يزيد حوراء المدني المغني:

لم يمتع من الشباب يزيد ... صار في الترب وهو غض جديد

خانه دهره وقاله من ... ه نحوس واستدبرته السعود

حين زفت إليه دنياه تجلى ... وتدانى منها إليه البعيد

فكأن لم يكن يزيد ولم يش ... ج نديماً يهزه التغريد

النضر بن شميل بن خرشة

بن يزيد بن كلثوم التميمي المازني النحوي اللغوي الأديب، ولد بمرو ونشأ بالبصرة وأخذ عن الخليل بن أحمد، وأقام بالبادية زمناً طويلاً فأخذ عن فصحاء العرب كأبي خيرة الاعرابي وأبي الدقيش وغيرهما. وسمع من هشام بن عروة وحميد الطويل واسماعيل بن أبي خالد وعبد الله بن عون وهشام ابن حسان وغيرهم من صغار التابعين.

وروى عنه يحيى بن معين وابن المديني، وهوثقة حجة احتجوا به في الصحاح ولما ضاقت عليه الأسباب في البصرة عزم على الخروج إلى خراسان فشعه من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف من المحدثين والفقهاء واللغويين والنحاة والادباء فجلس لوداعهم بالمربد وقال: ياأهل البصرة، يعز علي والله فراقكم، ولو وجدت عندكم

كل يوم كيلجة من الباقلاء ما فارقتكم، فلم يكن يهم واحد يتكلف له ذلك، فسار إلى مرو واقام بها فاثرى وافاديها مالا عظيما، ذكر ذلك أبو عبيدة في كتاب المثالب، وكان النضر منأهل السنة وهو اول من اظهرها بخراسان ومرو، وولى القضاء بمرو فاقام العدل وحمدت سيرته، وكان متقللا متقشفا.

قال الزبير بن بكار: حد ثني النضر بن شميل قال: دخلت على أميرالمؤمنين المامون بمرو وعلى اطمار متر عبلة فقال: يانضر، تدخل على أميرالمؤمنين في مثل هذه الثياب؟ فقلت: ان حر مرو شديد لايدفع الا بمثل هذه الاخلاق.

قال: بل أنت رجل متقشف، ثم تجارينا الحديث فاجرى ذكر النساء وقال: حدثني هشيم بن بشير عن مجالد عن الشعبي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا تزوج الرجل المرأة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز)، ففتح السين من سداد، فقلت صدقوك يا أميرالمؤمنين، وحدثني عوف بن أبي جميلة الاعرابي عن الحسن عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا تزوج الرجل المراة لدينها وجمالها كان فيه سداد من عوز)، وكسرت السين قال: وكان المامون متكئاً فاستوى جالساً وقال: السداد لحن عندك يا نضر؟ قلت نعم ههنا يا أمير المؤمنين. قال: أوتلحنني؟ قلت: إنما لحن هشيم وكان لحاناً فتبع أمير المؤمنين لفظه فقال: ما الفرق بينهما؟ قلت: السداد: القصد في الدين والطريقة والأمر، والسداد: أبلغه وكل ما سددت به شيئاً فهو سداد، وقد قال العرجي:

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ... ليوم كريهة وسداد ثغر

قال: فأطرق المأمون ملياً ثم قال: قبح الله ما لا أدب له ثم قال: أنشدني يا نضر أخلب بيت للعرب، قلت قول حمزة بن بيض:

تقول لي والعيون هاجعة ... أقم علينا يوماً ولم أقم

أي الوجوه اتنجعت قلت لها ... لأي وجه إلا إلى الحكم

متى يقل حاجبنا سرادقه ... هذا ابن بيض بالباب يبتسم

قد كنت أسلمت فيك مقتبلا ... هاك اوحل ذاك وأعطني سلمي

فقال المأمون لله درك، كأنما شق لك عن قلبي، فأنشدني أنصف بيت للعرب، قلت: قول أبي عروة المدني:

إني وإن كان ابن عمي غائباً ... لمزاحم من خلفه وورائه

ومفيده نصري وان كان أمراً ... متزعزعاً في أرضه وسمائه

وأكون والي سره وأصونه ... حتى يجيء علي وقت أدائه

وإذا رعا باسمي ليركب مركباً ... صعباً قعدت له على سيسائه

وإذا ارتدى ثوباً جميلاً لم أقل ... ياليت كان على حسن ردائه

فقال احسنت يانضر، انشدني اقنع بيت قالته العرب، قلت: قول ابن عبد الاسدي:

إني امرؤ لم أزل وذاك من ال ... له قديماً أعلم الأدبا

أقيم بالدار ما أطمأنت بي الد ... دار وإن كنت نازحاً طرباً

لاأحتوي خلة الصديق ولا ... أتبع نفسي شيئاً إذا ذهبا
أطلب ما يطلب الكريم من الر ... رزق بنفسي وأجمل الطلبا
إني رأيت الفتى الكريم إذا ... رغبته في صنيعة رغبا
والعبد لا يطلب العلاءولا ... يعطيك شيئاً إلا إذا رهبا
مثل الحمار السوء المخاتل لا ... يحمل شيئاً إلا إذا ضربا
قد يرزق الخافض المقيم ولا ... شد لعيس رحلاً ولا قتبا
ويحرم الرزق ذو المطية والر ... رحل ومن لايزال مغتربا

فقال أحسنت يانضر، ثم أخذالقرطاس وأنا لا أدري ما يكتب ثم قال: كيف تقول إذا أمرت من يترب الكتاب؟ قلت اتربه، قال فهو ماذا؟ قلت فهو مترب، قال فمن الطين؟ قلت طنه، قال فهو ماذا؟ قلت فهو مطين، قال: هذه احسن من الاولى، ثم قال ياغلام، ارتبه وطنه وابلغ معه إلى الفضل ابن سهل. قال: فلما قرأ الكتاب الفضل قال يانضر: ان أميرالمؤمنين امر لك بخمسين الف درهم، فما كان السبب؟ فاخبرته الخبر فقال: لحنت أميرالمؤمنين، قلت كلا، انما لحن هشيم بن بشير وكان لحانا فتبع أميرالمؤمنين لفظه، فامر لي الفضل بثلاثين الف درهم، فاخذت ثمانين الفا درهم بحرف استفيد مني. توفي النضر بن شميل في ذي الحجة سنة اربع ومائتين. وله من التصانيف: كتاب الصفات في اللغة خمسة اجزاء، والمدخل إلى كتاب العين، وكتاب غريب الحديث، وكتاب المعاني، وكتاب السلاح، وكتاب المصادر، وكتاب الانواء، وكتاب خلق الفرس، وكتاب الجيم، وكتاب الشمس والقمر وغير ذلك.

نهشل بن يزيد

ابو خيرة الاعرابي البصري، بدوي من بني عدي، دخل الحضرة وصنف كتاب الحشرات ذكره في الفهرست.

باب الواو

واصل بن عطاء

ابو حذيفة الغزال مولي بني ضبة، كان متكلما بليغااديبا متفننا خطيبا، ولقب بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي، وكان بشار بن برد قبل ان يدين بالرجعة ويكفر جميع الامة كثير المديح لواصل بن عطاء، وفضله في الخطابة على خالد بن صفوانوشبيب بن شبة والفضل بن عيسى يوم خطبوا عند عبد الله ابن عمر بن عبد العزيز والى العراق فقال في ذلك

أبا حذيفة قد أوتيت معجزة ... من خطبة بدهت من غير تقدر
وإن قولاً يروق الخافقين معاً ... لمسكت مخرس عن كل تحبير

وقال في ذلك أيضاً:

تكلفوا القول والاقوام قد حفلوا ... وحبروا خطباً ناهيك من خطب
فقام مرتجلاً تغلى بداهته ... كمرجل القين لما حف باللهب
وجانب الراء لم يشعر به أحد ... قبل التصفح والإغراق في الطلب

قوله وجانب الراء اشارة إلى لثغة واصل، وكان واصل الثغ قبيح اللثغة في الراء، فكان يخلص كلامه من الراء ولا يفطن لذلك السامع لاقتداره على الكلام وسهولة الفاظه، وفي ذلك يقول أبو الطروق الضبي:
عليم بإبدال الحروف وقامع ... لكل خطيب يغلب الحق باطله
ولما قال بشار بالرجعة وتتابع على واصل مايشهد بالحداه قال واصل: اما لهذا الاعمى الملحد، امالهذا المشنف المكنى بابي معاذ من يقتله، اما والله لولا ان الغيلة سجية من سجايا الغالية لدسست اليه من يبعج بطنه في جوف منزله او في حفله، ثم لايتولى ذلك الا عقيلي او سدوسي، فقال أبو معاذ ولمي يقل بشار، وقال: المشنف ولم يقل المرعث وكان بشار ينبز بالمرعث. وقال: من سجايا الغالية ولم يقل الرافضة. وقال: في منزله ولم يقل في داره. وقال: يبعج ولم يقل يبقر كل ذلك تخلصا من الراء، ولما بلغ بشارا انكار واصل عليه وانه يهتف به قال يهجوه:
مالي أشايع غزالاً له عنق ... كنقنق الدو إن ولي وإن مثلا
عنق الزرافة مابالي وبالكم ... أتكفرون رجالاً أكفروا رجلا؟
وكان واصل في اول امره يجلس إلى الحسن البصري، فلما ظهر الاختلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكبي الكبائر، وقال الجماعة بايمانهم خرج واصل عن الفريقين، وقال بمنزلة بين المنزلتين، فطرده الحسن عن مجلسه فاعزل عنه وتبعه عمرو بن عبيد، ومن ثم سموا وجماعتهم المعتزلة، ومما قيل في لثغته بالراء قول بعضهم:
ويجعل البر قمحاً في تصرفه ... وخالف الراء حتى احتال للشعر
ولم يطق مطراً في القول يجهله ... فعاذ بالغيث إشفاقاً من المطر
وقال قطرب: سألت عثمان البري كيف كان يصنع واصل بالعدد بعشرة وعشرين وأربعين، وبالقمر وبالبدر ويوم الأربعاء والمحرم وصفر، وربيع الأول والآخر وجمادى الآخرة: مالي فيه إلا قول صفوان بن ادريس:
ملقن ملهم فيما يحاوله ... جم خواطره جواب آفاق
ولواصل بن عطاء خطب وحكم من الكلام ومناظرات ورسائل واخبار يطول ذكرها، وله شعر اجاد فيه ومنه:
تحامق مع الحمقى إذا مالقيتهم ... ولا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
فإن الفتى ذا العقل يشقى بعقله ... كما كان قبل اليوم يشقى ذوو الجهل
وله من التصانيف: معاني القران، وكتاب التوبة، وكتاب الخطب في الوحيد، وكتاب المنزلة بين المنزلتين، وكتاب السبيل إلى معرفة الحق، وكتاب ماجرى بينه وبين عمر وبن عبيد، وكتاب اصناف المرجئة، وكتاب

خطبة التي اخرج منها الراء، وطبقاتأهل العلم والجهل وغير ذلك. ولد واصل بالمدينة سنة ثمانين، وتوفي سنة احدى وثلاثين ومائة.

وثيمة بن موسى الفرات

ابو زيد الفارس الفسوي الوشاء، المحدث الأديب الاخباري، كان يتجر في الوشي وهو نوع من الثياب المنسوجة من الابريسم، حدث عن سلمة بن فضل عن ابن سمعان عن الزهري باحاديث موضوعة، وله عن مالك حديث منكر، وسمع منه أحمد بن ابراهيم بن ملحان، وحدث عنه ابنه أبو رفاعة عمارة بن وثيمة، وسافر وثيمة في اول امره من بلده إلى البصرة، ثم إلى مصر ومنها إلى الاندلس، ثم عاد إلى مصر وبها مات يوم الاثنين لعشر خلون من جمادى الاولى سنة سبع وثلاثين ومائتين، وصنف كتاب اخبار الردة ذكر فيه القبائل التي ارتدت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وسرايا أبي بكر التي سيرها لقتالهم وماجرى بينهم ومن رجع منهم إلى الاسلام، واخبار خالد ابن الوليد مع مالك بن نويرة وقتله له، ومراثي متمم بن نويرة في اخيه وغير ذلك.

الوليد بن عبيد الله بن يحيى بن عبيد

ابن شملال بن جابر بن مسلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم بن أبي حارثة بن جدي بن بدولبن بحتر، أبو عبادة وابو الحسن والاول اشهر، البحتري الطائي الشاعر المشهور، كان فاضلا أديباً فصيحا بليغا شاعراً مجيدا، وكان بعض أهل عصره يقدمونه على أبي تمام بادئ الراي ويختمون به الشعراء، وروى عنه شعره أبو العباس المبرد وابن المرزبانمحمد بن خلف وابو بكر الصولي والمحاملي أبو عبد الله.

ولد بمنبج من اعمال حلب وبها نشا وتنبل وقال الشعر، ثم صار إلى أبي تمام وهو بحمص فعرض عليه شعره وكان يجلس للشعراء فيعرضون عليه اشعارهم، فلما سمع أبو تمام شعره اقبل عليه وقال له: انت اشعر من انشدني. وللبحتري تصرف حسن في ضروب الشعر سوى الهجاء فانه لم يحسنه، واجود شعره ماكان في الاوصاف، وكان يتشبه بابي تمام في شعره ويحذو حذوه، وينحو نحوه في البديع الذيكان أبو تمام يستعمله ويراه اماما ويقدمه على نفسه ويقول في الفرق بينهما قول منصف: ان جيد أبيتمام خير من جيدي، ورديئي خير من رديئه.

وقال له الحسين بن اسحاق يوما: ان الناس يزعمون أنك أشعرمن أبي تمام فقال: والله ما ينفعني هذا أقول ولا يضر أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت أن الأمر كما قالوا، ولكن والله تابع له لائذ به، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه.

وحدث محمد بن علي الأنباري قال: سمعت البحتري يقول: أنشدني أبو تمام يوما لنفسه:

وسابح هطل بالشعر هتان ... على الجراء أمين غير خوان

فلو تراه مشيحاً والحصى زيم ... بين السنابك من مثنى ووحدان

أيقنت أن تتثبت أن حافره ... من صخر تدمر أو من وجه عثمان

ثم قال لي: ماهذا الشعر؟ قلت لاادري، قال هو الاستطراد قلت وما معنى ذلك؟ قال: يريك انه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان.

قال المؤلف الفقير: وهذا هو الذيذكره علماء البديع في تعريف الاستطراد، وقد نحا البحتري نحو أبي تمام فوصف فرسا واستطرد إلى هجو حمدويه الأحول فقال:

ما إن يعاف قذى ولو أوردته ... يوماً خلائق حمدويه الأحول

وهو من قصيدة امتدح بها محمد بن علي القمي، وكان حمدويه عدواً له فهجاه في عرض مدحه لمحمد القمي، وكانت ولادة البحتري سنة ست ومائتين، وتوفي بمنبج بمرض السكتة سنة أربع وثمانين ومائتين، وله كتاب الحماسة على مثال حماسة ابن تمام، وكتاب معاني الشعر، وديوان مجلدين جمعة أبو بكر الصولي ورتبه على الحروف، وجمعه أيضاً على بن حمزة الأصبهاني الأخباري ورتبه على الأنواع كما صنع بشعر أبي تمام. ومن غير شعره في المديح قصيدته الرائية التي مدح بها المتوكل على الله يهنئه بعيد الفطر ويذكر خروجه في للصلاة قال:

ألله مكن للخليفة جعفر ... ملكاً يجمله الخليفة جعفر

نعمى من الله اصطفاه بفضلها ... والله يرزق من يشاء ويقدر

ومنها:

بالبرصمت وأنت أفضل صائم ... وبسنة الله الرضية تفطر

فانعم بيوم الفطر عيناً إنه ... يوم أغر من الزمان مشهر

أظهرت عز الملك فيه بجحفل ... لجب يحاط الدين فيه وينصر

خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت ... عدداً يسير به العديد الاكثر

والخيل تصهل والفوارس تدعى ... والبيض تلمع والأسنة نزهر

ومنها:

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلى ... ذاك الدجى وانجاب ذاك العثير

وافتن فيك الناظرون فأصبع ... يوماً إليك بها وعين تنظر

يجدون رؤيتك التي فازوا بها ... من أنعم الله التي لاتكفر

ذكروا بطلعتك النبي فهللوا ... لما طلعت من الصفوف وكبروا

حتى انتهيت إلى المصلى لابساً ... نور الهدى يبدوعليك ويظهر

ومشيت مشية خاشع متواضع ... لله لايزهو ولا يتكبر

فلو أن مشتاقاً تكلف فوق ما ... في وسعه لسعى إليك المنبر

وله من قصيدة يمدح بها علي بن مر:

لم يبق من جل هذا الناس باقية ... ينالها الفهم إلا هذه الصور

جهل وبخل وحسب المرء واحدة ... من تين حتى يعفي خلفه الاثر

إذا محاسني اللاتي أدل بها ... كانت ذنوبي فقل لي كيف اعتذر؟
أهز بالشعر أقواماً ذوي وسن ... في الجهل لو ضربوا بالسيف ماشعروا
علي نحت القوافي من مقاطعها ... وما علي إذا لم تفهم البقر
ومنها في المديح:
لولا علي بن مر لاستمر بنا ... خلف من العيش فيه الصاب والصبر

عذنا بأروع أقصى نيله كثب ... على العفاة وأدنى سعيه سفر
ألح جودا ولم تضرر سحائبه ... وربما ضر في إلحاحه المطر
مواهب ما تجشمنا السؤال لها ... إن الغمام قليب ليس يحتفر
ومن غرر شعره في الاوصاف قوله يصف ايوان كسرى:
حضرت رحلي الهموم فوجه ... ت إلى أبيض المدائن عنسي
أتسلى عن الخطوب وأسى ... نحل من آل ساسان درس
ذكرتنيهم الخطوب التوالي ... ولقد تذكر الخطوب وتنسى
وهم خافضون في ظل عال ... مشرف يحسر العيون ويخسى
مغلق بابه على جبل القب ... ق إلى دارتي خلاط ومكس
نقل الدهر عهدهن عن الجد ... دة حتى غدون أنضاء لبس
فكأن الجرماز من عدم الأن ... س وإخلاله بنية رمس
لوتراه علمت أن الليالي ... جعلت فيه مأتماً بعد عرس
وهو ينبيك عن عجائب قوم ... لايشاب البيان فيه بلبس
فإذا ما رأيت صورة انطا ... كية ارتعت بين روم وفرس
والمنايا مواثل وأنوشر ... وان يزجى الصفوف تحت الدرفس
في اخضرار من اللبلس على أص ... فر يختال في صبيغة ورس
وعراك الرجال بين يديه ... في خفوت منهم وإغماض جرس
من مشيح يهوى بعامل رمح ... ومليح من السنان بترس
تصف العين أنهم جد أحيا ... ء لهم بينهم إشارة خرس
يغتلي فيهم ارتيابي حتى ... تتقراهم يداي بلمس
قد سقاني ولم يصرد أبو الغو ... ث على العسكرين شربة خلس
من مدام تخالها ضوء نجم ... نور الليل أو مجاجة شمس
وتراها إذا أجدت سروراً ... وارتياحاً للشارب المتحسي
أفرغت في الزجاج من كل قلب ... فهي محبوبة إلى كل نفس
حلم مطبق على الشك عيني؟ ... أم أمان غير ظني وحدسي؟

وكأن الإيوان من عجب الصن ... عة جون في جنب أرعن جلس
يتظنى من الكآبة أن يب ... دو لعيني مصبح أو ممس
مزعجاً بالفراق عن أنس إلف ... عز أو مرهقاً بتطليق عرس
عكست حظه الليالي وبات ال ... مشتري فيه وهو كوب نحس
فهو يبدي تجلداً وعليه ... كلكل من كلاكل الدهر مرسي
لم يعبه أن بز من بسط الدي ... باج واستل من ستور الدمقس
مشمخر تعلو له شرفات ... رفعت في رء وس رضوى وقدس
لابسات من البياض فما تب ... صر منها إلا غلائل برس
ليس يدري أصنع أنس لجن ... صنعوه أم صنع جن لأنس؟
غير أني أراه يشهد أن لم ... يك بانيه في الملوك بنكس
وكأني أرى المواكب والقو ... م إذا مابلغت آخر حسى
وكأن الوفود ضاحين حسري ... من وقوف خلف الزحام وخنس
وكأن القيان وسط المقاصي ... ر يرجعن بين حور ولعس
وكأن اللقاء أول من أم ... س ووشك الفراق أول أمس
وكان الذي يريد اتباعاً ... طامع في لقائهم بعد خمس
عمرت للسرور دهراً فصارت ... للتعزي ربوعهم والتأسي
فلها أن أعينها بدموع ... موقفات على الصبابة حبس
ذاك عندي وليست الدار داري ... باقترابي منها ولا الجنس جنسي
غير نعمي لأهلها عند أهلي ... غرسوا أعلى رباطها خير غرس
أيدوا ملكنا وشدوا قواه ... بكماة تحت الستور وحمس
وأعانوا على كتائب أربا ... ط بطعن على النحور ودعس
وأراني من بعد أكلف بالأشرا ... ف طراً من كل سنخ وأس

وهب بن منبه

أبو عبد الله اليماني الأخباري صاحب القصص، كان من خيار التابعين ثقة صدوقا، كثير النقل من الكتب القديمة المعروفة بالاسرائيليات. قال ابن قتيبة: كان وهب بن منبه يقول: قرأت من كتب الله تعالى اثنتين وسبعين كتاباً. صنف كتاب القدر ثم ندم على تصنيفه.

حدث سفيان بن عيينه عن عمرو بن دينار قال: دخلت علي وهب بن منبه داره بصنعاء فأطعمني من جوزة في داره فقلت له: وددت أنك لم تكن كتبت في القدر كتباً فقال: وانا والله وددت ذلك.

وروى حماد بن سلمة عن أبي سنان قال: سمعت وهب بن منبه يقول: كنت أقول بالقدر حتى قرأت بضعة وسبعين كتابا كانت كتب الانبياء في كلها من جعل لنفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر فتركت قولي. ولوهب

أيضاً: كتاب الملوك المتوجة من حمير وأخبارهم وغير ذلك. ومن كلامه: العلم خليل المؤمن والحلم وزيره، والعقل دليله والصبر جنوده، والرفق أبوه واللين أخوه. مات وهب وهو على قضاء صنعاء سنة أربع عشرة ومائة، وقيل سنة عشر والأول أصح.

وهب بن وهب بن كثير

ابن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزي بن قصي بن كلاب القاضي أبو البختري القرشي الأسدي المدني، كان فقيهاً أخبارياً نساباً لكنه متهم في الحديث، وكان جواداً ممدحاً يحب المدح ويثيب عليه، روى عن هشام بن عروة وجعفر بن محمد وعبيد الله بن عمر.
وروى عنه الربع بن ثعلب والمسيب بن واضح ورجاء ابن سهل وجماعة، وسكن بغداد وولي قضاء عسكر المهدي ثم ولى حربها وصلاتها، توفي في بغداد سنة مائتين، وله من الكتب: كتاب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وكتاب فضائل الانصار، وكتاب الفضائل الكبير، وكتاب نسب ولد اسماعيل، وكتاب طسم وجديس،

باب الهاء

هارون بن الحائك

النحوي الضرير من أعيان أصحاب ثعلب وكان معدوداً من طبقته، أصله يهودي من الحيرة، وكان الوزير عبيد الله ابن سليمان أرسل إلى ثعلب ليختلف إلى ولده القاسم فأبى واعتذر بالشيخوخة والضعف فقال له: أنفذ إلى من ترتضيه من أصحابك، فانفذ إليه هارون الضرير، فاستحضر الوزير عبيد الله أبا إسحاق الزجاج وجمع بينه وبين هارون فسأله الزجاج: كيف تقول ضربت زيدا ضربا، فقال: ضربت زيدا ضربا، فقال: كيف تكنى عن زيد والضرب فافحم ولم يجب، وحار في يده وانقطع انقطاعا قبيحا، فصرفه الوزير واختار الزجاج لتاديب ولده، فكان ذلك سبب منية هارون، وما كان هارون ممن يذهب عليه هذا، فان جواب المسألة ضربته اياه، ذكر ذلك أبو بكر الزبيدي في الطبقات، ولهارون من التصانيف: كتاب العلل في النحو، كتاب الغريب الهاشمي، وقيل الغريب الهاشمي لثعلب.

هارون بن زكريا الهجري

أبو علي النحوي صاحب كتاب النوادر المفيدة، روي عنه ثابت بن حزم السرقسطي وغيره، ولا أعلم من أمره غير هذا.

هارون بن علي بن يحيى

بن أبي منصور المنجم البغدادي أبو عبد الله، كان أديباً شاعراً رواية نديماً ظريفاً، وهو أحد بني المنجم المشهورين بالأدب والفضل المقطعين إلى الخلفاء لمنادمتهم والمقيمين عندهم، وكان هارون هذا من أكملهم أدباً. وصنف كتاب أخبار النساء، وكتاب أخبار الشعراء المولدين أورد فيه ما اختاره من شعرهم وسماه بالبارع، قال في مقدمته: عملت كتابي هذا في أخبار الشعراء المولدين ذكرت فيه ما اخترته من اشعارهم، وتحريت في ذلك الاختيار أقصى ما بلغته معرفتي وانتهى إليه علمي، والعلماء يقولون: يدل على العاقل اختياره، وقالوا: اختيار الرجل من وفود عقله ثم ذكر أنه اختصره من كتاب مطول ألفه قبله، ذكر في هذا الكتاب نيفاً ومائة وستين شاعراً، وافتتحه بذكر بشار بن برد، وختمه بمحمد بن عبد الملك بن صالح. توفي هارون بن علي سنة ثمان وثمانين ومائتين.

هارون بن موسى بن شريك

القارئ النحوي الدمشقي أبو عبد الله، يعرف بالأخفش وهو آخر الأخافشة، ولد سنة إحدى ومائتين، وقرأ بقراءات كثيرة وروايات غريبة، وكان قيماً بالقراءات السبع، عارفاً بالتفسير والنحو والمعاني والغريب والشعر حسن الصوت والأداء، وعنه أخذت قراءة أهل الشام وبضبطه اشتهرت، قرأ علي عبد الله بن ذكوان وغيره. وعليه أبو الحسن بن الأخرم. وحدث عن أبي مسهر الغساني، وعنه أبو بكر بن فطيس. وكان فاضلاً أديباً صنف كتباً في القراءات والعربية. مات سنة إحدى وتسعين ومائتين وقيل في السنة التي بعدها.

هارون بن أحمد بن عبد الواحد

بن هاشم ابن محمد بن هاشم بن على بن هاشم الحلبي الأسدي الخطيب، أصل آله من الرقة وانتقلوا إلى حلب، وكان حسن القراءة والعبادة والزهد، صنف كتاب اللحن الخفي، وكتاب افراد أبي عمرو بن العلاء وغير ذلك. وولى خطابة حلب، ولما خطب اعتنقه أبو عبد الله بن القيسراني الشاعر وقال له:

شرح المنبر صدرا ... لتلقيك رحيبا

اترى ضم خطيبا ... منك أم ضمخ طيبا؟

ولد سنة ست وستين واربعمائة ومات في جمادى الاخرة سنة سبع وثلاثين وخمسمائة.

هبة الله بن حامد بن أحمد

ابن أيوب بن علي بن أيوب أبو منصور، يعرف بعميد الرؤساء، أديب فاضل نحوي لغوي شاعر، شيخ وقته ومتصدر بلده،أخذ عنه أهل تلك البلاد الأدب، واخذ هو عن أبي الحسن علي بن عبد الرحيم الرقي المعروف بابن العصار وغيره. وله نظم ونثر وكان يلقب بوجه الدويبة، وسمع المقامات من ابن القور وروى عنه. مات سنة عشرة وستمائة.

هبة الله القاضي السعيد

ابن القاضي الرشيد جعفر بن سنا الملك محمد بن هبة الله ابن محمد السعدي المصري المعروف بابن سنا الملك، أحد أبناء العصر وشعرائه المجيدين، ذاع صيته وسار ذكره.أخذ عن الحافظ أبي الطاهر أحمد بن سلفة واتصل بالقاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني فكانت له منزلة عنده، وكان في خدمته بدمشق سنة إحدى وسبعين وخمسمائة. ثم عاد إلى القاهرة وكان بينه وبين الفاضل ترسل ومدحه بعدة قصائد وصنف كتاب روح الحيوان لخص فيه كتاب الحيوان للجاحظ، وله ديوان موشحات سماه دار الطراز، وديوان شعر، وديوان رسائل. مات يوم الأربعاء رابع شهر رمضان سنة ثمان وستمائة بالقاهرة، ومن شعره قوله يمدح الملك المعظم توران شاه واجاد ماشاء:

تقنعت لكن بالحبيب المعمم ... وفارقت لكن كل عيش مذمم
وباتت يدي في طاعة الحب والهوى ... وشاحاً لخصر أوسواراً لمعصم
وأثريت من دينار خد ملكته ... فأحسن وجه بعده مثل درهم
يزيد احمراراً كلما زدت صفرةً ... كأن به ما كان بي زمن الدم
توقد ذاك الخد واخضر نضرةً ... فابصرت منه جنةً في جهنم

ومنها:

سعدت ببدر برجه برج عقرب ... فكذب عندي قول كل منجم
وأقسم ماوجه الصباح إذا بدا ... بأوضح مني حجة عند لومي
ولا سيما لما مررت بمنزل ... كفضلة صبر في فؤاد متيم
وما بان لي إلابعود أراكة ... تعلق في أطرافه ضوء مبسم
ولاعجباً إن مت فيه صبابةً ... فما النفس إلا بعض مغرم مغرم
بنفسي من قبلته ورشفته ... فقال الهوى فر بالحطيم وزمزم
فجردت قلبي من محيط همومه ... وطاف به والقلب في زي محرم

ومنها:

ولم ير طرفي قط شملاً مبدداً ... فقابله إلا بدمع منظم
تبسم ذاك الطرف عن ثغر دمعه ... ورب قطوب كامن في التبسم
ولم يسل قلبي او فمي عن غزالة ... وعن غزل الا بمدح المعظم

هذا والله السحر الحلال، والسهل الممتنع الذي لاينال، ومن شعره أيضاً قوله يمدح القاضي الفاضل عبد الرحيم:

عادني من هوى الأحبة عيد ... فلباسي فيه غرام جديد
ونحرت الجفون من بعد أن أش ... عرت قلبي بأن صبري بعيد

كلف عاد بعد شيبي وليداً ... وكذا البدر بعد شيب وليد
فغرامي بالبدر كالبدر لكن ... ينقص البدر والغرام يزيد

بأبي من أبى مرادي لمثل الد ... دهر عندي يريد مالا أريد
صد عطفاً وصاد طرفاً فما ين ... فك هذا يصد أو ذا يصيد
كيف خلدت في جهنم ذا الص ... صد وديني في حبك التوحيد

ومنها في المديح:

لي من راحتيه جنة مأوى ... وله بالثناء مني خلود
أنا عبد وخدمتي مدح مول ... نجح القصد عنده والقصيد
هو قاض لابل أمير إذا شئ ... ت لديه من المعالي جنود
وفقيه النوال يلقى على الخل ... ق عطاياه والغمام معيد
اوسعوا جوده ملاماً وتقني ... داً فضاع الملام والتفنيد
رددوا عذلهم فرد عليهم ... كل شيء مردد مردود

ومن شعره الذي سارت به الركبان قصيدته الحماسية الغزلية وهي:

سواي يخاف الدهر أو يرهب الردى ... وغيري يهوى أن يكون مخلدا
ولكنني لاارهب الدهر إن سطا ... ولاأحذر الموت الزؤام إذا عدا
ولومد نحوي حادث الدهر طرفه ... لحد ثت نفسي أن أمد له يدا
توقد عزم يترك الماء جمرةً ... وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للأنام فإنني ... أرى كل عار من حلي سوددي سدى
وأظمأ إن أبدى لي الماء منة ... ولو كان لي نهر المجرة موردا
ولو كان إدراك الهدى بتذ لل ... رأيت الهدى أن لا أميل إلا إلى الهدى
وقدماً بغيري أصبح الدهر أشيبا ... وبي بل بفضلي أصبح الدهر أمردا
وإنك عبدي يا زمان وإنني ... على الكره من أن أرى لك سيدا
وما أنا راض أنني واطيء الثرى ... ولي همة لا ترتضي الأفق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتي ... لخرت جميعاً نحو وجهي سجدا
ولي قلم في أنملي لو هززته ... فما ضربي ألا أهز المهندا
إذا جال فوق الطرس وقع صريره ... فإن صليل المشرفي له صدا

ومنها في التخلص إلى الغزل:

ومن كل شيء قد صحوت سوى هوىً ... أقام عذولي بالملام وأقعدا
إذا وصل أهواه لم يك مسعدي ... فليت عذولي كان بالصمت مسعدا
يحب حبيبي من يكون مفنداً ... فيا ليتني كنت العذول المفندا

وقال لقد آنست ناراً بخده ... فقلت: وإني ما وجدت بها هدى
والقصيدة طويلة كل بيت منها فريدة في عقد، وشعره كثير وأكثره جيد.

هبة الله بن الحسن

ابو الحسن المعروف بالحاجب ذكره الكمال بن الأنباري في طبقات النحويين، وكان من أفضلأهل الأدب شاعر مليح الشعر، فمن شعره:
يا ليلة سلك الزما ... ن بطيبها في كل مسلك
إذ أرتقى درج المسر ... رة مدركاً ماليس يدرك
والبدر قد فضح الظلا ... م فستره عنه مهتك
وكأنما زهر النجو ... م بلمعها شعل تحرك
والغيم أحياناً يمو ... ج كأنه ثوب ممسك
وكأن نشر المسك ين ... فح في النسيم إذا تحرك
والنور يبسم في الريا ... ض فإن نظرت إليه سرك
شارطت نفسي أن أقو ... م بحقها والشرط أملك
حتى تولى الليل من ... هزماً وجاء الصبح يضحك
ويح الفتى لو أنه ... في ظل طيب العيش يترك
والمرء يحسب عمره ... فإذا أتاه الشيب فذلك
مات هبة الله الحاجب فجأة في آخر شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وأربعمائة في بغداد في خلافة القائم بأمر الله ابن القادر بالله.

هبة الله بن الحسين

ابو بكر بن العلاف الشيرازي، كان من أفراد الزمان في عصره في أنواع العلوم، نحويا إماما شاعراً فاضلا بارعا، ورد خراسان وما وراء النهر، وسمع حماد بن مدرك وغيره، وسمع منه الحافظ أبو عبد الله بن الحاكم وذكره في ذلك:
إلام و فيم يظلمني شبابي ... ويلبس لمتي حلك الغراب؟

و آمل شعرة بيضاء تبدو ... بدو البدر في خلل السحاب
و أدعى الشيخ ممتلئا شبابا ... كذي ظما يعلل بالسراب
فيا مللي هنالك من مشيبي ... ويا خجلي هنالك من شبابي

هبة الله بن الحسين بن أحمد البغدادي

عرف بالبديع الإسطرلابي، كان أديباً فاضلاً شاعراً بارعاً حكيماً عارفاً بالطب والرياضة والهيئة والنجوم والرصد والزيج، متقناً علم الآلات الفلكية ولاسيما الإسطرلاب فنسب إليه، وحصل له مال جزيل من عمله ولم يخلفه في صناعته مثله، وقد أقام على صحة ما يعمله من الآلات الحجج الهندسية، وبرهن عليها بالقوانين الإقليد يسية، وأتى فيها باختراعات أغفلها المتقدمون، فزاد في الكرة ذات المرسي وكمل نقصها الذي مرت عليه الأعوام، وأكمل نقص الآلات الشاملة التي وضعها الخجندي وجعلها لعرض واحد وأقام الدليل على أنه لايمكن أن تكون لعروض متعددة، فلما وصلت إلى البديع تأملها واهتدى إلى طريق لعملها لعروض متعددة، واختبر مازاد فيها بالقواعد الهندسية فصح عمله، وحمل ما صنع منها إلى الأكابر والأجلاء منأهل هذا الفن فتلقوها بالقبول، وله في عمل الإسطرلاب والركار والمساطر وغيرها من الآلات اليد الطولى، وقد صار ما صنعه من ذلك من الذخائر التي يتغالى بها أهلها وعانى عمل الطلاسم ورصد لها ما يوافقها من الأوقات السعيدة، وحملها إلى الملوك والأمراء والوزراء فجربوها فصحت، وحصل له منها ومن سائر صنائعه أموال جمة، وصنف رسالة في الآلات الشاملة التي كملها، ورسالة في الكرة ذات الكرسي، واختار ديوان ابن الحجاج وسماه درة التاج من شعر ابن الحجاج، رتبه على واحد وأربعين ومائة باب جعل كل باب في فن من فنون شعره، وله ديوان شعر دونه وجمعه بنفسه، مات ببغداد بعلة الفالج سنة أربع وثلاثين ومائة، ومن شعره الرائق الفائق قوله:

وذو هيئة يزهو بخال مهندس ... أموت به في كل وقت وأبعث

محيط بأوصاف الملاحة وجهه ... كأن به إليدسا يتحدث

فعارضه خط استواء وخاله ... به نقطة والخد شكل مثلث

وقال:

أذاقني حمرة المنايا ... لما اكتسى خضرة العذار

وقد تبدى السواد فيه ... وكارتى بعد في العيار

وقال:

قام إلى الشمس بآلاته ... لينظر السعد من النحس

فقلت أين الشمس قال الفتى ... في الثور قلت الثور في الشمس

وقال:

يا صدور الزمان ليس بوفر ... مارأيناه في نواحي العراق

إنما عم ظلمكم سائر الأر ... ض فشابت ذوائب الآفاق

الوفر: الثلج بلغة أهل العراق، قال ذلك في عام نزل فيه ببغداد ثلج كثير وقال:

أهدي لمجلسك الشريف وإنما ... أهدي له ماحزت من نعمائه

كالبحر يمطره السحاب وماله ... فضل عليه لأنه من مائه

هبة الله بن سلامة بن نصر

بن علي ابو القاسم الضرير المقريء المفسر النحوي البغدادي، كان من أحفظ الناس لتفسير القرآن والنحو والعربية، وكانت له حلقة في جامع المنصور ببغداد، سمع من أبيبكر بن مالك القطيعي وغيره. وقرأ عليه أبو الحسن علي بن القابس الطابثي، وصنف كتاب الناسخ والمنسوخ، والمسائل المنثورة في النحو والتفسير. وأبو محمد رزق الله ابن عبد الوهاب التميمي المحدث هو ابن بنت هذا. مات هبة الله في رجب سنة عشر وأربعمائة.

– هبة الله بن صاعد

بن هبة الله بن ابراهيم بن علي موفق الملك أمين الدولة، أبو الحسن بن أبي العلاء المعروف بابن التلميذ البغدادي الطبيب الحكيم الأديب، كان واحد عصره في صناعة الطب متفننا في علوم كثيرة، حكيماً أديباً شاعراً مجيداً، وكان يكتب خطا منسوباً في نهاية الحسن، وكان عارفاً بالفارسية واليونانية والسريانية متضلعاً بالعربية، وله النظم الرائق والنثرالفائق، ونثره أجود من شعره، وكان ساعور البيمارستان العضدي تولاه إلى أن توفى، وكان حاذقاً في المباشرة والمعالجة موفقاً في صناعته، خدم الخلفاء من بني العباس وتقدم عندهم وعلت مكانته لديهم وعمر طويلا، نبيه الذكر جليل القدر معروف المكانة. وكان مقدم الناصري في بغداد ورأسهم ورئيسهم وقسيسهم، وكان حسن العشرة كريم الأخلاق ذا مروءة وسخاء، حلو الشمائل كثير النادرة، وكان يميل إلى صناعة الموسيقى ويقرب أهلها، وكانت دار القوارير ببغداد من اقطاعاته، فلما ولى يحيى بن هبيرة الوزارة حلها وأخذها منه فحضر ابن التلميذ يوما عند الخليفة المقتفي على عادته، فلما أراد الانصراف عجز عن القيام وكان قد ضعف من الكبر، فقال المقتفي: كبرت يا حكيم. قال نعم كبرت وتكسرت قواريري، وهذا مثل يتماجن به أهل بغداد. فقال الخليفة: رجل عمر في خدمتنا وما تماجن قط بحضرتنا فلهذا التماجن سر، ثم فكر ساعة وسأل عن دار القوارير فقيل له: قد حلها الوزير وأخذها منه، فأنكر عليه المقتفي أخذها إنكاراً شديداً، وردها على ابن التلميذ وزاده إقطاعاً آخر، وكان ابن التلميذ هو أوحد الزمان أبو البركات هبة الله المعروف بابن ملكا في خدمة المستضيء بأمر الله، كان بينهما شنآن وعداوة، فأراد أوحد الزمان أن بوقع ابن التلميذ في تهلكة فكتب رقعة يذكر فيها عن ابن التلميذ عظائم لاتصدر عن مثله، ووهب لبعض خدم القصر مالا ورغب إليه أن يلقي الرقعة في مجلس من مجالس الخليفة ففعل. فلماأخذالخليفة الرقعة وقرأها هم أن يوقع بأمين الدولة، فأشير عليه أن يتبصر ويستقصي عن ذلك فأخذ يقرر من يتهمه من الخدم عن الرقعة، فظهر الأمر وعلم أن ذلك تدبير أوحد الزمان لإهلاك ابن التلميذ، فغضب وأباح أمين الدولة ابن التلميذ دم أوحد الزمان وماله وكتبه، فكان من كرم أخلاق أمين الدولة أنه لم يتعرض له بسوء وصفح عنه غير أنه قال:

لنا صديق يهودي حماقته ... إذا تكلم تبدو فيه من فيه

يتيه والكلب أعلى منه منزلةً ... كأنه بعد لم يخرج من التيه

وصنف ابن التلميذ حاشية على القانن لابن سينا، حاشية على المنهاج لابن جزلة، حاشية على كتاب المائة للمسيحي، شرح مسائل حنين بن إسحاق، شرح أحاديث نبوية تشتمل على مسائل طبية، مختصر الحاوي

لأبي بكر الرازي، تتمة جوامع الإسكندرانيين لكتاب حيلة البرء، مختصر تفسيرتقدمة المعرفة لأبقراط، تفسير جالينوس، مختصر تفسير فصول أبقراط الجالينوس، مختصر كتاب الأشربة لمسكويه، مختار كتاب أبدال الأدوية لجالينوس، مختار كتاب المائة للمسيحي، الكناش في الطب، المقالة الأمينية في الأدوية البمارستانية، مقالة في الفصد، الأقراباذين الكبير، الأقراباذين الصغير، ديوان رسائل مجلد ضخم، ديوان شعر مجلد صغير وغير ذلك.

مات في اليوم الثامن والعشرين من ربيع الأول سنة ستين وخمسمائة وله أربع وتسعون سنة، وخلف مالاً عظيماً ومتاعاً حسناً كثيراً وكتباً كثيرة لانظير لها، ومن نثر أمين الدولة ماكتبه إلى ولده رضي الدولة أبينصر من رسالة قال: الفت ذهنك عن الترهات إلى تحصيل مفهوم تتميز به، و خذ نفسك من الطريقة بما كررت تنبيهك عليه وإرشادك إليه، و اغتنم الإمكان واعرف قيمته، و اشتغل بشكر الله تعالى عليه، وفز بحظ نفيس من العلم تثق من نفسك بأنك عقلته و ملكته لا قرأته و رويته، فإن بقية الحظوظ تتبع هذا الحظ و تلزم صاحبه، و من طلبها بدونه فإما ألا يجدها، و إما ألا يعتمد عليها إذا وجدها و لا يثق بدوامها، و أعوذ بالله أن ترضى لنفسك إلا بما يليق بمثلك أن يتسامى إليه بعلو همته، و شدة أنفته و غيرته على نفسه، و مما قد كررت عليك الوصاية به: أن تحرص على ألا تقول شيئاً لا يكون مهذباً في لفظه و معناه و يتعين عليك إيراده، و أن تتصرف معظم حرصك إلى أن تسمع ما يفيدك لا ما يلهيك مما يلذ للأغمار وأهل الجهالة

– رفعك الله – عن طبقتهم، فإن الأمر كما قال أفلاطون: الفضائل مرة الورد حلوة الصدر، و الرذائل حلوة الورد مرة الصدر، و قد زاد أرسطاطاليس في هذا المعنى فقال: إن الرذائل لاتكون حلوة الورود عند ذي فطرة سليمة بل يؤذيه تصور قبحها إذا يفسد عليه مايستلذ من غيرها بها، وكذلك يكون صاحب الطبع السليم قادرا على معرفة ما يتوخى وما يتجنب، كالتام الصحة يكفي حسه تعريفه النافع والضار، فلا ترضى لنفسك – حفظك الله – إلا بما تعلم أنه يناسب طبقة أمثالك، واغلب خطرات الهوى بعزائم الرجال الراشدين، وامح بنفسك إلى المعالي بإطاعة عقلك فإنك تسر بنفسك، وتراها في كل يوم مع الاعتماد على ذلك في رتبة علية، ومرقاة من سمو في السعادة إن شاء الله تعالى. ومن شعر أمين الدولة قوله:

لو كان يحسن غصن البان مشيتها ... تأوداً لحكاها غير محتشم
في صدرها كوكباً نور أقلهما ... ركنان مالمسا من كف مستلم
صانتهما في حرير من غلائلها ... فتلك في الحل والركنان في الحرم

وقال:

أبصره عاذلي عليه ... ولم يكن قبل ذا رآه
فقال لو عشقت هذا ... مالامك الناس في هواه
قل لي إلى من عدلت عنه ... وليس أهل الهوى سواه
فظل من حيث ليس يدري ... يأمر بالعشق من نهاه

وقال:

لاتعجبوا من حنين قلبي ... إليهم واعذروا غرامي
فالقوس مع كونها جماداً ... تئن من فرقة السهام
وقال:
لولا حجاب أمام النفس يمنعها ... عن الحقيقة عما كان في الأزل
لأدركت كل شيء عز مطلبه ... حتى الحقيقة في المعلول والعلل
وقال:
ألعلم للرجل اللبيب زيادة ... ونقيصة للأحمق الطياش
مثل النهار يزيد أبصار الورى ... نوراً ويعمى مقلة الخفاش

هبة الله بن علي بن محمد

بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله ابن أبي الحسن بن عبد الله الأمين بن عبد الله بن الحسن ابن جعفر بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو السعادات المعروف بابن الشجري البغدادي، نسب إلى بيت الشجري من قبل أمه، كان أوحد زمانه وفرد أوانه في علم العربية ومعرفة اللغة وأشعار العرب وأيامها وأحوالها، متضلعا من الأدب كامل الفضل، قرأ على ابن فضال المجاشعي والخطيب أبي زكريا التبريزي وسعيد بن علي السلالي وأبي معمر ابن طبا طبا العلوي، وسمع الحديث من أبي الحسن المبارك بن عبد الجبار بن أحمد بن القاسم الصيرفي، وأبي علي محمد بن سعيد الكاتب وغيرهما. وأقرأ النحو سبعين سنة، وأخذ عنه تاج الدين الكندي وخلق. وكان نقيب الطالبيين بالكرخ نيابة عن الطاهر، وكان ذا سمت حسن وقور لايكاد يتكلم في مجلسه بكلمة إلا تضمن أدب نفس أو أدب درس، وصنف الأمالي وهو أكبر تصانيفه وأمتعها، أملاه في أربعة وثمانين مجلساً، والانتصار على ابن الخشاب رد فيه عليه ما انتقده من الأمالي، وكتاب الحماسة ضاهى به حماسة أبي تمام، وشرح التصريف الملوكي، وشرح اللمع لابن جني النحوي، وكتاب ما اتفق لفظه واختلف معناه وغير ذلك.
توفي يوم الخميس السادس والعشرين من شهر رمضان سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة. ومن شعره:
لاتمزحن فإن مزحت فلا يكن ... مزحاً تضاف به إلى سوء الأدب
واحذر ممازحةً تعود عداوةً ... إن المزاح على مقدمة الغضب
وقال:
هل الوجد خاف والدموع شهود ... وهل مكذب قول الوشاة جحود؟
وحتى متى تفنى شئونك بالبكا ... وقد حد حدا للبكاء لبيد
وإني وإن لانت قناتي لضعفها ... لذو مرة في النائبات شديد
وقال:
وتجنب الظلم الذي هلكت به ... أمم تود لو أنها لم تظلم
إياك والدنيا الدنية إنها ... دار إذا سالمتها لم تسلم

هبة الله بن علي بن عرام

أبو محمد الربعي الأسواني، كان أديباً فاضلاً وشاعراً مجيداً، وكان من خواص الوزير رضوان وجلسائه، ومدحه بعدة قصائد، وله ديوان شعر جمعه بنفسه ونقحه وهذبه ورتبه علي الحروف وهو في مجلد لطيف، مات سنة خمسين وخمسمائة ومن شعره:

لاعز لمرء إلا في مواطنه ... والذل غاية ما يلقى من اغتربا
فاقنع بما كان من رزق تعيش به ... بحيث أنت وكن للبين مجتنبا
واعلم يقيناً بأن الرزق يطلب من ... لم يطلب الرزق إيماناً كم طلبا

وقال:

نميل مع الأميل وهي غرور ... ونصغي لدعواها وذلك زور
وتخدعنا الدنيا القليل متاعها ... وللموت فينا واعظ ونذير
ونزداد فيها كل يوم تنافساً ... وحرصاً عليها والمتاع حقير
ويطمع كل أن يؤخر يومه ... وللموت منا أول وأخير

هشام بن إبراهيم الكرنباني الأنصاري

أبو علي، جالس الأصمعي وأضرابه، وكان عالماً باللغة وأيام العرب وأشعارها، روي عنه الفضل بن الحباب، وصنف كتاب الحشرات، وكتاب الوحوش، وكتاب النبات، وكتاب خلق الخيل، وكان عبد الصمد بن المعذل الشاعر، مولعاً بهجره، وفيه يقول من أبيات:

ولم تر أبلغ من ناطق ... أتته البلاغة من كرنبا

هشام بن أحمد بن خالد بن سعيد

أبو الوليد الكناني المعروف بابن الوقش الكاتب من أهل طليطلة، كان من أعلم الناس بالعربية واللغة والشعر والخطابة والحديث والفقه والأحكام والكلام، وكان أديباً كاتباً شاعراً متوسعاً في ضروب المعارف، متحققاً بالمنطق والهندسة، ولا يفضله عالم بالأنساب والأخبار والسير، ولد سنة ثمان وأربعمائة، وأخذ عن أبي عمر الطلمنكي وأبي عمر بن الحداد وغيرهما، وولي قضاء طلبيرة من أعمال طليطلة قاعدة الأمير المأمون بن يحيى بن الظافر بن ذي النون.

وصنف كتاب نكت الكامل للمبرد وغيره، مات بدانية في جمادى الاخرة سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ومن شعره:

قد أثبتت فيه الطبيعة أنها ... بدقيق أعمال المهندس ماهره
عنيت بعارضه فخطت فوقه ... بالمسك خطا من محيط الدائره

وقال:

برح بي أن علوم الورى ... إثنان ما إن لهما من مزيد

حقيقة يعجز تحصيلها ... وباطل تحصيله لايفيد

هشام بن محمد بن السائب

بن بشر ابن عمر الكلبي، أبو المنذر الأخباري النسابة العلامة، كان عالماً بالنسب وأخبار العرب وأيامها ووقائعها ومثالبها، أخذعن أبيه أبي النضر محمد المفسر وعن مجاهد وعن محمد أبي السري البغدادي ومحمد بن سعد كاتب الواقدي وأبي الأشعث أحمد بن المقدام وغيرهم، وحدث عنه جماعة.

قال أحمد بن حنبل: كان صاحب سير ونسب ماظننت أن أحداً يحدث عنه. قال البلاذري في تاريخه: حدث هشام ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: (وإذا أسر النبي إلى بعض أزواجه حديثاً)، قال أسر إلى حفصة: أن أبا بكر ولي الأمر من بعده، وأن عمر وليه من بعد أبي بكر فأخبرت عائشة. قال الدار قطني: هشام متروك. وقال غيره: ليس بثقة. وذكر الخطيب في تاريخ مدينة السلام: إن هشاماً كان يقول: حفظت مالم يحفظه أحد، ونسيت مالم ينسه أحد، كان لي عم يعاتبني على حفظ القران، فدخلت بيتاً وحلفت لا أخرج منه حتى أحفظ القرآن فحفظته في ثلاثة أيام، ودخلت يوما أنظر في المرآة فقبضت على لحيتي لآخذ مادون القبضة فأخذت ما فوق القبضة. وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: رأيت ثلاثة كانوا إذا رأو ثلاثة يذوبون: علويه إذا رأى مخارقاً وأبا نواس إذا رأى أبا العتاهية، والزهري إذا رأى هشاماً. مات هشام سنة أربع ومائتين وقيل سنة ست وتصانيفه تزيد على مائة وخمسين مصنفاً، ذكر منها ابن النديم نقلاً عن أبي الحسن بن الكوفي ما يأتي:

كتاب حلف عبد المطلب وخزاعة، كتاب حلف الفضول، كتاب حلف كلب وتميم، كتاب حلف أسلم وقريش، كتاب فضائل قيس عيلان، كتاب بيوتات ربيعة، كتاب أخبار العباس بن عبد المطلب، كتاب الموءودات، كتاب خطبة على رضى الله عنه، كتاب شرف قصي بن كلاب وولده في الجاهلية والإسلام، كتاب ألقاب قريش، كتاب ألقاب ربيعة، كتاب ألقاب قيس عيلان، كتاب ألقاب اليمن، كتاب ألقاب بنى طانجة، كتاب المثالب، كتاب النواقل، فيه نواقل قريش وكنانة وأسد وتميم وقيس وإياد وربيعة، كتاب تسمية من نقل من عاد وثمود والعماليق وجرهم وبني إسرائيل من العرب، كتاب نواقل قضاعة، كتاب نواقل اليمن، كتاب ادعاء معاوية زياداً، كتاب المناقلات، كتاب أخبار زياد ابن أبيه، كتاب صنائع قريش، كتاب المعاتبات، كتاب المشاغبات، كتاب ملوك الطوائف، كتاب ملوك كندة، كتاب ملوك اليمن من التبابعة، كتاب بيوتات اليمن، كتاب افتراق ولد نزار، كتاب تفرق الأزد، كتاب طسم وجديس، كتاب حديث آدم وولده، كتاب من قال بيتاً من الشعر فنسب إليه، كتاب المعرفات من النساء في قريش، كتاب عاد الأولى والآخرة، كتاب تفرق عاد، كتاب أصحاب الكهف، كتاب الأوائل، كتاب رفع عيسى عليه السلام، كتاب أمثال حمير، كتاب المسوخ من بني إسرائيل، كتاب حي الضحاك، كتاب منطق الطير، كتاب

غزية، كتاب لغات القران، كتاب المعمرين، كتاب الأصنام، كتاب القداح، كتاب أسنان الجزور، كتاب أديان العرب، كتاب حكام العرب، كتاب وصايا العرب، كتاب السيوف، كتاب الخيل، كتاب الدفائن، كتاب أسماء فحول العرب، كتاب الفداء، كتاب الكهان، كتاب الجن، كتاب أخذ كسرى رهن العرب، كتاب ماكانت الجاهلية تفعله ويوافق حكم الإسلام، كتاب أبي عتاب إلى ربيع حين سأله عن العويص، كتاب عدي بن زيد العبادي، كتاب الدوس، كتاب حديث بيهس وإخوته، كتاب مروان القرظ، كتاب اليمن وأمر سيف بن ذي يزن، كتاب مناكح أزواج العرب، كتاب الوفود، كتاب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب زيد بن حارثة، كتاب تسمية من قال بيتا أو قيل فيه، الديباج في أخبار الشعراء، كتاب من فخر بأخواله من قريش، كتاب من هاجر وأبوه، أخبار الحريين وأشعارهم، كتاب دخول جرير على الحجاج، أخبار عمر وبن معد يكرب، تاريخ أخبار الخلفاء، كتاب صفات الخلفاء، كتاب المصلين، كتاب البلدان الكبير، كتاب البلدان الصغير، كتاب تسمية من بالحجاز من أحياء العرب، كتاب قسمة الأرضين، كتاب الأنهار، كتاب الحيرة، كتاب منار اليمن، كتاب العجائب الأربعة، كتاب أسواق العرب، كتاب الأقاليم، كتاب الحيرة وتسمية البيع والديارات، كتاب تسمية ما في شعر امرئ القيس من أسماء الرجال والنساء والجبال والمياه، كتاب داحس والغبراء، أخبار المنذر ملك العرب، كتاب أيام فزارة ووقائع بني شيبان، كتاب وقائع ضباب وفزارة، كتاب يوم سنيق، كتاب يوم السنابس، كتاب أيام بني حنيف، كتاب أيام قيس ابن ثعلبة، أخبار مسيلمة الكذاب، كتاب الفتيان الأربعة، كتاب الأحاديث، كتاب المقطعات، كتاب حبيب العطار، عجائب البحر، المنزل وهو كتاب النسب الكبير، كتاب أولاد الخلفاء، كتاب أمهات النبي صلى الله عليه وسلم، كتاب أمهات الخلفاء، كتاب العواقل، كتاب تسمية ولد عبد المطلب، كتاب كنى آباء الرسول صلى الله عليه وسلم، جمهرة الأنساب، رواها عنه ابن سعد كاتب الواقدي، هذا ما ذكره ابن النديم من تصانيفه. ولهشام أيضاً: الفريد في الأنساب صنفه للمأمون، والملوكي في الأنساب أيضاً صنفه لجعفر بن يحيى البرمكي، والموجز في النسب أيضاً وغير ذلك.

هشام بن معاوية

أبو عبد الله الضرير الكوفي النحوي صاحب أبي الحسن الكسائي، كان مشهورا بصحبته وعنه أخذالنحو، وله من التصانيف: مقالة في النحو تعزى إليه، وكتاب الحدود في العربية، وكتاب المختصر في النحو، وكتاب القياس فيه أيضاً وغير ذلك. كان إسحاق بن إبراهيم بن مصعب قد كلم المأمون يوما فلحن في كلامه، فنظر إليه المأمون ففطن لما أراد وخرج من عنده وجاء إلى هشام بن معاوية وقرأ النحو عليه. مات هشام سنة تسع ومائتين.

هشام بن نهيس

بن مسعود بن حارثة بن عمر ابن ربيعة بن ملكان بن عدي العدوي، أخو ذي الرمة الشاعر المشهور كان هشام هذا شاعراً مجيداً، وكان بينه وبين أخيه ذي الرمة ملاحاة فقال له:

أغيلان إن ترجع قوى الود بيننا ... فكل الذي ولي من العيش راجع
فكن مثل أقصى الناس عندي فإنني ... بطول التنائي من أخي السوء قانع

وغيلان اسم ذي الرمة، فقال ذو الرمة له:

أغر هشاماً من أخيه ابن أمه ... قوادم ضأن أقبلت وربيع؟
وهل تخلف الضأن الغزار أخا الندى ... إذا حل أمر في الصدور مريع؟

فأجابه هشام فقال:

إذا بان مالي من سوامك لم يكن ... إليك ورب العالمين رجوع
فأنت الفتى ما اهتز في الزهر الندى ... وأنت إذا اشتد الزمان منوع

وله:

مايفعل المرء فهو أهله ... كل امرئ يشبهه فعله
ولا ترى أعجز من عاجز ... أسكتنا عن ذمه بذله

هلال بن العلاء

أبو همرو الرقي، كان من أهل العلم واللغة بالرقة، مات سنة ثمانين ومائتين. ولا أعلم من أمره غير هذا.

هلال بن المحسن بن إبراهيم

بن هلال ابن إبراهيم بن زهرون بن حيون الصابئ الحراني أبو الحسن، وهو حفيد أبي إسحاق الصابئ الكاتب المشهور، كان هلال هذا أديباً كاتباً فاضلاً له معرفة بالعربية واللغة،أخذعن أبي على الفارسي وأبي عيسى الرماني وأبي بكر أحمد بن الجراح الخراز، وكان صابئاً ثم أسلم في آخر عمره وحسن إسلامه، وكتب عنه الخطيب البغدادي وقال: كان ثقةً صدوقاً، وصنف كتاب الأماثل والأعيان ومنتدى العواطف والإحسان، جمع فيه أخباراً وحكايات مستطرفة مما حكى عن الأعيان والأكابر وهو كتاب ممتع، ومما يستحسن من تلك الأخبار قال: حدث القاضي أبو الحسين عبيد الله بن عياش: أن رجلاً اتصلت عطلته وانقطعت مدته، فزور كتابا عن الوزير أبيالحسن بن الفرات إلى أبي زنبور المادرائي عامل مصر يتضمن الوصاية به، والتأكيد في الإقبال عليه والإحسان إليه، وخرج إلى مصر فلقيه به، فارتاب أبو زنبور في أمره لتغير الخطاب على ما جرت به العادة، وكون الدعاء أكثر مما يقتضية محله، فراعاه مراعاة قريبة ووصله بصلة قليلة، واحتبسه عنده على وعد وعده به، وكتب إلى أبي الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه وأنفذه بعينه إليه واستثبته فيه، فوقف ابن الفرات على الكتاب المزور فوجد فيه ذكر الرجل وأنه من ذوي الحرمات والحقوق الواجبة عليه، وما يقال في ذلك مما قد استوفى الخطاب فيه، فعرض ابن الفرات الكتاب

على كتابه وعرفهم الصورة فيه، وعجب إليهم منها ومما أقدم عليه الرجل وقال لهم: ما الرأي في أمر هذا الرجل عندكم؟ فقال بعضهم: تأديبه أو حبسه. وقا ل آخر: قطع إبهامه لئلا يعاود مثل هذا. ولئلا يقتدي به غيره فيما هو أكثر م، هذا. وقال أحسنهم محضرا: يكشف لأبي زنبور قصته ويرسم له طرده وحرمانه. فقال ابن الفرات: ما أبعدكم عن الحرية والخيرية! وأنفر طباعكم عنها، رجل توسل بنا وتحمل المشقة إلى مصر في تأميل الصلاح بجباهنا واستمداد صنع الله عز وجل بالانتساب إلينا، ويكون أحسن أحواله عند أحسنكم محضرا تكذيب ظنه وتخيب سعيه، والله لاكان هذا أبدا، ثم إنهأخذالقالم من دواته ووقع على الكتاب المزور: هذا كتابي ولست أعلم لم أنكرت أمره؟ واعترضتك شبهة فيه، وليس كل من خدمنا وأوجب حقاً علينا تعرفه، وهذا رجل خدمني في أيام نكبتي، وما أعتقده في قضاء حقه أكثر مما كلفتك في أمره من القيام به، فأحسن نفقده، ووفر رفده، وصرفه فيما يعود عليه نفعه، ويصل إلينا بما يتحقق به ظنه ويتبين موقعه، ورد الكتاب إلى أبي زنبور عامل مصر من يومه، فلما مضت على ذلك مدة طويلة دخل يوما على الوزير أبي الحسن بن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة وبزة جميلة وأقبل يدعو له ويثني عليه ويبكي ويقبل الأرض فقال ابن الفرات: من أنت؟ بارك الله فيك – وكانت هذه كلمته – فقال أنا صاحب الكتاب المزور إلى أبي زنبور عامل مصر، الذي صححه كرم الوزير ونفضله فعل الله به وصنع، فضحك ابن الفرات وقال: كم وصل إليك منه؟ قال: وصل إلى من ماله وتقسيط قسطه على عماله ومعامليه، وعمل صرفن فيه عشرون ألف دينار. فقال ابن الفرات: الحمد لله، الزمنا فإنا نعرضك لما يزداد به صلاح حالك، ثم اختبره فوجده كاتبا سديدا، فاستخدمه وأكسبه مالا جزيلا. انتهى.

مات هلال بن المحسن ليلة الخميس سابع عشر رمضان سنة ثمان وأربعين وأربعمائة، وكانت ولادته في شوال سنة تسع وخمسين وثلاثمائة.

همام بن غالب بن صعصعة

بن ناجية ابن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع بن دارم بن عوف ابن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم بن مر التميمي، أبو فراس المعروف بالفرزدق الشاعر المشهور، كان جده صعصعة عظيم القدر في الجاهلية، وكان افتدى ثلاثمائة موءودة إلى أن جاء الله عزوجل بالإسلام: وكان أبوه غالب من سراة قومه ورئيسهم، وكان الفرزدق كثير التعظيم لقبر أبيه فما جاءه أحد واستجار به إلاانهض معه، وساعده على بلوغ غرضه.

حدث أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي قال: سمعت يونس بن حبيب يقول: ماشهدت مشهدا قط ذكر فيه جرير والفرزدق وأجمع أهل المجلس على أحدهما، وكان يونس يقدم الفرزدق ويقول: ما كان بالبصرة مولد مثله، ولما هرب الفرزدق من زياد ابن أبيه حين هجا بني نهشل فاستعدوا زيادعليه قدم المدينة واستجار بسعيد بن العاص فأجاره، وكان الحطيئة وكعب بن جعيل عند سعيد لما دخل الفرزدق عليه، فأنشده الفرزدق:

ترى الغر الجحاجح من قريش ... إذا ما الأمر في الحدثان غالا
بني عم النبي ورهط عمرو ... وعثمان الألى غلبوا فعالا
قياما ينظرون إلى سعيد ... كأنهم يرون به هلالا

فقال الحطيئة هذا والله الشعر أيها الأميرلاما تعلل به منذ اليوم. فقال كعب بن جعيل: فضله على نفسك ولا تفضله على غيرك. فقال: بلى، والله أفضله على نفسي وعلى غيرى، أدركت من قبلك وسبقت من بعدك. ثم قال له الحطيئة: يا غلام، لئن بقيت لتبرزن علينا. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان الشعراء في الجاهلية من قيس، وليس في الإسلام مثل حظ تميم في الشعر، وأشعر تميم جرير والفرزدق والأخطل، وكان المفضل الضبي يفضل الفرزدق، قيل له: الفرزدق أشعر أم جرير؟ قال: الفرزدق. فقيل له ولم؟ قال لأنه قال بيتا هجافيه قبيلتين فقال:

عجبت لعجل إذ تهاجي عبيدها ... كما آل يربوع هجوا آل دارم

فقيل له قد قال جرير:

إن الفرزدق والبعيث وأمه ... رأبا البعيث لشر ما إستار

فقال: وأي شيء أهون من أن يقول إنسان: فلان وفلان والناس كلهم بنو الفاعلة.

وحدث أبو حاتم السجستاني عن أبي عبيدة قال: سمعت يونس يقول: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب. وقال آخر: الفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل، ومحله في الشعر أكبر من أن ينبه عليه بقول أو يدل على مكانه بوصف، لأن الخاص والعام يعرفانه بالاسم، ويعلمان تقدمه بالخبر الشائع علما يستغني به عن الإطالة في الوصف، وقد تكلم الناس في هذا قديما وحديثا وتعصبوا واحتجوا بما لامزيد فيه، وبعد إجماعهم على تقديم هؤلاء الثلاثة اختلفوا في أيهم أحق بالتقديم على الآخرين؟ فأما قدماءأهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل، لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر، ولاله مثل مالهما من فنونه، ولاتصرف كتصرفهما في سائره. وقالوا: إن ربيعه أفرطت في الأخطل حين ألحقته بهما، وهم في الفرزدق وجرير قسمان: فمن كان يميل إلى جزالة الشعر وفخامته وشدة أسره فيقدم الفرزدق. ومن كان يميل إلى الشعر المطبوع وإلى الكلام السمح السهل الغزل فيقدم جريرا. وقال ابن سلام: كان الفرزدق أكثرهم بيتا مقلدا.

والمقلد: البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل، فمن ذلك قوله:

فيا عجباً حتى كليب تسبني ... كأن أباها نهشل ومجاشع

وقوله:

ليس الكرام بما نحيك أباهم ... حتى ترد إلى عطية تعتل

وقوله:

وكنا إذا الجبار صعر خده ... ضربناه حتى تستقيم الأخادع

وقوله:

وكنت كذئب السوء لما رأى دماً ... بصاحبه يوماً أحال على الدم

وقوله:

وإن تنج مني تنج من ذي عظيمة ... وإلا فإني لا إخالك ناجيا

وقوله:

ترى كل مظلوم إلينا فراره ... ويهرب منا جهده كل ظالم

وقوله:

أحلامنا تزن الجبال رزانة ... وتخالنا جنا إذا ما نجهل

ومقلداته في شعره كثيرة، وفيما أوردناه منها كفاية، وبشهرته عني عن إيراد طرف من شعره.

قال أبو اليقظان: أسن الفرزدق حتى قارب المائة، فأصابته الدبيلة وهو بالبادية فقدم به إلى البصرة وأتى برجل متطبب من بني قيس فأشار بأن يكوي ويسقي النفط الأبيض فقال: أتعجلون لي طعامأهل النار في الدنيا؟ وجعل يقول:

أروني من يقوم لكم مقامي ... إذا ما الأمر جل عن الخطاب؟

ومات في مرضه ذلك سنة عشر ومائة، ومات جرير بعده بستة أشهر، ومات في هذه السنة الحسن البصري وابن سيرين فقالت امرأة منأهل البصرة: كيف يفلح بلد مات فقيهاه وشاعراه في سنة؟ ولما نعى إلى جريربكى ثم أنشأ يقول:

فجعنا بجمال الديات ابن غالب ... وحامي تميم كلها والبراجم

يكيناك حثان الفراق وإنما ... بكيناك شجوا للأمور العظائم

فلا حملت بعد ابن ليلى مهيرة ... ولاشد أنساع المطى الرواسم

ورثاه أبو ليلى المجاشعي بأبيات منها:

لعمري لقد أشجى تميما وهدها ... على نكبات الدهر موت الفرزدق

لقد غيبوا في اللحد من كان ينتمي ... إلى كل بدر في السماء محلق

لتبك النساء المعولات ابن غالب ... لجان وعان في السلاسل موثق

الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن

ابن زيد بن سيد بن جابر بن عدي، أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي، أصله من منبج، وامه من سبى منبج، ولد بالكوفة قبل سنة ثلاثين ومائة، وكان أخبارياً علامة راوية، نقل من أخبار العرب وأشعارها ولغاتها شيئا كثيرا، وروى عن شام بن عروة وعبد الله بن عياش المنتوف ومجالد.

قال البخاري ويحيى بن معين: ليس بثقة كان يكذب وقال أبو داود مثل ذلك. وقال النسائي متروك، وقال الحافظ: ابن عدي حديثه في المسند قليل إنما هو صاحب أخبار. وكانت جارية الهيثم بن عدي تقول: كان مولاي يقوم عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب وقال الجاحظ: قال أبو يعقوب الخزيمي: مارايت كثلاثة رجال، كانوا يأكلون الناس أكلا حتى إذا رأوا ثلاثة رجال ذابوا كما يذوب الرصاص على النار،

كان هشام بن الكلبي علامة نسابة رواية للمثالب عيابة، فإذا رأى الهيثم بن عدي ذاب كما يذوب الرصاص، وكان علي بن الهيثم حريفا مفقعا صاحب تقعر يستولي على كل كلام لايخفل بخطيب ولا شاعر، فاذا رأى موسى الضبي ذاب كما يذوب الرصاص، وكان علويه واحد الناس في الغناء رواية وحكاية ودراية وصنعة وجودة ضرب وأضراب وحسن خلق، فإذا رأى مخارقا ذاب كما يذوب الرصاص على النار. وكان الهيثم بن عدي قد تزوج في بني الحارث بن كعب فلم يرتضوه، فأذاعوا عنه أنه ذكر العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه بشيء فحبس لذلك، ثم ركب محمد بن زياد بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي ومعه جماعة من الحارثيين إلى هارون الرشيد فسأل وه أن يفرق بين الهثم وبين التي تزوجها من بني الحارث. فقال الرشيد: أليس هو الذييقول فيه الشاعر؟:

إذا نسبت عديا في بني ثعل ... فقدم الدال قبل العين في النسب

قالوا بلي يا أميرالمؤمنين. قال فهذا الشعر من قاله؟ قالوا هو لرجل منأهل الكوفة من بني شيبان يقال له ذهل بت ثعلبة، فأمر الرشيد داود بن يزيد أن يفرق بينهما، فأخذوا الهيثم وأدخاوه دارا وضربوه بالعصي حتى طلقها وقد ورد هذا البيت المنسوب إلى ذهل بن ثعلبة في أبيات لأبي نواس يهجو بها الهيثم فما أدري أفي نسبته إلى ذهل وهم أم هوله؟ وورد في شعر أبي نواس على سبيل التضمين والاستشهاد، وكان سبب هجو أبي نواس للهيثم: أن أبا نواس حضر مجلس الهيثم في حداثته والهيثم لايعرفه فلم يستدنه ولا قربه فقام مغضبا، فسأل الهيثم عنه فعرفوه به فقال: إنا لله، هذه والله بلية لم أجنها على نفسي، فقوموا بنا إليه لنعتذر، فساروا إليه ودق الهيثم عليه الباب وتسمى له فقال: ادخل فدخل فإذا هو قاعد يصفي نبيذا له، وقد أصلح بيته بما يصلح به مثله، فقال الهيثم: المعذرة إلى الله تعالى ثم إليك، فما عرفتك وما الذنب إلا لك حيث لم تعرفنا نفسك فنقضي حقك، ونبلغ الواجب من برك، فأظهر له قبول المعذرة. فقال الهيثم: أستعهدك من قول سبق منك في فقال: ما قد مضى فلا حيلة فيه، ولك الأمان مما أستأنف. فقال: ما الذي مضى؟ جعلت فداك، قال بيت مر وأنا فيما رأيت من الغضب، قال فأنشد نيه فدافعه فألح عليه فأنشده:

يا هيثم بن عدي لست للعرب ... ولست من طيء إلا على شغب

إذا نسبت عديا في بني ثعل ... فقدم الدال قبل العين في النسب

فقام الهيثم من عنده ثم بلغه بعد ذلك بقية الأبيات وهي:

لهيثم بن عدي في تلونه ... في كل يوم له رحل على خشب

فما يزال أخا حل ومرتحل ... إلى الموالي وأحيانا إلى العرب

له لسان يزجيه بجوهره ... كأنه لم يزل يغدو على قنب

كأنني بك فوق الجسر منتصبا ... على جواد قريب منك في الحسب

حتى نراك وقد درعته قمصا ... من الصيد مكان الليف والكرب

لله أنت فما قربى تهم بها ... إلا اجتلبت لها الأنساب من كثب

فعاد الهيثم إليه وقال: ياسبحان الله، قد أمنتني وجعلت لي عهداً ألا تهجوني فقال: (إنهم يقولون ما لا

يفعلون)، وكان الهيثم مكروها لأنه كان يتعرض لأحوال الناس وأخبارهم فيرويها على وجهها ويشيع ماكتموا، فكرهوه ووشوا به إلى الولاة وأغروا الشعراء بهجوه.

حدث على بن جبلة الشاعر المشهور المعروف بالعكوك قال: جاءني أبو يعقوب الخريمي فقال: إن لي إليك حاجة، قلت وماهي؟ قال: تهجو لي الهيثم بن عدي. فقلت فما جاءني شيء كما أريد. فقلت له: كيف أهجو رجلا لم يتقدم إلى منه إساءة ولا له إلى جرم يحفظني؟ فقال: تقرضني فإني مليء بالوفاء والقضاء؟ قلت نعم، فأمهلني اليوم فمضى وغدوت عليه فأنشدته:

للهيثم بن عدي نسبة جمعت ... آ باه فأراحتنا من العدد

أعدد عديا فلو مد البقاء له ... ماعمر الناس لم ينقص ولم يزد

نفسي فداء بي عبد المدان وقد ... تلوه للوجه واستعلوه بالعمدا

حتى أزالوه كرها عن كريمتهم ... وعرفوه بذل أبن أصل عدي

يابن الخبيثة من أهجو فأفضحه ... إذا هجوت وما تنمي إلى أحد

قوله: نفسي فداء بي عبد المدان والبيت الذيبعده إشارة إلى الخبر الذي تقدم من قدوم محمد بن زياد بن عبد المدان على الرشيد واستظهاره به على تطليق فتاتهم الحارثية من الهيثم وقد تقدمت القصة. مات الهيثم بفم الصلح سنة تسع ومائتين، وقيل سنة سبع وله ثلاث وتسعون سنة. وله من المصنفات: كتاب هبوط آدم وافتراق العرب، كتاب نزول العرب بخراسان والسواد، كتاب بيوتات العرب، كتاب بيوتات قريش، كتاب المثالب الكبير، كتاب المعمرين، كتاب نسب طئ، أخبار طيء، أخبار طيء ونزولها الجبلين وحلف دهبل وثعل، كتاب حلف كلب وتميم ودهبل وطيء وأسد، كتاب المثالب الصغير، كتاب مثالب ربيعة، كتاب النواقل، كتاب من تروح من الموالي في العرب، أسماء بغايا قريش في الجاهلية وأسماء من ولدن، كتاب الدولة، تاريخ العجم وبني أمية، تاريخ الأشراف الكبير، تاريخ الأشراف الصغير، كتاب مديحأهل الشام، كتاب مداعي أهل الشام، أخبار زياد بن أبيه، كتاب الجامع، كتاب الوفود، كتاب النشاب، كتاب ولاة الكوفة، كتاب خطط الكوفة، كتاب النكد، كتاب النساء، كتاب فخرأهل الكوفة على أهل البصرة، كتاب قضاة الكوفة والبصرة، طبقات من روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من الصحابة، طبقات الفقهاء والمحدثين، كتاب تسمية الفقهاء والمحدثين، كتاب شرط الخلفاء، كتاب خواتيم الخلفاء، كتاب عمال الشرط لأمراء العراق، أخبار الحسن عليه السلام، التاريخ مرتب على السنين، كتاب خطب المضرس بمكة والمدنية، كتاب مقتل خالد بن عبد الله القسري والوليد ابن يزيد، كتاب الصوائف، كتاب الخوارج، كتاب المواسم، كتاب النوادر، مقطعات الأعراب، أخبار الفرس، المحبر، منحل الجواهر، كتاب كنى الأشراف.

باب الياء

ياقوت بن عبد الله مهذب الدين

أبو الدر الرومي، أحد أدباء العصر وشعرائه المجيدين، نشأ ببغداد وحفظ القرآن، وعني بالتحصيل في المدرسة النظامية، فقرأ فيها العلوم العربية والأدبية على جماعة وغلب عليه الشعر، وكان حسن الخط والضبط، وله ديوان شعر لطيف، بلغتنا وفاته في ربيع الآخر سنة اثنين وعشرين وستمائة، ومن شعره قوله:

لك منزل في القلب ليس يحله ... إلا هواك وعن سواك أجله
يامن إذا جليت محاسن وجهه ... علم العذول بأن ظلما عذله

الوجه بدر دجى عذارك ليلة ... والقد غصن نقا وشعرك ظله
هذي جفونك أعربت عن سحرها ... وعذار خدك كاد ينطق نمله
عار لمثلي أن يرى متسليا ... وجمال وجهك ليس يوجد مثله
هل في الورى حسن أهيم بحبه ... هبهات أضحى الحسن عندل كله؟

وله من قصيدة:

جسدي لبعدك يامثير بلابلى ... دنف نحبك ما أبل بلى بلى
يامن إذا مالام فيه لوائمي ... أوضحت عذري بالعذار السائل
أ أجيز قتلي في الوجيز لقاتلي ... أم في التهذيب أم في الشامل؟
أم في المهذب أن يعذب عاشق ... ذو مقلة عبري ودمع هامل؟

ياقوت بن عبد الله

الرومي الأصل نزيل الموصل، الكاتب الأديب النحوي،أخذالنحو والأدب عن ابن الدهان أبيمحمد سعيد بن المبارك ولازمه، وكان واحد عصره في جودة الخط وإتقانه على طريقة ابن البواب، فقصده الناس من ابلاد وكتب عليه خلق لايحصون كثرة، اجتمعت به في الموصل سنة ثلاُ عشرة وستمائة فرأيته على جانب عظيم من الأدب والفضل والنباهة والوقار، وقد أسن وبلغ من الكبر الغاية، ورأيت كتبا كثيرة بخطه يتداولها الناس ويتغالون بأثمانها، بينها عدة نسخ من الصحاح للجوهري، والمقامات الحريرية، وتوفي في السنة التي عدت فيها من خوارزم إلى الموصل سنة ثمان عشرة وستمائة عن سن عالية.

يحيى بن أحمد

أبو زكريا الفارابي، أحد الأئمة المتبعين في اللغة، تخرج به جماعة منأهل فاراب وما وراء النهر، روي الحديث عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عبيد الله بن شريح البخاري، وعن الحسن بن منصور، وصنف كتاب المصادر في اللغة ومات سنة ...

يحيى بن أحمد

أبو بكر المعروف بابن الخياط الأندلسي، كا، أديباً شاعراً متقنا للحساب والهندسة بارعا في علم النحو،أخذعن أبي القاسم مسلمة بن أحمد المجريطي، وخدم بصناعة إحكام النجوم سليمان بن الحكم بن الناصر لدين الله أميرالمؤمنين وغيره من الأمراء. وكانت له معرفة بصناعة الطب وحسن المعالجة، حسن السيرة والمذهب. توفي بطليلطلة سنة سبع وأربعين وأربعمائة، ومن شعره:

لم يخل من نوب الزمان أديب ... كلا فشأن النائبات عجيب

وغضارة الأيام تأبى أن يرى ... فيها لأبناء الذكاء نصيب

وكذاك من صحب الليالي طالبا ... جدا وفهما فاته المطلوب

وقال في بخيل:

لا تكونن مبرما وعسوفا ... سله أدما وخل عنك الرغيفا

أكرم الخبز بالصيانة حتى ... جعل الكعك للبنات شنوفا

يحيى بن حبش

شهاب الدين أبو الفتوح السهروردي، كان فقيها شافعي المذهب أصوليا أديباً شاعراً حكيما، متفننا نظارا لم يناظره مناظر إلا خصمه وأفحمه، قرأ بالمراغة على الشيخ الإمام مجد الدين الجيلي الفقيه الأصولي المتكلم ولازمه مدة، ثم تنقل في البلاد على قدم التجرد، ولقي بماردين الشيخ فخر الدين الماردييني وصحبه، وكان يثني عليه كثيرا ويقول: لم أر في زماني أحدا مثله ولكني أخشى عليه من شدة حدته وقلة تحفظه، ثم رحل أبو الفتوح إلى حلب فدخلها في زمن الظاهر غازي بن أيوب سنة تسع وسبعينوخمسمائة ونزل في المدرسة الحلاوية، وحضر درس شيخها الشريف افتخار الدين وبحث مع الفقهاء من تلاميذه وغيرهم، وناظرهم في عدة مسائل فلم يجاره أحد منهم وظهر عليهم وظهر فضله للشيخ افتخار الدين فقرب مجلسه وأدناه وعرف مكانه في الناس، ومن ذلك الحين تألب عليه الفقهاء وكثر تشنيعهم عليه، فاستحضره الملك الظاهر وقد له مجلسا من الفقهاء والمتكلمين فباحثوه وناظروه، فظهر عليهم بحججه وبراهينه وأدلته، وظهر فضله للملك الظاهر فقربه وأقبل عليه وتخصص به، فازداد تغيظ المناظرين عليه ورموه بالإلحاد والزندقة، وكتبو بذلك إلى الملك الناصر صلاح الدين وحذروه من فساد عقيدة ابنه الظاهر بصحبته للشهاب السهروردي وفساد عقائد الناس إذا أبقى عليه، فكتب صلاح الدين إلى ابنه الظاهر يأمره لقتله وشدد عليه بذلك وأكد، وأفتى فقهاء حلب بقتله فبلغ ذلك الشهاب فطلب الظاهر أن يحبس في مكان ويمنع من الأكل والشرب إلى أن يموت ففعل به ذلك، وقيل بل أمر الظاهر بخنقه في السجن فخنق سنة سبع وثمانين وخمسمائة وقد قارب الأربعين.

ويروى أن الظاهر ندم على مافعل بعد مدة ونقم على من أفتو بقتله، فقبض عليهم واعتقلهم ونكبهم، وصادر جماعة منهم بأموال عظيمة. ومن تصانيفه: التلويحات في الحكمة، والتنقيحات في أصول الفقه، وكمة الإشراق، والغربة الغربية في الحكمة، وهياكل النور في الحكمة أيضاً. والألواح العمادية، والمعارج، واللمحة، والمطارحات، والمقامات وغير ذلك. وله شعر كثير أشهره وأجوده قصيدته الحائية وهي:

ابدا تحن إليكم الأرواح ... ووصالكم ريحانها والراح
وقلوبأهل ودادكم تشتاقكم ... وإلى لذيذ لقائكم ترتاح
وارحمنا للعاشقين نكلفوا ... ستر المحبة والهوى فضاح
بالسر إن باحوا تباح دماؤهم ... وكذا دماء البائحين تباح
وإذا هم كتموا تحدث عنهم ... عند الوشاة المدمع السحاح
وبدت شواهد للسقام عليهم ... فيها لمشكل أمرهم أيضاً ح
خفض الجناح لكم وليس عليكم ... للصب في خفض الجناح جناح
فإلى لقاكم نفسه مشتاقة ... وإلى رضاكم طرفه طماح
عودوا بنور الوصل في غسق الجفا ... فالهجر ليل والوصال صباح
صافاهم فصفوا له قلوبهم ... في نورها المشكاة والمصباح
فتمتعوا والوقت طاب بقربهم ... راق الشراب ورقت الأقداح
يا صاح ليس على المحب ملامة ... إن لاح في أفق الوصال صباح
لاذنب للعشاق إن غلب الهوى ... كتمانهم فنما الغرام فباحوا
سمحوا بأنفسهم وما بخلوا بها ... لما دروا أن السماح رباح
دعاهم داعي الحقائق دعوة ... فغدوا بها مستأنسين وراحوا
ركبوا على سنن الوفا ودموعهم ... بحر وحادي شوقهم ملاح
والله ماطلبوا الوقوف ببابه ... حتى دعوا وأتاهم المفتاح
لايطربون لغير ذكر حبيبهم ... أبدا فكل زمانهم أفراح
حضروا فغابوا عن شهود ذواتهم ... وتهتكوا لما رأوه وصاحوا
أفناهم عنهم وقد كشفت لهم ... حجب البقا فتلاشت الأرواح
فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم ... إن التشبه بالكرام فلاح
قم يا نديم إلى المدام وهاتها ... فبحانها قد دارت الأقداح
من كرم إكرام بدن ديانة ... لاخمرة قد دلها الفلاح
وقال:

أقول لجارتي والدمع جاري ... ولي عزم الرحيل عن الديار
ذريني أن أسير ولا تنوحي ... فإن الشهب اشرفها السواري
وإني في الظلام رأيت ضوءا ... كأن الليل بدل بالنهار
إلي كم أجعل الحيات صحبي ... إلى كم أجعل التنين جاري
وأرضى بالإقامة في فلاة ... وفي ظلم العناصر أيم داري؟
ويبدولي من الزوراء برق ... يذكرني بها قرب المزار

إذا أبصرت ذاك النور أفنى ... فما أدرى يميني من يساري

ومن كلامه: اعلم أنك ستعارض بأعمالك وأقوالك وأفكارك، وسيظهر عليك من كل حركة فعلية أو قولية أو غكرية صور جانبية. فإن كانت تلك الحركة عقلية صارت تلك الصورة مادة لملك تلتذ بمنادمته في دنياك، وتهتدي بنوره في أخراك. وإن كانت تلك الحركة شهوية أو عصبية صارت تلك الصورة مادة لشيطان يؤذيك في حال حياتك، ويحبك عن ملاقاة النور بعد مماتك.

الجزء العشرون

يحيى بن خالد بن برمك

ابو الفضل البرمكي الوزير السري الجواد، كان سيد بني برمك وأفضلهم جودا وحلما ورأيا، وكان من أكملأهل زمانه أدبا وفصاحة وبلاغة، وأخباره في الكرم وشرف الخلال مشهورة. وإنما دخل في شرط كتابنا من جهة بلاغته وتقدمة على أكثرأهل عصره في الإنشاء والكتابة، وما صدرعنه من الحكم ولأقوال التي تداولها الواة وملئت بها الدفاتر فأنا أورد منها جملة صالحة، وأما أخباره فما يتسع لها كتابنا وليست من شرطه، فمما ورى عنه أنه قال: مارأت رجلا إلا هبته حتى يتكلم، فإن كان فصيحا عظم في عيني وصدري وإن قصر سقط من عيني. وحدث محمد بن صالح الواقدي قال: دخلت على يحيى ابن خالد البرمكي فقلت: إن ههنا قوما جاءوا يشكرون لك معروفا، فقال يامحمد: هولاء جاءوا يشكرون معروفنا فكيف لنا شكر شكرهم.

وقال: مسأل ة الملوك عن حالها من سجية النوكي، فاذا أردت أن تقول: كيف أصبح الأميرفقل: صبح الله الأميربالنعمة والكرامة، وإذا كان عليلا فأردت أن تسأل ه عن حاله فقل: أنزل الله على الأميرالشفاء والرحمة فإن الملوك لاتسأل ولا تشمت ولاتكيف وأنشد:

إن الملوك لايخاطبونا ... ولا إذا ملوا يعاتبونا

وفي المقال لاينازعونا ... وفي العطاس لايشمتونا

وفي الخطاب لايكيفونا ... يثني عليهم ويجلونا

وافهم وصاتي لاتكن مجنونا وقيل له: أي الأشياء أقل؟ قال: قناعة ذي الهمة البعيدة بالعيش الدون، وصديق كثير الآفات قليل الإمتاع، وسكون النفس إلى المدح. وقيل له ما الكرم؟ فقال ملك في زي مسكين. قيل له فما اللؤم؟ قال: مسكين في بطش عفريت. قيل فما الجود؟ قال عفو بعد قدرة. وقال: من ولي ولاية فتاه فيها فقدره دونها وقال: إذا فتحت بينك وبين المعروف فاحذر أن تغلقه ولو بالكلمة الجميلة، إذا أردت أن تنظر مروءة المرء فانظر الي، كانت حسنة فاحكم له بالشرف، وإن رأيت فما وراءها خير. وقال: أحسن جبلة الولاة إصابة السياسة، ورأس إصابة السياسة العمل لطاعة الله وفتح بابين للرعية، أحدهما رأفة ورحمة وبدل وتحنن، والآخر غلظة ومباعدة وإمساك ومنع. وقال: العذر الصادق مع النية الحسنة يقومان مقام النجح. وقال: ما سقط غبار موكبي على أحد إلا وجب علي حقه. وقال الفضل له:

يا أبت، مالنا نسدي إلى الناس المعروف فلا يتبين فيهم كتبينه ببر غيرنا؟ قال آ مال الناس فينا أعظم من آ مالهم في غيرنا، وإنما يسر الإنسان ما بلغه أمله. وقال: أنا مخير في الإحسان إلي أحسن إليه، ومرتهن بالإحسان إلى من أحسنت إليه، لأني إن وصلته فقد أتمته، وإن قطعته فقد أهدرته. وقال: الخط صورة روحها البيان، ويدها السرعة، وقدمها التسوية، وجوارحها معرفة الفصول. وركب يوما مع الرشيد فرأى الرشيد في طريقه أحمالا فسأل عنها فقيل له: هذه هدايا خراسان بعث بها علي بن عيسى بن ماهان، وكان ابن ماهان وليها بعد الفضل بن يحيى، فقال الرشيد ليحيى: أين كانت هذه الأحمال في ولاية ابنك؟ فقال يحيى كانت في بيوت أصحابها فأفحم الرشيد وسكت ولما كان الفضل بن يحيى واليا على خراسان كتب صاحب البريد إلى الرشيد كتابا يذكر فيه: أن الفضل تشاغل بالصيد واللذات عن النظر في أمور الرعية، فلما قرأه الرشيد رمى به ليحيى وقال له: يا ابت اقرأ هذا الكتاب واكتب إلى الفضل كتابا يردعه عن مثل هذا. فمد يحيى يده إلى دواة الرشيد وكتب إلى ابنه على ظهر الكتاب الذيورد من صاحب البريد: حفظك الله يا بني وأمتع بك، قد انتهى إلى أمير المؤمنين ما أنت عليه من التشاغل بالصيد ومداومة اللذات عن النظر في أمور ارعية ما أنكره، فعاود ماهو أزين بك، فإنه من عاد إلى ما يزينه لم يعرفهأهل زمانه إلا به والسلام. وكتب تحته هذه الأبيات:

إنصب نهارا في طلاب العلا ... واصبر على فقد لقاء الحبيب

حتى إذا الليل بدا مقبلا ... وغاب فيه عنك وجه الرقيب

فبادر الليل بما تشتهي ... فإنما الليل نهار الأريب

كم من فتى تحسبه ناسكا ... يستقبل الليل بأمر عجيب

ألقى عليه الليل أستاره ... فبات في لهو وعيش خصيب

ولذة الأحمق مكشوفة ... يسعى بها كل عدو مريب

وكان يقول لولده: اكتبوا أحسن ما تسمعون، واحفظوا أحسن ما تكتبون، وتحدثوا بأحسن ما تحفظون. وقال: أنفق من الدنيا وهي مقبلة، فإن الإتفاق لايقص منها شيئا، وأنفق منها وهي مدبرة، فإن الإمساك لا يبقى منها شيئا. وقال: الدنيا دول، والمال عارية، ولنا فيمن قبلنا أسوة، ونحن لمن بعدنا عبرة. قال القاضي يحيى بن أكثم: سمعت المأمون يقول: لم يكن كيحيى بن خالد وكولده أحد في البلاغة والكفاية، والجود والشجاعة، وكان يحيى يجري على سفيان الثوري رضي الله عنه ألف درهم في كل شهر، فكان إذا صلى سفيان يقول في سجوده: اللهم إن يحيى كفاني أمر دنياي فاكفه أمر آخرته. فلما مات يحيى رؤى في المنام فقيل له: مافعل الله بك؟ قال: غفر لي بدعاء سفيان. مات يحيى في سجن الرشيد في الرافقة في أوائل المحرم سنة تسعين ومائة.

يحيى بن زياد بن عبد الله

ابن منظور بن مروان الأسلمي الديامي الكوفي مولى بني أسد المعروف بالفراء أبو زكريا،أخذعن أبي الحسن الكسائي، وروى عن قيس بن الربيع ومندل بن علي. وأخذ عنه سلمة بن عاصم ومحمد بن الجهم النمري

وغيرهما. كان هو والأحمر أشهر أصحاب الكسائي، وكانا أعلم الكوفيين بالنحو من بعده. وأخذ أيضاً عن يونس بن حبيب البصري فاستكثر منه، والبصريون ينكرون ذلك.

حكى محمد بن الجهم قال: حدثنا الفراء قال: أنشدني يونس النحوي:

رب حلم أضاعه عدم الما ... ل وجهل غطى عليه النعيم

وعن الفراء أيضاً قال يونس: الآل من عذوة إلى ارتفاع النهار. ثم هو سراب سائر النهار، وإذا زالت الشمس فهو فيء، وفي غدوة ظل.

وأنشد لأبي ذويب:

لعمري لأنت البيت أكرم أهله ... وأقعد في أفيائه بالأصائل

وله روايات كثيرة عن يونس لانطيل بذكرها، وكانأبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب يقول: لولا الفراء ما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها، ولولاه لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد، ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فنذهب.

وكان الفراء فقيها عالما بالخلاف وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها، عارفا بالطب والنجوم متكلما يميل إلى الاعتزال، وكان يتفلسف في تصانيفه ويستعمل فيها ألفاظ الفلاسفة.

وحكى أبو العباس ثعلب عن ابن نجدة قال: لما تصدى أبوزكريا يحيى بن زياد الفراء للاتصال بالمأمون كان يتردد إلى الباب، فلما كان ذات يوم بالباب جاء ثمامة بن الأشرس المتكلم المشهور قال: فرأيت صورة أديب وأبهة أدب فجلست إليه وفاتشته عن اللغة فوجدته بحرا، وعن النحو فشاهدته نسيج وحده، وعن الفقه فوجدته فقيها عارفا باختلاف القوم، وفي النجوم ماهرا، وبالطب خبيرا، وبأيام العرب وأخبارها وأشعارها حاذقا فقلت له: من تكون؟ وما أظنك إلا الفراء، فقال: أنا هو، قال فدخلت فأعلمت أميرالمؤمنين بمكانته فاستحضره وكان سبب اتصاله به.

وقال أبو بريدة الوضاحي: أمر أميرالمؤمنين المأمون الفراء أن يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العرب، فأمر أن تفرد له حجرة من حجر الدار، ووكل بها جواري وخدنا للقيام بما يحتاج إليه حتى لايتعلق قلبه ولا تتشوف نفسه إلى شيء، حتى إنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة، وصير له الوراقين وألزمه الأمناء والمنفقين، فكان الوراقون يكتبون حتى صنف كتاب الحدود، وامر المأمون بكتبه في الخزائن، وبعد أن فرغ من ذلك خرج إلى الناس وابتدأ يملي كتاب المعاني، وكان وراقيه سلمة بن عاصم وأبو نصر بن الجهم.

قال أبو بريدة: فأردنا أن نعد الناس الذين اجتمعوا الإملاء كتاب المعاني فلم نضبط عددهم، ولما فرغ من إملائه خزنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا به وقالوا: لانخرجه لأحد إلا لمن أراد أن ننسخه له على أن يكون عن كل خمسة أوراق درهم، فشكا الناس إلى الفراء فدعا الوراقين وكلمهم في ذلك وقال: قاربو الناس تنفعوا وتنتفعوا فأبوا عليه فقال: سأريكم وقال للناس: إني أريد أن أملي كتاب معان أتم شرحا وأبسط قولا من الذيأمليت قبلا، وجلس يملي فأملي في الحمد مائة ورقة، فجاء الوراقون إليه وقالوا: نحن نبلغ الناس ما يحبون، فنسخوا كل عشرة أوراق بدرهم.

قال أبو بكر بن الأنباري: لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية إلا الكسائي والفراء لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس إذ انتهت العلوم إليهما وكان يقال: الفراء أميرالمؤمنين في النحو، توفي أبو زكريا الفراء في طريق مكة سنة سبع ومائتين، وقد بلغ ثلاثا وستين سنة.
ومن تصانيفه: كتاب اختلافأهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف، معاني القرآن أربعة أجزاء ألفه لعمر ابن بكير، البهي ألفه للأميرعبد الله بن طاهر، كتاب المصادر في القران، كتاب اللغات، كتاب الوقف والابتداء، كتاب الجمع والتثنية في القرآن، آاة الكتاب الفاخر، كتاب النوادر، كتاب المذكر والمؤنث، كتاب يافع ويافعة، كتاب ملازم، كتاب الحدود ألفه بأمر المأمون كتاب مشكل اللغة الكبير، كتاب المشكل الصغير كتاب الوار وغير ذلك.

يحيى بن سعدون بن تمام

أبو بكر الأزدي القرطبي الملقب سابق الدين، شيخ فاضل عارف بالنحو ووجوه القراءات، قرأ على أبي القاسم خلف بن إبراهيم الحصار بقرطبة، وسمع من أبيمحمد بن عتاب. وقدم العراق فقرأ ببغداد على الشيخ المقريء أبي محمد عبد الله بن على سبط أبي منصور الخياط وسمع عليه كتباً كثيرة، وسمع بها الحديث من أبي القاسم بن الحصين وأبي بكر محمد بن عبد الباقي البزاز المعروف بقاضي المارستان، وأبي عبد الله البارع وأبي العز بن كارش وغيرهم. وسمع بمصر من أبيصادق مرشد بن يحيى بن القاسم المدني المصري، وبالإسكندرية من أبيالطاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني وأبي عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي. وسكن دمشق مدة وأقرأ بها القرآن والنحو، وانتفع به خلق كثير لحسن خلقه وتواضعه. ثم رحل إلى أصبهان وعاد منها إلى الموصل فسكنها وأخذ عنه شيوخها، منهم القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع المعروف بابن شداد وغيره.
وكان ثقة صدوقا ثبتا دينا كثير الخير، ولد بقرطبة سنة ست وثمانين وأربعمائة وقيل سنة سبع. ومات بالموصل يوعيد الفطر سنة سبع وستين وخمسمائة.

يحيى بن سعيد بن المبارك

بن علي ابن عبد الله بن سعيد بن محمد بن نصر بن عصام المعروف بابن الدهان البغدادي الأنصاري أبو زكريا بن أبيمحمد، النحوي بن النحوي الأديب الشاعر، ولد بالموصل في أوائل السنة التي مات أبوه في أواخرها سنة تسع وستين وخمسمائة فلما بشر به والده قال وصدق في حدسه:
قيل لي جاءك نسل ... ولد شهم وسيم

قلت عزوه بفقدي ... ولد الشيخ يتيم
ثم توفي والده وله بضعة أشهر.أخذأبو زكريا النحوي عن مكي بن زيان وانقطع إليه وتخرج به فبرع في النحو واللغة والأدب، وهو أحد نحاة العصر وأدبائه المشاهير. توفي قريبا سنة ست عشرة وستمائة بالموصل

ودفن عن أبيه بمقبرة المعافي بن عمران بباب الميدان. اجتمعت به لما كنت بالموصل سنة ثلاث عشرة وستمائة، ومن شعره:

إن بهت الخمول نبهت أقوا ... ما نياما فسا بقوني إليه

هو قد دلني على لذة العي ... ش فمالي أدل غيري عليه

وله:

وعهدي بالصبا زمنا وقدي ... حكى ألف ابن مقلة في انتصاب

وصرت الآن منحنيا كأني ... أفتش في التراب علي شبابي

يحيى بن سعيد بن هبة الله

ابن علي بن زيادة الشيباني الواسطي ثم البغدادي، كان كاتبا أديباً شاعراً مشاركا في الفقه والكلام والرياضة،أخذالأدب عن أبي منصور الجواليقي وغيره، وولى النظر في ديوان البصرة ثم بواسط والحالة، ثم قلد النظر في المظالم ورتب حاجبا بباب المتولي، ولما قتل الأستادار هبة الله بن الصاحب ولى الأستادارية مكانه ثم عزل وقلد ديوان الإنشاء والنظر في ديوان المقاطعات فبقي على ذلك حتى مات، وكانت وفاته في ذي الحجة سن أربع وتسعين وخمسمائة، ومولده سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة. ومن شعره.

إني لتعجبني الفتاة إذا رأت ... أن المروءة في الهوى سلطان

لاكالتي وصلت وأكبر همها ... في خدرها النقصان والرجحان

وكذاك شمس الأفق برج علوها ... حمل وبرج هبزوطها الميزان

وقال:

إن كنت تسعى للسعادة فاستقم ... تنل المراد وتغد أول من سما

ألف الكتابة وهوبعض حروفها ... لما استقام على الجميع تقدما

وقال:

لا أقول الله يظلمني ... كيف أشكو غير متهم

قنعت نفسي بما أتيت ... وتمطت في العلا همي

ولبست الصبر سابغة ... فهي من فرقي إلى قدمي

وقال:

باضطراب الزمان ترتفع الأن ... ذال فيه حتى يعم البلاء

وكذا الماء ساكنا فإذا حر ... رك ثارت من قعره الأقذاء

يحيى بن سلامة بن الحسين

المعروف بالخطيب الحصكفي، كان فقيهاً نحوياً كاتباً شاعراً، نشأ بحصن كيفا وقدم بغداد فأخذ بها الأدب عن الخطيب أبي زكريا التبريزي وغيره. وبرع في النظم والنثر وإنشاء الخطب، ثم رحل إلى ميافارقين فسكنها وولى بها الخطابة ولإفتاء. وله ديوان شعر وديوان رسائل، ولد سنة تسع وخمسين وأربعمائة، وتوفي سنة إحدى وخمسين وخمسمائة. ومن شعره:

وإنسية زارت مع النوم مضجعي ... فعانقت غصن البان منها إلى الفجر

أسائلها أين الوشاح وقد سرت ... معطلة منه معطرة النشر

فقالت واومت للسوار ثقلته ... إلى معصمي لما تقلقل في خصري

وقال:

وخليع بت أعذله ... ويرى عذلي من العبث

قلت إن الخمر مخبثة قال حاشاها من الخبث

قلت فلأرفاث تتبعها ... قال طيب العيش في الرفث

قلت ثم القى قال أجل ... شرفت عن مخرج الحدث

وسأجفوها فقلت متى ... قال عند الكون في الجدث

وقال:

لم يضحك الورد إلا حين أعجبه ... زهر الربيع وصوت الطائر الغرد

بدا فأبدى لنا البستان بهجته ... وراحت الراح في أثوابها الجدد

يحيى بن صاعد بن يحيى

معتمد الملك أبو الفرج ابن التلميذ، كان حكيماً عالماً فاضلاً حاذقاً في صناعة الطب أديباً شاعراً، وكان مقيماً بأصبهان مقرباً عند الأمراء والأعيان. وقصده الشريف ابن الهبارية الأديب الشاعر فأكرمه وحباه، وحصل له بواسطته من الأمراء والأكابر مال عظيم فمدحه بعدة قصائد، توفي معتمد الملك ابن التلميذ سنة تسعٍ وخمسين وخمسمائةٍ.

ومن شعره:

علق الفؤاد على خلو حبها ... علق الذبالة في حشا المصباح

لايستطيع الدهر فرقة بينهم ... إلا لحين تفرق من الأشباح

وقال:

ما هذه الدنيا لطالبها ... إلا بلاء وهو لايدري

إن أقبلت فسدت أمانته ... أو أدبرت شغلته بالفكر

وقال:

فراقك عندي فراق الحياة ... فلا تجهزن على مدنف
علقتك كالنار في شمعها ... فما إن تفارقه أو تنطفى

يحيى بن الطيب

اليمني النحوي، كان أديباً شاعراً، له مصنف في النحو مختصر وكان لايطيل في شعره، فإذا مدح أو هجا لايزيدعلى بيتين.
ومن شعره:
إن اللئيم إذا رأى ... ليناً تزايد في حرانه
لاتخدعن فصلاح من ... جهل الكرامة في هوانه

يحيى بن عبد الرحمن بن بقى

الأندلسي القطبي، كان آية في النثر والنظم بارعاً في نظم الموشحات مجيداً فيها كل الإجادة الإجادة إلا أنه كان حرب زمانه، حسبت حرفة الأدب عليه براعته من رزقه فحكمت بإقلاله وحرمانه فامتطى غارب الاغتراب ووقف في البلاد على كل باب، فلم يستقر به النوى حتى اتصل من الأمير يحيى بن علي بن القاسم بسبب، فتفيأ ظلاله، وحط في رحابه رحاله. توفي ابن بقى سنة أربعين وخمسمائة.
ومن شعره: قوله في قصيدة:
هو الشعر أجرى في ميادين سبقه ... وأفرج من أبوابه كل مبهم
فسل أهله عني هل امترت منهم ... بطبعي وهل غادرت من متردم؟
سلكت أساليب البديع فأصبحت ... بأقوالي الركبان في البيد ترتمي
وربتما غنى به كل ساجع ... يردده في شجوه والترنم
وضيعني قومي لأني لسانهم ... إذا أفحم الأقوام عند التكلم
وطالبني دهري لأني زنته ... وأني فيه غرة فوق أدهم
وله:
ولي همم ستقذف بي بلاداً ... نأت إما العراق أو الشآما
وألحق بالأعاريب اعتلاء ... بهم وأجيد مدحهم اهتماما
لكيما تحمل الركبان شعري ... بوادي الطلح أو وادي الخزامى
وكيما يعلم الفصحاء أني ... خطيب علم السجع الحماما
وقد أطلعتهن بكل أرض ... بدوراً لا يفارقن التماما
فلم أعدم وإياها حسوداً ... كما لاتعدم الحسناء ذاما
وقال:

بأبي غزال غازلته مقلتي ... بين العذيب وبين شطي بارق
وسألت منه زيارةً تشفي الجوى ... فأجابني فيها بوعد صادق
بتنا ونحن من الدجى في لجة ... ومن النجوم الزهر تحت سرادق
عاطيته والليل يسحب ذيله ... صهباء كالمسك الفتيق الناشق
وضممته ضم الكمى لسيفه ... وذؤابتاه حمائل في عاتقي
حتى إذا مالت به سنة الكرى ... زحزحته عني وكان معانقي
أبعدته عن أضلع تشتاقه ... كي لا ينام على وساد خافق
لما رأيت الليل آخر عمره ... قد شاب في لمم له ومفارق
ودعت من أهوى وقلت مشيعاً ... أعزز على بأن أراك مفارقي
ومن موشحاته قوله:
عبث الشوق بقلبي فاشتكى ... ألم الوجد فلبت أدمعي
أيها الناس فؤادي شغف
وهو من بغي الهوى لاينصف
كم أداريه ودمعي يكف
أيها الشادن من علمكا ... بسهام اللحظ قتل السبع؟
بدر تم تحت ليل أغطش
طالع في غصن بان منتشى
أهيف القد بخد أرقش
ساحر الطرف وكم قد فتكا ... بقلوب درعن بالأضلع؟
وانثنى يهتز من سكر االصبا
أي رئم رمته فاجتنبا؟
كقضيب هزه ريح الصبا
قلت هب لي ياحبيبي وصلكا ... واطرح أسباب هجري ودع
قال خذي زهره مذ فوفا
جرد الطرف حساماً مرهفا
حذراً منه بألا يقطفا
إن من رام جناه هلكا ... فأزل عنك أماني الطمع
ذاب قلبي في هوى ظبي غرير
وجهه في الدجن صبح مستنير
وفؤادي بين كفيه أسير
لم أجد للصبر عنه مسلكا ... فانتصاري بانسكاب الأدمع

يحيى بن علي بن محمد

ابن الحسن بن محمد بن موسى بن بسطام الشيباني أبو زكريا ابن الخطيب التبريزي، وربما يقال له الخطيب وهو وهم، كان أحد الأئمة في النحو واللغة والأدب حجة صدوقاً ثبتاً، رحل إلى أبي العلاء المعري وأخذ عنه وعن عبيد الله بن علي الرقي والحسن بن رجاء بن الدهان اللغوي وابن برهان والمفضل القصباني وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم من الأئمة، وسمع الحديث وكتبه على خلق منهم القاضي أبو الطيب الطبري وأبو القاسم التنوخي والخطيب البغدادي وسمع بمدينة صور من الفقيه أبي الفتح سليم بن أيوب الرازي ومن أبي القاسم عبد الكريم بن محمد بن عبد الله ابن يوسف الدلال الساوي البغدادي وأبي القاسم عبد الله ابن علي، وأخذ عنه أبو منصور موهوب بن أحمد الجواليقي وأبو الحسن سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري وأبو الفضل ابن ناصر وغيرهم. ودخل مصر في عنفوان شبابه فقرأ عليه بها أبو الحسن طاهر بن بابشاذ النحوي وغيره اللغة ثم رجع إلى بغداد فأقام بها إلى أن مات. ويحكى أن سبب رحلته إلى أبي العلاء المعري: أنه حصلت له نسخة من كتاب التهذيب في اللغة تأليف أبيمنصور الأ زهري المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز إلى المعرة ولم يكن له مايستأجر به مركوبا فنفذ العرق من ظهره إليها فأثر فيها البلل. وهذه النسخة في بعض المكاتب الموقوفة ببغداد إذا ر آها من لايعرف خبرها ظن أنها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب، وذكر السمعاني في الذيل سمعت أبا منصور محمد بن عبد الملك بن الحسن بن خيبرون المقرئ يقول: أبو زكريا يحيى بن علي التبريزي ما كان بمرضي الطريقة، كان يدمن شرب الخمر ويلبس الحرير والعمامة المذهبة، وكان الناس يقرءون عليه تصانيفه وهو سكران، فذاكرت أبا الفضل محمد بن ناصر الحافظ بما ذكره ابن خيرون فسكت وكأنه لم ينكر ذلك ثم قال: ولكن كان ثقة في اللغة وما كان يرويه وينقله، وولي ابن الخطيب تدريس الأدب بالنظامية وخزانة الكتب بها، وانتهت إليه الرياسة في اللغة والأدب، وسار ذكره في الآفاق ورحل الناس إليه. توفي فجأة يوم الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة اثنتين وخمسمائة، وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وأربعمائة، وصنف شرح القصائد العشر ملكته بخطه. وتفسير القرآن، وإعراب القرآن، وشرح اللمع لابن جني، والكافي في العروض والقوافي، وثلاثة شروح على الحماسة لأبي تمام، وشرح شعر المتنبي، وشرح المقصورة الدريدية، وشرح سقط الزند، وشرح المفضليات، وتهذيب إصلاح المنطق لابن السكيت، ومقدمة في النحو، وكتاب مقاتل الفرسان، وشرح السبع الطوال وغير ذلك ومن شعره:

فمن يسأم من الأسفار يوماً ... فإني قد سئمت من المقام

أقمنا بالعراق إلى رجال ... لئام ينتمون إلى لئام

يحيى بن على بن أبي منصور

المعروف بابن المنجم، النديم. قال المرزباني في معجم الشعراء: أبو أحمد بن المنجم أديب شارع مطبوع، أشعرأهل زمانه وأحسنهم أدبا وأكثرهم افتنانا في علوم العرب والعجم، ونادم المعتضد والمكتفي من بعده،

وهو من أشجار الأدب الناضرة، وأنجمه الزاهرة، ولد سنة إحدى وأربعين ومائتين، وتوفي سنة ثلاثمائة، ومن شعره

رب يوم عاشرته فتقضى ... بعد حمد عن آخر مذموم

يا لقومي لضعفه ولكيد ... مثل كيد النساء منه عظيم

وقال في الطاوس:

سبحان من من خلقه الطاوس ... طير على أشكاله رئيس

كأنه في نفسه عروس ... إذ أنه يحلو به التعريس

ديباجة تنشر أو سدوس ... في ريشه قد ركبت فلوس

تشرف من داراتها شموس ... في الرأس منه شجر مغروس

كأنه بنفسج يميس ... أو زهر في روضة ينوس

ولأبي أحمد شعر كثير وتصانيف منها: الباهر في أخبار شعراء مخضرمي الدولتين، وكتاب الإجماع على مذهب أبي جعفر الطبرى، والدخل إلى مذهب الطبري ونصرة مذهبه، وكتاب الأوقات وغير ذلك.

يحيى بن القاسم

ابن مفرج بن روع بن الخضر بن الحسن بن حامد أبو زكريا الثعلبي التكريتي، إمام من أئمة المسلمين وحبر من أحبارهم، كامل فاضل فقيه قاريء مفسر نحوي لغوي عروضي شاعر، تفقه على والده وصحب ببغداد أبا النجيب السهوردي وغيره، وقرأ الأدب على ابن الخشاب وبرع في الفقه والأدب، وسمع من أبي زرعة المقدسي وابن البطي ودرس بالنظامية، مات في رمضان سنة ست عشرة وستمائة، وكانت ولادته سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ومن نظمه في ألف الأمر:

لألف الأمر ضروب تنحصر ... في الفتح والضم وأخرى تنكسر

فالفتح فيما كان من رباعي ... نحو أجب يا زيد صوت الداعي

والضم فيما ضم بعد الثاني ... من فعله المستقبل الزمان

والكسر فيما منهما تخلى ... إن زاد عن أربعة أو قلا

يحيى بن المبارك بن المغيرة

أبو محمد مولى بني عدي بن عبد مناف، قيل له اليزيدي لأنه صحب يزيد بن منصور خال المهدي مؤدبا لولده فنسب إليه، ثم اتصل بالرشيد فجعله مؤدباً للمأمون،أخذالعربية عن أبي عمرو بن العلاء وابن أبي إسحاق الحضرمي، وأخذ اللغة والعروض عن الخليل بن أحمد، إلا أنه كان يعتمد في اللغة على أبي عمرو بن العلاء لسعة علمه بها، وكان أبو عمرو يميل إليه ويدنيه لذكائه، وأخذ عن أبي محمد اليزيدي جماعة منهم ابنه محمد وأبو عبيد القاسم بن سلام وإسحاق بن إبراهيم الموصلي وأبو عمرو الدوري القاريء وأبو شعيب

السوسي المقريء وعامر بن عمر الموصلي وأبو خلاد سليمان بن خلاد وأبو حمدون بن إسماعيل الطبيب وغيرهم، وخالف في القراءة أبا عمرو في حروف اختارها، وكان صحيح الرواية ثقة صدوقا، وكان أحد أكابر القراء وهو الذي خلف أباعمرو بن العلاء فيها، وكان في أيام الرشيد مع الكسائي ببغداد يقرئان الناس في مسجد واحد، وكان مع ذلك أديباً شاعراً مجيداً، وله مجموع أدب فيه شيء من شعره، وكان يتهم بالميل إلى الاعتزال.

مات بخراسان سنة اثنتين ومائتين عن أربع وستين سنة، وصنف كتاب الوقف والابتداء، وكتاب النوادر في اللغة على مثال نوادر الأصمعي الذيعمله لجعفر بن يحيى، والمختصر في النحو ألفه لبعض ولد المأمون، وكتاب النقط والشكل، وكتاب المقصور والممدود وغير ذلك. ومن شعره قوله في الكسائي وأصحابه:

كنا نقيس النحو فيما مضى ... على لسان العرب الأول

فجاء أقوام يقيسونه ... على لغي أشياخ قطربل

فكلهم يعمل في نقض ما ... به يصاب الحق لا يأتلي

إن الكسائي وأصحابه ... يرقون في النحو إلى أسفل

وله:

إذا نكبات الدهر لم تعظ الفتى ... وأفزع منها لم تعظه عواذله

ومن لم يؤدبه أبوه وأمه ... تؤدبه روعات الردى وزلازله

فدع عنك مالا تستطيع ولا تطع ... هواك ولا يغلب بحقك باطله

وله في الأصمعي:

أبن لي دعى بني أصمع ... متى كنت في الأسرة الفاضله؟

ومن أنت هل أنت إلا امرؤ ... إذا صح أصلك من باهله؟

يحيى بن محمد

الشريف أبو المعمر بن طباطبا العلوي، كان نحوياً أديباً فاضلاً يتكلم مع ابن برهان في هذا العلم،أخذعن علي بن عيسى الربعي وأبي القاسم الثمانيني، وعنه أبو السعادات هبة الله بن الشجري وكان يفتخر به. مات في رمضان سنة ثمان وسبعين وأربعمائة.

ومن شعره:

لي صاحب لاغاب عني شخصه ... أبداً وظلت ممتعاً بوجوده

فطن بما يوحى إليه كأنما ... قد نيط هاجس فكرتي بفؤاده

وقال:

حسود مريض القلب يخفي أنينه ... ويضحي كئيب القلب عندي حزينه

يلوم على أن رحت في العلم راغباً ... أحصل من عند الرواة فنونه

فأعرف أبكار الكلام وعونه ... وأحفظ مما أستفيد عيونه

ويزعم أن العلم لايجلب الغنى ... ويحسن بالجهل الذميم ظنونه
فيا لائمي دعني أغالي بقيمتي ... فقيمة كل الناس ما يحسنونه

يحيى بن محمد بن عبد الله العنبري

ابن عطاء بن صالح بن محمد بن عبد الله بن شعيان أبو زكريا العنبري، مولى بني حرب السلمي من أهل نيسابور، كان عالما بالتفسير لغوياً أديباً فاضلاً، قال القاضي عبد الحميد ابن عبد الرحمن النيسابوري: ذهبت الفوائد من مجلسنا بعد أبي زكريا، وذلك أن أبا زكريا اعتزل الناس وقعد عن حضور المحافل بضع عشرة سنة، سمع أبا الحسن الحرسي وأحمد بن سلمة وغيرهما، وروى عنه أبو بكر بن عبدوس المفسر، وأبو علي الحسين بن علي الحافظ والمشايخ من طبقته. مات في شوال سنة أربع وأربعين وأربعمائة عن ست وسبعين سنة.

يحيى بن محمد

ابو محمد الأرزني، إمام في العربية مليح الخط سريع الكتابة، كان يخرج في وقت العصر إلى سوق الكتب ببغداد فلا يقوم من مجلسه حتى يكتب الفصيح لثعلب ويبيعه بنصف دينار ويشتري نبيذاً ولحماً وفاكهةً ولاياييت حتى ينفق ما معه منه، وله تأليف في النحو مختصر. مات سنة خمس عشرة وأربعمائة.
ومن شعره:
إن من أحوجك الدهر إليه ... وتعلقت به هنت عليه
ليس يصفو ود من واخيته ... إن تعرضت لشيء في يديه

يحيى بن معطي بن عبد النور

زين الدين المغربي الزواوي، فاضل معاصر إمام في العربية أديب شاعر، مولده بالمغرب سنة أربع وستين وخمسمائة، وقدم دمشق فأقام بها زماناً طويلاً ثم رحل إلى مصر فتوطن بها، وتصدر بأمر الملك الكامل لإقراء النحو والأدب بالجامع العتيق وهو مقيم بالقاهرة لهذا العهد. ومن تصانيفه: الفصول الخمسون في النحو، وألفية في النحو أيضاً، وحواش على أصول ابن السراج، ونظم الصحاح للجوهري لم يكلمه، ونظم الجوهرة لابن دريد، والمثلث في اللغة، وقصيدة في العروض، وقصيدة في القراءات السبع، وديوان شعر، وديوان خطب وغير ذلك. ومن شعره في مشارك في اللقب.
قالوا تلقب زين الدين فهو له ... نعت جميل به أضحى اسمه حسنا
فقلت لاتغبطوه إن ذا لقب ... وقف على كل نحس والدليل أنا
وله:

وإذا طلبت العلم فاعلم أنه ... عبء لتنظر أي عبء تحمل
وإذا علمت بأنه متفاضل ... فاشغل فؤادك بالذي هو أفضل

يحيى بن نزار بن سعيد

أبو الفضل المنبجي، مولده بمنبج في المحرم سنة ست وثمانين وأربعمائة، قدم دمشق واتصل بالملك العادل نور الدين ابن محمود بن زنكي ومدحه بقصائد أجاد فيها، ثم رحل إلى بغداد فتوطنها وأقام بها إلى أن توفي في ليلة الجمعة سادس ذي الحجة سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وكان سبب موته أنه وجد في أذنه ثقلاً فاستدعى طبيباً من الطرقية فامتص أذنه ليخرج ما فيها من أذى فخرج شيء من مخه فمات لوقته.
ومن شعره:
لو صد عني دلالاً أو معاتبةً ... لكنت أرجو تلافيه وأعتذر
لكن ملالاً فما أرجو تعطفه ... جبر الزجاج عسير حين ينكسر
وله:
وليلة وصل خالست غفلة الدهر ... فجاءت ببدر وهي مشرقة البدر
سميري بها غصن من البان مائد ... يرنحه سكر الشبيبة لا الخمر
أشاهد فيها طلعة القمر الذي ... تبسم عن طلع وإن شئت عن در
أمنت بها إتيان واش وحاسد ... فما من رقيب غير أنجمها الزهر
ضممت إلى صدري الحبيب معانقاً ... وهل لك ياقلبي محل سوى صدري؟
فيا ليلةً أحيت فؤادي بقربه ... فأحييتها سكراً إلى مطلع الفجر
ولما رأيت الروح فيها مسامري ... تيقنت حقاً أنها ليلة القدر
وله:
وأبيض غض زاد خط عذاره ... لعشاقه في وجدهم والبلابل
تموج بحار الحسن في وجناته ... فتقذف منها عنبراً في السواحل
وتجري بخديه الشبيبة ماءها ... فتنبت ريحاناً بجنب الجداول

يحيى بن واقد بن محمد

بن عدي بن حزيم الطائي، أبو صالح البغدادي النحوي،أخذ عن الأصمعي وغيره، وسمع في حداثته من الحافظ هشيم بن بشير السلمي الواسطي، ومن الإمام الحافظ أبي بشر إسماعيل بن إبراهيم ابن علية الأسدي البصري، ومن ابن أبي زائدة وغيرهم. ولد ببغداد سنة خمس وستين ومائة، ثم انتقل إلى البصرة فتوطنها وبها مات، وكان ثقة صدوقا إماما في العربية،أخذعنه الشيوخ وتخرج به خلق كثير.

يحيى بن هذيل بن الحكم

بن عبد الملك ابن إسماعيل التميمي القرطبي المعروف بالكفيف، كان أديباً شاعراً، قدم إلى المشرق في أواسط المائة الرابعة وأخذ عنه الرمادي الشاعر وغيره. مات سنة تسع وثمانين وثلاثمائة وقد جاوز التسعين.

ومن شعره:

أرى أهل الثراء إذا توفوا ... بنوا تلك المراصد بالصخور

أبوا إلا مباهاةً وفخراً ... على الفقراء حتى في القبور

فإن يكن التسامح في ذارها ... فإن العدل فيها في القعور

عجبت لمن تأنق في بناء ... أميناً من تصاريف الدهور

ألم يبصر بما قد خربته الد ... دهور من المدائن والقصور؟

وأقوام مضوا قوماً فقوماً ... وصار صغيرهم إثر الكبير

لعمر أبهم لو أبصروهم ... لما عرفوا الغني من الفقير

ولا عرفوا العبيد من الموالي ... ولا عرفوا الإناث من الذكور

ولا من كان يلبس ثوب صوف ... من البدن المباشر للحرير

إذا أكل الثرى هذا وهذا ... فما فضل الجليل على الحقير؟

وله:

لاتلمني على الوقوف بدار ... أهلها صيروا السقام ضجيعي

جعلوا لي إلى هواهم سبيلا ... ثم سدوا علي باب الرجوع

يحيى بن يحيى

المعروف بابن السخية القرطبي، قدم المشرق ودخل بغداد والقاهرة قم انصرف إلى بلده، وكان بارعا في النحو واللغة والأخبار وعلوم الأدب والسعر والعروض، عالما بالحديث والفقه والجدل، عارفا بالطب والرياضة والنجوم وكان يميل إلى الاعتزال مات بعد انصرافه من المشرق سنة خمس عشرة وثلاثمائة.

يحيى بن يحيى بن سعيد

المعروف بابن ماري المسيحي من أهل البصرة، كان كاتباً أديباً شاعراً عارفاً بالطب عالماً بالنحو واللغة متفنناً وكان يتكسب بالكتابة والطب ويمتدح الأكابر والأعيان، روى عنه جماعة من الأفضل منهم: أبو حامد المعروف بالعماد الكاتب الأصبهاني وغيره، وصنف المقامات الستين أحسن فيها وأجاد، وكانت وفاته بالبصرة في شهر رمضان سنة تسع وثمانين وخمسمائة.

ومن شعره:

نعم المعين على المروء للفتى ... مال يصون عن التبذل نفسه

لاشيء أنفع للفتى من ماله ... يقضي حوائجه ويجلب أنسه

وإذا رمته يد الزمان بسهمه ... غدت الدراهم دون ذلك ترسه

وله أيضاً:

لاموا على صب الدموع كأنهم ... لايعرفون صبابتي وولوعي

كفوا فقد وعد الحبيب بزورة ... ولذا غسلت طريقه بدموعي

وله:

نفرت هند من طلائع شيبي ... واعترتها سآمة من وجومي

هكذا عادة الشياطين ينفر ... ن إذا مابدت نجوم الرجوم

يحيى بن يعمر

أبو سليمان العدواني من عدوان بن قيس بن عيلان، الوشقي البصري تابعي، لقى عبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر، روى عنه قتادة السدوسي وإسحاق بن سويد وجماعة، ووثقه النسائي وأبو حاتم وغيرهما، ورماه عثمان بن دحية بالقدر، وكان عالماً بالقراءة والحديث والفقه والعربية ولغات العرب. أخذ عنه أبو الأسود الدؤلي، وكان فصيحاً بليغاً يستعمل الغريب في كلامه، روى أن يزيد بن المهلب كتب إلى الحجاج: لقينا العدو ففعلنا وفعلنا، واضطررناه إلى عرعرة الجبل. فقال الحجاج: مالا بن المهلب وهذا الكلام؟ فقيل له إن يحيى بن يعمر عنده، فقال ذاك إذن، وحكى أن الحجاج قال له: أتجدني ألحن؟ فقال: الأميرأفصح من ذلك. فقال عزمت عليك، أتجدني ألحن؟ فقال يحيى نعم. فقال له في أي شيء؟ فقال في كتاب الله تعالى، فقال ذلك أسوأ، ففي أي حرف من كتاب الله؟ قال: قرأت: (قل إن كان آباؤكم وأبنائكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم)، فرفعت أحب وهو منصوب. فغضب الحجاج وقال: لاتساكنني ببلد أنا فيه، ونفاه إلى خراسان فولاه يزيد بن المهلب القضاء بها، ثم عزله على شربه النبيذ وإدمانه له، وكان يحيى يتشيع ويقول بتفضيل أهل البيت من غير تنقيص لغيرهم، وأخباره كثيرة. توفي سنة تسع وعشرين ومائة.

يزيد بن زياد بن ربيعة

المعروف بابن مفرغ، أبو عثمان الحميري، وإنما لقب جده ربيعة مفرغاً، لأنه راهن على أن يشرب عسا من لبن فشربه حتى فرغ فلقب بذلك وقد طعن النسابون في انتسابه إلى حمير، وهو الذي وضع سيرة تبع وأشعاره، وكان يصحب عباد بن زياد فجرت بينهما وحشة فحبسه عباد فكان يهجوه وهو في السجن، فزاد ذلك في غيظ عباد فترك هجوه وأخذ يتلطف له فكان يقول للناس إذا سألوه عن سبب حبسه: رجل أدبه أميره ليقيم من أوده، فبلغ ذلك عباداً فرق له وخلي سبيله، فخرج هارباً إلى البصرة ومنها إلى الشام وجعل يتنقل في مدحها ويهجو زياداً وولده، فطلبه عبيد الله أخو عباد طلباً شديداً وكاد يؤخذ، فجعل يتنقل في قرى الشام ويغلغل في نواحيها، ويهجو بني زياد فترد أشعاره إلى البصرة فتبلغهم، فكتب عبيد الله بن

زياد إلى يزيد معاوية: إن ابن مفرغ نال من زياد وبنيه بما هتكه وفضحهم فضيحة الأبد، وتعدى في ذلك إلى أبي سفيان فقذفه بالزنا، وهرب من خراسان إلى البصرة، فطلبته فلفظته الأرض إلى الشام، فهو يتنقل في قراها يمضغ لحومنا بها، فأمر يزيد بطلبه فجعل يتنقل من بلد إلى بلد إلى أن أتى البصرة واستجار بالأحنف بن قيس فأبى أن يجيره على السلطان، فأتى خالد بن أسيد فلم يجره، ثم لاذ بابن معمر وطلحة الطلحات فوعداه ولم يفعلا، فلاذ بالمنذر بن الجارود العبدي وكانت ابنته تحت عبيد الله بن زياد فأجاره، فلم يرع عبيد الله جوار المنذر وأخذ ابن مفرغ وسجنه، وكتب إلى يزيد يستأذنه في قتله فحذره يزيد من الإيقاع به، وأشار إليه بحبسه وتنكيله بما يؤدبه فأمر عبيد الله أن يسقي نبيذاً خلط بشبرم حتى سلح على ثيابه، فأمر أن يطاف به في أسواق البصرة تزفه الصبيان ثم رد إلى السجن، وبقي فيه مدة طويلة إلى أن أطلق بشفاعة قومه اليمنين عند يزيد.

ومات سنة تسع وستين، وأخباره مع بني زياد طويلة ومن أشعاره التي هجاهم بها قوله في عبيد الله وأخيه عباد من قصيدة طويلة:

ومالاقيت من أيام بؤس ... ولا أمر يضيق به ذراعي

ولم تك شيمي عجزاً ولؤماً ... ولم أك بالمضلل في المتاع

سوى يوم الهجين ومن يصاحب ... لنام الناس يغض على القذاع

ومنها في عبيد الله:

فأير في است أمك من أمير ... كذاك يقال للحمق اليراع

ولا بلت سماؤك من أمير ... فبئس معرس الركب الجياع

ومنها:

إذا أودى معاوية بن حرب ... فبشر شعب قعبك بانصداع

فأشهد أن أمك لم تباشر ... أبا سفيان واضعة القناع

ولكن كان أمر فيه لبس ... على عجل شديد وارتياع

يزيد بن سلمة بن سمرة

ابن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة أبو مكشوح المعروف بابن الطثرية، وطثرة اللبن زبدته، وكان يلقب مورقاً لحسن وجهه وشعره وحلاوة حديثه، وكان يعشق جارية من جرم يقال لها وحشية وله فيها أشعار حسنة، وكان جواداً متلافاً يغشاه الدين، فإذا أخذ قضاه عنه أخوه ثور بن سلمة، وكان صاحب غزل، زير نساء يجلس إليه فيحادثهن، وكان ظريفاً عفيفاً وقتل في الوقعة التي قتل فها الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة. ومن شعره:

عقيلية أما ملاث إزارها ... فدعص وأما خصرها فبتيل

تقيظ أكناف الحمى ويظلها ... بنعمان من وادي الأراك مقيل

أليس قليلا نظرة إن نظرتها ... إليك وكلا ليس منك قليل

فياخلة النفس التي ليس دونها ... لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبها لم يطع به ... عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام أشتكي غربة النوى ... وخوف العدى فيه إليه سبيل
فديتك أعدائي كثير وشقتي ... بعيد وأشياعي لديك قليل
وكنت إذا ما جئت جئت بعلة ... فأفنيت علاتي فكيف أقول؟
فما كل يوم لي بأرضك حاجة ... ولا كل يوم لي إليك رسول
صحائف عندي للعتاب طويتها ... ستنشر يوما والعتاب طويا
فلا تحملي ذنبي وأنت ضعيفة ... فحمل دمي يوم الحساب ثقيل

وقال في وحشية الجرمية:
لو أنك شاهدت الصبا يابن بوزل ... بجزع الغضا إذ راجعتني غياطله
بأسفل حل الملح إذ دين ذي الهوى ... مؤدى وإذ خير الوصال أوائله
لشاهدت لهواً بعد شحط من النوى ... على سخط الأعداء حلواً شمائله
بنفسي من لو مر برد بنانه ... على كبدي كانت شفاء أنامله
ومن هابني في كل شيء وهبته ... فلا هو يعطيني ولا أنا سائله
ألا حبذا عيناك يا أم شنبل ... إذ الكحل في جفنيهما جال جائله
فداك من الخلان كل ممازق ... تكون لأدنى من يلاقي وسائله
فرحنا يوم سرنا بام شنبل ... ضحاه وأبكتنا عليه أصائله
وكنت كأني حين كان سلامها ... وداعاً وقلبي موثق الوجد حامله
رهين بنفس لم تفك كبولها ... عن الساق حتى جرد السيف قاتله
وقال:
ألا رب راج حاجةً لاينالها ... وآخر قد تقضي له وهو جالس
يروح لها هذا وتقضي لغيره ... فتأتي الذي تقضي له وهو آئس

يعقوب بن إسحاق

أبو يوسف بن السكيت، والسكيت لقب أبيه، وكان أبوه من أصحاب الكسائي عالماً بالعربية واللغة والشعر، وكان يعقوب يؤدب الصبيان مع أبيه في درب القنطرة بمدينة السلام حتى احتاج إلى الكسب، فأقبل على تعلم النحو من البصريين والكوفيين، فأخذ عن أبي عمر والشيباني والفراء وابن الأعرابي والأثرم، وروى عن الأصمعي وأبي عبيدة، وأخذ عنه أبو سعيد السكري وأبو عكرمة الضبي ومحمد ابن الفرج المقريء ومحمد بن عجلان الأخباري وميمون بن هارون الكاتب وغيرهم.
وكان علاماً بالقرآن ونحو الكوفيين، ومن أعلم الناس باللغة والشعر رواية ثقة، ولم يكن بعد ابن الأعرابي

مثله، وكان قد خرج إلى سر من رأى فصيره عبد الله بن يحيى ابن الخاقان إلى المتوكل فضم إليه ولده يؤدبهم وأسنى له الرزق، ثم دعاه إلى منادمته فنهاه عبد الله بن عبد العزيز عن ذلك، فظن أنه حسده وأجاب إلى مادعي إليه، فبينما هو مع المتوكل يوما جاء المعتز والمؤيد فقال له المتوكل: يا يعقوب، أيما أحب إليك، ابناي هذان أم الحسن والحسين؟ فذكر الحسن والحسين رضي الله عنهما بما هما أهله وسكت عن أبنيه، وقيل قال له: إن قنبرا خادم على أحب إلي من أبنيك.

وكان يعقوب يتشيع، فأمرالمتوكل الأتراك فسلوا لسانه، وداسوا بطنه، وحمل إلى بيته، فعاش يوما وبعض آخر، ومات يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة ثلاث وأربعين ومائتين، وقيل سنة أربع وأربعين، وقيل سنة ست وأربعين.

ووجه المتوكل من الغد عشرة آلاف درهم ديته إلى أهله، ولما بلغ عبد الله بن عبد العزيز الذي نماه عن المنادمة خبر قتله أنشد:

نميتك يا يعقوب عن قرب شادن ... إذا ماسطا أربى على كل ضيغم

فذق وأحس إني لا أقول الغداة إذ ... عثرت لعاً بل لليدين وللفم

وصنف ابن السكيت كتاب إصلاح المنطق، وكتاب القلب والإبدال، وكتاب النوادر، وكتاب الألفاظ، وكتاب فعل وأفعل، وكتاب الأضداد، وكتاب الأجناس الكبير، وكتاب الفرق، وكتاب الأمثال، وكتاب البحث، وكتاب الزبرج، وكتاب الإبل، وكتاب السرج واللجام، وكتاب الوحوش، وكتاب الحشرات، وكتاب النبات والشجر، وكتاب الأيام والليالي، وكتاب سرقات الشعراء وماتواردوا عليه، وكتاب معاني الشعر الكبير، وكتاب معاني الشعر الصغير وغير ذلك.

يعقوب بن إسحاق بن زيد

بن عبد الله الحضرمي بالولاء، البصري أبو يوسف وأبو محمد القاريء ثامن القراء العشرة، الإمام في القراءات والعربية ولغة العرب والفقه.أخذالقراءة عن ابن ميمون والعطاردي، وروى عن حمزة والكسائي، وأخذ عنه سلام الطويل عرضا، وأخذ عنه الزعفراني وأبو حاتم السجستاني وروح ابن عبد المؤمن وجماعة.

وكان من أعلمأهل زمانه بمذاهب النحاة في القرآن الكريم ووجوه الاختلاف فيه، وكان زاهدا ورعا ناسكا.

حكى أنه سرق رداؤه وهو في الصلاة ورد إليه ولم يشعر، وفيه يقول بعضهم:

أبوه من القراء كان وجده ... ويعقوب في القراء كالكوكب الدري

تفرده محصن الصواب وجمعه ... فمن مثله في وقته وإلى الحشر؟

وصنف يعقوب كتاب الجامع، ذكر فيه اختلاف وجوه القراءات ونسب كل حرف إلى من قرأ به، وكتاب وقف التمام وغير ذلك، مات في جمادى الأولى سنة خمس ومائتين عن ثمانين سنة.

يعقوب بن الربيع

أخو الفضل بن الربيع حاجب أبيجعفر المنصور، كان أديباً شاعراً ماجنا خليعا، وكان يصحب آدم بن عبد العزيز الأموي، وكان آدم هذا ماجنا أيضاً منهمكا في الشراب ثم نسك، وليعقوب معه أخبار وملح، فمن ذلك ما حدث به فليح بن سليمان قال: لما ترك آدم بن عبد العزيز الشراب استأذن يوما على يعقوب بن الربيع وأنا عنده فقال يعقوب: ارفعوا الشراب فإن هذا قد تاب وأحسبه يكره أن يحضره، فرفع وأذن له فلما دخل قال: إني لأجد ريح يوسف، قال يعقوب: هو الذيوجدت، ولكنا ظننا أن يثقل عليك لتركك له قال: إي والله إنه ليثقل علي ذاك. قال: فهل قلت في ذلك شيئا منذ تركته؟ قال نعم وأنشد:

ألا هل فتى عن شربها اليوم صابر ... ليجزيه عن صبره الغد قادر؟

شربت فلما قيل ليس بنازع ... نزعت وثوبي من أذى اللوم طاهر

وكان يعقوب بن الربيع يعشق جارية فطلبها سبع سنين وبذل فيها جاهه وماله حتى ملكها وأعطى فيها مائة ألف دينار فلم يبعها، فمكثت عنده ستة أشهر وماتت فرثاها بشعر كثير فمن ذلك قوله:

لئن كان قربك لي نافعا ... فبعدك أصبح لي أنفعا

لأنني أمنت رزايا الدهور ... وإن حل خطب فلن أجزعا

وله:

راحوا يصيدون الظباء وإنني ... لأرى تصيدها على حراما

أشبهن منك لواحظا وسوالفا ... فحوت بذلك حرمة وذماما

أعزز على بأن أروع شبهها ... أو أن يذوق علي يدي حماما

يعقوب بن علي بن محمد بن جعفر

أبو يوسف البلخي ثم الجندلي، أحد الأئمة في النحو والأدب،أخذعن أبي القاسم الزمخشري ولزمه، ولا أعرف عنه غير هذا.

اليمان بن أبياليمان

أبو بشر البند نيجي، أصله من الأعاجم من الدهاقين ولد أكمة في سنة مائتين ببندنيج بلده. وحفظ أدبا كبيرا وأشعارا كثيرة، وكان بها أبو الحسن علي بن المغيرة امعروف بالأثرم صاحب أبي عبيدة يروي كتبه كلها وكتب الأصمعي، فلزم أبو بشر ذلك النمط، وحفظ من كتب الأثرم علما كثيرا قال: حفظت في مجلس واحد مائة وخمسين بيتا من الشعر بغريبه، وخرج إلى بغداد وسر من رأى ولقى العلماء وقرأ على محمد بن زياد الأعرابي، ولقي أبا نصر صاحب الأصمعي وهو ابن أخته، وحفظ كتاب الأجناس الأكبر للأصمعي، وكان لأبي بشر ضياع كثيرة وبساتين خلفها له أبوه فباعها وأنفقها في طلب العلم وعلى العلماء، ولقى أبا يوسف يعقوب بن السكيت والزيادي والرياش بالبصرة وقرأ عليهم من حفظه كتبا كثيرة، وصنف كتاب معاني الشعر، وكتاب العروض وكتاب التقفية، مات سنة أربع وثمانين ومائتين.

ومن شعره:

أنا اليمان بن أبياليمان ... أسعد من أبصرت في العميان

إن تلقني تلق عظيم الشان ... تجدني أبلغ من سحبان

في العلم والحكمة والبيان، وله:

فديوان الضياع بفتح ضاد ... وديوان الخراج بغير جيم

إذا ولى ابن عيسى وابن موسى ... فما أمر الأنام بمستقيم

يموت بن المزرع

بن موسى بن سيار العبدي من عبد قيس، أبو عبد الله وأبو بكر البصري ابن أخت أبي عثمان الجاحظ نحوي أديب راوية ذكره الزبيدي في نحاة مصر،أخذعن أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي ونصر بن علي الجهضمي، وكان من مشايخ العلم والشعر أخباريا حسن الآداب، دخل بغداد ومات بطبرية وقيل بدمشق سنة ثلاث وثلاثمائة، وقيل سنة أربع. وكان له ولد يقال له مهلهل بن يموت، وكان شاعراً مجيدا وله يقول أبوه يبموت ابن المزرع:

مهلهل قد شربت شطور دهري ... وكافحني به الزمن العنوت

وجاريت الرجال بكل ربع ... فأذعن لي الحثالة والرتوت

فأوجع ما أجن عليه قلبي ... كريم عضه زمن بغوت

كفى حزنا بضيعة ذي قديم ... وأبناء الطريف لها التخوت

وقد أسهرت عيني بعد غمض ... مخافة أن تضيع إذا فنيت

وفي لطف المهيمن لي عزاء ... بمثلك إن فنيت وإن بقيت

وأن يشتد عظمك بعد موتي ... فلا تقطعك جائحة سوت

فجب في الأرض وابغ بها علوما ... ولا تلفتك عن هذا اللسوت

وإن بخل العليم عليك يوما ... فذل له وديدنك السكوت

وقل بالعلم كان أبيجوادا ... يقال فمن أبوك فقل يموت؟

تقر لك الأباعد والأداني ... بعلم ليس يجحده البهوت

يوسف بن أبي بكر بن محمد

أبر يعقوب السكاكي من أهل خوارزم، علامة إمام في العربية والمعاني والبيان والأدب والعروض والشعر، متكلم فقيه متفنن في علوم شتى، وهو أحد أفاضل العصر الذين سارت بذكرهم الركبان، ولد سنة أربع وخمسين وخمسمائة، وصنف مفتاح العلوم في اثني عشر علما أحسن فيه كل الإحسان وله غير ذلك، وهو اليوم حي يبلده خوارزم

يوسف بن الحجاج بن يوسف

عرف بابن الصيقل، مولده ومنشؤه بالكوفة وكان يلقب بلقوة، صحب أبا نواس وأخذ عنه وروى شعره. وكان كاتبا شاعراً ظريفا صاحب نوادر متهتكا بالمرد، مات في خلال خلافة المأمون.

ومن شعره:

أبعد المواثيق لي ... وبعد السؤال الحفي؟

وبعد اليمين التي ... حلفت على المصحف؟

تركت الهوى بيننا ... كضوء سراج طفى

فليتك إذ لم تفي ... بوعدك لم تحلفي

وقال في مدح الرشيد:

أغيثا تحمل الناق ... ة أم تحمل هارونا؟

أم الشمس أم البدر ... أم الدنيا أم الدينا؟

ألا كل الذيعدد ... ت قد أصبح مقرونا

مفرق هارونا ... فداه الآدميونا

يوسف بن الحسن بن عبد الله

أبو محمد السيرافي، كان رأسا في العربية واللغة، له مشاركة في غيرها من العلوم،أخذعن والده الإمام وخلفه في جميع علومه، وتمم كتبا كان شرع فيها أبوه منها: الإقناع، وصنف شرح أبيات سبويه، وشرح أبيات إصلاح المنطق، وشرح أبيات الغريب المصنف لأبي عبيد، مات في ربيع الأول سنة خمس وثمانين وثلاثمائة عن خمس وخمسين سنة.

يوسف بن سليمان بن عيسى

أبو الحجاج الشنتمري المعروف بالأعلم النحوي، كان عالما بالعربية واللغة واسه الحفظ للأشعار ومعانيها، جيد الضبط كثير العناية بهذا الشأن فكانت الرحلة إليه في وقته، رحل إلى قرطبة فأخذ عن أبي القاسم إبراهيم الأفليلي وساعده في شرح ديوان المتنبي، وأخذ أيضاً عن أبي سهل الحراني ومسلم بن أحمد الأديب، وأخذ عنه أبو علي الغساني وجماعة كثيرة وأضر بآخره، وكان مشقوق الشفة العليا شقا واسعا ولذا لقب بالأعلم. وصنف شرح الجمل في النحو لأبي القاسم الزجاج، وشرح الحماسة شرحا مطولا ورتبها على حروف المعجم. ولد سنة عشر وأربعمائة، وتوفي بإشبيلية سنة ست وسبعين وأربعمائة.

يوسف بن عبد الله

أبو القاسم الزجاجي، أحدأهل البلاغة والبراعة والدراية في النحو واللغة والأدب، أصله من همذان وسكن جرجان وتصدر بها، صنف شرح الفصيح، وعمدة الكتاب، وكتاب خلق الإنسان، وكتاب خلق الفرس، وكتاب اشتقاق الأسماء وكتاب الرياحين وغير ذلك.

يوسف بن علي بن جبارة

بن محمد بن عقيل أبو القاسم الهذلي المغربي البسكري نسبة إلى بسكره من إقليم الزاب الصغير، الضرير المقرئ النحوي، كان عالما بالقراءات والعربية، قرأ على المشايخ بأصبهان وطوف البلاد في طلب القراءات، وقدم بغداد فقرأ بها على القاضي أبي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي وغيره، وورد نيسابور فحضر دروس أبي القاسم القشيري في النحو، وسمع بأصبهان من الحافظ أبينعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، وبنيسابور من أبيبكر أحمد بن منصور ابن خلف، وقرره نظام الملك في مدرسته بنيسابور مقرئا سنة ثمان وخمسين وأربعمائة فاستمر بها إلى أن توفي. ومن تصانيفه: الكامل في القراءات وغيره. وكانت ولادته سنة ثلاث وأربعمائة، ومات سنة خمس وستين وأربعمائة عن ثلاث وستين سنة.

يوسف بن هارون

أبو بكر الكندي المعروف بالرمادي القرطي شاعر مفلق، كان معاصرا لأبي الطيب المتنبي فكان يقال: فتح الشعر بكندة وختم بكندة، يعنون امرأ القيس والمتنبي والرمادي هذا، وكان مقلا ضيق العيش، ونسب إليه بعضهم أشعارا في دولة الخلافة أو غرت صدر الخليفة عليه فسجنه زمانا طويلا، ونظم في السجن عدة قصائد استعطف بها الخليفة فلم يعطف عليه، وكان كلفا بفتى من أبناء النصارى يقال له نصير وله فيه أشعار حسنة، ولما دخل أبو علي القالي الأندلس لزمه الرمادي وامتدحه بقصيدة وروى عنه كتاب النوادر من تآليفه، وروى الحافظ بن عبد البرطرفا من شعر الرمادي وأوردها في بعض مصنفاته. مات أبو عمر المادي سنة ثلاث وأربعمائة، ومن شعره قوله لنصير النصراني الذيتقدم ذكره:

أدر الكأس يانصير وهات ... إن هذا النهار من حسناتي
بأبي غرة ترى الشخص فيها ... في صفاء أصفى من المرآة
تبصر الناس حولها في ازدحام ... كازدحام الحجيج في عرفات
هاتها يا نصير إنا اجتمعنا ... بقلوب في الدين مختلفات
إنما نحن في مجالس لهو ... نشرب الراح ثم أنت مواتي
فإذا ما انقضت دياثة ذا الله ... و اعتمدنا مواضع الصلوات
لو مضى الوقت دون راح وقصف ... لعددنا هذا من السيئات

وله:

بدر بدا يحمل شمسا بدت ... وحدها في الحسن من حده
تغرب في فيه ولكنها ... من بعد ذا تطلع في خده

يونس بن حبيب

أو عبد الرحمن الضبي وقيل الليثي بالولاء، إمام نحاة البصرة في عصره ومرجع الأدباء والنحويين في المشكلات، كانت حلقته مجمع فصحاء الأعراب وأهل العلم والأدب، سمع من العرب كما سمع من قبله وأخذ الأدب عن أبيعمرو ابن العلاء، وأخذ عنه سيبوية وروى عنه في كتابه وأخذ عنه أيضاً أبو الحسن الكسائي وأبو زكريا الفراء وأبو عبيدة معمر بن المثني وخلف الأحمر وأبو زيد الأنصاري وغيرهم من الأئمة، وكان له في العربية مذاهب وأقيسبة يتفرد بها.

قال أبو عبيدة: اختلفت إلى يونس أربعين سنة أملأ كل يوم ألواحي من حفظه. وقال أبو زيد الأنصاري: جلست إلى يونس بن حبيب عشر سنين وجلس إليه قبلي خلف الأحمر عشرين سنة، وكان يونس عالما بالشعر نافذ البصر في تمييز جيده من رديئه، عارفا بطبقات شعراء العرب حافظا لأشعارهم يرجع إليه في ذلك كله.

حدث محمد بن سلام قال: سأل ت يونس النحوي عن أشعر الناس فقال: لا أومي إلى رجل بعينه ولكني أقول: امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير إذا رغب، والأعشى إذا طرب. وكان يونس يفضل الأخطل على جرير والفرزدق وقد انفرد بذلك.

قال أبو عبيدة: سئل يونس النحوي عن جرير والفرزدق والأخطل: أيهم أشعر؟ فقال: أجمعت العلماء على الأخطل. قال أبو عبيدة: فقلت لرجل إلى جنبه: سله ومن هؤلاء العلماء؟ فسأل ه فقال من شئت: ابن أبيإسحاق، وأبو عمرو ابن العلاء، وعيسى بن عمر الثقفي، وعنبسة الفيل، وميمون الأقرن، هؤلاء طرقوا الكلام وماثوه لاكمن تحكون عنه لا بدويين ولا نحويين. فقلت للرجل سله: فبأي شيء فضل عليهم؟ قال: بأنه كان أكثرهم عدد قصائد طوال جياد ليس فيها فحش ولا سقط. ومن نقد يونس للشعر: ما حكاه الأصمعي قال: جاء مروان بن أبي حفصة الشاعر إلى حلقة يونس فسلم ثم قال: أيكم يونس؟ فأومأنا إليه فقال له: أصلحك الله إني أرى قوما يقولون الشعر لأن يكشف أحدهم سوءته ثم يمشي كذلك في الطريق أحسن له من أن يظهر مثل ذلك الشعر، وقد قلت شعرا أعرضه عليك، فإن كان جيدا أظهرته، وإن كان رديئا سترته، فأنشده قوله: طرقتك زائرة فحي خيالها فقال له يونس يا هذا: اذهب فأظهر هذا الشعر، فأنت والله فيه أشعر من الأعشى في قوله: رحلت سمية غدوة أجمالها فقال له مروان: سررتني وسؤتني، سررتني بارتضائك شعري، وساءني تقديمك إياي على الأعشى وأنت تعرف محله فقال له يونس: إنما قدمتك عليه في تلك القصيدة لأني شعره كله، لأنه قال فيها: فأصاب حبة قلبها وطحالها

والطحال لا يدخل في شيء إلا أفسده، وقصيدتك سليمة من هذا وشبهه، وليونس أخبار كثيرة يطول ذكرها ومن تصانيفه: كتاب معاني القرآن الكبير، كتاب معاني القرآن الصغير، كتاب اللغات، كتاب

النوادر، كتاب الأمثال. وكان مولده سنة ثمانين، ومات سنة اثنتين وثمانين ومائة عن مائة سنة واثنتين.

يونس بن سألم الخياط

القرشي وقيل الهذلي بالولاء، من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية. كان شاعراً مجيداً ظريفاً ماجناً خبيث الهجاء، وكان منقطعا إلى آل الزبير بن العوام، وقدم على المهدي مع عبد الله بن مصعب الزبير فأوصله إليه وتوسل له إلى أن سمع المهدي شعره ووصله. وكان يونس عاقا لأبيه، وكان أبوه شاعراً فقال فيه:

يونس قلبي عليك يلتهف ... والعين عبري دموعها تكف
تلحفني كسوة العقوق فلا ... برحت منها ما عشت تلتحف
أمرت بالخفض للجناح وبال ... رفق فأمسى يعوقك الأنف
وتلك والله من زبانية ... إذا سطوا في عذابهم عنفوا

فأجابه يونس:

أصبح شيخي يزري به الخرف ... ما إن له فطنة ولا نصف
صفاتنا في العقوق واحدة ... ماخلقنا في العقوق يختلف
ألحفته سأل ما أباك وقد ... أصبحت مني بذاك تلتحف

وأنشد يوما بحضرة أبيه وكان عنده أصحابه ليغيظه:

ياسائلي من أنا أومن يناسبني ... أنا الذي ماله أصل ولا نسب
الكلب يختال فخرا حين يبصرني ... فالكلب أكرم مني حين ينتسب
لو قال لي الناس طرا أنت ألامنا ... لم يشطط الناس في هذا ولا كذبوا

يونس إبراهيم الوفراوندي

ذكره ابن النديم في الفهرست، صنف الشافي في علوم القرآن، الوافي في العروض والقوافي.

ISLAMICBOOK.WS ٢٠١٠ | جميع الحقوق متاحة لجميع المسلمين